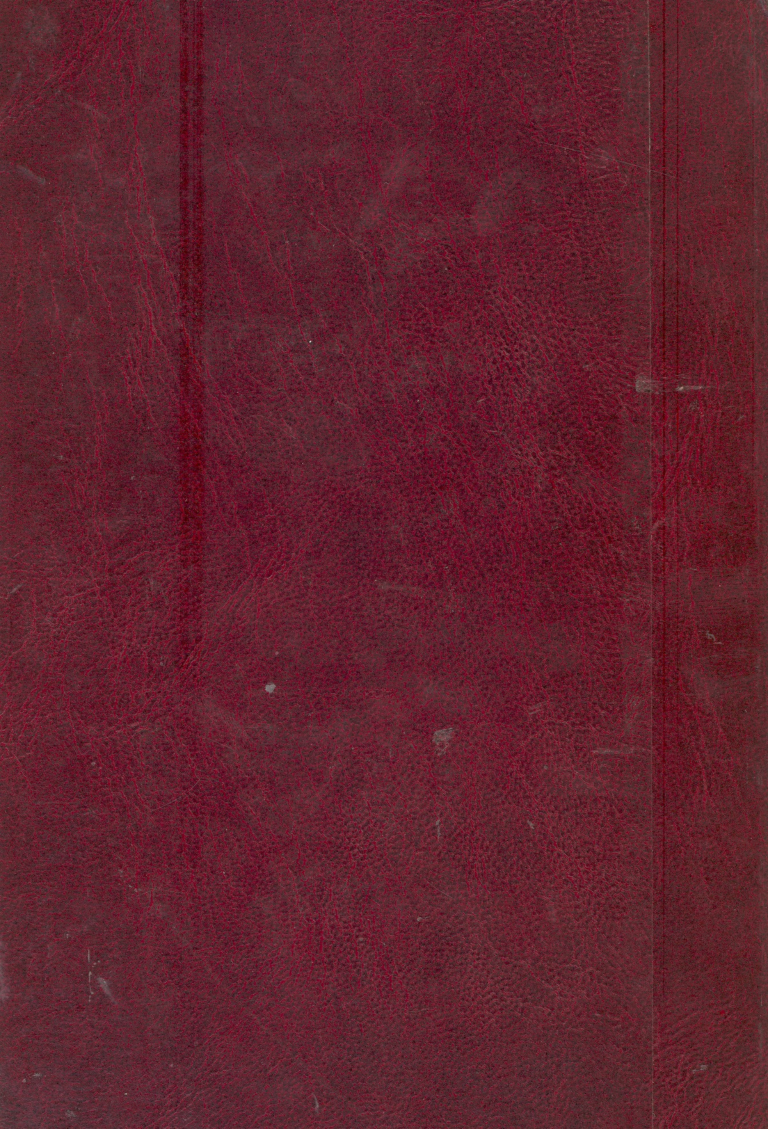
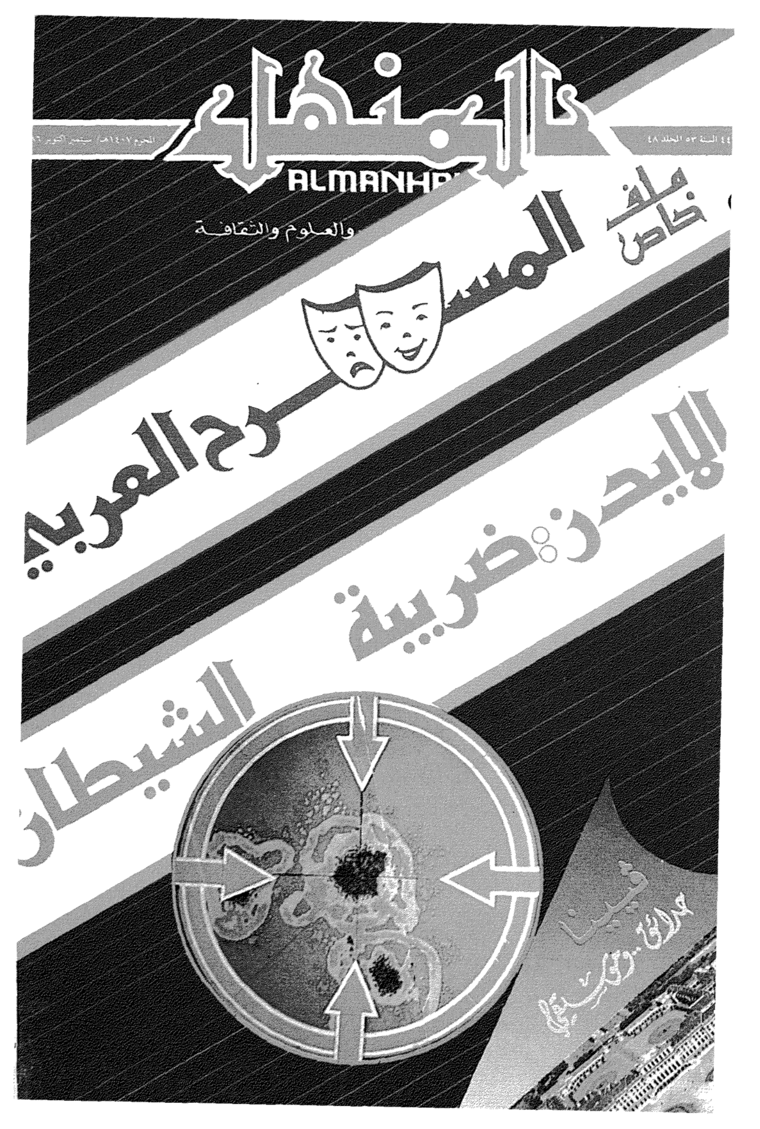
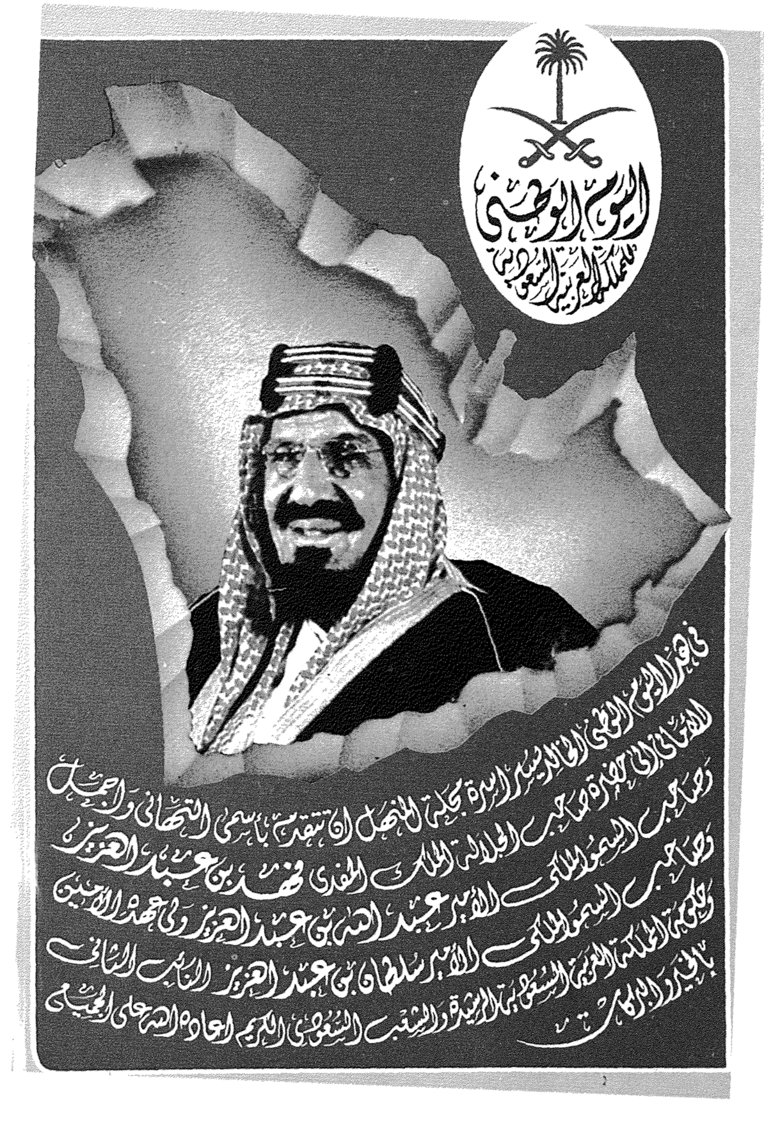
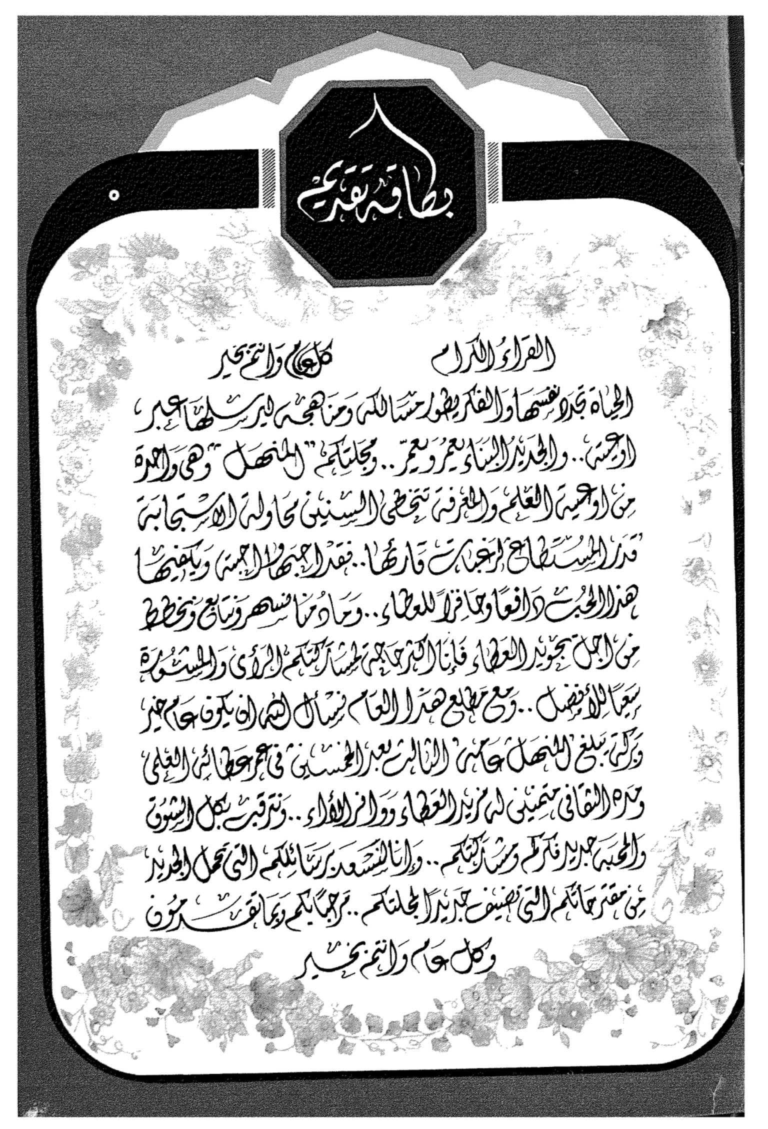



المنهل
٤٤ السنة ٥٣ المجلد ٤٨
المحرم ١٤٠٧هـ/ سبتمبر أكتوبر
والعلوم والثقافة
ملف خاص
المسرح العربي
الإيدز: ضريبة الشيطان


اليوم الوطني
للمملكة العربية السعودية
في هذا اليوم الوطني الخالد يسر اسرة مجلة المنهل ان تتقدم باسمى التهاني واجمل
الاماني الى حضرة صاحب الجلالة الملك المفدى فهد بن عبد العزيز
وصاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد الامين
وصاحب السمو الملكي الامير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني
وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم اعاده الله على الجميع
بالخير والبركات



بطاقة تقديم

القراء الكرام — كل عام وانتم بخير

الحياة تجدد نفسها والفكر يطور مسالكه ومناهجه ليرسلها عبر اوعيته.. والجديد البناء يعمر ويعمر.. ومجلتكم "المنهل" وهي واحدة من اوعية العلم والمعرفة تتخطى السنين محاولة الاستجابة قدر المستطاع لرغبات قارئها. فقد احبها واحبته ويلفهما هذا الحب دافعا وحافزا للعطاء.. وما دمنا نسهر ونتابع ونخطط من اجل تجويد العطاء فإنا لنرحب بمشاركتكم الرأي والمشورة سعيا للأفضل.. ومع مطلع هذا العام نسأل الله ان يكون عام خير وبركة يبلغ المنهل عامه الثالث بعد الخمسين في عمر عطائه العلمي ومده الثقافي متمنين له مزيد العطاء ووافر الأداء.. ونترقب بكل الشوق والمحبة جديد فكركم ومشاركتكم.. وإنا لنسعد برسائلكم التي تحمل الجديد من مقترحاتكم التي تضيف جديدا لمجلتكم.. مرحبا بكم وبما تقدمون

وكل عام وانتم بخير

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
المملكة العربية السعودية - جدة
أسسها سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٧م
عبد القدوس الانصاري

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مدير الادارة والتحرير
زهير نبيه الانصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الانصاري

مراسلونا فى الخارج
- القاهرة: د. احمد الحفناوى
- عمان: روكس بن زائد العزيزى
- الرباط: عبد الرحيم عبد السلام
- تونس: د. نور الدين صمود
- انقرة: د. انور طاهر رضا
- الجزائر: د. بكرى عبد الكريم

التحرير
السمانى كمال الدين
محمد سيد على الدين
نادر صلاح الدين

الصف التصويرى
عبد الفتاح السيد سليمان

الخطوط
محمد الضبعانى

العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

المخرج الفني
فريد ابو سعده

معلومات ادارية

المركز الرئيسى
جُدة - الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧١٢٨
ت: ٦٤٤٧٧٩٤
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
ت: ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
السليمانية
ص.ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٥٢٤٠

الاشتراكات
- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة
ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة
- السعودية: ٨ ريال
- البحرين: ٨٠٠ فلس
- قطر: ٨ ريال
- الامارات: ٨ دراهم
- الاردن: ٥٠٠ فلس
- مصر: ٥٠ قرشا
- السودان: ١٥٠ قرشا
- تونس: ٦٠٠مليم
- المغرب: ٦ دراهم

المجلة السعودية الأم

المحرم ١٤٠٧هـ سبتمبر - اكتوبر ٨٦

وكلاء التوزيع
تهامة للتوزيع/ جده ت ٥٠٠٠
دار المسيرة للطباعة/ ابو ظبى ت: ٢٨٥

من كتاب هذا العدد

● د. عبد الرحمن النفيسه
● د. يوسف عز الدين
● عبد المنعم قنديل
● د. حسين نصار

مجلاتنا الداخلية

...الة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ ـ الشركة الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥
...ر الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاعلانية/ عمان ت: ٦٣٥١٥٢ ـ الشركة العربية للتوزيع/ المنامة ت: ٢٥٥٧٠٦







ترى ماذا يخبئه عامنا (الخالد) . . هـذا ـ بعد ان ظفرنا بعامنا (الراحل) . . ذاك والذى حمل ابرز معالم ضعفنا وكشف عن مواجعنا وآهاتنا.

* **فى السياسة :** كان ـ رحمه الله ـ عاما منصهرا بجراحنا . . منغلقا على آمالنا . . منفتحا على آلامنا.

* **فى الاقتصاد :** بلونا فيه ـ رحمه الله ـ بلاءا حسنا وان كان يشوبه بعض من جمود آفاقنا العربية . . . وقليل من اسرافاتنا العملية . . . وتصحر فى ثرواتنا القومية . .

وبالضرورة . وبمسوغات الحالة :

تراءى لنا حاضرنا كئيبا ومستقبلنا لاحبا . . وغدت الدُّنَا على قمم هضابنا شمطاء . واللحظة فى روابى أوديتنا عمياء . وبتنا كالكرام فى مأدبة اللئام : نتذكر ماضياً من الأيام ولىَّ وإحباطاً لمستقبل من الزمان آتيا وران علينا الصمت . . وأخذتنا الدهشة . . وهزّنا المصير.

*** وابتُلِينَا وصبرنا . . . وفرَّطنا وما حسبنا**
*** وجزعنا وثبتنا . . . وضعفنا وما استكنا**

ومن المبتدأ الى المنتهى

إلا من باقيات صالحات . . ودروب سالكات . .
وافعال بَيِّنات . . واهداف جامحات . . . هينات لينات :

إلا من هديل (رقيق) يبهج القريب ويفسح الطريق
وقطرات (نديَّة) تروى العليل وتبلل الريق
واهتزت جوارحنا . . وطربت خوالجنا . . ورطبت حناجرنا
وصحونا من غيبتنا تلك نابذين (سلبيات)
عامنا الراحل . . متطلعين الى (ايجابيات)
عامنا الماثل

غير مبالين بنظرة العصر الداعية الى ان (ذلكم) العنصرين ـ السياسة . . والاقتصاد ـ هما (الدنا . . المنْتَظَرَة) ولهما (الحاضر . . الملْتَمَس) وبهما (المستقبل . . المرْتَقَب)

تباً . . . وإلا :
أين منهما ظهور عقيدتنا ـ وبطون عروبتنا؟ . .
أين منهما مواطن رسالتنا ـ وموئل أفئدتنا؟ . .
أين منهما ذُرى أنسانيتنا ـ وشفافية محاجرنا؟ . .
«واين منهما منابع معارفنا . . وجداول حضارتنا»

أليس لها خاصيتها الموجهة وتنظيرها المبدع ـ سواء اندثرت فى خباء عامنا هذا . . او تدثَّرت فى رداء عامنا ذاك .

نعـم : بهذه المثل وبسواها . ومن قبل ومن بعد . والى أن يرث الله عزَّ وجـلَّ الأرضَ ومَنْ عليها . . . نحن الثابتون بصدق اليقـين . . . المتمسِّكون بالهدى المبين كما تناولناه من السماء عقيدة ودينا .

حقـاً : بها وبسـواهـا . وإلى أن يقدر الله عزَّ وجلَّ أمراً كان مفعولا . . . نحن المعنيّون بسموّ الرسالة المنطلقة من مهدها إلى الأخيار والمستَضْعَفين على حدٍ سواء .

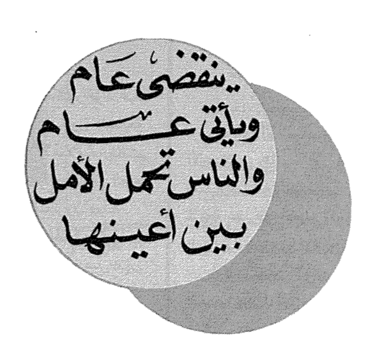
صدقـاً : بها وبسواها . والى أن يُهيىء الله عزَّ وجلَّ لنا من أمرنا رشدا . . نحن أمة محمد ﴿ﷺ﴾ الذين يباهى بهم يوم القيامة . . ويميزهم بشفاعته .

●● فما بالنا ـ والأمر كذلك ـ خائفون مرتجفون . . وجلون مرتجلون . . . أتُرانا قد فقدنا ايماننا وغار فينا يقيننا؟ . . أم لعلنا غدونا كجثم الليل البهيم يغلفنا بظلمته ويطوينا برهبته؟ . .

● تُرى ما بال «اقوام» منا يقتتلون كسحر اصابهم وهم عنه غافلون؟ . .
● تُرى ما بال «افخاذ» منا يجتمعون ولا يكتمل مجلسهم حتى ينفضون؟ . .

ما بالنا وقد تأسد ـ في رحابنا ـ الرضيع
وتقزّم ـ في محيطنا ـ النبيـــــل

اهى الخاتمة . . . أم البداية . . . أم الطامة الكبرى التى نحن عنها ساهون؟ . .
«ام لعله قدرنا نُبتلى به لنكون من عباده الصالحين»
ـ (وإنّا لله وإنّا إليه راجعون) ـ



ويهلُّ علينا عام هجرى جديد نستشرف فيه ما استغربناه . . ونستبشر به فيما تجاوزناه . . ونستلهم منه ما فقدناه . . وندخره لما بنيناه .

* علينا ـ به وبسواه ـ ان نستمسك بالعروة الوثقى
ونهتدى باشعاعها فى مواجهة العدو ومناصحة الصديق .

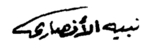
* علينا ـ به وبسواه ـ ان نجمع الشمل ونحزم الامر
لنهزم الغزاة ونُرهِبَ الطغاة .

* علينا ـ به وبسواه ـ ان نتيقظ لما يحاك ضدنا
ونصد ترصد الحاقدين والمتوعدين .

وعلينا : ان نهيىء لشعوبنا عزا . . وان نختار لأقدامِنا موضعا .

■ وحتما : ستشرق أضواء الحقيقة ـ ويذوب الانغلاق ■

■ وحتما : ستصدح انغام الواقع ـ وتتبدد الملاميات ■



منظمة الاذاعات الاسلامية

فى مدينة جدة وتحت رعاية الدكتور فؤاد عبد السلام الفارسى عقدت أعمال الدورة السابعة للجمعية العامة لمنظمة الاذاعات الاسلامية وكانت الجلسات بحضور الأستاذ احمد فراج الامين العام للمنظمة واشترك فيها ثلاث وعشرون دولة . . وناقشت الندوة ما كان فى جدول أعمالها من جوانب ادارية وانتاج البرامج وما تتطلع إليه المنظمة من اعمال إذاعية تسجل باللغة العربية وغيرها من اللغات الاخرى خدمة لنشر تعاليم الدين الاسلامى والوعى الاسلامى بين المسلمين كافة . . وأشاد الأستاذ احمد فراج/ الأمين العام للمنظمة بما تقدمه الدول المشتركة من مساهمات مالية وفنية وعلمية وبما تقدمه المملكة العربية السعودية بخاصة إذ انها تساهم بنصف موارد المنظمة . . وما تقدمه ايضا من مساهمات طوعية بلغت (٣ر٣) مليون دولار إضافة الى مبلغ (٢ مليون) دولار قدمها جلالة الملك فهد بن عبد العزيز منحة للمنظمة .

والنساء أيضا يصمتن . .

فى لعبة تحطيم الأرقام القياسية السابقة جاء من أندونيسيا أن خمسة من جزيرة جاوا استطاعوا (الوقوف صمتا) من غير حركة ولا كلمة لأكثر من ثلاث عشرة ساعة . . أما النساء فى هذه المسابقة فقد تفاوتت مدة (صمتهن) من خمس ساعات إلى عشر ساعات ونصف الساعة . . وكما يقولون (والعهدة على الراوى طبعا) مسابقة الوقوف صمتا أجريت ضمن مهرجان الصمت الذى شارك فيه مئة متسابق بينهم (٢٨) امرأة.



مجلة التضامن الاسلامى وما بعد الآربعين

فى ذى القعدة الماضى اكملت مجلة التضامن الاسلامى عامها الأربعين فى عمر عطائها الثر ومسيرتها العلمية والفكرية المباركة . . وهى توقد شمعة عقدها الخامس تحمل على عاتقها لواء الدعوة إلى الله وإيصال كلمة الحق . .

صدر العدد الأول منها فى رجب ١٣٦٦هـ وكان اسمها (مجلة الحج) أول رئيس تحرير لها الأستاذ هاشم زواوى وفى ١٣٦٨ تسلم رئاسة تحريرها الأستاذ محمد سعيد العامودى حتى ١٣٩١هـ حيث تلاه الدكتور مصطفى عبد الواحد والمشرف العام معالى الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع . . وتوزع المجلة مجاناً .

المركز العربى لتبادل الأخبار والبرامج التلفزيونية

فى يناير القادم باذن الله يبدأ العمل فى إنشاء المركز فى مدينة الجزائر . . وهو تابع لاتحاد إذاعات الدول العربية . . ومن أهداف هذا المركز: تنظيم عمليات تبادل الاخبار والبرامج العربية بين الهيئات الأعضاء (وقد تم البدء فى هذا فى فترة تجريبية منذ اكتوبر الماضى) . . تنسيق التغطية التلفزيونية لبعض الاحداث العالمية . . تنظيم وتوسيع نشر الخدمات المصورة التى تغطى الأنباء والاحداث العربية الهامة على النطاق العالمى . . تنظيم عملية استلام الاخبار العالمية من جانب هيئات التلفزيون العربية . . جمع المواد العربية المصورة الهامة المتبادلة عبر المراكز وحفظها واستثمارها . . توسيع دائرة الاتصال مع مراكز التبادل فى الهيئات والاتحادات الاذاعية الاخرى .



إنجاز ضخم لمركز تعريب العلوم الهندسية

قامت جامعة الملك عبد العزيز «مركز تعريب العلوم الهندسية» بتعريب ثلاثمائة مرجع هندسى مهم باللغة العربية فى مختلف التخصصات ويهدف ذلك الى ايجاد عدد من المراجع فى مجال التعريب الهندسى كما تمكن المركز من توفير الدوريات العلمية وبلغ عددها «اربع دوريات» خاصة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجمع اللغة العربية الاردنى ومجلة «اللسان العربى بالمغرب ومجلة معهد المخطوطات بالقاهرة».

وقد تمكن المعهد المذكور من تعريب مواد مدخل الهندسة وتقويم الطاقة الذرية وهندسة التعدين وتمارين الرسم الهندسى ومقدمة لهندسة ميكانيكا المدافع والخواص الهندسية للتربة والطاقة ومصادرها. ومعجم المصطلحات والامن الصناعى فى صناعة التعدين ومعجم العدد والادوات.



الضحك على المتوسط

فى مدينة (سوسة) التونسية الساحلية الجميلة التى تتنسم رياح المتوسط.. هناك على الساحل كان المهرجان «مهرجان الفكاهيين العرب» وكان (الضحك) وبعيدا عن تعقيدات السياسة ومؤثرات الحرب - كان هناك الضحك - تمازجت فيه كل اللهجات (تونس - الجزائر - المغرب - السودان - مصر - سوريا - السعودية - الكويت).

والمهرجان من أجل تطوير الفن الغنائى الفكاهى العربى.. كم تمنيت أن أضحك ان وصلتنى الدعوة.. هل لك الرغبة..؟ المهرجان القادم.



ندوة بالرباط حول افريقيا والثقافة العربية الاسلامية

حول افريقيا والثقافة العربية والاسلامية عقدت ندوة تحت اشراف المنظمة الاسلامية للعلوم والتربية والثقافة (اسيسكو) وقد تحدث السيد عبد الهادى بو طالب المدير العام للمنظمة فى جلسة الافتتاح مُركّزاً على نشاط ومساهمات المنظمة منذ إنشائها والمراحل التاريخية والروابط المستقبلية للشعوب العربية والافريقية كما أكد على ما وجده الاسلام فى افريقيا من دعم واسع والثقافة العربية والاسلامية التى منحت افريقيا الاصول الاسلامية وفلسفة البناء الاجتماعى. وقد اختتم كلمته بالاشارة الى تجسيد الندوة للوحدة العميقة بين العرب والافارقة وتوثيق العلاقات الثقافية العربية الافريقية.

وألقيت مجموعة من المحاضرات التى تدور حول العرب والاسلام فى افريقيا والأبعاد الحضارية للصلات العربية الافريقية فى العصر الحديث.

وتم افتتاح معرض للوحات تشكيلية حول افريقيا والعالم العربى ومعرض آخر للكتاب العربى الافريقى.





الاعشاب ومركز الطب الشعبى

كثير من الدراسات والبحوث أجريت حول استخدام بعض الأعشاب فى علاج بعض الأمراض لخاصيتها فى ذلك . . ولهذا الغرض وتمهيدا لإنشاء مركز للطب الشعبى فى الامارات العربية المتحدة أجرت جامعة الامارات بمدينة العين دراسة مهمة حول الأعشاب الطبية المستخدمة فى علاج الأمراض المختلفة . . تولت لجنة من الأساتذة المتخصصين حصر الأعشاب الطبية فى الامارات وجمعت عينات منها وصنفتها من حيث فوائدها والامراض التى تعالجها . . واجرت اللجنة اتصالات للتنسيق والافادة مع الاجهزة والهيئات المهتمة بدراسة الطب الشعبى فى دول مجلس التعاون العربى .

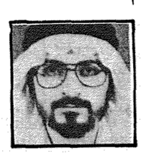
الهنود الحمر فى مواجهة الفراعنة

مَنْ أول من قام بالتحنيط؟

كان الاعتقاد السائد لدى علماء الآثار أن عمر المجتمع الامريكى الهندى فى امريكا الجنوبية لا يتعدى الألف أو الألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد ولكن ما عثر عليه علماء الآثار من مومياوات فى شمال تشيلى بامريكا الجنوبية يرجع تاريخها الى ٨٫٠٠٠ سنة قلبت الموازين الحسابية . . ويرجع تاريخ التحنيط عند الفراعنة إلى ٥٫٠٠٠ سنة . . فايهما أسبق؟

الهنود الحمر فى تحنيطهم للمومياوات كانوا يسلخون الجثمان وتفرغ أمعاؤه ثم يجفف على نار الفحم وأخيرا يحشى بالمواد النباتية والمعدنية والريش . . اما اعضاؤه فتثبت على الجسم بقطع خشبية ثم يقومون بإلباس الجلد الجسمَ وكأنه قفاز .

مخيم الشباب الاسلامى فى اسبانيا



اقامت الندوة العالمية للشباب الاسلامى بالرياض بالتعاون مع المركز الاسلامى باسبانيا مخيما فى اسبانيا تحت عنوان «المسلمون فى اوروبا عام ٢٠٠٠» شارك فيه الدكتور مانع الجهنى امين عام الندوة المساعد والدكتور عبد القادر طاش رئيس قسم الاعلام بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض .

وقد حضر المخيم ٣٥٠ شابا من دول المغرب العربى والخليج واسبانيا وبعض الدول الاوروبية وذلك فى النصف الثانى من شهر يوليو .

يهدف المخيم الإسلامى الى تقويم العمل الاسلامى فى اوروبا خلال العقدين الماضيين ووضع خطة العمل الاسلامى للاعوام المقبلة .

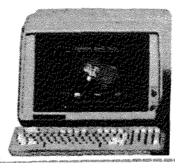
وحاضر فى المخيم الدكاترة : المهدى بن عبود

جهاز تنمية الثقافة

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تعد واحدة من الأجهزة العربية ذات الأداء المتخصص النشط . . في دورتها الأخيرة بحثت مجموعة من مهام جدول أعمالها وكان من بعض قراراتها : تقوية أواصر التعاون الثقافى العربى الأفريقى بما يدعم قضايا الأمة العربية والشعوب الافريقية . . دراسة حقوق المؤلف العربى . . وضع خطة مسترشدة بالخطة الشاملة للثقافة العربية لحماية التراث المخطوط وصيانته وتيسير سبل الافادة منه . . إنشاء جهاز لتنمية الثقافة العربية الاسلامية والاهتمام الخاص بالتراث الثقافى فى القدس

سوبر كمبيوتر

ويأتينا العالم بالجديد . . ونصاب بالدهشة . . (سوبر كمبيوتر) هو أول مولود يمثل أجيال الكمبيوتر العملاق) وصف بانه أضخم حاسب اليكترونى يعرفه العالم . . يمكنه اجراء (٢٥٠ مليون عملية حسابية فى الثانية الواحدة) وذاكرته تتسع لنحو (٢٥٦ مليون كلمة) قدرت تكلفة بنائه (١٢٠ مليون دولار) . . ووزارة الدفاع الامريكية والجامعات والمنشآت الصناعية فى الولايات المتحدة تم توصيلها بهذا الكمبيوتر العملاق لأغراض بحثية متعددة . . وأولوية العمل فيه تكون لبحوث الفضاء والطيران . . أما الجيل الثانى من الـ (سوبركمبيوتر) فيتوقع العلماء نزوله للخدمة خلال عام باسم (دبليو اس بى -٢) وينتظر منه أن يؤدى (ألف مليون عملية حسابية فى الثانية) وتتسع ذاكرته لـ (الف مليون كلمة) ومن كل ذلك تهدف وكالة الفضاء الامريكية إلى بناء (سوبر كمبيوتر) يجرى (اربعة آلاف مليون) عملية حسابية فى الثانية الواحدة .



جائزة التفكير الاجتهادى فى الاسلام

كرمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المفكر العربى الدكتور صبحى الصالح الاستاذ بالجامعة اللبنانية ببيروت بمنحه جائزة التفكير الاجتهادى فى الاسلام .

ويأتى تكريم الدكتور الصالح لمناسبة احتفال المنظمة بحلول القرن الخامس عشر للهجرة وتكريم العلماء المسلمين الذين ساهموا فى اثراء الحضارة العربية الاسلامية .

استاذ الدراسات الاسلامية فى جامعة محمد الخامس بالمغرب، ومانع الجهنى، وحميد الله ممثل الجمعيات الاسلامية بأوروبا .

وقد سبق للمركز الاسلامى باسبانيا بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الاسلامى ان عقد ثلاثة مخيمات فى السنوات السابقة كانت موضوعاتها تعليم الاسلام فى بلاد الغرب بغرناطة والدعوة الاسلامية فى البلاد الغربية فى ماربيا ومخيم الاطفال المسلمين فى اسبانيا واوروبا فى غرناطة ايضا .

مؤتمر هلسنكى لزراعة الأعضاء

اشتركت المملكة العربية السعودية فى هذا المؤتمر وقدم الدكتور محمد سعيد أبو ملحة رئيس الوفد السعودى ثلاثة بحوث عن زراعة الكُلَى تدور حول استخدام علاج جديد لرفض الجسم للعضو المزروع . . دراسة عن بعض المضاعفات التى تصيب مرضى زراعة الكلى . . وتختص هذه الدراسة بشعوب منطقة الشرق الاوسط . . وبحث آخر عن زراعة الكلى فى المملكة العربية السعودية رفضت فى المراكز الطبية الاوربية ومع ذلك تمت زراعتها فى السعودية بنجاح .

الشريعة الإسلامية و

مع ايماني الصادق والعميق بأن هذه
النقاط جديرة بالبحث وخليقة بالعناية
فقد رأيت ولعلي لم اخطئ في هذا الرأي
ان اتناول النقطة الأولى من البحث عن
روح الشريعة وواقع التشريع اليوم في
العالم الاسلامي، الى البحث عن الحقائق
التي تؤكد ان الشريعة صالحة لهذا العصر
وهي حقائق من القانون الوضعي نفسه، ومن
تاريخ التجارب الانسانية في الحكم عبر
القديم والحديث وقد دفعني الى البحث عن
هذه الحقائق عاملان

الأول

ان واقع التشريع فى اكثر الدول الاسلامية يدل بوضوح كامل على ارتباطه بالاسس التشريعية الاوروبية المناقضة للاسلام انطلاقا من ايمان رجال الحكم وكثير من رجال الفكر ـ فى تلك الدول الاسلامية ـ بالمثل العليا للحضارة الغربية التى تحتم فصل الدين عن الدولة وتجعل الانسان سيد نفسه . . لا يخضع ـ فى مجال التشريع ـ الا لإرادته وحدها دون ان يقيم وزنا لمبادىء الدين والاخلاق بزعم ان المبادىء التى صلحت لعصر لا يمكن ان تصلح لعصر آخر يختلف عن سابقه بما حقق فيه الانسان من تطور وبما حدثت فيه من اقضية ومشكلات لم تعرف من قبل .

وهذا الواقع يدعو ـ بالحاح واصرار ـ الى دحض هذه الشبهة فى ضوء حقائق من القانون الوضعى نفسه . . ومن تاريخ التجارب الانسانية فى الحكم عبر الحاضر والماضى .

الثانى

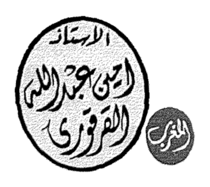
ان وفدا من كبار رجال القانون فى فرنسا زار المملكة العربية السعودية فى شهر صفر من عام ١٣٩٢هـ الموافق مارس ١٩٧٢م واشترك فى ندوة نظمتها وزارة العدل بناء على رغبة اعضائه اثيرت فيها بعض النقط الاساسية حول التشريع الاسلامى وكانت النقطة الاولى عن مدى صلاحية الشريعة لهذا العصر ونصها كما يأتى :

«ان تأكيد السادة العلماء على كون دستورهم وقوانينهم فى الشؤون المدنية والاحوال الشخصية تعتمد على القرآن الكريم فقط كما انزل منذ اربعة عشرة قرنا هو فى نظرنا شىء يستحق البحث والملاحظة لأن الحياة فى تطور مع تطور الازمان وليس

صلاحيتها لهذا العصر

من المصلحة للاسلام فيما نرى بناء نظمه على القرآن في جميع ما اشرنا اليه من الاحكام لأن ذلك قد يسيء الى القرآن نفسه مع تطور الحياة واختلاف الظروف».

ولقد أجاب الوفد السعودى الذى يمثل وزارة العدل على النقط التى اثارها الوفد الحقوقى الفرنسى اجابة صريحة اكد فيها صلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر فى ضوء حقائق علمية وواقعية . . بالاضافة الى الحقائق التى تضمنتها مذكرة المملكة العربية السعودية للهيئات الدولية المختصة حول شريعة حقوق الانسان فى الاسلام ـ وهى المذكرة التى قدمت فيها المملكة تحفظات على بعض مواد الاعلان العالمى لحقوق الانسان التى تناقض احكام الاسلام مثل حرية الانسان فى تغيير دينه وزواج المسلمة بغير المسلم . وكانت المملكة ـ وما تزال ـ الدولة الاسلامية التى لم تجد أى حرج فى الاعلان عن تمسكها بشريعة الاسلام ورفضها للمبادىء المناقضة له .



ومع ان اجابة الوفد السعودى على النقاط التى اثارها الوفد الحقوقى الفرنسى تفتح الطريق الى الاقتناع الكامل بصلاحية الشريعة الخالدة لهذا العصر ـ فان مجال البحث الرحب فى هذا الموضوع يتسع للمزيد من حقائق الاسلام الخالدة القادرة على اقناع الباحثين عن الحقيقة بأن الشريعة الاسلامية صالحة لهذا العصر وقادرة على مواجهة التطور الانسانى فى كل العصور بما فيها من عوامل الكمال وامكانات الصلاح والبقاء فى كل زمان ومكان.

كما يتسع مجال البحث الرحب فى صلاحية الشريعة الاسلامية لهذا العصر للمزيد من حقائق الواقع ومنطق العقل الذى يمكن ان يثبت المسلم ـ فى ضوئه وحده ـ ان الشريعة افضل من القوانين الانسانية فى تحقيق المجتمع الافضل للانسان.

انا نؤمن ايمانا صادقا وعميقا بان الشريعة الخالدة صالحة لهذا العصر . ليس بحكم الايمان المطلق بها فحسب بل بحكم حقائق من العقل ومن التجارب الانسانية فى الحكم.

وانطلاقا من هذا الايمان الصادق والعميق نقدم الحقائق الاتية :

الحقيقة الاولى :

ان جميع القوانين والنظم الانسانية قد انبثقت عن العقائد الدينية وارتبطت بها وقد اكد هذه الحقيقة

الخبير القانونى المعروف السير هنرى مين بقوله :

«لا يوجد مثال واحد فى القوانين التى تم تسجيلها من قانـون الصـين الى بيرو إلا وكـان ذا علاقـة بالعبادات الدينية منذ بداية امره» كما نقل ذلك عنه الاستاذ وحيد الدين خان فى كتابه القيم «الاسلام يتحدى».

ويؤكد هذه الحقيقة تاريخ الفكر السياسى منذ اقدم العصور فقد كانت العقيدة الدينية هى المصدر الاول والوحيد للنظم السياسية والقانونية فى الدول القديمة التى سبقت دول العالم الى ايجاد النظم السياسية وهى مصر واليونان . . وقد ذكر الدكتوران بطرس بطرس غالى ومحمود خيرى عيسى فى كتابهما «المدخل فى علم السياسة» ان الفكر السياسى ارتبط بالفكرة الدينية من حيث المبدأ فى عصور الدولة القديمة فى مصر كما ذكرا عن الفكر السياسى الاغريقى ما نصه : «ولجميع دول المدينة نظم اجتماعية دينية واحدة ص٦٥ - (×) - » .

وأكد هذه الحقيقة الفيلسوف البريطانى الراحل «برتراند رسل» فى كتابه **«تاريخ الفلسفة العربية»** ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود بقوله :

«أن الفكر اليونانى كانت تسوده الى عهد ارسطو روح الولاء الدينى والولاء الوطنى للمدينة التى يتبعها الفرد» - ص٨ .

ويؤكد هذه الحقيقة ان الزعيم الاسلامى الاستاذ علال الفاسى نقل فى كتابه **«مقاصد الشريعة الاسلامية»** عن كتاب **«أصول تاريخ القانون»** ان جماعة من العلماء الالمان والبريطانيين قاموا - فى القرن الماضى - بابحاث لدراسة النظم القانونية لدى الشعوب القديمة وانتهت ابحاثهم الى نتيجة واحدة - مع انهم اختاروا لها ميادين مختلفة - اذ تبين من هذه الدراسات المقارنة انه كانت توجد لدى اغرب الجماعات القديمة احكام - قبل نشوء العرف - مصدرها العقيدة الدينية وان هذه الاحكام تحولت فيما بعد الى عرف بتكرار الحوادث . . وقد أيد هذا الرأى العلامة «سمبزمن» فى كتابه «القوانين» وغيره من مؤلفاته ونقل الاستاذ علال الفاسى عن الدكتور سليما مرقص قوله : «وقد عرف الانسان الدين قبل ان يعرف القانون . . بل ان قواعد القانون الاولى كانت فى بدء نشأتها قواعد دينية وكان القانون فى كل مجتمع ينشأ معتمدا على الدين .

ويستند كثير من علماء الديانات المقارنة وعلماء الاجتماع - كما ذكر الاستاذ علال - الى التشابه الموجود فى نشأة القانون والعرف فى كل الجماعات البشرية ليؤكدوا ان المصدر واحد وهو الوحى الالهى الذى نزل على المصطفين الاخيار ليربوا المجتمعات البدائية بما يناسبها من حكمة وعلم .

●●

أكدت الابحاث الخاصة بدراسة النظم القانونية لدى الشعوب القديمة ان الاحكام التى وجدت لديها قبل نشوء العرف - مصدرها العقيدة

●●

ومما يؤكد انبثاق القوانين عن العقيدة الدينية وارتباطه بها ورفض الانسان المؤمن للقوانين الوضعية وجود نص فى الادب الاغريقى عالج موضوع الصراع بين الواجب تجاه القانون البشري والواجب حيال القانون الالهى واكد ان الانسان لا يستطيع ان يلغى قوانين السماء الخالدة التى لا تفنى.

ولقد اشار الى هذا النص الاستاذ جورج سباين استاذ الفلسفة بجامعة كورتل الامريكية فى الجزء الاول من كتابه «تطور الفكر السياسى» وقرر انه بفضل المقارنة بين القانونين الالهى والوضعى وابراز الفارق بينهما فى النص المشار اليه اتسع المجال لنقد القواعد والنظم الوضعية ورفض الآثار التى تنتج عنها واصبح هذا النقد يتجدد خلال تاريخ الفكر السياسى.

ومن المؤكد ان من ابرز الادلة التى تؤكد ارتباط القوانين بالعقيدة الدينية الاثر الكبير الذى تركته نظرية القانون الطبيعى كما صاغها المفكر الرومانى شيشرون فى الفكر الغربى منذ القرن الاول قبل الميلاد حتى القرن التاسع عشر كما قرر ذلك الاستاذ جورج سباين فى كتابه المشار اليه آنفا.

ويقرر شيشرون فى نظريته «انه يوجد قانون ينبثق من واقع حكم العناية الالهية للعالم كله لا يجوز تعطيل احكامه بتشريعات من صنع البشر لانه ملزم لكل الناس فى كل وقت فلن يكون للناس ابدا الا حاكم واحد هو الله مشرع هذا القانون والذى يعصى حكم هذا القانون من الناس خليق بان يقاسى شر العقوبات ولو نأى عن عواقب مخالفة التشريعات الوضعية.

ويؤكد حقيقة انطلاق الفكر الانسانى من القاعدة الايمانية ان الفيلسوف اوجست كونت يرى ان العقل الانسانى مر بأدوار ثلاثة: دور الفلسفة الدينية.. ثم دور الفلسفة التجريدية.. ثم دور الفلسفة الواقعية ومع ان هذا الفيلسوف يعتبر الدور الواقعى للفلسفة هو آخر الاطوار واسماها وهو ما لا يقره اتجاه الفلسفة فى هذا العصر فان الذى يهمنا من رأيه اعترافه بان الايمان هو المنطلق الاول للفكر الانسانى.

ومما يؤكد هذه الحقيقة قول الفيلسوف هنرى برجسون:

«لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم او فنون وفلسفات ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة».

الحقيقة الثانية:

حين يرجع الباحث الى تاريخ الفكر السياسى فى العالم يجد ان الامم لم تعرف مبدأ فصل الدين عن الدولة الا فى بداية العصر الحديث. وقد قال الفيلسوف البريطانى برتراندرسل وهو يتحدث عن تطور فكرة سيادة الولاء الدينى فى اوربا ما نصه: «ان سيادة الولاء الدينى على الولاء السياسى ظلت قائمة وهى ـ الى حد ما ـ لا تزال قائمة».

ولولا التآمر الصهيونى على العالم وعقائده الدينية لبقى تأثير الدين ـ فى أوروبا نفسها ـ على كل القوانين. ويؤكد هذه الحقيقة دليلان:

الاول: قول الفيلسوف هربرت سيفسر بعد الحركة الوطنية الفرنسية فى عام ١٧٨٩م اخذ المشرعون الاوروبيون فى تجريد القوانين من كل حالة مساس بالدين والاخلاق والفضائل الانسانية فاقتصرت رسالة القانون على تنظيم علاقات الافراد وما يمس الأمن ونظام الحكم».

الثانى: ان الحركة الفرنسية المشار اليها ليست الا مرحلة من مراحل التآمر الصهيونى على العالم. . ولقد اعترف بدور الصهيونية فى هذه الحركة مؤلفو كتاب «اليهودى العالمى» الذى اعده المليونير الامريكى هنرى فورد واصدره فى عام ١٩٢١م فى اكثر من موضع. كما نقل الاستاذ جنسين فى الجزء الاول من كتابه «**مؤامرة فلسطين**» اعترافين عن دور الصهيونية فى هذه الحركة اولهما من كتاب «**مسؤولية العقلية**» تأليف اللورد اوستاس بيرس. . وثانيهما من كتاب «**حكم أسرة روتشيلد**» تأليف الكونت كورتى الصادر فى عام ١٩٢٨م. ومن قبل هذه الاعترافات نشرت مجلة اكاسيا الايطالية الماسونية فى عددها السنوى لعام ١٩٠٤م اعترافا بان الماسونية هى التى هيأت لحركة عام ١٧٨٩م كما جاء فى كتاب «**أسرار الماسونية**» للجنرال التركى محمد جواد رفعت.

وفى ضوء هذين الدليلين القاطعين يتضح ان التآمر الصهيونى هو الذى حال دون استمرار تأثير العقيدة الدينية على القوانين الاوروبية ولولا هذا التآمر لبقى تأثير الدين - فى اوروبا نفسها - على كل القوانين.

الحقيقة الثالثة:

ان القواعد العامة فى الشريعة الاسلامية لا تقبل التغيير ولا التبديل. . اما التطبيقات للاحكام التفصيلية على تلك القواعد العامة فانها قد تتغير فيها الاحكام تبعا لتغييرات المصالح والازمان - كما جاء فى اجابة الجانب السعودى على اسئلة الوفد الحقوقى الاوروبى فى الندوة التى عقدت فى الرياض فى شهر صفر من عام ١٣٩٢هـ.

وأن هذه القاعدة الاصولية الاسلامية هى التى انتهى اليها خبراء التشريع الغربى باقتناعهم بضرورة وجود عنصر فى التشريع يتمتع بالدوام والابدية مع عناصر تتصف بالمرونة وقد عبر عن هذا الاتجاه السليم القاضى الامريكى كارد ورد بقوله: «من اهم ما يحتاج اليه التشريع اليوم ان يصوغ له فلسفة للتوفيق بين الرغبات المتحاربة حول ثبات عنصر وتغيير عنصر آخر» [كما نقل ذلك عنه الاستاذ وحيد الدين خان فى كتابه] «الاسلام يتحدى».

وبذلك تكون الشريعة الاسلامية متفقة مع الاتجاه الصحيح للعقل فى مجال القانون كما تتفق معه فى كل المجالات.

وان هذه القاعدة الاسلامية الاصولية تجعل الشريعة الاسلامية قادرة على مواجهة المشكلات فى كل العصور وحلها.

ومن قبل ان يتجه خبراء التشريع الغربى الى ضرورة وجود عناصر تتمتع بالدوام والابدية فى التشريع بجانب العناصر التى تتصف بالمرونة عرفت الدول الاوروبية نظريتى الدستور الجامد والدستور المرن. . والغاية من النظرية الاولى - كما يقول الدكتور وايت ابراهيم فى كتابه «**القانون الدستورى**» ان لا يكون اساس النظم الحكومية عرضة للتغيير فى كل آن. . والغالب ان كل دستور مسطور يكون جامدا وكل دستور غير مسطور يكون مرنا فى الغالب».

• **ومن المعروف ان الدساتير غير المسطورة نادرة جدا فى العالم.**

ولما يؤكد أهمية وجود عنصر يتمتع بالدوام والابدية فى التشريع ان الفقيه الفرنسى الكبير وجنى اعتبر الحقائق التاريخية احدى الركائز التى يتكون منها جوهر القاعدة القانونية حيث رأى «انه لا يمكن

جميع القوانين والنظم الانسانية قد انبثقت عن العقائد الدينية وارتبطت بها

اغفال دور الحقائق التاريخية فى تكوين القواعد القانونية اذ انها تضفى عليها نوعا من الثبات والاستقرار. واذا لم يكن من شأن تلك الحقائق ان تعصم قواعد القانون من التطور الا انها تجعل هذا التطور يتم فى ضوئها وعلى هديها الأمر الذى يباعد بينه وبين الطفرة والاندفاع ويجعله يتم على صورة يتصل فيها الحاضر بالماضى. (نظرية القانون. الدكتور عبد الفتاح عبد الباقى).

ان القواعد العامة التى لا تقبل التغيير فى الشريعة الخالدة هى كما قال الفقيه الاصولى الكبير ابو اسحاق الشاطبى فى كتابه القيم «الموافقات فى أصول الشريعة» «كلية ابدية وضعت عليها الدنيا وبها قامت مصالحها فى الخلق حسبما بين ذلك الاستقرار فذلك الحكم الكلى باقٍ الى ان يرث الله الارض ومَنْ عليها».

وقد ذكر العلامة ابو الاعلى المودودى فى كتابه «القانون الاسلامى وطرق تنفيذه» ان القواعد العامة التى لا تقبل التغيير تنقسم الى ثلاثة اقسام ص ٤٣/٤٤.

الاول: الاحكام الصريحة القطعية الواردة فى القرآن والحديث الثابتة، كحرمة الربا والميسر وحدود الجرائم وتقسيم التركة.

الثانى: القواعد العامة: كحرمة كل بيع لا يتم فيه تبادل المنفعة بين الجانبين وقوامة الرجال على النساء.

الثالث: الحدود المقررة فى القرآن والسنة لنحد بها حرمتنا فى الاعمال ولا نتجاوزها.

ثم قال العلامة المودودى: فهذا الجزء القطعى غير القابل للتغيير من اجزاء قانون الاسلام هو الذى يعين فى حقيقة الامر حدود مدنية الاسلام وصورتها الممتازة المخصوصة.. ومن المحال ان يشار الى مدنية تستطيع البقاء بدون ان يكون فيها عنصر لا يقبل التغيير.. وكل مدنية ليس فيها عنصر كهذا العنصر فما هى بمدنية مستقلة أصلا».

وعلى الرغم من ان القوانين الوضعية تقر مبدأ الدستور الجامد والدستور المرن الا ان الدستور الجامد لا يتمتع بالدوام والابدية وان كان تعديله يتطلب اجراءات طويلة ومعقدة.

الحقيقة الرابعة:

منذ مطلع القرن التاسع عشر وبعد صدور مجموعة نابليون القانونية وبباعث من اعجاب القانونيين بها ظهرت مذاهب قانونية فى انجلترا وفرنسا تحتم التزام النص القانونى وشرحه فى مجال تطوير القوانين واصحاب هذه المذاهب ـ كما ذكر الدكتور

محمد يوسف موسى فى كتابه . المدخل لدراسة الفقه الاسلامى - يصدرون عن فكرة واحدة تجمع بينهم وهى ان النصوص التشريعية قد حوت كل القواعد القانونية ولم تفرط فيها من شىء . فليس امام القانونى الا ان يستعرض هذه النصوص ويفسرها نصا نصا فاذا اعجزه استخلاص قاعدة منها فليس الذنب على هذا التشريع فانه يتضمن كل القواعد القانونية وانما العيب على القانونى الذى لم يوفق الى استخلاص القاعدة من النص . (المدخل لدراسة الفقه الاسلامى) .

وقد ذكر الدكتور صبحى محمصانى فى كتابه «**فلسفة التشريع فى الاسلام**» ان المحاكم الابتدائية فى

الامم لم تعرف مبدأ فصل الدين عن الدولة إلا فى بداية العصر الحديث

الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ملزمة باتباع اجتهاد المحاكم العليا . . والمحاكم العليا بدورها تتقيد باجتهادها السابق بصورة تجعل من السابقات اساسا ثابتا لاحكمها لا يمكنها تغييره بسهولة وتجعل الاجتهاد موحدا معلوما .

وفى ضوء اتجاه هذه المذاهب القانونية الغربية يتضح ان التزام النصوص الاساسية فى الشريعة الاسلامية لا يناقض العقل لان هذه المذاهب القانونية تلتزم بالنصوص التى تعتبرها تشريعية كما تلتزم بشروحها وتعتبرها المصدر الصحيح والوحيد لاستخلاص القواعد القانونية التى يدعو اليها التطور الانسانى .

ويرى الدكتور محمد يوسف موسى ان القانون باهماله للعرف واعتباره التشريع مصدره الوحيد يبقى جامدا لا يتطور حسب الزمن بخلاف الشريعة الاسلامية التى لم تهمل العرف وجعلت رعايته اصلا من اصولها العامة على شروط معينة ذكرها علماء اصول الفقه .

الحقيقة الخامسة :

ان قدم الشرائع او القوانين او الافكار - بمرور قرون او عشرات القرون على انتشارها - لا يكفى مطلقا لاعتبارها غير صالحة فقد تكون قواعدها قابلة لمواجهة تحديات التطور فى الحياة . . يدل على ذلك مثلا ان نظرية ارسطو فى شكل الحكومات وفى تتابع اشكال الدول قد اصبحت من النظريات السياسية الاساسية كما يقول عدد من فقهاء القانون الدستورى وعلماء السياسة المعاصرين ومنهم الدكتور وايت ابراهيم فى كتابه «**القانون الدستورى**» .

ومما يدل على ان قدم القوانين لا يكفى مطلقا لاعتبارها غير صالحة ان بريطانيا لا تزال تعتمد اليوم على قوانين قديمة كالعهد الاكبر الصادر فى عام ١٢١٥ ميلادية وقانون وبيان الحقوق الصادر فى عام ١٦٨٩ .

واكثر من ذلـك كله دلالة على ان قدم القوانين لا يجعلهـا غير صالحـة ان معظم القـوانـين الاوروبية الحديثة ـ كما يقول الدكتور صبحى المحمصانى فى كتابه «فلسفة التشريع فى الاسلام» تأثرت بوجه عام بالقانون الرومانى واتخذته اسسا لها مع التغيير الذى يتطلبه تطور الامم. كما ان قانون نابليون لا يزال الى اليوم معمولا به فى فرنسا مع التعديلات التى طرأت عليـه رغم انـه صدر فى عام ١٨٠٤م وقـد كانت القوانين الفرنسية مثالا اتبعته معظم دول اوروبا فى تدوين قوانينها حتى جاء بعضها كالقانون البلجيكى منقولا عنه بكامله تقريبا.

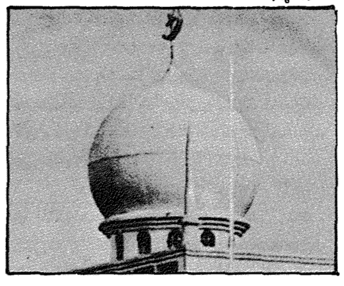
وأسمى من ذلك كله دلالة على ان مرور زمن طويل على أية شريعـة لا يجعلهـا غير صالحـة ان القـانونيين الغـربيين قد نقلوا عن الشـريعـة الاسـلامية كثيرا من القواعد والاحكام.

ومن المعــروف ان قانـون نابليـون ـ كما قرر ذلـك مفكـرون ومؤرخـون غربيون ومنهم المؤرخ المعروف سيديو ـ تأثر بالشريعة الاسلامية ولقد اعترف المؤرخ ويلز فى كتابه «ملامح من تاريخ الانسانية» ان اوروبا مدينة بالجانب الاكبر من قوانينها التجارية والادارية للاسلام.

ولقد ذكر الاستاذ احمد زكى يمانى فى كتابه «**الشريعة الخـالـدة ومشكـلات العصـر**» ان الفقيه الايطالى المشهور دى سانتيلانا يبرر اهتمامه واهتمام القانونيين الغربيين بالشريعة الاسلامية بانها هى التى اوحت دون شك بالمبـادىء القـانـونيـة الحديثة فى المجتمع الغـربى واعـارتـه بعض القـواعد الفنية فى التجارة والشركات المحدودة.

الحقيقة السادسة:

لقـد انتقـل علماء القانون الغربيون من مرحلة الاعــتراف الصــامت اوالعملى بقـدرة الشـريعـة الاسلامية على مواجهة تحديات التطور بنقل الكثير من احكـامهـا العـادلـة الى قوانينهم ـ كما ذكرنا فى الحقيقـة الخامسة ـ الى مرحلة الاشادة بهذه القدرة البعيـدة المدى التى تملكهـا الشريعة الاسلامية فى دروس القانون بجامعات اوروبا ودراسات اساتذتها اولا ثم فى المؤتمرات والجمعيات القانونية فى اوروبا نفسها.



ولعل الاعتراف الذى نشره الفقيه الالمانى كوهلر فى العقد الثانى من القرن العشرين هو اول اعتراف يصـدر عن فقيـه اوروبى بارز يشيـد فيـه بعظمـة الشـريعـة لانهـا تحتوى على احكام لم يصل اليها القانونيون الغربيون الا بعد عشرة قرون.

ولقد كتب الفقيه الالمانى الكبير اعترافه بعد صدور رسالة عن التعسف فى استعمال الحق نال بها الدكتور محمـد فتحى شهـادة الـدكتـوراه من جامعـة ليـون بفرنسا. ومما كتبه الفقيه الالمانى قوله:

«ان الالمـان كانـوا يتيهـون عجبـا على غيرهم

لايجادهم نظرية التعسف فى استعمال الحق وادخالها ضمن التشريع فى القانون المدنى الالمانى الذى وضع فى سنة ١٧٨٧م. . اما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحى وافاض فى شرح هذه النظرية نقلا عن الفقه الاسلامى فانه يجدر بعلماء القانون الالمان ان يتنازلوا عن المجد الذى نسبوه لأنفسهم ويعترفوا بالفضل لأهله وهم فقهاء الاسلام الذين عرفوا هذه النظرية وافاضوا فى الكلام عنها قبل الالمان بعشرة قرون «كما ذكر ذلك المستشار على منصور فى كتابه نظم الحكم والادارة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية.

كما نقل مؤلف (دولة القرآن) الاعتراف الذى ادلى به عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا البروفيسور شيرل فى مؤتمر الحقوق فى عام ١٩٢٧م ونصه:

«ان البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم اليها. ان تشريعه سنكون نحن الاوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد ألفى سنة».

اما المؤتمرات والجمعيات القانونية التى اشادت بالشريعة الاسلامية وقدرتها على الاستجابة لجميع مطالب الحياة واعتبرتها من مصادر التشريع فهى كثيرة ونكتفى بقرارين من قراراتها:

الاول: قرار مؤتمر القانون الدولى المقارن الذى عقد فى مدينة لاهاى الهولندية فى عام ١٩٣٧م وجاء فيه ما يأتى:

أ - اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام.

ب - اعتبار الشريعة الاسلامية حية صالحة للتطور.

ج - اعتبار التشريع الاسلامى قائما بذاته وليس مأخوذا من غيره.

ومن الواضح ان هذا الاعتبار ينفى الاتهام الذى صدر عن بعض اعداء الشريعة الاسلامية من المستشرقين وغيرهم بانها تأثرت بالقانون الرومانى.

الثانى: اصدره المجمع الدولى للحقوق المقارنة فى كلية الحقوق بجامعة باريس تحت اسم «اسبوع الفقه الاسلامى» فى عام ١٩٥١م وقد جاء فى هذا القرار ما يأتى:

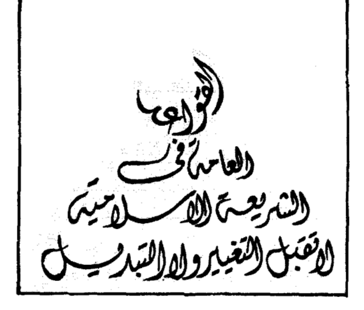
أ - ان مبادىء الفقه الاسلامى لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها.

ب - أن اختلاف المذاهب الفقهية ينطوى على ثروة من المفاهيم والاصول الحقوقية هى مناط الاعجاب وبها يتمكن الفقه الاسلامى ان يستجيب لجميع مطالب الحياة والتوفيق بين حاجاتها.

وبباعث من الاعتراف بأهمية الشريعة قام فى فرنسا مؤسس القانون المقارن ادوارد لامبير والاستاذ بكلية الحقوق بجامعة باريس رينيه دافيد بتدريس الشريعة الاسلامية والكتابة عنها كواحدة من الانظمة القانونية الطليعية فى هذا العصر. كما ذكر ذلك الاستاذ احمد زكى يمانى فى كتابه «الشريعة الخالدة ومشكلات العصر».

الحقيقة السابعة:

ان احكام الشريعة الاسلامية هى الاحكام التشريعية الوحيدة التى تحقق التوازن المثالى الفريد بين مصالح الجماعة والفرد بحيث لا يطغى احدها على الآخر مهما كانت الظروف والاحوال وذلك على عكس احكام القوانين الانسانية التى لم تستطع تحقيق هذا التوازن رغم كل الظروف لأن واضعيها يخضعون



- فى اكثر الاحوال - لتأثير انتمائهم الطبقى او المهنى أو لضغوط السلطة مما يحول دون تحقيق التوازن العادل بين مصلحتى الجماعة والفرد.

ولعل من ابرز الادلة التى تؤكد هذه الحقيقة ان القوانين التى صدرت فى فرنسا - بعد حركة عام ١٧٨٩م التاريخية - واتخذتها اوروبا مثالا لقوانينها فيما بعد . . ان هذه القوانين سادتها روح الفردية المطلقة الى الحد الذى يجعل لصاحب الحق الحرية الكاملة فى استعمال حقه ولو ادى ذلك الى الاضرار بغيره.

وتحت ضغوط الآثار السيئة التى ترتبت على هذا الخطأ القانونى . . وبدافع من الرغبة فى وضع حد لحرية الفرد التى لا حد لها نشأت نظرية سوء استعمال الحقوق نقلا عن الشريعة الاسلامية.

وعلى الرغم من الظروف التى حتمت ايجاد هذه النظرية فالحقيقة ان الهدف منها لم يتحقق لان الفرد - فى بعض الدول الاوروبية - مازال يمارس بعض حقوقه الى حد الاضرار بغيره . . كما ان الفرد - فى دول اوروبية اخرى - يحرم من ممارسة حقوقه بدعوى الحفاظ على مصلحة الجماعة بينما الواقع يثبت ان مصلحتى الفرد والجماعة - فى هذه الدول الشيوعية - تهدران من اجل الحزب الشيوعى وحده.

ومن الثابت الذى لا ريب فيه - كما يقول الدكتور السعيد مصطفى السعيد - ان نظرة الشريعة الاسلامية لحقوق الافراد وتقييدها بما يحقق مصلحة الجماعة ولا يضر مصلحة الفرد صاحب الحق اوسع مدى وابعد تأثيرا من نظرة القوانين الحديثة فى هذه الناحية.

وقد ذكر الدكتور محمد يوسف موسى فى كتابه «المدخل لدراسة الفقه الاسلامى» انه يعتقد أن التفرقة الواضحة بين طابع الشريعة الالهية وطابع القانون البشرى بين حقوق الفرد والجماعة ترجع الى تفرقة بين الشريعة والقانون اذ ان القانون يعتبر حقوق الفرد اساسية فى اصل حقوق ويتصرف فيها حسب ما يرى اما الشريعة فانها تعتبر حقوق الفرد منحة من الله تبارك وتعالى وهو يأمر بالعدل والاحسان وعدم الاضرار بالغير.

الحقيقة الثامنة:

من الخصائص التى تميز الشريعة الاسلامية عن القوانين الوضعية انها تعنى بالحفاظ على الأمن والنظام لتحقيق الاستقرار والتقدم فى المجتمع . . وفى الوقت نفسه تعنى - بعكس القوانين الوضعية - بحماية الاخلاق . . ورعاية مصلحة الفرد . . وضمان حقوقه . . بحيث لا تسقط بالتقادم أو وضع اليد كما تعنى بحمايته من الانحلال الخلقى والانحراف الفكرى لانها تستهدف حماية القيم الاجتماعية والمصالح المادية فى وقت واحد بعكس القوانين التى تستهدف حماية الأمن والنظام وتتجاهل ما تقضى به قواعد الدين والاخلاق فى كثير من الاحوال.

يؤيد هذه الحقيقة ما نقله الدكتور محمد يوسف موسى فى كتابه «المدخل لدراسة الفقه الاسلامى» عن كتاب اصول القانون للدكتور عبد الرزاق السنهورى ونصه كما يأتى:

«اقامة النظام فى المجتمع على نحو من الانحاء غاية يحرص عليها واضع القانون كل الحرص حتى ولو اقتضاه ذلك ان يحيد احيانا عن مقتضى قواعد الاخلاق والدين: فالقانون مثلا يقر لمن يضع يده على عقارية الملك خمس عشرة سنة بملكيته حتى لو كان غاصبا.. كما انه يقضى بسقوط الحق بالتقادم اذ يرى ان ذلك أدنى الى قيام النظام فى المجتمع مجاوزا بذلك ما تقضى به قواعد الاخلاق فى هذا الخصوص» انتهى النص.

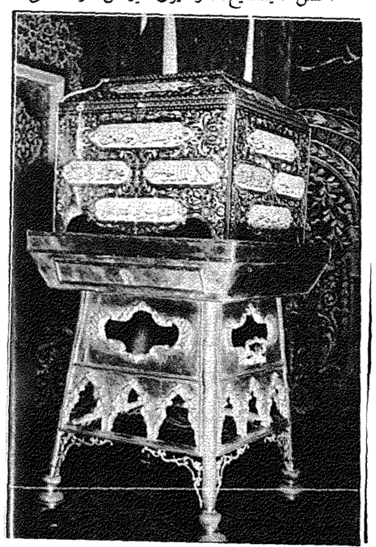
وتتجلى أبعاد تجاوز القانون لما تقضى به قواعد الاخلاق التى لا ينكرها العقل مهما كانت عقيدته فى اباحة الفضيحة التى ترتكب بدون اكراه الى الحد الذى ذابت فيه كل معالم الحفاظ على الاخلاق.. وبالتالى اعتبار السلوك الشخصى - مهما كان مناقضا للاخلاق - غير مناقض للقانون اذا لم يؤد الى الاخلال بالنظم او الاضرار بالغير رغم انه يؤدى الى الاضرار بفاعله نفسيا وصحيا وربما بأسرته وبالتالى بمجتمعه فى المدى البعيد.

كما تتجلى ابعاد تجاوز القانون لما تقضى به قواعد الاخلال فى حمايته وتنظيمه لكثير من الاعمال التى تؤدى الى انحلال المجتمع عبر نشرها لكثير من الوان التهتك والاستغلال رغم ان صيانة المجتمع من الانحلال من اهم الاهداف التى يجب ان تعمل على تحقيقها كل الانظمة والقوانين.

وبسبب تجاهل القوانين للأخلاق انحدرت اكثر المجتمعات المعاصرة الى حضيض الانحلال والانحطاط الخلقى.. واعترف عدد من علماء الغرب بهذا الانحطاط كالعالم الامريكى الكسيس كارليل فى كتابه «الانسان ذلك المجهول» وغيره من العلماء الذين رأوا فى هذا الانحطاط بداية لانهيار الحضارة الغربية وفنائها.

اما الشريعة الاسلامية: فانها تحرص اشد الحرص على حماية الاخلاق لانها اساس رقى الامم ولانها جزء من الايمان.. كما انها - فى الوقت نفسه - من الاهداف الانسانية التى آمن بها العقل منذ اقدم العصور حتى اليوم.

ولقد كان افلاطون يرى ان القوانين لا توضع لتمكين الفرد من فعل ما يشاء ولكنها توضع لهدايته الى فعل احسن ما يستطيع.. ولا يرى خيرا من اكراهه على



امره - كما ذكر ذلك الاستاذ العقاد فى كتابه «**فلاسفة الحكم فى العصر الحديث**».

وكما قلنا - فيما سبق - لقد بقيت كل القوانين حتى القرن الثامن عشر تعنى بالاخلاق اشد العناية ثم اخذ المشرعون الاوروبيون فى تجريدها من كل حالة مساس بالدين والاخلاق بعد حركة عام ١٧٨٩م ذكر ذلك الفيلسوف هربرت سبنسر بفعل التآمر الصهيونى على عقائد العالم واخلاقه.

والحقيقة التى لا ريب فيها ان تجريد القوانين من القواعد الاخلاقية قد جنى جناية بالغة على الشعوب التى تخضع للحكم القانونى باعتراف علمائها ومفكريها.

الحقيقة التاسعة:

من ابرز الخصائص التى تميز الشريعة الاسلامية عن القوانين الوضعية انها تحقق المساواة الكاملة والمطلقة بين الناس جميعا وفى كل المجالات لا سيما القضاء - دون اى اعتبار للفروق الجنسية او الطبقية او الاجتماعية لان «الناس سواسية كأسنان المشط الواحد لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى» كما قال الرسول ﴿ﷺ﴾ وذلك بعكس القوانين الوضعية التى لم تعرف الاطار العام للمساواة فى مجال القضاء الا فى اواخر القرن الثامن عشر.. ولم تحقق حتى اليوم المساواة الكاملة بين الحاكمين والمحكومين وبين الفرد والفرد.. كما انها تميز الاغنياء عن الفقراء.. والبارزين فى المجتمع عن الدهماء.

يؤيد هذه الحقيقة ان احكام الاسلام تسوى بين رئيس الدولة والمواطن اذ ان القضاء العادى - كما جاء فى اجابة الجانب السعودى على اسئلة الوفد الحقوقى الاوروبى - يخضع له جميع الناس مدنيا وجزائيا حتى الملك فانه يخضع عند الاقتضاء الى المحاكم العادية.. كما جرى منذ مدة غير بعيدة عندما اختلف معه رجل من عامة الناس فى حدود ملكية عقارية مختلف عليها ومبنية على عقد خاص لدى كل من جلالته وذلك الرجل من العامة فقد نظرت المحاكم العادية فى ذلك وحكمت لذلك الرجل على جلالة الملك ونفذ الحكم من غير ما تأخير ولا تمايز بينهما وهذا ما يؤيد قولنا من قبل ان شريعة الاسلام فى هذا البلد قد حددت سلطات رئيس الدولة بالاحكام العادية المشتركة من غير سلطان مطلق ولا تمايز فى الحقوق أمام شريعة الله.

ولقد كان القانون الوضعى فى كل الدول الاوروبية لا يعترف بالمساواة بين المواطنين حتى اواخر القرن الثامن عشر - كما قرر ذلك اكثر من باحث قانونى - اذ كان يجعل لكل فئة من الناس محكمة خاصة بها وقضاة يختصون بالحكم فى قضاياها وحدها دون الفئات الاخرى لان لكل فئة قضاة فى مستواها لا يجوز لهم الفصل فى قضايا غيرها من الفئات.

ولقد ظل القانون فى هذا المستوى بعد عصر النهضة وبعد ان قررت الشريعة الاسلامية المساواة الكاملة بين الناس بما يقرب من اربعة عشر قرنا.

وحين دفعت الاحداث التاريخية الكبرى فى اوروبا رجل القانون الى تقرير مبدأ المساواة فى اواخر القرن الثامن عشر لم يصل هذا المبدأ الى مستوى الشريعة الخالدة فقد احتفظ القانون بحالات من التمييز بين المواطنين. وعلى الرغم من ان بعض القوانين التى وضعت فى اواخر القرن التاسع عشر قضت على كثير من حالات التمييز بين المواطنين فان الحقيقة التى لا ريب فيها ان القوانين لم تصل الى مستوى الشريعة العادلة وهو المستوى الذى لم يصل اليه اى قانون وضعى حتى اليوم.

للمنهل خاصة

مفهوم الزكاة وأبعادها

الاستاذ/عبد الكريم التواتي
من علماء جامعة القرويين بالمغرب

شهدت الانسانية منذ فجرها الأول ومنذ أن أوجدها على هذا الكون بارىء الأرض والسماوات القيوم على اطراد أسلوبه فى حيواتها عديدا من التصورات: سطحية أحيانا وعميقة الجذور والتأثير أحيانا أخرى تبعا للأهداف التى ترمى اليها: والبواعث الداعية والدوافع التى عبأت القوى الموجهة لها.

والشىء الذى يلحظه المتقصى لأبعادها ـ ويبعث على الدهشة والارتياب فى آن واحد ـ هو وحدة الأهداف السامية والغايات المثلى النبيلة التى كان ينشدها مباشروها والقيمون عليها . . . وربما بطريقة لا شعورية ورغبة لا ارادية . . ثم وحدة المنابع والمصبات التى تبتدىء منها واليها تنتهى .

ومن يتتبع تطورات الانسان فى مدارج تقدمه منذ بداية وجوده الى الآن ويقف لحظات قصيرة عند نهاية كل مرحلة وبداية أخرى ويمعن النظر فى تلك التيارات النفسية الجارفة والانفعالات الروحية الدافقة التى كان يحسها ذلك الانسان وهو مقبل على انقلاب ومُدْبِر عن آخر يحس فى أعماقه ببراكين الطموح الفائر التى كانت تدفع الانسانية دائما الى نشدان حقيقة الطمأنينة الابدية التى يبلورها الشعور بالكرامة واستقلال الذاتية وما ينشأ عنهما من أخوة انسانية لحتمها تبادل المصالح والمنافع وسداهما الحفاظ على المستوى الرفيع الذى يحقق لها الديمومية والاستمرار.

ثم كانت الشرائع السماوية فكانت غايتها العظمى ورسالتها الوحيدة هى تذكير الانسان بأن أحلامه فى بناء عالم أفضل ليست خيالات أو شطحات وانما هى حقيقة كامنة فى أعماقه كمون النار فى العود وأنه بقليل من الجهد والايمان يستطيع هو نفسه ان يجعلها مدركة مرئية محسوسة.

وأكدت المعاناة والتجربة أن الشرائع الإلاهية لم يكن هدفها الا ذاك . . أى تذكير الانسان بقدرته على تخطى العقبات وتجاوز الاحباطات وتحقيق امانيه وكل ما يصبو اليه اذا ما استنار بوحى الله وبسبحات الرسل والأنبياء . . واسترشد بتوجيهات عباد الله الصالحين الأتقياء.

ونحن فى الوقت الذى نعتقد فيه أن لا مندوحة للعالم من بناء جميع أسس وجوده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على دعائم العمل الجدى المثمر المتواصل لتحقيق كل الغايات الانسانية الحقة التى أوجد من

وحكمة تشريعها في الإسلام

الزكاة
ركن اساسي من اركان
الاسلام واحدى مقومات
النظام الاقتصادي والتكافل الاجتماعي
فيه .. ومن هذا المنظور تجيء هذه
الدراسة المفصلة
القيمة

أجلها على هذه الأرض وقدر عليه حمل أمانتها العظمى - نرى كذلك وفي نفس الوقت أن لا سبيل للوصول الى هذا البناء الا بقيام أخوة انسانية تعتمد العدالة الاجتماعية اساسا لعلاقاتها والمساواة التامة في إعداد تكافؤ الفرص ركيزة لقيامها . . . وبذل مزيد التضحيات منطلقا لاثراء معطياتها الايجابية . . ثم دعوة جميع طبقات شعوب العالم الى الانضواء تحت لوائها والاستظلال بوارف ظلالها ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام** ﴾ .

لأنه بهذه الأخوة الكاملة المطلقة ستطمئن مختلف الخلايا الاجتماعية الى حياة وجودها ومصير هذا الوجود . . وستتجه تلقائيا اتجاهات انشاء بناءة تبعد عن عالمها الهزات العنيفة المثبطة التي تنتابها بين الحين والاخر . . وتنجيها من رجات الاهواء الأنانية المدمرة . . وتضع حدا بينها وبين الحروب المخربة والمبيدة .

وربُّك المهيمن الذي لم يخلق الانسان عبثا . . . والذي لم ولن يتركه - بعد أن اوجده سدى ما انفك يزجي الرسالات ويفيض بها على الانسان أجل العطايا وأعظم البركات .

وهكذا قضى ان يكون محمد عليه السلام خاتم الأنبياء بشهادة القرآن . . وأن تكون رسالته - أي رسالة الاسلام - نهاية المطاف لجميع الرسالات الإلهية والشرائع السماوية التي تعاقبت على الارض وقاطنيها مدى الأجيال التي رافقت الانسانية في تطوافها اللا منقطع عبر الآباد . . والتي سايرت تطوراتها الفكرية والفسيولوجية .

فكان طبيعيا - وتلك هي الظروف التي زفت فيها بشائر الرسالة المحمدية الى سكان الكون - أن تكون أوضاعه قد بلغت من الوعي واليقظة درجة تجعلها حقيقة على أتم استعداد لتلقى فيوضات الايحاءات الفوارة المنبعثة في خلايا الانسان والدنيا بفضل هذه

الشـريعـة المحمدية . وان تكون من جهة ثانية قد هيئت لتحمل المسؤوليات التى من المقدر والمقرر أن تناط بها كشرط أساسى لتأكيد وجودها ضمن الاطار العـام للوجود الكونى نفسه . وفى دائرة اعتبار هذه المسؤولية: القضية الوحيدة التى من أجلها أوجدها مفيض الحيـاة على هذه البسيطـة وركزها فى أفكار سكـانهـا . . . وعلى فكرة الايمان بأن وجودها ذاك ليس هو بدوره الا وسيلة لما أريد لها من انطلاقات روحيـة ووثبـات عقليـة ثابتـة موفقة لتشرب نفسها الايمان الكامل المطلق بالحقيقة الأزلية التى لا يمكن أن تكون سوى الله واهب الحياة وملهم الايمان بأوسع المعانى وأضخم التصورات .

ثم كان طبعيا ـ من جهة ثانية ـ أن تكون التجليات الالهيـة قد بلغت هى الأخـرى درجة من الشمولية الكلية لجميع ما قد يتطلبه الانسان فى رحلته المقبلة نحو البحث عن تلك الحقيقة الأزلية سيما وقد أعلنت رسـالـة محمد عليه السلام فى صراحة صارمة أكيدة أنها: نهاية الرسالات السماوية على غرار ما تساوقت عليه منذ بدايتها بآدم أبى البشر الى حين نهايتها بوفاة حفيده محمد عليهما السلام .

لكل ذلك كانت رسالة الاسلام خاصة مجسمة بصورة حيـة للمجتمع المثالى الذى على الانسان أن ينشده اذا كان يريد حقا أن يكون لوجوده معنى ولحياته حياة.

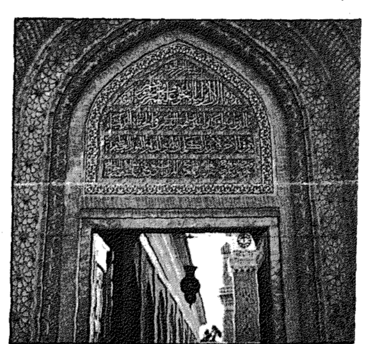
وحيث إن أبـرز المشـاكـل العالمية التى ظلت تواجه الانسانية منذ بدء الخليقة حتى الآن هى فى عمومها مشـاكـل اقتصـادية أو هى مشكلة العيش والطعام ومعضلة أسباب وظروف توفرهما بالقدر الحيوى على الاقل فان ما هدف اليه الاسلام ـ وهو يدعو البشر الى الاستظلال بظله ـ هو أن يضمن للانسان ذلك القـدر الـلازم من هذه الحاجيات الضرورية لحياته والأساسية لوجوده ليجد هناءة الضمير ويحس هدوء الفكـر ساعـة يبـاشـر ويعـالـج مسؤوليـات الحيـاة الأخـرى . . . وهى عديدة ومتنوعة لأن الاسلام ـ وهو من صنع الله ـ يدرك أن البطون الجائعة هى أبعد ما تكـون عن الايـمان بجدوى المنطق المتزن ونفعية الفكر الراجح المستقل . ويدرك بالتالى ان مشكلة الطعام والاقتصاد برمته ستظل البداية ومحور الوجود الانسـانى وتلافيا لتلك المضاعفات السلبية وتحقيقا لمناقضاتها الايجابية ـ سن الاسلام مبكرا فريضة الزكاة وان لم يبلورها بمنظورها النهائى ولم يضع لها ما انتهت اليـه من نظم مقـدارا ومصـرفا الا ابتداء من السنة الثانية من الهجرة .

وهكـذا فاذا كانت القـوانـين الوضعية وخاصة الحديثة منها التى تعتبر أسمى ما بلغته التنظيمات فى هذا المجـال فى محاولاتهـا ايجاد الحلول الناجعة لهذا المشكل تقف مواقف متباينة متعددة ومتهافتة فى الأعم الأغلب وهى لا تخرج فى جملتها عن الدعوة الى اقامة نظام مبنى على توزيع المواد الاقتصادية بين طبقات سكان الأمة الواحدة توزيعا يسعى لمحو أبرز الفوارق بين تلك الطبقات والى ابعاد بعض الجرائم ـ لا كل الجـرائم ـ التى ترتكب فى غالبيـة الأحيـان بسبب انعدام مثل هذا التوزيع فان الاسلام وقد سبق هذه القـوانين الوضعية وضع أحسن نظام لتوزيع الموارد الاقتصادية انتاجا واستهلاكا بين جميع العالم من غير تفرقة جنسية أو لونية أو دينية .

وهو بعد أن يقرر ان اقامة نظام من قبيل الأنظمة الـوضعيـة قد يكـون ذا آثار فى تخفيف الوطأة على المجتمعات التى تئن تحت أعباء المشاكل الاقتصادية يرى من جهة أخرى (ورأيه الحق والصواب) أن كل تلك الأنظمـة الـوضعيـة التى توصـل اليهـا علماء الاقتصاد فى عالم اليوم والتى وصفت تفاؤلا بأنها كفيلة بمحو جميع المشاكل الاقتصادية يراها بعيدة كل البعد عن تحقيق الغـاية السـامية والشريفة التى يهدف هو اليها من وراء سنه قانون الزكاة .

ذلك لأن الأنظمة الوضعية ـ بما فيها الحديثة ـ تنظر الى المشكل على أنه محض قضية مادية صرف فى حين أن الاسلام ينظر اليه على أنه أعمق جذورا من ذلك . . وأشمل أثرا من هذه الغاية السطحية البسيطة التى يتوخاها القانون الوضعى الحديث للعدالة الاجتماعية .

ففى الوقت الذى يتخذ مدلول هذا القانون فى العرف الوضعى تكفل الحكومة لطائفة أو عدة طوائف من رعاياها بايجاد العمل فى دائرة ضمان المأكل والمسكن والملبس وقد يتجاوز ذلك الى قليل من الثقافة العامة البسيطة اذا بهذا المضمون فى القاموس الاسلامى يعنى فى الدرجة الأولى ايجاد مجتمع متكامل من جميع الوجوه . . . مجتمع تعتبر فيه مضامين العدالة الاجتماعية الحديثة تافهة اذا قيست ببقية الأغراض النبيلة التى يراها الاسلام ضرورية لوجود المجتمع المتكامل الذى يسعى دائما لتوجيه الأنظار اليه ـ وأعنى به مجتمعا يجمع بين المادية وروح الملأ الأعلى لأن احتياج الانسان فى بعض الأحايين الى الروحانيات هو أشد بكثير من توقه الى حصر كل همه فى الماديات البحتة .



ولهذا ففى الوقت الذى لا يغفل فيه الاسلام خطورة المادة واثرها فى الحياة الانسانية تكييفا وتوجيها لا يقف مما عداها موقف المتفرج الذى لا يعنيه من (الدراما) الا تناسق مناظرها وتسلسل مشاهدها دون أية التفاتة الى المضامين والغايات التى وراءها . . . ويدعو الاسلام فى الزام واجبار معتنقيه والقائمين عليه الى اقامة عدالة اجتماعية تتساوى فى أهميتها وخطورتها الناحيتان المادية والروحية على اعتبار أن فى الناحية الأولى طريق لتحقيق الثانية . . . ويدعو فى الوقت نفسه الى العمل الجدى على أساس من التوازن والتجانس الكلى بين حاجيات المجتمع ضمن الاطار العام لمجتمع اسلامى . . روحا وهدفا . . وطرقا وغاية .

والزكاة التى يمكن اعتبارها الاطار التنظيمى لقيام عدالة اجتماعية فى المجتمع الاسلامى عرفها الفقهاء الأقدمون بأنها: اخراج قدر معين مما يجب فيه لمن يستحقه . أو اخراج نسبة معينة من مقدار معين من المال فى أوقات محددة لدفعها . أو اخراج مال مخصوص من مال مخصوص بلغ نصابا لمستحقه ان تم الملك ومر الحول ـ باستثناء المعادن والركاز والحرث حيث لا يشترط الحول . . . وتخرج لتطهير النفس من رذيلة البخل والطمع ولسد حاجيات البؤساء والمعوزين والمحرومين ولاقامة المصالح العامة التى تتوقف عليها حياة الأمة ولمحاربة التضخم ولتقريب الثقة بين الطبقات . . ولكى لا يكون المال دولة بين الأغنياء فحسب .

وعرفها ابن رشد والشاطبى بأنها حق واجب للفقراء فى أموال الأغنياء .

وأضاف الشاطبى : (والمقصود بشرعيتها رفع رذيلة الشح ومصلحة رفاق المساكين واحياء النفوس المعرضة للتلف) الموافقات (ج/٢/ص/٢٣٥) قال : (وهى ـ كما يسميها القرآن ـ طهارة وزكاة طهارة من

دنس البخل والطمع والدناءة والقسوة على الفقراء البائسين وما يتصل بذلك من الرذائل وزكاة للنفس أى تنميتها ورفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية حتى تكون بها أهلا للسعادة الدنيوية والأخروية) .

وعرفها محمد عبده بأنها الركن المالى الاجتماعى من أركان الاسلام الذى يقوم به نظامه العام .

قال: ويكفى أن تكون مع الصلاة الركنين الأساسيين اللذين يوجبان لمن يؤديهما حقوق المسلمين من حفظ دمه وماله الا بما يوجبه عليه شرع الاسلام من جناية تقتضى حدا معلوما أو جريمة توجب تعزيرا واللذين بهما تقوم الأخوة الاسلامية . . هذه الأخوة التى هى أول مزية دنيوية للاسلام فان المشركين كانوا محرومين من هذه الأخوة العظيمة بعضهم حرب لبعض فى كل وقت الا ما كان من عهد أو جوار يفى به القوى للضعيف وهى مما يحسدنا عليه جميع أهل الملل . . فهى لا تزال أقوى فينا منهم ترافدا وتعاونا . . وعاصمة لنا من فوضى الشيوعية وأثَرَة المادية وغيرها على ما منيت به شعوبنا من الضعف واختلال النظام واختلاف الجنسيات والأحكام .

ولقد كان فى عصر السلف الصالح مشاركات اختيارية أوسط أحوالها مواساة المسلم أخاه بنفسه . . وأعلاها إيثاره على نفسه وأهله وولده ـ مصداقا لقوله تعالى **﴿وفى أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ ﴿خُذْ من أموالهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إنَّ صلواتك سَكَنٌ لهم والله سميع عليم﴾** . . **﴿والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾** . . **﴿واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا﴾** .

قالوا: وتجب على الحر المالك للنصاب ملكا صحيحا ليس من السرقة أو الغصب متى مر على تملكه الحول ولا دين عليه . . فى غير الماشية والحرث والمعادن والركاز كما قلنا قبل .

ويجب اخراجها متى جاء الساعى فورا ودون تأخير . . أو استغلال لها فى تجارة أو عمل ما . فقد قالت عائشة رضى الله عنها: «ما خالطت الصدقة مالا الا اهلكته» .

وقالوا: ولابد أن ينوى باخراجها استجابة أمر الله اذ لا يقبل الله عملا بدون نية **(انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى)** . . وسنعود بتفصيل أشمل لبعض هذه النقاط لدى تناولنا الأحكام العامة للزكاة .

وهذه التعاريف كلها ـ كما نرى ـ تنبثق من معين واحد وتهدف الى غاية واحدة تبين فى مجموعها ان الاسلام دعوة حارة لقيام المجتمع الانسانى المتكامل . . وتؤكد ان هذا التكامل بل والتكافل ما كان ليتم بغير ايجاد شعور عام لدى الجميع بضرورة التعاون على البر والتقوى . . وبذل الجهد المستطاع لجعل الجميع فى مستوى لائق كريم من حيث ضمان الضروريات الأساسية لحياة البشر .

ولهذه الغاية وحدها كان تحريض الاسلام على الانفاق فى سبيل الله . . وكان هذا السيل العرم من الآيات القرآنية الحاثة على هذا الانفاق بمختلف وجوهه مما سنحاول ـ ان شاء الله توضيحه فى الفصل الخاص بمبدأ الانفاق فى الدعوة الاسلامية .

وكان شعار هذه الدعوة: (وانفقوا فى سبيل الله) الذى ردده القرآن مرات ومرات وبالالحاح الذى حمل الصحابة رضوان الله عليهم ـ والزكاة المفروضة لم تسن بعد ـ على سؤال الرسول عليه السلام عن هذا الشىء الذى يؤمرون بالانفاق منه؟ . . وأن يجابوا عنه فيما صوره القرآن فى الآية (٢١٩ من سورة البقرة) **﴿يسألونك ماذا ينفقون قل: العفو﴾** أى الطيب من الرزق الزائد عن الحاجة .

لـم اد بلغ المجتمـع الاسـلامى الجـديـد درجة من الاستقـرار والازدهـار اتـاحت له بصورة أكثر تفهم المقـاصـد العليا لهذا الدين الجديد ارتأى أن يحثهم باسلوب اغـرائى ترغيبى ـ على عدم التـوقف عن البذل والانفاق ولكن في أسلوب عمومى مطلق: **﴿يا أيهـا الـذين آمنـوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخـرجنـا لكم من الأرض ولا تيممـوا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه﴾** .

حتى اذا تجاوزت المرحلة شبه الإعدادية . . وبدا وكأن المجتمـع تبلورت فيـه الأهـداف المبتغـاة . . وأحس بغير قليل من الاستقرار وتمكن الأمر . . وكون لنفســه وجــودا بارزا مستقــلا متـمايــز الــذات والصفـات . . وأخـذت الأموال تتدفق عليه وأمَّت هذا المجتمع عيِّنات من البشر وطبقات منه متفاوتة القدرة والطاقات مما احتاج الى مزيد تنظيم فى كل المجـالات . . وكان المال هو عصب الحياة وشريان الدول والأمم مما استدعى احداث تنظيمات أكثر دقة وإكثر شمولا وأوضح معالم وسمات ـ كان حينئذ فرض الزكاة . . وكان ذلك فى السنة الثانية من الهجرة .

بهذا العديد من الآيات الواردة بصيغة الأمر والالزام من مثل **﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾** والتى تكررت فى القرآن حوالى السبعين مرة ـ كان ادلها على الالزام والايجاب الآية: ١٠٥ من سورة التوبة والتى أوردتها آنفا والتى كانت من ضمن ما نزل فى شأن المخلفين عن رسـول الله ﴿ﷺ﴾ فى غزوة (تبوك) والتى منها استحسن العلماء ـ وربما أوجبوا ـ على آخذ الزكاة ان يدعـو لمن أعطـاها اما بقوله: «اللهم بارك فيه وفيما أعطى» أو «أجرك الله فيما أعطيت وبارك الله لك فيما أبقيت» أو «اللهم صل على فلان» كما كان يقـول الـرسـول عليه السلام: روى الشيخان من حديث عبد الله بن أبى أوفى قال: «كان النبى ﴿ﷺ﴾ اذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صلى على فلان فاتاه أبى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبى أوفى .

وروى النسـائى من حديث وائـل بن حجـر: انـه ﴿ﷺ﴾ قال فى رجـل بعث بنـاقـة حسنة فى الزكاة (اللهم بارك فيه وفى ابله) .

والجمهور على ان الدعاء بلفظ الصلاة خاص بدعائه ﴿ﷺ﴾ .

وسبب النزول يفهم أن المأخوذ فى هذه الآية هو صدقة التطوع الا أن حديث أبى أوفى فى الدعاء يفيد أن المأخوذ هو صدقة الفرض أى الزكاة .

وقد يجمـع بينهما بالقـول بأن الدعاء بذلك يكون للأمرين معا . . . يقول عبد الرحمن تاج تعليقا على آية التوبة هذه: (الزكاة تطهير ونماء وتزكية للمال فانها اذا كانت فى الظاهر وأول الأمر موجبة نقصان المال بصرف جزء منه للفقراء المحتاجين فان الله قد كتب لصـاحبهـا الـبركة والحفظ وسلامة المال من الآفات والنـوازل وضمن له زيادته ونماءه ومضاعفة الخير له على نقيض ما كتبه على المرابين يبغون زيادة أموالهم من طريق الجشـع والحـرص المذموم . . واستغلال حاجـة المحتـاجـين ومداينة الناس بها يتقاضاه منهم كامـلا مع الـزيادة عليه . . فانه كسب خبيث وآية ذلك قوله تعالى: **﴿وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأوْلئك هم المُضْعِفُون﴾** (سورة الروم الآية/ ٣٩) .

ان المزكى يكسب بزكاته رضا الله وثوابه بما أسدى الى المجتمع من معونة ويكسب بها هداية الله وتوفيقه إياه . . فتتفتح أمامه وجوه الربح الطيب . . وتيسر له الـرزق الحلال . . ثم يرد عليه المجتمع نظير ما أسدى إليه من معونة بمعونة مثلها وأعظم منها لا يلقاه أحد بحسد ولا يناله اذى من أحد . . بل يحبون أن يكثـر ماله ويعظم بره ويزداد خيره ويعينونه بكل ما يملكـون من جهـود وآراء صالحـة على حفظ ما له وتنميتـه واستثـماره **﴿فأمـا من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسـره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾** (الليل من ٥: ١٠) **﴿هل جزاء الاحسان الا الاحسان﴾** .

ويقول الخازن: تعليقا على هذه الآية: (ان الآية وان كان ليس المراد بها الصدقة الواجبة ابتداء وانما هى جارية مجرى الكفارة من أؤلئك التائبين الذين بذلوا أموالهم صدقة اذ الزكاة كانت واجبة عليهم ولكن تؤخذ منهم أثناء تخلفهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو حسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر رسول الله ﴿ﷺ﴾ بأخذها منهم الا أنهم لما تابوا وأخلصوا وأقروا ان السبب الموجب لتخلفهم هو حب المال أمروا باخراج الزكاة التى هى طهرة) أى التعبير العملى عن توبتهم وعودتهم الى حظيرة المجتمع الاسلامى الحقيقى فلما أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم كما لا يمنعه بذلهم الثلث من أموالهم وهو فوق القدر الواجب فى الزكاة لأن البذل كان عن رضا وطواعية .

قال وعمومية أموالهم تقتضى وجوب الزكاة فى جميع الأموال بما فيها الديون والركاز وعلى الصغير والكبير ولكن التبعيض فى (من) المراد به ما بيّنه ﴿ﷺ﴾ من قدر الزكاة وصفتها .

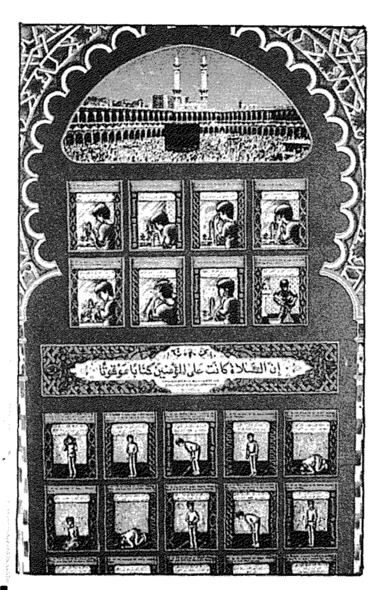
قلت ما دمنا قد قررنا ان الآية دليل على ايجاب الزكاة . . وان الخطاب فيها للعموم . . وان ايجاب الزكاة ليس فقط لتطهير المتخلفين وانما هو لذلك ولسد خلة المحتاج . . فتجب فى كل مال دون اشتراط البلوغ اذ لم تكن تطهيرا لما ارتكبه أولئك المخالفون من آثام فحسب على أن قول أبى حنيفة ـ كما سنتعرض له فيما بعد ـ يصح اذا قلنا ان الزكاة تبرع ترجع مصلحته ومنفعته للمتبرع خاصة .

ولكن الواقع والحقيقة ان الزكاة حق للآخذين المستحقين المشار اليهم فى آية سورة التوبة: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ الآية. والتطهير لا يكون من خصوص الآثام وانما أيضا لإعداد النفوس وترويضها على المشاركة فى تحملات آلامه والتخفيف من الضائقات المالية والاقتصادية التى قد تصاب بها . .

ولهذا فالرأى أن كل مال للبالغ أو الصبى يجب ان تخرج منه حقوق الطبقات الفقيرة .

فالزكاة ـ اذن ـ لم تفرض فى الاسلام ـ مثل الضريبة أو الاتاوة يؤديها المسلم عن يد وهو صاغر ولكن فرضت كرمز للتعاون العملى والاخاء الفعلى وسلك فى فرضها مسلكا عمليا ماديا منظما تقتضيه المصلحة العامة . . ويتطلبه الاصلاح الشامل . . ويحتاج اليه الاستقرار الاجتماعى الدائم .

ذلك لأن الاسلام ـ بوصفه دينا سماويا ـ يعترف بالفطرة ويهذبها ويسمو بها ولا يعلن الحرب لاستئصالها ومقاومتها .



وقـد أقـر بالملكية الفردية ـ كما سنرى ـ الناشئة عن سبب مشروع استجابة للدوافع الفطـريـة الأصيلة فى الانسـان التى تطلب التملك والمنـافسة والادخار . . وهو يعترف أيضـا بالتفـاوت الفطـرى فى الأرزاق نظـرا للمـواهب والطـاقات المختلفة . . وان يكن الوعيد الذى يتوعد به الاسلام مانعى الزكاة مشعـرا بالـزاميتهـا قانونيا . يقول ﴿ﷺ﴾ :

(من أعطاها مؤتجرا فله أجرها . . ومن منعها فانّا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا أو غرمة من غرمات ربنا) قال القرضاوى فى كتـابـه : «مشكلة الفقر» (يجيز الحديث لولى الأمـر مصـادرة نصف مال الممتنـع عن اداء الـزكـاة) والـزكاة هى الركن الوحيد من بين اركـان الاسـلام الذى يخضع المسلم لعقاب دنيوى اذا قصر فى أدائه . . ولا شك أنه من هذا المنظور جاء الحديث الآخر: (اذا مات مؤمن جائعا فلا مال لأحد) .

قال الله تعالى: ﴿فان بغت أحداهما على الأخرى فقـاتلوا التى تبغى حتى تفيىء الى أمر الله﴾ ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق بل ان القتال الذى شنـه أبـو بكـر ضد المرتدين لم يكن فى الحقيقة الا لتمنعهَم من اداء الزكاة بوصف أنها ـ وكما قال أبو بكر نفسه عند ما ذكره عمر بن الخطاب محاولا صرفه عن هذا القتـال بكلمته عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وأنى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله» قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال . وقد قال ﴿ﷺ﴾ : «الا بحقها» قال عمر: فما هو الا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعلمت أنه الحق .

هذا وقد قال أبو بكر: فى بداية قتال المرتدين: (والله لو منعونى عقالا أو عناقا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه) محاربة أبى بكر لأولئك القوم لم تكن لارتـدادهم عن الاسـلام الى الشرك فحسب وانما كانت أيضـا لمقـاومة تعطيلهم ركن الزكاة التى هى وحـدها النظام الذى يضع للعمران القواعد الثابتة ويكف أذى التفاوت الطبقى ـ ولهذا قال: ﴿ﷺ﴾ فى حق تاركى الزكاة كلمته تلك: «إنا آخذوها منه وشطر ابله أو ماله عزمة من عزمة ربنا» .

فالزكاة اذن حق مالى من حيث تكفلها كفاية طوائف من الجماعة الاسلامية حين تكون بهم خاصة ومن حيث توفيرها شيئا من المتاع الزائد على الكفاف أحيانا . . وهى فى الوقت نفسه ـ ويجب الا ننسى هذا أبدا ـ عبادة ولهذا قال السيد قطب: «بلغ من لطف الاسلام ان لا يطلب الى أهل الذمة من أهل الكتاب اداءها واستبدل بها الجزية ليشتركوا فى نفقات الدولة العامة دون ان يفرض عليهم عبادة خاصة من عبادات الاسلام الا ان يختاروها» .

الإسلام الـذى قضى أن يكـرم الانسـان ويفضله على غيره من مخلوقات الارض: ﴿ولقد كرمنـا بنى آدم وحملنـاهم فى البر والبحر ورزقنـاهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيـلا﴾ يدرك ان لا كرامـة مع الفقـر ولا تفضيل مع الحاجة فقرر لذلك أن يوفر له ما يحفظ له كرامته ويصون شرفـه . وما كان ليتأتى ذلك اذا أحس الحاجة أو وجد الخصاصة أو شغلته ضرورات الحياة من طعام أو شراب عن التطلع الى عوالم العقـل الأعلى الخـلاق وأجـواء العـواطف الجيـاشـة بنبيل الاحساسات وفاضل الأعمال أركسه الشعور بالضيعة الناجمة عن قيام الفوارق الطبقية الحادة .

وحيث ان المساواة التامة بين الناس مستحيلة ما داموا يتفاوتون ـ كما قلنا ـ فى المدارك وفى المستويات العقلية ومن ثمة يختلفون فى وسائل الحياة وما يتوفر لهم من

رزق كثرة وقلة ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ ﴿والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق﴾ ومادام الفقر والغنى من الظواهر الاجتماعية التى لا يمكن القضاء عليها.. ومادام هذا التفاوت فى التفكير المؤدى الى التباين فى الكسب المؤدى بدوره - اذا لم يعالج - الى قيام ثراء فاحش بازاء فقر مدقع المؤدى - هو الآخر - الى تصدع فئات المجتمع .. هذا التصدع الذى قد يسفر عن مواجهة مكشوفة بين مختلف الطبقات دفاعا عن هذا الوجود من جهة الفقراء وايثارا للتفوق ومزيد الثراء من جهة الأغنياء .. لكل ذلك لم يكتف الاسلام بمجرد الدعوة الى قيام مسابقة اقتصادية عادلة بين مختلف الطبقات الاجتماعية حتى ولو روعى فيها تكافؤ الفرص ولم يترك الحبل على الغارب ليزداد الغنى غنى والفقير فقرا لا وانما أوجب أن يكون هؤلاء المتبارون رحماء بينهم .

ولتحقيق ذلك وقف الاسلام من قضية المال ومن الحرص عليه والضن به .. ولكيلا يكون دولة بين الأغنياء فحسب موقفا يتحول معه الى أداة بناء واصلاح لا أداة تخريب وتصدع حين تابع الثروات بتفتيت الضخم منها: بالارث أساسا .. وبالزكاة فرضا .. وبالانفاق ترغيبا وترهيبا .. وبتحريم الربا حتى لا يزكو المال بغير عمل وجهد انطلاقا من أن الله هو بارىء الكون وخالقه ومالكه وان جميع مافى هذا الكون هو منه واليه .. وان المال ماله .. وان دور الناس فيه لا يعدو دور المستخلف الذى لا حق له فيه الا الاستمتاع والنفع به .. وقضى بأن النفع به هو جعله أداة لتحقيق مصالح مختلف طبقات المجتمع دون اثرة أو جشع من جانب .. ودون حسد وحقد نتيجة الشعور بالحرمان والمذلة من جانب آخر .. فى الوقت الذى يقول فيه ﴿ﷺ﴾ فيما أخرجه الامام أحمد (ايما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى) .

فالزكاة بهذا المعنى - اجتماعيا واقتصاديا - بالغة الخطورة والأهمية والقيمة وهى تتوخى على العموم اشراك الفقراء المساكين فى ثروات الأغنياء .. والتقريب بين طبقات المجتمع للالتقاء فى منزلة وسط للحفاظ على حرية الفرد وحق تملكه .. والسعى للتنمية واخراج الأموال للعمل دون كنزها وتعطيلها عن الاسهام فى مشاريع هذه التنمية .

ثم فى نفس الوقت تهدف الى حق الجماعة فى العيش الكريم .. واشعار الأغنياء والفقراء معا بالمحبة والتآخى حين يشتركون جميعهم فى الانتفاع بالثروة .. بهذاالاشتراك تضعف روح الأثرة والبخل والشح والشره من نفوس الأغنياء ويقضى على التحاسد والتباغض والتشاحن فى نفوس المحتاجين ويقل بذلك نزوعهم للسلب والسرقة .

●●

نظام الإقتصاد فى الإسلام يقوم على أسس من غايتها بناء حياة إنسانية معافاة من الأنانية والجشع

●●

وبهذه الوسائل ينشأ مجتمع فاضل يقوم على مبدأ: التكامل يمتاز فيه الأفراد بالاخلاص فى العمل وتنمية الأرزاق وحفظها . . وينتشر فيه الرخاء بما يمتاز به من تعاون أفراده على حب الخير واتيانه . . والسعى للتعاون الشامل القائم على توزيع المسؤوليات حسب الكفاءات ودون ان يولد الحقد فى نفوس الاخرين ويحمل همتهم على الفتور عن مزيد العمل والسعى لمزيد التنمية . . ودون أن يرهق الأغنياء بتعطيل رغبتهم فى مزيد الكسب أو بتعريض ما يملكون للسرقة والسلب ومختلف المخالفات .

ثم بهذا يتحقق قوله عليه السلام: «ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بالقدر الذى يسع فقراءهم ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا أو عروا الا بما يصنع أغنياؤهم . . الا ان الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما» وهذا المعنى نفسه هو الذى يقصده علىّ (كرم الله وجهه) بكلمته الخالدة هذه: «والله ما جاع فقير الا بما متع به غنى» .

وهكذا بالزكاة وبالأمر بالانفاق عالج الاسلام - كما يقول أحمد حسن الزيات: (الداء الأزلى نفسه بما لو أخذ به المصلحون لوقاهم شرور هذه الحروب التى أمضت حياة الناس وكفاهم أخطاء هذه المذاهب التى قوضت بناء المجتمع . . عالجه بالسفارة بين الغنى والفقير على أساس الاعتراف بحق التملك والاحتفاظ بحرية التصرف فلا يدفع مالك ملكه . . ولا يضار حر فى ارادته . . وانما جعل للفقير من مال الغنى حقا معلوما لا يكمل دينه الا بأدائه ذلك الحق هو الركن الثالث من الأركان الخمسة التى بنى عليها الاسلام - فلا هو فرع ولا فضلة . . فاذا جبيت الزكاة بالأمانة على حسابها المقدر ووزعت بالعدالة على نظامها المفروض شفيت النفوس من الحقد . . وأنقذت المجتمع من البؤس فلا تجد سائلا فى شارع . . ولا جائعا فى بيت ولا جاهلا فى عمل (وحى الرسالة) .

ومصداقا لذلك يقول ﴿ﷺ﴾: (اذا أديت زكاة مالك فقد اذهبت عنك شره) ويقول فيما رواه أبو داوود (حصنوا أموالكم بالزكاة) وذلك من حيث ان هذا الأداء والتحصين يبعد عن المال نظرات الفقراء الشرسة ويحول هذه النظرات الى نظرات الرضى والاطمئنان حين يحسون ان الغنى بادائه الزكاة يساهم فى تخفيف ضائقتهم ويعمل على تقريبهم من مستواه ومن حيث ان هذا الأداء يكسب المجتمع كله قوة وقدرة على النهضة الاقتصادية وطرق التنمية ثم من حيث ان اداء الغنى للزكاة يشعره هو نفسه أنه لم يعد أسير ماله وأنه انما أصبح سيده يوظفه فى نفع المجتمع ورقيه . . وتحقيق سعادته وسعادة اخوانه ومواطنيه .

يقول يوسف القرضاوى نقلا عن أحد الغربيين: (الزكاة نظام اجتماعى عام . . ومصدر تدخر به الدولة المحمدية ما تمد به الفقراء وتعينهم . . وذلك على طريقة نظامية قوية لا استبدادية تحكمية ولا عرضية طارئة وهذا النظام البديع كان الاسلام أول من وضع اساسه فى تاريخ البشرية عامة فضريبة الزكاة التى كانت تجبر طبقات الملاك والتجار الأغنياء على دفعها لتصرفها الدولة على المعوزين والقاصرين من أفرادها هدمت السياج الذى كان يفصل بين جماعات الدولة الواحدة . . ووحدة الأمة فى دائرة اجتماعية عادلة وبذلك يزهو هذا النظام الاسلامى على أنه لا يقوم على أساس الاثرة البغيضة (العبادة فى الاسلام) .

على أن اداء الزكاة اعتراف بفضل الله على مؤديها وشكر منه لنعمة المال كما ان العبادات البدنية يعتبر اداؤها شكر نعمة البدن وهى فى الوقت طريق

لإحراز شكر العبادة لانه - كما يقول: (بدران أبو العينين بدران) فى كتابه: (العبادات فى الاسلام) (اذا أحسن الأغنياء وأدوا ما فرضه الله عليهم فى أموالهم من زكاة الى الفقراء رأوا من هؤلاء ألسنة صادقة وقلوبا مخلصة وأيديا قوية تدفع السوء فيصبح الفقير شريك الغنى يتمنى له الخير لأنه مشاطره فيه أما اذا بخل الغنى بما له وحرم الفقير حقه دب الحقد الى قلبه وملأ الغيظ فؤاده وتمنى له السوء.. واذا ما حلت به نازلة كان فيه من الشامتين واذا نزل به مكروه وأحتاج الى المعونة كان الفقير عنه من المبعدين).

ومع كل ذلك فالزكاة فى الاسلام ليست تفضلا من الأغنياء على الفقراء.. وليست تبرعا ومنحة يمن بها القادرون على المحتاجين.. وانما هى فرض لازم وحق محتم تماما كالصلاة والصيام والشهادتين.. ومراعاة لمصالح الآخذ لها أو المعطى (الأغنياء.. والفقراء) لم يفرضها على الأغنياء كل يوم أوكل جمعة أو كل شهر حتى يعنتهم أو يرهقهم بحملهـا أو التكليف بها.. ولم يقصر وجوبها عليهم مرة واحدة فى الحياة كما هو الشأن بالنسبة لركن الحج مثلا فيهمل بسبب ذلك مصلحة الفقراء وتنوء كواهلهم تحت سياط الفقر والحاجة - ولكنه أخذ العصا من الوسط فجعل الزكاة مرة فى العام.. وقدر لها قدرا لا يثقل كاهل الأغنياء ولا عزائمهم لمزيد بذل الجهد من أجل الكسب والاثراء - مع التأكيد لهم بأن عطاءهم هو فى نفس الوقت تطهير لنفوسهم وتزكية لها من رذيلة البخل وموبقات الشح.. وتعويد على السماحة والسخاء وبذل العون فى أوقات الحاجة والشدة.. وتمرين على حب المجتمع والعمل وتحسين جميع أوضاعه ولم يجعل القدر المأخوذ ضئيلا لا يفى بحاجة من توزع عليهم وانما وقف مع الاعتدال كما راعى الاعتدال حتى فيما يخص المعطين للزكاة حين فرق بين أنواعهم ما بين ممولين بالنقد وعروض التجارة وأولئك الكسابين للأنعام: البقر والابل والغنم.. والذين يعملون فى المزروعات والمحروثات والفلاحة.

ولنفس الغرض أى مرعاة الآخذ والمعطى راعى الاسلام فى مبدأ الزكاة الشمول والتيسير يقول الشرباصى (فالتيسير: من اشتراط الاسلام قدرا معينا من المال لا تجب الزكاة فى اقل منه.. والشمول يأتى من ناحية ان كل مالك للنصاب تلزمه الزكاة بلا استثناء.. ولم يكن هذا النصاب مقصورا على صنف بل يشمل كل أنواع المال النامى بالقوة أو الفعل وشملت الزكاة بأنواعها الكثيرة كل مستويات الناس فعلى الأغنياء زكاة الذهب والفضة بوجه عام لأنهم هم الذين يدخرون ما يزيد عن النصاب غالبا.. والفلاحون وأصحاب الأرض عليهم زكاة الزرع والثمار والانعام والتجار عليهم زكاة عروض التجارة).

فاذا أضفنا الى هذا ان الاسلام يأخذ من أهل الغنائم خمس الغنيمة.. ومن أهل الذمة الجزية.. ومن الجميع رجالا ونساء كبارا وصغارا - خدما ومخدومين - يأخذ زكاة الفطر عند انتهاء شهر رمضان أدركنا ان عنصر الشمول الذى يعتبر سمة من سمات النظرية العادلة متوافر فى الحقوق المادية التى أوجبها الاسلام فى الأموال.

ويقول أبو الأعلى المودودى فى نفس المعنى: (فالاسلام يريد من جانب أن يرسخ فى أذهان الناس بتعاليمه الخلقية فكرة التعاون والتكافل حين يكون كل مبرز متقدم منهم سندا وظهيرا لأخيه المتخلف.. ومن جانب آخر يقتضى بأن لا يخلو المجتمع من مؤسسة ثابتة تضمن اعانة العجزة والمستضعفين الذين لا يهتدون لاكتساب المعاش سبيلا حتى ينال كل من لم يستطع أن يضرب بسهم فى المسابقة الاقتصادية نصيبه من هذه المؤسسة.. والذين جار عليهم الزمان وأقعدهم عن استمرار سيرهم يكون

من واجبات هذه المؤسسة أن تؤهلهم للمضى فى سيرهم . . ومن كانت به حاجة الى عون ومساعدة للنزول فى ميدان الجد والكفاح يجد سؤله من هذه المؤسسة ويبلغ ما تمناه من المساعدة والمعونة فهذا تأمين اجتماعى يستحيل معه أن يوجد فى المجتمع الاسلامى شخص يعوزه شىء من حاجات الحياة اللازمة .

الشعور بمعاناة الآخرين ومحاولة تخفيفها يقرب بين القلوب ويبعد الجفوة ويحد من الشعور بالغربة

فركن الزكاة الذى يشخص كل هذا الدور فى حياة الأمة الاسلامية ما كان ينبغى أن يترك لحرية الناس يتصرفون فيه حسب أهوائهم دون مراقبة أو توجيه ـ على أن جعله ركنا من أركان الاسلام ايحاء بوجوبه وعدم التخلى عنه البتة .

وقرن الأمر بالاتيان بالزكاة بالأمر باقامة الصلاة التى هى مخ العبادة ـ كما يقول الرسول ﴿ﷺ﴾ وقد ورد ذلك فى القرآن أكثر من عشرين مرة . . وهذا أعظم برهان على خطورة هذا الركن فى دين الاسلام وأقوى حجة على ضرورة اتيانه وعدم التخلى عنه واشارة الى أن من يقيم الصلاة ويأتى بها كاملة متوجها الى الله بقلبه . . خاشعا بين يديه سبحانه . . مخلصا له فى الذكر والدعاء والثناء لا ينسى الله تعالى ولا يغفل عن فضله . . ومن كان كذلك فهو جدير ببذل المال فى سبيله تعالى مواساة لعياله ومساعدة على مصالحهم التى هى ملاك مصلحة المنفق نفسه ـ فان الانسان انما يكتسب المال من الناس بحذقه وعمله معهم فهو لم يكن غنيا الا بهم ومنهم فاذا عجز بعضهم عن الكسب لآفة فى فكره أو فى نفسه أو لعلة فى بدنه وجب على الآخرين الأخذ بيده وان يكونوا عونا له حفظا للمجموع الذى ترتبط مصالح بعضه بمصالح البعض الآخر . . وشكرا لله على ما ميزهم به من النعمة .

قال محمد عبده : (وظاهر أن الغنى فى حاجة دائمة الى الفقير . كما ان هذا فى حاجة الى ذاك ﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ ولكن النفوس تمرض فتغفل عن المصلحة فى بذل المال ومساعدة الفقير والضعيف مبالغة وغلوا فى حب المال الذى هو شقيق الروح كما يقولون ـ ولهذا جعل الله بذل المال والانفاق فى سبيل الله والخير عامة علامة من علامات الايمان وجعل البخل من آيات النفاق والكفر لأن البخل ـ ومنبعه القسوة على عباد الله تعالى والحرص على المال استرسالا فى الشهوات وميلا مع الأهواء ـ لا يجتمع مع الايمان فى قلب واحد قط . . وليس لأحدهم أن يزعم أنه يؤمن بالله وبما أنزل على رسله من الأوامر والنواهى حتى يقوم بما أمر الله به فيما طلب منه على ما يحب الله ويرضى . . ومانع الزكاة يهدم ركنا من أعظم اركان الاسلام مهما يكن سبب المنع فلا يعقل أن يشرع الله لنا شيئا فى القرآن سبعين مرة ثم يرضى بأن نحتال عليه ونخادعه فى تركه . . واذن لماذا فرض وأوجب ورغب ورهب ووعد وحكم وأحكم؟ . . هل كان ذلك لغوا من الكلام وجهلا بحكمة وضع الأحكام؟) .

ويعلق المفسر الخازن على هذا الاقتران مع عمارة

المساجد فى قوله تعالى: ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة.. ﴾ بقوله «أعلم أن الاعتبار باقامة الصلاة وايتاء الزكاة فى عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام الصلاة واتى الزكاة لأن عمارة المساجد انما تلزم لاقامة الصلاة فيه ولا يقوم بعمارة المساجد الا اذا كان مؤتيا للزكاة لأن الزكاة واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه».

على أننا - قبل ختام هذا الفصل - نشير الى أن فريضة الزكاة لخطورتها فى حياة الأمم والشعوب لم يعف الله منها أحدا منذ أن أوجد الخليقة البشرية على وجه الأرض ﴿وهو الذى خلق الأرض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها.. ثم استوى الى السماء فقضاهن سبع سموات.. وأوحى فى كل سماء أمرها.. وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا﴾ وهو يعلم ما يصلح لعباده الذين سخر لهم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه.. ويعلم أى السنن والطرق التى تؤدى الى تحقيق ما من أجله خلق الموت والحياة.

وبتصفح دفتى المصحف نقف على أن الله سبحانه وتعالى قد فرض الزكاة على الأمم والديانات التى بعث بها الرسل قبل رسالة الاسلام.

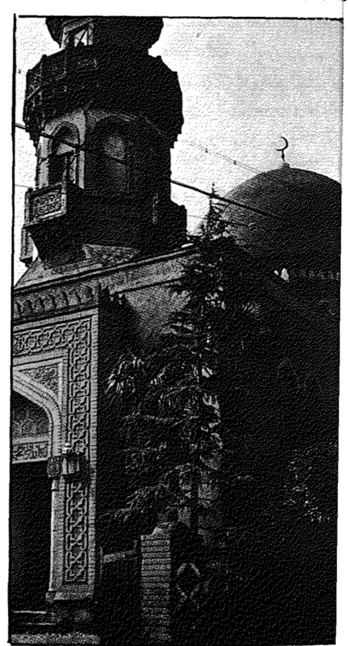
ففى سورة البقرة الآية: ٨٣/ نقرأ.. ﴿واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾.

وهذه الآية كما نرى تفنيد وتكذيب لمزاعم اليهود القائلة ان لا زكاة عليهم فى أموالهم ولقولهم ان زكاتهم هى ما يقدمونه من محروقات وقرابين مفروضة لتكفير الخطايا وشكر الله تعالى على اخراجهم من مصر وغير ذلك من النعم.. وهذه الآية أكدت ان عليهم - وربما بالاضافة الى ما ذكروا - زكوات مالية.. وورد فى الآثار الصحيحة ان من بين هذه الزكوات الواجبة عليهم شرعا المال المخصص اداؤه لآل هارون وهو الى الآن فى اللاويين.. ومنها مال للمساكين.. ومنها ما يؤخذ من ثمرات الأرض.. ومنها سبت الأرض أى تركها فى كل سبع سنين مرة بلا حرث ولا زرع - وكل ما يخرج منها فى تلك السنة يعتبر صدقة.

وجاء فى البقرة ايضا الآية: ٢٩ على لسان سيدنا ابراهيم عليه السلام: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم﴾ وفى سورة المائدة الآية: ١٢/ ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل﴾.

وفى سورة مريم الآيتين: ٥٤/ ٥٥ نقرأ ﴿واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾ وفى سورة الأنبياء الآية: ٧٣ نقرأ ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ وفى سورة الحج الآيتين: ٣٤/ ٣٥ نقرأ: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فإلاهكم إلـه واحد فله اسلموا وبشر المخبتين الذين اذا ذُكِرَ الله وجلتْ قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾. ونقرأ فى سورة البينة الآية الخامسة ﴿وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ذلك دين القيمة﴾.

وحتى العرب فى الجاهلية كانوا يعرفون نوعا من تقسيم الغنائم قد يكون محرفا بفعل التقادم عن الزكاة أو شكل من الأشكال للانفاق المفروض فان تحذير القرآن المسلمين ان يسلكوا فى توزيع الثروات وأموال الغنائم مسلك الجاهلية فيه ايحاء الى ذلك - فى نظرنا على الأقل - فقد جاء فى سورة الحشر الآية: ٧/ ﴿كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ وذكر المفسرون ان ذلك تحذير مما كان يفعله أهل الجاهلية اذا غنموا غنائم احتفظ الرئيس بربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفى بعده ما يشاء .



فالزكاة اذن فرضُ الله فى مختلف الديانات السماوية وبالأخص الاسلام حيث قُعِّدَتْ فيه هذه الفريضة واعتبرت ركنا أساسيا من أركانه وطريقة لحل المشاكل الاقتصادية والأزمات المالية التى قد تصيب المجتمعات فتعوقها عن الانطلاق نحو البناء والتشييد والتنمية وهى لو روعيت مع ما اقترنت به من اقامة الصلاة التى هى العبادة الروحية التى تشعر الانسان بصلته بربه ومدى العناية واللطف المحيطين به بسبب هذا الاتصال الروحى بينه وبين خالقه لما بقى على وجه الأرض أزمة ولا شهدت الانسانية ما شهدته وتشهده عبر التاريخ الطويل من مجابهات وحروب وما ينشأ عن ذلك من أوبئة وأمراض .

قال العلامة الرحالى الفاروقى : (والزكاة التى تعتبر موردا ماليا هى مشروع جاءت به شريعة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم . . وهى باب الضمان الجماعى والتعاون الانسانى . . وهى تتعلق بالمال وليست تتعلق بالمالك . . ومن أجل ذلك تؤخذ من المكلفين وغيرهم كالصبيان والمجانين بواسطة أوليائهم وتبعا لمذهبهم . . وتؤخذ من المالك الحقيقى وغيره) دعوة الحق . . ويورد الخازن لبيان وجه الحكمة فى ايجاب الزكاة على الأغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس ستة اعتبارات نلخصها فيما يلى :

الأول : ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع فاذا انغلق القلب فى حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله عز وجل . . فاقتضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة فى ذلك المال الذى هو سبب

البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه.

الثاني: ان أكثر المال يوجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى الشهوات ولذاتها.. فأوجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذى هو سبب لقساوة القلب.

الثالث: امتحان العبد المؤمن لأن التكاليف البدنية غير شاقة على العبد.. واخراج المال مشق على النفس فأوجب الله عز وجل الزكاة على العبد ليمتحن باخراجها أصحاب الأموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من المعاصى المانع لها.

الرابع: ان المال مال الله والأغنياء خزان الله والفقراء عباد الله فأمر الله سبحانه وتعالى خزانه بدفع طائفة من ماله الى عباده فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الأمر ويعاقب العبد العاصى المانع لعباد الله من ماله.

الخامس: الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالأموال التى بأيدى الأغنياء فأوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء فى ذلك تطيبا لقلوبهم.

السادس: ان المال الفائض عن حاجة الانسان الأصيلة اذا أمسك بقى معطلا عن المقصود الذى لأجله خلق المال.. فأمر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية.

وايجاباً لأداء الزكاة تحذيرا من مغبة حبسها ينذر القرآن بآيات عدة أولئك المانعين لها المتهربين من ادائها فبعد أن يربطها بقضية الايمان اساسا وبأن أداءها سبيل الاثراء كما فى حديث أبى هريرة ـ فيما أخرجه البخارى وأصحاب السنن ـ «من تصدق بعدل تمره من كسب طيب ـ ولا يصعد الى الله الا الطيب أو لا يقبل الا الطيب ـ فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها له كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» وتصديق ذلك فى كتاب الله ﴿**ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات**﴾ وقوله: ﴿**يمحق الله الربا ويربى الصدقات**﴾ وأخرج الترمذى: فيما رواه عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال: «انتهيت الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو يقرأ هذه الآية ﴿الهاكم التكاثر﴾ فقال: يقول ابن آدم: مالى ـ مالى.. وهل لك من مالك الا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت؟ وعن أنس: فيما رواه البخارى قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد ـ يتبعه ماله وأهله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى معه عمله».

ومن تلك الآيات التى ينذر بها القرآن: ﴿**ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذنَّ فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة**﴾. والآية هذه تعنى أن اعجابه بما جمع من المال ليستصغر الناس ويسخر منهم مع أنه مهما تفاخر بما جمع فهناك من هو أكثر منه مالا فيكون ماله حينئذ حقيرا بالنسبة لمن هو أكثر منه. فكيف يليق بالعاقل أن يفتخر بالمال؟ ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾.

قال الحسن البصرى: (ما رأيت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت) ومعناه أن الناس لا يشكون فى الموت مع أنهم يعملون عمل من

يظن أنه يخلد فى الدنيا ولا يموت. وقوله تعالى: ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين؟ فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾ وفى هذه الآية: نلاحظ الربط بين التكذيب بالدين وبين من يمنعون الطعام عمن يحتاجه ومن يدع اليتيم ويزجره ويدفعه بعنف وجفوه أى يدفعه عن حقه وماله بالظلم ويترك المواساة له أو يزجره أو يضربه ويستخف به وعمل مثل هذا لا يصدر الا عمن يكذب بيوم الجزاء.

والربط كذلك بين ما نعى الماعون أى الزكاة

الإسلام يدرك ان لا كرامة مع الفقر ولا تفضيل مع الحاجة لذلك قرر أن يوفر للإنسان ما يحفظ كرامته ويصون شرفه

وبين الصلاة كل ذلك فيه تأكيد على الوجوب واغراء على الأداء وتحذير من المنع والامساك(١).

ومن هذه الآيات: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ علق بعض العلماء على خصوص تعذيب وكى هذه الأعضاء فقال: «انما خص هذه الأعضاء بالكى من بين سائر الأعضاء لأن الغنى صاحب المال اذا أتاه السائل فطلب منه شيئا تبدو منه آثار الكراهية والمنع.. فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح.. وتجتمع أسارير وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح فى السؤال ولاه ظهره وأعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهى النهاية فى الرد والغاية فى المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل.. وهذا دأب ما نعى البر والاحسان وعادة البخلاء.. فلذلك خص هذه الأعضاء الثلاثة بالكى يوم القيامة»(٢).

ومن الأحاديث ما أخرجه مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار.. قيل: يارسول الله فالابل؟ قال: ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها.. ومن حقها حلبها يوم ورودها.. الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرَّ عليه أولاها ردّ عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار ـ قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟.. قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى حقها الا كان يوم القيامة بطح بقاع قرقر.. لا يفقد منها شيئا ليس عقصاء (الشاة الملتوية

القرنين) ولا جلحاء (الشاة التى لا قرن لها) ولا غضباء (الشاه المكسورة القرن) تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مرَّ عليه أولاها ردّ عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار» . .

وفى الصحيحين عن أبى ذر قال: انتهيت الى النبى ﴿ﷺ﴾ وهو جالس فى ظل الكعبة ـ فلما رآنى قال هم الأخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار حتى قمت فقلت: يا رسول الله فداك أبى وأمى من هم قال: (هم الأكثرون أموالا الا من قال: هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت آخرها عاد عليه أولاها حتى يقضى بين العباد).

والأصل فى وجوب الزكاة تنظيما ما رواه الجماعة عن ابن عباس: حيث قال: (بعث رسول الله ﴿ﷺ﴾ معاذ بن جبل الى اليمن وليا وقاضيا فقال له: (انك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم الى الشهادة ان لا اله الا الله وأنى رسول الله فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم ان الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم ان الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم فان أطاعوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب). .

ويمكن اجمال أنواع الانفاق فى هذه الأمور الثمانية:

أولا : الزكاة المفروضة.

ثانيا : الصدقات الموسمية ـ ويندرج فيها زكاة الفطر وأضاحى العيد. . وما يلزم الذين وجب عليهم الدم فى الحج مما أشارت اليه آيتا الحج: ﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾ الآية ١٨ / والآية ٣٦ ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ القانع هو المسكين والمعتر هو من يسأل(٣)

ثالثا : الخراج.

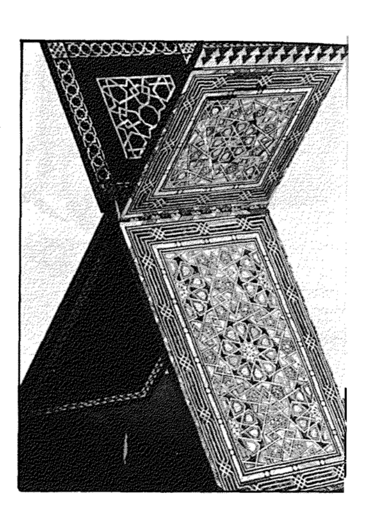
رابعا : الكفارات وهى أنواع: كفارة عن الافطار فى صوم رمضان. . وعن الحنث فى اليمين. وعن ارتكاب مخالفات فى الحج. . وعن أخطاء فى العلاقات الزوجية حين يحاول الزوج التملص من زوجته لسبب من الأسباب ثم تعاوده الرغبة فى مراجعتها فيما يسمى بالظهار. . وعن جرائم القتل غير العمد.

خامسا : أنواع الانفاق والصدقات المستحبة.
سادسا : واجبات التكافل الاجتماعى.
سابعا : التبرعات.
ثامنا : الضرائب.

أقول اذا كان يمكن اجمال أنواع الانفاق فيما ذكر فان اثنين من تلك الأنواع يأخذون الاعتبار الأول من حيث كونهما لازمين لمن وجبا عليه لا اعفاء منهما ولا أستغناء عنهما.

الاول: صدقة الأموال بجميع أنواعها: أى الزكاة ذات الأنصبة والمصارف المعلومة.

الثانى: صدقة الرقاب: أى زكاة الفطر التى يستدل لوجوبها بقوله عليه السلام: «لا يزال الصوم معلقا لا يقبله الله حتى يخرج الصائم صدقة فطره فيتقبل الله،



صيامه» وروى البخارى ومسلم عن ابن عمر قال: (فرض رسول الله ﴿ﷺ﴾ زكاة الفطر صاعا من تمر أو بر أو قمح على كل صغير أو كبير. . حر أو عبد. . ذكر أو أنثى. . غنيا أو فقيرا. أما غنيكم فيزكيه الله وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى) .

وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس الصلاة وقدرها (صاع) والصاع: أربعة أمداد والمد: ملء اليدين المتوسطتين.

وقيمتها حاليا ـ بالكيلو غرام ـ فيما انتهى اليه العلماء المعاصرون هو ثمن ثلاثة كيلو جرامات من الدقيق.

لا تسقط أبدا فان اتفق أن لم يكن فى بلد مسلم أو لم يكن من بين المسلمين الموجودين فى بلد ما فقير يحتاج الى هذه الزكاة قوم أصلها مالا أو طعما وأرسل الى بلد مجاور من بلاد المسلمين أو الى أى بلد محتاج .

وقد ترى فى مقدار صدقة الفطر تفاهة لا تدل على ما اشرنا اليه ولكن قصد الشارع أن يكوّنَ نفوسا كريمة فى ذاتها ـ ولو كانت نفوس فقراء ـ وأن يتعود أصحابها الاحسان على قدر الطاقة والامكان قصد أن ترتفع طبائعهم شيئا فشيئا عن الخسائس والرذائل التى تعرض للفقراء فتجرهم الى زعزعة الأمن والسكينة والى شقاء المجتمع ولقد هدانا النظر الى أن القليل فى الكثير كثير .

---

(١) الماعون قال علىّ هو الزكاة وتابعه ابن عمر والحسن والضحاك قالوا: إن الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الأمرين قيل: هى العرية أى الفأس والدلو والقدر وما اشبه مما لا يحل منعه مثل: الماء والملح والنار والبئر والتنور قال عكرمة ومحمد بن كعب القرطى: (اعلى الماعون الزكاة المفروضة وأدناه عارية المتاع أو هو من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لأنه قليل من كثير والمعنى العام هو الزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها فى نهاية البخل .

(٢) الخازن: ج/ ٢/ ص/ ٢٢٣ .

(٣) وردت تفسيرات عديدة فى مفهومى اللفظتين قيل: القانع هو الجالس فى بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل أو هو السائل والمعتر هو السائل أو هو الذى يريك نفسه ويتعرض دون سؤال.

(٤) الكفارات فى مجموعها ثلاثة انواع:

النوع الأول: الاطعام الذى يشمل الذبائح .

النوع الثانى: العتق وقد يكون مع الدية فى قتل المؤمن من خطأ مالم يصدق بها أهلها.

النوع الثالث: الصيام.

ثم الاطعام يكون فى كل من الافطار عمدا فى رمضان. . وفى الظهار. . وفى حنث اليمين. . وفى الحج الأول: لقوله تعالى:

﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾. . ولقوله ﴿ﷺ﴾ للذى جاءه يسأله كفارة ذنبه بجماعه امرأته فى رمضان نهارا عمدا: أعندك ما تعتق به رقبة؟ قال: لا قال: هل تستطيع صيام شهرين متتابعين؟ فقال: لا قال: فهل عندك ما تطعم به ستين مسكينا؟ .



●● حب الذات جزء أصيل من غريزة حب البقاء لدى الانسان وربما لا يؤثر فى هذه الجزئية الفطرية الا مكتسبات الانسان من خلال تربيته وبيئته ومسار حياته.

من هنا يختلف انسان وآخر فى معنى الحب لهذه الذات.. إنسان يغالى فيه كثيرا لأن مسار حياته فى بيئته يفرض عليه هذه المغالاة.. وانسان آخر يحب ذاته ولكن على نقيض الآخر فى مغالاته.

قلت: إن التكوين الاجتماعى بكل ما فيه عامل أساسى فى منطق الانسان تجاه ذاته.. انسان الجزئية الصغيرة (مثل القبيلة والعشيرة والطائفة). من هذا التكوين يخضع للقواعد الموضوعة له بكل تفاصيلها فيغالى فى الانتماء لهذه الجزئية من الكيان حتى ينطبع به سواء فى علاقته مع نفسه أو فى علاقته مع غيره ومن ثم تتحول هذه العلاقة الى ذاتية صماء لا تعترف بأى حق للآخرين.

ومع ان فلسفة الدولة الحديثة كانت تريد تخطى حواجز الانتماء الضيق لتصهر الانسان فى تكوين اكثر عمقا وشمولا ليمكن حينئذ المحافظة على بنيان هيكلى تذوب فيه كل المتناقضات المفترضة - الا ان الانسان ظل وسيظل مخلصا لانتمائه مع فارق فى نسبة هذا الانتماء تبعا للبنيان الاجتماعى الذى يعيشه.

●● وفى التاريخ الحديث تختلف المفاهيم حول هذه الذاتية.. فاليابانيون يرون انهم اقل شعوب العالم ذاتية لأن حضارتهم لا تفصل بين مصلحة فرد وآخر، وان المعيار العام للتسيير الحضارى اليابانى ينبنى على التوازن بين المصالح الذاتية لانسان هذه الحضارة ويدللون على ذلك بالتقليد المتوارث المتمثل فى التضحية بالجسد فى حال الاساءة للغير.

●● والغربيون يدعون أيضا انهم أقل شعوب العالم ذاتية ويعزون ذلك الى التطور الحضارى بعد التفجير العلمى والمادى الذى حدث فى الغرب.. وفى غمرة هذا ينسبون المغالاة فى الذاتية الى أمم أخرى كالشرقيين.. وابعد من ذلك يرون ان المغالاة فى هذه الذاتية أحد العوامل الرئيسية فى تخلف التنمية فى هذه الامم وبقائها على ما هى عليه.

قلت: ان الذاتية عدما ووجوداً ليست بالتاكيد صفة ملازمة لأى امة ملازمة عضوية بل هى من المكتسبات فى الكيان الاجتماعى كما قلنا.. من هنا فان انخفاض نسبة

الادب بمفهومه العام فيه متسع للاخذ من كل فن بطرف ولعله من هذا المنطلق جاءت هذه الخطرات النفيسة لفتاة ذكية خفيفة الظل عميقة المعنى



الذاتية فى السلوك العلمى

الذاتية فى اليابان (كما يقال) لا يمكن وصفه بالخصوصية الملازمة للحضارة اليابانية بقدر ما يوصف بانه ممارسة سلوكية تتم تلقاء بفضل ما يكتسبه الفرد فى بيئة يعيشها بكل ما فيها من صفات وخواص.

●● ويؤثر فى هذا السلوك عدة عوامل منها ما يحدث فى الكيان من تفاعل وتطور بفعل الزمن او بفعل عوامل أخرى كالتغيير الاجتماعى ونحوه ـ فالفرد الرومانى عندما تسامح مع الارقاء والاجانب فى فترة لاحقة من تاريخه كان متأثرا بما تفاعل فى الكيان الرومانى كله من تسامح يمكن وصفه بالتخلى عن المغالاة فى حب الذات ـ كما يؤثر فى هذا السلوك الايمان بنظرية او عقيدة تلزم اتباعها بسلوك نهج معين من مناهج الحياة كالتسامح والعطف.. والشعور بالمسؤولية من انسان تجاه آخر ونحو ذلك.. وفى هذا تتضح لنا صور كثيرة فى التاريخ الاسلامى ان كان يصعب حصرها كثرة فهى أيضا نادرة الوقوع فى الحضارات الاخرى: فعندما كان المجتمع الجاهلى يقسو على الارقاء ويرفض وجود النساء والضعفاء كان الملتزمون بالدين الاسلامى يعطفون على هؤلاء ويتخلون عن جزء من ذاتيتهم المالية لاعتاقهم أو مواساتهم.

●● فهذا ابو بكر الصديق ينفق ماله فى اعتاق العجزة والنساء فى مكة اذا اسلمن فيعاتبه أبوه على اعتاقهم وينصحه باعتاق الرجال الجلداء حتى يقوموا معه او يمنعونه ويدافعون عنه. ولكن الابن المؤمن بعقيدته يرد عليه بأن قصده ليس الجاه وانما ابتغاء ما عند الله.. من هنا يتخلى أبو بكر عن ذاتيته التى أرادها له أبوه فهو لا يريد رجالا يكون له بهم بأسا أو يقدمون له نفعا أو يدفعون عنه خيراً بل اراد تطبيق تعاليم الدين فى الاهتمام بالضعفاء والمساكين فى عالم الاقوياء فهو بهذا لم يتخل عن ذاتيته فى المجتمع الذى عاش فيه فحسب بل تخلى عن كثير من ذاتيته المالية من أجل تعزيز الدولة الجديدة.

●● وفى الجانب الآخر من الرقى بالذات نستذكر قصة الانصارى الذى آثر ضيفه على نفسه وعائلته وصبيته الصغار وذلك حين جاء رجل الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ يشكو من الضنك والجهد وعندما لم يجد عند نسائه شيئاً لضيافته سأل عمن يضيفه تلك الليلة فقام الانصارى «حسبته ابو طلحة» فقال: انا يا رسول الله.. وعندما ذهب الى امرأته يخبرها خبره وعلم انه ليس عندها الا قوت الصبية أمرها ان تنومهم وتطفىء السراج حتى لا يحس الضيف بحالهم. وطوى وزوجته وصبيته بطونهم تلك الليلة ـ فقال فيه رسول الله ما يفيد بان الله قد عجب منه وزوجته على ما فعلوا ونزلت الآية الكريمة ﴿ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾» (سورة الحشر الآية ٩).

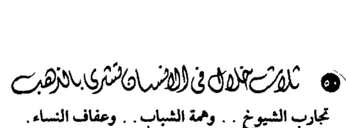
ومع هذه الصور الرائعة تضاف قصص الانصار فى ايواء المهاجرين عندما نزلوا طيبة الطيبة ـ كما تضاف الى صور التسامح الذى اتبعه المسلمون فى علاقتهم مع غيرهم كما فعل عمر بن الخطاب حين خصص فى بيت المال مرتبا ليهودى عجوز أخنى عليه الدهر.

اذن فان الذاتية رغم كونها جزءاً من غرائز الانسان الا انها تتأثر بالواقع الذى يعيشه حين ينتصر فيه على نفسه ويعرف ان حقه لا يعنى اهدار حقوق الآخرين.



عاتق البلادي





تجارب الشيوخ . . وهمة الشباب . . وعفاف النساء.

وثلاث مكملات الرجولة والمروءة:

الامانة . . والصدق . . والجود.

وثلاث من محببات الناس:

القناعة . . والبشاشة . . ولين العريكة.

ذم اعجاب المرء بنفسه

٥١ قال ابليس: اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطالبه بغيرها: اذا أعجب بنفسه . . واستكثر عمله . . ونسى ذنبه.

٥٢ اثمار وجٍ وشعر ولادة

ضاف أحدهم القاضى جمال الدين العبدرى الشيبى قاضى مكة وهو مُضَيِّف فى الطائف فقدم إليه فاكهة فسأله الضيف: اتسقط هذه الثمار أم تجنونها؟.

فقال العبدرى:

رأى صاحبى اثمار وجٍّ فقال لى
ترى هذه الاثمار تسقط أم تجنى
فقلت له كُلْهَا هنيئا فإنّما
أطايبها تجنى وتأتيك من «تجنى»

والقاضى أخذ هذا الشعر من قول ولادّة بنت المستكفى فقد رآها احدهم فأخِذ بفتنتها فقال: ما على من أكل معكِ ستين سوطا . . فقالت:

وذى شَقْوة لما رآنى رأى له
تمنّيه أن يصلَى معى جاحم الضرب
فقلت له: كُلْها هنيئا فإنما
خُلقتُ إلى لبس المطارفِ والشُّرب

الشكوى من الشيب

٥٣ كل ما مضى على انسان دهر ذم ما هو فيه وتمنى أو حن الى الدهر الذى مضى . . فالحنين الى الاوطان السابقة يأخذ بهجة كل من تقدم فى السن وذكريات الاصدقاء والنعيم والمحبين وغيرها.

على أن شد ما يفزع الانسان بعد الموت هى تلك الشعيرات السود التى تصبح وقد تغير صبغها فصارت بيضاً يزيد عددها يوما بعد يوم وأسوأ مافيها أنها تقول لصاحبها: لقد ولى زمن الشباب وعليك ان تواجه الآن تبعات والتزامات معينة فلا غى بعد اليوم ولا عشق إنما وقار وحكمة وعمل مثمر للدنيا والآخرة معا.

والعرب الذين لم يتركوا شيئا الا وطرقوه وفلسفوا له ماذا قالوا عن الشيب؟.

يقال: إن أول من شاب على وجه الأرض هو ابراهيم الخليل عليه السلام فلما رأى الشيب . . قال: ربى ماهذا؟ فجاءه الوحى: إنه الوقار فقال: اللهم زدنى وقاراً فشاب حتى ابيضت لحيته ورأسه.



وعندما كبر زكريا شكا الى الله وهن العظم وشيب الرأس فقال: **﴿ربِّ إنى وَهَنَ العظمُ منى واشتعل الرأسُ شيبا ولم أكن بدعائك ربِّ شقياً﴾ (مريم٤)**

وذكر الله الشيبَ فى القرآن ثلاث مرات فقط

ولم يمض جيل الا وتأتينا اخبار بأنه يشكو من الشيب أو أنه يقبله على مضض مع علمه بما فيه ولذا يقول عمرو بن معدى كرب الزبيدى:

تعشقتها شمطاء شاب وليدها
وللناس فيما يعشقون مذاهب

وخطب بدوى فتاة فقال: «ويش أبى بك شاب؟»

فقال:

الشيب ما هو عيب باخذ الاهاد[1]
كم شايب يفرى[2] دم الجوف فريا
وكم شايب يلعب بمذلوق الاولاد[3]
لا قرت الوزنة وحارن الاريا[4]

---

(١) خذ: غض
(٢) أى يفرى بطون الرجال وقت النزال.
(٣) يغلب الشاب الوسيم.
(٤) اذا تدافعت الخوم وانحسرت الآراء.

ومن امثالهم: (ما يعقلها الا شايب) وقولهم: (الشيب ما هو عيب) أو (الشيب ولا العيب) ويقول شاعر عراقى لا اذكر اسمه:

عيرتنى بالشيب وهو وقار
ليتها عيرت بما هو عار

وعندما رأى مصطفى لطفى المنفلوطى شعرة شيب فى رأسه اعتبرها نذير الموت.. وقلما تجد شاعراً أو حكيما لا يدلى بدلوه فى التأفف من الشيب أو الدفاع عنه.

وهذا جميل بثينة يشد رحاله الى مصر ليمدح عبد العزيز بن مروان فتفزع إليه بثينة فيقول:

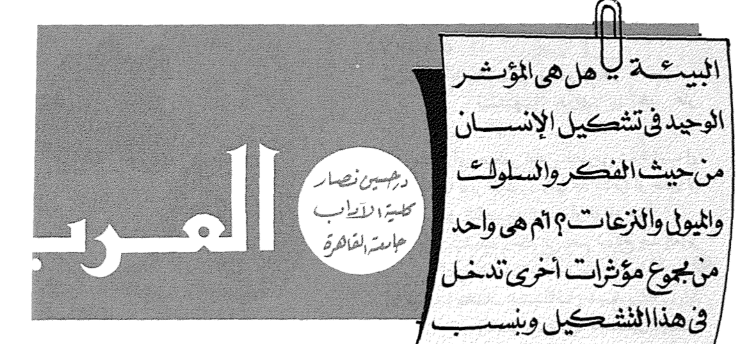
ألا ليت ريعان الشباب جديد
ودهراً تولى يابثين يعود
فنبقى كما كنا نكون وانتم
قريب وإذ ما تبذلين زهيد
وإن أنس م الاشياء لا أنس قولها
وقد قرَّبت نضوى أمصر تريد؟

ومعذرة للشيبان فما أردت نيلا من طموحهم ولا أردت تنفير ربات الحجال منهم انما هو تحصيل ولست أنا عنكم ببعيد.

٥٤ حلاوة الهلال

شربنا بكأس الفقر يوماً وبالغنى
وما منهما الا سقانا به الدهر
فما زادنا بغياً على ذى قرابة
غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

حاتم الطائى



فى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى سادتَ النظرة العلمية على الدراسات الانسانية عامة والدراسات الادبية خاصة، مثل نظريات سانت بيف . . وتين . . وبرونتيير فى التاريخ الادبى والنقد.

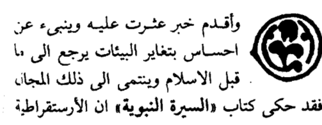
وكان من هذه النظريات نظرية سميت بالحتم البيئى التى ذهبت الى أن الانسان وجميع الكائنات وكل ما يصدره الانسان وغيره من هذه الكائنات ابن للبيئة التى يعيش فيها. أى أن البيئة تشكل الانسان وتفكيره وأعماله وميوله وبقية الكائنات ولذلك وُسِمَتْ بالحتمية.

ومع التقدم العلمى وجد العلماء أن هذا القول فيه اسراف شديد ويهمل مؤثرات أخرى متعددة فى الانسان والكائنات . . بل يهمل قدرات الانسان على التكيف والتحمل والتغيير. وأخذوا يقلصون من أبعاد هذه النظرية الى أن وصلوا بها الى المجال المعتدل الذى اقتصر على جعل البيئة أحد المؤثرات القوية فى الاحياء وما ينتجونه.

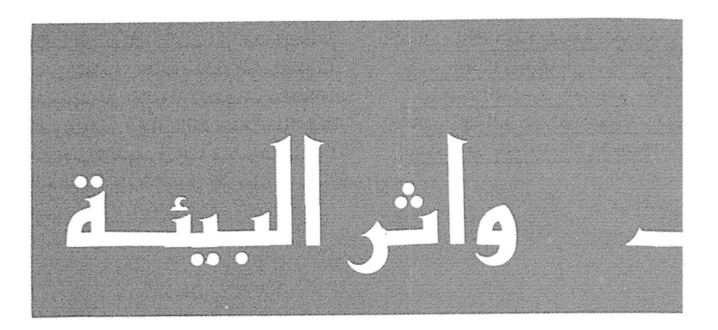
وعلى الرغم من حداثة هذه النظرية لا يمكن الظن أنها قفزت من فراغ مطلق أو بزغت فجأة على أرض جرداء . . فقد وُجدَ أفراد كثيرون فى عصور متباعدة - بل من أقدم العصور - فطنوا الى تغاير الناس فى البيئات المختلفة وأن البيئات لها آثارها . . وأعلنوا هذا الذى فطنوا اليه وان لم يصلوا به الى ما وصل اليه فى العصر الحديث بطبيعة الحال.

وعن هذه الاقوال نبحث فى هذه المقالات ونحاول أن نتبين أبعادها. ولما كان ما عثرتُ عليه من أقوال متعدد الجوانب رأيت أن أصنفه الى مجالات مختلفة . . وأبدأ بأقدم هذه المجالات.

المجال اللغوى



وأقدم خبر عثرت عليه وينبىء عن احساس بتغاير البيئات يرجع الى ما قبل الاسلام وينتمى الى ذلك المجال فقد حكى كتاب **«السيرة النبوية»** ان الأرستقراطية



لقرشية كانت تبعث بأطفالها مع نساء القبائل النجدية لينشأوا فيها. . وأن جد محمد بن عبد الله ـ نبى الاسلام فيها بعد ـ حرص على هذا العرف على الرغم من وفاة أبى الطفل وعدم غناه. . حقا كانت هذه الارستقراطية تبغى النشأة الصحية السليمة لأطفالها. ولكن بعض الدلائل التى لدينا تدل على أنها كانت ترى أن اللغة العربية فى نجد أسلم وأفصح من عربية مكة. نعرف ذلك من قول النبى: «**انا أفصح العرب بيد أنى من قريش. . وانى نشأت فى بنى سعد بن بكر**». . فقد رد فصاحته الى سببين احدهما: نشأته الأولى فى بنى سعد من أهل نجد.

ونتأكد من هذا عندما نعرف ان هذا العرف بقى مُلْتَزَماً فى الاسلام. . فقد حرصت عليه أرستقراطية الدولة الأموية ـ تلك الدولة التى عُرِفَتْ بالتمسك بالأعراف العربية القديمة فتمسك خلفاؤها ـ على الاقل ـ ببقاء الاتصال ببدو نجد وتنشئة أطفالهم عندهم بل تزوج الخليفة الأموى الأول معاوية بن أبى سفيان من بدوية حافظت على زيارة البادية والتردد عليها. . والاقامة فيها مددا اذ كانت تفضلها على قصور الخلافة فى دمشق تلك هى «**ميسون بنت بحدل**» التى أنجبت له ابنه ذا المزاج البدوى وخليفته فى الحكم يزيد الأول. وأخلَّ الخليفة عبد الملك بن مروان بذلك العرف فلم يرسل ابنه الوليد الى نجد لفرط حبه اياه وخوفه عليه. فانحرفت لغته على النموذج النجدى فندم عبد الملك وقال: «أضرَّبنا حبنا للوليد فلم نرسله للبادية».

ولم أعثر على أخبار من العصر العباسى تؤيد أن الارستقراطية الجديدة حرصت على هذا العرف. والحق أن هذه الارستقراطية كانت تختلف عن الارستقراطية فى الدولة السابقة فى العرق والفكر والطموح والسلوك فلا غرابة أن تهجر العرف القديم.

وعلى الرغم من ذلك لم يندثر الأساس الفكرى لهذا العرف وبقى له تأثير خاص فى بعض فئات المجتمع الجديد الذى اختلطت فيه العناصر العربية والعناصر غير العربية التى ضمتها الخلافة ـ وخاصة العناصر الفارسية ـ اختلاطا وثيقا. فعندما عزفت الارستقراطية عن ارسال أبنائها الى الصحراء سعت الفئات العربية المحافظة فى السنوات الأولى من حياة المجتمع العباسى وفئة علماء اللغة ـ تلك الفئة التى ظهرت منذ أواخر العصر الأموى كذلك الفئات التى

أرادت التشبه بالعرب سعت كل هذه الفئات الى عكس الظاهرة . . فرحبت بالبدو القادمين من نجد وشجعتهم على القدوم . . وقدمت لهم ما استطاعت لتهون عليهم البقاء المؤقت (كيلا يطول البقاء فتنحرف لغتهم) فى المدن . . وعدَّتهم زينة المجالس . . واستقبلتهم فى قصورها . . واستمعت اليهم فى اصغاء واعجاب بالغَيْن . . ودونت أقوالهم .

ويتجلى أثر ثان فى فئة علماء اللغة . فقد حافظوا على التصور القديم الذى يجعل من لغة نجد مثالا ترنو اليه الابصار ويسعى الافراد الى معرفته واحتذائه . . فدفعهم ذلك الى الرحلة الى نجد لتحقيق آمالهم واوصوا كل من يريد علم اللغة بذلك . ولسنا نعرف يقينا اول وآخر من قام بهذه الرحلة والسبب فى ذلك أن العلماء الاوائل كانوا إما عربا خلصا مثل أبى الاسود الدؤلى ويحيى بن يعمر العدوانى وإما أعاجم عاشوا فى كنف قبائل فصيحة مثل عبد الله بن أبى اسحاق الذى نزل فى آل الحضرمى وعيسى بن عمر الذى نزل فى ثقيف ولكننا نعرف أن هذه الرحلة صارت عرفا موضع احترام واعزاز منذ أبى عمرو بن العلاء واستمرت الى القرن العاشر . قال الجوهرى فى مقدمة معجمه المعروف بالصحاح : «فانى قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندى من هذه اللغة . . بعد تحصيلها بالعراق رواية واتقانها دراية ومشافهتى بها العرب العاربة فى ديارهم بالبادية» .

بل وصل الامر بالأزهرى الى أن يستثمر الأسر الذى وقع فيه فى أثناء رحلته الى الحج واضطره الى الاقامة عند آسرته عندما وجدهم من العرب الفصحاء . . قال فى مقدمة معجمه «تهذيب اللغة» : «دعانى الى ما جمعت فيه من لغتهم وألفاظهم . . والاستقصاء فيما حصلت منها . . والاستشهاد بشواهد أشعارها . . تقييد نكت حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيات ـ اد كان ما أثبته أئمة اللغة فى كتبهم لا ينوب مناب المشاهدة ولا يقوم مقام الدربة والعادة» .

ولم يقف علماء اللغة عند حدود نظرة العرب القديمة بل تخطوها الى ما وراءها . . واعتدل بعضهم فقنع بالحكم على بعض الشعراء الذين قضوا حياتهم خارج حدود نجد بالبعد عن اللغة النموذجية أو عدم أخذ اللغويين عنهم كما أخذوا عن لغة غيرهم . قال الأصمعى «العرب لا تروى شعر أبى داود وعدى بن زيد وذلك لأن ألفاظهما ليست بنجدية . وقال أبن قتيبة : «أتى (عدى بن زيد) بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب . . وعلماؤنا لا يرون شعره حجة على الكتاب» وعلى الرغم من شيوع أمثال هذه الأقوال بين العلماء والنقاد نقبلها فى احتراس وحذر لأن أصحاب المعاجم ـ وعلى رأسهم الخليل بن أحمد ـ رووا عن الشاعرين وغيرهما من المتهمين بالضعف اللغوى .

●●

ذهبت نظرية الحتم البيئى الى ان الإنسان وجميع الكائنات وكل ما يصدره الإنسان وغيره من هذه الكائنات ابن للبيئة التى يعيش فيها

●●

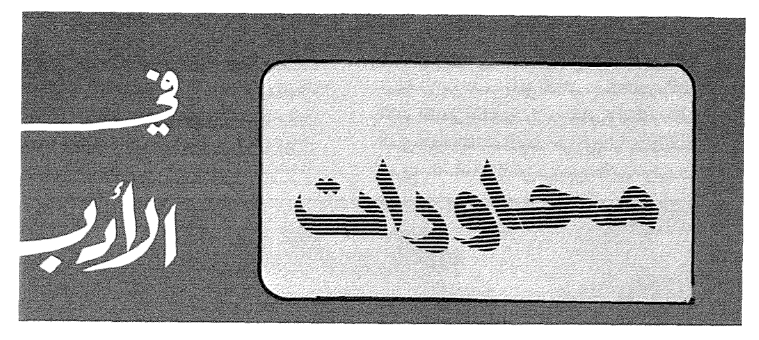
وأسرف بعض علماء اللغة فميز بين اللغات - على أساس من بيئتها - وحكم على بعضها بالفصاحة.. وبعضها بالضعف وانكار اللغويين لها وتركها.. وبعضها بالرداءة والذم.



ووضح الفارابى المقياس البدوى والقبائل المعترف بها وغير المعترف توضيحاً كافيا فى قوله: «الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربى، من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد.. ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين.. ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضرى قط ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم فانه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام - لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان و إياد - لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية - ولا من تغلب والنمر - فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان - ولا من بكر - لمجاورتهم للنبط والفرس - ولا من عبد القيس وأزد عمان - لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة - ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف - لمخالطتهم تجار الامم المقيمين عندهم - ولا من حاضرة الحجاز - لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت ألسنتهم».

فاذا أغضينا عن التطرف الذى يشوب هذا النص ويعيب حكمه على بعض القبائل استنبطنا منه مبدأ قال به علماء اللغة والنحو وتمسكوا به: أعنى ذلك المبدأ الذى ينظر الى لهجات القبائل العربية نظرة معيارية تميز بين لهجات سليمة وأخرى رديئة.. واللهجات السليمة هى لهجات القبائل التى عاشت فى البادية منعزلة عن المؤثرات الخارجية.. واللهجات الرديئة هى لهجات القبائل التى استوطنت بقاعا بعيدة عن البادية وبقاعا فى البادية أو قريبة منها غير أنها اتصلت بشعوب غير عربية كان لها أثرها فى لهجتها.. ومازال هذا المبدأ ملتزما فى علم النحو العربى الى اليوم وان كان المحدثون من علماء اللغة تحللوا من قبضته المحكمة وحصلوا على شىء من التحرر منه.

«البحث موصول»



هـذه المحاورات

تدور هذه المحاورات مع صديق لى لم أصطنعه اصطناع الروائيين وكتاب القصص الذين يتأنقون فى رسم شخوصهم وأحداثهم. . وكذلك لم نصطنعه اصطناع الفلاسفة الذين يقدمون الذات الانسانية فى صورة مجردة من طبيعة الحياة فإذا الشخصية تحمل اسم الانسان ولمحات من خصائصه ولكنها خاوية من الحياة وما لهذه الحياة من إيقاع متنامٍ وواقعية محسوسة.

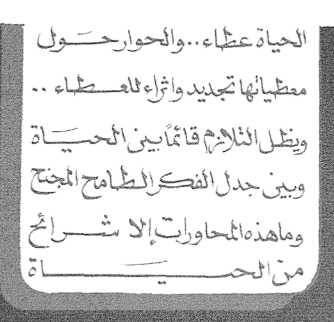
ولم نصطنعه اصطناع علماء النفس الذين يختطون للنفس طرائق محدودة من الأفعال وردود الأفعال وكأن النفس «بندول» ساعة يقذف به الى اليمين ثم يرتد فى حركة محسوبة إلى اليسار. وهو فى ذلك لا يملك من أمر نفسه شيئا. . ولا يملك من أمر حركته شيئا. حسبه أن يتحرك الحركة المنتظمة المقدرة.

لم أصطنع محدثى واحداً من هؤلاء وانما هو شخصية حقيقية: خالطته وعاشرته، وخالطنى وعاشرنى. . فعرف كل منا صاحبه ورضى عما له وتجاوز عما عليه. .

ولقد نشأت هذه المحاورات بينى وبينه على فترات وأوقات نتصل فيها مرة حتى يخيل لمن يسمعنا أنها لن تنقضى أبدا وأننا سنظل فيها ليالى وأياما. . بل وقد يخيل إليه أننا بدأناها منذ ليال وأيام. . وأحياناً لا يتصل الحديث مثل ذلك الاتصال فهو يستغرق دقائق معدودات فيظن من يشاهدنا فيها أننا نتراسل بالبرقيات. . أو يظن أننا غريبان جمعتهما المصادفة وحدها. .

وحوارنا سواء طال أم قصر وسواء امتدت به الساعات أم ضاقت به الدقائق. . اشتد فيه الجدال وعنف أم رقَّ فيه القول وسلس. . تدفقت فيه البينات والملحوظات أم تراخت وكأن الحوار نسمات متراخية كسولة ـ سواء ذلك كله فنحن لا نعد للحوار ولا نتهيأ. . ولا نحتفل به وكأننا ندلى بشهادة فى محكمة أو كأننا نقدم بحثا منطقيا نحتاط له أشد احتياط ونتخذ له من الأساليب والأسانيد ما يخلع عليه صبغة الكلام الرسمى أو «الميرى». . ولكن من واقع الفكر والأدب والحياة. . ومن واقع نفوسنا نحن وما فطرت عليه فإن الحوار يجرى بيننا فطرياً ساذجاً ومتعقلا رزيناً. . ومتلاعباً متعابثا فى بعض الأحيان. . وهكذا. . وهكذا. . جرى تحاورنا معنا أو جرينا نحن معه. . فلا إعداد مسبق إلا ما قد يتصل بمواعيد اللقاء. . فإن جاء فى تحاورنا ثم





قصور فيمكن أن يلتمس لنا العذر فيقال جموح الفطرة. . وان كان فيه ثمة عنت أو قيد فيمكن أن يلتمس لنا العذر فيقال: تلبث العقل وتردده.

كانت محاوراتى مع صديقى الذى عاشرته وخالطته وعرفت عنه وعرف عنى: فأنت حين تجلس إليه فسرعان ما تأنس إليه وتحبه من قلبك فهو يأسرك بطيبته وبشاشته ووده فتجد نفسك مغرماً بالحديث معه وكأنك تعرفه منذ زمن بعيد فطيبته فطرية لا تصنّع فيها ولا تكلف يصد وينفر. .

ومع ذلك فشخصيته تتميز بخصائص ربما اختلفت مع الطيبة ولين الجانب الذى يغلب على أمره. . فهو متقلب الأطوار مختلف الأحوال فأحيانا تستبد به سورة الغضب للأخلاق الكريمة والسلوك الحميد. . فيرى أن الفضائل هى ما يجب أن يسود المجتمع وهى ما يجب أن يتحلى به كل فرد. . فعنده أن سر بلائنا ومصدر محنتنا يكمن فى هجرنا للفضائل والسلوك الكريم.

محمد عبد الواحد حجازى
عضو اتحاد الكتاب بمصر

ومع سورة الغضب للأخلاق فهو أيضا غاضب على الأخلاق أو ما يسميه بالبدع أو «التقاليع». التى تفشت وأشاعت الفساد.

ومن الثورة للأخلاق والثورة على الأخلاق إلى نوع خفيف من إساءة الظن بالناس: فهو سريع إساءة الظن بأقوالهم وأفعالهم. . يأوّل كل حركة أو كلمة يسمعها. . فهم يضمرون غير ما يبدون وأن ما يبدونه إنما هو الظاهر الذى يتعاملون به فهم يراءون به ويخادعون. . لذلك فهو فى ريبة من أمرهم وشك: ريبة تسبب له القلق الذى يركب روحه ويتلبس بجسمه كالشيطان المريد فإذا هو مضطرب الوجدان اضطراب الام التى ضاع منها وليدها فارتاع فؤادها وتشعبت بها الظنون. . ومع إساءة الظن تلك وما تسببه له من حيرة معذّبة ومع ما توقعه فيه من مواقف محرجة مربكة فإنه فى جملة أحواله وغالب أوقاته يحسن الظن بالناس إلى حد السذاجة. السذاجة الطريفة التى تغريك باستثارتها وتشوقك بطيب حديثها ومليح أفعالها. . سذاجة حلوة وتبدو حلاوتها وطرافتها فيما يعلق به على شئون الفكر والأدب والناس.

وما كانت آراؤه أو آرائى سوى دلالة على نظرته إلى الحياة ونظرتى إلى الحياة. . وعلى هذا المحور دارت محاوراتنا لبعض الأمسيات. .

المحاورة الأولى: الحـــور العيـــن

سواء زارنى أو زرته فقد كانت حديقة الليمون هى المكان المحبب لنا والمفضل عند كل منا . . و«**حديقة الليمـون**» أو «**جنينـة الليمـون**» متنزّه صغير فى أقصى مدينة الزقازيق من ناحية الغرب ويقع على شاطىء «بحر مويس» . . وكان لهذا المتنزه بوفيه صغير يديره رجل يونانى أو «الخواجة» كما اعتاد أبناء البلد المتطرفـون أن ينـادوه. وهو رجل جم النشاط جم الأدب حاضر البديهة يستقبلنا بترحاب شديد يجعلنا نحس أن علاقتـه بنـا ليست علاقة صاحب مقهى بزبائن أو رواد بقدر ما هى علاقة صداقة ومحبة تربطنا به وتشدنا إليه.

ولعل اختيارنا لهذا المكان القصىّ يرجع إلى ما طُبعنا عليه من حب العزلة والميل إلى الهدوء . . وهذا المكان «جنينـة الليمـون» معـزول بطبيعتـه عن المدينة . . هادىء بطبيعتـه لوجـوده فى مكـانه هذا. كما يرجع اختيـارنـا إيـاه الى أننى وصديقى من أبناء الريف نعشق الخضرة والماء ونهيم بمناظر الخلاء.

●● و«**بحـر مويس**» الـذى تقـع عليـه «حـديقـة الـليمـون» نهر عذب فرات . . هادىء فى تدفقــه وانسيـاب مائـه . . يجرى وسط حقول خضراء غَنّاء فَرِحـة بزروعهـا وثمارها ومحاصيلها ـ مأنوسة برجالها ونسـائهـا والصبـايا الملاح . . تعانقت على شاطئيه أشجار الصفصاف والحور وتهدلت أغصانها تلامس صفحـة المـاء وكأنها تبث النهر فى هيام ظاهر أسرار الحياة ـ أو كأنها تسر إليه بأحوال الناس وما هم فيه . . فالحديث هنا أنس وهمس ودلال.

●● وأيضـا يرجع اختيارنا لهذا المكان إلى أن هذا الهدوء المسرور ينعم علينا بنفحات منه تداخل الفؤاد فإذا هو مفعم بالشوق إلى مافى الوجود يقول لكل ما فيه :

أحبك . .
أحبك أيتها الشجرة الوارفة . .
أحب أمواجك أيها النهر الساجى القرير
أحبك أيتها الطيور المارقة من أعشاشها . .
أحبـك أيتهـا الرياحين البرية المطمئنة فى حضن الشاطىء الطروب . .
أحبك يا شمس الأصيل . .
أحبك يا نسمات الماء الرقيقة . .
أحبك يا حبيبات الندى وأنت تبتسمين للنور فى الصباح الباكر . .

ماذا أقول؟

إننا فى هذه البقعة ننتشى بهدوء الجمال وجمال الهدوء ولهذا عشقناها ففيها نستريح من عناء العمل . . ونستريح من ضوضـاء المـدينـة التى تشتت الفكـر وتفتـك بالأعصـاب . . ونستـريـح من الامّعيَّـة والسطحية التى تعذبنا وبذلك تتسنىً لنا سويعات من الحبور . . فيها يحلو الحديث عن الأدب والحياة والحب والناس . .

جئته فى أصيل يوم من أيام الصيف وقد ظننت أننى سأفـاجىء صديقى بحضورى مبكراً عنه . . وكم كانت دهشتىَ عنـدما وجدت أنه سبقنى إلى مكاننا المعهود فى «جنينة الليمون» . . وعندما أبصرنى هلل قائلا : أهلاً . . أهلاً . . تريد أن تسبقنى؟ . . هيهات . . هيهات . .

ثم تصافحنا وجلسنا ولم أكد أستقر فى مقعدى حتى نادى «الليمـونـاده يا خواجـه» . . الأستـاذ «مفرهد» من الحر . . أليس كذلك؟ .

قلت : بلى : والله لم يسبق أن اشتد الحر على هذا النحو الذى يسلخ الأبدان ويشوى الوجوه.
قال : من يدرى؟ لعلها لفحة من جهنم . .

ثم جذب نفسين من «شيشته» وبعدها رفع فمه إلى أعلى لينفخ دخان التبغ وسرح مع تلافيفه المتصاعدة وبغير أن يتكلم أشار بمبسم «الشيشة» إلى مجلة كانت إلى جواره على المنضدة . .

فقلت : ماذا؟ . . مجلة جديدة؟ . .

قال : أجل : جديدة . . جديدة فى كل شىء . .

قلت : هكذا أنت دائما . . سباق إلى كل جديد . .

قال : [متهكما] سباق إلى كل جديد؟ هلا تصفحت المجلة؟ . .

فأخذتها وصرت أقلب صفحاتها وبغير أن أرفع رأسى منها.

قلت : جميل : مجلة عن عالم المرأة؟ جميل . .

فقال : يا رجل أى جمال تهتف له؟ تهتف لهذه الأجسام التى خرجت على حيائها؟ أم ـ تهتف لهذه الاعلانات الصارخة التى تزين التمرد على الحياة؟ . .



فرفعت رأسى قائلا : لا هذه ولا تلك ولا أرى فيا أرى خروجا أو دعوة إلى الخروج المفضوح . . ولكننى أهتف لهذا الاهتمام بالمرأة . . لهذه العناية بدنيا المرأة فالمرأة فى حاجة الى الاهتمام والعناية . . وانه لما يبشر بالخير أن تكثر المجلات التى تعنى بشئون المرأة أو شؤون حواء . . تعنى بدنياها واهتماماتها وما هى بحاجة إليه وما يجب أن يتحقق لها فتعجب ساخراً من قولى بابتسامة عريضة .

قلت : فلماذا السخرية يا صديقى؟ أو ليست المرأة هى زهرة الحياة الدنيا؟ . فهز رأسه بالموافقة مع بقية من ابتسامته الساخرة .

قلت : فلماذا إذن تقتر عليها؟ . . لماذا تحرمها من البهجة ولا بهجة للحياة إلا بها؟ . . ولِمَ تستكثر عليها التزين وهى زينة حياتنا؟ .

قال : أنا لا أحرمها وليس ذلك فى طوقى ولا أصبر عليه ولا أرتضيه . . غير أننى مشفق من تصويرها على هذا النحو ومن إغرائها بتلك الأساليب . .

قلت : إن لم تخطئنى فراستى يبدو أنك متألم من شىء معين غاضب على شىء معين .

قال : ولم لا تقول إننى أسيف وجيع؟ . .

قلت : بعيد ذلك يا صاحبى فوجهك رغم ثورتك يفيض بشراً ونضرة وتألقا . .

قال : الحق لقد آلمنى اليوم ما أصاب المرأة . . ألا تدرى أن المدنية الحديثة قد أفسدت عليها جمالها وزينتها وأنها ـ وهذا هو الأمر الغريب ـ تغريها بذلك التشويه وتزين لها الافساد .

قلت : كيف ـ وعافاك الله؟ . .

قال : تصفح يا سيدى هذه المجلة من جديد وستجد فيها البينة على قولى وأشار الى اعلانات مستحضرات التجميل .

قلت : إنها وسائل مستحدثة للتجميل وليست للتشويه أو الافساد . . فمالك أن تغضب وما لقلبك أن يأسى

ويأسف.

قال: أتسمى تلك - وأشار مرة ثانية إلى المستحضرات الخاصة بتجميل عيون المرأة - مستحدثات تجميل؟

قلت: خبرني.. ألست معي في أن عيون المرأة هي مصدر سحرها وزينتها؟

قال: ومن ينكر ذلك؟.. ولكنني أرى أن مستحضرات التجميل قد شوهت الجمال الرباني لعيون المرأة فعبثت بها عبثاً أحالها إلى عيون شيطان رجيم تبعث في النفس الفزع والرعب.. أوَ مثل تلك العيون تغري بالحب؟.. أوَ مثل تلك العيون تبعث الأشواق؟.. أو مثل تلك العيون جديرة بإلهام الشعراء ألحاناً عذبة تزيد البهجة والفرح بالحياة في نفوس الناس؟ هيهات.. هيهات.

قلت: ربما يرجع هذا إلى تطور الحضارة وتقدم العلوم..

وهنا احتد صاحبنا وقال:

●● يا سبحان الله.. جمال العيون يخضع هو الآخر لتقدم العلوم؟.. هل هي قطعة غيار لسيارة أو طائرة أو جهاز تلفزيون؟.. أمرك عجيب: أسرار الحياة يا سيدي لا تتغير ونواميس الوجود لا تتبدل.. وأحاسيس النفوس ودوافعها لا تتحول..

قلت: وهل تَعُدّ العيون من أسرار الوجود ونواميسه؟..

قال: نعم - وهي واحة الأشواق.. يلتقي عندها العشاق فينعمون بأشواق الحياة ويتغنون بها.. ولولا هذه الواحة لما كان لقاء ولولاها لما كانت حياة الناس على هذا النحو العبقري البديع.

وإذا شاقك أن تعرف كيف تكون العيون من أسرار الوجود فاعط وجدانك وخيالك وإحساسك بل وكيانك كله لصوت الشعر. فالشعراء هم أقرب الناس إلى روح الوجود - فهم أرهف إحساساً وأنفذ بصيرة وأقدر على التعبير عن نبض الحياة..

●● انظر - ولا أقول لك اسمع فإن النظر إحساس وتصور ومعرفة - كيف عبر عنترة الفارس البدوي عن إحساسه بجمال العيون فقال:

صادت فؤادي منهنَّ جارية
مكحولة المقلتين بالحو[ر]
أعارت الظبي سحر مقلتها
وبات ليث الشرى على حذ[ر]

المدنية الحديثة افسدت على المرأة جمالها وزينتها وهي لا تفتأ تغريها بهذا التشويه

● بيتان يمثلان صدق الاحساس وحيوية الشعور بالحياة: فعنترة لم يقو على مقاومة عيون محبوبته وكيف يستطيع وما بعيون الغزلان من سحر هو قبس من سحرها؟.. وكيف يستطيع والأسد الهصور يخشى على نفسه من ذلك السحر.. يخشى أن يقع أسير فتنة العيون الحوراء؟.

إن عنترة العبسي الشاعر الفارس الجاهلي صادق الاحساس صادق التعبير عن مشاعره ولواعج قلبه.. وإخال أنه يعبر عن موقف الانسان أمام جمال العيون.. أتعرف؟.. إن العيون الجميلة لها من السحر ما لا يستطيع أحد مقاومته..

قلت: وماذا تعني بالسحر؟.. أهناك ما يمكن [أن]

يسمى بسحر العيون؟ هل للعيون سحر خاص؟ . . ماذا أقول؟ هل لسحر العيون إيقاع انفعالى متميز يحسه ويدركه من يقع أسير سحر العيون؟ . .

قال: بالله عليك لا ترهقنى بأسئلتك ولا تلاحقنى بتفلسفك الذى لا يصيبنى منه سوى القلق والشك . . يا أخى سحر العيون له جمال فطرى يجذبك إليه . . أما كيف؟ فهذا مالا قدرة لى على تفسيره.

●● إن كل ما أعرفه وما أنا متأكد منه كتأكدى من أنك موجود أمامى هذه الساعة هو أن فى سحر العيون يكمن سر الحياة أو أسرار الحياة . .

قلت: وهذا نوع من الفلسفة ولا تؤاخذنى إذا قلت لك إنها فلسفة التخريف.

قال: أنا لا أتفلسف ولا أخرف ولكننى أذكر الحقيقة وأذكرك بها: خبرنى وأصدقنى القول: حين ترى حسناء عيناء - ألا يروعك جمالها؟ ألا يسبيك سحر عيونها؟ ألا يسيطر عليك شعور فياض بأنك تحيا حياة جديدة؟ هل تعرف سر ذلك الشعور؟.

قلت: وأنَّى لمثلى معرفة تلك الأسرار اللدنية . . ؟

قال: حسناً . . أعلمك وأجرى على الذى خلقنى: السر ياصاحبى أن شعاعاً من نور عينيها قد بعث الحياة فى وجدانك وخيالك وإحساسك وكيانك كله . . فيكون إحساسك بذاتك وبمن حولك . . ونظرتك إلى ذاتك والى من حولك وتقديرك لذاتك ولمن حولك . . يكون ذلك كله وجوداً جديداً . . أو حياة جديدة . .

وحديث الفطرة هو دائما أعمق من كل فلسفة وأصدق من أى فيلسوف . . فهو قريب إلى القلب أثير لديه سرعان ما يهفو إليه ويتمثله . وصدق شاعرنا الفارس العاشق عنترة حين قال وقد سحرته عيون حبيبته عبلى:

فتَّانة العينين قتَّالة الهوى
إذا نفحتْ شيخاً روائحُها شبا

قلت: أنا معك ولا أملك إلا أن أسلم بما ذكرت . . فالعيون الفاتنة لها من السحر ما يؤجج لهيب الشوق.

قال: ولكنه لهب خلاق يعيد للحياة جدتها ونضارتها - فإذا ابتلى شيخ بنفحة من روائح العيون أرجعته إلى ريق الشباب وغضارة العمر . . وهل هناك ما هو أجمل من الشباب وأيامه؟ . . إنه ربيع الوجود وأمنية كل موجود؟

قلت: فى الحق إننى أشفق على الشيخ من عيون الحساد لأنها فى تصورى لن ترجعه الى ريق الشباب وغضارة العمر كما تقول بقدر ما تبعث فيه انفعالات الحسرة على شبابه وذاهب أيامه وذلكم بلاء نفسى شديد . . فكأن الاحساس بجمال العيون ليس سهلاً ولا هينا لأنه ليس على طبيعة واحدة أو ايقاع واحد.

قال: فى انفعال حماسى ظاهر - نعم . . نعم . . إنه لا ينتمى إلى ذلك الحس الجامد الكثيف وماله من ثقل حيوانى . . فلربما شاهد من هو على هذه الشاكلة عيونا جميلة لغادة مليحة فماذا تظنه فاعلا؟ وماذا تظنه قائلا؟ . . إن فعله وقوله نظرة اشتهاء جامحة لا تحرك فيه سوى نوازع الحس الأثيم فتخرج منه زفرة مكظومة: ***«عيون حلوة»*** *. .*

ومثل هذا الاحساس الشهوانى بفتنة العيون هو إحساس عابث بالحياة وأثيم فى تقديره لذاته وللحياة.

قلت: أنا معك . . فشتان بين النظرة السطحية المجترئة العابثة وبين النظرة العَفَّة التى تصون ذاتها وتصون غيرها بالحب والايثار والاحترام.

قال: هو ما تقول - الحق هو ما تقول . . سل محبا صادق الحب . . وسل محبا مفعم الوجدان بالحياة . . وسل إنسانا يعمر قلبه حب التعاطف مع كل كائن حىّ . . سله عن سحر العيون . ما هو؟ لا . . لا . . إن تعريف الشىء فى ذاته كما يقول الفيلسوف الألمانى «كنت» أمر مستحيل . . سله عن سحر العيون كيف يتلقاه وعلى أية صورة يتأثر به فإن تشبيه الشىء يعين كثيراً على إدراكه وفهمه ويعطى انطباعاً عن موقف صاحبه من الحياة . . ومن هنا تختلف الصور باختلاف المواقف.

قال شاعر قديم:

وعيون المها ولا كعيون
فتكتْ بالمتيَّم المعْمود
راميات بأسهم ريشها الهد
ب تشقُّ القلوب قبل الجلود

فمن لا يرى عيون الغزلان ثم لا يتوقف متأملا ومتعجباً من جمالها الربانى؟.. ومن لا يرى عيون الغزلان ثم لا يسرع إلى عيون الحسان من بنى الانسان فيتعجب قائلاً وأين هذه من تلك؟ ومع ذلك فعيون المها التى تستوقف الأنظار لما بها من جمال لا تبلغ من قوة الجاذبية ما تبلغ عيون الحسناء الحبيبة من قلب الشاعر الذى ذاب هوى وهياما.. ويرسم شاعرنا صورة حية لما تفعله عيونها بقلبه فيجسد الحركة الخفية لسحرها وهو ينفذ إلى أعماقه كأنه البرق فلا يستطيع له دفعاً ولا يملك إلا الاستسلام لمشيئته..

●● انظر يا صاحبى..

قلت: صبرت عليك طويلاً.. أنظر إلى ماذا؟.. إلى بيتين من الشعر يطلان علينا من وراء ألف عام؟.

فقال: ومع ذلك فهما يعبران عن الفطرة الصادقة التى تحس بها أنت لو أعطيت نفسك لذاتك لأدركت كم أن سحر العيون عنيف ولأيقنت ان شاعرنا صادق فى إحساسه وحبه.. لقد أحس بجمال عيون حبيبته وهى تطلق سهامها فى سرعة خاطفة لا تراها العين ولكن تعيها المشاعر وعياً لا شك فيه..

فأى عيون هى تلك العيون؟.. وأى جمال هو ذلك الجمال؟..

قلت: ألا ترى معى أنها صورة حسية قديمة أن تشبه عيون الحسان بعيون الغزلان؟ وأن يشبه أثر سحرها بالسيوف والسهام؟

قال: إن أبغض شىء الى نفسى أن أسمع كلمة: «تشبيه».. أنا اكره التشبيه.. لا بل أكره مماحكات البلاغيين والنقاد.

■ ها هنا إحساس صادق بالحياة وهو فى ذاته معاناة شائقة رغم ما قد يكون بها من ضنى وعذاب. وهذا هو سر القول بأن سحر العيون كالسهام أو أن سحرها كالسيوف.. ولم يكن فى غابر الزمان ما هو أشد فتكا وأكثر ترويعاً من السيف والرمح والسهم.. ومع ذلك فنحن فى باطننا لا زلنا نخشى الأسلحة الفطرية ونعبر بها عن أفاعيل العيون رغم اختراع الصواريخ على اختلاف أنواعها..

■ فهل تستطيع أن تدلنى على سبب ذلك إلا أن تكون فطرة الحب تقتضى سلاح الفطرة؟

■ أنظر كيف أحس بن سهل الأندلسى بعذوبة العذاب المستكن فى العيون فقال:

وأن الهوى فى لحظ عينيك كامن
كمون المنايا فى الحسام المهنَّد



قلت: فى شىء من المعابثة ـ ويح الناس من العيون. . أهى تسبب ذلـك كله؟. . لكن ألست ترى معى أن شعراءك الأقـدمين هؤلاء قد وقفوا بحبهم عند ظواهر المحسـوس فهم يعشقون الجسد فحسب؟. . فتصورهم وادراكهم يبـدأ به وينتهى به: إذا شبهـوا كان تشبيههم بالمحسوس. . واذا تشوقوا وحنوا كان شوقهم وحنينهم إلى المحسـوس؟. . فلا روح تحلق فوق نوازع الجسـد وأوطاره. . فأين قولهم بل أين شعورهم من قول وشعور الشاعر الفرنسى شارك بودلير حين ناجى عيون حبيبته قال:

عيناك الساحرتان المسيئتان تقودانى وقد أضاءهما ملاك رحيم. .
توأمتـان: أنـا توأمهما الثالث يسكبان بريقهما فى العين البشـرية. . يعصمان من كل شوق وأذى ويقودان خطاى فى طريق الجمال. .
يقـودان عبـدهما الخاضع لأن روحى كلها تطيع ذلك المشعل الحى. .
أيتهـا العينـان: إن جمالكـما ونـوركما أقدس من شموع مقدسة تحترق نهارا. .
وتلقى لهباً قدسيا تزيده الشمس اتقاداً ولا تطمسه
أغنيتك هى الفجر وعيناك نداء البعث. .

وما أن فرغت من إلقاء قصيدة: «بودلير» حتى قطب صاحبنا جبينه ورفع حاجبا وأرخى الآخر. .

وقال: والله إنك لظلوم. . ألا تحسب فارق البيئة والزمن وروح الحضارة. . وكذلك المزاج النفسى؟ أليس لذلك وزن عندك أو تقدير؟. . ومع ذلك فما هو البدع الذى جاء به شاعرك الرجيم؟ إنه نفس يائسة ملحدة محرومة دفعها يأسها إلى التشـاؤم والقنوط. . وإن بدت عليها سمات التحليق الروحى والتسامى الذاتى. . إنه نفس تتمرغ فى مستنقع اليأس وفقدان الرجاء. . فلا تغرنك كلمات مثل **«المشعل الحى» و«الشموع» و«اللهب الصوفى» و«الفجر» و«البعث» فكلها من زفرات اليأس.**

قلت: أتريد الجد الذى لا هزل معه؟
قال: أنا لا أنشد غيره ولا أبتغى سواه. . أنت صحبتنى وخـبرتنى فهـل رأيتنى على غير ذلـك؟ الجد هو ديدنى ومسلكى.
قلت: أنت متحيز ومجامل زيادة عن اللزم. .
قال: أتـآخذنى على حبى للحياة؟. . أنا أحب الحياة وأحب كل من يحببنى فيها. . والفطرة العربية فى كلماتها لا تفعـل غير ذلـك. . إنهـا تجسد لك جمال العيون فى حيويته وآثار سحره فى النفس والشعور والحياة ثم تدعك لنفسك وشعورك وحياتك كى تؤمن يقينا بأن الجمال الذى يزين الحيـاة بالبهجـة ويبتعث الاحسـاس الحى ببهجة الحياة. . إنما هو جمال العيون. .

قلت: عيون المها؟
قال: أجل. .
قلت: العيون الحوراء؟
قال: أجل ـ ثم سكت لحظات قال بعدها: أنت تغالط نفسك ـ أنت لا تصبر على نظرة واحدة من عين حوراء. .
قلت: أرجو ألا تكون كتلك التى وصفها بشار بن برد. .
قال: تقصد أبا معاذ؟.
قلت: أبا معاذ أو أبا عفريت. . المهم ألا تكون على شاكلة ما وصفه. لقد وصف هذا الرجل العيون الحوراء بوصف بارد سقيم كإحساسه البارد السقيم فقال:

إن العيـونَ التى فى طرفهـا حور
قتـلنـنـا ثم لم يحيـين قتـلانـا
يَصْرَعْنَ ذا اللبّ حتى لا حراك به
وهـنّ أضـعف خلق الله إنسـانـا

قال: أنا معك فى هذه فإن هذين البيتين نالا من أصداء الشهرة والاستحسان ما جعلهما درتين يتيمتين يتمثل بهما الناس فى مواقف التعبير عن العيون الجميلة. . فهما قد

خدعـا الأذواق طوال تلك القـرون رغم فجـاجـة ذوق صاحبهـا وسقمـه. . فأى عيـون هى تلك التى تقتـل وتصرع وتسلب الحياة ثم يقال إنها جميلة؟.

الجمال يبشر ولا ينفر. . والجمال يؤنس ولا يوحش. . والجمال يحيى ولا يميت. .

فأين هذا من عيون بشارك التى تقيم المذابح وتنصب المشانق لعباد الله العاشقين؟. . العيون الحوراء على الغادة الحسناء هى أجمل ما يرجوه الانسان ويتمناه فى دنياه وآخرته. . وانه لسر من أسرار الوجود أن يبشر الحق سبحانه عباده الصالحين بالحور العين. . فيقول **﴿وحـور عين كأمثـال اللؤلؤ المكنون﴾** (٢٢ سورة الواقعة) ويقول سبحانه **﴿كذلك وزوجناهم بحور عين﴾** (٥٤ سورة الدخان).

واعتدلت فى جلستى وقلت: «أوعدنا» ثم همست فى أذنه كمن يخشى أن يطلّع أحدٌ على أسرارنا. .

وقلت: وهل يستطيع المرء أن يحظى بحورية من حور الجنة بغير أن تغضب منه زوجته وتنكد عليه معيشته وتفرج عليه: أمة لا إله إلا الله؟. . إن للحور شأناً أى شأن. . ودلالاً أى دلال، فلهن سحـر يبعث فى النفس انفعـالاً عميقاً بحب الحياة والتشبث بها. . بل والتراضى مع أهلها والتصالح مع الوجود. . ولذلك فإن أخشى ما أخشاه هو أن تدب الغيرة بين حور الدنيا وحور الجنة. .

قال: وعلى وجهه لمحة من جد وصرامة ـ أفى ذلك يجوز التعابث؟

قلت: أنـا ما قصـدت إلى التعـابث ولكننى أتسـاءل فحسب. . وأرجو أن أطمئن. .

قال: تطمئن على أى شىء؟.

قلت: أطمئن على أنه لن تحدث خناقات وخصومات بين الضرائر فى الدار الآخرة. .

قال: اطمئن فلن يحدث شىء مما يتهاجن به ضميرك. . أمـا قرأت قوله تعالى **﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾** (٤٧ سورة الحجر). .

قلت: أؤكد لك أننى لا أتعابث. . إنما أنا طالب معرفة. .

قال: نعم ولكننا الآن فى مقام الايمان والتسليم

قلت: وأنا مؤمن غاية الايمان. . وأعتقد أن الايمان لا يقهر الخيال ولكنه يتيح له من الآفاق ما يزيده ثراء خلاقاً يثرى الحياة ويتسامى بنظرة الأحياء.

قال: أنت تقترب قليلاً من أبى العلاء المعرى فبوحى من خيـال مؤمـن رسـم صورة تبـين جمال الحـور العـين ومنزلتهن. . وتبين أيضا أن أشواق الانسان للغيد الحسان فى الدار الآخرة تزداد ولا تنقص. . فهذا أحد الذين أنعم الله عليهم بنعمة الرضوان وقد مر به أحد الملائكة فيسأله فى لهفـة: «يـاعبـد الله أخبر عن الحور العين» أليس فى الكتـاب **﴿إنّـا أنشأناهنَّ إنشاءا فجعلناهنّ أبكاراً عرباً أتـرابا لأصحاب اليمين﴾** . . فيقول الملك: هنَّ على ضربين ضرب خلقه الله فى الجنة لم يعرف غيرها وضرب نقله الله من الدار العاجلة لما عمل من الأعمال الصالحة فيقـول وقد هكر مما سمع: أى عجب: فأين اللواتى لم يكنَّ فى الـدار الفانية وكيف يتميزن من غيرهن؟ فيقول الملك: أقْفُ أثرى لترى البدىء من قدرة الله. . فيتبعه فيجىء الى حدائق لا يعلم كنهها إلا الله فيقول الملك: خذ ثمرة من هذه الثمار فاكسرها فإن هذا الشجر يعرف بشجر الحور. . فيأخذ سفرجلة أو رمانة أو تفاحة أو ما شاء الله من الثـمار فيكسرها فتخرج منها جارية حوراء عيناء تبرق لحسنها حوريات الجنان».

قلت: لعلك تتفق معى فى أن خيـال أبى العـلاء خيال متشكك عابث؟ أليس فى قوله إن حور الجنان يخرجن من سفـرجلة أو رمـانة أو تفاحة دليل على التشكك والعبث؟.

قال: بل قل دليـل على الاحساس الحى الصادق بالحياة والوجود. إنه يعلم أن للعيون الجميلة أثرها فى النفس وأثرها على السلوك والأخلاق. . ويعلم أن للعيـون الجميلة نوعـاً من القدرة على تفتيح أكمام الأمـل فى النفس فستنقذ الانسان من براثن اليأس،

●● العيون هي الواحة التي يلتقي عندها العشاق ويتغنى بها الأدباء ●●

القنوط . . وتستنقذه من الضياع والحيرة . . فإذا جاء أبو العلاء وقال إن العبد الصالح إذا ما حدثته نفسه بالحور العين يقضي معهن وقتاً هنيئاً فإنه لواجدها في كل رمز من رموز الحياة: في التفاحة . . في الرمانة . . في السفرجلة . . في الوردة . . في القرنفلة . . في كل ثمرة وزهرة.

قلت: تريد أن تقول إن العيون الحوراء تزين الحياة الدنيا وتحبب فيها وتجلوها للناظرين.

قال: أجل وهذا هو شاعرنا عبد الرحمن شكري إحساس رقيق بجمال العيون خلع على الليل في غيهبه الذي يتجهمه الكثيرون ويخشونه فتنة من فتنة العيون سحراً من سحرها ـ اسمع واصدقني الرأي ولا تكن شاكسا . . لقد قال:

رقَّ الظلامُ بليلة
حوراء كالطرف الكحيل
سحر العيون كسحرها
بين الشواهد والشكول
في فتنة الحدق الملاح
ونعمة الطرف الكليل

● ها هو ذا قد جعل ظلام الليل رقيقاً جميلاً كعين الحوراء في رقتها وجمالها . . وأكثر من هذا فإن إحساسه العميق جعله يتصور أن العيون الحوراء هي التي استعارت سحرها وفتنتها من سحر تلك الليلة الفاتنة والتي لولاها لفقدت العيون سحرها وانطفأت ملاحتها . .

قلت: هذا شيء بديع . . عبد الرحمن شكري كان فناناً أصيلا لكنه في صورته التي رسمها كان سطحيا . . فهو يعقد مقارنة بين العيون الحوراء وبين ليلته الرقيقة يحاول فيها أن يرتفع فوق الاحساس المادي كي يخلق صورة رمزية رفيعة مجردة من غلواء الحس فجاءت فيها أرى مجردة من الحياة بنبضها وحيويتها ورونقها . .

وما أظن أن العيون الحوراء تسبب جفاء وجفافا . . إنها كما قلت أنت تخلق الحياة والأمل في الحياة والحب للحياة . .

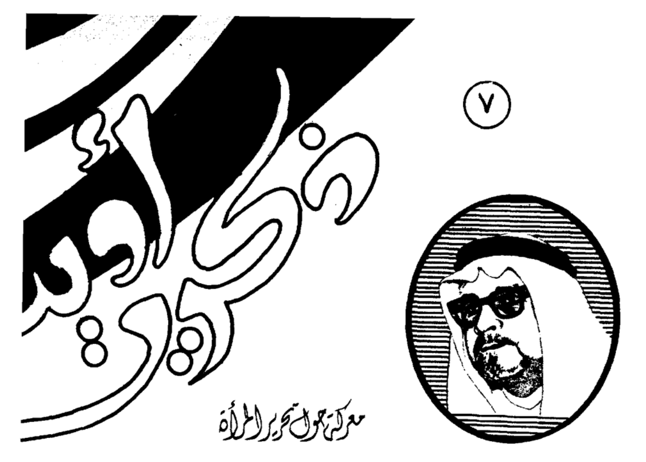
فخبرني الآن ولا تعجل عليَّ بالغضب. أهذا إحساس صادق أم أنه صنعة فنان حاذق؟.

●● ولئن أسمعتني تصوير عبد الرحمن شكري للعيون فإن أمامنا ما قاله شاعرنا «شارل بودلير» فهو صادق فيه غاية الصدق معبر عن إحساسه أعمق تعبير. . فالنور الذي يشع من العينين له سحر ـ سحر يخضع له الانسان خضوع الطاعة والرضا لأنه سحر ينقذ من المحن وينجي من الأذى. وليس هذا فحسب: فهو يطهر الوجدان ويزكيه من رهق الأنانية والشره فإذا الانسان لا يحب سوى الجمال ولا يعمل إلا ما هو جميل . . وتلك من معاني الجمال التي تبتعثها العيون الجميلة في النفس.

ثم نظر إليَّ لحظات وبعدها قال في هدوء:

ما أود أن أؤكده لك هو أن الانسان لا يستطيع أن يقاوم ما للعيون من سحر فتان فهو يذعن مستسلماً لما تريد وكأنها من ربات الأساطير تأمر فإذا أمرها مطاع . . وتريد فإذا إرادتها إبداع وتجديد . .

« البحث موصول »



لا شك أن العمل الصحفى جهاد فكرى ويدوى والعامل فى هذا الميدان مجاهد بفكره وقلمه والمتاعب فى هذا الميدان كثيرة والمصاعب جمة. . ولابد لمن اراد ان يدخل هذا الميدان من صبر جميل إلى جانب الثبات على المبدأ والمنهج اللذين اختارهما. ونحن كمسلمين نعيش فى ديار اسلامية. . هى قِبلة المسلمين وملتقى أنظارهم وأفكارهم وأفئدتهم ـ لابد لنا من الالتزام بمبدأ الاسلام ومنهجه والثبات عليهما والجهاد فى سبيلهما والصبر على ما يطرح فى طريقهما من عثرات وعقبات. .

فى سنة ١٣٨٣هـ وبالتحديد فى يوم ٥ صفر من هذه السنة كتبت إحدى المحررات فى جريدة «عكاظ» مقالة تحت عنوان (هل نقتدى) تحدثت فيها عن الملكة ثريا زوجة امبراطور إيران ـ السابقة(١) ـ وانها بعد طلاقها من الشاه تعتزم العمل كمطربة فى احدى دور الأوبرا الأوروبية.

وقالت الكاتبة: إن هذا الخبر بالنسبة لغيرنا عادى. . أما بالنسبة لنا كعرب وشرقيين تكبلنا العادات وتشدنا التقاليد اليها فإنا نجد ان مثل هذا النبأ يثير الانتباه ويوقظ الاشمئزاز.

واضافت الكاتبة: ان ثريا أجرأ من الكلمات الناقدة والتساؤل الساخر وهذا ما أتمنى أن تكون عليه فتياتنا فتيات الأسر العريقة اللاتى يعشن فى الدور الأنيقة. . وسط كلمات: عيب وعار.

واستنكرت المحررة ان تكون بين فتياتنا الأديبة والصحفية ولا تكون المطربة والراقصة وفيهن ذات الصوت الجميل والقد النحيل؟ وقالت: إنها واثقة ان بين فتياتنا «أم كلثوم» و«فيروز» ولكن العادات والتقاليد تحجبهن. وتلك والله مأساة العصر الذى يجب أن نؤمن فيه بالواقعية ونعمل على إخراج ما طمر تحت أنقاض التعاليم الموروثة.

ثم نادت الكاتبة: أيها المواطنون ليس الغناء عيباً ولا الرقص عاراً وعطفت إلى الفتيات فقالت لهن: أيتها الأخت الجميلة إذا كان لك صوت جميل او تجيدين التمثيل. . وحركات الرقص. . فهلمى جريئة كثريا ومن يدرى فقد تكونين كأم كلثوم أو فيروز أو فاتن حمامة. . فهؤلاء سيدات فاضلات وغداً بعد الحياة خالدات.



ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جديدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

هذا بعض ما كتبته المحررة فى جريدة عكاظ قبل ثلاثة وعشرين عاماً ـ ولما كانت جريدة **«الندوة»** ـ التى كنت مديرا لتحريرها ـ حاملة لواء الدفاع عن الاخلاق والقيم والمبادىء الاسلامية التى أطلقت عليها الكاتبة اوصاف: العادات والتقاليد وركام الموروثات وأنقاض التعاليم ـ هجم المواطنون عليها برسائلهم وردودهم وتعقيباتهم على هذه الدعوة الساخرة الى خروج الفتاة السعودية لممارسة الغناء والرقص.. اقتداء بثريا امبراطورة ايران السابقة وبأم كلثوم وفيروز وفاتن حمامة.

جاء فى رسالة الاخ (عبد المعين شرباصى) المطالبة بإنزال عقوبة على الجريدة التى نشرت المقالة وذلك بمنعها عن الصدور مدة ثلاث شهور. وقد وصف الكاتبة بأوصاف أستحي من ذكرها.

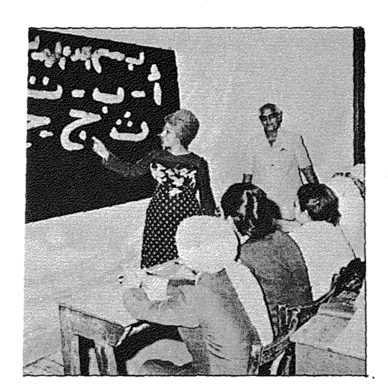
وقال الأخ (عبد الرحمن المنيعى) فى خطابه: ان الرقص والراقصات ليس لهن مكان فى هذه الديار المقدسة والبلاد الاسلامية الشريفة ودعا الكاتبة الى الاهتمام بما ينفع المواطنين والمواطنات من طلب للعلم وسعى للعمل الصالح واتصاف بالخلق الكريم واتجاه الى بناء المجتمع النظيف العفيف.

اما الفتاة (فاطمة حكيم) فقد كتبت فى رسالتها تقول: (عيب ياثريا) وتلوم بشدة كاتبة المقالة على دعوتها الفتيات السعوديات الى ممارسة الرقص والغناء.

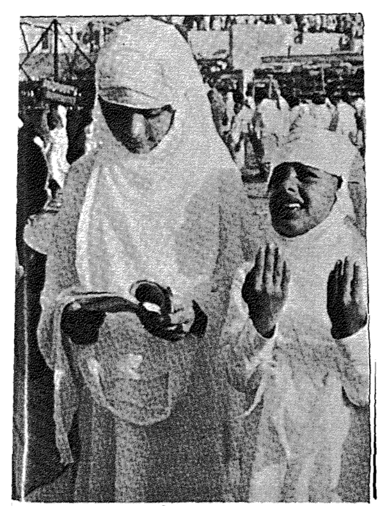
وقال قارىء اختار الرمز لاسمه (بفتى الحجاز) إن تقاليدنا العربية الاصيلة ومبادىء ديننا الحنيف.. سياج منيع فى وجه هذه الدعوة الى الرقص والغناء بالنسبة لفتياتنا المحافظات الفاضلات الشريفات، كما أن الاذاعة ترفض قبول هذه الدعوة السافرة التى وجهتها الكاتبة المتحررة.

واكتفى ـ من قبيل الذكريات ـ بما سبق لأن الرسائل التى وجدتها بين أوراقى كثيرة لا يتسع لها المجال ولكنها تدل على غيرة المواطن السعودى والمواطنة السعودية على الأعراض والحرمات والأخلاق فى ديارنا المقدسة.

وحسبى ان اذكر من اسماء المعقبين على دعوة الكاتبة المتحررة ـ غير ما ذكرت ـ الاخ محمد صالح اللحيانى وفؤاد حسن حبيب الله . . من قبيل الاحتفاظ بحقوقها فى إنكار المنكر والأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير كما هو شأن المسلم الصادق والمؤمن المخلص والمواطن الأمين.



ومن رسائل القراء التى وجدتها بين اوراق ذكرياتى الصحفية ـ رسالة من الأخت «أنيسة بشير» تعقب فيها على ندوة إذاعية انعقدت فى ٨/ ٢/ ١٣٨٢هـ . . طرحت فيها فكرة تشغيل المرأة إلى جانب الرجل فى الاعمال الادارية وبخاصة كمضيفة فى الخطوط الجوية السعودية . . وكان أهم عنصر فى تعقيب الاخت انيسة انها طالبت بتعليم المرأة وتشغيلها فى مجالات الطب والتدريس فى المحيط النسائى . . حيث نفتقر الى الطبيبات والمدرسات الوطنيات.



ومن أجل هذه القضية نفسها وعلى موضوع الندوة الاذاعية ذاتها كان تعليق آخر من أحد مدرسى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة إنه فضيلة الاستاذ عطية محمد سالم الذى كتب إلى رئيس تحرير الندوة رسالة مطولة مفصلة تعرض فيها اولا للوضع الاسلامى المنهار الذى يحتاج الى محافظة ومحاولة لاعادة بنائه وتقويته وحمايته من معاول الهدم والتخريب.

ثم اشار الى كلمة للشيخ أبى تراب الظاهرى يقول فيها بإباحة الغناء وانه ليس حراماً.

واخيراً اعترض الشيخ عطية محمد سالم على المتحدثين بالندوة الاذاعية لما دعوا إليه من رفع حجاب المرأة وأنه لا بأس بخروجها سافرة ـ وأنذر بأنه لن يكون وراء الغناء والسفور والتبرج الا الانحلال والضياع كما حدث لبلاد اخرى حيث لا حدود تصان ولا محارم تراعى.

ومواجهة للفكرة نفسها ومقاومة لأخطارها جاءت رسالة الشيخ محمد بن حريب يدعو فيها الجمعية النسائية الخيرية لمواجهة دعوات السفور والتبرج واحتراف الغناء والرقص ـ وقال: فلتجند هذه الجمعية الخيرية أعضاءها من النساء الفاضلات للانتشار فى مجتمعات المرأة ودعوتها الى التمسك بآداب الاسلام واخلاقه وملاحظة انها تعيش فى بلاد مقدسة وبين مواطنين هم مناط القدوة من غيرهم من المسلمين فى العالم كله.

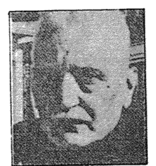
ودخل الميدان نفسه وحمل السلاح فيه مواطن آخر هو الأخ «يحيى عبد الغنى زمزمى» والأخ «ناجى بن عبد الله». . فقد استنكرا فى رسائلهما الدعوة الى الغناء والرقص والى السفور والتبرج وطالبا المواطنات السعوديات بالتزام الادب الاسلامى.





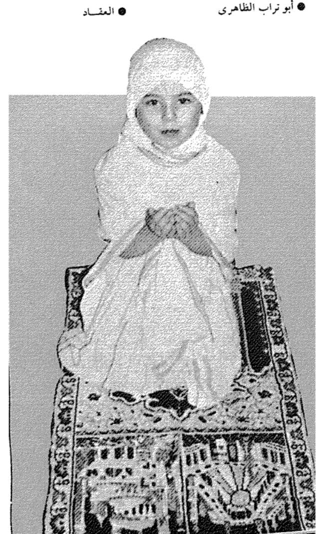
● قاسم أمين

● حسين سرحان



● أبو تراب الظاهرى

● العقاد



حول اهتمام المرأة بالادب السهل

وفى المحيط النسائى. . كان لى تعليق على ما نشرته مجلة (المصور) المصرية فى ١٣٧٥/١٠/٢٢هـ ـ ١٩٥٥م عن مدى انتشار القراءة الأدبية بين الطلبة المصريين جامعيين وثانويين وشعبيين ـ سألت المجلة بعض النساء المشتغلات بالحركة الأدبية كتابة واذاعة وتأليفاً عن ما يؤثرنه من ألوان الأدب وأشخاص الادباء.

ومن العجيب الذى يلفت نظر الناقد الأدبى ـ أنهن اتفقن على إيثارهن لمطالعة الدراسات الأدبية وأدب التراجم التى يكتبها طه حسين وتوفيق الحكيم ومحمد كامل حسين وفكرى اباظة.

ولم تذكر واحدة منهن الاستاذ العقاد كاتب الشرق الأول فى أدب التراجم وكاتب الشرق الاول فى مختلف الدراسات العلمية والأدبية والفنية. ومؤلف العبقريات التأريخية الشهيرة وغيرها من عبقريات فكرية وأدبية وتأريخية لا يتسع المجال هنا لتناولها

بالسرد والاحصاء وهي معلومة لدى القراء.

ومازلت اذكر رأى الاستاذ حسين سرحان فى العقاد ـ فهو عنده أبلغ كتابة فى ادب التراجم من الكاتب الغربى الشهير أميل لود فيج.

وأنا لا اهضم الكتاب الذين اختارتهم اولئك الأديبات ليكونوا لهن رواداً واساتيذ.. ولكننا نعلم أن هؤلاء الكتاب ـ مع امتيازهم فى مدارسهم الأدبية الخاصة ـ يمتاز اسلوبهم فى الدراسات الأدبية وتراجم الشخصيات التأريخية بالسهولة الفكرية والتعبيرية معاً.. إنه اسلوب السرد والرواية والقصص والمقارنة السهلة والاستنباط القريب مع قليل من الأحكام والآراء الخاصة المبنية على هذا الأسلوب من الدراسة فهى مثله قريبة سهلة لا يحببها إلى القراء الا التعبير الحديث.

ولا كذلك العقاد فهو مدرسة وحده.. مدرسة التعمق والتأمل والاستنباط بعيدة المدى جدا.. مدرسة المراجع الكثيرة المضنية التى تنقطع دون بلوغ شأوها انفاس الكثيرين من ادباء العصر.

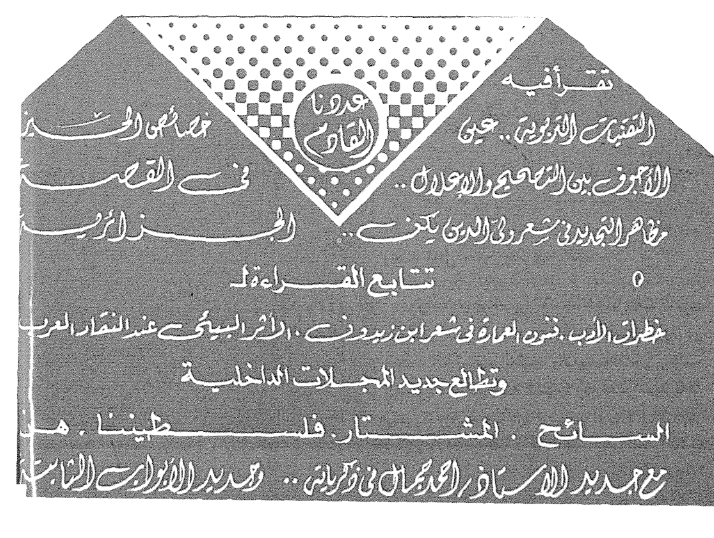
ان القارىء الذى يريد ان يتأدب أدباً سهلا يتأثر بتوفيق الحكيم وطه حسين والقارىء الذى يريد أن يتعلم علماً غزيراً يتأثر بأدب العقاد.

اما الشىء الذى قلت فى صدر كلمتى: إنه عجيب ولافت لنظر نقاد الأدب.. فهو أن المرأة مهما اشتغلت بالدراسات الأدبية فهى لا تطيق بطبيعتها العاطفية والرقيقة ادب الفكر الجبار وتفضل الأدب السهل من روايات وقصص ولا تتعب كاتبها فى درس وتحقيق واستنباط ولا تتعب قارئها ـ بالتالى ـ فى تأمل وتفكر وتمحيص[٢].

---

(١) عندما اخرج الشاه من ايران فى أعقاب الثورة الاسلامية كانت زوجته (فرح ديبا).

(٢) بالمناسبة كتب الاستاذ عبد الله باجبير فى الشرق الأوسط فى الصفحة الأدبية يوم ٢٣/ ١١/ ١٤٠٦هـ ـ ٣٠/ ٧/ ١٩٨٦م عرضا لكتاب «المرأة والقطة» للأخت «ليلى العثمان» وكرر فى كلامه عن قصة الكاتبة وصفه لاقلام الكاتبات بالأقلام الناعمة واعترف بانه من انصارها وقال: انها قليلة بالنسبة للأقلام الخشنة يعنى أقلام الكتاب الرجال.. الذين وصفهم بعالم الشوارب.





تغرّب عن الأوطان فى طلب العلا
وسافر ففى الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



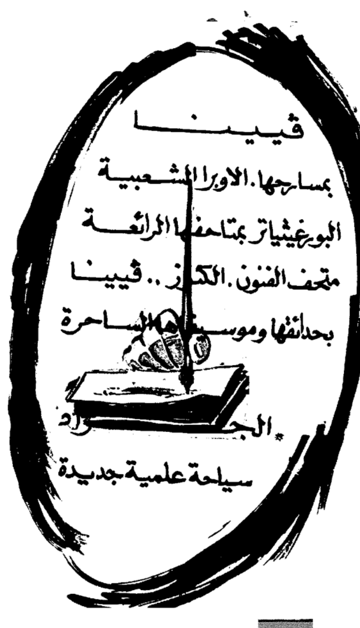
● ڤيينا .. حدائق وموسيقى "التحرير"

● الجراد .. سياحة علمية "د/كارم غنيم"

ڤيينا

حدائق وموسيقى

إستطلاع مصور قسم التحقيقات



وقفات قبل البدء

● النمسا تحوى تسع مقاطعات هى : (فورار لبرج - تيرول - سالزبورج - كرنثيا - ستيريا - النمسا العليا - النمسا السفلى - بيرجنلاند - فينا). يغلب على سكانها المذهب الكاثوليكى واللغة الألمانية . . وتشغل جبال الألب ثلاثة أرباع النمسا . .

● بلغت فيينا ذروة مجدها وأبهتها كمركز للعلوم والفنون وبخاصة الموسيقى التى لمع فيها (موتسارت - هايدن - بيتهوفن - شوبرت - برامس).

● اشتهرت كمركز للطب والعلاج النفسى فى القرنين (الثامن عشر والتاسع عشر).

● أصاب فيينا تخريب ذريع فى الحرب العالمية الثانية واستولى عليها الجيش الروسى فى ابريل ١٩٤٥، ثم احتلتها القوات الروسية والامريكية والبريطانية والفرنسية وجلت عنها فى ١٩٥٥م بابرام النمسا معاهدة صلح مع الحلفاء.



ما بين الماضي والحاضر

«عشرون قرناً» تمثلت فيها مسيرة حضارات كاملة.. تعاقبت فيها نماذج رائعة من الفنون والمعمار والموسيقى سجلها التاريخ أمجاداً غابرة وحاضرة.. عشرون قرناً من تلك الروائع احتضنتها مدينة فيينا عاصمة النمسا.. وساعدها على ذلك مجموعة عوامل ومسببات حيوية منها موقعها المميز بين (الشرق والغرب).. الزائر لهذه المدينة الجميلة يأخذه عمق التاريخ وجمال الفنون وتفرد المعمار وتنسيق الحدائق.. تضم بين أضلعها تاريخاً حافلاً بالإبداع .. تشتم بين جوانبها عبق التاريخ.. تكرست فيها الصورة الفكرية والجمالية للامبراطوريات القديمة وتعايشت التقاليد العريقة جنباً إلى جنب مع حيوية الحياة العصرية.. هذا التلاقى يجعلنا نلمس بصمات الأباطرة الرومان محفورة على الحجر. ونقرأ صفحات الفن الرومانى - العمارة الغوطية - الباروكية عبر التماثيل والقصور المنتشرة فى المدينة.. كلها شواهد على عراقة تاريخها.. الغابات وخضرتها - الحدائق وروعتها..

● من أسماء فيينا القديمة (فيينى - فندومين - فندوبونا).

● عام ١١٣٧ يعد اول تاريخ يذكر فيه اسم العاصمة (فيينا) باعتبارها مدينة.

■ ١١٥٦م قرر مجلس (الدييت الامبراطورى رفع ولاية الحدود الشرقية الى مرتبة (دوقية) وأصبحت فيينا عاصمة لها.

● من العائلات الحاكمة الشهيرة فى فيينا: سلالة (بانبيرغ) وامتد حكمها لثلاثة قرون وانطفأت جذوتها بمصرع الدوق فريدريك الثانى في المعركة التى خاضها ضد الهنغاريين ١٢٤٦م.

●أعقبتها فى الحكم سلالة (هابسبورغ) وأصبحت هذه السلالة وثيقة الصلة بتاريخ فيينا والنمسا بأسرها..

● خلال الحرب العالمية الأولى توفى الامبراطور (فرانسو جوزيف الأول) واختفت بموته امبراطورية سلالة (هابسبورغ) مما أدى إلى قيام الجمهورية الأولى فى النمسا ١٩١٨م.

شجيرات الورد فى فولكس جاردن (حديقة الشعب) الاجواء الرومانتيكية الحالمة فى مقاهى القرن التاسع عشر. . كل ذلك من الطرز الفنية والمعمارية يحقق الانسجام والتناغم فى عقلية فيينا (الحضارية) وملامحها المعمارية. . ووسط ضجيج الحياة العصرية فى العاصمة (فيينا) تأتينا أصداء تلك الألحان الخالدة لمشاهير الفنانين مما يعيد للذاكرة الحان العصر الذهبى للفالس والأوبريت التى كتبها (لانير - زيهرير - شتراوس. . الخ). كل ذلك كأنها تأتينا اصداؤه من بين جدران المدينة معطراً بعبير تلك العُصُر.

● ومدينة هذا تاريخها لا شك قد تشوقنا للتجول فى أنحائها لنرى ونسمع ونشتمَّ ما بين ماض وحاضر - قديم وجديد . . وما أروع الأمس الماثل بين يدى اليوم . . بل بين حاجبى الغد وما أروع اليوم الممتزج بروعة الأمس. . والغد المتولد من كليهما. . نسير فى الطرقات بخطى متمهلة. . فكل شىء يشدنا إليه . . تمهل ولا تعجل . .

ساحة سان ميشيل

وهى احد أهم مواقع مدينة فيينا.

على هذه الساحة تطل الواجهة الفخمة لقصر «هوفبورغ» الامبراطورى.

ومما يلفت النظر فى هذه الواجهة بوابتها الحديدية المؤطرة باربع مجموعات من المنحوتات. . وفى وسط البناء ترتفع قبة كبيرة يقع على يسارها مدخل المقصورة الامبراطورية. . وتتميز قاعات القصر بمساحتها الكبيرة واللوحات الفنية الثمينة التى ترصع جدرانها. . فى وسط الساحة الداخلية للقصر ينتصب تمثال الأمبراطور (فرانسوا الأول) وتمثل زوايا هذه الساحة أربعة عهود معمارية مختلفة فأقدمها الزاوية الواقعة الى جانب بوابة السويسريين ذات التلوين البديع وقد بنيت هذه البوابة بين عام ١٥٣٦-١٥٥٢م فى عهد الامبراطور (فرديناند الأول) وهى تعتبر اهم نماذج آثار عصر النهضة القليلة فى فيينا. . وباجتيازنا لهذه البوابة نصل الى بلاط السويسريين والى كنيسة القصر التى بنيت فى منتصف القرن الخامس عشر.

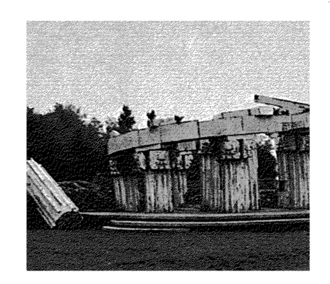


عمود الطاعون

ولما يشد فضول المشاهد (جوقة المغنيين الصغار) الشهيرة برفقة موسيقيين من اوركسترا فيينا الفيلهارمونية. . ويعتبر مشهد هذه الجوقة من المشاهد الرائعة فى فيينا.

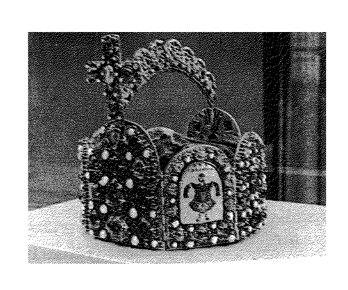
وقبالة بوابة السويسريين يقوم قصر اميليا (أمالينبورغ) ذو الطراز الباروكى البدائى الذى باشر تشييده الامبراطور مكسيميليان عام ١٥٧٥ وتم انجازه فى عهد الامبراطور رودلف الثانى عام ١٦١١م. . وفى الجانب الغربى من باحة القصر يقع جناح ليوبولد الأول الذى بنى عام ١٦٦٠ ثم أعيد بناؤه ما بين (١٦٦٨-١٦٧٠) بعد تعرضه لحريق مدمر. .

وفى هذا الجناح (جناح ليوبولد) حيث كانت تقع فى الماضى مقصورات الامبراطورة مارى تيريز يقيم اليوم رئيس جمهورية النمسا. . وقبالة هذا الجناح عاش كل رؤساء وزارات مارى تيريز فى مبنى باروكى أبيض أصبح اليوم مقراً للمستشارية الاتحادية.





من الآثار الرومانية



تاج الامبراطوريه الرومانية

الموسيقى والمسارح

اهتم النمسويون بالموسيقى وتاريخها معهم ضارب فى القدم واهتم بها الأباطرة حتى انجبت ثلاثة منهم مؤلفين موسيقيين هم: فرديناند الثانى - ليوبولد الأول. . وجوزيف الأول وكثرة واثراء التاج الموسيقى للامبراطور (ليوبولد الاول) جعله فى المرتبة الأولى بين أباطرة النمسا الموسيقيين. . وان كان جوزيف الاول يعتبر اكثرهم موهبة وابداعاً. . وممن اهتموا بالجانب الموسيقى ايضاً شارل السادس والامبراطورة مارى تيريز وابنها جوزيف الثانى تتلمذ على يد الموسيقار فلوريان ليوبولد غاسمان قائد اوكسترا البلاط. . واهتم فرانسوا الأول بتنظيم الحفلات الموسيقية فى قصر اللوكسمبرغ. . واشتهرت فيننا بأنها موطن الموسيقى الكلاسيكية التى ارتبطت باسماء شهيرة مثل: (هايدن - موتزرات - بتهوفن - شوبيرت - برامز - شتراوس) وخلد النمسويون عباقرة الفنون عندهم وضمنهم الموسيقيين. . ففى حديقة (بورغارتين) على مقربة من قصر (هوفبورغ) نجد تمثال (أمادوس موزارت) أحد كبار عباقرة الموسيقى النمسويين. . وفى حدائق (ستادبارك) فى فيينا نجد تمثال (جوهان شتراوس) الذى ولد فى فيينا ١٨٢٥ وكرس حياته كلها للموسيقى فألف ٤٩٦ قطعة موسيقية كبيرة. .

● **وفى عام ١٨١٢م** انشأ مجموعة من هواة الموسيقى جمعية أسموها (**جمعية أصدقاء الموسيقى**) وهى تتولى تنظيم حفلات الكونسيرت والأمسيات الموسيقية. . ويُعد الكونسر فاتوار أحد أوائل معاهد تعليم الموسيقى وفيه أرشيف له قيمته التاريخية حيث يضم طبقات نادرة ومخطوطات لأعمال كبار الموسيقيين كما يحتوى على مجموعة قيمة من أدوات الموسيقى المستعملة فى مختلف العصور. .

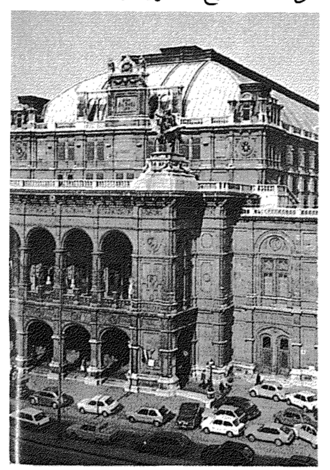
مسرح الأوبرا

لا يزال مسرح الأوبرا فى فيينا الذى كان تابعا للبلاط فى الماضى واحدا من أهم مسارح الأوبرا فى العالم. وقد بنى عام ١٨٦١ وقد صمم البناء اوغست فون زيكار سبورغ وادوارد فاندريل نول. وقد التزم المهندسان بطراز النهضة الأولى ذات التأثيرات الفلورنسية والفرنسية. هذا ودشنت أوبرا فيينا عام ١٨٦٩ برائعة موزارت المسماة «**دون جوان**» (دو جيوفانى).

وفى ١٢ أذار/ مارس١٩٤٥ تعرضت الأوبرا للقصف فاحترقت ولم يبق منها سوى الشرفة والصالة والسلالم الرئيسية وقاعة الشاى لذلك أعيد بناؤها بين ١٩٤٨ و١٩٥٥ وفقا لمخططات وثيقة الشبه بالمخططات الأصلية على يد المهندسين المعماريين إيريك بولتيرن ستيرن وأوتو بوسينغر وزينو كوساك. . وهكذا عادت الأوبرا للعمل اعتبارا من عام ١٩٥٥ بادئة بعرض «فيديليو» لبتهوفن تحت قيادة المايسترو الشهير كارل بوهم وتقوم عظمة فن الأوبرا فى فيينا على وجود فرقة دائمة تضم عددا من النجوم العالمية الى جانب اوركسترا ذات مستوى تقنى رفيع. وتدعم هذه الأوركسترا باعضاء الأوركسترا الفلهارمونية فى فيينا مما يضمن لها مكانة رفيعة فى عالم الموسيقى وقد ترأس أوركسترا الأوبرا عدد من كبار الموسيقيين مثل غوستاف ماهلر وريشارد شتراوس وفرانس شالك وكليمانس كراوس وهربرت فون كارايان.



فى فيينا مسارح عديدة نذكر منها بالاضافة الى الأوبرا والبورغثياتر مسرح الأوبرا الشعبية فى شارع فارينغير ومسرح الاكاديمية فى شارع ليست ومسرح اندرفيين فى «لينك فيينزيل» والمسرح الصغير فى روتينتورن ومسرح آندر جوزيفستات فى شارع «**جوزيف ستادتر**» ومسرح قصور الموسيقى فى شارع «**لوترينغر**» ومسرح فيينا الانكليزى فى «**جوزيفغاس**» ومسرح ريموند فى «فالغاس» والأوبرا الصغيرة فى شارع «**فليش ماركت**» والمسرح الكوميدى الصغير فى قصر الأرشيدوق شارل الواقع فى «آناغاس» وعلاوة على هذه المسارح الحكومية أو الخاصة هناك ثمة



واجهة الأوبرا فى فيينا

مسارح صغيرة عديدة مثل «الكوميديين» و«مسرح الشجاعة»، و«مسرح المنصة»، الذى يدعى أيضا «مسرح ستديوناشياركت» ويعتبر مسرح «البورغثياتر» الذى يدعوه أهل فيينا باختصار (البورغ) واحد من أقدم مسارح العالم على الاطلاق. وهو على أى حال أشهر مسارح البلدان الناطقة باللغة الالمانية وقد أسس هذا المسرح عام ١٧٤١ باذن من الأمبراطورة مارى تيريز فى ساحة «ميخائيلريلاتز» ثم انتقل عام ١٨٨٨ الى مبناه الحالى الذى صممه المهندسان سيمبر وهازناور.

المتاحف

متحف الفنون الجميلة:

تتميز فيينا كما هو معروف بكثرة متاحفها. ومن أهم هذه المتاحف متحف الفنون الجميلة (كونستيستوريش ميوزيوم) الواقع فى شارع الرينغ وقد عرضت كنوز هذا المتحف فى المبنى الرئيسى. وهى عبارة عن مجموعات فنية: الرسوم (فى الطابق الأول) ومجموعات الفنون التشكيلية والحرفية(فى الطابق الأرضى.الى اليمين).



القصر الامبراطورى

وقد احتل «البورغ» المرتبة الأولى بين المسارح الناطقة بالألمانية بفضل مخرجين عظماء مثل جوزيف شريفوغيل وهنريك لوب وقد كان للعديد من مشاهير الشعراء علاقات بهذا المسرح كما أن الشخصيات المسرحية الكبرى مخلدة بتماثيل منتصبة فى واجهاته العديدة وقد تعرض «البورغثياتر» للحريق عام ١٩٤٥ ثم أعيد بناؤه من جديد بين ١٩٥١ و١٩٥٥ وبذلك استعاد طابعه الهندسى الفخم الذى كان يتحلى به قبل الحرب العالمية الثانية.

ومجموعة النقود (فى الطابق الثانى). وتعتبر هذه المجموعات من أهم المجموعات الفنية فى العالم ويضم المبنى ٩١ صالة عرض متفاوته المساحة وإذا أردنا زيارته بأكمله فاننا نحتاج الى السير ٤ كيلو مترات واكثر وقد جلبت هذه المجموعات من الكنوزالفنية من إمارات فيينا وغراتز وبروكسيل وبراغ وانسبورك.

وقد بدأت مجموعة تحف سلالة هابسبورغ تتكون فى نهايات القرن الثالث عشر بفضل المجموعة الهامة

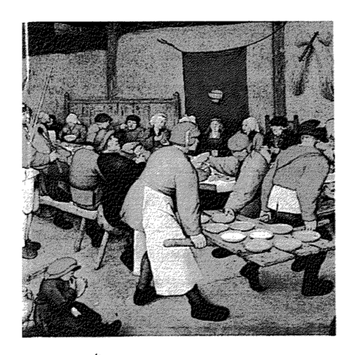
التى وجدت لدى الأمبراطور فرديناند الأول.

أضاف الأمبراطور رودولف الثانى كنوز أمبراطور التيرول الى مجموعته الخاصة التى جلبها من براغ الى فيينا وقبل ذلك فى عام ١٦٦٧ كان رواق الأرشيدوق ليويولد غليوم حاكم هولاندا قد أضيف الى ثروة الأمبراطور من التحف الفنية ثم انضمت مجموعة غراتز الى هذه الكنوز فى عهد مارى تيريز عام ١٧٦٥ وبمرور الزمن ازدادت ثروة هذا المتحف عبر شراء التحف وقبول الهدايا واعمال التنقيب حتى بلغت هذه الثروة ٤٨٠٫٠٠٠ قطعة فنية مما دعى الى نقل قسم منها خارج مبنى المتحف ولاشك فى أن اثمن المجموعات هى مجموعة لوحات الفنان الهولندى بيتر برويغل المتناسقة فيما بينها تناسقا بديعا والتى يوجد معظمها فى هذا المتحف . . ومن ضمن محتوياته لوحة «شمشون ودليلة» الكبيرة جدا وذات الطابع الباروكى للرسام انطون فان ديك ولوحة ديانا وكاليكست للرسام تيتيان ولوحة فالاسكيز المسماة: الطفلة مارغريت تيريز فى ثوبها الأزرق ولوحات روبنز: هيلين فورمانت . . والفراء وهى لوحة ذات قياس عادى رسمت عام ١٦٣٨ .

ويحتوى الرواق كذلك على تحف رائعة لكل من رافائيل ورمبرانت وفان إيك ولوقا كرانش وعدد آخر من مشاهير الرسامين.

ولا تقل الاقسام التسعة الاخرى فى متحف الفنون الجميلة اهمية عن هذا القسم الأول: فهى تضم المجموعة الشرقية والمصرية ومجموعة التحف القديمة ومجموعة الفنون التشكيلية والحرفية ومجموعة الميداليات ومجموعة النقود والعملات ومجموعة الآلات الموسيقية القديمة ومجموعة الأسلحة ومتحف الثقافة النمسوية.

ولا شك أن مجموع اللوحات والقطع الفنية المعروضة فى هذا المتحف يتيح لنا تكوين فكرة واضحة عن اهمية العاصمة النمسوية فى حياة أوروبا الثقافية.



وليمة عرس (لوحة للفنان بيتر برويغل)

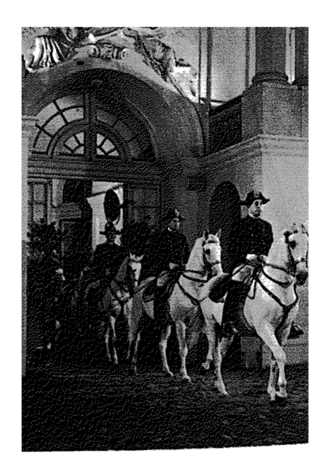


متحف البرتينا

فيينا فردوس هواة المتاحف فهى تضم بين جوانحها علاوة على متحف الفنون الجميلة مجموعات رائعة معروضة فى البلفدير (المطلة) ومتحف الاتنولوجيا (السلالات) ومتحف العربات ومتحف مواكب الدفن ومتحف التاريخ الطبيعى ومتحف الكروم وزراعتها ومتاحف بتهوفن وموزارت وهايدين وشوبير ومتحف أدالبير سيفتر. الا ان بوسع فيينا كذلك إرضاء هواة المتاحف الصغيرة كمتحف تاريخ المدينة الواقع فى ساحة « كاريتزيلاتز » ومتحف الفنون التطبيقية بساعاته وسجاده وتحفه الخزفية القديمة الذائعة الصيت وثمة كذلك متحف السيرك ومتحف السكاكر التى تنفرد بانتاجها فيينا فى مخبز قديم فى «اللانجيفاس» والمجموعة المعروضة فى قصر «جيمولز» فى بوتسلانزدورف القديم. . إلا أن أحد أهم متاحف فيينا على الاطلاق هو متحف البرتينا

وقد بنى هذا المتحف على شكل قصر لعائلة سيلفا ـ تاروكـا عام ١٧٨١ ثم جرى توسيعـه بين ١٨٠١ و١٨٠٤ وفقا لمخططات لويس دو مونتويير، بأمر من الأرشيدوق شارل الذى هزم نابليون الأول فى معركة آسبرن وهو والد الأرشيدوق ألبيرت. وقد تم توسيع المبنى بضم قسم من «ديـر الأغسطينيـين» وفى عام ١٨٢٢بـدل جوزيـف كورنهـاوزل عمارة الـشـقق الـداخلية فى المبنى فجعلها كلاسيكية الطراز. وقد أعيد بناء هذا المتحف بعد عام ١٩٤٥ فأصبح بشكله الراهن الذى نراه اليوم.

ويتألف جزء أساسى من كنوز هذا المتحف من مجموعة الأمير أوجين دو سافوا. وتعتبر مجموعة الرسوم والمنحوتات الموجودة فى متحف البرتينا والبالغ عددها ٤٠٫٠٠٠ لوحة واكثر من مليون رسم ومنحوته ورسم مطبـوع وليتوغراف اكبر وأهم مجموعة من نوعها فى العـالم وهى لا تزال فى نمو مستمر وتضم المجموعة



مدرسة الفروسية

الضـروري أن نخص بالـذكـر منهـا أعـمال فنـانى المـدارس الألمانية فى القرن السادس عشر: البرخت دوريـر وهـانس هولباين وجورج برو، لوقا كراناش وبيتر ألتدورفر وكثيرين سواهم أما المدرسة الهولاندية فيمثلها بيتر برويغيل ولوقا فان فالكروبورج وأنطون فان ديك فى حين أن الايطاليين كانوا ممثلين بأعمال: رفـائيـل وميكيل أنجلو وليوناردو دافينشى وتينتوريه وفيرونيز وغواردى وكانالايتو ونظرا لتعذر عرض كل هذه الـروائـع معـا فان الاعمال الفنية المعروضة فى المتحف تتغـير كل سنـة لتحـل محلهـا أعمال أخرى وهكذا دواليك بالتناوب.

ومن بين هذه المتـاحف العديدة نجد أيضا متحف السـاعات الذى يقع فى شارع شولهوف ويضم نيفاً وثلاثة آلاف قطعة بينها مجموعة رائعة من ساعات فيينا المصنوعة عبر مختلف العصور. . وهناك ايضا متحف (القـرن العشـرين) الواقع فى حديقة شويزرجاردن ويضم مجموعة ثمينة من الروائع الفنية المعاصرة. . مضـافـاً الى هذا المتحف الحربى (متحف الجيش) حيث يبيـح للمشاهد من خلال معروضاته التعرف على التـاريـخ العسكـرى للنمسـا ومشاهدة نماذج المـلابس العسكـريـة المستعملة فى القـرون الماضية اضافة الى تشكيلة كبيرة من الاسلحة والعتاد. . ولا ننسى متحف التكنولوجية الذى تعرض فيه منتجات تتعلق بالتطور الصناعى. .

ويضم القسم الشرقى من قصر شونبرون متحف العربات التاريخية والفاخرة والعادية ويحتوى (١٣٠) عربة.

متحف الكنوز : وقد عرضت فى قاعاته الفخمة مجموعات من تحف المصنوعات والمجوهرات التى لا تقدر بثمن مما جعل هذا المتحف الصغير كنزاً رائعاً. . قسم هذا المتحف الى قاعتين قاعة (الكنز المقدس) واخرى (للكنز العادى) ومن بعض محتوياته : أوشحة

تتويج أباطرة الامبراطورية الرومانية ـ الجرمانية ـ مجوهرات بورغينيون التى كان يمتلكها ماكسيميليان الاول ـ مجوهرات الامبراطورة مارى تيريز ـ الثياب الفاخرة المرصعة بالحجارة الكريمة التى ارتداها الامبراطور فرانسواجوزيف فى احتفال تعميده ـ البلوزات الثمينة التى كان يرتديها أباطرة النمسا منذ عهد باربروج حتى عهد فرانسوا الاول ـ معاطف التتويج ـ مسمار الفيراكروز الذى حمله الصليبيون إلى فيينا . . وغيره كثير من التحف النادرة.

مدرسة الفروسية

بنيت هذه المدرسة فى الفترة (١٧٢٨ـ١٧٣٥) وصمم مخططاتها المهندس (فيشر فون ايرلاخ) ويضم المبنى مدرسة الفروسية الشتوية . . أدخلت الخيول الأسبانية إلى النمسا لاول مرة عام ١٥٨٠م ويبرز موكب الامبراطور بخيوله البيضاء الأصيله مشهداً رائعاً حافلاً بالتقاليد الامبراطورية القديمة فى فن الفروسية . . المدربون الفرسان يرتدون اللباس الامبراطورى المميز . قبعة حمراء وسترة مطرزة بالذهب ذات صدرية بيضاء أو بنية واكمام من الحرير الأسود وبنطالاً من الجلد الأبيض وأحذية طويلة الساق سوداء اللون ومقرنة تزينها حلية ذهبية وخنجراً أسبانيا . اما الخيول فهى بيضاء ذات عرف مزين بخيوط الذهب وعليها من الزينة ماتشبه به العروس . أما الاستعراض فيتم فى ساحات الأروقة المضاءة عبر المشبكات العنكبوتية . . حيث تبدأ الخيول وفرسانها باستعراض قفزات أنيقة تتبعها رقصات موقعة على أنغام البولكا أو الثلاثيات أو الفالس الهادىء التى تنبعث من فرقة الاوركسترا.

حدائق فيينا

تضم فيينا حوالى (١٧٠٠) هكتاراً من الاخضرار داخل حدودها . . تنتشر معظم هذه الحدائق فى مختلف أرجاء المدينة منها : حديقة بورغارتين ـ حدائق استادبارك.

وفى عام ١٩٦٤ تم بناء برج الدانوب «دانوتورم» البالغ ارتفاعه ٢٥٢ مترا وذلك بمناسبة المعرض الدولى للبستنة والحدائق الذى شهدته فيينا آنذاك وقد اقيم الدانوتورم وسط أحد المنتزهات الواقعة بين «الدانوب» و«الدانوب القديم» ويوجد فى شرفة هذا المنتزه مقهى دوار يتيح للانسان ان يمتع ناظريه ببانوراما واسعة للمدينة وعندما تكون السماء صافية فان بامكان النظر أن يصل حتى الحدود الهنغارية.

وبالاضافة الى حدائق البلفدير (المطلة) وشونبرون يجدر بنا أن نذكر حديقة براتير (التى كانت فى الماضى مخصصة لصيد العائلة المالكة والنبلاء والتى فتحها الأمبراطور جوزيف الثانى للجمهور عام ١٧٦٦م) وهى تعد من أجمل حدائق فيينا بفسحاتها الكبيرة واشجارها المزدهية هذا وقد جهزت هذه الحديقة بمنشآت رياضية حديثة جدا مثل الملعب الكبير (ستاديوم) وميدان سباق الخيل وبرك السباحة العديدة . . بعد حديقة البراتير وغابات حديقة الدانوب تمتد المناطق المشجرة الخلابة المحيطة بفيينا من الغرب وتدعى هذه المناطق الخضراء «فيينروالد» وهى تطوق خاصرة فيينا عند كتف جبال الالب الشمالية الشرقية وتشكل جزيرة «غانسيهوفل» وحديقة «الدانوب» معا غابة طبيعية يرتادها الناس كثيرا للاستحمام فى الدانوب وممارسة الرياضات المائية المختلفة.

فيينا والفن الجديد «جوجند ستيل»

لهذا «الفن الجديد» اسماء تختلف باختلاف البلدان وفى النمسا فان هذه العبارة استعملت لأول مرة فى مجلة «ميونيخ جوجند» وهى تعنى باللغة

الالمانية (جوجندستيل) الأسلوب الذى انتشر فى نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين فى قسم كبير من أوروبا الغربية . . ومن كبار فنانى هذه المدرسة الجديدة الاسبانى كاودى المعتبر عالمياً أحد مؤسسى الفن الحديث. اما فى فيينا فان هذه المدرسة توجهت نحو تجديد الفن الباروكى ذى التقاليد العريقة فيها مضيفة إليه لمسات رومانتيكية اضفت على الاعمال الفنية طابعاً تزيينياً (ديكوراتيف) حاداً هذا علاوة على غلبة الرموز النباتية والأشكال المتموجة على اللوحات والنقوش المنتمية إلى هذه المدرسة الحديثة.

الفن الشعبى فى فيينا

ونجد فى الأحياء القديمة العديد من المطاعم ذات الطابع النمسوى البحت اشهرها هو مطعم «غريشينبيزل» الواقع فى منطقة فيها كثير من التجار ذوى الأصل اليونانى ويرتادها عدد كبير من الفنانين.

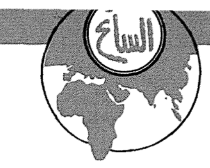
كذلك فان «سوق القملة» (حيث تباع السلع المستعملة) الواقع فى ناشماركت يعتبر مكانا طريفا وممتعا جداً. اما سوق السبت فانها دائما شديدة الازدحام وتباع فوق منصاتها المنتصبة فى الهواء الطلق كافة السلع والأشياء: من الكراسى المكسورة الى



المغنون الصغار فى فيينا

وتحتفظ فيينا بالعديد من النصب التذكارية والمبانى التى تحمل آثار «الجوجندستيل» ونلاحظ ذلك خاصة عند مخارج محطات المترو . . ساحة «كارلسيلاتز» او فى منزل فى «فيينزيل» وهنا نلاحظ تزاوج الفن الباروكى مع الفن الجديد تزاوجاً إبداعياً عبر الهندسة المعمارية لهذه الآثار.

اللوحات الفنية والمنحوتات مرورا بالمصابيح والمفروشات من كل نوع بما فى ذلك القطع القديمة القيمة (انتيكيتيه antiquites . . وثمة جانب آخر من جوانب حياة الشارع الطريفة فى فيينا هو باعة الكستناء المشوية (أبو فريوة) الذين ينتشرون فى زوايا الشوارع اثناء الخريف والشتاء.



الجـ



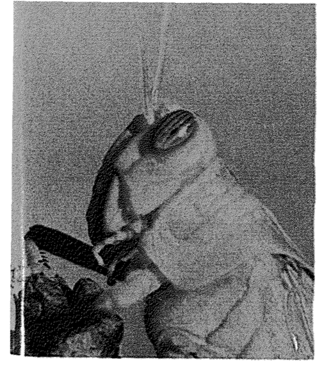
من الواضح الجليّ أن النظر فى عجائب صنع الله تعالى وغرائب إبداعه فى كونه الفسيح انما هو تلبية لقول الله سبحانه ﴿أَفَلَمْ ينظُرُوا إِلَى السَّماء فوقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاها وَزَيَّنَّاها وما لها مِن فُرُوجٍ﴾(سورة ق/٦). يقول الامام القزوينى : ليس المراد من النظر تقليب الحدقة نحوها فإن البهائم تشارك الانسان فيه ومن لم ير من السماء الا زرقتها ومن الأرض إلا غبرتها فهو مشارك فى ذلك للبهائم وأدنى حالا منها وأشد غفلة كما قال الله تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يفقَهُونَ بَها وَلَهُمْ أعينٌ لا يُبصرُون بِها. . أُولَئكَ كالأنعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (آل عمران/١٧٩). إذاً المراد من هذا النظر انـ التفكير فى المعقولات والتدبر فى المحسوسات والبـ عن حكْمتها وتصاريفها ليظهر له حقائقها. ولهذ رسول الله محمد بن عبد الله (ﷺ) «تفكروا فى الله».

من هذا المنطلق نعرض مقالنا الحالى فى خـ من مخلوقات الله هو «الجراد» الذى يسوقه الله أ كجند من جنوده على من يشاء من خلقه العصا

يعتبر الجراد (خصوصاً النوع الصحراوى) ـ جداً بالمزروعات فكثيرا ما نسمع عن غارات أ وظهورها فى بعض المناطق بدرجة خطيرة حيث تـ جميع المحاصيل الزراعية فى الحقول فلا تبقى ولا تذر بل تأتى على كل نبات أخضر حتى الأشجار التى تصادفها فى زحف جيوش غاراتها وبذا تتسبب عنها خسائر فادحة.

الجراد فى كتب التراث:

الكلام عن اهتمام علماء المسلمين القدامى بمختلف وسائر العلوم كلام طويل ليس مكانه فى هذه المقالة وانما تكفينا الاشارة الى رجال بحثوا وكتبوا فى عالم الحيوان على اتساع مساحاته وتشعب دروبه ومنهم الأصمعى (٢١٦هـ) أبو حاتم السجستانى



جزء من جسم جرادة بالغة: أنظر العيون المركبة الضخمة وكذلك أجزاء الفم البارزة فى أسفل الرأس، ولاحظ اللون الاصفر للجسم كله.



واحدة من الدبى (الحوريات): تأكل بشراهة فى أوراق النباتات - لاحظ عدم اكتمال الاجنحة وظهور اللون الاخضر وبعض الاجزاء تتلون بلون أصفر ضارب الى الحمرة ، فالحورية هنا هى آخر شكل قبل ظهور الجرادة اليافعة.



(٢٤٨هـ) الكندى (٢٥٢هـ) الجاحظ (٢٥٥هـ) الفارابى (٣٥٠هـ) ابن سينا (٤٢٨هـ) ابن رشد (٥٩٥هـ) القزوينى (٦٠٠-٦٨٢هـ) الدميرى (٧٤٢-٨٠٨هـ) كما كان منهم من تخصص فى الترجمة العلمية وعلى رأسهم ابن البطريق (٢١٥هـ). . وابن زرعة (٣٩٨هـ).

ومن الشفاء لابن سينا نلتقط هذه الجمل فى معرض حديثه عن تاريخ حياة بعض الحيوانات: والجراد والصرار أول ما يكون دبأ ثم ينسلخ

د. كارم السيد غنيم
كلية العلوم
جامعة الأزهر

ويخلص من مسالخه وهو رطب فتجمع الشمس جثته وتنشف بلته والى ذلك يلزم قضبان (أى سيقان وفروع النباتات) الشجر ثم يأخذ يطير (ربما يقصد أنه يقفز قفزات كبيرة فيبدو وكأنه يطير هنا وهناك) وهذه أيضا تنسلخ بعد السّلخ الأول وبعد الطيران».

وإذا كان ابن سينا من علماء القرن الخامس الهجرى فلنقفز الى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع لنرى الدميرى (٣) يقول فى الجراد: الواحدة جرادة الذكر والأنثى فيه سواء يقال هذا جرادة ذكر وهذه جرادة أنثى كنملة وحمامة قال **أهل اللغة**: هو مشتق من الجرد. . يقال ثوب جَردٌ أى أملس وثوب جَردٌ اذا ذهب زبيره. . والجراد إذا خرج من بيضه يقال له (الدَّبى) فإذا طلعت أجنحته وكبرت فهو (الغوغاء) والواحدة غوغاة وذلك حين يموج بعضه فى بعض فإذا

بدت فيه الألوان واصفرت الذكور واسودت الاناث سمى (جراداً) حينئذ وهو اذا أراد أن يبيض ألتمس لبيضه المواضع الصلدة والصخور الصلبة التى لا تعمل فيها المعاول فيضربها بذنبه فتُفْرج له فيُلْقى بيضه فى ذلك الصَّدْع فيكون له كالأفحوص ويكون حاضنا له ومربيا. وللجرادة ستة أرجل يدان فى صدرها وقائمتان فى وسطها ورجلان فى مؤخرتها وطرفا رجليها منشاران وهو من الحيوان الذى ينقاد لرئيسه فيجتمع كالعسكر.. اذا ظعن أوله تتابع جميعه ظاعناً.. إذا نزل أوله نزل جميعه.. ولعابه سم ناقع للنبات لا يقع على شىء منها الا أهلكته.. **قال الأصمعى**: أتيت البادية فإذا أعرابى زرع برًّا (أى شعيرا) له فلما قام على سوقه وجاد سنبله أتاه جراد فجعل الرجل ينظر اليه ولا يدرى كيف الحيلة فيه فأنشأ يقول:

مرّ الجـراد على زرعـى فقلتُ له
لا تأكـلنّ ولا تشـغـل بإفسـاد
فقـام منهـم خطيـبٌ فوق سنبله
إنّـا على سفـرٍ لابـد من زاد

الجراد فى القرآن الكريم:

ومما يدل على أن الجراد جند من جنود الله يرسله على من يشاء ما حدث لآل فرعون وهو مشار اليه فى قول الله سبحانه **﴿ولقد أخذنا آلَ فرعونَ بالسنينَ ونقصٍ من الثَّمَراتِ لعلَّهم يَذَّكرون * فإذا جاءتهم الحسنةُ قالوا لنا هذه وإنْ تصبْهُم سيئةٌ يطيَّروا بموسى ومَنْ معه ألا إنَّما طائرُهُم عند اللهِ ولكنَّ أكثرَهُم لا يعلمون * وقالوا مهما تأتينا به من آيةٍ لتَسْحَرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فأرسلنا عليهم الطوفان والجرادَ والقُمَّل والضفادعَ والدَّم آياتٍ مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾** (الاعراف ١٣٠-١٣٣).

جاء فى تفسير المنتخب فى شرح قصة فرعون وقومه مع موسى وبنى إسرائيل وكيف دأب آل فرعون على الغرور والعصيان وعدم الثبات على الحق فكان أنْ أرسل الله عليهم آيات من العذاب والمصائب والنكبات؛ بالطوفان الذى يغشى أماكنهم، وبالجراد الذى يأكل ما بقى من نبات أو شجر وبالقُمَّل وهو حشرة تفسد الثمار وتقضى على الحيوان والنبات وبالضفادع التى تنتشر فتنغص عليهم حياتهم وتذهب بصفائها وبالدم الذى يسبب الأمراض الكثيرة كالنزيف من أى جسم والدم الذى يحبس فيسبب ضغطاً أو ينفجر فيسبب شللاً ويشمل البول الدموى بسبب البلهارسيا ونحوها أو الذى تحول اليه ماؤهم الذى يستخدمونه فى حاجات معاشهم أصابهم الله بهذه الآيات المميزات الواضحات فلم يتأثروا بها وجمدت قرائحهم وفسدت ضمائرهم فعتوا عن الايمان والرجوع الى الحق من حيث هو حق وكانوا قوما موغلين فى الاجرام كما هو شأنهم. ولم نجد عند ابن كثير أو حجازى أو الجلالين أو الصابونى أفضل مما قيل.

حكم أكل الجراد:

ورد فى تفسير القرطبى) عند الآية ١٣٣ من سورة الاعراف: ثبت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن أبى أوفى قال: غزونا مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ سبع غزوات كنا نأكل الجراد معه.. ولم يختلف العلماء فى أكله على الجملة وأنه إذا أخذ حيا وقُطِعَتْ رأسه أنه حلال باتفاق.. وانما اختلفوا هل يحتاج الى سبب يموت به إذا صيد أم لا، فعامتهم على أنه لا يحتاج الى ذلك ويؤكل كيفما مات وحكمه عندهم حكم الحيتان.

روى الـدار قُطْنيّ عن ابن عمـر أن رسـول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «أُحِلّ لنا ميتتان الحوت والجراد ودمان الكبد والطحال». وقال ابن ماجه: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا سفيان بن عيينة عن أبى سعيد سمع أنس بن مالك يقول: كُنّ أزواج النبى ﴿ﷺ﴾ يتهادين الجراد على الأطباق. ذكره ابن المنذر أيضا.

ويصور لنا الله سبحانه حالة المحشر يوم القيامة وتقريب صورة اندفاع الناس بعد بعثهم من قبورهم للأذهان بأنها سرعة تشبه سرعة أسراب الجراد فى الجو وتقـدمهـا نحـو الأمـام فيقـول سبحـانـه وتعـالى: ﴿اقـتربت السـاعـةُ وانشقّ القمـرُ* وإنْ يروا آيـة يُعْـرضـوا ويقـولوا سحرٌ مستمرٌ * وكذّبوا واتبعوا أهواءهم وكلّ أمر مُسْتقرٌ * ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزْدجَر * حكمةٌ بالغةٌ فما تُغْنِ النُذُرُ * فتولّ عنهم يوم يدعُ الـداعِ الى شىء نُكُـر * خُشّعـاً أبصارُهم يخرجون من الأجْداثِ كأنهم جراد مُنْتشرٌ﴾ (القمر/ ١-٧).

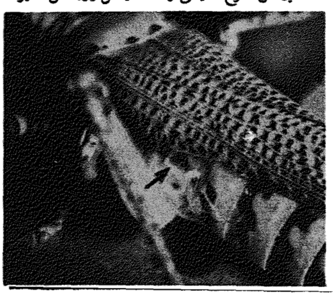
موقع الجراد فى عالم الحشرات:

الجراد (Locusts) يشترك مع النطاطات (Grass hoppers) فى الانتساب الى فصيلة (Acridiidae) التـابعـة لرتبـة الحشـرات مستقيمـة الاجنحـة (Orthoptera) فى عالم الحشرات. وأنواع الجراد كثيرة منهـا الجـراد الصحراوى أو الرحال (Schistocerca gregaria) والجـراد المـصـرى (Anacridium aegyptium) والجـراد الافـريقى المهـاجر (Locusta migratoria migratoriodes)

المظهر الخارجى:

الحشرة اليافعة من الجراد الصحراوى (الرحال) يبلغ طول الانثى فيها ٥ر٥ سم بينما يصغرها الذكر بحوالى ١ سم فقط.

الرأس: ويحمل زوجاً من قرون الاستشعار (الزبانى) القصيرة من النوع الخيطى وكذلك يحمل زوجاً من العيون



▲جزء من جسم جرادة: أنظر عضو السمع فى مقدمة البطن (جهة الشمال بالنسبة للناظر الى الصورة.

المركبـة الكبـيرة وثلاث عيون بسيطة موضوعة فى شكل مثلث. توجد فى الرأس أجزاء الفم القاضمة ويظهر منها للانسـان بمجـرد النظـر الشفة العليا من الأمام أما من الجـانبـين فيظهر الفكان العلويان ويحاط الفم من الجهة السفلية بالشفة السفلى وعلى جانبيها يوجد الفكان السفليّان.

الصــدر: يتصل الرأس بالصدر بواسطة رقبة رفيعة، والصدر ثلاث عقل ضخمة يخرج زوج من الأرجل قوية العضلات كثيرة الاشواك كبيرة الحجم وذلك من كل عقلة أى أن للجـرادة (والحشـرات عمـومـاً) ست أرجـل أما الأجنحـة القـويـة الشـاسعة المساحة فيوجد منها زوجان أحدهما يخرج من وسط الصدر والأخر من مؤخره.

ومن الملفت للنظر أن الأجنحة تفوق البطن فى الطول وتظهر عليها مجموعات من مربعات صغيرة أضلاعها ذات لون بنى غامق. كما أن أفخـاذ الأرجـل كبـيرة الحجم (خصـوصـا الـزوج الخلفى وهو الثالث فى ترتيب أزواج الارجل) ومزودة بعضلات قوية تناسب عملية القفز وعلى الأسطح الداخلية فيها صفوف من النتوءات القوية حينما

تحتك بالسطح الخارجى للأجنحة ينتج صوتاً مميزاً هو (الصرصعة).

الصحـارى والأراضى البـور والـرملية المجاورة للاراضى الـزراعيـة. وطريقة وضع البيض هى أن تدك الأنثى الأرض بآلة وضع البيض (مؤخر الجسم) القـويـة وبطول البطن ثم تفرز الأنثى إفرازاً غروياً

السـنة	البـلد	قيمة المحصول الذى أتلفه الجراد بالجنيه الاسترلينى
١٩٣٤-١٩٢٦	الهنـد	٤٠٠٠٠٠ سنويا
١٩٢٩-١٩٢٨	كينيـا	٣٠٠٠٠٠ سنويا
١٩٥٣	الصومال (الجزء الجنوبى)	٦٠٠٠٠٠ سنويا
١٩٥٥-١٩٥٤	المغـرب	٤٥٠٠٠٠٠ فى موسم واحد
١٩٥٧-١٩٤٩	تقـديرات منظمة الاغذية والزراعية عن ١٢ بلد فقـط من مجموع ٤٠ بلد تتأثر بأضرار الجراد	١٥٠٠٠٠٠ سنويا وفى عام ١٩٥٥ فقط تجاوز ٥٠٠٠٠٠٠

وما يلى بيان تفصيلى عن نفس المنظمة بتحديد الفقد الحاصل فى كميات الغذاء أو المحاصيل الاخرى ويتضح منه مدى الخطورة الناجمة من جراء هجوم الجراد.

السنـة

السنـة	البلـد	مقدار الحاصلات التى أكلها الجراد
١٩٤٤	ليبيـا	٧ ملايين من مزارع العنب أى ١٩٪ من مجموع مساحات الاعناب
١٩٥٤	السودان	٥٥٠٠٠ طن من الحبوب
١٩٥٧	السنغال	١٦٠٠٠ طن من الذرة الرفيعة، ٢٠٠٠ طن من الحاصلات الاخرى.
١٩٥٧	غينيـا	٦٠٠٠ طـن من البرتقال
١٩٥٨	اثيوبيـا	١٦٧٠٠٠ طن من الحبوب وهذا يكفى لغذاء مليون شخص لمدة عا
١٩٦٢	الهنـد	١٠٠٠٠ فدان قطن (قيمتها ٣٠٠ ألف جنيه استرلينى

تاريخ الحياة:

متى بلغ الجـراد مرحلة النضـج التكاثرى يبدأ التـزاوج وقـد تتعـدد مرات السفـاد (Copulation) فتصل الى ست أو أكثر قبل أن تبدأ الانثى فى وضع البيض ولا تضـع الانـاث بيضهـا فى التربة الرملية الجـافـة أو المغطاة بالماء ولكنها تفضل الأماكن ذات التربة الهشة التى تتوفر فيها الرطوبة ومنها الوديان فى

تفرش به الحفرة المصنوعة فى الأرض ثم تبيض بيضها واحدة بعد الأخرى حتى تكتمل الكتلة التى يتراوح عدد البيض فيها من ٢٠ الى ١٠٠ بيضة ويصل عدد الكتل التى تضعها الأنثى الى حوالى ست وفى العادة تكون ثلاث كتل فقط.

يفقس البيض فى يوم واحـد تقـريبـا أو فى أيا متقـاربـة وتخـرج الحـوريات أى الدبى (Nymphs خضـراء اللون تتجمع وتأكل بشراهة ما يقابلها مر

نباتات خضراء وتخضع أجسامها لخمسة انسلاخات تقريبا حتى يسود لونها ويصير به بقع خضراء مائلة الى الصفرة. وعندما تنسلخ الحورية انسلاخها الأخير ينتج الطور اليافع أى الجرادة الكاملة (Adult) ولونها أحمر مائل للاصفرار تعيش حوالى ١٢ـ٧٠ يوماً حسب درجة تشبع الجو بالرطوبة التى تطيل حياة الحشرة الكاملة.

خطورة الأسراب أثناء رحلات الهجرة:

الجرادة الكاملة الشكل قوية القدرة جداً على الطيران وتهاجر لمسافات بعيدة إلا أنها أثناء طيرانها لا تأكل وانها اذا تعبت توقف السرب عن طيرانه ويحط على الأرض وهنا تكون الكارثة حيث يأتى السرب على الاراضى المزروعة فلا يترك شيئا أخضر الا أكله. ثم يقلع السرب مرة أخرى وهكذا رحلة الهجرة الى حيث ينزل الجراد ليقوم بعملية التزاوج.

يهاجر الجراد الرحال فى أسراب يصل عدد أفراد الواحد فيها أكثر من ١٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جرادة وتغطى مساحته فى المتوسط عشرين كيلو مترا مربعا ويقطع السرب فى رحلة هجرته مسافة يومية تقدر بنحو ٣٠ـ٤٠ كيلو متر وتصل أحيانا الى ١٠٠ كيلو متر. وللجراد مواطن ينطلق منها كشمالى أفريقيا ووسطها فيعبر منطقة الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية لينتهى بشمالى الهند. ولا يستمر الطيران طوال الأربع والعشرين ساعة كل يوم ولكن غالبا ما يكون الطيران فى النهار أما فى الليل فيحط الجراد على المزروعات ليلتهمها ويقضى عليها.

ولقد كان الجراد عدو الانسان منذ أن بدأ يزرع الأرض ولا يزال من ألد أعداء المزارع وقد لا يبدو ضرره واضحاً فى بعض الحالات ولكنه يكون خطيرا فى كثير من المناطق المحدودة المساحة.

والاحصائية الاجمالية الآتية أوردتها منظمة فاو وهى توضح قيمة الفقد الذى يصيب بعض البلدان فى العالم والتى يجتاحها الجراد.

وليست هذه هى جميع الأرقام التى تبين أضرار الجراد بل هى أمثلة قليلة فقط والحاجة ماسة لمعلومات أكثر عن الفقد الحقيقى الذى يحدثه الجراد والنطاطات فى الحاصلات الزراعية.

وقد يتعجب الانسان عن الكيفية التى يتسنى فيها للجراد إحداث هذه الأضرار ومرد ذلك الى :

(١) أن الجرادة الواحدة تأكل فى اليوم الواحد قدر وزنها من المزروعات وهذا القدر يرتفع تدريجياً من الحوريات الصغيرة الى الحشرات الكاملة النمو ويبلغ حوالى «الجرامين» كنهاية عظمى بعد أسبوعين الى ثلاثة من ظهور الحشرة الكاملة المجنحة التى تسبب أسرابها العظيمة أعظم القدر.

(٢) كثيراً ما يتواجد الجراد معاً فى أعداد كبيرة ونحن نعلم أن مالا يقل عن ١٠٠٫٠٠٠٠٠٠ جرادة وأحيانا ٢٠٠٫٠٠٠٠٠٠ يمكن أن توجد فى الميل المربع الواحد للسرب فإذا رصدنا سرباً مساحته ٤٠٠ ميل مربع فإن أقل عدد من الجراد فيه هو ٤٠٫٠٠٠ مليون وزنها نحو ٨٠٫٠٠٠ طن (حيث يزن المليون الواحد من الجراد طنا واحدا تقريبا). والطن الواحد من الجراد يأكل فى اليوم الواحد قدر ما تأكله عشرة أفيال أو خمسة وعشرون جملا أو مائتان وخمسون إنسانا. . يالها من خسارة كبيرة لسرب واحد مساحته ٤٠٠ ميل مربع فقط.

وتقع الاصابات من أكل الجراد للأوراق والأزهار والثمار والحبوب ولحاء الشجر والقمم النامية من النباتات كما أن الاشجار تتعرض للكسر عند استقرار جموع الأسراب عليها.

ورغم أنه لم يثبت حتى الآن أن الجراد لا ينقل أمراضاً فإن بعض المشتغلين فى معامل تربية وبحوث الجراد يشكون من حساسية تصيبهم من هذه الحشرة.

المسرح
ملف خاص



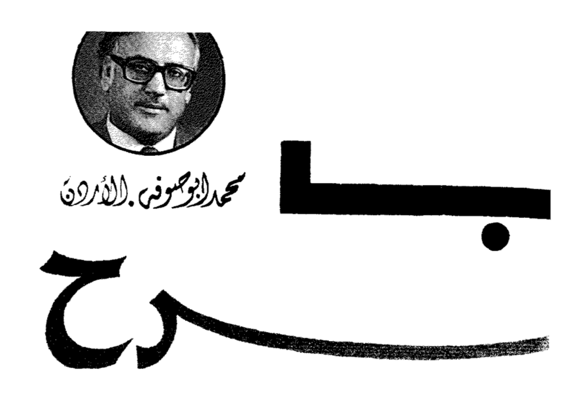
متى بدأت إسهامات العرب
فى الفن المسرحى
التراث العربى
المسرحى
المسرح العربى وعلاقته
بالمسرح اليونانى
قضايا هامة وجادة
تطالعها
قارءنا بين دفتى هذا
الملف الخاص
الذى يقدمه المنهل باقلام
متمكنة متخصصة



ما هو فن المسرح؟ من أين جاء؟ من هم الجنس البشرى الذين بدأوا بالاهتمام بهذا اللون الذى يسمونه (أبا) الفنون؟.

المسرحية هى ذلك العمل الروائى الذي يقدم على خشبة المسرح شريطة أن تتكون من عناصر الأساسية الثلاثة وهى الحوار والحركة والصراع، وربما ان هذه العناصر تميز المسرحية من غيرها من الفنون الأدبية على الأقل. إلا انها تشترك مع العمل الروائى فى عدة مقومات كالحادثة والفكرة والشخصيات.. بدهى ان نقول عن الحوار انه يشكل المظهر الحسى لها بينما يشكل الصراع فيها المظهر المعنوى.

وتذهب آراء إلى أن سمات عامة مشتركة بين القصة والمسرحية تتلخص فى الفكرة والممارسة والتعبير فالقصة تستخدم اسلوب التصوير او اسلوب السرد الذى يتبعه المؤلف للوصول الى الفكرة او لحظة التنوير ويسمونها (العقدة) أيضا فى حين ان المسرحية لا تستخدم سوى ذلك الأسلوب سواء كانت المسرحية ممثلة او مقروءة فإن الحوار هو الاداء الوحيد



للتعبير. وكلمة دراما تعنى صراعاً داخليا وهذا لا يقل فى جوهريته بالنسبة لفن المسرحية عن الحوار فالحوار والصراع اذن هما الخاصتان الغنيتان اللتان تميزان فن المسرحية ولابد ان يرتبط هذان العنصران بطبيعة الحال فى العمل المسرحى. فلا يكفينا من الحوار ان تأخذ صورة سؤال وجواب بين شخص وآخر. ولكننا ننتظر فى المسرحية الحوار الذى ينقلنا الى الحياة. الحوار الذى يجعلنا نتمثل الأشخاص فى ازماتهم وصراعهم نتمثل الافكار، الحوار كما يقع فى الحياة بين الناس.

وفوق الحوار والصراع فإن دور الاطار الفنى لمعين وارتباطه بدور عرض زمن المسرحية ان هذين لأمرين لهما ارتباط مباشر فى توجيه البناء الذاتى لمسرحية نفسها.

علاقة المسرحية بأدوار الممثلين:

اما عن علاقة المسرحية بادوار الممثلين فإن ت. س يوت الناقد والشاعر الانجليزى المعاصر يطالب بقوة ء التفاعل بين الممثلين بالحركة الدرامية فى المسرحية فيقول: «ومعنى هذا ان المسرحية لا تكفى فيها ان يوجد الاشخاص وان يتحدث هؤلاء الاشخاص بعضهم الى بعض فإن الحديث وحده يدعو الى الملل وسرعان ما يتلهى عنه المتفرج والذى يأسره الى المتابعة اليقظة وهذه الحركة التى يمثلها هؤلاء الاشخاص والتى تموج بها خشبة المسرح وتلك العاطفة التى توحيهم فى حركتهم كما تتمثل فى احاديثهم ومعنى ان هذا ان المسرحية لا يتم وضعها الفنى المعطى إلاحين تمثل على المسرح».

والاطار المسرحى اطار عميق وهو كذلك إطار محكم ولذلك تصعب الكتابة المسرحية حتى اننا نجد بجانب كل مائة كاتب قصة كاتبا مسرحيا واحدا والحق ان الكتابة المسرحية تحتاج الى نضج فنى خاص يتعلق عادة فى مرحلة مزاولة الكتابة القصصية.

الوان المسرحية:

والمسرحية تقسم الى كوميديا أو تراجيديا أو ملهاة أو

مأساة وقد كانت المأساة تتميز بتناولها الشخصيات العظيمة بدأت.. بالآلهة عند الاغريق ثم بابطال عن البشر هم فى الحقيقة انصاف الهة ثم صار الانسان هو البطل وبنجاحه فى عصر النهضة حين كان يظن ان الانسان مركز العالم ولكنه ظل الانسان الممتاز كشخصيات الملوك والأمراء حتى اذا ما تزعزت تلك العادة ذهبت معها فكرة البطولة ولم تعد البطولة تستخدم إلا لتدل على الشخصية الرئيسية فى المسرحية كما تناول الموضوعات العالمية البالغة الأهمية.. اما فى العصور الحديثة فيعدم التفريق بين الملهاة والمأساة على أساس من فكرة **(النهاية السعيدة)** ففى الملهاة تتحقق النهاية السعيدة اما النهاية المميزة للمأساة فهى هزيمة البطل او موته فى العادة .

ولكن ليس هناك ما يدل على أن مشكلة طبيعة المسرحية وهدفها حلت حلا كافيا ومازال الكتاب ولا يكاد يحصيهم العد منذ ارسطو حتى اليوم يتناولون هذا الموضوع بالدرس.

أول أمة عرفت المسرح:

وقد قالوا ان أول أمة اعتنت بالمسرح هى أمة الاغريق وأن أول مسرحية كتبت بعنوان **«الفارعات»** من تأليف أسخيلوس **٥٢٥** ق.م. ثم يأتى بعدها مسرحية **«أوديب الملك»** من تأليف سوفكليس **٤٩٥** ق.م كما ان ارسطو كتب عن هذا اللون فى القرن الرابع الميلادى فى كتابه **(فن الشعر)** دراسة كاملة.

ويفرد المفكرون والباحثون انفراد اليونان بالفن المسرحى منذ ذلك الزمن لعدة أسباب منها:

١ - الشعائر الدينية.

٢ - نشأة المجتمع الديمقراطى فى المدينة.

٣ - موافقة العصر الذهبى الذى ازدهرت منه ملكات الأمة اليونانية.

العقاد والفن المسرحى:

ويربط عباس العقاد تطور الفن المسرحى بمظهر الديمقراطية فى أية امة فيقول: «ان الفن المسرحى اختفى أو هبط او اضمحل فى بلاد اليونان نفسها حين توفرت فيها عدة عوامل. ولم يكن لهم فن مسرحى يذكر بعد عصرهم الذهبى ولم ينشأ عندهم هذا الفن قبل نشأة المدينة الديمقراطية ولا بعد زوالها وقيام السيطرة المستبدة مكانها» الا ان العقاد يرجع سبب نشأة الفن المسرحى عند اليونان فيقول (ولما نشأ المجتمع الديمقراطى فى المدينة سمح للشعراء والأدباء بادارة الحوار على نقد الحكام واصحاب النفوذ (الشخصيات البارزة) ثم استطردوا من ذلك الى نقد طبقات المجتمع والفلاسفة وجعلوا



يستخفون هذه النغمة كلما اشتد الجمر واستبدلت الحكومة وقامت حرية القول والانتصار واتفق بتطور الشعائر الدينية والمحاورات الأدبية وعصر النهضة والازدهار فوجد هذا التطور نخبة من الشعراء يساهمون فى الحوار بأسلوب فنى غير اسلوب الكهانة والأحاديث الشعبية فكانت هذه العوامل جميعا أسبا[illegible] مشتركة فى نشأة الفن المسرحى عند اليونا[illegible] الأقدمين

لماذا تأخر المسرح عند العرب :

ولكن لماذا تأخر المسرح عند العرب؟ ولماذا لم ينقلوه الى العربية على الأقل فى عصر الحضارة العربية العباسية؟ واذا كان هناك التقاء بهذا الفن فكيف تم ذلك؟

يجيب على ذلك الدكتور حسين نصار : فقد نقل المترجمون الفلاسفة من امثال الكندى وحنين بن اسحاق وغيرهما كتابى **«فن الشعر» و«الخطابة»** لأرسطو فى بدء النصف الأول من القرن الهجرى الثالث.

ولكنهم وجدوا المؤلف يتحدث فى «فن الشعر» عن اشياء عصية على فهمهم وتعرف انها الشعر



المسرحى والملحمى ولما أرادوا ادراكها كان ذلك منهم على ضوء ما يعرفون من فنونهم الشعرية فضلهم ذلك وظنوا انه يريد بالمأساة المديح وبالمهزلة الهجاء ولم ينتبهوا الى ذلك الفن المسرحى الذى لم يكن فى مجتمعهم وخاصة انه كان قد اندثر او يكاد فى المجتمع

الأوروبى فلم يكن هناك امل ان يلتقى به احد العرب الذين قاموا ببعض الرحلات فى بعض اقطار اوروبا فبقى فن (الشعر المسرحى) مجهولا عندهم مفقودا من ادبهم: حتى نجد فى بعض القصائد العربية تصويرا قصصيا وحواراً غير متبادل ولكن التصوير القصصى فيها معتمد على السرد والقصة غير مكتملة المعالم وتطور الوقائع غير درامى والحوار معتمد على الخطابة ولا يضطلع باية وظيفة قصصية ولا يكشف عن سير الاحداث ولا يبين طبائع الاشخاص.

واذا كان زكى طليمات يعتبر أن فترة الحياة الجاهلية وبدائية الوثنية هى من الاسباب التى لم تجتذب أقدم العرب او تستهوى افئدتهم فإن عدم معرفة العرب بالقراءة والكتابة إبان الجاهلية كان السبب الرئيسى فى بعدهم عنه. ولقد عرفنا انه لم

الحوار والصراع خاصتان تميزان فن المسرح عن غيره من الفنون

يكن هناك ظروف مهيأة لنمو فن المسرح ذاتيا فى المجتمع العربى الجاهلى. ونضيف ان عملية انتقال المسرح من بلاد اليونان الى الجزيرة العربية امر يكاد يكون مستحيلاً لأن عملية الانتقال للمسرح تحتاج الى مستوى حضارى كبير ليتم هذا الانتقال والعرب لم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة وانها كانت نادرة فى ذلك الوقت والمسرح فن يحتاج ليقدم كاملا الى حضارة وفكر. ولم يكن المجتمع الجاهلى بظروفه

الاجتماعية التى أشرنا اليها قبل ذلك على مستوى حضارى يؤهله للقيام بعملية انتقال للمسرح.

وحين ظهر الاسلام بدأت اول مرحلة حضارية ثم عن طريق الاثراء الذاتى لفكر العرب ثم بدأت بعدها تتم عملية الاحتكاك بالغرب واليونان وكان على العرب ان يبدأوا اولا بعملية نقل الفكر العربى والذى كانوا بأمس الحاجة اليه ومن الملحوظ ان كل كتاب ترجموه عن غيرهم كان يمثل حاجة بهم . .

فهم تعلمو الطب والفلك والرياضيات لحاجتهم العملية اليها ونقلوا علوم الفلسفة لحاجتهم الفعلية اليها ولقد كانت الصراعات الفكرية بينهم وبين أبناء الاديان الاخرى تلجئهم الى هذه العلوم للرد عليها كما ان انقسامهم الدينى والسياسى سبب آخر من أسباب هذا النقل، كما احتاجو اليها فى تشريعاتهم وعلوم اللغة العربية وفنونهم القولية ما يبدو من انهم لم ينقلوا جديدا فمعظم ما نقلوه كانت بذوره الاولى قد وجدت لديهم.

وربما سؤال يطرح نفسه وهو: ***ما مدى تأثير وجود الآلهة المتعددة حسب معتقدات اليونان فى ذلك الزمن على عملية النقل الى اللغة العربية؟*** لقد تطرق المرحوم الدكتور أحمد أمين الى هذه الناحية واعتبر انصراف العرب فى العصر الاسلامى عن كل ما يمت بصلة الى التمثيل والتشخيص لاسيما وان الأدب الأغريقى قد قام على عباده الابطال وتصوير الالهة المتعددة. . ويؤيده فى ذلك الدكتور محمود حامد شوكت الذى يرى ان العربى فى العصر الاسلامى قد أحس باكتفاء أدبى وذاتى قوى ولم يحس بحاجة الى أدب غريب ولا يستطيع تذوقه تذوقا كاملا .

ولعل البيئة قد تلعب دوراً هاماً فى استقطاب هذا اللون والاقبال عليه فتقرر مدى حاجتها اليه او التركيز عليه فإن مقابلة بين أحوال اليونان واحوال العرب تكفى لتعليل الفرق بينهما فها هو العقاد يعقد المقابلة ويحدد الفرق اذ يقول: وهو فرق يرجع الى تلك الاسباب العارضة



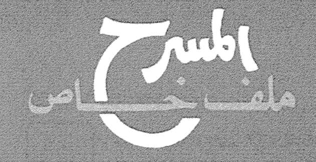
ولا يرجع الى قرينة فطرية العبقرية اليونانية على غيرها من عبقريات الامم المختلفة كما يطيب للنقاد الأوروبين دائماً ان يتخيلوا كما خاضوا فى تحليلاتهم لأمثال هذه الفوارق فلم يتفق للعرب ما اتفق لليونان من اختلاف الشعائر الدينية والتطور الاجتماعى والنهضة الفكرية فى بلد واحد كانوا رعاة وكان اليونان على فطرتهم الاولى رعاة ولكن العرب يرعون الابل فيرتحلون عليها الى كل مكان يقودهم اليه بطلب الكلأ والماء.. واليونان يرعون الماعز والشاة فلا يحسبون من البدو المبعدين فى النقلة والارتحال ويستطرد العقاد فيقول: كانت للعرب مدن ولليونان مدن ولكن المدينة العربية كانت أشبه بجملة القافلة التى تنتظر موعد السفر مرات فى الصيف والشتاء وكانوا قبائل فى مضارب الحجر بدلا من مضارب الخيام اما اليونان فكان لمدينتهم مجتمع القبيلة المتحضرة للرحلة وكان هذا المجتمع يمدهم بالشخصيات المتنوعة التى لا غنى عنها فى رواية من روايات المسرح ولا سيما المسرح بعد التطور مع العصر الذهبى والنهضة الفكرية.

وكانت رحلة العرب تلجئهم الى الكتابة كما لجأ اليونان فى المدينة وهم يحتاجون اليها فى كل تسجيل يدعو اليه عمل الشعب او عمل الحكومة ولقد عرف عصراً ذهبياً او عصوراً ذهبية ولكنها لم تنقض فى زمن الشعائر الوثنية التى تسمح لتمثيل الألهة وتشخيص مظاهر العبادة بل انقضت بعد قيام دين التوحيد وتحريم الشرك واستنكار اللهو والقصف فى معابد الصلاة والقربان ولو اتفقت للعرب شعائر دينية تقدم على الأساطير ويجرى الاحتفال بها فى مجتمع مدنى وتقدمه بالعصر الذهبى والنهضة الفكرية لكان شأنهم شأن اليونان معاً.. ظهر بينهم فن التمثيل وسائر الفنون.

ويقف العقاد هنا ليؤكد اختلاف الظروف بين الامتين العربية واليونانية ويقرر أن اليونان لو وجدوا حين وجد العرب لما نشأ بينهم فن مسرحى ولا فن آخر غير الفنون العربية ولقد عرض اليونان بعض ما عرض العرب حين زالت نهضتهم وتبدلت حكومتهم واختلفت شعائرهم فعاشوا بغير فن مسرحى واضمحلت عندهم سائر الفنون حينما كانت حالهم قبل القرن الخامس وبعد القرن الرابع السابق للميلاد كحال أمة احتجب فيها الفن واقفرت من شعرائه ومؤلفيه.

ويعترف المستشرق الالمانى يعقوب لاندو - فى كتابه تاريخ المسرح العربى - ان عدم نقل المسرح اليونانى انه يدور على الاساطير وذلك مالا يتفق مع نزعة المسلمين وحماسهم لعقيدتهم ويرى المستشرق لاندو سبباً آخر وهو ان العرب لم يعرفوا أصول هذا الفن لخطأ وقع فى ترجمة بعض الاصطلاحات التى وردت فى شعريات أرسطو وقد ترجم اصطلاح الملهاة بقصيدة المدح واصطلاح المأساة بقصيدة الهجاء.

البيئة
قد تلعب دوراً فى
استقطاب "الفن المسرحى"
والاقبال عليه فتقرر مدى
حاجتها اليه أو التركيز
عليه



لغة الحوار

بين العربية الفصحى



من مميزات الشخصيات المسرحية مقدرتها اللفظية فى التعبير عن أصعب المواقف الإنسانية



إن اللهجة العامية هى وسيلة التعبير فى الحديث اليومى ومن الصعب أن تعد وسيلة ملائمة للتعبير فى الحوار المسرحى لأن الحوار المسرحى يختلف عن الحديث اليومى.

«وإن النثر الذى يردد على لسان الشخصيات بعيد بعد الشعر عن لغة الكلام العادية بالفاظها وبوقعها وباعرابها.. بتخبطها فى البحث عن الكلمات.. بلجوئها الدائم إلى التقريب.. بالفوضى التى تسودها وبجملها غير المكتملة. وهذا النثر أعيدت كتابته عدة مرات شأنه فى ذلك شأن الشعر»(١).

إن اللهجة العامية تمثل مستوى من الكلام لا يمكن أن يعد فنيا لأن عدد الألفاظ المتداولة فيها محدود قليل لا يملك الغنى والتنوع.. وألفاظها مكرورة مبتذلة مستنفدة المعانى والطاقات ولا يمكنها توليد معان جديدة وهى ذات أبنية وتراكيب قليلة ثابتة لا تتيح إمكان تركيب أبنية جديدة وهى أبنية محطمة مكسورة فيها تنافر ونشاز.

ويتحدث **(سومرست موم)**(٢) عن الكُتّاب

وار المسرحي
وبين اللهجة العامية

أحمد زياد محبك
(سوريا)

المسرحيين الذين اعتمدوا على اللهجة العامية ويرى أنه قد نتج عن ذلك أن ضاق نطاق الشخصيات التى يستطيع الكاتب المسرحى معالجتها لأن الكلام هو وسيلة لتقديمها ومن المستحيل تصوير أناس ذوى عقل سليم وعاطفة مرهفة بحوار لا يعدو أن يكون من الهيروغليفية الناطقة.. ثم إن الكاتب أخذ يميل دون وعى إلى اختيار الشخصيات التى تتكلم بصورة طبيعية على النحو الذى اعتاد الجمهور أن يعتبره طبيعيا وهذه الشخصيات تكون حتما بسيطة وواضحة يضاف الى ذلك أن الموضوعات نفسها أصبحت محدودة مادام الكاتب لا يستطيع أن يعالج القضايا الأساسية للحياة الانسانية ويستحيل عليه أن يحلل عقد الطبيعة الانسانية حين يقيد نفسه بهذا الحوار المسرف فى تقليد الطبيعة».

ومما لا شك فيه «أن هناك للكاتب المسرحى رغبتين متعارضتين: رغبة فى كتابة الحوار الذى يبدو واقعيا ورغبة فى كتابة حوار مؤثر ومشوق.. وحين يحاول الكاتب أن ينقل الحديث فى المسرحية نقلا حرفيا فإنه قد يعرض المستمع للملل وإن كان يحتفظ بعامل الصدق فى هذا الحديث ولكن لا يرضى أى كاتب مسرحى أن يثير الملل فى نفوس مستمعيه من أجل أن تكون لغته دقيقة.. ومن ثم فإن من الخطأ من الناحيتين الجمالية والتاريخية وزن الحوار النثرى بميزان الدقة الواقعية وحدها، فالحوار النثرى هو صناعة وشأنه فى هذا شأن جميع عناصر الأسلوب المسرحى الحرفى الأخرى»(٣).

أما التصور الذى يرى ملاءمة الحوار للشخصية قائما على أساس من استخدام الفصحى فى حوار المثقفين والعامية فى حوار الأميين فإن مثل ذلك التصور للملاءمة سطحى يتعلق بالشكل فحسب لأن الملاءمة تقوم على أساس من أن ينطق الشخص بحوار يعبر عن طبيعته النفسية ومزاجه ويحمل مستواه الثقافى والفكرى ويرتبط ببيئته الاجتماعية وطبقته ومثل ذلك التصور يخلق تفاوتا فى مستويات الحوار ويخل بوحدته وتماسكه وهو يقوم على أساس من تصور الفن نقلا للواقع.

وفى الحقيقة لا يمكن أن يعد ما تنطق به الشخصية المثقفة فى المسرحية هو نفسه ما يمكن أن تنطق به شخصية مثقفة تشبهها فى الواقع.. إن فى

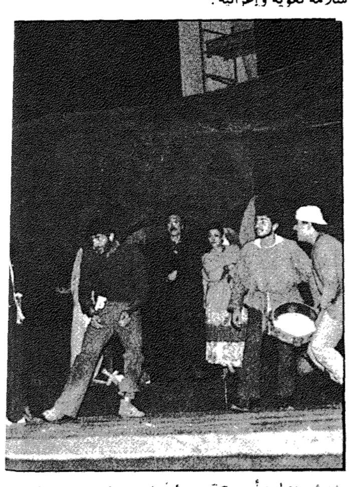
الشخصيات المسرحية شيئا متميزا هو مقدرتهم اللفظية فى التعبير عن أصعب المواقف الانسانية وليس فينا فى الحياة من له هذه المقدرة اللفظية الكافية لمثل هذه المواقف فنحن لن نفيها حقها ألفاظا كما لا يستطيع أحد أن يفيها حقها أنغاما فيروح مغنيا كلما حل به أمر رهيب كما يفعل أبطال الأوبرات فالمنطوى هنا ليس تشخيص أدوار معينة بقدر ما هو افتراض أن الطبيعة الانسانية قادرة على التعبير عن نفسها بالكلمات»(٤).

ولذلك تبطل دعوى ملاءمة الحوار للشخصية أو الموقف كما تبطل دعوى الوصول الى جماهير الشعب غير المثقفة لأن من أساليب الوصول: التعبير الفنى الجميل وأى استخدام للعامية لا يعنى سوى التضليل والتجهيل.

«وفى فوضى أمور الدنيا وعجز معظم الناس فى معظم المناسبات نجد أن شيئا من الحوار الجيد هو بحد ذاته مصدر متعة ويأتينا بما يشبه المفاجأة اللذيذة»(٥).

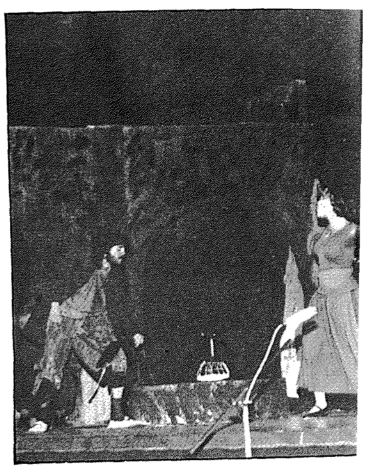
وقد حاول (توفيق الحكيم) فى مسرحية ليست ذات مصدر تاريخى هى (الصفقة) ١٩٥٦ تقديم تجربة لايجاد لغة صحيحة لا تجافى قواعد الفصحى وهى - فى الوقت نفسه - مما يمكن أن ينطق الأشخاص ولا ينافى طبيعتهم ولا جو حياتهم لغة سليمة يفهمها كل جيل وكل قطر وكل إقليم ويمكن أن تجرى على الألسنة.. قد يبدو لأول وهلة لقارئها أنها مكتوبة بالعامية ولكنه إذا أعاد قراءتها طبقا لقواعد الفصحى فإنه يجدها منطقية على قدر الامكان بل إن القارىء يستطيع أن يقرأها قراءتين قراءة بحسب نطق الريفى.. ثم قراءة أخرى بحسب النطق العربى الصحيح فيجد العبارات مستقيمة مع الأوضاع اللغوية السليمة»(٦).

ولكن المستوى التعبيرى فى تلك المسرحية يبدو متدنيا فهو أسير الصيغ والتعبيرات البسيطة المفككة الشائعة فى اللهجة العامية ولا يملك شيئا من النصاعة والقوة والاشراق على الرغم مما فيه من سلامة لغوية وإعرابية.



ويرى (على احمد باكثير) «أن السبيل ليس استعمال اللغة الدارجة نفسها وإنما السبيل هو أن نقتبس أسلوبها ومنطقها وبلاغتها من حيث التقديم والتأخير وسائر خصائصها الحية المرنة وننقلها الى لغة كتابتنا الفصيحة الجارية على قواعد الاعراب وبذلك تتكون عندنا لغة جديدة تعكس واقعنا ولا تنفصل عن الفصحى.. لغة حية متطورة تحفل بالألوان والظلال الخاصة بكل بلد عربى على حدة ولكنها مفهومة لجميع الشعوب العربية ولقراء العربية فى كل مكان»(٧).

ولا يمكن أن تعد فى الواقع خصائص العامية اكثر تنوعا وغنى وتعددا ومرونة من خصائص الفصحى سواء بالنسبة إلى تراكيبها أم إلى ألفاظها ويبدو غريبا أن تكتب الفصحى بأساليب العامية ولن تكون النتيجة سوى مستوى من التعبير ضعيف أقرب الى العامية.



ويبتعد عن اللغة الفصحى حين يعم الجهل وتنتشر الأمية.

إن اللهجة العامية هى صورة واقعية فى مرحلة ما للغة العربية الفصحى فى صورتها المثالية . . أى إن اللهجة العامية هى مستوى من مستويات تحقيق اللغة العربية الفصحى فى مجال الحياة اليومية فى مرحلة تاريخية محددة وإن المستوى المتحقق من اللغة الفصحى يرتفع إلى الصورة المثالية ويقترب منها حين تزدهر الثقافة وينتشر التعليم وهو ينحط وينحدر

ويبدو أن حل مشكلة الحوار «سيأتى نتيجة للتطور الطبيعى الذى تسير فيه حركة التعليم والثقافة فى بلادنا حيث نلاحظ أن اللغة العامية آخذة فى الارتفاع شيئا فشيئا الى مستوى الفصحى واتساع قاموسها باتساع الآفاق الثقافية لعامة الشعب الذى يستخدم هذه اللغة وكان استخدامه لها مقصورا فى عصور الجهل والأمية على التعبير عن الحاجات المادية المحدودة والحياة الفعلية والعاطفية البالغة الفقر والضيق . . ومن المؤكد أن القضاء على الأمية ونشر الثقافة العامة بين طبقات الشعب سيحل المشكلة برفع مستوى اللغة العامية وإثرائها وبخاصة بعد أن تطورت اللغة الفصحى نحو السلاسة واليسر وتخلصت من الألفاظ القديمة المهجورة ومن التعقيدات اللفظية والمحسنات البديعية السقيمة . ومن الممكن أن يستمر هذا التطور خطوات أخرى تزيد الفصحى يسرا وسلاسة دون أن تفقدها شيئا من غناها وممكناتها الجمالية بين يدى الكُتّاب ذوى الموهبة الحقة»(٨).

(١) إليوت، ت. س. مقالات فى النقد الأدبى ترجمة د. لطيفة الزيات - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - لاتا ص٨٩.

(٢) موم، سومرست - عصارة الأيام - ترجمة د. حسام الخطيب - دار الفكر - دمشق ١٩٧٢ ص١٤٦-١٤٧.

(٣) ميليت، فرد، وبنتلى، جيرالدايدس، فن المسرحية، ترجمة صدقى حطاب، مراجعة د. محمود السمرة، دار الثقافة - بيروت ١٩٦٦ ص٤٩٢-٤٩٣.

(٤، ٥) بنتلى، إريك ، الحياة فى الدراما، ترجمة إبراهيم جبرا، المكتبة العصرية. بيروت ١٩٦٨ ص٨٥.

(٦) الحكيم، توفيق، الصفقة، المطبعة النموذجية - القاهرة ١٩٥٦، ص١٥٧-١٥٨.

(٧) باكثير، على أحمد، فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية، معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة ط. ثانية ١٩٦٤، ص٨٠.

(٨) مندور، د. محمد، عن مسرح توفيق الحكيم - معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة.





تعـريفـا دقيقـا وجـامعـاً ومـع ذلـك يمكن ان نستأنس بالتعريف المشهور الذى وصف به عالم المسرح (**مارجورى بولتون**) المسرحية بأنها هى الأدب الذى يمشى ويتكلم أمام أنظارنا مترجما إلى مشاهد وأصوات وأفعال تجرى حرفيا وجسمانيا فوق منصة المسرح . . وفى الوقت عينه يسلم بأن التمثيلية يمكن ان تقرأ فى صمت فى كثير من الأحيان ولكن فى كل الأحوال لابد من مراعاة خواص هذا الجنس الأدبى المميزة له .

ويلحظ الباحث المتأمل أن هذا التعريف يتطابق مع اشهر تعريف فى هذا الباب وهو ما أذاعه أرسطو حينما وصف المسرحية بأنها قصة ممسرحة ذات غرض معين وتقدم عن طريق (المحاكاة) ويفهم الدارس المعاصر من هذا المصطلح أنه (تمثيل) والتمثيل يكون لحادثة حقيقية أو من الخيال .

ويفهم من هذا ايضا ان للمسرحية بصورها الرئيسية والفرعية(*) وما يصدر عنها فى عصرنا الراهن من أنواع كالتمثيلية (الاذاعية والتلفزيونية) طابعا خاصا له سماته وتقاليده التى تفرده عن طابع الفن القصصى . ولكن ـ من وجهة أخرى ـ فإن هذا الطابع الخاص ذاته يضم الحركة المسرحية بكثير من المثالب والعيوب . ذلك لأنه يقيدها بأعراف وتقاليد جلها مطاوع للتطور والتطوير (التغيير) ولذا استحال على من فلسفوا المسرح أن يجعلوا منها (ثوابت) بل إن كثيرا من الحيل التى تستحدث يشهدها مبتكروها وهى تنبذ أو تختفى إبان حياتهم وتنشأ حيل جديدة وصور تمثيلية تخالف كل قاعدة توصل اليها باحث متفلسف أو فنان مبتكر من قبل .

وتبقى فى هذا الباب المبادىء الرئيسية التى استقرت منذ أقدم العصور ولابد من أن يخضع لها كل متفنن بالمسرحية ومن أبرز هذه المبادىء وحدة العمل المسرحى فكرة وصورة أو موضوعاً وشكلا . ويؤكد النقاد المحدثون ذلك يقول الناقد المعروف (والتر باتر) : «**إن العمل الفنى هو الذى لا يمكن أن نميز فى فكرته**

د. إبراهيم دردير
جامعة الملك عبد العزيز - جدة

جدلية الصراع
والصورة في المسرحية العربية

(Theme) منفصلة ومستقلة عن العمل ذاته لأن هذا العمل أشبه بكائن حي يغرق الفنان أفكاره بل روحه في شكله المحسوس»

ومعنى هذا أنه لا جدوى من رصد فكرة معينة للعمل الفني لذاتها لأن عثورنا عليها أو بروزها أمام أعيننا إنما يدل على أن هذا العمل لم ينضج بعد وأن المبدع في الوقت نفسه لم تكتمل مقدرته وتتحقق شخصيته الفنية الكاملة ولذا كان لابد من أن يخفق في مزج الفكرة بالصورة مزجا كيماويا ينتج عنه مزاج جديد هو تعبير فني أو (موضوع فني) له كيان مستقل وقسمات دالة عليه بذاته ولا ننكر في الوقت نفسه أن (الفكرة) لا تذوب في (الصورة) أو (الشكل) في يسر وسهولة بل على العكس تظل تقاوم وتصارع وفي أحيان كثيرة قد لا يوفق المبدع في تذويبها وجعلها بمثابة الروح تسري في كيان العمل الفني الفرد وتنطوي عليها صورته ولا يستدل عليها إلا بنبض هذا العمل وحيويته ولا فرق في هذا الصدد بين مبدع ناشيء أو قليل القيمة وآخر عبقري كثيراً ما أبدع من قبل روائع من الأدب التمثيلي على نحو ما سنرى عند (برنارد شو) و(صمويل بيكيت) على سبيل المثال. وإذا كانت عملية تخليق الفكرة في صورة فنية على هذا النحو من الأهمية وفي سائر الفنون قولية وغير قولية كان من الطبعي أن يعرف النقد الحديث الفن تعريفاً دقيقاً إلى حد بعيد وهو أن كل إبداع يجلب المتعة عن طريق صورته فحسب دون الرجوع إلى موضوعه. وهذا يتفق مع قول (باتر) في مقاله المعروف عن الأسلوب: إن الشكل الكامل هو الذي يصبح بطريقة أو أخرى الموضوع الذي يعبر عنه» .

نخلص من ذلك إلى أن المتعة الفنية تستحدث من شكل الفن أو صورته والشكل - تلقائياً - يتضمن في أعطافه أسباب حيويته وانسياب إيقاعه الفكري الداخلي الممزوج بانفعالات المبدع وأحاسيسه اما أن نقول إن المتعة المنشودة من العمل الفني يمكن أن تنشطر شطرين أحدهما يتعلق بالفكرة والآخر بالصورة فإن النتيجة المحتومة هي ان التعبير الفني في حد ذاته خاطيء ومعيب.

والدراسة المتأملة للجانب الموضوعى من أدبنا الحديث تكشف عن أن إشكالية الصراع التقليدى بين (الفكرة) و(الصورة) فى جل أعمالنا الأدبية لم تحل بعد بل لقد استقر فى الأذهان سواء عند أكثر المبدعين والنقاد أو المتلقين أن مصدر قيمة العمل الفنى وجدواه هو أن تكون له فكرة يعتمد عليها وتكون واضحة فيه أو يكون (الموضوع) فيه متميزا ملموسا بذاته . . صحيح ان هذا التصوير الخاطىء ينسحب على القصة والرواية والمسرحية جميعاً غير أنه ـ حقا ـ غالب على الأدب التمثيلى خاصة مع الاعتراف بأن هناك آثاراً مسرحية قليلة، قلة نادرة عالجت هذه المشكلة نظراً لنضوج تجربة مبدعيها وتكامل ثقافتها الفنية عبر تجارب سنين طويلة من الصواب والخطأ إبان الممارسة بيد أن الغالبية العظمى من آثارنا المسرحية موصومة بالعيب المشار اليه مما يقلل من قيمتها ويقعدها عن اللحاق بالتراث الدرامى العالمى بطبيعة الحال فيما سنوضح .

فى ضوء ما تقدم تعالج هذه الدراسة المحدودة إشكالية تصارع الفكرة مع الصورة فى الأدب التمثيلى أولا وترصد آثارها على بناء العمل الفنى وتقنيته ثانياً وتتبع نتائجها فى القيمة الفنية والأدبية فى تراثنا المسرحى أخيراً.

قلنا إن هذه الاشكالية بوجه عام من أعقد أسس التأليف المسرحى والقصصى جميعا . ولم ينج منها إلا عباقرة عالميون من أمثال شكسبير وبن جونسون وموليير ومن لف لفهم بينما وجدنا أعلاما فى المسرح الحديث من أمثال (شو) و(بيكت) قد أخفقوا فى تجاوزها فى كثير من أعمالهم على الرغم من خبرتها الطويلة وبصرهما القوى بمتطلبات هذا الجنس الفنى وأصوله وتقاليده .

فأما (شو) فقد ذاع عنه إهمال الأشكال الخارجية للأشياء فى حين أن الفن يبدأ وينتهى بالشكل أو الصورة ومن ثم يتراءى أثر هذه الاشكالية قوياً فى أعماله دائما.

وأما (**صمويل بيكيت**) فكان يعرف فى معظم الأحيان كيف يقتنص اللحظة السعيدة ـ لحظة الخلق الفنى ـ التى تكتمل فيها العملية الكيماوية فتتخلق الفكرة بين يديه صورة حسية حيث تتحد مع معادلها الموضوعى فتنقلب الفكرة الى صورة فنية(٣) ولعل هذه الاشكالية قد دفعته دفعاً الى انشاء مسرحيات بلا فكرة أو افكار محددة ـ صنع كتاب دراما الطليعة من السرياليين الذين ظهروا فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة فوضع فى انتظار جودو عام **١٩٥٣** وغيرها مما يدخل فى مسرح (اللامعقول) الذى يكاد يخلو من القصة والفكرة ولقد فلسف كتاب دراما الطليعة تجريد آثارهم الفنية من عنصر الفكرة كما تمردوا على التقاليد الموروثة فى التقنية (التكتيك) فيما نعلم . وما كان (بيكيت) و(ارثور أداموف) إلا امتداداً لأتباع السريالية سالجديدة من أمثال (جارى) و(أبولينير) و(كوكتو) .

وكـان من بين كتاب الدراما الاكثر شهرة (أوجين يونسكو) الذى بلور هذه الفلسفة فى «مذكراته» و«مذكراته المضادة» بقوله: «أريد مسرحاً لا للرمزية بل رمزياً لا وهميا بل أسطورياً يجد ينبوعه فى آلامنا الادبية . . مسرحا يصبح فيه اللامرئى مرئياً وتصبح فيه الالام المبرحة حقيقة حية هائلة . . مسرحا يعمى علماء الاجتماع ولكن يعطى العالم مادة للتفكير وللحياة فى كل ما يجهل ويعطى الرجل العادى ما وراء جهله»

إذا كان (بيكيت) قد وجد فى الفلسفة السريالية الجديدة حلا لاشكالية صراع الفكرة مع الصورة فى الموضوع الفنى كما وجد السرياليون أنفسهم فى فلسفتهم راحة منها كذلك فإن كتابنا فى الواقع حافظوا على انفصام الفكرة عن صورتها ووجدوا عند كثير من النقاد والمتلقين تسليما بصنيعهم وأنه عمل لا غضاضة فيه سواء كان ذلك بوعى منهم أو بغير وعى.

غير أن هذه الحال لها أسباب مهدت لها وأرهصت ومعظمها يرتبط بعلاقتنا بالمسرح فنا وأدبا كما يتعلق بعضها بموقف أدبنا العريق من أدب التمثيل ذاته. وحسبنا - والمجال محدود - أن نركز فى جانب علاقتنا بالمسرح حديثا على أبرز الأسباب التى نجحت عنها هذه الاشكالية المدروسة بطريق مباشرة أو غير مباشرة.



ابراهيم المازنى — توفيق الحكيم — زكى طليمات — د. يوسف إدريس

نحن نعلم من تاريخ المسرح العربى أننا مارسنا فنونه وطبقناها قبل أن نتعرف نظريته وقوانينه أو نتمثل أصول أدبه حيث قامت بدايات هذه الفنون فى أواسط القرن الذى مضى على أكتاف الممثلين الهواة ودون سابق معرفة منهم أو ثقافة فنية أو تخطيط. واعتمدوا الترجمة والنقل تارة والاقتباس والتعريب والارتجال تارة أخرى وخضعوا فى ذلك كله الى ذوق النظارة وطبيعة البيئة وروح العصر وكلها لا عهد لها بالمسرح من قبل واستهدف الرواد منه وظيفة أساسية ظلت ملتصقة به إلى وقتنا الراهن وهى التسلية والترويح وأغفلوا - أو تغافلوا - رسالته فى المجتمع والحياة وفى ترقية الأمم ونهوض الشعوب على مر القرون والعصور

وهكذا غلبت الترجمة بتصرف قليل أو فادح كما ذاع الاقتباس والتعريب والتمصير بل بالغ نفر من النقلة فابتكر ما يمكن أن نسميه التأليف المقتبس بمعنى أن يجمع الناقل مشاهد ومناظر - وأحيانا فصولا كاملة - من نصوص مسرحية أجنبية متباينة ويوفق بينها أو (يلفق) غالباً ليخرج نصا مسرحيا فى لغة فصحى أو عامية وتحس للوهلة الاولى من الاطلاع على هذا النص أنه لا يفتقد أصل التأليف الدرامى فحسب بل يفتقد روح الدراما وطبيعة البيئة العربية معاً.

وعندما اتجه آحاد من الكتاب الى التأليف المسرحى الخالص فى غروب القرن الماضى وفجر القرن الحالى لاذوا بمصادر التأريخ والتراث العربى والشعبى فى أفكارهم ومضامينهم وموضوعاتهم. ولما لم يكن هناك تخصص فى أجناس الأدب العربى من ناحية كما لم يكن لدى مؤلاء الكاتبين ثقافة فنية من ناحية أخرى خرجت نصوصهم مشوهة بل أقرب إلى الحكايات تارة والتحقيق التاريخى تارة أخرى وإن كانت قد

صبت فى قوالب درامية ظاهرية . ومعلوم أن المسرح عندنا قد قام ونهض فى جوانبه الفنية والأدبية على غير نظرية أو مهاد فنى أو حتى تصور كما أشرنا وتولاه نفر من المشخصين الهواة تحكموا فى النص تحكمهم فى العناصر الفنية . وحاكوا الغربيين محاكاة بدائية مرتجلة واعتمدوا تمثيل النصوص المنقولة والمترجمة والمرتجلة كما أشرنا . واذا كان التقليد أو الحذق فيه أمرا طبعيا فى البدايات والتجارب الأولى سواء بالنسبة للأفراد أو الجماعات وفى كل مجال مستحدث من فنون وعلوم فإنه فى الوقت نفسه يعد مرحلة مؤقتة يجب الانتقال منها إلى الجدة والتأصيل بعد زمن يطول أو يقصر . غير أننا فى الواقع قد أطلنا ـ ولما نزل الى حد ما ـ الوقوف عند الخطوة الأولى . وقليل من آثارنا الفنية المؤلفة شعراً أو نثراً هو الذى يرقى الى مستوى الأصالة ولزوم قواعد الفن الصحيحة .

وكان من الطبعى والحال هذه أن يتأخر دخول فن المسرحية الحقيقى فى إهاب أدبنا العريق ولم يعترف به إلا بظهور تجارب ناضجة على أقلام (ابراهيم رمزى وتوفيق الحكيم والمازنى) ومن لف لفهم فى ثلاثينيات القرن الحالى . ثم ما لبث المسرح أن أصبح علما يدرس فى الجامعات العربية والمعاهد المتخصصة ويتخرج فيها متخصصون فى فنونه الأدبية وغير الأدبية وإن كانت هذه الخطوة لم تتم إلا منذ نحو ربع قرن ونيف .

الفرق بين المسرحية ودراما الفكر

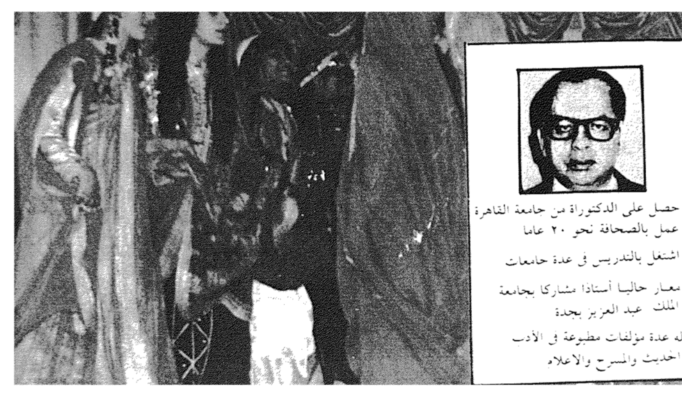
ليس من شك فى أن الاشكالية التى ندرسها تتطلب التفريق بين المسرحية بمعناها المألوف وبين فرع ثانوى انبثق عنها وهو ما عرف بدراما الفكر أو الذهن حتى لا يلتبس الأمر علينا وحتى تتحدد المفاهيم .

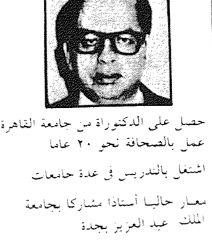
جدير بالاشارة أن دراما الفكر نمط أدبى لم نعرفه بظهور «أهل الكهف» و«شهر زاد» لتوفيق الحكيم فى الثلاثينات كما هو شائع خطأ بل سبقت تجربة الحكيم تجربة أدبية مشهورة هى (مىّ زيادة) فى العشرينات كما ظهرت تجارب أخرى بعد الحكيم لمحمد زكى صالح ومحمد فريد أبى حديد .

وبادىء الرأى نرى من الأمانة العلمية أن نفرق بين دراما الفكر التى توضع للقراءة والتمثل الذهنى ودراما الفرجة التى تشخص على المسرح وتسهم فى تشخيصها وإخراجها العناصر غير الأدبية باعتبارها الفن الوحيد الذى لا يزال فنا جماعيا بطريقة لا مفر منها .

أما الأولى فتعد من الأجناس الثانوية ابتدعها الرومانسيون لمعالجة الأفكار الفلسُفية الميتافيزيقية ويسودها الفكر النظرى بجدليته وتحليلاته وتعليلاته وكأنهم بذلك كانوا يعدلون بين تغليبهم العاطفة على العقل أولا وكرد فعل لتمردهم على المسرحية الكلاسيكية التى تغلب العقل على العاطفة ثانيا وصحيح أنهم يلبسون الايقاع الفكرى الداخلى لهذا الجنس مكونات التقنية من فعل وتمثيل وتشخيص وحوار. غير أن جو المسرحية وشخوصها وحوارها وصراعها كل ذلك يفتقد الطابع الانسانى ومحاكاة الواقع أو بتعبير آخر تنتظم دراما الفكر فى درج الأدب الرمزى الجانح الى التجريد وليس هكذا يكون الفن ومنه فن المسرحية بطبيعة الحال .

وأما الأخرى فمنذ قنن لها «أرسطو» فى كتابه «الشعريات» أو «فن الشعر» Poetics وهى تبغيا تصوير الواقع





حصل على الدكتوراة من جامعة القاهرة
عمل بالصحافة نحو ٢٠ عاما
اشتغل بالتدريس فى عدة جامعات
معار حاليا أستاذا مشاركا بجامعة الملك عبد العزيز بجدة
له عدة مؤلفات مطبوعة فى الأدب الحديث والمسرح والاعلام

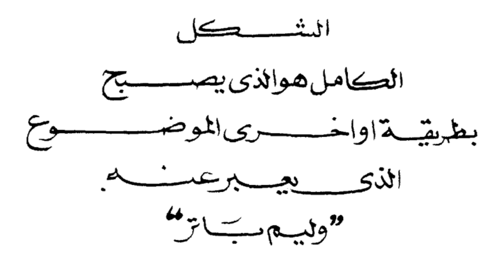
الحى لا طبق الأصل أو (فوتوغرافيا) وإنما بأسلوب الفن وطبق بواعثه وغاياته فالفن ـ كما نعلم ـ ثمرة من ثمرات الحياة وحافز من حوافزها يجاهد من أجل تجميلها وتزيينها كى يحتملها الانسان ويسهم فى الارتقاء بها وتطويرها نحو الأرفع والأمثل ومن هنا ينهض الفن على (المحاكاة) أو التصوير الخارجى للأشياء وفق رؤيا الفنان وأثر عاطفته وشعوره فى لحظة الابداع.

وقد يتدخل فى (المحاكاة) إعتقاد الجمهور المعلوم للفنان فى هذا الواقع وفى إخراج الصورة الفنية معاً. وليس من ريب فى أن جانبا مهما من النظرية الرومانسية فى الفن ومن النظريات التى صدرت عنها كالرمزية والتعبيرية والسريالية يرجع التعبير إلى مخيلة الفنان أو انفعالاته فى لحظات الابداع وما الشعر ـ فى جوهره ـ ومنه الشعر المسرحى بالطبع ـ سوى فيض عاطفة وفورة وجدان ومن ثم فإن المسرحية فى محاكاتها للحياة أو ما هو كائن إنما تنقل عن موضوع من الموضوعات الخارجية ومهما تتعدد مصادر هذه الموضوعات ـ فيما سنبين ـ فإن الموضوع الرئيسى هو (الحياة). وهذا هو المدلول الحق لهذا المصطلح ـ المحاكاة ـ برغم كثرة التفسيرات والتأويلات فيه أى المحاكاة هى تمثيل واقعة حقيقية أو متخيلة. غير أن (الواقع) فى المعالجة الفنية يصور تصويرا معياريا موضوعيا وأساس صدقه ليس مضاهاة الواقع الحى تماما وإنما هو صدوره عن الصدق الفنى ذلك أن حقيقة «الواقعية» عندما يحاكيها الفنان تنبنى على وقائع وأحداث ومواقف محسة لا على النحو الذى تحدث به فى الحياة وإنما من خلال رؤيا المبدع وإدراكه ورأيه فى الحياة والناس.. ولذا تأتى الشخوص بما تقول وتحس وتفعل وتسلك وتتصارع ظاهراً وباطناً على حسب تصوير المبدع لها ملتزماً بالعناصر الفنية غير الأدبية للمسرح أولا وقبل كل شىء.

ولما كانت حقيقة الأدب وجوهره بصفة عامة أنه فكرة مصورة مزجاة بالعاطفة أو الانفعال فإن الأثر المسرحى لابد أن ينهض من داخله على إيقاع فكرى متسق مترابط يحكى الروح فى الكائن الحى Soul بالنسبة لهذا الأثر بينما شكله المحس Form بمثابة جسده أو هيئته أو صورته ومن ثم يرى النقد الحديث أن المسرحية الجديدة لا فكرة فيها Theme ولا يقصد من ذلك خلوها تماماً من فكرة أو فكرات وإنما المقصود ذوبان الفكرة أو الفكرات فى إهاب القالب أو الموضوع الفنى الذى يكتسب عن طريق مزج فكره مع شكله كياناً قائماً برأسه متميز الملامح والقسمات أو قل: تتخلق الفكرة عملا فنيا له شكله الملموس.

وجدير بالاعتبار أن ثمة بونا شاسعا بين (الموضوع) فى حد ذاته و(الموضوع) فى صيغته الفنية إذ الأول معنى عام يقع (خارج) العمل الأدبى بمعنى أنه يعيش فى أذهاننا وكفى . . وبالتالى فهو سابق فى الوجود على العمـل الأدبى وهذا المعنى مرتبط دائما بالحركة بل إنه يمثل الحركة الذهنية الموازية لتلك الحركة الحسية التى نلمسها فى عناصر الطبيعة . وأضرب لذلك مثلا بالزهرة فالزهرة فى ذاتها وفى موضعها الحسى الجامد لا تصلح موضوعاً أدبياً ولكن تفتح الزهرة أو ذبولها هو الذى يصلح موضوعا أدبيا . اذن فالموضوع الأدبى شيىء آخر غير العمل الأدبى وليس هناك عمل أدبى يتضمن موضوعاً أدبياً ولا يمكن أن يوجد عمل أدبى يتضمن موضوعا لأن الموضوع دائما يقع خارج العمل الأدبى فيما أشرنا غير بعيد .

نستخلص من هذه الفقرة أن (الموضوع) مقتبس بالضرورة من أحد مصادره كالتاريخ والأدب والأسطورة والحكاية الشعبية أو من واقع الحياة ولذا فإن الموضوعات الأدبية الفريدة غير المسبوقة بمثال نادر جداً بينها القاعدة العامة أن سائر ما يتناوله الأدباء من موضوعات مستهلك معروف منذ القدم ومسبوق دائما فى المعالجة والتناول ولكن المعيار الذى يميز بين أديب وآخر هو أسلوب المعالجة ذاته حيث إن كل فنان لا يماثل فنانا آخر وبالتالى فكل عمل فنى أو موضوع فنى ـ يتميز ببصمة من التفرد والاستقلال سواء فى أسلوب انفعال الفنان أو فى نهج استغلاله للعناصر التى يقتبسها من مصدر الموضوع . . إنها لقدرة خاصة مستقلة للفنان دالة بذاتها على شخصيته الفنية ومدى اصالته وتحقيقه لذاته فى الوقت عينه و«الشخصية» عامة أكثر غموضاً وتعقيداً ولا يسهل تحليلها . وربما تشابهت فكرة عمل أدبى لأديب معين بفكرة عمل أدبى لأديب آخر سابق عليه بل ربما يتشابهان معاً فى طريقة المعالجة أيضا على نحو ما نرى ـ على سبيل المثال ـ فى مسـرحية (كلهم أبنائى) للأديب الأمريكى «آرثر ميللر» ومسرحية (أعمدة المجتمع) للأديب النرويجى «هنريك إبسن» فهل معنى ذلك أن اللاحق ارتكب ما يعرف فى أدبنا القديم بالسرقة الأدبية؟ .



الحق أننا فى فنون الأدب العربي الحديث كالرواية والمسرحية لا نستطيع أن نطبق مقاييس النقد العربى القديم القـائم أساسا على نقد الشعر العمودي ووحدة البيت فيه لأنه لا مجال للسرقة الأدبية في الفنون المشار اليها إذ الاقتباس أمر مباح فيها إن فى الفكرة أو فى المعالجة أو فى الأسلوب . والفيصل هنا إنما يتمثل فى أثر شخصية القاص أو الكاتب المسرحى فى المعالجة الفنية ، وفى مدى أصالته وتجديده وحدود قدرته الذاتية على التفنن فيما ألمحنا غير بعيد .

الفكرة بين الأدب والعلم

ويقتضينا المنهج أيضا فى هذه الدراسة أن نُحدِّث عن معالجة الفكرة بصفة عامة فى الأدب والفن وكيفية اختلافها عن المعالجة العلمية التقنية القائمة على الوصفية والتقريرية المباشرة. فالذى لا شك فيه أن معالجة فكرة أو فكرات بأسلوب الفن أو بمنهج العلم تتطلب إمعان النظر والتأمل وتجزئة وحدتها أو بنيتها إلى دقائق تُقَلَّب على غير وجه وينظر إليها من أكثر من زاوية مع ربط الأسباب بالمسببات والعلل بالمعلولات وبعد ذلك يمكن ان يبدو التباين فى المعالجة بين منهج الفن ومنهج العلم البحت فالفن يتوسل بالفكرة أداة لا غاية نفعية إذ الغاية الامتاع الفنى ولذا يتناولها الفن بطريق غير مباشرة ويمزجها بالأحاسيس والانفعالات، والعواطف يستشعرها الفنان حين يكابد تجربته وحين يشحذ خياله ثم يصطنع لفكرته لباساً ظاهراً من قصة أو حكاية أو من أسطورة أو حلم أو حوار مسرحى . . فقد يصوغها (أى فى فن القول) - نثراً أو شعراً أو يجسدها نغماً أو رسماً أو نحتاً وما الى ذلك من أدوات الفنون غير القولية. وكل فنان خلق لما قدر له ووهب من ملكات وقليل هم هؤلاء الذين لهم غير موهبة فيبرعون فى أكثر من فن لفرط عبقرية ولكن فى كل الأحوال يتفوق الجهد الفنى بذاته على الجهد الانسانى العادى إذ أن الأول يتطلب الموهبة والثقافة والحس الرهيف على خلاف الآخر كما أن الفنان فى حالة بذله الجهد الفنى ينبغى عليه أن يوازن ويفاضل بين المثال والواقع بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون وهو بذلك إنما يعادل بين (تحقيق الذات) و(مقتضيات الجماعة) وهذا سر خلود الأعمال الفنية الرفيعة خلوداً أبديا لأنها تبقى تراثا - على خلاف سائر أعمال الفكر الأخرى - يطاول الزمان وتتعاوره الأجيال جيلا بعد جيل. ولا غرابة فى ذلك إذ أن الاعمال الفنية ثمرة تجارب الفنان الشعورية وهذه التجارب يكون عالمها النفس البشرية بخصائصها وسماتها ونقائصها والنفس حظ مشترك بين الناس . . والقيم الانسانية العامة التى يتغياها الفن حظ مشترك كذلك بين بنى الانسان بلا حدود مكانية أو زمانية وكما أن الفنان الحق مصدر إشعاع ونور وخير كذلك كانت غايته المرجوة التى يريد بها تحقيق المتعة الفنية للمتلقى لعله يتزكى.

وبالنسبة للمعالجة الفنية للفكرة - من وجهة أخرى - فلابد من أن نشير الى تفاوت مواهب المبدعين وعبقرياتهم بما ينعكس أثره على معالجة الفكرة بطبيعة الحال. ذلك أننا نجد الفكرة الذائعة والأسلوب الفنى الذى تعالج به عند مبدع عبقرى فرد يكتسبان وضوحاً وثراء وأبعاداً شتى ويثمران من الايحاءات والمعانى والقيم ما يثير العجب ويربى من قدر وظيفة الامتاع الفنى لأنه كلما صعد المؤلف بموضوعه نحو الذروة - من خلال فصول مسرحيته أو مشاهد وفصول قصته - جاهد فى هذه الاثناء أن يثير من المجادلات والتساؤلات وان يعرض من الحلول ما لا يخطر على البال لدى المتلقى العجل أو العادى غالباً وإنما يترضى الصفوة المثقفة فى المقام الاول ويبعث لديهم الحيرة فى حين نجد نفس الفكرة وذات الأسلوب يفقدان كثيراً مما سلف عند مبدع سطحى أو ناشىء أو ذى ملكة محدودة وعمل هذا المبدع الأخير إنما يعجب المتلقى العادى الذى يبحث عن الترويح فيقنع به على حاله ولا يجد حاجة الى أن يثير تساؤلات جدلية تتطلب أجوبة وأدلة وبراهين صنع المتلقى المثقف. . ولكن رقى الأمم يعوزه النوع الأول من الآثار الفنية لقيمتها وأصالتها وخلودها أبداً ولذا نجد أن دور النقد الموضوعى التحليلى تجاه العملين يتفاوت ويختلف إذ نراه

تجاه العمل الفنى الرفيع لا يحتاج الى شرح طويل أو تفسيرات متعددة كى يستخلص المضامين والأفكار ويبلور المبادىء والقيم وعلى العكس من ذلك بالنسبة للعمل الآخر.

ومن الطبعى فإن هذا النقد يختلف باختلاف الجنس الفنى الذى يتصدى له اختلافه بحسب مذاهب الناقدين والمدارس النقدية المنتمين إليها فى وقت معاً.

وإذا عدنا كرة أخرى الى نهج الاسلوب العلمى فى معالجة الفكرة فحسبنا فى مقامنا هذا القول إن العلم وهو يعتمد التجربة والتطبيق مقياساً إنما يعمد الى التحليل والتفسير والتعليل مقررا أو واصفاً قبل أن ينظر ويعمم أو يلخص ويستنتج ويحكم.

الجديد فى الفن الأدبى

ويتطرق بنا الحديث هنا الى ضرورة الجواب على سؤال منطقى إذا لم يكن ثمة أفكار جديدة فى الفن ـ ومنه الفن المسرحى بالطبع ـ ولا جديد أيضا فى المضامين والتقنيات فكيف تكون المعالجة مبتكرة وشخصية المبدع وحدها سبيلا للابداع وكيف نكشف النقاب عن الجديد على هذا الأساس وحده؟.

لعل فى تبيان حقيقة الابداع فى الفن نجد جوابنا المنشود فلا نزاع فى أن معنى كلمة «إبداع» فى حقول المعرفة كالفن والفلسفة والعلم البحت يختلف عن معناها فى الدين وهو الخلق من عدم وذلك من شأن الحق جل وعلا وحده.. بينما المعنى المقصود فى الحقول المعرفية المشار اليها ليس الخلق من عدم أو على غير مثال سبق «بل إنشاء شىء جديد إنطلاقا من التعامل (نوع خاص من التعامل) مع شىء أو أشياء قديمة قد يكون هذا التعامل إعادة تأسيس أو تركيب وقد يكون نفياً أو تجاوزاً ومن هنا يمكن القول إن الابداع فى الفن هو إنتاج نوع جديد من الوجود بوساطة إعادة تركيب أصيلة للعناصر الموجودة .

فالابداع الفنى على هذه الصورة يغاير إذن إبداع العلم البحت وابداع الفلسفة فى وقت معاً لأن الابداع العلمى اختراع واكتشاف عن طريق التجربة وطبقاً لقواعد وشروط عقلية تحتمل الصواب والخطأ الصدق والكذب.. بينما إبداع الفلسفة (والفكر النظرى بعامة) يستهدف اعادة النظر فى مسائل قائمة ساخنة لا بهدف حلها حلا حاسما بل من اجل إعادة طرحها طرحاً جديداً يساير اهتمامات مستحدثة أو يحفز الى الانشغال بمشاغل جديدة حيث لا حلول نهائية فى هذا الحقل

ويلتقى الابداع فى الحقول السابقة فى هدف مشترك وهو نشدان الجدة والأصالة وتلك مسألة جدلية معقدة نتجاوزها فى هذه الدراسة المحدودة وحسبنا أن نصل من هذه الناحية الى ان السر فى إشكالية الفكر المسرحى العربى ـ موضع الحديث ـ هو عدم جدته وأصالته فى الأغلب الأعم ولما كنا لسنا بصدد البحث فى الأسباب المختلفة التى تتعلق بأزمة الفكر العربى على التعميم فيكفى أن نذكر فى سياق أزمة الفكر المسرحى أنها تتمثل أولا وقبل كل شىء فى الأزمة الابداعية وأزمة الابداع وأزمة النقد معا. وأزمة الابداع فى المسرحية ترجع أولا وقبل كل شىء إلى ترخص الكُتَّاب فى البصر بأصول الدراما وقوانينها من جهة واضطرابهم بين المدارس الفنية من جهة ثانية وتأثرهم بكل بدعة تجديدية وتقليدها عن غير وعى أو تأمل من جهة أخيرة. ولا شك أن النقد كان يساير اتجاه الكُتَّاب بدلا من توجيههم فضلا عن أن مجاله الأكبر عندنا

هو الصحافة مما جعله فى أغلب الأحيان نقدا غير موضوعى بل يتسم بالسطحية ويميل إما إلى التقريظ أو القدح دون أن يستهدف تحليل النصوص وتقويمها تقويماً فنياً وعلمياً صحيحاً.

ومن يدقق النظر فى الاشكالية موضع الدراسة يجدها ترتبط بطريق مباشرة أو غير مباشرة بإشكالية فوضى المصطلح الفنى وإبهام التصورات والمفاهيم.

ومن هذه المصطلحات «المادة» أو «المحتوى» و«المضمون» أو «المغزى» إذ شاع الخلط بينها كما خلطوا بين علاقة المادة بالصورة أو القالب. فمن الثابت أن مادة العمل الفنى هى صياغة الوقائع والنماذج والعلاقات فى العمل الفنى على نحو معين وفى إطار خاص لأنها تحكى فى الواقع خبرات المبدع وتجاربه الذاتية فى الحياة والناس ومن الثابت كذلك أن هذه المادة لا تنفصل بحال عن صورتها كما لا يمكن الحديث عن الصورة الفنية دون مادتها. وبما أن الوحدة قائمة بين المادة وصورتها يكون غير صحيح اتحاد الصورة بالمغزى أو المضمون كما هو ذائع عندنا خطأ فالمضمون **شىء آخر إنه الموقف الفكرى** للمبدع إزاء الموضوع المقتبس وهذا الموقف هو الذى يعرضه من خلال **أثره الفنى وهذا يؤكد لنا ما سبق قوله من أن كل عمل** فنى أو أدبى هو واقع محسوس ينتظم فكرة أو موقف **الأديب الخاص من الموضوع الأدبى أو الصالح** للمعالجة الفنية لا الموضوع فى صورته العامة الخارجية

وفى هذا السياق نجد خلطا **أيضاً بين الفكرة أو الموقف الذى بيّنا وبين المقدمة المنطقية** Premise فالأخيرة تتسم بالعمومية وتقع أيضاً فى (خارج) **العمل الفنى. ومع أنها تحكى القضية أو الغرض** أو الهدف العام الذى تحاول المسرحية البرهنة **عليه وإقناع المتلقى بصحته لكى يسلم به بعد مشاهدة المسرحية** أو قراءتها فإن كل مسرحية **لابد لها من هذه المقدمة المنطقية وهى تصلح لها ولغيرها من الآثار** الأدبية بطبيعة الحال نحو: **(تضرب فى حديد بارد) (لكل جواد كبوة) (شمّر ذيلا وأدرع ليلا) (آفة الرأى الهوى) (لا ينتصف حليم من جهول).. الخ.**

إذن ففكرة المسرحية هى حكاية لموقف الكاتب **أو فكره يعبر عنه موضوع مسرحيته** والفكرة الجذرية أو المقدمة المنطقية تكون قضية مفروضة ومسلم بها مسبقاً. ومع **أن ثمة تفاسير وأسماء** مختلفة سميت بها هذه الفكرة الجذرية فإن أدق تعبير عنها هو ما ذكره (لايوس ايجرى) وهو (المقدمة المنطقية) وقد أيده فى هذا كثير من علماء المسرحية ونقادها. يقول الناقد الفرنسى الشهير «فردناند برونتيير F.Brunetiere» «إن كُتّاب المسرحيات مطالبون بأن يبينوا الهدف Gool الذى يرمون إليه من مسرحياتهم وأن يجعلوا هذا الهدف نقطة البداية وهذه هى المقدمة المنطقية». ويؤيده فى هذا الكاتب والناقد الأمريكى «جون هوارد لاوسون J.H.Lawson». ولكن المؤلف والمعلم الامريكى «جيمس براندر ماثيوز» يرى أن المقدمة المنطقية هى الموضوع الذى تفتقر إليه المسرحية

ومهما يكن من شىء فإن موضوع المسرحية أو فكرتها الأساسية يستهدف غرضاً أو هدفاً معيناً يجاهد فى تفاصيله أن يثبته ويبرهن عليه والمقدمة المنطقية ـ كما رأينا ـ قد يصوغها المتلقى فى مثال أو حكمة يتذكرها أو يتمثلها فى كلمات من عنده تلخص مغزى المسرحية وفحواها ومهما تختلف الحكم والامثال والمأثورات باختلاف ثقافات الشعوب وتراثها ولغاتها فإن المغزى الانسانى فيها أو القيمة الانسانية ذات معنى واحد آخر الأمر ويصدر عن تصاريف الحياة وطبائع البشر فى كل عصر وأمة.

ويسلمنا الكلام عما يصدر عن الشخصية المتفننة بالمسرحية من أفكار ومعان وآراء إلى الاشارة إلى أهمية استقرار هذه الشخصية على احتذاء تقاليد مذهب برأسه من مذاهب الفن المعلومة عند المعالجة الفنية حيث إن كثيراً من المتفننين بالمسرحية العربية يتذبذبون بين تقاليد مختلفة لمذاهب ومدارس شتى كما يحاكون طرائق متباينة لكتاب غربيين مبرزين ومشهورين وتنعكس آثار هذا الاضطراب وهذا التذبذب على تضاعيف النص المؤلف ويقلل من تأثيره فى آن واحد على المتلقين.

وإذا كان مبدأ الاقتباس ثابتا فى مجال الفن الأدبى من حيث الموضوع والمضمون والتقنية ـ كما أوضحنا ـ فلا يعنى ذلك الاقتباس والحذق فيه الارتفاع بفاعله الى مرتبة الفنان الحاذق بحال من الأحوال إذ المفروض أن يتفهم الفنان أن شخصيته وذاتيته ورؤيته الخاصة وقدرته على الاختيار والانتقاء كل ذلك لابد أن يؤدى إلى ضرورة المغايرة بين ما يبدع من فن وما أبدعه الاسلاف ممن صدروا عن الموضوع المواحد أو المضمون الواحد أو التقنية الفردة أو كما يقول الروائى الكبير «نجيب محفوظ» فى معرض حديثه عن الجدة والأصالة فى الفن «إن الجديد فى نظرى هو الأديب نفسه وكما تختلف كل ورقة شجرة فى الطبيعة عن الورقة الأخرى فإن كل فنان لا يشابه الفنان الآخر ففى كل عمل فنى بصمة تفرد واستقلال. . فى طريقة انفعال الفنان، وفى طريقة استغلاله للعناصر التى يقتبسها من التاريخ أو الأدب أو الحياة .

●●

المعيار الذى يميز بين اديب وآخر هو اسلوب المعالجة ذاته حيث ان كل فنان لا يماثل فنانا آخر

●●

ومغايرة فنان عن آخر فى المعالجة إذن هى مصدر الجدة والأصالة ما دامت عناصر العمل الفنية ومصادره معلومة ولا جديد فيها والمغايرة لا تعنى الشذوذ أو الانحراف وإنما تعنى تميز إبداع الفرد برؤية خاصة وقدرة خاصة رغم أن المادة واحدة وهى أشبه بالكلأ المباح ينهل منه كل امرىء ولكن الفنان الحق لا يعتمد على استيعاب علمى أو قدرة حرفية بقدر اعتماده على الوعى بخبايا النفس الانسانية وحقيقة الحياة والطبيعة أولا وعلى مدى علاقته بالمحكى الذى يريد تجسيمه وابرازه ثانياً.

وعلى هذا الأساس فإن الفنان العبقرى هو حقاً القادر على رأب الصدع الذى ينشأ عادة بين أجزاء الفكرة وهى تحاول الانصباب فى قالبها الفنى وان رأينا كثيراً فنانين عباقرة قد أخفقوا بشكل أو آخر فى هذا الصنيع. أما ما حدث عندنا تجاه معالجة هذه الاشكالية فهى شىء آخر تمثل فى الهروب منها الى الدعوة إلى ابتداع قالب مسرحى ملائم لنا وكأننا شذوذ عن سائر العالمين.

ولقد بادر كُتّاب من أمثال «الحكيم ويوسف إدريس والفريد فرج ونعمان عاشور وعلى سالم» وغيرهم إلى تعريب أشكال من قوالب القصص الشعبى ثم راحوا بعد ذلك يزكون صنيعهم ويأتون بالأدلة على ملاءمته للذوق العام أولا وإيثار عنصر الشكل على الموضوع مع إمكانية الفصل بينهما ـ صنع أصحاب النقد الجمالى ـ ثانيا.

مهما يكن من شىء فإن الواقع يؤكد لنا أن السبب فى ذلك هو فى الحق إخفاق كتابنا وأدبائنا فى حل الاشكالية المدروسة وفى هذه الحالة لا يمكن أن يحسب صنيعهم نوعا من التجديد أو الافادة من تراثنا القصصى القديم. وإذا كان آحاد من كتاب المسرح أنفسهم فضلا عن النقاد قد عرض لهذه المسألة فحسبنا هنا أن نذكر ما جاء على لسان الكاتب المسرحى نعمان عاشور. يقول: «**إن الحقيقة الكامنة وراء خلق قالب مسرحى خاص بنا أساسها أن المسرح عندنا لم يرتبط بالأدب ارتباط القصة والرواية والشعر إلا فى الحالات النادرة لبعض وليس لكل مسرحيات توفيق الحكيم**».. **وفيما عدا هذا فلم يكن للنص المسرحى وجود فعلى كنتاج أدبى على مدى النشاط المسرحى إنما اعتمد المسرح على المقتبسات والمترجمات والمرتجلات التى كانت تقدمها الفرق المسرحية المختلفة كعروض تمثيلية يؤديها أصحاب الفرق وأبطالها من الممثلين أما النص المؤلف الخالص البحت فى مسرحنا فإنه وليد السنوات القليلة الماضية فقط وهو نص قوامه القابلية للتمثيل أصلا ولا يداخله الاقتباس أو التعريب أو الارتجال**.. «**فالقضية فى جوهرها ليست قضية وجود شكل مسرحى يناسبنا وإنما وجود نص مؤلف على أصول مسرحية وتكون له قيمته الأدبية.. اننا نحتاج الى نصوص درامية أصيلة تتوافر لها قابلية التمثيل وقدرة التفاعل لكسب تجاوب الجمهور والاعتماد على دراما الناس قبل الاعتماد على الممثلين والمخرجين الذين يتحكمون فى النصوص**(٢١).

بقى فى هذه المسألة حجة لمّا تزل قائمة وتتردد كلما وجهت نقدات الى مسرحنا العربى وهى القول بأن المسرح فن جماهيرى وينبغى أن يستجاب لمطالب النظارة وأذواقهم فى المقام الأول ولكن يتضح من النظرة الاولى على هذه الحجة أنها واهية.. *صحيح ان المسرح فن جماهيرى ولكن القاعدة الثابتة فيه والمنطقية* أيضاً هى أنه يقود ويوجه ويبصر القوم وما دام يلزم الأصول والتقاليد الراسخة والقواعد الملزمة فلابد أن يرضى الأذواق وليس منها الذوق الشائع لأنه ليس خيرها كما نعلم.

ومن وجهة أخرى فإن الشكل أو القالب فى حد ذاته لا يعدو أن يكون مجرد وسيلة بها يختار الفنان مادته ويطورها لكى تكشف فى مجملها وتفاصيلها عن غرض واحد مؤثر. ثم إن الفن لا يتطلب أى شكل أو صورة تحتويه بل يشترط الشكل المعبر أو الصورة الفنية المعينة لأنها فى حد ذاتها يبدأ منها الفن وينتهى فيما ذكرنا ولهذا يؤكد النقد الحديث على أن سائر الفنون تسعى دائماً إلى تحقيق الوحدة العضوية فى آثارها ويعد فن الموسيقا أرقاها وأرفعها من هذه الناحية لأنك لا تستطيع أن تميز فيه الفكرة عن التعبير بحال من الأحوال كما لا تتميز الروح عن الجسد المتلبسة فيه.

لما تقدم تتبلور أمام النظر جملة مقترحات يمكن أن تنير أمامنا الطريق نحو حل هذه الاشكالية الكؤود من وجه وتعين على تقصير المسافة نحو الارتقاء بأدبنا التمثيلى ودفعه دفعا الى المستوى المنشود من وجه آخر:

أولا : إذا كنا قد بسطنا الحديث فى هذه الدراسة عن اضطراب وحدة الفكر والصورة فى أدبنا التمثيلى الفصيح وكفى فإن الواقع يؤكد أن جل إنتاجنا المسرحى يتوسل بالعامية ، إذن فالاشكالية تنتظم فى قوسها ما هو فصيح اللغة وعاميها على السواء . ومن ثم ينبغى على كتاب المسرحية عامة ومعهم الأقلام الناقدة استيعاب القدر الأكبر من تقاليد الفن وصنعته أو بمعنى آخر ينبغى تمثل الثقافة الفنية واستيعابها على وجهها الصحيح . وهذا الشرط وحده غير كاف إذ أن الوسط الفنى زاخر بالمدعين والمتطفلين عليه بينها هم بغير موهبة أو حس درامى مع أنهم الأكثر إنتاجا والانشط حركة وما دام الأمر كذلك فيقع العبء الأكبر على الكتاب الموهوبين والمثقفين فالعبرة ليست بكثرة الانتاج وإنها بكيفيته وتوظيفه من أجل رقى الفكر ورقى الحياة والانسان لا بغرض التسلية الفارغة وقتل الوقت الضائع سدى .



ثانيا : لا يكفى النقاد الجادون أن يعكفوا على دراسة النصوص وتحليلها وتقويمها بل عليهم كذلك المجاهدة فى تأصيل هذا الفن والكشف عما تنتظمه آثاره من اتجاهات ومواقف فكرية وأدبية واجتماعية تعين على نهضة الفكر العربى من أزمته التى لما يزل يتخبط فيها سواء نظرنا الى هذا الفكر باعتباره محتوى ومادة أو أداة ووسيلة أو بمثابته موضوعاً للدرس والتحليل .

وطبعى أن هذا الصنيع أمانته ثقيلة على هؤلاء النقاد ولذا ينبغى أن يتحمل الكُتّاب والدارسون والمثقفون والمعاهد المتخصصة أجزاء من هذه الأمانة . والمتعمق فى الفن عامة ومنه فن المسرحية يجد فى مضامينه وأفكاره ووظيفته ما يستأهل بذل الجهد لأنه يخاطب (الانسان) عقلا وعاطفة ووجدانا أو بعبارة أخرى يسهم فى بنائه ومعلوم أن الانسان هو صانع كل نهضة وتقدم فى كل عصر وأمة .

ولا يمكن أن نغفل فى هذا السياق دور رجال المسرح وفنيه ممن يعينون على تجسيم النص وإخراجه باعتبار المسرح فنا جماهيريا معقداً يستند على جملة فنون آلية أخرى .

الثا: وإذا كانت الدراسة التى بين أيدينا قد اقتصرت على جانب من جوانب فنيات الدراما فما ذلك إلا لأنه جانب لا يضر ضررا شديدا بتأليف النصوص وقيمتها فحسب بل يسهم بصورة أو أخرى فى الافصاح عن أزمة الفكر الفنى والأدبى وهى بدورها جزء لا يتجزأ من أزمة الفكر العربى الشاخصة أمام أعيننا فى يومنا هذا.

وعندما يبلغ النص المسرحى درجة النضج الفنى والفكرى سواء صيغ بالفصحى شعراً ونثراً أو دبج بالعامية أو الزجل يكون قد حقق جانبى الجدة والأصالة وهما بؤرة كل ابداع فنى كما أنهما فى الوقت ذاته فحوى كل فكر جديد وأصيل ولن يبلغ أدبنا التمثيلى هذه الغاية.ونحن مازلنا نحدث عن الشكل تارة والفكر تارة أخرى.

وعلى الرغم من ذلك فالأمل يتراءى لنا مضيئا فى الأفق بعد أن صارت الفنون علوماً جامعية تدرس وغدا نرى بعض المحتفلين بها يجاهدون فى تصحيح المفاهيم النقدية والفنية الخاطئة ويستزيدون فى الوقت نفسه من كل ثقافة وفكر وأدب ارتقاء بمستوياتهم الذهنية والمهنية.

المراجع

* المقصود: التراجيديا (المأساة) والكوميديا (الملهاة) ويتفرع عن المأساة المشجاة (الميلودراما) وعن الملهاة (الهزلة) أو (المهزلة).

(١) تشريح المسرحية، ت: درينى خشبة القاهرة ١٩٦٢ ص٣١٨.

(٢) درينى خشبة اشهر المذاهب المسرحية المقدمة.

(٣) رشاد رشدى مقال بعنوان «الفكرة فى المسرح المصرى» مجلة المسرح العدد ١٢-١٢/ ١٩٦٤م.

(٤) ميشال ليور فن الدراما، ت: احمد بهجت قنصه ط بيروت ١٩٦٥ ص١٤٣.

(٥) فن الدراما ص: ١٤٤

(٦) ابراهيم درديرى تراثنا العربى فى الادب المسرحى الحديث ط. جامعة الملك سعود. ١٩٨٠ ـ القسم الاول من التمهيد العام.

(٧) مسرحية «على الصدر الشفيق» نشرت بمجلة الهلال العدد ٣-٣/ ١٩٢٣ راجع ابراهيم الدرديرى القصص الدينى فى مسرح الحكيم دار الشعب القاهرة ١٩٧٥ المقدمة.

(٨) غنيمى هلال، فى النقد المسرحى دار النهضة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٥/ ص٤٩.

(٩) عز الدين اسماعيل مقال بعنوان «أضواء على بعض القضايا الادبية المعاصرة» مجلة (المجلة) العدد الثالث ٣/ ١٩٥٧.

(١٠) محمد عابد الجابرى دراسة بعنوان «ازمة الابداع فى الفكر العربى المعاصر» مجلة (فصول) العدد الثالث المجلد الرابع ١٩٨٤.

(١١) لايوس اجرى، فن كتابة المسرحية ت. درينى خشبة القاهرة ص٤٥.

(١٢) حديث صحفى، نشر بمجلة (المصور) الاسبوعية، العدد ٢٣٠٠-٨/ ١١/ ١٩٦٨.

(١٣) مقال للكاتب المسرحى، نشر بصحيفة (اخبار اليوم) بتاريخ ٢٢/ ٦/ ١٩٦٨.

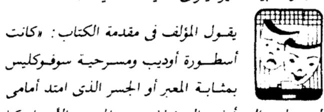
(١٤) N.C. Starr, The Dynamics of Literature P.30

أسطورة فى المسرح



أى مؤلف ابداعى فى مجال القصة أو الرواية أو الدراما بأنواعها لا يمكن أن يهمل دراسة الأساطير كما صاغها العمالقة من أمثال سوفوكليس فى أعمال مسرحية رائعة .. فالمسرح سابق للقصة والرواية ولكى تكتب العمل القصصى لابد أن نحيط علمنا بالأعمال المسرحية العظيمة . واذا كانت دراسة المسرح لازمة لكاتب القصة والرواية فهى بداهة ألزم لمؤلف الدراما بأنواعها . مسرحية واذاعية وتليفزيونية . واذا كان المسرح اليونانى هو أعرق المسارح فان من أشهر الأعمال الدرامية اليونانية ان لم تكن أشهرها جميعا مسرحية «أوديب ملكا» لسوفوكليس . فلقد استمد منها عالم النفس الشهير فرويد ما أطلق عليه «عقدة أوديب» منسوبة الى أوديب بطل هذه المسرحية ولأهميتها وروعتها وخصوبة محتواها حاول عديد من الأدباء المعاصرين اعادة كتابتها برؤى مختلفة وكأنها تنويعات على نغمة أساسية كما حاول البعض الآخر استلهامها فى أعمال درامية تحمل بعض سماتها .

لقد قدم الأديب الفاضل الاستاذ مصطفى عبد الله فى كتابه «أسطورة أوديب فى المسرح المعاصر» انجازا أدبيا متميزا يثرى الحياة الثقافية . .



يقول المؤلف فى مقدمة الكتاب : «كانت أسطورة أوديب ومسرحية سوفوكليس بمثابة المعبر أو الجسر الذى امتد أمامى ليوصلنى الى أرض اليونان منبع المسرح الأصيل كما تعلمنا ويكفينى ان بدأت من المنبع الأصيل لا من الرافد الهزيل . . منذ ذلك اليوم وأنا دائم التفكير فى أسطورة من قتل أباه وتزوج أمه» .

ولا شك أن انجاز مثل هذا الكتاب المبنى على الدراسة والتحليل قد كلف مؤلفه جهدا كبيرا ومعاناة شديدة للبحث والاستقصاء والمقارنة والتحليل وابداء الآراء .

ويشتمل الكتاب على جزءين يتضمن الجزء الأول منها عرضا لأسطورة أوديب ومسرحية «أوديب ملكا» لسوفوكليس التى بناها على الأسطورة . . وعرضا وتحليلا لمسرحيتى «أوديب» لأندريه جيد ومسرحية «الآلة الجهنمية» لجان كوكتو وهما الأديبان الفرنسياز اللذان أعادا كتابة الأسطورة مسترشدين بمسرحية

أوديب
... ـسرح المعاصر

عرض وتحليل

د. يوسف عز الدين عيسى

سوفوكليس .

ويشتمل الجزء الثانى من الكتاب على عرض وتحليل لمسرحيات الأدباء المصريين الذين أعادوا صياغة الأسطورة أو استوحوها كالاستاذ الحكيم والاستاذ الأديب الراحل على أحمد باكثير والاستاذ على سالم .

وأسطورة أوديب فى الأصل مبنية على فكرة . . القدر . . وان الانسان لا يمكنه ان يهرب من قدره واذا خيل اليه انه يبتعد هاربا من القدر فانه فى الحقيقة ودون ان يدرى يكون منطلقا ليرتمى فى أحضانه اذ لا مفر منه . . ولقد حافظ المؤلفان الفرنسيان بوجه عام على الاطار الأساسى للأسطورة أما المؤلفون المصريون الذين تناولوها ابتعدوا بها عن فكرتها الأساسية وهى فكرة القدر . . ولقد عرض المؤلف وجهة نظره فى مدى التوفيق أو عدم التوفيق اللذين صادفا الأدباء المعاصرين عندما تصدوا لموضوعها سواء أكانوا من الفرنسيين أو المصريين .

وأسطورة أوديب كانت معروفة لدى الشعب اليونانى قبل أن يصوغها سوفوكليس شعرا فى مسرحية رائعة وكان حريصا على أن تتميز بوحدة الزمان والمكان والحدث وهى سمات المسرحية الجيدة فى رأى أرسطو فجعلها تبدأ من الجزء الأخير للأسطورة عند ظهور الوباء بمدينة طيبة (ثيبه) كما يتسم بطلها أوديب بسمات البطل التراجيدى . . فلقد عصفت بأوديب مأساة مروعة نتيجة لخطأ ارتكبه أو نقطة ضعف فى شخصيته اذ قتل أباه دون أن يعلم انه أبوه وتزوج من أمه دون أن يعلم انها أمه . . فحقق بذلك النبوءة التى ظن انه هرب منها بتركه مدينة كورنثة وهروبه الى طيبه . . وظل أوديب يبحث عن قاتل الملك . . ثم يحدث بعد ذلك التعرف أو الاكتشاف فيعرف الحقيقة المرة وهى انه هو قاتل ابيه وزوج أمه فيتأكد من ان هذا الذى ظن انه هرب منه قد تحقق فتتحول منذ هذه اللحظة سعادته الى شقاء وتنتهى المأساة بانتحار زوجته التى هى فى الحقيقة أمه وفقئه لعينيه معاقبا نفسه على الأثم الذى جلب له العار والدمار ولمدينته طيبه الوباء .

ولقد جعل سوفوكليس التحول يعقب الاستكشاف مباشرة (أى التحول من السعادة الى الشقاء وفقوء عينيه بمشبك زوجته الذهبى يعقب مباشرة استكشاف مأساة قتله لأبيه وزواج أمه) وذلك

ليقوى حبكة المسرحية ويحقق الغرض منها وهو الغرض المأساوى الذى قال عنه أرسطو انه التطهير عن طريق اثارة عاطفتى الشفقة والخوف أى الاشفاق على البطل والخوف من أن يحدث للمتفرج ما حدث للبطل من مأساة.

تناول بعد ذلك المؤلف بالعرض والتحليل التغييرات التى أحدثها باقى المؤلفين الذين أعادوا صياغة الأسطورة بدءا من اندريه جيد وانتهاء بعلى سالم.

ففى مسرحية اندريه جيد نجده يجعل أوديب يغادر قصر بوليب وهو متأكد من انه ليس ابنه ولذا فالدافع على هروبه من القدر لم يعد له وجود، ويعلل أوديب ذلك بأن طبيعته التى فطر عليها تكره الاستئثار بما ليس له كما يقول مؤلف الكتاب. ولقد اضعف اندريه جيد بهذا التغيير الهدف من المسرحية وأضاع معناها.

ويذكر «جيد» فى مسرحيته ان أوديب عندما فقأ عينيه سال منهما دم وصديد فى حين ان الذى يسيل لا ينبغى أن يكون فيه صديد اذ أن الصديد يتكون من موت الكرات الدموية البيضاء فى صراعها مع الميكروبات ولا يحدث ذلك الا بعد فترة من احداث الجرح.

وبدلا من رضاء أهل طيبة وترحيبهم بترك أوديب لمدينتهم كما حدث فى مسرحية سوفوكليس نجد أن جيد بعد أن أوشكت المسرحية على الانتهاء يحدث تغييرا جوهريا اذ يجعل أهل طيبة يتمنون بقاء أوديب فى مدينتهم عندما ينطق ترزياس بجملة قصيرة يذكر فيها أن ما يستقر فيها جسد أوديب من أرض ستنعم بالخير فتطلب الجوقة (التى ترمز الى شعب طيبة) أن يبقى أوديب فى المدينة بين أهله لا حبا فيه بل رغبة فى المنفعة التى ستعود عليهم لبقائه فى أرضهم.

وهذا الموقف كما ذكر المؤلف يوضح مدى التلون والرياء والرغبة فى المصلحة الشخصية بغض النظر عن المصلحة العامة.

ولقد نجح مصطفى عبد الله فى اظهار نقطة ضعف شديد فى مسرحية «جيد» اذ يقول انه على الرغم من علم جوكاست بحقيقة كونها والدة أوديب وزوجته فى الوقت ذاته الا انها تدعوه الى ترك الأمر وتناسيه وعدم شغل نفسه به وقد كان جهدها كله موجها تجاه حماية القناع من التمزق أو الاحتراق.. فلما حدث مالم يكن فى حسابها ولما لم تستطع الصمود أمام الجميع انسحبت من بينهم لتلقى حتفها فكان ذلك فاترا وغير مقنع.

ولقد التزم جيد بالفكرة نفسها ولكن علم أوديب بأنه ليس ابن بوليب كما ذكرنا يجعل خروجه من منزل والده بالتبنى غير ذى موضوع ويبعد المسرحية عن فكرتها الأصلية «القدر» ولقد أساء ذلك للمسرحية.. وعندما يتناول أكثر من مؤلف اسطورة سبق أن كتبها عملاق مثل سوفوكليس ينبغى أن يكون متأكدا من أن معالجته لها ستزيدها عمقا وثراء أو على الأقل لن تكون سببا فى خفض مستواها وانحرافها عن هدفها الرئيسى.

ولقد أرسل الملك بوليب فى مسرحية سوفوكليس رسولا الى أوديب يخبره انه لا ينبغى أن يخشى فعلته لأنه ليس ابنه الشرعى وذلك لكى يقنعه بالعودة ولكن أوديب فى مسرحية «جيد» خرج من منزل والده بالتبنى وهو يعلم تمام العلم انه ليس ابن بوليب فما الداعى اذن لأن يرسل اليه الملك رسولا يخبره انه ليس ابنه؟ وهذه نقطة ضعف أخرى فى مسرحية «جيد» تحدث عنها مؤلف الكتاب.

الا أن هذه المآخذ لم تمنع المؤلف الاستاذ مصطفى عبد الله من اقراره بأن جيد ابدع عملا عملاقا مبتكرا لأنه قلب مادة الأسطورة رأسا على عقب اذ خلص وجه أوديب مما تراكم عليه على مر السنين وأضفى عليه قلقه هو الداخلى وأكسبه تعبيرات لم يعرفها من قبل.

أما أوديب توفيق الحكيم فانه يذكر الأحداث الماضية عن طريق قصة يحكيها لأولاده وهذه طريقة ذكية لمعرفة أحداث الماضى . . ويغير الحكيم فى مسرحيته تغييرا جوهريا مخالفا لما ورد فى الأسطورة وفى مسرحية سوفوكليس اذ أن كل ما هو من صنع القدر فى الأسطورة وفى مسرحية سوفوكليس يجعله توفيق الحكيم من تدبير البشر. ويحلل مصطفى عبد الله ذلك قائلا ان توفيق الحكيم (كمسلم) لا يؤمن بتدبير سابق شرير من جانب القدر وهو لذلك ينفى تماما ما

أما عن تعاليم الاسلام فاه . ذكر المؤلف ان توفيق الحكيم (كمسلم) رأى انــه لا يستطيع أن ينسب الى القدر ارادة شريرة كالارادة الظالمة التى الزمت أوديب قضاءه المنحوس ولذلك نراه يفسر فى مسرحيته بمهارة ما زعمه سوفوكليس من أن ما تردى فيه أوديب من ألم انما كان تنفيذا لحكم القضاء والقدر . . فزعم الحكيم أن الذى دبر هذه المأساة هو الكاهن الكاهن . . الأعمى تريزياس الذى نقم على



جاء فى الأسطورة وفى مسرحية سوفوكليس من تحذير لايوس من ذلك الولد الذى سيرزق به من صلبه فيشب ويقتل أباه ويتزوج من أمه ويرث العرش . . ولذا فلقد جعل توفيق الحكيم تريزياس هو الذى يوصى الملك لايوس بقتل أوديب موهما اياه بأن السماء هى التى الهمته ذلك أو أوحت اليه به وينفذ لايوس ارادة تريزياس بأن يقصى عن عرش طيبة ابنه الشرعى ثم يجلب اليه آخر بعد مقتل لايوس ظنا منه انه غريب عن العرش والبلد اختاره بمحض ارادته وأطلعه على حل اللغز ليقتل الوحش وقد كان له ذلك وآل اليه العرش ويد الملكة. هكذا غيَّر توفيق الحكيم ليخدم غرضه ومسرحيته.

ملك طيبة واسرته واراد أن يعمل على نقل الملك الى غير هذه الأسرة فأوهم لايوس بأن العرافة قد تنبأت بأن ابنه سيقتله ويتزوج من امه ويعتلى العرش وبذلك يحرم لايوس من ولى للعهد . . كما أوصى تريزياس الراعى الا يلقى الطفل الى التهلكة فى الجبل وجعله الحكيم يتابع خطوات أوديب ويدير المكائد فيزعم ـ مثلا ـ ان الحيوان الذى قتله لم يكن أبا الهول بل كان فى الحقيقة أسدا عاديا أستطاع أوديب أن يصرعه . . وقد اتخذ تريزياس هذه الأكذوبة وسيلة يمهد بها لتولى أوديب العرش مكافأة له على بطولته . . وبهذا

غير الحكيم من الأحداث الأصلية للأسطورة ولمسرحية سوفوكليس ليتجنب الصاق الشر بالاله . . فالشر فى رأيه لا ينبع الا من البشر وما يصيبهم من هذا الشر فهو من أنفسهم . . هكذا كان تحليل المؤلف لبعض التغييرات التى أجراها الحكيم فى الأسطورة .

ولكن لا ينبغى أن ننسى ان الاسلام يؤمن بالقدر وان ما قدر يكون واننا لا نعرف حكمة الأقدار وان الأعمار بيد الله لا بيد قوة أخرى والشر من الممكن أن يأتى من البشر فيما هو داخل دائرة حرية الاختيار فغرق سفينة ـ مثلا ـ فى عرض البحر وموت مئات الأطفال والنساء والرجال بسبب عاصفة عاتية لا يمكن أن يكون من صنع البشر بل من صنع قوة عليا تسيطر على جميع مقدرات البشر وكذلك الأمر فيما يتعلق بالزلازل والأعاصير وكوارث الطبيعة الأخرى ولا يمكن أن نتصور وجود قوة أخرى تؤثر فى البشر خارج نطاق القوة الإلهية .

ولقد اجاد المؤلف الاستاذ مصطفى عبد الله وصف الصراع الدرامى لمسرحية الحكيم وتحليل الشخصيات الرئيسية وهى شخصيات أوديب وجوكاست وتريزياس وكريولد .

وفيما يتعلق بمسرحية **«مأساة أوديب»** لعلى أحمد باكثير يقول المؤلف: إن باكثير قد حالفه التوفيق كثيرا عندما افتتح مسرحيته بعبارة من القرآن الكريم تقول: **﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾** . وأرى انه لم يوفق اطلاقا فلقد وضع الآية الكريمة فى غير موضعها . اذ انه لو أراد أن يكتب مسرحية يتبع فيها الانسان خطوات الذى يأمر بالسوء والفحشاء لما كان هناك ما يدعو اطلاقا لاستلهام اسطورة أوديب بل كان من الأفضل كتابة مسرحية جديدة لا علاقة لها بهذه الأسطورة ولا داعى لأن يعيث فى الأسطورة تبديلا وتغييرا فيخرجها عن معناها وعن بنائها الذى عرفت به واكتسبت منه شهرتها وروعتها اذ أن هناك حدودا للتغيير والتبديل لا ينبغى تعديها .

توفيق الحكيم كمسلم رأى انه لا يستطيع ان ينسب للقدر ارادة شريرة كالارادة الظالمة التى ألزمت اوديب قضاءه المنحوس

● ويقول المؤلف ان باكثير لم ينجح فى جعل شخصية أوديب شخصية تراجيدية بأى حال من الأحوال ـ وأنا أوافقه على ذلك ـ اذ انه حول الأسطورة الى مسرحية مغامرات لا صلة لها بالأسطورة الأصلية وكما قال المؤلف: لقد خالف باكثير الأسطورة مخالفة كبرى وقام بتشويه معالمها وملامحها التى اكتسبت بها شخصيتها وأهميتها والتى بدونها تصبح شيئا آخر تماما .

● ويجرى باكثير حوارا على لسان أوديب حيث يسأل جوكاست عما اذا كانت قد شعرت بحرج من زواجها به وهو قاتل زوجها فتجيبه بأن تلك «مشيئة القدر» أى انه فى مسرحيته يقر فكرة القدر وهى الفكرة الأساسية

للأسطـورة فلماذا اذن تنـاول الأحـداث بالتغيـير والتبديل لتلافى فكرة القدر؟ .

● ونجد فى مسرحية باكثير كما يقول المؤلف مصطفى عبد الله ان علم أوديب بوالديه الحقيقيين قد يتنافى مع المعالجات الكثيرة التى تفترض باستمرار جهل أوديب بحقيقـة أبـويـه . . ذلك الجهل الذى يدفع جماهير المتفرجين الى ادراك مأساته والتعاطف معه والاشفاق عليه .

ويقـول مصطفى عبـد الله انـه عملا بالمبـدأ الـذى يقـول : «ان المحظـور مرغـوب» فان لوكسياس يحذر أوديب من الـذهاب الى طيبة وذلك لكى يغريه بالذهاب اليها . . وهذا فى رأيى تبرير واه لذهاب أوديب الى طيبة وغير مقنع . ولقد وفق مصطفى عبد الله مؤلف هذا الكتاب فى تحليل موقف أوديب الذى تعرف فى مسرحية باكثير على أبيه قبل ان يقتله وأن أوديب لم يقصد قتل ابيه ولكن أباه كان يقصد قتله فقتله أوديب عن غير قصـد . يقـول مصطفى عبـد الله ان هذا الموقف ان كان يتفق من ناحيـة الشكـل العام مع الأسطورة الا أنه يخالفها . . فصحيح أن أوديب قتل أبـاه فى هذا المكان عن غير عمد ولكنه يختلف عن الأسطـورة فى انـه كان يعلم انه أبوه فى حين انه فى الاسطورة قتله عن غير عمد بالاضافة الى انه لم يكن يعلم انه ابوه .

وأرى أيضـا ان استبـدال أبى الهـول بدمية يجلس بداخلهـا شخص يحركهـا ويلقى سؤالا ملغزا على أوديب يعـرف أوديب حله مسبقا من ميروب فيحله ويصرع أبا الهول المزيف أو المأمور بأن يتصرع من قبل لوكسياس لينال أوديب الجائزة وهى عرش طيبة ويد ملكتها جوكاست أمه . . هذا التركيب فى رأيى أقرب الى الأحداث المصطنعة التى نراها فى بعض الروايات البوليسية الرديئة .

وأرى ان تبرير أوديب لاقدامه على فقء عينيه ليعيش ما تبقى من حياته لا يرى عاره تبرير ضعيف اذ أن الانسان لا يرى العار ولكنه يشعر به فهو شىء معنوى غير منظـور هذا فضـلا عن ان الظـلام قد يصـور للانسان ما هو أبشع من الواقع .

واذا كنت أرى انه لم يكن هناك ما يدعو باكثير لاستلهام اسطورة أوديب لكتابة مسرحية على نمطها فاننى أجد ما يبرر لعلى سالم استلهامها اذ أن على سالم استخدم الأسطورة ليختبىء خلفها ولذا فأنا لا أعتـبرهـا صورة من صور أوديب ولكنهـا مسـرحيـة سيـاسية فى المقام الأول استخدم الأسطورة كوسيلة لعرض أفكاره السياسية من خلالها .

وأرى أن المؤلف الاستاذ مصطفى عبد الله بوجه عام قد أجاد عرض وتحليل مسرحية على سالم واستخراج الـدلالات السياسية من بين ثناياها كما أجاد تحليل باقى مسرحيات الكتاب . وأرى ان كتابه عن أسطورة أوديب فى المسرح المعاصر جدير بالقراءة والاستيعاب فهـو اضـافة ممتازة فى مجال النقد المسرحى نحن فى مسيس الحاجة اليها .

وأحب قبل أن انهى كلمتى ان انبه الى بعض الأخطـاء الطفيفـة التى من الممكن تصحيحهـا فى الطبعات القادمة ففى صفحة ٢٢ السـطر الأخير يقول : «ممثلة فى خمس عشرة من اشـراف المـدينـة» والصحيـح : فى خمسة عشر . وفى صفحة ٢٤ السطر ١١ نجد : «لا ينتقل الى حال الشقاء لخبثه ولا لشره بل لذله» بالـذال والصحيـح لزلة بالزاى كما نقول زلة لسـان وتكرر الخطأ نفسه فى الصفحة نفسهـا الســطـر ١٥ ونجـد هذه الجملة : «الغـير معـروف» فى صفحـة ٤٠ وصفحـات أخرى والصحيـح غير المألوف اذ أن «الـ» لا تدخل على «غير» اذا كانت مضافا اليه .


نعم
كبرى دور الطباعة بالمملكة العربية السعودية .
مجهزة بأحدث آلات طباعة الأوفست الملون والتجليد الأتوماتيكي .
تساهم في النشاط الثقافي بالمملكة بما تقدمه من مختلف المطبوعات .
دار الأصفهاني
دار الأصفهاني للطباعة
طريق المدينة بجوار الاستاد الرياضي - تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ / ٦٦٧٤١٥٨



العدد الرابع عشر
المحرم ١٤٠٧هـ
فلسطيننا



عندما ينتحر الامل

بريشة الشاعر السعودي
احمد سالم باعطب

ان المجتمع الدولى مدعو لتعزيز تضامنه معه الشعب الفلسطينى والمبادرة لاحباط مؤامرات اسرائيل العدوانية وتحديها الدائم للارادة الدولية وكل القيم الانسانية . وهنا اود ان اوضح ان المملكة العربية السعودية على اقتناع تام بان السلام الشامل والعادل فى منطقة الشرق الاوسط والذى تسعى اليه جميع الدول العربية وتؤيده جميع الدول المحبة للسلام فى العالم ، لا يمكن تحقيقه مالم يؤخذ فيه بعين الاعتبار الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى العربية كافة التى احتلتها بالقوة وفى مقدمتها القدس العربية ، ومالم يتمتع الشعب الفلسطينى فيها بحقه فى تقرير مصيره والاستقلال والسيادة .

فهد بن عبد العزيز

فى شارع الحرمان يلتحفُ البنفسَجُ بالترابْ
تمثالُه الذهبىُّ يرقدُ فوق هامته الذباب
تتسكعُ الحسراتُ فى عينيه داميَةَ الاهاب
ويبيتُ يرشف لذة الأحلامِ من نبعِ السراب
يغفو يتمتمُ بالمنى نجوَى على صدرِ الضباب

* * *

فى شارع الحرمانِ ابصرتُ الخورنقَ يلهثُ
والحزنُ يمرحُ بينَ أضلاع الجُسُور ويعبثُ
فى بهوه الغِلْمانُ خائرة السواعدِ تحرث
وأميرُه النعمانُ مجدوع المشاعرِ أشعث
كلٌ يقلّبُ ناظريه عن الحقيقة يبحث

* * *

لبنان البلد الشقيق الذى اصبح فريسة المطامع الاستعمارية والصهيونية ـ لم يعد يسمع ساكنوه إلا زمجرة المدافع وازيز الطائرات ـ لقد حل به الخراب والدمار بعد الطمأنينة والأمان ـ انه لشارع الحرمان.



النَّارُ عابثةً تذوب على جوانبها الشموع
وعلى الرصيف حقائبُ المكياج تغسلُها الدموع
وتغوصُ أحداقُ المنيَّة بين أفئدة الجموع
وعلى لهيب البؤس فى الادغال تنصهرُ الضلوع
رحل السُّراة وفى العيون تَرِفُّ أعلامُ الرجوع

* * *

فى الجانب الشرقىِّ عرسٌ صاخبٌ لبنَى النَّضِير
المهرُ مذبحةٌ وفستانُ الزَّفَاف بلا نظير
فى صَدْرِهِ وُئِدَ السلامُ وذيلُهُ سحقِ الضمير
وعلى الضِّفاف صبيَّةٌ سمراء تصرخُ تستجير
اليومَ لا وطنٌ يضَمِّدُ لِى الجراحَ ولا مصير

* * *



فى لحظة عمياء من أطيافِ أزمنة الغرور
ألقتْ عصا التّرحال فى الأحراش بائعةُ العطور
وسرى لمخدعها عدُوُّ الطهر جزّارُ الصدور
بيمينه فأسٌ وساطورٌ لتهدئة الشعور
وبثغره القُبُلاتُ عابقةٌ برائحَة القبور
قالتْ له دعنى فقد مَزَّقْتَ ألوية السلام
مازلتُ أبحثُ عن أبى المشنوق فى جوف الزحام
ألقتْ به طاحونة الأحداثِ فى لجج الظلام
قال اتركى شفتيك تسكبُ فى فمى لحَن الغرام
أنا لا أحبُّ العزفَ بالبسماتِ لا أهوى الكلام

* * *

قالت أخى سيعودُ من لبنانَ بعد دقيقتين
أينَ المفرُّ اذا رآكَ هنا تعربدُ أينَ أينْ؟
قال اهدئى فأخوكِ فى الأغلالِ مشلولُ اليدين
فى يومه يبلى فيبعثُ ثم يُهلَكُ مرتين
نخِرَ الحواسِ فلا تخافى لا لسانَ له وعين

* * *

قومى اسكبى فى غرفة الانعاشِ عطرَ اليَاسَمِين
وضعى غلالَتَكِ الجميلة فوق مشجبها الأمين
ستظلُّ ذكرى حلوة الانشاد فى ثغر السنين
ومضى يُلَوِّحُ بالجريمة باليسار وباليمين
وعلى البساطِ ضحيةُ الحرمانِ شاحبةُ الجبين

* * *

فى الشارعِ العارى نوادٍ للدُّمى المتحركة
تصطادُ أحلامَ الشبيبة بالرسومِ المضُحكة
وتصُبُّ فى خلجاتِهَا قطراتِ عُقمٍ مهلكه
والفارسُ المغرورُ ضيَّعَ سيفَه فى المعركة
رهب الردى فانسلَّ خشيةَ ان يموت فأدركه

* * *



صبغتْ جبين الأفق بالقطران أحزمةُ الدُّخانْ
وتراجع التاريخُ مهدودَ العزَيمة واستكانْ
وسنابكُ الخيلِ الجَمُوح تجوب أحياء الزمان
وعروبتى هلعاً تولولُ بين أقبية الهوان
رقدَتْ على اكتافها الفوضى مهلهلة الكيان
فى الشارعِ المشؤوم ذى الوجه المطرَّزِ بالخطايا
تَلذُ الرذيلةُ فى جوانحه وتحترقُ الضحايا
تلهو بجبهته الغيوم وترتوى منها الحنايا
يغتالُ ساحتهُ السكونُ وينحرُ الوهمُ الزوايا
فى الشارع المشؤومِ حُكَّامٌ تعيشُ بلا رعايا

* * *

ليلى بخيمتها تئنُّ من المخاض وتستغيث
ازرى بها الإدلاجُ فى الصحراء والسير الحثيث
فقدت رفيق الدرب بين مخالب الدَّاء الخبيث
فإذا بحمَّى اليأس فى أحضان لهفتها تعيث
الأمسُ أنكرَها وعافَ زفافها العصرُ الحديث

* * *

فى شارع الحرمان شَبَّ بكل زاوية حريقْ
وتساقطَ الصَّفْصَافُ من ظمأ بقارعة الطريق
نامت على الخذلان قافلةُ الضياع ولن تفيق
فلمنْ تُصَفِّقُ هذه الأيدى ويرتفعُ النقيق؟
لم يبق نجمٌ فى السماء يشعُّ منه لنا بريق

* * *

فى شارع الحرمان تغتسلُ اللآلئُ فى الوحلْ
ومحارُها فى الشَّطِّ تأكلُهُ المرارة والخَجَل
فالكُلُّ يركضُ بين أروقة الضَّياع على عجل
والنَّوْرَسُ المجنونُ يصرخُ فى الفضاء أنا البطل
هل أغرقَ الطُّوفانُ كُلَّ الأوفياء فلا أملْ؟





القضية العربية الفلسطينية

إن الغازى المحتل الغشوم لا يستطيع أن يثبت أقدامه فى البلاد المحتلة بقوة السلاح وكثرة الجنود لأنه بعيد عن مركز قوته وامداداته.. ولأن ذلك يكلفه من النفقة زيادة على ما يجنى من الأرباح فهو لا يلجأ الى القوة إلا عندما تعجز الحيلة والمكيدة.. واذا استعمل القوة فإنما يلجأ اليها بمقدار ما يدبر من حيلة أخرى تهدىء النفوس الثائرة أو تلهيهم عن التصدى للجيش الغازى.

ومن أقوى الاسلحة التى كان المستعمر يستخدمها: زعزعة وحدة الأمة وتقسيمها الى طبقات وأحزاب تتباين أهدافها فلا تلتقى أبداً. وعندما جاءت بريطانيا الى فلسطين وجدت المجتمع مقسوما الى طبقتين: طبقة الاقطاعيين والملتزمين وهم الموسرون الذين يعيشون فى بحبوحة من العيش الهنىء. والطبقة الثانية: طبقة الفلاحين الذين يعملون برزق يومهم يزيد أو ينقص قليلا أو كثيرا ـ لأن الحكومة التركية فى أواخر أيامها فرضت انواعاً من الضرائب يعجز الفلاح عن أدائها.

وجاءت بريطانيا وثبتتْ هذه الضرائب.. بل زادت عليها وطالبت الفلاحين بتسديد ما تخلفوا عن دفعه فى سنوات سابقة.. فكان السواد الأعظم من عرب فلسطين من طبقة الفلاحين والعمال.. وكان الفقر يخيم عليهم رغم انهم يجنون خيرات كثيرة ولكنها تذهب الى غيرهم. وقد تنبه الشاعر أبو سلمى الى هذه الظاهرة فقال:

يا أيها الشعبُ المفدّى
قل لى بربك كيف تهدا
يتدفق العذبُ الزلا
ل فيرتوون وأنت تصدى
تكسوهم حلل الربيع
وينكرون عليك بُردا

● ويصور الشاعر برهان الدين العبوشى هذه الظاهرة معبراً عن ألم الفلاحين:

ماذا غنمت سوى الرغيف وما
يُغني من الجوع فاعجبْ للذى صبرا
كأنما الموسرُ المغرور طينته
من غير طينتنا فاختال واحتقرا
يا أمتى إنما الاقطاع آفتنا
متى أراه تولى عنك واندثرا
كنا عبيداً به والرقّ حرمه
ربُ البرية والانسانُ ما ازدجرا





● وقال أيضا:

فلاحنا فى حقله
يشقى ومثرينا يأنس
والعامل الجبار يدأب
فى الشقا يغدو ويُمسى

وكانت هذه القاعدة الوطنية الواسعة رغم بؤسها صادقة الوطنية متفانية فى خدمة بلادها ومضحية فى سبيل حمايتها وتحريرها.. ولكنها كانت ساذجة الى درجة الغفلة جاهلة مخدوعة.. ومن الذى يخدعها ويستغل جهدها؟

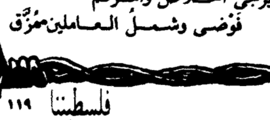


إنها تلقى ذلك من الاقطاعيين والوجهاء والأثرياء. وقد احتكر هؤلاء الزعامة السياسية فى فلسطين طيلة فترة الانتداب وكان يغلب عليهم مهادنة الاستعمار محافظة على مصالحهم.. فاحتدم الصراع بينهم على المغانم الشخصية ونخرت قلوبهم الاحقاد والعداوات - وانعكس ذلك على الجبهة الوطنية الداخلية وأدى ذلك الى تمزق وحدة الشعب وإضعاف نضاله أمام أطماع العدو والى هذا يشير الشاعر عبد الرحيم محمود بقوله:

وتخاصم القُوّادُ بين مشرّق
ومغرّب وتقطّعت أرحامُ
والخطبُ فرّقنا قبائل جمة
والخطبُ عند خصومنا لَمَامُ

وأمام هذا الخطر الداهم دعا الشعراء الى توحيد الصف الوطنى ونبذ الشقاق وتأليف القلوب على العمل والبذل لانقاذ الوطن وترك الزعامة لمن يستحقها بالتضحيات فقال الشاعر ابراهيم طوقان:

لا تفتحوا باب الشقاق فإنه
باب على سوء العواقب مغلق
واللهِ لا يُرجى الخلاصُ وأمركم
فوضى وشملُ العاملين ممزّق



أيـن الـصـفـوفُ تنسقت فكأنــما
هى حائــط دون الهــوان وخنـدق
أيـن الـقـلوب تألـفت فتـدافعت
تغـشـى الـلهيبَ وكـل قلب فَيْلَقُ
أين الأكفُّ تصـافحت وتسـاجلتْ
تبنى وتصنـع للخـلاص وتنفقُ
أمـا الـزعـامـة فالحوادث أمُّها
تعطى على قدر الفـداء وتـرزق

● وهذا الشاعر مطلق عبد الخالق يبدو حزينا على هذا الـوطن الـذى اختلفت فيـه الـرؤوس. . وتنـاحـرت الأحزاب. . وتفرقت الكلمة. . فضاعت القيم. . وغرق زعماء الشعب فى إشباع شهواتهم أذلاء تاركين شعبهم يغرق فى الويلات والدماء فيقول:

لهفـى على وطـن تنـازع أهـله
عبث الـرؤوس وضيعـة الأذنـاب
الضغنُ والشحنـاء بعض خطـوبـه
ومـصـارعِ الأخـلاق والآداب
وتـبـلبـلَ الـرأى الشتيتِ وعـزة
موؤدة وتـنــاحـر الأحـزاب
وتــزلّـف ـ أو ما رأيت سراتنـا ـ
هامـاتهـم تمشى على الأعتــاب
الشعب فى دمـه يخوض وخـوضهم
ـ ياويحهم ـ فى الشـاى والأكـواب

والشـاعر مطلق عبد الخالق ولد سنة ١٩٠٩م فى النـاصرة وتوفى فى ميعة الصبا وريعان الشباب سنة ١٩٣٧م. أتم دراسته الابتدائية فى الناصرة وأكمل تعليمه الثانوى فى القدس. . واشتغل فى مطلع حياته بالصحـافة رئيسا لتحرير بعض الصحف. . وعمل معلما ثم هجر التعليم وتوظف فى البنك العربى. . وتوفى فى حادث قطار. بدأ النظم فى سن مبكرة. . وصدر له ديوان بعد وفاته سنة ١٩٣٨م ويبدو لمتصفح ديوانه تعدد الأنواع الشعرية فيه. . يغلب عليه التأمل والتشاؤم والروحانية الصوفية والمثالية حتى قيل: انه شاعـر فيـه صوفيـة وفى شعره فلسفة ـ فكان شديد الحساسية ذا مزاج انفعالى غير راض عن زمانه والقيم السـائـدة فيه فعبر عن سخطه بالحياة وأحب الموت ورحب به. . وكان يرقبه كما يرقب المتيم حبيبه. ولكن عزوفه عن دنياه لم يحل دون إسهامه فى قضايا وطنه والحـركـات النضالية فيه فنظم قصائد وطنية وقومية ينذر فيها قومه بسوء العقبى وملأها سخرية بالزعماء الذين ضحوا بالمصالح العليا فى سبيل المنافع الحقيرة.

قلت: كانت الـزعـامـة فى بدايـة عهـد الانتداب للاقطاعيين والأثرياء. . وقد ورث هؤلاء ما ورثوه من الأرض والمـال والجـاه من العصر التركى حيث كان معظمهم من عائلات كان بعض أفرادها مقربين لدى ولاة الشـام من الأتراك أو ممن تولوا بعض المناصب الادارية فى الدولة التركية فحازوا ما حازوا من الأرض عن طريق الهبة والاقطاع.

ولما كانت هذه الصـورة من الـزعـامـة مقبولة لدى بريطانيا أرادت أن تقدمها الى الشعب فى ثوب جديد لتضمن لها الاستمرار ـ فأوجدت الأحزاب السياسية وهى فى الحقيقـة الوجه التنظيمى المعبر عن مصالح الطبقـات المسيطـرة اقتصاديا فانتقل التناحر الدائم على المنافع الخاصة الى الأحزاب الجديدة. . ومن هنا كانت الاحزاب السياسية فى حرب داخلية دائمة مع بعضها البعض. . وكانت عداواتها حادة وعميقة جدا لأنها تحمل العنصر العائلى أو القبلى زيادة على عنصر المنفعة الخاصة.

فكانت فى كثير من مواقفها تجانب الحزم والصلابة وتميل

الى المهادنة والملاينة أما من كان يتصف بالشعبية منها فهو يتخذ موقفا وسطا بين الحكومة والشعب.. وأما المعتدل منها فكان يجاهر بالهدنة ومسايرة الاستعمار. وحين كانت نقمة الشعب تشتد كانت الاحزاب تضطر الى التظاهر بالصلابة مسايرة للشعب وحرصا منها على الامساك بزمام القيادة ثم تعمل من الداخل على تهدئة الشعب وتبريد حرارته الوطنية لتبقى جديرة بالمراكز القيادية فى نظر حكومة الانتداب.

فقال ابراهيم طوقان يتحدث عن كثرة الأحزاب وضعفها وجبنها وتضليلها الناس:

كل يوم حزبٌ وحُلم فحدّثْ
عن ضعيف سلاحُه أحلامه
مُغرم بالبلاد صبٌّ ولكن
بسوىً القول لا يفيضُ غرامه
بطل إن علا المنابر كرار
سريع عند اللقاء انهزامه

● *وقد لخص ابراهيم طوقان طريقة الاحزاب النضالية فقال:*

●●

من إستراتيچيات البقاء الإستعمارى تشتيت الامه الواحدة الى أحزاب وطبقات تأكل بعضها

●●

أنتم رجال خطاباتٍ منمّقةٍ
كما علمنا وابطالُ احتجاجات
وقد شبعتم ظهورا فى (مظاهرة)
مشروعة وسكرتم بالهتافات
أضحتْ فلسطين من غيظ تصيح بكم

خلّوا الطريق فلستم من رجالاتى

وهذا هو مطلق عبد الخالق يسخر من هؤلاء الزعماء.. ويبين سخف طريقتهم وتفاهتها. ويهزأ من استعلائهم على الشعب ويعيرهم بانصراف الشعب عنهم - فيقول:

قدّمتم قبل أيام مذكرة
إلى الحكومة يا قوم الزعامات
يا ليت أنّا عرفنا ما يطرزها
من المعانى ومن سامى العبارات
مذكراتٌ كِثارُ العد قد سبقت
هذى فراحت شظايا كالقصاصات
ماذا جنيتم سوى إعراض أمتكم
عنكم وغير شماتات الحكومات

● ويرى عبد الرحيم محمود أن وعد بلفور ما كان ليتحقق لو لم تكن أعمال الزعماء الفلسطينيين هى التى أبرمته وجعلته أمراً نافذاً فيقول:

بلفورُ.. ما بلفور ماذا وعده
لو لم يكن أفعالنا الابرامُ
إنا بأيدينا جرحنا قلبنا
وبنا إلينا عادت الآلام
أوَلَيْسَ من دورٍ لنا نلهى به
إلاّ وداعٌ حافلٌ وسلام

كانت السنوات الثلاث الاولى من الاحتلال البريطانى ١٩١٧-١٩٢٠م من أدق مراحل القضية الفلسطينية إذ تحددت خلالها مواقف جميع الفرقاء المعنيين وبرزت فيها الملامح الواضحة لطبيعة التمركز الاجتماعى الفلسطينى فى الصراع العربى الصهيونى فى ظل الاحتلال البريطانى.. وحاولت الادارة العسكرية البريطانية تهدئة عرب فلسطين عن طريق اخفاء الحقائق عنهم والتوفيق ما أمكن بين الزعماء العرب وبين الصهيونيين.. وعندما ظهر الحذر الشديد من الفلسطينيين وكانت أول ثورة سنة ١٩٢٠م بمناسبة موسم النبى موسى عملت بريطانيا خلال العشرة الثالثة من القرن على خلق الأجواء المناسبة لتنفيذ سياستها التى جاءت من أجلها فخلقت الأحزاب السياسية وحرضت على بروز الصراع العائلى (القبلى) وذلك بايجاد بعض مؤسسات الحكم والادارة التى يشارك فيها الشعب مستغلة ميل الوجهاء والأثرياء الى الزعامة وكراسى الرئاسة.. وكانت تسمح بعقد المؤتمرات وتقدم الحلول والوعود لتسمح من خلال فتراته بالمد الصهيونى.. وظهرت ثورة «البراق» سنة ١٩٢٩م وكانت قوية عارمة فجعلت بريطانيا تسرع فى اعطاء التسهيلات لهجرة اليهود وتسليحهم وعندما بدأت العشرة الرابعة من القرن بدت نذر النكبة بادية أمام العين وكان التصدع الوطنى الداخلى لدى الطبقات الفلسطينية العليا واضحا فاشتدت لهجة الشعراء قوة.. وتدفقت قصائدهم كالسيل المنهمر.. وهدرت وقصف رعدها لعلها تنبه الغافلين وتزيد المتيقظين حماسا ويقظة.. فهذا ابراهيم طوقان يعبر بصراحة عن أهوال اليوم المنتظر الوشيك الوقوع فيقول:

أمامك أيها العربى يوم
تشيب لهوله سود النواصى
مصيرك بات يلمسه الأدانى
وسار حديثه بين الأقاصى
فلا رَحْبُ الفضاء غداً بباقٍ
لصاحبه ولا ضيقُ الخصاص

● ويخاطب ابراهيم طوقان قومه معرفاً بعدوهم ومبيناً ما يبيته لهم فيقول:

يا قومُ ليس عدوكم
ممن يلين ويرحمُ
يا قومُ ليس أمامكم
إلا الجلاء فحزّموا

● وهذا عبد الرحيم محمود يواجه الأمير سعود سنة ١٩٣٥ حينما زار فلسطين بهذا السؤال.. ويصرح بدنو الكارثة حين لا ينفع الندم:

المسجد الاقصى أجئت تزوره
أم جئت من قبل الضياع تودعه؟
وغدا وما أدناه لا يبقى سوى
دمع لنا يهمى وسن نقرعه

● وأما برهان الدين العبوشى فينبه القوم قبل أن يأخذهم الجلاء عن البلاد ويحرك فيهم الحمية التاريخية فيقول:

فأفيقوا يا قوم قبل جلاء
عن بلاد منها عظام الجدود
واذكروا الغابرين قد جبلوها
بالنجيع الزكى من عهد هود
ما تقولون إن نزحتم صغاراً
لصلاح وخالد بن الوليد



● ويؤكد أيضا حتمية الجلاء بقوله:

إن لم تذودوا عن قداسة أرضكم
فمصيركم فيها شقا وجلاء

ورغم كل الجهود التى بذلتها بريطانيا لتوهين العزائم وتفتيت الصف إلا أن تاريخ فلسطين فى عهد الانتداب كان سلسلة متصلة من الصدامات الدامية بين الغرب من جهة واليهود وحماتهم الانجليز من جهة اخرى.. وظهرت انتفاضات كبرى اهتز لها عرش الامبراطورية البريطانية ـ عندئذ لجأت بريطانيا الى العسف والظلم بهدم المدن والقرى حينا والاعدام الجماعى حيناً آخر.. وبدأت الانتفاضات الكبرى بثورة البراق سنة ١٩٢٩م «سأكتب عنها ان شاء الله

فأجابه يوم: أجل أنا راوية
لمحاكم التفتيش تلك الباغية
ولقد شهدت عجائبا
وغرائبا
لكنّ فيك مصائباً
ونوائبا
لم ألق أشباها لها فى جورها
فاسأل سواى وكم بها من منكر

ففى ١٩/ ١١/ ١٩٣٥م استشهد الشيخ القسام رحمه الله بعد أن سلح الشباب وهيأ النفوس لثورة عارمة ـ فأضاء استشهاده طريق الكفاح الوطنى الثائر وأبرز الثورة المسلحة سبيلا وحيداً لانقاذ الوطن ـ فقد

دعا الشعراء الى توحيد الصف الوطنى وتأليف القلوب على البذل لإنقاذ الوطن

مقالا مستقلا» ونفذوا يومها حكم الاعدام فى ثلاثة من الشهداء هم: فؤاد حجازى وعطا الزير ومحمد جمجوم.. فى يوم الثلاثاء ١٧/ ٦/ ١٩٣٠م خلال ثلاث ساعات متوالية لاتهامهم فى الاضطرابات التى حصلت يومئذ وقد خلد ابراهيم طوقان هذا اليوم فى موشحة رائعة اسمها «الثلاثاء الحمراء» فقال منها:

يومٌ أطلّ على العصور الخالية
ودعا أمرٌ على الورى أمثاليه

عرف الشعب معنى الصلابة والتضحية واجتاحته موجة إجلال وتقديس وتعاطف جعلت الشهداء مُثُلاً عليا يكبرها الشعب ويجعلها نبراساً لثورته

● فقال الشاعر عبد الرحيم محمود:
هذى طريقُك فى الحياة فلا تحذ
قد سارها من قبلك القسام

● وقال العبوشى:
دعا القسام إخوانى لنور
وأرشدنا إلى غرر الخصال

●● ومن أثر «ثورة القسام» يتدافع الناس الى النضال ويستميتون فى الدفاع عن كيانهم. وكلما ازداد الاستعمار ضراوة وشراسة ازدادت المقاومة شدة واستعدت جميع الفئات إلى الجهاد وانقطعوا عن جميع الأعمال - فلا تجارة ولا زراعة ولا عمل.. فما قيمة لقمة العيش إذا كانت مغموسة بالذل والهوان.

ولذلك أعلن الشعب الاضراب العام فى ٢٠/٤/١٩٣٦م وأصبحت الثورة المسلحة ضد الاستعمار والصهيونية حقيقة تاريخية واقعة اشترك فيها أكثر القطاعات الشعبية.. وقام الشعراء يحركون الشعب ويحرضونه.

● فقال ابراهيم طوقان:

انفروا أيها النيام فهذا
يوم لا ينفع العيون كراها
لا يلينُ القوىُّ حتى يلاقى
مثله عزة وبطشاً وجاها
لا سَمَتْ أمة دهتها خطوبٌ
أرهقتها ولا يثور فتاها

● وقد امتازت الثورة الفلسطينية باضرابها الطويل العام الذى امتد ستة أشهر فكان مثلا يحتذى فى النضال الوطنى وسلاحاً فعالا فى يد الشعب.

●● فقال ابراهيم الدباغ:

أرهفت بالاضراب سيفك فاضربى
مَثَلا يخلّده اختلاف الأعصر

●● وقال الشاعر محيى الدين الحاج عيسى منوها بالاضراب والتضحية بالمنافع الشخصية ونسيان الأحقاد:

والكل أضربَ عن كسب وشدَّ على
خصم البلاد بإقدام الصناديد
وآخرون نسوا ما كان بينهم
من الضغائن شأن القادة الصيد
تصافحوا بالأيادى والقلوب معاً
إخوان هَمٍّ وعزمٍ غير مردود

وسجّل برهان الدين العبوشى مرور ستة أشهر على الاضراب رغم الخسائر المالية التى يتحملها الناس وقلة ما بأيديهم:

مرتْ على الإضراب ستة أشهرٍ
عجبتْ لها الأيامُ رغمَ خسائر

● ***وسجله الشاعر عبد الهادى كامل مبينا ان ذلك ضريبة فى عنق كل مواطن.***

حتّى البلاد تجد فى إضرابها
بشيوخها وحسانها وشبابها
يا أيها الرجل الذى آوته فى
أحضانها وكسته فى جلبابها
إنْ لم تذد عنها وعن ساحها
فدع الرجولة لستَ من أربابها
إن الخطوبَ إذا جمدت أمامها
ناشتك بل عضّتْ عليك بنابها
فاربأ بنفسك أن تكون من الألى
وهنت عزائمهم أمام صعابها

وسجّل الشاعر وديع البستانى ذلك الاضراب التاريخى بعد مرور سبعين يوما عليه وقد صبر الناس على الفقر والجوع والعرى مع استمرار الكفاح المسلح:

سبعون يوما على الاضراب قاطبة
بالعزّ ما أكلوا بالعزّ ما شربوا
بذلٌ وجودٌ بأرواح وما ملكتْ
يد الفقير الى أن قيل قد نُكبوا
ثار الشبابُ وثار الشيبُ قبلهم
والصبيةُ احتشدوا للحرب إن لعبوا
وللنساء بلاء فى معامعها
والنفى آنق ما أولاهم الأدب
ويُسجنون وقد ضاقت سجونهم
ويدْفنون وكادت تزحف الترب
ويهدمون لتجميل مساكننا
هدم القلاع وقد راقتهم الحزب

● ويصف الشاعر الوسائل الحربية التى استخدمها الاستعمار لاسكات الثورة:

حرب العفاريت طياراتهم سُفُنٌ
تنهار منها علينا النارُ والشهبُ
حربُ الأبالس دباباتهم زحفتْ
فوق الجبال وحيث اصطكت الركبُ
حرب الأبالس رشاشاتهم حمم
تنصبّ دفقا كما لو شُقَّتِ القِرَبُ

● ثم يصف صمود المجاهدين أمام الوسائل الوحشية وما قدموه من نفوسهم:

ونحن روح فدى الأوطان نبذلها
عند الهجوم وفى راياتنا الخَشَبُ
نودوا فلبوا ووحى النفس صائحهم
وفى الضلوع قلوب للحمى تجب

إلى السلاح الى الموت الى الخلود الى
ما ينبىء السيف لا ما تنبىء الكتب

يا حسن قاطرة طاح القطارُ بها
وما أحيلاه جسراً وهو ينشعبُ
سبعون يوماً توالت بعدها مائة
وسبعة والضحايا فوق ما حسبوا

● ويشرح برهان الدين العبوشى هدف الثورة وسلاحها فى المعركة فيقول:

عجبتُ لشعب فى فلسطين صابر
يقارع باسم الحق خَصْمَيه أعزلا
ولو لم تكن لله ثورته لما
تجلد للمكروه وانتبذ الفلا
فغايته أن ينصر الحق ظاهراً
وغايته ألا يعيش مكبلا
يقارع خصمين استبدا بأرضه
وكانت له حقاً من الله منزلا

■ ويشارك الاخوة العرب فى الدفاع عن فلسطين.. ويندب نفسه للجهاد كل عربى يطلب الشهادة فى الدفاع عن حياض الأمة التى لا تعرف التقسيم والحدود ـ فيقول برهان الدين العبوشى:

هذا عراقى وهذا أردنى
قد أبليا لله فى أعدائها
انظر الى السورى يطفح نوره
والى فتى لبنان سيف إبائها
لا تعجبوا هذى فلسطين لنا
وجميعنا نفنى لأجل هنائها

■ وامتازت الثورة الفلسطينية بأعمال الفدائيين الذين كانوا يقومون بأعمال تحتاج الى شجاعة خارقة لأن الموت فيها محقق.. وقد أزعج هؤلاء اليهود والانجليز وتجاوبت أصداء فتكاتهم فى أنحاء البلاد فكانت مبعث الاعجاب والاعزاز وموحيا لقرائح الشعراء بتصوير وتخليد هذه

البطولات ـ فقال ابراهيم طوقان في الفدائي :

لا تسل عن سلامته
روحه فوق راحته
بين جنبيه خافق
يتلظى بغايته
هو بالباب واقف
والردى منه خائف
فاهدئي يا عواصف
خجلا من جراءته

● ويتحدث عبد الرحيم محمود بلسان هؤلاء الفدائيين قائلا:

سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى
وما العيش لاعشتُ إن لم أكن
مخوفَ الجنابِ حرامَ الحمى

وأراد المستعمر أن يشوه جهاد الأبطال فوصفوهم بالنعوت المذمومة فيرد الشاعر مطلق عبد الحق هذا الزعيم ويقول:

ما همُ أشقياء لكن شقيٌ
كل من قال عنهم أشقياء
هم ضحايا أوطانهم وأسودٌ
لفظتهم من جوفها الصحراء
زهدوا في الحياة لا تستبيهم
كأسُ خمر وغادة هيفاء
فقراء لا يطلبون ثراء
غير أن يلحدوا وهم شرفاء
والشقيُّ الشقيُّ من يظلم الناس
فيشقى بظلمه الضعفاء

وأعدم الانجليز على أعواد المشنقة تلميذ عز الدين القسام ورفيقه في الجهاد الشيخ فرحان السعدى وكانت سنه قد نيفت على السبعين فاهتزت البلاد لهذه الوحشية وسجلها أبو سلمى فقال:

قوموا اشهدوا فرحان
فوق جبينه أثرُ السجودْ
يمشي الى حبل الشهادة
صائما مشي الأسود
سبعون عاما في سبيل
الله والحق التليد

وقد غمرت بريطانيا فلسطين باللجان السياسية التى كانت ترسلها لدراسة الأحوال على أثر كل انتفاضة أو اضراب. . وكان القصد من هذا كسب الوقت وتعقيد القضية وإظهار بريطانيا بمظهر الوسيط المحايد وخداع الشعب الفلسطيني وتمزيق وحدته واعطاء الفرص الكافية لليهود للانشاء والتعمير. . فأشار الشعراء الى الهدف من هذه اللجان وما تصدرها من قرارات.

● فقال أبو سلمى :

كل يومين لجنةٌ فكتابٌ
لا نرى فيه غير ظلم منظم

● وقال برهان الدين :

وفي كل يوم لجنةٌ إثر لجنة
وساستنا من دونها وقفوا حمقى

● وقال برهان الدين العبوشي أيضا:

حكموا المهالك بالكتاب فأزرق
أو أبيض يغريك لمع سرابه

وهنــاك شرذمــة تقــولُ بقــولــه
وبــلاء الاستعــار من أذنــابــه

وصـدر الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩م وكأن بريطـانيا قد رأت أنها حتى ذلك التاريخ قد أوفت بوعد بلفور لانشاء وطن قومى لليهود فحددت الهجرة اليهودية على ألا يزيد اليهود على ثلث السكان.. وقـررت إقـامـة دولـة يشترك فيها الطرفان.. ولكن اليهود لم يرضوا عن هذا الكتاب الجائر فى حق العرب فقـاموا بأعمال عنف ضد الانجليز.. فقال الشاعر محمد العدنانى مفصحا عن تشفيه بالانجليز وشماتته:

ابْـسـمـى انـجـلترا واغـتـبطى
كاد من انقـذت أن يرديـك كادا
لم يجد غيرك من يورى به
لهب الحـقـد فأصبحتِ الـوقـادا

وتمكن اليهود بعد نهاية الحرب العالمية الثانية من كسب تأييـد (تـرومـان) رئيس الـولايـات المتحـدة الامـريكيـة وتغيير موقف بريطـانيا فترسل بريطانيا وأمريكا لجنة مشتركة ـ فنبه برهان الدين الى هذه الخدعة:

بنى أمتى هبُّـوا من النوم واعملوا
فإن دواعى الشر فى الأرض تسرع



ومــا لجنــة الـتحقيق الا خديعــة
وضـرب من الكفر السياسىّ يخدعُ
متى كان نور الشمس يحتاج لجنة
تؤكــده والـشـمس فى الأفق تطلع

وتصـدر اللجنة قرارها بنقض الكتاب الأبيض وادخـال مائـة ألف يهودى فورا الى فلسطين تمهيدا لتهويدها السريع.. فيخيم على النفوس ظلام قاتم نظرا لضعف العرب وانحلال وحدتهم داخل فلسطين وخـارجهـا. ويسيطر على البـلاد جو النكبة فتعبر الشـاعرة فدوى طوقان عن هذا المستقبل القاتم فى قصيدة تقول منها:

أيـن الغنــاء العــذب يا طائــرى
تسـبــق فيــه كل شادٍ طروب
مالــك تلقــى نظـرة الحـائــر
يريــد يستجلى خفــايــا الغيـوب
ومــا الــذى فى قلبـك الشـاعـر
قل لى فإن البـثَّ يشفى القلوب

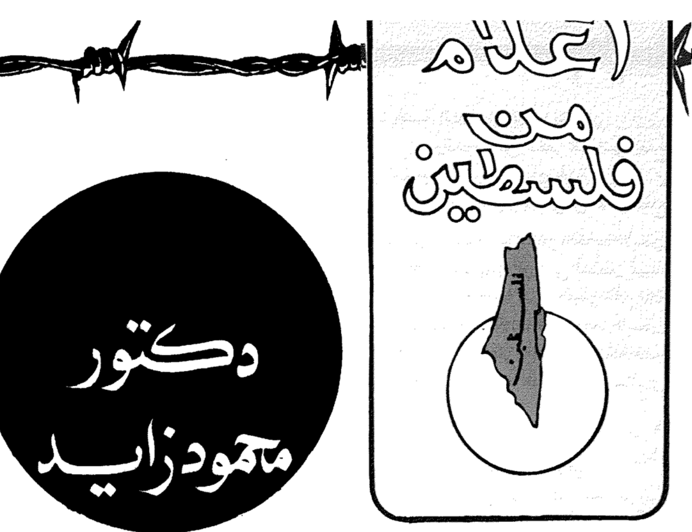
●●●

ماذا أرى هذاك يومٌ غريــب
منطـلق جهـم المـحيـا وقـاحْ
يطــل من عيـنيــه قلب جديبٌ
لكـنــه أرعــنُ فيــه جماح
اقتحم البــاب اقتحـام الغصـوب
وجاس فى الـروض طليق الجناح

●●●

ويـلك لا تأمـن غريـب الـديـار
فخـلفــه من مثـله معـشـرُ
يا طائـرى إن وراء الـبـحـار
مثـل عديــد الـذرّ لو تنظـرُ
تحفـزهـم تلك الأمــانى الكبـار
وأنــت أنــت المطـمــع الأكـبر

«البحث موصول»



المولد والنشأة:

ولد محمود فى بلدة عنبتا بقضاء طولكرم بفلسطين عام ١٩٢٣ وأتم دراسته الابتدائية فى مسقط رأسه ودراسته الاعدادية بمدينة طولكرم، ودراسته الثانوية بين الكلية الرشيدية والكلية العربية ونال الشهادة الثانوية عام ١٩٤٢ وعين معلما فى معارف فلسطين وعمل فى مدارس برقة والرملة واللد. وبعد ان منى العرب بخسران فلسطين عام ١٩٤٨ قصد القاهرة والتحق بكلية الآداب فى جامعة القاهرة. ونال ليسانس فى التاريخ عام ١٩٥٠ وشد الرحال الى الكويت وعمل استاذا فى المدرسة المباركة (١٩٥٠-١٩٥٢).

الحياة العملية:

فى عام ١٩٥٣ تعاقد مع الجامعة الاميركية فى بيروت للتدريس فى القطاع الثانوى ودرس حتى أحرز الماجستير فى التاريخ وكان موضوع الدراسة التى قدمها (رحلة برتراندون دى لابروكيير الى فلسطين ولبنان وسورية ١٤٣٢م).

وفى عام ١٩٥٤ عين استاذا للتاريخ العربى والاسلامى فى الجامعة الاميركية ببيروت. وفى عام ١٩٥٧ قصد الولايات المتحدة والتحق بجامعة ييل لنيل الدكتوراه وكان موضوع الاطروحة التى قدمها (العلاقات المصرية - البريطانية ومعاهدة عام ١٩٣٦).

وخلال اقامته فى جامعة ييل درس طلابه التاريخ العربى والثقافة الاسلامية. وفى عام ١٩٦٠ عاد الى الجامعة الاميركية فى بيروت وتولى تدريس التاريخ العربى والاسلامى فى العصر الوسيط وتاريخ مصر الحديث.

وفى اعوام ١٩٦٤ و١٩٦٥ و١٩٦٨ زار لندن للتحرى على الوثائق البريطانية فى المتحف البريطانى المتعلقة بمصر وتاريخها السياسى.

من اثاره القلمية :

خلال دراسته الجامعية بالقاهرة زاول محمود الصحافة ونشر قصصا ومقالات صحفية فى مجلة «الستار» المصرية كما شارك فى الموسوعة العربية الميسرة التى اصدرتها مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر فى القاهرة عام ١٩٦٥ . وقبل الكارثة الاولى التى أصابت العرب فى فلسطين بدأ نشاطه الأدبى والفكرى فنشر عدة كتب مدرسية كانت الغاية منها ان تكون قراءات للطلاب منها :

١ - نساء خالدات طبع عام ١٩٤٥ .

٢ - قصص من التاريخ - طبع عام ١٩٤٦ .

٣ - يوليسيز التائه - طبع عام ١٩٤٦ .

٤ - العربى فى حروبه - طبع عام ١٩٤٦ .

وللدكتور زايد كتب مترجمة منها :

(١) - الامبراطورية البيزنطية - تأليف نورمان برنير وقد نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر فى القاهرة - بالاشتراك مع الدكتور حسين مؤنس - طبع عام ١٩٥٠ .

(٢) العرب فى التاريخ - تأليف برنارد لويس - بالاشتراك مع الدكتور نبيه فارس - طبع عام ١٩٥٤ .

(٣) آراء روسو الحية - تأليف جون ديوى - طبع عام ١٩٥٧ .

(٤) آراء جيفرسون الحية - تأليف جون ديوى - طبع عام ١٩٥٧ .

(٥) الأصول الثقافية للحضارة الصناعية - تأليف جون نيف - طبع عام ١٩٦٢ .

(٦) دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية - تأليف هيو اتكن - طبع عام ١٩٦٣ .

كما شارك فى كتب تاريخية منها :

١ - التغير السياسى والاجتماعى فى مصر الحديثة - طبع عام ١٩٦٨ .

٢ - الثورة العربية الكبرى - طبع عام ١٩٦٨ .

وصنف الدكتور زايد كتبا باللغة الانكليزية منها :

أ - تحقيق كتاب التمهيد والبيان فى مقتل الشهيد عثمان - طبع عام ١٩٦٤ .

ب - كفاح مصر فى سبيل الاستقلال - طبع عام ١٩٦٥ .

ج - ابعاد القضية الفلسطينية - طبع عام ١٩٧٠ .

د - سيرة نور الدين محمود - طبع عام ١٩٧١ .

كما نشر كتبا مبسطة للتراث العربى منها :

١ - سيرة الرسول - طبع عام ١٩٦٧ .

٢ - العقد الفريد - جزءان - طبع عام ١٩٦٧ .

● وللدكتور زايد مقالات مطولة وأبحاث منوعة . . موزعة فى امهات الصحف والمجلات العربية خاصة فى مجلة الأبحاث التى تصدر عن الجامعة الاميركية فى بيروت وقد توفر فى بعضها على دراسة الأحزاب السياسية المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وله فى مجلة (العربى) الكويتية مقالات تناول فيها موضوعات شتى .

نموذج من شعره :

وكما عالج الدكتور زايد القصة القصيرة والمقالة والسيرة فقد نظم الشعر فى مناسبات مختلفة منها ان طلابه سألوه ذات يوم أن ينشدهم شيئا من شعره وكانت حصة الدرس قصيدة بالانكليزية عنوانها (اريد جزيرة) فبادر الى ترجمتها بالعربية وكان منها :

أريد جزيرة لا صوت فيها
ولا رجلا يدق على بابى
اتيه على الشواطىء حين أهوى
خلىّ البال من كل المصاب
فأعبث بالزهور الخضر حينا
وحينا بالحجار والتراب
وأطلق فى الهواء الطلق قلبى
ليعلو فوق ناصية السحاب
اذا نامت طيور الغاب ليلا
أويت الى الفراش على الروابى



بعد هزيمة الخامس من يونية سنة ١٩٦٧ وسقوط القدس فى أيدى اليهود ذهب « دافيد بن جوريون » الى حائط المبكى وطلب فأسا وانتزع كتابة عربية وأعلن بدء الهدم للبحث عن الهيكل وقال إنه لليهود وليس لغيرهم فيه نصيب . . وتتابع دخول اليهود الى ساحة الحرم القدسى الشريف وحطموا جزءا من النقوش الأثرية التى تزين قوسه وجدرانه ورفعوا العلم الاسرائيلى على قبة الصخرة المشرفة واحتسوا الخمر فى أروقة الحرم وتوالت وفود اليهود المتعصبين على المدينة المستباحة والمسجد الأسير وكان وفد الحاخامات قد وصل تحت لهيب النار التى تلف المدينة المقدسة ووقف حاخام الجيش « جورين » يخطب فى الجمهور ومعظمهم من الجنود وقال:

(الآن فقط أستطيع القول إنه يجب على كل يهود العالم أن يتوقفوا فى صلواتهم عن التشوق الى أورشليم بعد أن أصبح الهيكل واقعا لا خيالا نلمسه ونشاهده ونتجول بين أرجائه)

كان *« جورين » أول من أصر على أن تدنس قدماه ساحة المسجد الأقصى الشريف وحقق ما أراد وبعد أن خطب فى الجمهور ترك جنود الجيش وهم يرقصون ويهتفون: « محمد مات: خلف بنات . . » ودخل « جورين » مع مجموعة يهودية الى المسجد وبعد تأمل صامت . . قال: « حمداً للرب . لقد تحققت نبوءاتى أخيرا وها هى طلائع العبرانيين قد حررت (!) واستعادت الهيكل المقدس . » .*

لم تنطفىء المشاعر اليهودية الملتهبة منذ هزيمة سنة ١٩٦٧ تجاه المسجد الأقصى والحرم القدسى الشريف بل ازدادت اشتعالا وبعد أن كانت تنسب فى الماضى الى المتطرفين اليهود والمتعصبين الصهاينة فان اليهود فى فلسطين ـ معتدلين ومتطرفين ـ لا يخجلون الآن من إعلان غايتهم لهدم المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة واقامة الهيكل من جديد تحقيقا لوعود الحرب .

ومنذ الهزيمة والمحاولات لا تتوقف لإحراق المسجد الأقصى وتدميره وكانت عملية احراقه فى عام ١٩٦٨م عقب الهزيمة من أشهر هذه المحاولات وقيل يومها: ان الذى قام بالمحاولة يهودى مجنون مالبث أن أطلق سراحه بعد أن هدأت ضجة الحديث عن العمل الاجرامى فى أجهزة الاعلام المحلية والعالمية . . وقد بدأ « موشيه دايان » وزير الدفاع



للمسجد الأقصى

الاسرائيلى الأسبق أولى المحاولات للحفر حول المسجد بحجة التنقيب عن الآثار وكان واضحا أن محاولاته مقصورة أساسا لزعزعة بنيان المسجد وهدمه ولم يخف زعماء اليهود ورجالهم هذه الرغبة الشريرة بل أعلنوا عنها فى أكثر من مناسبة بمنتهى الوضوح والفجور أيضا .

يقول الحاخام الأكبر « موردخاى الياهو » : (ان الهيكل سيهبط من السماء محاطا بلهب من النار ليحرق المسجد ويحل محله) . . وهو يشير بذلك الى آية وردت فى توراتهم تقول: **« لقد أحرقت صهيون بالنار وسأعيد بناءها بالنار »** .

وتبنى «جيئولا كوهين» آمالها على ماستحدثه الذبذبات الأرضية فى المنطقة ـ كيف؟ وتأمل محاولات ديان ـ وربما تؤدى هذه الذبذبات الى تدمير المسجد الأقصى وقبةالصخرة .

د. حلمى محمد القا
مصر

ويذهب «حنان بورات» عضو الكنيست وأحد مؤسسى «جوش أمونيم» وزميل «جيئولا كوهين» الى صراحة أكثر فى الاعلان عن النوايا اليهودية عندما يقول: (نحن نريد تدمير المسجد الأقصى لكى نبنى الهيكل الثالث مكانه) .

أما الحاخام «كاهانا» زعيم (كاخ) وعضو الكنيست فيذهب الى حد الصراحة والفجور معا حين يعلن (أن العرب مجرد حشرات يجب قتلها واطعامها للوحوش اذا لم يمكن طردها من فلسطين . . وأن ازالة المسجد الأقصى وقبة الصخرة من الحرم القدسى الشريف واجب يقتضيه الدين اليهودى . . وأن المعركة دينية ولكل شعب اله يحميه . . واذا استطاع الله (!) ان يحمى مساجده فليفعل فى مواجهة التصميم اليهودى على إعادة بناء هيكل سليمان محل المساجد الاسلامية) .

واذا عرفنا أن (كاهانا) يعلن بصراحة وفجور أيضا أن آراءه هى آراء الساسة الاسرائيليين جميعا يعتنقونها سرا فيما بينهم ولا يعلنونها ـ ويصفهم بالنفاق . . فلنا أن نتأكد ونـدرك مغزى مقولات ومقولات بقية الزعماء

اليهود ونربط بينها وبين ما يجرى على أرض الواقع فى القدس العتيقة .

واذا كانت هذه هى آراء ومشاعر الزعامات اليهودية المؤثرة فى المجتمع الاسرائيلى اليوم والأمس وغدا أيضا . . وتفصح عن نيتها وتعمل لازالة المسجد الأقصى فان المستقبل ينذر بأخطار لا حد لها . . تتجاوز التصريحات السياسية إلى واقع ملىء بالأحزان والمآسى . . وسقوط ركن من أركان الوجود الاسلامى ظل صامتا لمدة أربعة عشر قرنا من الزمان .

إن مدينة القدس بما تمثله فى الوجدان الاسلامى من رمز وتاريخ وقِيَم ومُثُل لا تجيز التسامح مع اليهود ليفعلوا ما يريدون دون أن يكون هنالك رادع يوقف تلك الاعتداءات البشعة والفاجرة على مسجدها وقبتها . . وما صنعه أعضاء الكنيست فى شهر يناير الماضى ما هو الا حلقة من الحلقات الشريرة للتآمر على المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومحاولة للقضاء تماما على الملامح الاسلامية للقدس . لقد ذهبت مجموعة من الأعضاء فى (الكنيست) البرلمان الاسرائيلى يمثلون لجنة الشئون الداخلية الى المسجد واقتحموه للمرة الثانية وقام أحدهم بأداء صلاة يهودية فى داخله وتهدف هذه المجموعة التى تقودها (جيئولا كوهين) إلى إيجاد مكان خاص لليهود داخل المسجد .

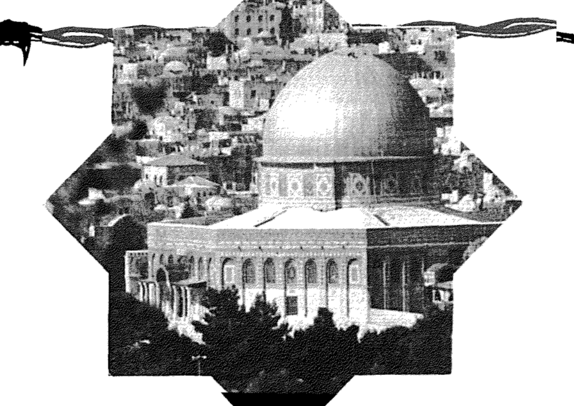
صحيح أن المصلين تصدوا لهذه المجموعة . . وقام أهل القدس بالتظاهر فى ساحة الحرم القدسى احتجاجا على هذا الاعتداء اليهودى المجرم : مما اضطر قوات الاحتلال الى استخدام القنابل المسيلة للدموع واعتقال العشرات من المتظاهرين - ولكن هل هذا يكفى؟ .

إن اليهود - عملا بسياسة الأمر الواقع - يسعون الى الوصول للمسجد الأقصى بكل الوسائل والسبل حتى يمكنهم تدميره واقامة هيكلهم الثالث المزعوم . . وهم فى سبيل ذلك يلجأون الى شراء البيوت والعقارات والأراضى من حول الحرم القدسى الشريف بأسعار خيالية فضلا عن اقامة المستعمرات على مشارف القدس . ويقومون بارهاب العرب المسلمين ليغادروا مساكنهم فى الحى المحيط بالأقصى والقبة باثارة الضجيج والمنازعات والقلاقل . وقد تحدث أحد العرب المسلمين إلى إحدى الصحف الاسرائيلية فقال :

(انهم - يقصد اليهود - يضغطون على حياتنا ضغطا غير محتمل يبدأ بالاعتداء البدنى اليومى على أبنائنا واحداث ضوضاء طول الليل لمنعنا من النوم واصابة أولادنا بانهيارات عصبية . . وتوجيه مواسير المجارى الى جدران بيوتنا لكى تتصدع . . وتنتهى بالتهديد المباشر بعبارات مثل - خير لكم أن ترحلوا من تلقاء أنفسكم أو سنرحلكم جبرا) . .

ان هذا التهديد يتسق تماما مع ما صرح به «مائير كاهانا» زعيم (كاخ) عقب انتخابه عضوا فى الكنيست حيث قال : « سندفع البلاد نحو الجنون . . سندفع بكل عربى إلى خارج إسرائيل ونجعلها يهودية مرة أخرى » .

ويتسق هذا التهديد أيضا مع ماقاله « رفائيل اتيان » رئيس أركان الجيش الاسرائيلى السابق قبيل إحالته على التقاعد : (ان العرب الفلسطينيين مجرد صراصير سامة يجب حشرها فى زجاجة ليأكل بعضها بعضا حتى يمضى الشعب اليهودى (المقدس) فى بناء مستوطناته فى أمان منهم ومن مظاهراتهم ومن الأحجار التى يلقونها على المستعمرين (بناة



المستعمرات فى الضفة والقطاع والقدس) وقوات الاحتلال .)

واليهود فى اصرارهم على ازالة المسجد الأقصى وقبة الصخرة يعرفون أنهم يقطعون آخر خيط يربط بين المسلمين وفلسطين ويجعل من تحرير فلسطين مستقبلا أمرا مستحيلا يصدق عليه ما صدق على الأندلس من قبل بل يفتح الباب أمام التهام أراض عربية إسلامية ويمهد للمخطط الصهيونى الشهير فى تجاوز حدود فلسطين الى مواقع جديدة تحقق السيادة للدولة اليهودية على بقية المنطقة ليس بقوة السلاح فحسب ولكن بحكم السيطرة المباشرة وفى هذا ما فيه من شر وقهر واذلال للعرب والمسلمين .

واذا كان المسجد الأقصى لما يزل رمزا يربط المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بقضية القدس ،فلسطين فإن سقوط هذا الرمز يعنى اتجاه القوى الشريرة فى العالم وعلى رأسها اليهود لمحاصرة الاسلام فى عقر داره والقضاء عليه وتحقيق مقولات يهودية شريرة عن تحرير (خيبر) و(يثرب) .

إن اليهود فى حركتهم الشيطانية لا يهملون استثمار عنصر الوقت بل يسعون فى دأب واصرار لتحقيق اهدافهم على مراحل ويستخدمون شتى الوسائل ومنذ مؤتمر بال فى سويسرا أواخر القرن الميلادى الماضى وهم يتقدمون بخطوات حثيثة نحو تحقيق الحلم الأكبر (أرض إسرائيل من النيل الى الفرات) كذلك فانهم لعبوا لعبتهم التاريخية بتمزيق الأمة الاسلامية أولا : حين أسقطوا الخلافة الاسلامية فى الأستانة وتمزيق العالم العربى . . ثانيا : حين أثاروا الأقليات والعنصريات والشعوبيات الضيقة خاصة بعد أن بدا هنالك نوع من التوحيد العربى عقب حرب رمضان . والذى يجرى فى لبنان أنموذج قريب وواضح وقد تحدث عنه ذات يوم « دافيد بن جوريون » بصراحة قاطعة عندما كتب فى يومياته بتاريخ ١٩٤٨/٥/٢١ (يشكل لبنان نقطة الضعف فى التكاتف العربى فالتفوق العددى فيه مصطنع ويمكن التقليل من شأنه بسهولة ويجب أن تنشأ فيه دولة مسيحية تكون حدودها الجنوبية عند نهر الليطانى ونعقد معها معاهدة تحالف . وحينما نكون قد حطمنا القوة العربية نضرب عمان بالقنابل ونمشط شرق الأردن لتسقط سورية بعد ذلك ولو تجرأت مصر

وحاربتنا فسنقصف بور سعيد والاسكندرية والقاهرة بالقنابل وهكذا ننهى الحرب وننتقم لأجدادنا فى مصر وآشور . .

واذا كان الموقف العربى الاسلامى حاليا يغرى اليهود بتحقيق أطماعهم وأحلامهم فان الواجب يفرض على الأقل أن يتجه من يعنيهم الأمر فى العالم الاسلامى ـ وهذا ليس صعبا ـ أن يبحثوا فى الوسائل التى تدعم صمود أهل القدس ضد الهجمة الصهيونية الشرسة التى تستهدف المسجد الأقصى وقبة الصخرة وترحيل المسلمين من المدينة الأسيرة وهذه الوسائل فيما أرى تعتمد على الاتصال المباشر بأهل القدس والوقوف من ورائهم حتى لا يهجروا منازلهم ويبيعوا عقاراتهم وممتلكاتهم تحت ضغط القهر اليهودى . . كذلك فان اثارة القضية على المستوى الدولى أمر ميسور من خلال الهيئات والمنظمات العالمية مثل مجلس الأمن والأمم المتحدة واليونسكو وغيرها. صحيح أن هذه المؤسسات لا حول لها ولا قوة ولكن الالحاح على القضية إعلاميا من خلالها سيعطى المسألة بعدا آخر يضغط على قوى الشر اليهودية كى تكبح جماح التطرف اليهودى الفاجر فى تنفيذ مخططه حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

ان هدم المسجد الأقصى يبدو الآن قريب المنال بالنسبة لليهود بحكم الضعف الاسلامى البادى فى كافة الاتجاهات ولكن ينبغى على المسلم أن يكون أكثر ثقة فى الله وايمانا بنصرته فى أحلك الظلمات . واذا سأل سائل : كيف تتأتى هذه الثقة وذلك الايمان بنصرة الله ونحن لا نأخذ بأسباب هذه النصرة؟ . . أقول: انه يتوجب على كل مسلم أن يبذل ما يستطيع ويترك الباقى لله فسوف يأتى البطل المنقذ فى أوانه (ان شاء الله) ولنا فى سيرة البطل «صلاح الدين الايوبى» ما يؤكد ما نذهب إليه وما نقوله .

لقد قاتل صلاح الدين الصليبيين بعزيمة إسلامية قوية لا تعرف الخوف ولا التردد . . ثم عرف مكمن الضعف الداخلى فأصلحه . . وأعاد للبلاد سيرها المطرد نحو الوحدة . . وبعث روح الجهاد والأمل فى أبناء الأمة . . وانتصر فى حطين سنة ٥٨٣هـ . . وتقدم نحو القدس فحرر فى طريقه العديد من مدن فلسطين . . وتم له فتح بيت المقدس فى ليلة الاسراء والمعراج من نفس السنة . . وصلى الجمعة فى المسجد الأقصى حيث كان المشهد مهيبا

يُلاحقنى الاعصار
أينما رحلت
اتشرد بين الوطن والآخر
طفلة مدمية الوجه والاصابع
تمتلىء الذاكرة بالدَّمِ والصراخ
وليل المذابح
وانا أحمل لُعبتى الممزقة
أتشبث بذيل امى
وأبكى عند كل رصيف وباب
بحثا عن وطن أو بيت
وحفنة من تراب
أشُمُّ رائحةَ الوطن
وطنى الذى يبتعد . .
كما السراب .

●●●

يلاحقنى الموتُ كأنما هو ظلي
أهرب منه ، يترصدنى
أنفرُ منه ، يحاصرنى
فى الابواب المغلقة كالشرنقة
فى الذاكرة المتعبة [illegible]
تحت اهدابى ترتجف بالكوابيس

وجليلا ورائعا . . واستمع الى خطبة الجمعة التى كان يلقيها القاضى محيى الدين القرشى وقد جاء فيها بعد المقدمة :

« احذروا عباد الله بعذ أن شرّفكم الله بهذا الفتح لجليـل وحصّنكم بنصـره المبين أن تقترفوا كبيرا من ناهيه أو تأتوا عظيما من معاصيه . . والجهاد الجهاد هـو أفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم انصروا الله نصركم واحفظوا الله يحفظكم واذكروا الله يذكركم يشكـركم . . خذوا فى حسم الـداء وقطـع شأفـة لأعداء . . وطهروا بقية الأرض من هذه الأنجاس واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادت الأيام بالثرات الاسلامية والملة المحمدية . . »

ويوم نتأسى بسـيرة البطـل المسلم المجاهد صلاح الـدين ونتأمل مضمون خطبة القاضى القرشى فان أمثـال (كـاهـانـا) و(جيئـولا) و(رفـائيل) و(دافيد) و(ليفنجـر) و(بـورات) سيذهبون الى قاع التاريخ باعتبارهم رموزا للفجور والافتراء على الله والكذب على التـاريخ . . ويومها ستعود القدس بمسجدها الأقصى وقبتها العريقة .

يوميات طفلة فلسطينية

هدى الزين

اتوقعه فى صفحة الكتاب الذى اقرأ
وقَاعِ الفنجان الذى اشرب

اتوقعه قادماً مع خيوط الفجر
و زخّةِ المطر . .

اتوقعه وانا اتوسد صدر امى
باكيةً مرتجفةً كالحمامة المذعورة
بينها رصَاص الصيادين من كل جانب

●●●

أتشردُ وحيدة
بحثا عن غصن آوى اليه
عن وطن اسكن فيه
لكن . . لا جدوى . .
فالموت قَدَرٌ يترصدنى
كل ذنبى اننى طفلة فلسطينية
احرقوا جدائلها ،
والبسوها ثوبَ النار والرماد
هجروها مع كل صباح ومساء
نثروا عناوينها فى الريح . .
قالوا لها : كل الأوطان لك
ولم تجد حتى مكانا لرأسها الصغير
تشيخ الذاكرة قبل الاوان
تتخم بالفجيعة . .
تنتظر الطفلة ان يأتى فارسٌ ما
ليصرخ فى هول الحريق :
وامعتصماه . .

مظاهر الحضارة المعمار
في
شعر



الاندلس ..
مركز الاشعاع الحضاري الاسلامي على
مدى ثمانية قرون .. الاندلس بلاد
الطبيعة والفنون .. ابن زيدون
شاعرها وكاتبها .. كيف صور شعره
مظاهر الحضارة المعمارية والفنون ..
اطلالة على الاندلس يقدمها لنا
هذا البحث المتابع ..

الفصل الاول

الشاعر نتاج البيئة ومرآة العصر:

لا شك فى أن انتاج الشاعر الفحل يكون دائما مرآة عصره المصقولة وصورة بيئته المنقولة . . ومن الطبيعى أن يعكس شعره معالم حياته الخاصة وبيئته القريبة كما يعكس حضارة العصر الذى يعيشه فكريا وفنيا . . الى جانب الأغراض العديدة للشعر التى قد يتفوق الشاعر فى بعضها تفوقا متميزا فيعرف بنوع خاص منها كالوصف أو الغزل أو المدح أو الهجاء أو الحكمة أو الرثاء وغيرها.

ومهما اختلف شاعر عن آخر فى بعض ضروب التفوق غير أنه لا يعتبر شاعرا مجيدا إلا إذا أحس بالجو الذى يعيش فيه وتأثر بالبيئة ومظاهر الحضارة المحيطة به . . وقد يشترك الناس فى القدرة على الاحساس ولكن الشاعر شأنه شأن أى فنان آخر فى فنون الكلام أو النحت والرسم والموسيقى يتميز بالقدرة على التعبير عن ذلك الاحساس.

ولهذا فاننا نطمع أن نجد فى تراث رجل دولة بارز تسنم أسوار الرفعة ووصل الى أعلى المناصب . . تولى الكتابة والوزارة والسفارة . . وعاش فى جو الملك . . ما يعطينا صوراً دقيقة عن تلك الحياة وألوانها الحضارية من عمارة وفرش ولباس وأثاث ورياش وصناعات وفنون مما زخر به عصر «طافح» بالعظمة والتفوق الحضارى لا سيما إذا كان ذلك العصر قد انقضى وصله وانقطع عنا حبله فأصبحنا نبكى الفردوس المفقود الذى عاشته الحضارة العربية الاسلامية فى جناحها الغربى ثمانية قرون خلف المضيق وداخل القارة الاوروبية نفسها.

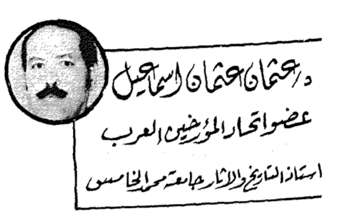
إن العظيم أديباً كان أو شاعراً . . أو طبيبا مقتدرا أ

...ة والفنــون

ابن زيدون



بنّـاء عبقـرياً أو قائداً . . لا يكفى أن يعيش لنفسه يعـالـج آلام حرمـانـه وينفث زفـرات هواه ونسيبه وأشجانه . . إنه بذلك يقضى العمر فى خدمة ذاته فلا يكتب لانتاجه الخلود ـ إنما العظيم من يعيش للناس قبـل أن يعيش لنفسـه. فالـواجب إذن وضـع هذه الحقيقة فى الاعتبار كلما أقدمنا على وضع انسان فى احدى كفتى الميزان. ومن هنا فاننا لو تصفحنا ديوان ابن زيدون(١) لأدركنا لأول وهلة أنه عاش لنفسه . . وعبر بأشعاره عن خلجات قلبه المهموم لبعد الديار أو جفوة الحبيب . . أو فقد الجاه والمنصب وتجرع مذلة أو مرارة الحبس والامتهان والارتهان. . وعلى الرغم من هذا وذاك فان الحكم على الشىء فرع من تصوره وليس من الانصاف فى شىءٍ التسرع فى الحكم على المـواقف والـرجـال قبـل الغوص فى أعماق المشكلة وتحليلها بعد ان نضع أنفسنا تحت تأثير الحالة النفسية للشخصية المراد تقييمها وظروف الحادث المطروح فى حدود الزمان والمكان. لقد كان تجافى تلك الحقائق سببا فى شرود بعض الباحثين عن الحقيقة عندما قيموا نكبة الرشيد للبرامكة أو إقدام محمد علي على تنفيذ مذبحة المماليك بالقاهرة.



بيئة ابن زيدون ومميزات عصره:

فى أعقـاب سقـوط الخـلافة الأموية بالأندلس قام بقرطبة نظام شبه جمهورى على أثر الانهيار النهائى للدولة الأموية والدولة العامرية التابعة لها عام ٤٢٢ هجرية . . كما انفرط عقد الخلافة الى ممالك صغيرة عرف ملوكهـا باسم ملوك الطـوائف. . وكان على رأس النظام الجمهورى بقرطبة الوزير أبو الحزم بن جَهْوَر الذى قاد الأمر بحذر وكفاية متفاديا الصدام والمواجهة مع بنى عباد بأشبيلية ـ الذين كانوا يحاولون الاستيلاء على قرطبة عن طريق الأمير هشام المنسوب الى البيت المالك الأموى. . وقد سار أبو الوليد بن أبى الحزم على سنن أبيه الإصلاحية الى أن برزت الفتنة ضد بنى جهور بزعامة أسرة بنى ذكوان المعروفة بصـلات الصـداقـة مع شاعرنا ابن زيدون. . وقد نجـح أبـو الـوليـد فى اخماد الفتنة وتشتيت رؤوسها ومدبريها فهربوا الى المعتضد باشبيلية.

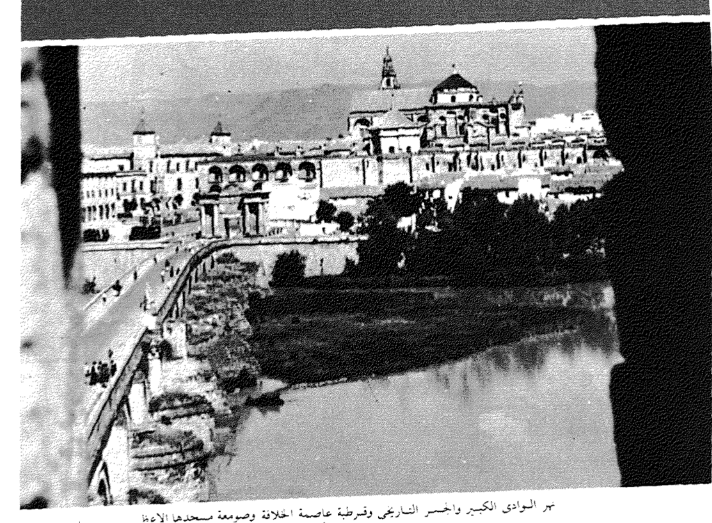
وكانت أسرة بنى عباد تلك تنحدر من الأصول العربية التى وصل رجالها الى مناصب الوزارة والصدارة خلال العصر الأموى ثم أعلنوا استقلالهم بعاصمة الأندلس الثانية بعد سقوط الأمويين.

وكان المعتضد بن عباد حكيما شجاعا متمرسا فى المؤامرات وأساليب الفتك التى ميزت عصره متحاشيا صدام الامارات المسيحية مستجمعا قواه للسيطرة على قرطبة. . وبعد انقضاء أيامه عام ٤٦١ هجرية ظهر ابنه المعتمد بن عباد بصورة أخرى - فقد كان قائدا ممتازا وعالما وأديبا محباً للعلم والشعر متنزها عن أسلوب الفتك والمؤامرة فاجتمع حوله الناس وعم الرخاء وازدهرت الفنون وراجت بضاعة العلم فقصده العلماء والشعراء. . وازدان قصره بالشاعر الوزير ابن عمار وشاعرنا أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون الذى أعانه بالأعوان والأتباع على فتح قرطبة مسقط رأسه ومرتع صباه - ولكن المعتمد لم يقو على تجميع فلول ممالك الاسلام ضد المد الاسبانى النصرانى وآثر أخيراً الاستنجاد بسيف المرابطين يوسف بن تاشفين الذى صمم فى جوازه الثانى للأندلس(٢) على حسم الداء العضال بالقضاء على ملوك الطوائف وتَزَعم المغرب لوحدة الاسلام بالاندلس وعاد بالمعتمد الى مراكش ليقضى أيامه الأخيرة حتى وفاته بأغمات(٣) عام ٤٨٧ هجرية.

نوعية الحضارة المعمارية والفنون التى عاشها ابن زيدون:

لازال من البديهيات المسلمات أن الاستقرار السياسى يكون شرطا أساسيا لوضع مجتمع من المجتمعات على اول درجات التقدم الحضارى ثم تطوره. ونادراً ما يشذ عن تلك القاعدة تاريخ حضارة من الحضارات. ولعل من أشهر أمثلة ذلك الشذوذ حادثين شهيرين فى تاريخ الحضارة الاسلامية. . يتمثل الأول فى حضارة عصر ملوك الطوائف بالأندلس ويمثل الحادث الثانى حضارة المماليك المعمارية والفنية بمصر. وقد كان لكل من الحادثين أسباب خاصة أفضت الى ازدهار فنون العمارة والزخرفة على الرغم من شمول الفوضى السياسية لجانب من جوانب الحياة. لقد اقتنع أمراء المماليك وقوادهم بمبدأ خاص يقول بأن الملك ليس بالإرث وإنما هو لمن غلب. ولهذا وصل كل قائد منهم الى حكم مصر عن طريق قتل الأمير الجالس فى الحكم واعلان نفسه وصياً على ولده الصغير حتى يخلو له الجو بقتله أو سجنه أو نفيه مما جعل العصر موسوماً بطابع الفتك والقتل والاغتيال والفوضى السياسية. ولما كان المماليك حديثى العهد بالاسلام فقد وجدوا خلاصهم من إثم الجرائم فى الآية الكريمة ﴿إنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيِّئاتِ﴾ ولهذا اعمدوا إلى التكفير عن سيئاتهم وجرائمهم بكثرة ما شيدوا من المنشآت الاسلامية وجلائل الأعمال المعمارية من جوامع وسقايات وخوانق ومدارس ومستشفيات وما أبدع لهم مهرة الصناع من فنون الزينة والزخرفة بتلك المؤسسات حتى غدا الفن الاسلامى فى عصر المماليك درة فى تاج الفنون على الاطلاق، وكلَّل هام القاهرة بنوادر الفن المعمارى عظمة وجلالا ورقة، وأثرى متاحف العالم بما خلف من فنون التحف المنقولة أو الملحقة بتلك المنشآت.

وعندما انهارت الخلافة الأموية بالاندلس وتابعتها الدولة العامرية انفرطت حبات العقد الفريد الذى بهر العالم بأسره وتزعم حضارة العصور الوسطى يشع عليها النور والفن والثقافة انفرط العقد الى حبات



نهر الوادى الكبير والجسر التاريخى وقرطبة عاصمة الخلافة وصومعة مسجدها الاعظم

متناثرة وجواهر متنافرة عندما قام فى كل منطقة وزير من الوزراء ينتحل لقب الامارة ويدعى الملك ويستأثر بالحكم والسلطان. لقد كان هم الأمير الجديد وشغله الشاغل تأمين وضعه الطارىء عن طريق الفتك بالمنافسين والتعاون مع الشيطان فى سبيل الاستبقاء على عرشه. وهكذا قد يوقع معاهدة صلح وأمان مع عدوه المسيحى اذا شعر بتفوقه العسكرى وقد يحالفه ضد جاره المسلم لتحقيق نفس الهدف وطمعا كذلك فى توسيع رقعته على حساب جاره فتعددت الحوادث وكثرت الحروب وسقط أمير تلو أمير وعمت الفوضى السياسية التى حسمها سيف المغرب وبطل المرابطين يوسف بن تاشفين. وعلى الرغم من تلك الفوضى [illegible] كان كل أمير [illegible] السعى منذ [illegible] الأولى لتسنمه كرسى الامارة فى اتخاذ صورة الملك وأبهة السلطان فيحيط نفسه بالحاشية ويقيم القصور ويبالغ فى اصطناع الفراش والرياش والأثاث وأزهى وأبهى حلل اللباس ويكثر من مظاهر البذخ والبذل والعطاء والهدايا والسخاء للعلماء والشعراء والأدباء الذين يستقطبهم من كل الجهات ليزدان بهم مجلسه ويفاخر بهم منافسيه ويستقدم أرباب فن البناء والزخرفة وأصحاب كل فن من الفنون الجميلة ليقيموا له هالات من الابداع المعمارى والفنى حتى أصبحت كل إمارة مشعلا لفنون الحضارة الفكرية من علم وفن وأدب ومرتعاً لإخصاب فنون الحضارة المادية من عمارة وفنون زخرفية. وأضاءت تلك المشاعل حضارة الاسلام بالاندلس داخل قصور بنى هود بسراقسطة وبنى عباد باشبيلية وبنى ذى النون بطليطلة وبنى جهور [illegible] وبنى الأفطس فى بطليوس وبنى حبوس بغرناطة وغيرهم كثيرون.

تحقيق الاستاذ عبد المنعم محمد عمر
عرض الدكتور ضاحى عبد الباقى

الرسالة الكاملية فى السيرة

هذه الرسالة وتقع فى ١٨٠ صفحة من القطع الكبير - كان يهدف مؤلفها - كما يقول الصفدى - الى «الانتصار لمذهب أهل الاسلام وآرائهم فى النبوات والشرائع» وكان يرمى الى معارضة «رسالة حىّ بن يقظان لابن سينا».

ومجمل هذه الرسالة أن ابن النفيس اختار من نسج خيانه بطلا أطلق عليه «كامل» وأن كامل هذا تولّد ذاتيا بالنشوء الطبيعى فى جزيرة منعزلة عن الناس وذلك من طين مختلف العناصر والطبائع الترابية جره سيل جارف الى مغارة خلف جبل سُدّ بأعشاب حملها ذلك السيل الذى انحط بعد ذلك عن الغاية تاركا الطين المختلف العناصر محتجزا بوساطة تلك الاعشاب ثم تعلق الروح الذى هو من عند الله بهذا الطين فتكون «كامل» ولوجود «كامل» منعزلا فى هذه الجزيرة عن البشر أخذ يستفيد من البيئة التى عاش فيها ويتعلم عن طريق الحواس التى اودعها الله فيه كما أخذ يراقب أحوال الأجسام العلوية وحركاتها ونظام بعضها مع بعض وأحوالها كالمطر والبرد ويأخذ منها دروسا نافعة ولما تعدى سن الحلم أخذ يفكر فى هذه الموجودات وهل هى التى خلقت ذواتها أو أن هناك موجدا لها؟ وانتهى به الأمر الى الايمان بوجود خالق لهذا الكون ومبدع لما فيه.

ثم حدث أن القت الريح بسفينة لبعض التجار على هذه الجزيرة التى يعيش فيها منفردا عن بقية البشر وأقام هؤلاء القوم فترة ليصلحوا سفينتهم وتعرفوا بكامل هذا وحملوه عند العودة الى موطنهم وأخذ حينئذ يفكر فى حال البشر فتوصل الى أنه لكى يحافظ على هذا المجتمع البشرى لابد أن يكون الانسان اجتماعيا وأن يختص كل فريق من هذا البشر بصيغة معينة كما لاحظ أن هذا المجتمع رغم تعاونه لابد وأن يحدث بين بنيه النزاع وأنه لابد لهم حينئذ من مصلح متمثلا فى نبىّ يتلقى تعاليمه من خالق هذا البشر لأنه أعرف بمصالحه وأن البشرية فى حاجة بين الحين والآخر الى نبىّ جديد وكل نبىّ يأتى بما أبان السابق وزيادة حتى تكمل فائدة النبوة عند آخرهم وانتهى الى أنه «لابد وأن يكون النبى الذى هو خاتم النبيين أفضل الانبياء وأقومهم بما يحتاج اليه فى أمر النبوة».

ثم أخذ كامل يتخيل صفات خاتم الأنبياء هذا فتكلم عن نسبه وموطنه وصفاته وأولاده ومقدار عمره وغير ذلك مما يتصل بأوصافه ومعيشته ثم تخيل كيفية دعوته للناس والتعاليم التى يجىء بها من عند الله. وكل هذا تناوله المؤلف فى ثلاثة فنون. وكل فن

النبوية لابن النفيس

اشتمل على عدة فصول (والمراد بالفصل هنا موضوع من الموضوعات). وهذه الفنون الثلاثة تتفق عليها المخطوطتان اللتان اعتمد عليهما المحقق: مخطوطة دار الكتب المصرية ومخطوطة استانبول.

وهناك فن رابع ورد فى المخطوطة الاخيرة فقط وهو يتناول «كيفية وصول كامل الى معرفة الحوادث التى تكون بعد وفاة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين» وقد تناول فيه الحوادث التى مرت بالأمة الاسلامية بعد موت النبى ﴿ﷺ﴾ ذاكرا أسبابها وأنهاه بالفصل العاشر الذى تحدث فيه عن اضطراب الأرض وما عليها واختلاف موازين هذا الكون ثم تكلم عن عودة الحياة للنفوس البشرية واختتمه بقوله «وذلك هو البعث سبحان الله القدير العليم».

والمؤلف نقل قصة كامل هذا عن راو من صنعه أطلق عليه اسم «فاضل بن ناطق».

ولعل القارىء فى شوق بعد هذا الى أن ننقل له نموذجا من هذا الكتاب فاليك النصّين التاليين:

١- فى اسم هذا النبى ﴿ﷺ﴾ (وذلك من الفصل التاسع من الفن الثانى:

«ولما ثبت عند كامل وجوب عظمة هذا النبى ﴿ﷺ﴾ عند الناس وجب ألا يكون فى اسمه أو اسم أبيه أو جده ما يحط قدره وينقص منزلته فلذلك لا يجوز أن يكون اسم شىء محتقر مثل زبلة أو كلب أو ثور ونحو ذلك مما جرت عادة العرب بالتسمية به بل ولا يجوز أن يكون اسمه اسما مصغرا مثل حميد أو سليم أو عبيد فإن ذلك أيضا مما تستصغر معه المنزلة ولا يجوز أيضا أن يكون اسمه مما فيه كبرياء وزيادة تعاظم كشاهنشاه وشاه ملك ونحو ذلك» (ص١٣١ من الرسالة).

٢ ـ وجاء فى الفصل السابع من الفن الثانى وعنوانه «فى أولاد هذا النبى ﴿ﷺ﴾ «فيجب أن يكون له (أى خاتم الأنبياء) بنون وبنات وبنوه يجب ألا تطول أعمارهم لأن أعمارهم اذا طالت بلغوا الى سن النبوة وحينئذ لا يخلو إما أن يكونوا أنبياء أولا يكون كذلك لا جائز أن يكونوا أنبياء وإلا لما كان هو خاتم النبيين ولا يجوز أن يكونوا غير أنبياء وإلا كان ذلك نقصا فى حقه وانحطاطا عن درجة كثير من الأنبياء فإن كثيرا من الأنبياء كان أولاده أيضا أنبياء. وأما بنات هذا النبى فيجوز أن تطول أعمارهن إذ النساء لسن بأهل للنبوة» (ص١٢٩ من الرسالة).

اما مؤلف هذه الرسالة فهو على علاء الدين بن أبى

الحزم القرشي المعروف بابن النفيس من أعلام القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) الذى ولد بالشام نحو سنة ٦٠٧هـ وتلقى به تعليمه ثم رحل الى القاهرة وقضى بها بقية عمره الى ان تعرف بها سنة ٦٨٧ . ولقد كان رحمه الله متعدد المواهب متنوع الثقافة فقد كان محدثا وفقيها على المذهب الشافعى متمكنا من العلوم العربية ذلك الى شهرته فى الطب ويكفيه شرفا أنه مكتشف الدورة الدموية الرئوية وصفه ابن تغرى بردى بأنه «لم يكن فى عصره من يضاهيه فى الطب والعلاج» ونذكر من مؤلفاته :

(١) الشامل فى الطب .

(٢) شرح فصول أبقراط .

(٣) الشروح الموسعة لقانون ابن سينا .

(٤) مختصر فى علم أصول الحديث .

واما محقق هذه الرسالة فهو الاستاذ عبد المنعم محمد عمر وكيل وزارة الثقافة الأسبق وهو من المتخصصين فى الدراسات التاريخية ومن أبرز مؤلفاته فى ذلك «خديجة أم المؤمنين» .

وهو فى الوقت ذاته من المتخصصين فى التراث العربى الاسلامى ويتولى رياسة لجنة احياء التراث الاسلامى بالمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية وقد بذل جهدا كبيرا فى تحقيقه هذه الرسالة على نسختين - كما سبق أن ذكرنا وقدم لها بترجمة وافية للمؤلف وعرض لعصره السياسى والعلمى ولمحتويات الكتاب فى الفنون الثلاثة الاولى وكان يجب أن يتابع هذا العرض بالنسبة للفن الرابع الخاص بما بعد عصر النبى ﴿ﷺ﴾ .

وبعد : فإنه لاختيار موفق من لجنة التحضير لمؤتمر السيرة والسنة الرابع لتقديمها هذا الكتاب هدية للمؤتمرين فهو كتاب رائع حقا لعرضه صفات خاتم الانبياء ﴿ﷺ﴾ والتعاليم التى جاء بها من عند الله ثم لتناوله ما بعد عصر هذا النبى وإن كان المؤلف لم يبلغ فى هذا الفن الأخير ما بلغه فى الفنون الثلاثة الأولى .

تعليق على نسبة كتاب الاحكام والسير

درج علماء الاسلام على الاخذ من كل علم بطرف والنيل من كل فن بسبب فتنوعت معارفهم بشتى العلوم واصناف الفنون . . . وقد حرصوا على تبليغ ما تحصل لهم من علوم إلى عامة المسلمين - علما منهم أن الثقافة غذاء النفوس وتمثلا لقاعدة شرعية نص عليها حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾ : « ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتى به يوم القيامة ملجما بلجام من النار »(١)

ولما كان ذلك شأنهم فقد صنفوا الكتب الكثيرة وبثوا فيها ما تجمع لديهم من علوم ومعارف فى شتى الاتجاهات والنواحى الفكرية .

وقد اعتاد الباحثون أنهم كلما تناولوا علما من أعلام الثقافة الاسلامية وقفوا فى ترجمته على نسبة مؤلفات كثيرة إليه فيأخذ أكثرهم العجب وتعتريهم الدهشة لكثرة هذه المؤلفات وتعددها .

ولئن كنا نسلم لأكثر هؤلاء العلماء - رحمهم الله تعالى - صحة أكثر ما نسب اليهم من كتب إلا أن هنالك مؤلفات حامت حولها الظنون وطافت به



الشكوك مما يجعل القطع بصحة نسبتها الى من نسبت لهم ضرباً من الخيال الجامح .

وقد استرعى انتباهى كتاب طبقت شهرته الآفاق وشاع لدى أكثر القراء أن نسبته إلى من نُسب إليه صحيحة غير أن ما صح لدى الأثبات من العلماء المتأخرين يضعف من صحة هذه النسبة إن لم أقل إنه يلقى بها أدراج الرياح .

أما الكتاب فهو: «**الإمامة والسياسة**» . . وقد اشتهرت نسبته الى ابن قتيبة رحمه الله . وقد طبع هذا الكتاب وعنى بتحقيقه الدكتور «**طه محمد الزينى**» . . غير أن محققه وهم وهماً شنيعاً حين قطع بصحة نسبته الى ابن قتيبة مع أن الخلاف فى ذلك وارد . قال فى مقدمة الكتاب :

«وبعد : فإن كتاب «الامامة والسياسة» للعالم الفاضل المؤرخ العظيم عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى من أشهر الكتب تداولا بين قراء العربية لما حواه من تاريخ حقبة عزيزة على نفس كل مسلم حبيبة الى قلبه جديرة بالذكر على لسانه . . فيها عرف المسلمون العزة ونعموا بالسعادة . . وأقاموا صروح العدالة . . وقوضوا قوائم الظلم . . وطمسوا معالم الكفر» .

والظاهر أن المحقق لم يكلف نفسه كبير عناء إذ لم يشر فى مقدمة تحقيقه الى أى كتاب من كتب الفهارس التى ترجمت لابن قتيبة واكتفى بالتعريف به فأوجز إيجازا مخلا .

وقد تتبعت ترجمة ابن قتيبة ومؤلفاته فيما تيسر لى الوقوف عليه من مراجع ولم أعثر على ما يقطع صحة نسبة كتاب الامامة والسياسة له . فممن ترجم له من القدامى ولم يشيروا الى الكتاب المنسوب له :

١ ـ الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد : ١٠/ ١٧٠ .
٢ ـ ابن خلكان فى وفيات الأعيان : ٣/ ٤٢ـ٤٤ طبعة إحسان عباس .
٣ ـ ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة : ٣/ ٧٥ـ٧٦ .
٤ ـ ابن كثير فى البداية والنهاية : ١١/ ٤٨ .
٥ ـ ابن حجر العسقلانى فى لسان الميزان : ٣/ ٣٥٧ـ٣٥٩ .
٦ ـ السيوطى فى بغية الوعاة : ٢/ ٦٣ـ٦٤ .
٧ ـ ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب : ٢/ ١٦٩ .

أما المُحْدَثُون فقد عمد أكثرهم إلى التشكيك فى صحة نسبة الكتاب لابن قتيبة . قال الأستاذ ابراهيم الأبيارى(٢) : « . . . وثمة كتاب شاعت نسبته الى

ابن قتيبة وهو كتاب الامامة والسياسة . . والأدلة كثيرة على أنه ليس له . . منها:

١ ـ ان الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكروا هذا الكتاب بينما ذكروا له من كتب.

٢ ـ في الكتاب ما يشير الى أن مؤلفه كان بدمشق والمعروف أن ابن قتيبة لم تكن له رحلة الى دمشق.

٣ ـ يروى مؤلف الكتاب عن أبي ليلى وأبو ليلى كان قاضيا بالكوفة سنة ١٤٨هـ أي قبل مولد ابن قتيبة بـ٦٥ سنة.

٤ ـ يروى مؤلف الكتاب خبر فتح الاندلس عن امرأة شهدته وفتح الاندلس كان قبل مولد ابن قتيبة بنحو من ١٢٠ سنة.

وقال الشيخ محيى الدين عبد الحميد وهو يعرف بمؤلفاته(٣) : «وله كتب كثيرة وينسب إليه كتاب الامامة والسياسة الذى طبع مرارا فى مصر وفى غير مصر ولكن الأثبات من ذوى الدراية والبحث يشكون كثيرا ـ وحق لهم ـ فى أن يكون ابن قتيبة ناسج بردته».

وقال الزِّركلي ـ وهو يعدد مؤلفاته(٤) : «من كتبه: الامامة والسياسة ـ طبع وللعلماء نظر فى نسبته إليه». أهـ

وقال الاستاذ أحمد صقر(٥): «وقد نسب الى ابن قتيبة كتاب مشهور شهرة بطلان نسبته إليه وهو كتاب الامامة والسياسة» وهل يسيغ هذه النسبة عقل؟ مع عرفانه بأن مؤلف الامامة والسياسة ذكر أنه استمد معارفه من أناس حضروا فتح الاندلس فى سنة ٩٢هـ . . وأن موسى بن نصير غزا مدينة مراكش فى زمن الرشيد . . . مع أن ابن قتيبة ولد فى سنة ٢١٣هـ ومات سنة ٢٧٦هـ ولم تبن مدينة مراكش إلا فى سنة ٤٥٤هـ فى عهد (يوسف ابن تاشفين) سلطان المرابطين؟».

إن هذا وحده ـ يقول الاستاذ صقر ـ يدفع نسبة الكتاب الى ابن قتيبة فضلا عن قرائن وأدلة أخرى كلها تثبت تزوير هذه النسبة.

وقد تتبعت مؤلفات ابن قتيبة فى كشف الظنون ولم اقف ـ بعد طول نظر ـ على اشارة لكتاب الامامة والسياسة(٦) .

وقد اكتفى رضا كحالة(٧) بالاشارة إلى أهم المؤلفات التى صحت نسبتها اليه وأحال على المظان التى ترجمت له وعرفت بمؤلفاته.

وأشار بروكلمان ـ وهو يعدد مصنفات ابن قتيبة ـ إشارة عابرة الى كون الكتاب منسوباً إليه واكتفى بالاحالة على الخزائن التى توجد بها مخطوطاته وبعض طبعاته.

وبعد فهذه أقوال العلماء الاثبات فى كتاب الامامة والسياسة وقد كان حريا بمحققه ـ وقد نصب نفسه لاخراجه لجمهور القراء ـ ان يتلمسها فى مظانها قبل أن يقف الناشئة على تاريخهم كما صرح بذلك فى مقدمة الكتاب إذ توثيق نسبة المخطوط لصاحبه أولى القضايا التى يصرف إليها المحقق المتمرس كل عنايته ويوليها بالغ اهتمامه.

---

(١) اخرجه ابن ماجه فى سننه.
(٢) تراث الانسانية: مجلد ٢ ص٣٣٣-٣٣٤. ط دار الفكر.
(٣) ادب الكاتب: ٩ ط مطبعة السعادة ط ٤.
(٤) الإعلام ٤/ ١٣٧ ط دار العلم للملايين ط٥-١٩٨٠
(٥) تاويل مشكل القرآن: ص٣٢ ط المكتبة العلمية. ط ٣-١٩٨١
(٦) معجم المؤلفين. ط مكتبة المثنى بغداد.
(٧) تاريخ الادب العربى: ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ط: دار المعارف مصر.

المختار

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر



العدد الثامن والعشرون المحرم ١٤٠٧ هـ

للمشرف

محمود عارف





قيل في الشعر الكثير وما سيقال فيه أكثر فلا أحد يجرؤ على القول - إلا إذا كان فيه مس - أنه قد كتب مالا يبيح لسواه أن يكتب فيه بعده أو أن يقول.. فالشعر ليس كالرياضيات لا تجد معاندا إذا قلت: ان الرقم ثلاثة هو جذر الرقم تسعة ومع ذلك فتستطيع التقارب مع من سلمت نيته ولانت للحق عريكته اذا قلنا مؤكدين: ان الشعر غير النثر وإن كانت الصلة بينهما قريبة لأن أدواتهما واحدة هي الكلمات ولكن مع ذلك لكل منهما خصوصيته ومميزاته بحيث يكون الفارق بينهما كالفارق الحاصل بين ميكائيل أنجلو والحجار (أيّ حجار).. وكلاهما أداته الإزميل.. فلابد مع وجود التسمية من فارق وإلا اختلطت الأشياء وبعدنا عن الرشد فالشمس غير القمر في التسمية وفي الواقع.

لذلك أرى أن الشعر كلما اقترب بتعابيره من النثر هبط وكلما اقترب النثر بتعابيره من الشعر ارتفع لأن ساحة الشاعر - وهو الذي يقول الشعر - اكثر بدائية وأقل نمطية.. وساحة النثر - الذي يصدر عن كاتب - هو أكثر مدنية وأكثر نمطية فالشاعر له جلال الغابة والكاتب له جمال الحديقة المنسقة.

ولعلني قربت مما أريد بطرح تصور لقضية لا شك أنني جزء منها وكذلك أنت.. وهو ألسنا جميعا الأبيض منا والأسود نعيش وقتا طال أم قصر ثم نموت؟.. ونحن وحدنا من بين جميع المخلوقات على الأرض الذين يملكون القدرة على التعبير المتطور ويملكون وحدهم القدرة على خلق هذه الوسائل للتعبير المتميز.

فما كان من الفنون الصق بالانسان فسيظل مع الانسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولا شك أن الشعر في رأس القائمة.

وما الطروحات المتخفية تحت أثواب الحداثة والمعاصرة إلا نبات وقت نأمل ألا يطول أو يتمدد في الساحة العربية يسمي زماننا زمن الجدل العربي قياسا على مقولة الجدل البيزنطي فقد تزدهر الفنون والعلوم.. ويعلو البنيان ويكثر الزخرف في وقت ما.. ويراوح الشعر أو يتراجع فتلمس خللا ما في روحية ذلك الوقت أو العصر لأن الشعر وحده من بين جميع الفنون الذى يعطي الدليل الحراري للبيئة التي يصدر عنها متمنيا أن يعطي شعراؤنا مالا يسمح للقادمين أن يحكموا علينا بما نحكم به على معظم شعر أعمامنا في الأندلس.. وعلى عصرهم.

كمثال لننظر في هذا البيت الذى قيل ان قائله تمت له صياغته في أكثر من عامين وهو يقرأ طردا وعكساً.

مودتــه تـدوم لكــل هــول
وهـل كـل مودته تـدوم.

انه كما يبدو بيت مكتمل النمو والقوام. فيه المعنى وفيه الايقاع ولكننى أحكم على قائله بما حكم به الرشيد على ذلك الرجل الذى أتاه حيث قام يقذف بالابر في سم بعضها إلى أن جعل منها حبلاً فأعطاه الرشيد مائة دينار وأمر أن يجلد مائة جلدة وقال: أعطيته الدنانير لبراعته وأمرت بجلده لأنه أضاع وقته فيما لا ينفع الناس.

إذاً فالشعر قضية ولا فرق في اعتقادى في أية قضية بين العام والخاص منها فما كان عامًا يصبح شخصيا وما كان شخصيا يصبح عامًا بالتبادل والمشاركة ـ كالموت.. انه شخصى وعام بذات المقدار.

والشعر كغيره من الفنون هو ابن الحياة وليس سابقا عليها.. فالطفل بالفطرة يرسم شكلا ما على الأرض او على جدار ـ على الورق ـ وكذلك يصنع من الطين أو سواه هيئة ما يدندن ويوقع بقضيب أو بحجر وهذه: هى بدايات الفنون.. فالانسان فنان بالفطرة ولكنه لن يستطيع أن قول الشعر دون أن يختزن بشكل ما مؤثرات بيئته بمعطيات كونه ـ فالشعر مظهر حضارى وإن كان يتسامى على بقية الفنون من ضروب الكتابة إلى غيرها من نحت ورسم وموسيقى ـ لخصوصيته الفريدة التى تجعله وحده (مختزلا) سائر الفنون.. في تقاطيعه ومقاطعه ورب قائل يقول: ولكن النثر ـ اى فنون الكتابة ـ هى أرقى من الشعر وفاقا لمقولتك لأنه مظهر حضارى جاء تاليا لاختراع الأبجديات.. فإنى اقول قد جئت آنفا بمثل عن الفرق بين الغابة والحديقة المنسقة فقد تكثر الحدائق في بلد ما ولكنها لا تغنى عن الفرار الى الغابة في وقت ما أيضاً ـ إنه التوق في الانسان إلى الطبيعة والآن لننظر إلى هذه الحلاوة في بيت ابن الملوح يصرخ:

أيــاربِّ إذ صيَّرت ليلى هى المنى
فزنى بعينيهـا كما زنتهـا ليـا

انه يدعو بصدق وخوف وحرارة.. ويرجو الله أن يجعله جميلا بعينى محبوبته كما تبدو هى جميلة في عينيه فنحس لوعته ـ وهذا الاحساس منا بحاله هو ما أدعوه بالمشاركة والانتقال بين الخاص والعام وبالعكس.

فالشعر ليس موسيقى ولا كلمات بالتأكيد وإن كانتا من أدواته حتما.. فهما قطعاً ليستا إلا بعض كيانه فالشاعر الحق كدودة القز.. يموت ولكنه يعطى محيطه شرانق الحرير بعد أن يكون قد هضم ورق اشجار التوت التى التهمها بشراهة من كرم الحياة فالمشكلة ليست مشكلة (حداثة.. ولا معاصرة). ان المشكلة كلها في الشاعر وصدقه وعمق تجربته. كما ليست مشكلة الشعر العربى في التزام العمود الخليلى أيضا ـ فما الخليل الا من استنبط القاعدة مما قاله شعراء العرب قبل الخليل بأجيال.. واستدرك عليه الأخفش وليس للخليل في الشعر اكثر مما لسيبويه في النحو مثلا ـ كلاهما وضع قاعدة لما هو سابق في الكينونة عليه.. فكما يحط من قدر الخطيب ركاكته.. ومن قيمة الأثر ـ اى أثر ـ اللحن فيه.. وكذلك الحال بالنسبة للشعر ـ فالشاعر الأصيل يجد في التفعيلة عوناً لا حاجزاً من الأسلاك الشائكة فكما هو قدرنا في لغتنا أن يجيىء الفاعل مرفوعاً والمفعول به منصوبا ـ فعذر الشاعر العربى أن لا يفر من التفعيلة وإلا كان علينا بموجب القياس أن نكون أحرارا نجيء بالفاعل منصوبا تارة وبالمفعول به مرفوعا حسب المزاج والعلم.

لكن وكما تطورت أساليب الكتابة يحق للشاعر وهو المتمرد أصلا أن يضع تجربته ومعاناته بأى قالب شاء ـ ولكن ليس دون قدريَّة موسيقى التفعيلات العربية.. ولا أقول الخليلية.. جازماً أن الشعر كما قلت ليس موسيقى ولا كلمات وإن كانتا من أدواته لزاما فهما بالتأكيد ليستا الا بعض كيانه إنه الشاعر مضافا إليه شيىء آخر وربما كان هذا الشيىء الآخر ـ هو بصمة الروح في الشاعر التى لا تدرك كل ملامحها الأبصار وإنما تحس بها وتتعرف عليها البصائر ـ وهذا ما يميز الشاعر من «الشعرور» فيبقى الأول في الذاكرة ويذهب الثانى جفاء إلى سلة المهملات.





يارب

جَهِلْتُ فهل تعفو وتصفحُ عن ذنبى
وتغفرُ أوزاراً ينوء بها قَلبى

فحبِّى لكَ اللهمَّ يملأ مُهْجتى
وأنتَ الذى إن شئتَ تجزى على الحبِّ

يئستُ وأبكتنى الذنوبُ وليس لى
سواكَ يجيرُ النفسَ من عَثرة الدربِ

يقولون لبُّ المرء يهديه للهُدى
فما لى ضللت اليوم لم يهدنى لُبّى

أعاتبُ نفسى فى الدجى وألومُها
فيغضبُها لومى ويكربُها عتْبى

وأسلبُ من دهرى حطام سعادتى
ويسلبُنى عمرى ويمعنُ فى سلبى

دأبتُ على فِعْلِ المكارم بعدَ ما
تفسَّختُ أعواماً فطهَّرنى دَأبى

فما لى رجعْتُ اليومَ للشرِّ طائعاً
أسيرُ بلا هدى من الشرقِ للغربِ

يعلِّلُنى حبٌّ ويجذبُنى هَوى
الى الغيدِ.. ويحَ النفس تَهْفُو الى الحبِّ

وتكربُنى فى هدأة الليل صيحةٌ
بجوف ضمير راحَ يمعنُ فى [illegible]



صبا القلبُ بعدَ الرُّشْد حين بدا له
جمالُ الصِّبا . . والحسنُ للقلبِ كم يُصْبى
وكم هزَّنى خطبٌ وزلزلَنى أسى
فلم أدرِ حيناً كيفَ أنجو من الخَطْبِ
هوى النفس يُزْري بالنفوس يقودُهَا
الى هوَّة الاغراقِ فى الذلِّ والعيْبِ
وكم غرَّنى حلمى فخلتُ بأننى
قويٌّ حصيفٌ لا سبيلَ الى غَلْبى
فلما بدا سحرُ العيونِ رأيتنى
كطفلٍ غريرِ العقل تاه عن الركْبِ
وأحسستُ أنى لستُ فذاً وأننى
ضعيفٌ أمامَ الحُسْنِ يَسْلُبنى لُبىّ
وكدتُ وأيمُ الله أبلى مروءتى
وأفقدُ إيمانِى ويفقدُنى صَحْبى
جنيتُ على نفْسِى وأهْلِى ومَعْشَرى
أنانيةً منىَّ . . وظُلما بِلا ذنبِ
يعزُّ على قلبى النكوصُ وإنَّما
حياة الفتى أن يستقيم على الدَّرْبِ
وأنقذنِى من حمأة الطين صحوة
من الرُّوح ليتَ الروح بكْر فى جَنْبِى
إذا المرء لم يحمل على الخير نفسهُ
سيحملها يوما على مركب صعبِ
فياربِّ قرِّبنِى إليْك فإنَّنى
أتوقُ الى عفوٍ وأصْبُو الى قُرْبِ
ويا لائمى قِفْ حيثُ أنتَ فإننى
عزمتُ على أمْرٍ أصونُ بِهِ قَلْبِى
وحسْبِى من الأيام تعذيبَ مُهجتى
وارهاق نَفسى بالشجونِ وبالحوْبِ
فهل توبة ياربُّ ألقاكَ بعدها
لقاء مُحِبٍّ تاقَ للطُّهر ياربى

على عرفات

هذا المقامُ .. وهذه الأرواحُ
خُشعتْ لبارئها وذاك رواحُ
ماسَ الأصيلُ على مرابِعِهَا شَذَىً
وتأرَّجتْ بالوافدين بِطَاح
وأكفّهم بالموقف الضاحى لها
برجائها ودعائها إفصاح
ما الجمعُ ما الكلماتُ ما الدعواتُ فى
محرابها .. ما كأسها والراح
لا لم أر الزيناتِ ما بين الورى
إلا السراب وهذه الأدواح
المغدقات بها تدوم ثمارها
والذاكر المشتاق والصداح
نورٌ سماويٌ على متن الهدى
عكفت على آفاقه الأرواح
الحجّ أعظم موقفٍ لا يرتقى
لعُلائه فى العالمين جناح
الله أكبره وأعظمَ شأنه
فله الضياء المبْهِجُ اللُمّاح
وبه يُباهى فى السماواتِ العلى
دنيا الملائك .. ربُّنا الفتّاح

عرفات مرتعنا وفيها الملْتَقَى
ولنا على آفاقها أفراحُ
العفوُ والغفرانُ بعض سحابها
والجودُ يدفقُ والعطاء مُتَاُح
فأقم على هذا الثَّرى الساعات من
هذا النهارِ ففضلها وضَّاح
واغسل فؤادَك من خطايا سُوِّدتْ
دنياك هذا مَوْسِمٌ ومَرَاح
قد خابَ من شهد السماء تفتّحتْ
فيه وعاد ولم ينلْهُ صَلاَحُ
اليوم تُغْتفرُ الذنوبُ وترتوى
ظمأى النفوس فدربه ممراح
وينالُ أهلُ الصدقِ من دنياهُمُ
كنزَ الرُضى فبه المنى الفوّاح
واغنمْ فهذا السوقُ فيه تجارة
ربحتْ فليس بظله ملواح
وغدا بثوبك يوم نشرك لاترى
إلا البياض أو السواد يُتاح
أوليس للدنيا ختام إنّها
زادُ المسافِر .. والغد الفضّاحُ



غادٍ وغادٍ ماهما إلا بها
حملا ، وليس على التقىّ جُناح

●●●

روحى على عرفات قد حامت ولى
عينٌ لذنبى - دمعُهَا سيَّاح
أوغلتُ فى بطن الخطايا والهوى
وَيحَ النفوسِ فساده مِلْحَاحُ
حتى ظَمِئتُ إلى ينابيعِ الهُدى
وطرحتُ غَيّاً فى هواه جَمَاحُ
وأتيتُ يا ربى إليك مصفَّدا
زادى المتابُ وعُدَّتى الأتراحُ
فارحمْ على عرفات قلبىَ إنَّه
ناءتْ بحمل ثِقَالِه الألواح
واليوم زاد رجاء روحى وانتهى
لعلاك قلبى المسرف النُّوَاحُ
يشكو إليك كروبَه وهمومَهُ
وبه ألَمَّتْ يارحيمُ جراحُ
أمْنُنْ عليه بتوبةٍ ينجو بها
فاليوم فضلك للأسى نَضَّاحُ

●●●

عرفات والجمع الكريم لأمّةٍ
أمسى الهوانُ بظلِّها يرتاحُ
أتذوب يا رباه قوتها وقد
أحيا جهادُ روحها وكفاح
لم تَلْوِهَا سودُ الصروفِ فدعوة
تحمى الحمى وجحاجح وطِماحُ
تتوقَّد الشارات بين ضُلوعها
والحقّ دون طلابها والساحُ
ويموجُ إعصارٌ يَشُدّ قناتَها
وتثورُ فى ظلمِ الدروبِ رياحُ
ويهبّ بالاسلامِ شعبٌ مسلمٌ
وعلى يديه من الهدى مِصْباح
من ها هنا انطلق الرجال أئمة
والأرضُ ظمْأى والدروبُ فِسَاحُ
النورُ ملء عيونهم وقلوبهم
سحبٌ تفيضُ وودقُها طفاح
روَّى البلادَ ولم يزل متدفقاً
يغنى العباد جناه أين يُراح
وتظل عيناى اللتان استهوتنا
أفقَ الحجازِ عليه من قد لاحوا
تتوسدان الفىء فى جنّاته
حتى يعودَ سراجُهُ الوضَّاحُ
فمن المثانى شرعنا وشبابنا
دون المثانى وثبةٌ وكفاح
لن يستقيم المسلمون بغيرها
أو يستديم المجدُ وهو قِراحُ
والحجُّ منهجُنا له بجلاله
فى كلِّ موطن عزة مفتاحُ



محمد بن محمد العلمي - الرباط

يا عالماً بسرائر الأكوانِ
يا حاضراً في جوهر الوجدان
سبحانكَ اللهم من ربٍّ لقد
هتف الفؤادُ به لدي الخفقان
تدرى وتعلم في الصُدور لطائفاً
أبدعتها في السر والإعلان
إذ أنت تُؤنسُ وَحْدتى وتضرُعى
وتقيلنى من أجمع الأحزان
تتضاءلُ الأوثان في أصنافها
وتبوء بالخذلان والخسران
والشرك في أنواعه متباعدٌ
متناقضٌ في محنة وهوان
يا ربِّ جنِّبنى مزالقِ شهوتى
وحبائلاً من فتنةِ الشيطان
ياربِّ غلّبنى، على نَفسِى فقد
ناءت بأعباء من العِصْيَانِ
ياربِّ بارتْ حيلتى إن لم تجُد
فضلا علىّ بواسع الغفران
فإذا رضيتَ فلن يسود مشاكس
بشرى لقلبى منك بالرضوان
وإذا تنكّرتِ الظروفُ وأهلُها
وطغتْ فلول الغدر والبهتان
أنت المعين وفيك يحلو دائما
حسن العزاء لعاشق ولهان
فيك الكفايةُ عن سواك وأنت مَنْ
ترعى الكفالة في هدى وأمان
ياربِّ يا حنّان يا هادى ويا
نوراً يُضيء مسالك الحيرانِ
يا منقذ الغرقى من الأهوال يا
منْ يعتق الهلكى من النيران
ياربّ أرشدنا لأقوم خطّة
فلأنت أهل الفضل والاحسان

من المدينة المنورة

من أجلكم يا رفقتى صلّى الفؤادْ
قام الليالى السود بل هجرَ الوسادْ
من أجلكم صلّي وصامَ مع السُهاد
وتطلعتْ أعماقه دَرْبَ العنادْ
في المسجدِ النبويِّ - قال وفى اتّئاد:
ربّاه أنتَ ملاذنا ورجاؤه يوم الجهاد

●●●

أوّآه يا صحبى ورفقة عمريا
هذى المدينةُ تستفزُّ وجوديا
بكت المعابدُ تستغيثُ لما بيا

يارب فيك الخيرُ والحسنُ الذى
ما ادركته وسائل الانسان
يارب فيك سرورنا وخلاصنا
مما نقاسى كلنا ونعانى
يا نورَ أنوار العوالم كلِّها
يا مَنْ يبلور منطقى وبيانى
يا حبذا نبع الصفاء فإن فى
تقوى القلوب تجانُس الألوان
ياربّ ما أحلى الدعاء ففيه ما
بعث الشذى في رعشةِ الأغصان
اجعل كيانى في أمان دائماً
واحفظ بحفظك خافقى ولسانى

حتى اعود بشدو حمدك زاهياً
وازيد موعظة من القرآن
أدبْتنى بالآخرين فلم أزل
بهمو أحارب غفلة النسيان

تلك المناجاة التى أدعو بها
قد ضمدت جُرْحَ الفؤاد الفانى
يارب أنت وليس غيرُك منقذى
ومطهِّرى من وَصْمةِ الأدران

نعم المدبِّرُ للأمور جميعها
سبحانَ ربى المحسنِ الرحمن

للشاعر
عبدالسلام هاشم حافظ
المدينة المنورة

إلى القدس الشريف

تشيرها حرباً تجوب بكونيا
ربا مقدسة تُطهِّرُ أرضيا
القدس. . حتى جوها يصفو ليا
كمْ أحبّائى الكرام ليأتنا فيها الحيا

●●●

المدينة موطن الهادى الرحيم
ستنجد الأبطال من خطرٍ عظيمْ
قولة الباغين عن وطنٍ قديم
نسلّ (إسرائيل) فيه هوى سقيم
خيبر وبيثرب الوطن الكريم

يرجون فيه إقامة الوغد الزنيم
لا يارجال تيقَّظوا وتعقَّبوا هذا اللئيم

●●●

من أجلكم أنتم فدائىَّ الحياه
دوَّى بطيبة صوتُ أبرارٍ ثِقاة
ترجيعُ أصداء تُنادى بالنجاه
لتعودَ فى القدس الشريف لنا الصلاه
ويعود أهلوها ومجد الذكرياتْ
ليجددوا فيها الحضارة والتقدم بالحياهْ

●●●

من أجل حقّ اللاجئين الصامدين
وضياعهم ومتاههم فى العالمين
جأرت مدينتنا تنادى الثائرين
وتهيب بالأحرار .. بالمتضامنين
أن يذكروا نيّات قومٍ غاصبين
يستعمرونا فى عنادٍ عابثين
ومرادهم يهزمونا .. يقتلونا صامتين

•••

لا يا زمانُ .. لقد طغى الحقدُ الدفين
وتجمهرتْ صُهيون تَنتهِبُ الحصون
تفتنّ بالتسليح للقصد المشين
يا شؤم ما ترجو وتحلم أن تكون
تمتد ما بين الفرات من الحزون
والى رُبا النيل الخصيبة تستكين
هذى نوايا المجرمين الظالمين المعتدين

•••

لكنهم لن يفلحوا فى حلمهم
لن يستقروا ناعمين بظنهم
فديارنا هول ونيران لهم
ستدمر الباغى وتحرق بينهم
بالحق أقسمنا سنسحق جمعهم
ونزيلهم عنا وننسخ دَوْرَهُم
بسلاحنا وارادة الأحرار نُنهى أمرَهم

الانس

ذلك الكائ

أى سرٍّ فى فطرةِ الإنسان
فيثير الشدوه فى الاذهان
نطفةٌ تخلق التناقض فينا
بين رحم معتّم مدجا
تتنامى تواليا دون كسب
وانتحال الغذاء بالاحسا
ثم ننساب للوجود عراة
ويعود العراة للإبطا
بين هذا وذاكِ سلم وحرب
واعْياء وروعةُ العمرا
واذا كانت الحياة هبات
لبنى الارض من ندى الرح



ـان
ـن العجيب

رِخوانُ الوجود فى اى آن
ومكان يميد بالالوان

لماذا الانسان فى كل حين
يتنزّى للحرب فى إدمان؟

لماذا والسلم بغيتنا الفضلى
نعيش العدوان فى امعان؟

ننادى للسلم والحربُ سيفٌ
دائما مشهرٌ بغير توان؟

لماذا تطوى الشعوب وأخرى
فى رفاه يفيض كالطوفان؟

ـسوة اى قسوة فى قلوب
مثل صَفْوَاء فى دنى الأوثان

•••

ايها الهائمون بالحرب بَغْيا
أرجوعاً.. «المنهل الايمان»..؟

إنه حصننا الحصين وفىْء
ما انْحَرَفْنا عن شِرْعةِ الديَّان

لو ربطنا الوجود بالأفق حتى
صار للدين كامل السلطان

لنعمنا طول الحياة بسلم
عطر الزَّهْر فائح الريحان

يتآخى الانسان فيها ويحيى
آمنا هادئا وفى أى آن

فلماذا الكفران للدين والخلق
وكون الحياة للذوبان؟

اخلعوا عنكم النفاسة بِغيا
لسلام موطّد الأركان

إنَّ هذا الوجود طيف خيال
يتراءى مذلل الأفنان

ثم لا يعدو ان يحول هباء
فسوى الله فى الحقيقة فان

عجبا للطغاة كيف تملوا
منظر الكون دائم الغليان؟

ولهذا الوجود ربٌّ حكيم
وعزيزٌ وليس لله ثان

سوف يقضى بين الطغاة وقوم
آثروا العيش دون اى عوان

إن لله ما يشاء اذا ما
لج قوم فى حلبة العصيان





الحبُّ يبقى وغيرُ الحب يندثرُ
مهما أقامَ ومهما ظلَّ ينتشرُ
والكُرهُ دنيا وإن فاضت محاسِنُها
فإنها من صميم القلب تحتقرُ
لا تعذلونى فطعمُ المِلح فى شفتي
يكادُ من طول ما عانيتُ ينفجرُ
طال المسيرُ بأيامى فأين أنا
وهذه رحلتى أوْدَى بها الضَّجرُ
لقيتُ من زمنى مالستُ أحتملُ
وما يضيقُ به فى سَعْيه البشرُ
وعشتُ أغفرُ للجانى جنايتَهُ
وأطلبُ الصفحَ ممن ليس يزدجِرُ
وكنتُ فى كل ما يأتى به زمنى
بالحبِّ أحْيَا وبالايمان أنتصرُ
حتى إذا ما استقرَّتْ بى يدٌ فزعَتْ
من طول ما راعها فى رحلتى خطرُ
ألقيتُ حملى على الرحمن فانفرجَتْ
نفس لما قد يوافينى به القدر

●●●

أحِبَّتِى واجتيازُ الدَّرب يرهقُنَا
مالى أرانا إذا اجتزناهُ ننفطرُ
الشوقُ أدمَى ليالينا وأرّقَنا
والقيدُ كاد من الأوجاعِ ينصهرُ
فى كل عامٍ نرى من دَهرنَا عجبا
ونصطَلِى بوجوه ما بَها نَظَرُ
شقاؤنَا كان للمحروم فاكهة
وكأسُنَا كادَ مما ذاقَ ينكسرُ
فكيف نجزعُ إن كانتْ سَفِينَتُنا
لمرفءِ الحُلمِ تدنو وهى تفتخرُ
تالله ما أتعسَ الانسانَ يقتلُهُ
صفوُ الحياةِ ويُحْيِى قَلْبَهُ الكَدَرُ

يستعذِبُ العَيْش مكدوراً ومحترقاً
والحُلْمُ فى كفِّه يخبو ويحتضر
ولا تطيبُ لهُ الأيامُ ناعمة
وراحةُ القلبِ من كَفَّيه تنهمرُ
إن كان فى الأرض ما عشناه له وبه
ففى السَّماواتِ ما لا قد رأى بشرُ
فلينطلقْ فى بِحارِ النورِ زورقُنا
فإنها المدُّ فيها ليسَ ينحسِرُ

الحلم الآتي

د. محمد العيد الخطراوي - المدينة المنورة

أحقا أتيتِ..؟ وقد كنت حُلْما
بعيداً ترفرفُ فيه الصورْ
وهمساً رقيقاً يداعِبُ روحى
بأنفاسِهِ كالنسيم العَطِرْ
فتهتز للحُلم إما بدا
وتسعدُ بالهمسِ إمّا بَدَرْ
وها أنتِ ممشوقةٌ فتنةً
أمامى وها أنتِ ملء البصر
تعالى لنسقىَ عرسَ المُنى
رحيقاً يحنّ إليهِ الوتر
ونزرعُ قلبَ الوجودِ حناناً
ونغسلُهُ من دموع البَشَر
ونملأ سمْعَ النجوم حكايا
علي راحتيها بطيب السَمَر
كفّى بكفك أغنية
تهدهِدُ بالحبّ عطفَ السَحَر
ترسم للفجر آفاقه
وتكسو الأصيل الوشاح الأغر
عينى بعينك إذ تلتقى
تبثك أغلى أمانى العُمُر

ويمرحُ فى هُدْبها خافقى
ويخلَعُ عنه ثيابَ الحَذَر
ويسبحُ فى عالم من رُؤى
مضمَّخةٍ بالجمالِ النَّضِر
دعينا نقيمُ بأحلامنا
قَصُورَ هوانا بظلّ القَمَر
مؤطَّرَة بالشذا والسَّنى
مرصَّعة بحنين الذِّكر
نُطلُّ على الكونِ مِنْ فوقِها
كإطلالة الأمل المنتَظَر
ونصنعُ فى ظلِّها جنَّةً
تتيهُ الظلالُ بها والثَّمَر
وتشدو البلابلُ فى أيْكِها
وتصفو المياه ويزهو الزَّهَر

●●●

أحقا أتيتِ؟ لقد زغردتْ
ستائرُ بيتى وغنَّتْ زُمَر
وآوى الربيعُ لنافذتى
وجال بأرجائها واستقر*

من غزليات

ألا أسعديني بالدُّموع السَّواكِبِ
على الوَجْد من صَرْم الحبيب المغاضب
وسُحّى دموعاً هاملاتٍ كأنَّما
لها آمرٌ يَرْفَضّ من تحت حاجبى
ألا واستزيريها إلينا تطلُّعاً
وقولى لها فى السّر يا «أمّ طالب»
لماذا أردتِ الهَجْرَ منى ولم أكُنْ
لعهدِكُم لى بالمذُوقِ الموارب
فإنْ كانَ هذا الصرمُ منكمْ تدللا
فأهلًا وسهلا بالدلالِ المُخالِب
وإنْ كنتِ قَدْ بلّغتِ يا «عَلْوَ» باطلا
بقول عدوّ فاسألى ثم عاقبى
ولا تعجلى بالصَّرْمِ حتى تَبَيَّنى
أمُبلغَ حقّ كانَ أم قولَ كاذب
كأنَّ جميعَ الأرض ـ حتى أراكُم ـ
تَصَوَّرُ فى عَيْنى بسودِ العقاربِ

ولو زرتُكُمْ فى اليوم سَبْعينَ مرة
لكنتُ كذى فرخ عن الفَرْخِ غائِب
أرانى أبيتُ الليلَ صاحب عَبرة
مَشُوقاً أراعِى مُنجدِاتِ الكواكِبِ
أراقبُ طولَ الليلِ حتى إذا انقضى
رقبتُ طلوعَ الشمسِ حتى المغارب
إذا ذهبا هذانِ منى بلذتى
فما أنا فى الدنيا لعيشٍ بصاحبِ
فيا شؤمَ جدّى كيفَ أبكِى تلهفاً
على ما مَضى من وصل بيضاء كاعِبِ
رأتْ رغبتِى فيها فأبدتْ زَهادة
ألا رُبَّ محرومٍ من الناسِ راغبِ
أريدُ لأدعو غيرَها فيرُدُّنى
لسانى إليها باسمِها كالمغالِبِ
يظلُّ لسانى يشتكى الشوقَ والهوى
وقلبى كذِى حبسٍ لقتلٍ مراقَبِ

البحتري



وإنَّ بقـلبـى كُلَّما هاجَ شوقُـهُ
حرارات أقـبـاس تلوحُ لراهِـبِ

فلو أنَّ قلبـى يستطيـعُ تكلُّمًا
لحدَّثكُـمْ عنِّى بجمِّ العجـائبِ
كتبتُ فأكثـرتُ الكِتَـابَ إليكُمُ
كذى رغبـة حتى لقـدْ مَلَّ كاتِبى
أمَـا تتَّـقِـينَ الله فى قَتَـلِ عاشقٍ
صريعٍ قريحِ القلب كالشَّنِّ ذائبِ
فأقسمُ لو أبصـرتنى متضـرِّعـاً
أُقَلِّبُ طرفى نحـوكُمْ كلَّ جانبِ
وحـولـى من العُـوَّادِ باكٍ ومشفقٌ
أبـا عِدُ أهـلى كُلُّهـم وأقـاربى
لأبكَـاكِ منِّى ما تَرَيْـنَ توجـعـاً
كأنـك بى يا «عَلْوُ» (قَدْ) قام نادبى
وقد قالَ داعى الحُبِّ هل من مجاوب؟
فأقبلتُ أسعى قَبْـلَ كُلِّ مجاوِبِ
فما إنْ لَهُ إلا إلَـىَّ مذاهـبٌ
تكـونُ ولا إلَّا إلَـيـه مذاهِـبى



قال أبو تراب: جاء فى تفسير القرطبى فى قوله تعالى: «وشددْنا أسْرهُم» أى خَلقهُمْ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومُقاتِل وغيرهم والأسْر الخَلْق.

قال أبو عُبيد: يقال فَرَسٌ شديد الأسْر أى الخَلْق ويقال: أسَرَه الله جل ثناؤه اذا شدَّد خَلْقَهُ، قال لبيد:
ساهِمُ الوجه شديدٌ أسْرُه .. مُشْرِف الحارك محبوك الكفل.

قال أبو تراب: هكذا البيت فى ديوانه، وفى اللسان فى مادة (حبك) وفى (حرك) بلفظ (مُغْبَطُ الحارك) وهو فى تفسير القرطبى (ج١٩ ص١٤٩):

مُشْرفُ الحارك محبوكُ الكَتَدْ

وهذا خطأ وهم فيه الناسخ أو المؤلف، لأن هذا الشطر لأبى دؤاد وهو فى تفسيره ايضا (ج١٧ ص٣٢).

قال أبو تراب: عُودُ الأسْر هو الذى يعالج به الانسان اذا احتبس بوله، وقيل فيه عُود اليُسْر وكأنه من باب التَّيمُّن والتفاؤل كما يقال للديغ سليم، وأنكر الجوهرى عود اليُسْر ووافقه على انكاره صاحب الواعى والمُوْعَبِ نقل ذلك عنهم فى التاج قال وأقرَّه شراح الفصيح.

قال أبو تراب: وسبقهم بذلك الفرّاء ففى اللسان عنه: ولا تقل عود اليُسْر وكذلك خَطَّأ الزمخشرى فى أساس البلاغة، ونقل الزبيدى عن ابن الأعرابى كما فى اللسان هذا عود يُسْر وأُسْر قال: وكلامه يقتضى أن فيه قولين، واليه ذهب صاحب القاموس قال: وما تحامل به شيخنا يعنى الفاسى صاحب إضاءة الراموس - على الفيروز ابادى فى غير محله كما لا يخفى.

قال أبو تراب: فى اللسان جَمْعُ الأُسّ إسَاسٌ، مثل عُسّ وعِسَاس وجمع الأسَاس أُسُسٌ مثل قَذَال وقُذُلٌ وجمع الأَسَس آساسٌ مثل سَبَب وأسباب وبها ضرب صاحب اللسان من الأمثلة وضَح ان ضبط التشكيل فى كل من المقاييس ومجاز القرآن ومفردات الراغب غلط لأن فى المقاييس جمع الأُسّ آساسٌ والصواب إساسٌ وكذلك هو فى مجاز القرآن الا اذا كان الأول مفتوح الهمز وفى المفردات جمع الأس إساسٌ وجمع الأساس أُسُسٌ وهو ايضا غلط والصواب جمع الإساس أُسُسٌ وكم فى المفردات التى صححها الكيلانى من أغلاط كهذا إلاّ أن فى تاج العروس أن الأساس كأعناق جمع أُسُسٌ بضمتين فهو جمع الجمع ولا تسامح فى عبارة اللسان كما ادّعاه الفاسى.



قال أبو تراب: ذكر أهل اللغة ان الإسار لغة فى اليسار ضدِّ اليمين وأن الأسير الملتف من النبات كالأصير.

قال أبو تراب: فان كان هذا من الابدال فهو كثير فى لغة العرب بين الصاد والسين إلا أنى لم أجد هذا اللفظ فى كتاب الابدال لأبى الطيب الحلبىّ ولا فى كتاب الابـدال للزجـاجى ولااستـدركـه عليهـما محققهـما التنوخى كذلك لم أجد فى إبدال الألف والياء اليسار والإسـار فى اكـمال الابـدال الـذى ألّفـه عز الدين التنوخى والابدال بينهما وارد فى كلام العرب. وبين الأسر والأصْر ترابط معنوى فى الكثافة والاحتباس والالتفاف.

قال أبو تراب: فى أساس البلاغة مازال فلان مجنوناً على اسْتِ الدهر ويقال أُسِّ الدهر أى على وجهه وهو فى اللسان مثلث الأول وفى المستقصى للزمخشرى (ج٢ ص١٣) ذلك على اسْت الدهر أى على قدمه وكأنه مثلٌ ففى مجمع الميدانى (ج٢ ص١٠٤) ألحق الحِسَّ بالاسَّ وعن ابن الأعرابى الحسُّ الشر والإسُّ الأصل أى ألحق الشـر بأهله، وفى تهذيب الأزهـرى: هما بالفتح، وفى الصحاح بالكسر وكله واسع.

قال أبو تراب: وفى معجم بقيـة الأشياء لأبى هلال العسكرى (ص٤٦) والآسُ بقية الرّماد وزعموا عن أبى الخطاب الأخفش أن الآس ها هنا ذَرَقُ النَّحل ولا أدرى ما صحته وعلق على ذلك محققاه ابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى: خصَّتْه معاجم اللغة ببقية الرماد فى الموقد.

قال أبو تراب: الذى خَصَّته بذلك هو الأُسُّ لا الآسُ والآسُ هو بقية العَسَل فى الخلية كما فى المُجْمَل لابن فارس قال: وليس من الباب يعنى من الأسِّ، وذكر فى الأسِّ أُسَّ الـرمـاد كما ذكـر غيره، ولم يتنبه هذا المحققان وهما يريان العسكرى ذكر قبل ترجمة الآس هذا الأس للآخر.

وقـال بقيـة العسـل فى موضـع النحل والمادتان مختلفتا البْنية وبقية الرماد بالأُسِّ أليق وبقية العسل بالآس ألصق لأن النحل يرعاه، وهو زهر أبيض الى الحمرة عِطْرِيُّ الرائحة معروف.



تحقيقات عروض

الاحواز . . أرض عربية سليبة. الدكتور ابراهيم خلف العبيدي. بغداد وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٠-٩٥ ص.

١ - يؤلف الكتاب (الكتيب) خلاصة نافعة للأحواز في مختلف نواحيها وظروفها. وقد ذكر المؤلف مصادره الا ان الذى يطل كثيرا من هذه المصادر كتاب: على نعمة الحلو- الاحواز (٦ مجلدات).

ويرد في المصادر «بيزى - جان جاك - الخليج العربى» ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز - بيروت ١٩٥٩ وصحيح اسم المؤلف كما ورد على غلاف الكتاب المترجم: بيريبى.

٢ - ص ٦٧ «وتتجلى طبيعة الاجراءات العنصرية عندما غيرت الحكومة الفارسية اسم عربستان الى خوزستان. وبالاضافة الى ذلك فان رضا شاه العنصرى قام بحذف لفظة عربستان ذات الصيغة الفارسية من القاموس إمعانا في محو أى أثر للوجود العربى في المنطقة».

أ - في الوقت الذى يطالب العرب (العراقيون) باحياء اسم خالص الدلالة على العروبة هو: الأحواز (ينظر كتاب على نعمة الحلو).

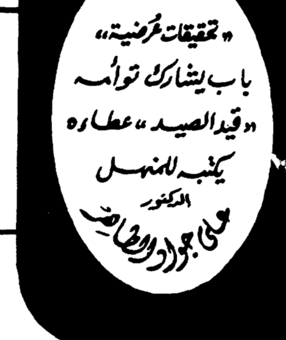
ب - مع ان كلمة «عربستان» ذات التركيب الفارسى تعترف - ضمنا - أن هذه هى بلاد العرب ولكن الخشية ان تؤدى الى فهم قابل للنقاش. . فان العرب يطرحونها في الاستعمال او يدعون الى طرحها.

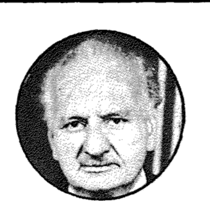
ج - لم حذف رضا شاه كلمة «عربستان» من القاموس؟ حذفها لأنها وإن كانت ذات تركيب فارسى تبقى حقاً للعرب فيها.

اقول هذا لأنى احس أن بعبارة الدكتور العبيدى حاجة الى توضيح يدفع تساؤلا قد يحصل لدى من يقرأ: «. . عربستان ذات الصبغة الفارسية» السؤال: اذا كانت الكلمة ذات صبغة فارسية فلم غيرها أو محاها من القاموس؟ الجواب لأنها مع صبغتها الفارسية في التركيب اللغوى تحتوى على حروف كلمة «عرب» العربية.

٣ - ص ٦٧ وغيرت السلطة الايرانية اسماء المدن العربية فجعلت الخفاجية (سوستكر) الصحيح: سوسنكرد - والخطأ مطبعى ووردت سوسنكر ص١٢.







الدليل الأدبي ـ خلاصات وخصائص عصور وأدباء
تأليف جان الديك وسامي خوري ـ بيروت الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٨١ـ١٨٧ص.

١ ـ الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ص١٤ : «أجزاء الكتاب: يقع فى سبعة أجزاء».

٢ ـ ص ١٥ «فهو ذات عبارة أدبية رشيقة ساحرة» هو ذو عبارة.

٣ ـ ص ١٦ «كتاب البخلاء . . جمع الجاحظ فيه طائفة من أخبار البخلاء والمقتصدين وتكررت المقتصدين ص ١٩ الاولى ان تكون المقترين.

٤ ـ ص ٢٧ـ٢٨ «ابن الرومى . . نشأ مولى لبنى العباس . . جمع بين العرقين الرومى والفارسى . »

٥ ـ ص ٢٩ : «مع أبى نؤاس» مع أبى نواس (من غير همزة).

٦ ـ ص ٤٩ «المتنبى . . ديوانه . . عنى كثيرون بجمعه وشرح غريبه ومعانيه ومن أشهرهم العكبرى واليازجى . . »

أ ـ أثبت الدكتور مصطفى جواد أن الشرح الذى نشر منسوبا الى العكبري ليس من شرح العكبري.
ب ـ اذا ذكرنا اليازجى . . حس أن يذكر شرح البرقوقي.

٧ ـ ص ٦٢ «فخر المتنبى إما كلاسيكى . . وإما وجدانى . . مطلع القصيدة كلاسيكى . . »

لا أحسب استعمال المصطلحات الغربية . . بهذه السهولة . . كما انه ليس من الصحيح الاقتصار على التاريخ الميلادى خصوصاً مع احداث وأعلام قديمة كالجاحظ والمتنبى . . الخ.

٨ ـ ص ٧٢ «الجمعيات . . ونلفت النظر الى ما جنت على العربية من خير . . »

اذا كان لابد من استعمال «جنت» فلتكن العبارة . . ماجنت للعربية من خير او ما جنته العربية بها من خير.

٩ ـ ص ٧٣ «موليار» موليير

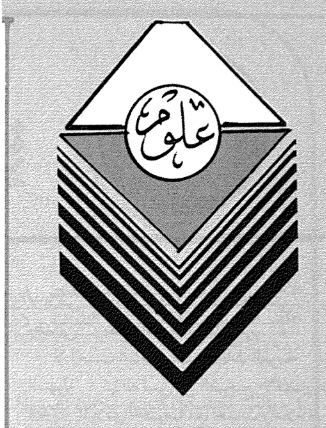
١٠ ـ ص ٧٢ «المكتبة الخديوية فى مصر: اسسها محمد على . . » لم يؤسسها محمد على.

١١ ـ ص ٧٥ : محمد عبدو: محمد عبده ـ وتكرر الخطأ ص ٨٥

١٢ ـ ص ١٤٥ : ايليا أبو ماضى ولد فى لبنان . . وانتقل الى مصر «وهو فى الحادية عشرة . . حيث انصرف هناك الى بيع اللفائف أول نزوله فى الاسكندرية . . يقصد السجاير.

١٣ ـ ص ١٧٥ «مؤلفات جبران: ترك جبران آثاراً عديدة فى الانجليزية اشهرها . . وسنتوقف عند اثنين من هذه المؤلفات: العواصف والنبى» . .

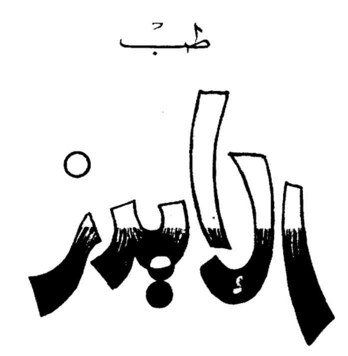
وقد وقفا فعلا عند الكتابين وكان اللازم أن يذكر أن «النبى» مما ألفه جبران بالانكليزية واننا نقرؤه مترجماً الى العربية.

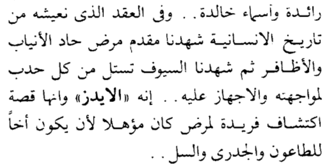


يقولون إنها لعنة قوم لوط التى أنزلها الله سبحانه وتعالى على أهل قرية سدوم عندما ضلوا السبيل واتخذوا من اللواط متعة بديلة لما أحل الله لهم من النساء. ولكن مشيئة الله جاءت هذه المرة فى صورة وباء لم يعرف الطب له بداية ولا نهاية ولم يصل الأطباء معه إلى سبب ولا علاج. لهذا لا عجب إن أطلقوا عليه اسم «وباء الدعارة».



طب





وتاريخ الانسانية حافل بما لا يحصى من الانجازات العظيمة والاكتشافات الباهرة وفى مجال الطب بالذات نماذج رائدة وأسماء خالدة.. وفى العقد الذى نعيشه من تاريخ الانسانية شهدنا مقدم مرض حاد الأنياب والأظافر ثم شهدنا السيوف تستل من كل حدب لمواجهته والاجهاز عليه.. إنه «**الايدز**» وانها قصة اكتشاف فريدة لمرض كان مؤهلا لأن يكون أخاً للطاعون والجدرى والسل..

غادر كثير من العلماء أماكنهم فى قاعة المؤتمر فقد تأخر بهم الوقت ونال منهم التعب ولكن القلة الباقية منهم أصروا على البقاء ليستمعوا إلى المحاضرة الأخيرة التى سيلقيها العالم الفرنسى «لوك مونتاجنير» والتى سيعرض فيها اكتشافه لفيروس جديد يعتقد أنه العامل المسبب لمرض الايدز ـ هذا المرض الذى تسبب حتى ذلك الوقت فى وفاة ما يزيد على الفى شخص والذى يهدد آلافاً غيرهم بالموت. ومع ما كان «مونتا جنير» يتمتع به من مكانه علمية مرموقة إلا أن عرضه لنظريته الجديدة حول هذا الفيروس لم يَرُق للحاضرين بل لقد كان مثار جدل علمى طويل بينه وبينهم ولقد كان أكثر الحاضرين شعوراً بخيبة أمل



العالم الأمريكي «روبرت جالو» خبير الفيروسات الذى طالب المحاضر ببراهين تدعم أقواله وتخرج بها إلى حيز القطع . وأمام هذه المحاضرة العلمية لم يجد «مونتا جنير» أمامه من سبيل إلا أن يوافق على وجوب اجراء المزيد من الابحاث لتأكيد النظرية وتوثيقها. كان ذلك اللقاء فى الخامس عشر من شهر سبتمبر/ ايلول عام ١٩٨٣ . ولقد أعقب هذا المؤتمر ستة أشهر كاملة من البحث الجاد الدؤوب. حتى تمكن «مونتاجنير» من إقامة الدليل على صدق ما أشار إليه فى محاضرته وحتى أثبت بالبرهان القاطع أن ذلك الفيروس الذى وصفه هو بالفعل الفيروس المسبب لمرض الإيدز.

بداية القصة:

بدأت القصة عام ١٩٧٩ عندما لاحظ الأطباء فى الولايات المتحدة الأمريكية زيادة فى عدد حالات الإصابة بين الشباب بسرطان يدعونه «كابوسى» من سرطانات الجلد النادرة التى لا تصيب سوى كبار السن أو من هم تحت العلاج بالعقاقير الكابحة للمناعة حتى فى حال زرع الأعضاء أو علاج الأورام الخبيثة.

لم يكن **«سرطان كابوسى»** هذا المتميز بتلون الجلد وقروح الفم يعتبر فى عرف الطب ذا خطر كبير غير أنه فى هذه الحالات المتواترة كان ضارياً وقاتلاً بالاضافة إلى أن جميع ضحاياه كانوا من الشواذ جنسياً.

ومما هو جدير بالذكر أنه تم التعرف على مرض الايدز فى صيف عام ١٩٨١ عندما أصدر مركز الرقابة على المرض فى أمريكا C.OC تقريراً عن خمس حالات من **«لوس انجلوس» مصابة «بذات الرئة»** لها علاقة بنقص المناعة وأن هذه الحالات تمثل ظاهرة مرضية مختلفة عن ظواهر قبلها وحدثت فى مجموعة شابة من الشواذ.

ما هو مرض الايدز؟؟

حتى الآن وبعد تلك الدراسات على المرض لم يتم وضع تعريف محدد لمرض الايدز، إذ أنه ظاهرة كبيرة تشمل عدة أمراض أو أعراض للأمراض التى سببُها اصابة فيروسية لجهاز المناعة المحددة فى الجسم وحتى يعتمد تشخيصه لابد من وجود إصابه خطرة بالكائنات الانتهازية الطفيلية أو حدوث نوع غريب من السرطان «غ قابوزى» أو الاثنين معاً وهذا النوع



من التعريف بناء على توصية مركز مراقبة المرض بأمريكا.

الا أن فيروس المرض (الايدز) الذى تم التعرف عليه فى المختبرات وأمكن فحصه حتى الآن لم يأخذ اسماً واحدا فهو يسمى فى أمريكا بناء على توصية مكتشفه الدكتور «روبرت جالو» (HTLV-III- Rgallo) وفى فرنسا يسمى (L A V) ومعناها الفيروس المصاحب لتضخم الغدد الليمفاوية وذلك بناء على توصية مكتشفه الدكتور لوك مونتانييه وهو المكتشف الأول للفيروس (مايو ١٩٨٣) وهناك اسم ثالث للمرض أيضا . أما الاسم النهائى فقد ترك تحديده لموافقة اللجنة الدولية لتصنيف الفيروسات.

ولقد أطلق على المرض اسم الايدز (AIDS) وهو الحروف الأولى من اسمه بالانجليزية (Acquiredimmune Deficiency Syndrom) ويعنى «النقص فى مناعة الجسم تجاه المرض»

العامل المسبب للمرض:

تركزت الابحاث فى البداية حول معرفة العامل المُمْرض حتى تمكن الباحثان الأمريكى (*Prof. R.* Gallo) والفرنسى (L. Montagnier) عام ١٩٨٣ من اكتشافه وهو عبارة عن حمة راشحة (Virus) تنتمى للزمرة الفيروسية (Lymphotrop Reterovirus) واطلق عليها اختصاراً اسم (LAV/HTLV-III) ولا يزيد قطرها عن (١٠٠٠و) ملم وتشبه الفيروس المسبب لالتهاب الكبد المصلى (Hepatitis B) ولكنه يختلف عنه بضعفه فهو يتخرب عند تعرضه لحرارة تزيد عن (٦٠مْ). وللمطهرات كالغول الايثلى (٧٠-٨٠٪) كما أنه يشبه فيروس الانفلونزا (الرشح) بتبدله وتغيره السريع مما يزيد فى صعوبة ايجاد لقاح



مريض مصاب بالأيدز وتظهر على جسمه أدران سرطان كابوزى



حقن المخدرات أهم إحدى طرق الإصابة بالأيدز

مضادله ويعتقد بعض الباحثين أن هذه الحمة الراشحه قد انتقلت من «افريقيا الوسطى» الى جزر «هايتى» وهو مقصد الأمريكيين الشاذين جنسياً. حيث حملوها معهم الى مدن الولايات المتحدة ومنها انتقلت إلى أوروبا الغربية وغيرها من البلدان. تبدى هذه الحمة الراشحة ولعاً خاصة بخلايا جهاز المناعة فى جسم الانسان (Immune System) وبخلايا الجهاز العصبى المركزى فتهاجمها وتخربها مما يؤدى إلى ظهور أعراض عصبية شديدة وكذلك إلى انهيار مقاومة البدن فيصبح فرصة سهلة للسرطان والانتانات الفتاكة.

كيف تتم الاصابة والعدوى بهذا المرض:

هذا ولقد تبين أخيراً أنه بالامكان انتقال المرض



عن طريق الاتصال الجنسى العادى مثل اتصال المرأة بزوجها المريض.. أو من الجماعات فى المجموعة الخطرة والتى نتائج فحص دمها ايجابياً. أو بطريق غير شرعى برجل آخر من المجموعات الخطرة.. هذه هى الطريقة التى تصاب بها النساء.. ومن النادر حدوث انتقال عكسى من المرأة للرجل عن طريق الاتصال العادى المشروع الا فى حالات الساقطات.

مدمنو المخدرات: ينتقل اليهم المرض عن طريق استعمال الابر الملوثة والاشتراك فيها وهم يشكلون مالا يقل عن ١٥٪ من الاصابات وتعتبر النساء اكثر اصابه عن هذا الطريق.. هذا وقد بينت الدراسات أن الاسراف فى تناول الكحول يقلل المناعة ويهيىء الجسم للاصابة.

ويلاحظ انتقال الفيروس من الأم إلى طفلها ويُؤكد أن غالبية الرضع المصابين هم من أمهات مصابات بالمرض.. ويلاحظ أن الانتقال يتم عن طريق المشيمة أثناء وجود الجنين داخل الرحم - بعد ذلك لا يوجد ما يثبت أن العلاقات الاجتماعية الأخرى بما فيها السكن والدراسة والصداقه وغيرها لها دور فى نقل المرض.. كما أن الاصابه به لا تتم عن طريق المواد الغذائية ولا تنتقل عن طريق ناقل وسيط كالحشرات أو غيرها. أما بالنسبة للعاملين فى القطاع الصحى فإنه بالرغم من الضجه والخوف والهلع الذى أصابهم إلا أن الدراسات لم تثبت أن تعاملهم مع المرض أو وخز الابر فى أصابعهم أو أى مكان آخر يؤدى إلى إصابتهم بالرغم من أن حالة واحدة قد سجلت لاصابة ممرضه فى انجلترا بالمرض بعد **«شكة ابرة»**.

ومن أهم المجموعات المعرضة للاصابة بمرض الايدز:

(١) المصابون بالشذوذ الجنسى سواء مع نفس الجنس أو مع الجنسين فى آن واحد.

(٢) المتعاطون للمخدرات عن طريق الحقن.

(٣) المصابون بمرض الهيموفيليا بمختلف اشكاله.

(٤) الذين نقل إليهم دم مصابين ولم يكن قد تأكد خلوه من الفيروس.

(٥) زوجات المجموعات الأربع السابقة بعد اصابتهم والنساء اللاتى مارسن معهم الجنس بطرق غير شرعية.

(٦) ممارسة الجنس بين الجنسين بطرق غير شرعية وبالذات من الرجال الى النساء وأحياناً العكس كما حدث أخيراً.

(٧) الأطفال الذين تنجبهم النساء المصابات من المجموعات السابقة.

السير والأعراض:

بعد الاصابه بالحمة الراشحة وخلال فترة تتراوح بين (٦) أسابيع و(٦) أشهر يصبح المصاب حاملاً للمرض - وتغدو التفاعلات المخبرية الخاصة بالايدز عنده ايجابية.

وتبقى الاصابة كامنة فى دور الحضانة فترة من الزمن قد تمتد الى خمس سنوات أو أكثر. وحسب بعض التقديرات فإن (١٠٪ على الأقل من هؤلاء الحاملين للمرض سوف تتفاقم عندهم الاصابه وتتطور إلى مرض الايدز الذى ينتهى بالموت المحتم خلال فترة لا تزيد على ثلاث سنوات.

بعد دور الحضانه تظهر أعراض عامة غير وصفية كالوهن والضعف والحمى والتعرق الليلى ونقص الوزن والاسهالات ثم تحدث تضخمات فى العقد **الليمفاوية** Chronic Lymphadenopathy وتتكامل الصورة السريريه لمرض الايدز بانهيار مقاومة البدن للأمراض. فتستولى عليه الانتانات الانتهازية الفتاكة (Opportunity infections) بجراثيم وحمات راشحه وطفيليات شديدة الأمراض ونادرة الحدوث مثل:

Pneumo Cystis Carinil أو Toxoplasm أو Cytomegaloverin .

وقد تحدث إصابه دماغيه شديده تعرف باسم LAV/HTLV-III- Encephalopathy .

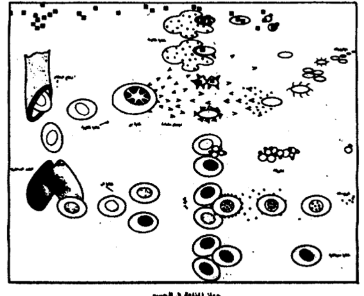
نتيجة لتخرب الجهاز العصبى وفى أكثر من نصف الحالات يصاب المريض بنوع خاص من السرطان الذى يصيب الجلد والعقد الليمفاوية والأحشاء ويدعى (Sarcomakaposi) ويبدو على شكل أدران منتشرة على الجسم وكما أسلفنا فإن الأمر ينتهى بالموت خلال وقت قصير.

مدى الانتشار للمرض:

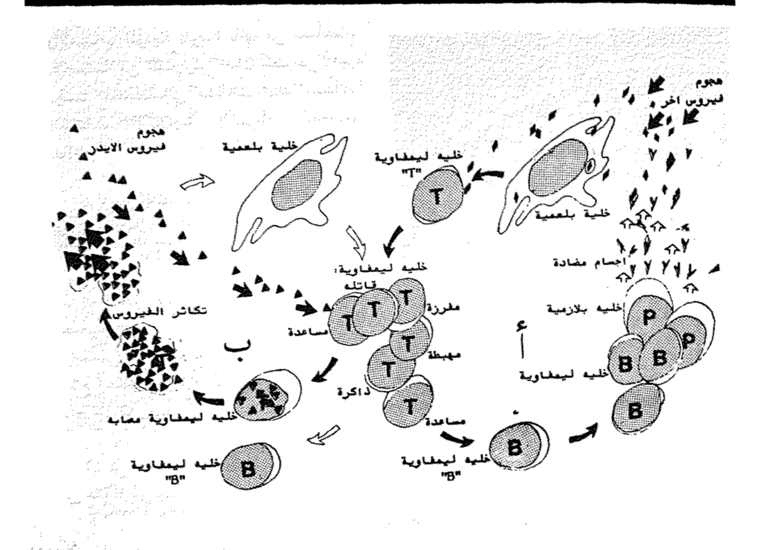
لقد اتصف هذا المرض منذ ظهوره بانتشاره السريع فالإصابات والوفيات تتزايد بشكل خط بيانى صاعد مستقيم وهى تتضاعف كل ستة أشهر حيث يقدر أن ضحاياه سيبلغون حوالى عشرين الفاً فى نهاية هذا العام ١٩٨٦م.

الفترة الكامنة:

يعتقد أن الفترة بين الاصابة وتشخيص مرض الايدز كاملاً ربما تكون طويله إذ أنها تبلغ فى المتوسط فيمن نقل اليه دم مصاب ٢٩ شهراً فى البالغين و١٤ شهراً للرضع. وفى دراسة حديثه تبين أن الفترة الكامنه ٤ سنوات ونصف بالنسبة لنقل الدم المصاب وبالنسبة للشاذين جنسياً كانت أكثر من ٣ سنوات. . وهناك حالة طفل سجلت بعد أن ظهر عليه المرض بعد ٣ سنوات وكذلك حالة أخرى لطفل ظهر عليه المرض بعد خمس سنوات ونصف من التعرض للاصابه.



جهاز المناعة فى الجسم



شكل (أ) يوضح مسار المقاومة الطبيعية عند دخول فيروس للجسم (ب) المسار المغاير الذى يسلكه فيروس الايدز وتحطيمه للمناعة

طريق الوقاية:

لم يتوصل الباحثون حتى اليوم ـ رغم الجهود المكثفة الي ايجاد عقار لمعالجة مرض الايدز ولا يعلق الخبراء آمالاً كبيرة على إيجاد علاج أو إيجاد لقاح فعال ضده فى السنوات القليله القادمه . . وتتركز المعالجه فى الوقت الحاضر فى محاولة تجريب بعض الأدوية المعروفة كا«الانترفيرون» ودواء (Cyclosporine) وكذلك بالعناية بالمريض ومعالجة ما يطرأ عليه من إنتانات وآلام علماً بأن هذه المعالجه تتطلب كوادر طبية مدربه كافية وتستهلك مبالغ طائلة قد تصل إلى ما يقارب خمسين الف دولار للمريض الواحد.

الأيدز إلى أين؟؟.

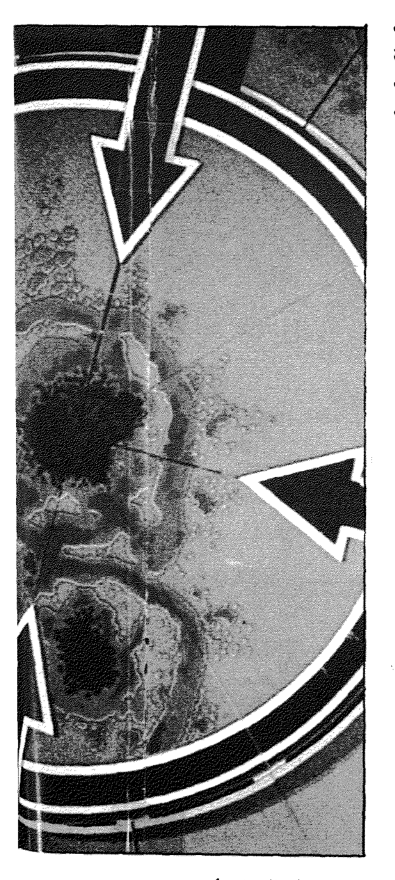
حتى الآن لم يتمكن مصاب واحد بمرض الايدز من الشفاء.

هذا وقد قدر معدل الحياة بعد الاصابة بالمرض الكامل:

فى حالات غرن قابوزى ١٢٥ اسبوعاً
حالات الالتهاب الرئوى ٣٥ أسبوعاً
الانواع الأخرى من العدوى ١٨ أسبوعاً

ويتضح ان أعراض المرض الأخيرة

والأسباب المؤدية للوفاة ناتجة من مضاعفات الاصابة من الفيروس حيث تتعرض أجهزة الجسم المختلفة إلى اصابات مختلفة بمختلف الكائنات الانتهازية والسرطان بمختلف أنواعه.



التطعيم ضد الفيروس:

إن التطعيم ضد الفيروس أمر ضرورى الآن بعد الصعوبة التى يواجهها المجتمع فى العلاج والهدف الاساسى منه هو منع حدوث حالات جديدة لا علاج المصابين. ومادام العلاج كما تبين لم يعط أى نتائج فإن الذى يبقى أمامنا هو «الوقاية».

ان كل فرد يستطيع أن يوفر لنفسه الحماية والبعد عن هذا المرض وذلك باتباع ما يلى:

(١) الابتعاد عن الشذوذ الجنسى والاتصالات الجنسية غير المشروعة.

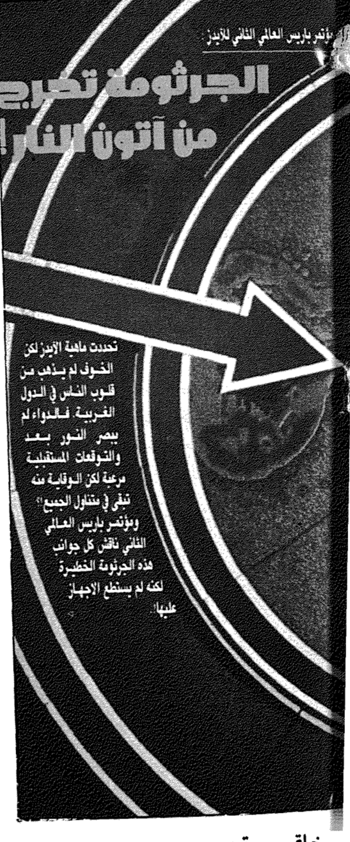
(٢) يجب الابتعاد عن المخدرات بكل أشكالها.

(٣) على السيدات المصابات بالمرض أو الحاملات للفيروس حتى بدون أعراض أن يتوقفن عن الانجاب.

(٤) المرضى الذين يحتاجون الى نقل دم أو مكونات الدم عليهم أن يتأكدوا من سلامة الدم المنقول اليهم.

(٥) على مرضى الهيموفيليا أن يصروا على نقل عوامل التجلط المسخنه أو المعاملة بطرق تقضى على الفيروس.

(٦) على العاملين أن يلتزموا بطرق السلامة التى توجد لها كتيبات عن كيفية التعامل مع المرضى ومع مخلفاتهم فى المختبرات والمستشفيات.



خاتمــــة :

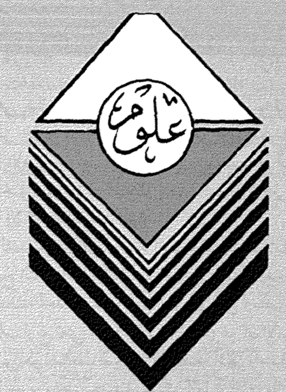
إن المشكلة التى نواجهها الآن ليست صحية فقط بل هى صحية اجتماعية وسياسية والقضاء عليها لن يتحقق إلا بالتغيير فى السلوك الآدمى وفى اسلوب حياة الأفراد وما أصعب المهمة التى نواجهها إذ أن التدخل مهما كانت أشكاله لتغيير السلوك الآدمى ليس إلا كالسباحة ضد التيار.

لقد تعدى الأمر حدود التكهنات والتحليلات ليصبح الناس أمام حقيقة مُرَّة قاسية هى وباء لا ينجو من قبضته أحد ـ اسمه وباء الايدز التى هى اختصار لكلمات أربع تعنى (ظاهرة انهيار المناعة) غير أن الأمر الأقسى هو تضاعف ضحاياه كل بضعة أشهر وامتداد ناره لتحرق مناطق جديدة. ويؤكد العلماء أن فيروس الايدز هو فيروس مراوغ متقلب يغير جلده من حين لآخر مما يصعب معه استحداث تطعيم فعال للوقايه من شروره ـ ومن هنا تبقى الوقاية الوحيدة من وباء الدعارة هى التزام الفضيلة.

وليتأكد لكل نفس تعى الأمور وتضعها فى نصابها السليم الذى حث عليه وحارب من أجل إرساء قواعده ديننا الحنيف أن الطهر والعفاف ضرورة حيوية وصحية كما أنهما ضرورة أخلاقية واجتماعية. . إنه نداء الفطرة التى تنسجم مع شرع الله عز وجل فقد أباح لعباده الطيبات وحرم الخبائث والفواحش والمنكرات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجـــع

(١) الايدز الخطر الداهم ـ د. محمد زهير الحلبى
(٢) ضريبة الشيطان ـ د. حسن فريد أبو غزاله.
(٣) الأيدز مرض العصر ـ د. عبد الله الباكر.
(٥) المجلة الطبية.
(٦) المجلة الشهرية الصادرة عن جامعة هانوفر.
(٧) مجلة Stem
(٨) مجلة Der Spiegel
(٩) مجلة Synoposis of Pathology
(١٠) مجلة Current Medical Diag and Treatment



كثير منا يتعرض للجروح والحروق، سواء أكانت بسيطة ام معقدة وغالباً لا نبالى بهذه الاصابات ولا نعيرها أى اهتمام وعدم اهتمامنا هذا قد ينعكس علينا بحدوث مرض الكزاز ذلك المرض الخطير. فتعالوا نتعرف على هذا المرض الخطير السهل الوقاية.

الكزاز هو مرض انتانى خطير غير معدٍ تسببه جرثومة عصوية تُدعى الكلوستريديا Clostridium Tetani وتعيش معظم هذه الجراثيم فى التربة وفى أمعاء الحيوانات والانسان، ومن خصائص هذه الجرثومة تكوين أبواغ «بذور» لها القدرة على التحوصل تتمتع بمقاومة عالية للحرارة والمواد الكيماوية وتفرز هذه الجراثيم سموماً خارجية ـ عند توفر الظروف الملائمة ـ وتكفى كمية ٠١ر ملغم من هذا السم لقتل الانسان حيث تفرز عصيات الكزاز نوعين من الزيفانات الخارجية وهى :

أ ـ سم الكزاز محلل الدم *Tetanolysin*

ويؤدى هذا السم إلى تحليل كريات الدم الحمراء وتفرزه عصيات الكزاز السمية والانواع غير السمية.

ب ـ سم عصبى *Neurotoxin*.

طب



وهو سم شديد السمية يؤثر فى النسج العصبية وهو الذى يؤدى إلى ظهور الاعراض التشنجية وتقلص العضلات فى مرض الكزاز ويصل هذا الزيفان الى الجهاز العصبى المركزى بعد أن يتم افرازه فى المكان أو الجرح الملوث بالعصيات وقد تكون هذه التقلصات والتشنجات مثارة بعوامل خارجية مثل الضوضاء والحقن العضلية.

إن الكزاز مرض منتشر فى جميع أنحاء العالم ولكن نسبة حدوثه أعلى بكثير فى بلدان العالم النامية وفى المناطق الريفية بشكل خاص وهو يشكل أحد أسباب الوفاة الهامة وخاصة الاصابة الرضيعية «الذين يرضعون». وللمرض طابع مهنى إلى حد ما فهو كثير المشاهدة فى المزارعين وفى الجنود أثناء الحرب. إلى جانب ذلك يلعب المستوى الاجتماعى وما يتبعه من عادات دوراً مهماً فى توزع المرض.

طريق انتقال المرض:

تحدث الاصابة بعد تلوث الجرح الانسانى مه كان نوعه ببذور الجراثيم، ولقد ثبت أن الادوا الجراحية التى تستعمل فى ظل ظروف غير معقمة ق



الكزاز التيتانوس

ؤدى إلى حدوث المرض وتجدر الاشارة الى أن أى جرح مهما كان نوعه حتى شكة «وخزة» الدبوس قادر على أن يكون بؤرة دخول للجرثومة وبالتالى حدوث لمرض.

ويمكن أن نعدد أهم الفرص المهيئة لحدوث لرض وهى:



١ - الجروح الواخزة.

٢ - الحروق الناجمة عن الالعاب النارية والحروق كافة.

٣ - الجراحة غير المعقمة وخاصة عمليات الختان فى الأرياف وعادة ثقب شحمة الاذن لتعليق الاقراط وعادة الكى بالنار لأسباب عدة.

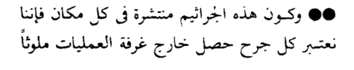
٤ - موت الجنين داخل الرحم خاصة الاجهاض المتتن.

٥ - قطع الحبل السرى عند الوليد.

٦ - عمليات الجراحة على الاسنان «خلع» الاسنان وتسوسها.

٧ - جراحة الامعاء خاصة وأن الجراثيم موجودة فى الامعاء بشكل معايش.

٨ - التهاب الاذن الوسطى.


●● وكون هذه الجراثيم منتشرة فى كل مكان فإننا نعتبر كل جرح حصل خارج غرفة العمليات ملوثاً

بهذا الجرثوم ويحتاج إلى معالجة وقائية منه.

إن الوفيات كثيرة فى أنحاء العالم بسبب حالات الكزاز فقد ذكر أخيراً ٤٠٠ر٠٠٠ حتى ٢مليون وفاة فى السنة وذكر أنه فى بلد افريقى تحدث ١٣٥ وفاة من أصل مئة ألف نسمة.

حدوث الإصابة:

تحدث هذه الاصابة للآتى:

١ ـ حدوث جرح فى الجسم.

٢ ـ وجود الجرثومة فى الجرح.

اذا حدث جرح نتج عن وقوع شخص على تراب موبوء أو أن الشخص أكل خضاراً دون طبخ.

٣ ـ شلل حركة الكريات البيضاء فى الدم بواسطة أجسام غريبة كالتراب نفسه اذا لم يطهر الجرح، أو وجود جراثيم أخرى تلهى الكريات البيضاء عن مهاجمة وهضم جرثومة الكزاز.

٤ ـ وجود انسجة ممزقة وفجوات مشرذمة مما يخلق بيئة مناسبة لتكاثر جرثومة الكزاز التى تعيش فى جو خالٍ من الهواء.

الأعراض السريرية للمرض:

بعد التعرض للاصابات وحدوث الجروح بأشكالها المختلفة حتى الخدش منها وبعد مرور فترة الحضانة «وهى الفترة بين التعرض للجرح وظهور الاعراض السريرية» وغالباً ما تكون أقل من ١٥ يوماً بعد ذلك كله تسوء حالة المريض فيفقد الشهية ويبدو مصفراً ساكنا ثم يتبع ذلك ارتفاع فى درجة الحرارة قد يكون شديداً مع سير المرض أما الجرح فيبدو محتقناً ومظهره متسخاً ثم تظهر الاعراض المميزه للمرض.

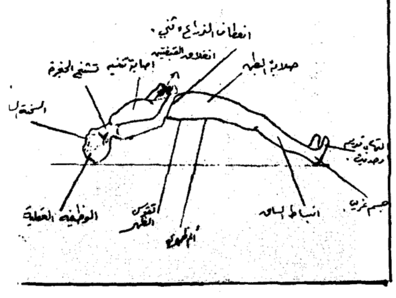
الأعراض المميزة للمرض:

صك الحنك أو الضرز Trismus والذى ينتج عن تشنج العضلات الماضغة بحيث يصعب فتح الفك ومن ثم تبدأ عضلات الجسم الأخرى بالتصلب والتشنج فتتشنج عضلات الوجه معطية مظهراً ضاحكاً ضحكة مصطنعة مكشر الاسنان يطلق عليه مظهر الضحك التهكمى الساردونى Risus Sardonicus شكل رقم (٢).

ثم تتقلص عضلات البلعوم والمرىء مسببة بذلك عسر البلع وتقلص عضلات الحنجرة يحدث الاختناق والوفاة كما أن تقلص عضلات البطن يعطى البطن الخشبى الصلب أما الأطراف العلوية فتتقلص فى وضع الانعطاف «تكون مثنية من الكوع» أما السفلية فتتقلص فى وضع الانبساط «تكون ممدودة».

إن طغيان تقلص بعض العضلات على غيرها يعطى الجسم أوضاعاً مختلفة، فتقلص العضلات المنبسطة «المادَّة» يعطى الجسم وضعية بحيث يرتكز على الكعبين وعظمة مؤخرة الرأس أى تقوس الظهر Opisthotonus شكل رقم (٣). أما تقلص العضلات الباسطة والعاطفة «الثانية» بنفس الدرجة يجعل الجسم قاسياً ممدداً وكأنه لوح من الخشب Ortotonus بينما تقلص العضلات العاطفة فقط يعطى الجسم وضعية شبيهة بوضعية الجنين فى الرحم.

يبين الشكل رقم (٤) الاعراض والعلامات لمرض الكزاز بشكل عام.



شكل رقم (٤) يبين أهم الموجودات السريرية لمريض الكزاز



شكل رقم (٢) يبين المظهر الساردونى وتشنج عضلات الرقبة

الاشكال السريرية للكزاز:

هناك عدة أشكال سريرية وهى:

أ ـ كزاز الوليد:

وهو اكثر الحالات مشاهدة فى البلدان النامية ونسبة الوفيات عالية حتى ٧٠ـ٨٠٪ من الحالات وينتج عادة عن تلوث مكان قطع الحبل السرى ويظهر عادة بعد اسبوع من الولادة. وأهم أعراضه صعوبة الرضاعة ثم رفض الرضاعة نتيجة تشنج عضلات الوجه وصعوبة فتح الفك السفلى ثم البكاء المستمر والقبضتان مغلقتان تماماً.

ب ـ الكزاز الموضعى:

نادر، خفيف التقلصات وسليم العاقبة يشاهد فيه تقلصات عضلية فى منطقة ما وقد يصيب عضلة واحدة أو مجموعة من العضلات.

ج ـ كزاز الرأس:

يشاهد هذا النوع بعد رضوض الرأس وجروح فروة الرأس والعينين والحاجب، وأهم أعراضه عسرة البلع «صعوبة البلع» وشلل العضلات الوجهية والعينية.

مضاعفات المرض:

فى حالات الكزاز الخفيف غالباً لا يوجد مضاعفات وغالباً ما يشفى المصاب دون عقابيل أما فى الحالات الشديدة فيوجد مضاعفات ونذكرها بايجاز:

(١) مضاعفات تنفسية: توقف التنفس والتهاب الرئة وانخماص الرئه وخراجة رئوية وصمامة رئوية.

(٢) مضاعفات قلبية: سرعة فى ضربات القلب وعدم انتظام دقاته.

(٣) مضاعفات عظمية: كسور عظمية.

(٤) مضاعفات استقلابية: ارتفاع درجة الحرارة.

هذه هى أهم مضاعفات وعقابيل المرض وما أشدها خطورة وفتكاً بحياة المصاب حيث لا تمهله كثيراً.

المعالجة والوقاية:

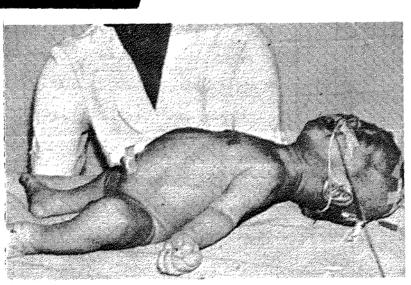
إن المعالجة الوقائية هى المعالجة الفعلية لمنع حدوث هذا المرض الخطر وكلما كانت المعالجة الوقائية مطبقة ومتوفرة فى بلد ندر حدوث هذا المرض وتتكون هذه المعالجة من:

أولا أى هل المجروح أخذ طعماً لهذا المرض ومتى أخذ هذا المطعوم.

ومتى وقعت الاصابة يجب عزل المريض فى الحال وذلك فى حجرة مظلمة هادئة وتبعد عنه مصادر الضوضاء ويقلل ما أمكن فحصه لعدم اقلاقه واثارة نوبات التشنج فيه ويجب رفع الكتفين على وسادات مع رفع الرأس كذلك لمساعدة التنفس. أما الطعام فيجب أن يكون سائلا من لبن وما شبه ذلك ويعطى إذا لزم الامر الغذاء بواسطة انبوبة إلى المعدة أو يمكن اعطاء حقن شرجية من محلول سكر الجلوكوز كما ينصح الطبيب المعالج، كما يعطى المريض المصل المضاد للكزاز والمهدئات والمضادات الحيوية وغير ذلك من امور عملية تخصصية لا تتم إلا فى المستشفى.

وعلى الرغم من كل الاجراءات فقد تتفاقم حالة المريض ويُتَوَفَّى ومن هنا تجدر الاشارة إلى أهمية العلاج الوقائى كوسيلة لمنع حدوث الوباء. وتشمل الوقاية التثقيف الصحى للمجتمع بشكل عام وللامهات والقابلات بشكل خاص عن طبيعة المرض وعن أهمية النظافة بالنسبة للحبل السُّرِّى عند الطفل الوليد. ثم يجب ضرورة التركيز على التطعيم الكامل للأطفال وخاصة الطُعم الثلاثى والذى يقى من الامراض الثلاثة المعروفة الكزاز والسعال الديكى والديفتيريا حسب النظام المتبع فى مراكز الصحة.

وأخيرا فإن الكزاز مرض خطر إذا اصاب انساناً ولكنه سهل الوقاية التى لا تتطلب من الانسان اكثر من أخذ الطعوم بشكل منتظم ومراجعة أقرب مركز صحى فى حالة تعرضه للاصابة بأى جرح مهما كان هذا الجرح بسيطاً ليعيش الانسان فى أمان وسلام.



شكل رقم (٣) تبين الصورة تقوس الظهر. لاحظ انغلاق القبضتين.



هذا هو المظهر الساردونى عند الوليد.

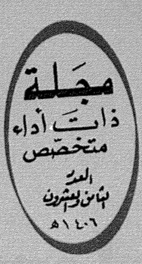
١ ـ تنظيف الجروح وخياطتها بشكل جراحى معقَّم.

٢ ـ اعطاء جرعة من سيروم مضاد التيتانوس لكل مريض مصاب بجرح حدث خارج غرفة العمليات وهذا مطبق فى كل مراكز الاسعاف.

٣ ـ أو اعطاء جرعة من سموم الكزاز المخففة بجرعة ٥ر١ سم مكعب تعاد بعد ٦ أسابيع ثم بعد ٦ أشهر لكل مريض مصاب بجرح. وهذا يؤمن مناعة فعالة عند المريض المصاب. كما تطبق هذه الطريقة لدى الاطفال والجنود لتأمين مناعة فعالة دائمة.

ويعتمد اعطاء سيروم مضاد التيتانوس أو سموم الكزاز المخففة على طبيعة الجرح وهل المجروح مُمَنَّع



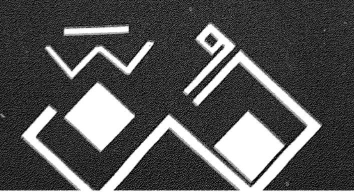


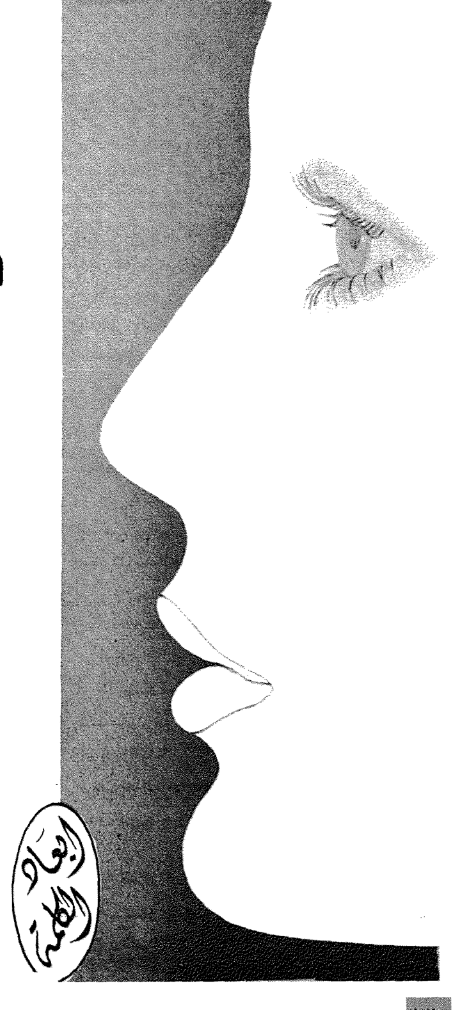


النساء .. شقائق الرجال

الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض
حياة عبد الحميد عنبر — جدة





هوامش

●● ما بين الليلة والليلة انبثقت لحظة .. اللحظة يا سيدى صارت بسمة .. صارت دمعة .. كلمة بين فاصلتين .. بين عامين .. بين عمرين كتبت: «**كل عام وأنت يا أعز الناس بخير**» ..

هى ذى سنة أخرى تجيء .. تمنحنا لحظة جديدة وتسلبنا أخرى .. وأنا هاهنا أرنو للنور الطالع من مسامات وجه غير محدود المعالم يعلوه غبار قرن زمنى يمارس كل فنون السادية على جثتى المحنطة منذ ثلاثة وعشرين عاماً .. الموزعة فى كل المحطات .. الطرقات .. الزوايا .. الصحف .. وما بين انتظار وانتظ تستهلكنى الوظيفة .. تثنينى الاوراق ويعييني البحث فى سطوح

إلى وجه قد يجيء . .

مريم جبر
الأردن

تكتب القصة القصيرة.. ونشرت لها العديد من المجلات والصحف
وجهان في العتمة مجموعة قصصية تحت الطبع
نشرت كثيراً من المقالات في مجلات متعددة

المرايا ووجوه المارة عن وجه له لون تراب هذه الارض وعبقها وروعة عطائها . . وجه يكون الملاذ والمأوى وآخر المحطات الموشومة بالصدق والوفاء والرواء . . وجه يكون أنت . . يالذى فى بداية عام جديد تصير بشرى لها شكل ابتسامة عيد ودمعة مرح تترقرق فى عينى طفل ذات ليلة على حلم بأمنية يضعها «بابا نويل» على وسادته . .

●● على امتداد مساحات الوطن رسمت وجهاً . . قرأت فاتحة الحوار وأعلنت ابتداء مرحلة لا يكون لها امتداد الأيام الملتفة على عنق المدينة كأجساد الأفاعى . . الرتيبة الفايضة على جمر القلق المطروح للتداول السريع . .

أعلنت مرسوماً بالعفو العام عن كل «المهووسين» الذين مارسوا من صنوف السادية ما أدمى جسدى ورمانى فى جب الحزن أتخبط باحثة عن زمن يورق فرحاً ويمطر ضحكات .

■ على امتداد مساحات الوطن فرشت ابتساماتى وأعلنت التفاؤل حتى فى مآتم الغرباء وقلت للذين رسموا لعينى شكل المقصلة : الآن يولد فى جنبات الكون طفل موشوم بالبراءة جبينه . . واليوم أيها السادة المهزومون أعلن للملأ انتصارى .

●● على ضفاف حلم ليلى رائق رسمت وجهاً وقلت يا نفسى قد . . قد يجىء . .

الذاتية والموضوعية فى قصص



(هنرى جيمس) كاتب أمريكى من أصل انجليزى ولد عام ١٨٤٣م فى مدينة نيويورك وتوفى فى مطلع عام ١٩١٦م.

تعرف على الحضارة الأوربية من خلال زياراته لفرنسا وانجلترا بصحبة والده وبقية أفراد أسرته. اجتذبته معالم تلك الحضارة حتى إنه اتخذ قرارا بالاستقرار فى أوروبا عام ١٨٧٥م. ومنح الجنسية الانجليزية قبل عام واحد من وفاته.

* تعالج هذه المقالة الصراع بين الذاتية والموضوعية فى قصص (هنرى جيمس) متبعة فى معالجتها له المنهج الوصفى.

والمنهج الوصفى (فى أحدث صوره) يعامل النص الأدبى كظاهرة كونية ترفض التحليل والتفسير لأنه يمزق وحدتها وتكاملها ويسيىء الى جمالها ـ قاصرا بذلك دور الناقد الأدبى على معايشة النص كوحدة متكاملة وعلى استعراض أجزائه التى تكون درجة تأثيرها عليه أكبر من غيرها . . وتبرز هذه الأجزاء للقارىء عند استعراضها الفكرة الأساسية فى العمل الأدبى . . وتنقل احساس الأديب الى قارئه بسلاسة وعفوية دون أدنى تعد من الناقد على النص بأى تعليقات خارجية قد تكون دخيلة على طبيعة النص الأصلية كما وصفها الأديب فى البداية وقبل أن يتطوع لناقد بالقيام بدور الوسيط.

د. ابتسام صادق
جامعة الملك سعود

جيمس ...

فى مقدمة لمسرحية شكسبير (**العاصفة**) يعبر (هنرى جيمس) عن اعجابه واقتناعه بالدور الذى يلعبه (شكسبير) فى علاقته بنص المسرحية.. (فشكسبير) فى نظره يبدو فى خاتمة مسرحياته كأنه: يعزف الحانا خاصة لأذنيه ولحواسه الداخلية بعد أن تحرر من مخاوفه السابقة وكف عن محاولاته فى التنحى بشخصه عن عمله الأدبى الأمر الذى رفعه فى نظر (جيمس) الى مستوى أدبى مرموق لأن الكاتب الناجح هو الكاتب الذى لايمكن عزله بأى حال عن انتاجه الأدبى.

وفلسفة (جيمس) الذاتية فىعملية الخلق الأدبى تبدأ فى الواقع بتصور مشابه لردود الفعل لدى الفرد ازاء تجارب الحياة.. فالحالة المثالية لرد أى فعل هى حالة يكون فيها احساس الفرد بذاتيته وبالعالم المحيط به احساسا قويا واعياً يقظا لا يشوبه شعور بالسلبية ولا ينتابه احساس بنكران الذات ثم تمتد هذه الفلسفة لتشمل مبادئه الأدبية فعملية الخلق الأدبى تتم فى نظر (جيمس) تحت ظروف ذهنية نشطة يكون احساس الأديب خلالها بذاته وبأحاسيسه الداخلية قويا يعادل قوة احساسه بالعالم الذى ينوى الكتابة عنه ويترتب على هذه الفلسفة ضرورة حضور الكاتب فى عمله الأدبى وكجزء لا يتجزأ منه.

الا أن هذا المبدأ خلق مشكلة كبيرة (لجيمس) لأن وجود الكاتب فى عمله امر قد يعرضه للتحليل الشخصى ويقلل بالتالى من القيمة الفنية لنتاجه الأدبى وبهذا تتعارض ذاتية الكاتب الشخصية مع ذاتيته الفنية فى كتابات (جيمس) مما دفعه الى محاولة تبنى موقف يجمع بين الذاتية والموضوعية ارضاء لكلا النزعتين الشخصية والفنية.. واختار (جيمس) ان

يتم التوازن عن طريق التركيز فى المعنى على النزعة الـذاتيـة وفى الصيـاغـة على الناحية الموضوعية أى بمعنى آخر اختار أن يصيغ اهتماماته الشخصية فى قالب موضوعى يحميه من المحاولات النقدية الضيقة التى تتنـاول حيـاة الأديب وشخصيتـه بالتحليـل وتتناسى القيمة الفنية الحقيقية لنتاجه الأدبى. ومن أفضـل الأمثلة على موقف (جيمس) المركب قصته القصيرة (مـذبح الموتى) فهى تعكس صراعه نحو تحقيـق هدف الجمـع بين النقيضـين الـذاتيـة والموضـوعيـة. . كما تعتـبر روايتـه المتأخـرة «السن الحرجة» مثلا جيدا يجسد استقرار الصراع والوصول الى الهدف المنشود.

ويظهر اهتـمام (جيمس) بردود الفعـل اليقظة ازاء تجارب الحيـاة فى علاقة بطل قصته **«مذبح الموتى»** بماضيه فماضى (سترانسم) امر لم يطوه النسيان بل هو جزء لا يتجـزأ من تجربته الحاليه ـ اذ يعيش ماضى البطل معه جميع لحظات حاضره لا تغيب آلامه ولا يختفى حرمانه عن ذهنه لحظة ـ ولا تعنى قوة احساس (سـترانسم) بالمـاضى انـه ينسى فى غمار صحـوتـه احتيـاجـات حاضره المعذب المحروم. . فالرغبة فى الحيـــاة. . فى الحب. . فى التفـاعـل مع النـاس والاتصـال بهم. . تستمـر فى الحـاضر كما كانت فى الماضى ملحة بقسوة واصرار.

*

ويحـاول (سـترانسم) ان يخلق لنفسـه احساسا بالاشباع والاستقرار. . ويقرر ان يضـع شمعـة لكـل من توفى من أصدقاء الماضى على مذبح كنيسة مجاورة لمنزله كتعبير عن ولائه لماض لا تزال ذكراه حية فى مخيلته. . ويضع (سـترانسم) فى ذهنه تصورا خاصا لترتيب الشموع على المـذبـح بناء على معرفة سطحية مستمدة من واقع زياراته لاحدى الكنائس فى الماضى ولكن حين يزور الكنيســة لينفـذ المشـروع يفاجأ بالجمال الفنى والتصميم البـديع فى مذبحها. . ويدرك ان المعرفة السطحية الماضية بمثل هذه الأمور رغم صقلها تحت تأثير خياله النشط لا تكفى بل يجب ان تتم عملية مصالحة بين الماضى والحاضر وبين الخيال والواقع. ودون ان يفقد (سترانسم) ثقته فى تصوره الأول يقوم بعملية المصالحة اللازمة ويخرج عمله الفنى فى صورة جماليـة رائعـة بعـد ان نضج التصور القديم نتيجة لاحتكـاك الخيـال بالـواقع وتفاعل الماضى بالحاضر تحت ظروف ذهنيـة نشطـة. فاستجـابة (سترانسم) للحـاضـر اذن ليست بتجـربة سلبية ولا تدخل فى الوقت ذاته أى نوع من السلبية فى علاقته بماضيه ـ بل أن تداخل الماضى مع الحاضر: الخيال مع الواقع هو قمة التفاعل الايجابى فى القصة.

ويمتد تصور (جيمس) للوضع المثالى فى علاقة الفرد بتجارب الحياة ليحتوى فلسفته الأدبية ـ فان كانت علاقـة (سترانسم) بالماضى والحاضر تتسم بحضور الـذهن فى كلا العـالمين وبـالاحسـاس باحتياجاته العاطفية التى لم يشبعها وجوده فى أى منهما فان تأثير

هذا المبدأ ينعكس فى علاقة (جيمس) بقصته هذه كأديب اذ تتجلى ذاتية (جيمس) فى اختياره لموضوع القصة التى تحكى التجربة الفنية للفنان (سترانسم) بالتفصيل وتصور جميع خلجاته واضطراباته خلال عملية الخلق الفنى. فاحساس (جيمس) بدوره كفنان قوى الى حد بعيد حدد اختياره للموضوع - كما ان اختياره لهذا الموضوع اعطاه فرصة للتعبير عن ذاته كفنان مهتم بعملية الأبداع الأدبى.



الا أن تخوف (جيمس) من الانهماك فى التعبير عن ذاته وتحسبه لما قد يترتب عليه من تركيز اهتمام القارىء على حياته الخاصة وما يسفر عنه من تجاهل للجوانب الفنية الابداعية لعمله دفعه الى اللجوء للموضوعية فى معالجة الفكرة ويأخذ اتجاهه الموضوعى صورتين:

الاولى فى استعماله الراوى الملم بكل الأمور بدلا من رواية الأحداث بلسان حال «سترانسم مباشرة» اذ تُحِدّ هذه الصياغة وتقلل من احتمال الربط بين شخصية البطل وشخصية الكاتب وتباعد المسافة بين حياة الكاتب الشخصية واحداث قصته.

والأخرى: لاتجاه (جيمس) الموضوعى هو تحفظه إزاء تسمية (سترانسم) فنانا بل يحاول ان يمثله كانسان عادى جرد من القدرة وليس من الرغبة فى التفاعل الايجابى مع الناس.

ويستبدل (سترانسم) خمود حياته الاجتماعية بنشاط عالم مخيلته اذ يحيى فى خياله جميع موتاه ويتحدث معهم ويعبر لهم عن ولائه باضاءة شموعهم على مذبح كنيسة الحى.. وتستحوذ عملية ترتيب الشموع على المذبح والابداع فى تنسيقها بكل اهتمام وطاقة (سترانسم) دون أدنى ذكر فى النص مباشرة. ان (سترانسم) فنان مبدع الأمر الذى اضفى قدرا كبيراً من الفعالية على محاولتى التورية اللتين قام بهما (جيمس) الا أن غرابة النزوة وتوتر عواطف البطل.. وظهور اللغة الثرية بالأيحاء.. تجعل القارى يستشف وجود معنى مجازياً وراء تجربة (سترانسم) ويقلل من فعالية محاولتى التورية اللتين قام بهما (جيمس).

وهناك فى الواقع نقاط ضعف فى تقنية القـصـة تكشف عن عدم قدرة (جيمس) البقاء متنحيا عن موضوع له ابعـاد شخصية وخاصة منها مشكلة اختلاط صوت الراوى بصوت البطل اذ تبدأ الشخصيتان فى التفكير بنفس العقلية وتسخدمان نفس الصور التشبيهية لوصف أشياء مختلفة مما يوحى للقارىء أن الراوى متورط فى أدق خلجات البطل العاطفية . . وتنكمش بذلك المسافة الفنية بين الراوى والبطل: فالراوى الملم بكل شيىء يقف عادة فى موقع يعلو على الأحداث ويملك القدرة على الدخول الى جميع الأماكن بما فيها صدور ونفوس الشخصيات ـ ولكن أن يكشف عما يدور فى صدره ويفضح خلجات نفسه دليل على عدم تمكنه من المحافظة على موقعه لمتميز . . الامر الذى يكشف عن عدم قدرة (جيمس) على السيطرة على القصة وبالتالى عن عجزه عن المحافظة على المسافات الفنية داخلها وبما أن الهدف من خلق هذه المسافات اصلا هو رغبة (جيمس) فى التنحى عن موضوعه فان انهيار المسافات يفضح عدم قدرته على تبنى موقفاً موضوعياً من احداث القصة.

وهناك دليل آخر فى القصة على فشل محاولات (جيمس) فى التنحى ألا وهو ظهور ما يعانيه من صراع بين الذاتية والموضوعية فى تجربة بطله (سترانسم) أى بمعنى آخر ان معاناة (جيمس) بين النقيضين تتكشف لقارئه من خلال معاناة مماثلة يمر بها بطل القصة. ويظهر صراع (سترانسم) عندما تطلب منه احدى صديقاته أن يغفر لصديقه (هيج) اساءة ارتكبها ذلك الصديق فى حق (سترانسم). . وان يعبر عن صفحه بوضع شمعة له على مذبح الموتى: الا ان يقظة ذكريات الماضى فى لحظات حاضر (سترانسم) تحول دون نسيانه اساءة (هيج). . كما أن احساس (سترانسم) القوى باهمية ذاته يحتم عليه ان لا يغفر اساءة انسان رحل عن الحياة دون أن يطلب الصفح والسماح وعليه فان غربة الحياة بينهما لابد ان تمتد الى ما بعد الموت وانه لا شمعة لمغترب.

ويسبب هذا القرار (لسترانسم) صراعا نفسيا رهيباً اذ يتضح انه على اتصال روحى بـ(هيج) وان (هيج) هو مصدر الهامه الاول وان رفضه التضحية وتمنعه عن قبول نكران الذات فى سبيل (هيج) جعله يعانى من ألم وندم شديدين الا ان منح (هيج) الشمعة . . يعنى



ه قبل تدخل المرأة بصورة شخصية فى عمله فى حين أنه يطمح فى الاستحواذ على مشاركتها الكلية فى عمله الفنى بأكمله وليس فى جزء منه. . ويأتى الاصرار فى النهاية بالنتيجة المرجوة منه اذ تقبل المرأة بحكم (سترانسم) وتقضى على تحيزها الشخصى لصالح (هيج) ويكون (سترانسم) قد حقق بذلك الحماية لعمله الفنى.

ولا تقل دراسة عملية استقرار الصراع القائم داخل البطل اهمية عن قراره اذ تحتم سخرية الأقدار ان ؤدى اصراره على تأكيد ذاته الى القضاء على حياته. . فالتعبير عن أهمية ذاته يحتم ان يضع (سترانسم) شمعته على المذبح بدلا من شمعة (هيج) - فى حين ان عملية الاكتمال الفنى تحتم أن لا توضع على المذبح شمعة لشخص لا يزال على قيد الحياة. . ويختار (سترانسم) الموت فى سبيل تحقيق ذاته الفنية رغم أن فى الموت قضاء على حياته وتوقف لاستمرار وجود ذاته اصلا فى هذا الكون - إلا أن (جيمس) لا يملك القدرة بعد خلال هذه المرحلة من حياته الأدبية على التوصل الى طريقة للحفاظ على الذاتية الفردية والذاتية الفنية فى آن واحد. . أى بمعنى آخر إنه فشل فى تبنى موقف موضوعى يمكنه صياغة ذاتيته الفردية فى اطار فنى متزن لا يؤثر عليها سلبا أو ايجابا بل يرتفع بها الى مستوى الذاتية الفنية.

ويخطو (جيمس) خطوة اكثر ثباتاً نحو تحقيق هذا الهدف فى روايته المتأخرة (السن الحرجة) فان كان الراوى الملم بكل شيىء قد فشل من قبل فى التنحى عن حياة بطل قصته (مذبح الموتى) فان (جيمس) يقصيه الآن عن مسرح الأحداث ويتجه الى كتابة رواية (السن الحرجة) باسلوب مسرحى يعتمد على المحادثة الدائرة بين شخصيات الرواية أكثر من اعتماده على الراوى - وما تعليقات الراوى القليلة بين السطور الا توجيهات كتوجيهات الكاتب المسرحى تحرك الشخصيات على مسرح الأحداث وتساعد القارىء على تصور تحركاتهم وتخيل التعبيرات المرتسمة على وجوههم فقط لاغير.

ويحقق توصل (جيمس) الى هذه التقنية الموضوعية عوائد فنية متعددة - فتنحى الراوى عن الحياة الداخلية للشخصيات يبقى دوافعهم ومشاعرهم الشخصية وكذلك ردود افعالهم سرا مغلقا على القارىء ويجبره على التحليق فوق النص بحثاً عن المعنى - وحين يقوم القارىء بالمبادرة لا يجد أمامه سوى الحروف والكلمات فالنص اللغوى يصبح فى هذه الرواية قوة مطلقة تجبر القارىء على الالتحام بها وتكون الرواية بذلك قد اغلقت ابوابها فى وجه التفسير والتحليل ولم تغلقها فى وجه المشاركة الشاملة ويكون (جيمس) أيضا قد قضى على الجانب السلبى فى قصصه الذى يخشى أن يجد النقاد منه منفذا الى حياته الشخصية قد يمس بسمعته الفنية.

ومن ضمن العوائد الفنية الأخرى التى يحققها نجاح (جيمس) فى تبنى التقنية الموضوعية فى هذه الرواية ارتقاؤه بذاته الشخصية الى مستوى الذات الفنية. . فعملية التحام القارىء بالنص اللغوى الذى اصب

القوة السائدة فى الرواية مكنت (جيمس) من التعبير عن ذاته بطريقة فيها كثير من المواربة والتغطية . . فالنص اللغوى يحمل احساس الكاتب بدوره كفنان دون أن يربط هذا الاحساس بشخصية معينة فى الرواية. ومن العبارات التى تحمل احساس الكاتب المكثف بذاته الفنية عبارة مثل **«تفسير الأشياء يفسدها»** ويقال **(إننا ندفع تأكيد ذاتنا ثمناً لنجاحنا» وعدونا خير من يساندنا اذ يحول وجوده دون تردينا فى متاهات السطحية»**، كلها عبارات تعكس اهتمامات (جيمس) بذاته، وعن طريق التحام القارىء بها ينجح (جيمس) فى تأكيد ذاته الفنية تأكيدا موضوعياً يأخذ خلاله القارىء الى اغوار شخصيات الرواية ولا يفسد على نفسه الوضع المثالى الذى يتوق اليه.

وإضافة الى اعتماده آنف الذكر على النص اللغوى يقوم (جيمس) فى سبيل تأكيد ذاته الفنية مع ابقائها تحت لمسات موضوعية بتبنى طريقة أخرى فى الرواية تعتمد على تجريده شخص الفنان من المميزات الفنية المعهودة التى تمتع بها (سترانسم) فى السابق ومنح هذه المميزات لشخصية اخرى فى الرواية تختلف فى مكوناتها النفسية الأساسية عن شخصية الفنان الأول كما عرفه القارىء فى **«مذبح الموتى» فـ(لونجدن) و(ناندا)** يمثلان اكبر محاولة قام بها (جيمس) فى (السن الحرجة) للموازنة بين الذاتية والموضوعية.

✱ تكشف الدلالات النصية أن (لونجدن) هو الفنان الأول عاد للظهور فى (السن الحرجة). . فأوجه الشبه بين الاثنين كبيرة كعلاقتهما بالماضى على سبيل المثال: اذ يعيش ماضى (لونجدن) بكل حرمانه جميع لحظات حاضره كما عاش ماضى (سترانسم) معه فى السابق. . ومثل (سترانسم) يبدى (لونجدن) استياءه من الأوضاع الاجتماعية المحيطة به ويعانى مثله من مشكلة الاغتراب الاجتماعى. . كما يملك الاثنان نفس القدرة على احياء موتى الماضى فى عالم الخيال الحاضر. وكما كان دور (سترانسم) شبيها بدور القسيس فى الكنيسة فان (لونجدن) دعى قسيسا اكثر من مرة فى الرواية ـ فان كان (سترانسم) صورة (جيمس) للفنان فى (مذبح الموتى) فان (لونجدن) بلا شك فنان (السن الحرجة).

الا ان رغبة (جيمس) فى التنحى خلقت فرقا جذريا بين الشخصتين: فـ(سترانسم) فنان مبدع خلاق فى حين أن (لونجدن) فنان مشغول بملاحظة الحياة دون ما خلق او ابداع. . فبينما يلاحظ (سترانسم) فى حالة خيالية نشطة او فى حالة انشغال بتنسيق الشموع على مذبح موتاه ـ يلاحظ ان مخيلة (لونجدن) مشلولة وسط انهماكه بمراقبة احداث المجتمع وشخصياته. . وبينما يسفر تجوال (سترانسم) فى شوارع المدينة عن تكثيف احساسه بالفشل الأجتماعى ويؤدى بالتالى الى زيادة انتاجه الفنى ـ تؤدى زيارات (لونجدن) الاجتماعية الى نقد شفهى. ورغم ان (لونجدن) يملك القدرة على احياء موتى ماضيه فى عالم خياله ـ

الا ان (جيمس) يقدم له الماضى دون عناء على طبق من فضة. فالفتاة التى تدعى (ناندا) صورة مطابقة لجدتها التى أحبها (لونجدن) وتوفيت قبل ان تسد احتياجاته العاطفية. . . (فلونجدن) صورة للفنان الأول مجردا من طاقاته الفنية ومن قدرته على الخلق والابداع.

وعندما يقرر (جيمس) توجيه طاقات وقدرات الفنان الى شخص آخر فى الرواية يقوم بعملية موازنة بين الجانب الايجابى والجانب السلبى فى الشخصية التى وقع اختياره عليها وهكذا يضفى (جيمس) على شخصية (ناندا) قدراً من السلبية يجردها من رغبة الفنان الأول فى تأكيد ذاته ويبقى بذلك جانبها الايجابى بناء غير مدمر كما كان مدمراً فى حالة (سترانسم) اذ نجد ان تلقى (ناندا) للمعرفة تجربة لا تصحبها رغبة متوترة ولا يشوبها فضول متطفل ولا تعنى قوة استجابة (ناندا) للمؤثرات الخارجية تعامل ما تتلقاه بسلبية (فناندا) تملك القدرة على التفكير اليقظ والاستنتاج الذكى وحياتها الفكرية نشطة كنشاط حياة (سترانسم) الامر الذى يجعل منها سترانسم) آخر اكثر ايجابية واقل توترا.

يتضح تميز (ناندا) بالايجابية فى قدرتها على التحرك الاجتماعى والمبادرة العاطفية فبينما يجوب **(سترانسم)** شوارع المدينة ويظل يعانى من الاغتراب الاجتماعى تعيش **(ناندا)** فى حجرتها المنعزلة فى بيت أهلها وتراقب من نافذتها زوار بيتهم دون أن تقاسى من الشعور بالوحدة ـ بل انها تشعر بنوع من الالفة والتعايش الاجتماعى . . فالعزلة الاجتماعية ضرورية لكل فنان مبدع **(وناندا)** كـ**(سترانسم)** لم تحرم هذه النعمة. . وبما أن التفاعل الاجتماعى قد أصبح مؤخرا فى ادب (جيمس) ضرورة لتخفيف وطأة الوحدة والتقليل من حدة الشعور بأهمية الذات الفردية فان (جيمس) منح **(ناندا)** مالم يمنح **(سترانسم)**.

وتتجلى طاقات (ناندا) الايجابية كالقدرة على التحليل والاستنتاج والمبادرة فى علاقتها مع (فان) فرغم افتتانها بوسامة محياه تظل (ناندا) قادرة على فهم نفسها وتحليل عواطفها تجاهه. . كما انها بخلاف (سترانسم) قادرة على المبادرة العاطفية اذ تواجه (فان) بما تكنه له من عواطف متحدية بذلك جميع القيم الاجتماعية التى تحكم محيطها فى حين يقف (سترانسم) مكتوف اليدين عاجزاً عن التفاعل الاجتماعى مكتفيا بالاستغراق فى عالم الأحلام ودنيا الخيال كوسيلة للاشباع العاطفى.

وتختلف (ناندا) عن (سترانسم) فى كونهالم تقم بعد بأى عملية خلق فنى الا أن خيبة املها فى **(فان)** ستجعلها تقاسى من الحرمان وستحولها فى النهاية الى فنانة حقيقية وخصوصا انها تملك المقدرة على تحويل كل ما تقع عليه يداها الى شىء جميل. . (فناندا) هى الفنان فى صورته المثالية بعد ان تحقق لـ(جيمس) هدف الجمع بين الذاتية والموضوعية فى رواية (السن الحرجة).

تدعو (جنة الأطفال) اصدقاءها الذين يرسلون لها أفكاراًوطرائف ان يقرنوا ما يرسلونه بالصور الملونة

جنة الأطفال

اشراف بابا فريد

كلمة أولى

.. ولا عزاء فى رأينا الخاطىء

أن تمنح اذنيك للنصيحة فهذا ممكن شريطة ان تكون مقطرة من الخبرة الانسانية وخارجة من القلب.

عندئذ تصبح النصيحة رأيا جماعياً فيما تفعل وليس فقط رأى الناصح.

أقول هذا لأننى كنت أرى ان طفلنا العربى يحتاج الى الكثير من التبسيط والى الكثير الكثير من التدليل العقلى حتى ارسلت الىّ ام فاضلة تقول: «ان طفلنا اذكى من كل توقعاتى وهو يفاجئنى دائماً بتفهم شديد لأشياء كنت احاول تبسيطها له».

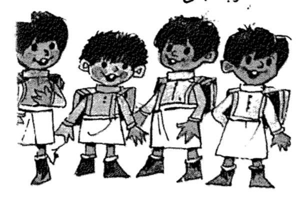
شكرا لهذا التنبيه ولا عزاء فى رأينا الخاطىء.

(بابا فريد)

ابو حنيفة التاجر

الفقيه الاسلامى الكبير أبو حنيفة النعمان كان تاجرا من أكبر تجار الكوفة وكان فى تجارته يقدم المثل الأعلى للتاجر الصادق الأمين المخلص القانع فكان الله يزيده من فضله.. وكان يحب دائما أن يحسن الى الفقراء دون أن يجرح مشاعرهم.

ذات يوم جاءت امرأة عجوز إلى دكانه تطلب ثوبا وسألته عن ثمنه ورأى الامام أبو حنيفة أن المرأة متواضعة الحال فعرض عليها أن تأخذ الثوب بلا ثمن فأصرت على دفع ثمنه وسألت بكم هذا الثوب؟ فقال: بأربعة دراهم قالت: لا تسخر منى فأنا عجوز لا حيلة لى إن ثمن الثوب أكثر من هذا بكثير فقال لها أبو حنيفة.. بل إن ثمنه أربعة فقط، فقد اشتريت بالأمس ثوبين من نفس النوع فبعت أحدهما بالثمن كله إلا أربعة دراهم وهذه الدراهم الباقية هى ما أطلبه منك ثمنا للثوب الباقى.





فيصل جمل الليل (السعودية) — ريم جمل الليل (السعودية) — عبد العزيز الجحدلي (اليمن) — أحمد السماني (السودان) — اياد ابراهيم حسنيمانى (السعودية) — امل صلاح سيد (مصر)



رأى الناس جحا يوما وهو يغني ويجري . . فسألوه: لماذا تغني وأنت تجري؟

فقال : أحب أن أسمع صوتي من بعيد.



مختارات

● أطول أنهار العالم: نهر النيل وطوله ٤١٥٧ ميلا . . يليه نهر الأمازون فنهر المسيسبي.

● أكبر المحيطات في العالم: المحيط الهادي ومساحته ٦٤ مليون ميلا وأكبر عمق فيه يبلغ ٣٦٢٠١ قدما.

● أصغر إمارة عربية: من ناحية المساحة امارة عجمان ومساحتها ٢٥٠كم مربع وعدد سكانها ٤٢٠٠ نسمة.

● أقدم لغة مكتوبة بالأحرف في العالم: هي اللغة الصينية أما اللغة الفرعونية فكانت تكتب بالرموز الهيروغليفية.

● اكبر أشجار العالم: أشجار (الأوكاليبتوس) وهي موجودة في استراليا ويصل ارتفاعها الى ١٧٠ مترا بما يساوي عمارة مكونة من ٤٠ دورا.

● أقدم النقود المتداولة الآن: هو الجنيه الأسترليني المصنوع من الذهب حيث مر على إنشائه أكثر من ألف عام. وهو عملة أساسية في العالم ويبلغ قطره ٢سم.

من الصديق: «محمود صالح»

رأى الأسرة

«هل تحبين حمادة اكثر مني ياماما»؟

سؤال تفاجئني به سماح من حين لآخر . .

وأنا افتش بيني وبين نفسي دائماً عن سبب فلا أجد فأنا احاول ان اعدل بين طفليّ في عواطفي وعدم التفضيل بينهما بقدر ما استطيع وأعرف ولكن السؤال دائماً ما يأتي . .

وتبدأ التدخلات المفاجئة اذا تحدث حماده أو تحدثتُ معه . . فتقتحم الحديث اقتحاما بل يصل الأمر الى ان تضع يدها الصغيرة على فم حمادة وتبدأ هي في حكاية ما . . يقولون إنها الغيرة ولكن ما العمل؟

« ام سماح »

جنة الأطفال

قصة قصيرة للأطفال فداء

كان مازن شابا فى مقتبل العمر اكمل قبل ايام سنّه الثانية والعشرين.. متوسط الطول.. مفتول العضل.. اسمر اللون.. ذكيا بالغ الذكاء. اكمل دراسته الابتدائية فى قريته الصغيرة والتحق بالثانوية فى مدينة مجاورة كانت حياته الجامعية مضطربة اذ انه لم يداوم الا سنتين حيث تعطلت الجامعة على اثر الاحتلال الاسرائيلى لبلدته.

رجع الى قريته فوجد ان كل شيىء قد انقلب رأسا على عقب.. لم يجد من القرية الا ركاما ـ وعلم ان اباه وامه واخوته جميعا قد هلكوا فى تلك الغارة الشنيعة. فتش بين الانقاض عن بيته كم كان مشتاقا ان يلقى نظرة ولو كانت على بيتهم المتهدم ويشم رائحة اهله.

تجول بين الانقاض وفى ركن منها وجد ملابس ممزقة ثم دماء يبست. لقد عرف من اول وهلة ان هذه الملابس كانت تعود الى اخته سمراء.. تناولها فى الحال.. قربها من انفه واخذ يشمها حينا ويقبلها حينا آخر والدموع تسيل من عينيه سيلان السيل فى يوم ماطر. توقف عن البكاء فجأة ورفع قطعة الملابس الممزقة بيده الى الاعلى ثم صاح:

■■ اقسم بالله العظيم يا اختاه.. اقسم بالعزيز الجبار يا ابتاه.. اقسم بالواحد الاحد يا اماه.. اقسم بك يارب العباد لأنتقمنّ من العدو الغادر.

ترك مازن انقاض قريته بعد ان قرأ الفاتحة على ارواح اهله وسأل الله ان يكون مقرهم مع الشهداء الآخرين جنة النعيم وان يلتحق بهم فى اقرب فرصة.

التحق منذ ذلك اليوم بالفِرقَ الفدائية التى كانت تعمل فى الجبال. لم يجد كثيرا من الصعوبة فى اللحاق بهم والتفاهم معهم ذلك لأن الدفاع عن الوطن والارض كان خير سبيل للتفاهم والعمل المشترك.

لم يكن الالتحاق بالعمل الفدائى شيئا جديدا فى حياة مازن ذلك لانه كان يمارس هذا العمل فى العطلات الصيفية اذ يعملون جماعات فى الهجوم على الجنود الاسرائيليين بين الفينة والاخرى حسب التعليمات التى تصدر من قيادتهم ويكون عين مراقبة اثناء الدوام لأولئك الذين يتعاونون مع الاعداء.. يترقب سكناتهم واتصالاتهم ويبلغ بها مسؤول فرقته.

تذكر آخر عمل فدائى قام به فى الصيف الماضى مع اربعة شبان آخرين تسللوا فى ليلة ظلماء من الجبال المجاورة الى مخفر اسرائيلى.. لقد وكل اليه شخصا ان يهجم على الحارس. انتظر فترة من الوقت اذ كا

د. انور طاهر رضا
تركيا

يا وطني

الجندى الاسرائيلى يذرع الارض جيئة وذهابا عندما اولى لهم ظهره تقدم مازن بسرعة هائلة وهدوء فانقض عليه بين لحظة واخرى كالنسر ينقض على فريسته. تقدم اصحابه نحو المخفر ولم يجدوا صعوبة القضاء على ما فيه من جنود.. كانوا قد ارسلوا فى تلك الليلة اثنى عشر جنديا اسرائيليا الى نار جهنم وبئس المصير ثم قفلوا راجعين.

فكر مازن ان هذه العمليات رغم ما تنشر من رعب وهول فى اوساط الاعداء الا انها لا تشفى الغليل. كان يريد ان يكون انتقامه فى هذه المرة كبيرا.. ينتقم لاخته الشابة واخوته الصغار.. وينتقم لأبيه وامه. كم من الاعداء يعادلون عائلته؟ لا.. لا والله ان الصهيونيين جميعا لا يعادلون نفرا واحدا منهم - ولكنه مع الاسف غير قادر على اهلاكهم جميعا. كان يفكر فى القيام بعملية يكون لها صدى عالمى يقتل فيها من الاسرائيليين ضباطا كبارا وقيادات لهم مناصبهم العالية.. وفى الاجتماع المشترك مع فرق فدائية اخرى دافع عن رأيه هذا مفاتحا كلامه:

نحن فدائيون: هل نحن حقا كذلك؟.. ماذا يعنى الفداء؟. الا يعنى التضحية من اجل الغير.. من اجل الوطن؟.. الا يعنى فداء النفس من اجل الاخوة الاشقاء؟. وهل نحن حقا نؤدى دورنا؟.. اننا لا نهجم الا على دوريات صغيرة.. لماذا لا نؤدى عمليات اكبر؟. لماذا لا نفدى بأنفسنا من اجل تنفيذ عملياتنا؟. لماذا لا نهجم على القيادات بدلا من الجنود؟.

● استطاع مازن ببلاغة كلامه وقوة حجته ان يقنع الجميع على القيام بمثل هذه العمليات.. وتطوع ان يكون هو المنفذ مع زميل آخر.. وان يكون الهجوم على القيادة العسكرية الاسرائيلية عندما فتح باب التطوع لمن سيصاحب مازن فى تلك العملية لم يطل الامر كثيرا اذ تقدم فى الحال - سرمد - قائلا:

■ مازن صديق حميم لى.. عشت معه سنوات طويلة.. لم اجد منه الا الخير، ان كنت حرا فى اختيار شهادتى ارجح ان تكون تلك الشهادة مع مازن وليس مع غيره.

كانت القيادة الاسرائيلية تبعد من الجبال التى يأوى اليها الفدائيون ثلاثين كيلو مترا.. وكان هناك جبل آخر يقرب من هذه القيادة بمقدار عشرة كيلومترات كانت على سفح هذا الجبل قرية فلسطينية صغيرة تم الاتفاق على ان يلتحق بهذه القرية مع فجر يوم الجمعة.. يتسلم هناك عدته ويتوكل على الله قاصدا هدفه.

كان اليوم هو الثلاثاء . . وكان على مازن ان يمر على بعض زملائه الفدائيين يسلم عليهم ويودعهم الوداع الاخير. وكلما مر على صديق ازداد ثقة فى نفسه وايمانا فى قضيته عندما زار قائد المنطقة ربت على كتفه قائلا له:

■■ ستكون بطلا يتحدث عنك التاريخ طويلا .

ادى صلاة المغرب عندما غابت الشمس وفى نهاية الصلاة رفع يديه قائلا:

■■ اللهم اننا لا نبغى الا الشهادة فوفقنا لما فيه رضاك . . اللهم اجعل الشهادة من نصيبنا . . آمين يارب العالمين .

وافق مازنُ سرمدا وشرع فى رحلة من نوع آخر قاصدا القرية الفلسطينية . . كانا يستفيدان من الظلام من ناحية ومن وعورة الجبال من ناحية اخرى ومن معرفته الواسعة بطرقات تلك الجبال من ناحية ثالثة . سارا فى تلك الليلة عشرة كيلومترات . . أويا عند الفجر الى كهف لكى يأخذا قسطا من الراحة ويقضيا نهار الاربعاء فيه ويواصلا طريقهما فى الليل مرة اخرى . اتفقا للحذر والاحتياط ان ينام احدهما ويحرس الآخر خوفا من ان يداهمهما الجنود الاسرائيليون . مر اليوم بسلام ولم يكن هناك من مكدر.

واصل مازن وسرمد طريقهما كالعادة بعد المغيب وقطعا خمسة عشر كيلومترا اخرى ثم أويا الى غابة كثيفة يقضيان فيها نهار الخميس . لم يبق لهم من الطريق غير كيلومترات عديدة ـ فضلا ان يقطعاها فى جزء من ليلة الخميس ويرتاحا فى الجزء الآخر منه استعدادا لعملهما المناط بهما نهار الجمعة . لم يحصل شيىء ذو اهمية خاصة نهار الخميس وليلة الجمعة .

تسلل مازن وسرمد مع فجر يوم الجمعة الى القرية الفلسطينية المنشودة ووجدا عند مدخل القرية سليما فى انتظارهما اخذهما الى بيت حيث سلمهما زيّ ضابطين عسكريين اسرائيليين ارتدياه فى دقائق ثم سلمهما سيارة من نوع السيارات الاسرائيلية العسكرية صبغت باللون العسكرى الاسرائيلى قائلا:

■ *ان السيارة جاهزة تماما بالمتفجرات .*

■■ *زود سليم كلا من مازن وسرمد ببعض المعلومات اللازمة .*

لم يأخذ دور التسليم والتسلم من الوقت كثيرا صعد مازن وسرمد فى السيارة وحركاها مودعين زميلهما سليم وتوكلا على الله وطلبا منه التوفيق والنجاح .

التقى مازن وسرمد فى الطريق الى القيادة بسيارة اسرائيلية توقفا عند مشاهدتها وسلما على من فيها سألهما الضابط المسؤول :



■ *من اين قدمتما؟ . . اجابهم مازن بالعبرية وكان يجيدها اجادة تامة :*

■ *من قرية السفح .*

■ *ماذا فعلتما هناك؟*

■ *فتشناها بحثا عن المخربين*

■ *لم تجدا احدا؟*

■ *لا كل شيىء على ما يرام: بالمناسبة لقد خرجنا فى هذه المهمة منذ الفجر ولم نعلم بوصول مساعد آمر المعسكر الرائد عزرا . . هل التحق بالمعسكر؟ .*

■ *آوه انه التحق صباح هذا اليوم .*

صافح مازن وسرمد الضباط والجنود الاسرائيليين وودعهم متمنيا لهم التوفيق ولم يشك احد فى السيارة ومن امرهما ابدا ـ سواء من زييهما او سيارتها او لغتيهما وقد حسبوهما ضابطين اسرائيليين. لم يحصل شىء يذكر فى الطريق الى المعسكر. كانت خطة مازن وسرمد ان يصلا الى المعسكر ساعة الفطور. فتح الطريق عند مدخل المعسكر فرد مازن تحية الحراس. دخلا المعسكر مع سيارتها وبدأت اللحظة الحاسمة والعد التنازلى.

كان مطعم الضباط يبعد كيلومترا واحدا عن المدخل فقصداه فى الوقت المناسب بسرعة اعتيادية تماما.. التقيا بكثير من الضباط والجنود فى الطريق الى المطعم. كان مازن يلقى عليهم السلام او يرد على تحياتهم بشكل طبيعى جدا حتى انه لم يخطر فى بال احد ان يكون هذا الضابط الاسرائيلى من الفدائيين الفلسطينيين.. اوقف مازن السيارة عندما وصلا هناك ثم القى نظرته داخل المطعم من الشباك المطل فوجد الجميع جالسين على المائدة يتناولون فطورهم.. لفت نظر احد الضباط فصاح عليه مشبها اياه بضابط آخر:

■ لقد تأخرت اليوم يا.... اجابه مازن بالعبرية:

■ ها انا قادم.

ركب مازن السيارة واعادها الى الخلف حوالى عشرة امتار ثم ضغط على عتلة الوقود بكل قوته نحو المبنى بكل سرعة وحصل دَوِيٌّ ـ دَوِيٌّ هائل. لم يدر مازن وسرمد ماذا حصل فيها بعدُ ـ لقد صعدت روحاهما الى السماء الى جنة المأوى، كتبت الجرائد المسائية العالمية فى مساء ذلك اليوم عن ذلك الحادث فى اولى صفحاتها وبخط عريض:

■■ هجوم فدائى على قيادة اسرائيلية. مقتل عدد كبير من الاسرائيليين بينهم ضباط كبار.

أوصى الأطفال

شعر
يوسف حمدان
الأردن

أوصيكم أوصى الأطفالْ
من أجل صلاح الأجيالْ
أنْ لا يهمل طفلٌ درسَهْ
أن تتفانوا فى الأعمالْ
أن لا يحنى طفلٌ رأسه
أن تتساموا كالأبطالْ

أوصيكم بالوطنِ الغالى
حبُّ الوطنِ علينا واجبْ
من أجل الأوطانِ نضحّى
من أجل الأوطانِ نحاربْ
أوصيكم أن تقفوا صفّاً
متّحدين بوجهِ الغاصبْ
أوصيكم بالخُلقِ العالى
فَجَمالُ الانسانِ مناقبْ
ما وَصَلَتْ أُمَمٌ لمعالى
إلا بصلاحِ الأجيال



أيتها اللؤلؤة

أنتِ مني ولكن !!



هل أنـت يا حواء مخلوقٌ يُعَـدّ من الـضِّـعـافِ؟
أم أنَّ أعْـتَـى الـنـاسِ طفـلٌ فى أنـامـلك الـلِّطـافِ؟
كم راض دمـعـك ـ أو دلالـك ـ دون قهـر. . كلَّ جاف
فغـدا إليـك ـ وإن تظـاهـر بالـتـجـهـم ـ فى انـعطـاف
ما أنـت إلا لجّة الـبـحـر الـعـمـيـق بلا ضفـاف

* * *

لا تحسـبـى حواء أنـى عنـك مشـغـول الجَـنـانِ
هل أنـت إلا قطـعـة منـى اسـتـقـلتْ عن كيـانـى
مازلـت أبـحـث عنـك فى كلّ الأمـاكـن والـزمـان
لا يعـرفُ الـقـلبُ الـسـكـينـةَ إن نأيتِ عن العَـيَـان
لكـنَّـنـى أبـغـيـك يا حواء عالـيـةَ المـكـان

* * *

الـبـيـتُ يا حواء عشٌ أنـت فيـه الـروحُ تسـرى
وحـنـانـك الـفـيـاض بين ريـاضـه الـزهـراء يجرى
ونـسـيـمـك المـفـهـاف يعـبـق فى جوانـبـه بعطـرِ
فالـبـيـت فى سنـن الحـيـاة أجلُّ من در وتـبر

* * *

إنـى رأيـت مليـكـة الـنـحـلِ الحكيـمـة فى الخَـليَّـه
فبعـثْ جلالـتـهـا تدبِّـرُ أمـر هاتـيـك الـرعـيـه
وتظـل « لؤلؤة المـحـارة» فى تفـردهـا رضـيـه
لا تشـتـكـى مللا وضـيـقـا فى الـغـداة أو الـعـشـيـة
وهـى الـتـى بجـنـاحـهـا تطـوى المسـافـات الـقَـصِـيَّـة

بطاقة للعام الجديد

حياة عبد الحميد عنبر

يقول البعض ان التاريخ لا يكذب ولكن التاريخ صناعة بشريه والبشر مخادع وكاذب.

نحب فنكون كباقات عطر نادرة.. ونكره فنكون عواصف هدامة تطيح بكل شيء جميل.

نمتلك من الامومة والابوة خلاصة أنفسنا ومع النزوات والاحقاد ندوس ما امتلكناه بأرجلنا ونجعل من احلامنا اكذوبة نعيش عليها ونفيق كما يفيق المجانيب في حلقة الذكر أو دقات الزار..

تموت مشاعرنا بعد أن تكون قد مشت في جنازة من كانوا بسمة حلوة على شفاة المرارة.. نبكى ويدمى القلب ولكننا نضحك أو نرسم بسمة على شفاهنا من أجل الآخرين الذين نحب.. لا نريدهم أن يكتشفوا احزاننا..

صحيح ان هناك قانونا متفق عليه عندهم.. قانون النفاق الاجتماعى يحاولون الالتزام به من اجل صلات كثيرة وكم نود التخلص منه.

يا عامنا الجديد هل ستضيع فيك آمال.. وتسرق فيك أوطان اخرى..

هل سنكون أيضا فيك دعاة كلام ومرضى للانفصام العربى نقتل الحاضر ونبكي على الماضى.

أيها العام الجديد أهديك باقتى.. حتى وان كانت زهرة واحدة فهى زهرة النور التى لا يتقن القلب الا إشعالها.

حواء

محمد تاج الدين احمد عبده

حنانـاً أيها القـلبُ
إذا ما خطـوتـى زلَّـتْ
فقـد أرشـدتَ أقـدامـى
إلـى الأرضِ الـتى حَلَّتْ
وإن أنـسـى فلا أنـسـى
ليـالـى فى الهـوى ولَّـتْ
جَرَتْ فيهـا دمـوعُ العـينِ
فى خدٍّ قدْ اعـتـلَّت
وذات الـكـعـب إن داسـتْ
على اشـلائـىَ دلَّـت
أطـاحت حصنَ أحـلامى
فما أبـقـتْ ومـا خلَّت
توارت بعـدمـا لاحـتْ
وغـابـتْ بعـدمـا هلَّتْ

وشَـحَّـتْ مثـلما جادتْ
وحطَّـتْ ضعـف ما علَّت
تلوم الـيـومَ يا قلبـى
على رجلـىِ الـتى ضلَّتْ
وتـنـسـى أنهـا كانـت
على أهـوائـك احـتـلَّت
قم اطْـرُدْهـا وأصلـح لى
موازيـنـى الـتى اختـلَّت
ولا تعـهـد بأحـلامـى
لحوَّاء قد اسـتـلَّتْ
سيـوف الـغـدْرِ أشكـالاً
تفـلِّ الـعـزمَ ما فلَّت
ولا تسـأل بإيـماء
مَلَلْـتَ الحـبّ أم مَلَّتْ



الورقة (١٢١)

انني أسعى جاهداً لتحقيق السعادة لنا جميع ولكنني أوثر السعي في صمت وبلا ثرثرة.. وهذا م يجعلني أتهم بالتقصير أو التباطؤ..

يؤسفني يا سيدتي أنه أصبح لا غنى لي عن المجاملة حتى لو كانت تافهة.

الورقة (١٢٢)

أنفضي عنك غبار المظاهر.. ومجاراة فلانة. وفلانة.. فأقتنع أنك انسانة سمت بأفكارها فو الشكليات.. واصبحت تتوجه في اهتمامات للجوهر..

الورقة (١٢٣)

تطالبينني بتسديد كل شيء.. وتقديم ما يلز وما لا يلزم.. وبالتالي انت مطالبة بأشياء وأشياء.. فان كان الآخرون يعملون لزوجاتهم الكثير.. فانا بالمقابل هناك أشياء كثيرة يعملنها لازواجهن سأطالبك بها اليوم..

الورقة (١٢٤)

ان كل ما أقرؤه من تندر حول المرأة يصورها بمظهر الفراشة التي تجذبها الألوان الجميلة والأنوار الباهرة.. وان نهايتها غالباً ما تكون في انخداعها بالمظهر أو لهثها خلف شهرة بين معارفها.. ذلك أنها تسير بقوة (دفع العواطف) ولا تلجأ للعقل أو المنطق الا في مرافعة ضد زوجها.. ومع ذلك فلا تلبث أن تعود للعاطفة وتتخلى عن أبسط قواعد المنطق.

الورقة (١٢٥)

لم أكن وحدي الذي تغير بعد الزواج.. فأين (الشياكة).. و(الملاطفات).. و(الطاعة العمياء).. و... كل شيء أصبح في تغير.. حتى الثوابت.

انه الصعود إلى اسفل يا سيدتي.



الورقة (١٢٦)

أظن من الأولى أن تقبليني (على علاتى) . . ولا داعٍ بين الحين والآخر بمطالبتى بالتخلى عن شىء من طباعى . . الأجدر بك التأقلم معها . . طالما استعصى علىّ التخلى عنها . . وأنت تعرفين ذلك .

الورقة (١٢٧)

فى هذا العصر ـ الساخن بأحداثه وحُممه وإفرازاته ـ أصبحت أعصابنا فى ـ فريزر ـ واصبحنا بحاجة إلى هزات قوية لتحريك كوامن الحنان والشفقة لدينا .

اننى لا أعرف يا سيدتى ما هى قيمة المبادىء والمثل . . والروايات والأفلام والمسلسلات . . اذا كانت بكل مافيها من كوميديا وتراجيديا . . عاجزة عن تعزيز رصيدك من الشفقة تجاه هذه الانسانة المسنة التى تعيش معنا؟ .

الورقة (١٢٨)

فى مقتبل العمر . . والشباب . . كنت أبحث عن أغنية عاطفية أفتش فيها عن الشوق والحنان . . والسهر . . والوصال . .

والآن أبحث عن أغنية فيها رقم حزين . . ابحث عن اغنية اسمعها لِـ أبكى . . بعدما كنت ابحث عن اغنية راقصة . .

الورقة (١٢٩)

خلقت جاداً مثابراً . . ربما صبَّرتنى لهذا مرارة العيش . . وهكذا اصبحت أسير عملى وهوايتى . . لكننى فى الوقت نفسه أرى إخلاصي لك مستمدّاً من تفاني فيها . . أو ليست طريق إلى قلبك . . ماديا . . ومعنويا؟ .

الورقة (١٣٠)

أرأيت قيمة الماء بعد عطش . . ولذة الزاد بعد جوع؟ . . فكم هو أنيق هذا الفستان . . ان دولاب ملابسك يحتفى به فمنذ بضع أشهر لم يدخله (صنف) . . ورائحة عطرك هذه . . كم هى جميلة ونفّاذه . . فمنذ أمد . . لم يدخل بيتنا ولا ـ قارورة ـ آه . . ما ألذ رائحة الشواء . . فآخر عهدنا به الربيع الماضى .





تقبض أصابعها المتشنجة على أطراف خيوط الدمية فى إصرار.. تشهر دفء صوتها فى الوجه البارد.. لماذا تقفين فى وجه طموحاتى..؟ لماذا لا تدلين بصوتك لصالحى..؟

إننى لا أحتاج لاكثر من مأذون وشاهدين وإيماءة صغيرة من رأسك.

امتنعت عن الاجابه فلم يكن ليتفهم نزقها سواى.. لعبت على مسرح حياتها أدوار الأم والأب والأخ لتركض وتلعب وتحلم كباقى الاطفال.

جعلتْ منى دمية كبيره تتدلى خيوطها فى يد الطفله الصغيره لتهدأ أمها فى قبرها.. كان كافياً أن أتأمل عينيها منذ طفولتها لأحدد نوع الطلب الذى يمليه بريق عينيها..

لكننى لم أعد افهم.. لماذا تطيش تصرفاتها كثيراً فى الآونة الأخيرة.. لماذا تتطرف فى طلباتها.. لماذا تختار برعونه دون ان تضع اعتباراً لدميتها الكبيرة.؟

عاودتنى غصَّة الحادث البشع الذى حصد بقيتنا.. يوم نامت أمى على فراش الموت تردد فى خشوع عشرات المرات..

■ **احمد لم يبق لها سواك.**

وتناثر الدم على شفتيها.. وتآكلت أنفاسها من رئتيها.. وكنت أصغ دون حراك.

وحملتُ أوَّل حقيبة لها الى المدرسة.. وكفِّى يعانق كفَّها الصغير ذهاباً وإياباً.. أتعلمُ كيف تحشو أمُّنا «ساندويشاتنا» بالزبد والمربى.. وكيف تملأ قلوبنا بحب العالم من حولنا..

ولم يبق سوى أيام معدودات على تخرج - مها - من كلية العلوم.. ورأيت أمى تبتسم لى.. وتقدم لى وشاحا ثم تطوَّق به عنقى.. تربت على كتفى.. تواسينى لأننى لم أواصل تعليمى الجامعى مضطراً.. لم أقاوم دفء صوت إبنتها بينما تطالبنى بحفلة تليق بفرحتها ورغبة زميلاتها.. علقت الزينات.. رقصت كالبليانشو. قدمت إليها نفس الوشاح المطرز.. ورأيت أمى تبتسم فى وجهى مرة أخرى.

لم أنم ليلتها.. أسدلت عليها غطاءها لتنام كطفلة أتعبها الركض والتحليق خلف فقاقيع الصابون الملونة. واستجوبتنى أمى..

■ **ماذا تنتظر؟؟**

تلعثمت.. تلفَّت حولى لأتسول الاجابة من عينى مها.. رأيت خيوطى تنام على سريرها قرب أناملها الصغيره.

■ إننى أسعى لتنفيذ وصيتك يا أمى.. إن مها تحيا كما لو أنك بيننا.. كما لو أن أبى يدثرنا بأغطيتنا فى الليل البارد.. كما لو أن باقى أخوتى يعبئون البيت ضجيجاً ولعباً.

ونامت الحسناء المسحورة فى انتظار اميرها الممتطى صهوة عربته الفارهه.. تنتظر إيماءة رأسى لتتزوج به.. صاحت فى وجهى عندما رفضته.

■ **أريده مهما يكن.**

■■ لا أرضاه لك.. فهو يتخذ من ساعد أبيه مستقبلاً له ولك..

سألته: لماذا لا يعمل شاب مثلك؟.. أشعل لفافته نافثاً دخانها فى وجهى كافعى ناعمة الملمس ناقعة السم وأجاب متعجرفاً..

■■ إننى لا أعمل.. لأننى ببساطه لا احتاج للعمل.. فكل الذين من حولى ميسورو الحال..

تلاشت أمى فى صمت الليله.. لم تتكلم.. لم تشاركنى مسؤولية الايماءة.. وشدت مها خيوط حقائبها.. لملمت انفاسها من أرجاء البيت ولحقت بعريسها دون أن تلوح لى بأصابعها على عتبة الطائرة.

■■ حاصرنى سؤال أمى بعد أن عدت إلى البيت.

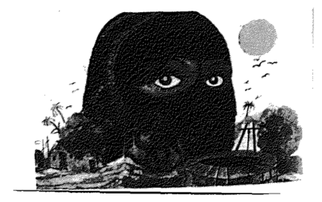


■ **ماذا تنتظر؟؟**

لم أتلعثم.. لم أفتش عن عينى مها لأتسول الاجابه.. لم أتحسس الخيوط المترهلة للدمية.. طرقت باب بنت الحلال واجفاً.. دخلته بمشيتى (الأربعينية) لأضع يدى فى يد أبيها.. ولأول مرة قبلتنى أمى.. وضحكت.

شمس الظهيرة تغرس أسياخها المحماة فى جسدى.. تستحثنى للوصول الى البيت فلم تتعود إبطائى عنه فور انتهائى من العمل منذ اقترنت بـ(سعاد) طيلة سبعة أعوام.. لكنّ الخيوط المهترئه تتحرك بداخلى.. يدٌ مدربة عادت تعبث بها من جديد.. تجرى معها علاجاً طبيعياً ليسرى الخدر فى عروقها المشلوله.. أحث الخطا بلا وعى.. أتجه نحو البيت مغمض العينين كأنما أحمل بوصلة فى ثنايا جلدى تحدد إتجاهى وترصد شيئاً ما داخل البيت..

أمى تقف على عتبة الباب مكتئبة على غير عادتها.. عادت معها برفقة زوجها من الخارج.. عادت تحرك خيوطى بشدة هذه المره بينما تعبث أناملها بخصلات الشعر الأبيض فى رأسى.. رميت بجسدى المتهالك على الكرسى المواجه لها أنتهز خلوتنا..



■ **ماذا فى الأمر؟**

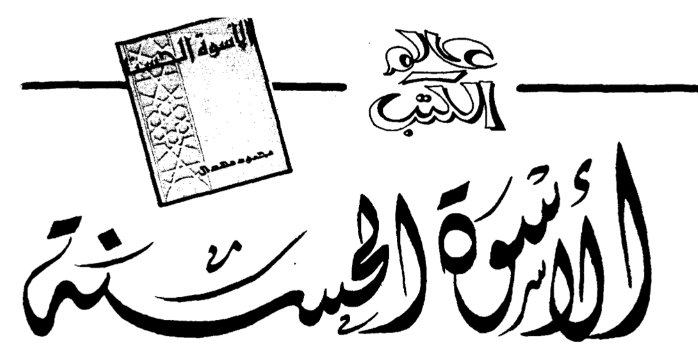
تماسكت لأصغى إلى ما تقول.. وتوقعت كل ما قلت.. باع كل ما يخصه بعد أن تورط فى لعبة الرهان السخيفة.. باع الشقة ـ العربة ـ الثياب ـ وبالكاد تخلص من الديون المتراكمة عليه بعد أن باع كل مالديها من حلى وذهب.. وبعد أن سحب آخر ما تبقى من رصيدها فى البنك.

تجاهلت عينيها منتهزاً فرصة دخول (سعاد) لأطلب فنجاناً من القهوة ثم لحقت بها الى المطبخ وقالت لى..

■■ أنه يعذب أختك.. ينهش كرامتها.. يسلك درويا وسخة مهدتها حضارة البلد الذى أقاما فيه.

وأطل وجه أمى من فنجان القهوه شاحباً كيوم تآكلت أنفاس رئتيها.. كيوم رحل أبى قبلها بساعات.. كيوم كفت أصوات إخوتى عن الصخب والنداء.. وتحركت خيوط معاكسه فى الدمية المكسوة بالغبار. تشقلبت الدمية فى حركات بهلوانية مفاجئة.. تحركت قدمى لتركل أحد خارج البيت.. فإذا بساعدى يضمانه فى ترحاب.. تجمعت أصابع يدى فى قبضة لأسددها إلى أنفه فإذا بأصابع يدى تربت على كتفه فى رحمة مصطنعة.. تحركت شفتاى لأطالبه بأموال أختى التى بددها فى لعبته السخيفة.. فعضضت لسانى.. وانسلت يدى الى جيبى بحثاً عن دفتر الشيكات.. ومنحته رأسمالاً جديداً أعرف مسبقاً أنه سيبدده على مطالبه وهوايته الشخصية.

وعندما فكرت فى مطالبته بالبحث عن مأوى جديد له ولزوجته كنت قد اعتصمت وزوجتى فى حجرة نومنا حتى لا أنغص عليهما حرية التجول فى شقتنا.





الإشعاع الصافى الذى يطل عليك ببهائه وروائه من هذا الكتاب يبعث من قلم مؤمن يعتبر أسوة حسنة للأقلام.. فهو يزجى لك القيم الرفيعة فى كلمات وضاءة تأخذك بجلالها.. وتصحبك فى موكب من المعانى المشرقة.. حتى تسمو بمشاعرك وتصقل وجدانك.. وترفع عن نفسك حجب الوهم والغرور والأثرة والأنانية..

فمؤلف هذا الكتاب الزميل الأستاذ محمود مهدى يمزج فى كتابته بين العلم والإيمان.. وبين القول والسلوك.. وبين اللمحة الذهنية الوضيئة لما يجرى فى حياتنا المعاصرة.. والخلق الرائق الشفاف للسلف الصالح.

وقد اتخذ من رسولنا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه أسوته وقدوته. فسال قلمه حكمة وعلما وبيانا وفصاحة وراح يقدم وهو فى ساحة الرسول نماذج من شمائله.. وألوانا من إنسانيته.. وضروبا من سلوكياته.. فيها ما يهدى إلى البر.. وما يدعو إلى الخير.. وما ينير الطريق أمام السالكين. تحدث عن وصف الإمام على كرم الله وجهه للرسول بأنه كان أجود الناس كفا.. وأصدق الناس لهجة.. وأوفى الناس ذمة.. وألينهم عريكة.. وأكرمهم عشرة.. من رآه بديهة هابه.. ومن خالطه أحبه.. ثم راح يقدم صوراً وضاءة مهيبة من حياة الرسول تعكس هذه الصفات.. وتمثل هذه المزايا.. وتصور هذه الخصائص.. وتعرض لوحة خلابة لانسانيات الرسول وسلوكياته..

● ويتدرج المؤلف ـ وهو يمسك بمشعل الأسوة الحسنة ـ إلى ما قاله أعداء الاسلام عن نبيه محمد.. الذى ربط ما بين الأرض والسماء بوشيجة العقيدة والايمان.. ورفع الآدمى المخلوق من خطأ مسنون إلى مصاف الملائكة المخلوقة من النور.. وشذب إنسان البادية حتى جعله بانى حضارة وشائد مدنية.

● لقد أورد المؤلف شذرات مما تضمنته دائرة المعارف البريطانية عن الرسول حيث قالت: قليلون (بل لا أحد يدانيه) هم الذين أحدثوا فى البشرية الأثر العميق الدائم الذى أحدثه محمد انه أحدث أثرا دينيا عميقا لا يزال حتى الآن هو الايمان الحى والشريعة المتبعة لأكثر من سبع سكان العالم ـ على أن أثره التاريخى يبدو بالأكثر عندما نذكر إنه فى أقل من عشرين سنة منذ بدأ دعوته.. قوض دعائم امبراطوريتين عتيدتين.. هم الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية مؤسسا على أنقاضهما حضارة جديدة.

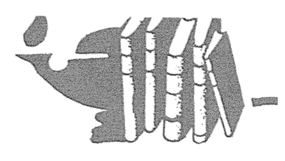
إصدارات جديدة

● صدر للأستاذ صالح بن سليمان الوشمى ـ عن الجمعية السعودية للثقافة والفنون ـ فرع القصيم ـ كتاب «القيمة الاجتماعية والتاريخية فى كتاب البخلاء للجاحظ».

والكتاب من القطع المتوسط يقع فى حوالى ١٥٩ صفحة ويشتمل على أربع فصول يعرض الكاتب فيها حياة الجاحظ ـ نسبه وأصله ـ نشأته وحياته ـ مصادر ثقافته ومنهجه فى كتاب البخلاء ـ النقد الاجتماعى عند الجاحظ من خلال أضواء على موضوعات كتاب البخلاء ـ الجاحظ من وراء قصصه فى البخلاء ـ هل الجاحظ يكتب من مجتمعه الى مجتمعه؟

● عن النادى الأدبى بالرياض صدر كتاب «تاريخ ابن ربيعة» دراسة وتحقيق الدكتور/ عبد الله بن يوسف الشبل ـ يدرس فيه المؤلف مخطوطة تاريخ ابن ربيعة مترجماً له ومعرفاً بالمخطوطة ثم مبيناً مصادر ابن ربيعة ـ أسلوبه ولغته ـ منهجه فى كتابة التاريخ وتصنيف الأخبار التى دونها ـ ثم يعرض للصورة التى ترسمها المخطوطة للحياة فى نجد ويختم القسم الأول ببيان القيمة العلمية لتاريخ ابن ربيعة ـ وفى القسم الثانى يحقق المخطوطة ويعلق عليها.

عدد صفحات الكتاب ٩٢ صفحة من القطع العادى.



عرض
عبد المنعم قنديل

● كما أورد شذرات أخرى مما احتوته موسوعة تاريخ الحضارة الانسانية حيث جاء فيها «اذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس.. قلنا ان محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ.. فقد استطاع فى جيل واحد أن ينشىء دولة عظيمة وأن يبقى الى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى نصف العالم».

بعد ذلك عرض المؤلف بعض القضايا المعاصرة.. مقدما رأى الاسلام فيها.

تحدث عن فرقة المسلمين.. وقتل بعضهم بعضا وتكفير بعضهم للمجتمع كله.. وما ذلك إلا لأنهم لم يتخذوا الرسول قدوة وأسوة.. فقد كان يدعو الى الوحدة والحب والأخوة والرحمة والتعاطف والإيثار.. وحين اختفت الأسوة الحسنة من حياة المجتمع.. انطفأت فيه مشاعل الحب والرحمة والوئام.

واستنكر المؤلف أن ينسب إلى الاسلام ما يفعله المسلمون اليوم.. ويقال: ما أكثر مبادىء الخير التى يدعو اليها الاسلام.. وما أكثر أفعال الشر التى يرتكبها من ينتسبون ظلماً إلى الإسلام.. وناشد المسلمين ألا يظلموا الاسلام بأخطائهم.. وطلب إلى غير المسلمين ألا يقرنوا بين جوهر الاسلام وبين أفعال بعض المسلمين.

● ثم دعـا المؤلف علماء الـدين ورجال الفكر الاسلامى إلى الاشـتراك فى وضـع وتنفيـذ برامج وخطـط تستهـدف عودة العقـل المسلم الى ماضيه الزاهر . حتى يقف أمام فلسفات الغرب المادية التى زادت فى شقاء الانسان .

● فالماركسية أغرقت العالم فى بحر من العنف والقهـر وحـولت الانسـان إلى ترس فى آلـة الحزب الشيوعى . . والوجودية جرت الانسان إلى غابة من الحرية غير الملتزمة بإطار أخلاقى مثالى .

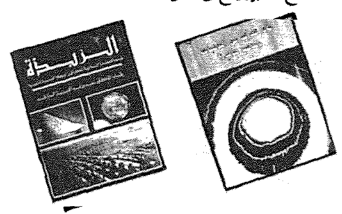
■■ أما الاسلام فهو الدين الذى يستطيع أن يخرج العالم وينقذه من كل فكر ضال منحرف .

بعد ذلـك تحدث الأستـاذ «محمـود مهدى» عن الفراغ الدينى عند بعض الشباب والتطرف والمفاهيم الخاطئة التى استقرت فى أذهانهم . . وقال : ان أسباب ذلك كله ترجع إلى أسلوب الـدعـوة عنـد بعض علماء الـدين ومنـاهج التعليم . . وبـرامـج الاعـلام . . بجـانب الاستعـداد الشخصى لدى بعض الشباب . . ثم أشار إلى أن الحوار الفكـرى مع الشبـاب خطـوة رائدة على الطريق لعلاج التطرف . . وطالب الهيئات الدينية بأن تزيد من التحامها بالشباب وأن تتيح المؤسسات الاعلامية مساحات واسعة لنشـر الحوار حتى يأتى بالثمرة المرجوة بحيث يصل إلى الشباب فى كل مكان .

● وعن تطبيق الشريعة الاسلامية فى بلد يضم مسلمين



● وعن جامعـة الملك سعود ـ كلية العلوم ـ وعمادة مركـز خدمـة المجتمع والتعليم المستمر صدر كتاب «مـاذا تعـرف عن المـذنبـات ومذنب هالى» اعداد الـدكتـور صلاح الـدين حامـد ابراهيم ومعـاونـة الاستاذين سيد وحيد الدين مغربى ـ وحسين على الطـرابـلسى ـ يشتمـل هذا المؤلف العلمى على التعـريف بماهيـة المـذنبـات ثم على برنامج دراسة مذنـب هالى ـ وينتهى بثـلاثـة جداول ـ جدول أ، ب، ج وتبين احداثيات مذنب هالى الأفقية ـ ثم مجمـوعـة من صور مذنب هالى فى المرصد الفلكى بجـامعـة الملك سعـود وثبت بالمراجع . المؤلّف من القطع الكبير يقع فى نحو ١٤٣ صفحة .



● وعن جامعـة الملك سعود بالرياض صدر كتاب «الـربـذة» صورة للحضـارة الاسـلاميـة المبكرة فى المملكـة العـربيـة السعـودية ـ للدكتور سعد بن عبد العزيز الراشد ، يشتمل الكتاب على أربعة فصول حول الربذة ـ موقعها وازدهارها ـ والربذة فى المصادر المبكرة وبعض الأحداث الهامة التى وقعت على درب زبيدة ـ ثم الدراسات الحديثة حول الربذة وملخص الابحـاث فى أهمية موقع الربذة والمحطات الرئيسية والمنـازل الـواقعـة ـ آثار منطقة الربذة وخطة الحفر الأثرى والمساجد ـ والثالث حول المنشآت المائية .

● وصدر كتاب «الجوف ـ وادى النفاخ» إعداد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد السديرى ـ عن شركة ماكميلان لما وراء البحار المحدودة ـ المملكة المتحدة ـ بالاشتراك مع مؤسسة عبد الرحمن السديرى الخيرية بالمملكة العربية السعودية.

والكتاب يستعرض مدن وقرى وسكان منطقة الجوف ثم لسكاكا ودومة الجندل وأسباب هذه التسمية فى لمحة سريعة، بعد ذلك يعرض الكتاب بالتفصيل لتاريخ منطقة الجوف ودومة الجندل ـ وبيان القيمة الاثرية لمنطقة الجوف ومعالمها الاثرية وللرحالة الأوربيين والرحالة المتأخرين وللملامح النهضة الحديثة فى منطقة الجوف.

الكتاب فى نحو ٢١٣ صفحة من القطع الكبير المدعم



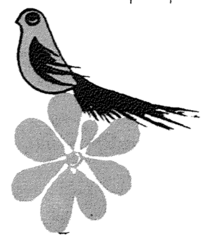
● عن «شروق العالمية» صدرت الطبعة الاولى من كتاب «السياسة الاعلامية الاتصالية فى الوطن العربى» تأليف الدكتور محمد مصالحة ـ يعرض فيه السياسة الاعلامية داخل الوطن العربى وخارجه ويتناول أجهزة السياسة الاعلامية العربية ووظائفها عارضاً للمنظمات الحكومية والأجهزة المنبثقة عنها ـ الاتحادات والمنظمات غير الحكومية ذات الوظائف الاعلامية ـ وسائل السياسة الاتصالية.

كما يتناول تنمية وسائل الاعلام والاتصال العربية ـ الدائرة العربية ـ الدائرة الدولية ـ ويختتم الكتاب بخمسة ملاحق.. يقع الكتاب فى حوالى ١٦٧ صفحة من القطع المتوسط.

وغير مسلمين أوضح المؤلف أن نبى الاسلام أوصى خيرا بأهل الذمة.. وقال: من آذى ذِمِّيًا فأنا خصيمه يوم القيامة.. والاسلام يكفل حرية العقيدة والعبادة.. ولذلك فان تطبيق الشريعة فيه حماية للمسلمين وغير المسلمين.

ومن أروع ما تضمنه هذا الكتاب القيم دعوة المؤلف إلى خطة للتنمية الأخلاقية تسير جنبا إلى جنب مع الخطط الاقتصادية والاجتماعية للدولة.. فالأخلاق الفاضلة يقوم عليها بناء وتقدم المجتمعات.

وقد أجمل هذا كله الرسول فى حديثه الشريف: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»



● وبالرغم من أن هذا الكتاب قدم النموذج والمثل والصورة للأسوة الحسنة التى ينبغى أن يأخذ بها المسلم.. وأن يتضلع من زادها الروحى.. فقد جاء شائقا جذابا.. تتجلى فيه قدرة المؤلف على الأداء الرائع.. والعبارة الخلابة مما يعوزنا فى الكتب الدينية.. وأرجو أن يكون أسوة حسنة للكُتّاب الدينيين.



رسائل للمحرر

الاخ الكريم نبيه عبد القدوس الانصارى

تحية وسلاما . . وكل عام وانتم بخير

وشكرا على ما تفضلت به من رسالة ومجلة . . قلت فى رسالة سابقة قد وصلت إلىّ دفعة اولى من ما يعوزنى من اعداد المنهل.

واقول فى هذه الرسالة قد وصلت الىَّ نسخة من العدد الخاص بالثقافة العربية لمناسبة القرن الرابع عشر الهجرى . . وجهدكم فيه بيّن ومتابعتكم مشكوره ولولا ذاك لما كان هذا العدد بضخامته وتنوعه.

يبقى أن النسخة التى تفضلتم بارسالها الىّ قد اغتصبها منى صديق هنا . . مطمئنا الى أنى استطيع ان احصل بديلها فقلت ابلغكم الحال وانتم معذورون سلفا.

اكرر تحيتى للأخ وتمنياتى بنجاح مطرد للمجلة.

د. على جواد الطاهر

المنهل:

نقدر رأيكم الذى نعتز به وباذن الله سبحانه تصلكم نسخ من عدد الثقافة العربية . . ولازلنا ننتظر ورود نسختنا من مؤلفكم الثبت «معجم المطبوعات العربية السعودية».

سدد الله خطاكم واعانكم.

الأستاذ صاحب ورئيس تحرير مجلة «المنهل» الغراء

تحية التقدير والاجلال وبعد . .

فقد سارعت اليوم باقتناء نسختى من مجلة «المنهل» الغراء من البائع لأستمتع بها فى وحدتى على مهل . . وكأنى فى (يوم عيد) لفرحتى بها.

هذا وقد لاحظت فى «المشتار» وقوع اختلال فى الوزن ببعض القصائد رغم إشراف الشاعر الجهير محمود عارف على (المشتار) مثال ذلك قصيدة (حياة الأمان) للشاعر حافظ شرف التى نظمها من بحر (الكامل) وقصيدة (تقولين شكرا) للشاعر بلقاسم بن سعيد التى نظمها من بحر (المتقارب) . . وفى (هن) لاحظت أن الشاعرة المبدعة أميمة خوجة قد تعرضت لـ(كسر) فى الشطر الثانى من البيت الثانى بقصيدتها (يوم الرحيل) - وهى من بحر «البسيط» - لورود الشطر بالشكل الآتى:

كالطفل يجرى مغلولا ولا يصل . . ولو قالت - مثلا - كالطفل هرول مغلولا فلا يصل لاستقام الوزن . .

وأيضا قولها بصدر البيت السادس: كان التلاقى رغم البعد - ولو قالت: كان التلاقى برغم البعد لى أملا لاستقامت الموسيقى . .

وكذلك بعجز البيت الأخير تقول: هبت رياح البين فكيف تشتعل.

والبيت به (كسر) واضح يصوبه وزنا أن تقول - مثلا: هبت رياح النوى . . هيهات تشتعل.

وكذلك البيت:

اليوم تأخذ أحزانى أعنتها
تبنى بصدرى من لوحاتها جبل

فيه خطأ نحوى فلفظة (جبل) فى البيت تقع مفعولا به للفعل تبنى ولتلافى ذلك يمكن إثبات الفعل بصيغة المبنى للمجهول فيصبح (يُبْنَى) بدلا من (تبنى) . . فلا يكون ثمة خطأ.

وآسفة للاطالة وغيرتى على (المنهل) هى التى دفعتنى لاثبات ما تقدم.

ولكم خالص تقديرى وفائق احترامى.

المخلصة:

سهام إسماعيل أحمد حجى

المنهل:

لكم الشكر على هذه المتابعة الحميدة ونود أن نوضح لكم أننا نحرص دائماً على نشر القصائد المنقحة السليمة وإن كنا - وكعادة المنهل دائما - نحاول تشجيع بعض الشعراء الشبان والأخذ بأيديهم . . كما نود إفادتكم بأن منهلكم وفى خطة عامه الجديد - قد أفرد صفحتين بعنوان (أسطر فى الشعر) وذلك لنقد قصائد العدد السابق دائماً.

ويقوم بذلك أحد الشعراء الكبار فى عالمنا العربى.

على الدرب سائرون

ستاذ زهير بن نبيه الانصارى

مدير الادارة والتحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد . .

فلقد تلقيت شاكرا ومقدرا هديتكم القيمة هذا العدد الوثيقة من مجلتنا الغراء «المنهل» وهما تقدير وشكر متصلان لما تقومون به من جهد فكرى مستنير ومسؤول فى خدمة القضايا الثقافية العربية رسالة كريمة كابرا عن كابر . . ولتعاونكم مع منظمتكم والتنويه بنشاطها فى مجالات سعيها خدمة للانسان العربى والمجتمع العربى والثقافة العربية .

ولقد كان العدد السنوى المتخصص من «المنهل» والخاص بالثقافة العربية عددا متميزا تصورا واعدادا وتناولا مما يسد حاجة قائمة للدارسين والباحثين فى الثقافة العربية المعاصرة فى مجالاتها وفى أقطارها فجاءت كالعهد «بالمنهل» وبتقاليدها الرصينة وثيقة شاملة متكاملة .

الاخوة هنا فى المنطقة جميعا يحيونك ويذكرون بالخير زيارتك الكريمة ويأملون فى لقاءات متجددة .

ومع كل المودة والتقدير وفى رعاية الله وحفظه .

د . محيى الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

المنهل : نشكر لسيادتكم هذا الاطراء تجاه مجلتكم المنهل ونحن دائما وابدا نحرص على الجديد والمفيد فى اثراء الثقافة فى مملكتنا وعالمنا العربى الكبير .

إلى الأخ الاستاذ نبيه الانصارى

رئيس تحرير مجلة المنهل الغراء

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . .

أما بعد .

أتشرف باحاطتكم علما بأن جمعيتنا قد استلمت العدد الذى تكرمت فضيلتكم بإرساله إليها من مجلة «المنهل» الرفيعة ولقد سعد جميع أطر الجمعية ومنشطيها وروادها بقراءتها وأعجبوا بها مادة تثقيفية طباعة وإخراجا وورقا لأنها مجلة رائعة غنية وواعدة بالعطاء الثقافى والفكرى على امتداد الساحة العربية وذلك بفضل جهودكم الجبارة التى تستحقون عليها كل شكر وتقدير وتنويه بل كل إشادة ودعم على اختلاف عطاءاته الثرة .

أخى الكريم . . أشكركم مرة أخرى على هذه الالتفاتة النبيلة منكم وأسأل الله العلى القدير أن يخصكم بعنايته ويعدكم بالعون وموفور الصحة والتوفيق فى عملكم العظيم .

عن الرئيس وبأمر منه

الكاتب العام للجمعية

محمد آل كوفى

القرويين/ فاس/ المغرب

المنهل : شكرا لثنائكم وندعوا الله أن يظل منهلكم على عهدكم به دائما قدما فى سبيل نشر العلم والمعرفة .

أخى / نبيه عبد القدوس الانصارى ـ حفظه الله

خلال جولتى فى اسواق الصحافة بالقاهرة التقيت بالأثيرة العزيزة مجلة المنهل وشد ما كانت فرحتى ودهشتى بالتطور والتجديد الرشيد فى الشكل والمادة التى بلغت المجلة فيها الذروة وأشفت على الغاية مما جعلنى أهنىء نفسى وأهنئكم بهذه المجالدة المنتصرة فى سوق الصحافة المعاصرة .

لقد ارتقيتم بهذه الثمرة المعطاءة التى بذرها والدكم الذى التقيت به مرارا فى جريدة المدينة يوم كنت رئيساً لقسم الشؤون الاسلامية بها وأعجبنى منه دماثة خلقه وحلاوة تواضعه وامتداد ثقافته عبر عصور التراث والمعاصرة . لكن مجلتكم الآن تضاهى بل تتفوق على الكثير من الدوريات الثقافية لأنها جمعت بين جلال التراث وجمال المعاصرة : فى ثوب طباعى أخاذ وإخراج جمالى باهر .

سيروا فى هذا الاتجاه الرائع . . وضاعفوا الجهود فى ميدان التوزيع والاعلان . . وحركوا مندوبيكم *ليقووا* خيوط الاتصال مع عمالقة الفكر فى مختلف الآفاق الناطقة بلغة الضاد . . وتيهوا فخراً بماضى المجلة العريق باعتبارها أم المجلات السعودية . . وافتحوا الباب أمام المعارك الثقافية التى تشد وجدان القارئين . . وأعلنوها حربا ضارية شعواء على البدع والمنكرات الدينية والاجتماعية . . وقودوا هذه المجلة الى ماهى أهل له من عمق التأثير وجلال التعبير وسمو الأهداف .

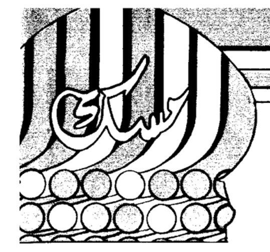
والله يوفقكم الى خدمة الآمال العربية والاسلامية فى هذا العالم الفسيح .

اخوكم ومحبكم

ابراهيم محمد سرسيق

المنهل : ـــــــ

نشكركم على هذه المشاركة الوجدانية الصادقة والمشاعر النبيلة ومجلتكم دائما تتوق الى الأفضل والله المستعان .



هزّت الباب هزًا عنيفا جعله يترك مكانه ويتجه اليها لمعرفة هذا المزاج العصبى المفاجىء واسبابه.

لم تتركه يسترسل فقد قفز غضبُها على وجهه.. انتشر مثل موج البحر.. ترامى فى كل اتجاه كما مطر الشتاء.

قالت له تسأله: هل تختبىء عواطفك فى قلبك أم عقلك.. ام ترى انك بلا عواطف.

بهدوء **شديد** رد عليها يحاول ان يخفف من توترها: عواطفى تختبىء تحت جلدى.. تسكن فى مسامى.. وعروقى.. وضلوعى.. لكنها تتغذى من عقلى بين وقت وآخر.. تستمد صدقها من احساسه وحرارتها من تحركه وانتقاله ووعيه.

وعواطفنا كبشر ليست قيداً على ايدينا.. انها كما البريق فى عيوننا، والصفاء فى نفوسنا والاشراق فى وجوهنا تحتاج لمن يعرفها ويحسها ويدركها ويحبها قبل ذلك وبعده.

●● **عادت لتسأله وقد هدأت أعصابها بعض الشيىء: هل تستشير عقلك اذا أحببت أم تستشير قلبك؟.**

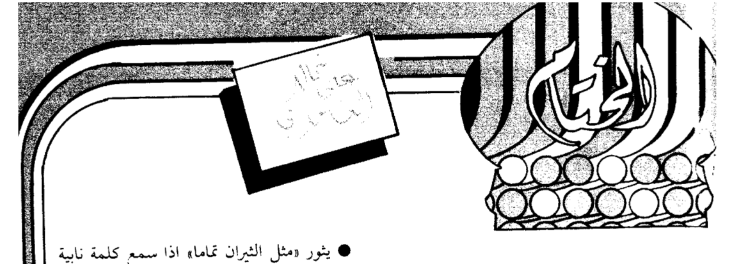
اجابها: استشير الاثنين: عقلى وقلبى وليس المهم من اسأل أولا.. المهم أن لا اترك احدهما يتغلب على الآخر.

●● وقفت على الباب تريد ان تخرج. ادركت ان تعاملها مع الحب يختلف عن تعامله هو فالحب عندها لا يعرف مستشاراً له غير القلب.. ولا يعرف له مصدراً غير القلب.. ولا يعرف موقعاً له غير القلب بينما يخضع حبه هو لمستشارين فى وقت واحد: العقل والقلب.. ومهما كان صادقا فى حبه فانه يتحرك بنظام ويعشق بنظام.. وهى لا تريد هذا النوع من الحب.

نظرت اليه.. طالت نظراتها بين عينيه أدرك ما تريد أن تقوله له دون أن تتكلم.. ربما عرف الآن ان الحب يأتى من القلب.. ينطلق منه ويطغى على كثير من الاشياء.

كاد يقول لها شيئاً من هذا ترك نظراته تتواصل بين عينيها.. تبوح لها بما عجز عقله عن تفسيره او تبريره أو شرحه.

●● **اننا حين نحب لا نعرف «المصدر» أو «السبب» أو «النتيجة».. واذا أعلنا عن حبنا فان العقل يكون آخر من يعلم.. فالعقل بحساباته ووعيه ونضجه يلغى هذا الوهم الجميل ويفسد هذا الحلم الرقيق.**



● يعرف كيف يغرق نفسه فى المديح وسط اى جمع من الناس دون ان يصيبه الخجل أو يركبه الحياء.

● له طريقته الخاصة فى الثناء على نفسه..

● لا يثرثر كثيراً فيكشف عن جهله.. ويستخدم اسلوبا فى «هز الرأس وانحناءة الملامح وفراغ العينين» فيحسب الجميع انه فهم كل شىء واستوعب كل شىء!

●● يتحدث عنه بعض زملائه ومعاشريه فيقولون انه «عميق التفكير» وصاحب دراية باحوال الدنيا و«اهوالها» ويحرص اذا التقيت به أن يوحى لك بنفس هذه الانطباعات عنه.

شكله اذا اقتربت منه «مجرد من الملامح الانسانية» اذا ضحك واذا تكلم واذا حاول أن يهمس لك باى معنى.. ويكفى ان تتابعه وهو يتكلم لتدرك هذه الحقيقة مباشرة.

ولو وزنتم رأسه فانه يعادل وزن جسمه تقريباً وليس هذا عيبا خلقيا فيه فسلوكه وحركته ومشيته وطريقة هز رأسه تترك هذا الانطباع العجيب عنه.

● يثور «مثل الثيران تماما» اذا سمع كلمة نابية عنه وهذا من حقه لو كان يتعامل مع غيره بنفس الاسلوب.. ويغضب اشد الغضب لو قال له اى شخص انه اخطأ فى حق فلان او علان وترتبك اصابعه مع شفتيه فى حركة مثيرة للشفقة وهو يحاول ان يبرر موقفه من الآخرين الذين يعرف مساوئهم اكثر من غيره ويؤكد ان لديه الادلة والبراهين على سوئهم.

وتعود بذاكرتك للوراء قليلاً لتستعيد صور علاقاته بهؤلاء السيئين حسب تصريحاته الخاصة والثمينة فتعرف انه كان فى ايام خلت «صديقا يرتمى فى احضانهم ويتخفى بين مطالبهم ورغباتهم واوامرهم أيا كان نوعها وشكلها ومضمونها».

ستحاول حتماً ان تعرف من يحب ومن يكره فتفشل محاولاتك فهو شخص «عاقل» وعميق التفكير ويشبه فى جلسته وحديثه حكماء البنغال القدماء.

هو باختصار «قطعة كوميدية» تضحك منها وتضحك عليها وعليك ان تختار الصورة المناسبة للضحك المفيد عليه فليس كل الضحك مفيداً كما ان ليس كل الضحك ضاراً. وهذه «القطعة الكوميدية» لابد أن تشدك للضحك شئت أم أبيت ليس لمجرد الضحك وليس لمجرد الرغبة فى الضحك انما لان الذى امامك ينطبق عليه المثل القديم «شر البلية ما يضحك».



وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم.
أعاده الله على الجميع بالخير والبركات.

أرامكو

(RS-6-86)



اليوم الوطني

للمملكة العربية السعودية

بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية

يطيب لشركة **أرامكو** أن تتقدم

بأسمى التهاني وأجمل الأماني

إلى حضرة صاحب الجلالة

الملك فهد بن عبد العزيز المفدى

وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب السعودي الكريم.
أعاده الله على الجميع بالخير والبركات.

أرامكو

(PRS 7-86)



إنطلق بقوة..
مع زيوت بترومين
زيوت
بترومين
صناعة وطنية... بمواصفات عالمية
انتاج: شركة بترومين لزيوت التشحيم (بترولوب)

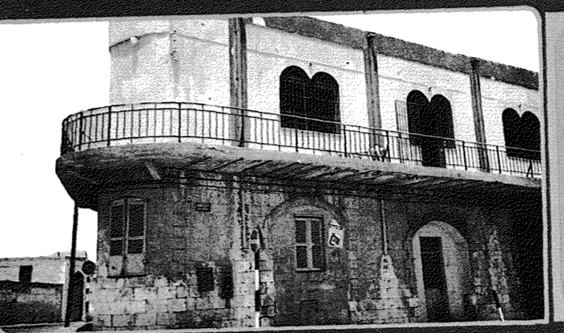
المنهل

ALMANHAL

العدد ٤٤٨ السنة ٥٣ المجلد ٤٨

صفر ١٤٠٧هـ/ اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٦م

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة



اللد مدينة البطولة والتاريخ

○ الإكتناز دراسة فقهية إقتصادية

○ الحيز في القصة الجزائرية المعاصرة



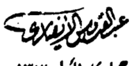


النقد جرس

حقا إنَّ النقدَ جرسٌ إنَّه ينبه الأفكار ويوقظ النفوس ويوجِّه إلى الاصلاح ويرشد إلى وجوه الخطأ والخطل وإلى مواقع الزلل والخطر وشأنه فى هذا شأن الجرس تماماً . . تستعمله للتنبيه والايقاظ وللتوجيه والارشاد والاستفادة من وجوه الحياة بما تتطلبه من جلب خير وتجنب ضير.

والأمة اذا بدأت سفينة الحياة فيها السير للأمام فلابد ان تكون عالقة بها بعض الرواسب المتحجرة من بقايا عهود الجمود والخمود والركود . . وهذه الرواسب تعوق تقدمها وتؤود حيويتها . . فاذا وجد الناقدون المصلحون العون فدأبهم ان يدقوا لها أجراس النقد . . فاذا أُصْغِيَ لهم باخلاص وعنى القائمون بأمر السفينة بازالة العوالق والعوائق المتكدسة فى داخل السفينة وفى سبيلها على ضوء ما سمعوه من اجراس النقد الموجه لهم يكونون قد شقوا لها طريق الرقى ويكونون قد ازاحوا عن كاهلها الاثقال فنستأنف المسير على سلامة الله وتسير الى الامام على بركة الله حتى تصل الى الهدف المنشود فى أمان واطمئنان .

وأغلب الناس يحبون الاصلاح من طبائعهم ويكرهون الافساد ولكنهم لا يتمكنون من وضع الاصابع على مواقع الاصلاح المعنية ولا يستطيعون تحديد مواقع الخطل المعينة مالم يكن هناك نَقَدَة حصفاء يدقون الأجراس بين أيديهم ليحددوا لهم أماكن الاصلاح ومواطن الخلل . . فيصلحون ما يحتاج الى اصلاح فى أمورهم ويقوِّمون مافيه خلل فى شئونهم .



جمادى الأولى ١٣٧١

بطاقة تقديم

العنف.. جرعة يومية

نعم .. مثل كوب الحليب فى الصباح .. وفنجان القهوة فى العمل .. لابد من جرعة العنف اليومية .. لابد أن تكون هناك ضربة من ضربات الطبيعة زلزال أو بركان أو بحيرة تبخ غازات سامة .. أو ضربة بشرية .. خطف طائرة أو نسف مقر أو غزو مفاجئ أو انفجار مثل إنفجار "تشرنوبل" .. والعنف الذى أصبح هواء نتنفسه وسطوراً تجرى عليها أعيننا أو تراها فى التليفزيون هذا العنف ليس مكروهاً دائماً .. هناك عنف يستهدف محو العنف .. وعنف لاستمرار العنف .. كيف يمكن أن نحتمى من هذه الجرعة اليومية .. أين نهرب وقد بدأت تتسلل تحت جلودنا .. ربما أصابنا التلوث بالعنف .. حتى أننا ننتظر جرعة أخرى مثل "المصارعة الحرة" ولكن إذا كان هذا التلوث بالعنف قد صار كيفاً فى دمنا وتعوّدنا عليه حتى أَلِفْناه .. فماذا نفعل لنحمى صغارنا من أن يصابوا بنفس الـــــداء ..

المنهل
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
المملكة العربية السعودية - جدة
أسسها سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٧م
عبد القدوس الانصاري

صاحب المجلة
رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مدير الادارة والتحرير
زهير نبيه الانصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الانصاري

مراسلونا فى الخارج
● القاهرة: د. احمد الحفناوى
● عمان: روكس بن زائد العزيزى
● الرباط: عبد الرحيم عبد السلام
● تونس: د. نور الدين صمود
● انقرة: د. انور طاهر رضا
● الجزائر: د. بكرى عبد الكريم

● التحرير
السمانى كمال الدين
محمد سيد على الدين
نادر صلاح الدين
● الجمع التصويرى
عبد الفتاح السيد سليمان
● الخطوط
محمد الضبعانى
● النسخ
احمد عبده محمود
● العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

المخرج الفني
فريد ابو سعده

معلومات ادارية

المركز الرئيسى
جدة - الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧١٢٨
ت: ٦٤٤٧٧٩٤
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
ت: ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
السليمانية
ص.ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٥٢٤٠

الاشتراكات
● قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
● قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

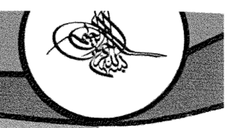
الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة
ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة
● السعودية: ٨ ريال
● البحرين: ٨٠٠ فلس
● قطر: ٨ ريال
● الامارات: ٨ دراهم
● الاردن: ٥٠٠ فلس
● مصر: ٥٠ قرشا
● السودان: ١٥٠ قرشا
● تونس: ٦٠٠مليم
● المغرب: ٦ دراهم

المجلة السعودية الأم

صفر ١٤٠٧هـ اكتوبر نوفمبر ١٩٨٦م

وكلاء التوزيع
تهامة للتوزيع/
دار المسيرة للطباعة/ ابو



كتاب هذا العدد



● محمد حسن فقى ● انور الجندى



● د. انور طاهر رضا ● على خالد الغامدى



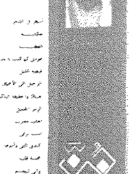
مجلاتنا الداخلية





خليج ميسلندن
عبد الحميد مرداد





م للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ـ الشركة الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥

طباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٢ ـ وكالة التوزيع الاردنية عمان ت: ٦٣٥١٥٢ ـ العربية للوكالات والتوزيع المنامة ت: ٢٥٥٧٠٦



منذ اسقطت الخلافة الاسلامية والمسلمون لا يستنيمون الى هذا الحدث الضخم ولا ينسونه ولا يفرطون فى امره.. ولا يغيب عنهم مدى خطره وجلال شأنه والاثار البعيدة التى ترتبت على وقوعه.

وقد جاء ترتيب الاحداث التاريخية مترابطا.. ففى نفس العام الذى سقطت فيه الخلافة الاسلامية فى استانبول قامت الدولة العربية السعودية فى بلاد الحجاز باسم الله وعلى دعوة التوحيد الخالص واحتلت بلاد القبلة مكان الصدارة مرة اخرى فى قلب الجزيرة العربية التى منها نبعت دعوة الاسلام الاولى.

ولقد كان سقوط الخلافة الاسلامية عملا بعيد المدى من اعمال المكر السياسى والدهاء الاستعمارى والتآمر الصهيونى البالغ القوة والعنف، والقادر فى ذلك الوقت على تحريك الاحداث حينما كان المسلمون والعرب يمرون بفترة من أقسى فترات ضعفهم وتخلفهم.

كان سقوط الخلافة املا يراود القوى الاستعمارية وعملا يجرى الترتيب له والاعداد منذ اعوام وأعوام من أجل القضاء على هذه القوة السياسية والاجتماعية الجامعة للمسلمين القائمة برباط - مهما بدا واهنا من الناحية السياسية - فانه كان من الناحية الفكرية والمعنوية بعيد الاثر عميق الشأن.

كان ترتيب اسقاط الخلافة الاسلامية وتمزيق الدولة الاسلامية التركة الجامعة للعرب والمسلمين «عملا» يجرى التخطيط له بين مختلف القوى الطامعة فى المنطقة: «انجلترا وفرنسا وروسيا» وكانت الصهيونية العالمية من وراء ذلك كله تعد نفسها للسيطرة على فلسطين.

وكانت مواقف السلطان عبد الحميد الحاسمة وتصرفاته السياسية البارعة قد ارهقت القوى الاجنبية وصارعتها ووضعت الخلف بين صفوفها حتى انجحت خطتها الجامعة على التخلص من السلطان ومن الخلافة وجاءت الصهيونية العالمية فدعمت هذا الاتجاه وعملت على تحقيقه بعد ان تبين لها موقف السلطان من اهدافها فى الوصول الى فلسطين وموقفه الحاسم فى معارضته ذلك بخطابه التاريخى المشهور الذى رد به على العرض الخطير الذى تقدم به اليهود بدفع خمسين مليونا من الجنيهات الى خزينة الدولة وتسديد ديونها حيث قال رحمه الله:

...لمون على الضيم

«إن ديون الدولة ليست عارا فغيرها من الدول مثل فرنسا مدين . . ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلمية لا يمكن ان تحتمى وراء حصون بنيت بأموال اعداء الاسلام.

ان بيت المقدس قد افتتحها للاسلام عمر بن الخطاب ولست مستعدا لان احمل فى التاريخ وصمة بيعها لليهود ولا خيانة الامانة التى كلفنى المسلمون بحملها».

●●

أعداء الإسلام والمسلمين عملوا ماوسعهم وبكل الوسائل والأساليب المتاحة لهم لإضعاف وحدة المسلمين .. ومنها الفرق المضللة المندسة فى أوساط المسلمين

●●

من خلال هذا الخطر الصهيونى كانت محاولة اسقاط الخلافة الاسلامية التى بدت حجر عثرة فى وجه التوسع الاسلامى والمؤامرة الصهيونية معا ذلك ان السلطان عبد الحميد كان قد رفع لواء الدعوة الى الجامعة الاسلامية كسلاح فكرى وسياسى للتجمع الاسلامى العام خارج نطاق الدولة العثمانية وبزعامة خليفة المسلمين ولذلك فقد اشتعلت نيران الحملة على فكرة الجامعة الاسلامية وأصبحت من الاهداف الاستعمارية التى جرى ضربها فى كل مكان وخاصة فى مصر عن طريق الصحافة التى قادها المارون من خريجى مدارس الارساليات وأعوان الاستعمار والصهيونية جميعا.

كانت الدعوة الى الجامعة الاسلامية اساسا هى فكرة السلطان عبد الحميد وكان جمال الدين الافغانى قد عمل لهذه الفكرة من منطلق آخر هو منطلق الدعوة الحرة وكان عمل السلطان له خططه وامكانيته السياسية والعسكرية فقد انطلق الدعاة الى مختلف اجزاء العالم الاسلامى يحملون فكرة الجامعة الاسلامية ويدعون الى اتحاد المسلمين فى وجه الخطر المتربص والمندفع فى نفس الوقت لتمزيق العالم الاسلامى وهدم الدولة الاسلامية العثمانية واسقاط الخلافة.

وكانت اعمال السلطان عبد الحميد تجرى فى مختلف المجالات لدعم الروابط بين اجزاء العالم الاسلامى وتقريب وحدته وكانت عملية انشاء سكة حديد الحجاز فى مقدمة هذه الاتجاهات العصرية القائمة على المواصلات فى الربط بين أجزاء العالم الاسلامى ولقد كان الاستعمار فاهما لمدى الخطر من تحقيق مثل هذا المشروع الذى كان سقوط السلطان عبد الحميد مرتبطا باتمامه فى عام واحد.

وكانت الدعوة الى الأقليات والعصبيات واحياء الاجناس والاعراق والدماء فى مقدمة الخطط التى أثيرت لمواجهة دعوة الجامعة الاسلامية وقد بدأها مستشرقون ورجال مشبوهون من أجناس غريبة عن العرب والمسلمين وحملوا لواء هذه الدعوات الى قلب الدولة العثمانية واستعانوا من اجلها بالفرق الضالة وفى مقدمتها «الدونمة» المتجمعة فى سالونيك والتى دخلت فى الاسلام زيفا لتحقق من وراء ذلك مؤامرة هدم الاسلام واسقاط الخلافة.

ومن ثم تأججت الدعوة الى الطورانية وذهبت الى أبعد الحدود فى مجافاة الاسلام وكراهية العرب والقضاء على التاريخ الطويل وكان التأييد الاجنبى الغريب من وراء محافل الماسونية وركائز الارساليات قد قام بدور كبير فى الاعداد لهذا العمل الذى ظهر بعد اسقاط السلطان عبد الحميد على نحو واضح الهدف والاتجاه فى خدمة الصهيونية والاستعمار والاجهاز على الدولة العثمانية الاسلامية والغاء الخلافة.

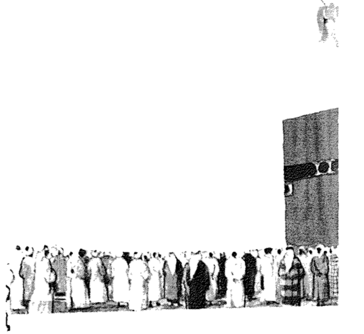
ان ما وقع عام ١٩٢٤ من اسقاط الخلافة الاسلامية لم يكن وليد الساعة او ابن اللحظة ولكنه كان نتيجة تخطيط طويل المدى جرى فى أبعاد مختلفة وأيدته قوى كبرى حتى حقق غايته فى ذلك العام.

وكان اسقاط الخلافة الاسلامية هو خلاصة حلقات متتابعة من معارضة الجامعة الاسلامية وتمزيق الدولة العثمانية الاسلامية والوثيقة بين الترك والعرب ثم كانت النهاية هى اسقاط الخلافة.

ولقد احس المسلمون بمدى الخطر العظيم لهذا الحدث وعرف مفكرو المسلمين كيف كانت قوة الحدث نفسه فى حزب يجمع المسلمين فى التجمع الفكرى بعد ان خرب جمعهم السياسى.

ولكن رد الفعل كان بعيد المدى وأقوى مما التقطته عيون المراقبين السياسيين.

ذلك أن الخلافة الاسلامية لم تلبث ان أصبحت ركنا سياسيا فى كل حركة اسلامية ودعوة اسلامية وكانت ثالثة العقائد على حد تعبير أحد الائمة المسلمين، فلم يغفل عنها المسلمون لحظة وما وهنوا فى سبيل الدعوة اليها على نحو من الأنحاء.



ولكنهم كانوا دائما يذكرون تلك اللحظة التى يتاح لهم فيها العودة الى الحديث عنها والعمل لها وظلت الخلافة الاسلامية - عونهم فى التضامن الاسلامى والرابطة الاسلامية والاخوة الاسلامية الجامعة - املا كبيرا تجرى فى سبيل تحقيقه عقول كثيرة وتدور أبحاث فى عدد من المؤتمرات العالمية الاسلامية.

واليوم والأمل يتجدد فى بقاء المسلمين على وحدة الهدف والصف وقد بدأت ترتفع اقلام الكتاب وعلى السنة الزعماء كلمة الخلافة الاسلامية متجددة كأمل يشد المسلمين ويربط بينهم . . ان ذلك قد جاء بأسرع مما كان يتصور المتشائمون من اعداء هذه الامة ومن امثال الكتاب التابعين للغزو الفكرى والتغريب الذين كتبوا تحت عناوين من أمثال قولهم «غروب الخلافة الاسلامية» وقد بلغ بعضهم من التعصب والحقد وكراهية هذه الامة الى حد ان يقول فى آخر كتابه :

«وهكذا غربت الخلافة الاسلامية الى الابد».

وهى عبارة حاقدة وليست علمية وبعيدة عن التقدير الصحيح للامور الذى يتسم به المؤرخون القادرون على دراسة أحداث تاريخ الاسلام واطواره والحركات الاسلامية التى تظهر فجأة دون أن تكون مقدماتها قد عرفت الى غير ذلك من ظواهر تاريخ الاسلام التى تجعل هؤلاء الكتاب مثلا للسذاجة وموضعا للسخرية وتدل على قصر نظرهم التاريخى وعلى ما تشوبه قلوبهم من أحقاد على أمتهم وما يجرون وراءه من ارضاء المستشرقين وعملاء التغريب بمثل هذه العبارة الساذجة.

ومن عجب ان يروا ذلك كله ولا يصيبهم الخزى ولا يطأطئون رؤوسهم ذلة وخسة على عجزهم العلمى والفكرى فضلا عن عدم قدرتهم على التمسك بسلامة نفوسهم ازاء أمر هو شرف لهم ورفعة.

نعم لقد جاء اليوم الذى عادت فيه الاحاديث مرة اخرى - ليس بين كتاب مسلمين وحدهم ولا بين دعاتهم - ولكن بين القادة الى طرح فكرة الخلافة مرة اخرى بينما نجد عديدا من المشروعات البديلة للخلافة من امثال فكرة كومنولث اسلامى . . الى فكرة جامعة اسلامية الى فكرة تضامن عام.

وكلها تستهدف تحقيق الغاية الكبرى فى جمع كلمة المسلمين وقيام ذلك الرباط القوى بينهم مرة اخرى بعد ان تراخى قليلاً فى السنوات الخمسين هذه السنوات التى شهدت عشرات من الابحاث والمشروعات والدعوات الى وحدة المسلمين والتى حملت عملا ضخما واضح الحدود والدلالة يجرى الان فى طريقه الى الغاية البعيدة يلتقى فى منبعه أغلب دول العالم الاسلامى وتمضى خطط العمل فيه الى الغاية الكبرى.

نعم لم ينم المسلمون منذ سقطت الخلافة الاسلامية ولكنهم عملوا منذ اليوم الاول ومازالوا يعملون حتى امكن القول بانهم بعد خمسين عاما يجدون انفسهم على الطريق.

سوق للخلايا الشمسية

أعدَّت الدار السعودية للخدمات الاستشارية دراسة متكاملة لاقامة مشروع سوق الخلايا الشمسية بالمملكة وقد راعت الدراسة حجم الطلب الحالى على الخلايا الشمسية فى مناطق المملكة الى جانب دراسة حجم الطلب حسب متطلبات الصناعة ونوعياتها. . وارتفاع التكاليف واستخداماتها والجهود المبذولة لتطويرها داخل المملكة.

هذا وقد انتهت الدراسة الى مناقشة فرص الاستثمار فى عدد من الصناعات وذلك فى اطار الجهود التى تبذل لدعم وتشجيع تقنية الخلايا الشمسية لدفع حركة التطوير التى تشهدها الصناعة فى المملكة بفضل الاهتمام الكبير والدعم المستمر من حكومة جلالة الملك المفدى.

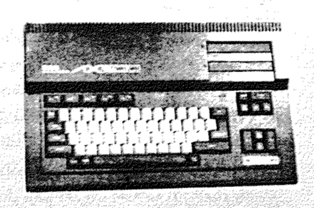
ماء زمزم يجعل الكحل مفيداً للعيون. .

تم بقسم الابحاث بمستشفى الملك خالد التخصصى للعيون بالرياض فحص عينة من الكحل المستعمل للعيون فى المملكة وذلك بعد خلطه بكميات من مياه زمزم وقد اثبتت النتائج المخبرية للتحليل صلاحية هذا الكحل بعد اضافة مياه زمزم له. . كما ان قسم الابحاث بالمستشفى يبذل جهودا كبيرة فى مجال فحص العينات من الكحل وغيره من المساحيق التى يستعملها المواطنون فى المملكة والتى قد تحمل بعضا من الجراثيم مما يسبب بعض الامراض فى العيون وقد يؤدى الى العمى احيانا.

الكمبيوتر «صخر» يدخل المدرسة

ادخلت وزارة المعارف هذا العام للمرة الاولى فى مناهجها تدريس مادة الكمبيوتر لطلبة المدارس الثانوية (الشاملة) مع بداية العام الدراسى وذلك حرصاً منها على مسايرة التقدم العالمى فى نظم التعليم.

وقد وقع اختيار وزارة المعارف على الكمبيوتر (صخر). . نظرا لما يحويه من نظم متطورة فى الكمبيوتر حيث يحتوى على مجموعة كبيرة ومتنوعة من البرامج العملية والمدمجة فى الجهاز وتنفيذ البرامج التعليمية. . كما انه يجمع بين اللغتين العربية والانجليزية معا. . وبطاقة تخزين عالية.



وسيتم تنفيذ البرنامج فى ٢٢ مدرسة ثانوية فى ١٣ منطقة ومدينة.

وجدير بالذكر أن وزارة المعارف سوف تعمم التجربة فى المستقبل على مستوى مدارس المملكة.

المملكة بوابة العبور للعالم

تشارك المملكة ممثلة بوزارة البرق والبريد والهاتف بمعرض لاتصالات «تليكوم» ٨٧ الذى سيعقد فى جنيف بسويسرا خلال عام ١٩٨٧م القادم وسيقام جناح المملكة تحت شعار المملكة العربية لسعودية بوابة العبور للاتصالات بالعالم.

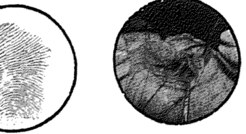
ويبرز الجناح دور المملكة الريادى . . وتشغيل نظام اتصالات دولى تكامل من خلال المجسمات والنماذج والصور والشرائح والافلام النشرات والكتيبات والتى سيتم عرضها خلال المعرض بالشبكات لداخلية والدولية وامكاناتها الخاصة بالعبور مع امكانية زيادتها ورفعها ستقبلا بالاضافة الى ابراز النهضة الحضارية التى تعيشها المملكة فى بال الاتصالات من خلال الادارة الفعالة لمرافق الاتصالات وعملية لتشغيل التى تتم بواسطة المواطنين السعوديين الاكفاء.

وقد شكلت وزارة البرق والبريد والهاتف لجنة ... لتصاميم الخاصة بجناح المملكة.

استخدام البصمة الصوتية بدلا من بصمة اليد

بعد ان كان تمييز الاشخاص وتحديدهم يتم عن طريق تحليل بصمة اليد التى لا يتشابه فيها اثنان اجرى معمل النظم والحسابات بالمركز القومى للبحوث دراسات حديثة ليضيف طريقة جديدة لتمييز الاشخاص وتحديدهم عن طريق الصوت.

يتم ذلك حاليا باستخدام الكمبيوتر حيث يمكن تحديد خواص الصوت الصادر من الشخص عن طريق اخذ كلمة منه ويحلل الكمبيوتر خواص الصوت من خلالها.



ندوة عن جراحة مفصل الركبة فى البحرين

نظمت وزارة الصحة بدولة البحرين اول ندوة لمية عن جراحة مفصل الركبة افتتحها جواد سالم عريض وزير الصحة البحرينى.

وتعد الندوة الاولى من نوعها فى دول المنطقة وقد ارك فيها عدد كبير من اساتذة الطب فى دول العالم نهم أساتذة جراحة العظام فى مستشفيات المملكة ول المنطقة.

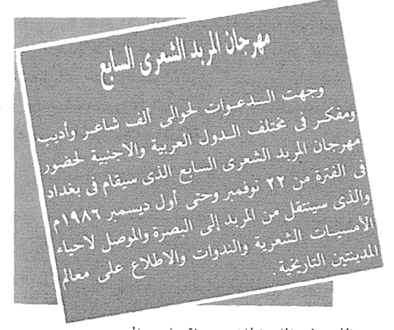
وقد ناقشت الندوة سلسلة من المواضيع ذات علاقة بجراحة مفصل الركبة وزرع مفصل صناعى ركبة وامكانية اجراء مثل هذه العمليات فى مستشفيات منطقة الخليج العربى والاستفادة بخبرات الدول المتقدمة فى هذا المجال.

وتهدف وزارة الصحة البحرينية من وراء عقد هذه الندوة الى اطلاع الاطباء العاملين فى البحرين ودول منطقة الخليج على الاساليب الجديدة فى مجال جراحة العظام والاستفادة من هذه الخبرات.

مؤتمر الثقافة فى دول الخليج العربى

الثقافة تظل دائماً الهاجس الأساسى للقائمين عليها والمشتغلين بها فهى التى تقوم بتشكيل طبيعة الاداء الانسانى ولهذا كان انعقاد مؤتمر وزراء الثقافة لدول الخليج فى شهر محرم الماضى لوضع خطة متكاملة للتنمية الثقافية

وجاء ضمن توصيات هذا المؤتمر: رفع مستوى العمل الثقافى الخليجى وتسهيل قنوات الاتصال بين أبناء المنطقة . . اجراء دراسات لعدد من المشاريع الثقافية . . حماية حقوق المؤلف الخليجى . . تبادل المعلومات والنشرات . . تنسيق العمل المشترك فى مشروع قرية التراث الشعبى الذى يتبناه الحرس الوطنى فى المملكة العربية السعودية . . وتوجيه النشاط الثقافى العام ليكون فى مسار خطة التنمية الثقافية . . وقرر المؤتمرون ان يكون اجتماعهم سنويا . . وسيكون الاجتماع القادم فى شهر سبتمبر ١٩٨٧م باذن الله تعالى .



مهرجان المربد الشعرى السابع

وجهت الدعوات لحوالى الف شاعر واديب ومفكر فى مختلف الدول العربية والاجنبية لحضور مهرجان المربد الشعرى السابع الذى سيقام فى بغداد فى الفترة من ٢٢ نوفمبر وحتى اول ديسمبر ١٩٨٦م والذى سينتقل من المربد إلى البصرة والموصل لاحياء الامسيات الشعرية والندوات والاطلاع على معالم المدينتين التاريخية.



موسوعة الموصل الحضارية

وضعت جامعة الموصل ضمن خطتها لعام ١٩٨٥ـ١٩٩٠ اصدار مشروع موسوعة الموصل الحضارية وقد اقر مشروع الموسوعة ضمن خطة الجامعة الخمسية وتم اختيار هيئة اعداد وتحرير مؤلفة من عدد من الاساتذة والباحثين والمؤرخين والادباء والفنانين يرأسه الدكتور هاشم الملاح استاذ التاريخ فى كلية الاداب بالجامعة وانبثقت عن هذه الهيئة اربع لجان فرعية تتولى الاشراف على مواد الموسوعة حسب الاختصاص.

ويجرى الاعداد للموسوعة بالاستعانة بعدد من الاختصاصيين من الادباء والمؤرخين والفنانين حيث تمت مفاتحة اكثر من (١٥٠) اديباً ومؤرخا وكاتبا وفنانا من الذين لهم المام واطلاع ومعرفة بتاريخ الموصل.

وتهدف الموسوعة الى تسليط الضوء على منجزات الانسان الحضارية فى منطقة الموصل عاصمة الدولة الآشورية (نينوى) وعاصمة اول دولة عربية «الحضر» احد المناطق القريبة والتابعة لمنطقة الموصل وعلى الفترات التاريخية المختلفة لهذه المدينة التى دخلت الاسلام صلحاً.

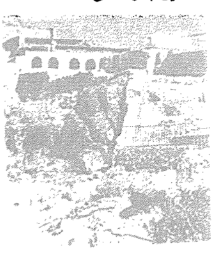
ويتحدد مشروع الموسوعة بكتابة تاريخ حضارة المنطقة سابقاً وحاضراً ومستقبلاً.

والموسوعة التى ستنجز فى آخر مراحلها فى عام ١٩٩٠ ستصدر باجزائها وتدفع للطبع خلال هذه الاعوام حال الانتهاء من كل جزء ليكون بين يدى القراء.

اكتشاف قمرين جديدين فى حلقات زحل

عثر العلماء الامريكيون على آثار لوجود قمرين جديدين وسط حلقات زحل يساعدان على اعادة تشكيل الحلقات المكونة من قطع الثلج.

وذكر البروفسور لين تايلر الباحث فى مركز الرادار الفضائى فى جامعة ستانفورد (كليفورنيا) وأحد القائمين بدراسة فى هذا الشأن ان



هذين القمرين يقعان بين اثنتين من الحلقات الرئيسية لزحل فى «تقسيم كاسينى».

وقد أُكتُشِفَ حتى الآن قمر واحد وسط حلقات زحل ثانى اكبر كوكب فى المجموعة الشمسية.

وقد تم اكتشاف وجود هذين القمرين حين ارسل المجس «فوياجر١» موجات لاسلكية فى اتجاه الارض ولكنها احدثت «تموجات غريبة».

وذكر تايلر وشابهان ان وجود هذين القمرين يمكن ان يفسر كيفية استمرار حلقات زحل. وتتكون هذه الحلقات من تراكم قطع الثلج التى يتراوح حجمها بين حبة البازلاء الصغيرة وبين منزل وبالتالى فمن الطبيعى ان تكون لها فترة حياة محدودة. ويمكن للاقمار ان تقدم المادة الضرورية لاعادة تشكيلها من جديد.

بحوث عن حماية ابناء المسلمين من القيادات الالحادية

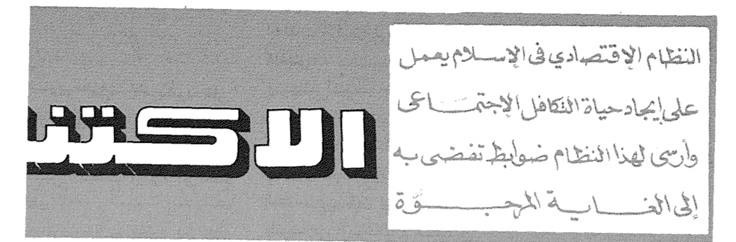
صرح صاحب الفضيلة محمد عاكف مدير المركز الاسلامى بميونيخ فى المانيا الاتحادية أن المؤتمر الاسلامى الثانى الذى نظمه المركز قد ناقش عددا من البحوث التى تستهدف حماية ابناء المسلمين فى الدول غير المسلمة من القيادات الالحادية التى تسعى لتقويض الاسلام.. وقد ركز المؤتمر مناقشاته حول التربية وآثارها فى تنشئة الجيل على أسس صحيحة.

٣٧ متحفا أثريا فى كافة مناطق المملكة

اعتمدت وزارة المعارف ضمن خطتها التى تستهدف انشاء متاحف اثرية فى جميع انحاء المملكة حوالى ٣٧ دارا اثرية فى بعض مدن المملكة لترميمها واعادة اصلاحها وتحويلها الى متاحف اثرية تعرض فيها كافة آثار المنطقة.

وسيتم التنسيق مع البلديات وبعض الجهات الاخرى لتصوير المناطق الاثرية وعمل مجسمات جمالية اضافة الى انشاء اجنحة خاصة توضح مراحل تطور كل مدينة.. كما تقوم الادارة العامة للاثار بالوزارة بجهود كبيرة لمسح جميع المناطق الاثرية فى المملكة وتحديدها وتصويرها وتسجيلها تمهيدا لانشاء مركز معلومات متكامل خاص بآثار المملكة.

وتقوم ايضا باعمال مسح بحرية على سواحل البحر الاحمر والخليج لتحديد بعض المواقع التى يوجد بها سفن غارقة او اماكن اثرية مطمورة فى المياه.. وقد عثر بالفعل على موقع اثرى هام جنوب جدة فى منطقة الشعبية بالاضافة الى مواقع اخرى شمال البحر الاحمر.. وهى تقوم ايضا بترميم بعض القلاع الاثرية حيث تم اكتشاف ما يزيد على ١٥ قلعة اثرية



الكنز فى اللغة ـ اسم للمال إذا أحرز فى وعاء وقيل الكنز المال المدفون فى الأرض واصله فى اللغة الضم والجمع ولا يختص بالفضة والذهب فقد قال ﴿ﷺ﴾ (ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء . ؟ ـ المرأة الصالحة)(١) قال الطبرى الكنز كل شيىء مجموع بعضه الى بعض فى بطن الأرض او على ظهرها ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم واكتنز الشيىء اجتمع(٢)

وقد توعد الله سبحانه مكتنزى الذهب والفضة بعذاب شديد **﴿يوم يُحمى عليها فى نار جهنَّم فتُكْوى بها جباهُهُم وجنوبُهُم وظهورُهُم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾**.

وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه عند مسلم (بشر الكانزين برضف يُحمى عليه فى نار جهنَّم فيوضع على حلمة ثَدْى أحدهم حتى يخرج من نُغْضِ كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل ـ قال فوضع القومُ رؤوسَهم فما رأيت أحداً منهم رجع إليه شيئا . . قال فأدبر فاتبعته حتى جلس الى سارية . . وفى رواية ثم تنحى فقعد . . فسألته قال : ماقلت إلا شيئا قد سمعته من النبى ﴿ﷺ﴾ قال قلت فما تقول فى العطاء؟ . . قال خذه فإن فيه اليوم معونة فإذا كان ثمنا لدينك فدعه(٣) .

وقد انقسم السلف الصالح رضوان الله عليهم فى معنى الكنز الى فريقين :

١ ـ المذهب الاول ـ ان الكنز هو مالم يؤد زكاته فإذا أديت زكاته فليس بكنز.

٢ ـ المذهب الثانى ـ مذهب ابى ذر رضى الله عنه أن كل ما زاد عن حاجة الانسان كنز لا يجوز الاحتفاظ به كيلا يتعرض صاحبه للوعيد الشديد فى الآية والحديث المتقدم . واتفاق الجمهور على أن الحق هو المذهب الأول . . المراد بالكنز مالم يؤد زكاته ـ فقد نقل ابن كثير عن ابن عمر أن الكنز هو المال الذى لا تؤدى زكاته وروى الثورى عن نافع عن ابن عمر قال ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين . . وما كان ظاهراً لا تؤدى زكاته فهو كنز.

وقال عمر رضى الله عنه أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفوناً فى الأرض وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يُكْوَى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض . . وروى مثل ذلك عن ابن عباس وجابر وابى هريرة موقوفا ومرفوعاً(٤) واخرج الحاكم عن جابر (اذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره) . . واخرج الترمذى عن ابى هريرة (اذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك) . . واخرج ابن ابى شيبة عن ابن عباس (إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقى منْ اموالكم) (٥)

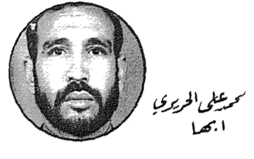


وبما يعضد هذا المذهب الأدلة التالية :

(١) تحديد انصبة الزكاة فليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ـ وصدقة نكرة فى سياق النفى فهى تعم كل صدقة . . ونصاب الزكاة الأصل فيها زيادته على الحاجة او عندما أخبر النبى ﴿ﷺ﴾ ضمام بن ثعلبة بفريضة الزكاة قال هل عَلَيَّ غيرها . . قال لا إلا أن تطَّوَّع ـ وقد قال سبحانه **﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾** .

(٢) كان فى الصحابة رضوان الله عليهم نفر من الاغنياء كعبد الرحمن بن عوف وعثمان رضى الله عنهما وكان عندهم من المال كميات كبيرة وهم من العشرة المبشرين بالجنة .

(٣) أنه صلى الله عليه وسلم ندب الى اخراج الثلث فى المرض ولو كان الكنز يعم كل مازاد عن الحاجة لأمر صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالمال كله ولأمر النبى ﴿ﷺ﴾ الرجل الصحيح بذلك .



(٤) اخرج ابو داود عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾** كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع أحد منا لولده مالا يبقى بعده فقال عمر أنا أفرج عنكم . . فانطلق عمر ومعه ثوبان فقال : يا نبى الله انه قد كبر على اصحابك هذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقى من أموالكم وانما فرض المواريث من أموال تبقى بعدكم(٦) .

وقد قيل ان الآية منسوخة بآيات الزكاة . . وقيل انها فى أهل الكتاب والراجح عمومها . . ولا يخفى أن ما أديت حقوقه فلا بأس بادخاره وهو كالضرورى عند عامة المسلمين(٧) . . وناسخها عند القائلين بالنسخ قوله تعالى **﴿خذ من أموالهم صدقة تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهم بها﴾** ويؤيده حديث البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما «من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما انزلت جعلها الله طهراً للاموال(٨) .

وقد قال معاوية رضى الله عنه إن الآية نزلت فى أهل الكتاب وعارضه ابو ذر رضى الله عنه قائلا انها لفينا وفيهم(٩) .

ويمكن مما تقدم ترجيح قول الجمهور بأن ما أديت

زكاته فليس بكنز مهما بلغ حجم هذا المال وسواء استثمر ام لا . . خرج الى حيز التداول ام لا . . وحمل راية هذا القول عبد الله بن عمر وجمع غفير من الصحابة(١٠).

المذهب الثاني : يرى ابو ذر رضى الله عنه أن كل ما زاد عن الحاجة كنز وقد ذكرت حديثه عند مسلم وينسب إليه قوله (الكنز مافضل عن الحاجة) فهو يحرم على الانسان ادخار كل ما زاد عن حاجته . . وقد نقل ابن عبد البر آثاراً كثيرة فى هذا الباب ثم ذكر عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال «كان ابو ذر يسمع الحديث من النبى ﴿ﷺ﴾ فيه الشدة ثم يخرج الى قومه ثم يرخص فيه النبى ﴿ﷺ﴾ فلا يسمع الرخصة ويتعلق بالأمر الأول»(١١).

وبما يؤثر مذهب ابى ذر رضى الله عنه :

- حديث على رضى الله عنه «أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما فوقها كنز»(١٢).
- وحديث ابى امامة الباهلى (توفى رجل من أهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال ﴿ﷺ﴾ كية ثم توفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال ﴿ﷺ﴾ كيّتان)(١٣).
- عموم الاحاديث المتعددة فى تعذيب الكانزين ـ ولا شك أن مذهب ابى ذر رضى الله عنه فيه من الشدة والبت ما يتناف مع روح اليسر ورفع الحرج الذى اتسمت به الشريعة وقد قال له كعب الاحبار «يا أبا ذر إن الملة الحنيفية أسهل الملل واعدلها وحيث لم يجب انفاق كل المال فى الملة اليهودية وهى أضيق الملل واشدها كيف يجب فيها»(١٤) وقد كان الناس يقرأون آيات المواريث فيقولون لو وجب انفاق كل المال لم يكن لآيات الميراث وجه.

وقد حاول بعض السلف ايجاد محمل يتأول به قول ابى ذر: فقال القاضى عياض (الصحيح أن انكاره انما هو على السلاطين الذين يأخذون لأنفسهم من بيت المال ولا ينفقونه فى وجهه) وقد رد النووى هذا التأويل قائلاً «وهذا الذى قاله القاضى باطل لأن السلاطين فى زمنه لم تكن هذه صفتهم ولم يخونوا بيت المال انما كان فى زمنه ابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنه»(١٥) وقد توفى فى زمن عثمان ٣٢هـ . . وحتى ما يمكن أن يتفوه به من لا يرعى مقام الصحبة بوقوعه بمعاوية رضى الله عنه فان معاوية رضى الله عنه مع اجلال لعلم ابى ذر ومكانته لم يقل له شيئا وانما رفع الأمر الى عثمان رضى الله عنه وان خلافهما فقهى بحت ومعاوية كان أبر وأتقى لله عز وجل من أن تمتد يده الى المال بأسلوب الى مقام صحبته للنبى ﴿ﷺ﴾.

الجمع بين الرأيين : يبدو أنه من المستحيل الجمع بين قولين متباعدين كقول الجمهور وقول ابى ذر المتقدمين والتأويلات التى طرحها ابن حجر فى فتح البارى غير مقنعة . . وللتوفيق بين هذين القولين لابد من ملاحظة قول الصحابى شداد بن أوس أن أبا ذر رضى الله عنه كان يفوته بعض البيان النبوى ويبنى رأيه على نصوص أعقبها تخفيف وتيسير لم يبلغه فيما بعد.

●● والجمع الوحيد بين هذين القولين هو وضعهما فى سياقهما التاريخى وذلك بفهم قول ابى ذر على أنه كان قبل فرض الزكاة وان حرمة الاكتناز كانت تدبيراً ضروريا لمواساة فقراء المهاجرين فى وقت الضعف والحاجة حيث لم يكن فى بيت المال ما يسعهم وكانت جوائح السنين تستهلك ما معهم فنهى المسلمون عن امساك المال إلا قدر الحاجة(١٦).

●● ونتيجة هذا الجمع يترجح معنا أن الحق مع جمهور الصحابة فى قولهم المشهور **«كل ما أديت زكاته فليس بكنز»** ولكن هل يؤخذ بهذا القول على ظاهره فنجيز الاكتناز مطلقاً بعد أداء زكاة المال وحبس الباقى فى الصناديق؟ وقبل الاجابة على هذا السؤال

لابد من الاشارة الى قول ثالث نقله القرطبى فى تفسيره ومضمونه: ان الكنز هو ما لم تؤد منه الحقوق المعارضة كفك الأسير واطعام الجائع بالاضافة الى حق الزكاة ويمكن ترجمة هذا القول الثالث بقولنا:

هل فى المال حق سوى الزكاة.؟

بالرغم من وجود خلاف بين الفقهاء فى هذه المسألة إلا أن الخلاف بسيط حيث يتفق الفقهاء على وجوب النفقة فى المال لمن تجب نفقته على المسلم من الوالدين والاقارب.. ووجوب حق المضطر للقوت والكساء والمأوى.. وحق الماعون بين الجيران.. ودفع الضرر عن المسلم كواجب كفائى ينهض به المسلمون من خلال التكافل الاجتماعى فى الاسلام.. هذا الى جانب حق جماعة المسلمين فى دفع ما ينوبهم من النوازل والكوارث.. وقد استدل الموجبون لحق غير الزكاة فى المال بأدلة قوية منها(١٧):

(١) قوله تعالى ﴿ليس البرَّ أن تُولوا وجوهَكُم قِبَلَ المشرق والمغرب ولكنَّ البرَّ مَنْ آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حُبِّه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾.. **فايتاء المال للمحتاجين فى صدر الآية هو شيىء غير الزكاة المقترنة بالصلاة.**

(٢) حديث فاطمة بنت قيس قالت سألت النبى ﴿ﷺ﴾ عن الزكاة فقال إن فى المال حقاً سوى الزكاة ـ والحديث وان ضعَّفه الترمذى لكنه يعتضد بالآية التى تعد بمفردها حجة بالغة.

ولا يقال ان المراد بالآية هو التطوع والصلة لا الوجوب لأن الآية جاءت رداً على اليهود المتمسكين بالمظاهر والاشكال.. ومبينة للبر الحقيقى بأركانه وفرائضه لا نوافله ومكملاته. فالصلاة والزكاة والوفاء والصبر فى البأساء والضراء كلها عناصر اساسية فلماذا يكون ايتاء المال وحده من بينها هو النافلة والمندوب.

(٣) استدلوا بقوله تعالى ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ وهى آية مكية نزلت قبل بيان فريضة الزكاة بمقاديرها ونصبها ولأن زكاة الزروع والثمار لا تكون الا بعد تنقيتها لا يوم الحصاد. وقد جادل ابن حزم لنصرة هذا المذهب وعضده بالأدلة الوفيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية ثم قال: وما نعلم عن أحد منهم خلاف هذا إلا عن الضحاك بن مزاحم فإنه قال: نسخت الزكاة كل حق فى المال ورواية الضحاك ليست حجة فكيف برأيه ـ ١٠٠هـ ولكنه ثقة عند الجمهور.

وبهذا يمكن تلخيص الاكتناز بأنه المال الذى لم تؤد منه الحقوق الواجبة ولم يؤد حق الزكاة منه.. بعد استبعاد الرأى القائل بأن كل ما زاد عن الحاجة فحبسه كنز يستوجب الوعيد فى الآية.

رأى جديد يوسع مفهوم الكنز:

صدر مؤخراً كتاب بعنوان «التمويل الداخلى للتنمية الاقتصادية فى الاسلام» للاستاذ على خضر بخيت ويبدو أنه أطروحة لنيل شهادة عالية من جامعة ام القرى وذكر المؤلف بعد سرد اقوال السلف فى الموضوع ـ ان الظروف التى حرم فيها الاكتناز فى صدر الاسلام شبيهة بظروف المسلمين اليوم حيث انتشرت المجاعات وتعطلت التنمية لضعف التمويل وتعطيل أرصدة المسلمين واكتنازها.. ولهذا فإن تعطيل المال وحبسه عن الدخول فى مجال التنمية يدخل فى مفهوم الكنز ووعيده ـ ذلك ان استثمار المال فى الاسلام وان حقق مصلحة خاصة لمالكه لكنه ايضاً يحقق مصلحة للمجتمع.. واستدل لرأيه المتقدم بتفسير الجصاص للآية ـ والذين يكنزون الذهب.. أنه يقتضى انفاق جميع المال لأن الوعيد لاحق بتارك انفاق الجميع حيث ذكرت الآية ﴿ولا ينفقونها﴾ ولم تقل ولا ينفقون منها

ـ ومن هنا فان توظيف المال استثماريا يعتبر حقاً مترتبا على المال لابد من ادائه بصبه فى المجال الانتاجى(١٨) .



وقبل مناقشة هذا الرأى الجرىء لابد من توسيع افق النظر الى الوظيفة النقدية بحدُ ذاتها ضمن النقاط التالية :

- النقود تعتبر نامية بالقوة ولو لم تنمُ بالفعل .
- وظيفة النقود فى اختزان القيم .

(١) النقود نامية بالقوة ولو لم تنمُ بالفعل :

من المعروف أن الاموال الزكوية يشترط فيها النماء لزكاتها فالمال الذى تؤخذ منه الزكاة لابد أن يكون نامياً بالفعل او بالقوة ـ امكانية النماء ـ ومعنى النماء أن يكون من شأن المال أن يدر غلة وربحاً او إيراداً ـ ومن هنا نبه ﴿ﷺ﴾ على الاتجار بأموال اليتامى فقد روى الشافعى باسناده عن يوسف بن ماهك قال «ابتغوا فى مال اليتيم لا تذهبها أو تستهلكها الصدقة» وعن انس بن مالك ـ قال قال صلى الله عليه وسلم «اتجروا فى اموال اليتامى لا تأكلها الزكاة»(١٩) لأن مال اليتيم اذا ترك بلا تنمية واستثمار مع استمرار زكاته سيؤول الى النضوب ولهذا وجب على الاوصياء تنمية المال كيلا تستهلكه الزكاة .

- وقد فهم الفقهاء هذا الشرط من مفهوم عدم الزكاة فى الفرس والعبد والمقتنيات التى عزلت عن التجارة مما يدل على اشتراط نماء المال لوجوب الزكاة فيه .
- واكتفى بقيام سبب النماء وامكانيته مقام النماء نفسه . . ولأن النقود قابلة للنماء وبتقليبها فى التجارة وجبت زكاتها مطلقاً نمت أو لم تنم . . وهذا صرف للنقود الى مجال الاستثمار ونهى عن اكتنازها لأن دورها الاساسى هو اجراء عمليات التبادل فى الاسواق لأنها مقياس قيم الأشياء ووسيلة تبادلها ـ وكانزها مسؤول عن تعطيلها(٢٠) .

(٢) وظيفة النقود فى اختزان القيم :

لم يكن بوسع الافراد اختزان السلع التى يتسارع إليها الفساد كما لم يتمكنوا من معرفة السلع التى يحتاجونها فى المستقبل ـ اما المجتمعات فلابد لها من تكديس السلع وخزنها للظروف الطارئة . . ولا فائدة للمجتمع فى اختزان النقود والذهب لأنها لا تسد جوعاً ولا تدفع عطشاً ـ ان احتراق حزمة من الورق النقدى انما تنقص ثروة مالكها وحده ولا يتضرر المجتمع من ذلك بشكل ملموس بينما يتضرر المجتمع باحتراق مستودع للغلال وقد يتعرض لكارثة غذائية .

فالنقود مستودع للقيم بالنسبة للأفراد فقط أما الممتلكات الاجتماعية فلابد أن تكون مدخرات سلعية لا نقدية ولا يصح لدى المجتمع اختزان النقود للقيمة التى يحتاجها المجتمع .

ووظيفة اختزان النقود للقيمة تتبع عملية الانتاج نفسها فالمنتج يدخر جزءاً من دخله لسد حاجاته المستقبلية اذا توقف عن العمل لسبب طارىء(٢١) .

فكانت النقود كالبطاريات التى تختزن الكهرباء . . ومن سوء حظ البشرية أن هذا المخزن انتقل من الجراب الى خزانة الحديد . . الى البنوك . . الى التراكم الرأسمالى . . ثم تطورت هذه الصلة بين النقود والعمل الى أن اصبح النقد سجنا للعمل ومهيمنا عليه فى ظل الرأسمالية لاخازناله . . وسرت هذه المقولة الى الدول الفقيرة فاقتنعت ان دخولها مجال التنمية يمر عبر دخولها من باب رأس المال الذى يختزنه الاغنياء فى المصارف ولا يمنحونه للفقراء الا بشروط قاسية تفرضها المؤسسات المالية(٢٢) .

ويجب الانتباه الى أن اختزان النقود للقيم يتبع الحالة

الاقتصادية فانخفاض الاسعار يجعل الناس يحتفظون بالسيولة فى أيديهم اما اذا ارتفعت الاسعار فيفضل الناس التخلى عن نقودهم ليحتفظوا بالسلع التي قد ترتفع اسعارها فى المستقبل وهذه الاضطرابات تلحق الاضرار الفادحة بالاستقرار الاقتصادي..

لقد اشتد خلاف الفقهاء حول وظيفة اختزان القيم فى النقود بين مانع ومجيز ولكن اتفاقهم على شركة المضاربة يعتبر موافقة على أن النقود ـ رأسمال المضاربة ـ تشكل عملاً مختزنا فى صورة نقدية التقت بعمل العامل فى شركة تدخل مجال الانتاج والتبادل والتقليب فيصح اقتسام الربح بينهما.

ومع اعتراف الامام الغزالى بهذه الحقيقة إلا أنه يرفض وصف النقود بأنها مخزن للقيمة ويصر على منع اكتنازها لاسباب اقتصادية بحتة. بينما يرى ابن خلدون أنه لا جدال فى اختزان النقود للقيم.

●●

التصرف فى المال جزء من السياسة الإجتماعية العليا ومن هنا يكون الحجر على التصرفات المالية للسفيه

إستثمار الأموال يحقق مصلحتين إحداهما لصاحب المال والأخرى للمجتمع

●●

ولقد استمر الخلاف الى عصرنا حيث يرى الدكتور (محمود ابو السعود) منع النقود من اختزان القيمة قائلا «إن هذه الوظيفة نشأت فى ظروف رأسمالية. وقد اتفق المفكرون ان النقود لا تتصف بالقيمة الذاتية وحتى قيمتها التبادلية لا يحددها مقابلة العرض والطلب فى السوق. . اضف الى ذلك أن القيمة نفسها فكرة نسبية لا تقبل الاختزان وعندما أضْفَت الرأسمالية على النقد صفة اختزان القيمة كان ذلك حجة لتبرير الربا وافساداً لوظيفة النقود»(١٣).

ومن هنا نادى الدكتور «ابو السعود» بتطبيق تجربة ـ بلدية فيرحيل ـ فى النقد الذى تتناقص قيمته شهرياً حتى يفقد قوته الابدائية نهائياً بعد فترة زمنية وذلك كوسيلة لمنع الافراد من اكتناز النقود وعزلها عن مجال التداول.

ولقد نسى الدكتور أن النقود مال زكوى يشترط فيه الحول لوجوب الزكاة وتطبيق هذه التجربة تسيىء الى شرط الحول فى الزكاة(٢٤).

●● ان انكار صفة اختزان القيمة فى النقود غير مقبول لأن اختزان القيمة فى صلب وظائف النقود ونشوئها فى ظل الرأسمالية لا يعنى فسادها مطلقاً بل يعنى سوء استعمال الانسان لهذه الوظيفة وتوفر نصاب الزكاة ومرور الحول عليه كشرط لأداء الزكاة وممارسة رأس المال لدور فى شركة المضاربة هو اعتراف شرعى بهذه الوظيفة.

●● لقد اختزنت النقود القيم قبل الرأسمالية بقرون وكل ما فعلته الرأسمالية هو توجيه هذه الوظيفة واستخدامها بشكل يسيىء الى الوظيفة النقدية.

ولايضاح ذلك: لنرجع قليلاً الى الوراء ففى عصر المقايضة كانت عمليتا البيع والشراء عملية واحدة ولم

يكن بوسع أحد من الناس اختزان سلعته حيث لابد له من اشباع حاجاته المتعددة ومواجهة ذلك بمبادلة مالديه بما عند الآخرين.

ولكن اكتشاف النقود فصل عمليتي البيع والشراء واصبح كل فرد يمكنه أن يكون بائعاً حينا ومشترياً حينا آخر. . وظهرت مساوىء الاكتناز وآثاره الاقتصادية فقد سئل احد الاقتصاديين ما الذى يمنعنا من الحصول على الطيبات ويمنع دخولها الى الاسواق. . فاجاب ان الحاجز هو النقود التى اغلقت مجال التبادل بانصرافها الى الصناديق وعدم تداولها.

إن امساك المال واكتنازه يعنى ـ تقليل عرض النقود ـ وبقلة عرضها يقل الطلب فتنخفض اسعار السلع فى السوق وتزداد مخاوف الدائن لعسر المدينين مما يؤدى لتوقف اصحاب رؤوس الأموال عن الاقراض طمعاً فى زيادة قوتها الشرائية فى المستقبل كما يتوقف المستهلكون عن الشراء طمعاً فى انخفاض جديد للاسعار ـ وهكذا تتكدس الاموال فى البنوك ـ ولو انخفض سعر الفائدة ـ وبتكدس النقود تقل السيولة المتداولة (كمية وسرعة). . وتنخفض الاسعار وتنشأ ظاهرة الهبوط كأزمة اقتصادية . . ويعانى المجتمع من ويلات الكساد والبطالة.

ولهذا دأبت الشريعة الاسلامية على مقاومة الاكتناز ومنع حبس المال فوجهت المسلمين الي ابقاء المال في التداول وكانت الزكاة علاجاً للناحية الضرورية التي لابد من توفرها لاستقامة الوظيفة النقدية في الحياة الاقتصادية(٢٥).

فعندما يرد الغني زكاته على الفقراء سيؤدى ذلك الي زيادة منفعة النقود الحدية للفقير والغني وترتفع فائدة المال بنشاط قياس السيولة في السوق وزيادة الطلب وهذا وحده يخفف من موجة الكساد فاذا اضفنا للزكاة مقاومة الاسلام للربا والفائدة بشتى اشكالها عرفنا كيف حصر الاسلام تيار النقود لصبه مباشرة في مجال التداول والانتاج.

أن ظاهرة الهبوط هى التى أوحت إلى اللورد ـ كينز ـ بنظريته الخاصة فى محاربة الأزمات الاقتصادية عن طريق ضخ كميات من النقود فى التداول ـ تطبعها الدولة (تقترضها من بنك الاصدار نظير سندات على الخزانة) وتنفقها فى السوق بمشروعات عامة تقاوم البطالة وقد انتقد الدكتور (ابو السعود) هذا الحل لما فيه من الخطورة حيث تتحمل الحكومة اعباء الاوراق المالية فى حال استمرار الاصدار فترة طويلة ولو ارادت بيعها لامتصاص النقود التى اصدرتها سوف لا يشتريها مالكو النقود الا بفائدة باهظة تتحملها الدولة. . وفى حال اصرار الدولة على خفض فائدتها ستظل كمية النقود كبيرة جداً بالنسبة للطلب الفعلى فيحدث التضخم الناجم عن معالجة الهبوط فتتدهور قيمة السلع والنقود ـ فاصبح التضخم مرض الدول التى عالجت أزماتها بالوصفة الكينزية(٢٦) فكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار الملتهبة.

النتيجة:

لقد عرفنا كيف انقسم فقهاؤنا فى موقفهم من الاكتناز الى ثلاثة آراء تعرضنا أخيراً لرأى جديد يرى وجوب استثمار المال كجزء من حرمة اكتنازه ولكن هل يصح مطلقاً أن نمنع الناس من اكتناز اموالهم اذا أدوا زكاتها؟.

- ان تكدس الاموال فى خزائن نفر من ضير القرون يجعلنا على يقين أن ما أدى زكاته فليس بكنز مع اعترافنا بأن الاسلام يوجه اتباعه الى صب المال فى

التداول حتى بعد أداء زكاته ولكن هل ذلك على الوجوب؟.

● ان الانسان بطبعه وفطرته يحب المال ويسعى الى اكثاره وتنميته.. وعندما يبدد الانسان ماله تبديداً بلا فائدة يحجره الاسلام ويمنعه لأن التصرفات فى المال جزء من السياسة الاجتماعية العليا للأمة.. والانسان السوى سيسعى لاكثار ماله وتنميته بالفطرة وحب المال ولا حاجة فى ذلك الى قاعدة شرعية.

●● فالمسلم لا يقعد بماله ينفق منه ويزكيه دون تأمين مورد مستقبلى له يحفظ له عدم نضوب المال وابقاء شيء لورثته



● واذا رأت السياسة الرشيدة المسلمة وجوب استنفار كل القدرات المالية للمجتمع وشعر المسلم بموقف جدى يطرحه اناس ثقات مؤتمنون فى سلوكهم وامانتهم فلا شك أنه سيسارع الى ترك الاكتناز والاسهام فى مجال التنمية.

● واذا مرت الأمة بمجاعة او فقر شديد يستشعر المسلم مسؤوليته امام الله سبحانه ويبذل ما لديه شكراً لله سبحانه وسدا لحاجة اخوانه المسلمين.

فلتقم التنمية فى ديار الاسلام بشكل يضمن الاموال ويحفظها من الضياع والخيانة وسوف نرى أنه لن يكون رأس المال عائقاً من عوائق التنمية.

● وقد بدأ المسلمون والحمد لله تجربة البنوك الاسلامية التى تتقدم بخطى ثابتة لاشادة بنيان الاقتصاد الاسلامى وابطال اكذوبة الاستقطاب بين أمرين لا ثالث لهما الشيوعية والرأسمالية.

الهوامش

(١) لسان العرب - ابن منظور ٥/ ٤٠١ دار صادر ومعجم الاقتصاد الاسلامى - د. احمد الشرباصى ص٣٨٨.
(٢) فتح القدير للشوكانى ٢/ ٣٥٦
(٣) شرح مسلم للنووى ج٧ ص٧٨ - المطبعة المصرية.
(٤) اضواء البيان - للشنقيطى ج٢ ص٤٣٢
(٥) فتح البارى - ابن حجر ٣/ ٢٧٢
(٦) فتح القدير للشوكانى ٢/ ٣٥٧ وسنن ابى داود كتاب الزكاة باب فى حقوق المال.
(٧) اضواء البيان للشنقيطى ٢/ ٤٣٣
(٨) فتح البارى ٣/ ٢٧١
(٩) فتح القدير للشوكانى ٢/ ٣٥٨
(١٠) اضواء البيان للشنقيطى - المصدر السابق.
(١١) اضواء البيان للشنقيطى ٢/ ٤٣٤ وفتح البارى ٣/ ٢٧٣
(١٢) فتح القدير للشوكانى ٢/ ٣٥٧
(١٣) مسند احمد ٥/ ٢٥٢.
(١٤) روح المعانى للالوسى - دار الفكر ٤/ ٩٧
(١٥) شرح مسلم للنووى ٧/ ٧٧
(١٦) القرطبى - الجامع لاحكام القرآن ٨/ ١٢٥ - دار احياء التراث العربى
(١٧) فقه الزكاة - د. يوسف القرضاوى ص٩٦٤-٩٩.
(١٨) التمويل الداخلى للتنمية الاقتصادية فى الاسلام - على خضر بخيت ص١٠٦-١٠٨
(١٩) فقه الزكاة د. يوسف القرضاوى ١/ ١٠٩
(٢٠) المصدر السابق ص١٤١
(٢١) النقود والبنوك - د. محمد زكى شافعى ص١٦
(٢٢) المسلم فى عالم الاقتصاد - مالك بن نبى ص ٧٠ - دار الفكر بدمشق.
(٢٣) خطوط رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى - د. محمود ابو السعود - ص٣٠ - الندوة العالمية.
(٢٤) الاقتصاد الاسلامى - د. محمد منذر قحف ص١٦٩ - دار الرسالة.
(٢٥) خطوط رئيسية فى الاقتصاد الاسلامى - د. محمود ابو السعود ص٣٣
(٢٦) المصدر السابق ص٣٤ طبع الندوة العالمية للشباب الاسلامى.



المتنبؤون الجدد

لقد عرف التاريخ العربى عبر فتراته الطويلة خروج عدد من المتنبئين . . عرف منهم **«طليحة»** و**«عيهلة»** و**«مسيلمه»** و**«أم صادر»** . . عرف اخبارهم وتعاويذهم . . كما عرف مصيرهم الذى آلوا اليه بعد ان انكشف غطاؤهم وظهر زيفهم وثبت خبالهم .

●● قلت : والتنبؤ ظاهرة سلوكية غريبة ذات اسباب كثيرة ترتبط بالشخصية وما قد تتعرض له من مضاعفات وضغوط مختلفة . . هذه الضغوط قد تكون غير ارادية عندما تعصف بالشخصية عوامل نفسية غير طبيعية تُسيِّرها تسييرا غريبا يخالف المألوف والمعقول كما هو الحال فى ذلك العجوز الامريكى الذى رشَّح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة الامريكية وهو لا يملك الا آلة موسيقية بالية أهداها له احد اصدقائه ليكسب بها عندما يعزف على رصيف احد الشوارع الخلفية فى حى «مانهاتن» فى مدينة نيويورك .

● وتكون هذه الضغوط ارادية عندما ينعطف السلوك الشخصى إلى منحنى عاطفى يتأثر بنوع غريب من الطموح الساذج فينفرد الاستعلاء بهذا السلوك ثم ينزع بنفسه الى ادعاء النبوة . ورغم ان هذا الادعاء يكون فى بدايته اراديا الا انه يتحول الى سلوك غير ارادى فيصدق الكاذب نفسه ويستمر فى هذا الكذب ويفعل كل شيء من أجل تصديقه والاعتراف بما يقوله .

●● قلت : ولظاهرة التنبؤ فى العصر القديم والحديث أسباب عدة ـ منها : كما قلنا انعطاف الشخصية تحت تأثير سلوكى معين يجد مصدره فى البيئة ومؤثراتها الاجتماعية والسياسية . وفى عنفوان هذا السلوك تشرئب النفس الى مكانة أعلى من مكانتها ووزن أثقل من وزنها ظنا أنها تملك الخصائص التى يملكها الانبياء الحقيقيون . . ذلكم هو مثلُ عامر بن الطفيل حين قال له قومه : ان الناس قد اسلموا ياعامر فأسلم فقال لهم : والله لقد آليت الا انتهى حتى تتبع العرب عقبى . . فأتَّبِعُ عقب هذا الفتى من قريش؟ وعندما وفد الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان قد اتفق مع «اربد بن قيس» على القتل فجعل يشغله بالحديث حتى يعلوه اربد بالسيف فيقول : اتجعل الأمر لى سنة ولك أخرى، أو يكون لى الوبر ولك المدر . وان لم تفعل لاملأن عليك الارض خيلا جروا ورجالا مروا ولأربطن بكل نخلة فرسا .

●● وذلكم هو مثلُ ابى الطيب احمد بن الحسين

الأدب بمفهومه العام فيه متسع للأخذ من كل فن بطرف ولعله من هذا المنطلق جاءت هذه الخطرات النفيسة لفتاة ذكية خفيفة الظل عميقة المعنى





(المتنبيء) حين عاش بين قبائل بنى كلب فى السماوه ينشد شعره وآماله.. يتحرق فى تطلعه الى السيادة والرئاسة فزعم من أجل ذلك النبوة وتبعه خلق كثير من البادية وتحدى من انكر عليه نبوته .

والفرق بين الاثنين ان عامراً أصر على ادعائه وعاد مع وفده ولم يسلم فادركته دعوة النبوة الحقيقية واصابه الطاعون فمات فى بيت امرأة سلولية وعند نزعه كان يردد تحسره: اغدة كغدة البكر وموت فى بيت امرأة من سلول.. اما ابو الطيب فقد تخلى عن ادعائه بعد ان عانى بسببه الشيىء الكثير ولكن اللقب ظل ملتصقا به رغم كرهه له وكانت مملكة الشعر هى الملاذ والبديل الوحيد لمملكة الارض التى كان يحلم بها.

وما الدهر الا من رواة قصائدى
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا
وغنى به من لا يغنى مفردا

●● والى جانب انعطاف الشخصية كسبب فى ظاهرة التنبؤ هناك اسباب اجتماعية وعنصرية يستشرف المتنبيء من خلالها بلوغ غرض معين له أو لقومه او طائفته فيلجأ الى ادعائه ظنا منه انه لن يصل الى هذا الغرض الا بهذه

لحيلة.. وابرز من برع فى هذه الحيلة فى الزمن المعاصر «اليجا محمد» حين استقطب بدعوته ملايين من الامريكان ذوى الاصل الافريقى مدعيا ان له ـ رسالة وخصائص وصفات يتميز بها على غيره وتتميز بها طائفته على غيرها ولم يلبث فى دعوته الا قليلا حتى صدقوه وتبعوه.

وللمتنبئين وسائلهم وحيلهم فى التدليل على ما يزعمون فكان للاولين منهم اساليب فى السجع وتكلف الالفاظ للتأثير على الاتباع بما يعتقدونه سحر البيان.. اما المتنبئون الجدد فلهم وجه آخر يتحسسون به قضايا الانسان المعاصرة ومواطن الضعف لدى الاتباع بعكس ذلك ـ على سبيل المثال ـ سلوك شاب امريكى من أصل افريقى اتذكر حماسه منذ سنوات خلت وهو يوزع قرب مبنى الكونجرس الامريكى فى مدينة واشنطن العاصمة ـ صحيفة اليجا محمد صباح كل يوم اثنين تتصدرها صفحة التعاليم وفى هذه الصفحة يشرح اليجا محمد لاتباعه ان الشيطان هو الرجل الابيض، وان صيد السمك عمل بطولى وآلهى وان ذوى البشرة الداكنة هم الاصفياء ونحو ذلك مما له قدرة على استهواء الاتباع ومخاطبة عواطفهم

●● إن ظاهرة التنبؤ التى كثرت فى الوقت الحاضر تحت اقنعة مختلفة ووجوه متعددة ليست ظاهرة جديدة فى تاريخنا أو تاريخ العالم. والفرق بين المتنبئين القدماء والجدد ان الأوَل كانوا على فطرتهم فهم إما مرضى تحت تأثير انعطاف نفسى كما ذكر او كانوا يبتغون منصبا أو جاها فى بيئة محدودة.. أما المتنبئون الجدد فمع أنهم يشتركون معهم فى صفات المرض الا أنهم بلا شك ضحايا تسيير مريب من جهات مريبة وليس من المهم بعد ذلك إن كانوا يعلمون أو لا يعلمون.





عاتق البلادي

(٥٥) جتـك العقـرب ياالطـرفانى (أى جاءتك العقرب يا الذى فى الطرف).

هذا مثـل لطيف من أمثـال عامة الحجاز. وله اسطورة أو تقرير حقيقة، تقول: إن القرد كونه أغلف (أى غير مختـون) اذا لدغتـه العقـرب مات. ولـذا فالقرود فى فزع دائم من العقرب، فاذا جنها الليل وأرادت المبيت سمعت لها هريـراً متـواصـلا حتى الصبـاح. والاسطـورة تقـول: إن هذا الهـريـر هو حديث متبـادل بين القـرود فهم يقـولـون: جتـك العقـرب ياالطـرفـانى! فيشب الى وسـط المجموعة فيقول: جتك العقرب ياالطرفانى، . فيشب الآخر وهكذا حتى الصباح.

وقـومنا يضربون هذا المثل عندما يكون أمر من الامور يفزع الجميع ويخشى كل شخص ان يكون هو فى مكان الخطر.

ألا ترون أن هذا المثـل ينطبق ـ ببـلاغـة على أوضاع العرب اليوم؟.

(٥٦) العرنجليش:

ذهب كثير من اخواننا وابنائنا الى الغرب للنهل من معين العلوم التى استحدثت هناك. ولا ضير فى ذلك فالعلم مطلب المؤمن بل مطلب الانسان اينما كان وما نأخذه عنهم اليوم كانوا قد اخذوا عنا بعضه أو كله.

غير ان كثيراً ممن ذهبو ليحسنوا أوضاعنا العلمية اخـذوا يحتطبـون بالليل وجاءوا بها عز وبز، وجاؤا بالمعـاول والأسافين، عملوا بها فى كل عزيز لدينا: ديننا، تراثنا، عاداتنا وحتى تأريخنا.

فأنكروا انكاراً أن يكون الغرب استفاد من نهضة الشرق، ونظروا الى عاداتنا وتقاليدنا نظرة استخفاف واستهجان حتى تأريخنا الذى ورثناه رأينا من يقول ـ بقول المستشرقين ـ اذا لم يكن نقش فى حجر ففيه، شك عملوا مالا يمكن شرحه فى هذه النبذ العجلة غير أن الشـاهـد هنا هذا الاسم فقد تنبه الفضلاء والعلماء الى هذا الجـراد القادم من الغرب فاطلقوا عليـه اسـماء عديدة: المستغربين ـ غسلاء الغرب ـ على وزن المستشـرقـين وغسـلاء جمع غسيـل أى مغسول، اشارة الى أن هؤلاء غسلت ادمغتهم فى الغرب.

غير أن الـلطـيف هو ما اطلقـه عليهم بعض الفضلاء (عرانجليش) أى العرب المتنقلزون.

(٥٧) لغويـــات:

الصحافة اليوم أشيع المقروءات واقربها متناولا الى أيدى عامة الناس وتسابقت الصحف فى تكثيف



الصفحات لاجتلاب القراء ومن هنا بدأت العجلة فى الانتاج لتكون الصحيفة فى السوق كل صباح وكما يقولون: العجلة أُمُّ الأخطاء.

لم يستطع رؤساء التحرير والمصححون تلافى كثير من الأغلاط فانطلقت فى الصحافة فشاعت بين الناس.

وهناك رافد آخر لاشاعة الأغلاط هم صغار الموظفين فقد يحتاج احدهم الى لفظ يطلقه على غرض من الأغراض فيعمد الى ما يظنه صحيحاً فيأخذه زملاؤه عنه فيشيع ومن هذه الأخطاء قولهم:

أ ـ بدون: والصواب (دون) بلا باء لأن الباء لا تدخل على دون فاذا أراد ان يستعمل الباء قال: بلا.

ب ـ غير: يقولون: هذا الأمر الغير معروف وكلمة غير لا تدخل عليها أل، فاذا أريد تعريفها قيل: غير المعروف.

ج ـ أخصائى: يطلقونها على صاحب الاختصاص، والصواب: متخصص أو اختصاصى أو تخصصى. كلها تعطى معنى التخصص أما اخصائى فلفظه نسبة الى الاخصاء وهم خاصة الرجل مع أن النسبة لا تؤخذ من الجمع.

د ـ كاد: قال بعض المتأخرين: (كاد المريب أن يقول: خذونى) ولكن المتأخرين ليسوا حجة فى اللغة فكاد تدخل على الفعل المضارع مباشرة قال الله تعالى: (يكاد البرق يخطف أبصارهم) وقوله (كادوا يكونون عليه لبدا).

هـ ـ الراسل: شاعت هذه الكلمة مؤخراً مع بعض الاخوة المستقدمين فتلقفها الناس حتى رايت تعليمات البريد الموجهة الى الجمهور، تقول: أخى الراسل.

وليس فى اللغة العربية فعل (رسل) ليكون منه الراسل، انما الفعل (أرسل) رباعى وفاعل الرباعى على وزن (مُفعِل) أى أن الراسل صوابه (المرسل) لأنه هو الذى يرسل الخطاب.

و ـ فاقد: هذه من الغلطات العجيبة التى اصبحت غير قابلة للتصحيح فاذا فقدت لك وثيقة كالحفيظة ونحوها فانهم يعطونك بدلا عنها وقد كتب عليها (بدل فاقد).

قلت لموظف ذات يوم وهو يناولنى مثل هذا ويقول: (سوينا لك بدل فاقد) فقلت: لا، أنا أريد بدل مفقود فنظر إلىَّ وقال: ما عندنا وقت للفلسفة.

وهذا غيض من فيض فهل هؤلاء منتهون عن تشويه لغتنا.





ملخص مانشر

بعكس نظرية (الحتم البيئى) نرى الدراسات ان البيئة أحد المؤثرات القوية وليس المؤثر الوحيد فى تشكيل افكار وميول الانسان.

وبهذا المفهوم يتتبع د. حسين نصار اقوال العرب الذين فطنوا الى ذلك وان لم يصلوا بمفهومهم الى ما وصل اليه العصر الحديث. وقد صنف هذه الأقوال الى مجالات مختلفة بدأ فى الحلقة الاولى بالمجال اللغوى فتحدث عن اهتمام الارستقراطية القرشية بتنشئة اطفالها فى بادية نجد لفصاحة اللغة فيها وبقى هذا العرف سائدا فى الارستقراطية الأموية وعندما اختلط اللسان والعرق فى الدولة العباسية شدّ علماء اللغة الرحال الى بادية نجد حفاظاً على لغتهم وعلى فصاحة ما يجمعونه ، ووصل الأمر فى خوفهم على اللغة الى عدم الاستشهاد بشعراء بعينهم لأن بيئاتهم اللغوية غير نموذجية كما فى بادية نجد.

اذا نظرنا فى المجال الادبى العربى وجدنا ثلاث فئات تتقاسمه وتفطن الى أثر البيئة، ومنذ عهد بعيد وان كان لا يزاحم المجال اللغوى فى ذلك. ومن أقدم ما عثرت عليه خبر يبين أن الذوق يختلف من بيئة الى اخرى: جاء فى الحديث النبوى: «من بدا جفا» **فرق الحديث بين أذواق أبناء البادية وأبناء الحاضرة ووصف الاولين بالغلظة والخشونة.**

وعثرت على خبر اخر يتحدث عن الذوق أيضا. روى أبو الفرج الاصفهانى صاحب أكبر موسوعة فنية قديمة عن عبيد الله بن عمر العمرى قال: «خرجت حاجا فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام أرفثت (أفحشت) فيه فأدنيت ناقتى منها ثم قلت لها: يا أمة الله ألست حاجة؟ أما تخافين الله فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسنا ثم قالت: تأمل يا عم فاننى ممن عناه العرجى بقوله:

أماطت كساء الخز عن حر وجهها
وأدنت على الخدين بردا مهلهلا
من اللاءِ لم يحججن يبغين حسبة
ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

فقلت لها فانى أسأل الله الا يعذب هذا الوجه بالنار. وبلغ ذلك سعيد بن المسيب أو سلمة بن دينار فقال: أما والله لوكان من بعض بغضاء العراق لقال لها: اغربى قبحك الله ولكنه ظرف عباد أهل الحجاز».

والفئات الثلاث التى نجدها هى: النقاد، والشعراء، ومؤرخو الادب.

وأقدم ما عثرت عليه من الاخبار النقدية التى تربط بين الشعراء وبيئاتهم يرجع الى العصر الأموى. فقد روى أن كثيرا قدم على عبد الملك بن مروان فأنشده والاخطل عنده فسأله عبد الملك: كيف ترى يا أبا مالك؟ فقال: أرى شعرا حجازيا مقرورا لو ضغطه برد الشام لاضمحل. ويكشف هذا الخبر أن الاخطل يفرق بين شعراء الحجاز وشعراء العراق والشام ويفضل الاخيرين على الأولين وان كان التفضيل ساذجا لا يعتمد على أساس واضح

د. حسين نصار
كلية الآداب
جامعة القاهرة

الحلقة الثانية

ـــ واثر البيئــة

ثم يتضح التأثير عند محمد بن سلام الجمحى الذى يعطينا ثلاثة اخبار: أولها صياغة لما كان يدور بين اللغويين عن عدى بن زيد قال: «عدى بن زيد كان يسكن الحيرة ومراكز الريف فلان لسانه وسهل نطقه». فاذا كان اللغويّون نظروا الى سلاّمة لغة عدى فان ابن سلام نظر الى سهولة ألفاظه وتراكيبه. واذا كان اللغويّون عللوا حكمهم بما حدث فى الحيرة من اختلاط بين العرب وغيرهم فان ابن سلام علل حكمه بطبيعة الحيرة الريفية التى تختلف عن طبيعة البادية.

ولعل هذا الحكم هو الذى أعان ابن سلام فى حكمه التالى الذى لم يقف فيه عنه شاعر واحد بل اتسع ففرق بين سكان الريف وسكان الصحراء عامة فجعل الأمر قاعدة عامة قال: أهل القرى ألطف نظرا من أهل البدو».

ونظر ابن سلام فى الخبر الثالث الى أثر البيئة (وما رى فيها) فى كثرة الشعر وقلته وفى جودته أيضا وفرق لين البيئات المختلفة اعتمادا على ذلك قال: «انما كان يكثر الشعر بالحروب التى تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويُغار عليهم والذى قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا وذلك الذى قلل شعر عمان».

ولقد التقط ابن قتيبة تفرقة ابن سلام بين البادية والريف ووافق عليها وأضاف اليها تفاصيل تكشف عن بعض وجوه التفرقة فقال «نازلة الوبر (الصحراء) فى الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة الحضر لانتجاعهم الكلأ وانتقالهم من ماء الى ماء وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان». ورد الى هذه الحياة البدوية المتنقلة ما اعتاد الشاعر القديم من بدء قصائده «بذكر الديار والدِّمَن والآثار فشكا وبكى وخاطب الرَّبْع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها».

والتفت ابن طباطبا الى استلهام الشاعر العربى القديم لبيئته ووصفه مافيها من أشياء واتخاذها مادة ألف منها صوره الفنيه فقال: «اعلم أن العرب أودعت أشعارها من الاوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركه عيانها ومرت به تجاربها وهم أهل وبر صحونهم البوادى وسقوفهم السماء. ليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها وفى كل واحدة منها فى فصول الزمان على اختلافها من شتاء وربيع وصيف وخريف من ماء وهواء ونار وجبل

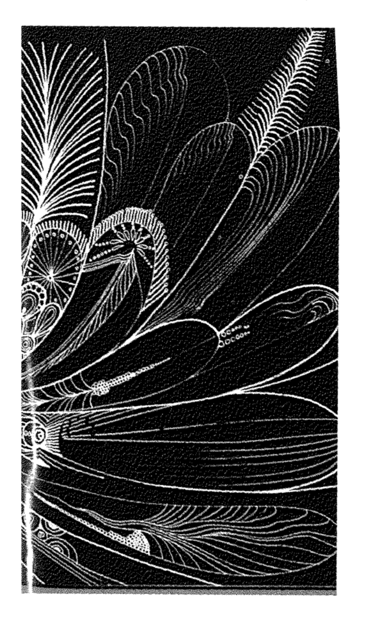
ونبات وحيوان وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن وكل متولد من وقت نشوئه وفي حال نموه الى حال انتهائه . . فتضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسها . . وقد وصل ابن طباطبا الى القمة في ابانة أثر البيئة في المضمون الشعري حيث أعلن أن «العرب أودعت أشعارها . . ما . . أدركه عيانها ومرت به تجاربها . . بل ذهب الى ما هو أبعد من ذلك فنفى أن يكونوا قد أتوا بشيء من خارج بيئتهم؟ فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها» .

والتفت علي بن عبد العزيز الجرجاني الى أثر البيئة في الاذواق ومن ثم في السلوك واللغة وما أدى اليه ذلك من آثار في الشعر قال: وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ويسهل لفظ احدهم ويتوعر منطق غيره . وانما ذلك بحسب اختلاف الطبائع . وتركيب الخلق فان سلاسة اللفظ تتبع سلاسة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلق . وانت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجافي الجلف منهم كز الألفاظ معقد الكلام وعر الخطاب حتى انك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته وفي جرسه ولهجته . ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك ولأجله قال النبي ﴿ﷺ﴾ «من بدا جفا» ولذلك تجد شعر عدي ـ وهو جاهلي ـ أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة ـ وهما آهلان ـ لملازمة عدي الحاضرة وايطانه الريف وبعده عن جلافة البدو وجفاء الاعراب .

فلما ضرب الاسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي الى القرى وفشا التأديب والتظرف اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله وعمدوا الى كل شيء ذي أسماء كثيرة فاختاروا أحسنها سمعا . وألطفها من القلب موقعا . . وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة طباع الاخلاق . فانتقلت العادة وتغير الرسم وانتسخت هذه السنة واحتذوا بشعرهم هذا المثال وترفقوا ما أمكن وكسوا معانيهم ألطف ما سنح من الالفاظ» .

أخذ الجرجاني مما قيل عن عدي بن زيد عمادا أضاف اليه حديثا نبويا يؤيده ثم وسع الصورة بحيث شملت البادية والحاضرة وأثر كل منهما في أذواق الناس وأخلاقهم وسلوكهم وطريقة نطقهم ثم في ألفاظ أشعارهم وأساليبهم .

ولم يقف بالمؤثر عند البيئة الجغرافية بل أضاف اليها البيئة الثقافية خاصة تلك التي أتى بها الاسلام . ووازن بين عدد من الشعراء للبرهنة على



صحة ما أدلى به من أحكام بل اختار شعراء جاهليين راسلاميين لهذه الموازنة ليبين أن أثر المكان أقوى من الزمان.

وإذا انتقلنا الى ابن رشيق لم نجده يأتى بجديد وانما يضيف تفاصيل للشرح والايضاح ويعود الى الاقتصار على مطالع القصائد بعد أن كان الحديث قد تعداها الى عامة الشعر. قال: «وللشعراء مذاهب فى افتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما فى الطباع من حب الغزل والميل الى اللهو.. ومقاصد الناس تختلف: نطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال، وتوقع البين والاشفاق منه وصفة الطلول والحمول والتشوق



بحنين الابل ولمع البروق ومر النسيم وذكر المياه التى يلتقون عليها. والرياض التى يحلون بها من خزامى واقحوان وبهار وحنوة وظيان وعرار وما أشبهها من زهر البرية الذى تعرفه العرب، وتنبته الصحارى والجبال، وما يلوح لهم من النيران من الناحية التى بها احبابهم.. وأهل الحاضرة يأتى أكثر تغزلهم فى ذكر الصدود والهجران والواشين والرقباء ومنعة الحراس والأبواب وفى ذكر الشراب والندامى والورد والنسرين والنيلوفر وما شاكل ذلك من النواوير البلدية والرياحين البستانية، وفى تشبيه «التفاح والتحية به ودرس الكتب وما شاكل ذلك مما هم به متفردون».

اخذ ابن رشيق أقوال ابن قتيبة واعاد صياغتها وأضاف اليها ما رصده من أحوال العشاق فى الحواضر مما خالفوا فيه عشاق البادية.

واجمال القول أن أول ناقد أشار الى أثر البيئة فى الشعر كان من الشعراء ثم توالى حديث النقاد بعده.

وقد بدأ ذلك الحديث ساذجا مبهما عند الاخطل غير أنه اتضح عند ابن سلاّم الذى أفاد من أحكام اللغويين وان اتسع فيها واتجه بها وجهة فنية.

وكان اول ما فطن اليه النقاد من آثار البيئة ما اتصل بكثرة الشعر وقلته ولغته. ثم ربط ابن قتيبة (أو من نقل عنه) بين البيئة ومطالع القصائد. ثم وصل التنبه الى قمته عند ابن طباطبا والجرجانى اللذين كشفا أثر البيئة فى المضمون والشكل الشعريين بل أرجع أولهما كل الظواهر الشعرية الى البيئة.

ثم تنازل النقد عن هذه القمة الى اقوال تردد الاقوال السابقة نصا أو تعيد صياغتها فان أضافت اليها فانما هى تفاصيل للايضاح فقط.

«البحث موصول»

مهندسون

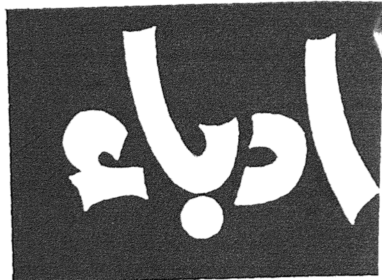
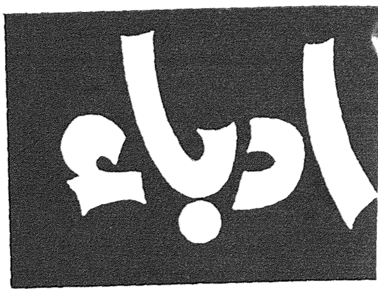
ربما يستغرب كثير من الناس اليوم أن يسمعوا برجل حوى كثيراً من العلوم والمعارف التى امتاز بها عصره وما ذلك إلا للبيئة والتنشئة التى نُشِّئوا عليها إذ يكفى بنظرهم أن يكون الرجل عالماً بفن من الفنون حتى يقال عنه «علاَّمة زمانه» . . وإذا ما تنوعت معارفه وأخذ بحظ وافر منها قالوا: «قد فاق أقرانه» أو إنه رجل قد حاد عن جادة الصواب . . وكيف لا يكون تفكيرهم على هذا المنوال وهممهم قد تقاصرت وغلب عليها الخور والضعف حتى لا تدرى يمينها من شمالها. وكأنى بهم يستقبلون مولدهم الجديد وهو مختص فى فن من الفنون أو علم من العلوم لا يبتعد عنه قيد أنملة ضارباً بعرض الحائط كل شىء لا يمت إلى علمه بصلة.

فهذه نظرة الأمم الحاضرة إلى ما تصبو إليه وتفكر به إلا ما ندر وقليل ما هم.

وإذا ما عدنا بذاكرتنا الى قرون خلت حيث كان أجدادنا يعملون بجد ودأب إلى الوصول الى أعلى قمم العلم والحضارة . . وبحثنا فى تاريخ رجالاتها لم نكن لنرى تلك الصورة بأبعادها الآن موجودة فى أذهانهم بل كنا نراهم يتباهون بكثرة معارفهم والعلوم التى يتقنونها حتى سمعنا برجال يفتخرون على بنى جلدتهم أنهم يعرفون علوماً لم يسمع بها أقرانهم ـ ولا نقول إن معرفتهم تلك كانت معرفة سطحية إذ أن كثيراً منهم ألفوا فى تلك العلوم وحاضروا وناظروا متحدِّين مَنْ يعرف تلك المعارف أن يقف أمامهم فى مناظرة أو درس.

وبالطبع لا أطالب بكلامى هذا أناس اليوم ـ علماء وطلبة ـ أن يحيطوا علماً بكل معارف عصرنا إحاطة العالم المدقق الباحث . . ولكن إلمام من يستطيع أن يُسخِّر مختلف العلوم لخدمة تخصصه هذا فى المجالات العلمية الدقيقة التى تحتاج من الجهد والوقت الشيىء الكثير اللذين أصبحا غير متوفرين فى وقتنا إذا ما أضفنا إليهما التوسع والعمق ودراسة الجزئيات الصغيرة والمتناهية فى الصغر . .

●● فمجالاتنا العلمية لا مانع من التخصص بها مع النظر السريع فى العلوم والمعارف المتعلقة بذلك التخصص وإذا ما قصر الانسان فى ذلك فلا يعدم أن نجد ما يبرر له ذلك . . أما الشيىء الملاحظ والملفت للنظر أننا إذا سألنا مثقفينا عن شيىء من لغتهم وأدبها ومعارفها فنجد كثيرين منهم يقولون اختصاصنا (علمى) ولا أدرى إن كان ذلك مانعاً أو عائقاً من العوائق دون تفهم الانسان لغته ـ لغة العلم ـ إلا إذا انسلخ منها ومن تاريخه أيضاً ـ والحق يقال إننا لم نصل إلى هذا المستوى من التدنى إلا فى الفترات الأخيرة حين خيم الاستعمار على بلاد العرب والمسلمين . . وكأننى أرى الاستعمار الذى لم يستطع أن يؤثر علينا بجنوده وأسلحته أثر علينا فى أعز شيىء يملك

إنسان يدعى أنه كان فى يوم من الأيام يحمل مشعل العلم والحضارة التى أنارت العالم على مدى قرون مضت وانقضت.

وأظنني لا أعدو الحقيقة إذا قلت إنه لم يكن إنسان فى عالم العروبة والاسلام يقدم على علم من العلوم أو ثقافة من الثقافات قبل اتقانه اللغة وآدابها بكل ما يستطيع ويكون فى مقدمة ذلك حفظه لكتاب الله - عز وجل - ولذلك وجدنا: «المهندس الأديب» و«الطبيب الأديب» و«الفلكى الأديب» و«الرياضى الأديب».. لأن اللغة بما تحمله فى طياتها جزء من تكوينهم النفسى والعقلى فلا انفصال ولا انفصام.



●● وأرجو أن أقدم فى هذه العجالة نماذج من «الأدباء المهندسين» ليكون لنا ذلك دفعاً نستطيع به ربط الماضى بالحاضر والاستفادة فى ذلك للمستقبل المشرق - بإذن الله - وما ذلك إلا حلقة تتلوها حلقات عن علماء الطبيعة على اختلاف فروعها وتعدد مناهجها ليكون فى ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولا أدعى أننى فى هذه العجالة قد استقصيت كل المهندسين الأدباء ولكن جهد المقال أقدمه ليكون زاداً لأمتى ودفعا للمسير قدماً نحو الافضل والأحسن.. وقد رتبت التراجم حسب تواريخ الوفاة.

■ علما أن علماءنا على مرِّ التاريخ لم يكن تدوينهم لهذه المعلومات - عن المهندسين والأطباء.. وغيرهم - إلا بطريق العَرَض والصدفة - رغم وجود بعض الكتب عن حياة المهندسين لم تصلنا - لأنهم كانوا يرون أن هذه العلوم والمعارف خادمة للعلوم الأساسية التى هى ممتدة فى عقيدتهم الخالدة.

وأحب أن أشير أن كلمة المهندس منقولة عن (المُهَنْدِز) وإنما صَيَّروا الزاى سيناً فقالوا مهندس لأنه ليس فى كلامهم زاى قبلها دال، وهو مشتق من الهنداز والاسم الهندسة.

أبو حنيفة الدينوري:

أحمد بن داود بن ونند . . أبو حنيفة الدينوري.

■■ كان نحويا لغويا راوية ثقة . . ورعاً زاهداً . . أخذ عن البصريين والكوفيين وأكثر عن ابن السِّكِّيت.

■■ وكان مهندساً مؤرخا نباتياً . . من نوابغ الدهر.

■ قال أبو حيان التوحيدى: جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب.

■ قال السيوطى: كان من نوادر الرجال ممن جمع بين آداب العرب وحكم الفلاسفة.

له تصانيف نافعة منها:

«الجبر والمقابلة» . . «البحث فى حساب الهند» . . «الأنواء» . . «النبات» لم يؤلف فى معناه مثله . . «تفسير القرآن» فى ثلاثة عشر مجلداً . . «الأخبار الطوال» . . «البلدان» . . «إصلاح المنطق».

● **«ما تلحن فيه العامة» «الشعر والشعراء» «الفصاحة»**

● **مات فى جمادى الأولى سنة إحدى ـ أو اثنتين وثمانين ـ وقيل: سنة تسعين ومئتين.**

من مصادر ترجمته:

انباه الرواة للقفطى ١/٤١ معجم الأدباء لياقوت الحموى ١/١٢٣ ـ نزهة الألباء: ٤٠ بغية الوعاة للسيوطى: ١/٣٠٦ وفيه: وتند بالتاء وهو خطأ . . إرشاد الأريب: ١/١٢٣ ـ خزانة الأدب للبغدادى: ١/٢٥ ـ طبقات المفسرين للداوودى: ١/٤٢ ـ الأعلام للزركلى: ١/١٢٣.

أبو العباس الجمَّال:

أحمد بن محمد بن عبد الله بن مصعب الجمَّال أبو العباس.

■■ أحد العلماء والفقهاء . . مُفتٍ ـ يرجع الى العلم بالشروط والمساحة والنحو و فنون العلم . .

● كتب فى العراق وخراسان وروى عن عبد الرحمن بز بشر بن الحكم وقطن بن إبراهيم.

● مات بطريق الحج سنة إحدى وثلاث مئة.

من مصادر ترجمته:

تاريخ أصبهان: ١/١٢٥ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة: ١/٣٦٨.

أبو سعيد السِّيرافى:

الحس[illegible] بن عبد الله بن المرزبان . . **القاضى أبو** سعيد، ال[illegible]يرافى النحوى . . كان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه أبو [illegible]عيد عبد الله.

■■ درس [illegible] ببغداد علوم القرآن و[illegible] واللغة والفقه والفرائض [illegible]أ القرآن على ابن [illegible] . . واللغة على ابن دريد . . و[illegible] آهما عليه [illegible] ابن السراج ومبرمان وأ[illegible]ذا عنه القرآن [illegible]

■ قال أب[illegible] حيان التوحيدى: أبو سعيد [illegible] الشيوخ و[illegible] [illegible] بالنحو [illegible] والعروض [illegible] آن والفرائض والحديث والحساب [illegible] فى [illegible] على مذهب [illegible] فلم يجد له خطأ [illegible] زلة . . وق[illegible] والرزانة . . [illegible]

■ قال الخطيب [illegible] الحكم أجراً (إنما كان يأكل من كسب يمينه . . فكان لا يخرج الى مجلسه حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم تكون بقدر مؤنته.

■■ مولده بسيراف قبل السبعين ومئتين وفيها ابتدأ طلب العلم وخرج إلى عُمان وتفقه بها وأقام بالمعسكر مدة ثم ببغداد الى أن مات بها يوم الاثنين ثانى رجب سنة ثمان وستين وثلاث مئة.

■ ومن تصانيفه شرح كتاب سيبويه لم يسبق إلى مثله «صنعة الشعر والبلاغة» «أخبار النحاة البصريين».

من مصادر ترجمته:
إنباه الرواة: ١/٣١٣، نزهة الألباء: ٣٧٩، معجم الأدباء: ٨/١٤٥١ - ٢٣٢ بغية الوعاة: ١/٥٠٧، وفيات الأعيان ١/١٣٠.. وفى الاعلام ٢/١٩٥ - مولده سنة ٢٨٤ وهو خطأ.

ابن غنام

اسماعيل بن بدر بن محمد الأنصارى المعروف بابن غنام - من أهل قرطبة.

■■ كان أديباً فرضياً.. ومهندساً مطبوعاً.. ورجلاً صالحا سالماً متسنناً - وله اشتغال أيضا بالحديث.

■ ذكره ابن بشكوال فى الصلة وقال: توفى بأشبيلية سنة ٤١٨هـ وقد قارب التسعين.
من مصادر ترجمته:
المهندسون فى العصر الاسلامى لأحمد تيمور باشا: ٢٦.

أبو جعفر ابن خميس

أحمد بن خميس بن عامر - من أهل طليطلة.
■■ أحد المعتنين بعلم الهندسة والنجوم والطب.. وكانت له مشاركة أيضاً فى العلوم اللسانية وحظ صالح من الشعر.

■ كان من أهل قلعة أيوب.. ثم انتقل الى طليطلة واستوطنها وتأدب فيها.. فبرع فى العدد والهندسة والفرائض.. وقعد للتعليم بذلك زمناً طويلاً الى أن توفى بها سنة ٤٥٤هـ.

■■ ذكره صاعد فى «طبقات الأمم» وابن أبى أصيبعة فى «طبقات الأطباء».
من مصادر ترجمته:
المهندسون فى العصر الاسلامى: ٣٢.

أبو الوليد ابن الوقَّشى:

هشام بن أحمد بن هشام بن خالد بن سعيد (أبو الوليد) الكاتب المعروف بابن الوقَّشى من أهل طليطلة
■■ عارف بالأحكام والحديث وعلم الفقه والنحو والشعر والخطابة والمنطق والهندسة والزيوج: وولى القضاء.
■ قال القاضى أبو القاسم صاعد بن أحمد: أبو الوليد الوقشى أحد رجال الكمال فى وقته باحتوائه على فنون العلم وجمعه كلمات المعارف.. وهو أعلم الناس بالنحو واللغة ومعانى الأشعار وعلم العروض وصناعة البلاغة.. وهو بليغ مجيد شاعر مقدم حافظ للسنن وأسماء نقلة الأخبار.. بصير بأصول الاعتقادات وأصول الفقه.. واقف على كثير من فتاوى فقهاء الأمصار.. نافذ فى علم الشروط والفرائض.. محقق لعلم الحساب والهندسة.. مشرف على جميع آراء الحكماء.. حسن النقد للمذهب ثاقب الذهن فى تمييز الصواب.. ويجمع الى ذلك آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكنف وصدق اللهجة.

وكان من العلوم بحيث يُقْضَى
له فى كل فنٍّ بالجميع

■ ولد سنة ثمان وأربع مئة وتوفى بدانية يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربع مئة.

■■ وله من الكتب: «نكت الكامل للمبرد» و«المنتخب من غريب كلام العرب».

ومن شعره:
برِّح بى أنَّ علومَ الورى
إثنان ما إن لهما من مَزِيد
حقيقةٌ يُعجِزُ تحصيلها
وباطلُ تحصيله لا يُفيد
وله:
قد بيَّنتْ فيه الطبيعةُ أنها
تدقيق أعمالِ المهندس ماهره
عُنِيَتْ بمشهده فخطتْ فوقه
بالمسك خطَّاً من محيط الدائرة

■■ ولـه قصيـدة بكى فيهـا مصاب بلنسية أيام حصار «القمبيطـور» لها سنـة ٤٨٧هـ ضاع أصلها وبقيت منها ترجمة أبيات نقلت الى الاسبانية منها ما معناه:

«إذا أنا مضيتُ يمينا هلكت بماء الفيضان».

«وإذا ذهبت يساراً أكلني السبع».

«وإذا مضيتُ أمامي غرقت فى البحر».

«وان التفتُ ورائى أحرقتنى النار».

من مصادر ترجمته:

الصلة لابن بشكوال: ٥٩٢/٢ وإرشاد الأديب: ٢٤٩/٧ ـ بغيـة الوعاة: ٣٢٧/٢ ـ المطرب من أشعار أهل المغرب: ٢٢٣ ـ المهندسون فى العصر الاسلامى: ٣٧ وفيه: الوفشى بالفاء ـ الأعلام للزركلى: ٨٤/٨ ـ طبقات الأمم: ٨٤.

عمـر الخيـام

عمر بن ابراهيم الخيامى النيسابورى، أبو الفتح.

■■ شاعـر فيلسوف فارسى مستعرب من أهل نيسابور مولداً ووفاة كان عالماً بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ ـ له شعر عربى وتصانيف عربية.

■ قال أحمد أمين: كذلـك اشتهر فى الرياضيات عمر الخيام الأديب المعروف.. وقد انعزل عن الناس وانعكف على البحث والدراسة وألف فى الجبر والفلك واستعمل كثيراً من المعادلات التى لم تكن معروفة من قبل.. وربط بين الجبر والهندسة وقسم المعادلات إلى أقسام متنوعة.

■ ووجـد فى كتب الخيـام قانـون لحل المعـادلات ذات الـدرجـة الثـانيـة.. وله براعة أيضاً فى الفلك حتى إن السلطان ملك شاه دعاه لمساعدته فى تعديل التقويم السنوى.

من تصانيفه: الرباعيات ولها ترجمات كثيرة: «شرح ما يشكـل من مصـادر إقليـدس».. «مقـالـة فى الجـبر والمقابلة».. الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة فى جسم مركب منهما».

● توفى سنة ٥١٥هـ.

من مصادر ترجمته:

أخبـار الحكماء: ١٦٢ ـ تاريخ حكماء الاسلام: ١١٩ ـ ظهر الاسلام: ١٩٦/٢ ـ الأعلام: ٣٨/٥.

توفيق الأطرابُلُسى:

توفيق بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن محمد بن زريق الأطرابلسى.

■■ أصله من المغـرب (يكنى أبـا محمـد) وكـان ساكنا بدمشق.. وهو مهندس منجم أديب نحوى حاسب كان من تلامذته مشايخ يصفونه بالعلم والفهم وله تصانيف وشعر.

ومحمد بن نصر صغير القيسرانى الشاعر أحد تلامذته فى الحكمة والأدب.

● توفى بدمشق فى صفر سنة ٥١٦هـ ودفن بباب الفراديس.

من مصادر ترجمته:

إنبـاه الـرواة: ٢٥٨/١ ـ تاريخ الحكـماء: ١٠٥ ـ المهندسون فى العصر الاسلامى: ٣٨ ـ معجم المؤلفين: ٩٥/٣.

●●

علماؤنا القدامى كان الواحد منهم موسوعة من العلوم والمعارف.. ولم يقفوا عند حدّ ما عرفناه اليوم باسم التخصص

●●

أبو على المهندس:

هو أبو علي المهندس المصري ـ كان قيماً بمصر بعلم الهندسة وموجوداً سنة ٥٣٠هـ . . وكان فاضلاً فيه أدب وله شعر تلوح عليه الهندسة.

من شعره:

تقسم قلبى فى محبّة معشر
بكل فتى منهم هواى منوط
كأن فؤادى مركز وهم له
محيط وأهوائى لديه خطوط

وله:

أقليدس العلم الذى تحوى به
مافى السماء معاً وفى الآفاق
تزكو فوائده على انفاقه
يا حبذا زاك على الانفاق
هو سلم وكأنما أشكاله
درج الى العلياء للطراق
ترقى به النفس الشريفة مُرتقى
أكرم بذاك المرتقى والراقى

من مصادر ترجمته:

أخبار الحكماء للقفطى: ٢٦٧ ـ المهندسون فى العصر الاسلامى: ٤٠

الفخر النحوى

محمد بن مسعود العِشاميّ ـ الأصبهانى ـ المعروف بالفخر النحوى.

■■ له تصانيف فى الأدب مرغوب فيها وشعر متداول ورسائل مدونة. . فائق فى الفقه والفرائض والحساب المساحة.

■ توفى بعد الستين وخمس مئة.

من مصادر ترجمته:

معجم الأدباء: ١٩/٥٥ بغية الوعاة: ١/٢٤٤ ـ وفى معجم المؤلفين: ١٢/١٩ ـ توفى سنة ٥٠٦هـ.

الرشيد الأسوانى:

أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن محمد بن فليته بن سعيد بن ابراهيم بن الحسن ـ المعروف بابن الزبير الغسّانى المصرى ـ أبو الحسين المعروف بالرشيد الأسوانى.

■■ كان كاتباً شاعراً. . فقيها نحوياً لغوياً عروضيا. . مؤرخاً، مهندساً منطقياً. . عارفاً بالطب والموسيقى والنجوم. . متفننا وهو من بيت كبير بالصعيد.

■■ ولى النظر بثغر الاسكندرية والدواوين السلطانية بمصر ثم سافر الى اليمن وتقلد قضاءها وتلقب بقاضى قضاة اليمن وداعى دعاة الزمن ثم سمت نفسه الى رتبة الخلافة فأجابه قوم إليها ونُقشت له السكة ثم قبض عليه وأُنفذ مكبَّلا الى قُوص وسُجِنَ بها ثم ورد كتاب الصالح ابن رزيك بإطلاقه والاحسان إليه ـ ولما دخل أسد الدين شيركوه إلى البلاد مال إليه وكاتبه فاتصل ذلك بوزير العاضد فتطلَّبه الى أن ظفر به وأشهره وصلبه وذلك فى محرم سنة ثلاث وستين وخمس مئه.

■■ وله تآليف: نظم ونثر منها: «منية الالمعىّ وبُلْغَة المدّعى» يشتمل على علوم كثيرة «جنان الجنان وروضة الأذهان فى شعراء مصر». . «شفاء الغلة فى سمت القبلة».

من مصادر ترجمته:

خريدة القصر: ١/٢٠٠ معجم الادباء: ٤/٥١ـ٦٦ وفيات الأعيان: ١/٥١ ـ بغية الوعاة: ١/٣٣٧ ـ الاعلام: ١/١٧٣.

أبو محمد ابن الخشّاب:

عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب أبو محمد النحوى

■■ كان أعلم أهل زمانه بالنحو حتى يقال: انه فى درجة الفارسى. . وكانت له معرفة بالحديث والتفسير واللغة

والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة . . وما من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يد حسنة.

■■ قرأ الأدب على أبى منصور الجواليقى وغيره . . والحساب والهندسة على أبى بكر بن عبد الباقى الأنصارى . . والفرائض على أبى بكر المزرقى . . وسمع الحديث من أبى الغنائم النَّرسىّ . . ولم يزل يقرأ حتى علا على أقرانه . . وقرأ العالى والنازل وكان يكتب خطاً مليحاً . . وحصَّل كتباً كثيرة جداً وقرأ عليه الناس وانتفعوا به وتخرج به جماعة . . وروى كثيرا من الحديث.

■■ كان ثقة فى الحديث صدوقاً نبيلا حجة ـ إلا أنه لم يكن فى دينه بذاك . . وكان بخيلاً مبتذلا فى ملبسه وعيشه قليل المبالاة بحفظ ناموس العلم . . يلعب بالشطرنج مع العوام على قارعة الطريق ويقف فى الشوارع على حلق المشعبذين واللاعبين بالقرود والدباب . . كثير المزاح واللعب طيب الاخلاق . .

■■ وكان يتعمم بالعمامة فتبقى مدة على حالها حتى تسودَّ مما يلى رأسه وتتقطع من الوسخ وترمى عليها الطيور ذرقها . . ولم يتزوج ولا تسرى . . وكان اذا حضر سوق الكتب وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال: إنه مقطوع ليأخذه بثمن بخس . . وإذا استعار من أحد كتاباً وطالبه به قال دخل بين الكتب فلا أقدر عليه.

■ صنف: شرح الجمل للجرجانى ـ شرح اللمع لابن جنىٍّ ولم يتم ـ الرد على الحريرى فى مقاماته.

■■ توفى عشية الجمعة ثالث رمضان سنة سبع وستين وخمس مئة ووقف كتبه على أهل العلم.

من مصادر ترجمته:

بغية الوعاة: ٢/ ٢٩ ـ إنباه الرواة: ٢/ ٩٩ ـ إرشاد الاريب: ٤/ ٢٨٦ ـ وفيات الاعيان: ١/ ٢٦٧ ـ الاعلام: ٤/ ٦٧.

السموأل المغربى:

السموأل بن يحيى بن عباس المغربى

■■ كان فاضلا فى العلوم الرياضية عالما بصناعة الطب . . أصله من المغرب وسكن مدة فى بغداد ثم انتقل الى بلاد العجم . . بلغ من العدديات مبلغا لم يصله أحد فى زمانه وكان حاد الذهن جداً . . بلغ من الصناعة الجبر الغاية القصوى وله رسائل فى الجبر والمقابلة يرد بها على ابن الخشاب النحوى.

■ كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وألف كتاباً قيماً فى الر[د] على مفتريات اليهود سماه: «بذل المجهود فى افحا[م] اليهود».

■■ ويقول عن نفسه انه تعلم الحساب الهندى وحـ[ـساب] الزيجات عند الشيخ أبى الحسن البسكرى . . ثم [قرأ] الحساب الديوانى وعلم المساحة على الشيخ أبى المظ[فر] ابن السهر وردى وكذلك الجبر والمقابلة عليه وعلى ابن أبى تراب . . وقرأ الهندسة على ابن البسكرى وابن النقاش حتى حل المقالات التى كانا يحلانها من كتب اقليدس.

■ ومن تصانيفه: «اعجاز المهندسين» و«المفيد الأوسط فى الطب» و«القوامى فى الحساب الهندى» و«المثلث القائم الزاوية» و«المنير فى مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها».

■ مات بالمراغة قريباً من سنة سبعين وخمس مئة.

من مصادر ترجمته:

ترجمته الذاتية فى كتابه «بذل المجهود» ـ طبقات الاطباء: ٢/ ٣٠ ـ الاعلام: ٣/ ١٤٠.

شمس الدين المعرانى:

عبد الله بن شاكر بن المطهر.

■■ كان فاضلا له اليد الطولى فى الهندسة والفلك . . وكان مع ذلك أديباً شاعراً له شعر فارسى حسن وعربى لا بأس به.

■ مات فى حدود سنة ٥٧٠هـ بأصبهان.

من مصادر ترجمته:

أخبار الحكماء: ١٥٩ وفيه المعدانى بالدا[ل] المهندسون فى العصر الاسلامى: ٤١.

علم الدين البغدادى:

على بن اسماعيل بن بادكين الجوهرى أبو الحسن المعروف بعلم الدين الركاب سالار العضدى.

■■ كان شاباً ذكياً حسن الخلق.. أديباً فاضلا بارعاً.. حفظ القرآن الكريم وقرأ الأدب وقال الشعر الجيد وقرأ العلوم الرياضية.. وكان بارعاً فى علم الهندسة والرياضيات ومن ظرفاء بغداد وفضلائها.. حكيم النفس فيما يعمله ويستعمله من الآلات الفلكية والملح الهندسية.. وكان بأيدى الناس من عمله ومستعمله كل طرفة وتحفة ظريفة.. وله شعر فائق وأدب رائق.

من شعره:

وليس محباً من يدوم وفاؤه
مع الوصل لكن من يدوم مع الصد
فيا كبدى الحرى لذى السخط والرضا
ويا مقلتى العبرى على القرب والبعد

وله:

تحسن بأفعالك الصالحات
ولا تعجبن بحسن بديع
فحسن النساء جمال الوجوه
وحسن الرجال جميل الصنيع

● مات ببغداد فى سنة سبع وسبعين وخمس مئة.

من مصادر ترجمته:

ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ١٧/١٩٧-١٩٩ - المهندسون فى العصر الاسلامى: ٣٥ - أخبار الحكماء: ١٥٨.

ابن مضاء اللخمى:

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث بن عاصم بن مضاء اللخمىّ قاضى الجماعة - أبو العباس وأبو جعفر الجيانى القرطبى.

■■ قال ابن عبد الملك: كان مقرئاً مجوِّداً محدثاً مكثراً.. قديم السماع واسع الرواية.. عارفاً بالاصول والكلام والطب والحساب والهندسة.. ثاقب الذهن متوقد الذكاء.. شاعراً بارعاً كاتباً.

■■ روى عن عبد الحق بن عطية والقاضى عياض وخلائق.. وعنه ابنا حوط الله وأبو الحسن الفافقى.. وولى قضاء فاس وغيرها فأحسن السيرة وعدل فعظم قدره وصار رِحْلة فى الرواية وعُمدة فى الدراية.

■ من كتبه: «المشرق فى النحو».. «الرد على النحويين».. تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان».

■ ولد بقرطبة سنة ثلاث عشرة وخمس مئه ومات بإشبيلية سابع عشر من جمادى الاولى وقيل ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثنتين وتسعين.

من مصادر ترجمته:

بغية الوعاة: ١/٣٢٣ - جذة الاقتباس: ٧١ - تكملة الصلة: ١/١٠٩ - الأعلام: ١/١٤٦.

أبو الفضل الحارثى:

محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثى.. ولد ونشأ بدمشق.

■■ كان يعْرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة وشهرته بها وأمره عجيب لأنه كان فى أوليته نجاراً وله معرفة بنحت الحجارة أيضاً وكان تكسبه بصناعة النجارة وله اليد الطولى فيها.. وكان للناس رغبة كبيرة فى أعماله وأكثر أبواب البيمارستان الكبير الذى أنشأه الملك نور الدين بن زنكى من نجارته وصنعه.. ثم قصد أن يتعلم اقليدس ليزداد فى صناعة النجارة جودة ويطلع على دقائقها ويتصرف فى أعمالها فقاده ذلك الى الانصراف الى الهندسة بكليته وأخذها عن علمائها حتى برع فيها واشتهر بها.. ثم قرأ أيضاً صناعة الطب وعمل الساعات.. واشتغل بالأدب ونظم الشعر.. وكان له فى دمشق عطاءان فى الشهر: أحدهما فى طبه فى البيمارستان الكبير والثانى فى تفقده إصلاح ساعات الجامع الاموى وهو الذى صنعها.

■ من كتبه: «معرفة رمز التقويم» و«الحروب» و«السياسة» و«الادوية المفردة» و«مختصر الأغانى».

■ عاش نحو سبعين سنة وتوفى فى دمشق سنة ٥٩٩هـ.

من مصادر ترجمته:
طبقات الاطباء: ٢/١٩٠ - الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى: ٢/٣٨٧ - الوافى بالوفيات: ٣/٢٨٠ - المهندسون فى العصر الاسلامى: ٤١ - الاعلام: ٦/٢١٥.

أبو حفص ابن الفونى:

عمر بن الحسن بن الفونى..
■■ ذكره العماد الكاتب فى «خريدة القصر وجريدة العصر» فقال فيه: لغوى شاعر كاتب منجم مهندس - وأورد شيئاً من شعره.. وهو مهندس من القرن السادس على الراجح.
من مصادر ترجمته:
المهندسون فى العصر الاسلامى: ٤٢.

أبو عبد الله الصقلى:

محمد بن عيسى ابن عبد المنعم من أهل صقلية.
■■ من أصحاب العلم بعلمى الهندسة والفلك وكان ماهراً فيهما قيماً بهما مذكوراً بين الحكماء هناك بأحكامها.
■ قال العماد الكاتب فى خريدة القصر: كاتب شاعر بارع ماهر.. مهندس منجم.. لقارب الفصاحة متسنم وفى ملتقى أولى العلمى كمىّ معلَم.
■ وذكر القفطى أن له شعرا منه:

أنا والله عاشق لك حتى
ليس لى عنك يا منى النفس صبر
وحياتى ان تم لى منك وصل
ومماتى إن دام لى منك هجر

■ من أهل القرن السادس.
من مصادر ترجمته:
أخبار الحكماء: ٨٩ - المهندسون فى العصر الاسلامى: ٤٢-٤٣.

السلمىّ الشاطبىّ:

أبو بكر محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عمر السلمى من أهل شاطبة.
■■ كان من أهل العلم والأدب.. عدديا فرضيا صاحب مساحة.. ولكن غلب عليه الفقه وولى القضاء فى ألسن من كور «مرسيه»..
■ توفى سنة ٦١٢هـ
■ ذكره ابن الأبّار فى تكملة الصلة.
من مصادر ترجمته:
المهندسون فى العصر الاسلامى: ٤٣.

أبو نصر ابن قطرمش:

محمد بن سليمان بن قطرمش بن تركان شاه أبو نصر البغدادى المولد (السمرقندى الأصل) النحوى اللغوى الأديب.
■■ قال ياقوت: أحد أدباء عصرنا وأعيان أولى الفضل بمصرنا تجمعت فيه أشتات الفضائل.. وقد أخذ من كل فن من العلم بنصيب وافر.. وهو من بين الامارة وكانت له اليد الباسطة فى حل اقليدس وعلم الهندسة - مع اختصاصه التام بالنحو واللغة وأخبار الامم والاشعار.. خلف له والده أموالا كثيرة فضيعها فى القمار واللعب والنرد حتى احتاج الى الوراقه فكان يورق بأجرة بخطه المليح الصحيح المعتبر فكتب كثيراً من الكتب حتى ذُكر للامام الناصر فولاّه صاحب الحجاب فلم يزل الى أن مات فى ربيع الأخرة سنة عشرين وست مئة ومولده فى ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة.
● من شعره:

لا والذى سخر قلبى لها
عبداً كما سخر لى قلبها
ما فرحى فى حبها غير أن
زين عندى هجرها قلبها

● **من مصادر ترجمته:**
معجم الادباء: ١٨/٢٠٥ بغية الوعاة: ١/١١٥

الوافى: ٣/١٢٥ - المحمدون من الشعراء: ٣٥٦هـ وفى لاعلام: ٦/١٥٠ بن قتلمش.

أبو الحسن القفطى:

على بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن محمد بن ربيعة بن الحارث القفطى (يعرف بالقاضى الأكرم) صاحب تاريخ النحاة وَلِىَ الوزارة فى أيام الملك العزيز.

■ ولد فى ربيع سنة ثمان وستين وخمس مئة بقفط.. وكان جَمَّ الفضل كثير النبل عظيم القدر.. إذا تكلم فى فن من الفنون كالنحو واللغة والقراءات والفقه والحديث والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل قام به أحسن قيام.. وكان سمح الكف طلق الوجه.

■ وكان صدراً محتشماً جماعاً للكتب تساوى مكتبته خمسين ألف دينار لا يحب من الدنيا سواها.. ولم يكن له دار ولا زوجة وتوفى بحلب سنة ٦٤٦هـ.

■ من كتبه «إصلاح الخلل الواقع فى الصحاح للجوهرى».. «الضاد والظاء».. «تاريخ مصر».. «المحلى فى استيعاب وجوه كلاّ».. «اخبار العلماء بأخبار الحكماء».. «إنباه الرواة على أنباء النحاة».. «أخبار المصنفين وما صنفوه».

● من مصادر ترجمته:

إرشاد الاريب: ٥/٤٧٧ - معجم الادباء: ١٥/١٧٥-٢٠٤ - بغية الوعاة: ٢/٢١٢ - فوات الوفيات: ٢/٩٦ - الاعلام: ٥/٣٣.

أبو يحيى الوادى آشى:

محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أرقم النميرى الوادى آشى.

■■ كان صدراً شهيراً علماً حسيباً أصيلا.. جم التحصيل قوى الادراك.. مضطلعا بالعربية واللغة اماماً فى ذلك.. مشاركا فى علوم من حساب وهيئة وهندسة - الى سراوة وفضل وتواضع ودين.. حسن التقييد لخطة رونق.

■■ وَلِىَ قضاء بلده وَبُرّ شانه فحُمدَتْ سيرته.

■ من كتبه: «الاسطرلاب الخطى والعمل به».. «الاحتفال فى استيفاء ما للخيل من الاحوال».. «شجرة فى أنساب العرب».. «مختصر الغريب المصنف».

■ مات ليلة السبت سابع عشر ربيع الاخر سنة سبع وخمسين وست مئة..

من مصادر الترجمة:

الاحاطة فى اخبار غرناطة: ٢/١٠٠ - بغية الوعاة: ١/٤٠١ - الاعلام: ٦/١٢٨.

الجلاَّد الراكبى:

على بن أحمد بن موسى بن على.. الجلاد الراكبى النخلى الحنفى.

■■ أحد علماء العصر المجودين وأحد السادة المجتهدين.. كان عارفاً بالفقه والنحو واللغة والقراءات والحديث والفرائض والحساب والهندسة.. بارعاً فى فنونه كلها.. ذكيا نقالا لأشعار العرب كامل الأدب.

■■ أخذ الفقه عن أبى زيد محمد بن عبدالرحمن السراج والنحو عن ابن بصيص.

■■ شرح كافى الصردفىّ فى الفرائض.. شرح الكافى لاحمد النحاس فى النحو.

■■ ولد سنة ثنتين وثلاثين وسبع مئة.

من مصادر ترجمته:

بغية الوعاة: ٢/١٤٦ - معجم المؤلفين: ٧/٣١.

أبو عبد الله الوانُوغى:

محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسى - الوانوغى نزيل الحرمين.

■■ كان عالما بالتفسير والاصلين والعربية والفرائض والحساب والجبر والمقابلة والمنطق والهندسة.

■ ولد سنة تسع وخمسين وسبع مئة بتونس ونشأ بها وسمع فى مسندها أبى الحسن بن أبى العباس البطرنى . . وأخذ عن ابن عرفة الفقه والتفسير والاصلين والمنطق . . وعن الولى ابن خلدون الحساب والهندسة .

■■ كان شديد الذكاء سريع الفهم . . حسن الايراد للتدريس والفتوى . . وإذا رأى شيئاً وعاه وقدره وإن لم يعتن به .

■■ وله تأليف على قواعد ابن عبد السلام وعشرون سؤالا فى فنون العلم تشهد بفضله . .

■■ كان يعاب عليه إطلاق لسانه فى العلماء ومراعاة السائلين فى الافتاء .

■ مات بمكة المشرفة فى سحر يوم الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وثمان مئة .

من مصادر ترجمته :

بغية الوعاة : ١ /٣٢ ـ الضوء اللامع للسخاوى : ٢/٧ .

شهاب الدين بن المجدى :

أحمد بن رجب بن طيبغا الشيخ شهاب الدين بن المجدى ـ الشافعى العلامة .

■ ولد سنة سبع وستين وسبع مئة واشتغل وبرع فى الفقه والنحو والفرائض والحساب والهيئة والهندسة . . وأقرأ وصنف وانتفع به الناس وانفرد بعلوم .

■ مات ليلة السبت عاشر ذى القعدة سنة خمسين وثمان مئة .

● من مصادر ترجمته :

بغية الوعاة : ١ /٣٠٧ ـ التبر المسبوك : ١٤٩ ـ البدر الطالع : ١ /٥٦ ـ الاعلام : ١ /١٢٥ .

من كتبه : «ابراز لطائف الغوامض فى إحراز صناعة الفرائض» . . «رسالة فى العمل بالربع الموسوم بالمقنطرات» . . «التسهيل والتقريب فى بيان طرق الحل والتركيب» . . «بغية الفهيم فى صناعة التقويم» . .

ابن الصيرفى :

احمد بن صدقة بن أحمد بن حسن بن عبد الله بن محمد بن محمد شهاب الدين المعروف بابن الصيرفى المصرى الشافعى .

■■ سمع الحديث على الحافظ ابن حجر . . وأتقن القراءات والفقه والأصلين والعربية . . والمعانى والبيان والبديع وفن الادب . . والمنطق والصرف والفرائض . . والحساب والجبر والمقابلة والهندسة والهيئة والحكمة . . والحساب المفتوح والفلك والمقنطرات ـ على أشياخ كثيرين منهم الجلال المحلى والمناوى والعلم البلقينى وابن المجدى والعلاء القلقشندى والبدر العينى .

■■ وأخذ عنه الفضلاء بالقاهرة ومكة المكرمة . . وناب فى القضاء عن المناوى فَمَنْ بعده . . وأتقن المنقولات والمنقولات .

من كتبه : «شرح الورقة فى أصول الفقه» . . «الكافى فى العروض» . . «مقدمة فى الفلك» . . «الحاوى فى الحساب» . . «ديوان شعر» .

■■ كان من محاسن الزمان مع التواضع المفرط . . ولد فى سابع ذى الحجة سنة تسع وعشرين وثمان مئة ومات فى منتصف شعبان سنة خمس وتسع مئة .

من مصادر ترجمته :

بدائع الزهور لابن إياس : ٢/ ٣٦٥ ـ الضوء اللامع للسخاوى : ١ /٣١٦ ـ طبقات المفسرين للداوودى : ١ /٤٤ ـ المهندسون فى العصر الاسلامى : ٥٥ .

الحكيم العدلى :

الحكيم أبو محمد العدلى صاحب الزيج العدلى

■■ كان مهندساً كاملا ولم يكن له فى المعقولات نصيب . . وكان أديباً ماهراً . .

■ له تصانيف منها : «الزيج العدلى» . . «كتاب فى المساحة» . . «الجبر والمقابلة» .

■ وهو الذى هذب الزيج البنانى أحسن تهذيب وكان مرجعه فى ذلك التهذيب الى الزيج الأرجانى . .

ومن كلماته : «ليس الجصاص كالبانى ولا البانى كالمهندس . . فالمهندس بطليموس والبانى هو البتانى ومرتبتى مرتبة الجصاص» .

● من مصادر ترجمته المهندسون فى العصر الاسلامى : ٥٤

المجلة الأولى
العدد الخامس والعشرون صفر ١٤٠٧هـ

السائح

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



• خليج مسليدن

السائح السعودي محمد عبد الحميد مرداد



خليج مسفلدن

السائح الآن
يقف على آخر ما وصلت اليه
البلاد التى يزورها من طرق
الحياة وما انتهت اليه
من الصناعات والمعمار
وسائح الأمس يضيف لنا
ما قد غاب عنا .. ومن هنا
تأتى أهمية
هذه
الصفحات

ولما اصبحنا والحمد لله وفى الساعة الثامنة صباحا جاء الطالب الجامعى حسب أوامر عمه وطرق الباب وقال انا فى الانتظار وعند عمى بالادارة اسفل الفندق .. وكنت قد ارتديت ملابسى وتقلنست بالقبعة السعفية الصوفية ونزلت الى المكتب فقلت لعمه هل تذهب معنا فقال لا : عندى بعض الاشغال - انما هذا ابن اخى يوصلك حيث تريد واعطاه الخريطة واخبره بالايسلندية ما معناه ان يمر بى على ميدان الكتدرائية الجديدة وعلى خليج مسفلدن وبعض بحيرات ونافورات ساخنة وبعض الجبال البركانية .

فشكرته وخرجنا ومعنا كاميرا للتصوير وكان الجو صحوا نوعا ما فذهبنا رأسا الى خليج مسفلدن - وهذ الخليج يضل السياح فيه ان لم يكونوا قد تعودو الذهاب اليه عدة مرات حتى بعض المرشدين يتوهوذ احيانا فيه .

واطراف هذا الخليج تنبت فيه بعض الزروع فهو جميل الطبيعة اذ ترى به مراعى للخيول الايسلندية الجميلة والماشية .



«الخرفان والخيول»:

ولما مررنـا بمـزرعة مسفليدن الجنوبية رأيت خيولا جميلة ترعى فاستـوقفت صاحبى لحظة لالتقـط لها منظرا لانها من الخيول النادرة لم ار مثلها فى الجمال . .

اذ شعورها تغطى اصداغها بحيث لا ترى الا العيون كانها قطعة من مرآة بين خميلة من الخمائل ورؤوسها صغيرة وشعر الرقاب متدل كأنه جداول مائية تصب فى غدران حمر وقوائمها محجلة . . ويقول صاحبى إن اول خيل اصيلة ولدت فى هذه الارض كانت من هذه السلالة ـ قلت له هل تصلح للسباق فقال لا ادرى لاننا لا نجيد ركوب الخيل انما هذه تصدر الى امريكا وكندا للهواة وربما لجر العربات الخاصة عند اللزوم ـ عندنا نوع للسباق محجوز فى الحظائر.

اما الخرفان فليست بذات اذيال ولا آلية ـ وحينما ترى الخـروف يرعى بمقـدم هيكله وبقـرونه ووبره الابيض تظنـه كخـرفـاننا ويعجبك منظره ولا يخطر ببـالـك انه كالماعز ولكنه (معزى) فى مؤخرته على شكل الغنمة المصرية التى يسمونها المعزى بكسر الميم عند عامة اهل مصر . . فقلت له هل هذه مستوردة أم من سلالة ايسلندية؟ ـ فقال من سلالة ايسلندية ويصدرون كميات هائلة منها الى امريكا وكندا وفعلا رأيت فى كندا والامريكتين هذا الشكل والهيكل بالذات.

«المد والجزر»:

حتى المد والجزر فى هذه الجزيرة على خلاف المد والجزر فى البلاد الاخرى ـ اذ يستمر احيانا فى بعض هذه الشواطىء الى اكثر من يوم واحيانا يتقلص فى بعضها الى نصف يوم او اقل وتارة يفاجىء ماء البحر السيـاح الهـاويـين للصيد بالزنارة ـ فى غير مواعيده الطبيعيـة فيغـرقهم . . وسألت بعض المواطنين عن سبب هذه الظاهرة المغايرة لغيرها فى البلدان الاخرى فقال سببه اضطراب البحر وتحرك البراكين.

« العيون الغوارة »:

ومررنا بنافورات فى بعض الميادين فقال لى المرافق هذه النافورات ماؤها ساخن لانها متدفقة من فوهات التلال البركانية ويعنى بها خليج الدخان.

« خليج الدخان »:

ولاشتياقى للماء الدافىء حيث الهواء المثلج يلفح وجوهنا بين الفينة والفينة قلت لصاحبى اذهب بنا الى خليج الدخان فوصلنا اليه بعد اربعين دقيقة واذا هو خليج جميل تكسو اطرافه الطبيعة الوانا واشكالا من الخضرة والزهور.

وبنهاية هذا الخليج هضاب صخرية جليدية يقال لها (انقلفور) قال لنا المرشد فى رحلة السبعين انها سميت باسم المكتشف النرويجى وهو المستر (انقلور ارنأرسون) وهو اول مكتشف ومستعمر ومستوطن ـ اذ بنى قصرا واطلق عليه قصر المكتشفين وسكن فى جزء منه ثم جعل الباقى للنزلاء قبل ان تعرف الفنادق والهوتيلات ثم دُمِّر وعفا عليه الدهر وانتقل الاسم الى الهضاب والخليج.

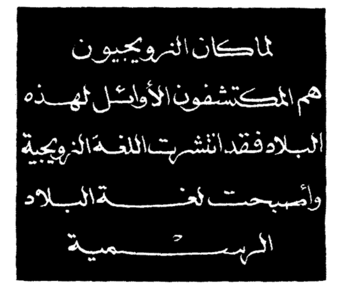
وبمناسبة ذكر المياه الدافئة اقول ان معظم عمارات العاصمة الايسلندية (ريجيافيك) مزودة بالمياه الساخنة وبخاصة القريبة من الشواطىء كما ان كل منزل صغير وكبير مزود بالمواسير ولها مفاتيح كهربائية لتدفئة الغرف وهى تعمل ليل نهار فى الصيف او فى الشتاء لان الجزيرة عبارة عن قطعة من الثلج الجامد.

« ريجيافيك »:

لماذا سميت العاصمة بهذا الاسم؟ ـ يقول المرشدون السياحيون ان المكتشف النرويجى الاول للجزيرة وهو المستر (انقلور) لما وقف بسفينته على شاطىء خليج الدخان او خليج (نيريافيك) بالقرب من السواحل المكشوفة ـ كان كلما تقدم نحو الشاطىء رمى بحجر فى البحر ليعرف مدى قرب القاع وآخر حجر رماه احدث صوتا هو (ريكجافيك) فسميت العاصمة بهذا الاسم وهو اسم صوت وقع الحجر فى البحر بلغة النرويج ـ ثم نزل وبنى بيتا جميلا على الشاطىء.

« فكسافو »:

ثم رأيت دخانا متصاعدا على طول الشواطىء فقلت للمرشد ما هذه الأبخرة فقال هذه الشواطىء تدعى (فكسافو) وتتصاعد هذه الأبخرة الى الجو فتظلل مياه الخلجان والشواطىء فيبدو المنظر الجميل ويوجد بيت لا تزال بعض انقاضه قائمة ـ يقولون ان عالما نرويجيا من علماء الارصاد بنى بيتا على طرف هذا الخليج على زعم انه يحبس البخار حتى لا يضلل ربابنة السفن واطلق عليه اسم (نيو سموكى هوم) وهو الذى رسم اول خريطة للعاصمة ريجيافيك فى عام ١٧٨٦م.





وفى اليوم الرابع من اقامتى بالعاصمة الايسلندية الجميلة ذهبت مع المرشد الصغير الى الميدان العام والمحاط بحدائق شعبية كبيرة متعددة وبه ابراج حديثة وتماثيل ومن بينها تمثال اول مؤسس لملاجىء الايتام واصله جندى مقاتل شارك فى تحرير الجزيرة.

ثم سرنا الى الحديقة العليا بجانب البرج وهى مقامة على سفح جبل شاهق على شكل الجبل المقام عليه قصر الحمراء بالاندلس وبجانبه حديقتان مفروشتان بالغروس الجميلة والورود وفيهما مراجيح للاطفال لكن الطلوع الى قمتها متعب لكونها على التلال والهضاب والسفوح ثم سافرنا الى جنوب الجزيرة بالسيارة الصغيرة لننظر الجبال المغطاة بالثلج الطبيعى ويقال لها (ساوث ايس لاند) ثم الى الغرب ويقال له (ايست ايسلند) وهو اجمل قسم من الجزيرة حتى البيوت المقامة على هذا الجانب رائعة الشكل والبناء والرسم ويتخلل هذا الجزء غابات كثيفة ملتفة الاشجار تصطاد فيها الثعالب والدببه احيانا وبها مسالك الى البحر الايسلندى الازرق الجميل الهادىء وبأطرافه رؤوس صخرية ضخمة يربط بها البحارة الصيادون سفنهم الصغيرة الشراعية عند الظهيرة.

« ميدان الكتدرائية »:

وفى صباح اليوم الخامس ذهبنا الى ميدان الكتدرائية الجديدة وهى اكبر كتدرائية بالجزيرة

وبجانبها مستشفى كبير مبنى بالاسمنت والحديد وهو اكبر مستشفى بالجزيرة وهو خاص بالاطفال. . ثم سرت مع المرافق الى خليج السمك وهذا تجد فيه السياح بالمئات وخصصت له الشركة السياحية عشرات الاوتوبيسات السياحية والزوارق البحرية وفيه انواع كثيرة من السمك وعنده يتناول السائح الغذاء الطازج من سمك الرنجا والجمبرى.

ثم السفر الى القمة الجليدية التى تدعى (سنافلز جوكول فلاسير) ويبلغ ارتفاعها ٣ الاف قدم وهذه لها قصص تذكر فيها بعد ان شاء الله.

ثم سرنا الى شلالات (ران فوس ووترفولز؛ وهذه المساقط المائية العجيبة تحيط بها حدائق موردة ملونة بجميع الالوان كأنها معرض سجاد وهى اجمل ما رأيت من منظر طبيعى بهذه الجزيرة القطبية الجميلة.

ثم خصصنا يوما لزيارة معظم المناطق بالجزيرة من غير العاصمة ومن غير المناطق التى تجولنا بها فى رحلة عام السبعين حيث بدأنا الجولة من قبل الشمس حتى منتصف الليل وبدأنا بمنطقة اسيا وجبالها التى يبلغ شموخها اكثر من ستة الاف قدم وبها مطار للهيلوكوبتر ثم منطقة هفيتا وبها مطار هلكوبتر ثم منطقة بحيرة «سكوراد الور» وبها مطار هليكوبتر. . ثم البحيرات الشمالية ومنطقتها تدعى ارنارفاشن تيو وليس بها مطار ثم منطقة الهضاب البيض ويقال لها (لانتى كوكول) وليس بها مطار هليكوبتر ثم منطقة هار وتاف جرور وبها مطار هليكوبتر.

«الجسور والمبانى الحكومية»:

وفى آخر يوم ذهبنا الى الجسور المقامة بالجزيرة والفنادق والحدائق العامة والخاصة ومبانى الحكومة والعمارات السياحية واجمل منظر بداخل العاصمة الجميلة للجزيرة الايسلندية هو حديقة البلدية وقد



المبانى الحكومية

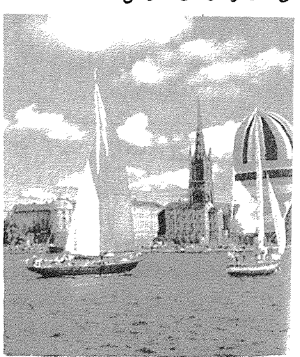
ارتأى المرافق الشاب ان يصور معى فى هذا الميدان فى حديقة البلدية بالقرب من برج السياحة وبركة البط بالعاصمة الايسلندية الجميلة.

هذا الشاب الجامعى الذى اشرت اليه قد رافقنى فى معظم الرحلات بسيارته الجميلة الجديدة من غير مقابل وقد بذل مجهودا كبيرا. . سألته لماذا وجوه اهل الجزيرة «مبقعة مائلة الى الانحراق كأنهم برص» والبعض يتمتع بجمال رائع من غير حروق ولا بقع؟ فاجاب بان من يتعرض للشمس حال خروجه فى الصباح المبكر ويستمر يعمل فى الشمس معظم ساعات النهار يصاب بهذا اللون وهذه الحروق لان الوجه مستور طوال الليل من شدة البرد وفى الشارع تلفحه الارياح الزمهريرية ثم يقابل الشمس ودخان المصانع والمعامل ـ اما من لا يتعرض للخروج فى الظهيرة فلا ترى عليه اثر هذه البقع مطلقا. . وسألته عن (الفهيْقة) وهى الشرقة التى اشرت اليها سابقا لانه يشرق فى كلامه فقال هذه الشرقة موجودة عند

غلب سكان هذه الجزيرة لكننا لا نتضايق منها بل نعدها مكملة للجمال الايسلندى ويمكنك سؤال والدى عنها هذه الليلة لانه سيسهر عند عمى فى الفندق لان غدا عيد الحرية وعطلة عمومية فى جميع انحاء الجزيرة وربما تتفسح معهما وترى مراسيم اعيادنا لتأخذ عنها فكرة وهذا العيد هو عيد فى الجزيرة - قلت له لكن غدا ربما اسافر الى جرينلند حسب وعد شركة الطيران . . فقال تذهب الان الى المكتب لانهم يفتحوه من الخامسة مساء حتى الثامنة يعنى من بعد صلاة العصر الى ما بعد العشاء تقريبا بأوقاتنا الشرقية .

« الغاء الرحلة »:

وفعلا صليت صلاة الجمع فى الحديقة وذهبت معه الى مكتب الطيران لحجز المقعد والسفر الى جرينلند ولما وصلنا قالت الموظفة المختصة قد الغيت الرحلة غدا وبعد غد بسبب الزوابع ولا سفر الا بعد يومين فضقت ذرعا بهذا النبأ ولكن ما باليد حيلة - وقلت لصاحبى ماذا افعل الان - قال نذهب الى الفندق عسى ان يكون والدى قد وصل .



ذهبنا الى المنزل ولم نجد والده ولا عمه المدير وكانت زوجته على المكتب تديره فسألناها فقالت سيأتى بعد ساعة - فذهبت مع المرافق الشاب لتناول العشاء فى بعض (البوفيهات) وهى مطاعم معينة من نوع خاص يوجد بها المأكولات الخفيفة كما يوجد بها المعلبات وغيرها وهى كثيرا ما تكون فى المطارات وبعض الاندية وقد اشرنا الى ما يسمى بذلك من كازينوهات وكافيتريات وهذه البوفيهات وكلها اسماء افرنجية حديثة جاءت مع تطور الزمن .

وتناولت مجففات مع كوب من الشاى وكان هو كذلك مجاملا لى ورجعنا حالا الى الفندق فوجدنا العم والاب قد وصلا فاخبرناهما الخبر فقالا : غدا صباحا ان شاء الله ستكون معنا فى الفسحة الطويلة وسنريك مالم تره من قبل وسيكون هذا الشاب مع النساء والاطفال ونحن الكبار نذهب الى حيث الهدوء والسكينة حتى تنقضى فترة ضوضاء العيد غدا بالبلد فشكرتهما وشكرت الشاب المرافق فودعنى وذهب الى بيته فبقيت مع البروفيسور والد الغلام والمدير معنا وهو صاحب الفندق فاغتنمت الفرصة وجعلت أسأل عن بعض ما حاك فى صدرى واول ذلك :

« الشرقة - الفهيقة »

قلت لهما - ارى ان اكثر سكان هذه العاصمة يتكلمون ويشرقون فى كلامهم فقال البروفيسور هذه ليست شرقة انها هى (ركزة مصحوبة بزفرة) وركزة وزفرة على وزن فعلة بفتح الفاء - قلت لهما لست فاهما شيئا فقال احدهما ركزة يعنى التكلم على فترات وعند كل فترة استراحة قصيرة تقف عن نصف ثانية - يزفر فيها المتكلم بلسانه بدلا من انفه وصدره وهى تعطى المتكلم شكلا جميلا يعجب السامع فقلت شكرا .

واحب ان اشرح للقراء هذه الظاهرة الايسلندية ـ اذا تكلم شخص ما بأربع او خمس كلمات ثم صمت ليستأنف الحديث ـ يطلع صوتا من حلقه بدلا من الاستنشاق المريح للمتكلم وهو يشبه الفهيقة تماما الا انه لذيذ ولطيف . . ثم قال لى هذه الفهيقة لا توجد الا فى السكان المهاجرين الاوائل وهم من النرويجيين خاصة ـ اما غيرهم فلا توجد فيه هذه الفهيقة فاستغربت جدا ولا زلت مندهشا الى هذه اللحظة .

«السكان الاصليون» :

ثم قلت لسيادة البروفيسور من هم سكان هذه الجزيرة وما هى لغتهم الرسمية وما سبب هذا الجمال الروحى المتحرك فى الاجساد والاوجه الايسلندية ـ فقال السكان الاولون لهذه الجزيرة هم النرويجيون وهم اغلب الاسكندنافيين القاطنين بها ـ قلت له من هم الاسكندنافيون فقال هم (الدنمرك والسويد والنرويج) ولكن هناك بعض من الفنلنديين والروس يقطنون هذه الجزيرة لكنهم قلة بنسبة ٣٪ .

ثم قال : وكل من له طاقة وتحمل وتجلد على البرد الشديد الصرد من اى دولة تجده هنا لكن من الغربيين خاصة .

« الاسكوتلنديون » :

ثم قال ـ الدرجة الثانية من السكان هم الايرلنديون والاسكوتلنديون .

وهذان الجنسان يكونان ٢٠٪ من سكان هذه الجزيرة ولقد نزح هؤلاء من شمال بريطانيا قبل قرن من الزمن واستوطنا الجزيرة لان بلادهما باردة جدا ويستطيعان التحمل والتجلد ـ وتصديقا لكلامه فانى كنت فى صيف عام ١٩٦٩ فى اسكوتلندا وتجولت فى عاصمتها (ادنبره) وفى اقصى الشمال من الجزر البريطانية وكنا فى لندن نستعمل المكيفات الباردة ونعرق فى الشمس ولما ذهبنا الى اسكوتلند ـ ارتعشنا من البرد فى الظهيرة والشمس صاحية مشرقة فاستغربنا واندهشنا وامتثلنا امر الله وحكمة البارى .

«اللغة والثقافة» :

ثم قال ـ ولما كانت الاغلبية الساحقة فى الجزيرة من الاسكندنافيين وفى مقدمتهم النرويج اصبحت اللغة الرسمية هى النرويجية واصبحت الثقافة كلها نرويجية ونظم القصائد لا يكون الا باللغة النرويجية ـ فاصبحت وامست هى اللغة الرسمية فى البلاد على ان تعليم اللغات الحية فى المعاهد والجامعات مثل الانكليزية والفرنسية امر لابد منه ـ ذلك لان النرويجيين هم اقرب بلد الى ايسلند وهم المكتشفون الاولون لذلك نشرت ثقافتهم ولغتهم . . على ان السويد والدنمرك هما اقرب ثقافة وحضارة ومدنية من النرويج سابقا لكن الاسكوتلنديين والشماليين من الدول المجاورة والمقابلة لم تكن لهم سلطة على هذه الجزيرة وكل من ليس له سلطة على اى بقعة من الارض لم يكن ليستطيع ان ينشر لغته او ثقافته على ذلك القطر مهما حاول ثم تلا علينا قصيدة باللغة الوطنية النردكية ـ ثم ضرب لى مثلا بامريكا اللاتينية التى لا تتكلم الا اللغتين الاسبانية والبرتغالية ـ ذلك ان ٤٦ مليونا من شمال غرب اوربا اصبحت لغتهم وثقافتهم منتشرة فى قارتين هما امريكا الوسطى والجنوبية . . فصدقته لذلك واكبر دليل على ذلك الولايات المتحدة وكندا ثقافتها ولغتها انكليزية وقس على ذلك الكثير من مجموع القارات .

هذا ما قاله البروفيسور ويتلخص فى الاتى :

● كل مكتشف ومحتل لبلد ما ـ ينشر ثقافته ولغته بحكم السلطة على تلك البلد كما انه يطبق حكم بلاده حرفا بحرف على ذلك البلد المسكين.

فالاسكندنافيون هم اصحاب اللغة والثقافة والحكم على هذه الجزيرة قديما وحديثا.

● ان اسماء الاشخاص فى هذه الجزيرة تقارب اسماء الاسكيميين وتنتهى بحرف الكاف الا النادر وهذا شائع فى كل قطر بحكم الجوار.

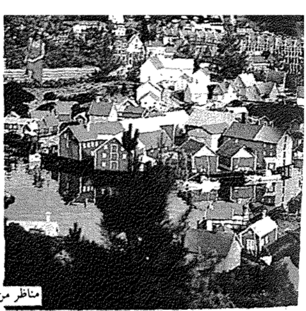
ثم قال (مع انه لا يوجد ولا شخص واحد من الاسكيميين فى هذه الجزيرة لكن اسماءهم منتشرة عندنا.

الزرق فلا وجود لها والسمرة لا وجود لها ايضا بل البياض المشرب بحمرة: والعيون اما عسلية او نجلاوية ـ والشعر اسود فاحم أو ذهبى فاتح ـ واما الاجسام فلا طويلة ولا قصيرة واما البدانة والسمنة فلا وجود لهما فى اى جسم ينمو فى هذه الجزيرة الا النادر والشاذ.

« الاخلاق والتربية »:

ثم ذكر عن اخلاق الجزيرة وحسن التربية والبيئة البيتية ما هو حقيقى وملموس ومشاهد ـ إذ لا ترى اطفالا يلعبون فى الشوارع ولا امام منازلهم ولا تسمع





مناظر من الجزيرة

« الجمال الفاتن »:

لما كان المهاجرون هم من صفوة الدول الاسكندنافية وشمال بريطانيا وايرلندا اصبح الاختلاط بينهم والتزاوج لازما ومن الامور الضرورية ـ بحكم الاستيطان والاختلاط ـ فجاء من هذه المخالطة.. والمعاشرة هذا الجمال الرائع ـ اما العيون

مجادلة ولا خصاما كأن الجزيرة كلها بيت واحد وعائلة واحدة.

« الأجانب »:

ثم قال ان الاجانب لا يستطيعون الاقامة فى هذه الجزيرة مطلقا لغلاء المعيشة وللبرد القاتل فلا يسكن

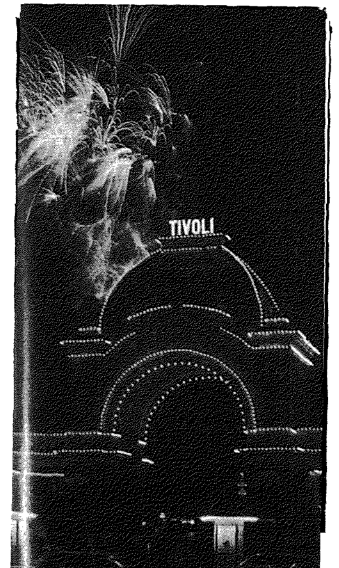
هذه الجزيرة الا اهلها وفعلا لم ار غربيا ولا هنديا ولا مكسيكيا فى هذه الجزيرة مع ان هذه الاجناس الثلاثة منتشرة فى كل قطر من اقطار العالم.

«النظافـــة»:

ثم قال عن النظافة هل رأيت اى حشرة فى هذه الجزيرة قلت لا والحق يقال ان شوارع هذه الجزيرة كالمرآة من النظافة والغسيل ورش المبيدات على الرغم من عدم وجود ذبابة او بعوضة أو أى حشرة فى هذه الجزيرة من شدة البرد والهواء المثلج الذى يساعد على ابادة الحشرات حتى قلت لبعض اهل المعارض ما لكم تحاربون الحشرات وهى غير موجودة ـ فقال بكل بساطة وسذاجة (الوقاية خير من العلاج) فانت ايها السائح لماذا لقحوك ضد الكوليرا وضد الجدرى وضد المكروبات ـ هل كان معك او اصابك شيىء من ذلك حتى تلقحت فاسكتنى ثم اخجلنى بقوله ايضا ان بعض السياح يحمل فى شعر رأسه نوعا من القمل وبعضهم توجد فى فرشته اى ما يتلحف به او ينام عليه ـ توجد الحشرة الخبيثة هى (البق) فهذه وقايتنا لمثل ما قلته لك ويقصد بهؤلاء السياح القذرين (الهيبز).

«عيد الحرية»:

ثم ذهب البروفيسور الى منزله مع ابنه المرشد الصغير وودعناهما وقالا نحن عندكم صباحا ان شاء الله ـ وما ان اصبح الصباح وانتهينا من تناول الافطار حتى حضر البروفيسور ونادانى المدير وخرجنا فى سيارتهم الصغيرة ولم يكن معنا من احد سوى المرشد الصغير لانه قائد السيارة ثم ذهبا بى الى ميدان الحرية ومؤسسها المنصوب على القاعدة والناس ملتفون حول التمثال يهزجون بأهازيج جميلة واناشيد ويخرجون من جيوبهم أزهارا وورودا ينثرونها حول القاعدة حتى صار الزهر كالهضاب والتلال فى الميدان ويعد كل فترة من الزمن ما بين عشرة وعشرين دقيقة تصمت الاناشيد ويحل محلها الخطب الرنانة باللغة النردوكية الفصيحة التى لم احفظ منها سوى كلمتين هما (رانار) راء مفتوحة والف ونون مفتوحة مع الف وراء ومعناها شارع ـ والكلمة الثانية (يو) بفتح الياء وتسكين الواو على وزن الكلمة التى تستعملها العامة عندنا فى السعودية عندما ينادون احد الزملاء وخاصة اهل الحارة بمعني (يافلان) اما هنا فى ايسلندا فمعناها نعم ـ بلى مرحبا مستعد حاضر.



احتفالات عيد الحرية

السائح السعودى مع المرافق السياحى امام جامعة ريجكيافيك



ثم بعد ما رأينا تلك الحشود المحتشدة حول التمثال وسمعنا ما يقال من الاهازيج والاناشيد والمكبرات الصوتية حول موضوع الحرية وكيف نالت الجزيرة الاستقلال وتحررت من الرق والاستعباد وعن تعظيم صاحب التمثال وما قاله فى حياته وما اسسه من اعمال وعن نضاله وجهاده ـ وكانت تلك الحشود خليطا من نساء ورجال وغلمان صغار لكنك لا تسمع ولا تحس بضوضاء او ضجيج او صياح اطفال بعكس ما فى البلاد الشرقية وبعض البلدان.

صعدنا السيارة ـ وغادرنا موضع الاحتفال وهو لم يبعد عن بركة البط سوى بضع خطوات ثم تجولنا قليلا فى شوارع العاصمة ورأينا جميع الحوانيت مغلقة ما عدا اصحاب المرطبات والحلويات والمطاعم والمقاهى والبارات ورأينا العربيات الصغيرة وهى تعج بالعائلات فى طريقها الى الحدائق والكنائس والملاهى ومعظم هذه السيارات تحمل الاطفال ولعبهم والحلوى والورود فاستعظمت المنظر وقلت للرفقاء هل هناك اعياد كهذه فى السنة ام هذا الوحيد فقالوا الاعياد كثيرة واهمها هذا.

ثم قال الرفقاء نحن الان فى طريقنا الى بعض الانهار فقلت لهم ارجوكم تذهبوا الى منازلكم وتصحبوا اطفالكم وتذهبوا بهم الى الحدائق والملاهى مثلكم مثل هؤلاء الناس وانا اعرف معظم الانهار والبحيرات واعرف كل شيىء عن هذه الجزيرة وقد سجلت كل شيىء فى رحلة ١٩٧٠ والان اذهبوا بى الى الدار لأستريح فقالوا ان الاطفال قد ذهبوا من الصباح الباكر مع اخوتهم واقاربهم واما نحن فمعك ولا نتركك الا عند النوم.

«رواق الفنون»:

وكان الوقت قد اقترب من العصر فقلت لهم انا الان جاء ميعاد صلاتى واريد ان اصلى فكيف اعمل فقالوا نذهب الى (رواق الفنون) نتغدى واعمل ما بدا لك فذهبنا الى رواق الفنون والصناعة وهو رواق فسيح الارجاء متسع جميل يقال له (بهو الفن الاهلى)

وفوق هذا الرواق المتحف الاهلى الذى زرته فى رحلتى عام السبعين بالعاصمة الايسلندية ـ ثم ذهبنا الى حديقة (السقا) وقد كان نحاتاً ماهرا ويسقى حديقته بنفسه قبل اختراع المواسير والحنفيات وهو فنان ماهر وقد نحت تمثاله بنفسه ونصبه فى مزرعته وقد التقطت له صورة فى رحلتى السابقة.

ثم حط القوم رحالهم فى هذه المزرعة الجميلة واخرجوا مأكولاتهم الخفيفة التى هى سندوتشات لحوم الخنزير والجبن الاصفر وما الى ذلك فاستأذنت منهم وقمت لصلاة الجمع واخرجت من حقيبتى الصغيرة بعض النواشف من المأكولات الخفيفة لكى اتصبر بها ـ ثم جلسنا نتحدث بعض الوقت واخرجت مفكرتى وسجلت ما رأيته فى هذا النهار يوم عيد الحرية ثم كتبت رسائل وبطاقات لكى ابعث بها الى الاصدقاء فى السعودية ومصر وتونس وايطاليا والسويد ولبنان وفرنسا.

وأما رفقائى ـ البروفيسور واخوه مدير الفندق فاخرجا قصة مطبوعة ومكثا يقرآنها بتلهف وتعمق فسألتهما لماذا ـ فقالا هذه قصة كفاح الجزيرة حتى نالت الحرية والاستقلال ـ ثم اقترح البروفيسور والد الغلام المرشد ان نأخذ صورة لى وله فقط فالتقطها لنا المدير.

وهذا النحات الذى اخذنا صورتنا فى حديقته اسمه (سموندر سقينسون) وقد حانت صلاة المغرب فقمت لصلاة الجمع ثم قلت لهما الا تذهبا الى الدار للاستراحة فقالا نعم وذهبنا الى الفندق حيث العشاء والقهوة والسمر ـ فوصلنا قبيل العشاء بقليل وكانت اسرة المدير لم تصل بعد ـ فقال لى اصعد الى غرفتك وخذ راحتك قليلا ثم انزل الى البهو لنستمر فى المحادثة ونشرب الشاى معا ـ وهذا أخى ـ ويقصد به البروفيسور وهذا ابنه سيمكثان هنا حتى الحادية عشرة ـ قلت نعم. ونزلت الى البهو بعد نصف ساعة.

«اختبار الذاكرة»:

واول حديث بدأ به البروفيسور سؤاله لى عن المواضع التى تجولت فيها فى عام السبعين فى هذه الجزيرة ويريد بذلك اختبارى وكان يظن انى سأقول له لا أدرى أو اقول قد سجلت ذلك فى المفكرة او كتبت رحلتى وطبعتها وبعثت بها الى المجلات والجرائد فى بلادنا.. الخ. لكن الله ذكرنى برحلة عام السبعين المختصرة الوجيزة فذكرت له بعض المشاهدات والانطباعات والاحساسات حسب ظروف الرحلة آنذاك.. ولما اجبته على اسئلته قال لى (بحق لنا ان نسميكم مستغربين) كما تسموننا (مستشرقين) فلقد بدأتم تغزوننا كما غزوناكم ومن ضمن اسئلته (هل عرفت البراكين فى ايسلند) نعم وهى اعظم جزيرة تكثر فيها البراكين بالنسبة للعالم لانها تزيد على الثلاثين بركانا ثم ذكرت له البحيرات والانهار والعيون الفوارة (الحارة) ثم الانهار الجليدية ثم المتاحف ثم تاريخ الجزيرة كما سمعته من افواه المرشدين ثم تاريخ العاصمة ومتوسط اعمار اهل البلد من الذكور والاناث والسفارات والقنصليات وعناوينها والجامعات ووزارة التعليم وجبال الجزيرة والقمم الثلجية والرؤوس والخلجان والاودية والملاهى وميادين الكورة والرياضة والغابات ـ ثم قلت له وهذ خلاف ما سمعته منك ومن حضرة المدير ـ هذا من المعاهد والمكاتب الاثرية وكلام المرشدين ثم هل تصادق على ما سمعته منى أم هناك اغلاط فقال (يو بمعنى نعم صحيح.

« لكنكم هبيز » :

ثم قلت له لكنكم انتم هبيز ـ لماذا تطلقون شعوركم مدلاة على اكتافكم وترسلون لحاكم ولماذا لا تسمحون للاسكيمو يسكنون فى بلدكم وهم اقرب اليكم من اى بلد حتى من الدنمرك والنرويج فاجاب :

ان الاسكيميين فيهم توحش زائد وليس عندنا من الوقت ما يكفى لتعليمهم وتمدينهم والا فنحن فى حاجة الى خدمتهم لانهم اصبر الناس على تحمل الجليد والزمهرير ثم قال وهل رأيت اجنبيا فى هذا البلد غير اهله؟ .

اما نحن هيبيز فليس كذلك ـ ارأيت لماذا نرش الاسواق بالمبيدات الحشرية ونغسل الشوارع بالماء الممزوج بالفينيك وهو ما نسميه بالاسفنيك ـ كل هذا خوفا من الميكروبات التى يحملها الهيبيز السياح الواردون من الامريكتين بالالاف يوميا ـ هل نطرد الضيوف ـ ثم قال نحن على الرغم مما رأيت من زمهرير فى بلادنا الا اننا نستحم مرتين فى اليوم ونتطيب بالشذا الطيب ـ ويقصد بذلك انهم يدهنون شعورهم بالطيب الايسلندى وهو دهن (النسرين) ويوجد زهرة بكثرة فى بلادهم .

« حتى النساء فى ايسلند » :

يتغيَّرن وتعتريهن الغَيْرة وتحمر خدودهن ـ لاننا فى اثناء الحديث وفى اخر السمر حضرت الزوجة واطفالها لكنها غاضبة وتتكلم بالايسلندية والا ادرى عن السبب ولا هو من اللائق السؤال لكن



البروفيسور أسرَّ اليَّ وقال اتدرى ما تقول السيدة لزوجها اخى حضرة المدير. . ؟ قلت لا طبعا قال ـ انها تقول جاءكم هذا الضيف وغيركم علينا وما كنا قبل اليوم نخرج فى اعيادنا الا وانت معنا الا هذا العيد فلماذا ـ اليس كل عيد يأتى وعندنا نزلاء فى هذا الفندق. . ؟ لماذا لم يأخذوكم؟ ولكنهم ليسوا بسحرة . . ولكن هذا اول ساحر يأتينا فى ايسلندا . .

ثم جاءنى المدير وقال ماذا قال لك اخى وهو يناجيك فقلت كلمة السر وهى باللغة الانجليزية (ووتش وورد) فقال ان زوجتى غاضبة وتقول لماذا تصورتم مع الضيف السائح وانا لم تشركونى فى الصورة ـ قلت له ان كان هذا حقا فاخرج الان والتقط لنا صورة معها ومع بناتها ـ فتكلم معها بما لا افهمه ثم قال تفضل آخذ لكم الصورة قلت فى الصباح ان شاء الله ثم خرج البروفيسور وودعنى الوداع الاخير حتى ارجع من جرينلند لانه لم يبق للسفر اليها الا اليوم الاخير.

«اخذ الصورة»:

وفى الصباح خرجت لشراء بعض الفاكهة ومأكولات مجففة ويسمونها (دراى فود) ورجعت لتناول الفطور ثم لبست ملابسى السياحية ووضعت القبعة على رأسى وتقلدت بالكمرا (آلة التصوير) وكان فى انتظارى حضرة المدير وبناته وزوجته فخرجنا جميعا امام الفندق رقم ١٢ فالتقطنا لنا الصورة.

وهذه الام لها قصة اوردتها قبل ذلك وملخصها ـ الكتابة باليسرى وبالمقلوب ومن اليمين فمثلا كتابة (BOOK) بمعنى كتاب تبدأ بحرف الكاف من اليمين وبسرعة زائدة وباليد اليسرى: وحسب تقليد الابوين جعل البنات يتعلمن منها هذه الاعجوبة وهذه الظاهرة الشاذة بالاضافة الى (الشرقة) وهى الفهيقة الطبيعية الوراثية التى اشرنا اليها سابقا.

«اليوم الأخير»:

وفى هذا اليوم اصبحت بخير ولله الحمد ولما كانت الساعة التاسعة صباحا خرجت لأستفسر من مكتب الطيران الايسلندى عن ميعاد السفر الى جرينلند وعن التجول فى الاسواق ورؤية المعارض والمكتبات وتسجيل الاسعار للجملة وبالعكس ولزيارة دائرة البريد ووضع الطوابع على الرسائل والبطاقات التى ازمعت ارسالها الى الخارج ـ وللوقوف على الفنادق الفخمة فى الجزيرة وتسجيل بعض اسمائها وعناوينها لاستفادة القراء اذا ما عزموا على السياحة والتجوال فى هذه الجزيرة الجميلة.



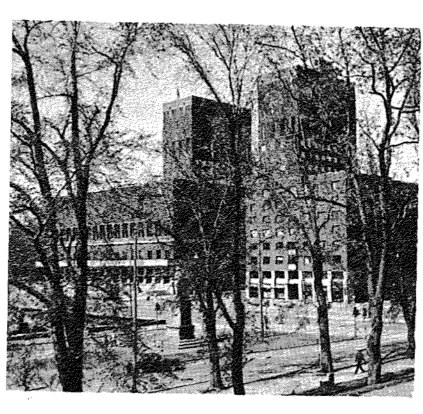
السائح السعودى مع عائلة الفندق رقم ١٢

«الكلاب فى البريد»:

واول ما ذهبت اليه دائرة البريد ويسمونها (بوست اوفس) (Post office) وكانت على بعد ربع ميل من شارع ١٢ وهى بجانب هضبة برج السياحة وتقع على تقاطع ثلاثة شوارع رئيسية ويقابلها البنك الامريكى وهو اكبر بنك بالعاصمة وعمارته تتكون من اربعة طوابق وبجانبه شركة خطوط الطيران فدخلت فى البنك لتبديل العملة حيث نفد ما معى من عملة البلد ـ وكان الموظفون بالبنك معظمهم من السيدات ويشرقون فى الكلام ـ صورة طبق الاصل لعائلة الفندق.

خرجت من البنك وكان البريد امامى فولجت عمارته الجميلة وكانت منسقة بشكل جذاب اذ تمنيت ان كل بريد فى العالم يكون على هذا النمط من البريد لكن بعد لحظات خاب ظنى حتى كنت احدث نفسى ان اسجل شهادة فى المكتبة الرئيسية واوقع عليها فى دفتر الزائرين بان (ريكيافيك) انظف عاصمة فى العالم على الرغم من صغرها وقلة سكانها حتى فضلتها على لندن ونيويورك وواشنطون وباريس لانك لا تجد فيها ذبابة واحدة ولا بعوضة ولا اى حشرة. على انك ترى هذه الحشرات تضايقك فى العواصم التى ذكرتها لك.

اندهشت من هذا البريد ومافيه من نظام عجيب بيع الطوابع والتسجيل ومساعدة الزائرين فى الصاق الطوابع وتسجيل الرسائل وختمها امامك ووضعها فى نافذة متحركة بالكهرباء ثم نظافة العمارة وبهوها ودهاليزها وحيطانها المنقوشة وكثرة ما بها من المرايات وتعليق الخرائط والرسوم والصور الجميلة على كل حائط وفرش جميع غرف البريد بالسجاد العجمى الذى ما رأيت مثله الا فى هذه العاصمة ركجافيك..



لما رأيت ما ادهشنى قررت الذهاب الى المكتبة السياحية لتسجيل الشهادة ولكن سرعان ما رأيت ما ازعجنى فتغير رأيى فى الحال ولكل شىء اذا ما تم نقصان فسبحان من له الكمال وحده.

ماذا رأيت؟ ـ عندما رأيت الموظفة الجميلة تأخذ منى الرسائل والبطاقات لتضع عليها الطوابع نيابة عنى زاد اعجابى وبخاصة عندما رأيت تلك الاطباق الصغيرة تحمل قطعة الاسفنج المرشوش بالماء المخصصة للطوابع وتلك الاقلام الجميلة المربوطة بالسلاسل امام كل شباك لمساعدة الزائرين الذين يريدون كتابة رسائلهم فى البريد ـ وبينما انا فى هذه الحيرة والدهشة اذ دخلت سيدة عجوز ويصحبتها كلب كبير فى حجم التيس تقوده بسلسلة وبيدها رسائل تريد وضع الطوابع عليها وما هى الا لحظات حتى دخل عجوز مسن ويجر كلبا ونفس الشيىء وقبل

خروجى من بهو عمارة البريد وقبل ان يتغير رأيى اذ جاءت عجوز تقود كلبة كبيرة فهاش الكلبان على تلك الكلبة وانفلتا من السلاسل وارتفعت اصوات الهوهوة وكل يجرى فى تلك العرضة يريد الهرب هربا من عض الكلاب حتى اصحابها انفلتت منهم القيادة ونجوت بالقوة والحيلة حتى خرجت من صحن الدائرة البريدية وما ادرى ماذا فعل الزائرون الذين تركتهم امام الشباك البريدية.

فقلت لاحد السياح الذين هربوا معى والذين لا تعجبهم هذه الضوضاء الخبيثة ماذا على دائرة البريد او وزارة المواصلات لو تضع حلا لمثل هذه الظاهرة المزعجة بجعل جندى على باب البريد يمنع كل زائر معه كلب او كلبة فقال هذا المفروض ولكن مع الاسف. قلت له: ان هذا المنظر قد غيّر رأيى ويا ليتنى لم ادخل هذه الدائرة ولم ازرها ولكن ربّ ضارة نافعة.

«مكتب الخطوط»:

ودخلت مكتب الخطوط الايسلندية لأحجز للسفر الى جرينلند فكلمتنى الموظفة وهى تشرق فى كلامها ايضا فقالت غدا صباحا ان شاء الله تكون فى المطار الساعة التاسعة واستلمت منى خمسة وثمانين دولارا ثمن التذكرة ثم سألتنى هل تدفع ثمن المواصلات هناك والاكل والسياحة هنا ام هناك - قلت لها ولماذا؟ قالت لا يوجد مطاعم ولا مكاتب مواصلات الا المكتب السياحى والفندق الخاص بشركة السياحة التابع لشركة (SAS) وطلبت عشرين دولارا فدفعتها وكتبت على التذكرة الساعة ورقم الرحلة وما الى ذلك.

«المعارض»:

وخرجت من مكتب الخطوط وكانت الساعة ١٢ ظهرا فدخلت المعارض والمحلات التجارية والصيدليات ومحلات بيع الانتيكات فرأيت العجب العجاب معظم المعارض فيها الفراء الثمين - فراء الثعالب القطبية وفراء الدببة على اختلاف انواعها وفراء ثيران المسك والسجاد الفرنساوى والعجمى والانتيكات فسألت عن سعر فراء ثعلب قطبى فكان الجواب ٣٠ ثلاثون دولارا والدب ٢٦٠ دولارا والثور ٣٧٠ دولارا والسجاد - المتر بعشرين دولارا وأصغر انتيكة بثلاثين دولارا فاغتم قلبى وخرجت حانقا يائسا لعدم استطاعتى شراء شيىء من هذه العجائب ذات الاسعار الخيالية الجنونية.

كما وجدت تماثيل الاسكيمو المصنوعة من الخشب الجميل فى كل معرض.. الاقزام منهم وغير الاقزام وبأسعار لا تقل عن مائة دولار ومع هذا الغلاء والسياح يشترون هذه السلع باندفاع ونهم اذ تجدهم متزاحمين على هذه المحلات كأنهم يريدون شراء تذكرة سينما او ملهى وما كان الدولار الا عبارة عن قرش او مليم فى نظرهم لكن هذا الاندفاع وهذا الاقبال على شراء هذه السلع ما هو الا من السياح الغربيين والامريكيين والاوروبيين اما الشرقيين من يابانيين وصينيين وهنود وغيرهم من الأسيويين والافريقيين فلا - فقلت الحمد لله الذى جعل لى زملاء ينكرون هذه الاشياء ويعتبرونها خرافة واسرافا.

«الفنادق»:

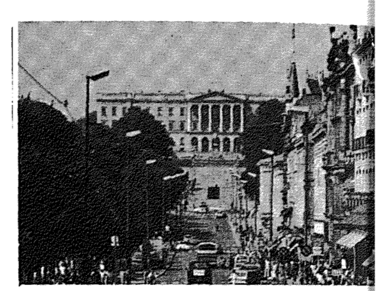
ثم رأيت فنادق فخمة بميدان الحرية وميدان

مدير الفنـدق رقم ١٢ الذى حللت به ضيفا لانى عوملت فيـه معـاملة الضيـوف المكرمين ـ فقال كل ساكن فى هذه الجزيرة له اكثر من منزل فيسكن فى واحد منها ويؤجر الباقى باليوم على السياح وليس فى بلادنا من يستأجر الشقق لان كل الموظفين بهذه البلد لهم منازل يسكنونها ويملكونها وليس عندنا اجانب مطلقا الا نادرا ولو وجدوا لاستأجروا فنادق متوسطة حتى يسافروا ولا احد يتمكن من الاقامة فى جزيرتنا للاسباب التى ذكرت سابقا.

« بناء البيوت »:

سبعـون فى المـائـة من المنازل فى العـاصمـة الايسلندية وغيرها من المدن كذلك لا تتكون الا من طابق واحد او طابقين على الاكثر وكيفية البناء تشابه الى حد كبير مدينـة مَكَّـاسَـرْ عاصمة السليبس ـ فالقاعدة من الاسمنت المسلح ويرفعون فوق القاعدة مترا واحـدا على الاكثـر ثم يتممـون البـاقى مع الاسقف من الاخشـاب القـويـة ثم يصندقونها من الخـارج بألـواح معدن التوتوا ثم يطلونها بانواع من البوية القوية التى لا تزول بالمطر ولا الندى ـ اما من الـداخـل فينقشونها ويطلونها بالبويات الجميلة واما الاسقف فيضعـون فوقهـا القـرميـد الخفيف الاحمر المطبوخ بالافران ويجعلونه مائلا كالزحليقه لئلا تقف عليه مياه الامطار التى لا تنقطع كل ذلك خوفا من الهزات الارضية والاعاصير الثلجية.

على ان بعض هذه المنـازل مسقـوف بالمسلح ولكن يدهنـونـه بمادة تضـاف الى البوية تخفف برد الشتـاء.. امـا الناطحات فلا وجود لها الا بمقدار اصابع اليد الواحدة.



مناظر من الجزيرة



البلديه مكونه من طابقين وثلاثة الى عشرة وسألت عن اسعـارهـا فوجـدتهـا عالية جدا اذ لا تقل عن الثلاثين الى الاربعين دولارا للسرير الواحد ولا ينزلها الا الغـربيـون الاثـرياء الذين لا تهمهم المادة ومن بعض هذه الفنادق فندق (لوفت ادر) وهذا الفندق يشتمل على بركتى سباحة ومطعمين كبيرين.

« البيوت اكثر من عدد السكان »:

لو احصيت البيـوت الصغـيرة والعـمارات الفخمـة بالاضـافـة الى الفنـادق فى جميع مدن وقرى جزيرة ايسلندا لوجدتها اكثر من عدد السكان ـ وفعلا سألت



(٨)

الحروب في استفتاء المنهل

وجه الاستاذ عبد القدوس الانصارى رحمه الله سنة ١٣٥٩هـ/١٩٣٩م استفتاء لكبار الادباء: **هل الحـروب تطوى الحضارات ام تنشرها؟** فأدليت بدلوى مع الدلاء على صغر سنى يومذاك إذ كنت يومهـا حديث التخرج من المعهد العلمى السعودى ولـذلك وقَّعت الاجابة باسم «الفتى المعهدى» وهو التوقيع الذى كنت اوقع به كثيراً من مقالاتى وكلماتى فى الصحف السعوديـة لفترة طويلة وكانت اجابتى على الاستفتاء كما يأتى:

● ما الحـرب؟

إنها ظاهرة سيئة مُنيت بها الانسانية فى صميمها وقُدِّر لها ان تتصف بها من حين خلقها الله وسجل عليها التأريخ وابتدأ بها الزمن.

والحرب فى الكثير الاغلب إنما يورثها طمع القوة فى الضعف وهنـاك مسببات أخرى لها كالدفاع عن عقيـدة دينية وحب الأخذ بالثأر والسعى وراء بسط النفوذ والرغبة فى الاستيلاء على بلد ذى بال فى موقعه الجغرافى أو نتاجه الزراعى أو صادره المعدنى وهذه من أقـوى العـوامـل فى اشتعـال نيران الحروب بين الدول إن لم تكن أقواها.

ومن رأيى أن الحـروب تضـر الانسانية فى الصميم وتطـوى الحضارات بحيث يلزم فيها بعد نشرها من جديد وإليك الدليل - يا قارئى العزيز - حتى تتيقن صدق ما أقوله عن الحرب.

قلت إنها تضر الانسانية وهذا قول لست ألقيه على عواهنه فهى كم حملت الأمم على أن تتجه بكل قواها الأدبية والمادية الى التسليح وأن تنفق جميع ما يجبى اليهـا من أموال فى تغذية الجنود وتموينهم وان تضيع مجهودات رجالها بإيقافها على مصانع التسليح والتدمير.

أما طيُّها للحضارات فحقيقى واقع اذ ان القنابل اليوم التى هى اكثر الأعتدة تدميراً وألزم للامم لقهر عدوها وكسب الحرب لا تبقى ولا تذر لمدينة متمدينة منيت بوابل منها والقنابل واحدة من كثير من المدمرات للمـدن المليئـة مصانع فياضة وقصوراً فخمة ودوائر حكومية منتظمة.

والحـروب تبعث فى نفوس المحاربين المنتصرين حب السيطرة على المحاربين المغلوبين ونزع السلاح من ايديهم والضغط عليهم والحد من حرياتهم ورفع علمهم فيهم.. إشارة الاحتلال ودليل السلطة.



ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جديدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له ثمنه وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

فهل الحروب ـ والحالة هذه ـ نافعة وناشرة للحضارات ؟ كلا. وانه لزعم كاذب ذلك الذى يقول به بعض البيولوجيين من ان الحرب لازمة حيوية تطهر المجتمع من السيىء من العناصر وتعمل على ابقاء الاصلح من الافراد والجماعات فالواقع ينفى ذلك إذ أن الحروب تقضى على اقوى ذخيرة للأمم وأوحد أمل فى الحياة وتقضى على الشباب.. وأقول تقضى على الشباب لأن الحكومات عادة لا تقدم للدفاع عنها وبقاء وجودها غيرهم وهى بذلك تبقى المراض الضعفاء الذين لا يستطيعون ضرباً فى الأرض ولا سعياً الى الحرب ولاذباً عن الوطن ومن ثم يتبين لنا خطر الحرب وإضرارها لا إصلاحها وتطهيرها كما يزعم البيولوجيون.

وتقرر طائفة من الأدباء بان الحروب تطوى وتنشر: تطوى الفنون بحيث يدعو الأمر بعد انتهائها الى افتنان جديد وإيجاد آخر وتنشر العلوم بالقدر الذى تطويه من الفنون وطيها للفنون أقرره حقيقة لعلمى بان الفنون انما تزدهر فى عصور الاستقرار الاجتماعى والتضامن غير الفردى ولكن نشرها للعلوم لا أجد مساغاً للأخذ به فهى إنما توجد مخترعات لم تكن من ذى قبل موجودة وكلها لتدمير المشيد فى السنوات الطوال فى ساعات.. وإفناء الانسانية السائرة نحو النور منذ نحو ربع قرن فى لحظات ورحم الله شوقى إذ قال:

فأفٍّ من العلم الـذى تدّعـونـه
إذا كان فى علم النفـوس رَدَاهـا

والحروب فى الزمن القديم لم تكن كالحروب فى هذا العصر الذى نعيش فيه، والبون بينهما شاسع جداً فالاعتدة فى الماضى لم تتجاوز السيف والرمح والسهم اما فى الحاضر فالعدد كثيرة ومدمرة فى آن واحد فمن غواصات تحت أطباق البحر تكيد للسفن وتغدر بها إلى اساطيل فوق الماء ترمى بالمنون.. ومن طيارات فى الجو تفشى الغازات الخانقة للأرواح وتقذف بالقنابل المخربة للمدن إلى سيارات فى البر مدرعة بأقوى أسباب الافناء.. ومن دبابات تخترق الحدود فى طريقها الى العواصم الى مدافع تصب نيرانها صبا عنيفا على القطان.

زد على ذلك انها لم تكن فى الاعصر الخوالى تقع فى القرى المأهولة والمدن المعمورة وانما كانت تحتدم بين

الفريقين المتحاربين فى أرض فضاء بعيدة عن الأهالى وفى منأى عن المدن المنشآت فيها القصور الفخمة والمصانع الضخمة ثم هى لم تكن تشتمل على مزهقات لارواح الجماهير غير المتحاربة كالغازات تفشى فى جو كل بلدة ومدمرات فى ساعات لما بُنِىَ وأُخْتُرِعَ وصُنع وعُمل فى سنين طويلة كالقنابل تقذف بها كل مدينة معمورة كما فى عصرنا الحاضر.

هذا ما اجبت به على استفتاء «المنهل» سنة ١٣٥٩ - حول الحروب وجنايتها على الانسانية وحضارات الامم واختلاف آثارها المدمرة بين اليوم والامس.



وأريد أن أضيف على ذلك بعض الحديث عن الحـروب الأهلية التى تنشب بين طوائف الشعب الواحد أو قطاعات الأمة الواحدة.

وهو ما ابتلى به العرب حديثا ومثاله مازال قائماً فى البلد العربى «لبنان» فمنذ أكثر من عشر سنوات.. واللبنانيون يخربون بيوتهم بأيديهم ويحرقون البشر والشجر والحجر بقنابلهم ويقتل اللبنانى أخاه اللبنانى ويهدم بيته على أطفاله وزوجته وأمه وابيه واخوته.

وعلى كثرة ما وُجِّه الى الزعماء اللبنانيين من نداءات ورجاءات لوقف هذا الصراع الدموى بينهم.. فإن احداً منهم لم يرجع الى عقله أو قلبه أو ضميره أو أنسانيته أو وطنيته فيستجيب لهذا النداء أو ذلك الرجاء خلال أكثر من عشر سنوات.

ويقف العالم - غربيُّه وشرقّيه عربيه واسلاميه -



إن الحديث عن ظاهرة القلق فى أدبنا المعاصر حديث طويل ولكن أحب أن أضع بعض النقاط على بعض الحروف فى هذا المجال.

إن الأدباء الشباب القلقين فئتان: فئة مقلّدة تجتر أوهامها إجتراراً وتتمزق لأجل التمزق للاشيىء.. هذه الفئة تستورد بضاعة غريبة ثم تنسبها إليها ولا تعيش من القلق تجربة واحدة.

لقد فتحت أنظارها على الحضارة الغربية - مثلا - التى مرت فى مراحل النمو والنضج الى مرحلة الهذيان والتفسخ

مذهولا مشدوها كيف يرضى اللبنانيون - مهما إختلفت عقائدهم بين مسلمين ودروز وشيعة ومسيحيين - أن يمزق بعضهم اجساد بعض بالرصاص والقنابل والسكاكين ويهدموا منازلهم ومتاجرهم ويعطلوا أسواقهم ومرافقهم خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن؟ .

إن الحرب الأهلية اظلم أنواع الحروب وأقبح ألوان الصراع البشرى على الأرض وأوضح الظواهر والأحداث الدالة على افتقاد الانسانية لعقلها وضميرها وروحيتها .



والضياع النفسى والفكرى فأخذت تعُبّ منها ما شاءت أن تعبّ هى تستعير أصابع غيرها، وتكتب افكار غيرها وتسكبها فى قوالب مشوهة وتنسبها كصفات للمجتمع الذى تعيش فيه . . هذا المجتمع الذى هو فى مرحلة نمو، وما الأفكار التى نسبتها تلك الفئة لهذا المجتمع إلا صورة ..يفة مهزوزة .

أما الفئة الثانية : فقلقها نابع عن صدق ومعاناة واحتكاك بشتى التيارات المعاصرة. لا ريب ان مرحلة الحيرة تتقدم مرحلة التفاؤل ومرحلة الظلام تتقدم مرحلة الاشراق ومرحلة الولادة تتقدمها أوجاع مؤلمة .

مصطفى أحمد النجار

هذه الفئة التى تعيش أحزانها الناتجة من المعايشة اليومية والتى تعانى آلام الانسان الذى يناهض قوى الشر فى كل أرجاء المعمورة هذه الفئة التى فتحت أذهانها على عوالم كبيرة تعيش مرحلة النماء والصحوة والخروج من شرنقة الانطواء على عالم أوسع؟ . هى تعيش الحياة بكل أعصابها وهى ابنة هذه المدنية التى تزداد تعقيداً كلما زادت تقدماً وقد دل علم النفس على ان المثقف الذى يعاصر هذه المدنية يكون الى - القلق - أكثر دنوّاً؟ .

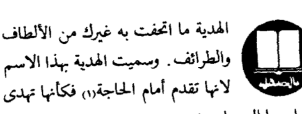
فإذا وجدنا شبابنا الذين يحملون عبء المدنية وأحمال العصر وتطلعات البيئة المحلية المشروعة من خلال كتاباتهم أنيناً وقلقاً، مبدعاً فهذا دليل واضح على أنهم على طريق صحيح، وأنهم بلغوا من الصدق ومن الثقافة الابداعية شأواً بعيداً وسوف يتفاعلون مع المتلقى الواعى تفاعلاً إيجابياً صادقاً .

إن هذه الفئة لا خوف منها ولا خوف عليها لأنها تتألم وهى تبنى، تقلق وهى تفكر لتجد حياة مثلى إلى حد أنها تتمزق تضحية فى طريق الغيرية .

أما أولئك الذين يتمزقون تقليداً يضيعون تقليداً على غرار شواذ العباقرة فتمزقهم تمزيق فى جسد الامة وضياعهم ضياع للفكر، وقلقهم كذب وسراب «وأما الزَّبدُ فيذهب جُفاء» .







الهدية ما اتحفت به غيرك من الألطاف والطرائف. وسميت الهدية بهذا الاسم لانها تقدم أمام الحاجة(١) فكأنها تهدى صاحبها الى ما يريد.

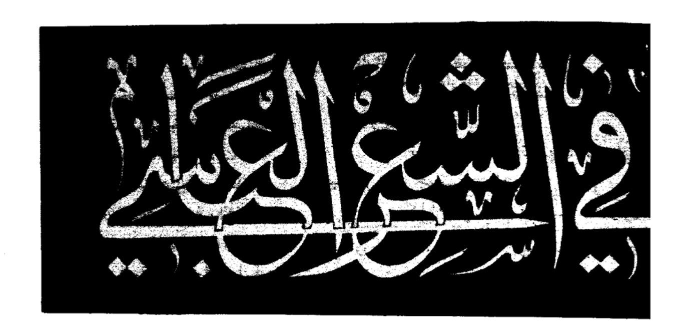
ويميز صاحب كتاب «الفروق فى اللغة» بين الهدية والهبة فيذكر أن الهدية ما يتقرب به المُهدى الى المُهدىَ اليه وليس كذلك الهبة فلا يجوز أن يقال إن الله يهدى الى العبد كما يقال انه يهب له. وعلى ذلك يقال أهدى المرؤوس للرئيس ووهب الرئيس للمرؤوس(٢) وواضح من كلام العسكرى أن عطايا الاكفاء أو مَنْ دونهم اليهم هى ما تسمى بالهدية. أما عطايا الأعلى الى الأدنى فتسمى هبة.

والهديه غير الرشوة فالرشوة وصلة الى الحاجة بالمصانعة والمحاباه والراشى هو الذى يعطى من يُعينه على الباطل فأما ما يُعطى توصلا الى أخذ حق أو دفع ظلم فغير داخل فى ذلك(٣) يقول المعرى:

قبول الهدايا سنة مستحبة
اذا هى لم تسلك طريق تحابى(٤)

ولا شك فى أن خير الهدايا ما سَلِمَتْ من الأغراض وقدمت لوجه الصداقة وهى ما يجرى - عادة - بين الأحباب والأصحاب. فالهدية على هذا النحو تزيد الروابط الاخوية تجددا وعمقا وقوة وقد قيل فى أثر الهدية: انها تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفى الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة، والهدية تصير البعيد قريبا والعدو صديقا والبغيض وليا والثقيل خفيفا(٥) وقيل إنها قرابه وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة(٦) وقد حث الرسول ﴿ﷺ﴾ على الهدية فى قوله (تهادوا تحابوا) وقوله (نعم الشىء الهدية أمام الحاجه ما أرضى الغضبان ولا استعطف ولا استميل الهاجر ولا توقى المحذور بمثل الهديه والبر(٧) كما حث الشعراء عليها وبينوا أثرها فى النفوس. يقول أحدهم(٨).

هدايا الناس بعضهم لبعض
تولد فى قلوبهم وصالا
وتزرع فى الضمير هوى وودا
وتكسوهم اذا حضروا جمالا



ويقول آخر(٩):

قد يمكث الناس حينا ليس بينهم
ود فيـزرعـه التـسليم واللطف
يسلى الشقيقين طول النأى بينهما
وتـلتـقـى شعـب شتـى فتأتـلف

- تهـادوا تحـابوا -
للهديّة وقعها النفسى والإجتماعى
وهى لا تقـدر بقيمتها المادّية
قدر ما تقـدّر بقيمتـها المعنوية
فهى دليل محبـة وعنـوان
وفـــاء

وتـرتبـط الهـدية - عادة - بالمناسبات الشخصية والاجتماعيـة كالاعيـاد والمواسم وحفـلات الزواج والقدوم من السفر أو الحج وشرب الدواء والاقتصاد والمرض وسكن المنازل الجديدة.

وشعـر المهاداة ظهر وازدهر فى العصر العباسى نتيجة التقدم الحضارى الكبير الذى احرزه المجتمع العربى فى شتى المجالات.

ولم يُؤثَر فى العصور الأدبية السابقة شىء من شعر التهادى اللهم الا مانسب الى عمرو بن معد يكرب الزبيدى من أبيات سجل فيها هبته لسعيد بن العاص سيفه المعروف بالصمصامة. يقول(١٠):

خليـل لم أخنـه ولم يخنـى
اذا ما الخطـب أنـحـى بالـعظـام
خليـل لم أهبـه عن قلاء
ولـكـن الـتـواهـب للكـرام
حبـوت به كريـما من قريش
فسُـرَّ به وصـين عن الـلئـام
وودَّعـت الـصَّـفِىَّ صَفِىَّ نفسـى
على الـصمصـام أضعـاف الـسلام

وقد تنوع الشعر المتصل بالهدية فى العصر العباسى فشمل الاهداء والاستهداء والشكر والمداعبة والعتاب والاعتذار والمطارحة.

ففى شعر الاهداء نجد الشعراء يقدمون هداياهم بأساليب مختلفة فحينا يمزجون فى الابيات أوصاف الهدية بأوصاف المهدى اليه من ذلك هذه الابيات التى بعث بها سعيد بن حميد الى أحمد بن أبى طاهر مع قارورة ماء ورد حيث يصف القارورة بأنها من صنع فارس وأنها بيضاء اللون ناعمة الملمس ويصف رائحة ماء الورد برائحة الحبيب الواصل أو بنفحات الربيع العطرة فى الصيف الحار حيث تكون أكثر انتعاشا وتأثيرا ويستخدم التشبيه المقلوب حين يشبه رائحة الهدية باخلاق المُهْدى اليه. ويمضى فى ذلك فيشبهها فى الصفاء والنقاء بصفائه ونقائه مع خلانه فهو كالنسيم العليل لينا وسلاسة باستثناء فارق واحد وهو أن النسيم يتغير أما وده فثابت، يقول(١١):

وزائرة حورية فارسية
كنشر حبيب حاد يوما عن الصد
ترد ربيعا فى مصيف بنفحة
إذا فقدت وردا تنوب عن الورد
حكى نشرها منها خلائق نشره
كنشر نسيم الروض فى جنة الخلد
وشبهتها فى صفوها بصفائه
لإخوانه فى القرب منه وفى البعد
وأهدت لنا منه النسيم نسيمه
وان كان ان حالت يدوم على عهد

وفى أكثر الاحيان نجد الشعراء يقتصرون على وصف الهدية دون التعرض لوصف المهدى اليه، كما نرى فى قول ابن المعتز يصف وردا أهداه ما بين أبيض وأحمر حيث يشبهه فى بياضه وحمرته بمعشوق صده الدل والخجل عن لقاء الحبيب كما يشبه أثره فى النفس وما يبعثه فيها من بهجة وسرور بطوالع السعد وفأل المسرات يقول: (١٢):

أتاك الورد مبيضا مصونا
كمعشوق تكنفه الصدود
كأن وجوهه لما توافت
نجوم فى مطالعها السعود
بياض فى جوانبه احمرار
كما احمرت من الخجل الخدود

وربما تناول شعرهم المرفق بهداياهم الى الرؤساء والأعيان تصغير شأن الهدية وتهوين قيمتها بالقياس الى منزلة الشخص المقدمة اليه ومن هذا القبيل أبيات بعث بها أحمد بن يوسف مع هدية الى المأمون فى يوم نوروز حيث أشار فيها الى سبب الاهداء وما ترمز اليه الهدية من التقدير والاعزاز يقول(١٣):

على العبد حق فهو لابد فاعله
وان عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدى الى الله ماله
وان كان عنه ذاغنى فهو قابله
ولو كان يُهْدى للكريم بقدره
لقصَّر فضل المال عنه ونائله
ولكننا نهدى الى مَنْ نعزه
وان لم يكن فى وسعنا ما يعادله

واهدى الخبز ارزى ابن يزداد والى البصرة فصا وكتب معه أبياتا أعلن فيها ان قبوله للهدية يعنى رضاه عن مهديها فهى بمثابة اختبار لمدى ما بينهما من علاقة. يقول(١٤):

اهديت مالو أن أضعافه
مطرح عندك ما بانا
كمثل بلقيس التى لم يبن
اهداؤها عند سليمانا

هذا امتحان لك إن ترضه
بان لنا أنك ترضانا

وقد تتضمن الابيات المرفقة بالهدية تعليل اختيار المهدى لها والاشارة الى مزاياها كقول الصنوبرى فى شمع اهداه الى صديق(١٥) :

يا أبا حفص قد اختر
ت فلم آل اختيارا
وتأملت الهديا
ت كبارا وصغار
لم أجد شيئا كشيء
يجعل الليل نهارا
فتأمل من بعيد
شجرا يحمل نارا
واكسها منك قبولا
تكس مهديها فخارا

ومن أطرف شعر الاهداء هذه الابيات التى يهدى فيها المتنبى الى صديقه هديته المنتظرة التى عوده هذا الصديق تقديمها الى الشاعر كلما سافر يقول(١٦):

●●

شعر المهاداة ازدهر في العصر العباسي نتيجة التقدم الحضاري الذي أحرزه المجتمع

●●

أحببت برّك إذ أردت رحيلا
فوجدت أكثر ما وجدت قليلا
وعلمت أنك فى المكارم راغب
صبٌ اليها بكرة وأصيلا
فجعلت ما تهدى الى هدية
منى اليك وظرفها التأصيلا
برّ يخف على يديك قبوله
ويكون محمله علىّ ثقيلا

وفى شعر الاستهداء نجد الشعراء يتظرفون فى عرض حوائجهم ويطلبونها من أصدقائهم بطريقة لطيفة فكهة فهذا حماد الراوية يرى على صديق له من الرؤساء جبة فاخرة فيتعلق بها تعلق العاشق بالمعشوق فيستهديها من صاحبها ليزهو بها عند أقرانه : ويقطع الشاعر على نفسه عهدا ان يخصها باهتمامه وجل عنايته يقول(١٧) :

إن لى حاجة فرأيك فيها
لك نفسى فدا من الاوصاب
وهى ليست مما يبلغها غيـ
ـرى ولا يستطيعها فى كتاب
غير أنى أقولها حين ألقا
ك رويدا أسرها فى اكتئاب
اننى عاشق لجبتك الدكـ
ـناء عشقا قد حال دون الشراب
فاكسينها فدتك نفسى وأهلى
أتباهى بها على الاصحاب
ولك الله والأمانة أن أجـ
ـعلها عمرها أمير ثيابى

وهذا عرقلة الكلبى يوصى صديقه ابن السديد حين سافر الى بغداد ان يهديه عباءة . . عراقية فيعرض حاجته فى صورة فكاهية مرحة يستمد خطوطها من شخصيته يقول(١٨) :

حاجتـي شقـة تشـق على كل
بغـيض من الـورى وحسـود
ذات لون كمثـل عرضـك لا عـرضى
وحظـي من الـقـريـب الـبـعـيـد
فابعثنها صفيقـة مثل وجهى
جل من صاغ جلده من حديد
واجعـلنها طويلة مثل قرنـى
ولسـانـى لا مثل قدى وجيدى
كى أرى فى الشآم شيخا خليعا
فى قميص من العـراق جديد

ويكتب على بن خروف الى بهاء الدين بن شداد - بحلب - يطلب منه فروة بأسلوب فكاهى يستمده من لقبه اذ يقول(١٩) :

بهاء الـديـن والـدنـيـا
ونـور المـجـد والحسـب
طلبـت مخافـة الأنـوا
ء من جدواك جلد أبـى
وفـضـلك عالم أنـى
خروف بارع الأدب
حلبـت الـدهـر أشطـره
وفى حلب صفـا حلبـى

ويستهدى السرى الرفا ثلجا من أحد الأصدقاء فيشير الى أهميته فى الصيف حيث الحرارة الشديدة ويعده بحسن الثناء نظير ما يجود به من ثلج ويتطرف فى البيت الأخير، فيعترف ببرودة شعره لتأثره فى ذلك بالمطلوب. يقول(٢٠) :

رأيـت الـنـاس ذا منـع وجـود
فذا يثـنـى عليـك وذاك يهجى
وفـقـد الـثـلج فى ابـان قيـظ
تذوب له الصخور الصم وهجا
فجـد بالـقـوت منـه تحز ثنـاء
أراك بفـضـله أولـى وأحـجى
ولا تتـعـجبـن من برد شعـرى
فانـى طالـب بالـثـلج ثلجـا

●● وقد شكر الشعراء أصدقاءهم على هداياهم وفاء منهم لهم واعترافا بجميلهم عليهم فهذا السرى الرفاء يكتب الى صديق له - أهداه نعلا - رسالة يعلن فيها عجزه عن القيام بحق الشكر على هديته الجيدة التى يصفها بقوله(٢١) :

أقـررت فى شكـرك بالتقصير
اذ زدت فى الـبر على التكـثير
وجـاءنـى من سيبـك الغـزيـر
مراكـب مخطـفـة الخـصـور
مسـودة الأعـجـاز والـصـدور
سود عليـهـا رونـق الـذكـور
كأنـما قُدَّتْ من الـديجـور
ومـن نفـيس الأدم المـبـشـور

ويبعث عبد المحسن الصورى الى صديق له أهدى اليه عنبا مغطى بورقه أبياتا عبر فيها عن سروره الكثير بالهدية ثم أخذ فى وصفها وتصويرها فشبه العنب الأسود وقد وضع على ورق أخضر بأنامل الفتيات المخضوبات بالحناء المرتديات أثوابا من الحرير الأخضر يقول(٢٢) :

جاءنـا منـك تحفـة أنـا منهـا
أبـدا فى تضـاعـف الـسـراء
عنـب أسـود كأن عليـه
حللا من حنـادس الظـلماء
خلتـه فى خلال أوراقـه الخـضـ
ـر ولـون اسـوداده والـصـفـاء
كقمـوع على أنـامـل خود
لحن من كل لاذة خضـراء

وقد وقف الشعراء من تقصير أصدقائهم فى الهدية

واخلالهم بها موقفين احدهما فكاهي والآخر عتابي ويمثل الأول ابن عنين فى موقفه من الشريف الكحال حين أهداه خروفا هزيلا فقد كتب اليه الشاعر أبياتا بدأها بشكر صاحبه والاعتراف بأفضاله عليه ثم طفق يصور له الخروف المُهْدَى وما هو عليه من ضعف وهزال شديدين حيث عزا حالته الصحية السيئة الى العشق المضنى تارة والى الجوع المهلك تارة أخرى فقد أُهدى اليه وهو فى الرمق الأخير، فلم يعد ممكنا اصلاح ما فسد، والطريف فى المقطوعة ما اشتمل عليه آخرها من تضمين مناسب يقول(٢٣) :

أبو الفضل وابن الفضل أنت وتربه
فغير بديع أن يكون لك الفضل
أتتنى أياديك التى لا أعدها
لكثرتها لا كفر عندى ولا جهل
ولكننى أنبيك عنها بطرفة
تروقك ما وافى لها قبلها مثل
أتانى خروف ما شككت بأنه
حليف هوى قد شفه الهجر والعذل
اذا قام فى شمس الظهيرة خلته
خيالا سرى فى ظلمة ماله ظل
فناشدته ما تشتهى قال قتة
وقاسمته ما شفه قال لى الأكل
فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى
مسلمة ما حص أوراقها الفتل
فظل يراعيها بعين ضعيفة
وينشدها والدمع فى العين منهل
«أتت وحياض الموت بينى وبينها
وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل»

وأهدى سعيد بن أحمد الى الحمدونى شاة هزيلة فكتب الشاعر اليه أبياتا صور فيها حالة الشاة تصويرا ضاحكا يعتمد على التشخيص والتضمين يقول(٢٤) :

أسعيد قد أعطيتنى أُضْحيَّة
مكثَتْ زمانا عندكم لاتطعم
نضوا تعاقرت الكلاب بها وقد
شدوا عليها كى تموت فيولموا
فاذا الملا ضحكوا بها قالت لهم
لا تهزؤا بى وارحمونى ترحموا
مرت على علف فقامت لم ترم
عنه وغنت والمدامع تسجم
«وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى
متأخر عنه ولا متقدم»

ويمثل الموقف الآخر أحد الشعراء حين اهدى الى اصدقائه هدايا كثيرة قيمة فأهدوا اليه هدايا تافهة سخيفة تدل على قلة جودهم وضعف فهمهم كما ترى فى الأبيات التى كتبها معبرا فيها عن ضيقه بالهدايا والمهدين يقول(٢٦) :

سقى حجاجنا نوء الثريا
على ما كان من بخل ومطل
هم جمعوا النعال وأحرزوها
وسدوا دونها بابا بقفل
فان أهديت فاكهة وَجديا
وعشر دجائج بعثوا بنعل
ومسواكين طولهما ذراع
وعشر من رديء المقل حل
فان أهديت ذاك ليحملونى
على نعل فدق الله رجلى
أناس تائهون لهم رواء
تغيم سماؤهم من غير وبل
اذا انتسبوا ففرع من قريش
ولكن الفعال فعال عكل

وعاتب عبد الصمد بن المعذل صديقه أبا نبقة لما عاد الى البصرة من البحرين وقدّم الى جماعة من

اصحابه هدايا دون أن يخص الشاعر بشيء منها فكتب اليه أبياتا أشار فيها الى انواع الهدايا التى نفح بها قوما وحرم منها آخرين منهم الشاعر عبد الصمد والرياشي والنشهلى يقول(٢٧):

اما كان فى قسب اليمامة والتمر
وفى أدم البحرين والنبق الصفر
ولا فى مناديل قسمت طريفها
واهديتها حظ لنا يا أبا بكر
سرت نحو أقوام فلا هنأتهم
ولم ينتصف منها المُقل ولا المثرى
ولم تأتنى ولا الرياشى تمرة
غصصت بباقى ما ادخرت من التمر
ولم يعط منها النشهلى إداوة
تكون له فى القيظ ذخرا مدى الدهر

وقد تضيق ذات يد الشاعر عن تقديم هدية عينية الى صديقه ولكنه يجد فى الكلمة عوضا له عن ذلك وعونا على أداء الحقوق. ومن ذلك ما كتب به أحمد بن ابراهيم الى ابن ثوابه حيث يقول: (٢٨):

إنى جعلت هديتى
فى المهرجان اليك شكرى
لما تعذر واجب
فسح التعذر فيه عذرى
فاذا مررت بذكر من
جاءت هديته ببر
فأدر على اسمى دارة
واكتب عليه أتى بعذر

وقد يتخذ الشاعر من الهدية وسيلة الى الاعتذار ولكنها لا تكون مؤدية للغرض أداء الكلمة البليغة فهذا ابراهيم بن المهدى يغضب عليه الأمين ويهجره فيوجه اليه الشاعر بوصيفة مغنية مع عبد هندى فيأبى الأمين قبولها فيكتب اليه ابراهيم:

هتكت الضمير برد اللطف
وكشفت هجرك لى فانكشف
فإن كنت تحقد شيئا مضى
فهب للخلافة ما قد سلف
وجد لى بعفوك عن زلتى
فبالفضل تأخذ أهل الشرف

فيرضى الامين عنه(٢٩):

ولا شك فى أن رد الهدية الى صاحبها - مهما كانت بسيطة - أمر لا يقره الذوق المتحضر ولا الخلق الكريم ومن العجيب حقا أن يقع الشريف الرضى فى مثل ذلك الخطأ فيرفض (رداء) اهداه اليه أحد الاصدقاء ويغضب عليه ذلك الصديق مما يضطر الشاعر الى الاعتذار اليه بأبيات يؤكد فيها تقديره لصاحبه وحبه له وأن الهدية تبلى وتندثر أما ودهما فثابت لا يزول ويدعوه الى تفويت الفرصة على الحاسدين الشامتين يقول(٣٠):

عقيد العلا لازلت تستعبد العلا
وتعتق منها رق كل أسير
لئن خف من ضافى ردائك عاتقى
فودك يخطو فى رداء قنيرى
ستعلم ان الثوب يدثر رسمه
ورسم الهوى فى القلب غير دثور
فلا تشمتن الحاسدين فسرهم
يشفّ لظى من وراء أمور

وكانت الهدية مجالا للمطارحة بين الشعراء من ذلك أن أبا على البصير كتب الى أحمد ابن ابى طاهر أبياتا يستهديه فيها بخورا كان أهدى منه الى بعض أصدقائه يقول(٣١):

ا شقيقى ويا خليلى اباء
المرجّى لكل خير ومير

انـت من اطـيـب الأنـام بخـورا
غير أنـى شمـمـتـه عنـد غيرى
وهـو جم لديـك فابـعـث بدرج
منـه إن لم أكـن تعـديـت طورى

وقد أجابه ابن أبى طاهر الى ما طلب وكتب اليه أبياتا من نفس الوزن والقافية أشار فيها الى سروره بما طلب منه واهدائه أطيب أنواع البخور مع انه ازكى عرفا من الطيب يقول:

قد بعـثـنـا الـيـك منـه بدرج
وأزرنـاك منـه أطـيـب زور
بين ندّ وبـين عود مطـر
مالـه مشـبـهـا بنجـد وغـور
أنـت منـه أزكـى وأطيـب عرفـا
وهـو أزكـى من كل طيب ونـور
ما تعـديـت فيـه طورك عنـدى
فتـبـخـر منـه بأيـمـن طير



وهكذا نجد أن الهدية كانت مصدرا لألوان متعددة من الشعر الاخوانى أغلبها فى الاهداء والاستهداء وقد سجلت هذه الالوان أنواعا كثيرة من الهدايا المتفاوتة النفع والقيمة، منها الورود والعطور والفواكه والملابس وأدوات الكتابة(٣٢) فدل ذلك على ما يتصف به الشعراء من أذواق مختلفة وظروف متباينة. وقد جاء شعرهم الدائر حول الهدية مقطوعات قصيرة اتسمت كلها بالوحدة فى الموضوع والبساطة فى الأسلوب وهذا شىء طبعى لأنها من الشعر الخفيف المرتبط بالمناسبات العابرة التى قد تدعو الشاعر الى السرعة فى الاداء والعفوية فى القول حيث لا مجال للتطويل والتفنن والاحتشاد.

المصـادر

(١) الفروق فى اللغة: لابى هلال العسكرى: ص١٦٢: دار الآفاق الجديدة بيروت: ط٢١: ١٩٧٧م.
(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٣) لسان العرب المحيط ص١١٧٢ دار لسان العرب بيروت.
(٤) معاهد التنصيص ص١٤٢/١ عالم الكتب بيروت.
(٥، ٦، ٧) المحاسن والاضداد للجاحظ ص٢٤٠، ص٢١٤: تحقيق فوزى عطوى: نشر الشركة اللبنانية للكتاب بيروت.
(٨) ديوان دعبل الخزاعى تحقيق الدجيلى ص٢٦٠.
(٩) المحاسن والاضداد للجاحظ ص٣٧.
(١٠) ثمار القلوب للثعالبى ص٦٢٢ تحقيق محمد أبو الفضل نشر نهضة مصر ١٣٨٤هـ والابيات فى وفيات ابن خلكان: ٢: ٢٠٤ منسوبه الى ابن يامين البصرى.
(١١) المحاسن والاضداد ص٢٢٠.
(١٢) شعر ابن المعتز: ص٥٦٥.
(١٣) معجم الادباء ٥: ١٧٢. دار المأمون ط١٩٢٢م.
(١٤) وفيات الاعيان ٥: ٣٨٠ ط بيروت.
(١٥) ديوان الصنوبرى ١١ تحقيق احسان عباس: دار الثقافة ببيروت.
(١٦) ديوان المتنبى ٣: ١٧٨. ط مصطفى الحلبى بمصر، الأخيرة.
(١٧) الاغانى ٦: ٢١٦٣: دار الشعب بالقاهرة.
(١٨) خريدة القصر للباخرزى ١/ ٢٠١
(١٩) نفح الطيب ٣: ٣٩٦. ط بيروت
(٢٠، ٢١) ديوان السرى الرفاء ص٤٩، ص٣٧١.
(٢٢) نهاية الأرب للنويرى ١١/ ١٥١ دار الكتب المصرية.
(٢٣) ديوان ابن عيينه ١٣٤ دار صادر ببيروت.
(٢٤) زهر الآداب: ١/ ٥٤٩ دار احياء الكتب العربية بالقاهرة.
(٢٥) شعر ابن المعتز ٢/ ٦٥٠ تحقيق يونس السامرائى.
(٢٦) عيون الاخبار ٢/ ٣٨ دار الكتب المصرية.
(٢٧) الاغانى ١٣/ ٤٧٦٢ ـ القسب: شجيره نورنها كنورة البنفسج ـ النبق: ثمرة السدر ـ الاداوه: إناء صغير يحمل فيه الماء.
(٢٨) محاضرات الادباء للراغب الاصفهانى: ١/ ٤٢٣ دار مكتبة الحياة ببيروت.
(٢٩) المحاسن والاضداد ص٢٢١.
(٣٠) عبقرية الشريف للدكتور زكى مبارك ٧/ المكتبة العصرية بيروت.
(٣١) ديوان المعانى لابى هلال العسكرى: ٢/ ٢٥٢ ـ ط بيروت.
(٣٢) من أمثلة ذلك هدية شمس المعالى الى عضد الدولة البديهى حيث كانت مبعة أقلام ومنها أبيات (معجم الا[illegible]



بالصحافة

يبدو أن الشرارة التى أشعلها البارودى فى سماء الشعر العربى فى مصر قويت واشتـدت فعم لهبها مشارق مصر ومغاربها بل مشارق العالم العربى ومغاربه فقد أخذت حركة التجديد فى الشعر تمتد وتتسع امتدادا لم يعهده تاريخ الشعر العربى منذ زمن طويل. وبدأ الشعر يسير فى اتجاهات مختلفة ولكنها اتجاهات تميل فى معظمها الى إحياء الشعر وتجديده وتحويل مجراه عما كان عليه من قبل فى عهود الحكم العثمانى.

وكان لهذه الاتجاهات ما يسوغ وجودها من اختلاف مصادر الثقافة والعلم فمن هذه المصادر ما كان يعتمد على التراث العربى الأصيل ومنها ما كان يعتمد على الثقافة الفرنسية ومنها ما كان يعتمد على الثقافة السكسونية ومنها ما كان يعتمد على الثقافة الاجنبية المترجمة ويأخذ من كل فن بطرف وكان يساعد على هذه الحركة الثقافية المتباينة الأصول والجذور ما كانت تزخر به مصر من الأجناس والفئات والطوائف التى كانت تؤثر فى مجرى الأحداث وتشارك فى صياغة الأنماط الثقافية والاتجاهات الأدبية والنقدية.

لقد كانت مصر هدفا للأطماع الدولية فقد كانت تتجاذبها المطامع البريطانية والفرنسية والتركية وكانت كل من هذه الدول الثلاث تحاول أن تؤثر فيها وتضع فى طريقها الحبائل والشباك لتسيطر عليها وتجعلها تسير فى فلكها وكان لكل من هذه الدول الثلاث فى مصر مؤيدون وأشياع علاوة على ذلك كله ومن خلال هذا الواقع نشأت فى مصر اتجاهات وطنية مختلفة فمنها ما كان ينطلق فى دعوته من منطلق اقليمى مصرى ومنها ما كان يدين بالولاء للدولة العثمانية ومنها ما كان ينادى بالرابطة الشرقية ولكل من هذه الاتجاهات الثلاثة اسس يقوم عليها وينطلق منها.

فى هذا الجو السياسى المشحون بالتيارات والاتجاهات السياسية والوطنية نشأت تيارات واتجاهات أدبية موازية فهناك التيار التقليدى الذى كان يمثله شوقى وحافظ وأحمد محرم على ما لهذا الاتجاه من أصالة وقوة ورسوخ قدم وهناك اتجاه التجديد الذى تمثله مدرسة الديوان وعلى رأسها العقاد وهناك الاتجاه الذى كان يحاول ان يحفظ



التوازن بين الاتجاهين السالفين ويمثله خليل مطران وولى الدين يكن وهو الشاعر الذى أردنا أن ندير حديثنا عليه فى هذا المقال.

ونحن لا نزعم أن هذه الاتجاهات كانت صافية خالصة فقد كان بينها نقاط التقاء وتشابه فلم يكن العقاد المجدد فى حفاظه على أصول الشعر وقواعده أقل تشدداً من شوقى وحافظ بيد أنه كان ينظر الى الشعر بمنظار غير ذاك الذى كان ينظر به شوقى فالاختلاف بينهما هو اختلاف فى مفهوم الشعر وحقيقته وأهدافه لا فى أدواته ومستلزماته.

●● لم يكن ولى الدين يكن من شعراء الطبقة الأولى فى مصر وشعراء الطبقة الاولى هم شوقى وحافظ



ومطران ومحرم. وعلى الرغم من ذلك كان شاعرا ذا نكهة خاصة وشخصية مستقلة كان رجلا تملأ جوانبه عواطف متضرمة وأشواق عارمة لمجموعة من القيم التى تجعل من الانسان إنسانا رافع الرأس موفور الكرامة وكان عنيفا فى خصومته قاسيا فى حملاته على أعداء الحرية والوعى والعدالة فلقى فى سبيل ذلك ما لقى من عنت وعذاب.

وفى حين كان الشعر عند كثير من الشعراء ترفا وتسلية كان عند ولى الدين يكن سلاحا يحارب به الطغاة ويدك به قلاع الظلم فلا بدع أن نفى وسجن وعذب.. قال الاستاذ انطون الجميّل بهذا الشأن: ولقد طالما أضرت حريته هذه بمصلحته بين قومه بل بين عشيرته كما يعرف ذلك كل منا ولو شاء ولى الدين أن يضحى بالقليل من حرية رأيه واستقلاله الفكرى لكان له شأن كبير فى تركيا أولا وفى مصر ولكنه آثر على كل ذلك أن يعيش حرا طليقا فيقول:

وأعتلى الكرسىّ مستكبرا
كالملك فوق العرش إذ يعتلى

فكان جزاؤه على ضفاف البوسفور النفى سبع

سنوات وكان جزاؤه على ضفاف النيل أن يستكن فى داره منسيا أحيانـا من أقـرب الناس إليه ولكنه لم يطأطىء رأساً ولم يحن ظهـرا ولم يحد قيد شَعْرة عن مبدأه وسنته.

وولىّ الـدين يكن تركى المـولـد مصرى النشأة ولـذلـك بقى طول حيـاتـه ممزق الشعور بين مصر والأستانة التى يطلق عليها اسم فروق. ولقد يروقك منـه وصفـه لهذه المدينة الجميلة وحنينه إليها ومحبته لها. . يقول الجميّل فى ذلك: قضى ولى الدين وهو فى التـاسعـة والاربعـين من عمـره لأنه ولد فى عام ١٨٧٣م وكان مولده فى الاستانة ومازال طول عمره يحن إليهـا ويطـرب لذكـراها على ما قاسى بها من الشدائد والاضطهاد.

اما ثقافته فيتحدث عنها الاستاذ الجميل فى مقدمة الديوان قائلا: درس الفقيد مع الخديوى عباس فى مدرسة واحدة. . ولم يلبث ان تعشق الأدب العربى فأخذ أصوله وفنونه عن أئمته فى ذلك العهد كالشيخ محمـد النشار وأضرابه وظهرت مواهبه الكتابية على حداثة عهده وأتقن العربية اتقانه للتركية مع معرفة واسعة بالفرنسوية وإلمام بالانكليزية.

هـذا هو الشـاعـر ولى الدين يكن الذي كان يمثل اتجاها مستقلا فى السياسة والأدب فكان فى مصر ملء العين والبصر وإن انحرف عنه أولو الأمر وأشاح عنه بوجـوههم أعـوان السلطـة وأنصارهم بيد أن قيمته كانت محفـوظة على الرغم من كل شيىء. . كتبت جريدة المقطم فى عددها الصادر بتاريخ ٢٨ أيار سنة ١٩٠٩ بهذا الـشأن: وأعظـم هؤلاء الاتـراك المستعربين فى عهدنا اثنان: شوقى بك شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية وولى الدين يكن صاحب القدح المعلى بين أبناء مصر فى صناعتى النظم والنثر لا جرم انه إن كان بين أبناء الترك كثيرون من الذين أوتوا من الذكاء والنجابة ما أوتيه هذان الأديبان الشهيران فقد حق لادبـاء الـترك أن يباهوا غيرهم من الأدباء وأن يقولوا لأدباء العرب: لا تفخروا علينا فى النظم والانشاء.

ويمتاز شاعرنا بأنه قادر على الصياغة الجيدة فى غير تقعر ولا تصنع فهو سهل العبارة رقراق العاطفة أما فكره فقريب لا يبعد ولا يستغلق وأكثر ما يجيد فى ارسـال النفثات الشعرية القصيرة المعبرة وقلما ينظم القصائد الطوال مثل شوقى وحافظ ومطران غير أنه كان اذا نظم أجاد فى الطوال والقصار معا. وهو أكثر الشعـراء شبهـا بأبى فراس الحمدانى وبخاصة اذا قسنـاه إلى شوقى الـذى يشبه المتنبى فقد كانا دائما على طرفى نقيض فى النهـج الشعـرى وفى المـوقف السياسى ويبدو هذا التناقض على أشده فى القصيدة التى نظمها ولى الدين معارضة لشوقى فى قصيدته «عبرة الدهر» التى نظمها بمناسبة خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩م ومطلعها:

سـل يلدزا ذات الـقـصـور
هل جاءهـا نبأ الـبـدور؟

فقـد عارضهـا ولى الـدين بقصيدة على نفس الوزن والقافية مطلعها:

هاجـتـك خالـيـة الـقـصـور
وشـجـتـك آفـلـة الـبـدور

فقـد أخذ ولى الدين على شوقى وقوفه موقف الحاسر المتردد بل موقف المجامل المداهن الذي يريد أن يوفق بين اتجاهـين متنـاقضين هما اتجاه الخليفة المخلوع واتجاه الثوار فى حين كان ولى الدين شامتا بخلع الخليفـة ناقما عليـه مهللا لانتصـار الثـورة والثائرين قال شوقى معبرا عن موقفه المتخاذل:

دخلوا على رب السرير يحتكمون فى رب السرير
أنعم بهم من آسرين وبالخليفة من أسير
أسد هصور أنشب الانياب فى أسد هصور

فقال ولى الدين فى معارضته:

وبكيت بالدمع الغزير لباعث اللمع الغزير
ولواهب المال الكثير وناهب المال الكثير
حامى الثغور الباسمات مضيع أهله الثغور
إن كان أخلى يلدزا مخلى الخورنق والسّدير
أو فاستسرَّت من سماها أنجم بعد الظهور
فلتأهلن من بعدها الآن أطلال ودور

ولى الدين يكن شاعر كبير يستحق دراسات أعمق وأوسع .. وديوانه بحاجة إلى أن تعاد طباعته لما فيه من نقص فى الترتيب والتنظيم شرح مناسبات القصائد

فلقد كان شوقى يريد أن يرضى كلا الطرفين الخليفة وزمرة الثائرين الذين خلعوه عن العرش ولعله كان يعبر عن موقف حكومى تجاه الأحداث ولا شك أن هذا ليس اسهل من الجمع بين الماء والنار فى اليد على حد تعبير المتنبى أما ولى الدين فهو ثائر والثائر لا يقبل هذا الموقف المتذبذب المتخاذل من شوقى فالتجديد فى هذه المعارضة الشعرية أنها ليست معارضة فنية فقط كمعارضات شوقى لأبى تمام والبحترى والبوصيرى بل هى معارضة فنية وسياسية تعبر عن موقفين متناقضين على الرغم من أن شوقى كان أقدر وابرع فى صناعته الشعرية من ولى الدين فقد كان شوقى شاعرا فنانا فى حين كان ولى الدين شاعرا ثائرا.

ونحن اذا أردنا أن نختصر الحديث عن ولى الدين يكن أمكننا ذلك من خلال الحديث عن قضيتين: هما قضية الحرية وقضية التجديد فى الشعر. ولا شك أنهما متلازمان يفضى أحدهما الى الآخر.

ففى تأييده للحرية كان ولى الدين يكن لا يحاور ولا يداور بل كان صريحا جهيرا وكان صوته يعلو على كل شعراء مصر فى تلك الحقبة بلا استثناء ولقد قادته صراحته إلى ظلمات السجون والمنافى. . لقد كان خصما عنيفا لا يبالى الوعيد ولا التهديد فقد شن على الخلافة العثمانية حملات ضارية ويكفى أن نذكر أنه ألف كتابا عنوانه: ألف برهان وبرهان على ظلم عبد الحميد السلطان. وكتابا آخر عنوانه: الصحائف السود. وقد دافع عن كل قضايا الحرية فى الشرق فقد وقف الى جانب الشاعر العراقى جميل صدقى الزهاوى حينما عذبته السلطات العثمانية. وكذلك وقف الى جانب الشاعر العراقى عبد المحسن الكاظمى الذى ساءت به الحال فى مصر. والى جانب كثيرين غير الزهاوى والكاظمى.

ومن أجل قصائده وأعمقها قصيدة قالها حينما اضطر الى ايقاف جريدة «الاستقامة» التى منعت حكومة الاستانة دخولها الى أقطار الدول العثمانية فودع الجريدة بقوله فى قصيدة:

ولمـا غدا قول الصـواب مذممـا
عزمـت على ألا أقـول صوابـا
فجـافيت أقلامى وعفت استقامتى
ورحـت أرجّى للسـلامـة بابـا

● ومنها:
أبى الله الا أن أزيـد تصـابيـا
لمجـدى ومجـدى أن يقـال تعـابى
فمن مبلغ عنى الغضاب الألى جنوا
بأنى امـرؤ ما إن أخـاف غضـابا
أذمّ فلا أخشـى عقـابـا يصيبنى
وأمـدح لا أرجـو بذاك ثوابـا
علام أحـابى معشـرا أنـا خيرهم
ومثلى إذا حابى الـرجـال يُحابى

وهى قصيدة فيها الصدق والعفوية والثورة وجودة الصياغة ولعلها تكون خير قصائد الديوان إطلاقا فهى صيحة مقهور ونفثة مصدور بل هى أنغام تتراقص على شفة الشاعر حاملة وهج البطولة ونفح الايمان وشرار العقيدة الصلبة التى لا تضعف ولا تلين وفيها نفس ملحمى عميق.

اما موقفه من التجديد فى الشعر فيبدو من خلال قصيدته التى نظمها فى تكريم خليل مطران قال:

مُلْكُ شعـر ومَـعْـه مُلْكُ بيـان
هكـذا المجـد أيهـا الهـرمـانِ
تتغنـىّ مصـر وتطـرب سكـرا
عجـبـا منكـما ألا تطـربـانِ؟

● ومنهـا:
سُنَّ فى الشـرق للقـريض رهـان
لم ينـلْ سبـقـه سوى مطـرانِ
شاعـر مفـرد تسـامت به الشام
ومـصـر فليـفـخـر الـوطـنـانِ

إن مطـران ساحـرا بيراع
مثـل مطـران ساحـرا بلسـان
فهـو فى سحـره بكـل زمـان
وهـو فى سحـره بكـل مكـان
قد دعـاه عصـر البـخـار فلبى
وصـبـا غيره لعـصـر الهـجـان

● ومنها هذا البيت المهم:
ولمطـران خاطـر مسـتـقـل
قد علا عن خواطـر الانـسـان

فشـاعـرنـا يبايع مطران فى هذه القصيدة بإمارة الشعر مبايعة جريئة لاحذر فيها ولا تردد. وهو يشدد فى هذه المبايعة على أن مطران يمثل عصر البخار فى حين يمثل غيره عصر الهجان ولعله يلمح بذلك الى شوقى الـذى كان يتهمه بعضهم بالتقليد والمحافظة ومنهم العقاد وميخائيل نعيمة بل هو يذهب فى تقريظ مطران إلى حد أن يزعم أن خاطره فاق خواطر بنى الانسان ففى هذا كله اعجاب بمطران وايمان بنهجه التجـديـدى الـذى اختطـه لنفسـه وأعلن عنه منذ بدايات القرن. وتتبدى ملامح هذا النهج فى الدعوة الى تحرر الشعـر من أسـر القـديم وتحقيق الـوحدة الموضوعية فى الشعر وتجديد الأسلوب وتعميق العاطفة والعناية بالشعر القصصى والملحمى المسرحى.. الخ..

لقـد كان شاعـرنا يقتدى بمطران وكانت تجمع بينهما هموم الحرية وهموم التجديد فى الشعر على الرغم من أن مطـران كان اكثر حذرا وأطول رؤية كما كان أطول عمرا وأوفر انتاجا وأسمى مكانة فى عالم الشعر والأدب. أمـا ولى الـدين فقد تحالفت عليه العلل والأسقام فمات ولما يبلغ الخمسين من عمره.. ومن ينعم النظر فى ديوانه تلدغه هذه النفثات التى كان

يعبر بها عن آلامه وأشجانه فديوانه سجل حافل لحياة قطعها على الاشواك وأفناها على اقتحام المخاطر ولذلك كثرت فى شعره الشكوى والانين فقد سالت نفسه على القرطاس حسرات وخير ما يمثل ذلك قوله من قصيدة بعنوان «فى المنفى» :



[illegible]
والانـكـسـار يَغـرُّ
وسـرّهُـمْ طولُ نفـيـى
ومـثـل نفـيـى يسـرُّ
وانـنـى سوف اقـضـى
هنـا ومـالـى ذكـرُ
لكـنَّ بعـدى رجـالا
والـليـل يتـلوه فجـرُ
مرّت عِذابُ الـليـالـى
وكـلٌّ عذب يمـرُّ

ولابد قبل الانتهاء من الحديث عن هذا الشاعر الكبير أن أبدى الملاحظات التالية :

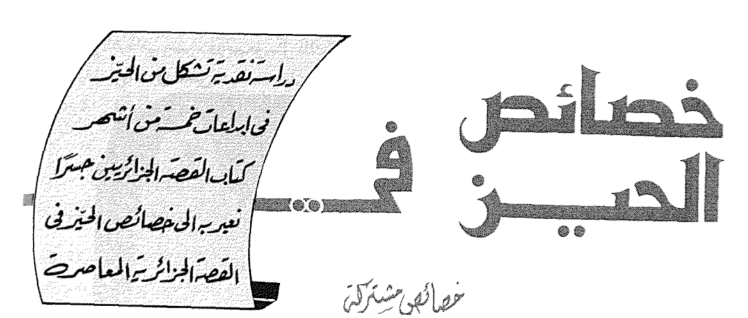
١ - أن ديوانه يشكو من ثغرات كثيرة وأهمها عدم ذكر مناسبات القصائد وظروف نظمها مما يدعو الى الحيرة والالتباس .

٢ - يبدو أن ما لقيه الشاعر من نفى وتشريد قد ساعد على تبديد الكثير من شعره لأن ما يحويه الديوان قليل بالنسبة لشاعر مثل ولى الدين عرف عنه أنه كان خصب الشاعرية .

٣ - قصَّر معظم الذين تحدثوا عن الشعر المصرى قبل شوقى وبعده فى تقدير مكانة هذا الشاعر الكبير ولعل لذلك أسبابا سياسية ووطنية .

إن ولى الدين يكن شاعر كبير يستحق دراسات أعمق وأوسع هذا الى أن ديوانه بحاجة الى أن تعاد طباعته لما فيه من نقص فى الترتيب والتنظيم وشرح مناسبات القصائد وعسى الأيام أن تظهر ما خفى من شعره وأن تضعه فى مكانه الصحيح بين شعراء عصره .

لقد كان ولى الدين شاعرا رقيقا شجيى النغمات يغمس ريشته فى أحزان قلبه فيخرج منها كل بديع طريف وإذا كان الشعر عند غيره لهوا وترفا فقد كان عنده ألما ومعاناة وفى حين كان غيره يتلهى ويتسلى كان هو يحترق ويتقلى لقد كان ظاهرة بارزة فى الشعر المصرى المعاصر على الرغم من أن كثيرا من النقاد أهملوه وأداروا ظهورهم له رحمه الله وأجزل مثوبته .



خصائص مشتركة

الحيِّز يختلف باختلاف كُتّاب هذه المجموعات السبع التى نتناولها فى دراستنا هذه فنلفيه لدى عبد الحميد بن هدوقة جغرافيا كحديثه عن تونس، ومدينة الجزائر وبوزريعة والبويرة وفرنسا وهلم جرا . . وشذّ الكاتب فى قصته «الاشعة السبعة» حيث يرمز الى الجزائر بالبحيرة. واخال أن حيز هذه البحيرة أجمل حيز على الاطلاق فى مجموعتيه القصصيتين لما يكتنفه من شاعرية حالمة: فيها ضبابة الشعر وعمق الفلسفة وجمال الاسطورة وبُعد الرؤية الفنية. والذى نلاحظه أثناء ذلك أن حيّز ابن هدوقة مدنى اكثر مما هو قروى. والمدنى ترقى نسبته المائوية فى مجموعة «الكاتب وقصص اخرى» الى ٦٠٪ وفى مجموعة «الاشعة السبعة» الى ٩٢، ٧٦٪ ولدى ضم النسبتين المائويتين الى بعضهما بعض عبر المجموعتين الاثنتين ترقى النسبة المئوية العامة للحيّز الحضرى فيهما الى ٥٦، ٦٩٪.

أما لدى احمد منور فالحيز فى الغالب أيضا جغرافى. ولا يكاد يشذ عن ذلك الا فى قصة «عودة الام» حيث نلفى الحيز هنا رمزا للوطن او لشىء يضارع هذا الوطن. ولكن صورة هذا الحيز فى هذه القصة تخلو فى رأينا على الاقل من المسحة الشاعرية والصوفية والفلسفية معا فكانت شبيهة بالعالم الغريب المجهول الذى لا يكاد يثير فى النفس أى شعور بالجمال ولا حتى بالقبح. ولو قارنا بين الحيزين فى قصتى «الاشعة السبعة» و«عودة الام» لتبين لنا بشىء من اليسر انه فى العمل القصصى الاول رائع عميق مثير شاسع مشرق حالم معبر متحرك ينهض بوظيفته الفنية المقيضة له على نحو يعجب. . اما فى «عودة الام» فهو قد يكون غير ذلك. . على الرغم من أن هذه القصة أيضا تشتمل على فلتات من الخيال قد تكون لنا وقفات لديها فى غير هذا المكان. . ونلاحظ أيضا أن الحيز الحضرى هو الغالب فى أعمال منور المضمنة فى مجموعة «الصداع» حتى لا يشمل الحكم ما لم نطلع عليه من قصصه الاخيرة. . فقد ألفينا معظم قصص هذه المجموعة تفترش المدينة حيزا لها بحيث ترقى نسبتها فى المجموعة الى ٦٣، ٦٣٪.

د. عبد الملك مرتاض

القصة الجزائرية المعاصرة

ونمضي الى الفاسي لنلفى لديه الحيز كله حقيقيا او جغرافيا الا فى «مصير سفينة قديمة» وهو حضرى لديه أيضا بنسبة عالية حيث ترقى نسبته العامة الى ٧٢،٧٢٪.

اما لدى السائح الحبيب فهو جغرافى فى المجموعتين الاثنتين معا حيث لم نجده يحاول توظيف الحيز الاسطورى شأن ابن هدوقة ومنور وحتى الفاسى فيما يبدو فى «مصير سفينة قديمة». وحيز السائح من أجل ذلك يتسم فى ذوقنا على الاقل بالقتامة والقساوة طورا، والقذارة طورا آخر؛ ذلك ان الراوى لا يرعوى فى وضعنا أمام حيز كله فضلات ونفايات تأكلها الكلاب وتتلذذ بها. ونتيجة لالتصاق معظم قصصه ان لم نقل كلها بالواقع اليومى الادنى للناس فلم يك منتظرا منها ان تفترش حيزا اسطوريا متسما بالفلسفة والعمق والتحليق فى اجواء بعيدة من الخيال الشارد. كما ان معالجتها فى معظم الاطوار لقضايا العمال اكثر من قضايا الفلاحين جعلها هى ايضا تضطرب فى حيز حضرى بالضرورة والطبع.

اما لماذا نجد الحيز فى معظم القصص التى كتبها هؤلاء القصاصون الاربعة (على حين ان عثمان سعدى جنح بحيزه نحو القرية والريف حيث لم يكد يعالج الحيز الحضرى الا فى قصته «تحت الجسر المعلق» التى تضطرب احداثها فى مدينة قسنطينة وباقى القصص ذات حيز ريفى خالص متسما بالمسحة الحضرية فلأن مشاكل المدينة هى التى تطغى على معظم الناس من المفكرين والكتاب ورجال السياسة باعتبار التجمع السكانى الذى تتجمع معه معضلات الحياة وعقدها. فعلى الرغم من ان معظم هؤلاء الكتاب ينتمون اصلا الى الريف فان مشاكل هذا الريف لم تعالج فى قصصهم الا بشكل يشبه استعراض الذكريات القديمة عرضا دون التركيز والتعمق. وعلى اننا لا ندعى ان الريف غائب فى قصص هؤلاء وانما توصلنا بالاحصاء الذى لا يقبل الجدل الى ان المدينة اكثر حضورا من هذا الريف. فهذا كل ما فى الامر.

ولعلنا من خلال هذه الاستنتاجات العامة نستطيع أن نتبين أن عبد الحميد بن هدوقة فى مجموعتيه المشار اليهما ترقى نسبة الحيز المدنى فيهما الى ٧٦،٩٢٪ وهو بذلك يأتى فى المقام الاول. اما المقام الثانى فيتبوؤه مصطفى الفاسى بنسبة ٧٢،٧٢٪. ثم يأتى الحبيب السائح (فى مجموعتيه معا) ليتبوأ المقام الثالث بنسبة ٧٢،٢٢٪. على حين ان منورا يأتى فى المقام الرابع بنسبة ٦٣،٦٣٪.

خصائص الحيز في "الاضواء والفئران" للفاسي

واننا لنلاحظ من خلال امتداد الحيز فى هذه القصة أو محاولة الشخصية المركزية جعله ممتدا غير محدود وواسعا غير ضيق أن شخصية المغلم تضيق بقدرها البئيس الذى أصبح عليها قصرا ولها مطاردا وفوقها جاثما. فالشخصية ـ على الثقافة التى تفترض فى معلم كُفء يهوى العلم والتعليم معا ـ تعيش فى كوخ ندى رطب ضيق مظلم منتن. والشخصية تحس بوضعها المحزن أشد الاحساس فتجاهد فى تغيير الحيز من سيىء الى أقل منه سوءا دون أن توفق الى ذلك سبيلا. فالضيق لا تمحوه الا السعة والشساعة، والظلام لا ينسخه الا النور والاشراق، والنداوة لا تزيلها الا حرارة الغزالة وأشعتها، والنتونة لا تميطها الا النظافة الدائبة والشذى العابق. عناصر اذن تتصارع فيما بينها من خلال هواجس الشخصية وتفكيرها الداخلى. وهذا التفكير فى التخلص من الوضع المؤلم الراهن الذى هو فى حقيقة الامر ليس شيئا غير الحيز التعيس ليتنامى كلما تقدم مسار الحيز الى الامام بعنف واصرار وثورة.

ومن الخصائص التى يختص بها الحيز فى هذه القصة (وهذا من خلال الضيق الشديد بالحيز المفروض على الشخصية) انه ضيق جيدا كما اسلفنا فى ملاحظة العناصر المتصارعة داخل نفس الشخصية حيال الحيز ويتجلى ذلك مثلا فى النص السرد التالى:

«.. وينحرف (المعلم) الى نهج ضيق».

والشخصية انما تتخذ من هذا الضيق سبيلا الى ابداء الضجر به، والبحث عن حيز أرحب وأشسع فهو حيز ليس ضيقا فحسب ولكنه مظلم أيضا. من أجل ذلك نلفى الشخصية تتكىء على جذع شجرة غارقة فى الدجى ومنها تمد الطرف الى نحو **«الانوار المتلألئة»** ومد الطرف الى بعيد تعبير عن هذا البرم الداخلى للشخصية الشقية بحيزها الضيق. واصباغ صفة «الانوار المتلألئة» على الحيز البعيد الذى يراه الطرف ولا يناله نوره ولا جماله ولا سعته انما هو ايضا تعبير آخر عن تطلع الشخصية الاولى فى هذه القصة الى التملّى بحيز كله نور وسعة وبهاء.

ويتجلى هذا الضيق تارة اخرى فى داخل نفس الشخصية الشقية بحيزها وذلك عندما تفكر بان منزلها ـ او ما يطلق عليه منزل بشىء من التجاوز فى التعبير ـ تتداخل غرفه فى بعضها لتصير غرفة واحدة فحيز عالم هذه الشخصية لا يلاعه بالضيق والتضييق عليها ليتداخل ويتضاءل ويتوالج ويتصاغر حتى فى اطوار كبره أصلا لكيما يغدو شديد الضيق كقبر الاشقياء يؤلم النفس ويزعج الروح ويعذب الجسم.

واننا لنلفى الحيز يتخذ فى بعض اطواره عبر قصة **«الاضواء والفئران»** وجها اسطوريا. ويتمثل ذلك فى موقف واحد. وتتجلى تلك المسحة الاسطورية فى خيال احدى شخصيات القصة حيث تجد الحلاق بعد ان يصنع منزلا اصطناعيا جميلا من اعواد الكبريت يضعه فى واجهة دكانه ليتأمله المارة وينعموا بمنظره البهى. واذا كانت شخصية المعلم لم تجاوز مرحلة الاعجاب به فان شخصية الحلاق مضت الى ابعد من ذلك كثيرا. ذلك أن تأملها هذا المنزل اللعبة تأملا متجددا أفضى الى احساس اسطورى عبر نفس هذه الشخصية الثانوية فى القصة فاذا هذا المنزل اللعبة يستحيل الى حيز كبير الحجم رائع الموقع تظلله اشجار وتزدان من حوله الازهار وتتلألأ الانوار



وتدفئه أشعة الشمس وتداعب نوافذه الوسيعة التى منها ينفذ الضوء والنسيم العليل. . وكذلك تسرح النفس الفقيرة القاصرة عن تحقيق طموحها بالواقع وتحلم وتهم وتتلذذ بوهمها وحلمها وتغبر فى عالم رحب من الحيز ما له فى الواقع من وجود. كأنما تتخذ من ذلك تنفيسا لها عن همومها الجاثمة وايهاما لها مما هى فيه من واقع قاس.

وكل ذلك يتجلى من خلال حديث الحلاق للمعلم :

- يخيل الى انها بدأت تكبر. . .

- خير لك ان تتمنى لو تصير انت صغيرا كالقزم. .

فالحيز هنا تتنازعه الرغبة فى الكبر والصغر وفى الحالين لا يخلو من مسحة أسطورية. فحيز الدار كأنه يصبح كبيرا بالقياس الى الحلاق ولكنه لدى المعلم لا يتغير شيئا وانما الذى يجب ان يتغير من كبر الى صغر انما هو حيّز الحلاق نفسه الذى يصبح كالحشرة الضئيلة ترى هذا المنزل الاصطناعى الجاثم فى الواجهة كالقصر الفخم الضخم. . اننا لنلاحظ الحيز هنا يتخذ شكلين وكلاهما غير حقيقى كما أسلفنا القول، صغيرا ويشرئبّ الى كبر، وكبيرا ويصور وكأنه غدا صغيرا جدا. وعملية التكبير والتصغير فى مدى الحيز تمر عبر الطرف الذى يعكس انفعالات النفس وهواجسها وتعاستها. ولكن الطرف هنا ان كان صادقا فى عكس الداخل فهو كاذب فى عكس الخارج. فالحيز الكامن فى النفس والمتصور فيها صادق ولكنه يصبح مخدوعا خادعا ومكذوبا كاذبا بمجرد ان ترسمه حدقة الطرف على صفحة الواقع الخارجى.

وكل هذه التناقضات التى تتجلى من خلال تصارع الداخل مع الخارج انما منشؤها اشرئباب الى حب تغيير الحيز لصالح الشخصية ومنفعتها. ويصبح الحيز فى «الاضواء والفئران» مسرحا لرسم مساحات كاريكاتورية غايتها وصف الشخصية فى واقعها البئيس. فالمحفظة الكبيرة المنتفخة التى تجعل شخصية المعلم حين تحتملها تميل طورا الى يمين وطورا آخر الى يسار لا تعنى الا حيزا من الجنس الذى اومأنا اليه.

والحيز الضيق ليس هو وحده الذى يصبّ اسواط قمعه على شخصية المعلم بل ترى حتى الكبير منه يتظاهر عليه ليضاعف من بؤسه وتعاسته. ولكن حجم الحيز هنا لا يوصف بالكبر الا نسبيا لانه كبير بالقياس الى جسم الشخصية الضئيل. فالضخامة والثقل والضيق اذن عناصر ثلاثة تتضافر مجتمعة من اجل اتعاس الشخصية.

فصغر حجم الشخصية يجعل من كل حيز كبير ولا سيما اذا كان محمولا كالصورة والمحفظة الضخمة عنصر اشقاء لها واضجار. والحيز من هذا الجانب يظل قاسيا على شخصيته بحيث يكبر حيث يجب أن يصغر كالشأن فى المحفظة والصورة ويصغر حيث يجب ان يكبر كشأن غرف منزله المتداخلة. وهذه الرؤية الى الحيز تتجلى عبر تفكير شخصية الحلاق ايضا حيث تتمنى بل تحسب ذلك وتراه حقا لو ان هذه الدار اللعبة تصبح فى يوم من الايام فخمة جميلة الموقع اى حقيقية الحيز.

ويصبح الحيز فى بعض اطوار «الاضواء والفئران» أشياء كثيرة مختلفة كلها يعكس تفكير الشخصية التى تتحدث عنه وتنظر اليه. وهذا الصنيع يتجلى من خلال الحوار الذى يدور بين شخصية المعلم وشخصيات التلاميذ الصغار فى المدرسة فاذا حيز الصورة يتخذ فى أطراف هذه الشخصيات ألوانا وأشكالا وأحجاما متباينة فاذا هذه الصورة نفسها قصر طورا ومنزل عادى طورا ودارة فخمة طورا آخر، واذا هى بعد ذلك كله تصبح فى طرف احدى الشخصيات الثرية من التلاميذ مجرد مأوى للكلاب.

تلكم بعض الخصائص التى يتميز بها الحيز فى هذه القصة. وقد وجدنا هذا الحيز فى معظم مظاهره عنصر اشقاء للشخصية وقمع لها من خلال ضيقه ورحابته جميعا.

ولكن قبل ان نمضى الى عمل قصصى آخر لكاتب آخر نود ملاحظة ان هذا الضجر بالحيز الذى نجده يقارف الشخصية ولا يفارقها يضطرها الى البحث المستمر الحثيث عن حيز رحيب أمثل ولكنه غير شرعى فيكون اقتحام منزل للناس بيد ان هذا الاقتحام للحيز المنشود ينتهى بالشخصية الى حيز غير منشود وهو زنزانة السجن. وعلى ان الشخصية على الرغم من القضبان وكزازة وجه السجان تسعد بحيزها الجديد. ولكن هذه السعادة الناشئة عن وقوع هذا الحيز ليست حقيقية وانما هى وجه من وجوه التفكير الكاريكاتورى داخل نفس الشخصية التى شقيت بحيزها القديم الذى لم يفض بها ايضا الا الى حيز ان كان لا يقطر سقفه فان ضيقه يكمن فى انعدام الحركة نحو الخارج. وهو بذلك لا يختلف فتيلا عن الحيز الضيق الاول ان لم يك أسوأ منه حالا. واذن فالحيز فى قصة «الاضواء والفئران» يبدأ مختنقا وينتهى ايضا مختنقا.

خصائص الحيز فى "هلال" المنور

يتميز الحيز فى هذه القصة بشىء من الضحالة التى لا تنكر وذلك بالقياس الى الحيز الادبى الذى لاحظناه فى قصة «الاضواء والفئران» مثلا على الرغم من اشتراك القصتين الاثنتين فى صفة واحدة على الاقل هى صفة القتامة التى تلازم هذا الحيز ولا تزايله. والذى بدا لنا من خلال ملاحظتنا لمسار الحيز داخل قصة «هلال» انه فى كل الاطوار لا يجىء فى صف الشخصية الفقيرة البئيسة المعذبة فسواء عليها أكان هذا الحيز ضيقا ام رحبا مظلما ام مضيئا فارغا ام ممتلئا فهو فى كل الاطوار كما اسلفنا يتضافر على الشخصية ليشقيها ويضنيها ويجهدها حتى لا يدع امامها مجالا للرفول فى ظلال حيز وديع لطيف يسعد ولا يشقى ويعطف ولا يقسو.

فالدلوان المحمولتان بذراعى السقاء لا يكون كبرهما الا اشقاء له واجهادا (كما كانت المحفظة الكبيرة الثقيلة بالقياس الى شخصية المعلم فى «الاضواء والفئران» لان ضعف جسمه لا يتيح له احتمال هاتين الدلوين الضخمتين ومما يجعله يعانى فى ايصالهما الى السيدة التى ظلت تنتظره على قلق لتأخره اليوم على غير ديدنه. والصراع هنا داخل هذا الحيز يضطرم بين عناصر متناقضة متعارضة المنافع فمن وجهة نلفى السقاء فى صف والسيدة التى تنتظره فى صف آخر. ومن

وجهة اخرى نلفى السقاء ضعيف البنية عليل الصحة وهاتان الآفتان تحظرانه من احتمال الدلوين الطافحتين بالماء. ومقابل الآفتين الحاظرتين نجد القلق الذى يساور السيدة التى ترقب السقاء وتنتظره دون أن تنظره فانتظار حصول شىء على قلق وامتناع حصول هذا الشىء بعجلة يفضيان الى تذكية هذا الصراع داخل حيز غير متكافىء ولا متوازن فحاجة السقاء الى الراحة لشديدة للعلة التى يعانيها وحاجة السيدة الى الماء لشديدة أيضا لما تود من ارتفاق به فى بيتها وبين الحاجتين المختلفتين يكمن الصراع المضطرم بين الشخصيتين من وجهة وبين السقاء ودلويه الطافحتين اللتين ثقلتا عليه حتى عجز عن احتمالها من وجهة أخرى.

●● وضخامة الحيز وثقله يوشكان أن يصبحا عنصرى اشقاء لشخصية السقاء. فالدلوان بما طفحتا يتسابل ماؤهما من الشقوق والجوانب على حذائه الضخم. ثم ان هذا الحذاء الضخم نفسه لفضفضته وتيه القدمين المتورمتين فيه يصبح هو أيضا وما ذنبه هو فى ان لا يصبح؟ - علة فى اتعاب الشخصية وازعاجها بل اذلالها واشقائها. فلو لم تكن الدلوان كبيرتين لهان عليه احتمالها ولما عانى فى هذا الاحتمال ما عانى. ثم لو لم يك حذاؤه ذاك فضفاضا متقادما ليسّر عليه الحمل ولظاهر قدميه على التماسك الجيد من فوق الارض واذن لسار بخطى ثابتة. وتتجلى مثل هذه المواقف من الحيز فى بعض السرد الوارد عن الشخصية.

●●

الحيز فى الاضواء والفئران تتنازعه الرغبة فى الكبر والصغر وفى كلا الحالين لا يخلو من مسحة اسطورية

●●

●● «.. وكان الماء ينسكب باستمرار على سرواله وداخل حذائه الضخم».. فصورة الحيز هنا تبدو قاتمة توحى بالتعاسة والجهد والضعف جميعا. فالماء المنساح على جوانب الدلوين انما يعود الى ضعف بنية السقاء المجهود اذ حين يكون الحمل بقوة جسمية مطلوبة يستقر الماء داخل الدلو ولا يجد سبيلا الى هذا الانسياح. فانعدام التحكم فى احتمال الدلوين الكبيرتين لا يعود الى كونهما كبيرتين فحسب وانما يعود الى انعدام القوة الجسمية الكافية فى ذراعى السقاء اللتين تحتملانهما.

●● ولكن انعدام اللياقة البدنية لدى السقاء (وهى حقيقة تعود الى علة أخرى خارجة عن ارادة الشخصية) لا تعترف له بها شخصية المرأة التى تستخدمه والتى رأته كاذبا غير صادق فيما انتحله لها من أعذار. فهى تدعى له طاقة بدنية تجعله قادرا على احتمال شخصين اثنين بين ذراعيه ويمضى بهما دون أن يكون ذلك ممتنعا عليه او مستنكرا فالشخصية الثانية (المرأة المستخدمة) تسرح بخيالها قصدا او جهلا فتتمثل قدرة السقاء على خلق حيز جديد يتسم من حوله بالقوة والسعة والاستقامة فى الحركة.. فاحتمال شخصين اثنين ينشأ عنه افتراض وجود طاقة بدنية كاملة بل خارقة اما الفرار بهما عبر

طريق طويل فينشأ عنه ما هو أهم من تلك الطاقة البدنية العادية اى قوة جسمية فاتكة لا تقع الا لرجال قلة أولى طول شديد.

■ ولكن عدم الاعتراف بحقيقة امر السقّاء لدى المرأة يسيىء الى الحيز ويجعله متوهما على نحو خال من الواقعية وضارب فى وهم حائر. ألم تكن السيدة ترى سحنته الصفراء؟ ألم تلاحظ عينه العوراء؟ ألم تكن تراه وهو يتمايل ذات اليمين وذات الشمال من اجل مكابدة حمل دلويه؟ ألم تكن تلاحظ ذلك الماء وهو يسيح من أعلى الدلوين آية على هون الذراعين اللتين تحملانها؟ ؛ حتما كانت شخصية السيدة ترى ذلك وتعرفه وتجاهلته امعانا فى اشقاء السقاء ورغبة فى القسوة عليه والتمادى فى كَلْم كرامته. ذلك أن من عجز عن احتمال حيز وحجم صغيرين لهو أعجز عن احتمال حيز وحجم اضخم وأثقل.

●● والحيز الطويل هو ايضا لا يرحم هذه الشخصية السقاء، ويكون علة فى شقائها. فهى حين تقطع المسافة الطويلة لا مناص لها من ان تتعرض للنصب وتحس احساسا شديدا بالتعب يلدغ جسمها الخائر. فالمساحة حين ترحب وتطول تنشأ عنها راحة للطرف اذا نظر ومتاع له اذا تأمل كما تنشأ عنها سعادة للنفس التى ترتاح فى مألوف العادة الى المناظر الرحيبة والآفاق الوسيعة ولكنها بالقياس الى السقاء لا تعنى شيئا من ذلك اطلاقا فأين هو من التمتع برحابة المناظر وسعة الآفاق؟ وانما وسعت تلك الارض ليطوف بها ذاهبا آيبا حائرا خائرا اذ غداً يجوب الطرقات ذهابا وايابا (و) لا يرى فى الناس الا اشبحا قذرة ولا فى المنازل الا هياكل مظلمة ولا فى الدنيا كلها الا جحيما وعذابا.

فمن هؤلاء الذين استحالوا من اناس الى اشباح مخوفة ترين عليها القذارة؟ وما هذه الدور التى غدت كالقبور المنصوبة تنبعث منها الوحشة والظلام ؟ وما هذه الدنيا التى خلت من كل متاع ونعيم فاصبحت تنصب للسقاء أفخاخ الشقاء وتصب عليه أسواط العذاب حيثما مضى؟ فكل أجناس الحيز هنا ترتدى كساء للساقى غير كسائها الحقيقى الذى ترتديه للآخرين، وكل ذلك لتزيد من شقائه شقاء ومن عذابه عذابا. فالحيز هنا فى هذا الموقف غير موضوعى كما نلاحظ بل هو ذاتى محض. اذ هذا الحيز بل هذه الاجناس المختلفة من الحيز ليست فى حقيقتها كما تتصورها الشخصية وانما هى غير ذلك حتما.

وطول الحيز وعرضه ووعورته مما يسبب للشخصية ضيقا بنفسها وضجرا بالحياة ونقمة منها اذ أننا نجد الساقى «يقطع المسافات الطويلة فى الاراضى المحروثة والجبال الوعرة حتى تدمى قدماه».

ولكن ضيق الحيز اثناء ذلك لا يعنى انه يكون بردا وسلاما على الشخصية بل نجده هو أيضا يساهم فى شقائها او يصف حال بؤسها وتعاستها على ادنى اعتبار. فالازقة الضيقة فى مدينة من المدن اذا تحدثنا عنها فى عمل أدبى لا يعنى ضيقها فى الغالب الا رمزا للشقاء ودلالة على الفقر والمرض والحرمان وذلك ما نلاحظ فى سرد عابر عن الشخصية يأتى فى نهاية النص:

« . . كنت مارا فى احد ازقة قسنطينة الضيقة فلفت نظرى رجل مسكين أعمى يجلس فى زاوية الشارع . . . » فقد نشأ عن ضيق الحيز هنا فقر السقاء. ويمكن ان نعكس الصورة فنقول: لقد نشأ عن فقر الشخصية جلوسها فى زقاق ضيق. والضيق فى الازقة انما كان مذموما لانه ينشأ عنه الرطوبة والنداوة والظلام. فالضيق لا يتيح للشمس ان تلج بله أن تدخل الا بحذر وعجلة. واذا افتقر مكان الى اشعة الشمس غدا رطبا نديا واذا غدا كذلك لم يعد الا موئلا للامراض والاخطار فضيق الحيز هنا أيضا يتضافر مع الحيز الرحب على الشخصية ليمعن فى اشقائها.

ولو ان الامر توقف لدى هذا الحد لهان وانما جاوزه الى أسوأ من ذلك واشقى، فقد ألفينا الحيز الخاوى هو أيضا يتضافر مع الحيزين: الرحب والضيق للاساءة الى الشخصية ومضايقتها بقساوة قاسية. فبيت السقاه حيث يصبح خاويا تغادره الزوج والصبية، يغدو خواؤه كظلام القبر لا يطيقه اى كائن حى فالفراغ فى الحيز لا يسعد الشخصية فى اى طور من اطوار حياتها. فلو ظفرت بحيز يتمثل فى بيت تقطنه لسعدت كل السعادة ولكن هذا الفراغ النافع ظلت تحلم به دون أن تمسك بخيط طريقه قط. ثم ان الشخصية لو لم تفقد ملء الفراغ الذى كان يتمثل فى وجود الزوج وصبيتها داخل حيز سعيد مشرق متحرك مبتسم حساس لغدت سعيدة كل السعادة فالحيز الفارغ فى وجوده وعدمه شقاء. وذلك منتهى شقاء شخصية السقاء عبر قصة «هلال».

خصائص الحيز فى "الرجل المزرعة" لابن هدوقة

يشبه الحيز فى هذا العمل القصصى صنوه فى «الاضواء والفئران» و«هلال». ففى كل عمل من هذه الاعمال الثلاثة نلاحظ قتامة وظلاما وتطلعا الى التخلص من الحيزالراهن المتسم بالشقاء والقلق والبحث عن حيز جديد ليس متسما بالرحابة فحسب ولكنه يكون مظنة لسعادة منشودة.

فقد ألفينا شخصية الفلاح المضطهد الذى كان المعمر ليونارد يستنزف جهده ويضنى صحته ابتغاء نيل محصول زراعى أغنى وأجود، ألفينا هذه الشخصية بعد الخوف الذى توجسته تنشد بحزم شديد حيزا جديدا تظفر فيه بأمنها وسلامها. ويتجلى هذا التطلع المضطرم الى البحث عن حيز جديد فى مواقف متوالية:

حين تسرد شخصية الابن الخير أن شخصية الاب قررت الرحيل عن المزرعة: «وفى الليل قرر أبى ان نغادر المزرعة ان نرتحل» وحين تقرر شخصية الاب مغادرة المزرعة مهما تكن الموانع «سنغادر المزرعة بعد قليل ولن نعود اليها ما دام بها ليونارد».

وحين تتنبىء الشخصية الاسرة أن «غدا لا يطلع النهار فى هذه المزرعة».

وحين تجيب الشخصية (البعل) زوجها حين تسألها:

- «الى اين تذهب؟

- الى مكان بعيد من هنا. حيث لا يعرفنا احد».

وحين تخبر الشخصية (وهى هنا الابن الذى طعن المعمر ليونارد) الاسرة بازماعها على الرحيل من حيز المزرعة الجحيم الى أفق آخر من الارض «ونذهب امامنا ما امتدت طريق».

وحين تطلب هذه الشخصية ذاتها الى الاب من اجل ان يغادر المزرعة التماسا للامن من بطش الاستعمار بعد حادث طعن المعمر صاحب المزرعة «أبى لنغادر المكان قبل ان يشعر بنا السكان».

وحين تزمع هذه الشخصية بعد الاستيئاس من رحيل الاب والام «قررت الذهاب فى طريق اخرى غير التى سلكها ابواى.

فهذه المواقف كلها تجسد هذه الرغبة العارمة والتطلع الطافح الى نشدان حيز جديد. فكأن الموت فى الاستقرار والحياة كل الحياة فى التماس الحركة التى يكون الحيز مسارها. فكل شخصية ماضية للبحث لها عن حيز غير الذى توجد فيه. واذا كنا ألفينا صاحب الحيز الاول وهو الاب يقرر فى بداية الامر مغادرة مررعة ليونارد التماسا للعيش السعيد والعز الاقعس فان هذه الرغبة تستحيل فى نهايته الى صراع يضطرم أواره بين الاب وابنه. فقد طعن الابن المعمر ليونارد بخنجر كان معه

بعد ان حذَّر الاسرة من العودة الى الدار التى كانت تقطنها وحرمها من حيز هو حقها وملكها وما كاد يأتى ذلك حتى عدل الاب عن رغبته فى الرحيل الذى انتقلت عدواه الى ابنه . فالابن يصر على الرحيل والابوان يصران على البقاء بالمزرعة . الابن يبحث اذن عن حيز جديد غير معروف والاب ـ مضطر أو راغب فى ذلك ـ مختارا الى البقاء فى دائرة حيز المزرعة، على الرغم من انه فقد حيزه الاول الشرعى وهو المنزل .

فقد كان الحيز هنا مصدر صراع بين شخصيتى الاب وابنه : فحين يريد الاول الرحيل يتردد الثانى . وحين يزمع الثانى عليه يرفض الاول . ويتبادل الحيزان المتصارع من اجلهما الموقعين : فالحيز الاول الذى هو ما هو اى الحيز المجهول الخارج عن مدى مزرعة ليونارد ينتقل من رغبة الاب الذى كان حريصا عليه مخاطرا بنفسه من اجله بغتة الى ابنه . اما الحيز الثانى الذى يمثل البقاء داخل المزرعة فينتقل ايضا بغتة من رغبة الابن الى رغبة أبيه .

ويمكن اضافة عنصر ثالث فى هذا الصراع المحتدم من اجل الحيز وهو سلوك المعمر الذى رصد الفلاح وأسرته على أطراف مزرعته وأرغمهم على الاياب الى داخل حيزها الواسع . فقد اصطنع المعمر من اجل ذلك بندقيته لنيل رغبته فى اعادة هؤلاء الى حيز مزرعته بل يمكن اضافة العم احمد أبى رقية وهو الشخصية المتعاطفة مع ليونارد المعمر الشخصية الوحيدة التى أحاطت بالنبأ خبرا بواسطة الفتاة رقية التى كان الفتى يهواها فأنبأها بالرحيل فأنبأت المعمر ليونارد ليترصد الاسرة الفارة من شره واضطهاده ويرغمها على الاياب .

واذا كان حيزالمزرعة من حيث حجمه او مداه يعد وسيعا رحيبا فان سعته لا تشفع له شيئا ما دام موطن اضطهاد وشقاء للشخصية . فعلى ما فيه من خضرة وماء وحياة ونشاط فانه لا يرضي الشخصية التى تعزف عنه لحرمانها من هذه النعم كلها . اما الحيز الثانى فعلى جهلنا اياه وجهل الشخصية ذاتها له نجده موطن أمل وسعادة فهنا نلاحظ ضيقا شديدا بحيز معلوم من أجل امتلاك حيز مجهول أو استكشافه ونلاحظ بعد ذلك ان الحيز فى آخر الامر على اضطراب طبيعته يتميز باتخاذه شكلين ممتدين طويلين : احدهما يذهب فى اتجاه وأحدهما الآخر يذهب فى اتجاه آخر فللابن طريقه وقد مضى فيه لا يلوى على شىء ولا يثنيه شىء وللاب طريقة وقد اختاره طوعا او كرها . فهذا الشكل الذى نتمثله والذى يوحى الينا به هذا المقطع من النص انما يمثل أزلية الخلاف بين جيلين مختلفى الزمان والفلسفة والنظرة الى الحياة . فجيل الابناء ابدا هو غير جيل الآباء ويمكن من هذه الرؤية ان نعتبر الحيز الخارج عن مدى المزرعة ضربا من الحيزالمعنوى الذى لا يقصد به الى المكان ولكن الى الفلسفة فى الحياة او الايديولوجية . .

ونلاحظ اثناء ذلك ان هذا الحيز نفسه يكون موطنا للصراع بين شخصيات القصة فمنها ما يعترف بشرعيته ومنها ما يرفض هذه الشرعية وينكرها انكارا . فالحيز جزء من الوطن الجزائرى . وهذا المعمر أجنبى ما فى ذلك من ريب واذن فالحيز ليس له، وعدّه له من باب الجهل او المكابرة ليس غيرا . فقد اختلفت شخصيات الفلاحين فيما بينها حول هذا الموقف وراحت كل واحدة تتعصب لرأيها تعصبا ولكن الشيخ الوطنى نلفيه يجيب ابا رقية متحديا اياه :
ـ «جاء بهذا التراب (ليونارد) من فرنسا ووضعه هنا» . .

فهذا الجواب الصارم المقنع يحمل ايديولوجية قائمة على منطق الاشياء وحقائقها، فالمعمر ليونارد لا يستطيع ان يزعم ان حيز المزرعة له بالمفهوم السياسى والتاريخى وانما هو له من حيث المفهوم الاستعمارى القائم على الاستلاب واللصوصية والاستيلاء بالقوة على ممتلكات الآخرين . فحتى على افتراض انه ابتاعه من الجزائريين بشرعية قانونية فان هذه الشرعية تبطل مع بطلان شرعية الاستعمار بل ان هذه الشرعية لم تكتسب معانيها القانونية قط الا لدى الاستعمار نفسه .

ويتجلى هذا الموقف الرافض لشرعية الحيز بالقياس الى صاحبه المزعوم فى قول احدى شخصيات القصة: **«سرق (ليونارد) منا هذه الارض»** فهذا الحيز الذى قوامه ارض المزرعة وما حواليها وما فيها ليس لليونارد فيه حق مشروع وانما هو حق لأهل المزرعة الذين يقومون على خدمتها ورعاية شجرها وسياسة حيوانها لأن ليونارد لم يمتلك بالسبل الشرعية ولم يبتع الارض بالرسوم القانونية المسلمة فى جميع الاعراف والشرائع، وانما ابتاعها ابتياع الغالب من المغلوب والقوى من الضعيف والشبعان من الجوعان.

ونستخلص روح هذا الموقف من خلال سلوك شخصية الابن وطعنها لشخصية المعمر ليونارد. فقد كانت علة هذا الطعن المباغت متمثلة فى ازماع المعمر على حظر الاسرة من العودة الى حيزها الاول الشرعى اى المنزل الذى كانت تقطنه قبيل ازماعها على الرحيل فالحنين هنا الى الحيز الاول يفجر الغضب ويبجس العنف فى نفس الفتى الذى فزع الى خنجره فأوعاه فى صدر المعمر. والشخصية نفسها تحكى ذلك عن نفسها (ونحن هنا لا نتفق مع الراوى الذى يجعل من قارئه بليدا جاهلا لا يدرك المواقف ولا يربط عللها بمعلولاتها فيتدخل هو لشرحها له جهارا) وتعلل سلوكها الذى سلكته حين طعنت شخصية المعمر تتحدث عن الغضب الطافح الذى اعتورها فتقول: **«تبع فى نفسى عندما مررنا بدارنا ومنعنا (المعمر ليونارد) من العودة اليها»**.

كل اولئك والامر يتصل بالحيز العام فى قصة «المزرعة الرجل» اما خصائص هذا الحيز فتمتاز بالقتامة والضجر.. والظلام محيط بهذا الحيز من جميع اقطاره. فكأن هذا الظلام دسه النص ليحول بيننا وبين تصور حيز واضح المعالم مشرق المناكب. والظلام عنصر يدسه المبدعون فى اعمالهم الادبية على اختلافها للتعمية على القارىء وتهيئة الجو الملائم لسلوك الشخصيات وتحركها بعنف وحرية. فمثل هذا الظلام المخيم على الحيز هو الذى ظاهر شخصية الابن الثائر على أن يشهر خنجره ثم يطعن به صدر المعمر الظالم. ولو لم يكن هذا الظلام ناشرا أجنحته على الحيز والشخصيات لامتنع ذلك السلوك وانتفى ذلك الموقف العنيف.

وكان يجوز للنص ان يجتزىء بوصف الحيز من خلال ما يضطرب فيه من سلوك دون وصفه هو فى حد ذاته. وقد كنا نود وكينونة الود هنا مجرد تمنّ لا يدرك أن تبدو حقيقة الحيز وطبيعته من خلال سلوك الشخصيات نفسها لا من خلال الوصف المجرد الذى صبه المؤلف عبر النص كقوله:

- ***«كان الظلام والسكون يخيم على المزرعة»***.
- ***«كان الظلام يخيم على الطريق»***.
- ***«أرى بيوت الفلاحين منحنية بظلامها على من فيها»***.
- ***«لم استطع ان أراه (المرئى هنا هو ليونارد) جيدا»***.
- ***«كان الظلام يسود المزرعة ويغطى طريقها وطريقى»***.
- ***«افترقنا فى الظلام»***.

فهذه المقاطع النصية تثبت لنا الى أى مدى أسدل الراوى على حيزه ستائر صفيقة من الدجى حالت بيننا وبين رؤية هذا الحيز بوجه واضح. فالظلام هو السائد والمخيم على الطريق والمزرعة وأكواخ الفلاحين وعلى ليونارد والاسرة جميعا. ونتيجة لكل هذه المناظر المظلمة من الحيز فاننا نجد شخصيات القصة تتناحر وتتلاحى داخل جنح الظلام كما تتزايل عبر أرديته الصفيقة التى كان ينشرها فوقها فلا تكاد ترى شيئا.

واذن فالظلام هو الصفة الغالبة على حال هذا الحيز الذى رأيناه يتشكل بثلاثة اشكال:

اولها: حيز المزرعة بما فيها من حيوانات واشجار ونباتات وبمن فيها من فلاحين وأسرهم البئيسة.
وثانيها: الحيز المجهول الذى أرادت الاسرة الرحيل اليه وهو غير موصوف لانه غير معروف بصورة دقيقة لدى الشخصيات والسارد جميعا فلا ينبغى ان يكون معروفا لدى المتلقى وحده.
وثالثها: حيز يقع بين ذلك وهو هذان الطريقان اللذان يرمزان الى التماس سلوك معين: سلوك يختلف فيه الابن عن ابيه والاب عن ابنه فاذا كل منهما يتخذ طريقه. واثناء كل ذلك نلفى ظلاما مخيما وديجورا مطبقا.

خصائص الحيز فى "تحت السقف" للسائح

والحيز فى هذه القصة ايضا لا يكاد يختلف الا قليلا عن الحيز الذى كنا رأيناه فى القصص الثلاث السابقة التى حاولنا من خلالها معرفة طبيعة الحيز الشائع وخصائصه الجاثمة. فهنا ايضا نجد الضيق والضحالة والقتامة هى الخصائص الطاغية. ولكننا هنا نلفى النص يوظف الحيز للتعبير عن البؤس والفقر بذكر بعض صفاته الدالة كما نلاحظ ذلك فى بعض هذه المقاطع.

« نظر الطيب.. الى سقف البيت المشقق وقشوره الكثيرة التى تتساقط ».

« زوجته.. تنظر الى السقف نظرة تنم عن خوف شديد »

« تعالوا لتروا بأعينكم سقف الحجرة وجدرانها التى ينام فيها اولادى »

« وجد الحجرة فارغة لا نافذة لها.. ليدخل الحجرة الثانية التى لا باب لها ».

فكل هذه المقاطع تصف الحيز فى هذه القصة. وكل وصف يعكس الحال البئيسة لهذا الحيز الذى كانت تضطرب فيه الشخصيات ويضطرب من فوقه الحدث. ففى المقطع الاول نلاحظ تشققا فى السقف وتصدعا باديا على صفحته يصفع العين كلما التفتت اليه ولو وقف الامر لدى هذا الحد من السوء والبؤس لهان وانما كانت الشقوق الى جانب تفطرها متساقطة التراب متهاوية الغبار لتقادم مادتها التى بنيت بها. واذا انضاف الى الشقوق التى قد تكون حديثة الوقوع فيتجاوز عن امرها الى حين، هذه الأتربة الراشية المتساقطة طول الدهر فان ذلك لا يعنى الا شيئا واحدا لا ثانى له وهو البؤس. بؤس هذه الاسرة المؤلفة من سبعة أفراد والتى لم تظفر بمنزل لائق تثوى فيه فكانت مكدسة تحت سقف واحد كالمواد الميتة تحت سقف يوشك أن ينهار.

والشخصية هنا تعبر عن شقائها (شخصية الاب) من خلال النظرة المختلسة التى تلقيهاعلى السقف الموشك على الانهيار. والحيز هنا بطبيعة الحال ميت وانما الذى يبعث فيه الروح هو هذه النظرة التى تنطلق من عينى الطيب فتحيل كل شىء داخل هذه الغرفة الى حياة مفعمة بالقلق والاشفاق. فالخوف الذى يكتسح نفس الطيب ينبعث من أرضية الغرفة الى سقفها عبر الفضاء الضيق الفاصل بين هذه الارضيةوذلك السقف. ومصدر الخوف ينبعث فى النفس تلقائيا وبناء على ظروف قبلية عبر الشقوق التى جللت صفحة هذا السقف المتهاوى.

●● ولم يكن السقف مصدر خوف وقلق للطيب وحده وانما جاوزه الى صاحبته التى كانت تتأمل سقف غرفتها باشفاق وتسترق اليه النظرات بارتياب وحزن. ان سقفها لمتهاو حتما وانه لواقع يوما حقا ولكن أنى لها بمنزل بديل؟ فالامر لم يعد منحصرا فى ضيق الحيز الذى يظللهم فحسب وانما فى خطره وانعدام امنه ايضا. فالشر هنا يجثم فى شيئين اثنين لا فى شىء واحد كما نرى. من اجل كل ذلك لا تملك الزوج الا ان تعبر عن خوفها من خلال النظرات المريبة التى كانت ترسلها الى سقف بيتها هذا كل حين.

■ ولا نلفى الا بعض ذلك فى المقطع الثالث من نص هذه القصة، فالاب هنا يخاطب رجال الشرطة بعد ان وقع فى قبضتهم وبعد أن أدرك أنه أخطأ ولكنه كان مضطرا فى محاولة للتوسعة على افراد أسرته يخاطبهم داعيا اياهم الى الذهاب الى بيته الاصل المتقادم البناء الضيق المساحة ليروا بأعينهم سقفه وجدرانه: فان رضوا هم له بذلك رضى به هو لنفسه أيضا. فالسقف والجدران وما حولها من حيز هى العناصر المفرزة للحيز المفجرة للحدث المذكية للصراع الدراسى بين شخصيات القصة.

والمقطع الرابع يعكس هو ايضا بعض هذه الخيبة فى البحث عن حيز لائق، فقد انطلق الطيب من منزله الاصل وغدا يبحث عن حيز أليق وأرحب. ولكن بعد العثور عليه لاحظ ان حجرته الاولى فارغة ولكن تنقصها النافذة والثانية ينقصها الباب وكلتاهما كانت موئلا للحشرات ومقرا للجراثيم ومسرحا للعنكبوت.

فالحيز فى هذه المقاطع يتسم اما بالوساخة والقذارة واما بالبلى والقدم واما بالضيق الشديد واما بالنقص فى التجهيز. وفى كل طور يكون مظنة لشقاء الشخصيات وقلقها وعذابها.

●●

فى الرحيل المزرعة أسدل الراوي على حيزه ستائر صفيقة من الدجى حالت بيننا وبين رؤية هذا الحيز بوجه واضح

●●

ومما يمكن ان يلحق بمثل هذا الحيز ما جاء فى نص القصة «**عرج (الطيب) على شارع قصير يكاد يكون مظلما**» فهذا الحيز المتمثل فى الشارع القصير المظلم ليس محايدا وانما هو موظف لغاية فنية هى المتجلية فى الدلالة على سوء موقع الدار المبحوث عنها. كانت غاية هذه اللقطة اذن رسم الصورة البئيسة للحيز الجديد المنشود. ومفتاح هذه المعرفة الدلالية هما «**شارع قصير**» و«**يكاد يكون مظلما**» فهاتان العبارتان هما صاحبتا الدلالة المحورية التى تتركز من حولها قيم كثيرة من معجم المضمون المعبر.

والصنف الثانى من الحيز فى هذه القصة هو ذلك الذى نحس به من خلال الحديث عن الرغبة فى الرحيل فالام تجيب ابنتها الصغيرة فى شبه يقين:

« سنرحل »

والبنت تجيب امها متغنية سعيدة:

سنرحل . . سنرحل ».

ثم من خلال التمتع بالحيز الجديد:

« وكان صباح يوم الاحد . . وجرى الاطفال الخمسة فى الحوش الجديد ».

ففى هذه المقاطع الثلاثة نجد الشخصيات:

١ ـ تبحث عن حيز جديد وتتطلع الى العثور عليه وتشرئب الى امتلاكه بأى وجه . فالرحيل لا يكون الى حيز مجهول كما رأينا ذلك فى قصة «الرجل المزرعة» لابن هدوقة وانما يكون الى حيز معلوم هو هذا المنزل المهجور الذى تركه شخص ومضى الى شأن آخر من الحياة.
٢ ـ تتمتع فعلا بما عثرت عليه من حيز جديد. ويتمثل ذلك فى سعادة الاطفال وركضهم فى ساحة الدار الجديدة القديمة. كما يتجلى فى عناية الام بتنظيف المنزل المستولى عليه واطمئنانها فيه وسعادتها به بعد أن أصبحت تقطن مع اسرتها فقط لا يضايقها جار ولا جارة. ولكن مثل هذه السعادة لم تك الا كاذبة فالذى يستولى بغير قانون ولاحق على بيت غير بيته اصلا لا يمكن ان يسكت عنه هذا القانون وذلك ما حدث فقد جاء رجال من الشرطة وقادوا الطيب من اجل التحقيق معه.

وهنا نجد الاب يصطنع كل ما اوتى من منطق ليقنع رجال الشرطة بأنه كان على شىء من الحق حين استولى على حيز جديد لان الحيز الذى كان مخصصا لاسرته مفعم بالمخاطر والمهالك. ثم كيف يذر اطفاله تحت سقف بيت متقادم يريد أن ينقض ومثل هذا المنزل مغلق لا تقطنه الا الحشرات والفئران؟ القانون فى الحقيقة يمنع المواطنين فى الجزائر من ان يقيموا تحت سقف متقادم بال ولكن هذا القانون ذاته يمنع من استيلاء المواطنين على منازل غيرهم ولو كانت فارغة الا بنظام معلوم وهذا هو مصدر سوء التفاهم القانونى بين الطيب ورجال الشرطة فهو فى رأيه لم يزد على أن قطن حيزا فارغا مهملا وتعميره وتنظيفه أنفع له ولأسرته معا. ولكن هذا الحيز الفارغ فى رأى الشرطة ما كان له ليستولى عليه اغتفاصا واقتسارا اذ كان القانون يحول بينه وبين ذلك.

والقتامة تخيم على حيز قصة «تحت السقف» فى كثير من أطواره ويتجلى ذلك خصوصا فى: « ودخل وقد أشعل شمعة كان قد أحضرها معه » فالشمعة هنا فيها دلالتان اثنتان: دلالة على حال، ودلالة على زمن. فاما الدلالة على حال فهى المتمثلة فى ان هذا المنزل المهجور الحيز الفارغ لم يك مزودا بكهرباء ومعظم الظن ان الشارع كله بل الحى كله كان كذلك. وفى بعض ذلك ما فيه من اهمال لهذا الحى وبعده عن مركز الحضارة. اما الدلالة على زمن فهى المتمثلة فى ان الشخصية ما التجأت الى اشعال نور الشمعة الا لوجودها وتحركها فى زمن ليل. فالشمعة اذن وهى تضيىء انما تحمل حول شعاعها دلالات حضارية وزمانية وحيزية أيضا اذ بفضلها تشاهد مساحة من الحيز فهى التى تفسح فيه بعد ان كان ضيقا وهى التى تضيىء اركانه بعد ان كان مظلما.

كما تتجلى قتامة الحيز فى بعض قول النص السردى: «عرج على شارع قصير يكون مظلما».

وقد سبق لنا ان تحدثنا عن هذا المقطع فلا مدعاة لإعادة ما قيل منذ قليل.

ويشترك حيز «تحت السقف» مع حيز «الاضواء والفئران» فى عدة مواقف منها ان المعلم، شخصية «الاضواء والفئران» ينتهى بعد الاستيلاء على منزل غيره الى السجن بينما نجد العامل الطيب فى «تحت السقف» ينتهى الى بعض ذلك حين تقوده الشرطة من اجل التحقيق معه. يبقى أن نميز اثناء ذلك بين شخصية المعلم التى تسعد بدخولها السجن وشخصية العامل الذى يشقى شقاء مرا لعاملين اثنين:

١ ـ انه مجاهد أبلى بلاء حسنا ايام ثورة التحرير.

٢ ـ انه اب لخمسة أطفال.

فالسطو إذاً على الحيز واقع فى القصتين. ولكن لم تك نتيجة هذا السطو السجن فى حال والخضوع للتحقيق فى حال ثانية.

ومنها أيضا ان حيز «تحت السقف» يشترك مع حيز قصة «الرجل المزرعة» وذلك من حيث ان هذا وذاك يلتقيان فى الانتهاء

الى غير ما أريد لهما ونلاحظ ان الام فى «الرجل المزرعة» تتردد كثيرا فى مغادرة الحيز الاول. ومثلها الام فى «تحت السقف» التى ترتاب فى نجاح زوجها فى الحصول على منزل بدون أهوال ولا طوائل. ولكن الام فى «تحت السقف» تحصل على حيزها الاصل (ندرك ذلك بالذكاء لا بالنص) بينما الام فى «الرجل المزرعة» تفقد الحيز الاول وتوشك أن تكون مهددة بالاقامة تحت العراء.

بينما نلفى الحيز فى «هلال» يقترب من صنوه فى «الاضواء والفئران» لان هلال حين فقد الحيزفقد السعادة العائلية فقد صاحبته وابنته على حين ان المعلم انما لم يتزوج هو أيضا لانعدام حيز ملائم.

خصائص الحيز فى "اجازة بين الثوار" لعثمان سعدى

واول ما نلاحظ حول خصائص الحيز فى هذه القصة انه يختلف فى معظم احواله عن انواع الحيز التى كنا لاحظناها فى القصص الأربع التى حاولنا معالجة الحديث فيها عن الحيز، فاذا كان ذلك الحيز متسما فى الغالب بالقتامة والظلام والرطوبة والنداوة والبرم بالضيق ومعاناة الاختناق فاننا نلفيه هنا يتسم بالرحابة والنقاوة والسعة والإشراق والجمال والبهاء ولا يشترك حيز «اجازة بين الثوار» مع الحيزات الاخرى الا فى شيئين اثنين:

١ ـ ان الشخصية لا تصل فى حقيقة الامر الى غايتها من الحيز الذى كانت تيممه بالحافلة اصلا فقد حال بينها وبين بلوغه وقف الحافلة فى بعض الطريق فى موقع متسم بالارتفاع والانعراج والوعورة، والدفع بها بعد اخلائها من ركبها الى نحو الوادى العميق القعر البعيد الغور. فهذا الحيز هنا يشبه حيز شخصية الفلاح الفار فى قصة «الرجل المزرعة» فان الفلاح هنا يشد الرحال الى غاية من الحيز فيحول بينه وبين الوصول اليه المعمر ليونارد الذى كمن له فى بعض الطريق وأرغمه بالقوة على الاياب الى داخل المزرعة. يبقى ان ننبه مع ذلك الى ان مفرز الحيز فى «اجازة بين الثوار» صاحبته شخصية فرنسية وان الذى حال بين بلوغ هذا الحيز شخصيات جزائرية على حين ان النقيض لذلك هو السائد فى قصة «الرجل المزرعة» حيث ان مفرز الحيز هو شخصية الفلاح الجزائرى والكابح لغلوائه هو شخصية المعمر الفرنسى. يضاف الى ذلك ان حيز شخصية جانيت حيز السعادة المنشودة واللذة الملتمسة لدى الجدة فى تلمسان فانطلاق الحيز بالقياس الى هذه الشخصية من اجل الشعور بسعادة الذ واعمق. اما حيز شخصية الفلاح الجزائرى الفار فى «المزرعة الرجل» فانه يتصف بالغموض والقتامة والحيرة والتردد والشقاوة والقلق والخوف جميعا.

٢ ـ ان حيز قصة «اجازة بين الثوار» يتفق مع جميع انواع الحيز الواردة فى «هلال» ولا سيما فى «الاضواء والفئران» و«تحت السقف» و«الرجل المزرعة» فقد كنا رأينا الشخصيات هناك تتطلع باصرار وشوق الى امتلاك حيز جديد او استكشافه ولا نلفى هنا الا بعض ما كنا الفينا هناك. فشخصية جانيت منذ اللحظات الاولى من سير الحدث ندرك انها تبحث عن حيز جديد يكسر هذا الضجر الذى قارفها ولم يفارقها ولازمها ولم يزايلها مما جعلها تتمنى اثناء توجهها نحو مدينة تلمسان الى الوقوع فى قبضة ثوار جيش التحرير الوطنى الجزائرى لعلها تستكشف بنفسها عالما لا تعرفه وتعيش فى جو تنعم فيه ببعض السعادة والنعيم. والشخصية تعبر عن هذا الموقف بشغف وشوق وتطلع حين تقول: «وتملكنى فى هذه اللحظة شعور غريب مزيج من الخوف وحب استطلاع عالم مجهول عالم لم اعرفه الا من خلال كتب التاريخ والصحف عالم الثوار والمتمردين».

فشخصية «هلال» بحثت عن حيز جديد لتقر فيه مع الزوج والبنت فخابت المساعى وكلّت العزيمة على حين ان شخصيات الفلاح فى «الرجل المزرعة» والعامل فى «تحت السقف» والمعلم فى «الاضواء والفئران» تبحث عن حيز جديد

للتخلص من ضيق القديم او الظلم الملازم له فتوفق الى الوقوع عليه ولكن الى حين حيث ان النهاية بالنسبة للشخصيات الاربع تكون تعيسة.

أما فيما عدا ذلك كما اسلفنا القول فان الحيز في «اجازة بين الثوار» يتصف بالرحابة والبهاء على الرغم من انه يدل اطوارا مظهره على الخوف والحذر كما نلاحظ ذلك في المقاطع التالية:

- «*أقمنا داخل مغارة بقية النهار*»

- «*كانت الساعة الواحدة بعد الظهر عندما وصلنا المغارة*».

- «*العريف مصطفى طلب مني ان ادخل مغارة من هذه المغارات التي تكثر في جبال الجزائر لأنال قسطا من الراحة*».

ولكن الحديث عن المغارة لا يبعث فينا في الحقيقة أي شعور بالخوف او الحزن او الكآبة كما هو متوقع من الدلالة التي يحملها لفظ «المغارة» بل اننا نشعر باقتناع بان الدخول اليها انما هو ضرب من التماس حيز جديد ليس غير. ومهما يكن من امر فان ذكر المغارة في حيز القصة لا يعني الا منظرا من هذه المناظر الروائية. اي كأننا نشعر بان الامر ليس جدا للغموض الذي يهيمن على موقع هذه المغارة جغرافيا واسطوريا معا. فالمغارة هنا حيز مقحم في راينا من اجل نسج الحدث في جو آمن لا اثر فيه للخوف ولا للقلق. والآية على ذلك ان الشخصيات تفزع الى مغارة أخرى لدى نهاية القصة وكأن هذه المغارات كانت في جبال شماء لا تصلها الأرجل علما بان الاراضي القريبة من مدينة الغزوات ليست بالوعرة على النحو الذي وصفت به في القصة فهي في معظمها أراض زراعية خصبة تكثر فيها المنابع فعلا ولكن تنعدم فيها الجبال الصخرية الوعرة والاودية العميقة البعيدة القرار. فالحيز هنا في كثير من عناصره مقحم يفتقر الى الصدق الجغرافي.

والآية على ان حيز المغارة لم يك مقصودا لذاته وانما جيىء به لرسم صورة شاعرية قبل كل شيء ان النص يختلق لاحدى هذه المغارات نبعا يتبجس بجوارها كما تنبئنا بذلك الشخصية الراوية حين تقول: «كانت المغارة قرب نبع صغير رائع في الجمال والابداع».

فالمغارة هنا لا توحي اطلاقا بالوحشة ولا الخوف وانما توحي بشيء من الوداعة والطمأنينة وارتياح النفس اليها على غير ما نجده في مغارة «اللاز للطاهر وطار التي تستحيل الى حيز تفرز فيه كل الوان الصراعات الايديولوجية والمؤمرات السياسية. فالمغارة هنا رمز للامن المطلق والسعادة الشاعرية الحالمة. ونلفي شخصية جانيت تتبنك في هذه السعادة وترفل في ظلالها حين تتقدم من هذا النبع الجاري بقرب مغارتها وتغمس يديها في مائه الرقراق ثم تشرع في رش وجهها ونحرها واطرافها بذلك الماء الذي لبرودته «كأنه خارج للتو من ثلاجة».

فالحيز هنا على اختلاف انواعه يوظف لايواء الثوار باعتراف الاعداء انفسهم حيث نلفي شخصية الكهل الفرنسي الذي كان يرافق جانيت في سفرها يخاطب هذه الفتاة فيقول:

- «الا تعلمين ان هذه الجبال والوديان اوكار لهؤلاء الفلاقة»؟.. فاذا كانت الجبال الشاهقة والاودية العميقة كانت وكنات للمجاهدين فما القول في المغارات التي لم تك أصلا الا مأوى للخائفين وملاذا للفزعين؟.

ونلاحظ رغبة طافحة في هذا النص الى إشباع النهم من وصف الحيز لغاية الوصف قبل ان يكون لغاية فنية. والتوظيف الفني على كل حال يذوب في هذه الأوصاف الملحة فيمسي ضعيفا الى حد بعيد. وبعض ذلك ما يتجلى في حديث شخصية العريف مصطفى الذي كان يرافق جانيت فقد خاطب الفتاة الفرنسية بانه يرى في هذه الجبال الدرع الحامي للثورة. فهنا لا نلمح اي توظيف فني للحيز اذ تقرير حقيقة هذا الحيز من باب الامور المعلومة الواقعة، فقد كان

الفرنسيون يعرفون ذلك ويعترفون به وآيتنا على ذلك ما قالته شخصية الكهل الفرنسى الذى كان يصاحب جانيت: «الا تعلمين ان هذه الجبال والوديان اوكار لهؤلاء الفلاقة»؟.

والملاحظ ان الحيز فى قصة «اجازة بين الثوار» فى معظم اطواره يتسم بالوعورة والرحابة وهو امر طبيعى طالما كان مسرحا لثوار قُصَاراَهُمْ نشدان الانقضاض على العدو دون الوقوع فى قبضته وذلك بفضل وعورة الحيز الذى يتيح لهم الاختفاء بسرعة ويسر والفرار فى ظروف ملائمة. فالوعورة والرحابة هما الصفتان اللتان كانتا يجب ان تشكلا هيكل هذا الحيز.



وقد ألقينا شخصية جانيت بحكم ما كان النص مهَّدَ له من برمها الشديد بحيزها الاصل وجوها العائلى المضجر تمسى شديدة الحب للحيزالجديد الذى ألفته بيسر وسرعة مدهشين فقد أصبح الطريق الضيق المحجر الملتوى بين رجليها اللطيفتين الناعمتين رحبا لَحِبًا وقد اعترفت الشخصية بان عينيها قد ألفتا السَّرى فصارت لا تجد مشقة فى اختيار مواقع الخُطَى الملائمة وسط هذه الثنايا غير الممهدة فالفتاة هنا تأتلف هذه الثنايا ولا تشعر بأى مشقة فى السير خلالها كأنها ولدت فيها ونشأت من حولها مع انها كانت من قبل تتبنك فى النعمة والنعيم وترفل فى الخير المقيم. وتلح هذه الشخصية المرحة فى التوكيد على ايلافها الحيز الجديد وتبدى اساها على مزايلته حين تذكر بانها «غادرت هذا الجو وآخر صورة فى ذهنها وجه الملازم علي الاسمر»..

فالفتاة هنا تكشف فى هذا المقطع عن عواطفها الطافحة التى تحملها لذلك الضابط الجزائرى الشهم عواطف كريمة دافقة عارمة عواطف اعجاب بالخلق السامى قبل كل شىء ولكن يواكبها اليأس والقنوط.. فلا شىء تأمله جانيت من وراء هذه العواطف الجياشة التى لم تك فى اغلب الظن الا بداية لحب عظيم تَحُولُ بينها وبينه بحار من الدماء.

وهذا الشعور بالحنين الى الحيز الجديد الذى عرفته عبر تطواف المجاهدين بين القرى الجبلية والمغارات التى زعم النص السردى انها كانت تعج بها عجيجا نحس به دافئا دافقا كريما طافحا حنونا فى قولها «غادرت هذا البيت.. ونفسى مفعمة بانطباعات جميلة تطفح انسانية عن هؤلاء الفلاحين».

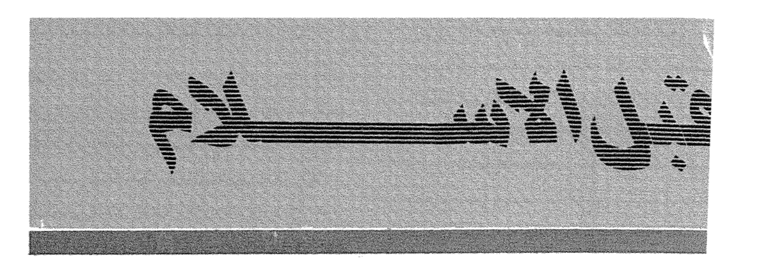
فشخصية جانيت تغادر هنا بيت هذا الفلاح واسرته ونفسها طافحة بشتى العواطف التى وكدت لها ما كانت تعتقده من قبل بأن هؤلاء الثوار ليسوا متهمجين كما كان الاعلام الاستعمارى يصورهم للفرنسيين والعالم ويحسبوهم ارهابيين لا يبتغون الا اراقة الدماء حبا فى هذه الدماء. فقد ألفت الفتاة بين افراد اسرة الفلاح التى أقامت لديه مع مصطفى واصحابه بعض الوقت: من الحنان والعطف والتسامح والانسانية والاخلاق العالية والكرم الفائق والسخاء المتدفق ما ادهشها وبهرها بهرا فجعلها تغادر هذه الاسرة وهى اشد ما تكون شوقا الى لقياها تارة أخرى.. الى لقاء بنت الفلاح الحسناء ذات الابتسامة الساحرة والاخلاق السمية والعشرة السمحة والقلب الطيب.

●● واذن فشخصية جانيت تطلعت الى حيز جديد فى بداية القصة فوقع لها بشىء من المصادفة او التوفيق ولما وقع لها هذا الحيز الذى كانت تشرئب اليه سعدت به ونعمت وغادرته وهى تحمل له حنينا عارما وتُكِنّ له بين ثناياها شوقا غامرا ولو خيرت جانيت لما اختارت الا البقاء فيه والتمتع بجماله وهدوئه وبهائه.

اعظم ملوك العرب

لم يختلف المؤرخـون فى أحد من ملوك العـرب اختلافهم فى ملوك الغساسنة ولا فى اول من دُعى منهم ملكاً . . وهو على رواية الاصفهانى جفنة بن عمرو مزيقياء(١) وهو على جدول نولـدكـه جبلة أبـو شمـر(٢) وهـو عنـد المسعـودى وابن قتيبـة الحارث بن عمرو(٣) وهو عند غيرهـم ثعلبـة بن عمــرو(٤) . . ولكن اعظم ملوك الغسـاسنة اذا اطلقنا اسم ملك على كل من تولى امرهم هو الحارث بن جبلة بن الحارث الجفنى حكم بين عامى : «٥٢٩م و٥٦٩م» وهو أول أمير غسانى اطلق عليه لقب ملك وعلى الرغم من أن المؤرخين ومنهم بروكـوبيـوس لم يحددوا السنة التى لقب فيها بالملك فإن نولدكه يستنتج من سياق بعض النصوص ان ذلك تم سنة «٥٢٩م» كما أنه يشك فى الوقت ذاته أن الحارث منح لقب ملك . . لان هذا اللقب كان قاصراً على القيصـر وحـده ويعتقد ان ما لقب به الحـارث وغـيره من آل جفنه لا يعدو لقب البطريق (Patricos) او لقب شيـخ القبيلة «فيـلاركـوس» (PHYLARCOS) او «فيلارتش» (PHYLARCH) استناداً الى اللقب الكامل الوارد فى نقش يرجع الى إبن الحـارث وخليفتـه ونصـه : (فـلابيـوس المنـذر البطـريق الفـائق المديح ورئيس القبيلة)(٥) واستناداً على نصوص أخرى . . أما جرجى زيدان فيقول : (فـرقُّـوه ـ يعنى الحــارث سنـة ٥٢٩م وسمــوه «باسيليوس» ومعناه فى لسانهم «الملك» ولكنهم كانوا يستخدمونه إصطلاحاً لقبا للأمراء على اعمالهم كما فعـل المسلمـون بعـد ذلـك فى الأعصـر الاسلامية الـوسطى فكانوا يسمون الوزراء والقواد ملوكا . ولما عرض لكُتَّـاب السُـرْيـان ذكرُ هذا الامير فى كتبهم ترجموا اللقب حرفياً فقالوا «ملك» وماراهم العرب فى ذلـك»(٦) ويقول فى موضع آخر: (فلما استخدموا ـ يعنى الـــروم ـ بعضهم ومنحـوهم لقب ملك ـ كما سيـجىء ـ أطلق العــرب هذا اللقب على سائــر امرائهم فسموهم ملوك غسان)(٧) .

ومن كل هذا يتبـين لنا أن أول من أطلق



عليـه لقب ملك من الغسـاسنـة هو: (الحارث بن جبلة بن الحارث الجفنى) وهو الحارث الخامس فى سلسلة امراء غسان . . الذين بدأت اماراتهم من عام ٣٨٠م .

وقـد حكـم منهم على روايـة حمزة الاصفهانى التى نقلها جرجى زيدان فى كتابه «**العرب قبل الاسلام**» إثنان وثلاثون حاكـما ابتـداء من القـرن الميلادى الأول حتى عام «٦٠٠هـ»(٨) وكـان اول حاكم منهم هو: جفنة بن عمرو، وهو مزيقياء بن عامر ماء السماء .

محمد عبد الله المليباري
مكة المكرمة

وتاريخ بداية حكم الغساسنة فى اطراف الشام يكتنفه ايضاً بعض تأرجحات وشكوك لأن هناك ما يدل على وجودهم فى تهامة حتى اواسط القرن الثانى للميلاد ويؤيـد عدم وصـول الغسـاسنـة الى أطراف الشام أحـداث تاريخيـة ترتبط بحادثة خروج المأربيين من اليمن عنـد خراب سد «مأرب» والخـروج المشهور البارز فى ذاكرة التاريخ لدى الاخباريين العرب هو كما دلت تحقيقـاتى الخاصة كان فى التلف الذى حدث للسد، عام (٤٥٠م) إذ تهدم جزء كبير منه وفاضت ميـاهه وعاثت فى المزارع والأودية المحيطة به فهرب الناس وهاجروا وكان قد مضى فى ذلك الحين على وجود السد اكثر من الف ومئتى سنة(٩) كما ان بعض مؤرخى اليـونان والسوريان أشاروا الى وجود ملكة عربية حكمت قبائل العرب على اطراف الشام فى القرن الرابع الميلادى اسمها «ماوية» (Mauia) قامت بالاغـارة على فلسطين و«فينيقية» بعد ترك القيصر «والنس» (Valens) «٣٦٤ـ٣٧٨م» انطاكية وكانت اولى تلك الغارات فى السنة التى ترك فيها القيصر

انطـاكية «٣٧٨» وهذه المملكة العربية حاربت الروم مراراً واحرزت النصر عليهم اكثر من مرة(١٠).

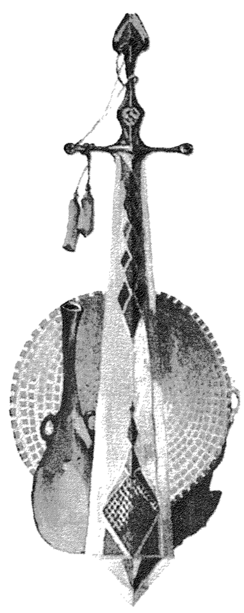
يضاف الى هذا كله اختلاف الروايات فى عدد ملوك غسـان فهـو عنـد حمزة الاصفهـانى كما نقلنا اثنان وثـلاثـون وعنـد ابن قتيبـة احـد عشـر ملكاً وعند الجرجانى تسعة ملوك وعند المسعودى عشرة ملوك(١١) وأن سِنِىَّ ملكهم للشـام تأرجحت بين (٦٠٠سنة) و(٤٠٠ سنة) وفى رأيى ان الغساسنة لم يزد حكمهم فى الشـــام عن مئتى سنـة ونيف إذا صَحَّتْ روايـة مؤرخى اليونان والسوريان عن حكم الملكة العربية «مـــاويـــة» التى اقضت مضجـع الـروم فى الشـام واستطاعت ان تفرض رأيها على القيصر فى تسقيف اسقف اسمـه «مـوسى» على العرب المسيحيين فى الشام وكان كاثوليكياً معارضاً للآريوسيين الذين كان مذهبهم هو المـذهب المسيحى السـائـد فى سوريـا وللأسقف موسى نشـاط فى تنصير العرب وقد سبق ماوية الى الحكم عامل. . (عربى) اشار اليه المؤرخ «اميـانـوس» وذلك ما بين عامى (٣٦١ـ٣٦٣) قال المؤرخ ان هذا العــامـل حكم من قبـل (القيصـر جوليان) (Assan tae) (اسانيته) (غساسنة).

كل هذا يؤكد ان حكم الغساسنة فى الشـام بدأ فى نهاية القرن الرابع الميلادى وانتهى فى اوائل القرن السابع بالفتح الاسلامى.

كل الإخبـاريين العرب ينسبون الغساسنة الى القحطانيين وقد شك جورجى زيدان فى هذا النسب بل تشكـك فى نسب اللخميـين وكندة الى قحطان لانطبـاق خصـائصهـم اللغـوية والاجتماعية والدينية واسـماء الاعـلام مع خصـائص العـدنـانيين. وهو مصيب الى حد كبير فى تشككه ذلك لأن العدنانيين والقحطـانيين من اصل واحد واب واحد هو «**أبينا ابراهيم عليه السلام**» وقد اثبتُّ ذلك بأدلة قاطعة فى كتابى (**المخطوط**) (**المفصل فى تاريخ مكة المكرمة**) ونقلت موجزاً عما وصلت اليه من إثباتات فى حديثى الـــذى تحدثت به ليلة استضـــافنى الاخ الصـديق الاستـاذ عبد المقصود خوجة فى (إثنينيته) مساء يوم الخامس عشر من جمادى الثانية ١٤٠٦هـ وقلت ان عدنان وقحطان كانا متزامنين عاشا فى النصف الاخير من القرن الأول قبل الميلاد.

وكان اعظم ملك من ملوك الغساسنة هو الحارث بن جبلة وقد سبق ان قلت ان اسمه عند المسعودى وابن قتيبة «الحارث بن عمرو» ويؤكدانه (إبن جبله لا ابن عمـرو) نص لأبـرهـة الحبشى ملك اليمن. . نقله «جلاسير Glaser) موسوم برقم (٦١٨) جاء فيه ان الحارث بن جبله ارسل رسولاً الى ابرهة ليهنئه بترميم سد مأرب الذى تم ترميمه فى عهده وهذا جزء مما جاء فى النص: (ورسل حرثم بن جبلت)(١٣).

والحارث هذا من اذكياء ملوك العرب ومثقفيهم فقـد استطـاع التغلب على البطـريق (افـرام) (٥٢٦ـ٥٤٥) فى حوار هادىء موضـوعـى مؤدب لطيف عن طبيعـة المسيح كما يؤمن بها الحارث وهو «وجود طبيعة واحدة فيه» على مذهب «المنو فستين) Monophysitise » وهـو مذهب «يعقوب البرادعى»



ويطلق عليه ايضا «اليعقوبية» كما انه استطاع ان يأخذ موافقة الامبراطور «ثيودورة» على تعيين «يعقوب البرادعى ورصيفه «ثيودورس» اسقفين على المقاطعات السورية العربية فى عام (٥٤٢-٥٤٣م) وقد زار الحارث القسطنطينية عام (٥٦٣م) ليأخذ موافقة القيصر «بو سطينيوس» على من سيخلفه فى الحكم الغسانى بعد وفاته من اولاده وعلى التعامل السياسى الذى يجب التعامل به مع عمرو ملك الحيرة.

وهذا الحارث هو الذى أوصل الشاعر الكندى (إمرأ القيس) إلى قيصر الروم يوسطينيوس)(١٤).

توفى الحارث بن جبلة الذى يقال له ايضاً الحارث بن ابى شمر فى آخر سنة ٥٦٩م او اول عام ٥٧٠م بعد ان قضى اربعين عاما فى الحكم وهى اطول مدة حكمها حاكم غسانى وكانت له مكانة كبيرة بين العرب.

المصـــادر

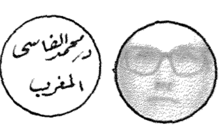
(١) حمزة الاصفهانى: تاريخ سنى ملوك الارض والأنبياء.
(٢) تيودر نلدكه: امراء غسان ترجمة الدكتور بندلى جوزى ود. قسطنطين.
(٣) نلدكه مرجع سابق وانظر جرجى زيدان: العرب قبل الاسلام (ط بيروت) ص ٢٤٩.
(٤) المسعودى مرجع سابق (٢/ ١٠٧) وانظر ابن قتيبة: المعارف (ص٢١٦) ط القاهرة عام ١٣٠٠هـ.
(٥) جورجى زيدان: مرجع سابق (ص ٢٥١).
(٦) نلدكه: مرجع سابق (ص١٢ : ١٤).
(٧) جرجى زيدان مرجع سابق (ص ٤٨).
(٨) انظر عن بعض تاريخ سد مأرب والتلف المتكرر الذى لحقه والترميمات التى توالت عليه: د. جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام (٢/ ٢٨٢و٢٨٣) ومجلدات اخرى من نفس الكتاب.
(٩) نفس المصدر (٣/ ٣٩٥و٣٩٦).
(١٠) جورجى زيدان: مرجع سابق (ص٣٥١)
(١١) نفس المرجع (ص٣٥٣).
(١٢) جواد على مرجع سابق (ص٣/ ٤٠٧).
(١٣) مجلة المشرق السنة الاولى - الجزء (١١) حزيران عام ١٨٩٨م (ص٤٦٨).
(١٤) انظر ابن قتيبة: طبقات الشعراء (ص٧٠و١٣٤) والشعر والشعراء (ص٥٠).




البربر الذين يسكنون افريقيا الشمالية من المنطقة الغربية للنيل فى مصر حتى المحيط الاطلسى هم شعب سامى تتضارب الاقوال حول أصله. وقد اجمع رأى المؤرخين العرب والبربر على ان البربر أتوا افريقيا الشمالية انطلاقا من الجزيرة العربية الا أنهم قد اختلفوا فى تحديد المنطقة التى أتوا منها الى بلدان المغرب ، فبعضهم يقول انها فلسطين وبعضهم يقول اليمن.

ويعتقد مؤرخون آخرون ان قبائل صنهاجة حاميون من اليمن شأنهم شأن كتامة وأن هاتين المجموعتين الموجودتين فى شمال افريقيا تشكلان أغلبية البرابرة ويدّعي أصحاب هذه النظرية ومنهم الطبرى والمسعودى والسهيلى وغيرهم من علماء أنساب العرب أن باقى القبائل قد جاءت من الشام بعد أن أبعدها نبى الله داوود عن فلسطين.

●● وجميع هذه النظريات لا تعزّزها حقائق علمية سليمة الا أن الدراسات اللسانية الحديثة أثبتت انتماء اللغة البربرية الى اللغات السامية وهذا مايدعو للاعتقاد أن اصلهم من الجزيرة العربية وقد أطلق عليهم العرب اسم بربر وهذا الاسم لا يعنى الوحشية، كما يخطر ذلك على بعض الاذهان كما أن لفظ بربر الذى كان قدماء الاغريق يطلقونه على الشعوب الاروبية التى لا تتكلم لغتهم لا يعنى كذلك الوحشية فأخذ هذا الاسم معنى الوحشية مع انه لا يعنى ذلك فى اللغة الاغريقية. وكذلك كان الامر بالنسبة للعرب عند مجيئهم للمغرب حيث وجدوا شعوبا تتكلم لغة غير معروفة عندهم فقالوا عنهم إنهم يبربرون أى يكثرون الكلام بلا معنى وقالوا عنهم يهدرون أى يخرجون أصواتا بدون معنى



عضو أكاديمية المملكة المغربية



البربر إلى إفريقيا

وقد كثر استعمال هذا اللفظ (الهدرة) فى اللغة العامية المغربية بمعنى تكلم.

■ والبرابرة فى الحقيقة اسمهم إمزيغن ومفردها أمزيغ، وتعنى الحر. وهذا له صلة بالنزعة التى نجدها عموما عند كثير من الشعوب التى تعتبر نفسها حرة وغيرها مستعبدة. وقد كان للافرنج نفس الشعور تجاه الصقالبة حيث يدعون أنهم أمهار كما يدل عليه اسمهم والصقالبة عبيد ومن هنا كلمة (ايسكلاف) بمعنى عبيد.

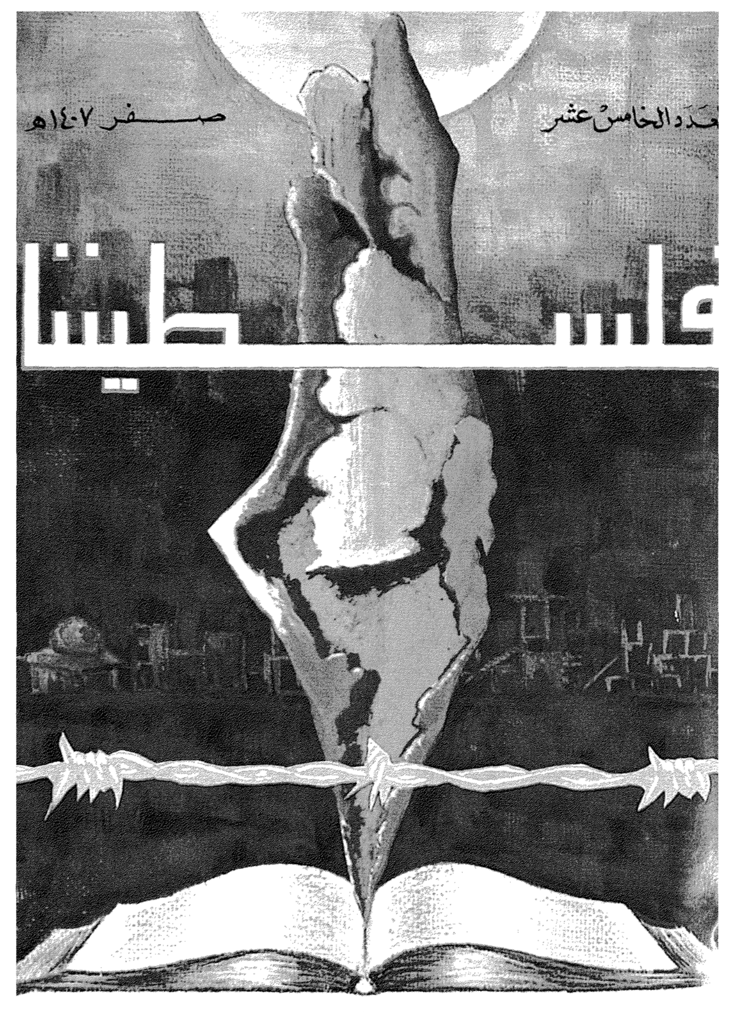
■ ومن الشعوب من تعتبر نفسها من الفُصَحَاء وغيرها بُكما. وهذا ما حدث للعرب فهم يعتبرون أنفسهم فصحاء أى الذين يوضحون كلامهم ويلمزون الآخرين بالعُجْمة أى عدم الكلام الذى تتصف به الحيوانات العجماوات.

ونجد لمثل هذه المواقف التى تتسم بها الشعوب المعتزة بنفسها كثيرا من الأمثلة.

وللعودة للحديث عن هجرة البربر من الجزيرة العربية نسرد آخر نظرية يؤيدها المحدث الأندلسى الكبير ابن عبد البر فى مؤلفه البديع (التمهيد) حيث يقول إن البُتر إحدى فرقتى البرابرة ليسوا برابرة لكنهم عرب ينحدرون من بر بن قيس ابن غيلان بن مضر. وجميع هذه النظريات حتى ولو كانت كلها غير صحيحة تبرز لنا ان الشعوب التى اجتاحت افريقيا الشمالية والتى نعرفها باسم البربر قد هاجرت من الجزيرة العربية منذ أحقاب غابرة وقد أثبتت الدراسات العميقة للغتهم انها لغة سامية وان انتماءها للغة الاكّادية يجعلها من أقدم اللغات السامية.

ونستخلص من هذا كله ان هجرة البربر بدأت من بلاد ما بين النهرين مع توقفات طويلة بعضها فى فلسطين وبعضها فى اليمن قبل ان تنتهى الى مصر ثم افريقيا الشمالية ومازالت آثار هذه الرحلة الطويلة قائمة فى سيوا الواحة البربرية الواقعة فى شرق مصر.


نعم
• كبرى دور الطباعة بالمملكة العربية السعودية .
• مجهزة بأحدث آلات طباعة الأوفست الملون والتجليد الأتوماتيكي .
• تساهم في النشاط الثقافي بالمملكة بما تقدمه من مختلف المطبوعات .
دار الأصفهاني



● القضية العربية الفلسطينية
● الشاعر ابو سلمى أديبا وإنسانا
● اللد مدينة البطولة والتاريخ
● أيها العرب افيقوا

محمد حسن شراب
عرض: زياد عودة
مصطفى محمد الفار
د. عبد الرازق أحمد قنديل



«إن الصهاينة يعملون جاهدين لتدمير الاماكن الاسلامية المقدسة فى القدس الشريف وبناء معبد يهودى مكانه ولهم فى ذلك غرض سياسى اكثر منه دينى.. ومن ثم طرد السكان العرب من تلك الاماكن لتحويل كل فلسطين الى وطن يهودى خالص لهم وحدهم ولمواجهة هذه التهديدات فان الأمر يتطلب وقفة موحدة من الفلسطينيين والعرب والمسلمين جميعا ذلكم لأن ضعف المواجهة العربية والاسلامية هى التى تزيد الاسرائيليين غطرسة وتعنتا فى فرض كل ما يبتغونه».

رياض منصور / نائب المراقب الدائم لمنظمة التحرير الفلسطينية لدى الامم المتحدة.

العذر

ابراهيم فوده

لا يرفع الذنب

لا تقولوا «صهيون» و«الغرب» و«الشرق»
أضرُّوا بنا ودسُّوا الينا
ليس بالعذر يرفع الذنب عنَّا
إنَّ فينا ما مكَّن الشرَّ منَّا
قد خُدِعْنَا نعم خُدِعْنَا ولكن
أترى ذنبهم إذا ما خُدِعْنَا
خطَّطُوا للفساد فينا وهذا
همُّهم: يزرعون فينا الوهنا
لا نُعلِّق على رقاب سوانا
كُلَّ أخطائنَا إذا ما بكينا

لا يعيب العدو ان يخدعَ الخَصْمَ
ولكن يعيبُنا إنْ هُزِمْنَا
لستُ عنهم مدافعاً عَلِمَ الله
ولائى له يقينا وظنّا
غير أنى أدعو الى الدرب
قوياً إذا اتعظنا وشئنا
إن نُصَحِّحْ أخطاءنا يرجع الشرُّ
حسيراً يفضى جفونا وعينا
لا نَكُنْ كالنعام يدفنُ رأساً
ليس يخفى بدفنه الجسمُ عنَّا
لو حرثنا القلب «تربة تقوى»
لحصدنا «الثمار» عزاً وأمنا

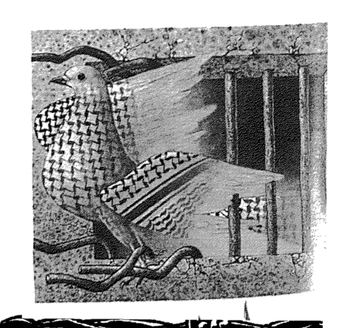
فدوى طوقان

مدينتي الحزينة

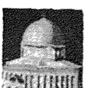
يوم رأينا الموت والخيانة
تراجع المدُّ
وأغلقتْ نوافذُ السماء،
وأمسكتْ أنفاسها المدينه
يوم اندحار الموج ، يوم أسلمتْ
بشاعةُ القيعانِ للضياء وجهَها
ترمّد الرجاء،
واختنقتْ بغصّة البلاء،
مدينتى الحزينة

***

اختفت الأطفال والأغاني
لا ظلَّ ، لا صدى
والحزن في مدينتي يدبُّ عارياً
مخضَّب الخطى
والصمتُ فى مدينتي ،
الصمتُ كالجبال رابضٌ ،
كالليل غامضٌ ، الصمتُ فاجعٌ ـ محمّلٌ
بوطأة الموت وبالهزيمة
آواه يا مدينتي الصامتة الحزينة
أهكذا في موسم القطافْ
تحترق الغلال والثمار؟
أوّاه يا نهاية المطاف !



القضيـــة العربيـــة الفلســـطينية



منذ أعلنت بريطانيا وعد بلفور سنة ١٩١٧م والجهاد ضد العدو الغاصب مستمر ولم ينقطع كان يهدأ أو يخدّر أحياناً ولكنه لم يمت.. يظهر فى صورة انتفاضات كبرى عارمة ويظهر فى صور فردية موزعة.. قد يتسرب اليأس الى نفوس بعض الناس ولكن الايمان بالحق كان يفتح أمام الناس نوافذ من الأمل فى النصر فى أشد الأوقات ظلاما وظلماً ولذلك كان الشعب يرفض كل الحلول السياسية التى تعرضها بريطانيا.

وما كانت بريطانيا تضع الحلول الا عندما تشعر بعجزها عن الصمود أمام زحف البراكين الشعبية التى تكاد تبتلعها. وأشهر الحلول السياسية جاءت بعد الانتفاضة الكبرى سنة ١٩٣٦م حيث كان قرار التقسيم الأول سنة ١٩٣٧م ورفضه الشعب واستأنفوا ثورتهم ثم جاء الكتاب الأبيض نتيجة لتفاقم الثورة والذى أوصى بانشاء دولة فلسطينية بعد عشر سنوات وإدخال خمسة وسبعين ألف يهودى مهاجر ثم ايقاف الهجرة، وأُلغى قرار التقسيم السابق ورفض المشروع من العرب واليهود معاً لكن الثورة أخذت تميل إلى الهدوء وكانت بريطانيا على أبواب الحرب الثانية فسلكت سبيل البطش الشديد لتكون فلسطين هادئة خلال فترة الحرب.. ثم انتهت الحرب العالمية بهزيمة ألمانيا وزال الخطر عن بريطانيا.. وبعد أن فاز «ترومان» برئاسة الجمهورية فى الولايات المتحدة تدخل لمصلحة الصهيونية وطلب ادخال مائة ألف مهاجر يهودى حالا الى فلسطين فأصدرت بريطانيا سنة ١٩٤٥م بياناً سياسياً نقض الكتاب الأبيض ودعا الولايات المتحدة الى المشاركة فى الحل فأصدرت لجنة مشتركة سنة ١٩٤٦م قراراً بتأييد هجرة يهودية جديدة الى فلسطين سريعا ـ وفى سنة ١٩٤٧م أُدرجت القضية فى جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة فأرسلت لجنة لدراسة الأحوال وقدمت تقريرها الذى يوصى بإنهاء الانتداب وتقسيم فلسطين.. فرفض العرب القرار وقبله اليهود وقررت بريطانيا الجلاء عن فلسطين فى موعد أقصاه ١٩٤٨/٥/١٥م.

وفى أثر صدور قرار التقسيم الأخير ارتجت البلاد وأدرك الناس أنهم مقبلون على حرب بقاء أو زوال.. وردَّد الشعراء سخط الشعب ليسمع صوت الامة فقال الشاعر برهان الدين العبوشى:

معاذ الإبا والدين والدم قانيا
بأن نرتضى عيش الذليل المقسّم
ولكن سنمحو بالدم الحر عارنا
ونسقى العدا مِن سيفنا كأس علقم

●● وقال الشاعر محمود الحوت:

قل للألى اتفقوا على
تمزيقهم وطن الجدودِ
إن القرار سينمحى
بدم الشهيدة والشهيد





إنّا هنا حتى يقول الله
للغبراء بيدي

والشاعر محمود الحوت ولد في يافا سنة ١٩١٦م. وتعلم في يافا وفي الجامعة الأميركية ببيروت حيث نال شهادتها سنة ١٩٣٧م وحصل أيضاً منها على الماجستير في الآداب سنة ١٩٤٠م وعمل في مجالات متعددة: في التعليم والاذاعة وحاضر في الجامعات الأميركية وأنشأ في جامعة «تكساس» دائرة للدراسات العربية والشرقية.. وكان محمود يقول الشعر منذ كان في يافا وينشره في صحيفتها وهو أول من قال مطولة شعرية في نكبة فلسطين أسماها «المهزلة العربية» وطبعها سنة ١٩٥١م.. وشعره عمودي عاطفي حماسي مشرق الديباجة.

■ **وقد يقول قائل**: وماذا جنت لنا حماسة الشعراء والقصائد العصماء؟ ونقول لهذا المتسائل وماذا كان عند الشعب غير الكلمة النابضة بالحياة.. ويكفي الشعراء أنهم حفزوا همم الناس الى الجهاد، ولم يقعدوا عن الدفاع ولو كان باليد والعصا أمام الدبابات.. إن وقوف المرأة أمام الدبابة تردها بخمارها لا يعتبر جنوناً ولكنه الفداء لئلا ينقطع المثل الأعلى من المجتمع العربي، وليقدم هذا الشعب نماذج فريدة من الفداء.. فبعد قرار التقسيم الأخير خاض عرب فلسطين معركتهم المصيرية بدون استعداد ولا تخطيط ولا قيادة ولا كفاية عسكرية وكانت السماء فوقهم تقصفهم بالصواعق والأرض من تحتهم تتفجر بالحمم ومع ذلك فقد أصروا على أن يثبتوا أقدامهم في أرضهم.. ودعاهم الشعراء الى الاستعداد والنزال دفاعاً عن الدين والبقاء:

إذا نحن قاتلنا فللدين والبقا
فهيا اشتروا الأوطان مهما غلا الدم

ويدافع الشعب عن مدنه وقراه ويُذبح الشيوخ والأطفال والنساء لالقاء الرعب في قلوب المواطنين وحملهم على الفرار لاخلاء البلاد من سكانها.. ومن أبشع الجرائم مذبحة دير ياسين بتاريخ ١٩٤٨/٤/٩م وقد وصفها الشاعر محيى الدين الحاج عيسى قائلاً:

ذاك ما أغرى بنا أعداءنا
فغزوا من «دير ياسين» الحِمَى
لم يكن فيها سوى الشيخ الذى
دبّ في مشيته على العصا
وسوى طفل غرير سادر
راح يلهو بالتراب والحصا
ونساء آمنات رُحْنَ في
طلعة الصبح يباكرن الجنى
وعليل بات في علته
واهن القوة يُعييه الضنى
فأتوها وهي في غفلتها
لم تكد تنهض من طيب الكرى

بعـد أن بارحـهـا فتـيـانُـهـا
من بنيـهـا الصيـد أبطـال الـوغى

والشاعر محيى الدين ـ شاعر فلسطينى قديم ولد فى صفـد عام ١٨٩٧م وتلقى تعليمه فى صفـد والقـدس وبيروت ودمشق وتتلمذ على الشيخ مصطفى الغلايينى وعبد القادر المبارك وعمل فى التعليم بنابلس وصفد وهاجر سنة ١٩٤٨م الى حلب. . وقال شعراً فى جميع مراحل قضية فلسطين، له مسرحية «مصرع كليب» و«أسرة شهيد» سجل فى الأخيرة أحداث النكبة ودعا الى العودة ومجد الفداء فى سبيلها. وشعره عمودى تقليدى لكنه غنائى عذب رقيق مشحون بحرارة العاطفة.

كما أوحت هذه المجزرة الى الشاعـرة سلمى الخضراء الجيوسى بأنشودة حزينة جاء فيها قولها:

سرى من حفـرة القتلى
علـى تـلٍّ ثكـلـنـاه
نداء حام فى الأجـواء
فوق مدافـن الأحـيـاء
ينادينـا

والشاعرة سلمى. . ابنة المرحوم صبحى الخضراء أحد وجهاء صفد خلال فترة الانتداب ولدت الشاعرة فى مدينة السلط (شرقى الأردن) بعد الحرب العالمية الأولى وتعلمت فى صفـد وبـيروت وعـاشت فى اسبانيا والكويت وأميركا وحصلت على الدكتوراة من لندن، ومارست التدريس فى جامعة الخرطوم. . عرفت بالشعر بعد النكبة وطبع لها ديوان «العودة من النبع الحالم» سنة ١٩٦٠م وهى شاعرة مجددة فى الشكل والمضمون.

■ وأخلى الانجليـز حيفـا بتاريخ ١٩٤٨/٤/١٩م وسلمـوهـا الى اليهـود وزودوهم بالسلاح ومنعوا وصول النجـدة الى السكان فسقطت بعد دفاع مستميت فقال الشاعـر محيى الدين الحاج عيسى يصف الفاجعة على لسان أحد حماتها الأبطال:

إنـى رأيـتُ بأم عيـنـى خطـبـهـا
وشـهـدت ما فعـلتْ بها الأعـداء
كافحـتـهـم حتى فقـدت ذخـيرتى
وتـفـرقـت من حولـى الأكـفـاء
والنـاسُ مذعـورون قد هرعـوا إلى
سبـل النـجـاة وفى العيـون دمـاء
والانـجـلـيـز وعـودهـم خلّابـة
كذبـوا الحـديث ومـا ادّعـوه ريـاء
تركـوا المـدينـة قبـل موعـد تركها
غدراً قالـوا فتـنـةٌ صماء
حملوا السـلاح الى اليهـود وأرجفـوا
أن الـيـهـود عصابـة حمراء
هذى طريـق البـحـر تنجيكمْ إلى
عكـا فهـيـا فالطـريـق خلاء
وبـذاك دبّ الـذعـر فى أحيـائنـا
فتـسـاقطـتْ برحيـلهـا الأحـيـاء

■ وبتاريخ ١٩٤٨/٦/١١م تمت الهدنة الأولى بين العرب واليهود بتدبير اليهود وتآمر الدول الاستعمارية وذلك لاعطاء اليهود فرصة التقاط الأنفاس والإعداد. . فنقم الناس على الكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة الذى سهر على عقد الهدنة فقال الشاعر محمد العدنانى:

لحى الله منـدوب الخـنـا والجـرائم
دهـانـا بشـرٍ راعـف الحـدِّ جاحـم
فهـدنتـه كانت على العـرب نقمـة
أضـاعـوا بها ما شيّـدوا بالجـماجـم
ونـال اليـهـود الجـائعـون مُنـاهُمُ
وبـاتـوا كأن لم يُخذلـوا فى المـلاحم

وقال الشاعر محمود الحوت معبراً عما جناه العرب من وراء الهدنة:

وأصـبـح الجيش فى الميـدان منهـزمـاً
من بعـد أن كان فى الميـدان مقتحـما

وراح يهدن والأعداء تصعقه
ناراً يجوب لظاها الأرض ملتهما
لله أشكو جناياتٍ مدبرة
قد أوهنتْ عزماتِ القوم والهمما

■ وسقطت اللد والرملة بعد نهاية الهدنة الأولى فى الحادى عشر والثانى عشر من شهر تموز سنة ١٩٤٨م وبسقوطهما سقط قلب فلسطين وسقطت حولها مئات القرى وأصبح نصف سكان فلسطين مشردين بعد دفاع استشهد فيه الآلاف من المواطنين .

● فقال الشاعر محيى الدين الحاج عيسى :

ورُزء اللد والرملة
أصاب القلب بالعلة
فكان الغدر والترحيل
والتقتيل بالجملة

● وبجد دفاع النّاس عن المدينتين فقال :

اللد والرملة البيضاء دافعتا
دفاع حر فلا يعنو وينخذل
كُنَّا نبيعُ الحُلى نشري السلاحَ بها
والخصمُ تنجده فى بغيه دول

■ ولجأ الناس فى اللد الى جامع دهمش فصب اليهود عليه وابلاً من القذائف فكانت المذبحة مروعة لا تقل وحشية عن مذبحة دير ياسين فقال محيى الدين :

وجامعُ دهمشَ المنكوب ألقوا
عليه قذائف الموت الزؤام
وكان الناسِ قد لجأوا إليه
فِراراً من لظى القوم اللئام
مئات فيه من شيخ وطفل
وبائسة قضوا تحت الركام

■ وسجل الشاعر محمود الحوت حقيقة تاريخية تقول: إن الفلسطينيين قد جُردوا من حبالهم وعصيهم التى كانوا يحاربون بها عندما دخلت جيوش الجامعة العربية الى فلسطين. وذلك لتكون الحرب منظمة فى قيادة عسكرية عصرية وعندما جرى المقدر المعروف وجد الفلسطينيين عزلاً من السلاح فكانت النكبة نكبتين :

ألقوا السلاح لماذا؟ إننا دول
ويلٍ العصابات مِنَاجِين نأتيها
وهكذا صدعتْ بالأمر وامتثلت
فأغمدت فى الحشا مسموم ماضيها
جماعة لم تهن يوما وما حسبتْ
أن الردى طعنةٌ من كفٍّ حاميها

■ ولم يهزم العرب عن قلة فى العدد والعدة يومئذ ولكن أسباب الهزيمة هى ما قاله الشاعر عبد الهادى كامل :



اليس عارا علينا أننا عربٌ
وأننا أمةٌ أعدادها كُثرُ
ونرتضى أن نرى صِهْيونَ ظافرة
فى حربها وجيوش العرب تندحر
لكنَّ من مزقت أهواؤهم شيعاً
لا ينفعون وان قلوا وان كثروا
سارتْ جيوشهم للحرب يصحُبهَا
إلى الميادين رَغْدٌ مابه مطرُ

■ والشاعر عبد الهادى من مواليد قرية «سبسطية» قضاء نابلس عام ١٩٠٨م وتخرج من مدارس نابلس الثانوية وعمل فى سلك الشرطة ثم اشتغل بعد النكبة فى وكالة الغوث بدمشق ـ وكان ينشر شعره فى الصحف والمجلات العربية.

وكانت أيام النزوح الاولى سلاسل متصلة من المآسى تفتِّت الأكباد وتلهب الأحزان حيث مئات الآلالف من الناس فى العراء تحت لهيب الشمس فى النهار وصقيع البرد فى الليل.. يقل القوت وينعدم ويفترس الناس الجوعُ والخوفُ.. فصور الشعراء هذه المآسى وقال الشاعر أمين شنار:

مازلت أذكر أيها الطفل الحبيب
يوم الرحيل
والشمسُ تقذفُ باللهيب على الجباه
ومن بعيد الأفقُ يزفر بالنحيب
والبوم ينعقُ والوليد يدعو أباه
ولا مجيب

■ والشاعر امين شنار ولد فى قرية «البيرة» بجوار رام الله وشبّ فى الخمسينات بعد النكبة أتم تعليمه الثانوى فى بلدته واشتغل بالتعليم والصحافة.. وشعره خطابى طابعه البساطة والسهولة وفيه تنويع وتشكيل فى الأوزان والقوافى لا يخرج على الأوزان العروضية.

■ **وبعدُ: فماذا بعد أن حلّ التيه بعد الهداية والشتات بعد الاجتماع... انها مرحلة الاذابة والطمس حتى لا تبقى** فلسطين ولا يبقى فلسطينيون.. أما طمس المعالم والاسماء فقد كان لأن آلافا من المعالم والقرى قد محيت أو وضع لها اسم جديد واذا كان زهير بن أبى سلمى عجز عن معرفة دار الحبيبة بعد عشرين حجة فقال:

أمِنْ أُمّ أوفى دِمْنَـةٌ لم تكلَّم
بحومانةِ الدراج فالُمتثلَّم
وقفتُ بِها من بعد عشرين حجة
فلأيا عرفتُ الدارَ بعدَ تَوهُّم

فإن العربى الفلسطينى لن يعرف ديار الحبيبة لأنه لن يجد:

أثافىَّ سفُعا فى معرس مرجل
ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلم

ولن يملك القول:

فلما عرفتُ الدار قلت لربعها
ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم

وأما الاذابة.. فهى التى يجند لها العدو كل قواه الفكرية حتى لا يبقى على الأرض من يقول: اننى فلسطينى. وهى أخطر مرحلة فى تاريخ القضية اذا تحقق لهم ما يريدون.. وانه لأمر يحتاج الى عناية ممن يعنيهم حياة فلسطين ولهم طموحات فى عودتها ولو بعد حين.. فإن المعلومات التى يتلقاها أبناء فلسطين فى المدارس العربية عن تاريخ وجغرافية فلسطين ليست كافية لبقائها حية فى نفوسهم.

● بعض من يتحرقون لما يجدونه من جهل الأجيال الجديدة من أبناء فلسطين بتاريخ وجغرافية فلسطين قالوا لى: إن الدول العربية التى تضم قليلاً من المسيحيين يبيحون لهم دراسة الدين المسيحى فى المدارس ويقدمون فيه امتحاناً مستقلاً كما يقدم المسلمون امتحانهم فى دينهم.. فلماذا لا يكون فى المدارس العربية التى يوجد بها فلسطينيون مادة خاصة عن فلسطين يلتزم كل فلسطينى بتقديم الامتحان فيها ويكون لها تأثير فى نجاح الطالب ولماذا لا يكون فى قسمى التاريخ والجغرافية فى كلية الآداب

فرع خاص عن تاريخ وجغرافية فلسطين . .

قلت: إنها فكرة رائدة وجيدة لو وجدت التطبيق . . ولا أستطيع ايصال هذا النداء إلا عن طريق «فلسطيننا» المنهل فهو الكثير الزحام . . ولا يظننَّ أحد أن اللجوء الى «الكلمة» فى الحرب هزيمة فأشد ما يخشاه الأعداء الكلمة الصادقة التى تحيى القلوب وهؤلاء شعراء الأرض المحتلة يلقون العذاب والتنكيل والسجن من أجل شعرهم .

يقول الشاعر محمود درويش :

أطعمتُ للنار أبياتى وزخرفها
إن لم تكن كسيوف النار قافيتى
آمنت بالحرف إما ميتاً عدماً
أو ناصباً لعدوِّى حبل مشنقتى
آمنت بالحرف ناراً لا يضيرُ إذا
كنتُ الرمادَ أنا أو كان طاغيتى

●● ويقول الشاعر توفيق زياد أحد شعراء الأرض المحتلة :

وأدمِى وجه مُغتصبى
بشعرٍ كالسكاكين

إن الكلمة التى تحمل حب الوطن وتحمل جغرافيته وتاريخه وتراثه هى التى تحافظ على الشعب وتضمن له البقاء مهما لاقى من المتاعب . . فقد أراد اليهود تهجير الآلاف القليلة التى بقيت فى الأرض المحتلة منذ سنة ١٩٤٨م لأنهم رفضوا الذوبان فى المجتمع اليهودى فكان بقاؤهم وتكاثرهم مع الاحتفاظ بهويتهم العربية مما يقلق المغتصبين :

يقول الشاعر توفيق زياد : تحت عنوان «هنا باقون» :

هنا على صدوركم باقون كالجدار
وفى حلوقكم كقطعة الزجاج كالصبّار
وفى عيونكم زوبعةٌ من نار
ننظف الصحون للسادات
ونملأ الكؤوس من الحانات
حتى نسلَّ لقمة الصغار
من بين أنيابكم الزرقاء
ونضع الأجيال جيلا ثائرا وراء جيل
كأننا عشرون مستحيل
فى اللّد والرملة والجليل
إنَّا هنا باقون
فلتشربوا البحرا

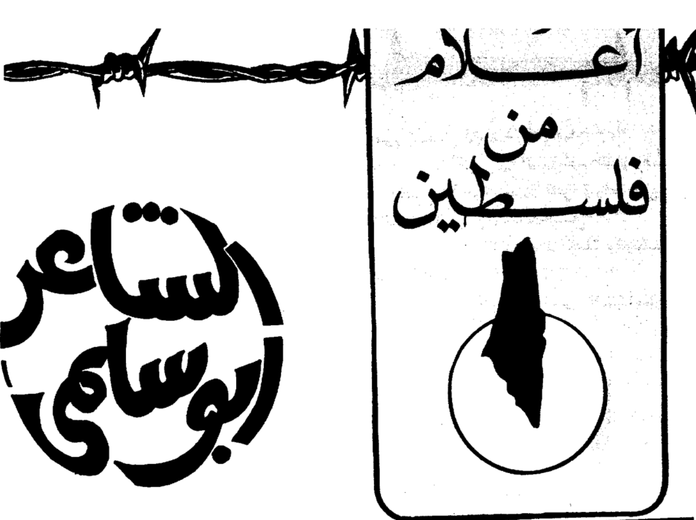


وعندما أراد اليهود إجلاء هذه القلة الباقية أعلن الشعراء أنهم باقون مهما لقوا من العذاب والاضطهاد فقال الشاعر: حنّا أبو حنّا من شعراء الأرض المحتلة :

يقول الدعيون والغاصبون
بأنا أقليةٌ سوف تُجلى
وإلا ستفنى اضطهادا وذلا
ولكن . . أقلية نحن؟ كلا ومليون كلا
فنحن هنا الأكثرية
لنا وطن راسف فى القيود
وشعب تشرد عبر الحدود
ولكن سنمضى بعزم شديد
لنرجع حقاً أبى أن يبيد

وأخيرا إن أهم ما تحافظ عليه «الكلمة» اعتزاز الفلسطينى بهويته الفلسطينية بعناد وإصرار لأنها بندقية مصوبة الى صدور الأعداء كما يقول توفيق زياد :

أنادى جرحك المملوء ملحاً يا فلسطينى
فلسطينية شبابتى عبأتها أنفاسى الخضراء
وموّالى عمود الخيمة السوداء فى الصحراء
وضجة دبكتى شوق التراب لأهله
فى الضفة الأخرى



الشاعر الفلسطيني الكبير عبد الكريم الكرمي المشهور بأبي سلمى كان ومازال وسيظل ملء السمع والبصر. فقد عرفته الساحة العربية على امتداد رقعتها فارسا من فرسان الكلمة ورائدا من رواد الشعر. . فدخل التاريخ من أوسع أبوابه بشعره المتميز الذى وصل إلى أعلى درجات الابداع.

- فقد رحل أبو سلمى عن هذه الدنيا سنة ١٩٨٠م بعد أن أدى الرسالة: رسالة الشعر والحب والأمل والبحث الشاق المضنى عن وطنه السليب ذلك الفردوس المفقود الذى كان يمثل أمامه كل لحظة من لحظات العمر يحاول أن ينفذ إليه بكل ما أوتى من شوق ولكن دون جدوى.

- الوطن الذى ولد على ثراه وعاش فوق ربوعه صبيا وشابا وبنى فيه احلامه وأمجاده صار بين ليلة وضحاها أمنية صعبة المنال وراح يشدو على البعد وينظم عنه أحلى القصائد وأجمل الأشعار.

هذا الشاعر الذى لفت إليه الأنظار للغته الشعرية الرائعة وشغل الدارسين والباحثين وكتبت عنه مئات الدراسات والمقالات التى تناولت حياته وشعره.

وقد صدر سنة ١٩٨٥ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر فى بيروت كتاب بعنوان **«الشاعر ابو سلمى أديبا وانسانا»** تأليف الاستاذ الباحث مصطفى محمد الفار. . وهذا الكتاب يعتبر بحق من أهم الكتب التى صدرت عن حياة الشاعر الراحل **«أبو سلمى»** . . حيث انه فى الأصل رسالة ماجستير نال بها المؤلف درجة الماجستير من جامعة القديس يوسف ببيروت. وقد أحسن المؤلف صُنعا حين قام بنشر هذا الكتاب وطرحه فى الأسواق.

جاء الكتاب فى ٢٤٦ صفحة من القطع الكبير





واحتوى على مقدمة بقلم المؤلف وتقديم بقلم الأستاذ أكرم زعيتر وتمهيد بعنوان «المجتمع الفلسطيني من سنة ١٩١٨ـ١٩٤٨» وأربعة فصول حملت العناوين التالية:

- **حياته . .**
- **ابو سلمى شاعرا .**
- **الخصائص الفنية في شعره . .**
- **ابو سلمى ثائرا . .**

مدخل الى الكتاب

أشار المؤلف في مقدمة الكتاب إلى المكانة البارزة التي تبوأها الشاعر الراحل عبد الكريم الكرمي «ابو سلمى» فهو شاعر مبدع عاصر أجيالا عدة قبل النكبة الفلسطينية وأفصح بجرأة فيما كتبه شعرا ونثرا فعبّر عن ذاته في أحواله كلها أصدق تعبير وائتلف فيه الشاعر الانسان.

فشاعرنا كان في طليعة الشعراء الواقفين مع الشعب في نضاله لم يكن متفرجا ولا عابثا ولهذا غنّى للأرض والشعب.

وأشار المؤلف أيضا إلى الصعوبات التي واجهته أثناء اعداده لهذه الدراسة منها: ضياع الكثير من آثار أبي سلمى القلمية شعرا ونثرا، ثم ان معظم قصائده غير مرتبة ترتيبا تاريخيا الأمر الذي يجد معه الباحث عسراً في تتبع تطوره عبر حياته الفنية.

وقد أنجزت هذه الرسالة في حياة الشاعر أبي سلمى حيث استفاد من ملاحظات الشاعر واطلع على وثائقه وأوراقه مما يضفي على هذا الكتاب قيمة خاصة.

مولده ونشأته

ولد شاعرنا عبد الكريم الكرمي «ابو سلمى» في مدينة طولكرم سنة ١٩٠٩ وهو من عائلة «الكرمي»

المشهورة بالعلم والدين والأدب.

فوالده الشيخ سعيد بن علي بن منصور الكرمي المتوفى سنة ١٩٣٥ أحد العلماء المشهورين ومن قادة النهضة العربية الحديثة وكان ضمن القافلة الأولى التي حُكِمَ على أفرادها بالاعدام في محكمة عالية ثم أبدل بالسجن المؤبد بسبب كبر سنه.. كان فقيها بالدين واللغة عالما بأسرارها أديبا يحسن الخطابة كما كان شاعرا مجيدا.. عمل نائبا لرئيس المجمع العلمي في دمشق كما شغل منصب قاضي القضاة في حكومة الشرق العربي «شرق الأردن» ثم رئيسا لأول مجمع علمي في الأردن. تزوج الشيخ سعيد أربع نساء أنجب منهن ستة وعشرين ولدا وثلاث بنات.

● تلقى ابو سلمى الدراسة في مدرسة طولكرم الحكومية حيث أتم فيها الصف الثاني الابتدائي ومن ثم ارتحل مع والده الى دمشق وأكمل تعليمه في دمشق في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية. وقد استفاد شاعرنا من مجالس العلم والأدب التي كان يلتقي فيها نخبة ممتازة من رجال العلم والفكر والأدب حيث ان والده كان يقرأ عليهم ويسمعهم القصائد الجديدة التي نظمها.

وفي منتصف سنة ١٩٢٢ غادر والده دمشق الى عمان حيث أصبح قاضيا للقضاة في حكومة الشرق الغربي ورئيس مجلس معارفها وقد درس عبد الكريم سنة واحدة في مدرسة السلط الثانوية ثم غادر إلى دمشق والتحق بمدرسة التجهيز الأولى أو مكتب عنبر ومن أساتذته في تلك المدرسة سليم الجندي أستاذ الأدب العربي وعبد القادر المبارك ومحمد الداودي والثلاثة كانوا من المربين الاعلام في عصره. ومن زملائه على مقاعد الدراسة: بشير العظمة وصلاح البيطار وجميل سلطان وزكي المحاسني وأنور العطار وآخرون.

لقبه

من الملاحظ أن لقب «أبو سلمى» قد غلب على اسم الشاعر الحقيقي ولهذا اللقب الجميل قصة طريفة فقد نظم شاعرنا عبد الكريم الكرمي قصيدة غزلية في حسناء من دمشق أيام كان طالبا في الصف الثامن بمدرسة عنبر يقول في مطلعها:

سلمى انظري نحوي فقلبي يخفق
لما يشير الى طرفك أطرق

وسمعها استاذه محمد الداودي فاعجب بالقصيدة وأطلق عليه اسم «ابو سلمى» وصار التلاميذ ينادونه بأبي سلمى وحبيب سلمى وكان في باديء الأمر يتضايق من هذا اللقب ولكنه أصبح اسمه الأدبي فيما بعد..

وقد تجلت موهبته وهو طالب على مقاعد الدراسة في مدرسة عنبر حيث كان ينظم القصائد في أغراض مختلفة.. وكانت تقام بين حين وآخر المسابقات الأدبية والشعرية في مدرسته حيث كان يشترك في هذه المسابقات مع مجموعة من زملائه الشعراء نذكر منهم أنور العطار وجميل سلطان وزكي المحاسني وكانت قصائده موضع إعجاب الحضور.

وقد كان لوالده الشيخ العالم الفضل الكبير في صقل ثقافته وحثه على قراءة عيون الكتب وحفظ القصائد الشعرية الجيدة.

وكذلك كان لشقيقه الناقد الأدبي «أحمد شاكر الكرمي» تأثير كبير في ثقافته الأدبية فقد لقي منه التشجيع والدعم وعرَّفه على مجموعة كبيرة من الأدباء السوريين والعرب وخاصة بعد أن تم تأسيس جمعية الرابطة الأدبية بدمشق في آذار سنة ١٩٢١ حيث تعرف الى الاستاذ محب الدين الخطيب الذي كان

صديقا لأخيه شاكر فنشر له فى مجلة الزهراء القاهرية عددا من قصائده.

● وكان لمدرسة «عنبر» دور كبير فى صقل شخصيته الأدبية التى خرجت عددا من الشعراء والأدباء الكبار أمثال أنور العطار وزكى المحاسنى وغيرهم ممن كان لهم دور كبير فى إثراء الأدب العربى الحديث.

وقد تعلم فى هذه المدرسة اللغة الفرنسية حيث كان يقرأ للأدباء الفرنسيين ويقوم بترجمة بعض القصائد عن الفرنسية.

وكانت له صلة وثيقة فى بداية حياته الأدبية مع الأدباء المصريين وعلى رأسهم الأديب ابراهيم المازنى.

وقد أكمل شاعرنا دراسته العليا فى معهد الحقوق بالقدس بعد أن أنهى البكالوريا السورية سنة ١٩٢٧.

وعمل معلماً فى مدارس القدس حيث كان يلتقى كثيرا مع الشاعر ابراهيم طوقان الذى كان يدرس فى المدرسة الرشيدية آنذاك وقد استلم مكانه كمعلم فى هذه المدرسة إثر استقالة صديقه الشاعر طوقان من مهنة التعليم.

● وظل شاعرنا يعمل فى التدريس حتى فصل عن العمل سنة ١٩٣٦ إثر نظمه لقصيدة وطنية بعنوان «يافلسطين» هاجم فيها السلطات البريطانية لعزمها على إنشاء قصر للمندوب السامى البريطانى على جبل المكبر بالقدس.

وبعد أن فقد ابوسلمى وظيفته كمعلم فى المدرسة الرشيدية الثانوية بالقدس ضمه صديقه ابراهيم طوقان الذى كان يتولى منصب مدير البرامج العربية فى الاذاعة الفلسطينية حيث أسند إليه وظيفة هامة واستمر أبو سلمى يعمل فى هذا الجهاز الاعلامى الحساس إلى أن استقال من عمله.

وقد تزوج سنة ١٩٣٦ من رقية بنت توفيق عبد الله حقى بعد قصة حب عنيفة.. وكان والدها رئيس بلدية عكا ولها نشاط اجتماعى واسع حيث كان لها الفضل فى تأسيس الاتحاد النسائى الفلسطينى فقد عملت فى منصب الرئيسة لهذا الاتحاد منذ عام ١٩٣٦ وحتى ١٩٤٤.

وقد عمل فى حقل المحاماة حيث افتتح له مكتبا فى مدينة حيفا سنة ١٩٤٣ واستمر يدافع عن المظلومين من أبناء وطنه وخاصة أولئك الذين كانوا يجاهدون ضد الاستعمار البريطانى والعصابات الصهيونية.. وظل فى حيفا حتى وقعت بأيدى الصهاينة واضطر مكرهاً أن يغادرها الى دمشق.. وهناك زاول مهنة المحاماة والتدريس وأسهم فى العديد من المؤتمرات العربية والاسيوية والافريقية والعالمية.

أبو سلمى شاعرا

ويهمنا أن نتوقف عند الفصل الثانى الذى جاء بعنوان «أبو سلمى شاعرا» حيث تطرق فيه المؤلف الى الحديث عن الأدب العربى المعاصر الذى نهض فى نهاية القرن التاسع عشر مع أحداث الأمة العربية.. وخاصة الشعر الفلسطينى الذى كان يسير خلال هذه المرحلة فى اتجاه الشعر العربى فى الأقطار المجاورة ولا سيما سوريا. وقد كانت قضية التحرر من الحكم العثمانى شغله الشاغل وقتئذ.. ولكن الخطر الصهيونى على فلسطين فى نهاية العقد الثانى من القرن العشرين ما لبث أن استأثر باهتمام الشعراء العرب بعامة والفلسطينيين بخاصة.

● وأصبحت فلسطين وما تزال الجرح القومى الذى لن يندمل فى نفوس الشعراء. وهب الشعراء الفلسطينيون ليأخذوا مكانهم الطليعى ودورهم

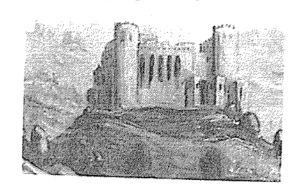
النضالى فى فضح التآمر والتلاحم العضوى بين الاستعمار والصهيونية فدقوا للناس نواقيس الخطر. وكان شاعرنا «ابو سلمى» واحدا من الشعراء الفلسطينيين الذين تصدوا لحمل دور المرشدين والموجهين فى هذه الظروف العصيبة لشعبهم وأمتهم. ويجد الدارس لبواكير شعر ابى سلمى الوطنى أنه كان تصويرا أمينا للحالة السيئة التى تردى إليها وطنه. وقد سجل الشاعر أولا بأول أحداث وطنه الدامية وجاءت فى قصائده شهادات حية. فقد نظم عشرات القصائد التى تمجد نضال الثوار وتهاجم سلطات الانتداب البريطانى والصهاينة.

كانت قصائده تذكى النفوس التواقة إلى تحرير فلسطين من الأعداء فيقول فى قصيدة «بلادى»:

قولى لظالمة الشعوب
ضللت عن سبل الرشاد
لا تلجأى عند الحساب
إلى الحفيظة والعناد
من ظلمك اسود الفضاء
وقد شكا قلب الجماد
والشعب إنْ يغضب عليك
عرفت أهوال العوادى

ويقول أبو سلمى فى قصيدة عنوانها «جبل النار»:

جبل النار يا أعز الجبال أنت
لا زلت معقد الآمال
أيها الثائرون فى جبل النار
سلاما يا زينة الأجيال
لكم الله يا حُماة فلسطين
زحمتم مصارع الآجال
تحملون الارواح فوق أكف
وتبيعونها ولكن غوالى
ورصاصاتكم تمر على الأيام
حمرا مضيئة فى الليالى
تصرع الطائرات مثل طيور
الجو تهوى فوق تلك التلال
أيها الثائرون قولوا فان
القول يصغى الى لهيب المقال



لهب القصيد

تعتبر قصيدة «لهب القصيد» من أهم قصائد الشاعر واكثرها انتشارا فقد استطاع من خلال أبياتها أن يرصد الواقع العربى المتردى بأسلوب نارى وجاء على ذكر الشهيدين الكبيرين الشيخ عز الدين القسام والشيخ فرحان السعدى وصور أيضا فيها جرائم الانجليز فى فلسطين وما ارتكبوه من مظالم وهم يخمدون الثورة.

وهذه القصيدة التى جاءت فى «ديوان أبى سلمى» الصادر عن دار العودة - بيروت سنة ١٩٨١ - الطبعة الثانية حيث جاء فى مقدمة القصيدة هذا النص:

«كانت ثورة الشعب العربى الفلسطينى سنة ١٩٣٦ إحدى ثوراته العظيمة امتازت بشمولها جميع طبقات الشعب وبعنفها وبأنها موجهة ضد الانجليز



لأنهم أصل الداء ورأس البلاء وامتازت بالاضراب الكبير الذى امتد حوالى ستة أشهر من ٢٠ نيسان سنة ١٩٣٦ الى ١٢ تشرين الأول سنة ١٩٣٦ وبقيت الثورة مستمرة حتى تدخل ملوك العرب وامراؤهم من أجل وقف الاضراب والقتال بعد ان تعهدت بريطانيا بأن تعيد النظر فى سياستها بفلسطين.

وقد اذاعت اللجنة العربية العليا فى فلسطين هذا البيان فى ١١ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ أعلنت فيه تلبية النداء ودعتْ الأمة العربية الكريمة فى فلسطين الى الاخلاد الى السكينة وانهاء الاضراب والاضطرابات إبتداء من يوم الاثنين الموافق ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ وجاء فى مقدمتها:

أنشر على لهب القصيد
شكوى العبيد الى العبيد
شكوى يرددها الزمان
غدا إلى أبد الأبيد

●● الى أن يقول:

قوموا اسمعوا من كل ناحية يصيح دم الشهيد
قوموا انظروا «القسام» يشرق نوره فوق الصرود
يوحى الى الدنيا ومن فيها بأسرار الخلود
قوموا انظروا «فرحان» فوق جبينه أثر السجود
يمشى الى حبل الشهادة صائما مشيى الاسود
سبعون عاما فى سبيل الله والحق التليد
خجل الشباب من المشيب بل السنون من العقود

ان مقدمة هذه القصيدة لا تدل على أنها نظمت فى سنة ١٩٣٦ أى بعد توقف الاضطرابات فى فلسطين إذ أن مجيىء ذكر الشيخ - فرحان السعدى فيها ووصف إعدامه يوحى أن هذه القصيدة كتبت بعد استشهاد الشيخ فرحان الذى تم اعدامه من قبل سلطات الانتداب البريطانى بتاريخ ١٩٣٧/١١/٢٧ الموافق ٢٤ رمضان ١٣٥٦هـ.

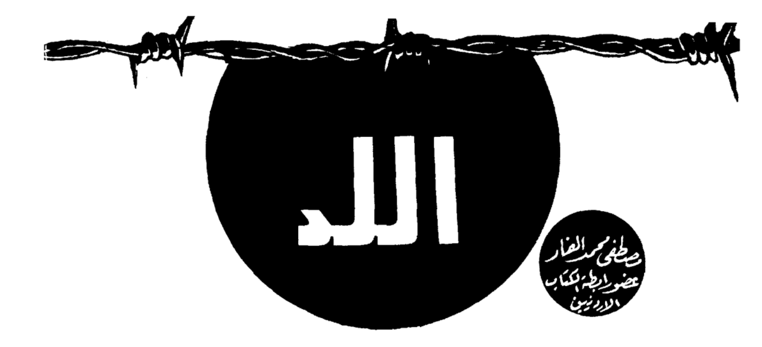
فالصحيح أن هذه القصيدة التى جاء على ذكرها الاستاذ مؤلف الكتاب.. بحاجة الى معرفة الحقيقة حول التاريخ الحقيقى الذى كتبت فيه إذ أن وجود المقدمة فى بداية القصيدة تربك القارىء وكنا نأمل لو أن الباحث كشف لنا الحقيقة حول هذه القصيدة التى تعتبر من أهم قصائد الشاعر أبى سلمى.

وهكذا كان شاعرنا صوتا مدوّياً يسجل فى قصائده ما يجول فى خاطره من مشاعر وأحاسيس.. يصرخ وينادى أبناء أمته العربية من المحيط الى الخليج أن يهبوا ويستيقظوا على واقعهم المرير.. ولكن من يسمع ومن يتعظ؟. فقد ضاعت فلسطين سنة ١٩٤٨ وصارت ذكرى وأىّ ذكرى..

وبكى الشاعر وطنه بحرقة وراح - وهو بعيد عنه - يخلده عبر قصائده التى كانت تنتشر من بلاد الى بلاد بسرعة البرق.

كان لشِعره ميزة خاصة يُعرف بها.. فقد عرفه أطفال النكبة كما عرفه كل مشرد ولاجىء فى هذا العالم الواسع.. فكانت قصائده شموع أمل تضيىء العتمة فى نفوس اللاجئين الذين كانوا يتوقون إلى العودة لوطنهم السليب.

● لقد كتب للاطفال أحلى القصائد وتغنى بالحب الذى فتح له قلبه وروحه وطرق مواضيع مختلفة فكان يكتب المقالات النثرية والمراجعات النقدية حول بعض الكتب والدواوين الشعرية.. وقد صدرت له مجموعة من الدواوين والكتب على امتداد ثلاثين عاما.



لكـل فتـى هنـد يردد اسـمـهـا
وهـنـدى التـى لم يحكهـا أحـد لدُّ

بهذا البيت الجميـل يتغنى ابن اللد البـار حسـان فلسطـين أحـد شعـرائهـا وعلمائها المرحوم سليم حسن اليعقوبى وبهذا البيت تنبض قلوب أبناء اللد اينما كانوا وحيثـما اتجهـوا فما أهميـة هذه المدينة الاستراتيجية؟ وما قيمتها التاريخية؟ وما قيمتها الحضارية؟.

تقـع مدينـة اللد فى موقع متوسط من فلسطين فهى قائمـة على السهـل الساحلى وسطاً بين أقصى الشمال وأقصى الجنوب وقد جمعت بين طبيعتى البحر ومناخ الجبل فالبحر على مسـافة ثمانية عشر كيلو مترا عنها. وأقرب مدينة بحرية اليها «يافا» وسفوح الجبال على بعد يتراوح بين أربعة كيلو مترات وستة كيلو مترات. ومن ينظر الى مدينة اللد من قرية بدرس التى لا تبعد عن اللد أكثر من ستـة كيلو مترات يأسره جمال هذه المدينة الرائع وموقعها السـاحر فكأنها بين بساتينها وبياراتها كوكر الطائر الملتف بين اغصانـه الجميلة الكثـه الأغصـان الـوارفة الظلال فموقعها قل أن يعدله موقع آخر وماؤها النبع الزلال قل ان يعدله ماء.

تقـوم اللد فوق رقعـة منبسطـة من ارض السـاحـل الفلسطينى ترتفع ٥٠ مترا عن سطح البحر وتتألف ارضها من تكـوينات صخرية رسوبية وتعتبر تربتها من أخصب الترب نظرا لتوافر المواد المعدنية والمواد العضوية فيها وقد بلغت مساحة اراضيها (٣٠٨٥٥) دونما.

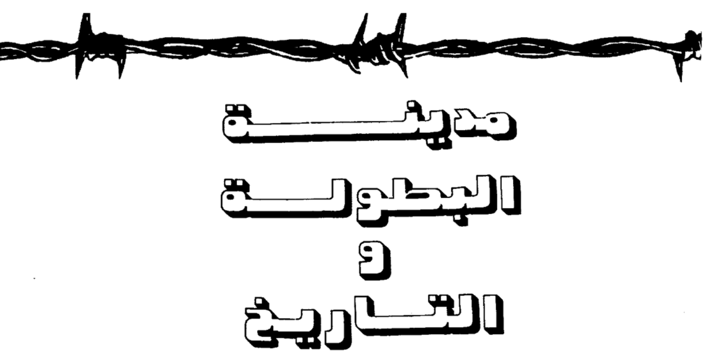
●● مناخهـا مناخ البحـر المتوسط الحار الجاف صيف الدافىء الممطر شتاء ويتميز باعتداله على وجه العموم.

فى عصور ما قبل التاريخ:

تعود أقدم إشارة لنشاط الانسان فى منطقة اللد الى العصر الحجرى المتوسط قبل ١٢٠٠٠ سنة فقد عثر فى عام ١٩٢٨م على آثـار مرحلة انتقـال الانسـان من عصـر الكهوف والصيد الى عصر الزراعة والقرى فى مغارة شقبة التى تقع فى وادى النطوف وتقع على بعد عشرة كيلومترات عن اللد وقـد سمى الآثـاريـون حضـارة هذه المـرحله الانتقالية بالحضارة النطوفية.

وفى العصر الحجرى الحديث ويعرف بالعصر النيوليثى قامت قبـل ٩٠٠٠ سنـة وعلى وجه التحديد سنة ٧٥٥ ق.م وفى المكان الذى تقع فيه مدينة اللد اليوم قرية زراعية فقـد عثر فى الاراضى الواقعة قرب المسلخ وجورة الحمام والحوَّرة على أدوات فخارية من النوع الذى وجد سابقا اثناء التنقيبات فى موقع أريحا.. ومن المحتمل ان يكون الفلسطينيون هم الذين اسسوها فوق انقاض مدينة أقدم عهدا. وقد جاء ذكر اللد اكثر من مرة فى العهد القديم وقد جرت فى منطقتهـا معـارك شديـدة بين أهـل البلاد من الكنعانيين والفلسطينين وبين العبرانيين الغزاة حيث كانت الغلبة للفلسطينيين.

وقـد سميت اللد فى العهد الاغريقى (ليدا) وفى العهد الرومانى اصبحت مركزا لجمع الضرائب وفى هذا العهد



مدينة البطولة و التاريخ

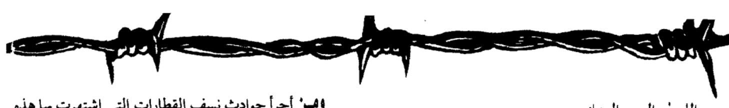
تبدل اسمها فأصبحت تعرف بديو سبوليس والأرجح ان تغيير الاسم حدث فى سنة ٢٠٢ ق.م زمن الامبراطور ستيموس سيفروس وبرزت أهمية ديو سبوليس فى العهد المسيحى ويقال إن القديس بطرس زارها مبشراً بالدين الجديد ويذكر أن القديس جاور جيوس ويطلق عليه اسم (الخضر) قد ولد فيها ولما شب جاور جيوس تنصر واعتنق المسيحية وجاهر بها فأمر الامبراطور ديو كلتيان بقتله فى ٣٠٣م ولما اعتنق الامبراطور قسطنطين الكبير ٣٠٦-٣٣٧م المسيحية بنى على قبره كنيسة تذكارية له وقد دمرت هذه الكنيسة عدة مرات اثناء الحروب الصليبية وكان بناؤها يعاد بعد كل تدمير. وقد شيد على قسم من هذه الكنيسة مسجد يعرف بالمسجد الجامع، وهو من أقدم المساجد الاسلامية فى فلسطين وهو واسع يقوم على آبار كثيرة كانت تستخدم فى الماضى لجمع مياه الشتاء ومن أشهر هذه الآبار بئر الطلاق وكان الصليبيون يستخدمونه لسجن أسرى المسلمين وبجوار هذا المسجد آثار لمسجد آخر هو المسجد العمرى نسبة الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ويذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى أن الخليفة عمر بن الخطاب اعطى اهل لد بعد ان فتحها عمرو بن العاص عهدا وأن سائر كتبهم على عهد لد ويعنى بذلك الكتب الموجهة من الخليفة الى سكان مدن فلسطين المفتوحة.

ويذكر صاحب معجم البلدان العلامة ياقوت الحموى أن الفلسطينيين اطلقوا هذا الاسم عليها لشدة الخصومة التى لاقوها عند الفتح ولد بالضم والتشديد جمع الألد وهو الشديد الخصومة.

وجاء فى كتاب صبح الأعشى للقلقشندى لد مدينة قديمة كانت قصبة فلسطين فى الزمن الأول الى ان بنيت الرملة فتحول الناس اليها وتركوا لدا.

وجاء فى فتوح البلدان للبلاذرى ما يلى: وقصبة فلسطين القديمة كانت مدينة يقال لها لد الى ان ابتنى سليمان بن عبد الملك الرملة فنقل سكان اللد العاصمة السابقة اليها.

ولم تسلم اللد من احتلال الصليبيين لها وهم فى طريقهم الى القدس فى حزيران ٤٩٢هـ وسميت اللد فى عهدهم لد القديس جاور جيوس تيمنا بجارجيوس أو الخضر المار ذكره. وقد عمد الصليبيون الى إعادة بنائها من جديد وعاد اليها عدد كبير من سكانها الذين كانوا قد انتقلوا الى الرملة وقد بقيت اللد تحت سيطرة الصليبيين الى أن حررها الملك الظاهر بيبرس وأصبحت اللد فى عهد المماليك مركزا من مراكز البريد بين دمشق وغزة.



اللد فى العهد العثمانى :

استولى العثمانيون فى عهد السلطان سليم على اللد وغيرها من مدن فلسطين سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م وقد أهمل شأنها فى هذا العهد وتعرضت لما تعرضت له يافا والرملة من إغفال وإهمال.

وحينـما احتل الانجليز اللد فى ١٠/١٠/١٩١٧ جعلوها مركزا لتجمعاتهم ومعسكراتهم متخذين من بساتين الزيتون التى تشبه الغابه ستارا لقواتهم وكان عدد سكان المدينة آنذاك يقارب العشرة آلاف وكان ابناء اللد ينظرون الى هذه المعسكرات التى تشوه وجه مدينتهم نظرة عداء مستمر ولما وضحت نوايا المستعمرين والصهيونيين كانت هذه المدينة من أسبق وأشد المناهضين لسياسة وعد بلفور والوطن القومى اليهودى وقد اعلنت العداء الصريح للاستعمار والصهيونية وسلكت سبيل السلبية العنيفة وبسبب ذلك لم يستطع يهودى واحد ان يسكن اللد كما لم تستطع كافة الاجراءات الحكومية والمغريات اليهودية ان تنزع ولو شبرا واحدا من أراضى هذه المدينة المناضلة بل لم يستطع الصهيونيون رغم ما توفر لهم من أموال طائلة ان ينافسوا ابناء اللد فى شراء الاراضى ودفع الاثمان الباهظة لها وعلى الرغم من الاغراء الذى تقدمت به شركة روتمبرغ الصهيونية باضاءة شوارع المدينة مجانا فى حالة الموافقة على حصول الشركة على امتياز لها فى المدينة الا أن هذا الطلب جوبه بالرفض القاطع من ابنائها.

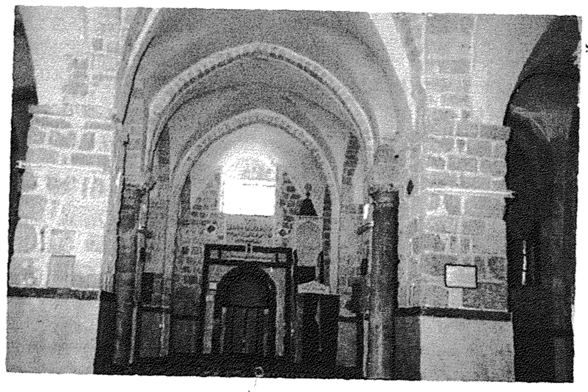
وكان ابناء اللد سندا للثورات المتعاقبة التى اشتعلت فى فلسطين ضد الاحتلال البريطانى وصنيعته الصهيونية فرغم بعدهم عن مراكز اليهود كانوا يهرعون الى مهاجمة المستعمرات فى ضواحى تل ابيب والقدس وغيرها وامتد نشاطهم عام ١٩٣٦م من الجنوب البعيد الى مشارف المثلث الغربى وجبل النار وكان الشهداء (حسن الجدى ويوسف عطية وحنا كركر) القافلة الأولى من شهداء ابناء اللد كما كان الشهيد عبد الرزاق ابو كويك اول فدائى عرفته فلسطين حيث فجر نفسه فى جسر للسكك الحديدية قرب قرية السافرية ونتيجة لذلك فقد التوت الخطوط الحديدية على الجانبين لمسافة اربعين مترا بالاضافة الى تدمير الجسر تدميرا تاما.

ومن أجرأ حوادث نسف القطارات التى اشتهرت بها هذه المدينة نسف القطار الحديدى القادم من يافا والمار بتل أبيب الى اللد عند موقع النشارية حيث قتل جميع جهازه من الانجليز نتيجة وضع لغم فى غرفة قيادته وكان ذلك ليلة الجمعة بتاريخ ١٧/٧/١٩٣٦م.

وفى ليلة الجمعة بتاريخ ٢٤/٧/١٩٣٦م نسف المناضلون أحدث قطار سريع عند جسر الملك الظاهر شمالى اللد وقضوا على حاميته الانجليزية ولكن الشهيد حافظ صقر وقع أسيرا فى أيدى القوات الانجليزية بعد إصابته فى المعركة فقتلوه انتقاما وحينما لم يستطع الانجليز أن يحرزوا نجاحا على مناضلى اللد البواسل رغم بطشهم واستخدام كافة وسائل القمع ومنها نسف البيوت التى تجاوز عدد ما نسف منها الثلاثين بيتا فقد عمدوا الى الغدر اللئيم فقتلوا المناضل الشهيد أمين شحاده حسونه بعد ان نصبوا له كمينا فى أحد المنعطفات القريبة من محطة اللد كما قاموا بنفى وسجن عدد كبير من شباب المدينة ووجهائها كما عمدوا الى محاكم الظلم ظانين انهم سيذلون كبرياء هذه المدينة المناضلة وبوسائلهم الدنيئة تم القبض على عدد من شبابها الأبطال حيث سيقوا الى محاكمات صورية حكمت على قافلة منهم بالاعدام شنقا ومن هؤلاء الشباب الذين تم اعدامهم الشهداء (أسعد الترتير . . على شاهين . . على سعد الصالحى . . حسن فرج . . صبرى سليمان ابو شريحه . . محمد حامد الحاج عرب . . محمود الزين . . على محمد صلاح . . على النابلسيه . . عبد اللطيف شكوكانى) . . كما حكمت المحاكم على قافلة أخرى بالاعدام ثم خفض الحكم الى السجن المؤبد مع الاشغال الشاقة ومن هؤلاء : الشيخ محمد عبد الجواد العجل . . أحمد سليمان العكش . . حسن خير . كامل السيد شاهين.

وحكمت على قافله ثالثة بأحكام أخف وبقيت قافلة رابعة تعتصم بالبساتين والبيارات وحين صدر قرار التقسيم عام ١٩٤٧م دخل الكفاح الفلسطينى مرحلة جديدة حاسمة وسارع أبناء اللد الى إعداد أنفسهم وعمدوا الى توفير السلاح من خالص أموالهم وبادىء ذى بدء قاموا بحفر خنادق واسع حول الجانب الغربى من المدينة قرب وادى الخيار المحاذى لمعسكرات صرفند حيث كان اليهود يتمركزون قريبا منها.





مسجد اللد الكبير
من الداخل

وقد اشترك فى حفر هذا الخندق جميع القادرين من أهل المدينة بمعداتهم وجراراتهم الزراعية. . ومجارفهم وأصبح هذا الخندق درعا واقيا عند اى هجوم محتمل وحاول اليهود محاولات يائسة للتغلب على هذه المدينة وجارتها الرملة ولكن جميع محاولاتهم كانت تبوء بالفشل ولم يجنوا من ورائها سوى الهزيمة المرة ولقد ساعد استيلاء المناضلين على ثلاثة مدافع للميدان من أحد القطارات التى كانت فى طريقها الى حيفا على إيقاع الرعب فى نفوس العدو رغم أن ضرباتها كانت غير محكمة التصويب بسبب عدم وجود الأجهزة الخاصة بتعيين المسافة على هذه المدافع كما أن عدم توفير القنابل اللازمة لاستعمالها كان من بين المصاعب التى واجهت المناضلين الى أن تم صنع قنابل محلية فى محددة حماد كما تم تحويل عدد من السيارات الى مصفحات جهزت بالرشاشات فى هذه المحددة وفى غيرها من المحادد.

دخول الجيوش العربية :

حل يوم ١٥ أيار ١٩٤٨م ودخلت الجيوش العربية فلسطين فتولت أمورها بصفة عسكرية ووصل الى قطاع اللد والرملة النقيب ادريس سلطان الذى عين حاكما عسكريا للمنطقة واتخذ من قسم البوليس الواقع بين الرملة واللد مركزا له واستمر مناضلو اللد يؤدون دورهم فى الدفاع عن مدينتهم ويتعاونون مع مناضلى الرملة فى صد اعتداءات اليهود المتكررة على الرملة الى ان حلت الهدنة الاولى وتوقف القتال على كافة الميادين حتى اذا انتهت الهدنة فى مساء يوم ١٩٤٨/٧/٧م اخذت الطائرات تشن غاراتها على اللد وما ان حل صباح اليوم التالى حتى كان اليهود قد احتلوا جميع القرى العربية الجبلية شرقى اللد.

سقوط اللد :

وفى صباح يوم السبت بتاريخ ١٩٤٨/٧/١٠م سقط مطار اللد فى معركة غير متكافئة بعد ان تغلب العدو على حاميته واستشهد البطل الاستاذ عبد ربه ابو مشرف وعدد من المناضلين وغدت المدينة بعد سقوط المطار محاصرة من جهاتها الأربع دون ان تهب اية قوة عسكرية عربية لنجدتها وفى يوم الأحد بتاريخ ١٩٤٨/٧/١١م حاول اليهود دخول المدينة من جهة قرية جمزو الواقعة فى شرقى المدينة ومن جهة مستعمرة بن شيمن الواقعة فى الشمال الشرقى من المدينة وكانت هذه المستعمرة معزولة تماما طوال الفترة السابقة وتمكن اليهود عصر هذا اليوم من اقتحام المدينة من



هذه المستعمرة بدباباتهم ومدرعاتهم وقد اعمل اليهود فى المدينة قتلا وانتقاما حيث قتلوا فى مسجد دهمش وحده زهاء ثمانين شخصا كما قتلوا ثلاثمائة شخص كانوا يحاولون الوصول الى الرملة المدينة المجاورة.

إجلاء سكان المدينه:

صباح يوم ١٣/تموز نفذ الصهيونيون قرارهم بإجلاء أهالى اللد ومن فيها من السكان الذين كانوا قد لجأوا اليها من المدن والقرى المجاورة ولم يكتف اليهود بذلك بل رابط جنودهم على مشارف المدينة يسلبون النازحين ويجردونهم من كل ما يملكونه من أموال وحلى لا يفرقون بين شيخ وطفل وامرأة وكان ذلك خلال شهر رمضان الفضيل وفى يوم من أشد ايام الصيف حرارة وقد هام الناس مذهولين على وجوههم ثلاثة ايام كاملة بلياليها وتصاعد الغبار وجفت الحلاقيم من شدة العطش وامتلأت الطريق بجثث الضحايا من الشيوخ والنساء والأطفال الذين ماتوا عطشا.

وكان عدد سكان اللد قد بلغ فى ١٩٤٦/١٢/٣٠م حوالى سبعة وعشرين ألف نسمة وذلك وفق احصاءات بلدية اللد وهو خلافا لما ذكره مصطفى مراد الدباغ الذى يذكر انه ١٨٫٢٥٠ نسمة أما عند وقوع النكبة فقد كان فى المدينة ما يزيد عن مائة ألف نسمة بما فيهم سكان القرى المجاورة الذين كانوا قد نزحوا اليها اما الآن فيقيم فى مدينة اللد من ابناء العائلات التى بقيت فيها ما يقارب الثلاثة آلاف شخص كما يوجد بها عدد آخر من العرب الذين قدموا اليها من منطقة الجنوب ويتراوح عددهم بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألف شخص معظمهم يقيمون قريبا من الاراضى القريبة من بيارة شنير غربى اللد.

وقد كانت اللد من اكبر المدن الزراعية فى فلسطين اذ امتازت بوفرة محاصيلها الزراعية ومنها الزيتون وزيت السمسم وزيت الزيتون والخضر والفواكه والحمضيات.

واللد غنية بمياهها الجوفية حتى ليدهش المتجول فى أراضيها لكثرة الابار الارتوازية الجوفية التى يخرج ماؤها قويا الى سطح الارض وكانت مدن فلسطين الرئيسية الثلاث القدس ويافا وحيفا تعتمد فى معظم حاجتها من الفواكه والخضر على ما تنتجه اللد طوال ايام السنة.

كما اشتهرت اللد بمعاصر زيت الزيتون ويعتبر زيتها من أجود الزيوت فى العالم وينتج عن صناعة الزيت المتاجرة بفضلات ثمار الزيتون (الجفت) كوقود من أجود الأنواع كما ينتج عن الزيت (الثنى) وهو محصول العصرة الثانية صناعة الصابون وصناعة قطف الليف والشعر وعصارات الزيت وكان فى اللد خمسة مصانع كبيرة للصابون وهى مصبنة جودة.. مصبنة المهتدى.. مصبنة جودة.. مصبنة الرنتيسى.. مصبنة الفار ولكن هذه الصناعة تحولت الى مدينة يافا فى المدة الأخيرة بالاضافة الى نابلس لأنها اصبحت تعتمد على الزيوت النباتية المستوردة من الخارج.

كما اشتهرت اللد بمصانع زيت السمسم (السيرج) والطحينة وهما من اجود الأنواع فى فلسطين كذلك فقد اشتهرت بصناعة اكياس الشعر كما انشئت فى المدينة عدة مطاحن حديثة للحبوب ولحلج الاصواف والأقطان.

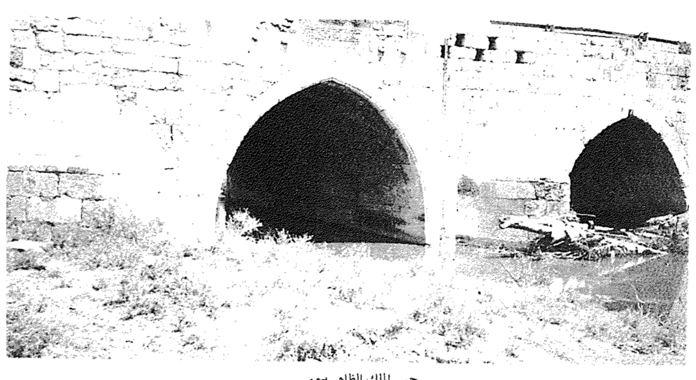
وقد اشتهرت اللد بسوقها التجارى الآسيوى العام وهو سوق الاثنين ويسمى ايضا سوق البرين اى البر الشامى والجزيره العربية والبر المصرى وكانت تساق اليه المواشى من اغنام وجمال وأبقار وبغال وخيول من أقاصى نجد والعراق وبلاد الشام وقبرص وكان هذا السوق مبعث حركة تجارية دائمة.

●● وفى مدينة اللد معالم مقدسة كثيرة منها المسجد الجامع الذى يعد من أقدم المساجد الاسلامية فى فلسطين وكنيسة الخضر وهى من أجمل الكنائس المسيحية فى العالم ويوجد فى الساحة الشرقية من المدينة العديد من المقامات والأضرحة لرجال الصحابة والمجاهدين والعلماء الذين اشتهروا فى ثرى هذه المدينة وقد توارث اهل المدينة تقديس هذه الساحة كابرا عن كابر لكثرة ما تضمه هذه الساحة من رفات هؤلاء الشهداء الأطهار رغم تقادم العهد فقد كان الاتقياء الورعون من أبناء المدينة لا يطأون الأرض لتلك الساحة منتعلين احتراما واجلالا لهذا الثرى الطاهر وتقع الى جوار تلك الساحة وعلى مرتفع منها فى الغرب مغارة كردوشة او مغارة الأربعين التى دفن فيها اربعون من

الشهداء كما يحيط بتلك الساحة مزارات لأعلام الصحابة وغيرهم. وأشهر هذه المزارات مقام عبد الرحمن بن عوف وسلمان الفارسى والمقداد بن الأسود وزكى الانصارى والنبى يحيى والنبى شمعون وضريح الشيخ محمد الجسر وضريح الشيخ عويدات ومقام الشيخ محمد الفالح ومقام الشيخ زكى ومقام الشيخ صالح ومقام الشيخ احمد فزع وضريح الشيخ حسين العلمى وضريح العلامة ابو السعود العلمى وغيرهم.

وستماية وقد نقش على هذا الجسر شعار للسلطان المذكور وعليه رسمتان للأسد ومن المعروف ان الأسد رنكا كان شعارا للملك الظاهر وطول الجسر ٣٠ مترا ويتألف من ثلاثة أقواس».

ونظرا لأهمية اللد وموقعها الاستراتيجى اطلقت حكومة الانتداب على المنطقة الواقعة بين اللد ويافا والرملة وما حولها اسم لواء اللد، وجعلت محطة اللد مركزا



جسر الملك الظاهر بيبرس

وقد اقيم فى شمالى اللد وعلى ارض جنداس القديمة جسر كبير ضخم يعتبر من أجمل الجسور فى فلسطين ويعرف باسم جسر الملك الظاهر بيبرس والواقع ان الذى اقامه هو ولده الملك السعيد كما هو واضح من الكتابة المنقوشة على هذا الجسر والتى نقلها الراهب كلير منتجانو وهذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وصحبه اجمعين امر بعمارة هذا الجسر المبارك مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بن بركه خان اعز الله أنصارهما وغفر لهما وذلك بولاية العبد الفقير الى رحمة الله علاء الدين غفر الله له ولوالديه تم ذلك فى شهر رمضان سنة احدى وسبعين

هاما لخطوط السكك الحديدية باعتبارها اكبر محطات السكك الحديدية فى فلسطين من حيث معداتها وترتيب أرصفتها ومشاغل الصيانة فيها، وكانت تمتد منها عدة خطوط حديدية تصل داخل البلاد وخارجها كما تم فى عام ١٩٣٦م إنشاء مطار اللد المدنى الذى يعتبر اهم مطار فى منطقة الشرق الأوسط.

وبعد فقد استمدت هذه المدينة المناضلة شهرتها من موقعها الاستراتيجى العظيم ومن صلابة كفاحها وتصديها للغزاة والفاتحين ومن نضال ابنائها ونشاطهم على مدى التاريخ حتى غدت هذه سمات مميزة ومعالم متفردة لمدينة اللد المناضلة.



ايها العرب افيقوا

توضيح وتعقيب على بيان اتحاد المؤرخين العرب المنشور فى العدد ٤٤٦ من المنهل

د. عبد الرازق احمد قنديل

الاخ الاستاذ نبيه الأنصارى - صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل
السلام عليكم ورحمته وبركاته.. وبعد..

يسعدنى ان تكون تلك السطور هى اولى رسائلى اليكم بعد ان اطلعت على العدد ٤٤٦ من مجلتكم الشهيرة «المنهل» عدد ذى القعدة والحجة ١٤٠٦هـ. وبعد ان قرأت فيه بيان اتحاد المؤرخين العرب الذى أصدره الاستاذ الدكتور مصطفى عبد القادر النجار - الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب.

وبداية أتقدم بخالص التحية والشكر لهذا الاتحاد لمتابعته ويقظته ولو أننى اعترف ان كثيرا مما جاء فى هذا البيان لم يكن مفاجأة لى ولزملائى هنا فى القاهرة باعتبار تخصصنا فى مجال الدراسات العبرية أدبا ولغة وفكراً خاصة ما يتعلق بعبرية العصر الوسيط وما وجد من فكر يهودى فيها والتى وضح فيها تأثير الثقافة العربية الاسلامية جليا باعتراف اليهود أنفسهم وقد كتبوا فى ذلك مؤلفات عدة بالعبرية والعربية أيضا.

وما أود ان اقول: ان القضية هنا ليست قضية بيان يصدر عن اتحاد ما من الاتحادات العربية القائمة. وانما القضية هى قضية المواجهة الفعالة والحاسمة فى هذا الشأن وغيره من الأمور التى تتعلق بطرفى الصراع والمواجهة. لقد أثار البيان نقطة جوهرية فى الموضوع - نحسبها له - عندما ذكر أنه « **لم تعد مواجهة الكيان الصهيونى للأمة العربية مقتصرة على التحدى العسكرى وحده، وانما اتجه هذا العدو إلى استغلال الفكر العربى والنّيل منه ومحاولة تسخير ما يصدر فى هذا الكيان... الخ** ». إذاً فقد بدأنا ندرك أخيراً ان المواجهة ليست قاصرة فقط على النواحى العسكرية واستراتيجيتها، وان اللغة والأدب والفكر أسلحة لها نتائجها وفاعليتها تماماً كالاسلحة العسكرية وقد تبزها فهى تخاطب العقول والوجدانات والأحاسيس.

كما اود ان اضيف أيضا انه إذا كان الاستاذ الدكتور الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب يحذر وبشدة من الفكر المنشور باللغة العربية والتى يسهل فهمها والرد عليها متى تجاوزت حدود العلم والتاريخ والحقائق.. فما قوله فيما هو أخطر من ذلك ونشر وما يزال ينشر باللغة العبرية التى لا يعرفها العرب بل ويقاطعونها.. ان فى المؤلفات العبرية لكثير من الكُتّاب والمؤرخين اليهود الذين لهم مكانتهم فى الاوساط العلمية اليهودية ما يحتاج الى جيش من الباحثين العرب المخلصين لدينهم وعروبتهم وأوطانهم للرد عليها.

■ لقد كان من قبيل المصادفة البحتة اننى قبل اطلاعى على العدد ٤٤٦ من مجلة المنهل الذى نشر فيه بيان اتحاد المؤرخين بأيام قليلة كنت اقرأ فصلاً من كتاب المؤرخ اليهودى «شمعون دوفنون» (وهو مكتوب بالعبرية) عن يهود الحجاز وموقفهم من دعوة الرسول الكريم وحروبهم معه. وتحدث الكاتب بدوره عن هذه الدعوة ورأى اليهود فيها قديما وحديثا.. حديثا تقشعر منه ابدان المسلمين الغيورين على دينهم وتراثهم وفكرهم.. مغالطات لا حصر لها. افتراء على الاسلام ونبيه وخلفائه وصحابته وتابعيهم.. تزييف لحقائق التاريخ الواضحة.. الأمر الذى دفعنى الى البدء فى اعداد بحث فى هذا الشأن. وكنت اود ان اجىء ولو بمثال واحد ولكنى ارجىء ذلك حتى يأتى الموضوع مكتملا جوانب البحث العلمى.

وبصفة عامة فإن هذا الموضوع يدفعنا إلى هدفى من هذا التعقيب.. ولنتحدث بصراحة الاسلام التى تعلمناها كما تعلمنا أيضا ان من تعلم لغة قوم أمن مكرهم وان الدين النصيحة.. هذه الصراحة التى اتحدث بها تدفعنى الى تساؤل

ارجو ان أتلقى عنه إجابة شافية . هذا التساؤل هو: **ما موقف جامعاتنا العربية فى مختلف البلدان العربية . وكذلك مؤسساتها التعليمية ومراكز البحوث فيها من الدراسات العبرية عامة وتعليم اللغة العبرية وادخال ذلك ضمن مناهجها بصفة خاصة** . . ؟ معلوماتى المتواضعة تقول بل تكاد تؤكد وباختصار شديد دون الدخول فى تفريعات ليس هنا مجالها ان المتخصصين فى الدراسات العبرية ليس لهم مكان بصورة اوباخرى فى جامعات الدول العربية، ومن تمكن منهم من السفر فإنه يعمل فى مجال بعيد عن هذا التخصص الدقيق.

واقول ايضا متمثلا قول الحق سبحانه وتعالى **﴿إنْ أريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعت﴾** (صدق الله العظيم) اقول انه ينظر الى دارسى العبرية فى بعض الدول العربية على أنهم قد يكونون أخطر عليها من الصهاينة أنفسهم . . ولكن . . لماذا لا يتمثلون قول الله سبحانه وتعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا إنْ جاءكُم فاسِقٌ بنبأ فتبيَّنُوا أن تُصيبوُا قوماً بِجَهاله فتُصبِحُوا على ما فعلتُم نَادمينَ﴾** (صدق الله العظيم) . . كم سمعنا هنا من الأخوة أعضاء لجان التعاقد ردوداً مهذبة تحمل بوضوح مؤدب هذه المعانى التى تقول بان الجامعات والمؤسسات التعليمية ومراكز البحوث فى بلادهم ليست فى حاجة الى هذا التخصص.

ان العلم لا يتجزأ . والفكر قائم سواء درسناه أو ابتعدنا عنه . . وليس معنى عداوتى لليهود اهمال لغتهم وفكرهم . . لقد كنا نتعلم الانجليزية والفرنسية وجنود الاستعمار تحتل أرضنا فهل اوقفنا ذلك بعد رحيلهم . . وهل يعنى الاستمرار فى تعلمها ان ليس بيننا وبين الناطقين باى من هاتين اللغتين خلاف فكرى وعقائدى وسياسى أيضا . . ان المستشرقين من أجناس مختلفة قد تعلموا العربية والدين الاسلامى لا ليصبحوا عرباً مسلمين . وانما ليتمكنوا من النَّيل منا اذا جاءتهم الفرصة . . ثم لماذا نغفل تلك الحقيقة القائمة والتى أشار اليها البيان . . من هم الذين أشار اليهم وكتبوا عن الغزالى وغيره وأصدروا مؤلفات عديدة عن الفكر العربى وبالعربية . . اليسوا يهودا فكيف تمكنوا من العربية وكتبوا بها . . الم يكن ذلك بتعلمهم لها ومتابعتهم للفكر العربى على مر عصوره . . فهل نحن العرب اقل منهم عقلاً وتفكيرا . . لا اعتقد ذلك فهم تلامذتنا منذ ظهر الاسلام والى اليوم والشواهد كثيرة إذا لزم الأمر.

هذه وجهة نظر اكتبها بعد خبرة سنوات طويلة فى مجال هذا التخصص بحثا وتدريساً تمكنت خلالها من الوقوف على حقائق اثبتت بحق أصالة فكرنا الاسلامى، ورسوخ قدمه وقوة تأثيره فى فكر هؤلاء اليهود، ولقد اعلنت بعضها فى كتابى **«الأثر الاسلامى فى الفكر الدينى اليهودى»** وكذلك كتاب «المواريث» وهو دراسة لمقارنة ما يتعلق بالمواريث سواء فى قوانين وتشريعات الشرق الأدنى القديم او اليهودية والاسلام هذا إلى جانب ابحاث اخرى منشورة أيضا.

●● وجهة النظر هذه اقولها وكأنى اقول . . افيقوا أيها العرب . . العلم هو العلم والتسلح به لا يقل قوة عن طلقات الرصاص . . كما اقول : ارجو ان يتغير موقف الجامعات العربية، وان يعلم الاخوة الأفاضل الذين يشرفون على توجيه المناهج والدراسة فى تلك الجامعات ان ادخال العبرية وما يتعلق بها قد أصبح الآن واجبا تحقيقا لقول خاتم الانبياء «مَنْ تعلَّم لغة قوم أمِنَ مكرهم» . . وان تعلم العبرية لا يعنى على الاطلاق تشجيع لغة عدو على الانتشار او مهادنته او مسالمته وانما يعنى ان نغوص الى اعماق فكره ونحلل نفسيته ونتمكن من الرد عليه . . ولنا فى السلف الصالح اسوة حسنة . . اننى ادعوهم إلى اجابتى على هذا التساؤل:

كيف كتب الفقيه ابن حزم عن الأديان فى **«الفصل فى الملل والنحل»**؟ وكيف رد هذا الفقيه على اليهودى **«ابن النغريلة»** فى رسالته التى نشرها الاستاذ الدكتور احسان عباس بعنوان: **«الرد على ابن النغريلة اليهودى ورسائل اخرى لابن حزم الأندلسى»** هل يعتقدون ان ذلك جاء دون اطلاع على لغة وفكر هؤلاء اليهود.

المحرر

اليهود فى صراعهم الأبدى ضدَّ الاسلام والعربية والعرب ينتهزون كل الفرص للتشويه ولا يجدون مدخلاً للإساءة إلاّ دخلوه . .

واستطاعوا ضمن مخططهم أن يكتبوا كثيرا من الكتب بلغتهم العبرية مما يحتم علينا تعلمها لكشف مفترياتهم وأكاذيبهم.

مائة ليلة



فى ضوء الاهتمام الأكاديمى المتنامى فى الجامعات العربية بالادب الشعبى العربى كان طبيعيا ان يولى بعض الباحثين العرب اهتماماً علمياً جادا بكتاب (ألف ليلة وليلة) وأن يتجاوز اهتمامهم به دواعيه الرومانسية التى صاحبته اول الأمر الى البواعث العلمية والدوافع الأكاديمية والموضوعية بعد أن تبين لهم القيمة الأدبية والفنية لهذا الأثر الفنى الخالد الذى فرض وجوده فرضاً على الآداب العالمية منذ قرون طويلة خلت . . عن طريق الرواية الشفوية أول الأمر ـ منذ القرن الثانى عشر الميلادى على وجه التقريب ـ شأنه فى ذلك شأن أى موضوع ابداعى شعبى أصيل . . ثم عن طريق التدوين والترجمة آخر الأمر بعد أن ظهرت ترجمته الفرنسية لـ «انطوان جالان» سنة ١٧٠٤م وقد لاقت هذه الترجمة نجاحاً خارج فرنسا.

ففى سنة ١٧١٣م أى بعد تسع سنوات من بدء الترجمة الفرنسية كانت تلك الترجمة تطبع للمرة الرابعة فى انجلترا . . وهى الترجمة التى منحت «ألف ليلة وليلة» اسمها المعروف فى الغرب «بالليالى العربية» .

وما لبثت «ألف ليلة وليلة» إثر هاتين الترجمتين أن أثارت فى أوروبا موجة إعجاب شعبى منقطع النظير أثارت بدورها اهتمام كبار الفنانين والأدباء والمفكرين . . الأمر الذى دفع المصنفين والباحثين الى وضعها ضمن شوامخ ابداعات البشرية قاطبة . . وتلهفت عليها دور النشر العالمية تستحث المترجمين وتلهث وراء المنقبين عن (الليالى) بشكل فاق كل الآثار الفنية الخالدة آنذاك ـ حتى لقد طبعت فى القرن الماضى وحده اكثر من ثلاثمائة مرة على الرغم من صعوبة الطباعة وارتفاع تكاليفها.

وظلت هذه الترجمات تتوالى بعد ذلك فى اوروبا وغيرها بكل اللغات العالمية حتى ندر أن تجد لغة عالمية حية تخلو من ترجمة لليالى العربية بل أصبح حصر مخطوطات الليالى وترجمتها وطبعاتها عملاً قائماً بذاته يشغل بال الباحثين.

واذا كان القرن الثامن عشر هو عصر الترجمة والانتشار والذيوع لليالى العربية فأن القرن التاسع عشر الميلادى كان عصر الدراسات الأدبية والأكاديمية ـ مثلما كان عصر الاستلهام الفنى لألف ليلة وليلة . . حيث كتب عنها مئات الدراسات والبحوث والاطروحات . . وحيث رأى فيها كبار الفنانين مصدرا ثرا من مصادر الاستلهام فى الفنون التشكيلية والقولية والسمعية والحركية . . وبذلك تكون (الف ليلة وليلة)



اعظم أثر فنى عربى ترك بصماته وآثاره على الفنون العالمية او على أصحابها بصورة مباشرة او غير مباشرة

●● وكان من عمق تأثير حكايات (الف ليلة وليلة) فى الشرق والغرب أن حورت بعض حكاياتها فرويت بأساليب أخرى أو أساليب متشابهة ونسجت على منوالها مئات القصص المبتكرة حتى لقد صعب التمييز بدون درس وتدقيق بين أصلها وبين المقتبس منها أو الموضوع على غرارها.

●● ومن بين القصص التى جمعت بين الاصل المقتبس من «الف ليلة وليلة» وبين القصص الموضوعة على غرارها ـ قصة عربية تعرف باسم (ألف نهار ونهار) أو (مائة ليلة وليلة) التى ضاع أصلها العربى ولم يعثر عليها أحد ولم يبق منها الا نسخة باللغة الفرنسية كان المسيو «سنت كرواباجو» قد قام بترجمتها من العربية منذ قرون عدة

●● ويذكر ان العلامة الراحل الدكتور مصطفى جواد قام بترجمة هذه المجموعة من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية وقدمها خصيصا لجريدة «الهاتف» ونشرها تباعا فى هذه الجريدة. وقد احتجبت الجريدة عن الصدور قبل ان يتم الدكتور جواد ترجمة المجموعة

●● وقد نقل لنا المترجم فقرات مما ورد فى مقدمة النسخة الفرنسية من حقيقة «مائة ليلة وليلة» او «الف نهار ونهار» الضائعة.. وما احتوت عليه من تشابه واختلاف فى قصصها وقصص ألف ليلة وليلة ـ حيث قال:

■ «***جاء فى أثناء تقديم الكتاب: قال البارون سلفيستر دى ساسى فى بحثه عن اصل ألف ليلة وليلة انه يفضل على المباحث الخالية من الفائدة والاشارات والاستدلالات التائهة***».

وقد ظفر المستشرق الفرنسى المسيو «سنت كرواباجو» على مخطوطة «مائة ليلة وليلة» وحملها الى فرنسا حيث اعطاها اياه الشيخ (رفاعة أفندى) مدير مدرسة اللغات فى القاهرة.. وذكر له انها كانت محفوظة عند اسرته منذ دهر طويل.. وهى مكتوبة على الرق وعنوانها «مائة ليلة وليلة».. واطار هذا الجزء كاطار الف اليلة وليلة ولكن محتوياته من قصص «الف ليلة وليلة».

● **ان المسيو سنت كرواباجو ترجم هذه المخطوطة المغربية المكتوبة منذ عدة قرون وبين هذه الجمهرة من الحكايات المجهولة يجد الباحث عدة قصص من قصص ألف ليلة وليلة**

وقد بذل «البارون دى ساسى» كل مجهوده فى تصوير «الف نهار ونهار» . . وقد تضافر على الرسم أشهر مشاهير الرسامين فى فرنسا والبلاد الاخرى . . ولم يدخر وسعا فى جعل الرسوم والورق والطبع وافية بكل المواد وحسب المتمنى .

واذا كان الكتاب المشرقى «الف ليلة وليلة» قد لفت انتباه المطابع العربية كما أثار اهتمام الدارسين العرب انفسهم بعد ذلك فان الكتاب المغربى «مائة ليلة وليلة» قد بقى مجهولا ولم ينشر بنصه العربى الا فى عام ١٩٧٩م فى تونس ـ عندما قام باحث جليل هو الاستاذ محمود طرشونة ـ الاستاذ بكلية الآداب بتونس ـ بتحقيق هذا الكتاب ونشره ممهدا لتحقيق الكتاب بدراسة علمية قيمة عن فنية الحكاية الشعبية وانواعها ووظائفها .

لقد اعتمد الاستاذ طرشونة فى تحقيقه للكتاب المغربى «مائة ليلة وليلة» الذى يعود زمن تأليفه الى القرن الرابع الهجرى على خمس مخطوطات عربية عثر على ثلاثة منها فى المكتبة الوطنية بباريس . . واثنين فى المكتبة الوطنية بتونس ـ متخذا من النسخة التى تحمل رقم ٣٦٦٢ ـ المكتبة الوطنية بباريس ـ النسخة (الأم) على اعتبار أنها الأقدم تاريخا من سائر النسخ الخمس اذ أثبت فى آخرها «صفر ـ ١١١٠ مارس ١٧٧٦» .

●● وتجدر الاشارة الى ان الاستاذ الباحث قد وجد بعض الاختلافات بين النسخ وهو أمر طبيعى جداً فى الليالى عموما . من هذه الاختلافات ان بعض النسخ التى تضم بين دفتيها قصصاً وحكايات أخرى فيها قسم يشترك مع ألف ليلة وليلة وهذا يعنى انه طبع معها . وقسم جديد ليس مشتركا مع ألف ليلة وليلة ولكنه مستمد من التراث الشعبى العربى ـ فحرص على نشره فى نهاية الكتاب المغربى تحت عنوان (ملحق الحكايات التى انفردت بها بعض النسخ) . وبذلك اضاف الاستاذ الباحث نصوصاً اخرى لحكايات شعبية جديدة جديرة بالدراسة الفنية .

والكتاب المغربى يحتوى على ثمانى عشرة حكاية مقسمة الى ليال مرقمة من (١) الى (١٠١) وكلها جميعا مكتوبة بخط مغربى ليس من بينها الا حكايتان موجودتان فى الف ليلة وليلة هما (حديث الفرس الأبنوس) . . و(حديث ابن الملك والوزراء السبعة) . . وهو كتاب مجهول المؤلف . . ولغته تتفاوت بين الفصيحة والدارجة وان غلبت عليه اللغة المتفاصحة (اى اللغة الثالثة) كما اصطلح عليها الباحثون فى التراث الشعبى .

ويرى الاستاذ طرشونة : ان هذا الاتفاق لا يدل على ان كتاب مائة ليلة وليلة أخذهما ـ اى الحكايتين ـ عن كتاب الف ليلة وليلة وانما استقى الكتابان نفس المنبع الهندى الذى يعد أصلا من اصول الكتابين معا ومصدرا مشتركا بينهما ـ الى جانب الحكاية الاطارية التى استُهلّ بها الكتابان معا بطبيعة الحال

●● اما النتائج التى انتهى اليها المحقق عند دراسته لأصول كتاب «مائة ليلة وليلة» ومصادره فيمكن اجمالها فى الآتى :

(١) ان الكتاب ذو أصول هندية انتقلت الى العربية عن طريق الفارسية . . وان له مصادر عربية متفرقة صاغها الرواة المغاربة ثم البربر .

(٢) ان كتاب «مائة ليلة وليلة» أقرب الى الاصول الهندية من كتاب «الف ليلة وليلة» وبالتالى فهو سابق له وقد يكون مرحلة فى تطور عدد لياليه .

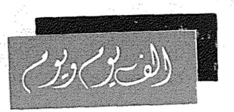
(٣) ان الحكايات التى اشترك فيها الكتابان مستقاة من نفس الاصل .

(٤) ان كتاب مائة ليلة وليلة لعب دور الوسيط المغربى بين الآداب الشرقية والآداب الأوربية قبل ان يقوم (انطوان جالان) بترجمته الشهيرة لألف ليلة وليلة الى الفرنسية .

وتأكيدا لهذا القول نقول إن الاستاذ باسيه Basset ظفر بكتاب «مائة ليلة وليلة» فاشار الى مقدمته فى مقال له فى مجلة Traditions Populaire

فلفت نظر الاستاذ «دومبين» فترجم الكتاب الى الفرنسية وعلق على كثير من نقطه اثناء الترجمة
Les Cent et une Nuits-Demombyn es-Paris

تبقى ملاحظة أخيرة تتعلق بكتاب «مائة ليلة وليلة» وهى انه يخضع فى تأليفه لظروف تأريخية وحضارية مماثلة لتلك التى تكامل فيها كتاب «الف ليلة وليلة» ومن ثم لا غرو ان يتشابه كلاهما فى كونهما سجلا حافلا لحياة المجتمع العربى والاسلامى ولحياة العامة وواقعها ونمط تفكيرها ومعاييرها الاخلاقية



صدر فى باريس ابتداء من سنة ١٧١٤ إثر ترجمة (غالان) لألف ليلة وليلة ونتيجة لها ترجمة لمجموعة من الحكايات حملت عنوان (الف يوم ويوم) نقلت من اللغة الفارسية بقلم «بيتس دى لا كرواه» وهى غير حكاية (ألف نهار ونهار).

ويذكر أن آراء الباحثين تختلف فيما يخص أصل هذا الكتاب خاصة أن المخطوطة التى قيل ان «دى لاكرواه» استخدمها لترجمته المزعومة ـ لم تصل الينا ـ مما جعل أغلب الباحثين يشكون فى أصالة هذه الترجمة.

وفى الفترة الواقعة بين عامى ١٧٥٧ـ١٧٦٢م صدرت فى البندقية أربعة أجزاء من حكايات (الف ليلة وليلة) وحكايات (الف يوم ويوم) على أصلى المجموعتين باللغة الايطالية.. وقد ضم الجزءان الاولان حكايات من مجموعة (الف ليلة وليلة) بينما ضم الجزءان الأخيران حكايات من مجموعة (الف يوم ويوم). ثم صدرت المجموعة ابتداءاً بطبعتها الثالثة فى ثلاثة اجزاء فقط وضم اولها حكايات الليالى التاسعة والثمانين الاولى ـ اى بما فيها رحلة سندباد البحرى الاخيرة حسب ترجمة (غالان) بينما ضم الجزءان الأخران حكايات من مجموعة (الف يوم ويوم).

وتجدر الاشارة كذلك الى ان بعض الباحثين يعتبرون ان الترجمة اليونانية صدرت فى البداية بثلاثة اجزاء وقد احتفظ المترجم اليونانى (بوليزويس لا مبانيتسيوتس) الذى عاش فترة لدى قصر أحد الامراء الرومانيين ـ احتفظ بالقصة الافتتاحية من مجموعة (الف ليلة وليلة) وشطب مقدمة (الف يوم ويوم) التى وضعها (بيتيس دى لا كرواه) والتى كانت لا تتناسب مع مقدمة مجموعة (الف ليلة وليلة).. ثم استغنى عن التقسيم الى ليالى وبالتالى الى أيام.. وبدل اسمى بطلتى المجموعتين ـ اى (سوتلميمة) بطلة مجموعة (الف يوم ويوم) و(شهرزاد) بطلة مجموعة (الف ليلة وليلة) باسم (حليمة).. وأخيرا احتفظ بعنوان (الف ليلة وليلة) لترجمته.

وفى عام ١٧٨٣م قام (روفائيل) رئيس رهبان دير (هوريزو) الرومانى بأول ترجمة للأصل اليونانى (المخطوطة) رقم ٢٥٨٧ فى مكتبة (أكاديمية جمهورية رومانيا).

●● ولقد انطلقت هذه الترجمة من الاصل اليونانى الصادر بالبندقية فى ثلاثة اجزاء بعنوان (ارابيكون ميثولوجيكون) اى (قصص عربية).

●● وتم اكتشاف بعض النسخ لهذه المخطوطة الرومانية التى انتشرت منذ البداية تحت عنوان (حليمة) هذا العنوان الذى اصبحت قصص مجموعة (الف ليلة وليلة) معروفة به حتى القرن العشرين الميلادى.

والحقيقة ان هذا العنوان حمله عام ١٧٨٢م الجزء الثالث لترجمة رومانية انطلقت من نفس الأصل اليونانى فبقى مؤلف هذه الترجمة مجهولا رغم أنه أشار الى أنه ترجم مجموعة الف ليلة وليلة بكاملها الى اللغات الرومانية.

أما ترجمة (روفائيل) فانها احتفظت بتقسيم الأصل اليونانى الى ثلاثة أجزاء وتحتوى على اثنين وعشرين قصة من مجموعة ألف ليلة وليلة.

الجزء الاول: خمسة واربعون قصة.

الجزء الثانى والجزء الثالث: مرتبة حسب ترتيب الاصل اليونانى

عبدالمجيد السامرائى

مظاهر الحضارة المعمار
في
شعر



الأندلس ..
مركز الإشعاع الحضاري الإسلامي على
مدى ثمانية قرون .. الأندلس بلاد
الطبيعة والفنون .. ابن زيدون
شاعرها وكاتبها .. كيف صور بشعره
مظاهر الحضارة المعمارية والفنون ..
اطلالة على الأندلس يقدمها لنا
هذا البحث المتابع ..

(٢)

أشهر معالم الآثار المعمارية التى عايشها ابن زيدون:(١)

مسجد قرطبة الجامع

يعتبر مسجد قرطبة الجامع الذى وضع أساسه الأول الأمير عبد الرحمن الداخل عام ١٧٠هـ وتعهده خلفاؤه بالتوسعة والزيادة والتعمير الى أيام المنصور بن أبى عامر ٣٧٧هـ أكبر مسجد جامع قائم فى الاسلام وثالث المساجد الكبرى مساحة، وأكثر المساجد قاطبة أهمية معمارية وفخامة زخرفية وأحفلها تاريخاً وأصدق وثيقة تنطق بتاريخ دولة بأسرها بحيث لم يخلد أثر من آثار المسلمين فى كتب التاريخ كما خُلِّد المسجد الجامع بقرطبة. وكان المسجد موضع تعظيم أهل الأندلس لأن بعض التابعين تولى تأسيسه وتقويم محرابه. وقد شمخت عمارته وتنوعت زخرفته بالتلوين المدهون والمنقوش فى الجص والمحفور فى الرخام فضلا عن الزليج المذهب بقبة المحراب. ذكره ابن عذارى والحميرى والمقرى والكثيرون وأسماه المراكشى بالجامع الأعظم وكذلك ابن بشكوال وابن الخطيب ووصفه الادريسى بأنه ليس بمساجد المسلمين مثله بنية وتنميقا وطولا وعرضا وقال الحميرى بأنه الجامع الشائع ذكره من أجلّ مصانع الدنيا كبر مساحة وإحكام صنعة وجمال هيئة وإتقان بنية.. يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف(٢)

ويقول جوميث مورينو فى وصفه لمسجد قرطبة الجامع أنه (بفضل قيمته الذاتية يعتبر المسجد الوحيد المؤسس فى اسبانيا من وحى الروح المبدعة المتفقة مع الطبيعة والتى يحاكيها الانسان بكفاية تامة فللتاريخ والفن أن يسعدا به إذ لو كان قد دُمّر لأحدث فراغا لا سبيل الى سدّه فقد احتل بين الآثار الاسبانية المكان



...ة والفنــون

ابن زيدون

السامى ويصور عصور الازدهار الاسبانى التى ظل ينطلق اشعاعها من الأراضى الاسلامية الى أن تمركز فى افريقية على عهد الموحدين)(٣) وقد بلغ من اجلال أهل الاندلس وتعظيمهم لمسجدهم الجامع أن جعلوه محجاً ومزارا وبذلك نظم ابن المثنى شاعر عبد الرحمن الأوسط أبياته التالية :

بنـيْـتَ لله خيرَ بيـت
يخرسُ عن وصفـه الأنـامُ
حُجّ إلـيـه بكـل أوبٍ
كأنّـه المسجـدُ الحـرامُ
كأنَّ محرابـه اذا ما
حُفَّ به الـركنُ والمقـامُ

مسجد العدبس

وقد كانت الأندلس غنية بمساجدها فى القرنين الثانى والثالث غير أن معظمها اندثر ومع هذا فقد ظلت الأنـدلس غنيـة بالمساجد المبكرة. ففيما عدا جامع قرطبة تعرف اشبيلية جامع العَدَبْس المنسوب الى القـاضى بن عدبس متولى قضاء اشبيلية على عهد عبد الرحمن بن الحكم (وكان القاضى ابتناه عام أربعـة عشـر ومئتين للهجـرة. . ووجد الناس فى السارية التى فى البلاط الثانى من جهة الشرق المقابل لمحراب الجامع مكتوبا بخط قديم : (**رحم الله الامام عبد الرحمن بن الحكم الأمير العدل المهتدى الآمر ببناء هذا المسجد على يدى عمر بن عدبس قاضى اشبيليـة سنـة أربـع عشـر ومائتين**)(٤) وقد ارتفعت الخطبـة والجمعـه منـه عن تمام بنـاء الجـامع الكبير باشبيلية على يد الموحدين عام ٥٧٧ هجرية(٥). وقد ظل المؤمنون متعلقين أشد التعلق بحامع ابن عدبس نظرا لما له من تاريخ يذكر(٦).

د. عثمان عثمان اسماعيل
عضو اتحاد المؤرخين العرب
استاذ التاريخ والآثار جامعة محمد الخامس

جامع باب المردوم

ولا تزال الى اليوم كنيسة قائمة فى طليطلة باسم كنيسـة الكريستودى لالوث (EL Cristo de la luz)

وأصلها جامع باب المردوم وتحمل واجهته الحالية نقشا تأسيسيا خط بالآجر ويرجع بناء هذا المسجد الى عام ٣٩٠هـ/٩٩٩م وقد أسسه موسى بن على فى عصر الفتح الحضارى والمعمارى للخلافة الاسلامية باسبانيا. ويحتل هذا المسجد على صغر مساحته مكانا ممتازا لرشاقته وباعتباره أنموذجا احتذاه فن المدجنين الذى تلا ذلك فى قشتالة. ومن هذا الوجه لا يعد أقل من جامع قرطبة أهمية من حيث اشعاع التأثيرات الفنية منه(٧).

المدن والمنيات والقصور

وقد سبقنا ذكر أشهر المساجد لجلالها على ان العمارة الاسلامية بالأندلس شملت أولا المدن الاسلامية والمنيات والقصور التى لا تخلو كذلك من مساجد ثم الجسور والأسوار والقلاع والحصون وقد احتلت العمارة الاسلامية المدنية مكانا بارزاً فى تاريخ الحضارة الاسبانية الى اليوم مثل قرطبة(٨) ذاتها مسقط رأس شاعرنا ابن زيدون وعاصمة الحضارة فى العصر الوسيط. ومنية الرصافة وغيرها من المنيات ومدينة الزهراء والزاهرة. وقد بنى عبد الرحمن الداخل منية الرصافة شمالى قرطبة لنزهته وسكناه أغلب أوقاته.

مدينة الزهراء ملهمة ابن زيدون

وبنى الناصر مدينة الزهراء غرب قرطبة على سفح جبل العروس شمالى نهر الوادى الكبير بعد اتخاذه لقب الخلافة وشرع فى البناء عام ٣٢٥هـ وأتمها الحكم المستنصر بعد أن اشترك فى ابداعها فنانون من بغداد والقسطنطينية ودمشق والاسكندرية والمغرب والأندلس. ولم يبخل الناصر بجهد أو مال فى سبيل عمارتها وزخرفتها والاحتفال الشديد بعظمة قصريها الخلافة والمؤنس وإثرائها بنادر الفراش ونفيس الأثاث وشتى ألوان التحف وأغرب انواع المقتنيات وبالجملة أصبحت الزهراء بقصورها ومحتوياتها مشتملة على أروع ما تمخض عنه ذلك العصر. وصفها الادريسى بما اشتملت عليه من قصور وبساتين وروضات وذكر الجامع والديار(٩).

وقال المقرى أنها (قصر قد أطبق الناس على أنه لم يبن مثله فى الاسلام، وقطع من دخله من ملك ورسول وتاجر أنه لم ير شبها له ولم يسمع به، فقد كان أعجب ما يؤمله القاطع الى الأندلس فى تلك العصور النظر اليه والتحدث عنه)(١٠). والزهراء هذه هى مرتع الصبا الذى عاشه الشاعر ابن زيدون، وموطن الأنس الذى استلهم أشعاره من طبيعته وتنقل بين قبابه وعرصات قصوره كقصر الخلافة وقصر المؤنس. وقد شيد الحاجب المنصور بن أبى عامر مدينة الزاهرة عام ٣٦٨هـ شرقى قرطبة وأقام فيها القصور وبنى الأسواق وجعلها الأثر الذى أراد به المنصور تخليد ذكره(١١).

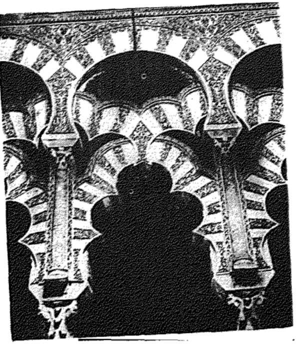
القصور

كانت الأندلس على عصر ابن زيدون مرصعة بعدد من القصور التى فاق وصفها الخيال وكان

الأمراء والخلفاء قد تعودوا اقامة قصور الحكم بجوار المساجد الجامعة ويطلقون عليها اسم (دور الامارة) بينما يتلمسون الراحة فى قصور اللهو بعيدا عن الحاضرة للاستغراق فى الترف. وكانت تلك القصور تتخذ مظهراً عمرانياً شبيهاً بالمدن الصغيرة باشتمالها على قصور الأمير والحاشية والمتنزهات ومجال الوحش ومسارح(١٢) الطيور مظللة بالشباك والأسواق والحمامات والفنادق ودور الصناعة.

●● وكان عبد الرحمن الناصر كلفا بعمارة القصور عملا بقوله:

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها
من بعدهم فبالسن البنيان
أو ما ترى الهرمين كم بقيا وكم
ملك محاه حوادث الأزمان؟
إن البناء اذا تعاظم شأنه
أضحى يدل على عظيم الشأن



العقود المفصصة والمتراكبة والاعمدة المتصاعدة بجامع قرطبة

وهكذا شيد الأمويّون قصر الدمشق بقرطبة، شيدوه بالصفاح والعُمُد وأبدعوا بناءه وتنسيق ساحاته وتنميق فنائه تقليدا لقصرهم بالمشرق. وكان قصر الخلافة بالزهراء فيما رواه المؤرخون تقوم جدرانه وسقفه على الرخام الملون الصافى وقد غشيت قراميده بالذهب والفضة وانعقدت حنايا مداخله بالعاج والأبنوس المرصع بالذهب والجوهر فوق سوار من الرخام الملون والبلور الصخرى ويتوسطه صهريج مملوء بالزئبق اذا تحرك بأمر الناصر يظهر كلمعان البرق فيخيل للجالس أن المكان طار من موضعه. وكثرت بتلك القصور الأحواض الرخامية المنقوشة فقد كان بقصر المؤنس حوض رخامى منقوش بصور آدمية وحيوانية مذهبة واثنى عشر تمثالا من الذهب الأحمر وكان من أشهر آثار ذلك العصر قصر المأمون بن ذى النون بطليطلة المشيد عام ٤٥٥ هجرية، وصف المقرى بوسطه بحيرة فى وسطها قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب ينساب الماء على رأسها بتدبير محكم ويحيط بجوانبها فتبدو القبة فى غلالة ماء منسكب يجلس المأمون وسطها وحوله الشموع متقدة(١٣).. وكان المقتدر بالله أشهر ملوك بنى تجيب يسمى قصر الجعفرية المنسوب إلى اسمه بسراقسطة بمجلس الذهب ويقول فيه:

قصر السرور ومجلس الذهب
بكما بلغتُ نهاية الأرب
لو لم يحز ملكى خلافكما
كانت لدى كفاية الطلب

وكان يُسمى قصر السرور أو قصر الذهب عن حق. فلقد كانت روائعه على حد تعبير جوميث

مورينـو دون خلف كما لم يكن لها سلف(١٤) . وقـد خلَّف بنو زيرى قصر باديس بغرناطة ٤٠٤هـ وكان يسمى بيت الديك لاعتلاء ديك برنزى لأحد أبراجه فوقه صورة رجل يحمل درعه ودرقته إشارة الى التزام الحذر. كما ابتنى بنو حمود قصرا بقصبة مالقة شيده غالبـا الامـير يحيى بن على فى منتصف القـرن الخامس(١٥) . ويكفينا ان كلمة AL CAZAR (١٦) العـربيـة الأصل لازالت تطلق فى اسبانيا المسيحية على القصور الملوكية الاسلامية واطلالها.

الجسور والحصون

وكان من أشهر المعالم المعمارية المدنية جسر قرطب وقنطـرة طليطلة(١٧). ومن الحصون العربية المعروف باسبـانيـا على عصـر ابن زيدون قصبة مالقة التى شيدها الملك باديس أواسط القرن الخامس. وكانت المرية الثغر الكبير للأندلس موضع اهتمام وعناية عبد الرحمن الناصر تصنع فيها السفن لأساطيله البحرية وكانت زاهرة على عصر ملوك الطوائف فى ظل أمراء بنى صمادح الذين أسسوا قصبتها ذات القصر الكبير(١٨) .

(١) سوف لا يدخـل فى ذلـك العـرض شىء من آثـار الانـدلس الاسلامية التى ترجع الى ما بعد وقعة الزلاقة أو التى أرسيت قواعدها بعد تاريخ وفاة ابن زيدون.

(٢) عن تاريخ وعمارة وزخرفة جامع قرطبة راجع:

دكتور احمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ص ٢٤٢/ ٢٤٨

دكتور سيد سالم: المساجد والقصور ابتداء من ص ١١ وكذلك تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس وتاريخ قرطبة.

جوميث مورينو: الفن الاسلامى فى اسبانيا ويشغل المسجد قسما كبيرا من الكتاب.

عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية.

(٣) جوميث مورينو: الفن الاسلامى فى اسبانيا ص ١٦ وما بعدها الطبعة المعربة.

(٤) عبـد الملك بن صاحب الصـلاة: تاريخ المن بالامامة نشر عبد الهادى التازى ص ٤٨٠

(٥) نفس المصدر ص ٤٧٩و٤٨٠

(٦) نفس المصدر ص ٤٧٥ هامش رقم ١ تعليق المحقق دكتور عبد الهادى التازى.

(٧) جوميث مورينـو: الفن الاسـلامى فى اسبانيا ص ٢٣٧/ ٢٤٦ وانظر الآثار الأندلسية الباقية لعبد الله عنان ص ٢٨

(٨) عن قرطبة راجع: الآثار الأندلسية الباقية لعبد الله عنان وتاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس للدكتور سيد سالم وكتابه عن قرطبة.

(٩) انظر مدينة الزهراء فى الآثار الأندلسية الباقية ص ٣٥/ ٤٤ ونزهة المشتـاق ص ٢١٢ وعن الزهراء تاريخها وتخطيطها وعمارتها ونقوشها راجع هنرى تيراس: الفن الاسلامى المغربى نفس الطبعة الفرنـ صفحات ٧٧/ ٨٢/ ٨٥

(١٠) النفح ج٥ ص ٥٦

(١١) جوميث مورينو: الفن الاسلامى ص ١١٣

(١٢) دكتور سيد سالم: المساجد والقصور بالاندلس ص٧٦

(١٣) النفـح ج٢ ص٢٨٣/ ٢٨٤ وعن قصر المامون راجع المساج والقصور ص ٨٧/ ٩٢

(١٤) جوميث مورينـو: الفن الاسلامى ص٢٦٢ والآثار الأندلسـ الباقية ص٢٠٥ والمساجد والقصور ص٩٣/ ٩٤ وانظر جورج مارسـ فى العمارة الاسلامية المغربية ص٢١٢ حيث يقول (ويجب نسبة قصـ الجعفـريـة بسـراقسطـة الى أبى جعفر أحمد المقتدر من أسرة هود. ويعرف القصر بقصر السرور وقد أكملت أبحاث الأثريين الاسبا النقص فى المعلومات التى كانت معروفة عنه.

ولمعرفة مزيد من المعلومات عن القصر المذكور فيما يخص وصـ بقايا القصر وتخطيطه راجع:

Gascon de Gotor, ap. Museum, I912-20, VI, num.3

(١٥) دكتـور سيـد سالم: المساجد والقصور ص ٩٨/ ١٠٢ ويشير جورج مارسى فى كتابه عن العمارة الاسلامية العربية ص٢١٣ الى بقـايـا قصـر بقصبـة مالقة يمكن نسبته الى الملك باديس من أمراء الزيريين فيما بين ١٠٥٣/ ١٠٦٣م.

(١٦) عبد الله عنان: الآثار الأندلسية ص٥٧

(١٧) راجع الوصف عند جوميث مورينو فى الفن الاسلامى

(١٨) عن الحصـون الأنـدلسية الاسلامية راجع جوميث مورينو فى الفن الاسـلامى ص ٢٠٥/ ٢١٠ ثم ٣١٦/ ٣١٧ وانظـر الآثـار الأندلسية لعبد الله عنان ص ٢٦٦.

المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

قصائد العدد

العدد التاسع والعشرون صفر ١٤٠٧هـ

المشرف

محمود عارف



فريد أبو سعدة

كيف تولد القصيدة . . كيف يتحول هذا السديم المتوهج إلى شمس دهشة ومدهشة . . وكيف تأخذ هذه الشمس سمتـا ومداراً . . من أين يأتى الشعر . . والى أين . . متى . . وكيف . . قد تكون مهمتنا هى طرح الأسئلة . . وليست الاجابة . . نظريات كثيرة تحاول اقتناص الشعر . . ولكن هل امسكتْ بهذا الوعل البرىّ الجميل . . هل فكت معـادلاته الكيميائية . . وحلت رموزه المخفيّة . . وامكن لهذه النظريات أن تعيد انتاجه . .

لقد مرّت ازمان طويلة . . ونحن نركب هذا الحصان الجميل / الشعر. (نُطعمه ونغسله ونجلوه ونكافئه بقطعة من السكر) مرت ازمان طويلة . . وحصان الشعر موظف عند القبيلة.

● نعم تعاملنا مع الحصان الجميل / الشعر كما نتعامل مع الجمـل . . فهو جميل طالما هو نافع ولكن هل الفراشات التى تُبهرنا بألوانها تقصد ذلك.

كان الشعر (فى القديم) ديوان العرب . . صحافتهم المعتمـدة على الذاكرة . . (فيه أخبارهم . . حروبهم . . حكمتهم . . تأملاتهم . . كل شىء . .) وكان ميلاد شاعـر نابـغ فى قبيلة يُقَابل بنفس الأهمي التى تواكب ميلاد صحيفة جديدة قوية. ولكن فى زماننا هذا . . هل يمكن مقارنة الشاعر بالصحيفة اليومية . . هل يمكن ان تكون هناك مقارنة بين الشعر كوسيلة للمعرفة واداة تواصل تعتمد على المنطق والأعراف وبين وكالات الانباء التى حزمت العالم كربطة واحدة من القش . . لا . . لقد سرقت الصحيفة من الشعـر هذا الدور وسرق الكتاب دوراً آخر وسرقت الفنـون أدواراً اخـرى . . لقـد اصبحت حمولـة الحصان الجميـل / الشعر نهباً لهذه التقنيات . . نهباً لمستحدثات عصـور التـدوين والتسجيـل والكمبيـوتر . . ولم يبق الا الحصـان الجميل . . بجماله الذاتى . . (دون وساطة من فهم أو منطق يصبح امام المنافسين باهتا وساذجاً) لم يعد غير الحصان الجميل / الشعر فى انطلاقته كسحابة خضراء تنـدى اعـماقنا المحترقة . . لم يعد سواه وان ظلّ واقراً فى البعض منا النزعة النفعية رغم انتفاء الضرورة.

● إن غاية الشعر ان يعيد صياغة وجدان الانسان . . ان يرتفع بذوقه وتذوقه . . أن يسمو بجمالياته ويكسر قوقعة العادى والمألوف واليومى . . أن يجدد حيوية الانسان فيرى

فى العادى شيئاً مبهراً نادراً ومدهشاً. . كما قال شوبنهاور عندما وصف الفلسفة بأنها (الدهشة امام العادى والمألوف).

مقاربة لقصائد العدد الماضى

الملفت فى قصائد العدد الماضى هو غلبة الشعراء الدكاترة على الآخرين. . حيث نجد نسبتهم أربعة الى ثلاثة فهناك قصيدة (دين وقرآن) د. ممدوح حقى، (نفير الصحف للشرف المستباح) د. عاتكة الخزرجى (الى الذين خدعتهم المعاصرة) د. ابراهيم السامرائى (الى شاعر) ود. نور الدين صمود. . وذلك فى مقابل الشعراء الذين لا يحملون لقب دكتور. وهم أحمد سالم باعطب (الجرح ينزف علقماً) على أحمد النعمى (الوجه المتعدد) وعبد السلام هاشم حافظ (فتنة يقظى). واذا كانت قصائد الدكتورة عاتكة الخزرجى والدكتور ابراهيم السامرائى مناضلة فى الهمّ اليومى على ساحة الشعر. . أقصد مناضلة ضد الحداثة فاننى ارى ان القضية لم تحسم نقدياً ولن تحسم الا بمشاركة القارىء المتذوق للشعر. . اى انها تحسم تاريخياً.

● يبقى من شعر الدكاترة قصيدة (دين وقرآن) وهى قصيدة رصينة ومتينة الحبك. . قدّم لها الشاعر المتمكن بوصف لنيسان يصل الى حوالى ثلث القصيدة طولا وهو ماهيأ الوجدان لتقبلها كقصيدة مستقلة. . ثمة ملاحظات لا توهن من قوة القصيدة او سلاستها ولكنها تبقى على اى حال كالنَّمش فى وجه جميل.

جرت تهافتُ من بين الصخور كما
تدفقت فى مجالى السبق فرسان
وبيع بالقمة الجشباء عرضهم
يا ويح يعرب ان العرب قد هانوا
سان مالم تعد بالحق توجّه
نصر العروبة اخطاك عنوانُ

فنلاحظ ان (مجالى) صحتها (مجال) لاستقامة الوزن وان هناك كلمة مثل (قد) يجب ان توضع قبل (أخطاك) كما أننى لا أفهم معنى لكلمة الجشباء صفة (للقمة) واظن صحتها (اللقمة) اما قصيدة (الى شاعر) للدكتور نور الدين صمود فانها تقف وحدها فى سلاستها وتدفق موسيقاها وعذوبة قوافيها بالاضافة الى وحدة الانطباع الذى تنحته فى وجداننا واحتفالها بالصور الشعرية الرقيقة.

أما الشعراء الذين لا يحملون لقب دكتور فأولهم أحمد سالم باعطب فى قصيدته «الجرح ينزف علقماً» وهى قصيدة جيدة تتدفق حماسة من خلال خواطر المجاهد ويقينه بالنصر القادم حتى وان رآه كمسلم من خلال الشهادة ولى ملحوظة حول ما قد تجره هموم القافية من كلمات أو معان غير مناسبة للقصيدة مثل:

لا تركى يأس الشعوب يدب ينحر معطفى
انى رأيت الوحش يأكل من حقول تعففى

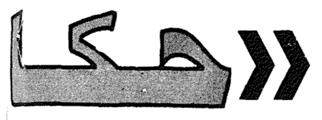
وفى قصيدة (الوجه المتعدد) لعلى أحمد النعمى يطالعنا مجال آخر للتشكيل الشعرى. . فهى تقف متفردة بين قصائد العدد من حيث الدراما وامكانات الشاعر فى القصّ والتمثيل والحوار. . وربما كانت هذه القدرة لدى الشاعر مقدمة لكتابة المسرحية الشعرية فى المستقبل القريب وبرغم تسلل النثرية فى بعض الأحيان مثل (ولدتها استغلال سوء الظروف)، (بازلاً معروفى)، (ام أنت كالملقوف) برغم هذه النثرية وبرغم خلو القصيدة من الصور الشعرية المبهرة الا ان القصيدة نجحت فى تصوير الحدث وبرعت فى ادارة الحوار بين الشاعر وهذا الوجه المتعدد الأقنعة.

(فتنة يقظى) غزلية رقيقة لعبد السلام هاشم حافظ تمتلىء بالصور الشعرية والايقاع والجرس العذب وان كنت لا أفهم:

(ولكنك اليوم فى قمتك
كمهاة للعابرين السناء)

وبها خطأ أفسد الوزن والمعنى معاً.

●● هذه مقاربة سريعة لقصائد العدد الماضى ربما تلونت بذوقى الشخصى وهذا مالا اعتذر عنه.





قالتْ له وهي تبكي.. إنني امْرَأةٌ سما بها الحُسْنُ للأفلاكِ والشُهبِ!
وآزَرَ الحُسْنُ ريّاناً به جَسَدي ثَقافةٌ تزْدري بالمالِ والحسبِ
لا. بل أنا وَرْدَةٌ في الرَّوْضِ نافِحةٌ بالعِطْرِ تَشْفيكَ مِن هَمٍّ ومن وَصَبِ!
فإنْ رضيتُ فإنى الحُبُّ مُرْتَوِياً مِن الرَّحيقِ.. ومَعْصُوماً من السَّغَبِ!
وإنْ غضبتُ فإنى الحُبُّ مُلْتَهِباً فلَيْس يَسْلَمُ مَفْتونٌ من اللَّهبِ..!
لقد عرفْتُك فاسْتَشْرَفْتُ نافِذَةً لِلْحُبِّ حافِلةً بالعِلم والأدَبِ!
متى أراكَ؟! فما في الرَّبْعِ من رَجُلٍ إلّاكَ يَنْأى عَن الفِرْدَوْسِ لِلْكُتُبِ؟!
إنّي حَبَبْتُكَ حُبّاً ظلَّ يَفْرِضُهُ عَلَيَّ قَلْبي فيُدْنيني من العطَبِ..!

• • •

وفكّرَ وَاسْتأنى. وكانَ عن الهوى عَزُوفاً وقَدْ أشقاهُ حِيناً من الدَّهْرِ!
ولم يَسْتَجِبْ لكنّها لم تَدَعْ له سَبيلاً إلى أن يَسْتَطيلَ على السِّحْرِ!
فَطارَدَهُ منها التوسُّلُ والجوى يُؤرِّقُها.. يَطْوِي حَشاها على جَمْرِ!
وقُلْنَ لَهُ غِيدٌ عَرَفْنَ بحُبِّها لَقد كُنْتَ ذا حَظٍّ عَظيمٍ.. وما تَدْري!
أهذي التي يَصْبُو إليها أولو النُّهى وليْس لَهُم مِنْها سِوى لَوْعَةِ الهَجْرِ؟!
تُنادِي فَتَلْقَى منك صَدًّا مُضَمَّخاً بِعُجْبِكَ.. فاحْذَرْ أنْ تَبِيتَ على خُسْرِ؟!
ستشْقى بهذا العُجْبِ يوماً فَتَنْتَوي على صَبْوَةٍ لن تَسْتَفيقَ من السُّكْرِ!
تُلاقي بها قَلْباً من الصَّخْرِ ساخِراً بِحُبِّكَ.. أو أقْسى عليْكَ من الصَّخْرِ!

• • •

وقُلْنَ لها.. أمِثْلُكِ يَزْدَرِيهِ فَتىً نَأْبى عَلَيْهِ فَتاتُ وصْلِ؟!
لقد أصْبَحْتِ فيه بِدُونِ حِسٍّ وَقَدْ أمْسَيْتِ فيه بِدُونِ عَقْلِ!
ولا واللهِ لن يَحْظى بِحُسْنٍ.. كَحُسْنِكِ غَيْرُ ذي شَرَفٍ ونُبْلِ!
أفِيقي لِلرَّشادِ.. فأنْتِ لَيْلى يُطيحُ الى الجُنونِ بِكِ التَّملّي!
فما باهى بِحُبِّكِ غيرُ نَدْبٍ وَلا غَنّى بحُسْنِكِ غيرُ فَحْلِ!

...يـــة؟!»

محمد حسن فقي

لَسوفَ نجنُّ وجْداً حين يلْقَى ضُدُوداً مِنْكِ. بَعْدَ هوى مُدَلِّ!
لقد كان المدِلُّ بغيرِ رُشْدٍ.. نأبْدِيهِ لنا غَيْرَ المُدِلِّ..!
وسوف يكونُ بعد قِلاكِ نِضْواً كئيباً دونَ مَرْحَمَةٍ وبَذْلِ!

• •

رُبَّ عَذْلٍ كان يَلْسَعُنا مِن جِراحٍ أَدْمَتِ الكَبِدا!
راحَ يَهْدِينا. ويُوقِظُنا مِن سُباتٍ أَخْمَدَ الرُّشْدا!
فإذا بالنَّفْسِ ثائِرَةٌ.. ثَوْرَةَ البُرْكانِ مُرْتَعِدا!
جارِفاً. مِن بعدِ هَدْأَتِهِ.. عارِماً يَسْتَنْفِدُ الجَلَدا!
وإذا بالظَّبْيِ مِن حَنَقٍ واعْتِزازٍ قد غَدا أَسَدا!
قاوَمَتْ لَيْلَى صَبابَتَها فاسْتَحالَتْ عِنْدَها لَدَدا!
ورآها قَلْبُها سَقَماً. ورَأَتْها عَيْنُها رَمَدا!
فاجْتَوَتْها. وهي ساخِطَةٌ أَنَّها لم تَسْلُكِ الجَدَدا!

• • •

وَمضى الدَّهْرُ راكِضاً.. فإذا العازِفُ عَن حُبِّهِ.. هُو المَشْغُوفُ!
كَبَّلَ الحُبُّ قَلْبَهُ.. وَغَدا الحُسْنُ قَوِيّاً عَلَيْهِ.. وَهُو الضَّعِيفُ
وَلَواهُ بِالقَسْوَةِ فاسْتَوى التَّاعِسُ شِلْواً تَنُوشُ مِنْهُ الحُتُوفُ!
حاوَلَتْ عَيْنُهُ الدُّمُوعَ فَأَعْيَتْها.. وَلَمْ تَعِي عَن جَواهُ الصُّرُوفُ!
وَبَدا أُنْسُهُ العَتِيُّ.. وَقَد هانَ.. فأَيْنَ الأَبِيُّ.. أَيْنَ العَيُوفُ؟!
أَيُّها الكِبْرِياءُ.. أَنْتِ عَلى النَّاسِ.. رِماحٌ فَتَّاكَةٌ. وَسُيُوفُ!
أَنْتِ لَوْلاكِ ما تَسَرْبَلَ بالخَسْفِ هِزَبْرٌ.. وَلا اسْتَطالَ خَرُوفُ!
عِشْتُ لا أَرْتَوِي. وَإِنْ كُنْتُ ظَمْآنَ. وَلا تَسْتَذِلُّ مِنِّي الشُّفُوفُ!

• • •

يا رَبِيعِي الذي اسْتَمَدَّ مِنَ العِزِّ خُلوداً.. ماذا يُطِيقُ الخَرِيفُ؟!



القطا

أحمد مصطفى حافظ مصر

يا لعصرٍ قد شاه فى إنسانِهِ
ليس يرقى لمستوى حيوانِه

يأنفُ الوحشُ أن يمسَّ بريئا
من ذويه.. بظفرِه أو بَنانِه

وأرى الآدميَّ أهونَ شأنا
لتردِّيه.. فى لظى أضغانِه

أفلَسَ العلمُ والحضارة باءتْ
بانتكاسٍ.. على هوى شيطانِه

* * *

يالغِرٍّ يتيه فى خيلاء
يحسب المجد.. فى كثيف دخانه

يوسع الدور بالقذائف فتكاً
بارتعاد.. منقِّباً عن أمانه

بين أشلاء آمنينَ.. أراهم
كالمساميرِ.. فى نُعُوش كِيَانِه

* * *

دجَّجوا الزورَ بالسلاح.. وظنّوا
صرعةَ الحقِّ.. فى خنا بُهتانِه

وأرى الحقَّ نورَ ربى سيبقى
ملء آفاقه مدى أزمانِه

يومَ قالوا: (بمجلسِ الأمن) لومٌ
لمُسيء قد لجّ فى طغيانِه

ثم عادوا فاستكثروا اللومَ قلنا
قد عرفنا الخطابَ من عُنوانِه

يرتع البغْيُ كيف شاء ليلقى
ما يُواريه فى حِمَى أعوانِه

* * *

بعد أن غادرَ «الكُماة» رُباهُم
كشَّرَ الجبنُ عن وضاعة شانِه

وتبدَّى بكل صقع عتيّاً
يُعمِلُ القتل فى مدى إمكانه

«وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ
طلب الطعن وحده» بسنانه

* * *

يا لطفل قد باغتُوه بذبحٍ
لهف نفسى عليه فى أكفانه

وعروس تُزفُّ للقبر سحلا
وهى صنوٌ للزهر فى رَيْعَانه

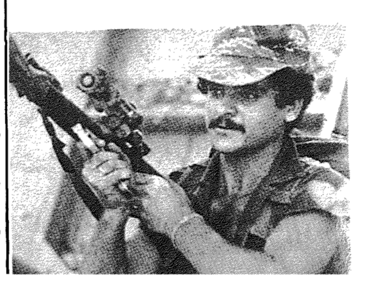
يا لشيخ.. قد عذّبوه مليّا
لم يُبالوا بعقدة فى لسانه

* * *

كاد قلبي يكفُّ عن خفقانه
بعد أن غاصَ في سحيقِ هوانِه
إذ يرى من تقاعس الحياة
صولة الذئب في ثرى أوطانه
راح من غيِّه يُبيد جموعا
في ثوانٍ بالشي في نيرانه
لا يُبالي والعالمين شهود
أن يفوق (النازيَّ) في أقرانِه

* * *

وأتى العيدُ كان لحم الأضاحي
لأنامٍ يربو على حُملانِه
تدمعُ العينُ في مسيل دماء
لجراح كالنهر في جَرَيانِه
كلُّ جُرحٍ - بألف صوت - ينادي
إجمعوا الشمل في ثرى لبنانه
ودعوا الخُلْفَ قد كفاكم شرود
طال ليلُ الرقادِ في أحضانه
أيُّ فرحٍ على القلوب حرامٌ
أو يعود «القطا» الى أفنانه



عودي يابيروت

د. سامح درويش
مصر

عودي كما كنتِ يا بيروتُ لؤلؤة
البحر يعشقها والليل والقمرُ
عودي كما كنتِ للعشاق أغنية
ومرفأ عنده الأفراحُ تَنْتَظِرُ
عودي فمنذ هَمَتْ عيناكِ ممطرةً
دما بكى الكونُ حسناً باتَ يحتضرُ
النارُ.. والدمُ والأسوارُ فيكِ وقد
كنتِ الأمانَ لعشاقٍ بكِ انتشروا
والخوفُ مختبىء في كل زاويةٍ
والموتُ في شارع الحمراء والخطرُ
ياويحَ أيامنا ماذا جنيتِ لكي
ينزو بكِ اللهبُ المسعورُ والشررُ

●●●

مَنْ قاتِلوكِ؟ أمْ مَنْ غارت خناجرُهُم
في صدرك الحرِّ تدميه إذا غدروا
أم الذين تناسوا أنهم عَرَبٌ
وأنَّ تاريخهم يُغتالُ مُذْ خدروا

●●●

بيروتُ هل من لقاء بعد يجمعُنا
بشاطىء كان يحلو عنده السمرُ
وهل ستبتسمُ الأيامُ ثانيةً
ويرجع الحبُّ في واديك يزدهرُ
بيروت عودي فإن العارَ يُخجلُنا
والحزن يقتلنا والشوقُ يستعِرُ
وأيقظي العُربَ من نوم أضرَّبهمْ
وفُرْقَةٍ مزقتهم كلما نفروا
يا جرحَنا النازفَ الآلام في دمنا
ويا هوانا الذي باليأس ينتحرُ
وعار جيل طواه الذلُّ كيف له
غداً لأبنائه عن ذاك يعتذرُ

قبضة الليل

عبد الفتاح الخطيب

النـليـلُ الحـالـكُ قبضتـه
تغـتـالُ تبـاشـيرَ الأضـواء
وعـيـونُ الظـلمـةِ عميـاء
لا تفـرقُ ما بينَ الأشـيـاء
تتـمـيـز غيظـاً من شمس
وتتـوقُ إلى السحْبِ الـسـوداء
وتظـلُ تحاربُ في عنـفٍ
وبكـلِ الأسلحـةِ الحمقـاء
أغصـانُ الـزيتـونِ احترقتْ
بسـعـير حروبٍ طحـنـاء
وصـدى لنـداء مجنـونٍ
قد أسكـت شدو الـوَرْقـاء
والـعـالَمُ يسألُ لا يدرى
ما المخـرجُ من فِتَنٍ هوجـاء
فى شرقِ الأرضِ وفى غرب
قد زادَ أوار الـبـغـضـاء
عجـبـا للسـامـع والـرائـى
إنْ قارنَ بينَ الأحـيـاء
فهـنـاك شعـوبٌ ما ملكـتْ
قوتـاً أو حتـى شربـةَ ماء

وأطـاحَ الجـوعُ بقـوتهـا
فتـهـاوتْ من فرطِ الاعـيـاء
وشـعـوبٌ تنـفـق فى سَفَـهٍ
وتـتـيـهُ بقـوتهـا الـرعـنـاء
وتظـل تهدُدُ فى صَلَف
بسـلاح ينـذرُ بالـبـلـواء

●●●

يا صوتَ العـقِـل ألا تصغى
لنـداء ضمـيرٍ أو لرجـاء
وتـعـيـدُ إلى الـدنيـا وعيـاً
قد غابَ فصـرنـا كالغـربـاء



الرحيل الى الاعماق

إنْ ترحلى مازلتِ فى أعماقى
أحلى السنابل فى رُبَا أشواقى
أعشابُ دفئكِ ما تزال بأضلعى
خضراء تشهق بالحنينِ الباقى
وخيوطُ عطركِ فى دمى مغموسة
صلّى عليها النبضُ فى أعراقى
مازال طيفُك فى يدىَّ قصائداً
تنسابُ فى قلمى وفى أوراقى
مازلتِ تَنْهَمرينَ بين أصابعى
مازلتِ تحتشدينَ فى آفاقى
نتفصَّدينَ على مشارفِ جبهتى
عرقاً وتستلقين فى أحداقى

●●●

وَآه يا وجعى الذى أحببتُهُ
وعشقتُ فى آلامِه إرهاقى
ا للحقائب فى يديكِ خناجرٌ
مسعورة تهفو الى إزهاقى
المعطف المهموم يرنو فوقها
لمشاعرى الخرساء فى إشفاق
حقيبة العطر الصغيرة مالها
سوداء لون جوانحِ الإخفاقِ
لونُ الغُيوم على حوائط حيرتى
لونُ السنين وليس ثَمَّ تلاقى
أحشوتها عمرى الكئيب لقد بدت
كسماء أيَّامى بلا إشراقِ

●●●

يا أنتِ يبنى الثلجُ سداً بيننا
وصقيعك النامى يشدُّ وثاقى
تعِبتْ من الحفرِ الطويلِ أظافرى
وعلمت أننىَّ قد خسرتُ سباقى
فلترحلى ما شئتِ أنتِ قصيدة
منثورة دونى بغير مذاقِ
ولأنتِ باردة الشموسِ ضعيفة
مثل الخريف بدون دفء عناقى
فاستقبلى بعدى الشتاء أنا هنا
(آذار) والوهجُ الحنونُ الواقى
قُصِّى غصونَكِ عن روابى جبهتى
ولترفَعى الأوراقَ عن أشداقى
ماذا لقد أورقتِ بين جوانحى
وتغلغل الجذرُ المشاكسُ ساقى
ها أنتِ راحلةٌ ولكن فى دمى
هيهات ترتحلين عن أعماقى

ستار





والحقيقة الباكية

هبنى أسأتُ . . وقل لى كيف أعتذرُ
يا من يَدَلُّ به قلبى ويفتخرُ
إنى أحبك حبا لا يحس به
إلا حبيبٌ بسهم الحب ينتحرُ
وليس يدركُ أشواقاً تؤرقنى
إلا الذى باتَ فوق النارِ يستعرُ
وكيف تهنأ يا عمرى وأغنيَتِى
إليك توشكُ فى الأعماقِ تنفجرُ
وكيف تحترقُ الدنيا على شفة
كانت إذا همستْ فالثلجُ ينصهرُ

●●●

عيناكِ زادى وقنْديلى وراحلتى
فى مَهْمَهٍ ضلَّ فيه العودُ والوتَرُ
وهمهمافتك ألحانى وقافيتى
إذا خطرتِ بليلى زغرد السهرُ
وصوتك العذبُ خدر يستحل دمى
هذى بقيته فى الروح تنتشرُ
ورغم صمتك فالماضى يذكرنى
بوردة فى صباح العمر تزدهرَ
هيهات يجرفُهَا موجٌ وإن بَعُدَتْ
فالمد والجزرُ يوما سوف ينحسرُ

●●●

لِمَ التجَنِّى؟ وكل الناس يا قدرى
بالحب تنعم أو للحب تنتظرُ
ليس اختياراً وليس العقلُ يحكمه
الحب إن جاء لا يُبقى ولا يذرُ
وليس ضعفاً إذا ما جئته عَطِشا
يا قطرة من دمى للدفء تفتقرُ
قلبى الى الحب مشدودٌ فكيف إذاً
يخطو وفى جنبات الكره ينحصر؟
جريمتى إن تكن حبى فوا أسفى
ويا ضياعك فاشهد أيها القمرُ
إن الذى أنكرتْ عيناكِ فى شفتى
حقيقةُ من سماء الحب تنهمر



مصطفى النجار
حلب

مثلما حنَّ إلى عذبِ الأماني
شاعر الشوق يواريه الخميل
مثلما القنديل أعطى بسخاء
فى فضاء القلب يُعطيه الخليل
أفراشُ الصحو نادتك الحنَايا
مثلما نادتك فى الجود النخيل

دغدغ الأوراد أيقظها فكم
ذا ثقيل؟ إنه الصمتُ الثقيل
حسبها كم رمّد الحزن ضياها؟
حسبها قد آن للحزنِ الرحيل
أفراش الصحو حياك لُقانا
بعد نأى الدار والنأى ذبول
نتناجى فى المدى أسراب طير
ويميل الطهرُ آيانَ نميل
فنبثّ الأرض أحزانَ خطانا
وغناء الطير فى البلوى الهديل
بعضها شوق وألحان عِذابٌ
وهى فى الألحان نزرٌ وقليل
بعضها يمضى سريعاً مثلما يمضى
إلى النسيان مزمارٌ خجول
أفراش الصحو نادتك الحقول
فهى لَهفَى أيها الرمز الجميل

آهات مغترب

شهاب غانم

لعـلكِ لا تدريـن كم اتـعـذب
وكـيـف فؤادى بالـبعـاد يذوّبُ

وكـيف اذا ولّى الشبـابُ وأقبلتْ
ريـاح خريف العمر يغدو التغرّب

وكـيف اشتيـاقى للصغـار يُميتنى
فكـيـف أرى حيـاً وليس لهم أب

ألم تقـرأى شعـرى وكـل قصـائدى
دمـوع كمـوج البحر تأتى وتذهب

اتستغـربـيـنَ اللحنَ يهزجُ راقصـا
امـا يرقصُ الطـيرُ الذبيحُ المخضبُ

حرائق رومـا فى ضلوعـى عتيـة
واعـزفُ لكن لا كنـيرون اطرب

•••

لحا الله فى هذى الضلوع سجيـة
تُحمّـلُنـى مالا اطيـقُ وارغـب

تُنـادى الـى مجد فأعـدو ملبيّـاً
وتـدعـو الى شدِّ الـرحـالِ فأركب

تقـول الى شرق فامضى مُشـرِّقـا
وتـدعـو الى غرب فأمضى أغـرِّبُ

ولـمـا دعـتْ للعـلم لبّيْتُ طالبـا
وخلّفْتُ ما اهـوى وما كنت اطلب

فالقت بى الايامُ فى حضنِ «كاردف»
ولكنـه حضن من الـدفء مُجْدبُ

فلولا الفتى «وضاح» مصباح غربتى
ولـولا صبـايـا الشعـر تملى واكتب

ولـولا رفاقُ العلم من ارض يَعْرُب
يوحـدنـا ديـنٌ وضـادٌ ومأربُ

لكـان لنـا هذا الـتـغـرّبُ محنـةً
تفـوق احتمـال المرء والشَّعْرُ أشيبُ

أراهم بأوقـات الصـلاة بمسجد
ويجمعنـا وقت الـريـاضـة ملعب

ويجـمـعـنـا شوقٌ لأرض منيعـة
يوحّـدُهـا فينـا معـد ويعـرُبُ

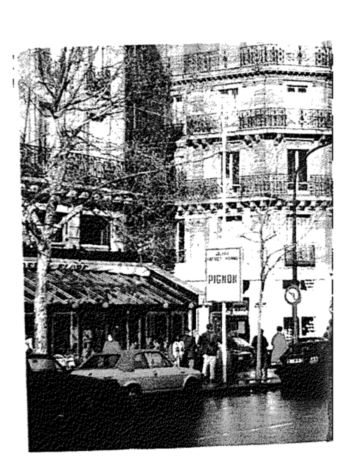
فلا يحسبـنَّ الجـاهـلون بأننـا
هنـا فى بلاد الغـرب نلهـو ونشرب

ومـا كان خوفُ «الايدز» مما يصوننا
ولـكـنـنـا نخشى الإلـه ونـرهبُ

لست ترقى

«الى الذى ضاع فى دوامات المادية ـ وعاد بعد رحلة علمية الى أوروبا ـ نازعاً عنه ستر القيم والأخلاق متعللا بالمدنية والتحضر..».

الاسكندرية أحمد محمود مبارك



لستَ يا مغرورُ ترقى
إنما تهوى وتشقى

تدَّعِى العلمَ ويبدو
علمُكَ المزعومُ حُمْقَا
هل عرفتَ الحقَّ لما
ذُبتَ فى الآثامِ عشقا
وأضعتَ العمر تخديراً
وتضليلًا وفِسْقا
نشوة الإثم هُنَيْهَاتٌ
وتفنى ثم يبقى
أسفٌ يا أيها المغرورُ
يفرى النَّفْسَ سحقا
ودمارٌ فى الخواتيمِ
فهل كنت مُحِقًّا

●●●

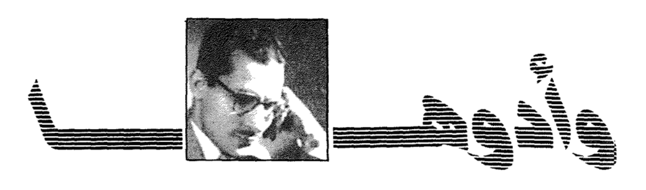
لا تقُلْ إنَّك تسمو
ليس هذا القولُ صدقا
أنت بالآثام فى القاع
وبالقاع ستبقى
أنت فى بحرِ الخطايا
تائهٌ والنفس غرقى
راكبُ الاثم مَدَاه
هوَّة تزدادُ عُمقا
كلما أوغلَ فيها
ظنَّ أن النفسَ ترقى



عبد السلام هاشم حافظ
المدينة المنورة

أخي . . أرأيتَ جلالَ السنينْ؟
وخطوة جَدِّي الحزين؟
كذا أقبلتْ أُمّ عبله -
معلِّمةُ الحيِّ جارتُنا -
تقصُّ علينا . .
من القلب مأساة عبلَهْ
تقولُ ورجعُ صداها أنينْ:
وحيدة كبدى . .
وإضمامةُ الزهر من روضتى
علالةُ نفسى . .
وخفقةُ جفنى بدنيا الضياء
رفيفُ أمانى غدى
ونسمةُ فجرى
وهمسةُ روحى لجيل الغدِ
وحلمي: سأحيا بها فى غدِي
وعبلةُ مِنِّى سلاحُ البقاء
همِّ الليالى وشقوة فكرى
لضعفى ووحشة عمرى . .

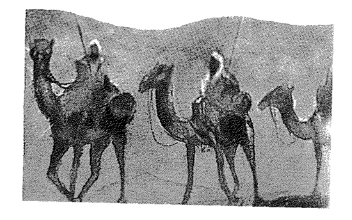
ويا ليتهمْ أسعدوها
لهانَ علىَّ البلاء وزالْ
وحولى توسَّد بعضُ الرجاء
وكنتُ أمدُّ يدى للسماء
ويضرَعُ حسِّى -
بكلِّ المنى للحبيبةِ عبله
لتحظى بإلف أمين أمينْ
يظلُّها عرشُ بيتٍ سعيد
وتُثمرُ نجواهما . .
ويحفَلُ عمرُهما -
بفلذات كبدٍ حنونٍ حنونْ
فكيف تهاوتْ مناىْ؟
وأين تلاشتْ رُؤى عبلتى؟
وكنتُ أُمنِّى صباها
نُزوِّجُهَا بالذى ترتجى
يرتِّل قلباهما:
أناشيدَ الحياهْ
ويهدأ فى مهجتى



لهيبُ الأمومة
وحبىّ لإسعاد عبله
فآه عليها
على حظِّها المؤلمِ القاتم
على وَجْدِهَا العارمِ
على يومها العابسِ النادمِ
إليكَ بنىَّ الخبرْ
فعبلةُ إنسانةٌ كالبشَرْ
عواطفُهَا من أحاسيسهمْ
تُهادى الربيعَ أزاهيرَهُ
وتمرحُ فى روضهِ كالبلابلْ
وقد أبصرتْ نفسَهَا
تُطالعُها فى الأصائلْ
بمرأى فتى حُلمها ؛
(نبيلُ) . . وأىُّ نبيل؟
تفاهَم روحاهما
وقلتُ لذاتى :
ستصبحُ بنتى لهذا النبيل
كريم الصفات . .

●●●

تكاثرَ خطَّابُها . .
وجاء نبيلُ ـ
بكلِّ صبابتهِ والحنينْ
بكلِّ أمانيه الطيِّبات .
ولكنَّ زوجى الغليظ ـ
أبوها الضعيفُ الفكرْ
وإخوانُه الخادعونَ
أصرُّوا على قهرها
تُزوَّجُ قسْراً بإبن العميدْ
كبيرُ بنى عمِّها
لصون المواريث للاسرةِ



لئلَّا يُصيبَ الدَّخيلْ
من الزَّهْو والثروةِ
لحفر قناة العدمْ
وراحتْ ضحيَّتَهُمْ غرستى -
رجائى الحبيبة عبله
وزُفَّتْ بحفلٍ فخيم فخيمْ
تحدَّث عنه جنونُ الغرور
ورنَّ بأُذْن الغيوم
وطوَّفَ ذِكرُ مظاهره
بأقصى المدينه . .
طلاء سيُمْحَى بكفِّ الحقيقه

وكان نداء القلوبِ الحزينه
يرِنُّ بأعماقِ نفسى
ويهدرُ سرّاً بأيام نحسٍ
وعبلةُ قد أصبحتْ . .

تقضىّ الحياة كما خُيِّلَتْ
وتجرعُها بالمرارة من سقمها
ولم يمضِ عام -
خطاه جراحٌ عميقه
ودمعٌ ودَمْ . . .
وأسفرَ وجهُ الحقيقه
وأىّ حقيقه؟
وكبدى البريئةُ تغدو حطامْ
غدتْ هيكلاً من عظام
يلوكُ صباه الفناء

توشَّحه الجلدة الواهيه
وتغمرُها الرِّعدة الضارية
وتبكى على زهر أيَّامها . .
تولَّى الشبابُ خفيَفاً سريعا
تولَّى بآمالها . .
وأضحتْ تصارع آلامها
من السُّلِّ والاسودَيْن :
ظلامُ الحياة . . ظلامُ الامل
وفى مقلتيها ضبابُ الشَّقاء
وفى ناظريها شرودْ
يُعانقُ دنيا الجحيم
وكأسِ السُّموم
ويقتلُ فى جانبَيها الرجاء
فلا المالُ أهدَى إليها الشفاء
ولا الأهلُ ضمُّوا إليها قواها
وخارتْ بأيدى النهايه
رماداً يُذرُّ بعينِ البشر
لينقمَ ممَّنْ جنى واستبدَّ
لقد وأدُوا عبلتى الناديه
وواروا الضياء . . قبورَ الشتاء
وهذى حياتى خريف
أُعلِّل نفسى بأترابِ عبله
أدرِّسهنَّ تعاليمَها
وكانتْ مثالاً عظيما لنُبل الحياه
وكانتْ . . وكانت . .
فَواه علىَّ . . وآه عليها .



ودَّعتُ أحزانى وصنتُ فؤادى
عن حبِّ مَنْ لا يستحقُّ ودادى
وأرحتُ من وهج الغرامِ جوارحى
وفطمت قلبى عن شجاً وسُهادِ
وألفتُ أنْ أحيَا كطيفٍ عابسٍ
تتكسَّرُ الأحلامُ دونَ وِسادى
أمسيتُ صخراً لا يحرِّكنى الأسى
وكسرتُ من جور الهوى أصفادى
كَم رامَ قلبى قبل حبِّكِ غادة
تبكى وأخرى تشتكى وتُنادى
وصدتُه ونشرتُ فى أفيائه
ناراً تؤججُها رياحُ عِنادى
حتى عرفتُك فانثنيتُ مسلِّماً
لك مُهجتى وسريرتى وقيادى
يا بسمةً رفّتْ على ثغرِ الهوى
أبكى فتمسحُ دمعتى وسُهادى
هلّتْ فكانتْ رُقيَةً لمواجعى
وازدادَ فى درب الهوى حُسَّادى
يا نسمةً كالطلِّ للزهرِ الصَّدى
يا نشوة الأفراح فى أعْيَادى
خاصَمْتُ من لهفى عليك وِسادتى
وأبحتُ ليلى واستبحتُ رُقادى
وأقمتُ فى أنفاس عطرك واحتى
وأرَحتُ فيها غربَتى وبعادى
فَضعِى علىَّ رداء حبِّكِ واسْعدى
روحاً تُذيب بيأسِهَا عُوّادى



مُنىً كُنَّ لى أن البياض خضابُ
فيخفى بتبييضِ القرون شبابُ
ليالى عند البيض فوداى فتنةٌ
وفخرٌ وذاك الفخرُ عندى عابُ
فكيف أذمُّ اليومَ ما كنتُ أشتهى
وأدعو بما أشكوه حين أجابُ
جلَا اللونُ عن لونٍ هَدَى كلَّ مسلكٍ
كما انجابَ عن لونِ النهارِ ضبابُ
وفى الجسمِ نفسٌ لا تشيبُ بشيبِهِ
ولو أن ما فى الوجهِ منه حِرابُ
لها ظُفُرٌ إنْ كلَّ ظفرٌ أعدُّه
ونابٌ إذا لم يبق فى الفم نابُ
يغيِّرُ منى الدهرُ ما شاء غيرَها
وأبلغُ أقصى العمرِ وهى كِعَابُ
وإنى لنَجْمٌ تهتدى بى صُحْبَتِى
إذا حالَ من دونِ النجومِ سحابُ
غنِىٌّ عن الأوطانِ لا يستفزُّنى
إلى بلد سافرتُ عنه إيابُ
وعن ذَمَلانِ العيسِ إن سامحتْ به
وإلا ففى أقوارِهن عقابُ
وأصدَى فلا أبدى الى الماء حاجةً
وللشمس فوق اليَعْمُلاتِ لُعابُ
وللسرِّ مِنِّى موضعٌ لا ينالُهُ
نديمٌ ولا يُفضى إليهِ شرابُ
وللخُودِ منى ساعةً ثم بيننا
فلاة إلى غير اللقاء تُجابُ
وما العشقُ إلا غِرَّةٌ وطماعةٌ
يعرِّضُ قلبٌ نفسَهُ فَتُصَابُ
وغيرُ فؤادى للغوانى رميَّةٌ
وغيرُ بَنانى للرماحِ رِكابُ
تركْنا لأطرافِ القَنا كلَّ شهوة
فليسَ لنا إلا بهنَّ لِعَابُ
نصرِّفُهُ للطعنِ فوقَ حوادرٍ
قد انقصفتْ فيهن منهُ كِعَابُ
أعزُّ مكانٍ فى الدُّنَى سَرْجُ سابحٍ
وخيرُ جليس فى الزمانِ كِتابُ
وبحرٌ أبو المسك الخضمُّ الذى لهُ
على كلِّ بحرٍ زَخْرَة وعُبابُ
تجاوزَ قدرَ المدحِ حتَّى كأنه
بأحسنِ ما يُثنى عليه يُعابُ

المتنبي

وغالَبَهُ الأعداء ثم عنوا له
كما غالبتْ بيضَ السيوفِ رقابُ

وأكثرُ ما تلقى أبا المسك بِذْلَة
إذا لم تَصُنْ إلا الحديدَ ثيابُ

وأوسعُ ما تلقاه صدراً وخَلفَهُ
رِمَاء وطعنٌ والأمامُ ضِرابُ

وأنفذُ ما تلقاه حكماً إذا قضى
قضاء ملوكُ الأرضِ منه غِضابُ

يقودُ إليه طاعةَ الناسِ فضلُهُ
ولو لم يقُدها نائلٌ وعِقابُ

أيا أسداً في جسمه رُوحُ ضَيْغَم
وكم أسدٍ أرواحُهنّ كِلابُ

ويا آخذاً من دهره حَقَّ نفسِهِ
ومثلُك يُعطى حقَّهُ ويُهابُ

لنا عندَ هذا الدهرِ حقٌّ يُلِطُّهُ
وقد قلّ إعتابٌ وطالَ عِتابُ

وقد تُحدِثُ الأيامُ عندكَ شيمةً
وتنعمرُ الأوقاتُ وهي يَبابُ

ولا مُلْكَ إلا أنتَ والمُلكُ فضلةٌ
كأنكَ نصلٌ فيه وهو قِرابُ

أرى لي بقُربي منكَ عيناً قريرة
وإن كان قُرباً بالبِعادِ يُشابُ

وهل نافعي أن ترفعَ الحُجْبَ بيننا
ودونَ الذي أمَّلتُ منكَ حِجابُ

أقِلُّ سلامي حبَّ ما خفَّ عنكُمُ
وأسكتُ كيما لا يكونُ جوابُ

وفي النفسِ حاجاتٌ وفيكَ فطانَةٌ
سكوتي بيانٌ عندَها وخِطابُ

وما أنا بالباغِي على الحُبِّ رِشْوَة
ضعيفٌ هوىً يُبغَى عليه ثوابُ

وما شئتُ إلا أن أُذِلَّ عواذلي
على أن رأيي في هواكَ صَوابُ

وأُعْلِمُ قوماً خالفوني فشرَّقوا
وغرَّبْتُ أني قد ظَفِرتُ وخابوا

جرى الخُلفُ إلا فيكَ أنكَ واحدٌ
وأنكَ ليثٌ والملوكُ ذِئابُ

وأنكَ إن قُويِسْتَ صَحَّفَ قارىء
ذئاباً ولم يُخطىء فقالَ ذُبابُ

وإن مديحَ الناسِ حقٌّ وباطلٌ
ومدحُكَ حقٌّ ليسَ فيه كِذابُ

إذا نِلْتُ منكَ الوُدَّ فالمالُ هَيِّنٌ
وكُلُّ الذي فوقَ الترابِ ترابُ

وما كنتُ لولا أنتَ إلا مُهاجراً
له كُلَّ يومٍ بلدةٌ وصِحابُ

ولكنَّكَ الدُّنيا إليَّ حبيبةٌ
فما عنكَ لي إلا إليكَ ذَهابُ



قال أبو ذؤيب :

تَبرَّأَ من دمٍ القتيل وَبَزِّهِ
وقد عَلِقتْ دَمَّ القتيل إزارُها

قال أبو تراب: هذا البيت أورده اللسان فى (أزر) وقد شكلت كلمة (دم) فى طبعات اللسان كلها بالتخفيف وهو خطأ ههنا لا يستقيم به الوزن والصواب ههنا التثقيل.

والإزار مؤنث ههنا كما نقله السكرى فى شرح ديوانه عن أبى اسحاق (ص٢٦)

فى الحديث: كان يباشر بعض نسائه وهى مؤتزرة أى مشدودة الإزار.

قال ابن الأثيرفى النهاية: وفى بعض الروايات: (وهى مُتَّزرة) وهو خطأ لأن الهمزة لا تدغم فى التاء.

قال أبو تراب: وقد أجازه بعضهم فقالوا: اتَّزر فى ائتزر كما قالوا: اتَّمن فى ائتمن والهمزة لا تدغم فى التاء وانما تقلب ثم تدغم .. هذا قول أهل التعليل وعندى أن الأمر يتوقف على السماع.

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة: «أشْدُدْ به أزرى» أى ظهرْى معناه صار مثلى وعاوننى على مَنْ يكْفُلهُ ويقال: قد أزَرَنى أى كان لى ظهراً وآزَرَنى أى صار لى وزيراً.

وقال ايضا: «فآزره» ساواه صار مثل الأمّ.

قال أبو تراب: هكذا فى مجاز القرآن: (آزرنى) أى صار لى وزيراً وفى القُرْطَيْن لابن مُطرِّف: يقال: آزرتُ فلاناً على الأمر أى قوَّيته عليه وكنتُ له فيه ظهيراً، وأما وازرتُهُ فصرتُ له وزيراً وأصل الوزارة من الوِزْر وهو الحمل كأنَّ الوزير يحمل عن السلطان الثقل.

قال أبو تراب: وكأن فى نسخة المجاز التى صحَّحها سزكين تصحيفاً صوابه: وازَرَنى كما فى غريب ابن قتيبة الا أن يقال: آزر ووازر لغتان على البدل كما تقدم من نقل اللسان ويدل عليه كلام الراغب. والظاهر عندى أن آزر بمعنى أعان مطلقا ووازر بمعنى أعان بصفة الوزارة على الخصوص، وفى اللسان: ان وازر على البدلية شاذ والأفصح آزر.

قال أبو تراب: ولم يذكر الزجّاجى ولا عبد الواحد الحلبى فى كتابيهما إبدال آزر ووازر ولم يستدركه عليهما محققهما التنوخى. وهو مذكور فى لسان العرب فى (أزر).

قال أبو تراب: ذكر فى اللسان والتاج: أنَّ الأزْر من الأضداد فى كلام العرب فهو بمعنى القوة والضعف



معاً. وقد نص على ذلك أبو الطيب اللغوى الحلبى فى كتاب الأضداد (ج١ ص٣٩) قال: ومن الأضداد زعموا - الأزْر - حُكِيَ لنا عن الأصمعى أنه قال: الأزْر القوة والأزْرُ الضعف.

قال أبو تراب: فهذا الحرف مما يستدرك على ابن الأنبارى فانه لم يذكره فى كتاب الأضداد والاحاطة بالعلم ليست للبشر.



قال ابو تراب: حديث أبيض بن حمّال: أنه سأل رسول الله ﴿ﷺ﴾ ما يُحمى من الأراك؟ وقال فيه ابو عُبيد: أنما ذلك فى أرض ملكَها، هذا الحديث لم يُشِرْ إليه ابن الأثير فى النهاية ولا الزمخشرى فى الفائق ولا ابن الجوزى فى الغريب

جاء فى الجمهرة لابن دُريد (ج٢ ص٤١٤) وَرَكَ بالمكان يَرِكُ وُرُوكاً اذا أقام به فهو وارِكٌ وأرَكَ يأرُكُ أروكا وهى اللغة الفصيحة.

قال أبو تراب: وَرِك الانسان والدابة من هذا الاشتقاق وهو من الاقامة واللزوم وعندى أن وَرِك وأرِك من باب الابدال ولم أره فى كتاب الزجاجى ولا عبد الواحد الحلبي وشاهده وِكافُ وإكاف ووَجْه وأَجْه، «وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ» ووُقِّتَتْ وهذا أُشْكَان ذاك ووُشْكَان ذاك وهذه الكلمات مذكورة فى كتاب الابدال والمعاقبة للزجّاجى ولم يستدرك بها محققه التنوخى على كتاب ابى الطيب الذى حققه وجل من لا يسهو.

قال أبو تراب: ذكر الزبيدى فى تاج العروس أن الصاغانى ضبط فى العُباب الأَزَّقَى كسَكْرَى بمعنى السرعة والنشاط وضبطه فى التكملة بضم الهمزة وسكون الزاى وكسر الفاء وتشديد التحتيَّة. وخطَّأه الزبيدى فى ضبطيه فى كتابيه وصوَّب ما ذكره الزمخشرى فى الأساس من أن الأَزَفَى كالجَمَزَى ومنه أقبل يمشى الأَزَفَى وكأنه من الوزيف والهمزة عن واو.

قال أبو تراب: والواو والألف تتعاقبان ذكر ذلك الزجّاجى إلا أن هذه الكلمة ليست فى كتابه ولا كتاب الحلبىّ ولا استدركها محققها. وفى الجمهرة لابن دريد (ج٣ ص١٣): الوَزَفُ العَجَلة لغة يمانية وَزَفْته أزِفُه إذا استعجلته.

وفى (ج٣ ص٢٥٤) ما يدل على أن زَأفَ بتقديم الزاى مثله.



جان جاك بيريبي ـ الخليج العربي تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز بيروت منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر. الطبعة الاولى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٩-٢٤٧ ص، مطابع دار الكشاف.

١ ـ ذكر المترجمان في مقدمتهما أنهما تصرفا بترجمة العنوان بعد أن ذكرا أن المؤلف فرنسي أصدر كتابه بالفرنسية وهو يعد «علما من الاعلام الفرنسيين المختصين بالشؤون الشرقية والعربية منها بصورة خاصة ـ وكان مناسبا لو ذكرا تاريخ صدور الكتاب الاصلي.

٢ ـ الكتاب أنموذج للتأليف العلمي الذي يوجه الى عامة القراء على وجه من الطراوة يمتزج فيه الماضي والحاضر والحقائق بالأساطير والمؤلف في كل ذلك استاذ مادته المسيطر على أجزائها وأركانها تاريخاً كانت ام جغرافية.. وثائق ام بحثا ميدانيا.

٣ ـ ص٢٥ «خمساية ألف» الصحيح: خمسمائة الف أو خمس مئة ألف.. ومثلها ص٩٥، ١٤٦.

٤ ـ ص ٤٧ «مدينة بوشير» بوشير.. تكررت ص١١٠

٥ ـ ص ٦٢ «بندر ماشور»؟ ص٩٦ «شيزي»؟.

٦ ـ ص ٦٥ «أثناء تخطيط الحدود بين الامارة الكويتية ومملكة نجد سنة ١٩٢٢» كان عبد العزيز آنذاك «سلطانا» ونجد «سلطنة نجد».

٧ ـ ص ٩٥ «ان المدينة الحديثة الحالية البصرة قد غيرت موقعها منذ تأسيسها الذي يعود الى ألف وخمسائة سنة تقريبا».

هذا الرقم غير صحيح لأن البصرة بنيت سنة ١٤هـ ولو قال «.. يعود الى أكثر من ألف وثلثمائة وخمسين» ـ أو ما أشبه لكان أقرب الى الصحة.

٨ ـ ص ٩٦ «هو رام شهر» يقصد خرّم شهر وهي المحمرة تكررت ص ١١٠، ١١١

٩ ـ ص٩٨ «مياه قارون»: كارون

١٠ ـ ص ١١٢ «أمارة»: إمارة

١١ ـ ص ١١٢ «اتفاق سنة ١٩٦٦» كيف يكون هذا والكتاب مؤلف قبل سنة ١٩٥٩؟.

١٢ ـ ص ١٨٦ «تشكيل لجنة دولية يرئسها القانوني البلجيكي.» يرأسها.

١٣ ـ ص ١٤٣ «المكائد»: المكايد.

١٤ ـ ترجم خيري حماد الكتاب نفسه سنة ١٩٦١.

اللغة العربية وآدابها في الخليج العربي تراث حضارة وعنوان أصالة: مجموعة البحوث التي القيت في الندوة العلمية العالمية الثانية لمركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة ـ الكتاب الاول بغداد، مطبعة الارشاد ١٩٧٧، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة (١١) ـ٤٨٣ص + ١٢٠ +.

١ ـ مصادر دراسة البحرين للدكتور حسين علي محفوظ ص ص١٧٧-٢٦٩

أ ـ للدكتور محفوظ ولع خاص بالتكرار

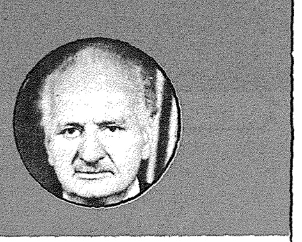
ب ـ لم يحاول الى ان ينص على «طبع» المصدر او مكان طبعه وزمانه، واختلط المخطوط بالمطبوع.

٢ ـ حركة التأليف في البحرين ـ للدكتور علي عبد الرحمن أبا حسين خبير الوثائق والمخطوطات في البحرين ص ص٢٧٠ ـ ٢٩٧.

أ ـ لو حاول الدكتور ابا حسين تحديد مصطلح «البحرين» ووضح أن بحثه يقوم على ما كان يسمى «أوال» لجنب القارىء بعض الاضطراب إذ يجد في الحديث عن البحرين اشياء من البحرين بمعناها القديم الذي يشمل الاحساء والقطيف (هجر..)

ب ـ ص ٢٧٦ «وفي العصر العباسي الثالث (عصر السلاجقة) ظهر في البحرين أديب له شعر حسن (الحسين بن محمد بن جعفر الرافقي) نسبة الى الرافقة قيل هي قرية





د. علي جواد الطاهر

فى البحرين وقيل غير ذلك ويعرف هذا الشاعر (بالخالع) توفى سنة ٤٢٢هـ -١٠٣١م.

سكن بغداد وكتب كتباً منها (الأودية والجبال والرمال) وكتاب (الأمثال) و(تخيلات العرب) و(شرح شعر أبى تمام) و(صناعة الشعر) وأخذ عن الفارسى والسيرافى ولم نعثر على شيىءمن مؤلفاته.

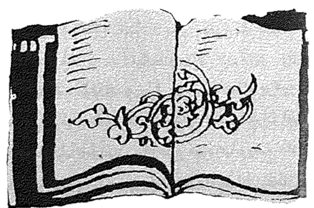
الاحالة - نفس المصدر ٢ /٢٧٨، وياقوت ٢ /٧٤.

وفى نفس المصدر: الأعلام. والخطيب البغداد.

(أ) - لا يكفى القول: «الرافقة قيل هى قرية فى البحرين وقيل غير ذلك» الجزم ببحر ينيته.

(ب) - وفاته سنة ٤٢٢هـ لا تجعله من العصر السلجوقى لأن العصر السلجوقى يبدأ بدخول طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ.

(ج) - لدى ياقوت - معجم الأدباء - ط دار المأمون ١٠/ ١٥٥-١٥٧ «توفى سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة» (٣٨٨هـ).



د - ص ٢٧٦-٢٧٩ «ابن المقرب العيونى وهو أبو الحسن على بن المقرب بن منصور العيونى ولد فى البحرين سنة ٥٧٢هـ وتوفى فيها سنة ٦٣١هـ» ومصدره: الانصارى - محمد جابر، لمحات من الخليج العربى، ص٢٩.

ومعلوم أن الأنصارى ليس مصدراً فى الموضوع. ثم إنه لم يحدد ميلاده بالبحرين البحرين وانما قال «ولد الشاعر بالبحرين (منطقة البحرين التاريخية وهى جزائر أوال وساحل الأحساء كله).

وهناك - فى الأقل - الديوان المطبوع، الطبعة التى صدرت بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو وفيه نقول عن حياة ابن المقرب من مصادر محترمة.

وقد رجع الباحث الفاضل الى هذا الديوان فى هذه الطبعة وقال - بعد ان أسند بحرينية ابن المقرب الى البحرين البحرين: «وجدير بالذكر أن موقعاً فى البحرين يقال له العيون ربما نسب اليه الشاعر ابن المقرب، وكانت البحرين وقتذاك تعنى جزائر أوال وساحل الأحساء كله» - وأحال على الحلو ص٧ وانظر ابن الشعار الموصلى قلائد الجمارن فى شعراء الزمان.

وواضح ان قولنا: «وكانت البحرين وقتذاك تعنى جزائر أوال - أى جزيرة أوال - وساحل الاحساء كله» يقلل من نسبة ابن المقرب الى البحرين البحرين فقد تكون العيون فى الاحساء ومنه قول ابن الشعار الموصلى «البحرانى العيونى هكذا أملى على نسبه من حفظه وهو موضع بالبحرين يقال له العيون.

ثم إن الحلو نفسه ينقل من مصادر محترمة أخرى: الحافظ المنذرى فى كتابه «التكملة لوفيات النقلة» فى سرده لوفيات سنة ٦٢٩ فقال: «.. العيونى البحرانى الأحسائى..» وينقل عن ابن الفوطى فى كتابه «تلخيص مجمع الأداب» فقال: «.. مولده بالأحساء من البحرين سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة: توفى بالبحرين سنة إحدى وثلاثين وستمائه.

واذا قبلنا الاستاذ الحلو حكما معتمدين على تقصيّه قبلنا قوله فى فاتحة الديوان (المقدمة) «.. ولد.. سنة ٥٧٢ بالاحساء وشب بين قومه أمراء البحرين..».

فعيون العيون - اذاً - وبحرينيته او بحرانيته - هى عيون الأحساء وبحرينية - او بحرانية - الاحساء.

وأقل ما يعنى هذا أن يترك بحث ابن المقرب للباحث فى الاحساء ومصادرها واذا كان لابد من ذكر له فى البحرين البحرين (أوال) فليكن عابراً على وجه الملاحظة.

لغتنا لغة

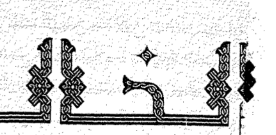
يقول المستشرق الفرنسى «رينان» فى معرض كلامه على اللغة العربية: «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل.. تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها.. ودقة معانيها.. وحسن نظام مبانيها.. ولم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة.. لا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تبارى.. ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة.

أجل تلك هى لغتنا العربية الفرع المكين فى دوحة اللغات السامية.. ووصلت إلينا مكتملة ناضجة تجمع بين القدم والديمومة.. وبين الحياة والتجدد وقد مضى عليها حتى يومنا هذا سبعة عشر قرنا على الأقل وهى أقوى ما تكون على أرسخ الدعائم بعد أن خلفت وراءها أخواتها الساميات ينقرضن لغة بعد أخرى.

وقد كان للأسواق الأدبية فى الجاهلية ـ كعكاظ وذى المجاز ـ أثر كبير فى رقى اللغة وإغنائها إلى جانب لهجة قريش التى صهرت اللهجات جميعاً فى لغة واحدة يلتزم بها الخطباء والشعراء فى لقاءاتهم الأدبية إذ كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ولأسهلها على اللسان وأبلغها تعبيراً عما فى النفس.

وتابعت هذه اللغة مسيرتها فى صدر الاسلام مرتقية فى معارج الرقى والتطور.. وأمدتها آيات القرآن المبين وجوامع كَلِم الحديث بما أغنى مفرداتها ووسع مادتها وهذب ألفاظها وأكسبها دقة فى الأداء وقوة فى المنطق.

ويوم خرج العرب من عزلتهم واختلطوا بالأعاجم واتسعت فتوحهم بدأ اللحن يسرى إلى لغتهم والعجمة تجد سبيلها إلى ألسنتهم وتجرى على يراعهم وكان هذا من أسباب وضع النحو إذ هب أبو الأسود الدؤلى ـ أقدم أئمة العربية ـ إلى الإمام علىّ



محمود فاخوري
كلية الآداب جامعة حلب

وأخذ منه أصول النحو وعكف على تقرير بعض قواعده.

وكان الأئمة من الصحابة الراشدين ومن تلاهم يحضون على تعلم العربية وإتقانها تجنباً للخطأ ولأنها - كما قال الفاروق عمر - تشبِّب القلب وتزيد فى المروءة.. فهذا أبو بكر الصديق يقول: «لأن أقرأ وأسقط أحب إلىَّ من أن أقرأ وألْحَنَ».

ومرَّ عمر بقوم يرمون النبال ويخطئون فى رميهم فقال: «ما أسوأ رميكم» فقالوا: «نحن قوم متعلمين» فقال: «والله لخطؤكم فى لسانكم أشدّ علىَّ من خطئكم فى رميكم.

هذه الغيرة على اللغة العربية لم تكن لتجدى نفعا لو لم تستكن فى اللغة نفسها عناصر ذاتية تعلن عن سلاحيتها للبقاء وأصالة عميقة متفتحة تدفع بها إلى الأمام إذ سرعان ما استردَّت اللغة عافيتها إزاء موجات اللحن والعجمة وراح اللغويون منذ أواسط القرن الثانى للهجرة يبذلون جهوداً جهيدة فى جمع مفرداتها وترسيخ دعائم نحوها وصرفها والتقاط فرائدها من البوادى البعيدة عن الأمصار لبعدها عن مجاورة الأعاجم وفاسدى اللغة غير مبالين بحر تلك البوادى ولا أعاصيرها سنين طوالا حتى روى أن الكسائى أنفد خمس عشرة قنِّينة من الحبر فى الكتابة عن فصحاء الأعراب.

وكان من نتيجة ذلك كله تدوين مفردات اللغة العربية فى المعاجم وما إليها وحفظها من الضياع والاندثار. ولكن هذه اللغة الناشطة لم تنطو على ذاتها المعجمية فى العصر العباسى بل خرجت عن نطاق المعاجم الى آفاق الحياة المتجددة وفتحت صدرها للعلوم المستحدثة والمصطلحات الفنية التى تطلبتها الفلسفة والرياضيات والمنطق والفلك والكيمياء وغيرها. وأثبتت أنها لغة حية قادرة على استيعاب العلوم والآداب معاً - بلا قصور ولا تقصير.

والجدير بالذكر أن لغتنا العربية أصيبت بشىء من الركود إبان عصر المماليك إذ قل منها الابداع وأدركها النقص الذى يدرك القمر البدر وليس ذلك لعجز فيها أو لقصور منها بل هى جريرة القائمين عليها أوعلى

مقـدرات البـلاد وتقصيرهم فى حقها. . وهكذا زاد ترديها وتراجعها أيام الحكم العثمانى وقلت العناية بها وأخـذت تزاحمهـا اللهجة العامية واللغتان الفارسية والـتركيـة وإن بقيت لغة الدين والعلم والتأليف فى العالمين: العربى والاسلامى.

ومع ذلك كله وما فيه من مثبطات وعقبات كؤود. . فإن اللغـة العـربية استطاعت أن تنهض من كبوتها وتقف فى وجه العواصف الهائجة بما تأصل فيها من عوامـل الـديمـومـة والبقاء وذلك مع بدايات عصر النهضة الحديثة. . وحمل الأمانة رجال عرفوا بالغيرة على هذه الـلغـة. . والحـرص على إحيـائهـا وإنعـاشها. . والتعلق بها وحبها. . ولم يقتصر ذلك على أهلها وحدهم ـ وما هو بالغريب ـ بل امتد ذلك إلى الأعاجم أنفسهم قديماً وحديثاً ـ وفى مقدمتهم العلامة الزمخشرى الخوارزمى أصلا ونسبة وهو القائل:

« الله أحمـد على أن جعلنى من علماء العـربية وجبلنى على الغضب للعرب والعصبية. . وأبى لى أن أنفـرد عن صميم أنصارهم وأمتاز وأنضوى إلى لفيف الشعوبية وأنحاز. . ولعل الذين يغضون من العـربيـة ويضعـون من مقدارها. . لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج وزيغاً عن سواء المنهج. . ».

وهـذا المستشـرق «سخاو» يقول: «لأن أهجى بالعربية خير من أن أمدح بغيرها».

وما إن أشـرق عصر النهضة. . وأفاق العرب على صحـوة لغتهم بعد سبات حتى تعرضت هذه اللغة لمحن جديدة استتر وراءها فريق من الشعوبيين أو المأجـورين ـ أو فئة من الأعاجم المستشرقين أو الجهلة. . ونادوا بدعوات هى موضع الظنة والتهمة ـ ورافقتها محاولات يائسة ارتدت جميعاً بالاخفاق والخيبة:

أما أولى تلك الدعوات: فهى المناداة ـ منذ أواخر القرن التاسع عشر للميلاد ـ باللهجة العامية بديلة عن اللغـة الفصيحة بحجة صعوبة قواعدها وعسر تعلمهـا. . وإنهـا لدعوة باطلة والخلاف فيها باطل أيضاً. . وهذا ما جعل حافظ إبراهيم ينظم قصيدة تنضـح حميـة وغيرة. . وتعكس بعض التهم والآراء الهـدامـة التى نادى بها أدعيـاء التجديد وقد أطلق حافظ صيحته تلك على لسان اللغة العربية نفسها:



رمـونى بعقم فى الشبـاب وليتنى
عقمت فلم أجـزع لقـول عداتى
أيهـجـرنـى قومـى عفـا الله عنهم
إلـى لغـة لم تتـصـل برواة
سرت لوثـة الافرنج فيها كما سرى
لعـاب الأفـاعى فى مسيـل فرات
فجـاءت كثـوب ضم سبعين رقعة
مشـكـلة الألـوان مختـلفـات

وثـانيـة تلك الـدعـوات: هى الـدعوة الى الكتـابـة بحـروف الخط اللاتينى ويزعم أصحابها أننا لا نستطيع أن ندرس العلوم الغربية أو نساير ركب الحضارة مع الحروف

العربية الحاضرة - بل باتخاذ الحروف اللاتينية التي تيسر لنا درس اللغات الأوربية وتوصلنا الى نهضة علمية عصرية. وقد جاء ذلك على لسان سلامة موسى أحد دعاة هذه البدعة حيث يقول: «وإنما تكون هذه النهضة حين تتخذ الحروف اللاتينية - أي لن تستعرب العلوم إلا إذا استلتن الهجاء العربي وعندما نتخذ الحروف اللاتينية ننتقل نحو ألف سنة الى الأمام».

وثالثة تلك الدعوات: بدعة منكرة أدت الى معركة خاضتها اللغة العربية بقوة وصمود - وأعني بذلك محاولات التتريك التي نهض بها حكام الآستانة قبيل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها وكان التعرض للعربية من هذا الجانب مزلقاً خطيراً أساء الى أولئك الحكام وكشف عن نياتهم السيئة - كما جعل كثيراً من العرب الموالين للعثمانيين ينفضون من حولهم مثل عبد الحميد الرافعي الذي يقول في هذا المضمار:

لغة بفضل جمالها وجلالها
شهدت شواهد محكم القرآن
قل للألى جهلوا مكانتها وقد
كادوا لها في السر والاعلان
عاديتُمُ ما تجهلون ولم يعِبْ
قَدْرَ الورود كراهة الجُعلان
والله يأبى أن تذلّ فبشّروا
من رام ذلّتها بكل هوان

تلك هي الدعوات الشعوبية المنحرفة والمحاولات المستميتة التي وقفت تناهض اللغة العربية «اللغة الأم» وتسعى إلى محوها وإزالة معالمها ولكن تلك اللغة العظيمة ثبتت لتلك المحاولات جميعاً.. شامخة راسخة.. متحدية متأبية.. ذات عنفوان وكبرياء وأصالة ذاتية.. مثبتة جدارتها من جهة وزيف تلك الضلالات من جهة أخرى. وكان لها أيضاً من الأنصار المخلصين في الشرق والغرب دروع واقية وحصون منيعة.. فاستعادت قواها.. وحملت لواء الآداب والعلوم ثانية في عصرنا الحديث وعُرِّبَ التعليم الجامعي في عدد من الأقطار العربية فكان أن عم التدريس بالعربية نفسها لمختلف المواد في كل ما استحدث من كليات علمية كالزارعة والطب والهندسة والرياضيات وما إلى ذلك من فروع العلوم المختلفة وقدمت اللغة العربية الى هذه العلوم كنوزاً من الألفاظ والمصطلحات الفنية عن طريق الاشتقاق والقياس والتعريب بما يشهد لهذه اللغة بالتفوق والعبقرية.

فما صعبت لغتنا الخالدة إذن في يوم من الايام ولكن نفوساً مراضاً أرادت محوها فباءت بالخسران المبين. وتأكد لكل ذي بصيرة أن هذه اللغة كائن حي وأنها موروث أدبي علمي لا يموت ولا يجمد وكان أن انحسرت تلك الموجات الآثمة عن دنيا العروبة والاسلام وخفتت تلك الاصوات الناعقة - بل ذهبت أدراج الرياح لأنها زبد جفاء. وبقي في الأرض ما ينفع الناس ونهضت اللغة العربية الفصيحة تتسع لكل شيء من المعاني وتفتح صدرها لتراث الانسانية ولا تزال تواصل رقيها واستمرارها في معارج الرقي يوما بعد يوم.





إن من يتتبع العربية فى عصور الاحتجاج أى فى الزمن الذى سبق ظهور الاسلام والفترة التى تلته وذلك قبل أن يتسرب اليها الوهن ويصيبها الضعف قد يجد خلافا بين ما نُطِقَ فى البيئة الحجازية وما نُطِقَ فى البيئة النجدية ونلحظ ذلك ضمن ما نلحظ فى عين الأجوف فى الفعل واسم المفعول. وفيما يلى توضيح لذلك:

أولا: الفعـل:

من الأفعـال الجـوفـاء ما ورد بصـورتـين: إحداهما بتصحيـح حرف العلة وذلـك بنطقـه واوا أو ياء محركـة والأخرى بإعلاله وقلب الواو أو الياء ألفا. وفيما يلى عرض للأفعال التى عزيت إحدى صورها الى تميم (التى كانت تقيم بنجد) أو الحجاز:

(١) حال وحول:

عزا الخليـل الى تميم قولهم «حـالت عينُه تحال حولا(١) وإلى غيرهم حوِلتْ عينُه تَحول حولا بمعنى أقبلت الحدقة على الأنف.

(٢) هاف وهيفَ:

وذكـر الخليـلَ أن «الهيف(٢): دقـة الخصـر.. والفعل هَيِف يَهْيَفُ ولغة تميم هاف يَهَاف هَيْفا».

(٣) أحاش وأحوش:

يذكر الفيروز ابادى أن «حاش الصيد: جاءه من حواليـه ليصـرفـه الى الحِبَـالة كأحاشه وأحْوَشَه»(٣) ويـذكـر ابن عباد الصيغة المصححة (أحوش) دون عزو وينسب الى تميم الصيغـة المعتلة فيقول (وتميم تقول حشته أحوشه وأحشته)(٤).

(٤) صاد وصَيد:

عزى الى الحجازيين قولهم: صَيِد يَصيِد صيدا بمعنى رفع رأسه كبرا.. والى غيرهم صَاد يَصَاد(٥).

(٥) عـار وعَـور:

كما عزى الى الحجازيين أيضا عَوِر يَعْوَرَ.. والى غيرهم عَار يَعَار(٦).

●● *هذه خمسة أفعال نسبت الصورة المعتلة العين فى ثلاثة أفعال الى تميم ولم تنسب صورها الصحيحة.. وعزيت الصورة الصحيحة فى الفعلين الباقيين الى الحجاز دون عزو المعتلة. وبمقـارنـة أقـوال اللغـويين ونسبة إحدى الصـورتـين فى كل فعـل فقط نستطيع أن ننسب ونحز*

بين التصحيح والإعلال
في البيئتين الحجازية والنجدية

متيقنون الى تميم الصيغ: حال، وهاف، وأحاش، وصار، وعار - في مقابل عزو الصيغ الأخرى الى الحجاز وهي: حَول وهَيف وأحْوَش وصَيِد وعَور. . كما نرجح عزو كل الصيغ المشابهة من كل فعل وردت له صورتان إحداهما صحيحة والأخرى معتلة. وكنا نتوقع ان تكون الصيغة التميمية هي التي تصحح الواو والياء - كما نلاحظ ذلك في عين اسم المفعول - لأنها الصيغة القديمة والقدم يتفق وطبيعة تميم البدوية المنعزلة - لكن اللغات لا تسير على خط واحد. والدليل على قدم التصحيح:

[١] ما روى لنا من أن العربية كانت في غابر عصورها تصحح الواوى بدلا من نطقه بالألف كقاعدة وذلك مثل كون بدلا من كان وشوف بدلا من شاف(٧) واذا كان مؤلف كتاب «اللغة العربية في عصور ما قبل الاسلام» والذى روى لنا هذه القاعدة لم يتعرض الا للأجوف الواوى فان ذلك يرجع الى أن النقوش لم تمده إلا بهذا النوع من الأفعال، لكن ما ينطبق على الواو ينطبق على الياء بدليل وجود هذه الظاهرة في اللغة الحجازية وفي لغات سامية كما سنبين.

[٢] وجود هذه الظاهرة في اللغة الحبشية إحدى فروع السامية في الأفعال الجوفاء سواء أكانت واوية أم يائية إلا أن الصوتين ينطقان ممالين فالواو تنطق O والياء ē (سواء أكانت الأفعال متصلة بالضمائر أم غير متصلة)(٨) كما ان هناك أفعالا جوفاء في هذه اللغة غير ممالة مثل بَيَنَ (bayana) بمعنى تحقق ودَيَنَ (dayana) دان(٩).

[٣] ما ورد في النقوش الصفوية من أفعال يائية وواوية مثل بيت byt وسير syr وصيد syd وميت myt وعور Awr وحور hwr (١٠)

●● أما النهج التميمى وهو تحويلها الى ألف ā فيوجد في الآرامية(١١) والعبرية(١٢).

ثانيا: في اسم المفعول الأجوف:

اسم المفعول من الفعل الثلاثى المعتل العين إما يائى الأصل وإما واويه:

(١) اليائى:

وقد قرر العلماء ان للعرب فيه منهجين:

أ - الاتمام: فيجيئون به على وزن «مفعول» دون إعلال. . فيقولون مثلا: مَبْيوع، ومَدْيون، ومَخْيوط، ومَعْيون، ومَغْيوم، ومَطْيوب، وقد نسب ذلك الى بنى تميم(١٣) وبهذه اللغة قال علقمة بن عَبْدَة التميمى:

حتى تذكر بيضات وهيَّجَه
يوم رذاذ عليه الريح مَغْيُومُ(١٤)

●● كما وردت فى شعر غير منسوب: قال الشاعر:

قد كان قومك يزعمونك سيدا
وإخال أنك سيد مَغْيُونُ(١٥)

●● وأنشد أبو عمرو بن العلاء وهو تميمى:

* وكأنها تفاحة مَطْيُوبة *

ب ـ النقص: وذلك مثل: مَبِيع، وَمَخِيط، وَمَدِين ـ بدلا من مبيوع ومخيوط ومديون بحذف أحد حروف مفعول مع كسر فاء الكلمة.. وهذا المحذوف إما عين الكلمة وإما واو مفعول.

●● ولعل من المفيد أن نذكر هنا وجهتى النظر فى الحرف المحذوف كما رآها علماؤنا الأقدمون. جاء فى كتاب «إعراب القرآن» لأبى جعفر النحاس تعقيبا على قوله تعالى: ﴿وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾(١٧) واختلف النحويون ـ بعد هذا ـ فقال الخليل وسيبويه: حذفت الواو لالتقاء الساكنين لأنها زائدة وكسرت الهاء لمجاورتها الياء فقيل مهيل.. وزعم الكسائى والفراء والأخفش سعيد أن هذا خطأ والحجة لهم أن الواو جاءت لمعنى فلا تحذف ولكن حذفت الياء فكان يلزمهم على هذا أن يقولوا مهول واحتجوا بأن الهاء كسرت لمجاورتها الياء فلما حذفت الياء انقلبت الواو ياء لمجاورتها الكسرة.

قال أبو جعفر: وهذا باب من التصريف وغامض النحو(١٨)

[٢] الواوى:

يكاد العلماء يجمعون على أنه لا يأتى منه مفعول بالتمام وإنما يأتى بالنقص إلا فى ألفاظ معدودة وردت بالتمام والنقص. قال ابن جنى «وربما تخطوا الياء فى هذا الى الواو واخرجوا مفعولا منها على أصله» وإن كان أثقل منه من الياء، وذلك قول بعضهم ثوب مَصْوُون وفرس مَقْوُود ورجل معوود من مرضه. وانشدوا فيه:

* « والمسك فى عنبره مَدْوُوف »(١٩) *

●● وممن ذكر أنه يأتى فى ألفاظ معدودة غير ابن جنى: ابن سيده(٢٠) وابن الشجرى(٢١) وابن منظور(٢٢) والزبيدى(٢٣).

ونجد العلماء يختلفون فى عدد هذه الألفاظ التى قالوا إنها شاذة ـ ففى حين ان الفرّاء وابن قتيبة والجوهرى والفيومى ينصون على ان هذا النوع لا يخرج عن كلمتين هما: مدووف ومصوون(٢٤) نرى صاحب التاج يحددها بثلاثة لا وابع لها فيزيد على الكلمتين السابقتين كلمة ثالثة(٢٥) ونرى غيره يذكر أكثر من ثلاثة وإن كانوا جميعا يتفقون على «مدووف» و«مصوون» فابن جنى ـ كما فى النص الذى ذكرناه ـ وابن منظور زادا «مقوود» و«معوود»(٢٦).. وابن الشجرى والشيخ خالد أضافا «مقوود» و«مقوول»(٢٧)..

أما البطليوسى فقد نقل عن الكسائى ثلاث كلمات ـ غير الكلمتين ـ وهى: مقوود، ومقوول، ومصووغ.. وعزا الكلمات الخمس الى فرع من تميم وهم بنو يربوع وكذلك عزاها الى بنى عقيل(٢٨).

ونجد الى جانب هذا الرأى على اختلاف قائليه فى إحصاء عدد الكلمات التامة رأيين متضادين:

الاول: ان الواوى لا يأتى إلا بالنقص وقد صرح بذلك سيبويه(٢٩) والمازنى(٣٠) وعزى فى الاقتضاب الى البصريين(٣١).

الثانى: اجازة اتمام هذا النوع وقد قال بذلك المبرد(٣٢).

الظاهرة فى الوقت الراهن:

واذا ما عرجنا على اللهجات الحديثة لنعرف مدى استعمالها لهذين النوعين لنستطيع من خلال موقفها ان نحكم على هذين النوعين عند العرب قديما باعتبار هذه اللهجات امتدادا لما كان ينطقه العرب. نجد:

(أ) اليائى:

سكان حائل وما حولها يستعملون الالفاظ التى أوردناها كأمثلة ذكرها اللغويون.. فهم يقولون: فلان مَدْيُون والثوب مَخِيوط ومَبْيوع ومَكْيُول ومَعْيُون والتفاحة مَطْيُوبة ومَغْيُوم.. ويقول النجديون «ام البيض مصيودة»(٣٣) ومعنى المثل: إن أنثى الطير ذات البيض يسهل صيدها(٣٤).

●● وفى مصر تستعمل كلمة «مديون» واللفظة مستعملة كذلك فى الكويت(٣٥) وكلمة «مبيوعة» سمعتها فى (جدة) وتستعمل أيضاً فى الكويت(٣٦) وفى أبى ظبى.

ويستعمل سكان (أبى ظبى) أيضاً بعض الكلمات التى أوردناها كأمثلة عند القدماء فيقولون: مبيوع ومخيوط ومكيول.

●● ومن أمثلة هذا النوع ايضا عند الكويتيين مزيود (من زاد يزيد) ومخيوط ومشيول ومزيوت ومشيون ومحيوس (أى مخلوط بغيره) ومعيوب(٣٧).

(ب) الواوى:

قلبت الواو ياء ومن أمثلة ذلك قولهم فى الحجاز «معيوف» (اسم شخص) وهو مستعمل كذلك فى الكويت(٣٨).. وقولهم أيضا فى الكويت مشيوف ومسيوك ومفيوح ومبيوق (من باق يبوق، أى سُرق) ومطيوع ومسيوم ومصيوع (أى عاطل) ومحيوش(٣٩).

●● النوعان اذن مازالت لهما بقايا فى البيئات التى ينتمى كثير من سكانها الى تميم (مثل الكويت) لكن الواوى قلبت عينه (الواو) ياء وهذا يؤكد لنا أنه لم يكن مستعملا الا فى كلمات معدودة.

●● نخلص مما سبق ان اتمام اسم المفعول من الأجوف اليائى كان مطردا لدى تميم التى كانت تقيم بنجد. اما الواوى الأصل فقد اختلف فيه ما بين اطراده لدى أحد بطون تميم وهم بنو يربوع أو وجوده فى ألفاظ منسوبة اليهم.

تفسير الظاهرة:

وقد علل القدماء اطراد إتمام اليائى لدى بنى تميم دون الواوى أن الضمة لا تثقل على الياء لكنها تثقل على الواو خاصة وأن بعدها واوا أخرى إلا أن المبرد (ت نحو ٢٨٥هـ) يرى أن ذلك «ليس بأثقل من سُرْت سُوُورا وغُرْت غُوُورا، لأن فى سوور وغوور واوين وضمتين وليس فى مَصْوُون مع الواوين إلا ضمة واحدة»(٤٠).

واذا كانت حجة المبرد فى إمكان نطق اسم المفعول الواوى الأصل أن نطقه أيسر من نطق أمثال (غوور) فإن كلامه لا يعنى أن نطق «مصوون» وأمثالها ليس بأثقل من نطق مديون وأمثالها لأن نطق اليائى المضموم حقيقة أخف من نطق الواوى المضموم لذا كان طبيعيا ان يسبق الواوى اليائى فى الانقراض.

وبعد: فاذا كانت الصيغة التميمية (يائية كانت أو واوية) هى التامة والحجازية هى الناقصة فهذا لا يعنى سوى أمر واحد هو أن الصيغة التميمية تمثل

مرحلة أقدم من الحجازية وقد أشار القدماء الى ذلك فسيبويه - وان لم يحدد الناطقين - يقول «وبعض العرب يخرجه على الأصل فيقول مخيوط . . »(٤١) . . وابن جنى يقول فى «مبيع» وأصله «مبيوع»(٤٢) - كما قال «وربما تخطوا الياء فى هذا الى الواو وأخرجوا مفعولا منها على أصله»(٤٣) والفيومى يقول «وأما التمام فلأنه الأصل»(٤٤)

●● ونستطيع أن نقرر أن ما يراه (رابين) من أنه ليس حتما أن تكون التميمية هى القديمة(٤٥) مجانب للحقيقة.

●● كما نستطيع ان نقرر أن اسم المفعول من الاجوف الثلاثى مر بمراحل ثلاث:

الاولى: الاحتفاظ بالواو والياء.

الثانية: الاحتفاظ بالياء فقط وحذف الواو إلا فى بعض ألفاظ وهى المرحلة الوسطى التى تطورت اليها اللغة التميمية وقد حافظ على بعض الواوى منها بنو يربوع من تميم.

الثالثة: حذف الواو والياء وهى التى استقرت عليها الحجازية.

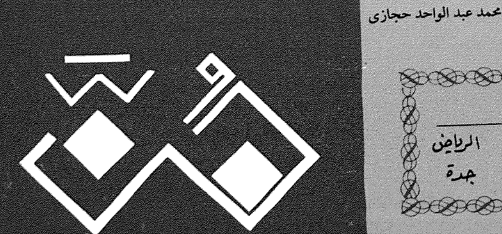
(١) العين (حول) ٣/ ٢٩٩. وعنه معزوا لليث فى تهذيب اللغة ٥/ ٢٤٤ واللسان (حول) ١٣/ ٢٠٣ وانظر: التاج (حول) ٧/ ٢٩٦.
(٢) العين (هيف) ٤/ ٩٦ وعنه معزوا لليث فى: تهذيب اللغة ٦/ ٤٥٠. وانظر التكملة للصغانى (هيف) ٤/ ٥٨٧ - واللسان (هيف) ١١/ ٢٦٧ - والتاج (هيف) ٦/ ٢٧٦
(٣) القاموس (حوش) ٢/ ٢٧
(٤) المحيط لابن عباد (حوش) ٣/ ٣٦٠
(٥) اللسان (صيد) ٤/ ٢٥٠
(٦) اللسان (صيد) ٤/ ٢٥٠ ولم يذكر فيه سوى الماضى وذكر المضارع فى (عور) ٦/ ٢٩١
(٧) اللغة العربية فى عصور ما قبل الاسلام لأحمد حسين شرف الدين ٩٤
(٨) فقه اللغات السامية ١٤٤، ١٤٥ (الفقرة ٢٢٢)
(٩) أسباب الشذوذ فى اللغة ٣
(١٠) Rabin, Incient..P.I12, I13.
(١١) فقه اللغات السامية ١٤٥ (الفقرة ٢٢٤).
(١٢) انظر: المرجع السابق (الفقرة ٢٢٣).
(١٣) الخصائص ١/ ١٦٩، وانظر: أمالى ابن الشجرى ٢٠٩ وإعراب القرآن للنحاس ٢٨٩/ ب، وشرح التصريح ٢/ ٤٩٣، وشرح المفصل ١٠/ ٧٩، وشرح الأشمونى ٤/ ٣٢٤
(١٤) شرح المفضليات للضبى ٣٩٩
(١٥) الخصائص ١/ ٢٦٩
(١٦) المرجع السابق، والمنصف ١/ ٢٨٦
(١٧) المزمل ٧٣/ ١٤
(١٨) اعراب القرآن للنحاس ٢٨٩/ ب وانظر رأى الخليل والأخفش (وهو الأوسط) فى المنصف ١/ ٢٨٧ ورأى سيبويه فى الكتاب ٤/ ٣٤٨ (دون عزو الى قوم معينين).
(١٩) الخصائص ١/ ٢٧٠
(٢٠) المحكم (قود) ٦/ ٣٣١.
(٢١) أمالى ابن الشجرى ٢٠٩
(٢٢) اللسان (عود) ٤/ ٣١٤، (دوف) ١١/ ٧، (صون) ١٧/ ١٨، (قود) ٤/ ٣٧٢
(٢٣) التاج (عود) ٢/ ٤٣٦، (دوف) ٦/ ١٧، (صون) ٩/ ٣٩١
(٢٤) ديوان الأدب ٣/ ٤١٢، والاقتضاب ٢٧٤، والصحاح (دوف) ٤/ ١٣٦١ والمصباح ٧٠٥
(٢٥) نص التاج (صون) ٩/ ٧٩١ و(مصوون) على التمام شاذ لا نظير له إلا مدووف ومردود لا رابع لها وهى لغة تميم وكذا بالنسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية ج٩ برقم ١٨ لغة أبو الذهب ولعل الصواب «مذووق».
(٢٦) اللسان المواضع السابقة.
(٢٧) أمالى ابن الشجرى ٢٠٩ وشرح التصريح ٢/ ٤٩٣
(٢٨) الاقتضاب ٢٧٥
(٢٩) الكتاب ٤/ ٣٤٨
(٣٠) المنصف ١/ ٣٨٣.
(٣١) الاقتضاب ٢٧٥
(٣٢) المنصف ١/ ٢٨٥
(٣٣، ٣٤) الامثال العامية فى نجد ١/ ٣٦
(٣٥، ٣٦) خصائص اللهجة الكويتية - الدكتور عبد العزيز مط ٨٩
(٣٧، ٣٨، ٣٩) خصائص اللهجة الكويتية ٨٩، ٩٠
(٤٠) المنصف ١/ ٢٨٥، وشرح المفصل ١٠/ ٨١ وفيه «غار» بدل «غرت».
(٤١) الكتاب ٤/ ٣٤٨
(٤٢، ٤٣) الخصائص ١/ ٢٦٩
(٤٤) المصباح ٧٠٥
(٤٥) C.Rabin, Ancient West Ararbian P.160.

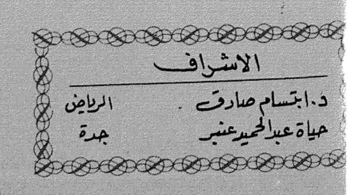






النساء .. شقائق الرجال





الاشراف
د. ابتسام صادق — الرياض
حياة عبد الحميد عنبر — جدة

أبعاد الكلمة

الصحد

لم يعـرف الصحـراء شاعـرٌ كما عرفهـا المتنبى. . فقد قيل فى سيرته وحياته إن أباه قلَّبه فيها على عادة العرب وعاش بين أهلهـا زمنـا مُؤثـراً للبـداوة وطبيعتهـا فى اللفظ والصورة والمعيشـة حتى بعـد تقلبه فى الحضر ومجـالس الادب والترف. . فلما وقف على الضفاف الوارفة من بحيرة طبرية لم يجد فى معجمه البدوى ألفاظا حضارية لتصوير هدير الموج فى شعره فبرزت فى خاطره الطوابع الاولى التى انطبعت فى خياله وسليقته من حياة الصحراء وما فيها من الخيل والجمال فصورها أروع تصوير فى شعره الرصين:

والمـوجُ مثـل الفحـول مُزبـدةٌ
تهدر فيـهـا ومـا بها قطـم
والطـيرُ فوق الحبـاب تحسبهـا
فرسـان بلق تخونهـا اللـجـم

لقد عرف أبو الطيب أسرار الصحراء فكان إذا رفع نظره إلى السماء ورأى برق الغمام عرف متى تسكب جيوبُهُ مطرا.

وإذا تتبعنا الشعر الجاهلى وجدنا فى قصائده وحولياته صوراً صادقة لطبيعة الصحراء وحياة اهلها ـ فألفاظه ومعـانيه عنيفة عويصة. . وقد اختلف هذا الشعر باختلاف الآفاق والمعايش فيها. . لكن تأثير البادية فى طبيعتهـا ومـزاجهـا بقى ساريـاً خلال الأجيـال والعصـور حتى ظهـر المتنبى وعـاش بين البـدو والحضر. . وطوف بالمدن القريبة والبعيدة. . ودخل مجالس الملوك والمترفين ـ غير أن طبيعة البداوة غلبت عليـه وهو فى صميم الحضارة وبقى شعره يعبر عن سليقته وإيثاره لخصائص الصحراء فى العروبة واللغة وفى الحنين والخصال.

ولـم تكن صحـراء العرب واحدة أو محددة وإنما ترامت على آفـاقهم البيـد. . وامتـدت الـرمال والسماء. . وقد علمت أهلها طبيعتُها كيف يعيشون ويفكرون. . ودعتهم للتأمـل فيـما تقـع عليـه أبصـارهم ومسـامعهم فامتزجو بمشاهدها فى ليلها ونهارها ـ وفى رحيلهم وانتقالهم.

ولقـد برزت ملامـح الصحـراء ومطـالعها فى لغتهم وشخصياتهم وفى عاداتهم وتقاليدهم على اختلاف منازلهم وقبائلهم. . ولم تكن الطبيعة وحدها هى التى منحتهم مزاياها وطبعتهم بأصالتها وأطوارها وإنما كان للمرأة العربية أثر ومشاركة فى الاعداد والرعاية وفى دفـع قومهـا وأهلها إلى أروع الصفات وتحقيقها [illegible] حياتهم ومعاملاتهم حتى تمكنت من نفوسهم وأحل[illegible] محلها من العُرْفِ والاعتزاز.




وداد سكاكيني
الاردن

وبقيت الصحراء وما جاورها من شِبْه الجزيرة عصوراً لا يدرى بها التاريخ ولا تعرفها رومة او القسطنطينية حتى خرج العرب من عزلتهم وانطلقوا بالدعوة التى اداها محمد ﴿ﷺ﴾ إلى العالم بالايمان والصبر والجهاد فدانت الدنيا لرسالته الاسلامية التى كانت هدى ورحمة ونوراً بعد ظلام. أدار الحياة فى غير مدارها القديم.. وفتح لها التاريخ أروع الصفحات.. ورفرف عليها إعجاز القرآن الذى دخلت آياته القلوب حتى امتدت فتوحات العرب شرقاً وغرباً. ومن آفاقهم وبلادهم خرج أبطال الحرية والانسانية الذين زحزحوا الظلم والظلام عن العالم وجلسوا فى حلقات التعليم والتوجيه وعلى المنابر خطباء بلغاء فى دمشق والقاهرة.. وفى بغداد وقرطبة.. ليعلموا الناس مما آتاهم الله من علم وإخلاص وإيمان بالحق وقوة فى الجهاد والفداء.

ومن حق سر الصحراء فى ضمير الزمان والانسان أن يستهوى العالم الغربى بسحر أعاجيبه وتهاويله فيما [illegible]ج للناس من آيات وعبقريات حتى اجتذب [illegible]ين والمستكشفين من ذوى العلم والرحلات الى لوافح الشمس وزمهرير الليالى ولآلىء النجوم [illegible] البيد والقفار. وما أروع المفازات فى الصحراء.. [illegible] وصفها المغامرون من الكتاب بأشد مما وصفها الشعراء الذين عاشوا فيها أو تخيلوها وكان من أقواهم تعبيراً وتصويراً الاديب الفرنسى **«سان انطوان اكسوبرى»** الذى جعل كتابه **«أرض الانسان»** عن انطباعاته فى الصحراء وإنك لترى فى صفحاته ألواحاً تعبيرية ماج فيها اللهب وهاجت الرياح وامتدت الرمال.

وفى بعض الصفحات عبر الكاتب الغربى عن تقلب الليل والنهار عبر الصحراء ـ فصور من الجو رحلاته فوقها.. وهبوطه فى مطاراتها اللافحة حتى انقضت به يوماً طائرته فانتهت حياته بهذه المغامرة التى نافس فيها النسور.

وأما بيرينوا الاديب المجمعى الذى هام فى الصحراء وخلد فى روايته «الاطلانتيد» روائع البيد التى يذوب فيها الانسان من الظمأ والتعب ـ فقد كتب على سطورها المتوهجة كيف ضاعت القافلة فوق الرمال الحامية.. وكيف تقاذفتها الريح السموم ـ فغاص بعض المصاحبين تحت الآكام.. ونجا آخرون فظلوا يزحفون تحت اللهيب الى نبع من بعيد ترامت على مائة أنظارهم.. وقد جفت حلوقهم وألسنتهم من العطش فمضوا لاهثين حتى دميت مفاصلهم

وتقرّحتْ مرافقهم ولما بلغوا المحطة البراقة ضحك عليهم السراب وضاع منهم ليتراءى لهم من جديد فى أفق شريد. وغير هذين الأديبين كثير من الأجانب الذين استهوتهم الصحراء لشتى الأسباب والأهواء.. وقد رافق بعض المغامرين إلى اقاصى البيد فى رحلات فردية أو جماعية للتنقيب والاستطلاع وراء سر الصحراء حسان من الغرب مثقفات وغير مثقفات ثم غادرن عالمها العجيب مزهوات مأخوذات بسحره ـ وكانت رحلاتهن سبباً فى اتصالهن بالشرق أو بقائهن فى الدنيا التى طلعت منها شهرزاد..

وكشفت عبقرية الصحراء فى العصر الحديث عن بعض أسرارها التى انطوت فى أعماق الرمال وأطراف الشطوط فإذا بماء الحضارة الذى يدير الآلات وينير الظلمات يتفجر من الأغوار والأسرار فيكون للعرب فضل فى الحضارة الاقتصادية المعاصرة كما كانت لهم المشاركة الدائمة فى الحضارة الفكرية والروحية.

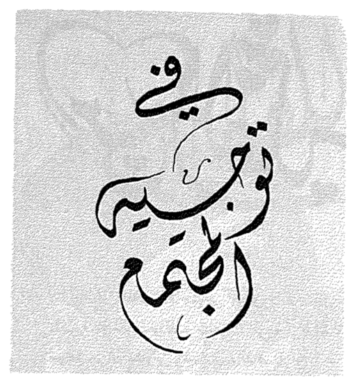
وإذا تعاقبت العصور بأشتات الأحداث والأحكام بقى كتاب الله الذى طلع نوره من صوب الصحراء هدى للناس وبقى بيانه ومحتواه حفيظاً على مقومات الامة فى لغتها وحياتها تواكبه روائع الشعر والنثر فى ركب التراث الكبير. ولو جاز للمتنبى أن يعود الى عصرنا فإنه سيجد حضارة العرب فى قلب الصحراء وربما أطل عليها من الطائرة وقد ذابت فيها المسافات وتجددت الحياة فيرتد إليها الوفاً وقد فارقها موجع القلب باكيا.



لعل من أبرز مظاهر المجتمع الناهض هو ارتفاع المستوى الأدبى فى الامة فهو المقياس الحقيقى لمدى ما احرزته من نهوض.. وما قطعته من مراحل فى ميادين التطور.. وما بلغته من شأن ومنزلة مرموقة ووعى ونضوج.

والأدب عامل من اكبر العوامل فى دفع الأمة وحفزها نحو الغايات البعيدة.. كما أنه يعتبر من أمضى الاسلحة وانفذها فى التوجيه الفكرى والبناء الاجتماعى.

وللأدباء دور رئيسى مهم فى قيادة النهضات ورفع المشاعل وذلك بما يسدونه من اعمال بنّاءة فى كافة المجالات الحيوية ومسئولية الأديب ودوره فى المجتمع مسئولية ذات معنى عميق ـ فالأديب هو الذى يستطيع تصوير حياة الأمة بآلامها وآمالها وخيرها وشرها.. ويسلط أضواءه على عالمه الذى يعيش فيه ويحيا بين افراده وعلى مقربة منه فيعبر تعبيرا صادقا حيا.. ويتجه الى معالجة المشاكل التى تصادف المجتمع فى شتى مناحى الحياة المختلفة. ويعمل على ايجاد الوسائل والحلول الناجعة التى تعيد الأمة فى سيرها وتدفع بها نحو التطور والارتقاء.. ويوجه النقد الهادف البناء على ضوء التجربة التى يعيشها بأحاسيسه ومشاعره ووجدانه.. ويمسك بوتره الحساس ليتلمس مكامن الضعف وعوامل الفساد التى تؤدى بالأمة



الى المهاوى. . ويتتبع الأسباب التى من شأنها اصلاح تلك الاوضاع المعتلة.

والأديب المؤمن برسالته الشاعر بمسئوليته هو الذى يصفو ذوقه. . ويسمو احساسه. . ويخرج من النطاق الضيق فلا يحبس نفسه داخله بل يتعدى ذلك إلى الدائرة الواسعة فيشخص امـراض المجتمـع. . ويعبر اصدق تعبير عما يختلج فى نفوس مواطنيه وما يعتمل فى قلوبهم من مشاعر وطموح وتطلع إلى المستقبل فيتأثر بمحيطه ويحس الآمال التى تفيض بها الصدور ويحفز الهمم ويشحذ العزائم. . ويـوقـظ نفـوس السـابحـين فى سبـات الأحـلام ودنيـا الامانى. . ويغـرس الثقـة فى النفـوس. . ويـدعو الى الفضائـل والخير والاصـلاح. . ويـبرز معـالم الحقيقـة [illegible]نها. . ويبصّر الأمـة بواقعهـا ويفتـح عيونها على [illegible]صواب. . ويكون الشعلة المضيئة التى تنير الطريق نحو العمل والبناء والتعاون.

وما أن تكون الصلة المتينة والعلاقه الوثيقة بينه وبين مجتمعـه حتى يستلهم من واقـع مجتمعـه حقـائق الحيـاة الأصلية. . ويحفل أدبه بالنواحى المشرقة بالحياة والصور الحقيقية للواقع. . ويتحاشى سفاسف الأشياء وشوائب الاهواء فلا يعبأ بمظاهر الحياة واعراضها بل يجند نفسه وقلمه لاستئصال جذور ترهات الحياة ويقضى عليها حتى تتجنب الأمه مزالق الطريق ـ وهكذا يسعى دوما للتعرف على مشـاكـل مجتمعـه وينفعـل بأحداثه وبذلك يخلص لرسالته الأدبية ويصبح لأفكاره أثر ولآرائه وميض وظلال ويرمق الناس أدبه وتكون له قيمته الفنية ويظل نتاجه محل الاعجاب.

ومـا الأديب إلا حامـل مشعـل النـور. . يتعشق الفضيله فيصـورهـا ملاكـا طاهـرا. . ويستقبـح الرذيله فيصورها شيطانا مريدا. . يتأمل الطبيعة فيرى فى جمالها الفن الخالد والحكمة السامية. . ويستوحى الحياة فيقرأ فى سطورها روعة الفن وجلال التصوير وجمال المنظر ثم يعمد إلى قلمه فيسجل تأملاته فى فن وابداع. وقد وجد الأديب ليكون من آذابه سراجا وهاجا. . وجد الأديب لتتبع ادواء امته فيصورها فى صورها الشيطانية المفزعة ثم يعالجها فى حكمة وروية ـ ووجد الادباء ليشدوا عضد بعضهم بعضا فيؤدوا أمـانتهم متكـاتفـين متحدين يعملون على تقوية الروابط الأدبية بينهم ويتعاونون على اداء مهمتهم بأمانه واخلاص.

فالأدب فن وابتكار يفيض على الحياة من روعته وجلاله ما يكسب الحيـاة قوة وجـدة وهـو من اللوازم الضرورية للأمم. وجـد الأدب ليغـذى النفوس بروعة فنه وجلال تصوره وصدق احساسه وجمال مناظره وقوة جاذبيته.

فرسالة الأدب توجيه وارشاد والهام ورفعة واعلاء وبيان للناس ـ وقوة ترفع بهم من الحضيض الى العلا. . ومن التـدهـور والانحطـاط الى أوج الكـمال الى النظـام والتعاون. . وإلى الصفاء والمودة والاخاء.



من القلب

معظم الامهات من فترة غير قصيرة شغلتهن الحياة بأساليبها المتنوعة عن الاهتمام باطفالهن ورعايتهم الرعاية المباشرة خاصة فى السنوات الاولى من حياتهم والتى يكون فيها الطفل فى اشد الحاجة الى العناية الخاصة. فالطفولة فى سنواتها الاولى انها هى بذرة تحتاج الى درايه وخبرة حتى يخرج البرعم قوياً سليما معافى فاذا تفتحت اثماره اخرج اكله نقيا مباركا فيعم خيره.

ان هناك عناصر تتحكم فى رعاية الطفولة مما يؤثر فى سلوكيات الاطفال.. وانماط تفكيرهم.. واساليب حياتهم.

لو نظرنا الى داخل الاسر العربية عامة والسعودية خاصة لوجدنا ـ بكل اسف ـ ان الام اصبحت تعتمد اعتمادا كليا على الشغالة او المربية فى رعاية الطفل والقيام بكل احتياجاته.. إما لان هذه الأم منشغلة فى العمل ولا وقت لديها.. أو أن وجود الشغالة والمربية من المظهر الاجتماعى الذى لابد منه ـ ومن المعروف والمألوف والمقدر سلفا ان المربية او الشغالة لا تستطيع ان تغرس المبادىء الفاضلة او الاعراف الحميدة فى نفس الطفل. وليس ـ هى ايضا ـ تستطيع ان تقول له عندما يبدأ الأكل ان يقول مثلا (بسم الله) وحين ينتهى (الحمد لله).. فهى لم تسمع او تلقن بان تعلم الطفل هذه الخصال.

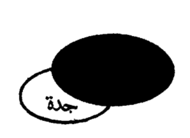
أيضا الفيديو اصبح من الضروريات الحتمية فى حي[illegible] كل اسرة. وللاطفال اهتمامات خاصة به.. وليس بمستغرب ان نرى ابن الثانية او الثالثة يحاول ان يفتح جهاز التلفزيون.. فالكثيرات من الامهات يحبذن بقاء الطفل ـ منذ ان يفتح عينه ـ امام التلفزيون لمشاهدة افلام الكرتون وقد يكون هذا بترتيب مسبق اذ لا تشغل الخادمة به وتترك واجباتها المنزلية التى هى او بعضها ـ اصلا ـ من المسؤوليات المباشرة لربة البيت.

●● ولا يخفى على الأم الواعية أن انشغال الطفل وتعلقه بالتلفزيون وان كان يريحها انما يشكل خطر



داهما على تفكيره. ويحدد اهتماماته. . ويجعله انسانا متكاسلا اتكاليا.

مع الأسف ان الامهات لا يدركن الجناية التى يرتكبنها فى حق انفسهن قبل اطفالهن: فالأمومة تجاوب والطفل فى نشأته الاولى يحتاج الى حنان الأم والشعور بالأمان والدفء الذى لا توفره حتما المربية او الشغالة . . او جهاز التلفزيون. ان الطفل حين يأخذ وجبته على اغنية لطيفة او حكاية سلسه من أمه نجده يضحك سعيداً . . وتغمر الفرحة عينيه البريئتين . . ويلمع الحب فى اعماقه فيخطف قبلة منها - او ربما تكافئه الام بها . . ولن ننسى ان نقول له ابدأ



(باسم الله) وقل (الحمد لله). او ضع طبقك فى المغسلة.

ومن المؤسف أن ساعات النوم: تلك الساعات التى يحتاج فيها الطفل الى الصدر الحنون . . والى بعض الحكايات اللطيفة التى ترسلها الامومة: لتهدهد بها صغيرها او صغارها ليناموا على احلام سعيدة حلوة ويستقبلوا يومهم الثانى بهدوء وراحة ومحبة - حتى هذه الساعة او اللحظات اوكلت للمربيات فتدخل بالطفل الى الغرفة ولا نعرف هل تعطيه قبلة المساء مع الدعاء لله بان يحفظه واهله - ام تلقنه اوامر بالعربية المكسره فى ان ينام.

أيتها الامهات متى تشعرن ان حنان أطفالكن فى مستقبل الايام مرتبط ارتباطاً مباشراً ووثيقاً بحنانكن عليهم وهم فى مراحل الطفولة ومواكب الصبا . . فمن تخاف ان يقسو عليها بنوها فى شيخوختها يجب عليها أن ترعى الصلة بينها وبينهم فى طفولتهم وتسقيهم الحنان مباشرة وليس عن طريق اخريات مؤقتات.

الحب



الحــبُ ما الحـبُ إنـي لا أحَـدِّدُه
وهــل يُحَدَّدُ بحـرٌ دون شطـآنِ
الحـبُ ما الحـبُ؟ إنـي لا أعـرِفُـهُ
وهــل أعـرِفُ شيئـاً فوق عرفـانـي
مَنْ رامَ تعـريـفـه يومـاً أسـاء له
وفي الـسكوت عليـه عينُ إحـسـان
الحـبُ أعظـمُ مما قاله بَشَرٌ
قد خاطبـوه كموضـوع وعُـنـوانِ
وأدخـلوه الـى دهـاليـز فلسفـةٍ
وأقصدوه بتحـليـلٍ وبُـرهـانِ
وأثـقـلُوه بأفـكـارٍ وهـرطـقـةٍ
وكـان منطـلقـا فى غاب وجـدانِ
وعـلّقُـوهُ على أعـوادِ مشـنـقـةٍ
ومـسـمـرُوه على ألـواحِ صُلْبَـانِ
حُريّـةُ الحـب فى تقـيـيـده بها
يزيـد قُوّتَـهُ - من حبـل إيـانِ

الثقة

هل من الممكن أن يحقق المرء ذاتـه إن لم يكن باستطـاعتـه وضع ثقته بمن يحيط به؟ كم يبدو الانسان تعساً وراء مشوار تشكيكه المستمر بالآخرين وخـوفـه المقيم من أن يخدعوه أو يخونوه.. هذا لئلا نقـول ان الانسـان الذى يقضى ايامه ولياليه حذرا متـوجسـاً متحفـزاً يبـدد طاقـاته الخلاقة ويبذر قواه المعنوية فى اوهامه وهواجسه. ولكن.. كيف يكون بوسع الانسان أن يحب وأن يكون محبوباً اذا لم يكن قادراً على منح الآخـرين ثقته والركون اليهم؟.. فالحب هو فعل ايمان فمن يفتقر الى الايمان يفتقر الى الحب.

ونحن نلمس روعة الشعور بالطمأنينة والحرية اللتين تعمـر بها صدورنـا عندما نخاطب شخصاً يثق بنا ونبادله الثقة ومما لا شك فيه أن أدق مرحلة فى مهمة الطبيب النفسانى هى تلك التى يترتب فيها عليه ان يكسب ثقة مريضه فيستسلم إليه ويبوح له بمكنونات نفسـه وبعد تحقيق هذه الخطوة فقط يمكن المباشرة بالعلاج الفعلى.

«يجب علينا أن نحب الناس وأن نضع ثقتنا بهم إذا كنا راغبين حقاً فى عدم إفساد حياتنا نحن». كـ كتب الروائى فوستر.

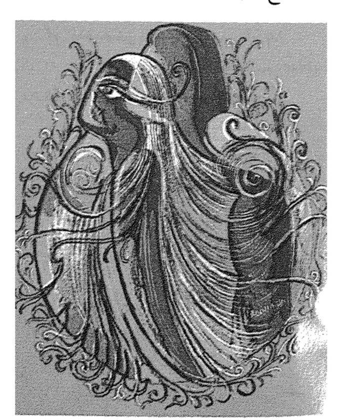


الراحة النفسية

بثينة اسماعيل
مصر

والسؤال الآن : لماذا يجد بعضنا صعوبة فى التوصل الى مثل هذه النتيجة مع انها تبدو سهلة المنال دانية القطوف؟

● لأن الخوف يشل قوانا الخيرة. تأمل المسافرين ى طائرة أو قطار بعضهم جالس الى جانب البعض لآخر ومع ذلك فليس منهم من يتجرأ على البدء الحديث مع جاره.



لماذا؟ لأننا نخشى الا نلقى التجاوب المنتظر أو أن يصدمنا التوجس والارتياب.

فكيف يمكننا أن ننمى فى نفوسنا ملكة الثقة؟.

●● أن نثق بأنفسنا «لا شيىء يخيفنى مثل الناس الذين يخافون منى كما يقول روبرت فروست. . والواقع أن الشخص الذى يشعر بعقد النقص أو الذى يشك فى نفسه لابد له من أن ينطوى فى قرارته على عدم الثقة بالآخرين.

والثقة بالنفس لا تعنى اعتبار الكمال متوفراً فيها. وعلينا ألا نتوقع من أنفسنا ولا من أمثالنا أكثر من حسن النية وبذل الجهد فى حدود امكاناتهم للقيام بواجبهم».

ومن يضع ثقته بالآخرين يخطىء أقل ممن يجعل التشكيك والريبة ديدنه ووسواسه». وليس من شيىء عظيم فى هذا العالم تم من غير الثقة. . ليس من انسان فاقد ثقته بالناس استطاع أن يرقى الى المراتب العليا أو أن يحقق عملاً عظيماً.

ويقول أمرسون «**ثق بالناس يخلصوا لك. . كن كريماً معهم يقابلوك بالمثل**».

علل العقل



كان قدماء العرب يستدلون على عقل الرجل بامور متعددة منها: ميله الى محاسن الاخلاق وإعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته فى اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عاراً او يورثه سوء سمعة.

وقد قيل لبعض الحكماء بِمَ يعرف عقل الرجل؟ فقال: بقلة سقطه فى الكلام وكثرة اصابته فيه. فقيل له فان كان غائبا. قال: باحدى ثلاث.. اما برسوله واما بكتابه واما بهديته.. فان رسوله قائم مقام نفسه. وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان نعمته.

وقيل من اكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس، ويكفى ان حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى. فانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: «من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق» وقالوا العاقل الذى يحسن المداراة مع اهل زمانه وفى الحديث الشريف «الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس» وقد قال احد الحكماء: العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه اعرابى فقال: هذا كلام يقطر عسله.

وقيل ايضا ان لكل شىء غاية وحدوداً إلا (العقل فلا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار فى المروج.

وفيقة عواد سلامة

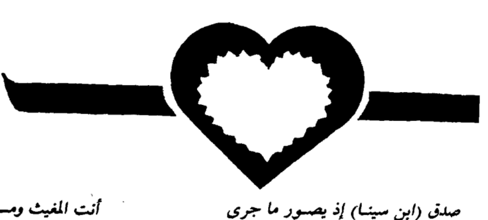
ابتهال

مادامت الأرواحُ فى الأبدانِ
تنفكُّ فى توقٍ إلى الأفنان
أفنانُ طيرٍ.. كان يرتع ناعماً
بِرُبى خلود زاخر ريَّان
ثم انتهى للقيد حتى لو بدا
من عسجد.. فالأسر صاب هوان
هل يستوى عيشٌ بدنيا زُخْرُفٍ
وجوار ربٍّ منعم رحمن؟

***

فى عالم الذَّرِّ انتشوا من رؤيةٍ
عُلوية فى حضرة الديَّان
سمعوا: ﴿ألستُ بربكم﴾؟ قالوا: بَلَى
فى عالمٍ خالٍ من الأدران
وبأحسن التقويم أبدَعَ خَلْقَهُم
لِتَنَافُسٍ بتعبُّد وتَدَانِ
لكنَّهم - فى غفلةٍ بشريةٍ -
هاموا بما يفضى إلى الخسران





صدق (ابن سينا) إذ يصور ما جرى
للنفس حيث مثابة الأشجان
فإليك ياربِّى أسوقُ ضَرَاعتى
لتفردّى بالبيث والحرمان
قد عشتُ فى دنيا الورى بتفجُّعٍ
وتنكّر.. ما كان فى الحسبان
حظّى قليلٌ بينهم وتعاستى
فاقتْ حدودَ الوصفِ والتبيان

***

أنت المغيثُ وما بجاهك لى سوى
تقوى ألوذُ بها كحصن أمان
والداء يستشرى بجسمى ممعنا
كالأخطبوط.. سرى بغير توان
كم ذقت من حلو الحياة ومرِّها
حتى ارتويتُ بمهمه النسيان
قَسَتِ القلوبُ وصرتُ أحيا فى لظىً
هيهات تُطْفئه يَدُ الطوفان
وسهرتُ ليلى والأسى بى محدق
فى لوعتى أهفو لقلبٍ حانى
والأهلُ والخلّان فى شغل بيا
هم فيه من.. صد ومن هجران
وأنا ببابك لن أحيد ومنيتى
يوم الرجوع.. تجود بالغفران
مادمتَ تَغْمُرُنى بودك راضياً
فالضر والنعماء لى سيّان

تدعو (جنة الأطفال) اصدقاءها الذين يرسلون لها أفكاراً وطرائف ان يقرنوا ما يرسلونه بالصور الملونة

جنة الأطفال

اشراف
بابا فريد

كلمة أولى



بدأ العـام الدراسى . . وبدأت الشوارع الصباحية تأخذ شكلاً جديداً . . اكتست بالطفولة والبراءة والصخب الجميل.

اطفـال فى أذرع الآبـاء . . واطفال يُطِلُّون برؤوسهم الصغيرة من السيارات.

كتب جديـدة . . وكـراريس جديدة . . ومعلومات جديدة تزحم البيوت وتصنع بهجة لها مذاق آخر .

كل عام واحبابنا الحلوين بخير.

وكل عام ومدارسنا الجميلة بخير

واهمس فى اذن الآباء مثلى :

تذرعوا بالصبر فلا أجمل من الجلوس الى طفلنا وهو يغالب دهشته الأولى امام المعلومة الجديدة.

بابا فريد

متشابهان

من غرائب الصـدف أن القائد محمد على باشا ونابليون بونابرت تشابها فى نواح كثيرة منها مثلا :-

* ولد نابليون عام ١٧٦٩ وكذلك محمد على .

* ولد نابليون فى مدينة بحرية على شواطىء البحر الابيض المتـوسـط فى جزيرة كورسيكا وكذلك محمد على ولد فى مدينة بحرية على شواطىء البحر الابيض المتوسط (قواله فى البانيا).

* برز نابليون مرتين وكذلك محمد على وكانت زوجة نابليون الاولى (جوزفين) أرملة وكذلك زوجة محمد على الاولى (أمينة هانم) كانت أرملة.

* احـدى زوجتى نابليون وهى (جوزفين) لم تنجب وكذلك احدى زوجتى محمد على وهى (ماه دوران) لم تنجب.

* نابليـون أخـرج الانجليـز من الاسكنـدريـة سنة ١٧٨٦م وكذلك اخرجهم محمد على من الاسكندرية ١٨٠٧م.

* أدخـل نابليون زراعة القطن الى بلاده. وكذلك فعل محمد على الذى أحضر بذرة القطن الى مصر من سيلان.

* نابليون أنشأ أول بنك فى بلاده وكذلك فعل محمد على.





رانيا حليم — رجوى حليم — سميح محمد — أحمد بدر — شاهنده محمد — ريهام حافظ

* نابليون أمر بتحرير العبيد وكذلك فعل محمد على.

* نابليون تنازل عن العرش لابنه (مرغما) ومحمد على تنازل عن العرش لابنه (راضيا).

* نابليون مات بسبب المرض ويقال ان مرضه كان سل فى المعدة وكذلك مات محمد على بالسل.



مختارات

أرسل لنا الصديق محمد عبد الفتاح راغب هذه المختارات:

عجائب الحيوان

● تستطيع الببغاء تحريك منقاريها الأعلى والأسفل، أما بقية الطيور فانها لا تحرك غير منقار واحد.

● لا تغمض عين الأرنب على الاطلاق.. وليس لعينه جفن وله بدله غشاء لحمى رقيق يحجب العين عند نومه.

● تبتلع الاسماك طعامها بسرعة وبغير مضغ لأنها تفتح فمها وتغلقه باستمرار للتنفس فإذا احتفظت بالطعام فى فمها ماتت مختنقة.

● يتكون سنام الجمل والهجين من أنواع مختلفة من المواد الدهنية.. وهى للجمل بمثابة (الكرار) يختزن فيه طعامه ليتغذى به إذا أعوزه الغذاء ويستطيع الجمل أن يعيش على سنامه زمناً طويلاً بغير حاجة الى أى غذاء آخر.

رأى الأسرة

أنس ومسلسله الجديد..

أنس ولد ذكى ونشيط.. ولكنى لاحظت شيئاً بدأ يزعجنى.

فهذا الولد الذى يسهر حتى الثانية عشرة امام الفيديو.. ولا ينام قبل ان تنفد حججه الكثيرة.. بل ربما لا ينام قبل ان يداعب النوم عينى أنا شخصياً.

أنس هذا عندما طلبت منه ان يعمل «الواجب المدرسى» بدأ مسلسلاً جديداً من الحجج حتى ينام.

بالأمس فعل هذا وبدأ يتثاءب من السادسة واغتظت وقررت ألا ينام قبل اتمام «الواجب» ولكننى اتساءل ما العمل؟.

ام أنس.

سيكولوجية الانفعال

إن أبناءنا هم فلذات أكبادنا وأمل المستقبل . . ولا شك أننا نريد لهم حياة سعيدة مستقرة . . آمنة خالية من التوتر والقلق والصراع . ويستدعى ذلك من الاباء والمربين توفير العناية اللازمة لهم وخاصة فى مراحل النبت الاولى - حيث يرى علماء النفس أن السنوات الاولى فى حياة الطفل هى التى تحدد شخصيته وتشكل اسلوبه فى مواجهة مشوار حياته الطويل . . وتحدد قدراته على مواجهة مختلف المواقف اذ يكتسب الطفل بعض العادات المفضلة وبعضها غير المفضل كسرعة الغضب والثورة ويصبح حاد الانفعال عصبى المزاج . والانفعال حالة جسمية ونفسية ثائرة يضطرب لها الانسان كله جسميا ونفسيا وعصبيا . . ويحدث الانفعال فى جميع الاعمار عندما يحدث للفرد تغيير فى حياته فى السنة الاولى عند الفطام . . وعند مجىء مولود جديد فى الاسرة . . وعند الانتقال من حياة الحضانة المنزلية الى المدرسة . . وعند دور المراهقة والبلوغ وفى سن اليأس . ويختلف الموقف المثير للغضب من فرد لآخر وكذلك تختلف أساليب التعبير عنه وان كانت بعض الدراسات تؤكد ان البنين أكثر ميلا للغضب من البنات وقد يكون الانفعال ضرورة حتمية فى بعض الاحيان كصون الشرف والسمعة والكرامة وحفظ الحقوق وفى هذه الحالة يأخذ اتجاهاً بنّاء أما اذا اتجه اتجاهاً هدّاماً فينبغى سرعة علاجه .

اسباب الانفعال الحاد لدى الاطفال :

قد يرجع الانفعال عند الطفل الى حالة الجسم لان أى نقص فى الجسم يؤدى الى سرعة الغضب أو الشعور بفقدان الامن والحنان وعدم استقرار المناخ المنزلى وشجار الوالدين الدائم امام الطفل فتهتز ثقة الطفل بالجو المنزلى . . وقد يتحيز الطفل الى احد الوالدين ضد الاخر مما يجعله ناقما على الجو المنزلى كله وتنتقل معه هذه النقمة الى المجتمع الخارجى . . وقد يرجع سبب سرعة الغضب الى التقليد حيث يشاهد الطفل ثورة الوالدين لأتفه الاسباب . . وقد يرجع السبب الى المعاملة غير الحكيمة من قبل الآباء او الى درجة حرارة الجو حيث اكدت بعض الدراسات ان اطفال المناطق الحارة أكثر ميلا لثورة والغضب عن اطفال المناطق الباردة . . وقد يكون السبب هو تأخر التلميذ فى دراسته او اخفاقه فى التقرب من والديه او معلميه . . او نتيجة لمناخ البيت

محمد عيسوي الفيومي

لدى الأطفال

، المدرسة فيثور الطفل عند العودة للمنزل ويصبح
ثير المطالب قليل الصبر كثير النقد شديد التدقيق
ير سبب جوهرى. . وقد يرجع السبب الى شعوره
غيرة نتيجة قدوم مولود جديد للاسرة ويخشى أن
زع منه الوافد الجديد اهتمام الآباء. . او ان السلطة
حيطة بالطفل تحابى غيره. . او فى حالة تعدد
سلطات كالاب والام والجد والخالات والاخوات
كبر سنا.

لم يفضل بعض الآباء البنين على البنات. . وقد
جع سبب الغضب عند الطفل الى تقيد حرية
ركة الجسمية او اللعب الحر او تقيد حرية التعبير
، الرأى او تقيد اثبات الذات وخاصة عند المراهقين
كبار. . وقد يستغل الطفل الغضب كسلاح
قيق اغراضه فاذا طلب من امه شيئاً ولم تجبه لجا
الغضب والصراخ وبذلك يلجأ الى الصراخ
صة اذا شعر بضعف السلطة. وبذلك يمارس
الاطفال هذا السلوك مع الام اذا استشف منها
عف بينما لا يمارسه مع والده. وقد يلجأ الطفل
الغضب اذا كانت السلطة شديدة فى حضور احد
الاسرة لانه يضمن فى هذه الحالة شفيعاً له وقد

يصل الامر الى الاغماء ويمثل الاغماء هنا احد الحيل
الدفاعية اللاشعورية حيث يجتمع افراد الاسرة جميعه
حوله وكل منهم يحاول ان يقدم مساعدة له ويظهر
الكل خوفه وقلقه عليه.

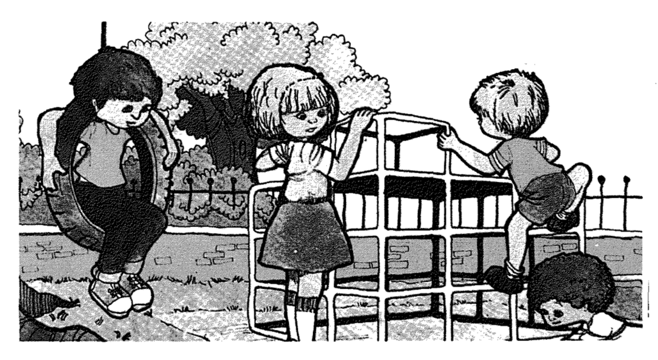
وغالبا ما يكون ذلك فى حالة التدليل ثم تعقبه
شدة. . وفى الطفل الأول وكذلك فى حالة تذبذب
المعاملة وقد يكون الغضب نتيجة الاعتداء على
ممتلكات الطفل سواء من الاخوة او الاباء ويقل هذا
الميل فى التقدم فى السن لانه غالبا ما يكون التشاجر
دليلاً على عدم اكتمال النمو الاجتماعى ويحتاج الى
حسن التوجيه.

الوقاية والعلاج:

قد يكون الغضب تعبيرا عن خيبة أمل او اخفاق
اجتماعى او شعور بظلم الكبار ولهذا ينبغى على
الاباء والمربين أن يبحثوا عنه ليزيلوا اسبابه لان الطفل
فى حاجة الى توجيه لمعرفة الحسن والردىء مع عدم
تقيد حريته بارغامه على اتباع نظام معين محدد
التفاصيل وان تتسم معاملته بالاتزان وان تتضمن

شدة بغير عنف ولين فى غير ضعف ـ كما لا ينبغى الاكثار من التدخل فى اعمال الاطفال او تحديد حركتهم او ارغامهم على الطاعة لمجرد الطاعة وانما يكون التدخل بمقدار وتبعا للمواقف التى فيها خطر على حياة الطفل او صحته مثل النار الحارقة او الماء المغرقة او السم القاتل او الطعام غير الصالح حتى لا يلحق به اضراراً ـ كما ان هناك بعض المواقف يُستحب التدخل فيها لسلامة الذوق العام كارشاد الطفل لعدم الشرب بصوت او وضع رجل فوق

امر صحى ـ كما ينبغى عدم اغتصاب ممتلكات الاطفال اوتخريب ادواتهم خصوصا فى ساعة غضب وعدم استثارة الاطفال لتسلية انفسنا او اثارة غضبهم بمنع امتياز معين عنهم ثم التنازل لهم خوفا منهم وعليهم اذ لا ينبغى ان يسمح للطفل ان يحصل على ما يريده بطريقة الصراخ . . ولا يجوز محايلته وتدليله فى هذه الحالة . . ولا ينبغى الظهور امام الطفل



اخرى بحيث يواجه حذاؤه وجه الآخرين. وكذلك عندما يثير الطفل ضجيجاً ليقلق الآخرين اذ يخطىء بعض الاباء فى تدخلهم لحل بعض الالغاز المستعصية على الطفل مما يحرمه لذة المحاولة الذاتية والنجاح الذاتى . . وقد يريد بعض الآباء من ابنائهم ان يحققوا ما اخفقوا هم فى تحقيقه وقد لا تساعد الطفل امكانياته مما ينتج عنه بعض الاضطرابات النفسية ـ كما لا ينبغى اظهار الاطفال بمظهر العجز او الاستهزاء بهم والسخرية منهم او اذلالهم او كبتهم او تخويفهم او العمل على تهدئتهم بالعنف والشدة.

فالسماح لهم بالتعبير عن انفعالاتهم العنيفة احيانا

بمظهر الضعف والقلق ولا بمظهر الاهمال له وعدم الاهتمام به بل يجب ان يكون موقفنا توجيهاً وانماء فى الاتجاه الصالح . . مع عدم مناقشة سلوك الطفل مع غيره على مسمع منه . . او اثارة الغيرة بين الاطفال وعدم الاكثار من الموازنات العلنية بينهم ولا خلق جو يشعر بالتفريق بينهم . . وينبغى ان يكون جوالمنزل جو عطف وهدوء وتقدير وعدل وثبات فى المعاملة . .

وان يكون الطفل مشغولا فى وقت فراغه بنشاط لذيذ منتج كاللعب او هواية او عمل . . ويجب ان تكون التربية لوقت الفراغ بمعنى التوجيه لاستغلال وق

الفراغ استغلالا حسنا وهو هدف هام من اهداف التربية .

كما ينبغى ان يوجه نشاط الناشىء لخدمة المجموعة التى ينتمى اليهـا وللنـواحى الخلقيـة والابـداعيـة الايجابية وادماج الطفل فى جماعات الرياضة مع حسن توجيهه . . ومعالجة الطفل ان كان من النوع العنيف بشغله فى عمـل يحتـاج الى جهـد كالحركة واللعب الـذى يتطلب تحريـك الجسم كله لان الالعـاب الجسمية افضل لهذا النوع من الالعاب العقلية وان يسير فى الهواء الطلق مع تناول كوب من اللبن .

وينبغى ان نضبـط انفسنـا قدر الامكـان امـام الاطفال ـ بل يجب ان يتعود الاباء الانشراح سيما عند عودتهم من العمل . وعلى الآباء والمعلمين ان يتريثوا فلا يقـابلوا غضبـاً بغضب اذ يحتمل ان يكونوا هم مصـدر المشكلة كلهـا فعليهم ان يدرسـوا دائـما تصـرفـاتهم مع ابنـائهم فى مثـل هذه الحـالات . .

وعليهم ان يصلحوا من انفسهم اولا والّا تعذر عليهم اصلاح ابنائهم . . وعلى الآباء ان يتسلحوا بقدر من الـوعى النفسى والـتربوى ليمكنهم من المساهمة فى خلق جيل صالح لنفسه ولأمتنا العربية العريقة .



اغاني الأطف

في ٢١ لغــــة

الانسان هو الانسان فى كل مكان بحسه ومشاعره وأذنه الموسيقية.. ومهما اختلف الناس فى ألوانهم ولغــاتهم وحضــاراتهم وبيئـاتهم فكلهم لآدم وكلهم ابنــاء أب واحــد وأم واحـدة. هذه الملاحظة الطريفة والتى بدأ بها الكاتب أحمد نجيب كتابه «أغانى الأطفال الشعبية فى ٢١ لغة من لغات العالم» هى ثمرة لدراسة عينات من أغـانى الأطفـال الذائعة فى ٢١ لغة من لغات العالم.. وكانت النتيجة المثيرة هى ان جميع هذه الأغانى جاءت على وزن واحد هو وزن الأغنية الشعبية المصرية:

هينا مقص　　هينا مقص
هينا عرايس　　بتترص

وإذا كان الانسان هو الانسان فى كل مكان فلابد من دراسـة أثـر الغناء والموسيقى العربية على موسيقى وأغانى الشعوب الأخرى فى بقاع العالم المختلفة. وقد أشاد الدكتور عبد المنعم ماجد رئيس قسم التاريخ بأداب عين شمس فى كتـابـه: «تـاريـخ الحضـارة الاسلامية فى العصور الوسطى» ان للغناء والموسيقى العربيين أثرهما الواضح فى الغناء والموسيقى العالمي خصـوصـا بين شعـوب اسبـانيا والمكسيك وأمريكا الجنـوبية وشعوب افريقيا وآسيا.. كما ان كثيرا من الآلات العربية الموسيقية دخلت اللغات الأوربية مثل القانون والطبل والنقارة والقيثارة والعود والرباب.

من هذا نجد الأثر الواضح للغناء والموسيقى العربية على اغانى وموسيقى الشعوب الأخرى مما جعل مؤلف الكتاب يبدأ دراسته القيمة ويضعها بين دفتى هذا الكتاب الذى قال عنه الدكتور عبد الحميد يونس: انه وثيقة علمية هامة تفتح آفاقا جديدة لرؤى خلاقة ودراسات متعددة.. و يضفى على هذه الدراسة أهمية خاصة أنها لا تعتمد على مجرد الاستنتاج النظرى وانما تقوم على المواجهة الواقعية التى تتفق مع ما تتجه اليه الدراسات الانسانية فى العصر الحاضر مع الأخذ بمناهج العلوم الطبيعية الى حد كبير. كما انهـا اتسعت حتى شملت شعـوبـا فى قارات العالم كلها.. كما ان الكاتب بجانب المواجهة الواقعية مع ابناء الشعوب المختلفة التى جمع من أفواه أهلها مباشرة الاغانى التى جعلهـا محل دراستـه ـ فقـد حرص على التسجيل الصوتى ليس فقط لهذه الاغانى بأصوات أهلها وانما أيضا لما دار بينه وبين ابناء هذه الشعوب من مناقشات حول كل



ـال الشعبية من لغات العالم

تأليف احمد نجيب
عرض وتلخيص
فردوس عبد الرازق

أغنية. وقد توصل الكاتب الى نتيجة مثيرة لهذه الدراسة وهى ان اغانى الاطفال الشعبية تتفق فى وزنها الشعرى مع بحر المتدارك العربى مثل: «هينا مقص وهينا مقص - عمك شنطح جالك ينطح - حادى بادى سيدى محمد البغدادى.. الخ».. وهذه الاغانى من الاغانى الشعبية المصرية. كما شد انتباه الكاتب ان كثيرا من الأغانى العربية غير المصرية كانت على نفس الوزن الشعرى مثل الاغنية السورية:

جينا يا نهر الافراح جينا
مروان أقوى سباح فينا

وخلال زيارة الكاتب لاكاديمية العلوم التربوية الالمانية عرف على بعض اغانى الاطفال الشعبية الذائعة المعروفة أغانى (ماكس.. ومورتين) فوجدها على نفس الوزن شعرى السابق.. ثم وجد اثناء زيارته لفرنسا وبعد سجيله لبعض الاغانى الشعبية مثل «لا لويت.. وفى ... القمر» وجد انها تجرى على نفس الوزن الشعرى ... أيضا - ثم سجل اغنيات أخرى بلغات مثل ...نجليزية - الالمانية - النرويجية - البرتغالية - وغيرها - ...جد نفس الشىء تقريبا. من هنا بدأ الكاتب محاولة جادة ...ل كون الاغانى الشعبية فى هذه اللغات وغيرها على نفس الوزن الشعرى العربى (فعلن - فعلن).. فبدأ بأخذ الاغانى الشعبية من أفواه المواطنين وتم تسجيلها بأصواتهم بحيث تكون الاغنية المختارة مشهورة وذائعة الانتشار فى مكانها.. ثم طلب الباحث من المواطن كتابة الاغنية المختارة بلغتها الأصلية مع طريقة نطقها بالانجليزية وشرح معناها.. ثم مراجعة نطق الاغنية المكتوب بالانجليزية على كلمات الاغنية المكتوبة باللغة الاصلية.. ثم تسجيلها بالصوت المرافق مع اعادة كتابة منطوق الاغنية باللغة العربية وتقطيعها طبقا لأوزان الشعر العربى بحضور المواطن الذى سجلها بصوته لمراقبة الطريقة التى تنطق بها وللتأكد من صحتها ومطابقتها للطريقة التى تنطق بها كلمات الأغنية فى اللغة الوطنية.. ثم تسجيل نتيجة هذا التقطيع النهائى طبقا للوزن العربى بحضور المواطن وموافقته على سلامة النطق.

وبعد هذه المراحل أو الخطوات - مع جميع الاغانى التى تم تسجيلها بدون انتقاء باللغات الاحدى والعشرين كان بروز الوزن الشعرى العربى واضحا بدرجة مذهلة.

ففى مصر على سبيل المثال يتضح هذا الوزن فى كثير من الاغانى الشعبية مثل:

هينا مقص وهينا مقص
هينا عرايس بتترص
فيهم واحده شامية
شعرها ضانى ضانى
لفيته على حصانى
وحصانى فى الخزانه
والخزانة من غير سلم
والسلم عند النجار
والنجار عاوز مسمار
والمسمار عند الحداد.. الخ

وقد استعرض الكاتب بعض الاغانى الشعبية المنتشرة فى كل من السعودية واليمن وغيرها ونختار من السعودية هذه الأغنية التى تقولها الطفلة أمل التويجرى بالصف الثانى الابتدائى (وقت التسجيل معها).

حمامه حمامه .. ثلاث حمامات
واحده تصلى .. واحده تصوم .. واحده تدعى للرسول
مرت عبلة بنت النور
حاملة حبيبها ورايحه تزور
رحت لأمي .. لاقيتها بتبكى
رحت لعمى .. سيح لى دمى
رحت لابويا .. فرش لى حصيره .. قال لى اقعدى
فتح لى الرادى (الراديو) قال لى اتسمعى
فتح لى الشباك قال لى اتفرّجى
شفت حمامه بتصلى ع النبى .. بتصلى ع النبى

أما فى كينيا على سبيل المثال ـ فان االلغة الانجليزية هى اللغة الرسمية اما اللغة القومية فهى السواحلية.. ويوجد هناك حوالى ٣٧ قبيلة لكل منها لغة خاصة بها والاغنية التى يقدمها الباحث بلغة كى‌كويو وهى لغة قبيلة كبيرة ورئيسية.. وهى أغنية قدمها مستر «جود فرى نجورو» وكان الجميع كبارا وصغارا يتغنى بها قبل الاستقلال ـ ومازالت حتى الآن وبعد الاستقلال من الاغانى الشعبية الشائعة هناك.. تقول كلمات هذه الأغنية:

هيا بنا .. هيا بنا
الكورس .. ارفعوا العلم
ارفع العلم يا كينياتا
أريد ان أراه يخفق فى السماء
ذا الالوان الثلاثة
الكورس: ارفعوا العلم
الاحمر رمز حقنا فى الاستقلال
الكورس: ارفعوا العلم
الأسود رمز لاننا هنا الافارقة
الكورس: ارفعوا العلم
الأخضر يمثل الارض الزراعية فى كينيا
الكورس: ارفعوا العلم

ومن نيبال يقدم لنا الكاتبُ هذه الأغنية وهى باللغة النيبالية التى هى اللغة الرسمية والقومية هناك

أى هذه الفراشه.
كم أنت فى عجلة دائما ومشغولة بين الزهور

ومن كمبوديا يقدم مستر فونج هذه الأغنية باللغة الكمبودية:

نحن نلبس القبعة ونعيدها
هذه القبعة اشتريناها من السوق
اذا كانت تعجبك عليك ان تطلب من جدك أن يشتريها لك
هذه القبعة ملكى

اللغـة الانجليزية هى اللغة السائدة هناك: ويقدم هذ
الأغنية مستر تيتوس والتى يقول معناها:

نحن الأولاد . . نحن البنات . . نذهب الى المدرسة
المدرس يقول اننا نذهب الى مدرسة طيبة
ونتعلم أشياء حسنة
وبعد المدرسة . . نعمل لخير بلادنا.

ومن قارة أوربـا: يقـدم لنا الكاتب أغنية من فرنس
تتحدث عن طائر جميل (لالويت) وهى مطبوعة فى كتاب
معه اسطوانة.

وأغنية أخرى من المانيا من أغانى (ماكس وموريتز
ومعناها يقول:

أرملة اسمها بولتا
هذه السيدة العجوز
كان عندها دجاجات جميلة

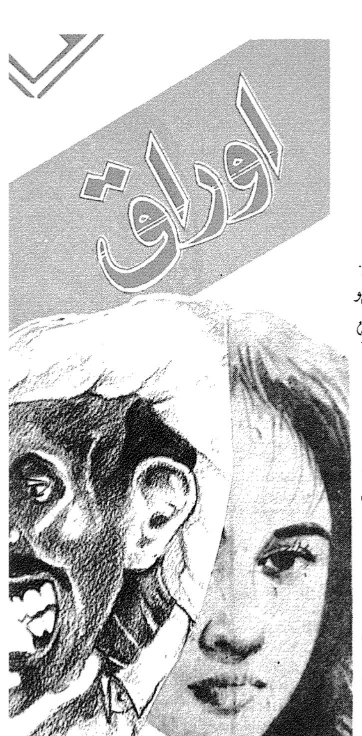
ومن أمريكا الجنوبية يقدم لنا الكاتب أغنية البرازيل
باللغة البرتغالية ومعناها:

من النرويج البعيد
أتت هذه الأغنية
يغنى العصفور كو كو كو كو
انتبه خذ بالك
صوت العصفور (كو كو كو كو)

وفى النهاية يقول المؤلف عن هذه الدراسة القيمة (لا
تطمـع الدراسة الواردة فى هذا الكتاب الى اكثر من أن
تكون مؤشرا يلفت الانظار الى ظاهرة تستحق المزيد من
الـدراسـة للتعـرف على أبعـادها المختلفة وسبر أغوارها
والكشف عن مدى اتسـاع نطـاقها فى هذه اللغات وفى
غيرها . . وما الى ذلك مما يحيط بهذا الموضوع).

ومن فيتنام: يقدم لنا مستر كوانج اغنية بعنوان «مستر
كووء فى القمـر» التى يقدم لنا الكاتب معناها فى قوله:
«توجد شجرة بانيان كبيرة ويوجد رجل عجوز اسمه كووء
وهو يحلم ـ انصت يا مستر كووء: لماذا تود البقاء فى القمر
الى الأبد . . ؟ إن الأطفال الذين يودون الذهاب للعب فى
القمر يستطيعون أن يسألوا السماء أن تعطيك سلما.

ثم ينتقل الكاتب الى استراليا: ويقدم لنا أغنية بلغة
(نالى) وهى تكتب بحروف مثل اللغة الانجليزية ذلك ان





(١٣١)

كل شيء هنا يسير رتيباً يبعث على السأم:
نصحوا باكراً وننام متأخرين. . الجدول اليومي كما و
لم يتغير ولم يطرأ عليه تعديل. . كما نحن لم نتغير م
أننا نتعامل مع متغيّرات. .

الورقة (١٣٢)

صدقيني . . أعْينُ الرجال ليست فارغة. .
لكنهم لا يملكون إخفاء اعجابهم بما يرونه
ويسمعونه.

الورقة (١٣٣)

تعجبني الفتاة المتعلمة التي واصلت مشوارها
التعليمي حتى حصلت على مؤهلات عالية. . لكن
سرعان ما تسقط من العين حين يثبت فشلها في
المطبخ فتلجأ الى كتب تعلم الطهو. .

الورقة (١٣٤)

المرأه الذكية هي التي تعرف جميع الطرق المؤدية الى
قلب زوجها. . وتطرقها جميعاً دونما تركيز على سبيل
وهجر آخر. . لا بل عليها ان تفتش عن طرق أخرى
وبطريقتها الخاصة.

الورقة (١٣٥)

المظهر . . والجوهر . . في المرأة. . أيهما لا يغن
عن الآخر عند الرجل . . انه اذا وجد المظهر أر
الجوهر وان وجد الجوهر أخذ يبحث عن مظهر.



الورقة (١٣٦)

أحيانـاً يجد الرجل نفسه وقد تملكه الملل والسأم.. ومصيبة المصائب أن يكون مبعثها المنزل..

الورقة (١٣٧)

اذا كانت المرأة المتحضرة قد استفادت من مختلف وسائل العصر بما جعلها تخلد الى الراحة وتنام ملء جفونها.. فانها مقارنة بالمرأة فى الأرياف والبادية التى تركض ليلها مع نهارها قد خسرت أثمن شىء لديها ألا وهـو رشاقتها وصمتها.. فالجسم غزته الشحوم والسِّمنة.. وكثرت شكواها من الأمراض والعلل..


الورقة (١٣٨)

نعم مطلوب من الزوجة أن تنظر فى جدول الغد كطالب المدرسة.. ليس فقط فى مشاريع الطبخ والغسيل والزيارات وقائمة المشتروات.. ولكن فيما هو مطلوب منها من أمور معنوية تدخل السرور الى قلب الزوج وتشحذ همته.


الورقة (١٣٩)

الزوج اطـلاقـاً لا يغار من أولاده.. انهم قرة الأعين وفلذات الأكباد.. لكنه يكاد ينفجر غيظاً على زوجته العديمة الادارة التى لم تستطع أن تقوم بواجبها كأم دون أن يؤثر ذلك على واجبها كزوجة.


الورقة (١٤٠)

معظم النسـاء يبحثن عن ريجيم.. ومعظم النسـاء يأكلن الكيك .. والتورتة..



• رسالة

من أعشى همدان

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ـ شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية فى خلافة مروان بن الحكم. زوج أخت الشعبى الفقيه ـ هاجم الحجاج وخرج عليه زمنا ثم قبض عليه الحجاج وقتله.

حبيبتى زوجتى أم الجلال:

إننى إذ أبعث إليك برسالتى هذه لأرجو أن تتدبريها وتعيها جيداً ولا تظنى أن المحنة التى أواجهها الآن قد أضعفت عزيمتى أو أطفأت حميتى.

إنـى لطـلاَّب الـتِّرات مُطـلَّب
وبكـل أسبـاب المنيـة أشـرفُ
إن نلتُ لم أفـرح بشـىء نلتُـه
وإذا سبقـت بها فلا أتـلهـفُ
إنى لأحمـى فى المضيـق فوارسى
وأكُـرُّ خلف المُسْتَضـاف وأعطف
وأرى مغـانم لو أشـاء حويتهـا
فيصـوننى عنهـا تَمنىً وتعفف

حبيبتى زوجتى أم الجلال:

بفضل هذه الروح، روح الفروسية والبأس بعثنى الحجاج مع جيشه الذى تخير له الفوارس الأشداء من أمثالى إلى غزو بلاد الديلم.. ووالله لم نألُ جهداً فى التضحية والفداء ولكن ما الحيلة والأرض غير أرضنا وطبيعتها غير طبيعة بلادنا فشاءت إرادة الله أن أقع ونفر معى فى الأسر ـ فأعملت الحيلة وتفتقت عبقريتى عن حبالة أخدع بها ابنة أمير الديلم.. فقلت فى نفسى: لماذا لا أتقرب إليها بالحب والعشق فأستميل قلبها لعلها تساعدنى على الافلات من الأسر.. وكم كانت دهشتى ـ وأرجوك حبيبتى ألا تشتمينى فى سرك أو جهرك فتشمتى بى الجيران ـ فأنا أعلم أنك سليطة اللسان ـ كم كانت دهشتى حين اشترطت علىَّ أن أتزوجها سراً. فوافقتها وعشت معها أياماً فى جناح من قصر أبيها الأمير أنعم بفاخر الأبهة والنعيم.. فلما استأذنتها فى الرجوع إلى وطنى لم تمانع.. ولما جن الليل أخذتنى ودلتنى على الطريق الذى أسلكه.



زأصارحك يا حبيبتى أنها كانت جميلة غاية الجمال وأننى تأثرت لبكائها لحظة فراقنا فقد نظرت إلىَّ :

وكأنهـــا نظــرتْ بعَــيْنَــىْ ظبيــة
تحنــو على خِشْــف لها وتـعطَّـف

حبيبتى زوجتى أم الجلال :

طالما كنت تسألينني عن المال الوفير الذى دخلت به عليك فى يوم من الأيـام فراوغتك حتى صرفت ذهنك عن هذا الموضوع . . وأنا اليوم اذكره لك حتى تطمئنى على أن كل لقمة دخلت جوفى أو جوفك أو طعمها أولادنا كانت من حلال . . وحقيقة الأمر أننى عندما سافرت الى الشام كما تعلمين كانت غايتى أن أصيب بشعـرى مالاً من مدح الأمـراء والـوجهـاء ولكننى للأسف الشديد لم أحظ منهم بطائل وكدت أرجع بخفى حنين لولا أن تداركنى النعمان بن بشير الأنصارى عامل حمص بعطفه وبره . . فكان أن حث اليمانيين على التبرع إلىَّ على أننى شاعر اليمن ولسـانهـا فانهـالت علىّ أعطيـاتهم حتى صار معى عشرون ألف درهم هى التى جعلتك يا أم الجلال ترفلين فى نعيم الترف وينعم أولادنا برغد العيش .

حبيبتى زوجتى أم الجلال :

فى هذه الأيـام التى أواجـه فيهـا مصيرى أمام الحجـاج بن يوسف والتى لا أعرف على أية صورة سوف تنتهى . . فى هذه الأيـام تنتابنى لحظات من الأسى والأسف فألوم نفسى غاية اللوم على تقصيرى فى حقك وأنت نعم الزوجة الوفية المخلصة المتفانية فى حب زوجها وأولادها . أما أنا فتباً لسوء مسلكى بل تبـاً لنفسى الأمـارة بالسـوء التى أضلتنى فجعلتنى أعشق «جـزلـة» تلك المـرأة اللعـوب الخلوب التى اشترطت لزواجى منها أن أطلقك فقالت: لا حتى تطلق أم الجلال . .

لـم أدر آنئذ ماذا أصاب عقلى : هل سحرتنى «جزلة» بجـمالهـا فزهَّـدتنى فيك وجعلتنى أمقت محياك ولا أرغب فى رؤياك؟ .

لقد أطعتها فبعثت إليك برسالتى التى أخبرتك فيها بطلاقك . . فبئست الرسالة وبئس كاتبها - وبئست من أشارت بها . . فما كان لى أبداً أن أقول لك :

تقادم ودّك أم الجلال
فطاشت نبالُك عند النضال
وطال لزومُك لى حقبة
فرثت قُوى الحبل عند الوصال
وكان الفؤادُ بها معجبا
فقد أصبحَ اليوم عن ذاك سالى
فبعض العتاب فلا تهلكى
فلا لك فى ذاك خير ولالى
ولما بدا لىَ منها البذا
ء صبحتها بثلاث عجال
ولا تحسبى أننى قد ندمْ
ـتُ كلّا وخالقنا ذى الجلال

حبيبتى زوجتى أم الجلال :

لن اغتفر لنفسى خطيئتى الشنعاء هذه فقد آذيتك فى مشاعرك وكرامتك . . لقد كان لك الحق كل الحق فى أن تقولى لى حين روعت أمنك وأسخنت عينك بالطلاق : بئس والله بعل الحرة وقرين الزوجة المسلمة أنت أعددت طول الحرمة والصحبة ذنباً تسبنى به وتهجونى له؟ . . ثم دعوت علىَّ دعوة ويكأن أبواب السماء كانت مفتحة لها آنئذ فقد قلت : بغّضك الله إلى زوجتك التى اخترتها . ولقد استجاب الله لدعائك أنت المؤمنة الفاتنة المظلومة فهجرتنى «جزلة» التى شغفتنى حبًّا وتنكرت لكل وعودها وعهودها وصارت تتهرب منى بالمعاذير حيناً وبالصدود المهين أحيانا . . فماذا أفعل؟ لم أجد خيراً من أن أواجهها وأرجوها أن تترفق بالفؤاد الذى أحبها وأخلص لها ونفذ رغبتها بطلاقك يا أم الجلال . فانتهزت فرصة خروجها من بيتها لبعض شئونها واستوقفتها وقلت لها :

لا تصدى بعد ودٍّ ثابت
واسمعى يا أم عبسى من كلامى
إن تدومى لىِ فوصلى دائم
أو تهمِّى لى بهجر وانصرام
أو تكونى مثل برق خُلب
خادع يلمع فى عرض الغمام
فاعلمى إن كنتِ لما تعلمى
ومتى ما تفعلى ذاك تلامى
بعد ما كان الذى كان فلا
تتبعى الاحسان إلا بالتمام

وبعد أن أسمعتها عتبى على نفورها منى واجتنابها لى انتظرت أن ترد علىَّ رداً جميلاً فلم أظفر منها إلا بإيماءة خفيفة من رأسها وابتسامة ماكرة من شفتيها وبعد لحظات قالت لى : ثم ماذا؟ قلت :



أذكرى الوعد الذى واعدتِنى
ليلة النصف من الشهر الحرام
لا تناسى كل ما أعطيتِنى
من عهود ومواثيق عظام

وما أن انتهيت من كلامى حتى أطلقت ضحكة ساخرة وانطلقت فى سبيلها.. ساعتئذ رجعت الى عقلى فندمت على فعلتى التى أبأست بها حبيبة عمرى وأشقيت بها فلذات كبدى.

حبيبتى زوجتى أم الجلال:

شاءت إرادة الله أن يقتص لك منى فيعذبنى بقدر ما أشقيتك وبقدر ما قسوت على أولادى.. وجاء القصاص من اشتراكى فى جيش عبد الرحمن بن الأشعث الذى بعثه الحجاج لقتال الترك فقد أغراه انتصاره عليهم بالانقلاب على الحجاج. فحاول الاستيلاء على العراق وجعلها تحت إمارته. وقد اشتركت مع ابن الأشعث فى مقاتلة الحجاج بغضاً للحجاج من ناحية ومن ناحية أخرى لما كان يغدقه علىَّ ابن الأشعث من مال جزاء قصائدى التى كنت أحرض بها الجنود على الاستماتة فى قتال جند الحجاج.. لكننا هزمنا هزيمة ساحقة فقتل من قتل وفر من فر ووقع الباقون فى الأسر وكنت واحداً منهم.

ليتنى يا أم الجلال قتلت مع الذين قتلوا فقد اقتادونى دون سائر الأسرى إلى الحجاج.. وعندما مثلت بين يديه فوجئت به ينشد ما كنت أمدح به ابن الأشعث وأهجوه هو به فقد قال:

نت الرئيس ابن الرئيـ
ـس وأنت أعلى الناس كعبا
نبئت حجاج بن يو
سف خر من زلق فتبا

فلما أيقنت أن قد وقعت الواقعة لم أجد خيراً من التحايل على الحجاج باستعطافه واسترحامه.. وفى نفس الوقت أنكرت كل ما قلت فادعيت أن أعدائى من الشعراء هم الذين زيفوه علىَّ ونسبوه إلىَّ.. وقلت له بل أنا القائل أيها الأمير:

أبى الله إلا أن يتمِّم نوره
ويطفىء نارَ الفاسقين فتخمدا
وما لبث الحجاج أن سل سيفه
علينا فولى جمعنا فتبددا
ليهنىء أمير المؤمنين ظهوره
على أمة كانوا بغاة وحسدا
وجدنا بنى مروان خير أئمة
وأعظم هذا الخلق حلماً وسؤددا
وخير قريش من قريش أرومة
وأكرمهم إلا النبى محمدا

ولما انتهيت من انشادى قال نفر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير فخل سبيله.. فقال لهم: اتظنون أنه أراد المدح؟ لا والله لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه وأراد أن يحصن أصحابه.. ثم أقبل علىَّ وقال: أظننت يا عدو الله أنك تخدعنى بهذا الشعر وتفلت حتى تنجو؟.

حبيبتى زوجتى أم الجلال

والله لا أدرى إن كانت عينى ستشهد الدنيا غداً أم لا؟.. فإن رجعت إليك فستكون المودة والرحمة بيننا إلى آخر لحظة من عمرى..
وإن كانت الأخرى فاعفى واصفحى وترحمى.



التقنيات التربوية

التقنيات التربوية والوسائل التعليمية:

ظهر مصطلح التقنيات التربوية فى ميدان التربية لأول مرة فى الستينات من هذا القرن. وواقع الحال ان المصطلح وان كان حديثا فى ذلك الحين الا ان المضمون لم يكن كذلك كليا اذ سبقت أجزاء منه ذلك التأريخ كثيرا جدا. لقد اتخذت فيما سبق اسماء عديدة اهمها: **«المعينات التربوية» او «الوسائل السمعية والبصرية» او «الوسائل التعليمية» او ما شابهت هذه او تلك».**

نزل مصطلح التقنيات التربوية الى الميدان بحلة جديدة مع زيادة فى المضمون زيادة احتوت مواضيع جديدة جوهرية وببريق لامع يبهر الانظار. لا يزال هذا البريق يلمع الى الآن ولربما يلمع زمنا طويلا آخر. اذا وضعنا هذا البريق جانبا وركزنا على الجوهر فان اسئلة كثيرة يمكن ان تخطر فى البال لعل اهمها: ما هى اوجه التشابه والاختلاف بين الوسائل التعليمية والتقنيات التربوية يا ترى؟ وما الذى جاءت به التقنيات التربوية من جديد؟

●● تعتبر الوسائل التعليمية قديمة جدا. يوغل قدمها الى بداية وجود الانسان على هذه البسيطة ذلك لأن التربية بدأت مع ظهور الانسان. ولا شك ان الانسان قد استعان باشياء بسيطة تفيده فى تسهيل هذه التربية. لعل اقدم ما جاء من هذه المعينات البسيطة العينات والنماذج والصور والتماثيل والسبورة والطباشير. لقد نقل الينا بعض هذه الوسائل التى استخدمها الانسان القديم على جدران الكهوف وتحت الانقاض. عندما اخذت عملية التعليم واقعها الشكلى كانت هذه الوسائل لا تزال تستخدم واوجدت وسائل اخرى غيرها.

●● تعتبر الثورة الصناعية من اهم الاحداث التى حصلت فى تأريخ البشرية والتى غيرت مجراه وطبيعة الحياة فيه. لقد تأثرت التربية والتعليم بهذه الثورة ايما تأثير، ذلك لان كثيرا من الاجهزة قد اخترعت ضمن متطلبات السوق والحاجة ومن ضمنها الاجهزة التعليمية.. اوجدت الافلام والاجهزة التى تعرضها والاذاعة وما اتصلت بها من مسجلات صوتية مع مكبراتها ولاقطاتها. اخترعت الشرائح والشفافيات وغير الشفافيات واجهزة عرضها جميعا. ولعل اختراع جهاز الاستقبال المرئى والدائرة المرئية المغلقة كان ثورة فى حد ذاته وتوجهها اخيرا العقل الآلى.

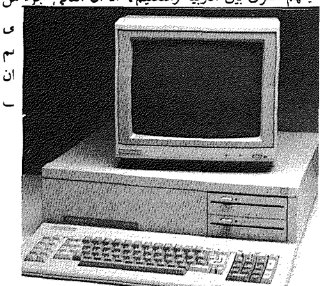
استعيضت هذه الاجهزة من الاسواق لكى تستخدم فى الصفوف الدراسية واجريت عليها ابحاث ودراسات كثيرة وتمخضت ادبيات هذا الميدان بالكثير من المؤلفات.

تربويات





اذا قورن مصطلح الوسائل التعليمية بمصطلح التقنيات التربوية فان الاخير حديث جدا وان الاول قديم جدا. يجد القارىء ان التقنيات انها اقترنت بكلمة التربوية بينما اقترنت الوسائل بكلمة التعليمية ولا شك ان القارىء يفهم الفرق بين التربية والتعليم، اذ ان الثاني جزء من



ى
سم
ان
ب

لعل الاهداف التربوية الخاصة والتعلم وطرائق التدريس والتعليم المبرمج وخطة كيلر والجامعة المفتوحة والتعليم المصغر والالعاب والتمثيليات التربوية ومراكز مصادر التعلم والتقييم والقياس ميادين مهمة فى حلقة التقنيات التربوية. تبدو الطريقة المنظمة فى التدريس اهم الطرائق التى تسير عليها التقنيات التربوية. ويترتب على ما سبق ان ينطوى مصطلح الوسائل التعليمية فى مصطلح التقنيات التربوية، اى ان الاول جزء من الثانى ويكاد يفقد اهميته اذا لم ينطو فى هذا الاطار العام الشامل.

يرى البعض ان الافكار كانت تعيش قديما اطول من الانسان اذ كانت تظل سائدة امدا طويلا من الزمن قد يكون كافيا لانقراض عدد من الاجيال. لقد تغير الامر تماما فى العصر الحديث، اذ اصبح الانسان يعيش اطول من الافكار واضحى معظم الافكار يتغير بسرعة كبيرة بحيث ان الانسان لا يستطيع ان يلاحق هذا التغير. يبدو ان التقنيات تلعب دورا كبيرا فى تسريع هذا التغير. اذا كان هذا الامر صحيحا بالنسبة للافكار فانه يصح ايضا على التقنيات التربوية التى تغيرت مفاهيمها بشكل ملحوظ فى العقدين الاخيرين.

لقد ارتبط مفهوم التقنيات التربوية سابقا بالاجهزة

التعليمية وترتب على ذلك ان يكون الاهتمام فى هذا المفهوم منصبا على الوسائل التعليمية وظل هذا المفهوم اكثر المفاهيم طغيانا على الابحاث والدراسات وذلك لما له من تأريخ اطول اذا ما قورن بالمفاهيم الاخرى. يركز هذا المفهوم على مكننة التعليم باقتناء أحدث الاجهزة واستخدامها فى التعليم فدخلت اجهزة العرض وجهاز الاستقبال المرئى وآلة التصوير المرئى وجهاز التسجيل المرئى الكثير من الصفوف الدراسية فى البلدان المتقدمة. انه لمن الجدير بالذكر ان هذه الاجهزة انها وفرت لسد حاجة السوق ولم تخترع اساسا لتحقيق اهداف تربوية معينة وانها أدخلت الى المدارس لمساعدة المدرسين على تحقيق متطلبات التدريس. وفرت هذه الاجهزة امكانية تعليم اعداد كبيرة من الطلبة دون زيادة تكاليف الدراسة بل بخفضها فى بعض الاحيان، إذا اخذت اعداد الطلبة والمرات التى تستخدم فيها هذه الاجهزة بنظر الاعتبار.

●● ظهر المفهوم الآخر للتقنيات التربوية فى اوائل الستينات بتأثير من نظريات التعلم التى تعالج السلوك وتعديله. ان اعمال سكنر التجريبية وابحاثه عن التعليم المبرمج التى تجلت فى كتابه تقنيات التعليم كان لها ابلغ الاثر فى ايجاد مفهوم التقنيات التربوية. لعل ما يتصف به التعليم المبرمج بشكل خاص من صياغة الاهداف التربوية الخاصة وتحليل المهام واختيار الطرائق المناسبة وتعزيز الاستجابات الصحيحة والتقييم المستمر خصائص ارتبطت بشكل مباشر بمفهوم التقنيات التربوية.

●● لم ينشأ مفهوما الاجهزة التعليمية والتعليم المبرمج مستقلين فقد ارتبط احدهما بالآخر ارتباطا وثيقا ولقد ساعد على تقوية هذه العلاقة ظهور مفهوم آخر وهو الطريقة المنظمة فى التدريس. لقد اشتقت هذه الطريقة من نظرية الجشتالت التى تنظر الى التعلم نظرة كلية. ان الكل اهم من مجموع الاجزاء التى تتكون منه ذلك لان العلاقة والتفاعل بين اجزاء هذا الكل مهمان جدا. ان الطريقة المنظمة تؤهل المدرس على تحديد الاهداف التربوية الخاصة واختيار طريقة التدريس والوسائل التعليمية المناسبة ثم تقييم فعالية التعليم والتطوير للمستقبل.

ان النظرة الحديثة الى هذه الاجزاء انها هى نظرة تكاملية اى ان هذه الاجزاء تكمل بعضها البعض وان اى خلل فى اى جزء انها يخل بالكل. تعطى هذه النظرة اهمية متساوية لكل هذه الاجزاء وليس هناك جزء اهم من غيره، كما ان العلاقة بين هذه الاجزاء علاقة وثيقة، وهى علاقة متبادلة تتضمن تأثيرا وتأثرا.

إن الخطوة الاولى فى الطريقة المنظمة هى تحديد الاهداف التربوية الخاصة الواضحة كل الوضوح امام الطالب والمدرس على السواء، بصيغة سلوكية اجرائية عما يجب ان يكون الطالب قادرا على ادائه بعد حضور الدرس. تحدد هذه الاهداف التربوية الخاصة المهمة وتسهل اختيار طريقة تدريسية ووسائل تعليمية مناسبتين لطبيعة الاهداف التى حددت اولا. لعل اهم شرط فى اختيار الطريقة والوسائل التعليمية هو ان تكونا قد ثبتت جدارتهما فى تحقيق مثل هذه الاهداف. ان التقييم انما يحدد لنا مدى فعالية الطريقة والوسائل فى تحقيق الاهداف التربوية الخاصة. يخبرنا التقييم بعبارة اخرى أيّا من الاهداف قد تحقق وأيًّا منها لم يتحقق. تتطلب هذه الحالة الاخيرة دراسة الاسباب التى وقفت دون تحقيق ذلك ثم تحليل الطريقة والوسائل وتطويرهما لكى تحققا الاهداف التربوية بشكل امثل اوالقاء النظر فى الاهداف التربوية، وتغيير ما لا يمكن تحقيقه. نجد بذلك ان العملية بمجموعها مترابطة متفاعلة يؤثر كل جزء منها فى الاجزاء الاخرى ويتأثر بها ايضا.

•

يمكن الاستنتاج بان مفهوم التقنيات التربوية الحديثة اشتق من الطريقة المنظمة والذى يتسم بانه اوسع شمولا من الوسائل التعليمية. ليس هناك من مجال فى التربية لا تتعامل معه التقنيات التربوية. يرى راونترى (١٩٧٨ :١٠) فى هذا الصدد ان التقنيات التربوية انها تضاهى التربية فى شموليتها. يعرف التقنيات التربوية من هذا المنطلق بانها:

«تصميم وتقييم وتطوير المناهج التعليمية وخبرات التعلم وما يتصل بها من مشكلات تطبيقية». ان التقنيات التربوية بعبارة اخرى طريقة تفكير منطقية منظمة حول التعليم والتعلم وفى حل مشكلات التربية.

يعرف المجلس البريطانى للتقنيات التربوية الذى ورد فى كتاب نيفل (١٩٧٧ : ١٤) التقنيات التربوية بانها: «انهاء وتطبيق وتقييم النظم والطرائق والوسائل من اجل تحسين عملية التعلم لدى الانسان».



تشمل الوسائل التعليمية ذلك الجزء من التقنيات التربوية الذى يتعامل مع توفير خبرات يمكن سمعها ومشاهدتها من قبل الطلبة. لقد عرف بيج وآخرون (١٩٧٧ : ٣٢) الوسائل التعليمية بانها: **«مصطلح عام للاجهزة والمواد التى تستعمل فى التعلم والبحث، تتضمن هذه الوسائل كل انواع الافلام الشفافة والبث الاذاعى والمرئى والملصقات الجدارية والصور..»**.

داء ام دواء:

ان التربية هى جوهر المشاكل فى بلداننا النامية التقنيات التربوية جانب من هذه التربية خضعت لهذه المشاكل ايما خضوع. تتحدد مشكلة التربية فى الدول النامية فى الوقت الحاضر انها جردت من مضمونها واصبحت تابعة للتربية فى الغرب. لم تنبع هذه المشكلة من التربية نفسها او امثلية التربية الاجنبية وانما جاءت من النظرة المثالية التى اعتاد التربويون فى هذه البلدان ان ينظروا الى التربية الاجنبية. ولا عجب فى ذلك فانهم جميعا نتاج تلك التربية التى اغفلت عادة التربية التى تناسب هذه البلاد. اذا ظهرت نظرية جديدة فى الغرب فانها يجب ان تظهر فى الدول النامية وان استخدم جهاز فى ميدان ما هناك فلابد ان يستخدم هنا وحتى بدون تفكير فى اخضاع تلك النظرية او ذلك الجهاز للظروف الجديدة.

●● أرجو الا يُفهم من عباراتى هذه انى ضد استخدام التقنيات فى التربية، فلا يعقل ان يحصل ذلك لشخص صرف سنوات طويلة جدا من زهرة شبابه فى هذا الاختصاص الدقيق.

ان الذى اريد ان اؤكد عليه انى ضد ما وجدت عليه حال التقنيات التربوية فى عدد من الدول النامية. التقنيات التربوية سلاح بحدين. يمكن ان تنفع وتضر فى الوقت نفسه. يمكن ان تكون دواء لمشاكلنا اذا احسنا

استخدامها ويمكن ان تكون داء تضاف الى ادواتنا الاخرى اذا اسأنا استخدامها. وليس هناك تمييز دقيق بين هذا وذاك فى كثير من الاحيان.

ينهمنا اهل الغرب باننا اهل البلاد النامية مصابون بمرض الشهادات نكد ونجد سنوات طويلة من اجل الحصول على هذه الوريقة التى قد لا تعنى مضمونها. ولستِ فى صدد الرد ايجابا او سلبا على هذا الادعاء الا ان الذى يخطر فى بالى، هل اننا مصابون بمرض شراء التقنيات التربوية؟ لم يخطر هذا الامر فى بال احد من الغربيين ذلك لانهم يبحثون عن سوق رائجة لمصنوعاتهم اذا كان هذا المرض قد عمّ علينا فان الذى يستفيد منه هو الغرب.

ان الدعايات التى تطلق من المنتجين او المستهلكين فى الغرب عن كون التقنيات التربوية علاجا شافيا لمشكلات التربية كلها امر مشكوك فيه. لقد قيل هذا الامر كلما ظهرت تقنية جديدة. «جهاز الاستقبال المرئى والدائرة المرئية المغلقة والتعليم المبرمج وخطة كيلر والجامعة المفتوحة واخيرا العقل الآلى» على ان الزمن كشف شيئا آخر، غير ما تنبأ به هؤلاء ان مشاكل التربية كثيرة وتختلف من بلد الى آخر. لقد نشأت وتنامت فى ظروف متباينة. وليس هناك علاج واحد شاف لكل هذه المشاكل. يترتب على ذلك ان التقنيات التربوية لا تستطيع ان تكون العلاج الوحيد لكل هذه المشاكل وبدلا من ذلك فقد تكون هى بحد ذاتها مشكلة اخرى او داء آخر.

الـــــداء

يمكن ان تكون التقنيات التربوية داء فى الحالات التالية:

١ ـ شراء الاجهزة بطريقة عشوائية:

تنتج الاجهزة التعليمية فى بلدان كثيرة ومن قبل شركات مختلفة فى البلد الواحد. تختلف رؤوس اتصال هذه الاجهزة عن بعضها البعض فى كثير من الاحيان. لا يمكن بالتالى ربط هذه الاجهزة من اجل تكوين نظام متكامل. وهكذا قد لا تتصل الاجهزة التى اقتنيت فى فترات متعاقبة فلا يتكون نظام يستفاد منه فائدة تامة.

تبقى وظائف هذه الاجهزة مبتورة ويظهر الاسف على وجوه المشتغلين فى هذا الحقل.

يظهر هذا الاشكال بشكل خاص فى اجهزة نظام الدائرة المرئية المغلقة: آلة التصوير المرئى وجهاز التسجيل المرئى وجهاز الاستقبال المرئى التى تكون اساس هذا النظام وما يتبع ذلك من مازجة الصوت ومازجة الصور واللاقطات والسماعات واجهزة التسجيل الصوتية والكرامافون. وما يقال عن الدائرة المرئية المغلقة يقال عن غيرها من الاجهزة ولكن ربما بشدة اخف الا ان المشكلة لا تزال موجودة.

ان النصيحة التى تبدى فى هذا المجال هى ان النظام الواحد يفضل ان يشترى مرة واحدة ومن شركة واحدة. ويجب ان يتولى مهمة الشراء المختصون فى هذا الميدان، وليس مسؤلو المشتريات او المديرون العامون او من شابههم الا اذا كانوا مختصين بهذا الميدان. اذا تطلب الامر شراء اجهزة نظام واحد فى فترات متعاقبة فان امر اتصال هذه الاجهزة ببعضها البعض يأتى فى مقدمة الامور التى ينبغى ان تراعى.



٢ ـ اقتناء الاجهزة للمباهاة فقط :

ان المرض العضال فى التقنيات التربوية هو شراء الاجهزة التعليمية لغرض المباهاة والتفاخر امام الزوار اوالمسؤولين بان مؤسسة ما تتضمن اجهزة باهظة الثمن. ليست العبرة فى تملك مؤسساتنا هذه الاجهزة فالهدف فى الشراء ليس من اجل التفاخر، وانما يجب ان ينبع من الحاجة الماسة الى مثل هذه الاجهزة. وعندما تكون الاجهزة فى حوزة مؤسسة ما فانها يجب ان تستخدم فى طاقتها القصوى، والا فقد اهدرنا فى اقتصاد هذه المؤسسة. تظهر النظرة السطحية الى التقنيات التربوية ان الاجهزة التعليمية انما هى اجهزة مكلفة. على ان التمعن فى الامر يكشف ان ذلك انما يحصل على المدى القصير، وانها تكون رخيصة الثمن على المدى البعيد. وهذا ما يتأتى من كثرة استخدام هذه الاجهزة ومن الاعداد الكبيرة من الطلبة الذين يستفيدون منها لفترة طويلة من الزمن. أما اذا تركت الاجهزة بدون فائدة كما سبقت الاشارة او استخدمت مرة واحدة فى الفصل او السنة فانها تكون باهظة الثمن على كل من المديين القصير والبعيد.

لقد لاحظت من زيارة بعض المؤسسات فى دول نامية ان هذه الاجهزة انما توضع فى دواليب محكمة الاغلاق ولا تستخدم خوفاً من عطلها ثم عدم وجود من يصلح عطبها. وانى وان كنت اؤكد ان هذه الاجهزة انما وجدت لكى تستخدم فى الصفوف الدراسية الا ان التأكيد على توفير الادوات الاحتياطية والفنيين الذين يشرفون على ادامة هذه الاجهزة امران آخران لابد منهما لتحقيق الفائدة القصوى. كم من اجهزة تظهر على انها عاطلة غير انها فى حقيقة الامر تحتاج الى مصباح عرض ليس الا.

يعتبر انفجار المعرفة الانسانية احد خصائص هذا العصر. لقد اثر هذا الانفجار فى جوانب عديدة من العملية التربوية ابتداء من الاهداف التربوية ومارا بطرائق التدريس وانتهاء بالتقييم والقياس. تتطلب مواكبة هذا الانفجار ابتكارا واصالة. ان طرائق التدريس التقليدية غير قادرة على تحقيق هذا الابتكار.

إذا احسن استخدام التقنيات التربوية فان مثل هذا الابتكار يمكن ان يتحقق من وجوه عديدة. ان قمة ما تستهدف اليه التقنيات التربوية هى ابتكار برامج جديدة وبشكل مستمر فى كل ميدان من ميادين التربية والتعليم. يجب ان يخلق المشتغلون فى هذا المجال ميادين جديدة للفائدة وان يشركوا فى ذلك المعلمين انفسهم. ان المختص فى التقنيات التربوية لا يجلس فى مركز ويحرس أجهزته فى انتظار من يمر اليه للاستشارة ويشكو همه للمسؤلين. . يجب ان ينزل هذا المختص الى الصف ويلاحظ تدريس الآخرين ويدعوهم الى زيارة مركزه للاستفاده من البدائل الاخرى. لقد جهز هو امثلة نموذجية من تلك البدائل.

٣ ـ ايداع الاجهزة فى أياد لا تعرف استخدامها او انتاج موادها :

إن ترك الاجهزة التعليمية لدى معلمين لا يعرفون استخدامها لا يحقق اى فائدة تذكر للطلبة. تتضمن مناهج كليات التربية مادة التقنيات التربوية غير ان اناطة هذه المادة الى غير اهل الاختصاص اوالامكانيات الضيقة تسببان فى الكثير من الاحيان تخريج مدرسين ينظرون الى هذه الاجهزة على انها اجهزة معقدة يصعب استخدامها او انها لا تلائم طلبتنا ومدارسنا.

قد يبدو لكثير من التربويين ان استخدام الاجهزة التعليمية هو اقصى ما نستطيع ان نحقق من فائدة من التقنيات التربوية. على ان الامر ليس كذلك. ان الجانب الآخر الذى يضاهيه او يزيد عليه اهمية هو انتاج المواد التعليمية التى تستخدم مع هذه الاجهزة وخاصة تلك التى تتسم على انها من نوع الحقائب التعليمية تحتاج هذه الاخيرة الى كثير من الاطلاع والخبرة والجهد والمال والوقت.

ان التدريب اثناء الخدمة قد يكون اجابة شافية لهذه المشكلة غير ان الفجوة لا تزال قائمة بين كثير من الجامعات فى البلدان النامية ومؤسسات الدولة الاخرى.

ان كثيرا من الجامعات لم تسد حاجاتها من الاختصاصيين الـذين يدرسـون هذه المادة ناهيك عن تقديم العون لمؤسسات الدولة الاخرى. وفى هذا وذاك فان الامكانيات المالية تلعب دورا هاما فى حل هذه المعضلة.

لا يستطيع مختص واحد فى التقنيات التربوية فى كلية للتربية ان يقدم كل انواع الخدمات التى يتوقع منه بل تحتاج التقنيات التربوية الى عدد من الاختصاصيين الذين قد يفوق عددهم العشرة ممن يعملون فى مركز معين متكاتفين لتقديم كل الخدمات. هذا اذا لم تظهر مشاكل ادارية فيما بينهم. لا تسعفنى ذاكرتى بوجود مثل هذا العدد فى كلية للتربية فى جامعات البلدان النامية التى درست فيها او زرتها او اطلعت على امكانياتها.

٤ ـ استخدام الاجهزة بطريقة خاطئة:

يوجد هناك صنف آخر من الذين يعملون فى حقل التربية والتعليم ممن يود استخدام الاجهزة التعليمية لكى يبدو امام الآخرين بانه احسن حالا منهم. يستخدم هذا الجهاز او ذاك مع الاهتمام بالظهور امام الآخرين موقف الـذى يستفيد منه ويعتقد مثل هؤلاء ومنهم من على المستوى الجامعى ان الدرس انما يتحسن بمجرد اخذ الاجهزة التعليمية الى الصفوف. ويستخدم الدائرة المرئية المغلقة وكان عليه ان يستخدم جهاز عرض الشرائح. وهكذا يوجد هذا المرض على مستوى اعلى من ذلك اذ شاهدت الكثير من البرامج التربوية على شاشة جهاز الاستقبال المرئى وكان الاولى ان تبث من موجات المذياع.

ليس الهدف من استخدام الاجهزة التعليمية استخدامها بدون مبرر وانما يجب ان يراعى فى استخدامها تلك الاهداف التربوية الخاصة التى يراد تحقيقها. يكيف استخدام هذه الوسائل بناء على تلك الاهداف التى حددت مسبقا.

لقد سبقت الاشارة الى ان عملية صياغة الاهداف التربوية الخاصة بحد ذاتها انما هى تقنية تربوية ويترتب على ذلك اقرار المعلم ايا من هذه التقنيات التربوية هى التى تحقق تلك الاهداف بايسر السبل واقل التكاليف. فقد تكون السبورة والطباشير انسب من غيرهما فى تحقيق هدف تربوى معين.

ان استخدام الاجهزة التعليمية بطريقة خاطئة اهدار للوقت والجهد والمال. هذا علما بانه لا يخلو من اساءة للتقنيات التربوية وامكاناتها وقد يسبب هذا الامر فقدان الثقة بها وباهميتها وتكون بهذه الطريقة مرضا يضاف الى امراضنا.

٥ ـ فرض استخدام الاجهزة على المعلمين:

■ ان مهنة التعليم من اشق المهن على الاطلاق ذلك لانها تتعامل مع الانسان وطاقاته العقلية والعاطفية والجسمية. ان المهنة وان كانت تحتاج الى اعداد ومران غير ان الخصائص الشخصية تبقى مهيمنة على المعلم فى كيفية ادارة دفة الدرس وتحتاج هذه المهنة الى حب للمهنة لدرجة العشق والا كانت مصدرا للارتزاق فلا يهم ما تألو اليه عواقب ممن يتكلف المعلم بتدريسهم. ان حب المهنة قد يتولد فى مرحلة تالية. ولا بأس فى ذلك اذا نبع من قناعة تأتت من معرفة اسرارها وسهولة ادائها والرضا من ممارستها.

■ ان عشق المعلم لمهنته يحثه على البحث فى كيفية تحسين ادائها. اذا كان سبق له ان تدرب على استخدام التقنيات التربوية وانتاج موادها ووجد انها تسهل اداء مهنته وتحسنه فانه لا يتردد فى استخدامها وابتكار موادها. لن تستخدم هذه التقنيات بتعميمات ادارية من الوزارات او اوامر من المفتشين او المسؤلين الآخرين ذلك لان الاوامر المفروضة تجد لها دائما ردود فعل سلبية.

■ ان اتجاهات المعلمين نحو التقنيات التربوية باتت من الامور التى اجريت عليها ابحاث ودراسات كثيرة. لقد ارتبطت هذه الاتجاهات بعدد من العوامل

منها: تشجيع المشرفين التربويين، وتكرار استخدام المعلم لهذه التقنيات وسهولة الحصول على موادها وتوفر هذه المواد واستخدام الزملاء والمدربين فى الدورات لهذه التقنيات وكمية المواد التعليمية المتوفرة والصف الدراسى المهيأ لاستخدامها والتدرب على استخدامها.

■ ان تنمية الاتجاهات الايجابية نحو التقنيات التربوية امر لابد ان يعطى اهمية خاصة من قبل المسؤولين. ان مقاومة التغيير موجودة لدى المعلمين حالهم حال غيرهم ويعالج هذا الامر بالتآلف مع التقنيات التربوية وكشف اسرارها والاطلاع على امكاناتها المختلفة.

٦ ـ استخدام المواد الاجنبية:

لعل اهم مرض نعانى منه فى ميدان التقنيات التربوية فى داخل المؤسسات التعليمية هو الاستعانة بالبرامج التعليمية المُعدَّة من قبل الاجانب. قد يتأتى ذلك بسبب عدم توفر البرامج المحلية وسهولة الحصول على الاجنبية منها. لا يعفينا ذلك من انتاج برامجنا الخاصة وتتأتى خطورة استخدام البرامج الاجنبية من الاسباب التالية:

١ ـ ان البرامج الاجنبية تجارية الهدف اكثر من ان تكون علمية.

٢ ـ لقد انتجت هذه البرامج لثقافات مختلفة وبذلك تنقل لنا ثقافة البلد الذى انتج فيه. لعل هذا السبب من اخطر العوامل التى تقوى تبعية تربيتنا للتربية الاجنبية. لقد احتلت الافلام الاجنبية شاشات اجهزتنا المرئية واحتلت الكتب الاجنبية رفوف مكتباتنا وامتلأت مخازننا بمنتجاتهم فاصبحنا ننظر الى كل ما هو اجنبى بعين الاعجاب. هذا هو الاستعمار الحديث حقا.

٣ ـ ان البرنامج الامثل هو البرنامج الذى يتجه المعلم ذلك لان هذا المعلم ادرى باهدافه التربوية التى يريد ان يحققها ومستويات طلبته وبالتالى يكيف برنامجه بناء على حاجاتهم.

لقد سبقت الاشارة الى ان التقنيات التربوية لا تُعنى باستخدام الاجهزة التعليمية فحسب وانما تعنى بانتاج تلك المواد التى تستخدم مع هذه الاجهزة. يدخل فى هذا الاطار انتاج الشرائح وتسجيل النصوص على شرائط التسجيل الصوتى بطريقة فنية مع اضافة ما يتطلب الموضوع من مؤثرات صوتية. ولعل الجمع بين الجهازين لانتاج حقيبة تعليمية يعتبر فى قمة استخدام هذين الجهازين. ويعتبر انتاج الشفافيات البسيطة والمركبة والافلام من مقاس ٨ ملم او ١٦ملم لعرضها بواسطة جهاز عرض الافلام السينمائية امرين آخرين فى امكان المعلمين القيام بهما. لعل انتاج برامج تعليمية لعرضها بواسطة الجهاز المرئى ليس بالامر الصعب اذا اطلع المعلم على اسس الانتاج وتدرب عليها فعلا.

ان الصعوبة فى انتاج البرامج التعليمية تكمن فى الوقت الذى يتطلبه هذا الانتاج واعداد العاملين المختصين فى جوانب متعددة منها وادارة هؤلاء اضافة الى دراية اسسها والخبرة والمران وتوفر اجهزة الانتاج احيانا. على ان هذه الصعوبات يجب ان تحل جميعا، لما لاستخدام البرامج الاجنبية من آثار سيئة سبقت الاشارة اليها.

ان التقنيات التربوية فى كليات التربية اليوم عبارة عن محاضرات نظرية تفتقر الى الجوانب العملية فى الاستخدام والانتاج. ان قلة المختصين فى هذا الميدان او عدم احتلال مراكزهم عند وجودهم يسببان تكليف اشخاص آخرين غير مختصين يتولون المهمة. هذا الامر ليس بغريب فى ميدان التقنيات التربوية ذلك لان التجنى على اهل الاختصاص يحصل حتى فى ارقى جامعات الدول النامية، انطلاقا من الحاجة او حتى العلاقات الاجتماعية احيانا. يكلف الاستاذ احيانا بما لا طاقة له فيه. وتتأثر الجوانب العملية وتنخفض مستويات الطلبة فى كل هذه الحالات.

ليست البرامج التربوية التى انتجت فى البلدان الاجنبية غير ملائمة جميعا ويجب الا تطغى على ما يعرض.

على الطلبة. يتأكد من اهدافها العلمية اولا وتجردها عن نقل ثقافة البلد المعين ثانيا واذا تطلب الامر فانها تكيف لتلائم حاجات طلبتنا ويتم اختيار البرامج الاجنبية دائما بحذر تام.

الـــــدواء:

لن تكون التقنيات التربوية دواء يعالج مشاكل التربية الا اذا تم التخلص من المشاكل السالفة الذكر بادىء ذي بدء. اضف الى ذلك فان هناك عددا من الاسس التي لابد من التقيد بها حتى تعطي هذه التقنيات نتائج باهرة في علاجها لمشاكل التربية ويمكن ادراج هذه الاسس كما يأتي:

١ ـ الاهداف التربوية الخاصة:

لقد سبقت الاشارة الى ان الاهداف التربوية تقنية مستحدثة. ينبغي على المعلم التقيد بهذه التقنية وذلك من اجل ازالة كل انواع الغموض والصعوبات التي تنشأ من التفسير المختلف. تحقق الاهداف التربوية العامة في فترة طويلة قد تصل الى شمول مرحلة دراسية كاملة. ولا يمكن للمعلم الاكتفاء بهذه الاهداف.. ولابد له من صياغة الاهداف التربوية الخاصة بصيغة سلوكية ادائية بها يكون الطالب قادرا على ادائه بعد الانتهاء من درس معين. تعتبر صياغة الاهداف التربوية الخاصة الخطوة الاولى في الطريقة المنظمة في التدريس التي تتبناها التقنيات التربوية.

لقد كتب في ميدان الاهداف التربوية الخاصة كثيرا. تناولت هذه الكتابات كيفية صياغتها وتصنيفها وخصائصها وشروط صياغتها والمشكلات التي يمكن ان تترتب على كتابتها. لعل الاشارة الى تصنيف هذه الاهداف ترشدنا بالتالي الى اختيار التقنية التربوية المناسبة. لقد قسم بلوم وغيره الاهداف التربوية الخاصة الى ثلاثة اقسام:

أ ـ الاهداف التربوية الخاصة المعرفية: وهي تلك الاهداف التي ترتبط بالجانب النظري والذهني في اكتساب المعرفة الانسانية. تتضمن الاهداف المعرفية ستة مستويات، مرتبة من السهل الى الصعب وهي: المعرفة والاستيعاب والتطبيق والتحليل والتركيب والتقييم.. مثال ذلك من مستوى المعرفة: «يجب ان يكون الطالب قادرا على ان يعرف مصطلح التقنيات التربوية».

ب ـ الاهداف التربوية الخاصة الانفعالية: وهي تلك الاهداف التي ترتبط باكتساب المشاعر والميول والاتجاهات والقيم. تتضمن الاهداف الانفعالية خمسة مستويات مرتبة من السهل الى الصعب وهي الاستقبال والتجاوب والتثمين والتنظيم وتكوين الخصائص القيمية. مثال ذلك من مستوى التثمين: «يجب ان يكون الطالب قادرا على ان: يعرب عن ارائه في اليمقراطية».

ج ـ الاهداف التربوية الخاصة العملية: وهي تلك الاهداف التي ترتبط بالجانب التطبيقي والممارسة العملية. تتضمن الاهداف العملية سبعة مستويات مرتبة من السهل الى الصعب وهي: الادراك الحسي والحالة والاستجابة الموجهة والآلية والاستجابة الظاهرية المعقدة والتكييف والاصالة. مثال ذلك من مستوى الاصالة: «يجب ان **يكون الطالب قادرا على ان يبتكر طريقة جديدة في.....».**

لقد رسم ديفس (١٩٧١: ١٢١-١٢٢) عددا من التعميمات عن امكانية التقنيات التربوية المختلفة في تحقيق الاهداف التربوية السابقة ويكون مفيدا استعارة تلك التعميمات من ديفس وهي كما يأتي:

(١) يمكن تحقيق الاهداف التربوية الخاصة المعرفية بواسطة كل انواع الوسائل التعليمية.
(٢) يمكن تحقيق الاهداف التربوية الخاصة الانفعالية بشكل امثل بواسطة الوسائل السمعية والصور والافلام وجهاز الاستقبال المرئي والتمثيليات ومختبرات اللغة.
(٣) يمكن تحقيق الاهداف التربوية الخاصة العملية بشكل امثل بواسطة الوسائل السمعية والنماذج الواقعية الكبيرة والتمثيليات ومختبرات اللغة والزيارات الميدانية.

٢ ـ طبيعـــة التعلـــم :

تحدد طبيعة التعلم نوع التقنية التربوية التى لابد من اختيـارهـا. ويظهر ان بعضا من التقنيات التربوية اكثر ملائمـة للمهـام البسيطة فى حين ان غيرها تلائم المهام المعقـدة. يمكن تحقيق مدى اوسـع من المهام التعليمية باستخـدام تقنيـات تربوية متباينة. لقد كُتب فى ميدان التعلم كثيرا جدا. وتضمنت هذه الكتابات مما يمكن ان يكون ذا فائدة لنا فى هذا الصدد اصناف التعلم. نستعير من ديفس (١٩٧١ : ٩٧ـ١٠٣) الاصناف الخمسة التى اشار اليها:

أ ـ التعلم بالاشارات : وهو ابسط انواع التعلم الذى يمكن ان يطلق عليه التعلم بالمثير والاستجابة. يتضمن هذا النوع من التعلم عرض المثير للتلميذ لكى يستجيب له ودعم استجاباته الصحيحة لكى تقوى وتشتد. مثال هذا النوع من التعلم تعليم الكلمات الجديدة فى تدريس اللغات الاجنبية.

ب ـ التعلم بالمسلسلات : يعتبر هذا النوع من التعلم مجموعـة متسلسلة من المثيرات والاستجـابـات المتصلة بعضها بالبعض الآخر ويمكن تصنيف الحروف الهجائية والجداول الرياضية نوعا من هذا النمط. يتطلب تعلم المسلسلة اولا تعلم كل مثير واستجابة على حده ثم ربط هذه المثيرات والاستجابات.

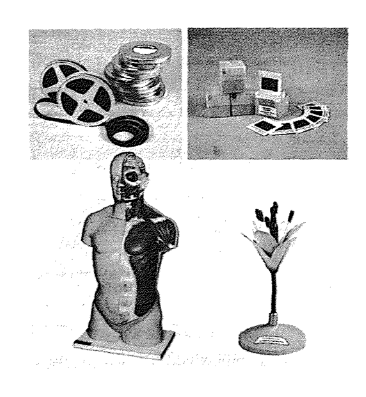
ج ـ التعلم بالتمييز المزدوج : يتضمن هذا النوع من التعلم القـدرة على الاستجـابـة المختلفة لمثيرات متباينة كالتمييز بين الالوان والاشكال والحجوم ودرجات الضوء والمسافات والاستجابة تبعا لذلك يبدو ان تعلم المثيرات والاستجابات والمسلسلات ضرورة مسبقة للتمييز المزدوج.

د ـ التعلم بالمفاهيم : يتضمن هذا النوع من التعلم بعكس التعلم بالتمييـز المزدوج التعميم من مجموعة من الظواهر التى قد تختلف فيما بينها من حيث المظهر. تختلف البرتقالات والليمونات فيما بينها من حيث المظهر الا ان مفهوم الحمضيات يجمع فيما بينها.

هـ ـ التعلم بالمبادىء : يتضمن هذا النوع من التعلم الجمع بين مفهومين او اكثر لتكوين قاعدة او مبدأ. مثال ذلك ان الاجسام الكروية تتدحرج وان الغازات الساخنة ترتفع الى الاعلى. يتطلب هذا النوع من التعلم استعادة كل مفهوم على حدة ثم ربط هذه المفاهيم.

لقد لخص ديفس (١٩٧١ : ١٣٢) عددا من التعميمات عن امكـانيـة التقنيـات التربوية المختلفة فى تحقيق هذه الانواع من التعلم. وعالج الظروف المثالية التى تستخدم فيهـا الانـماط المختلفـة من التقنيـات الـتربـويـة ورسم الاتجاهات السائدة فى هذا الصدد وهى كما يأتى :

(أ) يمكن تحقيق الاشارات والمسلسلات بواسطة معظم انواع الوسائل التعليمية.
(ب) يمكن تحقيق التمييز المزدوج بشكل مثالى بواسطة الوسائل السمعية والوسائل البصرية البسيطة والتمثيليات ومختبرات اللغة.
(ج) يمكن تحقيق المفاهيم والمبادىء بشكل امثل بواسطة الوسـائـل البصـريـة والافلام وجهاز الاستقبال المرئى والزيارات الميدانية.



٣ ـ طبيعة التقنية التربوية :

يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار طبيعة التقنية التربوية عند اتخاذ قرار فى اختيار تقنية معينة دون غيرها من التقنيات. ان لكل تقنية خصائص معينة وامكانات لا يمكن تعديها ولايمكن لتقنية معينة ان تعوض عن غيرها من التقنيات. اذا صح استخدام تقنية معينة فى موقف معين قد لا يصح استخدامه فى موقف آخر.

تناسب الافلام والتصوير المرئى المواقف التى تتطلب تعليم الحركات ولا تناسبها الشرائح او الصور الثابتة. اذا كانت الحركات غير مهمة فان الصور الثابتة او الشرائح تفى بالغرض ولا داعى لاستخدام الافلام والتصوير المرئى للتكاليف الباهظة لهاتين التقنيتين. اذا كانت الالوان جزء مهماً من التعلم فان التقنية يجب ان تتضمن الالوان. اذا كانت المهمة المراد تحقيقها تتطلب ترديد كلمات معينة فان التقنيات الصوتية تكون ضرورية. ان الكثير من برامج الاستقبال المرئى التى تفتقر الى تغير الصور المعروضة انسب للمذياع منه لجهاز الاستقبال المرئى.

٤ ـ خصائص المشاهدين :

اذا كانت التقنيات التربوية تستخدم اصلا للمشاهدين والمستمعين من الطلبة فان عددا من الخصائص المهمة لهؤلاء الطلبة يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار عند اختيار تقنية معينة دون غيرها من التقنيات. ليس من المعقول مثلا ان نستخدم جهاز التسجيل الصوتى لمن يعانون من نقص فى السمع او الفيلم لمن يعانون من ضعف فى البصر. يدرج المستوى التعليمى والعمر والذكاء والاتجاهات والميول والفروق الفردية على انها خصائص مهمة فى هذا الصنف.

٥ ـ توفر التقنية التربوية :

يظهر من نتائج الابحاث والدراسات ان المدرسين انما يميلون الى استخدام تلك التقنيات التى تتوفر فى الصف والمدرسة اكثر من تلك التى تتوفر فى المنطقة والمدينة. يترتب على ذلك ان السبورة والطباشير اكثر التقنيات التربوية استخداما من قبل المدرسين لا لشىء سوى لتوفرهما فى كل صف ومدرسة.

على ان هذه النتائج لا تعفى المدرسين من اعارة التقنيات التربوية المتوفرة فى اماكن اخرى او حتى انتاج المواد بانفسهم. لعل مراكز مصادر التعلم هى المراكز التى تقدم الخدمات المختلفة للمعلمين بحسب موقعها فى المدرسة او الكلية فى المنطقة او المدينة او المقاطعة تتضمن خدمات هذه المراكز اعارة الاجهزة والمساعدة فى انتاج المواد والتدريب على استخدام الاجهزة اضافة الى خدمات اخرى.

٦ ـ كلفة التقنية التربوية :

تعتبر كلفة التقنية التربوية من الامور المهمة التى يجب اخذها بنظر الاعتبار عند اختيار تقنية معينة دون غيرها من التقنيات. اذا تساوت العوامل الاخرى فان الاولوية يجب ان تعطى للتقنية التى تكلف اقل من غيرها والا فالمسألة تعتبر اهدارا ماليا لا يغفر عليه. وبعبارة اخرى اذا كانت هناك تقنيتان تحققان هدفا معينا بالكفاءة نفسها فان اختيار التقنية التى تكلف اقل من غيرها يعتبر شرطا اساسيا فى الاختيار ولابد من التقيد به. ان الاساس هو تحقيق الهدف وليس غيره.

٧ ـ التقييم والقياس :

لقد سبقت الاشارة الى ان التقييم والقياس ميدان مهم فى التقنيات التربوية اضافة الى كونه جزء مهماً فى الطريقة المنظمة. ينبغى اخضاع كل تقنية تربوية تستخدم الى التقييم والقياس للتأكد من مدى فعاليتها ومقارنتها بالطرائق الاخرى التى تستخدم لتحقيق الاهداف نفسها. يجب ان تُظهِر التقنيات التربوية امتيازا من نوع ما على الطرائق الاخرى التقليدية، والا ليس هناك من مبرر لاستخدامها بسبب تكاليفها الباهظة. لا يمكن الانتقاص من قيمة التقنيات التربوية سواء كان هذا

الامتياز فى سرعة تحقيق الاهداف او الاعداد الكبيرة من الطلبة التى تستخدم لها هذه التقنيات او المرات التى تستخدم فيها وهذا ما يبرر الجهد والمال اللذين يصرفان عليها.

●● ان الحقائب التعليمية والبرامج التربوية تحتاج الى دقة بالغة من التقييم والقياس. يجب ان تتم هذه العملية على عينة مختارة ممثلة للمجتمع الذى اعدت التقنية من اجله. لا شك ان الحقائب والبرامج انما تخضعان الى التعديل والتطوير بسبب التقييم والقياس لكى تكون صالحة للعرض وتأخذ شكلها النهائى.

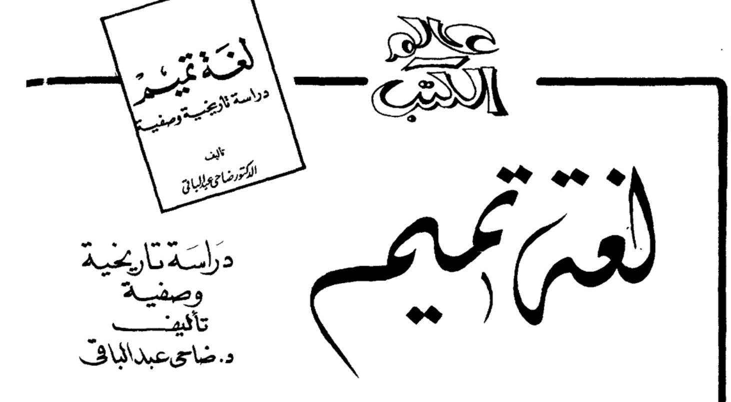
يتضمن تقييم وقياس التقنيات التربوية جانبين مهمين



وهما: جانب المعرفة الذى يتلخص فى الحقائق العلمية التى تستهدف التقنية التربوية نقلها الى جمهور الطلبة. بعبارة اخرى الاهداف التربوية الخاصة المعرفية التى حددت اصلا قبل اعداد الحقائب والبرامج. يحدد عدد من الاسئلة التى ترتبط ارتباطا مباشرا بتلك الاهداف. يكون الاختبار بذلك من نوع الاختبارات المحكية. يتضمن الجانب الثانى اتجاهات الطلبة نحو هذه البرامج والحقائب. يدخل فى هذا النطاق: وضوح الصوت وسرعته، الصورة وملاءمتها للصوت وتواقتها معه، دقة المعلومات وتحقيق الاهداف التربوية بعد اختبار مستقل للاتجاهات.

●● ان الطريقة المتبعة فى تقييم وقياس الحقائب التعليمية والبرامج التربوية هى اعطاء الاختبار المحكى الى العينة قبل مشاهدتهم للحقيبة او البرنامج يسمى هذا الاختبار بالاختبار القبلى وهدفه التأكد من عدم معرفة العينة للحقائق العلمية، التى تعرض فى الحقيبة او البرنامج. يعرض البرنامج او الحقيبة على العينة ثم يعطى الاختبار المحكى نفسه وهو ما يسمى فى هذه المرة بالاختبار البعدى يرفق بالاختبار السابق اختبار الاتجاهات. يمكن اعطاء هذين الاختبارين بعد مرور فترة من الزمن قد يكون شهرا او فصلا او حتى سنة. يسمى الاختبار فى هذه المرة بالاختبار التتبعى وهدفه التعرف على ثبات الحقائق والاتجاهات.

يمكن اجراء عدد من المقارنات بين نتائج هذه الاختبارات لعل اشيعها مقارنات بين نتائج الاختبار البعدى والقبلى، والتتبعى والبعدى. يعزى اى فرق بين الاختبار البعدى والقبلى الى مدى فائدة الطلبة من البرنامج او الحقيبة. يسمى هذا الفرق بنسبة الفائدة. تخضع نسبة الفائدة الى معيار حدد مسبقا، كأن يكون تحقيق ٨٠٪ من الطلبة لـ ٨٠٪ من الاهداف التربوية الخاصة. يعتبر البرنامج التربوى أو الحقيبة التعليمية صالحة عند تحقيق هذا المعيار ويمكن بذلك استخدامه لعينات اكبر من تلك العينة المختارة.



يتناول الكتاب لغة أولئك الأقوام الذين ينتمون إلى تميم بن أد من عدنان، والذين كانوا يقيمون فى الجاهلية وصدر الاسلام بالربع الشمالى الشرقى للجزيرة العربية وذلك على اختلاف بطونهم وتعدد مساكنهم. . وهى من اللغات التى حرص اللغويون العرب على تسجيلها.

وهذه الدراسة التى تقع فى نحو ٦٦٢ صفحة من القطع الكبير وصدرت عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة. . دراسة تاريخية وصفية تتناول تلك اللغة فى العصور الاسلامية الأولى وما قبلها وهى المعروفة بعصور الاحتجاج.

وترجع أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة إلى أنها تفيد فى معرفة مصادر القراءات القرآنية على اختلافها وتبين ما إذا كانت اللغة المشتركة ترجع إلى لغة معينة سادت غيرها من اللغات أم أن هذه اللغة المشتركة تعد حصيلة لغات عديدة ومنها التميمية. وتتبين أهمية هذه الدراسة أيضاً فى أن اللهجات العربية الحديثة تنتمى الى تلك اللهجات القديمة. ذلك إلا أن دراسة اللسان العربى دراسة تاريخية لا تتم الا بعد دراسة لغاته المتعددة.

ينقسم الكتاب الى مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة: فقد وضحت أهمية لغة تميم والخطة التى اتبعت فى دراسة الموضوع.

وأما الباب الأول: (وهو تمهيدى) فيعرض لبيئة هذه اللغة - يتناول نسب القبيلة ومساكنها ثم يتكلم عن اللغة التميمية ومكانتها بين لغات العربية.

والباب الثانى: يعقده المؤلف للحديث عن السمات الصوتية عند تميم وهو فى أربعة فصول: الأول خاص بالابدال بنوعيه الحر والتركيبى بين الأصوات الساكنة ثم بين أشباه أصوات اللين، وكذلك بين الحركات قصيرها وطويلها. . والثانى عن الهمز. . والثالث عن القلب المكانى. . والأخير عن الوقف.

يلى ذلك الباب الثالث: ويشتمل على الخصائص الصرفية، وهو فى أربعة فصول: أولها عن البنية بين الطول والقصر. . وثانيها خاص بالفعل ومشتقاته، والثالث عن الجمع (المؤنث السالم، والتكسير) والرابع عن الجنس (المذكر والمؤنث).

وكان الباب الرابع: عن الخصائص النحوية

إصدارات جديدة

● عن تهامة صدرت الطبعة الأولى من كتاب «**الموجز فى تاريخ الأدب العربى السعودى**» للدكتور/ عمر الطيب الساسى.

يؤرخ الكتاب للأدب العربى السعودى منذ نشأته وتبلوره سياسيا حتى اصبح يدل على كل ما له صلة بالمجتمع السعودى من خلال تقسيم مرحلى واضح كما يتناول فيه المؤلف أجيال الأدباء فاصلا بين كل جيل وآخر بعشر سنوات من الميلاد وذلك بدءاً من القرن الثالث عشر الهجرى وحتى ادباء الجيل الذين كان مولدهم فى الخمسينات من القرن الرابع عشر الهجرى.

والكتاب يشمل نصوصاً اصلية كثيرة للأدباء شعراً ونثرا.. يقع الكتاب فى نحو ٢٩٣ صفحة من القطع العادى.





● وعن الدار السعودية للنشر والتوزيع صدرت الطبعة الاولى من «عواطف محترقة» وهى رواية للأستاذ طاهر عوض سلام تقع فى نحو ٢٢٢ صفحة من القطع العادى.



عرض وتقديم
نادر صلاح الدين

كاختلاف التميميين عن غيرهم فى باب (سنين) بين جمعه عندهم جمع تكسير وإلحاقه بجمع المذكر السالم فى اللغة المشتركة.. وإعراب بعض الكلمات وبنائها.. وصرفهم كلمات مُنعَتْ من الصرف عند غيرهم، والميل إلى الرفع.. والاتجاه الى النصب، والميل إلى الاتباع.

والباب الخامس: والأخير وهو خاص بالدلالة يقع فى ثلاثة فصول: أولها خاص بالترادف، وثانيها بالمشترك اللفظى، والثالث بالتضاد.

ثم تجىء الخاتمة ويجعلها الدكتور ضاحى تلخيصاً لتلك فى عرض موجز مشتمل على أهم النتائج التى توصل إليها والمقترحات التى يرى أهمية تنفيذها.

تمتاز تلك الدراسة بمميزات عدة منها ـ فيما أعتقد:

● أن المؤلف قام بالدراسة التحليلية لبيان قدم كل ظاهرة أو حداثتها، وكذلك كل كلمة تناولها مستعيناً بالمقارنات السامية وبالرجوع إلى أصول الكلمة فى لغتها الأصلية إن كان الأصل غير سامى، وكذلك بمعرفة المعانى الكلية للمادة فما كان ألصق بها حكم بأصالته وحداثة الآخر سواء أكان تميميا أم غير تميمى.

● أنه بَيَّنَ بياناً مفصلاً لموقف القراءات القرآنية (متواترها وشاذها) من كل صيغة أو ظاهرة.

● بحث موقف الشعر التميمى من كل ظاهرة.

● تتبع الصيغة أو الظاهرة التميمية عبر التاريخ وعلى الأخص فى وقتنا الراهن وإن كانت هذه الدراسة لم تستقص ذلك استقصاءً كاملا.

● عرض المؤلف المادة العلمية بمنهج لم يسبق من قبل - فهو فى الباب الأول مثلاً عند الحديث عن «الأصوات الساكنة» حرص على أن يدرسها مفرقاً بين ما حدث فيه الابدال بتأثير صوت آخر فى الكلمة (الابدال التركيبى) وما حدث فيه دون تأثير بصوت آخر وهو ما سماه الابدال الحر موضحاً المطرد منه وغير المطرد.

هذا وقد توصل الدكتور ضاحى الى عدة نتائج من خلال دراسته تلك يمكن ايجازها فيما يلى:

أولا: مخالفته ما ذهب اليه بعض العلماء المحدثين من أن القدماء اخطأوا فى وصف الكشكشة وأنها كانت تنطق (تشْ) حيث ذهب إلى أنها كانت تنطق بالصور المختلفة التى ذكرها اللغويون القدامى لوجود هذه الصور.

ثانيا: لم يوافق بعض المحدثين الذين يرون أن مخرج الغين والخاء من أقصى الحنك بعد القاف من جهة الفم وليسا قبلها كما كان يذكر علماء العربية. على أن من العرب القدامى من كان ينطقهما كما يرى المحدثون.

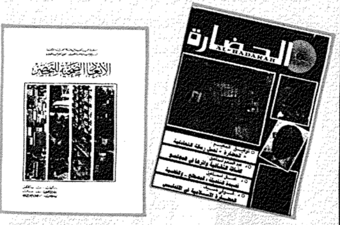
ثالثا: اختلافه مع المحدثين أيضاً فى أن الطاء الفصيحة هى النظير المطبق للتاء وإثباته أن نظيرها هو الدال كما قرر علماؤنا القدامى.

إصدارات جديدة

عن رابطة الأدب الحديث بالقاهرة صدر العدد الاول من مجلة الحضارة التى يرأس مجلس تحريرها د. عبد العزيز شرف وهى مجلة ثقافية جامعة.. حفل عددها الأول بموضوعات قيمة بأقلام كبار الكتاب.

كتب د. محمد عبد المنعم خفاجى عن ألفاظ الحضارة - وكتب د. سمير سرحان عن الريادة الثقافية للقاهرة وكتب د. ذكى نجيب محمود عن ذكى نجيب محمود - وكان الاستهلال للدكتور عبد العزيز شرف عن (وللحضارة كلمة).

فأهلا بها ضمن كواكبنا الثقافية العربية المشعة.



● وعن وحدة البحث والترجمة - قسم الجغرافية بجامعة الكويت - الجمعية الجغرافية الكويتية صدر كتاب «الأبعاد الصحية للتحضر» تأليف: ت. باكاكس ترجمة الدكتور محمد عبد الرحمن

رابعا: ميل تميم الى النسبة الطويلة على حين كانت قصيرة عند الحجازيين - وان الخلاف فى النسبة الى (فَعِيل) (وفُعَيْل) مرجعه طول البنية عندها، وقصرها عند الحجازيين وذلك بحذف الياء.

الشرنوبى . . يعرض الكتاب للانسان وبيئته الطبيعية فى القسم الاول . . الأخطار الصحية للمعزية فى القسم الثانى - ثم تأتى النتائج والتوقعات فى القسم الثالث - يقع الكتاب فى نحو ٢٦٢ صفحة من القطع العادى مزودة بالرسومات البيانية والخرائط التوضيحية.

● وعن كلية الآداب جامعة الكويت صدرت الرسائل الآتية من الحولية السابعة.

- الرسالة الثامنة والثلاثون: وهى عن عيوب الكلام «دراسة لما يعاب فى الكلام عند اللغويين العرب» للدكتورة وسمية المنصور وتقع فى نحو ٥٨ صفحة تشتمل على أهم الجهود التى قدمها البحث اللغوى عند العرب فى ظاهرة عيوب الكلام.

- الرسالة التاسعة والثلاثون: عن المواقع الاسلامية المندثرة فى وادى حلى (ق٣-٩هـ/٩ - ١٥م) للدكتور أحمد بن عمر الزيلعى وتقع فى نحو ٧٧ صفحة وتشتمل على خرائط ورسومات مساحية ولوحات توضيحية.

- الرسالة الأربعون عن «البحر فى شعر الأندلس والمغرب فى عصرى الطوائف والمرابطين للدكتور منجد مصطفى بهجت وتقع فى نحو ٧٠ صفحة.

عددنا القادم

● «الدعوة والدعاة» القضية التى تطرح نفسها بإلحاح على الساحة مع تزايد حركة المدّ الإسلامى.

● هذا العدد يناقش «الدعاة» وما ينبغى أن يتوفر فيهم من مؤهلات علمية وخلقية ونفسية. . يناقش الإيجابيات والسلبيات.

● تقرأ فيه لـ: فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق. . الدكتور محمد عبده يمانى . . الدكتور عبد الله النصيف . . الشيخ صالح اللحيدان . . الأستاذ احمد محمد جمال . . الشيخ عبد العزيز المسند . . الدكتور ابراهيم دسوقى أباظة . . وعدد آخر من أفاضل الكتّاب الكرام.

«عدد ممتاز فى اكثر من ثلاثمائة صفحة»

خامسا: أن تميماً لم يكن لها نهج خاص فى المصادر والمشتقات وإنما مرجع ما يلاحظ من عدم اتفاق إلى خلاف مرده فى الغالب.

أ - مظاهر صوتية

ب - تصحيح عين الفعل وإعلاله.

وبعد . . فالدراسة - فيما أرى دراسة لغوية جادة وجهد علمى مشكور.

رسائل للمحرر

الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصارى
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

سنحت لى الفرصة أن أحظى بالعدد رقم ٤٤٦ من مجلتكم «المنهل» وكنت لأول مرة اقرأ تلك المجلة.. ومنذ تلك اللحظة أطلقت عليها اسم «عروس الجزيرة العربية».. نعم إنها شهادة حق.. وكلمة حق تقال لذلك الشريان الأدبى الذى بلغنا هنا فى وادى النيل.. فتحية شكر وعرفان وتقدير الى روح المغفور له سعادة الاستاذ عبد القدوس الانصارى.. الذى أسس ذلك الصرح الشامخ.. وتحية أخرى الى العاملين بمجلتنا الحبيبة.. نعم لقد لمست فيها اتقان الطباعة.. وفن الاخراج الصحفى.. مع تمنياتى لمجلتنا الحبيبة بمزيد من الرقى والتقدم ومواصلة المسيرة.

الاستاذ نبيه الانصارى..

إننى أعد رسالة ماجستير وعنوانها: «البيئة الأدبية فى الجزيرة العربية فى العصر الحديث» وفى حاجة إلى بعض الروايات أو القصص القصيرة أو الشعر العربى الذى يساعدنى فى اعداد رسالتى وأرجو أن يكون لسعادتكم الفضل فى ذلك بارسال بعض مؤلفات المغفور له مؤسس المجلة.

ولكم خالص شكرى ووافر احترامى وتقديرى.

وجدى احمد المرسى السبع

المنهل:

مرحباً بكم صديقاً وقارئاً ونشكر لكم هذه الكلمات الطيبة ونسأل الله ان يعينك فيما أنت فيه ويكتب لك التوفيق فى مشوارك العلمي.. وارسلنا لكم مؤلفات المؤسس الاستاذ عبد القدوس الانصارى رحمه الله.

سعادة رئيس تحرير المنهل الغراء الموقر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

احب باديء ذي بدء أن أشيد بمجلة المنهل فهى فعلاً كما وصفت بالمجلة السعودية الأم فهى تمتاز بالمقالات الجيدة والمتنوعة والهادفة وبأقلام كتاب مرموقين ثم إن إخراجها جيد وتقسيمات المقالات رائعة جداً بحيث تستخدم كل المساحات مهما كانت صغيرة فلربما وجدت بين مقال وآخر أو فى ركن مقال معلومة صغيرة لكنها مفيدة جداً.

فلقد اطلعت على مقال بعنوان كهربائية الجسم للدكتورة أمل على المخزومى وذلك فى العدد ٤٤٦ «عدد ذى القعدة والحجة ١٤٠٦هـ» وهو جيد وشيق وربما أسمع لأول مرة عن كهربائية الجسم والاضطرابات النفسية التى تحدثها فحبذا لو كانت الدكتورة قد أطالت فى المقال ووافتنا بمعلوماتها القيمة أكثر فأكثر وربما توافينا بها فى مقال آخر.

وقد أوردت فى مقالها غير مرة إشارات للدكتور خلوق نور باقى فهل هذه الاشارات من كتاب له فإذا كان كذلك فما هو اسمه أو من محاضرة له أو غير ذلك.

وأحب أيضاً أن تذكر الدكتورة بعض أسماء المراجع التى استقت منها المعلومات حتى نتمكن من الاستزادة فى هذا الموضوع الشيق. ثم حبذا لو ذكرت أنه إذا كان بالامكان قياس تلك الكهربية أم لا؟. ودمتم.

أرجو إيصال تلك الملاحظات الى الكاتبة الفاضلة.

على عبد الرحمن حافظ

المنهل:

نشكر لك ثناءك.. وننشر خطابك تعميماً للفائدة ودعوة للدكتورة امل المخزومى حتى ترد على استفساراتك.

الاستاذ نبيه الانصارى
رئيس تحرير مجلة المنهل
تحية اخوية طيبة..

فقد اطلعنى احد الاخوة العرب على مجلة «المنهل» الزاهرة فاعجبت به ايما اعجاب، كان العدد ٤٤٥، المجلد ٤٧ وكان عددا لم ار مثله من حيث الاخراج والمضمون عدداً ضخماً بعنوان الثقافة العربية جمع من الثقافة العربية من كل الدول العربية اضافة الى تراجم شخصيات علمية وادبية عالمية.

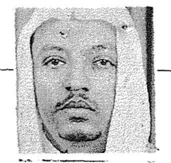
كان روعة ومنتهى الروعة شغفت به ورحت اسأل عنه حتى لو كان بأضعاف ثمنه ولكنى دون جدوى فليس هنا مركز واحد لتوزيع مثل هذه المجلة.. أنا اعتقد ان هذه الرسالة هى اول رسالة قدمت اليكم من ايران ـ فارجو ان تكون عند حسن ظنكم فأنا كاتب ولدىّ دراسات عديدة ووددت لو اشترك فى الكتابة عندكم..

عندى ـ كلمة ـ اقول ان العلم ليس له وطن والمثقف لا ينتسب الى مكان معين فهو ابن الانسانية جميعاً وللانسانية جميعا. وتعلمون ان فى مكتبات ايران الاف المخطوطات واذكر لكم ان فى المكتبة الرضوية فى مشهد حوالى ٢٥٫٠٠٠ مخطوط اغلبها باللغة العربية لجهابذة العلماء العرب.. البيرونى ابن سينا.. ابن الخازن.. ومن هذا القبيل.. واخيرا ارجو منكم جوابا وارجو ان تصلنى المجلة بصفة دائمة.

أخوكم/ عبد الله مرتضى طهران

امتنا العربية والاسلامية سواء.. أهلا بك أينما كنت والمجلة ستصلك إن شاء الله.





فى الشهر الماضى سجل معالى الشيخ حبيب محمود احمد زيارة ودية كريمة لمجلته المنهل جرى فيها حديث الذكريات الطيبة وأعرب عن اعجابه وتقديره بالخط الثقافى والعلمى الذى تسير عليه المجلة وبالجهد المتواصل المبذول من أجل تلك الغاية . . وتقدم معاليه - مشكورا - باشتراك سنوى . . لفته مشاركة كريمة.

سعادة الاستاذ رئيس تحرير مجلة المنهل - الفاضل
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . .

تحياتى لمجلتكم الزاهرة التى أبلت السنين وما بليت، وظلت المعين العذب الذى ينهل منه القراء ما يُروى ظمأهم ويعب منه المتأدبون ما ينمى فكرهم ولا غرو فهى مدرسة قائمة بذاتها مضموناً ومنهاجاً . . إخراجاً وتبويبا حتى ليخيل إليك أن وزارة خصصت للاشراف عليها ودولة رصدت ميزانية لاصدارها.

لكنه الغراس الطيب الذى وضعه الرائد والدكم عبد القدوس الانصارى - رحمه الله - فآتى أكله وستظل ثماره ناضجة مادام فى النفوس حب للحق والخير والجمال واعتراف بالفضل لأهله.

ها هى ذى «المنهل» كلما امتد بها الدهر تتأنق فى رونق بهى يوشيه العلم ويجليه الدين ويجمله الأدب إنها الصحيفة فيها الحكمة بيد أن السنة الخلق أقلام الحق . . حفظها الله ذخراً للعرب وملاذاً للمسلمين.

فيشرفنى أن أهدى إليكم بحثى المتواضع «فاكهة النبى ﴿ﷺ﴾» ومن قبل نشرت عندكم «دعابة النبى ﴿ﷺ﴾».

وتقبلوا خالص شكرى وتقديرى سلفا
عبد الجواد محمد الخضرى

المنهل:

نشكر لكم هذا التواصل العلمى ومقالكم سيأخذ ترتيبه فى النشر ضمن الخطة المعمول بها فى المجلة.

الاخ نبيه بن عبد القدوس الانصارى حفظكم الله.
رئيس التحرير لمجلة «المنهل»
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

أرجو أن يصل خطابنا هذا وانتم فى أتم صحة وعافية . . وبعد: فيطيب لى أن أقدم اليكم اصالة عن نفسى ونيابة عن جميع أعضاء المكتبة ومنسوبيها - التحيات الخالصة والتمنيات الطيبة من أعماق القلب على الخدمات التى تقومون بها وتقدمونها تجاه الأمة الاسلامية فى الدعوة والارشاد والتوجيه والنهوض بها الى أوج الكمال من السعادة وكل هذه الخدمات عن طريق مجلتكم الموقرة.

أخى . . مجلتكم الموقرة كانت تصل إلينا - باسم المكتبة - فى كل شهر بانتظام وكان الطلاب والأساتذة يستفيدون منها ورأينا الاقبال العظيم على مجلتكم الموقرة من الشعب المسلم ولكننا فوجئنا من عدم وصولها من ثلاثة اشهر تقريبا ونحن متأسفون بانقطاع هذه السلسلة الذهبية وكثيرا ما يسألنا قراء مجلتكم الموقرة عن سبب انقطاع هذه السلسلة.

فأرجو منكم استمرار ارسال المجلة باسم المكتبة حسب ما كانت تأتى إلينا . . وتقبلوا تحياتنا الخالصة.

شعيب احمد القاسمى
مدير مكتبة الفيصل
الهند

المنهل:

تعلمون اننا نحرص كل الحرص على استمرار وصول المجلة لكل قرائها ومحبيها . . ومكتبتكم العامرة تأخذ الأولوية ولكن يبدو ان المجلة فقدت فى بريدكم . . وعليه اعتمدنا ارسالها مرة اخرى . . واهلا بكم.



العشق من الوريد الى الوريد

هزَّت الباب هزًا عنيفا جعله يترك مكانه ويتجه اليها لمعرفة هذا المزاج العصبى المفاجىء واسبابه.

لم تتركه يسترسل فقد قفز غضبُها على وجهه.. انتشر مثل موج البحر.. ترامى فى كل اتجاه كما مطر الشتاء.

قالت له تسأله: هل تختبىء عواطفك فى قلبك أم عقلك.. ام ترى انك بلا عواطف.

بهدوء شديد رد عليها يحاول ان يخفف من توترها: عواطفى تختبىء تحت جلدى.. تسكن فى مسامى.. وعروقى.. وضلوعى.. لكنها تتغذى من عقلى بين وقت وآخر.. تستمد صدقها من احساسه وحرارتها من تحركه وانتقاله ووعيه.

وعواطفنا كبشر ليست قيداً على ايدينا.. انها كما البريق فى عيوننا، والصفاء فى نفوسنا والاشراق فى وجوهنا تحتاج لمن يعرفها ويحسها ويدركها ويحبها قبل ذلك وبعده.

●● **عادت لتسأله وقد هدأت أعصابها بعض الشيىء: هل تستشير عقلك اذا أحببت أم تستشير قلبك؟.**

اجابها: استشير الاثنين: عقلى وقلبى وليس المهم من اسأل أولا.. المهم أن لا اترك احدهما يتغلب على الآخر.

●● وقفت على الباب تريد ان تخرج. ادركت ان تعاملها مع الحب يختلف عن تعامله هو فالحب عندها لا يعرف مستشاراً له غير القلب.. ولا يعرف له مصدراً غير القلب.. ولا يعرف موقعاً له غير القلب بينما يخضع حبه هو لمستشارين فى وقت واحد: العقل والقلب.. ومهما كان صادقا فى حبه فانه يتحرك بنظام ويعشق بنظام.. وهى لا تريد هذا النوع من الحب.

نظرت اليه.. طالت نظراتها بين عينيه أدرك ما تريد أن تقوله له دون أن تتكلم.. ربما عرف الآن ان الحب يأتى من القلب.. ينطلق منه ويطغى على كثير من الاشياء.

كاد يقول لها شيئاً من هذا ترك نظراته تتواصل بين عينيها.. تبوح لها بما عجز عقله عن تفسيره او تبريره أو شرحه.

●● انـنا حين نحب لا نعـرف «المصدر» أو «السبب» أو «النتيجة».. واذا أعلنا عن حبنا فان العقل يكون آخر من يعلم.. فالعقل بحساباته ووعيه ونضجه يلغى هذا الوهم الجميل ويفسد هذا الحلم الرقيق.

علي خالد الغامدي

الختام

البحث عن العبقري

● يعرف كيف يغرق نفسه فى المديح وسط اى جمع من الناس دون ان يصيبه الخجل أو يركبه الحياء.

● له طريقته الخاصة فى الثناء على نفسه..

● لا يثرثر كثيراً فيكشف عن جهله.. ويستخدم اسلوبا فى «هز الرأس وانحناءة الملامح وفراغ العينين» فيحسب الجميع انه فهم كل شيء واستوعب كل شيء!

●● يتحدث عنه بعض زملائه ومعاشريه فيقولون انه «عميق التفكير» وصاحب دراية باحوال الدنيا و«اهوالها» ويحرص اذا التقيت به أن يوحى لك بنفس هذه الانطباعات عنه.

شكله اذا اقتربت منه «مجرد من الملامح الانسانية» اذا ضحك واذا تكلم واذا حاول أن يهمس لك باى معنى.. ويكفى ان تتابعه وهو يتكلم لتدرك هذه الحقيقة مباشرة.

ولو وزنتم رأسه فانه يعادل وزن جسمه تقريباً وليس هذا عيبا خلقيا فيه فسلوكه وحركته ومشيته وطريقة هز رأسه تترك هذا الانطباع العجيب عنه.

● يثور «مثل الثيران تماما» اذا سمع كلمة نابية عنه وهذا من حقه لو كان يتعامل مع غيره بنفس الاسلوب.. ويغضب اشد الغضب لو قال له اى شخص انه اخطأ فى حق فلان او علان وترتبك اصابعه مع شفتيه فى حركة مثيرة للشفقة وهو يحاول ان يبرر موقفه من الآخرين الذين يعرف مساوئهم اكثر من غيره ويؤكد ان لديه الادلة والبراهين على سوئهم.

وتعود بذاكرتك للوراء قليلاً لتستعيد صور علاقاته بهؤلاء السيئين حسب تصريحاته الخاصة والثمينة فتعرف انه كان فى ايام خلت «صديقا يرتمى فى احضانهم ويتخفى بين مطالبهم ورغباتهم واوامرهم أيا كان نوعها وشكلها ومضمونها».

ستحاول حتماً ان تعرف من يحب ومن يكره فتفشل محاولاتك فهو شخص «عاقل» وعميق التفكير ويشبه فى جلسته وحديثه حكماء البنغال القدماء.

هو باختصار **«قطعة كوميدية»** تضحك منها وتضحك عليها وعليك ان تختار الصورة المناسبة للضحك المفيد عليه فليس كل الضحك مفيداً كما ان ليس كل الضحك ضاراً.. وهذه **«القطعة الكوميدية»** لابد أن تشدك للضحك شئت أم أبيت ليس لمجرد الضحك وليس لمجرد الرغبة فى الضحك انما لان الذى امامك ينطبق عليه المثل القديم «شر البلية ما يضحك».









يسُره ـ أن يعلن لحجّاج بَيت الله الحَرام

بأنه قد تم ـ بحمد الله وعونه ـ أداء نسك النحر فى موسم حج هذا العام ١٤٠٦هـ لجميع الحجاج الذين شاركوا فى مشروع المملكة العربية السعودية للافادة من لحوم الهدى والاضاحى سواء عن طريق موكليهم أو الذين وكلوا لجنة الاشراف على الوكالات للحجاج فى نطاق هذا المشروع

وقد بلغت التوكيلات جميعها سواء تلك التىء نفذت بمعرفة اللجنة أو بمعرفة وكلاء الحجاج الذين أشرفوا على أداء النسك نيابة عن موكليهم (٣٥٠١٤٠) ثلاثمائة وخمسين الفا ومائة وأربعين وكالة لجميع أنواع الذبائح من هدى (تمتع قران تطوع) وفدية . . واضحية . وصدقة

وبذلك تكون نسبة الزيادة فى هذا العام ١٤٠٦هـ مقارنة بما تمت الاستفادة منه فى موسم حج عام ١٤٠٥هـ نحو ١٤/

وقد وزعت كميات من هذه اللحوم على حجاج بيت الله الحرام فى منى وفقراء الحرم كما تم شحن كميات منها جوا وبرا إلى عدد من البلدان الاسلامية ويجرى إنهاء ترتيبات شحن كميات أخرى جوا وبحرا

وفيما يلى بيان بكميات اللحوم التى شحنت والمعدة للشحن إلى خارج المملكة العربية السعودية (برؤوس الأغنام)

مسلسل	الجهة	الكمية المشحونة	الكمية المعدة للشحن	كيفية الشحن	التاريخ
١	الأردن	٤١٥٧١	ـــــ	مبرد برا بواسطة ٦٨ شاحنة	خلال أيام التشريق
٢	سوريا	١٠٢٥٠	ـــــ	مبرد برا بواسطة ١٧ شاحنة	خلال أيام التشريق
٣	تشاد	٦٦٠٤	ـــــ	مبرد جوا على ٣ رحلات جوية	خلال أيام التشريق
٤	بوركينا. فاسو	٤٩٨١	ـــــ	مبرد جوا على رحلة جوية واحدة	خلال أيام التشريق
٥	باكستان (اللاجئين الافغان)	٢٠٥٠٥	٤٤٩٥	مبرد جوا على ٩ رحلات جوية	خلال أيام التشريق
٦	النيجر		٥٠٠٠	مبرد جواً	٢٣/٨/١٩٨٦م
٧	جيبوتى		١٢٠٠٠	مجمد بحراً	٥/٩/١٩٨٦م
٨	اليمن الديمقراطية		١٢٠٠٠	مجمد بحراً	٨ـ٩/٩/١٩٨٦م
٩	السودان		١٢٠٠٠	مجمد بحراً	١٠/٩/١٩٨٦م
١٠	مصر		١٥٠٠٠	مجمد بحراً	١٧/٩/١٩٨٦م
١١	بنجلاديش		٦٠٠٠٠	مجمد بحراً	٢٥/٩/١٩٨٦م
١٢	موريتانيا		٦٠٠٠	مجمد بحراً	١/١٠/١٩٨٦م
١٣	السنغال		٦٠٠٠	مجمد بحراً	٩/١٠/١٩٨٦م
١٤	مالى ـ عن طريق السنغال		٥٠٠٠	مجمد بحراً	٩/١٠/١٩٨٦م
١٥	جامبيا		٣٠٠٠	مجمد بحراً	١٥/١٠/١٩٨٦م
	المجموع	٨٣٩١١	١٤٠٤٩٥		
	المجموع العام		٢٢٤٤٠٦		

ويتم تجميد الباقية فى ثلاجات بجزرة المعيصم النموذجية لتوزيعها على فقراء الحرم طوال العام

وتأسف اللجنه لنفاد سندات البيع منذ ظهيرة أول أيام عيد الاضحى ونعتذر للاعداد الغفيرة من الحجيج الذين سعوا لشراء هذه السندات ولم يتمكنوا من ذلك . وستسعى اللجنة باذن الله فى العام القادم الى توسيع نطاق المشروع بحيث يحقق رغبات عدد اكبر من الحجيج

والبنك الاسلامى للتنمية إذ يعلن هذا لحجاج بيت الله الحرام ليعبر لهم عن شكره لثقتهم كما يعبر عن تقديره لحكومة المملكة العربية السعودية التى وفرت كل الامكانات اللازمة التى جعلت تنفيذ مثل هذا المشروع الاسلامى الهام ممكنا .

أثاب الله الجميع وألهم أمتنا الاسلامية أمر رشدها وجمع صفوفها ووحد كلمتها وكتب لها النصر المؤزر

وبالله التوفيق







البطاقة الشخصية:

الاســـم: محمد سعيد عبد المقصود خوجة
الســن: من مواليد عام ١٣٧٤هـ
الشهادة: بكالوريوس هندسة مدنية تطبيقية من جامعة البترول والمعادن بالظهران عام ١٩٧٩م.

كيف كانت بداية المركز (فكرته - تأسيسه)؟

مع بداية النهضة الشاملة وفدت إلى البلاد أعداد كبيرة من الأيدى العاملة ساعية وراء فرص العمل المتوفرة للجميع، فسبّب هذا التوافد إزدحاماً شديداً فى السكن فى معظم مدن المملكة ومنها مدينة جدة، ومن هنا نشأت فكرة إقامة مركز خوجة السكنى للمساهمة فى حل أزمة السكن وبدأ العمل بالمركز فى أوائل عام ٨٤م.

بماذا يتميز مركز خوجة وما هى الخدمات التى يقدمها لنزلائه؟

أعتقد أن المركز يوفر للضيف الجو العائلى الذى يفتقده نزيل الفنادق وذلك حسب ما عبّر لى عنه شخصياً العديد من نزلائنا الكرام، بالاضافة إلى خدمات عديدة منها مطعم غنى بالمأكولات الشرقية والغربية على حد سواء ومغسلة للملابس ونظام اتصال هاتفى عالمى مباشر وشبكة فيديو بأربع أقنية على مدار الساعة. بالاضافة لخدمات التلكس والفاكس وحجوزات الطائرات وتأجير السيارات والعديد من الخدمات الأخرى.

كيف يتم إختيار العاملين بالمركز من الناحية الادارية والفنية؟

يخضع موظف مركز خوجة عند تقدمه بطلب للعمل لدينا للعديد من الفحوصات ومنها على سبيل المثال لا الحصر الخبرات السابقة للموظف فى مجال العمل وشهاداته العلمية والتطبيقية ويخضع لاختبارات فى حسن المعاملة للنزلاء واللباقة وحسن الهندام والمظهر إضافة للكشوفات الطبية للتأكد من خلوه من الأمراض.

هل تستقبلون فى مركزكم أفواجاً سياحية؟

نستقبل بين الحين والآخر أفواجاً تأتى من البلاد العربية والاسلامية بهدف العمرة والزيارة ونقوم بترتيب كافة شؤونهم إبتداء من استقبالهم فى المطار.

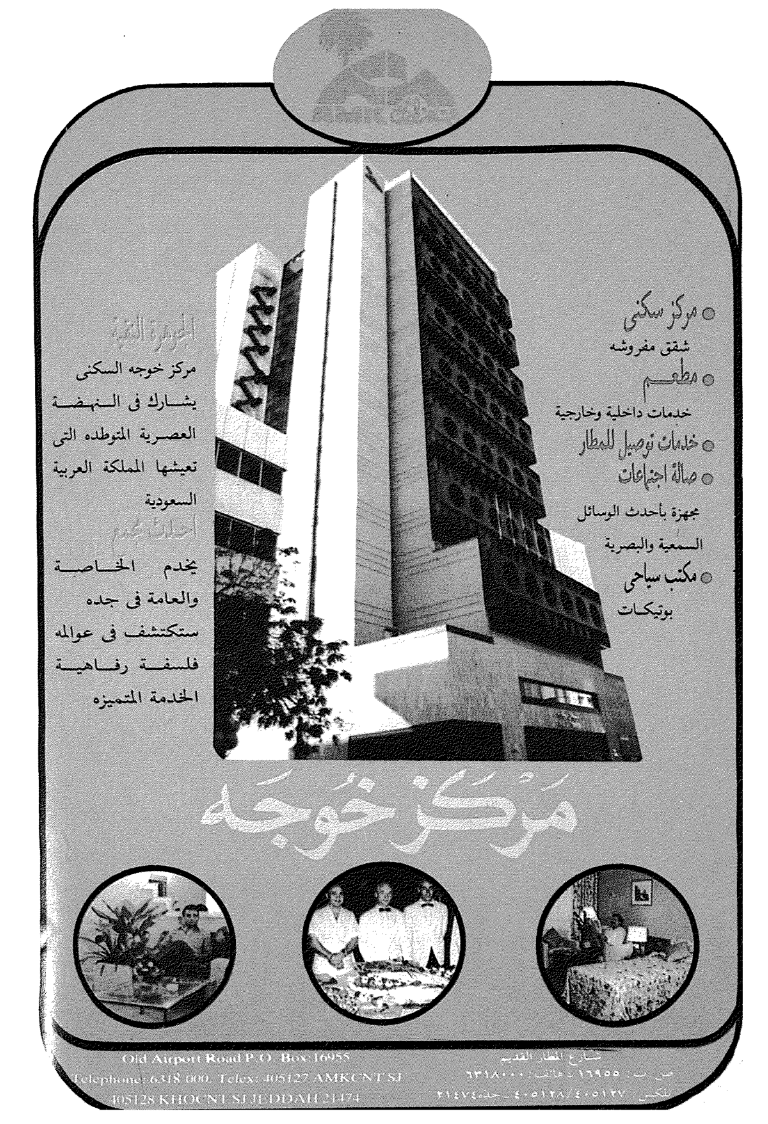
بصفتكم مهندساً ورجلاً من رجال الأعمال، ما هى الصعوبات التى واجهتكم؟

الصعوبة التى تواجهنى بصفتى مهندسا عدم تفرغى للعمل فى مجال الهندسة، أما الصعوبات التى واجهتنى لدى عملى بإدارة الأعمال فلا شك أن إفتقارى للخبرة كان العقبة الأولى ولكن مع مرور الوقت تُكتسب الخبرة، ولا شك أنى أستفيد كثيراً من خبرات والدى فى هذا المجال فله باع طويل فى إدارة الأعمال، كما أن تخصصى يساعدنى على إتخاذ القرارات وفق أسلوب عملى.

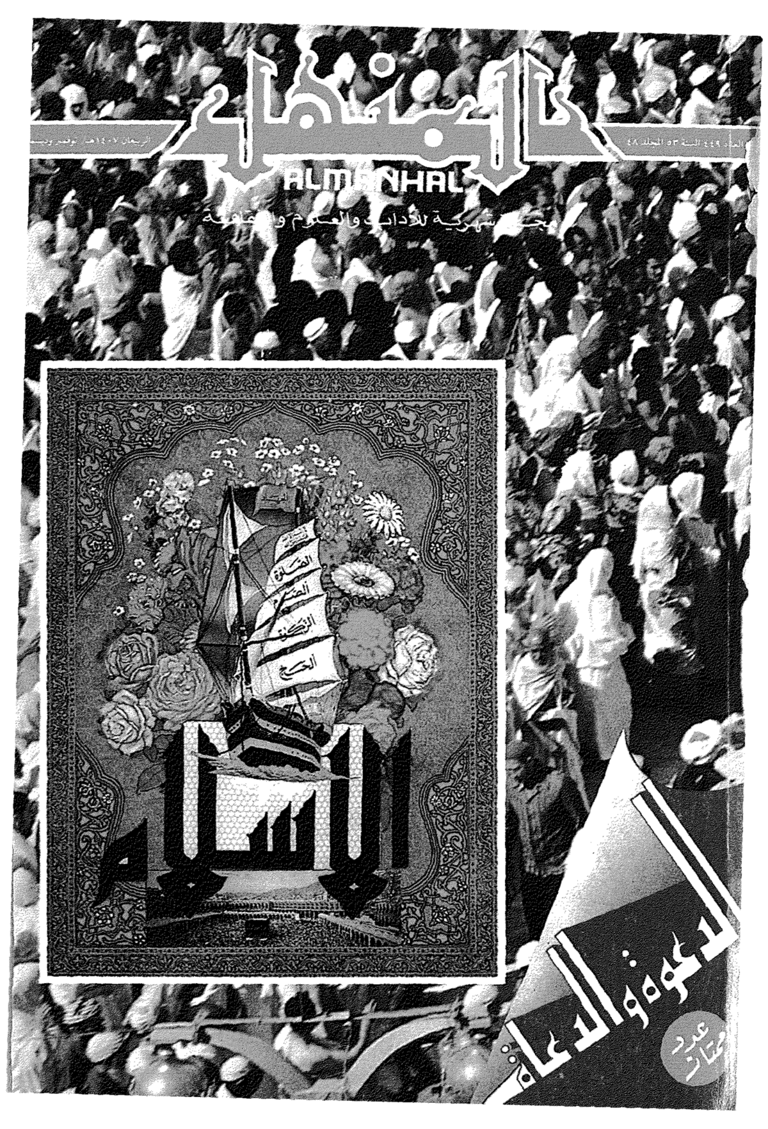
أسلوبكم المتميز فى العمل وحكمتكم المفضلة؟

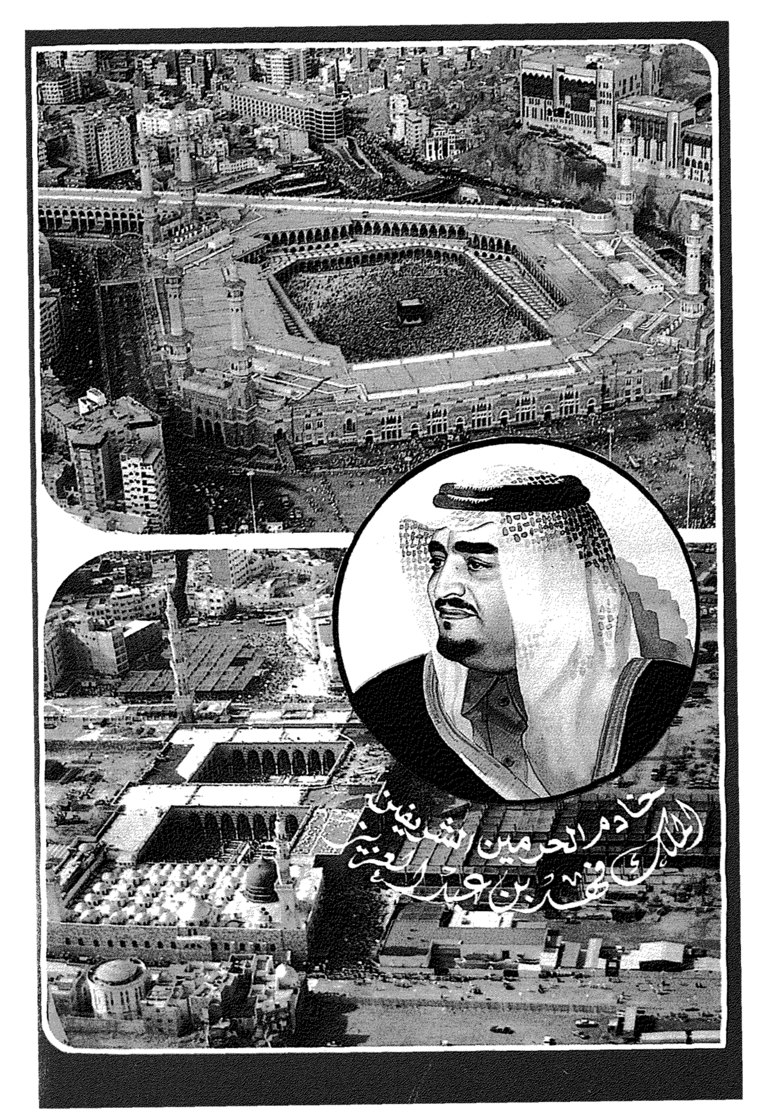
أسعى دائما بقدر المستطاع إلى حل الامور اولاً بأول وأما حكمتى المفضلة:

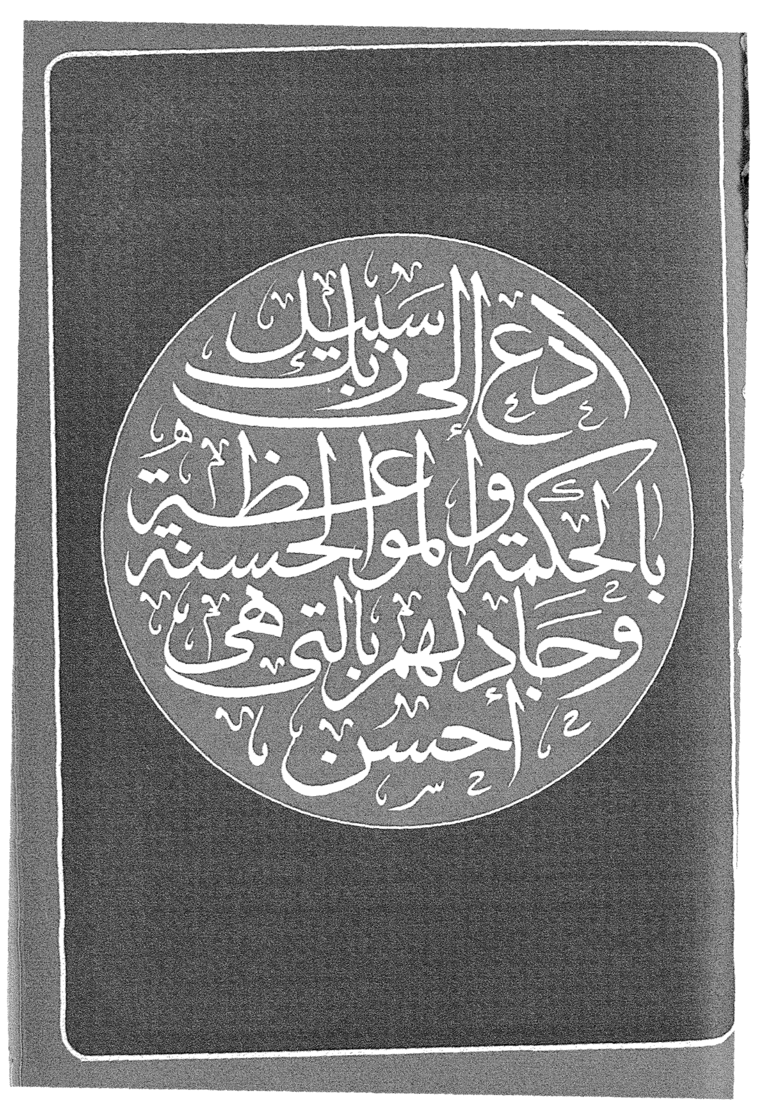
لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله



○ مركز سكنى
شقق مفروشه
○ مطعم
خدمات داخلية وخارجية
○ خدمات توصيل للمطار
○ صالة اجتماعات
مجهزة بأحدث الوسائل
السمعية والبصرية
○ مكتب سياحى
بوتيكات
مركز خوجه السكنى
يشارك فى النهضة
العصرية المتوطده التى
تعيشها المملكة العربية
السعودية
يخدم الخاصة
والعامة فى جده
ستكتشف فى عوالمه
فلسفة رفاهية
الخدمة المتميزه
مركز خوجه
Old Airport Road P.O. Box:16955
Telephone: 6318 000. Telex: 405127 AMKCNT SJ
405128 KHOCNT SJ JEDDAH 21474
شارع المطار القديم
ص.ب : ١٦٩٥٥ ـ هاتف : ٦٣١٨٠٠٠
تلكس : ٤٠٥١٢٧/٤٠٥١٢٨ ـ جدة ٢١٤٧٤


المنهل
ALMANHAL
العدد ٤٤٩ السنة ٥٣ المجلد ٤٨
الربيعان ١٤٠٧هـ نوفمبر ديسمـ
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
الصلاة
الزكاة
الحج
الإسلام
الدعوة والدعاة
عدد ممتاز


خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز


ادع إلى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي
أحسن

إن الأمة الإسلامية التي يراد منها أن تكون النموذج والقدوة للإنسانية نراها اليوم في أمس الحاجة إلى الالتزام بمبادئ عقيدتها الإسلامية التي هي مصدر قوتها ومعراج رقيها ومبعث كرامتها لتحافظ على موقعها المتميز بين أمم الأرض ولكي تقف سداً منيعاً امام التيارات المختلفة التي تواجهها .

● ●

لقد جاءت الرسالة السماوية تصحيحاً لمسار الانسانية وإلى ما فيه صلاح أمرها .
تحضُّ المؤمنين على التعاون والتضامن وانكار الذات ونبذ الخلافات ، وتحثهم على توحيد الكلمة وضمّ الصفوف في تماسك وتعاضد امتثالاً لقول الرسول الكريم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونتناصح فيما بيننا ونتعاون على كل ما فيه الخير لديننا ودنيانا .

● ●

لقد قطعنا على أنفسنا العهد أن نتحمل مسؤولية الدعوة كأمّة مسلمة . . من واجبها أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وأصبحت مسؤوليتنا بعد ذلك هي العمل على تصحيح مسار الانسانية ورسم طريق المستقبل لها بهدى من هذه العقيدة السمحة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم للناس كافة وأزال بها جميع الفوارق « لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى ».



إن ما أصاب الأمة الإسلامية من تشتت في المواقف واختلاف في الآراء أدى الى ضعفها ووهنها ومكّن عدوها من اختراق صفوفها وتصديع حصونها فهاهي القدس الشريف مسرى النبي الكريم وثالث الحرمين الشريفين لاتزال ترزح تحت براثن العدو الغاشم.

وها هم أخواننا أبناء الأرض المباركة في كل وادٍ يهيمون بعدان تمكنت قوى البغي من احتلال أوطانهم وهاهو الانسان العربي المسلم يدورحول نفسه بعد أن ضاع أوكاد يضيع من قدمه الطريق السوي.

●●

المملكة العربية السعودية هي واحدة من دول أمة الإسلام، هي منهم ولهم نشأت أساسًا لحمل لواء الدعوة إلى الله ثم شرفها الله لخدمة بيته وحرم نبيه، فزاد بذلك حجم مسئوليتها وتعينت واجباتها وهي إذ تنفذ تلك الواجبات على الصعيد الدولي انما تتمثل ما أمر به الله من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة وتتحسس ماكان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يواجه الشدائد وعظائم الأمور، يستخدم العقل استخدامه للقوة فالاسلام دين الرحمة والعقل والقوة يأبى التخريب ويحارب الغوغائية محاربته للذل والضعف والاسترخاء.

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز

استهلال

• لا أرى لخروج أمتنا مما هى فيه من ضعف فى القوة وشتات فى الرأى وتمزق فى المواقف الا بعودة الأمة العربية والاسلامية إلى الدين الحميد واستمساكها بحبل الله المتين وتحكيمها لكتاب الله فيما يعرض لها فى شوؤن حياتها وإنى أرى مالم تتنبه أمتنا لذاتها ومالم نسلح أنفسنا بالقوة والعلم فإن طريقنا إلى الحياة الكريمة يلفها الضباب.

●●

إن قوميتنا هى الاسلام ، وهويتنا التوحيد وسبيلنا الجهاد لتأكيد وجودنا قومية وهوية .. عقيدة ونظاما وهذا هو الفارق بين إنسانية محمد «ﷺ» واممية ماركس انه الفارق بين الضمير والمعدة .. بين التعاون على البر والتقوى وبين الصراع الطبقى .. بين الكادح إلى ربه وبين الكادح إلى معدته .. بين المنفتح على الكون وبين المنغلق على المقبر .

●●

إن أول وحدة عربية عرفتها الجزيرة العربية على يدى الرسول الاعظم (ص) كانت وحدة اسلامية ولم تكن وحدة سياسية ولذلك فإن للعرب رسالة خالدة لا بل وحيدة .. إنها الإسلام وإن هذه الرسالة هى التى مكنت العرب من



تحقيق تلك المنجزات المتسامية والمعجزات وإننا حين نتأمل في جميع النكبات التي نزلت بالعرب والمسلمين في عصرنا هذا لا بل في جميع عصور التدهور والانحلال، نكتشف أن أسبابها تعود فقط إلى الانحراف عن الإسلام دينًا ونظامًا ونهجًا.

●●

لقد قال أحد كبار شيوخ الاسلام أن العرب لم ينقلوا الاسلام إلى الأمم .. بل نقلوا الامم إلى الاسلام لذلك فإني لراسخ القناعة أن الأمة العربية ستنقل بإذن الله شعوبها وأنظمتها وقياداتها إلى ميادين التضامن ومجالات التعاون.

●●

• إننا هنا في المملكة العربية السعودية ملكًا وحكومة وشعبًا يسعدنا أن نضع كل مكانياتنا محبتنا وعواطفنا في سبيل خدمة العقيدة السمحة ودعم كل لرجال المخلصين لله ولرسوله وللمسلمين كافة

صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

المملكة العربية السعودية - جدة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٧م

عبد القدوس الانصاري

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مدير الادارة والتحرير
زهير نبيه الانصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الانصاري

مراسلونا فى الخارج

- القاهرة: د. احمد الحفناوى
- عمان: روكس بن زائد العزيزى
- الرباط: عبد الرحيم عبد السلام
- تونس: د. نور الدين صمود
- انقرة: د. انور طاهر رضا
- الجزائر: د. بكرى عبد الكريم

- التحرير
  السمانى كمال الدين
  محمد سيد على الدين
  نادر صلاح الدين
- الجمع التصويرى
  عبد الفتاح السيد سليمان
- الارشيف
  الامين الصديق
- العلاقات العامة
  مصطفى محمد مصطفى

المخرج الفني
فريد أبو سعده

معلومات ادارية

المركز الرئيسى
جُدة - الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١
ت: ٦٤٤٧٧٩٤
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
ت: ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
السليمانية
ص.ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات
- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة
ت: ٦٤٣٢١٢٤

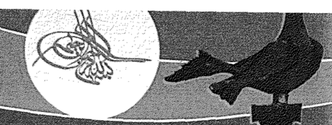
سعر النسخة
- السعودية: ٨ ريال
- البحرين: ٨٠٠ فلس
- قطر: ٨ ريال
- الامارات: ٨ دراهم
- اليمن: ٦ ريال
- الاردن: ٥٠٠ فلس
- مصر: ٥٠ قرشا
- السودان: ١٥٠ قرشا
- تونس: ٦٠٠ مليم
- المغرب: ٦ دراهم

ربيع الأول والثاني ١٤٠٧هـ

نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م

المجلة السعودية الأم

وكلاء التوزيع
تهامة للتوزيع/ جدة ت: ٦٦٩٥٠٠٠
دار النسر للطباعة/ ابو ظبي ت: [illegible]



الفهرس

...ة الاهرام للتوزيع/ القاهرة ت: ٧٥٥٥٠٠ ـ الشركة التونسية للصحافة/ تونس ت: ٢٤٢٤٩٩ ـ الشركة الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ت: ٢٤٥٧٤٥
...الثقافة للطباعة/ الدوحة ت: ٤١٤١٨٧ ـ وكالة التوزيع الاردنية عمان ت: ٩٣٥١٥٢ ـ ...





والخير «هنا» يتوارد من الأخيار التقاة الذين حباهم المولى القدير بفضله ومكنهم بهديه.. ووطَّد لهم لتقويم ما اعوجّ وتأكيد ما استقام. وهذا الخير مرسل للبشرية كافة وللأمة المسلمة بخاصة لتنهل من معينه وتنعم بخيره ونعيمه.

حتى اذا ما أروى تلك الفئة المميَّزة بمستويات ما بُلِّغَتْ والمخيَّرة بمحاسن ما فَعَلَتْ.. فاض ليتواصل لمن لم يُبَلَّغ ليصبح بدوره مكلَّفا.. آمراً.. ناهيا.

والرسالة الالهية بمقوماتها ومُثُلها واحتوائها كل ما يغنى البشرية من خير... وامام عوامل الاتصال ووسائل التواصل بل ومن باب أوْلى: امام المحن ـ وفى مواجهة ما ابتلى الله به عباده المؤمنين ﴿**وفى انفسكم افلا تبصرون**﴾.. جديرة ان تتصدر ما عداها حتى تنفذ الى معاشنا ومآلنا.

وكان لزاماً والحالة هذه ـ وبالضرورة ـ ان تكون هذه الرسالة الاسلامية نبراسا لأفعالنا وأقوالنا فى كل موقع وعلى كل فؤاد.. يستوى فى ذلك المربى والمريد.. والفاعل والاجير.. والغنى والفقير.. فتتساكن الاهداف وتتمازج الغايات حتى نصبح «معا» جديرين بأن نكون خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

بهذا تبسُطُ الدعوة اشرعتها «العملاقة» تمخر فى لُجة الخُلْف والتشيّع.. والانفتاح والتحلل.. والانغلاق والتسيب... لتهدى الضالين وتزجر المضلّلين ولتصل بالجمع والصحب لشاطىء الامان وارضية الرضى والاطمئنان.

وامام هذا التعميم يأتى دورنا المتواضع الذى يملى علينا

وفي أمتي إلى يوم القيامة



أن نأخذ بزمام ركب التوجيه الفكرى والمعرفي المنطلق للشداة والمبدعين على حد سواء . . فنصدر هذه الوسيلة وأمثالها . . ونختار لها موضوعها الفريد والرائد . . . ونكرس لها وقتنا وبذلنا لتصل للمتلقى فتنطبع فى كيانه وتتعاطف مع وجدانه . . ونسأل الله سبحانه ان يكون هذا العدد داعي خير ومرشد اصلاح .

وثمة ما هو جدير بالاشارة والتنويه ـ فما دمنا فى ركاب «الهجرة النبوية» وفى عبق شذاها الفوّاح رأينا ان نكون ـ ايضا ـ احد دعاة آفاقها . . ولعلنا بهذا العدد الممتاز الذى صدر فى مناسبتها وبعنوان (**الدعوة والدعاة**) وبصحبة افاضل المشاركين فيه ـ لعلنا نكون السابقين فى طرق موضوع هذه الهجرة ميمونة الطالع بهذا الاسلوب والتوجه المتميز والذى نرى ان تنحو الصحافة الامينة الملتزمة اليه ولأمثاله فى مناسباتنا الاسلامية الخالدة لانه «حتما» أمكن واعمق وابلغ . . . ويبقى أن نطلق العنان للدعاة المميَّزين بمستويات ما بلغوا . . والمخيرين بمحاسن ما فعلوا . .

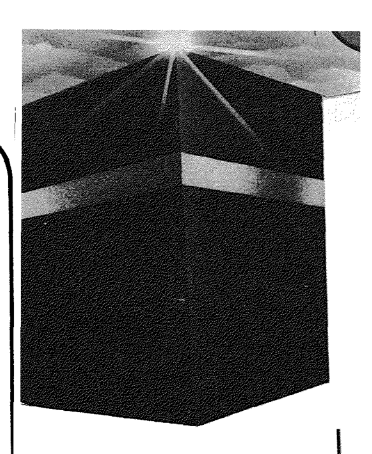
ونضاعف من تسليحهم بالحكمة والموعظة الحسنة . . ونوفر لهم المناخ الملائم . . ونختار اخيارهم ونعرض عن ادعيائهم .

وهذه رسالة مراكز الدعوة ومصادر الاشعاع الدينى . . وجزئية أولية متخصصة للجامعات والمعاهد والمنظمات الاسلامية، كل يعمل بنصيبه . . وكل له منه أجر مديد وفير باذن المولى القدير.

﴿وقُلِ اعْمَلُوا فسيرَى الله عملكُمْ ورسولُهُ والمؤمِنُونَ﴾.

نبيه الأنصاري

فضل الدعوة إلى الله

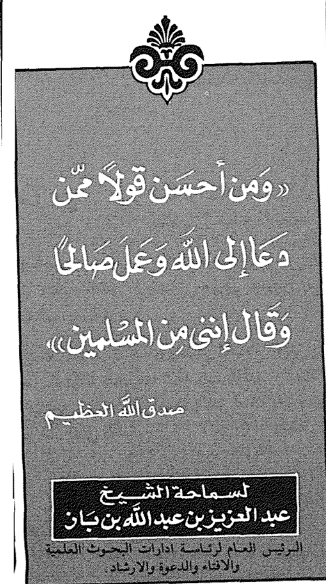


الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه أرسله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على طريقته في الدعوة إلى سبيله وصبروا على ذلك وجاهدوا فيه حتى أظهر الله بهم دينه وأعلى كلمته ولو كره المشركون وسلم تسليماً كثيرا. أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الجن والانس ليُعْبَد وحده لا شريك له. وليُعظَّم أمره ونهيه.. وليُعْرف بأسمائه وصفاته كما قال عز وجل: ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنْس إلا ليعبدون﴾.

وقال عز وجل: ﴿يا أيها الناسُ اعبدوا ربَّكُم الذى خلقكم والذين من قبلكُم لعلَّكم تتقون﴾ وقال عز وجل ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزل الأمرُ بينهنّ لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأنَّ الله قد أحاط بكل شىء علما﴾.

فبيّن سبحانه أنه خلق الخلق ليعبده ويعظم ويطاع أمره ونهيه لأن العبادة هى توحيده وطاعته مع تعظيم أوامر



وحكمها وأخلاق القائمين بها

ونواهيه وبين عز وجل أيضا أنه خلق السموات والأرض وما بينهما ليعلم أنه على كل شىء قدير وأنه قد أحاط بكل شىء علما.

فعلم بذلك أن من الحكمة فى إيجاد الخلق أن يعرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأنه على كل شىء قدير وأنه العالم بكل شىء جل وعلا كما أن من الحكمة فى خلقهم وإيجادهم أن يعبدوه ويعظموه ويقدسوه ويخضعوا لعظمته إذ العبادة هى الخضوع لله جل وعلا والتذلل له وسميت الوظائف التى أمر الله بها المكلفين من أوامر وترك نواهى عبادة لأنها تؤدى بالخضوع والتذلل لله عز وجل.

ثم لما كانت العبادة لا يمكن أن تستقل بتفاصيلها العقول كما أنه لا يمكن أن تعرف بها الأحكام من الأوامر والنواهى على التفصيل أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل وأنزل الكتب لبيان الأمر الذى خلق من أجله الخلق لايضاحه وتفصيله للناس حتى يعبدوا الله على بصيرة وحتى ينتهوا عما نهاهم عنه على بصيرة.

فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم هداة الخلق وهم أئمة الهدى ودعاة الثقلين جميعا إلى طاعة الله وعبادته فالله سبحانه أكرم العباد بهم ورحمهم بارسالهم إليهم وأوضح على أيديهم الطريق السوى والصراط المستقيم حتى يكون الناس على بينة من أمرهم وحتى لا يقولوا: ما ندرى ما أراده الله منا.. ما جاءنا من بشير ولا نذير.

فقطع الله المعذرة وأقام الحجة بارسال الرسل وانزال الكتب كما قال جل وعلا: ﴿ولقد بعثنا فى كلِّ أمة رسولا أنِ اعبُدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾. وقال سبحانه: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾. وقال عز وجل: ﴿لقد أرسلنا رُسُلنا بالبيناتِ وأنزلنا معهُمُ الكتابَ والميزانَ ليقوم الناسُ بالقسط﴾ الآية. وقال سبحانه: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقِّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾.

فبين سبحانه أنه أرسل الرسل وأنزل معهم الكتب ليحكم بين الناس بالحق والقسط وليوضح للناس ما اختلفوا فيه من الشرائع والعقائد من توحيد الله وشريعته عز وجل فإن قوله سبحانه وتعالى ﴿كان الناسُ أمة واحدة﴾ يعنى على الحق لم يختلفوا من عهد آدم عليه الصلاة والسلام إلى نوح.. كان الناس على الهدى كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وجماعة من السلف والخلف ثم وقع الشرك والاختلاف.. أرسل الله نوحا عليه الصلاة والسلام وبعده الرسل كما قال عز وجل: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ وقال تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتُبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾. فالله أنزل الكتاب ليبين حكم الله

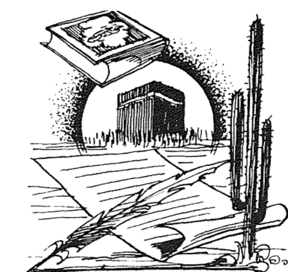
فيما اختلف فيه الناس. . وليبين شرعه فيما جهله الناس. . وليأمر الناس بالتزام شرع الله والوقوف عند حدوده. . وينهى الناس عما يضرهم فى العاجل والآجل وقد ختم الرسل جل وعلا بأفضلهم وإمامهم وسيدهم نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله عليه وعليهم من ربهم أفضل الصلاة والتسليم.

فبلغ الرسالة وأدى الأمانة. . ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده. . ودعى إلى الله سرا وجهرا. . وأوذى فى الله أشد الأذى ولكنه صبر على ذلك كما صبر من قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام - صبر كما صبروا وبلغ كما بلغوا ولكنه أوذى أكثر وصبر أكثر وقام بأعباء الرسالة أكمل قيام عليه وعليهم الصلاة والسلام. . مكث ثلاثا وعشرين سنة يبلغ رسالات الله ويدعو إليه وينشر أحكامه - منها ثلاث عشرة سنة فى أم القرى - مكة المكرمة أولا بالسر ثم بالجهر. . صدع بالحق وأوذى وصبر على الدعوة وعلى أذى الناس مع أنهم يعرفون صدقه وأمانته ويعرفون فضله ونسبه ومكانته. . ولكنه الهوى والحسد والعناد من الأكابر والجهل والتقليد من العامة. فالأكابر جحدوا واستكبروا وحسدوا والعامة قلدوا واتبعوا وأساؤوا فأوذى بسبب ذلك أشد الأذى عليه الصلاة والسلام.

ويدلنا على أن الأكابر قد عرفوا الحق وعاندوا قوله سبحانه: **﴿قد نَعْلَمُ أنهُ ليحزُنُكَ الذى يقولون فإنّهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾**.

بين سبحانه أنهم لا يكذبون رسول الله ﴿ﷺ﴾ بل يعلمون صدقه وأمانته وكانوا يسمونه الأمين قبل أن يُوحَى إليه عليه الصلاة والسلام ولكنهم جحدوا الحق حسدا وبغيا عليه - لكنه عليه الصلاة والسلام لم يبال بذلك ولم يكترث به بل صبر واحتسب وسار فى الطريق ولم يزل داعيا إلى الله جل وعلا. . صابرا على الأذى مجاهدا بالدعوة. . كافا عن الأذى متحملا له صافحا عما يصدر منهم حسب الامكان. . حتى اشتد الأمر وعزموا على قتله عليه الصلاة والسلام. . فعند ذلك أذن الله له بالخروج إلى المدينة فهاجر إليها عليه الصلاة والسلام - وصارت عاصمة الاسلام الأولى وظهر فيها دين الله وصار للمسلمين دولة وقوة. . واستمر عليه الصلاة والسلام فى الدعوة وإيضاح الحق وشرع فى الجهاد بالسيف وأرسل الرسل يدعون الناس إلى الخير والهدى ويشرحون لهم دعوة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام. . وبث السرايا. . وغزا الغزوات المعروفة حتى أظهر الله دينه على يديه وحتى أكمل الله به الدين وأتم عليه وعلى أمته النعمة. . ثم توفى عليه الصلاة والسلام بعدما أكمل الله به الدين وبلغ البلاغ المبين فتحمل اصحابه من بعده الأمانة وساروا على الطريق فدعوا الى الله عز وجل. . وانتشروا فى أرجاء المعمورة دعاة للحق ومجاهدين فى سبيل الله عز وجل لا يخشون فى الله لومة لائم يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله جل وعلا. . فانتشروا فى الأرض غزاة مجاهدين ودعاة مهتدين وصالحين مصلحين ينشرون دين الله ويعلمون الناس شريعته ويوضحون لهم العقيدة التى بعث الله بها الرسل وهى إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه من الأشجار والأحجار والأصنام وغير ذلك. فلا يدعى إلا الله وحده. . ولا يستغاث إلا به. . ولا يحكم إلا شرعه. . ولا يصلى إلا له. . ولا ينذر إلا له - إلى غير ذلك من العبادات. وأوضحوا للناس أن العبادة حق الله وتلوا عليهم ما ورد فى ذلك من الآيات مثل قوله سبحانه: . . **يا أيها الناسُ اعبدوا ربكُمْ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه. . إياك نعبد وإياك نستعين. . فلا تدعوا مع الله أحدا. . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. .**

وصبروا على ذلك صبرا عظيما وجاهدوا فى الله جهادا كبيرا رضى الله عنهم وأرضاهم وتبعهم على ذلك أئمة الهدى من التابعين وأتباع التابعين من العرب وغير العرب ساروا فى هذا السبيل سبيل الدعوة إلى الله عز وجل وتحملوا أعباءها وأدوا الأمانة مع الصدق والصبر والاخلاص فى الجهاد فى سبيل الله وقتال من خرج عن دينه



وصد عن سبيله ولم يؤد الجزية التى فرضها الله إذا كان من أهلها. . فهم حملة الدعوة وأئمة الهدى بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهكذا اتباع الصحابة من التابعين وأتباع التابعين وأئمة الهدى ساروا على هذا الطريق كما تقدم وصبروا فى ذلك.

وانتشر دين الله وعلت كلمته على أيدى الصحابة ومن تبعهم من أهل العلم والايمان من العرب والعجم من هذه الجزيرة جنوبها وشمالها ومن غير الجزيرة من سائر أرجاء الدنيا ممن كتب الله له السعادة ودخل فى دين الله وشارك فى الدعوة والجهاد وصبر على ذلك وصارت لهم السيادة والقيادة والأمانة فى الدين بسبب صبرهم وإيمانهم وجهادهم فى سبيل الله عز وجل وصدق فيهم قوله سبحانه فيما ذكر فى بنى اسرائيل: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾** صدق هذا فى أصحاب الرسول ﴿ﷺ﴾ وفى من سار على سبيلهم. . صاروا أئمة وهداة ودعاة للحق واعلاما يقتدى بهم بسبب صبرهم وايقانهم. فإن بالصبر واليقين تنال الامامة فى الدين فأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام وأتباعه باحسان إلى يومنا هذا هم الأئمة وهم الهداة وهم القادة فى سبيل الحق. . وبذلك يتضح لكل طالب علم أن الدعوة الى الله من أهم المهمات وأن الأمة فى كل زمان ومكان فى أشد الحاجة إليها بل فى أشد الضرورة إلى ذلك.

ويتلخص الكلام فى الدعوة إلى الله عز وجل فى أمور:

الأمر الأول: حكمها وفضلها.

الأمر الثانى: كيفية أدائها وأساليبها.

الأمر الثالث: بيان الأمر الذى يدعى إليه.

الأمر الرابع: بيان الأخلاق والصفات التى ينبغى للدعاة أن يتخلقوا بها وأن يسيروا عليها فنقول: وبالله المستعان وعليه التكلان جل وعلا وهو المعين والموفق لعباده سبحانه وتعالى.

الأمر الأول: بيان حكم الدعوة إلى الله عز وجل وبيان فضلها:

أما حكمها: فقد دلت الأدلة من الكتاب والسُنَّة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل وأنها من الفرائض والادلة فى ذلك كثيرة منها قوله سبحانه: **﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعونَ إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** ومنها قوله جل وعلا: **﴿أدْعُ إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظةِ الحسنةِ وجادلهم بالتى هى أحسن﴾**.

● ومنها قوله عز وجل: **﴿وادع الى ربك ولا تكوننَّ من المشركين﴾**. ومنها قوله سبحانه **﴿قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾**. فبين سبحانه أن أتباع الرسول ﴿ﷺ﴾ هم الدعاة الى الله وهم أهل البصائر والواجب كما هو معلوم هو اتباعه والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾**. وصرح العلماء أن الدعوة الى الله عز وجل فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التى يقوم فيها الدعاة فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج الى الدعوة والى النشاط فيها فهى فرض كفاية إذا قام بها من يكفى سقط عن الباقين ذلك

الواجب وصارت الدعوة فى حق الباقين سنة مؤكدة وعملا صالحا جليلا.

وإذا لم يقم أهل الاقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام صار الاثم عاما وصار الواجب على الجميع وعلى كل انسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه. أما بالنظر الى عموم البلاد فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة الى الله جل وعلا فى أرجاء المعمورة تبلغ رسالات الله وتبين أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة فإن الرسول ﴿ﷺ﴾ قد بعث الدعاة وأرسل الكتب الى الناس والى الملوك والرؤساء ودعاهم الى الله عز وجل.

وفى وقتنا اليوم قد يسر الله عز وجل أمر الدعوة أكثر بطرق لم تحصل لمن قبلنا.. فأمور الدعوة اليوم متيسرة أكثر من طرق كثيرة واقامة الحجة على الناس اليوم ممكنة بطرق متنوعة عن طريق الاذاعة.. عن طريق التلفزة.. عن طريق الصحافة.. من طرق شتى، فالواجب على أهل العلم والايمان وعلى خلفاء رسول الله أن يقوموا بهذا الواجب وأن يتكاتفوا فيه وأن يبلغوا رسالات الله الى عباد الله ولا يخشون فى الله لومة لائم ولا يحابون فى ذلك كبيرا ولا صغيرا ولا غنيا ولا فقيرا بل يبلغون أمر الله الى عباد الله كما أنزل الله وكما شرع الله.

وقد يكون ذلك فرض عين إذا كنت فى مكان ليس فيه من يؤدى ذلك سواك كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإنه يكون فرض عين ويكون فرض كفاية. فاذا كنت فى مكان ليس فيه من يقوى على هذا الامر ويبلغ أمر الله سواك فالواجب عليك أنت أن تقوم بذلك فأما اذا وجد من يقوم بالدعوة والتبليغ والأمر والنهى غيرك فإنه يكون حينئذ فى حقك سنة وإذا بادرت اليه وحرصت عليه كنت بذلك منافسا فى الخيرات ومسابقا الى الطاعات. ومما احتج به على أنها فرض كفاية قوله جل وعلا ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير﴾ الآية..

قال الحافظ ابن كثير عند هذه الآية وجماعة ما معناه ولتكن منكم أمة منتصبة لهذا الأمر العظيم تدعو إلى الله "تنشر دينه وتبلغ أمره سبحانه وتعالى ومعلوم أيضا أن الرسول عليه الصلاة والسلام دعا الى الله وقام بأمر الله فى مكة حسب طاقته وقام الصحابة كذلك رضى الله عنهم وأرضاهم بذلك حسب طاقتهم ثم لما هاجروا قاموا بالدعوة أكثر وأبلغ ولما انتشروا فى البلاد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام قاموا بذلك أيضا رضى الله عنهم وأرضاهم كل على قدر طاقته وعلى قدر علمه.

فعند قلة الدعاة وعند كثرة المنكرات وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته وإذا كان فى محل محدود كقرية ومدينة ونحو ذلك ووجد فيها من تولى هذا الأمر وقام به وبلغ أمر الله كفى وصار التبليغ فى حق غيره سنة لأنه قد أقيمت الحجة على يد غيره ونفذ أمر الله على يد سواه.. ولكن بالنسبة الى بقية أرض الله والى بقية الناس يجب على العلماء حسب طاقتهم وعلى ولاة الأمر حسب طاقتهم أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون وهذا فرض عين عليهم بالتعيين على حسب الطاقة والقدرة.. بهذا يعلم أن كونها فرض عين وكونها فرض كفاية أمر نسبى يختلف.

فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة الى أقوام والى أشخاص وسنة بالنسبة الى أشخاص والى أقوام لانه وجد فى محلهم وفى مكانهم من قام بأمر وكفى عنهم.. أما بالنسبة الى ولاة الأمور ومن لهم القدرة الواسعة فعليهم من الواجب اكثر.. وعليهم أن يبلغوا الدعوة الى ما استطاعوا من الأقطار حسب الامكان بالطرق الممكنة وباللغات الحية التى ينطق بها الناس.. يجب ان يبلغوا أمر الله بتلك اللغات حتى يصل دين الله الى كل أحد باللغة التى يعرفها - باللغة العربية وبغيرها.. فإن الامر الآن ممكن وميسور بالطرق التى تقدم بيانها: طرق الاذاعة والتلفزة والصحافة وغير ذلك من الطرق التى تيسرت اليوم ولم تتيسر فى السابق.. كما أنه يجب على الخطباء فى الاحتفالات وفى الجمع وفى غير ذلك ان يبلغوا ما استطاعوا من أمر الله عز وجل وأن ينشروا دين الله حسب طاقتهم وحسب علمهم.

الحاد.. وإنكار رب العباد وإنكار الرسالات وإنكار الآخرة.. وانتشار الدعوة النصرانية فى كثير من البلدان وغير ذلك من الدعوات المضللة.. نظرا الى هذا فإن الدعوة إلى الله عز وجل اليوم أصبحت فرضا عاما وواجبا عاما على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالاسلام.. فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والامكان.. بالكتابة والخطابة وبالاذاعة وبكل وسيلة استطاعوا.. والا يتقاعسوا عن ذلك أو يتكلوا على زيد أو عمرو فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم الى التعاون والاشتراك والتكاتف فى هذا الامر العظيم أكثر مما كان قبل ذلك لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله والتشكيك فى دينه ودعوة الناس الى ما يخرجهم من دين الله عز وجل فوجب على أهل الاسلام أن يقابلوا هذا النشاط المضل وهذا النشاط الملحد بنشاط إسلامى وبدعوة اسلامية على شتى المستويات وبجميع الوسائل وبجميع الطرق الممكنة وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة الى سبيله.

فضل الدعوة

وقد ورد فى فضل الدعوة والدعاة آيات وأحاديث كثيرة.. كما أنه ورد فى إرسال النبى ﴿ﷺ﴾ الدعاة أحاديث لا تخفى على أهل العلم ومن ذلكم قوله جل وعلا **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾**.. فهذه الآية الكريمة فيها التنويه بالدعاة والثناء عليهم وأنه لا أحد أحسن قولا منهم وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ثم أتباعهم على حسب مراتبهم فى الدعوة والعلم والفضل. فأنت يا عبد الله يكفيك شرفا أن تكون من أتباع الرسل ومن المنتظمين فى هذه الآية الكريمة: **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾** المعنى لا أحد أحسن قولا منه لكونه دعا الى الله وأرشد اليه وعمل بما يدعو إليه يعنى دعا الى الحق وعمل به وأنكر الباطل وحذر منه وتركه.. ومع ذلك صرح بما هو عليه لم يخجل بل قال: **﴿إننى من المسلمين﴾**. مغتبطا وفرحا بما مَنَّ الله به عليه ليس كمن يستنكف عن ذلك ويكره أن ينطق بأنه مسلم أو بأنه يدعو الى الاسلام لمراعاة فلان أو مجاملة فلان ولا حول ولا قوة إلا بالله: بل المؤمن الداعى الى الله القوى الايمان البصير بأمر الله يصرح بحق الله وينشط فى الدعوة الى الله ويعمل بما يدعو اليه ويحذر ما ينهى عنه ومع ذلك يصرح بأنه مسلم وبأنه يدعو الى الاسلام ويغتبط بذلك ويفرح به. قال عز وجل: **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾** فالفرح برحمة الله فرح الاغتباط فرح السرور أمر مشروع أما الفرح المنهى عنه فهو فرح الكبر والمرح هذا هو المنهى عنه كما قال عز وجل فى قصة قارون: **﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾** هذا فرح الكبر والتعالى على الناس والتعاظم وهذا هو الذى ينهى عنه أما فرح الاغتباط والسرور بدين الله والفرح بهداية الله والاستبشار بذلك والتصريح بذلك ليعلم فأمر مشروع وممدوح ومحمود.. فهذه الآية الكريمة من أوضح الآيات فى الدلالة على فضل الدعوة وأنها من أهم القربات ومن أفضل الطاعات وأن أهلها فى غاية من الفرح وفى أرفع مكانة وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن ذلك قوله جل وعلا: **﴿قل هذه سبيلى أدعو على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾** فبين سبحانه أن الرسول يدعو على بصيرة وأن اتباعه كذلك فهذا فيه فضل الدعوة وأن أتباع الرسول ﴿ﷺ﴾ هم الدعاة الى سبيله على بصيرة.. والبصيرة هى العلم بما يدعو اليه وما ينهى عنه وفى هذا شرف لهم وتفضيل.

وقال النبى الكريم عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح: **«ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله»** رواه مسلم فى الصحيح. وقال عليه الصلاة والسلام: **«ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»**. أخرجه مسلم أيضا. وهذا يدل على فضل

الدعوة الى الله عز وجل وصح عنه عليه السلام أنه قال لعلى رضى الله عنه وأرضاه «فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» متفق على صحته. . وهذا أيضا يدلنا على فضل الدعوة الى الله وما فيها من الخير العظيم وأن الداعى الى الله جل وعلا يعطى مثل أجور من هداه الله على يديه ولو كان آلاف الملايين تعطى. . فهنيئا لك أيها الداعية الى الله بهذا الخير العظيم.

وبهذا يتضح أيضا أن الرسول عليه الصلاة والسلام يعطى مثل أجور أتباعه فيالها من نعمة عظيمة يعطى نبينا عليه الصلاة والسلام مثل أجور أتباعه الى يوم القيامة لأنه بلغهم رسالة الله ودلهم على الخير عليه الصلاة والسلام. . وهكذا الرسل يعطون مثل أجور أتباعهم عليهم الصلاة والسلام. . وأنت كذلك أيها الداعية فى كل زمان تعطى مثل أجور أتباعك والقابلين لدعوتكم فاغتنم هذا الخير العظيم وسارع إليه.

كيفية الدعوة

أما كيفية الدعوة وأسلوبها فقد بيَّنها الله عز وجل فى كتابه الكريم وفيما جاء فى سنة نبيه عليه الصلاة والسلام ومن أوضح ذلك قوله جل وعلا: **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾**. . فأوضح سبحانه الكيفية التى ينبغى أن يتصف بها الداعية ويسلكها. يبدأ أولا بالحكمة والمراد بها الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق والداحضة للباطل ولهذا قال بعض المفسرين المعنى بالقرآن لأنه الحكمة العظيمة لأن فيه البيان والايضاح للحق بأكمل وجه. . وقال بعضهم معناه بالأدلة من الكتاب والسنة وبكل حال.

فالحكمة كلمة عظيمة معناها الدعوة الى الله بالعلم وبالبصيرة والأدلة الواضحة المقنعة الكاشفة للحق والمبينة له. . وهى كلمة مشتركة تطلق على معان كثيرة تطلق على النبوة. . وعلى العلم والفقه فى الدين. . وعلى العقل. . وعلى الورع. . وعلى أشياء أخرى وهى فى الأصل كما قال الشوكانى رحمه الله: الأمر الذى يمنع عن السفه هذه هى الحكمة. . والمعنى أن كل كلمة وكل مقالة تردعك عن السفه وتزجرك عن الباطل فهى حكمة. . وهكذا كل مقال واضح صريح صحيح فى نفسه فهو حكمة. . فالآيات القرآنية أولى بأن تسمى حكمة. . وهكذا السنة الصحيحة أولى بأن تسمى حكمة بعد كتاب الله. . وقد سماها الله حكمة فى كتابه العظيم كما فى قوله جل وعلا: **﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾** يعنى السنة. . وكما فى قوله سبحانه: **﴿يؤتى الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾** الآية.

فالأدلة الواضحة تسمى حكمة. . والكلام الواضح المصيب للحق يسمى حكمة كما تقدم. . ومن ذلك الحكمة التى تكون فى فم الفرس سميت بذلك لأنها تمنع الفرس من المضى فى السير إذا جذبها صاحبها بهذه الحكمة.

● فالحكمة كلمة تمنع من سمعها من المضى فى الباطل وتدعوه الى الأخذ بالحق والتأثر به والوقوف عند الحق الذى حده الله عز وجل. فعلى الداعية الى الله عز وجل أن يدعو بالحكمة ويبدأ بها ويُعْنَى بها. فإذا كان المدعو عنده بعض الجفاء والاعتراض، دعوته بالموعظة الحسنة بالآيات والأحاديث التى فيها الوعظ والترغيب ـ فإن كان عنده شبهة جادلته بالتى هى أحسن ولا تغلظ عليه بل تصبر عليه. . ولا تعجل ولا تعنف بل تجتهد فى كشف الشبهة وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن.

هكذا ينبغى لك أيها الداعية أن تتحمل وتصبر ولا تشدد لأن هذا أقرب الى الانتفاع بالحق وقبوله وتأثر المدعو وصبره على المجادلة والمناقشة. . وقد أمر الله جل وعلا موسى وهارون لما بعثهما الى فرعون أن يقولا له قولا لينا وهو أطغى الطغاة قال الله جل وعلا فى أمره لموسى وهارون: **﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾**. وقال الله سبحانه فى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾**. الآية فعلم بذلك أن الأسلوب

الحكيم والطريق المستقيم فى الدعوة أن يكون فى ذلك حكيما فى الدعوة بصيرا بأسلوبها لا يعجل ولا يعنف بل يدعو بالحكمة وهى المقال الواضح المصيب للحق من الآيات والأحاديث وبالموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن . . هذا هو الأسلوب الذى ينبغى لك فى الدعوة الى الله عز وجل .

● أما الدعوة بالجهل فهذا يضر ولا ينفع كما يأتى بيان ذلك إن شاء الله عند ذكر أخلاق الدعاة لأن الدعوة مع الجهل بالأدلة قول على الله بغير علم وهكذا الدعوة بالعنف والشدة ضررها أكثر . . وإنما الواجب والمشروع هو الأخذ بما بينه الله عز وجل فى آية النحل وهى قوله سبحانه : ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة**﴾ الآية . إلا إذا ظهر من المدعو العناد والظلم فلا مانع من الاغلاظ عليه كما قال الله سبحانه : ﴿**يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم**﴾ . أما الشيء الذى يُدْعَى إليه ويجب على الدعاة أن يوضحوه للناس كما أوضحه الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو الدعوة الى صراط الله المستقيم وهو الاسلام وهو دين الله الحق . هذا هو محل الدعوة كما قال سبحانه : ﴿**ادع الى سبيل ربك**﴾ فسبيل الله الذى بعث به نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام . . هذا هو الذى تجب الدعوة إليه لا الى مذهب فلان ولا الى رأى فلان ولكن الى دين الله الى صراط الله المستقيم الذى بعث الله به نبيه وخليله محمدا عليه الصلاة والسلام وهو ما دل عليه القرآن العظيم والسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وعلى رأس ذلك الدعوة الى العقيدة الصحيحة الى الاخلاص لله وتوحيده بالعبادة والايمان به وبرسله والايمان باليوم الآخر وبكل ما أخبر الله به ورسوله . . هذا هو أساس الصراط المستقيم والدعوة الى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . . ومعنى ذلك الدعوة الى توحيد الله والاخلاص له والايمان به وبرسله عليهم الصلاة والسلام . . ويدخل فى ذلك الدعوة الى الايمان بكل ما أخبر الله به رسله مما كان وما يكون من أمر الآخرة وأمر آخر الزمان وغير ذلك .

ويدخل فى ذلك أيضا الدعوة الى ما أوجب الله من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الى غير ذلك . . ويدخل أيضا فى ذلك الدعوة الى الجهاد فى سبيل الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخذ بما شرع الله فى الطهارة والصلاة والمعاملات والنكاح والطلاق والجنايات والنفقات والحرب والسلم . . وفى كل شيء لأن دين الله عز وجل دين شامل يشمل مصالح العباد فى المعاش والمعاد . . ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس فى أمر دينهم ودنياهم . . ويدعو الى مكارم الاخلاق ومحاسن الأعمال . وينهى عن سفساف الأخلاق وعن سيىء الأعمال . . فهو عبادة وقيادة يكون عابدا ويكون قائدا للجيش - عبادة وحكم . . ويكون عابدا مصليا صائما . . ويكون حاكما بشرع الله منفذا لأحكامه عز وجل - عبادة وجهاد . . ويدعو الى الله ويجاهد فى سبيل الله من خرج عن دين الله .

مصحف وسيف : يتأمل القرآن ويتدبره وينفذ أحكامه بالقوة ولو بالسيف إذا دعت الحاجة اليه . سياسة واجتماع فهو يدعو الى الاخلاق الفاضلة والأخوة الايمانية والجمع بين المسلمين والتأليف بينهم كما قال جل وعلا : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ فدين الله يدعو الى صفاء القلوب واحترام الأخوة الاسلامية والتعاون على البر والتقوى والنصح لله ولعباده وهو أيضا يدعو الى أداء الامانة والحكم بالشريعة وترك الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل كما قال سبحانه : ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾ . . وهو أيضا سياسة واقتصاد : كما أنه سياسة وعبادة وجهاد - فهو يدعو الى الاقتصاد الشرعى المتوسط ليس رأسماليا غاشما ظالما لا يبالى بالحرمات ويجمع المال بكل وسيلة وبكل طريق . . وليس إقتصادا شيوعيا الحاديا لا يحترم أموال الناس ولا يبالى بالضغط عليهم ولا

بسط بين الاقتصادين.. ووسط بين الطريقتين.. وحق بين الباطلين.. فالغرب عظموا المال وغلوا في حبه وفي جمعه حتى جمعوه بكل وسيلة فيه ما حرم الله عز وجل.. والشرق من الملحدين من السوفيت ومن سلك سبيلهم لم يحترموا أموال العباد بل أخذوها واستحلوها ولم يبالوا بما فعلوا في ذلك ـ بل استعبدوا العباد.. واضطهدوا الشعوب وكفروا بالله.. وأنكروا الأديان.. وقالوا لا إله والحياة مادة.. فلم يبالوا بهذا المال ولم يكترثوا من أخذه بغير حله.. ولم يكترثوا بوسائل الابادة والاستعباد على الأموال.. والحيلولة بين الناس وبين ما فطرهم الله عليه من الكسب والانتفاع والاستفادة من قدراتهم ومن عقولهم وما اعطاهم الله من الأدوات فلا هذا ولا هذا.

فالاسلام جاء بحفظ المال واكتسابه بالطرق الشرعية البعيدة عن الظلم والغشم والربا وظلم الناس والتعدي عليهم.. كما جاء باحترام الملك الفردي والجماعي.. فهو وسط بين النظامين وبين الاقتصادين وبين الطريقين الغاشمين ـ فأباح المال ودعا إليه ودعا الى إكتسابه بالطرق الحكيمة من غير ان يشغل كاسبه عن طاعة الله ورسوله وعن أداء ما أوجب الله عليه ولهذا قال عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾**.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام **«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»** وقال: **«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»** وقال عليه الصلاة والسلام: **«لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من سؤال الناس اعطوه أو منعوه»**. وسئل **﴿ﷺ﴾** أي الكسب طيب فقال: **«عمل الرجل بيده.وكل بيع مبرور»** وقال عليه الصلاة والسلام: **«ما أكل أحد طعاما أفضل من أن يأكل من عمل يده وكان نبي الله داود يأكل من عمل يده»**.

● فهذا يبين لنا أن نظام الاسلام في المال نظام متوسط لا مع رأس المال الغاشم من الغرب وأتباعه ولا مع الشيوعيين الملحدين الذين استباحوا الأموال واهدروا حرمات أهلها لم يبالوا بها واستعبدوا الشعوب وقضوا عليها واستحلوا ما حرم الله منها.. فلك أن تكسب المال وتطلبه بالطرق الشرعية وأنت أولى بمالك وبكسبك بالطريقة التي شرعها الله وأباحها جل وعلا.

والاسلام أيضا يدعو الى الأخوة الايمانية والى النصح لله ولعباده والى احترام المسلم لأخيه ـ لا غل ولا حسد.. ولا غش ولا خيانة.. ولا غير ذلك من الأخلاق الذميمة كما قال جل وعلا: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾** وقال جل وعلا: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** وقال النبي عليه الصلاة والسلام: **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله»** الحديث.

فالمسلم أخو المسلم يجب عليه احترامه وعدم احتقاره.. ويجب عليه انصافه واعطاؤه حقه من كل الوجوه التي شرعها الله عز وجل قال **﴿ﷺ﴾**: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»**، وقال**﴿ﷺ﴾**: (المؤمن مرآة أخيه المؤمن).

فأنت يا أخي مرآة أخيك.. وأنت لبنة من البناء الذي قام عليه بنيان الأخوة الايمانية.. فاتق الله في حق أخيك واعرف حقه.. وعامله بالحق والنصح والصدق. وعليك أن تأخذ الاسلام كله ولا تأخذ جانبا دون جانب ـ لا تأخذ العقيدة وتدع الاحكام والأعمال ولا تأخذ الأعمال والأحكام وتدع العقيدة بل خذ الاسلام كله: خذه عقيدة وعملا وقولا.. وعبادة وجهادا واجتماعا.. وسياسة واقتصاداً ـ وغير ذلك. خذه من كل الوجوه كما قال سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾**.. **قال جماعة من السلف معنى ذلك ادخلوا في السلم جميعه يعني في**

الاسلام. . يقال للاسلام سلم لأنه طريق السلامة وطريق النجاة فى الدنيا والآخرة فهو سلم وإسلام. . فالاسلام يدعو الى السلم يدعو الى حقن الدماء بما شرع من الحدود والقصاص والجهاد الشرعى الصادق ـ فهو سلم وإسلام وأمن وإيمان. . ولهذا قال جل وعلا: ﴿ادخلوا فى السلم كافة﴾. . أى ادخلوا فى جميع شعب الايمان فى جميع خصال الايمان. . لا تأخذوا بعضا وتدعوا بعضا. . عليكم أن تأخذوا بالاسلام كله: **﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾** يعنى المعاصى التى حرمها الله عز وجل فإن الشيطان يدعو الى المعاصى والى ترك دين الله كله فهو أعدا عدو. . ولهذا يجب على المسلم أن يتمسك بالاسلام كله وأن يدين بالاسلام كله. . وأن يعتصم بحبل الله عز وجل. . وأن يحذر أسباب الفرقة والاختلاف فى جميع الأحوال فعليك أن تحكم شرع الله فى العبادات وفى المعاملات. . وفى النكاح والطلاق. . وفى النفقات وفى الرضاع. . وفى السلم والحرب ومع العدو والصديق. . وفى الجنايات وفى كل شىء. دين الله يجب أن يحكم فى كل شىء وإياك أن توالى أخاك لأنه وافقك فى كذا وتعادى الآخر لأنه خالفك فى رأى أو فى مسألة فليس هذا من الانصاف ـ فالصحابة رضى الله عنهم اختلفوا فى مسائل ومع ذلك لم يؤثر ذلك فى الصفاء بينهم والموالاة والمحبة رضى الله عنهم وأرضاهم. . فالمؤمن يعمل بشرع الله ويدين بالحق ويقدمه على كل أحد بالدليل ولكن لا يحمله ذلك على ظلم أخيه وعدم إنصافه إذا خالفه فى الرأى فى مسائل الاجتهاد التى قد يخفى دليلها ـ وهكذا فى المسائل التى قد يختلف فى تأويل النص فيها فإنه قد يعذر فعليك أن تنصح له وأن تحب له الخير ولا يحملك ذلك على العداء والانشقاق وتمكين العدو منا ومن أخيك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الاسلام دين العدالة. دين الحكم بالحق وبالاحسان. . دين المساواة إلا فيما استثنى الله عز وجل ففيه الدعوة الى كل خير وفيه الدعوة الى مكارم الاخلاق ومحاسن الأعمال والانصاف والعدالة والبعد عن كل خلق ذميم قال تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾**. وقال تعالى: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾**.

والخلاصة ان الواجب على الداعية الاسلامى أن يدعو الى الاسلام كله ولا يفرق بين الناس وألا يكون متعصبا لمذهب دون مذهب أو لقبيلة دون قبيلة أو لشيخه أو رئيسه أو غير ذلك بل الواجب أن يكون هدفه إثبات الحق وإيضاحه واستقامة الناس عليه وإن خالف رأى فلان أو فلان أو فلان.

ولما نشأ فى الناس من يتعصب للمذاهب ويقول: إن مذهب فلان أولى من مذهب فلان جاءت الفرقة والاختلاف حتى آل ببعض الناس هذا الأمر الى أن لا يصلى مع من هو على غير مذهبه فلا يصلى الشافعى خلف الحنفى. . ولا الحنفى خلف المالكى ولا خلف الحنبلى. هكذا وقع من بعض المتطرفين المتعصبين وهذا من البلاء ومن اتباع خطوات الشيطان فالأئمة أئمة هدى. . الشافعى ومالك وأحمد وأبو حنيفة والأوزاعى واسحاق بن راهويه وأشباههم كلهم أئمة هدى ودعاة

حق دعوا الناس الى دين الله وأرشدوهم الى الحق ووقع هناك مسائل بينهم اختلفوا فيها لخفاء الدليل على بعضهم فهم بين مجتهد مصيب له أجران وبين مجتهد أخطأ الحق فله أجر واحد فعليك أن تعرف لهم قدرهم وفضلهم وأن تترحم عليهم وأن تعرف أنهم أئمة الاسلام ودعاة الهدى. . ولكن لا يحملك ذلك على التعصب والتقليد الأعمى فتقول: مذهب فلان أولى بالحق بكل حال أو مذهب فلان أولى بالحق لكل حال لا يخطىء. لا هذا غلط.

عليك أن تأخذ بالحق وأن تتبع الحق إذا ظهر دليله ولو خالف فلانا أوفلانا. . وعليك ألا تتعصب وأن لا تقلد تقليدا أعمى بل تعرف للأئمة فضلهم وقدرهم ولكن مع ذلك تحتاط لنفسك ولدينك تأخذ بالحق وترشد اليه وترضى به إذا طلب منك. . وتخاف الله وتراقبه جل وعلا وتنصف من نفسك مع ايمانك بأن الحق واحد وأن المجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر أعنى مجتهدى أهل السنة أهل العلم والايمان والهدى كما صح بذلك الخبر عن رسول الله ﴿ﷺ﴾.

أما المقصود من الدعوة والهدف منها:

فالمقصود والهدف إخراج الناس من الظلمات الى النور وإرشادهم الى الحق حتى يأخذوا به وينجوا من النار وينجوا من غضب الله. . وإخراج الكافر من ظلمة الكفر الى النور والهدى. . وإخراج الجاهل من ظلمة الجهل الى نور العلم. . والعاصى من ظلمة المعصية الى نور الطاعة هذا هو المقصود من الدعوة.

كما قال جل وعلا: **﴿الله ولىُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور﴾** فالرسل بعثوا ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور. . ودعاة الحق كذلك يقومون بالدعوة وينشطون لها لإخراج الناس من الظلمات الى النور ـ ولإنقاذهم من النار ومن طاعة الشيطان ولإنقاذهم من طاعة الهوى الى طاعة الله ورسوله.

أما أخلاق الدعاة وصفاتهم التى ينبغى أن يكونوا عليها فقد أوضحها الله جل وعلا فى آيات كثيرة منها:

الاخلاص.

فيجب على الداعية أن يكون مخلصا لله عز وجل لا يريد رياء ولا سمعة ولا ثناء الناس ولا حمدهم إنما يدعو الى الله يريد وجهه عز وجل كما قال سبحانه: **﴿قل هذه سبيلى أدعو الى الله﴾**. **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله﴾**. . فعليك أن تخلص لله عز وجل هذا أهم الأخلاق هذا أعظم الصفات أن تكون فى دعوتك تريد وجه الله والدار الآخرة.

الأمر الثانى: أن تكون على بينة فى دعوتك أى على علم لا تكن جاهلا بما تدعو اليه: **﴿قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة﴾**. فلابد من العلم: فالعلم فريضة فإياك أن تدعو على جهالة. . وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم ـ فالجاهل يهدم ولا يبنى ويفسد ولا يصلح فاتق الله يا عبد الله. . إياك أن تقول على الله بغير علم. . لا تدع الى شىء إلا بعد العلم به والبصيرة بما قاله الله ورسوله فلابد من بصيرة وهى العلم. . فعلى طالب العلم وعلى الداعية أن يتبصر فيما يدعو اليه وأن ينظر فيما يدعو اليه ودليله فإن ظهر له الحق وعرفه دعا الى ذلك سواء كان ذلك فعلا أو تركا فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة لله ورسوله ويدعو الى ترك ما نهى الله عنه ورسوله على بينة وبصيرة.

الأمر الثالث: من الأخلاق التى ينبغى لك أن تكون عليها أيها الداعية أن تكون حليما فى دعوتك رفيقا فيها متحملا صبورا كما فعل الرسل عليهم الصلاة والسلام. . إياك والعجلة. . إياك والعنف والشدة. . عليك بالصبر. . عليك بالحلم. . عليك بالرفق فى دعوتك وقد سبق لك بعض الدليل على ذلك كقوله جل وعلا: **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾**. . وقوله سبحانه: **﴿فبما رحمة من الله لِنْتَ**

لهم﴾ الآية.. وقوله جل وعلا في قصة موسى وهارون: ﴿فقولا له قولا لينًا لعله يتذكر أو يخشى﴾. وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﴿ﷺ﴾: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارْفق به ومن ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه» فعليك يا عبد الله أن ترفق في دعوتك ولا تشق على الناس ولا تنفرهم من الدين ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار عليك أن تكون حليما صبورا سلس القياد لين الكلام طيب الكلام حتى تؤثر في قلب أخيك وحتى تؤثر في قلب المدعو وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها ويتأثر بها ويثني عليك بها ويشكرك عليها أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع.

ومن الأخلاق والأوصاف التي ينبغي بل يجب أن يكون عليها الداعية العمل بدعوته وأن يكون قدوة صالحة فيما يدعو إليه ليس ممن يدعو الى شيء ثم يتركه أو ينهى عنه ثم يرتكبه.. هذه حال الخاسرين نعوذ بالله من ذلك.. أما المؤمنون الرابحون فهم دعاة الحق يعملون به وينشطون فيه ويسارعون اليه ويبتعدون عما ينهون عنه قال جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾.. وقال سبحانه موبخا اليهود على أمرهم الناس بالبر ونسيان أنفسهم ﴿اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾.

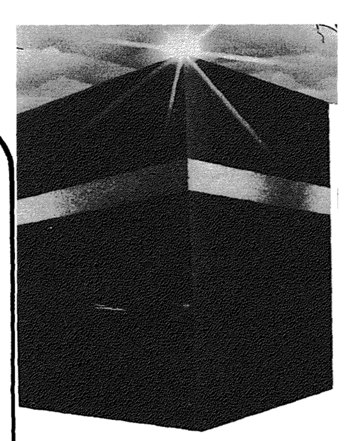
وصح عن النبي ﴿ﷺ﴾ أنه قال: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع عليه أهل النار فيقولون له يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت امركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه).. هذه حال من دعا الى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم خالف قوله فعله وفعله قوله نعوذ بالله من ذلك.

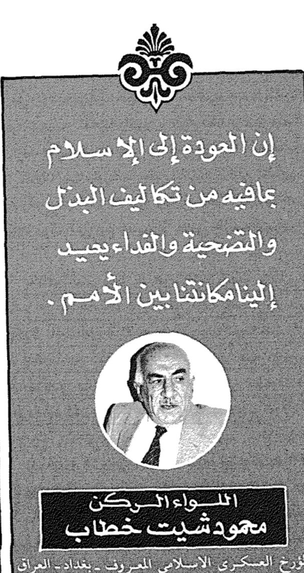
فمن أهم الاخلاق ومن أعظمها في حق الداعية أن يعمل بما يدعو إليه وأن ينتهي عما ينهى عنه وأن يكون ذا خلق فاضل وسيرة حميدة وصبر ومصابرة وإخلاص في دعوته واجتهاد فيما يوصل الخير الى الناس وفيما يبعدهم من الباطل - ومع ذلك يدعو لهم مع دعوته.. يدعو لهم بالهداية.

هذا من الاخلاق الفاضلة أن يدعو لهم بالهداية وتقول للمدعو: هداك الله.. وفقك الله لقبول الحق.. أعانك الله على قبول الحق.. تدعوه وترشده وتصبر على الأذى ومع ذلك تدعو له بالهداية قال النبي عليه الصلاة والسلام لما قيل عن دوس أنهم عصوا قال: «اللهم اهد دوسا وأت بهم» تدعو له بالهداية والتوفيق بقبول الحق وتصبر وتصابر في ذلك ولا تقنط ولا تيأس ولا تقل إلا خيراً لا تعنف ولا تقل كلاما سيئا ينفر من الحق ولكن من ظلم وتعدى له شأن آخر كما قال الله جل وعلا: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾.

فالظلم الذي يقابل الدعوة بالشر والعناد والأذى له حكم آخر في الامكان تأديبه على ذلك بالسجن أو غيره ويكون تأديبه على ذلك على حسب مراتب الظلم لكن مادام كافا عن الأذى فعليك أن تصبر عليه وتحتسب وتجادله بالتي هي أحسن وتصفح عما يتعلق بشخصك من بعض الأذى كما صبر الرسل وأتباعهم بإحسان.

واسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعا لحسن الدعوة اليه وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا وأن يمنحنا جميعا الفقه في دينه والثبات عليه ويجعلنا من الهداة المهتدين والصالحين المصلحين إنه جل وعلا جواد كريم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان الى يوم الدين.







زار أحد الدعاة قبل اثنتى عشرة سنة (١٣٨٤هـ) أقطار غربى القارة الأفريقية فسأل أحد رجال الدين(١) الاسلامى فى قطر من تلك الأقطار عن ولده الذى كان يلقاه حين يحل فى دار أبيه الشيخ فأجابه متنهداً: «لقد تمدن».

وتعبير فلان تمدن فى تلك الأصقاع أصبح من التعابير الشائعة ومعناه «تنصر فلان» وهو يطلق على المسلم الذى ارتد عن دينه فأصبح نصرانياً واستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير كما يطلق على غير المسلم الذى اعتنق النصرانية أيضاً.

وسبب اقتران «التنصر» بالتمدن فى هذا التعبير هو ان الارساليات التبشيرية فى أفريقية التى تعتمد على المؤسسات الدينية المسيحية فى تمويلها وعلى الدول الاستعمارية وعلى شبكات المخابرات الأجنبية وشركات النفط الاحتكارية والبيوت المالية الكبرى.. وعلى الصهيونية العنصرية ودولة العدو الصهيونى(٢) قد أقامت مدارس ومعاهد وجامعات فى المناطق الحيوية من أفريقية وحرمت غير المسيحيين من الانتماء إليها وتلقى العلم فيها فأصبح لزاماً على غير المسيحيين من مسلمين وغيرهم أن يعتنقوا



المسيحية أولاً وأن يثبتوا تمسكهم بالمسيحية ثانياً من أجل قبولهم تلاميذ وطلاباً فى تلك المدارس والمعاهد والجامعات التبشرية حتى ينالوا شهادتها العلمية بعد تخرجهم فيها. تلك الشهادات التى تؤهلهم لتسلم المناصب الحكومية فى الدولة وترفعهم إلى المكانة المرموقة فى المجتمع وتفتح أمامهم أبواب العيش الرغيد.

من هنا اقترن التنصر بالتمدن، فلا عجب أن يكون أحد رؤساء جمهوريات أفريقية مسيحياً وأمه ووالده وأخواته وإخوانه وأهله وعشيرته لا يزالون مسلمين وقد أقام فى كل قرية ومدينة كنيسة حتى ولو كانت القرية أو المدينة مسلمة وحارب المسلمين فى عقيدتهم وأرزاقهم تعصباً لدينه، . وفتح بلاده على مصراعيها للمبشرين.

وأُبُد عقد مؤتمر إسلامى مسيحى فى ليبيا سنة (١٣٩٦هـ) مثل فيه الجانب الاسلامى اثنا عشر عالما ومثل فيه الجانب المسيحى اثنا عشر عالماً من الكاثوليك على رأسهم كاردينال ممثلاً للبابا وكان من ضمن ممثلى الكاثوليك اثنان من الأفارقة كانوا مسلمين فأصبحوا من كبار رجال الدين المسيحى.

والغريب أن هذه الأرساليات التبشيرية ترسلها حكومات قد تكافح الدين فى بلادها ولكنها ترسلهم إلى أفريقية وغيرها حتى يكونوا عملاء لها . . وقد ثبت بما لا يدعو للشك أن قسما من المبشرين عملاء للمخابرات ودعاة للاستعمار الجديد الذى تفرضه بلادهم على الدول النامية.

كما ثبت أن الصهيونية العالمية ودولة العدو الصهيونى تمول كثيراً من الارساليات التبشيرية فى افريقية وغيرها مكافحة للاسلام والمسلمين، لأن انتشار الاسلام يهدد مصالحها ويؤدى إلى أن يشارك معتنقو الاسلام إخوانهم المسلمين فى الوطن الاسلامى عداوتهم للصهيونية العالمية والعدو الصهيونى.

ولقد سافر وفدٌ رسميٌ من العراق إلى أقطار شرقى أفريقية ووسطها فى أوائل عام ١٣٩٦هـ فحدثنى أحد أعضائه أن القائمين على نشر العربية لغة والاسلام ديناً، والمقاومين للدعايات الصهيونية ضد الاسلام والمسلمين والمؤيدين للدول العربية ضد دولة العدو الصهيونى أكثرهم من خريجى الجامعات الاسلامية وعلى الخصوص الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة. ثم تساءل هذا العضو وهو وزير: **«هل تعرف شيئاً عن الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة؟»**.

وكنت قد نشرت قبل سنوات بحثاً عن أهمية الدعوة الاسلامية فضحت فيه تقريراً سرياً كتبه سفير أمريكى فى دولة أفريقية جاء فيه: **«أن عمامة بيضاء فى هذا البلد أخطر من قنبلة ذرية»**.

إن الدعوة الاسلامية لم تبق خدمة للاسلام عقيدة وتشريعاً ولغة بل أصبحت ضرورة سياسية دفاعاً عن العرب والمسلمين ومصاولة لأعدائهم الكثيرين ونشراً للغة القرآن الكريم.

كما أنها أصبحت ضرورة اجتماعية وضرورة ثقافية.. وقد اعترف حتى أعداء الاسلام بأن معتنقى الدين الحنيف يرتفع مستواهم اجتماعيا وثقافيا.

ولكنى أحرص حرصاً بالغاً على تعليل ما نشره قسم المبشرين والمستشرقين فى تقاريرهم ومؤلفاتهم.. وهو أن الاسلام بخير فى أفريقية بخاصة وفى الأماكن الأخرى بعامة وأنه ينتشر انتشاراً كاسحاً فى تلك الاصقاع بدون دعاة وبغير تخطيط فعَّال للدعاة.

ومن المذهل حقاً أن المسلمين صدقوا هذه الفرية وأخذوا يرددونها بحماسة وثقة ثم استناموا قريرى البال غير مكترثين بالنشاط التبشيرى المدمر بالرغم من طاقاته الضخمة مادياً ومعنوياً.

وهدف هؤلاء المبشرين والمستشرقين من هذه الفرية هو تخدير المسلمين من جهة واستثارة المؤسسات والدول المستفيدة من التبشير ليدفعوا المال الوفير دعماً للمبشرين واسناداً للتبشير.

لقد اطلعت على تقرير كتبه أحد السفراء العرب وهو من الذين أثق بهم ثقة مطلقة وارتضى دينه وأمانته يقول السفير فى تقريره لوزارة خارجية حكومته: إنه لا إسلام فى أفريقية بعد عشرين عاما إذا لم يُحارب المبشرون بأساليبهم وتكون الدعوة للاسلام جداً لا هزل فيه ويكون الدعاة فى مستوى المسئولية لهم (قضية) يؤمنون بها ويدافعون عنها فهم عناصر (دعوة) لا عناصر (دعاية) وارتزاق..

إن الفكر الاسلامى الأصيل غير واضح المعالم فى البلاد العربية والاسلامية نفسها فقد أصبح مشوهاً إلى أبعد الحدود بفعل العصور المظلمة التى مر بها المسلمون وبتأثير الاسرائيليات التى اقتحمت حرمه والخرافات التى شوهت مبادئه وبترسبات الاستعمار الفكرى البغيض الذى هو أخطر أنواع الاستعمار على الاطلاق.

فما أحوج المسلمين اليوم الى دعاة من الطراز الرفيع يفقهون الفكر الاسلامى الأصيل.. ويفهمون روح الاسلام الصحيح.. ويجلون عنه الصدأ والغبار.. ويعيدونه كما أنزله الله منهجاً مثالياً للحياة الدنيا والآخرة.

إن حصون المسلمين تنهار من الداخل فأكثر شبابنا غير متمسكين بتعاليم الاسلام.. وأكثرهم لا يكادون يعرفون عن الاسلام شيئاً مذكوراً.. أما الفكر الاسلامى الأصيل فهم بعيدون عنه كل البعد ـ وقد قرأوا المؤلفات المريبة التى كتبها أعداء الاسلام من مستشرقين ومستغربين(٣) على حد سواء والتى تزعم أن الفكر الاسلامى غير صالح لهذا الزمان ـ أو أن الفكر الاسلامى عالة على أفكار الحضارات القديمة والأمم الخالية.. فصدقوا تلك المزاعم واعتبروا هذا الدس الرخيص أمراً مسلماً به وحقيقة ناصعة ثم نام علماء المسلمين فلم يؤدوا واجباتهم كما ينبغى إلا من رحم الله وقليل ما هم.



وقد دأبت على حضور مجالس شيوخنا الأجلاء ودروسهم لا أكاد أرى جمعاً من الناس حولهم إلا وأنضم إلى ذلك الجمع متهلفا لسماع شيء جديد، ولكنني لم أسمع غير دروس فقهية تدور حول العبادات فقط أما الاسلام الحربي «إسلام الجهاد.. إسلام الفتح.. إسلام التضحية والفداء.. إسلام الحياة والمجد» فلا أكاد أسمع عنه شيئاً ذا بال.

إن الفكر الاسلامي الأصيل يعاني من هجمات خارجية خطيرة يخطط لها الاستعمار الجديد معتمداً على المبشرين والمستشرقين والصهيونية العالمية والماسونية والمبادىء الهدامة والمذاهب المستوردة ومن دعاة الانحلال الخلقي والالحاد والعلمانية وغير ذلك من الأعداء.

ولو أن غير الاسلام تعرض لهذا الضغط الفظيع والهجمات القاسية لسحق سحقاً ولما بقي له أي أثر في الوجود وأي تأثير في التوجيه إلى الله. ولكن الفضل لله في بقائه صلباً شامخاً ـ فلله الحمد والمنة.

ولعل آثار المستشرقين التي تجزل المدح والثناء للفكر الاسلامي أكثر خطورة وضرراً من آثارهم التي تكيل القدح والنقد. لأن المدح والثناء يخدر الرأي العام الاسلامي ويلفته عن حاضره ومستقبله. وشفاء أمراض مجتمع ما لا يمكن أن يتم بذكر أمجاد ماضية فحسب بل بالعمل المثمر الجاد الدائب في الحاضر والمستقبل.

لقد بهر الغرب المسلمين بتفوقه في العلوم التطبيقية فأراد قسم من علماء المسلمين أن يقحموا آيات من الذكر الحكيم في المجال العلمي ليزعموا أن القرآن الكريم سبق علماء العصر في نطاق العلوم التطبيقية وغير التطبيقية أيضاً.

إن هذا التثبت يضطرنا إلى شرح مشكلة الاسلام والعلم بشكل جديد يناسب سمو الدين ومنطق العلم بحيث لا نبحث في الآيات الكريمة: **هل ذكر فيها شيء عن غزو الفضاء وتحليل الذرة مثلا؟ وإنما نتساءل هل في روح هذه الآيات وروح القرآن ما يعطل حركة العلم؟ أو في روحها وروحه ما يحث عليه ويشجعه؟.**

ومن هذا المنطلق يجب أن نتساءل: ***هل يستطيع القرآن أن يخلق في المجتمع الاسلامي المناخ المناسب للروح العلمي وأن يطلق فيه الأجهزة النفسية الضرورية للتقدم العلمي من ناحية وتبليغه من ناحية أخرى؟..***

ولست أعرف كتاباً مقدساً كرم العلم والعلماء كما كرمهما القرآن الكريم، وصدق الله العظيم **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**.

كما أن المناخ العلمي الذي هيأه القرآن الكريم للمسلمين هو الذي جعلهم يقودون الحضارة العالمية قرونا طويلة.

إن المواد الأولية لبناء أفكار حية.. متيسرة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتراث الاسلامي العظيم.

وهذه الأفكار كفيلة بإظهار الشخصية الاسلامية على حقيقتها قوية لا تضعف.. متماسكة لا تتفتت.. أخلاقية لا تتفسخ.. غزيرة لا تهون.. لها طابعها المميز الواضح. وهي كفيلة بأن تثبت أمام تيارات الصراع الفكري الجارفة لأنها تعني دون غيرها بالمادة والروح.. والعقل والوجدان.. فهي لا تقتصر على المادة وحدها أو على الروح وحده أو على المادة والعقل وحدهما لأنها سيف وكتاب «مسجد وثكنة.. جامع وجامعة.. دنيا وآخرة».

فلمصلحة من نتخلى عن هذه الشخصية المتميزة الباهرة لنتقمص شخصية غريبة عن ديننا وتقاليدنا ووجداننا. شخصية شرقية مادية ملحدة أو شخصية غربية مادية مستغلة؟.

إن العالم الاسلامي تخلص أو كاد أن يتخلص ـ من الاستعمار العسكري والاستعمار السياسي والاستعمار الاقتصادي ولكنه لا يزال يرزح تحت أثقال الاستعمار الفكري ـ ذلك الاستعمار المتمثل في الحضارة الغربية وهي

ضارة مسيحية كما هو معروف، أو المتمثل فى الحضارة الشرقية وهى حضارة مادية ملحدة.

لقد ضاعت معالم الشخصية الاسلامية فى خضم هذه الشخصية الغربية المسيحية أو الشرقية الملحدة لأن المسلمين عاشوا فى فراغ فكرى ردحاً طويلاً فتسربت إليهم حضارة الغرب المسيحية وحضارة الشرق الالحادية أيضاً بشتى الوسائل لملء هذا الفراغ.

إن الأفكار الاسلامية الحية هى التى تعيد للمجتمع الاسلامى مكانته المرموقة لأن ما يصيب أى مجتمع من نكبات يكون من جراء ضحالة أفكاره لا من جراء قلة أشيائه.

لابد من وضع الأسس الاسلامية الرصينة فى المجتمع الاسلامى الضائع بين حضارة الغرب وحضارة الشرق بحيث تكون هذه الأسس منهجاً كاملاً للحياة باستطاعته مصاولة الصراع الفكرى الرهيب.

والسبيل الى ذلك هو تعاون السلطات الحاكمة مع العلماء والالتزام بالشريعة الغراء نصاً وروحاً.

إن السلطات الحاكمة مطالبة اليوم بتدارك المجتمع الاسلامى من التميُّع والانهيار فليس من المعقول أن تبيح الخمور والزنا والربا فى بلاد إسلامية دينها الاسلام.

ولقد سجل التاريخ صفحات باهرة للحكام الذين وجدوا من أجل الجهاد وجاهدوا من أجل التوحيد حين نسيت السلطات التى فكرت بمصالحها الذاتية وتنكرت لمصالح شعوبها والاسلام، وما عند الناس لا يبقى وما عند الله خير وأبقى.

والعلماء اليوم مطالبون أن يتخذوا من العلم (عبادة) كما فعل السلف الصالح من علماء المسلمين وألا يتخذوه (تجارة) كما فعل العلماء الذين نسوا الله فنسيهم.

وليس كل من درس علوم الدين يعتبر عالماً، فالعالم بنظرى لابد من أن يكون متيناً فى علمه.. عاملاً بعلمه.. مخلصا بعمله.. محافظاً على كرامة العلماء.. معتبراً العلم (عبادة) من أجل العبادات.

أما الذى درس العلم للارتزاق فهو تاجر علم وليس عالماً عقدياً.

إن التاريخ يذكر بمزيد من التقدير والاعجاب جهود الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى نشر الاسلام وتعنبيق تعاليمه بأمانة واخلاص.. فقد نقص خراج مصر فى عهده لدخول الأقباط فى دين الله أفواجا فاقترح والى مصر على الخليفة ألا يعفى الذين يدخلون الاسلام من الجزية ولكن الخليفة الورع أبى أن يجيب هذا الوالى إلى طلبه قائلا: **«إن الله بعث محمداً ﴿ﷺ﴾ داعيا ولم يبعثه جابيا»**.

ولا تزال هذه الكلمة ترن فى سمع الزمن حتى اليوم وستبقى.

وعيّن عمر بن عبد العزيز سنة مئة الهجرية إسماعيل بن عبد الله والياً على شمال أفريقية وبعث معه عشرة علماء ليفقهوا البربر فى أمور دينهم ولا يزال التاريخ يذكر هذا العمل الدينى بأعظم التقدير.

وقد أوفد عمر بن عبد العزيز الدعاة إلى (السند) التى فتحها محمد بن القاسم فاستجاب كثير من زعماء السند لدعوة الخليفة التقى الورع ودخلوا فى دين الله أفواجاً.

وما يقال عن (السند) يقال عن بلاد ما وراء النهرين (نهر سيحون ونهر جيحون) فقد استجاب كثير من أهلها للدعاة ودخلوا فى دين الله أفواجاً.

وقد امتاز عهده بحركة تحول واسعة النطاق الى الاسلام فنظم حركة ملؤها الحماسة فى نشر الدعوة وقدم للشعوب لوناً من ألوان التشجيع حتى إنه كتب إلى ملك الروم (ليو) الثالث يدعوه إلى الاسلام وألغى الضرائب التعسفية المفروضة على المسلمين وغير المسلمين.

ولم يقتصر تقدير خدمات عمر بن عبد العزيز على المؤرخين المسلمين فى مختلف العصور بل جاوز تقديره الى المؤرخين المسيحيين فقد كان أحدهم حين يذكر هذا الخليفة الصالح يتبع اسمه دائماً بتعبير: رضى الله عنه.

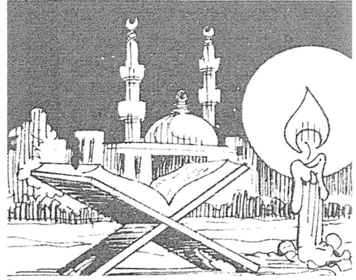
لقد مضى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى الحكم أقل من ثلاث سنوات ولكنه شغل المؤرخين فى أيامه ومن بعده أيضاً. لأنه كان مؤمناً حقاً وكان إيمانه ايجابياً فنشر دعوة الله شرقاً وغرباً فرفع الله ذكره فى كل مكان وزمان.

وعاش فى عهده علماء كثيرون من التابعين ولكن الذين تفرغوا للدعوة لا يزالون وحدهم يُذكرون بالاجلال والاكبار ولا تزال آثارهم باقية حتى اليوم.

فما أحرى أن يكون عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه مثالاً يحتذى به أصحاب السلطان من العرب والمسلمين اليوم وغداً.

وما أحرى علماء عمر بن عبد العزيز الدعاة رضى الله عنهم أن يكونوا مثالاً يحتذى به علماء الدين العرب والمسلمين اليوم وغداً.

إن الطريق أمام العاملين المخلصين للعودة الى الاسلام عقيدة وتشريعاً فى الداخل ونشره بين الناس فى الخارج مفتوح على مصراعيه.



والعرب والمسلمون مطالبون بحق الله عليهم فى الدعوة إلى دين الله فقد أنعم الله.. عليهم بخيرات هائلة حتى أصبح العرب بخاصة أغنى أمة فى الأرض. فمن حق الله عليهم أن يشكروه بالعمل لا بالكلمات وهذا الشكر العملى هو بالعودة إلى الاسلام من جديد ونشره فى الخارج لإعلاء كلمة الله.

إن الانحراف عن الاسلام فى الداخل له نتيجة حتمية واحدة هى: انهيار الحكومات وتفشى الفتن والاضطرابات وتدفق الدماء البريئة وغير البريئة أنهاراً وصدق الله العظيم ﴿*وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال*﴾.

وسُنّة الله الخالدة كما نص على ذلك القرآن الكريم أننا إذا هجرنا الاسلام وتنكرنا لتعاليمه يستبدل بنا غيرنا ثم لا يكونون أمثالنا.

إنى أنذر وأحذر.. فهل من سميع مجيب؟

● إن حانات الخمور ونوادى الميسر ودور الزنا وصالات المراقص والأفلام الخليعة متفشية فى البلاد العربية والاسلامية.

● فإذا طولب الحكام بايقاف هذه المباذل التى تناقض ما أمر الله به قالوا: إننا بحاجة ماسة إلى العملة الصعبة.

● كما أن أكثر الدول العربية والاسلامية لا تتقيد بشريعة الله ففقدت الأمن والاطمئنان وأصبح الحكم فيها غير مستقر ولا ثابت ولا آمن.

● ولم تدخل التعليم الدينى الالزامى فى مدارسها ومعاهدها وكلياتها فحصل فراغ فكرى فى رؤوس أبنائها فملأوه بالمبادىء الوافدة والافكار الهدامة. وكل فراغ لابد من أن يمتلىء.

● وقلدنا الغرب والشرق فى مأكلنا وملبسنا وسلوكنا فذابت شخصيتنا الاسلامية واندثرت معالمها فأصبح المسلمون يحملون هذه الصفة اسما وهم فى الحقيقة فى حضارتهم

نصارى أو ملحدون. لأن الحضارة الغربية مسيحية والحضارة الشرقية ملحدة.

● وتزعزع نظام الأسرة الاسلامية فأصبحت فتياتنا لعباً وفتياننا خنافس إلا من أدركه الله برحمته.

ولست أقصد بالحضارة الشرقية والغربية ما جاء فيها من علوم تطبيقية وعلوم نظرية فهذه يتحتم علينا تعلمها واتقانها والاسلام يأمر بذلك ويحث عليه.

ولكننى أقصد بالحضارة الشرقية والغربية القسم الخاص منها بالسلوك والأخلاق والعقيدة والتشريع.. فلدينا من تعاليم ديننا وتقاليدنا العريقة ما يغنينا عن الحضارات المستوردة فى هذا المجال.

إن العودة الى الاسلام بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء يعيد إلينا مكانتنا بين الأمم.. ويصون حقوقنا.. ويجعل منا أمة لا تقهر أبداً.. كما يعيد إلى بلادنا الأمن والاطمئنان.. والرخاء والسعادة.. وإلى المسلمين الشخصية الاسلامية المتميزة.. وإلى أفرادنا نساء ورجالا الخلق الكريم والسلوك الرفيع.. وإلى الأسرة الاسلامية التماسك والقوة والتعاطف والشرف.

أما الدعوة الى الاسلام فى الخارج فتجعل للمسلمين اخواناً يشاركونهم فى السراء والضراء وحين البأس.. وتجعل من المسلمين الجدد حلفاء طبيعيين للمسلمين يتبنون أهداف المسلمين المشروعة بأمانة واخلاص.

إن الدعوة إلى الاسلام واجب دينى بنص القرآن والحديث وواجب وطنى.. لأن الذى يصبح مسلماً يدافع عن حقوق المسلمين بحماسة ويعتبر لغة القرآن لغة مقدسة.

والدعوة إلى الاسلام واجب انسانى لأن الاسلام رفع من قيمة الانسان وكرمه.. ويهدى للتى هى أقوم.. ويقتلع الشر من جذوره.. وينشر الفضيلة والطهر والمحبة والسلام.. ويقضى على عوامل الفساد.. ويكرم بنى آدم فى الدنيا والآخرة.

فمن سيكون خليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه من الحكام المسلمين فى القرن العشرين؟

***ومن** سيكون من علماء المسلمين خليفة دعاة عمر بن عبد العزيز فى القرن العشرين؟*.

وصدق الله العظيم: **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾**.

ولكى نضع الأمور فى نصابها لابد من ذكر مقترحات لنشر الدعوة داخلياً وخارجياً.

فى الداخل

١- لا ينبغى أن تقف الحكومات الاسلامية متفرجة وهى ترى آثار الاستعمار الفكرى تخرب عقول المواطنين وقلوبهم فلابد من وقوفها موقفاً حازماً فإن الله يزع بالسلطان مالا يزعه بالقرآن.

٢- وإذا وقفت الحكومات موقف المتفرج فلابد للآباء أن يصونوا أهليهم من الانحراف ورب العائلة الذى يتهاون فى واجباته التربوية خائن وجبان.

٣- على الحكومات الاسلامية تطهير أجهزة اعلامها المسموعة والمرئية والمكتوبة من كل ما يدعو إلى التفسخ والانحلال فقد بلغ السيل الزبى.. ولا أزيد.

٤- على الحكومات الاسلامية أن تدخل الدين فى التعليم وأن تطهر كتب التدريس من كل ما يتناقض مع الدين الحنيف.

٥- على الحكومات الاسلامية أن تطبق الشريعة الغراء فى محاكمها وتنفذ حدود الله على المنحرفين.

٦- من الضرورى تخصيص مبالغ كبيرة من ميزانيات الحكومات الاسلامية للدعوة فى الداخل والخارج وأن تنشىء كليات للدعوة تخرج الدعاة المخلصين.

فى الخارج

(١) من الضرورى اختيار الدعاة الذين يمكن أن يكونو أسوة حسنة وقدوة لغيرهم وأن تكف الحكومات والمؤسسات الاسلامية عن اختيار المرتزقة الذين يهمهم جمع المال أكثر من نشر الاسلام.

(٢) على المؤسسات الدينية المعنية بالدعوة أن تكون مؤسسات دعوة لا مؤسسات دعاية.. وأن تعمل فى مجال الدين ولا تعمل فى مجال السياسة.. وأن تخصص أموالها لمعالجة القلوب لا لاملاء الجيوب.

(٣) على المؤسسات الدينية التى لها نشاط خارجى فى الدعوة أن تحارب المبشرين بنفس سلاحهم: بالعيادات والمستوصفات والمستشفيات السيارة والمستشفيات الثابتة.. وبالمدارس والمعاهد والجامعات.

(٤) على الحكومات الاسلامية أن تنسق جهودها فى مجال الدعوة فتعقد مؤتمراً لوزراء الأوقاف لغرض تنسيق تلك الجهود وجعل هيئة المساجد العالمية مسئولة عن قيادة الدعوة فى الخارج كما هو الحال فى مجلس الكنائس العالمى الذى يشرف على ارساليات المبشرين.

ويجب أن يسند الدعاة سياسياً من قبل الحكومات الاسلامية حتى لا يصبحوا معرضين لأخطار الطرد والاضطهاد.

والله أسأل أن يفيد بهذا البحث ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

---

(١) رجل الدين هو عالم الدين الذى يعمل بعلمه بإخلاص ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الله فكل رجل دين هو عالم دين وليس كل عالم دين هو رجل دين فقد يكون هذا العالم لا يعمل بعلمه ولا يؤدى واجباته الدينية فهو ليس رجل دين. بل رجل دنيا.

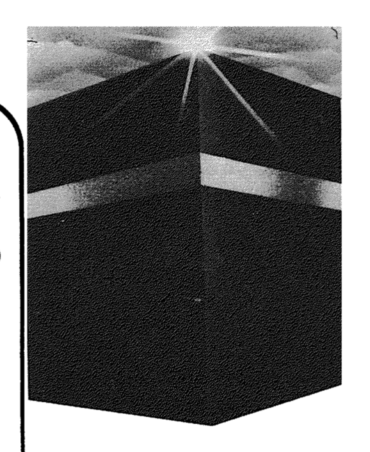
(٢) العدو الصهيونى هو إسرائيل ولم أقل إسرائيل حتى لا يكون ذلك اعترافاً ضمنياً بها، بل أقول دولة العدو الصهيونى لكى لا ينسى العرب والمسلمون عدوهم الأول الذى احتل الأرض المقدسة احتلالا توسعياً استيطانيا.

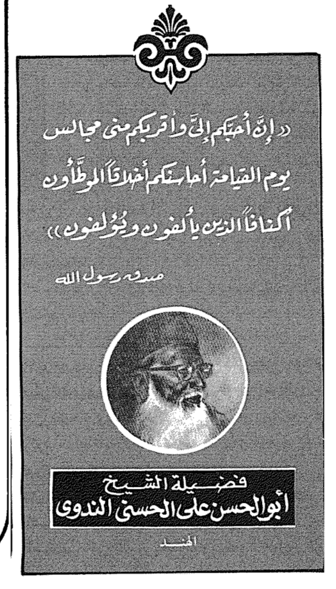
من رياض الدعوة

المركز الإسلامي في (ميونخ) ألمانيا

أسهمت فى بنائه المملكة العربية السعودية والكويت وقطر وبعض البلدان الاسلامية.. تغطى اعمال هذا المركز جنوب المانيا ويمتد نشاطه الى جنوب أوربا.. يضم: مدرسة.. مسجدا.. قاعة للمحاضرات واخرى للاجتماعات وثالثة للسيدات ويضم بيتاً للطلبة.. يقوم بمهمة نشر الاسلام فى الاوساط الاسلامية والحفاظ على الاقليات المسلمة فى تلك الديار من سلبيات تلك المجتمعات.. والى جانب هذا المركز قامت عدة جمعيات ومراكز تؤدى ذات المهام الكبيرة منها: الادارة الدينية للمسلمين المهاجرين الى المانيا ولها سبع مدارس فى انحاء متفرقة فى المانيا ـ ومركز هامبورج ـ والرابطة الاسلامية الالمانية.. ومركز اسلامى فى «أخن» شاركت المملكة العربية السعودية فى بنائه.. والمركز الثقافى العربى فى (بون) وتوجد مراكز اسلامية فى كل من: بون ـ هيدلبرج ـ فرانكفورت ـ لوبك كولون ـ ويواجه المسلمون فى المانيا تحديات عديدة من منظمات معادية ومنها ما يعمل باسم الاسلام مثل (البهائيين والقاديانيين).. مما يحتم على المسلمين المقتدرين دعم هذه المراكز الاسلامية لتقوم بدور فعال فى نشر الاسلام من تلك الهجمات الهمجية المعادية للاسلام والمسلمين.

بعض سمات





الدعوة الاسلامية يجب أن تكون جامعة بين تحريك الايمان فى نفوس المخاطبين والمجتمع الاسلامى وإثارة الشعور الدينى وبين إكمال الوعى وتنميته وتربيته فإن المتتبع لأحوال العالم الاسلامى اليوم وواقع الأقطار الاسلامية وحكوماتها وشعوبها يعرف أن تمسك هذه الشعوب والجماهير بالاسلام وحبها له هو الحاجز السميك والسد المنيع لكثير من القيادات التى خضعت للحضارة الغربية وقيمها ومفاهيمها وفلسفاتها ونظمها وآمنت بها إيماناً كإيمان المتدينين بالديانات والمؤمنين بالشرائع السماوية وفقدت الثقة بصلاحية الاسلام لمسايرة العصر الحديث وتطوراته وأحداثه. وكرسالة خالدة عالمية.. فإسلام هذه الشعوب والمجتمعات وكونها لا تفهم إلا لغة الايمان والقرآن ولا تندفع إلا لما يجيء عن طريقهما ولما يمس قلبها ويخاطب ضميرها يعوق كثيراً من هذه القيادات عن نبذ الاسلام نبذاً كلياً وإعلان الحرب عليه.. وقد لجأ بعض هذه القيادات فى ساعات عصيبة إلى إثارة هذا الايمان والحماس الدينى.. وإستخدامهما لكسب المعركة أو الانتصار على العدو حين رأت أن لا ملجأ من الله إلا إليه وإلى إيمان هذه الشعوب السليمة المؤمنة.. فرفعت هتاف التكبير «الجهاد» و«الشهادة» فى سبيل الله.. ومحاربة العدو الكافر المهاجم كما فعلت الجزائر فى حربها مع الفرنسيين

الدعوة المطلوبة في هذا العصر

وباكستان فى حرب ١٩٦٥م وجربت فائدة هذا الايمان وقوة هذه العاطفة.

فأصبح إيمان هذه الشعوب وتمسكها بالاسلام وتحمسها له هو السور القوى العالى الذى يعتمد عليه فى بقاء هذه البلاد وكثير من القيادات والحكومات الاسلامية فى حظيرة الاسلام. فإذا تهدم هذا السور ـ لا سمح الله بذلك ـ أو تسوره دعاة الكفر واللادينية أو تيار الردة الفكرية والحضارية فالخطر كل الخطر على الاسلام فى هذه البلاد. ولا يمنع هؤلاء القادة المحاربين للاسلام والمضمرين له العداء والحقد شىء من أن يخلعوا العذار ويطرحوا الحشمة والتكلف ويجردوا هذه الأقطار والشعوب العريقة فى الاسلام من كل ما يمت الى الاسلام بصلة ـ فإن الشىء الوحيد الذى يخافون معرّته ويحسبون له حساباً هو ثورة هذه الشعوب على هذه القيادات بدافع الايمان والحماس الاسلامى فيفقدهم ذلك ما يتمتعون به من كراسى الحكم ومركز القيادة فإذا زال الحاجز لم يقف فى وجههم شىء.

إذن فيجب على دعاة الاسلام والعاملين فى مجال الدعوة الاسلامية الاحتفاظ بهذه البقية الباقية من الايمان فى نفوس الشعوب والجماهير والمحافظة على الجمرة الايمانية من أن لا تنطفىء.

ولا يصح الاقتصار على تحريك الايمان وإثارة العاطفة الدينية فى نفوس الشعوب والجماهير بل يجب أن تضم إليه تنمية الوعى الصحيح وتربيته والفهم للحقائق والقضايا.. والتمييز بين الصديق والعدو.. وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر.. فقد رأينا أن الشعوب التى يضعف فيها هذا الوعى أو تحرمه يتسلط عليها ـ رغم تمسكها بالاسلام وحبها له ـ قائد منافق أو زعيم ماكر أو عدو جبار فيصفق له الشعب بكل حرارة ويسير فى ركابه فيسوقها بالعصا سوق الراعى لقطعان من الغنم.. لا تعقل ولا تملك من أمرها شيئاً ولا يمنعها تمسكها بالاسلام وحبها له من أن تكون فريسة سهلة أو لقمة سائغة للقيادات اللادينية أو المؤامرات ضد الاسلام.

وقد كان ما يمتاز به المجتمع الاسلامى الأول المثالى الصحابة (رضى الله عنهم) بفضل التربية النبوية الدقيقة الشاملة بالجمع بين الدين المتين الذى لا مغمز فيه.. والايمان القوى الذى لا يعتريه وهن ـ وبين الوعى الناضج الكامل فكانوا لا يخدعون ولا ينخدعون.. ولا يسيغون

شيئاً ينافى الاسلام وينافى العقل . . والذى يضرهم ويجنى عليهم أو يوقعهم فى خطر أو تهلكة . . قد بلغوا من الرشد واستكملوا الحصافة والنضج فلا يؤخذون على غرة ولا يقعون فى شرك ينصبه العدو الماكر . . يخطئون ولكن لا يصرون ولا تتكرر منهم غلطات وتورطات ـ وقد جاء فى حديث صحيح «لايُلدغ المؤمن من جحر مرتين» بخلاف الشعوب الفاقدة الوعى فهى تلدغ مرة بعد مرة . . وذلك لأن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أخذهم بتربية وتعاليم أمِنوا بها عن الوقوع فى الشباك وامتنعوا بها عن قبول مالا يتفق مع تعاليم الاسلام وآدابه والفطر السليمة والعقول المستقيمة فكان مجتمعا نموذجيا مثاليا فى كل شىء .

أعرض لكم ـ على سبيل المثال ـ مثالين من هذا العقل الحصيف والوعى الكامل :

الأول : أن النبى ﴿ﷺ﴾ قال مرة **«أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»** وهو مثل جاهلى قديم وعرف من أعراف العرب الأولين، تمسك به العرب فى جاهليتهم كما قال العلامة الحافظ ابن حجر فى شرح هذا الحديث فى كتابه الجليل فتح البارى فكان المتوقع المعقول أن يتلقاه الصحابة ـ وقد نشأوا فى الجاهلية وعاشوا فى الجزيرة ـ إما بالقبول وإما بالسكوت . وقد صدر هذا الكلام من النبى المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى **﴿إن هو إلا وحى يوحى﴾** ـ وقد عُرِفَ حبهم لنبيهم ﴿ﷺ﴾ وفداؤهم له بالنفس والنفيس وكان حباً لا نظير له فى تاريخ الديانات والرسالات وفى تاريخ الحب والطاعة العالمى وكان تفسيراً للحديث المشهور **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين»** وجاء فى بعض الروايات **«من نفسه»** ولكن كل ذلك لم يمنعهم عن التساؤل أو الاستيضاح فإن ظاهر الكلام كان ينافى ما فهموه من تعاليم الاسلام وما شاهدوه من تربية الرسول وأخلاقه وما آمنوا به من مبدأ الانصاف والمساواة وقوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾** وقوله تعالى **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾**. فقالوا يارسول الله : هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما؟ هنالك فسره رسول الله ﴿ﷺ﴾ تفسيراً يتفق مع تعاليمه السابقة الدائمة فقال **«تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه»**. هنالك اقتنع الصحابة رضى الله عنهم وشفيت صدورهم فازدادوا إيمانا على ايمان . . وهو مثال بليغ رائع من أمثلة الوعى الايمانى العقلى الذى كان شعاراً لصحابة الرسول ﴿ﷺ﴾ والصدر الأول .

والمثال الثانى : ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ أرسل سرية وأمر الصحابة بطاعة الأمير، وقد كان فى هذه السرية من لم يرض الأمير وشك فى انقيادهم له فأمر بالحطب فجمع وأمر بالنار فأشعلت ثم قال خوضوها ـ فامتنع الصحابة رضى الله عنهم عن طاعته فى ذلك لأنه «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» وقالوا إنما فررنا من النار ولما رجع إلى المدينة شكا إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فصوَّب فعلهم وقال «لو دخلوا فيها لم يزالوا فيها وقال لا طاعة فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف .

وكانت نتيجة ضعف بعض الشعوب المسلمة القوية فى إيمانها الغنية فى مظاهرها الايمانية ومراكزها الدينية وثروتها العلمية أنها كانت فريسة سهلة للهتافات الجاهلية والنعرات القومية أو العصبيات اللغوية والثقافية . . ولعبة القيادات الداهية والمؤامرات الأجنبية . . وذهبت ضحية سذاجتها وضعفها فى الوعى الدينى والعقل الايمانى كما وقع فى باكستان الشرقية فى (١٩٧٠م) : قامت فيها مجزرة إنسانية هائلة . . وما ذاك إلا بسحر دعوات العصبية اللغوية والعصبية الوطنية على هذا الشعب المسلم المؤمن الذى

كان له تاريخ مجيد فى البطولات الاسلامية وخدمة الاسلام والعلم ونهض فيه علماء كبار ودعاة إلى الله وغصت بلادها بالمساجد والمدارس.. وكانت عاصفة هوجاء هبت ثم ركدت وناراً حامية التهبت ثم انطفأت ولكنها زلزلت أركان الاسلام فى هذه المنطقة وأضعفت الكيان الاسلامى وكانت حجة لأعداء الاسلام الذين يقولون إن الاسلام لا يستطيع أن يقاوم العصبيات القومية ولا يقتلع جذورها من نفوس أتباعه.

وواجب ثالث مقدس من واجبات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية هو صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الاسلامية من التحريف ومن إخضاعها للتصورات العصرية الغربية أو المصطلحات السياسية والاقتصادية التى نشأت فى أجواء خاصة وبيئات مختلفة ولها خلفيات وعوامل وتاريخ وهى خاضعة دائما للتطور والتغيير.. فيجب أن نغار على هذه الحقائق الدينية والمصطلحات الاسلامية غيرتنا على المقدسات وعلى الأعراض والكرامات بل أكثر منها وأشد لأنها حصون الاسلام المنيعة وحماه وشعائره.. وإخضاعها للتصورات الحديثة أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية إساءة إليها لا إحسان.. وإضعاف لها لا تقوية وتعريض للخطر لا حصانة ونزول بها إلى المستوى الواطى المنخفض.. لا رفع لشأنها كما يتصور كثير من الناس.

فإذا قلنا ـ الحج مؤتمر إسلامى عالمى ـ لم ننصف للحج ولم ننصف لمن نخاطبه ونريد أن نفهمه حقيقة الحج وروحه ولما شرع له ولم ننصح لكليهما. إن روح الحج وسر تشريعه غير ما تعقد له المؤتمرات صباح مساء.. ولو كان الحج مؤتمراً إسلامياً عالمياً لكان له شأن ونظام غير هذا النظام.. وجو غير هذا الجو. ولكان النداء له مقصوراً على طبقات مثقفة واعية فقط وعلى قادة الرأى وزعماء المسلمين.

كذلك حقيقة العبادة وحقيقة الصلاة.. وحقيقة الزكاة والصوم فلا يجوز العبث بهذه المصطلحات والتجنى عليها وإخضاعها للفلسفات الجديدة وتفسيرها بالشىء الذى لا ثقة به ولا قرار له.. وقد استخدمت هذه «الاستراتيجية الدعائية» الباطنية فى القرن الخامس الهجرى فما بعده ففسروا المصطلحات الدينية بما شاءوا وشاءت أهواؤهم ومصالحهم وتفننوا فيه وأتوا بالعجب العجاب وحققوا به غرضهم من إزالة الثقة بهذه الكلمات المتواترة التى هى أسوار الشريعة الاسلامية وحصونها وشعائرها ونشر الفوضى فى المجتمع الاسلامى والجماهير المسلمة.. وإذا فقدت هذه الكلمات التى توارثت فهمها الأجيال المسلمة وتواترت فى المسلمين وأصبح فيها مساغ لكل داع الى نحلة جديدة ورأى شاذ وقول طريف فقد أصبحت قلعة الاسلام مفتوحة لكل مهاجم ولكل منافق وزالت الثقة بالقرآن والحديث واللغة العربية وجاز لكل قائل أن يقول ما شاء ويدعو إلى ما شاء وهذه فتنة لا تساويها فتنة وخطر لا يكافئه خطر.

إن مفاهيم هذه الكلمات معينة ـ على اتساعها وبلاغتها وعمقها وكثرة معانيها ـ وإن الأمة توارثت هذه المفاهيم المعينة كما توارثت أشكال الصلاة والصوم والحج ونظمها الظاهرة.. وتناقلتها وحافظت عليها من غير أقل انقطاع أو أقصر فترة.. وانه معنى قوله تعالى **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** و**﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا﴾** وهو معنى الحديث المشهور الذى صح معناه: لا تجتمع أمتى على الضلالة... وقد أثبت شيخ الاسلام ابن

تيمية ان سنة واحدة من السنن الكثيرة لم ترتفع من هذه الأمة بشكل كلى وإنها لا تزال طائفة من أمتى ظاهرة على الحق.

والكلمات هى الوسيلة الوحيدة لنقل المعانى والحقائق من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر ومن إنسان إلى إنسان فإذا وقع الشك فى مدلول هذه الكلمات ومصداقها، أو صار التلاعب بها هينا اضطربت دعائم الدين وتزلزلت أركانه.. وهذا يعم التاريخ والشعر والأدب لذلك كانت الفوضى اللغوية أشد خطرا وأكثر ضررا من الفوضى السياسية.

وليست قضية الأسماء والمصطلحات من البساطة بالمكان الذى يتصوره كثير من الناس فإنها تؤثر فى النفس تأثيراً خاصاً.. وتثير معانى وأحاسيس ذات الصلة بالماضى وذات الصلة بالعقائد والأعراف أحياناً ولذلك كره رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن يقال **«العتمة» مكان «العشاء» ويوم «العروبة» بدل «الجمعة»** واستبدال كلمة يثرب بمدينة الرسول أو بالمدينة ولها أمثلة أخرى فى الشريعة الاسلامية.

وكذلك احذركم أيها الاخوان مما لوحظ من بعض الكتاب من الضغط على أن هذه الأركان الدينية وفرائض الاسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج وسائل لا غايات إنها شرعت لإقامة الحكم الاسلامى وتنظيم المجتمع المسلم وتقويته.. وأحذركم من كل ما يحط من شأن روح العبادة والصلة بين العبد وربه وامتثال الأمر.. ومن التوسع فى بيان فوائدها الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية أحياناً توسعا يخيل للمخاطب أو القارىء أنها أساليب تربوية أو عسكرية أو تنظيمية.. قيمتها ما يعود منها على المجتمع من قوة ونظام أو صحة بدنية وفوائد طبية.. فإن أول أضرار هذا الأسلوب من التفكير أو التفسير أنه يفقد هذه العبادات قيمتها وقوتها وهو امتثال أمر الله وطلب رضاه بذلك والايمان والاحتساب والقرب عند الله تعالى.. وهى خسارة عظيمة لا تعوض بأى فائدة وفراغ لا يملأ بأى شىء فى الدنيا.

والضرر الثانى أنه لو توصل أحد المشرعين أو الحكماء المربين إلى أساليب أخرى قد يخيل أنها أنفع لتحقيق هذه الأغراض الإجتماعية أو التنظيمية أو الطبية لاستغنى كثير من الذين آمنوا بهذه الفوائد عن الأركان والعبادات الشرعية وتمسكوا بهذه الأساليب أو التجارب الجديدة وبذلك يكون الدين دائماً معرضا للخطر ولعبة للعابثين والمحرفين.



وهذا لا ينافى الغوص فى أعماق هذه الأركان والأحكام والحقائق الدينية والكشف عن أسرارها وفوائدها الاجتماعية. . وقد أفاض كثير من علماء الاسلام قديماً وحديثاً فى بيان مقاصد الشريعة وألفوا كتبا مستقلة وكتبوا بحوثا جليلة. . ولكن كل ذلك من غير تحريف لحقيقة هذه العبادات والأحكام والغاية الأولى التى شرعت لها وهى امتثال الأمر الالهى والتقرب إليه بذلك والايمان والاحتساب فيها ومن غير اخضاع لها للفلسفات العجمية أو الأجنبية فى عصرهم ومن غير خضوع بسحرها وبريقها.

وأحذركم ثانية أيها المسلمون من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية والشرك الجلى من عبادة غير الله والسجود له وتقديم النذور والقرابين وإشراكه فى صفات الله من قدرة وعلم وتصرف وأماتة وإحياء وإسعاد وإشقاء وأحذركم من الخضوع للحكومات الظالمة والنظم الانسانية والتشريعات البشرية وتحويل حق التشريع للانسان وأن ذلك هو وحده عبادة الطاغوت والشرك. . وأن الوثنية الأولى وعبادة غير الله قد فقدت أهميتها وإنما كانت لها الأهمية فى العصر القديم العصر البدائى. . وأنه لا يقبل عليها الآن إلا الرجل الجاهل الذى لا ثقافة له ففضلا عن أن هذه الوثنية والشرك الجلى لا يزال له شيوع وانتشار ودولة وصولة يجربه كل إنسان فى كل زمان ومكان فإنها الغاية الأولى التى بعث لها الأنبياء. . وأنزلت لها الكتب السماوية. . وقامت لها الجنة والنار. وكانت دعوة جميع الأنبياء تنطلق من هذه النقطة. . وكانت جهودهم مركزة على محاربة هذه الجاهلية ـ والقرآن مملوء بذلك بحيث لا يقبل تأويلا.

أما ما يتصل بصفات العاملين فى مجال الدعوة الاسلامية وجنود الدعوة إلى الله فإننى أركز فى هذا الحديث الموجز على نقطة واحدة: وهى أنه يجب أن يكون الدعاة يمتازون عن الدهماء والجماهير. . ويمتازون عن دعاة النظم الجديدة والفلسفات الجديدة. . والفلسفات السياسية والاقتصادية بقوة إيمانهم وحرارة قلوبهم. . وزهدهم فى زخارف الدنيا وفضول العيش ونهامة المادة. . ومرض التكاثر. . فإنهم لا يستطيعون أن يؤثروا فيمن يخاطبونهم ويحملوهم على إيثار الدين على الدنيا والآجلة على العاجلة وتلبية نداء الضمير والايمان على نداء المعدة والنفس والشهوات واشعال مجامر قلوبهم التى انطفأت أو كادت تنطفىء إلا إذا شعر الناس فيهم بشىء لا يجدونه فى قلوبهم وحياتهم فإن الناس مازالوا ولا يزالون مفطورين على الاجلال لشىء لا يجدونه عندهم. . فالضعيف مفطور على احترام القوى. . والفقير على احترام الغنى. . والأمى مفطور على احترام العالم ـ حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم.

أما إذا رأى الناس علماء ودعاة لا يقلون عنهم فى حب المادة والجرى وراءها والتنافس فى الوظائف والمناصب والاكثار من الثراء والرخاء. . والتوسع فى المطاعم والمشارب. . وخفض العيش ولين الحياة. . فإنهم لا يرون لهم فضلا عليهم وحقا فى الدعوة الى الله وإيثار الآخرة على الدنيا. . والتمرد على الشهوات. . والتماسك أمام المغريات وقد قيل «إن فاقد الشىء لا يعطيه» وكذلك القلب الخاوى لا يملأ قلبا آخر بالايمان والحنان. . وإن الموت لا ينشىء الحياة. . وإن البرودة لا تعطى الحرارة. . وإن الرماد الذى لا تكمن فيه جمرة لا يلهب القلوب الخامدة ولا يحيى النفوس الميتة. والكشاف لا ينير الطريق إذا كانت قد نفدت شحنته ـ فلابد أن تشحن القلوب شحنة جديدة. . واذا كان بطارية من غير شحنة كانت أقل غناء وقيمة من عصا يحملها الانسان. . فقيمة البطارية بالشحنة وقيمة الشحنة النور فإذا لم تكن شحنة أو كانت شحنة ولا نور فالعصا خير منها.

أسالكم ايها الاخوان أليس هذا العصر هو العصر الذى انتشر فيه العلم وكثرت فيه وسائل الاعلام والتربية . . وازدهرت فيه الخطابة والكتابة وبلغت حد الشعر والسحر . . وعمت الجامعات فى كل مكان . . وتدفق السيل من المطبوعات والمنشورات من المطابع ودور النشر . . ونبغ فيها علماء وباحثون ووعاظ ومرشدون . . فلماذا فقد العلماء والموجهون التأثير فى النفوس والقلوب فى صد تيار المادية والاستغلال والجشع والنهامة للمال؟ . . هذه البلاد العربية - بما فيها البلاد المقدسة - أصبحت مصداقاً لما أخبر به الرسول ﴿ﷺ﴾ فى إحدى خطبه قبل وفاته : ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم .

وسمة الدعوات الحية المخلصة التي تقتبس النور من مشكاة النبوة وتسير على نهجها أنها تجس نبض المجتمع جساً صحيحاً أميناً وتهتدي إلى الداء الحقيقي ومواضع الضعف فى جسم هذا المجتمع وتضع أصبعها عليها ، وتضرب على الوتر الحساس من غير محاباة أو مداهنة ولا تكترث بألم هذا المجتمع أو ملامه كما فعل شعيب فى دعوته - فوجه دعوته - بعد الدعوة الى التوحيد - إلى إيفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم وشنع على التطفيف إذ كان ذلك عيب المجتمع الذي بعث فيه وسمته البارزة وكذلك فعل غيره من الأنبياء .

وهكذا كانت سنة الدعاة الى الله من المخلصين الربانيين فى تاريخ الاسلام . . فكانوا ينتقدون المجتمع فى الصميم ويصيبون المحز ولذلك كان وقع كلامهم فى النفوس عظيما وعميقا وما كان يسع المجتمع أن يتغافل عنهم أو يمر بهم مرا سريعا . . أو يسلى نفسه بأنه إنما يعنون غيره من المجتمعات التى سبقت أو المجتمعات التى لم تخلق بعد وهذا كان شأن الحسن البصرى فى مواعظه إذ كان دائما يشير إلى النفاق الذى كان داء المجتمع الاسلامى - وهو فى أوج مجده ورخائه - ويذم حب الدنيا وطول الأمل . وهذا كان شأن الشيخ عبد القادر الكيلانى : فيدعو إلى التوحيد الخالص وقطع الرجاء والخوف من غير الله وأنه لا يضر ولا ينفع سواه - لأن الناس كانوا قد ربطوا مصيرهم بالخلفاء والأمراء وأصحاب الحول والطول والأمر والنهى فى العاصمة . . وهذا كان شأن ابن الجوزى فى مواعظه الساحرة ومجالسه المزحومة . فإنه كان يشنع على الحياة اللاهية الماجنة التى كان يحياها كثير من الناس فى بغداد وعلى الذنوب والمعاصى التى كانت تقترف جهارا والمنكرات التي شاعت فكان مئات وآلاف من الناس يتوبون ويقلعون عن الذنوب . . وكان نشيج يعلو وقلوب ترقى . . وعيون تدمع . . وموجة من الانابة والرقة تكتسح الجموع الحاشدة لأنه كان يمس القلوب ويصور الواقع ولا يكتفى بالكلام العام والوعظ التقليدى .

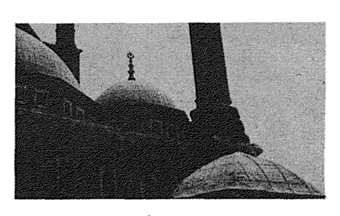
وهنا أنقل إليكم قطعة من كتابنا «رجال الفكر والدعوة فى الاسلام» والمؤلف يتحدث عن الامام أحمد بن حنبل وزهده :

«وقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين فى تاريخ الاسلام فلا نعرف أحداً ممن قلب التيار وغير مجرى التاريخ ونفخ روحاً جديدة فى المجتمع الاسلامى أو فتح عهداً جديداً فى تاريخ الاسلام وخلف تراثاً خالداً فى العلم والفكر والدين ، وظل قروناً يؤثر فى الأفكار والآراء ويسيطر على العلم والأدب إلا وله نزعة فى الزهد وتغلب على الشهوات وسيطر على المادة ورجالها . . ولعل السر فى ذلك أن الزهد يكسب الانسان قوة المقاومة والاعتداد بالشخصية والعقيدة والاستهانة برجال المادة ويصرعى الشهوات وأسرى المعدة . . ولذلك ترى كثيراً من العبقريين والنوابغ فى الأمم

كانوا زهاداً فى الحياة متمردين على الشهوات وبعيدين عن الملوك والأمراء والأغنياء فى زمانهم. ولأن الزهد يثير فى النفس كوامن القوة.. يشعل المواهب.. ويلهب الروح.. وبالعكس فإن الدعة والرخاوة تبلد الحس وتنيم النفس وتميت القلب.

وهنالك تعليلات أخرى يوافق عليها علم النفس وعلم الأخلاق. ولا أطيل بذكرها وأقتصر على هذه الملاحظة التاريخية.. وألح على أن منصب التجديد والبعث الجديد يتطلب لا محالة زهداً وترفعاً عن المطامع وسفساف الأمور.. ويأبى الاندفاع الى التيارات.. ويتنافى مع الحياة الوادعة الرخية والعيشة الباذخة الثرية - إنما هو خلافة للرسول الأعظم (ﷺ) وقد قيل له: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه، ورزق ربك خير وأبقى﴾ وأمر بأن يقول لأزواجه ﴿إن كُنْتُنَّ تُرِدن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أُمتِّعْكُنّ وأُسرِّحْكُنّ سراحاً جميلا﴾ وهذه سنة الله فيمن يختاره لهذا الأمر العظيم ومن يرشح نفسه ويمنيها بهذا المنصب الخطير. ولن تجد لسنة الله تحويلا.

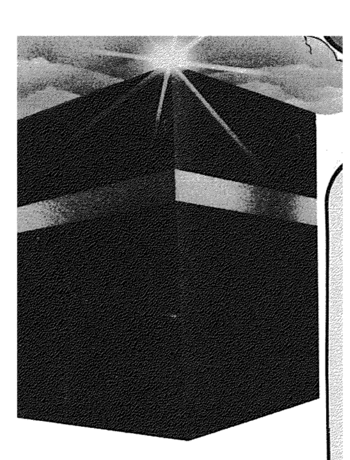
ومن أبرز سمات الدعوة التى يقوم بها الأنبياء وخلفاؤهم أنها تقوم على الايمان بالأخرة والتحذير من عقابها والترغيب فى نعمائها وثوابها.. ويكون مناط العمل فيها الايمان والاحتساب والأجر والثواب لا على الاغراء بالفوائد الدنيوية.. ومن رضع بلبان هذه المطامع لا يمكن فطامه عنها ولا يصح الاعتماد عليه - وإنما يبنون دعوتهم على رضى الله وثوابه وما أعده الله لعباده المؤمنين وما وعدهم به على لسان أنبيائه من نعيم لا يزول ولا يحول. والصحف السماوية - غير صحف العهد القديم التوراة مملوءة بالحديث عن الآخرة والاهتمام بها والبناء عليها وقد جعل الاسلام الايمان بها عقيدة أساسية وشرطاً لصحة الايمان



والنجاة وقد جاء فى القرآن صريحاً **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾**.

وهنا أستعير لنفسى من نفسى ما قلته فى إحدى المحاضرات التى ألقيتها سنة ١٣٨٢هـ تحت عنوان «النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن» وأختم به هذا الحديث مؤملاً فى أن تكون هذه السمات التى تحدثت عنها شعار الدعوة التى يقوم بها الدعاة أو القائمون بأعبائها فى كل ناحية من نواحى العالم الاسلامى. قلت وأنا أتحدث عن الفرق بين منهج الدعوات النبوية وبين الدعوات الاصلاحية:

«ولم تكن دعوة الأنبياء إلى الايمان بالآخرة أو الاشادة بها كضرورة خلقية أو كحاجة إصلاحية لا يقوم بغيرها مجتمع فاضل ومدنية صالحة فضلا عن المجتمع الاسلامى. وهذا وإن كان يستحق التقدير والاعجاب ولكنه يختلف عن منهج الأنبياء وسيرتهم ومنهج خلفائهم اختلافاً واضحاً. والفرق بينهما أن الأول منهج الأنبياء: إيمان ووجدان وشعور وعاطفة وعقيدة تملك على الانسان مشاعره وتفكيره وتصرفاته.. والثانى: اعتراف وتقدير وقانون مرسوم وإن الأولين يتكلمون عن الآخرة باندفاع والتذاذ ويدعون إليها بحماسة وقوة وآخرون يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية والحاجة الاجتماعية وبدافع من الاصلاح والتنظيم الخلقى - وشتان ما بين الوجدان والعاطفة وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية»





كثر حديث الناس حول الحضارة والتحضر حتى استغلها من لا يريدون بالاسلام والمسلمين خيرا.. وتنادوا بالحضارة والتحضر ساترين بذلك موجة التبشير الحديث والغزو الفكرى المخطط الذى يستهدف هذه الأمة فى أغلى ما عندها: عقيدتها ومثلها.. وقيمها وأخلاقها(١)

والحضارة معنى غير المدنية - وان خلط الكثيرون بينهما(٢)

والحضارة عند المسلمين - ان صح لنا ان نستخدم هذا الاصطلاح تجوزا - تعنى نقل الناس من حياة بدائية اشبه ما تكون بالضياع الى حياة انسانية رفيعة مهدية.. او تعنى نقل الناس من الظلمات الى النور.. ومن الضلال الى الهدى.. ومن الباطل الى الحق..

والناس حين ينتقلون هذه النقلة.. يحدث التغيير الكبير فى حياتهم.. يبدأ التغيير من داخل النفس فاذا تلك النفس الخبيثة تتبدل الى نفس طيبة.. واذا تلك النفس الأمارة بالسوء الغارقة فيه تنتشل وتنتشى فاذا بها نفس لوامة - ثم اذا بها نفس مطمئنة راضية مرضية.



نحن في حاجة إلى تأصيل العلم وإعادة سمعة المسلمين العلمية التى افتقدوها، فقد كان المسلمون فى موقع القيادة العلمية والحضارية



معالى الدكتور
عبد الله نصيف
الامين العام لرابطة العالم الاسلامى - مكة المكرمة

واجبات الدعوة والداعية

● أي قوة تحدث هذا التحول الكبير وهذا التغيير الخطير؟؟

● انها قوة الحق . . **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾ . . ﴿قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب. قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد. قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب﴾** .

وحين يحدث هذا التغيير العظيم داخل النفس فانه ينتقل بعد ذلك الى داخل المجتمع نفسه فاذا بنا مع مجتمع يعرف الطهر والفضيلة والايثار ـ معرفة غيره للرجس والرذيلة والأثرة. اذا بنا إزاء مجتمع يتعاطى الحب والأخوة والمثل . . ويتعامل بالصدق والعفة والشرف . . ويعرف الفرد فيه واجبه قبل ان يعرف حقه . . ويتناهى فيه عن الكفر والفسوق والعصيان . . ويأتمر بالطاعات ويسابق الى الخيرات .

يتحضر الانسان ويعرف الحضارة الحقة من خلال دعوة الله .

أما قبل ذلك فمثله **﴿ان شرَّ الدوابِّ عند الله الصمّ البكم الذين لا يعقلون﴾** ومثله : **﴿كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك يضرب الله الأمثال﴾** .

بيد ان الدعوة فى بلوغها هذه الغاية تمر بمراحل ثلاث ـ دلتنا عليها سيرة رسول الله ﴿ﷺ﴾ المطهرة . . وأشار اليها الفاقهون من رجال الدعوة الاسلامية المباركة .

اما المرحلة الاولى فهى مرحلة البلاغ : وكان فيها رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقول : «من يحمينى لأبلغ دعوة ربى؟» . . وكان يقول «قولوا لا آله الا الله تفلحوا» . . وكان ينفذ امر ربه **﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربَّك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر﴾** . . وأمر ربه **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلَّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾** . . ويحقق وصف ربه **﴿ان عليك الا البلاغ﴾ ﴿وما على الرسول الا البلاغ﴾** ولقد أسماها بعضهم مرحلة التعريف(٣) .

أما المرحلة الثانية فهى مرحلة التربية والتكوين : هى مرحلة تخير **«لبنات الدعوة»** ليقام بها بناء الدعوة الشامخ . . المتطاول فوق القصور . . المتعاظم فوق الصغائر . . الصامد الصابر أمام المحن والفتن والخطوب . .

وهى مرحلة مارسها رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى الوقت الذى استمرت فيه الدعوة والبلاغ فراح يجمع المسلمين فى دار

الارقم بن أبى الارقم يربيهم على ما قال ربهم وأمر . .
ويكوِّن منهم جيش الاسلام العظيم الذى زحف بعد ذلك الى المدينة المطهرة يقيم فيها اول دولة للاسلام .

أما المرحلة الثالثة فهى مرحلة التنفيذ والتمكين: ان سنة الله أن الباطل لا يصبر على الحق وإن صبر الحق على الباطل طويلا أو كثيرا . . انه لا يقبل بوجود الحق يقاسمه الارض وينازعه النفوذ ـ ومن ثم فان الباطل هو الذى يتعجل الصدام خوفا على مستقبله وحفاظا على نفوذه ـ وظنا منه أنه لا يزال قويا قادرا على قهر الحق ـ ناسيا ومتناسيا ان وراء الحق القوى القادر القاهر الذى لا يعجزه شيىء فى الارض ولا فى السماء ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

وحين ينتصر الحق يعلم الذين ظلموا أنهم كانوا مجرمين وأنهم كانوا فى طغيانهم يعمهون ويندمون على افعالهم ولات ساعة مندم .

وحين يقع الحق يعلم الذين آمنوا ان الله سبحانه وتعالى كان لهم خير الناصرين . . وان غاية ما بذلوه هو نصر الله سبحانه وطاعته ـ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل والله ذو الفضل العظيم .

● ***ويوم القيامة . ﴿ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة . . أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين﴾ .***

● ***ويوم القيامة ﴿ يرى الذين ظلموا حين يروا العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب﴾ .***

● ***ويوم القيامة ﴿ اذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا . . ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ .***

ذاك مصير . . وهذا مصير
وفى كل حق وباطل . . ونعيم وعذاب
وفى كل هدى وذكرى لأولى الألباب .

أما واجبات الداعية:

فكثيرة ومهمة فهو الذى يبلغ رسالة ربه ويرشد الناس الى المنهج الحق ويأخذ بأيديهم برفق الى صراط الله المستقيم .

أن *الداعية وحده أمة . . وانه وحده قد يغير أمة . .*

ومن قبل فعل ابراهيم فقال فيه ربه ***﴿ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين﴾ .***

ومن قبل فعل محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . . فبشره ربه بأنه أكثر الأنبياء يوم القيامة أمة . .

ترى . . هل وعى الدعاة ذلك . ؟

أن المجاهد *فى سبيل الله بسيفه . . قد يموت فى العمر مرة .*

●● اما الداعية فى سبيل الله فانه يموت فى العمر مائة مرة يتعرض لسخرية الناس واستهزائهم وقد يتعرض للعدوان والاساءة وقد يتعرض للسجن والتعذيب فهو فى ابتلاء وتمحيص طالما انه يسلك طريق الدعوة الى سبيل الله .

انه يقتل . . ويقوم . . يحارب فى الميدان وهو مثخن بالجراح فاذا به أشد الناس إقداما ـ وأقوى الناس يقينا ـ وأمضى الناس عزما ـ وأخفهم الى النجدة والمساعدة والنصرة .

ثم انه اذا لم يجد المظاهر له من أمثال (خديجة وعائشة) ومن أمثال (ابى بكر وعمر) ومن أمثال (بلال وعمار) . . رضوان الله عليهم اجمعين فان بلاءه شديد ومحنته كبيرة .

ولقد كتب على دعاة اليوم ان يعيشوا ذلك كله ـ ولهم الله .

ترى هل يمن الله به على دعاة اليوم وهم أشد ضعفا وقلة حيلة وهوانا على الناس؟ .

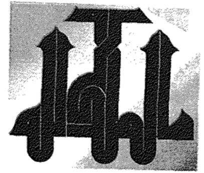
اذن فالواجب الاول للداعية هو الصلة بالله تعالى . . لانه بذلك يستند الى خير ظهير إن قل النصير وتخلى الظهير.

واجبه اولا: ان يقوم لله رب العالمين مخلصا مخبتا ـ يقيم عقيدته فى نفسه.. وخلقه فى صدره.. ويسهر الليل دمعا ودعاء ـ فلا يملك كشف الضر إلا الله ولا يملك الخير والنصر إلاه.

وواجبه الثانى: ان يبحث عن النصير وان يتخير الظهير.. ان يبحث عن النصير.. قوة وصلابة وايمانا.. وان يتخير الظهير.. ضهرا.. وعفة وخلقا ونورا.

ترى هل فقه الناس..؟

وواجبه الثالث: ان ينطلق بدعوة الله نشرا وتبليغا.. وتربية وتكوينا.. ومواجهة وتمكينا.. مع الاهتمام بأن يكون قدوة حسنة للناس فى خلقه ومعاملاته وعلاقاته.



وواجبه الرابع: ان يتعاون مع اخوانه الدعاة مهما كان اختلاف السنتهم والوانهم:

- يكفيهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله.
- ويكفيهم ان يقيموا اركان الاسلام.. وان يدعوا اليها.

ومجال التعاون رحب فسيح.. واصول الاسلام واضحة ليست موضع اختلاف.. فليتعاونوا فيما اتفقوا عليه من اصول وليعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه من فروع.. وليبتعدوا عن مواطن الجدل وفتنة الاختلاف.

وواجبه الخامس: ان يكون عفيف النفس.. مرتفعا عن طلب الناس.. متقنا لصنعة او حرفة تقيه مذلة السؤال.. مدركا لما يجرى حوله فى المجتمع حتى لا يكون آخر من يعلم.

وواجبه السادس: كان ينبغى ان يكون الاول.. بعد[٣] الصلة بالله لكنا اردنا أن يكون ختام المسك من ناحية ـ ولان الوعى لم يرتفع اليه من ناحية اخرى.

- ذاك هو واجب التخطيط إذ لابد فى عالم اليوم من التخطيط..
- وهو واجب اسلامى فعله سيد الدعاة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.. فما كانت مراحل الدعوة الا تخطيطا.. وما كانت مناهجها الا تخطيطا.. وما كانت رسائلها واساليبها الا تخطيطا.
- وهو واجب مؤكد اليوم فى مواجهة تخطيط اعداء الاسلام. إنهم يكيدون ويمكرون مخططين للقضاء على هذا الدين وعلى من يحمل هذا الدين.

ترى هل نقف فى مواجهتهم بغير تخطيط؟

●● هذه خطوط سريعة عن واجبات الداعية ـ والأمر قبل هذا كله وبعد هذا كله: أمر الاحسان فى العبادة والاخلاص لله رب العالمين.. حتى ينال التوفيق والتسديد والتأييد ﴿ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾.

●● نسأل الله ان يرزقنا جميعا الاخلاص فى القول والعمل.. وان يجعلنا من الداعين اليه على بصيرة ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين﴾.

---

(١) وفى اصطلاحات اخرى لتغطية نفس الموجة استخدموا التحديث والتغريب والتغيير الاجتماعى.. راجع (العالم العربى اليوم) لمورد بيرجر وراجع (التخطيط للدعوة الاسلامية واساليب الغزو الفكرى والاتجاهات الفكرية المعاصرة) للدكتور على جريشة.

(٢) تتعلق الحضارة بالسلوك البشرى بينما تتعلق المدنية بالآثار المادية كبناء وتشييد.

(٣) راجع مؤلف الدكتور على جريشة.

الدعوة

الدعوة لها عملان رئيسيان يسيران على خطين متوازيين:

العمل الاول: البناء الايجابى للفكر الاسلامى والأخلاق الاسلامية والسلوك الاسلامى بالتعليم والتربية والاعلام بمختلف وسائله المباشرة وغير المباشرة.

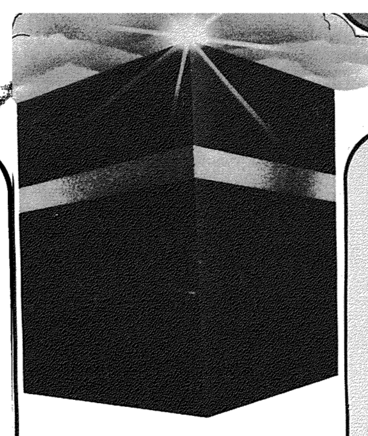
العمل الثانى: التصدى المضاد لكل فكر أو خلق أو سلوك أو عمل أو نظام أو قانون وضعى مناقض أو مضاد للاسلام فى عقيدة أو خلق أو عمل.

ويكون التصدى بالتحذير من هذه الأمور المناقضة للاسلام أو المضادة له مع بيان مافيها من باطل وفساد وشر وعواقب وخيمة وما يتولد عنها من ضر أو أذى للأفراد أو الجماعات.

ويكون التصدى أيضاً بالتحذير من دعاة هذه الأمور وقادة مذاهبها شياطين الانس مع كشف أسسهم الفكرية ودوافعهم ووسائلهم ـ والمداخل التى يدخلون منها، ومع تعرية مذاهبهم الباطلة والفاسدة المفسدة وفضح غاياتهم وأهدافهم القريبة والبعيدة.

ثم بمحاولات علاج من تعرض للاصابة بالمنحرف من الأفكاروالأخلاق والسلوك.

إن الصحة الجسدية والنفسية لا تتحقق إلا بالتغذية





في مواجهة التيارات الهدامة

الايجابية البانية للقوة والممدة بالطاقة والمنميّة لبناء الجسد والنفس مع الحماية والوقاية من الأمراض المستوطنة ومن الوافدات المرضية والوبائية ثم بالعلاج عند الاصابة العارضة بالمرض.

كذلك الصحة الدينية لا تتحقق إلا بثلاثة أمور:

(١) - بأعمال التغذية الايجابية المتابعة الممدة للايمان بعناصر القوة الفكرية والعاطفية والممدة للخلق الاسلامى والسلوك الدينى بعناصر الثبات والقوة والنماء.

(٢) - بأعمال الحماية والوقاية الدائمتين من الأمراض المحلية الفكرية والخلقية والسلوكية.. ومن الوافدات الفكرية والخلقية والسلوكية التى يحملها أفراد قادمون من الخارج.. ومن الوافدات الوبائية الخطيرة التى تأتى عن طريق وسائل الاعلام المختلفة أو عن طريق جماهير كثيرة تحمل الوباء من الخارج.

(٣) - وبأعمال العلاج الدوائى بعد الاصابة بالمرض المستوطن أو الوافد ولكل صنف من المرض ولكل شخص من المرضى دواء أو أسلوب يلائمه فى العلاج الدوائى.

ويأتي العمل الأول وهو البناء الايجابى للفكر الاسلامى والأخلاق الاسلامية والسلوك الاسلامى عن طريق التربية والتعليم والإعلام بوسائله المختلفة وهو فى المرتبة الأولى مع مصاحبته بالحماية والوقاية وذلك بالابعاد والعزل على قدر الامكان عن مواطن الأمراض التى قد يصاب بها الناشىء.

حتى إذا أخذ من تربيه مقداراً حسنا من التغذية الايجابية فكراً وتخلقاً وسلوكا، وبدأ يمشى معتدلا منتصب القامة على سواء وصار قادراً على معرفة بعض الأمراض وأسبابها كان من وظائف الدعوة توعيته وتحذيره لأننا حينئذ لا نستطيع إبعاده وعزله عن ساحات مفتوحة وراء دوائر العزل إذ يحتمل أن تكون فيها طائفة من الأمراض السلوكية أو الخلقية أو الفكرية.

وكلما زدناه تغذية وزاد نماء اضطررنا أن نطلق عنانه فى الحياة وعندئذ يكون أشد عرضة لأمراض لا توجد فى مراتع صباه ونشأته وما حولها وعندئذ لابد من زيادة تعريفه بأمراض وأخطار المواطن التى سينطلق إليها وشرح عناصرها وأعراضها ومسبباتها وعواقبها الوخيمة.

ويظل من واجبات الدعوة مراقبته ومتابعته فى مواطن انطلاقه وكلما كبا أو نبا أو تعرض لعرض أو مرض كان من واجبات الدعوة الاسراع اليه وتدارك أمره بالتوعية والتحذير الشديد والعلاج للعرض الطارىء.

حتى إذا اكتمل الناشىء وصار بحكم سنن الله فى كونه خارجاً عن نطاق الحماية التامة والعزل الكلى أو الجزئى لم يبق أمام الدعوة إلا واجب التعليم والترغيب

والترهيب واستخدام وسائل الاعلام بالطرق المباشرة وغير المباشرة. وواجب البيان والتحذير من كل فكرة أو خلق أو سلوك مضـاد لما جاء فى الاسـلام من حق أو خلق أو سلوك.. أو تنظيم وتقنين مضاد لما جاء فى الاسلام من حق وخير وفضيلة ورشد.. مع بيان تاريخ دعاة الباطل والشـر فى الأرض وبيـان عداوتهم لدينـه وأمتـه وبيـان مطـامعهم بخـيرات الأمـة الاسـلاميـة ومطـامعهم فى استعبادها وإذلالها أو محوها من الوجود محواً كليا.

إن النـاشىء الجـاهل بعدوِّه وعدوِّ أمته وبتاريخ عدوه وعدو أمته وبأهداف هذا العدو وغاياته الدائمة قد ينشأ بقلب سليم غير مدرك لمواطن الخطر والضرر فيأتى عدوه أو أجير عدوه، أو واحد من أبناء جلدته أفسده عدوه فصار تابعـاً من أتبـاعه أو ذيلا من ذيوله فيخادعه بزخرف من القـول نفاقا ورياء ويستدرجه ببعض الأهواء والشهوات والمنافع المادية على طريقة طعم السمك فى السنارات أو فى الشبـك أو على طريق طعم الفخـوخ السـاتر لها أو الخادع داخلها لصيده وأسره أو قتله.

وهذا الجاهل الذى خرج عن طوق رعاته ومربيه وابتعد عن دوائـر حمايتهم ورعـايتهم ثم خرج أيضـا عن مدى ملاحظـاتهم ومـراقبـاتهم لا بد له من تكثيف معلومـات تحذيرية وقائية تكشف له أعداءه وأعداء أمته وتكشف له خططهم ووسـائلهم ومـداخلهم، وتعـرى له أفكـارهم وزيـوفهم بالتتبع التام مع اتخاذ وسيلة نصره الحق بالحق وإبطـال الزيوف بالحجة المنطقية الرصينة والبرهان البين السـاطع دون تشنج ولا انفعال ثورى ودون غضب مفسد لمنطق المحاجة والمناظرة.

فمن جهـل الشيـوعية فى واقعها التطبيقى ولم تكشف له زيوف أفكارها ومبادئها بالحجة الرصينة والبرهان الساطع خدعته أقوال الشيوعيين ومكتوباتهم وفتنه البريق الدعائى المخـادع بالـرغبة فى تخليص الشعوب من ظلم الاقطاع والـ أسمالية المستغلة والاستعمار فاندفع فى تأييدها وانتظم فى منظـماتهـا ثم إذا وجد نفسه فى داخل حلقاتها أغرقوه بالشهـوات والاباحيـات فإذا هو استمـرأها وركن إليها شهروا حوله سيوف الارهاب حتى لا يستطيع أن يتحرك أية حركة ضد أوامر حاملى السيوف.

لكنه إذا عرف زيوف الشيوعية الفكرية وعرف واقعها التطبيقى الذى هو أظلم وأطغى من أى مبدأ آخر ظالم طاغ فى الأرض كان على واضح من أمره.. فإن كان ذا رأى ورشـد وبصيرة إيمانية مضيئة لم تخدعه دعايات الشيوعية وزخـارف أقـوالهـا وشعـاراتها البراقة. وإن كان ذا هوى شيطانى فإنه يدخل فى الشيوعية وهو عالم بها غير مخدوع ويكون حينئذ أحد شياطينها أو احد زبانيتها وجلاديها ولا تنفـع فيه عندئذ الدعوة مهما تنوعت وسائلها ويأتى دور السلطة الاسلامية الحاكمة وسلطة الجماعة الاسلامية التى عليها أن تنبذه وتقاطعه وتحذر الناشئة منه.

●● وكثير من الذين كانوا يجهلون الماسونية وأنها منظمة تخدم مصـالح اليهودية العالمية الكبرى دخلوا فى محافلها مغـترين ببريق دعـايـاتهـا الانسـانيـة ومطـامع التعاون والتناصر بين أفراد أعضائها حيث كانوا من الأرض ثم لما غرقوا فى بعض أوحالها وأرادوا الخلاص منها صعب عليهم ذلـك خوفـاً من التهـديـد المسلط عليهم أو خوفاً على مصالحهم التى حققوها بانتمائهم لها.

●● وكثير من الذين كانوا يجهلون الأفكار القومية القائمة على الالحاد ومقاومة دين الاسلام فى باطن أمرها والقائمة على التبعيـة السـريـة لدول أعداء للإسلام اتبعوا دعاة القـومية الذين حملوا راياتها الخادعة وناصروهم ودافعوا عنهم وأيـدوهم فى كل موقع وحملوا معهم شعار القومية وروجوا له بين الجماهير وأخذوا يمجدون الأفكار القومية المنفوخة بغازات منتنة قاتلة وهم لا يشعرون.. حتى اذا اكتشفـوا زيـوفها وجرهم قادتها الى الهزائم المتلاحقات والخيبات المتتابعات أخذوا يجترون الحزن والندم على ما فرطـوا فى شأن أمتهم وشأن أنفسهم باغترارهم بالباطل المصبـوغ بألـوان زاهيات ظنوا فيها الخير لأمتهم مع أن

باطنها الشر والضر والتمزق والعمالة التامة للأعداء وابتغاء إلغاء وجود الاسلام حامى أقوامهم ولغاتهم وبلادهم وشعوبهم.

●● وكثير من الذين كانوا يجهلون زيوف الأفكار الاباحية والالحادية المندسة فى العلوم (كعلم النفس - وعلم الاجتماع - وعلم الأحياء - والأدب - حتى بعض العلوم البحتة) أخذوها على أنها حقائق مسلم بها وصاروا يعلمونها لأجيال الأمة الاسلامية يروّجون لها إذ لم تكن لديهم معلومات ومعارف اسلامية واضحة وصحيحة حتى يستندوا اليها فى كشف الزيف المندس فى العلوم وكانوا يتصورون أن العلوم بعيدة عن أن يستغلها الغواة فيدسوا فيها غواياتهم وأفكارهم الباطلة ويزينوها بزخرف من القول لاقناع الأجيال الناشئة بها وجرهم الى مهالكهم متى آمنوا بها واتبعوا ما تدعوهم إليه.

●● وكثير من الذين انخدعوا بالقاديانية التى هى صنيعة دولة استعمارية كبرى أو انخدعوا بالبهائية التى هى صنيعة المكر اليهودى ودولة شرقية ثم غربية كانوا فى أول أمرهم مع هاتين الفرقتين المصنوعتين لهدم الاسلام وتمكين أعداء المسلمين منهم جاهلين بحقيقتيهما منخدعين بهما فانضموا اليهما ثم كان منهم من أفاق ورجع الى صوابه وكان منهم من استحلى الشهوات وجذبته المطامع فأقام جنديا مطيعا معاديا لدينه وأمته.

وكذلك نلاحظ فى سائر المنظمات الهدامة كالروتارى والليونز وغيرهما من بنات الماسونية وصنائع المخططات اليهودية المعادية لكل الأديان ولكل الشعوب أو صنائع المخططات الاستعمارية الطامعة.

■ والمغفلون والأجراء المستدرجون بالأهواء والشهوات والمطامع يدافعون عن أسيادهم ولا يعلمون أنهم سيكونون من ضحاياهم فى الدنيا أما فى الآخرة فلهم فيها العذاب الأكبر.

وأشير الى أن الذين انحرفوا وانتظموا فى صفوف المذاهب المعادية للاسلام وتوغلوا فيها حقبة من الزمن وألحقوا أنفسهم بركب الأعداء قلما تؤثر فيهم الدعوة ينبغى أن يوكل أمرهم للسلطة الاسلامية الحاكمة ولسلطة الجماعة المسلمة التى عليها أن تنبذهم وتقاطعهم وتحذر الأجيال

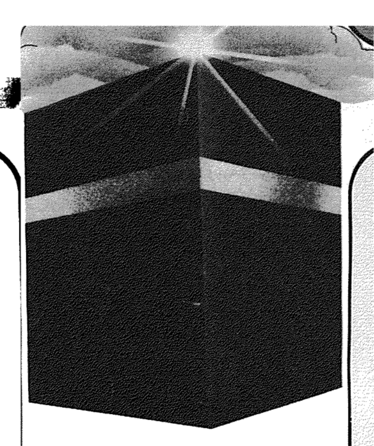
<u>وإذ أبيِّن وظيفة الدعوة ووظيفة السلطة الاسلامية الحاكمة ووظيفة المجتمع الاسلامى أذكر بأن أصحاب العقائد والمذاهب المخالفة للفكر الاسلامى وشريعة الاسلام يحاربون فى مناطق نفوذهم كل فكرة إسلامية وكل دعاية سرية أو علنية للاسلام أو لأى مبدأ من مبادئه تخالف لتعاليمهم ولأسس مذاهبهم فاعتَبِرُوا يا أولى الأبصار.</u>

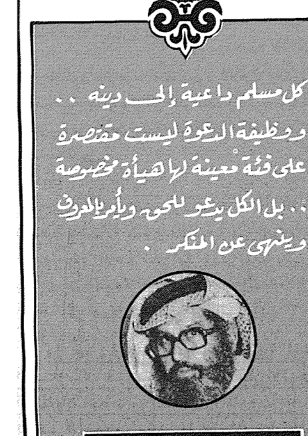
■ كان النبى ﴿ﷺ﴾ يختار الدعاة فمن يتوفر عندهم العلم بالكتاب والسنة ثم البصيرة الاجتهادية هم أهلها وأحق بها ولذلك نجد الرسول يقدم (معاذ بن جبل) نموذجا للدعاية «اعلم امتى بالحلال والحرام معاذ بن جبل».

ثم ان الداعية قدوة يطابق قوله فعله وكان صلى الله عليه وسلم اذا أمر الناس بشىء كان أول الملتزمين به واذا نهى عن فعل كان أول المنتهين عنه. فالنبى أسوة سلوكية يطبق فى ذاته ما أمره الله بتبليغه لقومه ليدلهم على انه بامكانهم التطبيق والكلمة عمرها قصير فى القول اما السلوك فأمده طويل.

الشيخ محمد متولى الشعراوى

منهج الدعوة





قال أبو تراب: قامت الحجج البيّنات على أن بعثة الأنبياء والمرسلين كانت لحاجة البشر اليها . . آمن بذلك العقل كما جاء بمقتضاه النقل فما من نبى ولا مُرْسَل الا وقد قام بوظيفة التبليغ والدعوة الى الله تعالى **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون﴾** ولقد أجمل القرآن وفصل ذكر هذه الدعوة فقال فى دعوة نوح عليه السلام وهو أول الرسل: **﴿لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين، قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾**.

● وقال فى دعوة هود عليه السلام: **﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون، قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين، قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين﴾**.

ومسلك الدعاة في الزمان الغابر

● وقال فى دعوة صالح عليه السلام : ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾.

● وقال فى دعوة شعيب عليه السلام : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾.

وأجمل القرآن دعوة الأنبياء والمرسلين جميعا فقال : ﴿إنّا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا، ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليما، رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما﴾.

وكان لابراهيم عليه السلام ثلاث دعوات احداها المناظرة الخليلية مع أبيه : ﴿واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيا اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا أبت إنى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سويا، يا أبت لا تعبد الشيطان إنَّ الشيطان كان للرحمن عصِيًا، يا أبت إنى أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليّا﴾.

وثانيتها محاجاته مع قومه : ﴿فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون﴾ وفى ذلك يقول القرآن : ﴿وحاجه قومُه قال أتحاجُونّى فى الله وقد هدانِ ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئاً وسع ربى كل شىء علماً أفلا تتذكرون﴾ الى ان قال : ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾.

وهكذا كانت مناظرة الخليل مع جبار قومه وهى الدعوة الثالثة : ﴿ألم تر الى الذى حاجّ إبراهيم فى ربّه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى

وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبُهِتَ الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين﴾.

وقد استعمل الخليل عليه السلام فى مناظراته الثلاث أسلوب المصارحة وأسلوب الاستدراج وأسلوب الاقناع وكان فيه تبكيت لهم مع الزام الحجة فى الدعوة الى الحق.

قال أبو تراب: وكذلك كانت دعوة نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ اتسمت بأدب الوحى ثم انبعثت من المُكتَيَنِ حتى بلغت مبلغها من أقاصى المعمورة، لأنه رسول الله للناس كافة، وفى سبيل نشرها ابتعث عليه الصلاة والسلام البعوث والسرايا وأرسل الرسل والمكاتيب على نطاق واسع وأمر أمراءه أن يبلغوا عنه ويبثوا محاسن الاسلام ويُلقّنوا أهله أن كل أحد مسؤول وكل أحد مكلف بالتحلى بآداب الشريعة السمحة وإشاعتها فى الناس.

فاذا كل مسلم داعية الى دينه واذاً ليست وظيفة الدعوة مقتصرة على فئة معينة لها هيأة مخصوصة بل الكل يدعو للحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فالتاجر اذا قام بالقسط وتزين بالتعامل الحسن وقد عرف الأغيار ان هذا من دينه فقد قام بدعاية الاسلام.. والطبيب اذا أجرى فحوصه ومداواته على مستوجب إخلاصه وأمانته فقد أثّر فى مرضاه وذويهم ولو كانوا من غير ملتة ـ تأثيراً يُنبئهم عن مزايا الدين الحنيف.. وكذلك المزارع والصانع والمعمار والمعلم والمتعلم كل فى حقله اذا قام بواجبه كما يقتضى تعليم الاسلام فقد أعطى للآخرين درساً فى سماحة الشريعة ومحاسنها.. وبذلك يقوم الجميع بوظيفة الدعاية للاسلام والدعوة الى الدين الحنيف.. وكذلك كان سلف هذه الأمة وعلى هذه الحال كانت العامة يتلقون التعاليم الدينية والارشادات الاسلامية من العلماء والفقهاء والخطباء والمبلغين ثم يطبقونها على أنفسهم فى أسرهم ومجتمعهم فتتحصل بصنيعهم هذا دعاية حسنة للاسلام ودعوة صالحة للذين يدعون بها غيرهم للانخراط فى سلكهم فما يلبثون حين يرون هذه المحاسن التى يتحلّى بها المسلمون أن ينضمّوا اليهم ويدخلوا فى دين الله أفراداً وجماعات بفضل هذه الدعوة واتباع هذه الطريقة فى تعميم دعايتها.

قال أبو تراب: ولا شك أن عبء هذه الدعاية العامة مُلْقى على كواهل كافة المسلمين فهم بحكم التكليف الشرعىّ مطالبون بتطبيق تعاليم الاسلام على أنفسهم فاذا فعلوها كان فعلهم أجمل فى الأحدوثه وأزين فى السمعة وأحسن فى الذكر وأطيب فى النشر وأحق بالمدح وأولى بالحمد.. وبذلك هم يجتذبون انتباه أهل المِلَل الاخرى لأخلاق الاسلام لئلا يكون لهم تلبث ولا تريث فى الاسراع فى اللحوق بزمرته وقد رأوا شارتها الحسنة ومنهجها المستقيم وشعاعها المنتشر وفيئها الأمِنَ.

اما الخاصة فتكليفهم متميز فالدعاة من ذوى السلطة أصحاب قوة والدعاة من أهل العلم ورثة الانبياء فبذوى القوى نتأيد وبذوى النباهة والنجابة وحملة العلم والمعرفة نستبين الطريق ونستنير كما فى رواية البيهقى عن ابراهيم بن عبد الرحمن قال عليه الصلاة والسلام : يحمل من هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عن الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

فعبء الدعاية للاسلام على الداعية العالم أكبر من المتعلم الذى ينشر تشريعاته ومحاسنه ويرسخ قواعده وعقائده.. ثم عبء صاحب السلطان أكبر لأنه الجهة المنفذة لقوانين العدالة والحق والطود الأشم الذى يلاذ به لحماية أصول الدين من أن تنثلم ودعائمه أن تنهار.

فاذا كان ذوو القوة أمَدُّوا ذوى المعرفة الحقة بمدد التمكين من قمع الباطل ونصر سنته وخضب شوكة الدُّعّار وكسر أنياب الأشرار فما أسرع ما يُفَلُّ حد الظُّبى وترحض



معرة الأذى وتعود البهجة لأهلها القائمين بالدعوة وتتبدى مدائحهم على كل لهجة فى الأصقاع شرط أن لا يكون الداعية أحمق أهوج بل يكون متفهم الأمور نافذ البصيرة مقيما على السواء سديد العزم ذا خلق فاضل استبانت له الحقيقة.

وقد رسم الله تعالى كيفية الدعوة اليه وخطة الدعاة فى قوله عز وجل **﴿ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن إنَّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾**.. فالحكمة هى سُنَّةُ سيد الخلق عليه الصلاة والسلام الذى أوتى جوامع الكلم فبكلماته المحكمة ينفذ الداعية الى غُلف القلوب يجلو رينها ويزيل صدأها حتى يتبين لها الحق وتنجلى سجوف الشبهات.. والموعظة الحسنة هى قوله الرفيق صلى الله عليه وسلم بالامة يجللها الخشوع والخشية ويكسوها برود التأمل ويفتح قلوبها على الهدى.. والجدل كما علمه الله تعالى فى مواقف العناد وذلك لاطفاء نار الشغب وتسكين لهاب الطغيان وفى هذه الوسائل الثلاث يكمن سر نجاح الداعية المسلم الذى يمتثل لأمر الله فى التزام سبلها وما عليه بعد ذلك الا البلاغ وما هو بهادى العُمْى عن ضلالتهم **﴿إنَّك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾**.

وعلى هذا النهج القويم سار رسول الله ﴿ﷺ﴾ واقتدى به بعده خلفاؤه الراشدون والصحابة رضى الله عنهم ومن تبعهم باحسان حتى ذاعت الدعوة الاسلامية وعمت الحاضر والبادى والدانى والقاصى وتغلغلت كلمة الحق فى النفوس وأثمرت دوحة الاسلام ثمارا يانعة اجتناها بنُوهُ عبر القرون.. قام فيها الدعاة المسلمون بما افترض الله عز وجل عليهم من التبليغ والارشاد فى مختلف صور النشاط الاسلامى والتفكير الدينى خطابةً وكتابةً وتوعيةً على ألوانها وشكولها المتعددة المسنونة.

قال أبو تراب: ومن أمثلة تلك الدعوة المباركة المثمرة ما أورده البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما بعث النبى ﴿ﷺ﴾ معاذا الى اليمن قال له: (انك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم الى أن يوحدوا الله تعالى، فاذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلهم فاذا صلوا فأخبرهم ان الله فرض عليهم زكاة فى أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فاذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم).

■ نعم بهذه الروح الطاهرة والنفس المتضمخة بأريج الأدب السماوى وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الداعية الى الله فاذا بالوجوه تقبل عليه لأن لسانه اللاهج بالحق أيقظ الهمم الراكدة والعزائم الخاملة حين أبصروا طريق السعادة مفتوحاً.. فيه المجد والعزة والسؤدد للمؤمنين ففعلت هذه الروح العظيمة مالا تفعله أية قوة قاهرة فى الارض.

قال أبو تراب: وخذ مثلا آخر من امثلة الدعوة النبوية الى سبل الصلاح والفلاح والنجاة يوم التغابن ذلك هو كتابه صلى الله عليه وسلم الى جَيْفَر وعبد بن الجلندى اميرى عُمان . . أرسله مع عمرو بن العاص أحد دهاة العرب فلما وصل عمرو الى جيفر وعبد بن الجلندى صاحبى عمان سأله ابن الجلندى عما يأمر به محمد وعما ينهى عنه؟ فقال له عمرو: **يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر والصلة وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب . .** فقال ابن الجلندى: ما أحسن هذا الذى يدعو اليه ولو كان أخى - يعنى جيفراً - يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به . . ولكن أخى اضنُّ بمُلْكه من أن يدعهُ ويصير اليه تابعاً فقال له عمرو: إنْ أسلم أخوك ملكهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم فقال ابن الجلندى: ان هذا الخلق حسنٌ . . ثم أوصل ابن الجلندى عمرا الى أخيه جيفر فعرض عليه الاسلام فأسلم وأسلم أخوه ومكنا عمراً من الصدقات فمكث بُعمان الى أن لحق النبى ﴿ﷺ﴾ بالرفيق الأعلى .

فانظر الى الأسلوب الذى اتبعه فى الدعوة وهو مسايرة الفِطَر التى فطر الله الناس عليها من مجانبة الظلم والعدوان وطرح الأوثان وما يتنافى مع الطبيعة كالخمر وما ينبو عن الشيم الفاضلة كالزنا وما ترى الطباع ميّالة اليه كاجتناب الرذائل وإتيان الفضائل وحب البر وصلة الرحم . . فمن هنا قال له الملك ان هذا الخلق . . لحسنٌ فلا بدع أن انقاد هو وأخوه بعد ذلك للدين الذى ارتضاه الله لعباده .

وكذلك كتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى أمير البحرين وقد أرسله مع العلاء بن الحضرمى سلك فيه عليه الصلاة والسلام سبيل اللين وانتخب لابلاغه رجلا ذا حصافة وتعقّل وفصاحة نادرة تظهر أمارا تها فى المحاورة التى تمت بينه وبين المنذر . . ونصُّ كتابه عليه الصلاة والسلام . .

« بسم الله الرحمن الرحيم أسلم أنت فإنّى أحمد اليك الله الذى لا إله الا هو . . اما بعد فان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول . . من أحب ذلك من المجوس فانه آمن ومن أبى فعليه الجزية» .

وتأمّلْ أسلوب الداعية الذى سار بالكتاب كيف توصّل به الى إلقائه فى رُوعه وخاطب به عقله ليجيبه الى الاسلام انه قال له : اعلم يا منذر انك رجل عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغُرنَّ عن الآخرة ان هذه المجوسية شرُّ دين ليس فيها تُكرَمُ العرب ولا أعلم أهل الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه ويأكلون ما يُتكَّرم عن أكله ويعبدون فى الدنيا النار التى تأكلهم يوم القيامة . . ولستَ بعديم عقل ولا رأى فانظر **هل ينبغى لمن لا يكذب فى الدنيا ان لا تصدّقه ولمن لا يخون أن لا تأمنهُ ولمن لا يُخْلفُ أن لا تثق به؟** فإن كان هذا هكذا فهذا هو النبىُّ الأمىُّ الذى والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمربه نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به أو ليْتهُ زاد فى عفوه أو نقص من عقابه إذ كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر اهل النظر.

هذه هى الحكمة وهذه هى الموعظة الحسنة التى امتاز بها العصر الغابر عهد السلف الصالح تفيض بيانا ذا حجة وإقناع ودليل كرائعة النهار . . فلم يكن بدعا أن أجابه للإسلام وبقى على ملكه الى ان مات قبل أن يلحق رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالرفيق الاعلى .

قال أبو تراب: ولسنا هنا فى معرض سَوْق الأمثلة لهذه الدعوة المثلى وهؤلاء الدعاة السادة الذين أناروا للانسانية طريقها الى الفلاح وانما وددنا الالمامة بها فى هذه المقالة المقتضبة العجلى استجابة لرغبة الابن الاستاذ نبيه



المسلمون في زنجبار

يعيش بزنجبار قرابة ٥٠٠ ألف نسمة نصفهم من الشيرازيين وربعهم من العرب والباقى من الأفريقيين ومعظمهم يعمل بالزراعة كحرفة أولى للسكان . .

وتاريخ الاسلام بهذه المنطقة مرتبط بوصول الهجرات العربية والشيرازية الى شرقى أفريقيا فى نهاية القرن الهجرى الأول. ومن أوائل الهجرات هجرة من قبيلة الازد فى سنة ٩٥هـ وهجرة من قبيلة الحارث ثم تلتها هجرات من الشيرازيين . . وهكذا نقلت هذه الهجرات الاسلام الى شرقى أفريقيا فى وقت مبكر وأصبحت زنجبار القطب الرئيسى لانتشار الدعوة الاسلامية فى شرقى أفريقيا مع مرور الزمن وانتقلت منها الى داخل القارة الأفريقية وتأسست امارات اسلامية على طول الساحل الأفريقى من الصومال شمالا الى موزمبيق جنوبا وظهرت دول اسلامية بشرقى أفريقيا منها دولة الزنج وكانت مدينة كلوة عاصمتها .

وعندما ظهر البرتغاليون فى مياه المحيط الهندى بدأت مرحلة من التحدى للمسلمين بشرقى أفريقيا واستولوا على زنجبار وشرقى أفريقيا بعد معارك صليبية دامية وقاوم المسلمون هذا التحدى وقدموا مئات الألوف من الضحايا والشهداء ودام الاحتلال البرتغالى لشرقى أفريقيا قرابة قرنين ونصف بدأت من سنة ٩٠٩هـ .

وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ الاسلام بالمنطقة وذلك عندما تصدت عمان لمقاومة النفوذ البرتغالى بشرقى أفريقيا وخاضت حربا شرسة ضدهم وتمكن العمانيون بقيادة أسرة ال سعيد من تقليص نفوذ البرتغال بشرقى القارة . . وبدأت نقطة تحول فى تاريخ شرقى أفريقيا بقيام سلطنة زنجبار فى عهد السلطان سعيد ونقل عاصمته من عمان الى زنجبار. وقامت أول دولة آسيوية أفريقية وأخذ الاسلام يتوغل مع قوافل التجارة الى داخل القارة الآسيوية وظلت الدولة الاسلامية فى زنجبار تنعم بالاستقرار حتى ظهر الاستعمار الأوربى مرة أخرى بالمنطقة فنفذت السياسة الاستعمارية الى دولة آل سعيد واقتسمت كل من بريطانيا وألمانيا شرقى أفريقيا وكانت زنجبار من نصيب بريطانيا أثر هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى . . آل حكم تنجانيقا المستعمرة الألمانية السابقة الى بريطانيا وتقلص دور زنجبار التاريخى وسيطر الاستعمار على الدولتين مدة تزيد على ٧٥ سنة ثم استقلت تنجانيقا فى سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م ثم استقلت زنجبار فى سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

ومن الملاحظ أن زنجبار تتمتع بأغلبية اسلامية فعدد المسيحيين بها لا يتجاوز ٥٪ ولكن امكانيات البعثات التنصيرية المتفوقة جعلت منهم أقلية تحت سياسة العلمانية التى تتبعها تنزانيا فهناك كنيسة لكل ١٠٠ مسيحى . . وهذا توسع كنسى ليس له ما يبرره فى دولة اسلامية . ولا يتلقى المسلمون فى زنجبار أية مساعدة من الحكومة وذلك بسبب علمانيتها لهذا يعتمدون على جهودهم الذاتية فى تدبير شئون دينهم .

الانصارى نجل الشيخ الراحل صديق العمر الاستاذ الكبير عبد القدوس الانصارى رحمه الله وجمعنا به فى دار النعيم . . والله أسأل ان يسدد خطوات الدعاة النجباء الواعين وعليه التكلان .



أحمد شوقي

كم من غزاة للرسولِ كريمةٍ
فيها رضىً للحق أو إعلاءُ
كانت لجُند الله فيها شدة
فى إثرهَا للعالمينَ رخاء
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها
فعلى الجهالةِ والضلالِ عفاء
دعمُوا على الحرب السلامَ وطالما
حقنت دماء فى الزمانِ دماء

***

الحقُّ عِرضُ الله كلُّ أبيَّةٍ
بين النفوسِ حِمى له وَوِقاء
هل كان حول محمدٍ من قومِهِ
إلا صبيٌّ واحدٌ ونساء؟
فدعا فلبّى فى القبائل عصبةٌ
مُستضعفُونَ قلائلٌ أنضاء
ردُّوا ببأس العزم عنه من الأذى
مالا تَردُّ الصخرة الصمّاء
والحقُّ والايمانُ إن صُبّا على
برد ففيهِ كتيبةٌ خرساء



نسفُوا بناء الشِّركِ فهو خرائبٌ

واستأصلوا الأصنام فهى هباء

يمشون تُغضِى الأرضُ منهم هيبة

وبهم حيال نعيمها إغضاء

حتى إذا فُتِحت لهم أطرافُها

لم يُطْغِهم ترفٌ ولا نعماء

* * *

يا من لهُ عِزُّ الشفاعة وحده

وهُو المنزَّهُ ما له شُفعاء

عرشُ القيامة أنت تحت لوائه

والحوضُ أنت حيالهُ السَّقاء

تروى وتسقى الصالحينَ ثوابهم

والصالحاتُ ذخائرٌ وجزاء

ألمثل هذا ذُقْتَ فى الدنيا الطَّوى

وانشقَّ من خَلَقٍ عليك رِداء؟

لى فى مديحك يا رسولُ عرائسٌ

تُيِّمن فيك وشاقهنَّ جلاء

هُنَّ الحِسَانُ فإن قبلتَ تكرُّماً

فمُهُورُهنَّ شَفَاعةٌ حسناء

أنت الذى نظم البريَّة دينُهُ

ماذا يقولُ وينظمُ الشعراء؟

المصلحونَ أصابعٌ جُمعت يداً

هى أنتَ بل أنتَ اليدُ البيضاء

ما جئت بابك مادحاً بل داعياً

ومن المديح تضرُّعٌ ودعاء

أدعُوك عن قومى الضِّعاف لأزمة

فى مثلها يُلقى عليك رَجاء

أدرى رسولُ الله أنَّ نفوسهُمْ

ركبَتْ هواها والقلوبُ هواء؟

مفكَّكُونَ فما تضمُّ نفوسهم

ثقةٌ ولا جمعَ القلوبَ صفاء

رقدوا وغرَّهُم نعيمٌ باطلٌ

ونعيمُ قومٍ فى القُيُود بلاء

ظلمُوا شريعتك التى نلنا بها

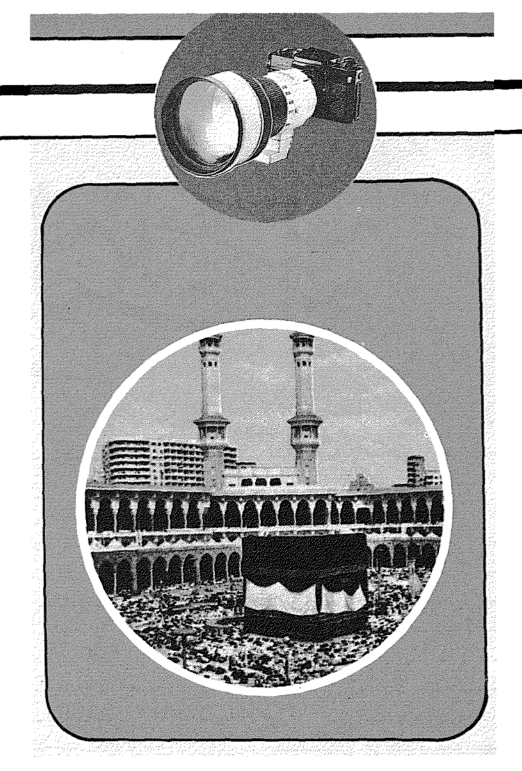
ما لم ينل فى رومةَ الفقهاء

مشتِ الحضارة فى سناها واهتدى

فى الدين والدُّنيا بها السعداء

صلى عليك الله ما صحِبَ الدُّجى

حادٍ وحَنَّت بالفلا وَجْنَاء



نشأة الرابطة وأهدافها

كان تأسيس رابطة العالم الاسلامى أهم قرار أجمع عليه قادة المسلمين وعلماؤهم ومفكروهم فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد بمكة المكرمة فى الرابع عشر من ذى الحجة عام ١٣٨١هـ. . تلك المنظمة العالمية الشعبية. . التى تمثل فيها كافة الشعوب الاسلامية فى العالم.

وتعد الرابطة من الدرجة الاولى فى هيئة الأمم المتحدة ضمن المنظمات غير الحكومية ذات الوضع الاستشارى بالمجلس الاقتصادى والاجتماعى. . كما أنها عضو فى منظمة اليونسكو وفى صندوق الطفل العالمى لهيئة الأمم وعضو مراقب فى منظمة المؤتمر الاسلامى.

تتبلور أهداف المنظمة فى تبليغ دعوة الاسلام وشرح مبادئه وتعاليمه ودفع الشبهات عنه والتصدى للتيارات الهدامة التى يقصد أعداء الاسلام من ورائها فتنة المسلمين عن دينهم وتشتيت شملهم وتمزيق وحدتهم. .



إعداد: قسم التحقيقات بالمجلة

كما يأتى الدفاع عن القضايا الاسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم وحلّ مشاكلهم واحدا من أهم أهداف المنظمة.

اما عن الوسائل التي تحقق بها الرابطة أهدافها فتتمثل في:

● العمل على تحكيم الشريعة الاسلامية فى البلاد الناطقة بالشهادتين.

● الأخذ بمبدأ الشورى عن طريق مؤتمرات لكبار علماء العالم الاسلامى وذلك من أجل انتشار الدعوة الاسلامية.

● الاستفادة الى أبعد مدى ممكن من منافع الحج فى مجال التوعية الاسلامية وإقامة ندوة اسلامية عالمية فى موسم كل حج بمكة المكرمة يساهم فيها علماء العالم الاسلامى الذين يؤدون الفريضة الى جانب تنظيم التعارف بين وفود الحجاج بكل وسيلة ممكنة.

● تشجع الدعاة الاسلاميين فى كافة أنحاء العالم للعمل على نشر الاسلام وتدعيمهم وتجهيزهم بكل الامكانات المادية اللازمة التى



تمكنهم من أداء تلك المهمة المقدسة.

● توزيع المصاحف بقراءتي حفص وورش وتراجم معاني القرآن الكريم باللغات العالمية الحية وتوزيع الكتب والمجلات الاسلامية مجاناً في سبيل تعميم الثقافة الاسلامية ونشر الدعوة بمختلف اللغات الى جانب رفع مستوى النشر عن طريق الصحافة والكتب والوسائل الممكنة باللغات الحية وتشجيع المؤسسات الصحفية الاسلامية التي تخدم الدعوة الاسلامية.

● ابتعاث الوفود الى جميع أقطار العالم الاسلامي والأقطار التي تتواجد فيها الاقليات الاسلامية لدراسة مشاكلهم ومعاونتهم.

● دعم كل المنظمات والمؤسسات الاسلامية ذات الصلة بالرابطة وتنسيق الجهود والعمل الاسلامي معها لخدمة الدعوة الاسلامية.

● نشر التعليم الاسلامي وانشاء المدارس والمعاهد الاسلامية في انحاء الوطن العربي وتشجيع التأليف الاسلامي وشراء الكتب الاسلامية التي تشرح حقائق الاسلام الى جانب العمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب المسلمة.

● العمل على تنقية وسائل الاعلام الاسلامي عموماً مما قد يلصق بها من دعوات غريبة عن روح الاسلام.

مكاتب الرابطة وممثلوها في العالم

تعد مكاتب الرابطة الفرعية المنتشرة في مختلف دول العالم.. الجهاز الاداري الذي يعاون الأمين العام في مهمته خارج مقر الأمانة العامة في المجالات الآتية بخاصة:

●● تنفيذ قرارات الرابطة في البلاد التي يمثلونها والعمل بكل وسيلة ممكنة لتحقيق اهدافها وغاياتها.

●● الاجتماع بالمسلمين في البلاد التي تمثل الرابطة فيها وحل مشاكلهم.

●● الاسهام في بناء المساجد وفي انشاء المكتبات العامة الاسلامية.

●● تنظيم محاضرات وندوات تضم قادة الفكر من علماء البلاد التي تمثل الرابطة محاربة للأمية والالحاد والوثنية والبدع.

هذا.. وتوجد مكاتب الرابطة الفرعية داخل المملكة العربية السعودية في كل من جدة والمدينة المنورة والرياض.

وفي آسيا: في عمان وجاكرتا وكوالالمبور واسلام أباد كراتشي.

وفي افريقية: داكار - نواقشط - ليبرفيل - برازفيل - بورت لويس - مقاديشو.

في أوربا: كوبنهاجن - باريس.

أمريكا: نيويورك وسانت فرنند وترينداد وتوباجو.

الامانة العامة للمجلس الاعلى العالمي للمساجد

انشاؤه: انشىء المجلس الاعلى العالمي للمساجد بناء على قرار صادر من مؤتمر رسالة المسجد الذي عقد بمكة المكرمة في رمضان ١٣٩٥هـ/سبتمبر ١٩٧٥م بدعوة من رابطة العالم الاسلامي.



الشيخ محمد سرور الصبان
١٣٨٢هـ - ١٣٩٠هـ

الشيخ محمد على الحركان
١٣٩٦هـ - ١٤٠٢هـ

ويتكون من:

■ هيئة تأسيسية مكونة من ٢٦ عضواً دائماً.

■ أعضاء مكملين وعددهم ٢٤ عضواً مدة عضويتهم ثلاث سنوات قابلة للتجديد ويمثل الاعضاء ٤٠ شعباً وأقلية إسلامية.

اهداف المجلس:

تمتد اهداف المجلس الاعلى العالمى للمساجد الى: «تكوين رأى اسلامى عام فى مختلف القضايا والموضوعات الاسلامية فى ضوء الكتاب والسنة.. العمل على تأكيد حرية الدعاة الى الله وأئمة المساجد والخطباء فى الدعوة والتبليغ فى اطار القرآن الكريم والسنة.. محاربة الغزو الفكرى والسلوك المنحرف فى حياة المسلمين وبناء الشخصية الاسلامية فكراً وعقيدة وسلوكاً.. حماية المساجد من كل اعتداء يقع عليها أو على ممتلكاتها واعادة المساجد التى حولت عن طبيعتها الى أوضاعها الاصلية كمسجد أيا صوفيا وغيره.. الحفاظ على الاوقاف الاسلامية واسترجاع ما عطل أو صودر فيها وتنميتها.. الدفاع عن حقوق الاقليات الاسلامية فى أداء الشعائر الاسلامية.



ـ جلالة الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز فى المؤتمر الاسلامى العام بمكة المكرمة ١٣٨٤هـ



ـ لقطة من المؤتمر الاسلامى لأمريكا الشمالية

دورات المسجد

يعقد المجلس الاعلى العالمى للمساجد دورة فى شهر ربيع الثانى من كل عام.

نشاطاته

متعددة منها على سبيل المثال: «الدورات التدريبية للأئمة والدعاة وكان انشاء معهد المسجد إعداداً لهذا الغرض ويشارك فى القاء المحاضرات أساتذة متخصصون على اعلى مستوى من مختلف الجامعات الاسلامية من داخل المملكة وخارجها.. كما تصدر الامانة العامة للمجلس مجلة رسالة المسجد التى تهدف الى رفع مستوى الدعاة واطلاعهم على الابحاث القيمة والموضوعات المفيدة.

ايجاد مجالس محلية ومجالس قارية للمساجد فى كل انحاء العالم حتى يتحقق الارتباط الوثيق بين المجلس الاعلى العالمى للمساجد وكل مسجد فى كل بقعة من أنحاء الارض.

ومن أهم الانجازات التى حققتها الامانة العامة فى مجال الدعوة.. تعيين



دعـاة فى انـدونيسيـا وجنـوب افريقيا والبلدان الاوربيـة التى توجـد فيهـا جاليات تركية وتعيين دعاة للمجاهدين الفطانيين واللاجئين الارتريين فى السودان.

مجلس المجمع الفقهى الاسلامى

بتـوجيـه من المجلس التأسيسى للرابطـة قررت الامانة العامة تأسيس مجمـع فقهى يضم جماعـة من العلماء والفقهـاء يتـولـون دراسـة واقع الامة الاسـلامية والمشكلات التى تواجهها وايجاد الحلول الصحيحة على أساس القرآن الكريم والسنة المطهرة والاجماع وبقيـة المصـادر المعتمـدة فى الفقـة الاسـلامـى. ويأتى من الاهـداف «احياء التراث الفقهى ونشره. . ابراز تفـوق الفقـه الاسلامى على جميـع القوانين الوضعية المنتشرة فى العالم. . دراسة جميع ما يواجه العالم من مسائل مستجدة وبيان حكم الشريعة فيها.

هيئات المجمع الفقهى الاسلامى

مجلس المجمع: ويتألف من الرئيس ونـائبه وهو الامين العام لرابطة العالم الاسلامى وعشرين عضواً يتم تعيينهم بالانتخاب.

ادارة المجمـع: وتتألف من مديـر المجمع وعدد من الموظفين.

دوراتـه:

يعقـد مجلس المجمع دورة فى السنـة كما يعقد الاعضاء المقيمون فى المملكة العـربيـة السعـوديـة دورات حسب العادة.

اللجان المنبثقة عن المجمع الفقهى

لجنة المصطلحات الفقهية - لجنة التراث الفقهى - لجنة البحث العلمى - لجنة الصيـاغـة - لجنـة الدراسات المعاصرة - لجنة المكافآت.

قسم الارصـــاد

صدر قرار معالى الامين العام بضم قسم الارصاد الى ادارة المجمع الفقهى الاسـلامى نظـرا لارتبـاط الاعـمال الارصـادية وتحـديد اوقات الصلوات حسب الاهلة بالفقه.

لجنـة التـنسيق العليـا للمنظـمات الاسـلاميـة فى العـالم والمجـالس الاسلامية للتنسيق:

قرر مؤتمـر المنظمات الاسلامية فى العـالم والذى عقد بدعوة من الرابطة بمكة المكرمة فى الرابع عشر من ربيع الاول ١٣٩٤هـ انشـاء لجنـة عليـا للتنسيق فى رابطـة العـالم الاسـلامى تتألف من ثلاثـة ممثلين عن افـريقيـا وآسيا وممثل واحد عن أمريكا الشمالية



- لقطة من مؤتمر رسالة المسجد والذى عقد فى مقر الرابطة سنة



والجنوبية وأوربا واستراليا وواحد عن كل المنظمات الاسلامية العالمية.

وللجنة أن تضم اليها عند الضرورة أعضاء آخرين. ومدة العضوية فيها سنتان قابلتان للتجديد.

كما أن للجنة أن تنشىء فروعاً لها فى مختلف المناطق حينما تكون هناك حاجة لذلك.. كما عليها ان تضع لوائحها بحيث تحدد فيها دورات اجتماعاتها وأسلوب العمل.

ومن أهم صلاحيات اللجنة وضع الخطط للتنسيق بين المنظمات الاسلامية فى البلدان وتعمل كل من اللجنة العليا واللجان المحلية على انجاز الدراسات الاجتماعية الاسلامية بحيث تحصر امكانياتها وتحدد حاجاتها.. ويكون من مهام اللجان المحلية تبادل المعلومات والخبرات وإجراء الدراسات والاحصاءات العلمية لمعرفة واقع المسلمين فى العالم ويدخل فى ذلك انشاء دليل للمنظمات الاسلامية والاتفاق على منهج موحد للتربية الاسلامية لأبناء المسلمين والاتفاق على اعلام اسلامى موحد.

مشروع تكوين هيئة الاغاثة الاسلامية العالمية

تلك الهيئة تعمل على مستوى العالم الاسلامى وبين الجماعات الاسلامية فى العالم عند الحاجة ومقرها الرئيسى يكون مدينة مكة المكرمة كما تنشأ لها فروع اقليمية تغطى مناطق تواجد المسلمين فى العالم.

أهدافها:

■ تقديم الغوث للمسلمين شعوباً وجماعات حيثما وجدوا حين تحل بهم الكوارث فى أنفسهم أو ممتلكاتهم أو عقيدتهم أو حرياتهم.

■ الاسهام فى كل ما يمكن أن يقى المسلمين شر الكوارث ويرفع من مستواهم عموماً بقصد الحفاظ على كياناتهم ووجودهم ودرء لكل ماقد يؤثر على عقيدتهم الاسلامية ويتشكل هيكل الهيئة من الأجهزة التالية: الجمعية العمومية - اللجنة المركزية - اللجنة التنفيذية.

بعض انجازات هيئة الاغاثة

المستوصف الصحى فى نيامى بالنيجر عام ١٣٩٣هـ - المستوصف الصحى فى بنين - داهومى - منظمة الاغاثة الاسلامية/ كوكس بازار بنجلاديش للاجئين البورميين - البعثات الطبية فى موسم الحج - اغاثة اللاجئيين فى الصومال - مساعدة ضحايا الكوارث الطبيعية.

المؤتمرات الاسلامية التى عقدت فى نطاق رابطة العالم الاسلامى

●● المؤتمر الاسلامى الاول - عقد فى مكة المكرمة من ١٤ الى ١٦ من ذى الحجة عام ١٣٨١هـ.

●● المؤتمر الاسلامى الثانى عقد فى مكة المكرمة من ١٥ الى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٨٤هـ.

●● مؤتمر المنظمات الاسلامية فى العالم وعقد من ١٤ الى ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٩٤هـ

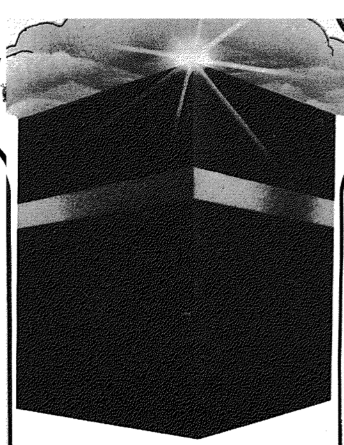
●● مؤتمر رسالة المسجد وعقد فى رحاب البيت العتيق من ١٥ الى ١٨ رمضان سنة ١٣٩٥هـ.

●● المؤتمر الاسلامى الافريقى الاول وعقد فى نواكشوط (عاصمة موريتانيا) فى الفترة من ٤ - ٦ جمادى الاولى ١٣٩٦هـ.

●● مؤتمر وزراء الاوقاف والشئون الاسلامية - عقد فى مكة المكرمة من ٢٢ الى ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩هـ.

●● مؤتمر الدعوة الاسلامية لجنوب شرق آسيا والمحيط الهادى عقد فى الفترة من ٢٣ الى ٢٦ صفر سنة ١٤٠٠هـ وكان الهدف منه هو تنظيم لقاء بين قادة حركات الدعوة الاسلامية فى منطقة جنوب شرقى آسيا والمحيط الهادى لتبادل الرأى والمشورة حول نشر الدعوة الاسلامية فى هذه المنطقة.

●● مؤتمر وزراء الاوقاف والشئون الاسلامية الثانى وعقد من ٢١ الى ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٤٠٠هـ.



نظام الحس

الحسبة نظام إسلامى أصيل يقوم على الدعو
إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وقد أوجب الله تعالى الاحتساب على المسلمين القادرين على ذلك كما دعاهم رسولهم الكريم إلى ذلك.

وقد تناول علماء المسلمين نظام الحسبة بالبحث فى كثير من مؤلفاتهم من حيث مصدر تشريعها ووجوبها وحكمة شرعها وأركانها وشروطها وآدابها. وتكلموا عن ولاية الحسبة وتمييزها عن ولايتى القضاء والمظالم.. واختصاصات والى الحسبة.



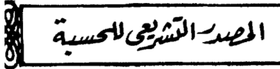
للحسبة تأثير بيّن فى الأخلاق العامة والتربية الهادفة والسلوك المجتمعى السليم.. فعلى مثلها من الوظائف والنظم قامت الحضارة العربية الإسلامية.



عبد الرحيم بن سلامة
الرباط

تعريف الحسبة

يعرف الماوردى الحسبة بأنها: **«أمر بالمعروف اذا ظهر تركه.. ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله»**



المصدر التشريعي للحسبة

مصدر الحسبة مستمد من القرآن الكريم ومن السُّنة النبوية الشريفة.

...بة في الاسلام

فيقول الله تعالى فى كتابه الحكيم: ﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعُون الى الخير ويأمُرُون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾.. كما يقول تعالى: ﴿كُنتُم خيرَ أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾. ويقول تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضُهُمْ أولياء بعض يأمُرُون بالمعروف وينهون عن المنكر ويُقِيمُون الصلاة ويؤتون الزكاة ويُطيعُون الله ورسُوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيزٌ حكيم﴾.. وفى نفس السورة يقول تعالى: ﴿التائبُون العابدُون الحامدُون السائحُون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾.

وقد لعن الله من يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتوعدهم بالعذاب الاليم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لُعِن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾. وقوله تعالى: ﴿ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾.

أما السُنَّة النبوية فاننا نجد عدة احاديث شريفة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر من ذلك قوله عليه السلام: «لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم». وقوله صلى الله عليه وسلم «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه.. وذلك أضعف الايمان». كما قال عليه السلام: «ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه».

الحكمة من وجوب الحسبة

ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو مضمون الرسالات التى أتى بها الانبياء ليقيموا العدل والسلام والأمن فى المجتمعات وبغيره يستشرى الفساد وتضطرب الأحوال وتشيع الضلالة بين الناس.

وجوب الحسبة

ان الحسبة واجب على كل مسلم. فعلى كل مؤمن أن يدعو إلى المعروف وينهى عن المنكر مادام يقدر على ذلك.

أركان الحسبة وشروطها

يذكر الامام الغزالى ان للحسبة اركاناً اربعة هى: **المحتسب.. والمحتسب عليه.. والمحتسب فيه.. ونفس الاحتساب.**

فالمحتسب هو من يتولى الحسبة أى يتولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. والمحتسب عليه هو من يرتكب المنكر الذى تلزمه الحسبة.. والمحتسب فيه هو موضوع الحسبة وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. ونفس الاحتساب يشمل وسائل الحسبة أى وسائل دفع المنكر كما يشمل أيضا آداب الاحتساب.

ويشترط العلماء أن تتوفر فى المحتسب شروط لابد منها ليتولى احتساب آداب الاحتساب.

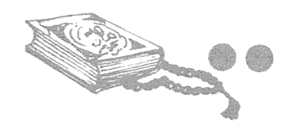
ان آداب الاحتساب يمكن ردها الى ثلاث صفات يجب أن يتحلى بها المحتسب هى: «العلم.. والورع.. وحسن الخلق».

ولاية الحسبة في الإسلام

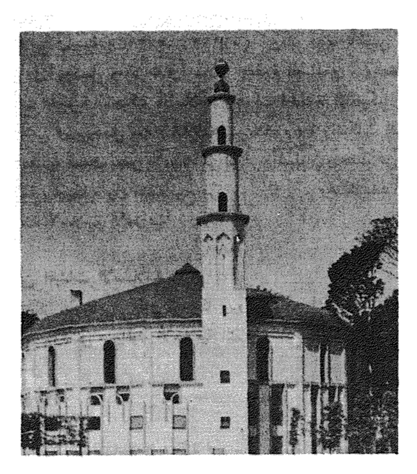
كان للحسبة شأن كبير فى صدر الاسلام فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقوم بها بنفسه كما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتولاها بنفسه فى المدينة وفى مكة وفى مواسم الحج. فكان اذا رأى منكراً يزيله ويعتبر أول من وضع نظام الحسبة

أما تسمية «الحسبة» فلم تعرف الا فى العصر العباسى حيث اتسعت الدولة الاسلامية وترامت أطرافها وزاد فيها النشاط الصناعى والتجارى فوجدت وظيفة خاصة لوالى الحسبة يعين فيها بأمر من الخليفة أو أمير المؤمنين.. وهكذا وجدت وظيفة المحتسب فى دول المشرق والمغرب والاندلس.

فكان المحتسب يلازم الاسواق فى كل وقت ويكشف الحوانيت والطرقات ويتفقد الموازين والارطال والاطعمة والمصنوعات الحرفية على غفلة من اصحابها فى الليل والنهار فيعاقب كل من تسول له نفسه أن يغش أو يحتكر.



هذه هى الحسبة التى نرى أن لها تأثيرا بيِّناً فى الاخلاق العامة والتربية الهادفة والسلوك المجتمعى السليم فعلى مثلها من الوظائف والنظم قامت الحضارة العربية الاسلامية ومن خلالها تحققت مصلحة الأمة بمجموعها افراداً وجماعات.. لأن فيها نظام الفطرة السليمة الذى اراده لنا الخالق مصداقا لقوله تعالى: **﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾**.

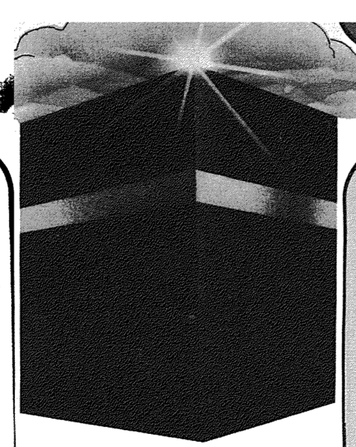




المركز الاسلامي في بروكسل

تكون المجلس الاسلامى فى بلجيكا ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م كان هدفه تأسيس مسجد جامع فى بروكسل ومركز ثقافى اسلامى ومقبرة للمسلمين. . اعترفت الحكومة البلجيكية بالمجلس فى ١٣٨٨-١٩٦٨ وتشكلت له لجنة تنفيذية ضمت بعض الاعضاء من السفراء المسلمين واعضاء من الجالية المسلمة فى بلجيكا. . أقيم المركز الاسلامى فى الحديقة الخمسينية فى قلب بروكسل وعلى مقربة من مبانى المقر العام للسوق الاوربية المشتركة. . استلم ارض المركز المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز وافتتحه المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز فى ١٣٩٨هـ وحضر الافتتاح الملك (بودوان) ملك بلجكا.

يتكون المركز من أربعة طوابق. . يشمل مدرسة ـ قاعة للاجتماعات والمناسبات الاجتماعية. . قاعة للسيدات ومسجداً صغيراً. . ادارة للدراسات الاسلامية ـ مختبراً لتعليم اللغات ـ مكتبة. . المسجد يُعَدّ من أبدع المساجد الاسلامية فى اوربا معماراً. . وبجوار مبنى المركز مبنى آخر أهداه ملك بلجيكا الى جلالة الملك خالد ليكون متحفاً اسلاميا. . وتضم مدينة بروكسل (المجلس القارى للمساجد) وعدد المسلمين فى بلجيكا (٢٠٠,٠٠٠).



الدعوة



الأمة بحاجة «اليوم» إلى داعية مقتدٍ كريم .. على جانب من الخلق والدين .. بيّن الهدف .. واضح المسار .



فضيلة الشيخ
صالح بن سعد اللحيدان
وكيل الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وصحبه وسلم أما بعد:

فإن الكتابة عن الدعوة والدعاة أراه من واقع الحال لأمر مهم يأتى إذ يأتى فى مقدمة المقدمات.. ذلك أن الدعوة هى الطريق الذى سلكه رسل الله وأنبياؤه منذ نوح عليه السلام. ولا جرم فانها سبيل قويم لاقرار المعتقد وبيان المنهج السليم الذى يجب أن يسلكه الانسان فى الحياة. ولا شك أن الدعوة مسؤولية عظمي إذ هى المسلك بين الداعى ومن يدعوه ونحن نجد.. دون جدل.. فى سورة هود والانعام والاعراف وطه والانبياء والقصص كيف سلك.. الرسل.. هذا المسلك العظيم فقاموا خير قيام وأتمه بأعباء الدعوة الى الله.. إننا فى معالجة فهم نصوص الوحي المنزل كما فى سورة «الانبياء» مثلا نقف على ايجابيات دعوة ابراهيم من الناحية الاقرارية والعلمية المهيبة. كذلك الحال من الناحية الجدلية المبنية على عظم الثقة فى النفس حيث العلم المكين والايمان الراسخ نقرأ إذاً.

﴿ولقد آتينا إبراهيم رُشْدَه من قبل وكُنّا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها

مسؤولية عظمى

عاكفـون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . . قال بل ربكم ربُّ السمواتِ والأرض الـذى فطـرهُـنَّ وأنـا على ذلـكُـمْ من الشّاهدين . . وتالله لأكيدنَّ أصنامكُمْ بعد أن تُولُّوا مُدبرين . . ﴾ إلى ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرُهُم هذا فسئلُوهُم إنْ كانُوا ينطقُـون . . فرجعُـوا إلي أنفسِهِمْ فقالُوا إنَّكُمْ أنتُم الظَّالمون . . ثُمَّ نكسُوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقـون . قال أفتعبـدُون من دُون الله مالا ينفعكُمْ شيئاً ولا يضرُكُمْ . أُفٍّ لكُمْ ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلُون﴾ . (الانبياء إلى آية ٧٢)

ولا يعتري المطلع على هذا الجدل الحامى بين ابراهيم عليه السلام وقومه شك فى أن الإيجابية المنهجية برزت كأقوى ما تكون حينما لزمت القوم الحجة فعمدوا الى العذاب والتنكيل بابراهيم كما هى القصة فى السورة المذكورة تواً.

ولا ريب عند التحليل الأخير فى حقيقة الدعوة لدى رسـل الله وأتباعهم أن متطلبات الدعوة لازم كمال الوعى وسبق التصور الصحيح وعلى هذا يكون قول الله تعالى : ﴿الله اعلم حيث يجعل رسالته﴾ . موجباً للازم القـول فى سلك الـدعوة أولا وأخيراً وأن هذا المسلك يحتاج الى ما ذكرنا .

وحتى تتضح الصورة فإن الداعى أو الداعية إلى الله يتطلب منه واقعه فى هذا الحين وكل حين أن يقف على حقيقـة منهج الـدعـوة وصـاحبهـا فى شريعة الاسلام وذلك لكى يدرك الداعية المتحمل لها على التقييد أو الاطلاق كيف كان محمد ﴿ﷺ﴾ على - أى كيفية - كان خلقاً وخلقاً .

هنا يُستطـاع القول ولا جرم بأن ما كان عليه هذا الرسول الكريم يجب أن يُعلم ويوقف عليه : جاء فى البخارى ومسلم وعند الترمذى فى الشمائل وورد فى إبن هشام : هذه الصفات لتبين ما كان عليه . يقول علي بن أبى طالب رضى الله عنه : «لم يكن (أى النبى عليه السلام) بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد . . كان ربعـة من القـوم ولم يكن بالجعـد القطـط ولا بالسبـط . . كان جعـداً رجلا ولم يكن بالمطهم ولا

بالمكلثم . . وكان فى الوجه تدوير أبيض مشرب . . أدعــج العينـين أهـدب الاشفـار جليـل المشـاش يتقلع» . . الخ .

وقالت أم معبد الخزاعية فى صفة النبى ﴿ﷺ﴾ «إنه ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه تجلة . ولم تزربـه صعلة وسيم، قسيم، فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف وفى صوته صحل وفى عنقه سطع أحور اكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر إذا صمت علاه الوقار . . وإذا تكلم علاه البهاء . . الخ .

ووصفه هند أبى هالة وكان وصافاً قال: كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ متواصل الاحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة . . طويل السكت لا يتكلم فى غير حاجة . . يفتتــح الكـلام ويختتمـه باسم الله تعـالى ويتكلم بجــوامــع الكلم . . كلامـه فصــل لا فضـول ولا تقصير . ليس بالجافى ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم منها شيئاً» . . الخ .

هـذا هو خاتم الأنبيـاء والـرسل ـ خلقاً وخلقاً . . كاملها جداً على ما جاء فى كتاب الله ﴿**وانك لعلى خلق عظيم**﴾ شق الحياة بمفرده يتيماً غير واجد لشىء الا ايمانه بربه الذى حفظه ورعاه ووفقه وإلا كمال خلقه القويم على ما جبله الله عليه منها .

ومن هذا الحيث المهم ندرك كيف تكون الدعوة ومن ثم كيف يمكن للداعية أن يكون؟

ليس مثل «اليوم» الأمة بحاجة الى داعية مقتد كريم على جانب من الخلق والـدين بينّ الهـدف واضح المسار . . وما أظن شيئاً يكون سلبياً فى الـداعيـة والـدعوة معاً إلا أن يكون الداعية بعيداً عن واقعه غير مقتد بنبيه صلى الله عليه وسلم .

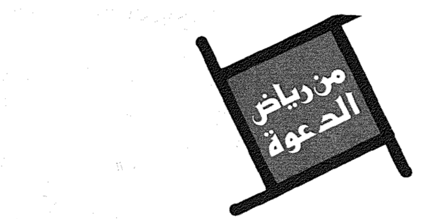


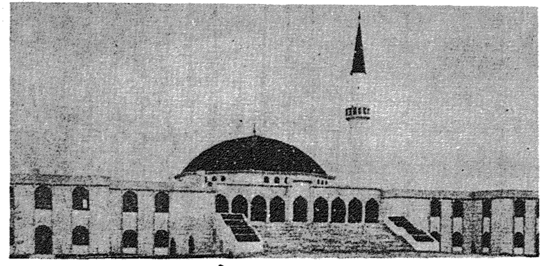
■ المراكز الاسلامية فى الخارج تقوم بالمهمة التى نشأت من اجلها . . ولكن هل تقوم بهذه المهمة كما يجب وكما نحب؟ هذا يحتـاج الى متـابعـة المراكز والاشراف الكامل عليها فالمسلمون فى حاجة الى وعى وفكر وسماحة فكر فى نشر الدعوة الاسلامية . . ولابد ان يفهم المسلمون ان الاسلام هو السماحة واليسر وأن الاسلام هو الذى يدعو الى تيسير الحياة على الناس ويشمل بتوصياته وتعليماته كل نواحى الحياة .

ومن هنا على المسلمين أن يعرفوا هذا تماما وأن يتعصبوا لأفكـارهم ويخلصـوا ويتحمسـوا لها . . وبعـد ذلك تأتى الدعوة فى الخارج بلغة الناس الموجودين هناك وما يتناسب مع عقليتهم وطريقة فهمهم للحياة .

وللأسف الشـديد فان المسلمين مع كثرة تراثهم فان الكثير من الدول لم تأخذ الدعوة فيها حقها . . ويأتى بعد ذلك مشكلة ترجمة الكتب التى تعلن عن الاسلام والسيرة . اذ يجب ان تعتمد الدعوة على الكتب المؤلفة بلغات مختلفة مع التيسير على من يشتريها باللغات الأوروبية أو الآسيوية أو الافريقية .

(د. عبد المنعم النمر)
وزير الاوقاف والشئون الاسلامية سابقا مصر



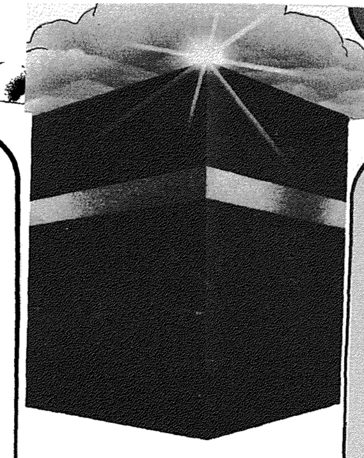


المركز الإسلامي في فيينا (النمسا)

أقامته المملكة العربية السعودية على حسابها الخاص خدمة للمسلمين هناك وليكون شعلة مضيئة بنور الاسلام وافتتح رسمياً فى اول محرم سنة ١٤٠٠هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩م. . اقيم احتفال رسمى لافتتاحه حضره رئيس جمهورية النمسا ومستشار النمسا وعمدة فينا ومثل المملكة معالى الدكتور عبد العزيز الخويطر. . وقال رئيس النمسا **«إن هذا المركز يمثل اثراء للحياة فى النمسا»** وقال مستشارها (إنذاك) برونوكرايسكى: **«ان افتتاح هذا المركز الاسلامى فى النمسا يعد خطوة للامام فى تطوير النمسا كمركز دولى. . يضم المركز مسجداً كبيرا ومدرسة إسلامية وجمعية لتحفيظ القرآن الكريم. . وجمعية (الخدمات الاسلامية) فى فينا التى باشرت إنشاء هذا المركز تصدر مجلة (الصراط المستقيم) بالألمانية واليوغسلافية والتركية. . وعدد المسلمين فى النمسا يقدر باكثر من (٥٠) ألف مسلم.**

وحينما اذكر الداعية هنا فانما مرادى كمال هذه الصفة ولو بقدر. . فان الدعوة تحتاج الى سعة الأفق وبُعد النظر وصدق اليقين ولزوم الوحى حرفاً بحرف.

وكذلك القول فيما يخص التقوى وسلام النفس. . وهنا نقف على إدراك معنى الايجابية والسلبية فى الدعوة الى الاسلام فى هذا الحين وكل حين.



الأمر بالمعروف



«والذى نفسى بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثمّ لتدعنّه فلا يستجيب لكم»

صدق رسول الله



عمر حافظ عاصى
جامعة الأزهر

لقد اقتضت إرادة الله تعالى أن يوجد بين أفراد المجتمع تفاوت فى فهم الدين.. فمنهم من يسوء فهمه للدين فهو يحتاج الى إقناع.. ومنهم من يفهم ولكنه ينسى فهو يحتاج الى تذكير.. ومنهم من ينحرف فهو يحتاج الى تقويم.

لذلك فقد شرع الله تعالى مبدأ إسلامياً هاماً ألا وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فجعله واجباً من أعظم الواجبات الدينية.. قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران: ١٠٤).

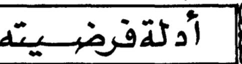
وجعله أيضاً من أهم أسباب أفضلية الأمة الاسلامية على غيرها من الأمم فقال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾. (آل عمران ١١٠).

وأخبر الله تعالى أنه صفة من صفات المؤمنين ودعامة من أهم دعامات مجتمع الايمان فقال ـ عز من قائل: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾. (التوبة: ٧١).

كما اهتمت السنة النبوية الشريفة بهذا المبدأ اهتماماً كبيراً

لنهى عن المنكر فرضية وعاقبة تركه

فكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قدوة للآخذ به . . ومن ثم فقد أكد على القيام به تأكيداً شديداً فقال ﴿ﷺ﴾ : «والذى نفسى بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم» رواه الترمذى وحسَّنه .



ويستدل على فرضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالكتاب والسُّنَّة والاجماع . . أما الكتاب فقد قال الله تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران : ١٠٤) .

وأما السُّنَّة فعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله تعالى عنه - قال : سمعت رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . . فإن لم يستطع فبلسانه . . فإن لم يستطع فبقلبه . . وذلك أضعف الايمان» . . (رواه مسلم) .

هل هو فرض كفاية أم فرض عين؟

ذهب فريق من العلماء الى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية . . وذهب بعضهم الى أنه فرض عين .

ومذهب الجمهور أنه فرض كفاية لأن هناك أدلة تؤيد ذلك . . ومن تلك الأدلة أن مهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تحتاج الى أناس يعلمون حقيقة ما يأمرون به وما ينهون عنه . . ولا شك أن هذا يحتاج الى دراسة واعية وفهم عميق لمسائل الدين وليس ذلك فى مقدور كل الناس ، ويؤيد هذا الدليل قوله تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ . (آل عمران : ١٠٤) .

قال أبو حيان فى كتابه : «البحر المحيط» . . «والظاهر أن قوله «منكم» يدل على التبعيض» . وقاله الضحاك والطبرى : لأن الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يصلح إلا لمن علم المعروف والمنكر . . وكيف يرتب الأمر فى إقامته وكيف يباشر . فإن الجاهل ربما أمر بمنكر ونهى عن معروف وربما عرف حكماً فى مذهبه مخالفاً لمذهب غيره فينهى عن غير منكر ويأمر بغير معروف . . وقد يغلظ فى مواضع اللين وبالعكس . . فعلى هذا تكون «من» للتبعيض ويكون متعلق الأمر ببعض الأمة وهم الذين يصلحون لذلك .

إلا أنه ينبغى علينا أن نعرف أن تغيير المنكر بواسطة القلب فرض عين على الجميع لأنه فى مقدور كل الناس واستطاعتهم إذ أن معناه : كراهية المنكر وكراهية فاعله

كراهية من القلب.

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيـده فإن لم يستطـع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان». رواه مسلم فى صحيحه.

قال ابن تيميـة: «فأما القلب فيجب بكل حال إذ لا ضرر فى فعله ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن كما قال النبى ﴿ﷺ﴾.. وذلك أدنى أو أضعف الايمان، وقال: ليس وراء ذلـك من الايـمان حبة خردل» وقيل لابن مسعود - رضى الله عنه - من ميت الأحياء؟ فقال: الذى لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً».

عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

إن الله - تعالى - حينما فرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكـر فرضـه لمصلحة العبـاد فجعـل فيـه أمنهم واستقرارهم.. فإذا ما أهملوا ذلك حل الخوف محل الأمان وساد الاضطراب وكان فى ذلك هلاك الأمة. ولقد صور رسول الله ﴿ﷺ﴾ هذه العاقبة أحسن تصوير حين قال: «مثـل القـائم على حدود الله والـواقـع فيهـا كمثل قوم استهمـوا على سفينـة فصـار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أننا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا». رواه البخارى ومسلم.

وهكذا نجد أن الهلاك هو عاقبة عدم الأخذ على أيدى الشذاذ والمفسدين الذين لا يحسنون التصرفات فيسيئون فى العمل ويتحللون من الخلق.

ولقـد كان ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو السبب فى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم.

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له: يا هذا اتقِ الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو حاله فلا يمنعه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: **﴿لُعِنَ الـذين كفـروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ إلى قولـه ﴿فـاسقون»﴾** (المائدة: ٧٨-٨٠)، ثم قال: «كـلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظـالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضرب الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم» (رواه أبو داود).

وبترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تشيع الفاحشة فى الناس.. وتنتشر الرذيلة بينهم انتشار النار فى الهشيم.. وبذلك تعانى الأمة من كثير من الأزمات فى كل مجالات الحيـاة - من سياسة واقتصاد وتعليم وصحة وغير ذلك. وذلك لأن الفساد حينئذ لا يجد من يقاومه والظلم لا يجد من يقف فى وجهـه ويضـع له حداً فينطلق أهـل الظلم والفساد يعربدون ويخربون ويستعبدون دون أدنى مبالاة.

يقول الامام الغزالى فى كتابه: «إحياء علوم الدين»:

«إن الأمـر بالمعـروف والنهى عن المنكـر هو القطب الأعظـم فى الـدين وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعـين. ولو طوى بساطه وأهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفتنة.. وفشت الضلالة وشـاعت الجهـالـة.. واستشـرى الفسـاد واتسع الخرق وخـربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التّناد - وقد كان الذى خفنا أن يكون.. إنا لله وإنا إليه راجعون إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه.. وانمحق بالكليـة حقيقته ورسمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق.. واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم.. وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لائم

فمن سعى فى تلافى هذه الفتنة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمرا فى إحيائها . . كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها» .

متى يترك هذا الواجب

هناك حالات يباح للمرء فيها أن يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن هذه الحالات ما يأتى :

(١) إذا علم الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر عدم قبول أمره ونهيه والانتفاع بها فحينئذ يلتزم بأمر نفسه فقط .

ونستدل على صدق ذلك بما ورد عن ثعلبة الخشنى أنه قيل له : كيف تقول لى هذه الآية : ﴿**عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾

قال : سألت عنها خبيراً . . أما والله سألت رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال : بل ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام» . (رواه أبو داود وابن ماجة والترمذى) .

(٢) إذا آلت الأمور الى غير أهلها وساء حال الأمة ووصل إلى درجة من الفساد لا يجدى معها أمر ولا نهى .

فعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : «سأل رجل رسول الله ـ ﴿ﷺ﴾ ـ فقال : يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟ فقال : إذا ظهر فيكم ما ظهر فى الأمم قبلكم قلنا : يارسول الله : وما ظهر فى الأمم قبلنا؟ . . قال : «**الملك فى صغاركم والفاحشة فى كباركم والعلم فى رذالكم**» (**رواه ابن ماجه**) .

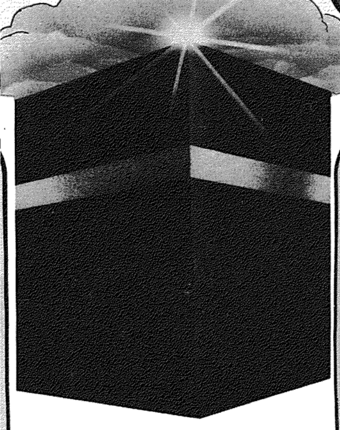
وختاما :

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحافظين لحدوده .

من رياض الدعوة

■ ما يحز فى النفس ان يعمل بعض أبناء المسلمين على تحطيم أجنحة الصحوة الاسلامية وتكبيلها بقيود الاختلاف غير المنضبط حول ما يستحق وما لا يستحق الامر الذى شغل المسلمين بانفسهم وبدد الكثير من طاقاتهم وخلط امامهم الاشياء خلطا عجيبا جعلهم لا يفرقون بين الهنات والهينات وعظائم الامور وبين يسيرها وجليلها فكيف يمكن لقوم هذا شأنهم ان يعالجوا قضاياهم حسب اهميتها وان يرتبوا الامور بشكل يجعلهم قادرين على استئناف مسيرة الحياة الاسلامية .

د. طه جابر فياض العلوانى
جامعة الامام محمد بن سعود
«الرياض»



الوسيلة

كل من يدعو الى فكرة أو مبدأ يحتاج الى وسائل كثيرة معنوية وحسية ليقنع الناس بقبول دعوته والتصديق بفكرته.

والاسلام دين الله اختاره الله لعباده ورضيه لهم ويسره فجعله دين الفطرة..

فالدعوة الى هذا الدين تختلف عن غيرها فلها سماتها وقواعدها وأصولها وطرقها الواضحة البينة.

ويمكن ان نورد هنا بعض هذه الخصوصيات:

أولا: أن من يدعو للاسلام فهو يدعو لدين الله فليس للداعى هدف يخصه أو فائدة تعود عليه هو سوى الأجر من الله سبحانه وتعالى.. وهذه ميزة للاسلام لا يشاركه فيها أى دعوة لفكرة او مبدأ.

ثانيا: رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الداعى الأول للاسلام وهو البشير النذير المبعوث رحمة للعالمين الذى انقذ الله به هذه الامة من الضلال



أى مسلم يريد أن يدعو الى دين الله فإنه وارث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا العلم والعمل.. فعليه أن يتبع نهج الرسول فى عمله وقوله وطريقته وخلقه إذا أراد أن يقبل منه المدعوون.



فضيلة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند
وزارة التعليم العالى - الرياض

النا جحة للداعية

واخرجها من الظلمات الى النور. . بلَّغَ عن ربه فأدى الأمانة ونصح الامة ودلها على الخير وحذرها من الشر. ففتح الله به قلوباً غُلْفا واعيناً عمياً وآذاناً صما. . وقد اتصف بصفات رباه الله عليها وميزه بها فكان مثلا ساميا لكل داعٍ بعده:

● ـ فقد أنزل الله عليه الوحى فكان لا ينطق عن الهوى وهذه صفة العلم التى يجب ان توجد فى الداعية.

● ـ **الصبر**. . وهذه صفة لرسول الله ﴿ﷺ﴾ القدر الأكبر منها. فقد اذاه قومه وسبوه ووضعوا القاذورات عليه ووقفوا فى طريقه وطردوه وادموا عقبه. ومع ذلك صبر فى سبيل الله حتى نصره الله.

● ـ **حسن الخلق والتسامح**. . والله عز وجل يقول فى خلق نبيه صلوات الله وسلامه عليه **﴿وانك لعلى خُلق عظيم﴾ ﴿لقد جاءكُم رسُولٌ من انفسِكُمْ عزيزٌ عليه ما عنتمْ حريصٌ عليكُمْ بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيم﴾** فكان يعامل المدعوين بهذا الخلق النبيل ويسامحهم ويقبل منهم عذرهم ويعفو عن مسيئهم ويجامل كبيرهم ويعطف على صغيرهم ويحسن الى ضعيفهم. .

● ـ **التيسير والبعد عن التعسير:**

فقد جاء اليه رجل يطلب منه ان يمد يده ليبايعه على الاسلام فقال: إنى اشترط أن يغفر الله لى ما عملت من الذنوب. . فتبسم رسول الله ﴿ﷺ﴾ وقال: (**أما علمت أن الاسلام يجُبُّ ما قبله**) فانشرح صدر هذا الرجل واسلم وحَسُنَ اسلامه.

وهو يقول ايضا: (**إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبهُ فيسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة.**)

● ـ **الوضوح والاختصار**. . دخل على رسول الله ﴿ﷺ﴾ رجل ولم يتكلم فقال له رسول الله ﴿ﷺ﴾ (جئت تسأل عن البر. . البر ما اطمأنت اليه النفس والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس).

● ـ **إختيار المناسبة**. . يقول اصحاب رسول الله

﴿ﷺ﴾ (كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يتخللنا بالموعظة) يعنى لا يداوم عليهم وينتهز فرصة انتباههم ورغبتهم فيها وقبولهم حتى لا يملوا.

● ـ **العمل والتطبيق**.. رسول الله ﴿ﷺ﴾ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع ذلك قام حتى تفطرت قدماه.. وكان يعمل بكل صغيرة وكبيرة من الدين قبل ان يأمر بها أحدا.

وهذا عامل مهم فى قبول الدعوة وفى نجاحها..

هذه بعض صفات رسول الله ﴿ﷺ﴾ وطريقته فى ابلاغ رسالته والدعوة اليها. وقد تبعه فى ذلك صحابته رضوان الله عليهم فكانوا يعملون بسُنتّه.. ثم يدعون اليها بقولهم وفعلهم ففتح الله بهم الأمصار وانتشر الاسلام وشاع العلم وعمَّ الاسلام الشرق والغرب.

وامثلة ذلك كثيرة يعرفها من له أدنى دراية فى سيرهم رضى الله عنهم وجزاهم عن الاسلام خير الجزاء..

وبعد ذلك فإن اى مسلم يريد ان يدعو الى دين الله فإنه وارث عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ هذا العلم والعمل فعليه ان يتبع نهج رسول الله فى عمله وقوله وطريقته وخلقه إذا اراد ان يقبل منه المدعوون.

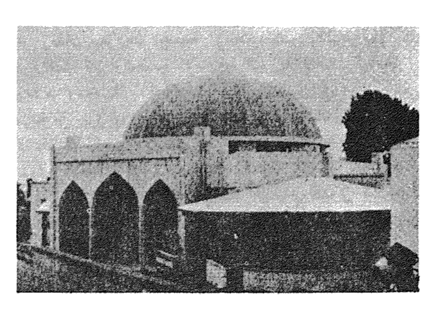
وهذا أمر ليس فيه صعوبة ولا تعقيد إذا علمنا أن الاسلام انتشر فى شرقى آسيا وافريقيا بواسطة مسلمين تجار ذهبوا الى هناك لطلب الرزق ولم يكونوا متخصصين للدعوة او منتدبين لها وانما كانوا مسلمين حقاً. يعملون بدينهم بكل مكان وفى كل الأحوال. فإذا حان وقت الصلاة اوقفوا اعمالهم وسارعوا الى الآذان ثم الصلاة بخشوع وهدوء.. ثم عادوا الى اعمالهم نشيطين مسرورين.. وإذا حدَّثوا صدقوا وإذا باعوا اخلصوا ولم يغشوا وتسامحوا واذا خلوا الى انفسهم لم يغيروا سيرتهم ولم يخالف باطنهم ظاهرهم فقبل منهم الناس هذا الدين وعملوا به وفضلوه على ما كان عندهم من دين.

ومن هذا نأخذ مبدأ مُهماً يجب ان يتمثل به الداعى وهو القدوة الحسنة..

وهنا نصل الى حقيقة ثابتة وهى ان الداعى يجب ان يتمثل بهذه الأخلاق لنفسه اولا وقبل ان يدعو احداً اليها.. وثانيا يسلك أحسن الطرق لايصالها للناس.

ولا شك فى ان الناس سيقبلون منه ما يدعو اليه ولن يجد فى مهمته صعوبة تُذْكَر إذا صدق الله من نفسه وعلم ان ذلك فى سبيله سبحانه وتعالى.. اما اذا اعتبر الدعوة الى الله وظيفة من الوظائف ساقته اليها الصدفة وسيهتبلها ليحصل على الأجر المادى وبعض الأجر المعنوى فلن يقبل منه ولن تستجاب دعوته ولو كان ابلغ الناس واقواهم حجة وانصعهم بياناً.

والله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وهو حسبنا ونعم الوكيل..





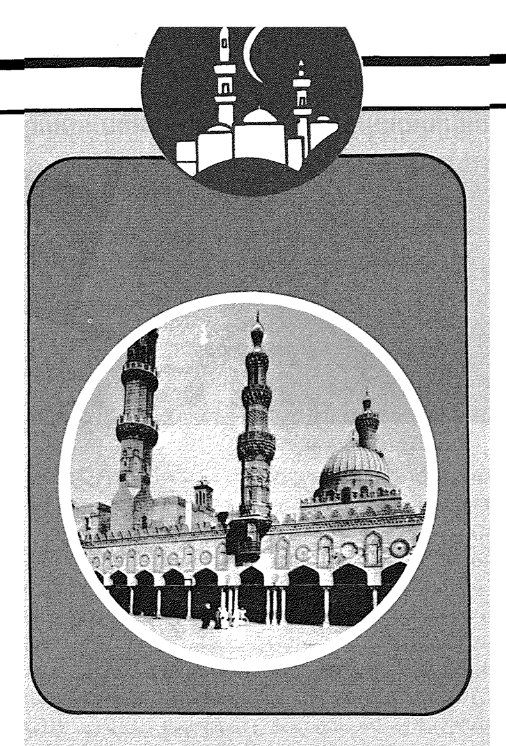
الإسلام في نيوزيلاند

تتكون نيوزيلاند من (٩) ولايات تشمل جزيرتين كبيرتين احداهما فى شمال الاخرى وعددا من الجزر الصغيرة. . وقد تم اتحادها فى سنة ١٣٢٨هـ/١٩٠٧م. . وتبلغ مساحة نيوزيلاند (٢٦٩ر٠٠٠ كم) ويبلغ عدد سكانها (٣ر١٧٠ر٠٠٠) حسب تقديرات عام ١٩٨١م وعاصمتها ولنجتن واكبر مدنها اوكلاند. . تقع نيوزيلاند فى الطرف الجنوبى الغربى للمحيط الهادى وفى الجنوب الشرقى من استراليا. ومناخها ينتمى الى النوع المعتدل الجزرى وهى غنية بالغابات. . هذا بالاضافة الى ثروات عشبية تغطى مساحات كبيرة ومعظم النيوزيلانديين يهتمون بالرعى عوضا عن الزراعة مع انه يتوفر فى بلادهم مساحات واسعة يمكن زراعتها واستغلالها.

وصل الاسلام الى نيوزيلاند حديثا وبالتحديد قبل حوالى ثلاثة عشرة سنة وقد بدأت الهجرة الفعلية للمسلمين اليها بعد عام ١٣٩٠هـ. . ووصل عددهم حوالى (٣) الاف نسمة. . وصلوها فى هجرات من جنوب شرقى آسيا ولا سيما من جزر فيجى ونشطوا فى الدعوة واسلم عدد من النيوزيلانديين من اصل اوروبى. . ويكثر عدد المسلمين بصفة خاصة فى ٣ مدن هى: «اوكلاند ولنجتون وكريست تشرشى. . ومعظم المسلمين من الطبقات الكادحة والقليل منهم فنييون.

وللجالية المسلمة نشاطات عدة إذ يوجد مركز اسلامى فى مدينة اوكلاند وفرع فى مدينة ولنجتن عاصمة نيوزلاند وللمركز نشاطه فى تشكيل الجمعيات الخيرية وفى بناء المساجد وتعليمهم قواعد الاسلام.

وقد وضع الحجر الاساسى لبناء مسجد جديد فى مدينة أوكلاند فى منتصف عام ١٣٩٩هـ ويضم مقراً للمركز وقاعات للمناسبات الدينية والاجتماعية. وتساهم المملكة العربية السعودية ممثلة فى رابطة العالم الاسلامى فى تحمل جزء كبير من نفقات اقامة واستمرارية هذا المركز. . وتتمثل مشكلات المسلمين نيوزيلاند فى نقص المعلمين وقلة المدارس الاسلامية والحاجة الى وعاظ يجيدون اللغة الانجليزية وكذلك لكتب الاسلامية المترجمة. . واتمام مشروع المركز الاسلامى بمدينة اوكلاند.



كان الأزهـر منـذ نشأ فى النصف الثـانى من القـرن الرابع الهجرى معهـدا للدراسة ومركزا للدعوة . . يقـوم بها وينهض بأعبائها فى اطار المذهب الفاطمى .

وكـان أشهـر علمائـه فى هذه الفترة القـاضى النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور ابن احمد بن حيون التميمى المغربى المتوفى سنة ٣٦٣هـ .

ثم ابنـه قاضى القضـاة أبـو الحسن على بن النعمان القيروانى المتـوفى سنة ٣٧٤هـ . . ثم الوزير يعقـوب بن كلس المتـوفى سنـة ٣٨٠هـ . . وكـان وزيرا للمعز ثم لولده العزيز من بعده .

وفى النصف الثـانى من القـرن السادس الهجرى تخلص الأزهر من المسحـة الفـاطمية ـ على عهـد

الأزهر والدعوة

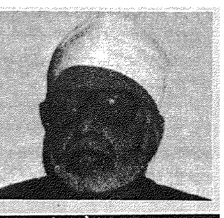
صلاح الدين الأيوبى ـ وتحول الى معهد سنى يشتغل بالدرس وينهض للدعـوة فى ظل مذاهـب أهـل السنة. . ثم بقى الأزهر على هذا النهج حتى الآن.

وكانت الـدعوة فى مفهـوم الأزهر عملا واسع الأفاق رحب المجالات فهى تشمـل الـدرس والتعليم. . والفتـوى والتـذكـير. . والأمـر بالمعـروف والنهى عن المنكـر. . وتبصير الناس بمناحى العمل الخير واذكاء الروح الاسلامية فى نفوس المسلمين. وقيادة المجتمع قيادة تلتزم منهج الاسلام.

وكـان الأزهر ولا يزال موئل العلماء المسـلمـين من مختـلف بقـاع الأرض. . ومجتمع الأصداء لما يقع من أحداث فى أطراف العالم الاسلامى.

وكان العلماء ينهضون لكل ما يقع أو يلمّ بالمسلمين فيبصّرون الناس بما ينبغى أن يفعلوه تجاه الأحداث.

وهذا هو أوضح أعمال الدعوة وبخاصة اذا نزلت المِحَن أو ظهر الفساد.



سماحة الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق

وإننا لنذكر من الأحداث التى ألّمت بالعالم الاسلامى ونهض لها الأزهر حادثـين جليـلين هما: حادث الصليبيين. وحـادث التـار حين أغارت جيوش الفريقين على قلب العالم الاسلامى.

ولقد كان من آثار هذين الحادثين المؤثرين فى واقع العالم الاسلامى فى ذلك الوقت أن آلت علوم المشرق وعلوم المغرب الى الأزهر. . ورحل اليه الكثيرون من العلماء يحملون فى صدورهـم ما ورثـوه من علوم الاسـلام والعـربيـة بل ومن تراث الـنهضـة العلمية العبـاسيـة والأنـدلسية. واحتوى الأزهر كل هذه العلوم ونقّاهـا وجلاها ونمّاها بكـل أنـواع المعـرفـة فأثـرى حياة الناس وأفادهم فى دينهم ودنياهم.



ثم كان الأزهر آنذاك ناهضا بالدعوة الى الله والاخلاص لدينه.. موقظا للهمم تجاه هذه المحن العامة.. داعيا للجهاد.. مذكيا لروح الايمان والصبر والمقاومة حتى استطاعت مصر أن تحشد قواها وأن تتصدى لرد تلك الهجمات الشرسة ضد الاسلام والمسلمين ليكون لها النصر والغلب على الصليبيين والتتار معا.

لقد كان علماء الأزهر دعاة وكانوا قدوة للناس فى موقفهم إزاء الأخطار.

وكانوا أئمة متقين تنفذ كلماتهم الى أعماق القلوب وأطراف المجتمعات الاسلامية. وإننا لنذكر من جهابذة الأزهر وعلمائه الفضلاء الذين جهروا بالدعوة ونفروا فى سبيل الله لا يخافون فى الله لومة لائم شيخ الاسلام وسلطان العلماء «عز الدين ابن عبد السلام».. وشيخ الاسلام «تقى الدين أحمد بن تيمية».. «وابن دقيق العيد» الفقيه المتمكن من علوم الشريعة.. و«البلقينى.. والسبكى. والمنذرى.. والحافظ العراقى.. وابن حجر العسقلانى.. والمناوى.. والقاضى عبد الوهاب المالكى.. وابن الحاجب وابن قتيبة وابن خلدون.. والقرطبى والزيلعى وابن الصائغ والعينى وابن الهمام.. والبهوتى وابن العماد.. وموفق الدين المقدسى.. والشرقاوى والدردير.. والخطيب الشربينى.. وابن هشام المصرى وابن عقيل.. وغير هؤلاء مئين ومئين على مر الأجيال ممن أنفقوا أعمارهم خدمة لدين الله وقدموا الكثير فى علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ وعلوم العربية، وغيرها من الدراسات الاسلامية.

لقد كان من مهام الدعوة حفظ تراث الاسلام، ولقد عكف علماء الأزهر وجهابذته على هذا التراث حفظا وتحلية. وقدموه للناس نقيا زكيا فى كتب عظيمة بقيت وستظل مرجع الدراسة الاسلامية فى أقطار الأرض.

ومن ثم كانت رسالة الأزهر دعوة عالمية تربط بين جماعات المسلمين باعتبارها أمة واحدة تجمعها أخوة الاسلام.

وهذا بذاته عمل أصيل من أعمال الدعوة الى سبيل الله.. فضلا عن أن أبناء الأزهر وعلماءه خرجوا الى آفاق العالم الاسلامى روادا يحملون رسالة العلم فى كل مكان منذ نشأ الأزهر وحتى الآن.

ولقد جاء عصرنا الحاضر وكان الأزهر قد قوى واشتد وأصبحت له جامعة تضم تسعا وثلاثين كلية. يمدها بالطلاب معاهد أزهرية مختلفة المراحل تزيد على ألف وأربعمائة معهداً تستوعب آلاف الطلاب ومن أُولى مهامها العناية بحفظ القرآن.

جامعة تخدم هذه المؤسسات فى المجالات الدينية وتتعمق آفاق المعرفة والعلوم من طب وصيدلة وهندسة وزراعة وتجارة ـ وغيرها.

وكان الهدف من تحديث الأزهر وتجديد منهجه فى جامعته أن يكون من أبناء الأزهر أطباء.. وصيادلة ومهندسون.. واقتصاديون.. وعلماء فى مختلف فروع العلم العملية والدراسات الانسانية.. وهم على وعى ـ فى نفس الوقت ـ بالمعارف والدراسات الاسلامية فيعملون فى مجال العلم والدعوة معا ويجمعون أطراف العمل الاسلامى تطبيقا ودعوة.

ولقد عهد القانون الجديد الى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر أن يتابع ما يكتب عن الاسلام وثقافته.

فينهض لرد المطاعن عن الاسلام وتصحيح المفاهيم التى ينشرها المغرضون. ثم يديم الاتصال بكافة الهيئات والطوائف والمعاهد والمجامع العلمية والثقافية للتنسيق بينها فى مجال الدعوة. وفى مجالات الدراسة والكتابة والنّشر. وليجرى التشاور بينها فى مناحى العمل الاسلامى.

إن الأزهر لا يزال على منهجه الأول يستقبل أبناء المسلمين وبناتهم من كافة الشعوب والأقطار فى أعداد وفيرة بلغت اليوم بضعة آلاف يواصلون الدراسة فى كافة مراحلها بالمعاهد والكليات على منح دراسية.

ولا يتوانى الأزهر عن إيفاد علمائه الى المسلمين فى كافة الأقطار يُبصّرون الناس ويرشدونهم وينشرون العلوم الاسلامية العربية بينهم.. وقد بلغ عدد مبعوثيه لهذا العام أربعة آلاف وخمسمائة مبعوث يقومون بأعباء الدعوة والتعليم.

وإننا لنأمل للأزهر ولأشقائه من معاهد العلم الاسلامى أن تنهض لمثل ما نهض له من قبل فى تاريخه الطويل فتدفع عن العالم الاسلامى غوائل الهجمة الشرسة التى تحملها تيارات الفساد والعلمانية والالحاد ـ التى تهدد كيان الأمة الاسلامية.. والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

من رياض الدعوة

«د. عبد الهادى بوطالب»
أمين عام المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم

■■ ان الاسلام يعانى اليوم مشاكل شتى من بينها مشاكل خُلِقَتْ له عن قصد واخرى نُسِبَت اليه بمكر ليتمكن المتربصون من نعته بغير نعوته. وتقديم معتنقيه فى صورة منحرفة وحتى مشوهة يرسمونها له لتبدو الصورة باهتة او قاتمة وحتى مرعبة.

وأرى أن هناك ثلاث قوات تعترض طريق المد الاسلامى هى :

اولا : القوات المناوئة للاسلام حضاريا وتاريخيا والتى حاربته بوجه مكشوف ايام الروم وبعدها السلاح الخطير الذى تستعمله هذه الفئة وهو رسم صورة زائفة عن الاسلام والمسلمين وترسيخ هذه الصورة فى العقول والضمائر.

ثانيا : القوة التى تأتى من داخل الجماعة الاسلامية نفسها واعنى بها قوة الجمود والتّزمت التى لا تحد نفسها بحدود والتى تتجافى عن التوسط والاعتدال فتحجر الاسلام وتحبسه فى المنعرجات الضيقة ان لم تسلك به المتاهات التى لا تخرج منها.. وما كان الاسلام ابدا متحجرا او منكمشا على نفسه او منزويا فى رقعته أو غافلا عما يجرى حوله سواء اكان قريبا او بعيدا.

ثالثا : القوة الثالثة التى تعترض انتشار الاسلام وصموده هى تلك التى تفهم الاسلام على حقيقته وتعى ابعاده لكنها استعملت فى دعوتها اسلوبا مغايرا لاساليب العصر مباينا لمناهج الترغيب والتشويق والتحبيب.

هذا فى رأيى واقع الاسلام اليوم وهو بالتالى وبالضرورة واقع المسلمين.



الجامع الأزهر

إعـداد
محمد سيد علي الدين

احتفل العالم الاسلامى عام ١٩٦٩م بمناسبة مرور ألف سنة على إنشاء الأزهر أقدم جامعات العالم الاسلامية.. منبر الدين والشريعة السمحاء وانفقه الاسلامى ومنارة العلم والعرفان.. وصفه الشاعر احمد شوقى بقوله:

قم فى فم الـدنيا وحىّ الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا
يا معهـدا أفنى القـرونَ جدارُه
وطوى الليالى ركْنُه والأعْصُرا
ومشى على يبس المشـارق نوره
وأضـاء أبيض لجّهـا والأحمـرا

بدأ بعشرات من المتعلمين وأصبح اليوم يضم اكثر من نصف مليون طالب فى جميع مراحل التعليم المتوسط والعالى.. لم تخل مدينة أو قرية فى مصر وفى كثير من بلدان افريقيا وآسيا من معاهد ومدارس وكليات تابعة له.. إنه بحق الحصن الكبير للدعوة والمقصد الأول للعلوم الاسلامية والعربية.. وزادت اهمية الأزهر فى القرون الوسطى حيث كان قبلة الطلاب وأهل التقى والورع.. يأتون إليه من أقاصى البلاد وفاق المعهد الازهرى جميع المدارس الاسلامية فى شتى البقاع.. ومن اسباب ازدهاره ما ترتب على غزوات المغول من خراب وتدمير خارج مصر وكذلك انقراض الحضارة العربية فى الأندلس ووقوع الأزهر فى مكان يتوسط العالم الاسلامى وقربه من الحجاز وما كان لمصر فى هذه الفترة من رواج اقتصادى وصبغة عربية هامة وأيضا امتداد القارة الافريقية وما كان لوادى النيل من ثقافة قديمة العهد تركت فيه بذوراً صالحة لنمو العلوم والآداب وأصبح بحق ملجأ اللاجئين يؤمونه من خارج مصر من افريقيا وروسيا ومن اقاصى الهند ومراكش.

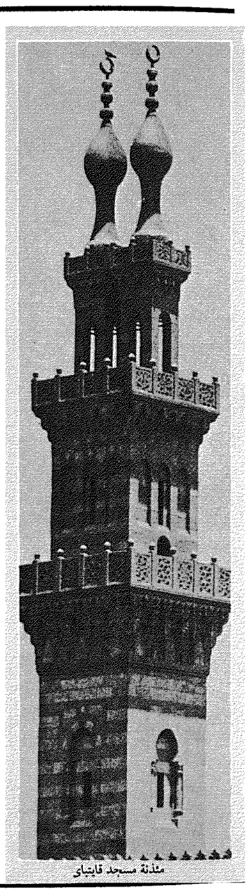
نشأة الأزهر

أسس الجامع الازهر «جوهر الكاتب الصقلى» قائد المعز لدين الله الفاطمى فى جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ واتم بنايته فى رمضان ٣٦١هـ حيث فتح للصلاة.. وقد بنى على مقربة من القصر الكبير - فى الجنوب الشرقى منه - الذى كان موجوداً بين حى الديلم وهو الترك.. وتمثلت رسالته فى الابيات التى نقشت على مدخله الرئيسى «باب المزينين» المطل على ميدان الأزهر - حالياً - وجاء فيها:

إن للعلم أزهـراً يتسـامى
كسماء ما طاولتهـا سماء
حين وافـاه ذا البنـاء ولـولا
منّة الله ما أقيـم البنـاء
ربّ إن الهـدى هداك وآيـا
تك نور تهدى به من تشـاء

الأزهر عبر التاريخ

يروى ان البناء الأول للمسجد كان به صور طيور منقوشة على رأس ثلاثة أعمدة حتى لا يسكنه الطير ولا يفرخ فيه.. وكان وقت إنشائه مكوناً من ثلاثه ايوانات حول الصحن اكبرها


مئذنة مسجد قايتباى

٨٤٤هـ كما جدد (الطواشى بشير الجامدار الناصرى) بناء المسجد وزاد فيه ورتب فيه مصحفاً وجعل له قارئاً ورتب للفقراء طعاماً يطبخ لهم كما رتب درساً للفقهاء.. وفى عام ٨٠٠هـ سقطت منارة الجامع فشيدها السلطان (برقوق) وأنشأ صهريجا للمياه وشيد سبيلا وأقام ميضأة.. كما اعتنى (قايتباى) بالمسجد رعاية بالغة فكان له الفضل فى إقامة منشآت للفقراء والعلماء وأتم ذلك عام ٩٠٠هـ وجاء إيوان القبلة الذى كان يتكون من خمسة أروقة ويقطع الايوان الرئيسى «مجاز» مرتفع عمودى على القبلة وقد تتابعت عليه الزيادات فزاد العزيز (نزار) به وجعله معهداً علمياً وانشأ به ملجأ للايتام والفقراء كما أنشأ (العامر) فيه محراباً وحلاه بالنقوش الخشبية وزاد (المستنصر) و(الحافظ) فى بناء المسجد.. وتغير الحال فى عهد الأيوبيين حيث حاولوا محو كل أثر للفاطميين ومنع فيه الصلاة والخطبة وانقضى نحو قرن من الزمان وجاء الظاهر بيبرس عام ٦٦٥هـ وزاد فى بنائه وشجع العلم والتعليم فيه واعاد إليه الصلاة والخطبة.

وفى عام ٧٠٢هـ ضربت الزلازل المسجد فتولى عمارته الأمير (سلار) على يد محتسب القاهرة «محمد بن حسن الاسعردى» عام ٧٢٥هـ وقد شيدت فى هذا العصر ثلاثة مدارس حوله أدخلت فيما بعد فيه وهى مدرسة الأمير «علاء الدين طيبرس» ٧٠٩هـ ومدرسة الأمير «آقبغا عبد الواحد» ٧٤٠هـ ومدرسة «جوهر القنقباى» (قانصوه الغورى) آخر المماليك وبنى المئذنة ذات البرجين عام ٩٠٦هـ ولم يستمر حال الأزهر على ذلك.. فقد افل نجمه قليلا فى العهد العثمانى إلا من الزاوية التى اقيمت لصلاة المكفوفين والتى كانت تسمى زاوية العميان التى بناها (عثمان كتخدا القزد وغلى) عام ١١٤٨هـ وجاء (عبد الرحمن كتخدا) وبنى المقصورة وأحسن فى تأسيسها وأقام قبلة للصلاة ومنبراً للخطابة وأنشأ مدرسة لتعليم الايتام وعمل صهريجاً للمياه وتم وصل المبانى الجديدة المحيطة بالأزهر - ومنها المدارس الثلاثة التى اشرنا اليها - وأدخلت فى المسجد وأصبحت جزءاً منه عام ١٢٢٠هـ.

وفى عام ١٣١٠هـ قام ديوان الاوقاف بتجديد صحن الأزهر وما بدائرته من البانكات ودربزينات المقصورة القديمة وأصلح باب المزينين وطرقته والمدرسة الطيبرسية والاقبغاوية.. وفى عام ١٣١٤هـ انشئت فى المدرستين المذكورتين دار الكتب الأزهرية وفى عام ١٣١٥هـ احتفل بافتتاح الباب العباسى والرواق العباسى - وشمل التجديد جميع الاروقة التى سنتحدث عنها - وأمر (الخديوى عباس حلمى) بهدم مئذنة (عبد الرحمن كتخدا) وبنى رواقه وقاعة للصلاة كان يدرس فيها الامام (محمد عبده) وفى عام ١٣٩٢هـ أعيد بناء السور من ناحية الميضأة ليبرز الجامع متخلصاً من جميع البنايات الملصقة به من الناحية الشمالية الشرقية



والتى تعرف الآن بالادارة العامة للمعاهد الأزهرية وفرض تجديد الأزهر فى القرن العشرين تشييد بنايات مستقلة حتى يخرج التعليم من قاعات الجامع نفسه.

ففى عام ١٩٣٠هـ صدر قرار بفصل الكليات الثلاث الأولى للتعليم العالى عن مبنى الأزهر فى حى الدرّاسة وفى عام ١٩٣٥م تم بناء مراكز الخدمات العامة بين ميدان الأزهر وميدان الحسين ثم تم تشييد ثلاثة بنايات للمعاهد فى الدور الأول والدور الثانوى وللخدمات الصحية مع مستوصف ومنامة..

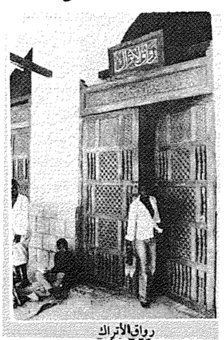
وفى عام ١٩٥٠م تم المدرج الكبير والمحتوى على (٤٠٠٠) مقعدا وتم بناء كلية الشريعة.. وفى السنة التالية تم بناء كلية اللغة العربية.. وفى عام ١٩٦١م انتقلت كلية أصول الدين من محلة شبرا الى البناية بجوار رفيقاتها..

وفى عام ١٩٥٤م تم بناء حاضرة جامعية لطلاب الأزهر الاجانب وسميت «مدينة البحوث الاسلامية».. وفى عام ١٩٦١م صدر قانون الجامعة الازهرية الجديد القاضى بانشاء الكليات الجديدة فى مدينة نصر ونقلت إليه كلية البنات عام ١٩٦٧م بعد ان ظلت مدة فى المعادى وتم انشاء مستشفى الحسين الجامعى التابع لكلية طب الأزهر فى حى الدراسة وباشر عمله عام ١٩٦٨م وتوالت المنشآت الجامعية والمعاهد الثانوية سواء أكان فى القاهرة ام فى مدن الارياف وفى مدن مصر الكبرى.

أروقة الجامع الأزهر وحاراته وأبوابه

يعتبر الأزهر مسجداً جامعاً.. مركز صلاة ولكنه فى الوقت نفسه مركز اجتماع طبيعى للمؤمنين ولا سيما أثناء الكوارث والأحداث الكبرى كالأوبئة والمجاعات والحروب يجتمع الناس فيه لقراءة القرآن وسماع الاحاديث وللتداول فى شؤون المسلمين الطارئة.

وقد بلغ من رواد الأروقة وبعض علماء الأزهر أن أصبحوا من حماته أو شفعائه وكانوا ينتمون الى جميع طبقات المجتمع وقد كان لهم مآثر لا تنسى ابان الازمات الوطنية الكبرى والاعتداءات الأجنبية مثلما حدث زمن الثورة على جيش (بونابرت) سنة ١٢١٣هـ. وقد كان الأزهر مركز تجمع شعبى واندفاع حماسى فى حرب فلسطين الاولى ١٩٤٨م وفى عمل الفدائيين ضد الانجليز فى قضية قناة السويس وفى العدوان الثلاثى.

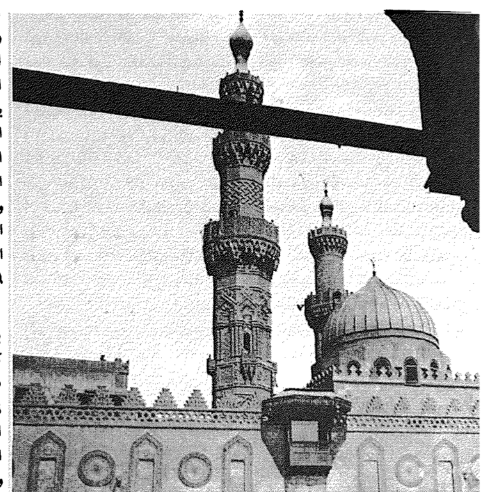


رواق الأتراك

أما نظام الاروقة فقد استمر مدة طويلة فكان الطلاب يوزعون بالنسبة الى مواطنهم كل فريق منهم يضمه رواق يحمل لقب بلده فهناك ٣١ رواق نذكر منهم على سبيل المثال.. رواق الترك.. رواق المغاربة.. رواق الشوام.. رواق الصعايدة.. رواق الكرد.. ولابد من الاشاره الى أحدث الاروقة واكبرها الذى بنى فى عهد الخديو عباس حلمى - الذى كان أول طبيب للأزهر.

وتبلغ حارات الأزهر ثلاث عشرة حارة وهى حارة البيجومية والعفيفى والزراقنة والبشاشة والسليمانية والجيزاوية والدكة والمنبر والممشى والنفاورة والزهار والواطية والشنوانية والمناصرة وكان لكل حارة شيخ ونقيب وخزان ومجاورون ولكل من هؤلاء مرتبات ثابتة.

وبالازهر ستة حمامات بها مغاطس وثلاث ميضات الأولى الميضأة الكبيرة وقد أبدلت فسقيتها بحنفيات والثانية ميضأة الطيبرسية وقد اندرست معالمها والثالثة ميضأة زاوية العميان وبه ايضا ستة صهاريج للمياه أربعة فى صحن المسجد والخامس فى رواق الصعايدة.. واما الصهريج السادس فكان تجاه باب المغاربة.. وبالازهر ثلاثة عشرة محرابا وذلك بالاضافة الى المحاريب الموجودة بالمدارس الملحقة بالجامع.. وللجامع الأزهر تسعة أبواب أهمها الباب الرئيسى المعروف باسم باب المزينين الذى انشأه قايتباى والثانى الباب العباسى والثالث باب المغاربة وباب الشوام وباب الصعايدة



منظر عام للجامع الأزهر

وباب الحرمين وباب الشوربة وباب الجوهرية أما الباب التاسع فهو باب الميضأة.

التعليم فى الأزهر قديما وحديثا

أقيمت أول حلقة درس بالجامع الازهر عام ٣٦٥هـ حيث جلس قاضى القضاة (أبو الحسن ابن النعمان) وقرأ مختصر ابيه فى الفقه.. ويعتبر الوزير (يعقوب بن كلسى) أول من فكر فى اتخاذ الجامع الازهر معهداً للدراسة المنتظمة المستقرة فاستأذن (الخليفة العزيز) بالله سنة ٣٧٨هـ أن يعين بالأزهر جماعة من العلماء والفقهاء للقراءة والدرس يعقدون مجالسهم بعد صلاة الجمعة وكان عددهم وقتذاك سبعة وثلاثين فقيها.. ورتب لهم ارزاقا شهرية وجرايات وأنشأ لهم داراً للسكان بجوار الأزهر.. ومع بداية العهد الفاطمى ظهر تنافس شديد الوطأة للأزهر وهى دار الحكمة التى انشأها الخليفة الحاكم ورغم ان لكلا المعهدين رسالته الخاصة ـ حيث كان الأزهر مركزاً للثقافة الدينية المحضة أما دار الحكمة فكانت تجمع بين العلوم العقلية «الطب والرياضيات والمنطق والفلسفة» وقليل من العلوم النقلية إلا انها أثرت عليه فكانت تجذب اليها الطلاب والأساتذة.. وكان للأزهر يومها عدة امتيازات الى جانب مكانته العلمية الخاصة فقد كان مقراً لقاضى القضاه وفيه مركز المحتسب وبه يعقد الكثير من المجالس الخلافية والقضائية وكان مقصدا لكثير من العلماء البارزين الذين يفدون الى مصر أمثال عبد اللطيف البغدادى الذى وفد سنة ٥٨٩هـ..

وفى عهد الدولة الايوبية بدىء بانشاء المدارس فى مصر على غرار ما كان ببغداد والشام وقد أنشأ الناصر صلاح الدين المدرسة الناصرية سنة ٥٦٦هـ والمدرسة القمحية التى تولى التدريس فيها ابن خلدون وتوالى انشاء المدارس على ايدى السلاطين والامراء وكثر عددها وكان لها الأثر الطيب فى سيرة الازهر.. إلا انها كانت تمتاز عليه بجدتها ووفرة اوقاتها الدراسية واستئثارها برعاية السلاطين والأفراد الامر الذى جعل الازهر يمر بحالة من الركود.. إلا انه كان يضم العدد الاكبر من الطلاب نظراً لاتساع مجال الدراسة فيه وتنويعها فقد أخذ بتدريس العلوم العقلية بجانب العلوم الشرعية ولكن بصورة خفيفة وهو الأمر الذى لم يكن ميسوراً فى المدارس التى اقتصرت على تدريس العلوم العقلية.. وكان للأزهر فى ذاك الوقت سابقة فضل فى الاستئثار بالطلاب الوافدين من خارج مصر وقد بلغت الحركة العلمية فى مصر الاسلامية



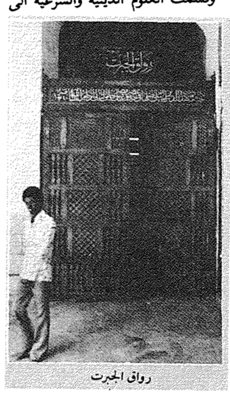
ذروتها من التقدم والازدهار فى أواخر القرن الثامن واوائل القرن التاسع الهجريين . . وتبوأ الأزهر نوعاً من الزعامة الفكرية والثقافية الاسلامية منذ ان عفت معاهد بغداد وقرطبة وغدا كعبة الاساتذة والطلاب فى سائر انحاء العالم الاسلامى عامة وكان الاكابر من علمائه يتمتعون بالجاه والنفوذ ويشغلون وظائف القضاء العليا ويستأثرون بمراكز التوجيه والارشاد الى درجة التأثير فى سياسة الدولة ومصاير العرش والسلطان . .

وعرفت هذه الفترة بالعصر الذهبى للأزهر من حيث الانتاج العلمى وحفظ التراث ومع زوال دولة المماليك وبزوغ الغزوالعثمانى سنة ٩٢١هـ اخذت الحركة الادبية والثقافية والاسلامية فى الاضمحلال والركود واختفى من حلقات الأزهر كثير من العلوم العقلية حتى كاد يكتفى بالعلوم الشرعية «النقلية» إلا انه استطاع ان يؤثر بمكانته وماضيه التالد وهيبته القديمة فى النفوس على الغزاة أنفسهم فنجدهم يجلونه مكانة خاصة ويحاولون استغلال علمائه وغدا الازهر من جديد ملاذاً أخيراً لعلوم الدين والفقه والحديث واللغة ومعقلا حصينا يدرأ عنها عادية التدهور . . واستطاع حماية تراثه ومخطوطاته الاسلامية نحو ثلاثة قرون حتى انقضى العصر التركى بمحنه وظلماته وهذه أعظم رسالة يؤديها الأزهر خلال تاريخه

وحاول (محمد على) ان يقيم بناءاً جديداً للحكم مسترشداً فى ذلك بالافكار الأوروبية وأصيب الأزهر بخيبة أمل فقد كان رواده يجهلون العالم الغربى وعلومه وما فيه ويتمسكون بالقديم أشد تمسك فتعارض ذلك مع نزعة الحاكم الجديد الذى كان يفكر فى الحاضر والمستقبل ولا يعبأ بالماضى فاضطرت الحكومة إلى الاستيلاء على جميع أملاك الازهر على الرغم من ان هذه الممتلكات كانت وقفا لا يجوز التصرف فيها . . وأضر ذلك العمل بالطلاب والاساتذة اكبر الضرر . .

وفى عام ١٨٢٦م أنشأ محمد على البعثة العلمية فى باريس واختار لها طائفة من انجب طلاب الجامع الأزهر ليتلقوا العلم على اساليب جديدة ـ كانت مهملة تماما فى الازهر وأصبحت طريق الوصول الى المنصب والشهرة والتقدم ـ جعلت شيئاً من الحياة يدب فى الركود الذى اصاب التعليم فى الأزهر وأخذ الجيل الجديد ينهل من المصنفات الاوروبية ويترجمها وكانت فى الغالب باللغة الفرنسية . . ولكن المصطلحات العلمية التى كانت معروفة لم تكن تكفى لنقل الكتب الأوروبية فاضطر المحدثون الى نحت الفاظ جديدة وابتكار اسلوب عصرى هزىء به الازهريون وسخروا منه حتى أنهم كانوا يعتبرون كل من عاد من البعثة متكلفاً وظل الحال على ذلك عهوداً أضرت بالازهر ضرراً بليغا الى جانب إنشاء المدارس الخصوصية . وفى عهد (اسماعيل) لقى الأزهر شيئاً من العناية حيث تقرر اصلاح الأزهر اصلاحاً يتفق والآراء الجديدة وأعانه على ذلك شيخ الأزهر فى ذاك الوقت الشيخ «محمد العباس المهدى» .

وفى عام ١٨٧١هـ أصدر (اسماعيل) قانونا جديداً قصد به رفع مستوى الاساتذة والمجاورين وأراد الشيخ (المهدى) ان يبعد عن الأزهر كل العناصر التى لا تتميز بالكفاءة والجدارة وقرر رواتب ثابتة للمدرسين وقرر أيضا اداء الامتحان عند التخرج وقد تألفت لذلك لجنة من ستة اعضاء وعينت المواد التى يجب اداء الامتحان فيها وتقرر للطلاب مكافاءات دراسية وقسمت العلوم الدينية والشرعية الى



رواق الجبرت

احدى عشرة مادة يؤدى فيها الامتحانات وتركزت الادارة فى يد شيخ الأزهر ولكن ذلك لم يدم طويلاً حتى ظهر الشيخ (محمد عليش)

وتزعم لواء المعارضة لهذا التجديد والتف حوله خصوم الاصلاح - ولم تكن الحالة السياسية فى مصر تسمح باعطاء اهتمامات زائدة بالازهر أو بهذه الخصومة حيث تدهور الحال المالى والسياسى وجاء الاحتلال البريطانى وازدادت الاضطرابات وجاء (عباس) وبذل ماقى وسعه ليحقق الاصلاح دون جدوى - ولم يخل الأزهر من أفراد مستنيرين اضافة إلى افراد البعثات ولكن الكثرة الغالبة كانت لا تقبل التجديد ولا ترضاه..

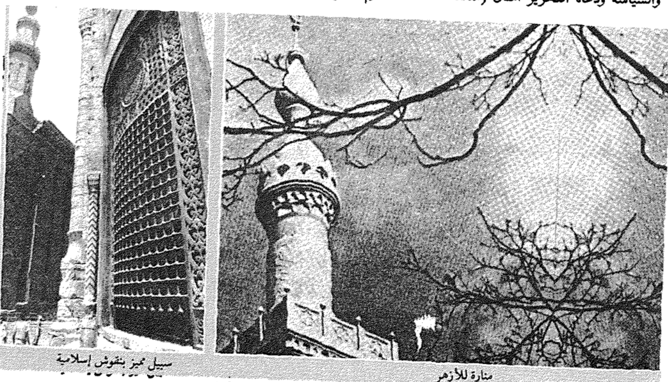
وظل الأزهر بحاله المركز الاعلى للتعليم منه يتخرج رجال الادارة والسياسة ودعاة التحرير أمثال (سعد

تبين فشله - أو إحلال وانشاء مجموعة من الجامعات والكليات والمعاهد علة على غرار الانظمة الأوروبية وعلى أحدث النظم العصرية وكان ذلك هو الطريق.

وفى عام ١٩٠٨م تأسست جامعة مصر الحرة ثم جامعة فؤاد الأول التى أصبحت الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥م ولم تحل مشكلة الأزهر ولم تنته بل ظلت قضية اصلاحه فى اوج حدتها وذلك لضرورة الجمع بين العلوم الشرعية والدينية وبين العلوم العصرية الحديثة وكانت الجامعات التى انشئت تفقد العلوم الشرعية تماما - فكان لابد

عالية سميت «دار العلوم» لتخصيص عدد من طلاب الأزهر واعدادهم للتدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية الجديدة.

وفى عام ١٩٣٦م صدر قانون مؤداه اضافة اللغات الفرنسية والانجليزية الى كلية أصول الدين واللغة العربية والشريعة. وباشر الأزهر ارسال طلابه المتفوقين الى اوروبا للتخصص فى القانون الدولى والمقارن وادخلت بعض اللغات الشرقية فى أقسام التخصص من ذلك «قسم الوعظ والارشاد» وقسم النحو والبلاغة» كما ادخل عدد من المواد العصرية فى برامج التعليم الثانوى..



منارة للأزهر

سبيل مميز بنقوش إسلامية

زغلول) والامام (محمد عبده) وتحمل أفراد البعثة أمر اصلاح الأزهر واحداث النهضة ولم يكن أمامهم سوى أحد أمرين: إما إصلاح الأزهر - وقد

من اعطاء طلاب الأزهر معرفة كافية بما يجرى حولهم فى العالم المتطور وما استحدث من علوم وتقنيات.

وفى عام ١٨٧٢م تقرر انشاء مدرسة

ويجب الاشارة هنا انه فى عام ١٩٥٣ كان عدد طلاب الازهر موزعين كما يأتى على الكليات الثلاث: (فى كلية الشريعة (١٦٠٣) طلاب وفى كلية



اللغة العربية (١٦٥٥) طالبا . . وفى كلية اصول الدين ٧٠٧) طالباً).

أما عدد الطلاب الاجانب أو الوافدين الذين يؤمون الأزهر فيختلف باختلاف السنوات وقد انتقل من (٢٥٤٨) سنة ١٩٥١م الى (٤٢٩١) سنة ١٩٥٤م الى (٣٦٢٧) سنة ١٩٦٣م وهؤلاء يستفيدون من منح خاصة ويأتى اكثرهم من البلاد العربية الشقيقة المجاوره والباقى ينتمى الى البلاد الافريقية والأسيوية.

وفى عام ١٩٦١م قام عدد من المثقفين المصريين يطالبون باصلاح جذرى يتناول عقول الطلاب منذ سنواتهم الأولى وينادون بتحوير البرامج الدراسية فى الأقسام الابتدائية والثانوية والتى ظلت محصورة فى المواد الشرعية على الطالب وفى هذا الاتجاه قام الدكتور (طه حسين) يطالب فى الصحف بجعل برامج القسمين الابتدائى والثانوى مماثلة تماما لما يقابلها فى المدارس الحكومية . . ثم نظمت برامج تسمح لطلاب الازهر الانتقال من القسم الابتدائى الازهرى الى القسم الاعدادى العام وجعلت نفس البرامج متشابهة بالاضافة الى برامج مواد اللغة العربية والمواد الاسلامية وحفظ القرآن فى الازهر واطلقت مدارس الأزهر اسم معهد على جميع مدارسها فى الابتدائى والاعدادى والثانوى وبذلك اخذت تتقدم وتتسع حتى أصبحت سنة ١٩٧٢ (٥٣) معهدا اعداديا للبنين تجمع (١٩١٦٨) تلميذاً وخمس معاهد للفتيات فيها (١٣١٥) تلميذة . . اما القسم الثانوى فكان فيها (٣٠) معهدا للبنين تضم (١٦٦١٧) تلميذاً واربعة معاهد للفتيات تضم (٢٧٤٤) تلميذة الى غير ذلك من مدارس «معاهد» تحفيظ القرآن وزاد عدد الكليات لتصبح أحد عشره كلية.

وقد وصل عدد كليات الأزهر اليوم ٣٨ كلية و٥٦ معهداً


التعليم القديم فى الأزهر

نشاطات الأزهر

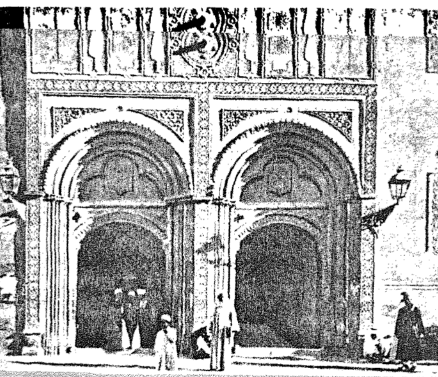
● **المكتبة**: فى الأزهر كنز نفيس من المخطوطات القديمة فيها مجموعة من مؤلفات اساتذة الأزهر محفوظة فى المكتبة وهناك مجموعات خاصة من الكتب وقفها بعض العلماء وبعضها نقل من بعض المكتبات وفى الاروقة مجموعات نفيسة فيها . . ومركز المكتبة فى الجامع الأزهر نفسه وفى قاعات مدرسة آقبغا ويقدر هذا الكنز بنحو (٨٠،٠٠٠) مجلد.

● **الوعظ والارشاد**: تخص ادارة الازهر قضية الوعظ والارشاد بعناية فائقة وقد انشأت لذلك قسماً خاصا يتولى إعداد الوعاظ.

● **مجمع البحوث العلمية**: انشىء هذا المجمع سنة ١٩٦١م وغايته التنقيب والتحرى لتأليف الدراسات والبحوث الاسلامية ومن أهدافه ان يجمع كل سنة «مؤتمراً» لعلماء الاسلاميات وقد قام بهذه المهمة بكل دقة . . كما يهتم المجمع أيضا بالبعثات الأزهرية الى الخارج وارسال المدرسين من الأزهر الى البلاد الاسلامية وبمساعدة بعض المؤسسات الاسلامية ماديا ومعنويا ولا سيما باهداء الكتب.

● **فحص الكتب**: من مهمة الأزهر الاطلاع على كل ما يكتب وينشر فى الاسلام.. باللغة العربية أو باللغات الاجنبية وتبيان رأيه فى ذلك إقراراً أو دحضا وقد انشأ لهذا الغرض «قسم فحص المصاحف والكتب العربية.. وقسم فحص الكتب الافرنجية».

● **المحاضرات**: ينظم الأزهر



محاضرات عامة فى موضوعات إسلامية تلقى فى مدرجه الكبير «المعروف الآن باسم قاعة الامام محمد عبده.

● **لجنة الاستفتاءات**: انشأ الأزهر لجنة خاصة سنة ١٩٣٥م مهمتها الجواب على ما يصل اليها من أسئلة المسلمين على بعض القضايا والمشاكل فتتخذ أجوبتها شكل الفتاوى.

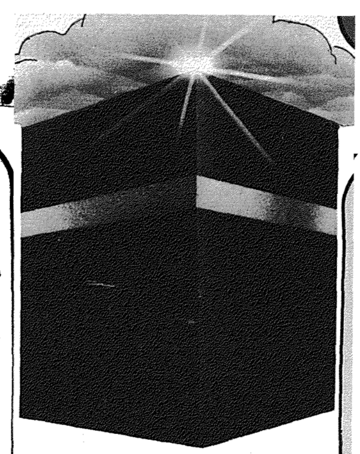
● **مالية الأزهر**: كان الأزهر فى السابق يعيش على أوقافه.. أما اليوم فله موازنة خاصة به ولكنه ظل يساعد الطلاب متكلا على الاعانات التى كانت تأتيه من مؤسسات الخير والاحسان.

مشايخ الأزهر «الامام الاكبر»

نظرا لكثرة من تولى مشيخة الازهر ولصعوبة إحصاء ذلك منذ القرون الاولى فإننا نكتفى هنا بذكر اهمهم:

- الشيخ عبد الله الشرقاوى.. ت ١٢٢٧هـ
- الشيخ حسن محمد العطار.. ت ١٢٥٠هـ
- الشيخ ابراهيم بن محمد الباجورى.. ت ١٢٧٧هـ
- الشيخ حسونة النووى.. استعفى من ١٣٢٤هـ واستعفى أيضا سنة ١٣٢٧هـ.
- الشيخ مصطفى المراغى.. عين سنة ١٣٤٦هـ واستعفى سنة ١٣٤٨هـ واعيد سنة ١٣٥٤هـ.. وتوفى ١٣٦٤هـ.
- الشيخ مصطفى عبد الرازق.. ت سنة ١٣٦٦هـ.
- الشيخ عبد الرحمن تاج.. عين سنة ١٩٥٤م حتى ١٩٥٨م.
- الشيخ محمود شلتوت.. عين ١٩٥٨م حتى وفاته سنة ١٩٦٣م.
- الشيخ حسن مأمون.. عين سنة ١٩٦٣م حتى ١٩٦٩م
- الشيخ محمد محمد الفحام.. عين سنة ١٩٦٩م حتى منتصف عام ١٩٧٣م.
- الشيخ عبد الحليم محمود.. عين سنة ١٩٧٣م
- الشيخ عبد المنعم النمر.
- الشيخ جاد الحق على جاد الحق.

وبعد فهذه المامة سريعة عن هذه الجامعة العريقة التى يعلق المسلمون عليها آمالا كبارا.. داعين الله ان يحفظها من الغزو الفكرى ومن الحاقدين على الاسلام والمسلمين فتظل موجهة لخدمة الدين والحضارة والتراث الاسلامى.



الاسلام

قبل تحديد الدعاة وعزلهم عن الأدعياء وتعريف الخصوم والاعداء نبدأ بتجسيد اطار القضية وأرضيتها وهل هى قضية الاسلام أم قضية المسلمين؟ وهل يعتبر قصورهم فى التطبيق وبشريتهم فى المواقف على أنه قصور فى مبادىء الاسلام؟



التزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة قبل أن يلزم بها.. وبه اقتدى صحبه.. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.



المفكر الاسلامي
د. رشدى فكار

أهى قضية الاسلام..
ام قضية المسلم الانسان؟

تطرح القضايا الاسلامية الآن وكأنها قضايا مصير الاسلام.. وترتفع الأصوات فى كل مكان من الخوف على نهاية هذا الدين واذابته امام امواج هذا العصر المادى الطاغية وتحت سماء سحبه وضبابه اللائى الملحد.. وهذا ليس بجديد ففى كل مرة يتأزم المسلم كانسان يعتقد أن الازمة أزمة دينه وفى الواقع الأزمة أزمته وفى كل مرة تعتريه قضايا التكيف والمعايشة والمواجهات الحضارية فى الحياة اليومية يرتفع صوته وا أسلاماه؟. مع أن

بين دعاته وأدعيائه وخصومه وأعدائه

القضية قضيته . . انه يحاول أن يصدر الدين ويحتمى فيه بدلا من أن يتصدر هو ويواجه باسمه ويرفع رايته . ان الوهن يسيطر عليه فى بداية الطريق حينما ينطلق من مبدأ الشك فيما لديه وفى سلامة منطلقه الروحى وصلاحية تطبيقه وصحة هدفه . القضية اذن هى قضيتنا نحن معشر المسلمين . . والازمة أزمتنا نحن البشر فلا نحمل الاسلام دون دراية وزرنا ومطامعنا . . وأهواءنا ومذاقنا . . وتقلباتنا . .

ونزعاتنا . . واتجاهاتنا ومآربنا . . وأهدافنا المصلحية . . فنعمم الاحكام ونعوم الصادق فى الباطل . . فيتكلم المسيء بلغة البرىء ويتقمص الجاهل دور العارف والمتهور مكان العاقل . . ونغوص فى سحب الغموض والالتباس .

الاسلام بخير ولو ان مصيره قرر فى كل مرة من خلال أزمات تعترى المطبق الانسان لما وصل الينا اليوم ولما انتهى عند أول ازمة ، وذاب فى بوتقة الأحداث التاريخية .

الاسلام وقد عبر العصور وبعد أربعة عشر قرنا من المسيرة الخالدة يشهد العالم أنه قوى بمبادئه : صامد كالصخر . . أصيل بعطائه . . صالح بوجوده صحيح ببقائه واستمراره . سيد يكسب الارض ويحقق النصر فى القلوب المتدافعة اليه فى كل القارات .

الاسلام دين شامل متجاوز لكل الفلسفات الاساسية التى ابتكرتها العقول البشرية قبله وبعده ومن باب أولى لكل الاديان السابقة له والتى احتواها كمراحل لوحدته وتكامله . . فهو الدين الأكمل الذى أصّل الروح وهذب النفس وأسعد الجسد . أصل الروح ببقائها بعد الجسد المادى ، وهى التى تمثل أمر الله وارادته الشاملة وتسير الجسد بقوانين الحياة الدقيقة الحكيمة ومن هنا كان الانسان مسيرا حسب أمر الله وارادته .

وهذّب النفس باعطائها أساسا للتنشئة السوية **«لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت»** فحملها المسؤولية الكاملة بعد أن أنار وحدد لها معالم الطريق وأسعد الجسد بحثّه على التذوق الوَسَطِي **(وهو الامثل)** للحياة فى اطار تشرف على تنسيقه النفس صاحبة المسؤولية بين جسد يبحث عن الاشباع بمتطلباته البيولوجية وروح ترمز الى التسامى من خلال آفاق متجاوزة للاستهلاك . . أى دين أمثل واحكم وأكمل من الاسلام . . القضية ليست قضيته . . نكرر القول ونؤكده ـ ولكن القضية قضيتنا نحن . كيف نفهم الاسلام ونتعرف عليه بما فيه وفاءا له؟ . . ثم كيف نعرف

به وندعو له بمقتضى المنهج الذى حدده وهو يعتمد على . . **الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن** . . ومن ثم يسهل علينا الحوار والاقناع والتطبيق كما يسهل علينا مواجهة الخصوم وكشف الادعياء ومنازلة الأعداء وهذا يتطلب تحديد الدعاة وتميزهم عن الادعياء والخصوم والاعداء ولنبدأ بتحديد الدعاة.

الدعـــــاة
القرآن مصدرهم . . والرسول ﴿ﷺ﴾ قدوتهـــم :

اذا كان التحديد اللغوى لتعبير دعاة **(جمع داعى)** يعنى من يدعو الناس الى عقيدة أو مذهب أو مدرسة . . فالقرآن الكريم وهو الذى يعيننا كعمدة فى التعريف والتحديد للمفهوم يبين لنا الداعى على انه من يدعو الى الله والى سبيله لتكون كلمته العليا **﴿قل هذه سبيلى ادعو الى الله﴾** والآية **﴿وادعُ الى ربك﴾** على أن تكون الدعوة الى الله وحده وليس لغيره **﴿ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك﴾**. والهدف من الدعوة هو الهدى والنجاة فى الدنيا والصراط المستقيم **﴿وان تدعوهم الى الهدى﴾ ﴿ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار﴾ ﴿وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾** . . ثم حدد لنا القرآن منهج الدعوة فى الآية الكريمة **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾** . . وكذلك حث على الاستجابة للداعى واتباعه **﴿ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به﴾**.

وأكد لنا كتاب الله أن هذه الدعوة الى الله هى دعوة الحق **﴿له دعوة الحق﴾** . . هذه الآيات البينات وآيات أخرى ذكرت فيها الدعوة والداعى توضح لنا معالم الطريق وتضع لنا الاسس والمنهج والهدف انها الطريق التى سلكها وسار على نهجها الداعى الاول رسول الله محمد ﴿ﷺ﴾ قدوة الداعين ورائدهم ـ التزم بأصول الدعوة فكان الداعى الى الله جل وعلا وللهدى والنجاة والصراط المستقيم . . كما التزم بالمنهج فكانت الحكمة وسيلته . . والموعظة الحسنة حواره . . والمجادلة بالتى هى أحسن قدرة اقناعه . . كان الداعى الصادق مع ربه . . والصادق مع قومه والصادق مع أسرته وأعزائه . . والصادق مع نفسه . . ما استعمل رسول الله ﴿ﷺ﴾ لفظا نابيا فى دعوته ولا كان فظا غليظ القلب. كان يواجه برحابة الصدر وصدق الكلمة الهادئة. كان يصر على الاقناع من خلال الحوار بقدر اصراره على عدم التزحزح قيد أنملة مما صمم على تبليغه وأُمِر به من ربه ولو خُيِّر بين ملكية الشمس والقمر والسماء والارض ما اختار الا رسالته . . أسس بوحى من ربه المدرسة الاولى للدعوة سرا فى دار الارقم كما هو معروف وكان فى امكانه وهو نبى الله ورسوله أن يجهر بها ساعة نزولها ويفاجىء قومه بالتحدى السافر والتهديد والوعيد بمجرد خروجه من غار حراء وبعد الآية الاولى من القرآن ولكن سلك أروع سلوك لمخاطبة الانسان فى تبليغ الدعوة . . سلك السلوك البشرى والمخاطبة حسب العقول وطاقتها الفكرية وأهليتها.

خاطبهم قدر عقولهم وما يتدبر عقل الانسان الا ما يراه ويحسه ويسمعه مما يحيط به من جبال ووديان وابل . . وخضرة وسحب وضباب ورعد . . ونار تحرق وأشجار تظلل . . وأنهار تروى وماء يشفى ويبعث الحياة.

علمنا رسول الله كيف يتحرك الداعى فى دعوته مرحليا ويستشهد بالملموس والمجسد ويبتعد عن الاعتباطية والعفوية مهما كانت صلاحية الكلمة.

اذا كان المخاطِب **(بكسر الطاء)** رسولاً ونبياً فالمخاطب (بفتح الطاء) ليس بالرسول والنبى وانما مجرد بشر له حدود فى الرؤية والفكر والحوار. كما علمنا أيضا محمد عليه السلام كيف أن سلامة المنطق فى دعوة مهما كانت على

حق لا تكفى فى حد ذاتها، ولا يتكل على مبدأ إننى على حق وكفى وانما لابـد من التحرك وبمنهج واعٍ يضمن صلاحية التطبيق ليأكد صحة المنطلق. وحينما نستجوب التاريخ سنرى كم من دعوات كانت تتمتع بسلامة المنطلق وتمثل الحق ولكن منهجها فى التبليغ والحوار والاقناع لم يلتزم بمنهج القرآن فكانت المآسى الدموية الكبرى قديما وحديثا اذ من الخطأ الاعتقاد أنه يكفى لدعوة أن تكون على حق لتنجح وتنحنى أمامها الرؤوس وتسلم بها الافئدة بل لابد لها من منهج صالح فى التطبيق اقتداء برسول الله رائد الكلمة الطيبة.. والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن.

ولعل من روائع السلوك المحمدى فى الدعوة انه لم يقصرها فى مدرسته الاولى الخالدة على فئة معينة من البشر تحتكرها فكان كل مسلم صادق فى اسلامه هو من دعاته لا تفريق ولا احتكار ولا تميز الا بالعمل الصالح ولا فضل ولا تكريم الا بالتقوى.

التزم رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالدعوة قبل أن يُلْزِمَ بها، وبه اقتدى صحبه.. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. ومع النجاح الاول للدعوة وانتقالها من السرية فى دار الارقم الى الاعلان والجهر كان طبيعيا أن يكون لها انعكاس على خصومها وأعدائها وصدّ عند مرضى القلوب من الانتهازيين الأكلة فوق كل الموائد، فعرفت (**شأنها فى ذلك شأن كل دعوة اتجهت الى مخاطبة البشرية**) نماذج شتى من المواجهات والصراعات ـ مواجهات صريحة على مستوى الخصوم.. وصراع وتحدى سافر ومحاربة على مستوى الاعداء.. كلها نمت فى تربة الهجرة وبعدها.. وخلال المواقع الحاسمة من أجل الحق الذى انتصرت رايته بفتح مكة واكتمال الدين الحنيف واتمام نعمة الخالق على خلقه. ثم سلم رسول الله ﴿ﷺ﴾ الداعى الاول الراية: «**راية الحق والصدق والهداية والنجاة والصراط المستقيم**» لصحابته وأتباعه الاوفياء ليحاربوا ومن خلفهم جماهيرَ المؤمنين الاعداء ان لم يذعنوا للحق ويقاتلوهم ان قاتلوهم. كما يجادلوا الخصوم بهدف الاقناع حتى يعودوا الى الصواب، وفى نفس الوقت عليهم أن يحترسوا من الدخلاء الادعياء. نجح صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى محاربة الاعداء وقهرهم ومجادلة الخصوم وحصارهم ولكن طبيعة الالتحام والتداخل بين المواقع وسخونة الصراع والمواجهات وتعدد الجبهات وتنوعها أعطى فرصة للادعياء أصحاب الصوت المضمر بخلفياته المقنعة من عشاق العمل فى الظلام من النفوس المريضة أن يتحركوا فوق أرض المواجهة ليتجهوا بها من دعوة فى سبيل الحق الى فتنة ابتدعوها وجميع صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ منها براء.

الادعيـــاء

الخلفيات منطلقهم.. والتغميض رايتهم.. والضلال نهايتهم

التحديد اللغوى للادعياء (جمع دَعِيّ) وهو الذى تبنيته أى جعلته لك ابنا.. أو المتهم فى نسبه وانتمائه وهذا المعنى الأخير يؤهل للمعنى الحركى للادعياء على المستوى الاجتماعى انطلاقا من المعنى الاسرى.

والقرآن الكريم وضع لنا معايير للمفهوم من خلال اطاره وربطها به وهو اطار الغموض والالتباس فى الانتماء.. فلقد ورد تعبير أدعياء فى آيتين كريمتين فى القرآن وفى كل آية تعنى واقعة محددة.. ومع هذا فمن روائع القرآن رغم أن المقصود شىء محدد فى الآيتين أن قرن مفهوم الادعياء باطار عدم الوضوح فى الرؤية والابهام ـ بمعنى لا يمكن تصور مفهوم أدعياء الا فى اطار الالتباس والتغميض تقول الآية الاولى ﴿**ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى**

تظاهرون منهن أمهاتكم، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل﴾. أما الآية الثانية فهى **﴿واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم . .﴾**.

اذا كان المراد فى الآيتين على سبيل التعين توضيح مكان الادعياء فى النسب وما يترتب على بنوتهم أو انتمائهم ورفع الاشكال فى الاحكام فهم ليسوا بالابناء فى الآية الاولى وانما ذلك قول بالافواه. وفى الآية الثانية رفع الحرج عن المؤمنين بالنسبة لازواج الادعياء واتخاذ الطريق الصائب، وهو بالزواج منهم كمبدأ نزيه وصريح فى العلاقة أمام الله . .

فالذى يعنينا فى تبنى المفهوم بُعده الاجتماعى حين تطبيقه على فئة تغميضه . . التباسية البيئة والمنطلق حيث نجد الآية الاولى بدأت بلفت النظر الى الالتباس بل والتناقض **﴿ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه﴾**. وفى الآية الثانية اخفاء ما الله مبديه وخشية الناس بدلا من خشية الله . . أيضا نرى الالتباس . . والخطاب لمن؟ لرسول الله ونبيه وأكرم البشر وقدوتنا فى السلوك. يوجهه الله: يا محمد وأنت أكرم البشر وأقربهم إلىّ هذه هى الطريق . . من لنا يا الهى بنصح ورفع للالتباس أقدس من هذا النصح نقتدى به؟ لان كان القرآن قد طرح موضوع الادعياء فى وقائع معينة ـ فاجتهادا واستلهاما من نوره وهديه يمكننا أن ننطلق من القرآن فى تطبيق المفهوم على الفئات الاجتماعية التى تجسد الادعياء كفئة بيئتها الإلتباس والتغميض. هم أولئك الذين يعيشون تحت ضباب الرؤية . . ويعشعشون فى الظلمات . . ويتحركون تحت ستار الابهام **بقلب مزدوج وظاهر يخالف الباطن**. اذا كان الدعاة يتمتعون بسلامة المنطلق وذلك بالتزامهم بمبادىء الاسلام قلبا وقالباً: دعوة الى الله حيث الهدى والنجاة والطريق المستقيم فالادعياء يتقمصون زيف المنطلق وذلك بالتزامهم بمواقف ذاتية ومآرب شخصية تنعكس من خلال خلفيات مقنعة لنعرات أو لشعوبيات أو لاسرائيليات أو اشراكيات أو لحماسات الجاهلية بمختلف مشاربها. واذا كان الدعاة يؤكدون صلاحية التطبيق وذلك بتبنيهم لمنهج القرآن فى الدعوة المجسدة فى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن، فالادعياء يؤكدون سوءه وفشله وذلك بالتجائهم الى العفوية والعشوائية والاعتباطية فى التطبيق من خلال شعارات جوفاء فارغة المحتوى، وألفاظ منمقة تعنى كل شىء ولا تعنى شيئا محددا.

واذا كان الدعاة يفخرون بصحة الهدف وصدقه وانتصاره فى النهاية بفضل ما يحققه من مقاصد سامية ورضاء عن النفس وعن الآخرين . . واسعاد الانسان بضمان توازنه روحيا وماديا دنيويا وأخرويا . . فالادعياء يجنون بطلان الهدف وكذبه وضلاله فلا يجرهم البهتان والاشراك والنفاق والخداع والغش والزيف إلا الى الضياع روحا وجسدا.

الروح عارية جائعة والنفس مهتزة قلقة . . والجسد أهلكته الدنيا وأمرضيته بملذاتها ومتاعها. الادعياء وقد تحركوا تحت ستار التغميض والالتباس بل والاستلاب **(بلغة العصر)** . . زعموا تحقيق كل شىء فى كل شىء فكانوا كل شىء فى لا شىء. هلك من هلك بعد أن أغواه شيطان النفس . . وكفر من كفر حتى بنفسه . . وغالى من غالى فى خصومته المستترة المقنعة للاسلام ليصل بها الى قمة أعدائه . . ولكن من هم الخصوم ومن هم الاعداء الذين يتخذون لهم مخالب من الادعياء؟ .

من الخصوم إلى الأعداء

الخصوم جمع خصم لغويا وهو المنازع المجادل . . وفى القرآن الكريم والذى به نهتدى فى التحديد للمفهوم فى هذا العرض ورد التعبير بصيغة **«اختصموا وتختصموا . . وتختصمون . . ويختصمون. وتخاصم . . وخصم وخصيم**



وخصام». . وفى جملتها تعنى التنازع والجدل والمجادلة كما أن الخصام منه ما يكون مبين والخصيم قد يكون لدود. . وكأمثلة من الآيات القرآنية التى جاءت فيها هذه الصيغ قوله ﴿ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾. . **﴿قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين﴾. . ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذْ تَسَوَّروا المحراب﴾. . ﴿ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خَصِمون﴾. . ﴿ويُشْهد اللهَ على ما فى قلبه وهو ألدّ الخصام﴾. . ﴿ولا تكن للخائنين خصيما﴾**. . وهذه الآية الاخيرة تحذرنا من خصومة الخائن خصوصا فى اطار الاحتكام وان نتمسك بالحق وبما أرانا الله فى كتابه. ولقد عرف الاسلام فى عهد النبوة الخصوم الذين نازعوه وجادلوه فمنهم من اقتنع فى النهاية وآمن مسلما وحسن اسلامه ومنهم من أصر على خصومته وعناده ومكابرته ليصبح فى ألد الخصام أو يصل الى مرحلة العداء من الكفار والمجرمين. . أو يضمر هذا العداء ويعبر عنه بطرق مخادعة كخناس وسواس يدس على الاسلام فى قلوب الناس بشيطنته الماكرة فيشكك فى الدين ويشوه مبادئه لصالحه ولمتعته الذاتية ليصير من الاعداء المقنعين من شياطين الانس. . وهكذا نرى أن الاعداء هم فيض من الخصوم ممن دفعتهم خصومتهم اللدودة للاسلام كى يصلوا بها الى العداء ظاهرا أو مضمرا كفارا ومجرمين وشياطين للهدم. . للضلال للاغواء للاغراء. فالاعداء كما حددتهم الآيات القرآنية هم خليط من الكفار والمجرمين والشياطين كقوله ﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس﴾ الى آخر الآية. . **﴿ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾**.

وبالنسبة للكافرين نذكر **﴿ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا﴾**. . وعن المجرمين من الاعداء قوله: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين﴾**.

ولم يكتف القرآن الكريم بتحديد أنواع الاعداء الرئيسية وفئاتهم دون أن يشير الى نوع من الاعداء يحتاج الى الحذر والاحتياط لانه فى عقر الدار. . فعداوته معقدة متداخلة فى الانفعال والعواطف ومن ثم نصح القرآن المتفهم لمشاعر الانسان وعمقه باذابة هذه العداوة وتجاوزها لصعوبة تحملها وقسوتها حيث قال: **﴿يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم﴾**.

ان هذا التصنيف الدقيق لانواع الاعداء وفئاتهم حسب درجات عداوتهم وكذا للخصوم ومستوياتهم كما حدده لنا القرآن والمواقف التى تتخذ حيالهم يبرز لنا أصالة الرؤية القرآنية وواقعيتها والتزامها بمقاييس موضوعية لتوجيه المسلم فى علاقته فميز عدو الله وعدونا بعنف عدائه وشدته، وان لا نتخذ منه أولياء مهما كانت الظروف **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء﴾** ولقد أكدت حتى الاحداث الاخيرة فى تاريخ أمتنا العربية الاسلامية صدق هذا المبدأ وكيف تكون النتائج حينما نتخذ من أعدائنا أولياء ولا نحترس فى علاقاتنا معهم.

ولما يذكر للقرآن دستور ديننا الحنيف كأروع تجسيد للمعاني الانسانية تصويره للعداء في حد ذاته على أنه ليس من الصفات الانسانية المستمرة والمتأصلة في طابع البشر الذى جبل على الخير. فعلينا أن نتجاوز العداء حينما يستوعب موضوعه بارادة الله . . وهذا التجاوز وصفه جل وعلا بأنه نعمة منه فما أجمل العودة الى التسامح واذابة العداء حالما يستنفذ أغراضه باحلال جو المحبة والود والتكامل الانسانى محله. قال تعالى ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداءا فألف بين قلوبكم**﴾. . بل نجد القرآن وضح لنا الطريق وبين لنا المنهج فى كيفية الاذابة للعداوة والتغلب عليها والانتقال الى الولاء والمحبة حين قال: ﴿**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**﴾. .

ولكن العلى القدير أكد لنا أن هذا الطريق ليس بالسهل ولا بالهين ولا يقدر عليه الا صابر واسع الصدر حين أضاف سبحانه وتعالى ﴿**وما يُلقاها الا الذين صبروا وما يُلقَّاها الا ذو حظ عظيم**﴾. . وهكذا تدرج بنا القرآن من الخصوم الى الاعداء فى التحديد والتصنيف والتوضيح فعين الخصوم بأنواعهم المختلفة وأن منهم المبين واللدود الذى يصل بخصامه الى درجة العداء ان لم يحدث له اقتناع وعدول عن الخصام والعودة الى الحق بفضل الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن . كما أن الاعداء حدد لنا فئاتهم الرئيسية : الكفار، والشياطين من الانس، والمجرمين كما أشار الى نوع من العداء علينا أن نحذره ولا نقع فيه لانه يمزق القلب والعاطفة الا وهو عداء الازواج والاولاد فى عقر الدار ونصحنا بازالته بفضل العفو والصفح والمغفرة.

الدعاة والأدعياء والخصوم والأعداء

ليس هناك نموذج أصلح فى الاستشهاد لتجسيد طبيعة المواجهة بين الدعاة من جهة والخصوم والادعياء والاعداء من جهة أخرى، بالامس من الفترة التى تلت وفاة رسول الله ونبيه الاكرم محمد عليه السلام . لقد كان الدعاة أكثر اصرارا على تبليغ رسالة السماء التى حملها رائدهم بعد أن حمَّلهم بدوره عليه السلام مسؤوليتها المباشرة وتركها شورة بينهم . ان طبيعة المؤمن الصادق فى اسلامه الالتزام . . لقد مات عليه السلام وكان على صحابته أن يسيروا بدعوته لاعلاء كلمة الله الحى الذى لا يموت . . كل صحابى من الصحابة الابرار أهَّل نفسه للمواجهة لايهاب الاستشهاد ولا يتهيب فى الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم . . لا مجاملة ولا تهاون ولو كان ذلك فيما بين الصحابة أنفسهم . . الالتزام كان مبدأ الجميع والاصرار كان منهج الجميع ونجاح الدعوة كان هدف الجميع .

وهنا نصل الى طرح تساؤل هام ظل حتى اليوم يتردد مضمرا فى الافئدة لا يزعزع الايمان الصادق المستنير بنور الله ولكن يوجس فى القلوب المريضة أو الضعيفة ويقلق النفوس المتأرجحة .

هذا التساؤل هو كيف يفتن أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ ومنهم المبشر بالجنة؟ ويتفرقوا وقد أكد القرآن أن من يفرق كلمة الدين الرسول منه براء ﴿**إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم فى شىء**﴾ . . وكيف يقتل أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ بعضهم بعضا والاسلام عرفنا بمصير القاتل فى جهنم وبئس المصير؟ كيف يبشر بالجنة ويؤهل بعمله لجهنم فى نفس الوقت؟ هكذا حاول البعض أن يطرح التساؤل مغرضا أو متجاهلا، أو جاهلا أو متسرعا، كيف صحابة رسول الله عليه السلام وأقرب أعزائه يصلون الى هذا المستوى وهم فى هذا العهد القريب من الاسلام وما زالت روائح الرسول الطاهرة العطرة ووجهه المشرق المنير وأصداء صوته الخالد تعمر سماء الجزيرة العربية . . كيف عثمان وعائشة وعلى ومعاوية وبقية أحباب رسول الله وصحبه يقاتل بعضهم بعضا ووجها لوجه؟ . كل هذا يحدث ونزول الوحى على بعد

أعوام وقبر الرسول عليه السلام على بعد أمتار؟ وتستمر التساؤلات فى هذا البعد الواحد دون أن تطرح بقية الابعاد. كمثال منها كيف أن الاسلام وهو مازال فى مهده لم ينته مع ما عرفوه بالفتنة الكبرى؟.

وقبل ان نسترسل فى العرض نستسمح أن عدلنا عن تسمية «فتنة كبرى» مع تقديرنا الكامل لمن تبنوها كعنوان تاريخى لهذه الفترة من تاريخنا. ان كان ولابد من الاحتفاظ بالتسمية فليضف اليها **«الفتنة الكبرى للادعياء»** أما بالنسبة للصحابة جميعا فهى **«المواجهة الكبرى للدعاة»** لاننا نبرأ بأصحاب رسول الله الاقربين أن يفتنوا بهذه السرعة وهذه السهولة حبا فى الدنيا. انهم لم يفتنوا **(وهذه كلمة حق)** والاصرار على استعمال مفهوم **«فتنة»** لن يستفيد منه الا أدعياء الفتنة فى كل العصور فضلا عن كونه لا يفى بالعطاء التاريخى الصحيح لهذه المرحلة اللهم الا لدى فقراء الفكر وضعاف التحليل لعلمية التاريخ وفلسفته ممن يبثون رياح الشك عن قصد أو عن غير قصد فى قلوب المسلمين ومن يميل الى الاسلام ويسعى اليه.

ولقد آن الاوان ان أردنا للاسلام أن يعرف تاريخه فى اطاره الصحيح لا من خلال تصورات قاصرة أو مغرضة أو سطحية أن نسمى الامور بمسمياتها ومن ثم نؤكد أنها ليست **«فتنة كبرى» فى مهب الاحداث الا عند الادعياء** وحسب صنعهم وبغيتهم. . وانما هى **مواجهة كبرى فى منطلق الحق والاصرار والالتزام** بكلمة الله واعلائها ولو بالاستشهاد فى سبيلها ولو بالتصدى لاقرب الاقرباء وأعز الاعزاء. تمسكا بقوله تعالى: **﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قُربى وبعَهْدِ اللهِ أوفوا ذلكم وصَّاكم به﴾**. فمن باب أولى اذا كان فعلا وموقفا لا مجرد قول: صحابة رسول الله لم يفتنوا وما كانوا ألعوبة فى يد الاحداث ولا طلابا لأنية أو ذاتية ومتاع حياة. . مطامع الدنيا لا تفتنهم عن دعوة الله ولا تبعدهم عن طريق الحق. لقد واجهوا غيرة على مسؤولية وضعت فى أعناقهم بعد وفاة رسول الله عليه السلام وكل يعتبر نفسه مسؤولا أمام الله ونبيه الامين ـ وبالتالى حينما نطالب باحلال تسمية **مواجهة كبرى فى الحق** واحقاقه والتسابق فى الالتزام باعلاء كلمة الله بدلا من **فتنة كبرى للصحابة** فى مهب الاحداث، انما نسعى من وراء ذلك لاظهار الوجه الصحيح لتاريخ هذه الفترة الخالدة التى لم يشهدها الا أبطالها. . أما الاجيال التالية بعد ذلك فقد صُوِّرت لها من خلال أهواء المؤرخين ونزعاتهم وانتماءاتهم وتذوقهم بل وخلفياتهم المقنعة. . نضف الى ذلك أن التاريخ فى حد ذاته رغم نسبيته لم يصل الينا وافيا وذلك لضياع جانب من مصادره ومراجعه عبر الاحقاب والعصور ومن ثم فالتاريخ لهذه الفترة رُقِّع ليكتب نسبيا بما يضمن تسلسل أحداثه ولم يستوجب علميا على أضواء تعدد الافتراضات الباحثة أساسا عن صحة التاريخ ولم يخضع لفلسفة تاريخية تتبع عليه لتكتشف مسيرة حتمية أحداثه.

نسلم اليوم أنه يمكن لاتباع ايديولوجية من صنع البشر أن يتواجهوا ليس فقط على مستوى الافراد وانما على مستوى الامم أو أمم عظمى: **(الاتحاد السوفييتى والصين)** وكل يصر على أن راية الحق رايته، ملتزما بولائه دون ذكر تعبير فتنة. . فلم نسمع بفتنة كبرى بين الصين، والاتحاد السوفييتى وانما مواجهات كبرى اذ كل يؤكد أنه هو الوفى والاكثر ولاءا لعقيدته. نسلم بذلك بالنسبة لهم وننكره بالنسبة لصحابة رسول الله الاصفياء ونقول فتنوا. . وشتان ما بين عقيدة دنيوية قد تؤهل للاكتساب والفتنة وعقيدة روحية أخروية تسموا بكل مآرب الانسان ونزعاته.

لذا نرى انه اذا كانت هناك فتنة كبرى مزعومة فى الاسلام فهى فتنة الادعياء خرجت من عقولهم وحمّلوها التاريخ بعد أن يئسوا من تحقيق أهدافها متكاملتين مع الخصوم والاعداء ـ أما بالنسبة للدعاة وهم أصحاب رسول الله فقد كانت بينهم **مواجهة كبرى فى الحق** أدعياء الفتنة. . أرادوها تلقائيا فتنة كبرى تأكل الاخضر

واليابس، يتسابق تحت رايتها أعداء الاسلام بما فى ذلك مضمرى الردة والاشراك لتدميره وخصومه لتمزيقه.. وحافزهم فى كل ذلك خلفياتهم المقنعة: نعرات كانت أم عصبيات.. شعوبيات كانت أم اسرائيليات.. متاهات كانت أم حماسات جاهليات.. أما أصحاب رسول الله فواجهوا واستشهد من استشهد منهم ايمانا بالحق واعلاء لكلمة الله ووفاء لرسول الله عليه السلام. كل شىء أمام الدعوة هوان: لا قرابة ولا صداقة ولا معزة وانما كلمة الحق هى المعيار والوفاء لرسوله هو المقياس.

لا حياء فى الدين ولا مجاملة ولا تردد.. هذا الاصرار وهذا الالتزام لصحابة رسول الله حاول أن ينفذ منه ويتسلل على حسابه الادعياء والخصوم والاعداء.. ويجنون الثمار بفضل الكيد والبهتان والدس بين صفوف المؤمنين بغية تحويل المواجهة الى فتنة والحق الى باطل واعلاء كلمة الانسان بدلا من اعلاء كلمة الله.. ولكن قد يطرح تساؤل علينا فى ثوب اشكالية هى: كيف يحدث هذا لصحابة رسول الله لماذا لم يكتشفوا الكيد والدس. **ولماذا أعطوا الفرصة للدخلاء؟** ونرد على التساؤل: الصحابة ليسوا آلهة ولا ملائكة نورانيين ولكن بشر فاذا كانت بشرية انبياء جعلتهم فى بعض المواقف يكونون موضع عتاب ومعاتبة من رب السماء ويطلبون العفو لا لنيتهم البريئة ولكن لبشريتهم فمن باب أولى تقبل هذا بالنسبة للصحابة والدعاة. النية هى الاساس **«انما الاعمال بالنيات»** فعمل الصحابة مرده نية صادقة لمواجهة فى سبيل الحق.. ونبرأ بصحابة رسول الله أن تكون نيتهم لغير الله. والاستشهاد فى حد ذاته الدليل الناصع على صدق النية فما تعودنا من انسان أن يضحى بحياته لغير ما نوى.

ولكن ماذا حدث؟ امتصت المواجهة الكبرى نشوة الخصوم وانفعالهم وخيبة أمل الاعداء فخرج الاسلام من المواجهة التى كانت فى سبيل الحق ودعوته أكثر قوة وجسده أقوى صلابة.. اتسعت أرضه وعلت رايته ارتفاعا فى كل بقاعها.. اما الادعياء فعادوا الى جحورهم والفتنة تملأ قلوبهم بعد أن ضاع أملهم فى أن يجعلوا منها فتنة دائمة يحققون بفضلها أطماعهم واكتفوا بالقائها لنا فى موكب التاريخ لتساعد كمثال أرادوه على فتن أخرى كبرى وصغرى فى مستقبل القرون.. ان كان الادعياء بخلفياتهم المغلفة فى أقنعتهم قد وجدوا أرضية خلال المواجهة للافراج عن نعراتهم وشعوبيتهم.. واسرائيلياتهم واشراكياتهم.. ورواسبهم وحماسات جاهليتهم يسقطون عقدهم النفسية من خلالها فانتهز منهم من انتهز ووصل منهم من وصل لارضاء متاعه القاصر فى الدنيا وتزييف المواقع.. غير أن حتمية المواجهة ـ وكانت فى سبيل الحق رغم من استشهد فيها من الصحابة وهو صادق النية فى مواجهته ـ أعطت للاسلام طاقة هائلة لتحصينه وتحقينه ضد الاحداث وخرج الاسلام فى المواجهة ليبتلع الاعداء والخصوم والادعياء فى فتوحاته الكبرى ويشرق صبحه وتسطع شمسه ويعم نور نهاره مشارق الارض ومغاربها.

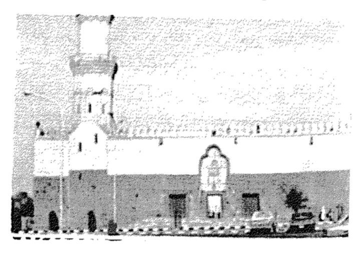
ولن يبقى لنا الا أن نصحح المفهوم بالنسبة للاجيال القادمة التى سوف تعيش فى عصور الاحتكام العلمى وطرح التساؤلات. وتصحيح المفهوم لا يعنى احلال كلمة بدل أخرى وانما يعنى اعادة صياغة الجوهر بما يتمشى ومنطق مفهوم مواجهة ملتزمين بصحة التاريخ وعليّته لا بسرده وتسلسله. فنعيد النظر فى تفهمنا للاحداث الكبرى الدامية على ضوء ذلك ليس فقط ابان المواجهة الكبرى **(أو ما يسمى بالفتنة الكبرى)** وانما الاحداث التى تلتها كنهاية الامويين.. والدورات التاريخية للعباسيين عظمة وانحطاطا.. وكذا العثمانيين.. وكيف أن تيار الادعياء لم يتوقف كما أن ملحمة الدعاة لم تنطفىء.

والتنازع مع الخصوم ومنازلة الاعداء عبر العصور بمساندة الادعياء وما خلقوه من فجوات وثقوب فى مسيرة المسلمين لم يتوقف.. لقد غزى الادعياء الحركات

الاجتماعية الكبرى التى عرفها الاسلام بسمومهم.. به وهى حركات كانت منبعثة فى جوهرها من واقع الغيرة على الاسـلام ومن منطلق الاصـلاح تحت راية الاجتهاد والتجديد وسطوا عليها لاستغلالها لمآربهم.. وامتطاها فى النهاية الاعداء ليتخذوا منها جسرا ومعبرا للانقضاض على المسلمين فى مراحل تمزقهم وضعفهم.

وهكذا نرى فى دوراتنا التاريخية لامتنا دورتين:

الاولى: دورة «نقـديـة تراثيـة» فيها يلتحم ويتكامل الادعياء مع الخصوم والاعداء لمنازلة دعاة الاسلام وهم يدافعون عن معاقلهم وهمهم الاكبر الاحتفاظ بهذه المعاقل بالاستماتة فى الالتزام بعقيدتهم داخل مواقع دفاعية تجسد قاربة التراث فى عقر داره، دون تطلع أو اشعاع. مسلم مرابط فوق أرضه ينتظر ساعته فترة «تنظيمية حضارية» يتفكك فيها تلاحم وتكامل الادعياء والخصوم والاعداء.. الخصم يحاور بهدف الاقناع أو الاقتناع والعدو ينازل من مواقع دفاعية لا هجومية وأما الادعياء فيعودون الى جحورهم والفتنة تملأ أنفسهم ليبدلوا ثيابهم بل وجلودهم ويخرجون والزيف شعارهم يتكسبون به ويعلنون الولاء الكاذب للاسلام بل ويزكون مسيرته فى بعض الاحيان وهدفهم الباطل «البطلان.. **ومنهجهم النفاق والغش والبهتان**».



مسجد قباء أول مسجد اسس فى الاسلام

ويختلطون بالدعاة يحاججون الخصوم بل ويزعمون منازلة الاعداء.. وتتعاقب دورات الزمان ونعيش كما عاش أجدادنا ـ جو المواجهة والفتنة والصراع.. مواجهة بين الدعاة.. ومحاولة لعزل الادعياء.. ومنازعة ومجادلة مع الخصوم.. وصراع مع الاعداء.

أدعياء الاسلام أقنعة الأعداء

واليوم ونحن نعيش فى نهاية دورة «**نقدية تراثية**» لامتنا ونشهد ارهاصات دورة «**تنظيمية حضارية**» لها. يؤهل لها شبابنا بتطلعاته.. وأرضنا بخيراتها.. وتراثنا بعطائه وأصالته ـ رغم كل الاشكاليات التى وضعت فى الطريق وفُرضت علينا بهدف الاعاقة.

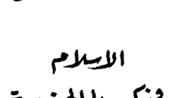
اليوم وفى هذا العصر الذى بدأت فيه أزمات الحضارة حضارة غيرنا ـ حضارة أوربا بغربها وشرقها ومنشقاتها تتكشف وتتعدد: أزمة النقد.. أزمة المواد الاولية.. أزمة القيم.. وبكلمة واحدة أزمة الانسان أمام حضارة الاشياء بعد أن اكتفى بالتطلع الى الأرض.. ودفن انسانيته بدفنه للآلة.. وعرى جسده من روحه بعد أن أدار الظهر للسماء.. يلهث منبتا خلف غرائزه الحيوانية الاستهلاكية.. ورفاهية مزعومة أفرغته من جوهره فأصبح يبيع مُثُله وقيمه وجوهره وأصالته بأبخس الاسعار وفى أحط الاسواق أسواق الخداع والغش والكذب والنفاق فى مقابل سلعة يقتنيها.. واشباع غرائز استهلاكية نهاها فاستوحشت وتنمرت عليه فأصبح عبدا لها مستلبا يتعايش مع هذا الاستلاب ويقول بمشروعيته فسلمت به بعد الفرد الاسرة لتسلم به الجماعات ثم الدول والقارات.. بعد أن صيغ فى ألفاظ منمقة مغرية تشجع مكر الانسان وخبثه وجوانبه السلبية.. وتضاعف من نفاقه وغشه مثل: الفاظ التكتيك. والاستراتيجية.. فن الخداع الفورى والخداع طويل الامد. فيض من المسميات التبريرية لسلوك استهلاكى ضائع ـ فعم الزيف فى المجتمع

والجماعات والاسرة لينتهى بزيف الذات.. الكل يلهث لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى - فأرض اشباع الغرائز سراب ولن يبقى للظهر الا التراب. ولم يكتف «انسان حضارة الاشياء» بتلويث مثله وقيمه وذاته.. وانما لوث البيئة والفضاء.

تعرى عن معانيه الروحية وتنكر للصدق والطيبة والاحسان والبر. تنكر الانسان للانسان فماتت الضمائر قبل موت الاجساد.. فى هذا المعترك الساخن الذى فقد فيه الاحتكام الحق عند الاقوياء والضعفاء على حد سواء.. وأصبحت العلاقات ليس فقط بين الافراد وانما بين الامم علاقة الذئاب للذئاب: يأتى الاسلام مجسدا فى دعاته معتمدين على سلامة المنطلق بصدق مبادئه وسموها.. وملتزمين بصلاحية التطبيق بفضل الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن.. وواثقين من صحة الهدف الذى هو اسعاد الانسان فى الدنيا بتعادله وتوازنه بفضل سلوكه الوَسَطِىّ وبعده عن التطرف والمغالاة والاستلاب - وفى الاخرة بضمان استقرار وجدانه وحمايته من القلق حين ربط مصيره بما هو أسمى من متاع الدنيا الزائل.

نعم يأتى الاسلام بدعاته وهم أكثر اصرارا على المواجهة فى سبيل الحق يحاورون الخصوم بالحكمة والاقناع لا يرهبونهم. يجادلون الاعداء بكلمة الحق ويكشفون الادعياء بتعرية زيفهم وارتزاقهم لا عن طريق معارك كلامية وطنطنة بالالفاظ ولكن بكسب الارض من تحت أقدامهم فى كل يوم. ليتقدم الاسلام فى كل القارات كمنقذ للانسان من الضلال والاستلاب والطغيان بكلمته الطيبة المتجه الى الضمير والوجدان.. واضعا فى حسابه اعاقة الادعياء ومجادلة الخصوم ومنازلة الاعداء.. معتمدا على منهج واع وعلى تعبئة أصيلة للملايين الباحثة عن الحق والعدالة والتقدمية وسمو الانسان.. ليس فى قلب المسلم الواعى حقدا ولا كراهية ولا ضغينة.. ولا طمعا فى دنيا ولا رغبة فى ملذة وقتية واهية.. وانما قلبه عامر بحب الله ومن ثم بحب أخيه.. متفهم لنفسه ولغيره.. صافى هادىء فى مواجهته صريح فى خصومته صلب رزين فى منازلته.. يجامل أدبا وحياء وتواضعا ولا ينافق.. يحاور صدقا ولا يراوغ.. ويستوعب المواقف قبل أن يتحرك لامكان لديه للعفوية والعشوائية والاعتباطية - وانما الحكمة والعمق والتروى شعاره فى كل المواقف ليكشف أقنعة الادعياء.. لا يهاب خصومه ولا يخاف من أعدائه لان الحياة بالنسبة له ليس مجرد أكل وشرب ومتاع يحرص مُسْتعبدا على ابقائها عبر أيام تكرر وليال تمر - وانما الحياة بلاء تكشف من خلاله حقيقة طاقته الصالحة وجوهره الاصيل وسلوكه البين.. قاعدته وحكمه فى السلوك ارضاء الله وتقبل الدنيا وقضاياها تقبل المؤمن المتفائل بلقاء الله.. مسيرته الدنيوية يعيشها بفؤاد رضى لا تغريه فينسى حقيقته المؤقتة فيها.. ينظر دائما الى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف وضعت والى الكواكب المنتشرة فى الكون كيف نظمت وأحكمت (تسبح باسم الله).. والى المحيطات الواسعة كيف حفظت وسيرت فيتواضع فى مشيته وفى جلسته وفى حديثه وعلاقته بكل ما يحيط به.. ويعيد النظر فى هذا الكون ليكتسب مزيدا من التواضع.. ويسلم بأن معرفته مهما عظمت فهى نسبية وبقاءه فى الدنيا مهما طال فهو مؤقت فيتمسك بما هو باقٍ ولا يربط قلبه ووجدانه بما هو فانٍ لكى لا ينمو ندمه وقلقه بتآكل العمر واستهلاكه.. وليكن نعم الداعية المتفاهم مع نفسه أولا (فيحدد لها أبعاد الدنيا ومعالم الطريق لينطلق الى الآخرين وهو المتجانس المتعادل فيكون مجرد النظر اليه مقنع بصدق رسالته التى يدعو اليها متفتحا سمحا محاورا لين الجانب.. ورب داعية متعادل صادق من هذا النموذج الامثل أجدى للاسلام من آلاف الابواق التى تصيح تحت اسمه وباسمه وأصواتها فى الواقع غير قادرة على اسماع فؤادها نفسه الذى منه تنطلق.

من رياض الدعوة




فوج من حجاج كوريا الجنوبية

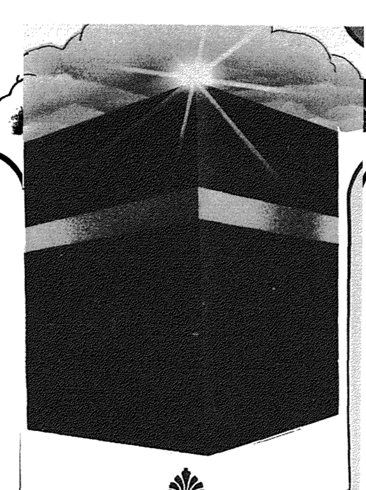
يشير تاريخ كوريا الى أن العرب وصلوا إليها فى وقت مبكر فقد أشار ابن خرداذبه فى كتابه «المسالك والممالك» الى وصول التجار العرب الى بلاد سيلا فى القرن التاسع الميلادى. ويشير التاريخ الكورى الى علاقات تجارية بين العرب وبلادهم فى القرن الحادى عشر الميلادى.

فى سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م اعترفت وزارة الارشاد الكورى بالاتحاد الاسلامى بكوريا وتبرع رئيس جمهورية كوريا آنذاك بمساحة تقدر بخمسة آلاف متر مربع لاقامة المسجد الاسلامى الرئيسى والمركز الاسلامى بسيول . .

وصل عدد المسلمين فى كوريا فى سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م حوالى ١٩٥٥٠ مسلما ينتشرون فى ثلاث مناطق . . ففى سيول ١١٠٠٠ مسلم . . وفى مدينة بوسان ٨٥٠ مسلما . . وفى بلدة كوانجو ٣٥٠ مسلما . . وفى خارج كوريا حوالى ٧٣٥٠ مسلما منهم ٥٠٥٠ مسلماً فى المملكة العربية السعودية و١٩٠٠ مسلم فى الكويت . . و٤٠٠ مسلم فى بلاد إسلامية أخرى. وتكسب الدعوة الاسلامية المزيد من الكوريين فعدد المسلمين فى نماء مستمر. ذلك أن الغالبية العظمى من سكان كوريا الجنوبية يعتنقون البوذية وإذا ما نظمت الدعوة الاسلامية بكوريا ودعمت فسوف يتضاعف عدد المسلمين سريعا.

والوضع التعليمى والاقتصادى للمسلمين فى كوريا جيد . . فحوالى ٤٠٪ حصلوا على التعليم العالى العام فى كوريا . . والتعليم الاسلامى يتركز الآن فى مدرسة إسلامية ملحقة بالمركز الاسلامى فى سيول ولا تزال هذه المدرسة فى مرحلة أولية وهناك حوالى ١٠٠ طالب كورى مسلم يدرسون فى البلاد الاسلامية . . وهناك مشروع إقامة جامعة إسلامية بكوريا كركيزة للعمل الاسلامى بكوريا ويشرف على هذا المشروع الاتحاد الاسلامى الكورى.

الاسلام مبدؤنا ونشر الاسلام بنهج العصر غايتنا . . نحاور ونواجه ونقنع الخصوم . . وننازل الاعداء . . ونرفع اقنعة الادعياء . . ونشد أزر الدعاة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه متمثلين بقوله تعالى : **﴿قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الالباب لعلكم تفلحون﴾.**



هل

تساءلت وأنا أقرأ قول الله لنبيه : ﴿**إنَّا نحن نَزَّلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربِّك**﴾ قلت : إن طلب الصبر ما يكون إلا عند التكليف الشاق والواجب الثقيل. **فهل استقبال الوحى الأعلى يقترن بهذه المعاناة؟** كان الجواب السريع أن الرسول ﴿ﷺ﴾ كان يعالج شدة عند نزول الوحى . . كان يجيئه فى الغداة الباردة ثم ينصرف عنه وقد تصبب جبينه عرقا . . وقد ظل الوحى يتنزل ثلاثا وعشرين سنة . . وقد استبعدت هذه الاجابة العاجلة لانها تتصل بالشكل أكثر مما تتصل بالموضوع . . والواقع أن متاعب النبوة وأعباءها الأولى أساسها : **كيف يرتفع الناس الى مستوى الوحى؟ كيف يعاد تشكيل الأمم وفق التوجيه الالهى؟ كيف تباد تقاليد وافكار وتحل محلها تقاليد افضل وافكار أرشد؟** (إن الغاية من نزول الوحى محددة فى هذه الآية : ﴿**كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور . .**﴾ **ما هذه الظلمات؟** انها ظلمات الرذيلة والبلادة والتخلف المادى والأدبى . . وسيادة الأهواء والأوهام . . وعيش البشر مع طبائع السوء والقسوة (ليست المشكلة استقبال الوحى ـ إنما المشكلة الكبرى أخذ الناس به وإنزالهم على حكمه. ولذلك جاء ختام الآية : ﴿**فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا**﴾ وقد كان العرب ـ كأى مجتمع يحيا فى غياب الوحى ـ يعرفون

«ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»

صدق رسول الله



فضيلة الشيخ
محمد الغزالي

الجزائر ـ جامعة قسنطينة

يرتفع المسلمون إلى مستوى دينهم

يومهم وينسون غدهم يعرفون انفسهم وينسون ربهم وقد امتازوا عن الناس بألوان المفاخرة والمنافرة والتحدى والتعدى جعلت تفرقهم حتما وتجمعهم صعبا **﴿لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم﴾** (ومطلوب من صاحب الرسالة الخاتمة أن يهيىء هذه الأمة لقيادة العالم كله . .

إن الشعب الفوضوى لا يقود غيره من الشعوب . . بم يقودها؟ . . والشعب البعيد عن الحضارة المحروم من الثقافة لا يملك الطاقة على ترشيد نفسه بله غيره . . والعرب قبل الاسلام ـ بل العرب بلا إسلام ـ لا يفوقون غيرهم بل قد يفوقهم غيرهم وكتابنا يؤكد هذه الحقيقة . فإن أمما شتى كذبت رسلها من قبل ورفضت الانقياد لأمر ربها فعوقبت عقابا شديدا وذاقت وبال أمرها . وقد قيل للعرب على عهد الرسول العظيم : «إنكم لم تحرزوا عشر ما احرزت هذه الأمم الأولى من تقدم حضارى وثقافى ولن تفلتوا مما حل بهم إذا عصيتم رسولكم . . **﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير﴾**؟ (مطلوب من محمد ﴿ﷺ﴾ أن يصوغ من العرب ـ وهم أشبه بشعوب العالم الثالث الآن ـ أمة قائدة رائدة تملك من سناء الفكر وزكاة الضمير والقدرة على الحياة وإيتاء الأسوة الحسنة ما يجعلها خير أمة أخرجت للناس . . وعليها تطويع ما بين الأرض والسماء لبلوغ هذا الهدف . .

إن السباق على صعيد الأرض والنجاح فى امتلاك الزمام العالمى لا يقوم على الدعوى والغرور . . إنه فكر أذكى من فكر وخلق أرضى من خلق وإدارة أرشد من ادارة وإنتاج أغزر من إنتاج وحكم أعدل من حكم وأسرة أطهر من أسرة وتربية أجدى من تربية .

إن عمل الدين داخل النفس والمجتمع بعيد الغور واسع النتائج . . والجهاد الهائل الذى قام به أمير الأنبياء هو صنع أمة راجحة الكفة فى كل ميدان . . إن الله أنزل عليه الوحى وشرفه بهذا القرآن ثم كلفه أن يفتح بهذا القرآن أقفالا وأن ينير به آفاقا . . وقد فعل وتلك معجزته الكبرى . . لقد أحيى المواهب وصحح الفطر التى أفسدتها شياطين الانس والجن ـ وعن طريق المسجد ربط الناس بالله ورص صفوفهم لتتماسك بعد فى ميادين الحرب والسلام معلية كلمات الله . وكلمات الله لا يعليها رجال أصغار إنما يعليها رجال كبار . .

إن رفع الناس أولا إلى مستوى الوحى أعنى مستوى الفهم والتنفيذ جهد هائل لا يقدر عليه إلا الأقلون وأجدنى محزونا لأن قدرات المسلمين المادية والأدبية دون

مستوى كتابهم بمراحل . . ولكى يتضح ما أريد أنقل هذه الجمل لأبى حامد الغزالى يقول: «**إن العقل لا يهتدى إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالاساس والشرع كالبناء ولن يغنى أساس مالم يكن بناء ولن يثبت بناء مالم يكن أساس**» . .

العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغنى بصر مالم يكن شعاع من خارج ولن يغنى الشعاع مالم يكن البصر.

العقل كالسراج والشرع كالزيت الذى يمده . . فمالم يكن زيت لم يحصل السراج ومالم يكن سراج لم يضىء الزيت.

ويقول: «الشرع عقل من الخارج والعقل شرع من الداخل وهما متعاضدان بل متحدان . . ولكون الشرع عقلا من الخارج سلب الله تعالى اسم العقل عن الكافر فى غير موضع من القرآن الكريم كقوله سبحانه: ﴿صم بكم عمى فهم لا يعقلون﴾ ولكون العقل شرعا من الداخل قال تعالى فى وصفه ﴿**فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**﴾ فسمى العقل دينا ولكونهما متحدين قال سبحانه: ﴿**نور على نور**﴾ يعنى نور العقل ونور الشرع . .

(وهذا الذى يقوله أبو حامد ليس مذهبا خاصا به فإن ابن تيمية كبير علماء السلف ألف كتابا ضخما فى درء تعارض العقل والنقل وأنه يستحيل أن يصطدم عقل صريح بنقل صحيح . . (من أجل ذلك شعرت بالانكسار والهزيمة عندما رمقت الصحوة الاسلامية المعاصرة ورأيت انفصالا بين القدرات العلمية الذكية والأنشطة الدينية الدءوب . . قلت: لو أن القرآن غمر الآفاق بالصحوة الكبرى فما يجدى هذا مع الأجفان المغلقة؟ ورددت قول أبى الطيب:

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره
إذا استوت عنده الأنوار والظُّلَمُ؟

(إن ناسا يدّعون الجهاد والاجتهاد وعقولهم كليلة لا تكاد ترى شيئا من آيات الله فى الأنفس والآفاق ولا تحركها همة عالية لادراك ما بلغته الانسانية من ارتقاء . . ؟ وإذا كان السباق العسكرى بين العمالقة يثير النزاع حول «مشروعية» حرب الكواكب فإن هؤلاء الناس يسمعون تلك الأنباء وكأنما ينادون من مكان بعيد ولا تزال عقولهم منكرة لأوليات علم الجغرافيا ولبديهيات شتى فى الفيزياء والكيمياء . . الشيىء الذى يتحدثون فيه بحرارة هو الاسلام المظلوم من خلال أفهام لا يساندها وعى أو ذكاء أو تجربة . (ألا فليفهم هؤلاء أنه إذا مات العقل مات الدين وإذا اضمحلت المعرفة الانسانية لم يغن عنها توسع فى مرويات معطوبة وأفكار مقلوبة .

لقد تمت كلمات ربنا صدقا وعدلا والحاجة ماسة الى أصحاب قرائح يفهمون تلك الكلمات . . وتتلاقى بصائرهم مع أشعة الوحى فيفهمون الأمور على وجهها الصحيح . . وينقلون الأمة الاسلامية من المنحدر الذى هوت إليه الى القمة التى أنزلت عنها طوعا أو كرها . .

(زرت فرنسا وانجلترا ووازنت بين الاقلية الاسلامية فى البلدين وأقليات أخرى وشعرت بحسرة . . (اليهود وهم سبع المسلمين هنا وهناك لهم ممثلون كبار فى المجالس التشريعية وليس يمثل المسلمين أحد).

(لليهود وجود فى عالم المال والأعمال وجمهرة المسلمين تعمل فى الحرف الدنيئة والوظائف الدنيا .

إن عدد اليهود فى العالم ستة عشر مليونا من الأنفس ونحن تجاوزنا المليار ومع ذلك فقد أحسنوا نصر دولتهم وإعلاء شعائرهم ومازلنا فى مواضعنا يجار علينا ولا نجير.

مالنا أكثر من مالهم ولكننا لا نحسن تثميره وتقليبه فى الأسـواق. . وأرضنا أوسع من أرضهم ولكننا لا نحسن إثـارتهـا وتـركهـا تهتـز زرعا. . (وهم الآن يذهبون الى معـابدهم بزهو وأعداد من المسلمين تزهد فى مساجدها وتتدحرج من النور الى الظلمات. .

وجدت أقطارا فيها عدد كثيف من الأطباء العرب وغير العرب تشرف عليهم تستغل جهودهم مؤسسات صهيونية لماذا؟ لأن القوم يعملون فى صمت ويدرسون خططهم فى هدوء ونحن فقدنا ملكة التجمع المثمر وتفرقنا فرادى يسيّرنا الآخـرون. . (إن الاستعماريين ربما وضعوا أيديهم على أموالنا ثم أخذوا ما تيسر منها وذهبوا به الى ضحايا الجفاف يتألفـون قلوبهم ويعمرونها بعقائدهم ونحن لا ندرى. . (إن العمـل الأول للدين هو تزويـد القلب بالنور الذى يكشف الطريق. . وبالطاقة التى لا تنضب. . أما ميادين العمل فليس لها حصر وذاك معنى الآية **﴿أوَمَنْ كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها﴾**؟.

(وليس الدين الاحتباس فى قوقعة الجزئيات المتفاوتة والخـلافـات الصغـيرة مهـما صاحب ذلـك من حماس وتشنـج. . وأخشى أن يغلبنا أتباع كل ملة إذا اهتممنا بغطـاء الـرأس ولم نهتم بداخـل الرأس. . قال لى أحد النـاس بعـد أن طال معـه الأخـذ والرد: **ألست تحب السلف؟** قلت: بلى وربى. لكنى أسألك أنت: **ماذا تعـرف عن سيـاسـة الحكم عند السلف؟ وسياسة المال؟ وسياسة الدعوة؟ وسياسة المجتمع؟ وسياسة الحرب والسلام؟.**

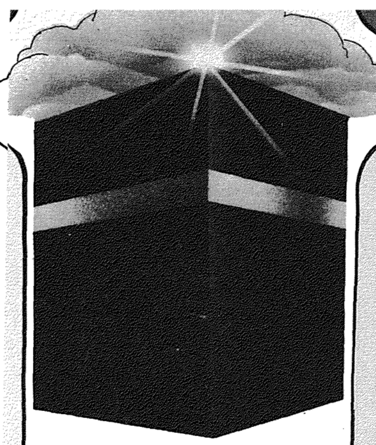


هذه القضـايـا الخمس كانت واضحة الدلالة فى نفوس اسـلافنا وكانوا يعرفون بها فى أرجاء الدنيا (الحكم قوامه العدل وآيته قول الرسول الكريم **«لا تقدس أمة لا يؤخذ لضعيفهـا من قويهـا»** (والمال ليس متعة خاصة إنه عافية لصـاحبـه وغوث للمحتاجين وأداة للجهاد فى سبيل الله (والـدعـوة تطواف فى الآفاق أخرج العرب من جزيرتهم للبلاغ فما استقروا إلا حيث تزدهر تعاليم الاسلام ـ **فماذا فعل الخلوف الذين جاءوا من بعد؟** تقوقعوا فى دورهم حتى كشف الصليبيـون الأمـريكتين واستراليا. . وملأوا ثلاث قارات بالنصرانية واللغات الأخرى ونحن قابعون فى أماكننا حتى غزينا فى عقر دارنا. .

والمجتمع الاسلامى؟ كانت قاعدة الأمر والنهى روحه وشرفه وسياج حق الله والناس فى أرجائه. **فماذا بعد أن خفت الصوت؟** صدق قول الرسول الكريم: **«إذا رأيتم أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد نودِّع منها»** وهى الآن تحيا فى أكفانها.

(وسياسة الحرب والسلام)؟ إنكم من طول حديثكم عن الحرب والضرب أشعرتم الناس كأننا مولعون بسفك الـدمـاء، والاسـلام إنـما يخاصم الفتانين وقطاع الطرق وأعداء الشعوب.

فى عصـرنـا هذا توجـد سبعون طريقة لخدمة الاسلام وإنعـاش أمتـه المغمى عليهـا. . وتثبيت أقـدامهـا على الطريق الذى مرت به مواكب السلف. **ولا تصح طريقة من هذه الطـرق إلا بعـد رفع أمتنا إلى مستوى الوحى وتصحيح إنسانيتها وفتح عينها المغلقة كى تمشى على سناه.**



الدعوة في ا

الدعوة إلى الله تعالى هى من أجلّ - ان لم تكن أجل - القربات . . وأعظمها أجرا . . وأرفعها قدرا عند الله عز وجل ﴿ومَنْ أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعَمِلَ صالحا وقال إننى من المسلمين﴾ . . «ولأن يهدى الله بك رجلا خير لك من حمر النعم» (حديث نبوى شريف). وهى من الواجبات التى أوجبها الله تعالى على كل أمة بعث فيها رسولا بحيث لو لم يقم بها البعض أثمت الامة باجمعها . . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ . ويقول جل شأنه ﴿ولتكن منكم امة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ بل يحدثنا القرآن الكريم عمن أهمل هذا الواجب لنتعظ بما حاق به من غضب الله تعالى ﴿لُعِنَ الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ . . وفى الحديث الشريف : لتأمرنّ بالمعروف ولتنهوُن عن المنكر او ليسلط الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم» .

وللدعوة الى الله احكام وشروط يهمنا منها هنا ان يكون الداعية عالما بما يدعو له متحققا من أبعاده . . جامعا لشتى أطرافه يقول الله تبارك وتعالى على لسان نبيه محمد ﴿ﷺ﴾ ﴿أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى﴾ فمن لم يكن على بصيرة ربما ضل واضل .



استمرت معجزة القرآن الكريم فى التجدد فى كل عصر ومع كل شوط قطعته البشرية فى مضمار المعارف والعلوم .



الدكتور
محمد عبده يماني
جدة

المعهد الحاضر وتطور نظمها وأساليبها

ومن مستلزمات الدعوة على بصيرة ان يعرف متى يدعو. وكيف يدعو. ومن يدعو. ذلك ان اساليب الدعوة تختلف باختلاف الظروف وباختلاف المواقف فوسائل الدعوة فى المدن ينبغي ان تختلف عنها فى الارياف. وطرق دعوة المثقفين - مثلا - يجب ان تختلف عن طرق دعوة غير المثقفين.. وهكذا.

وقد اختلفت وسائل الدعوة عند الانبياء انفسهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.. فلما كانت الانسانية متخلفة فى العلوم والمعارف كان الرسل يلجأون الى البداهة من ناحية والى البراهين العملية والمعجزات الحسية من ناحية اخرى. ﴿ألم تر الى الذى حاجَّ ابراهيمَ فى ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى وأميت﴾.. هذا برهان عملى مقنع - لكن النمروذ اراد ان يكابر فلجأ سيدنا ابراهيم الى برهان عملى آخر لا يفتح ادنى مجال للمكابرة قال ابراهيم ﴿فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فَبُهِتَ الذى كفر﴾.

واتبع سيدنا ابراهيم نفس الطريقة فى حواره مع قومه عمد عليه السلام الى اصنامهم ﴿فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون﴾ فلما رجعوا ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون﴾.. وفعل البرهان العملى الذى ساقه سيدنا ابراهيم فعلته فى القوم ﴿فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون﴾.. ﴿ثم نكسوا على رءوسهم﴾.. ﴿وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم﴾.. ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا﴾.

وهكذا سار الانبياء من بعده فى الاعتماد على البديهة والبراهين العملية وان اختلفوا فى الوسائل باختلاف الظروف والاحوال.

حتى المعجزات كانت تختلف مع نبى عنها مع نبى آخر فاختلفت معجزات سيدنا موسى عن معجزات سيدنا عيسى عليهما وعلى نبينا افضل الصلاة واتم التسليم وما ذلك الا لاختلاف الظروف.

ولما قطعت البشرية شوطا من العلم والمعرفة واراد الله سبحانه وتعالى ان تكون الرسالة عامة للناس جميعا وفى جميع العصور وعلى اختلاف مراحل تطور العقل البشرى جمع الله فى الرسالة المحمدية ما كان فى قبلها من الرسالات من وسائل.. جمع فيها البداهة والبراهين العملية والمعجزات.. لكنها انفردت فانضاف اليها مخاطبة العقل فى سائر العصور وفى كافة اطوار تقدمه.

لم يكن هناك بد من البداهة والبراهين العملية فى رسالة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لأن قومه كانوا أميين ليس لهم حظ من المعرفة الا فى حدود ضيقة.. كما ان امثالهم موجودون فى سائر انحاء العالم ولن يخلو منهم

جيل الى يوم البعث فلا يصلح مع هؤلاء جميعا الا البداهة والبراهين العملية فعلى الداعية الذى يدعو فى مجاهل افريقيا - مثلا - ان يخاطب البداهة ويلجأ - لا الى البراهين المنطقية - لكن الى الحجج العملية كالتى اتبعها سيدنا ابراهيم ومن خلفه من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

وفى نفس الوقت لم يكن بد للرسالة المحمدية من مخاطبة العقل فقد كان فى الجزيرة العربية نصارى لهم حظ من المعرفة . . وكان فيها كذلك يهود . . وكان فيها من اختلط عن طريق التجارة او غيرها ببعض الامم التى ارتقى فيها الفكر.

ثم لما كان من قضاء الله وقدره ان يتطور العقل الى آفاق لا تدور بخلد بشر . . ولما علم سبحانه أن الكلمة - مالم تتدخل السماء - ستؤول الى العلم . . اختلفت وسيلة الدعوة عنها فيما سبق: فاكتنز الكتاب العزيز فى طياته من العلوم والمعارف ما يكون معجزة للناس فى كل مرحلة قطعت البشرية فيها شوطا من المعرفة . . سواء فى السياسة او فى العلوم الكونية او فى الاجتماع او فى الاقتصاد - او فيما شاء الله . . وقد شهدنا باعيننا ولمسنا بانفسنا كيف يدخل فطاحلة علماء العصر الحديث فى الاسلام لا يقودهم الى ذلك إلا اعجاز القرآن: **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق﴾** .

وبهذا استمرت معجزة القرآن فى التجدد فى كل عصر ومع كل شوط قطعته البشرية فى مضمار المعارف والعلوم **﴿قل لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرا﴾** .

الشاهد من كل ذلك ان طرق الدعوة واساليبها اختلفت عند الرسل انفسهم صلوات الله وسلامه عليهم وذلك بحكم ما يتطلبه كل ظرف . . وما تقتضيه كل حالة . . وما يتفق مع كل موقف . .

بل اختلف الامر فى الرسالات نفسها - فبعد ان كان يجيىء للناس رسول برسالة فى كل فترة اختتمت الرسالات كلها بالرسالة المحمدية فاصبحت الرسالة المحمدية نفسها تتجدد على الدوام على ايدى ورثته صلى الله عليه وسلم من العلماء العاملين الذين دعا سيدنا علىّ الله عزَّ وجل الا يُخلى الأرضَ من واحد منهم قائم بحجة اما باطنا مغمورا او ظاهرا مشهورا . . فكان هؤلاء حملة الامانة من بعده صلى الله عليه وسلم كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حقهم «علماء امتى كأنبياء بنى اسرائيل» .

ولقد وضّح الله لهؤلاء العلماء الربانيين والورثة المحمديين اسس الدعوة وتكفل بان يلهمهم السداد فى اختيار الوسائل التى ينشرون بها الدعوة حسب مقتضيات الظروف ومتطلبات الاحوال يقول الله تبارك وتعالى **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن﴾** وهو خطاب له ولامته صلى الله عليه وسلم - ويدخل فى هذه الآية الشريفة قوله تعالى: **﴿ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن﴾** . . والحكمة التى وردت فى الاية الاولى انها تعنى مطابقة الدعوة لمقتضى الحال لان الحكمة مهما تعددت معانيها ومفاهيمها فمرجعها كلها الى اصل واحد هو «وضع الشىء فى موضعه» فلكل مقام مقال؟ .

ولقد طبق سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ هذه الاسس تطبيقا كاملا يتجاوز حدود الوصف واختلفت اساليب دعوته فى مكة المكرمة عنها فى المدينة المنورة عنها فيها بعد الفتح وقد اصبح ذلك نبراساً للدعاة يهتدون به ويحتذون حذوه وسراجا يقبسون من نوره جيلا بعد جيل الى ان تتبدل الارض غير الارض والسموات: **﴿لقد كان لكم فى رسولِ الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخِر﴾** **﴿قل ان كنتم تحبّون الله فاتبعونى يحببكم الله .﴾**

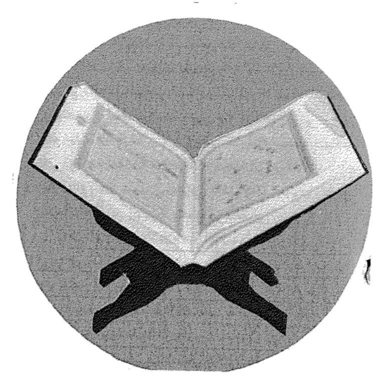
ولكى نكون عمليين لنأخذ أمثلة تبين لنا كيف تتبدل سبل الدعوة وتتغير بحكم الظروف.

فى الماضى كانت كل رقعة من الارض تكاد تكون عالماً مستقلا قائما بذاته اما اليوم فقد اختصر العالم كله فاصبح رقعة واحدة ينطبق عليه بأسره ما كان ينطبق على الرقعة

الصغيرة فى الازمان الماضية . . فاذا قام احد يدعو للاسلام بحجة ان الاسلام يكفل المساواة ويضمن الحرية ويفعل كذا كذا لم يكن لكلامه هذا - رغم صحته - قيمة تذكر بعكس ما كان فى الماضى ذلك لان الناس الآن عرفوا مذاهب اخرى كلها تدعى ذلك . . عرفوا الشيوعية وهى تنادى بالديمقراطية وتتيح بالحرية والمساواة . . وعرفوا الرأسمالية وهى تعتقد انها معقل الحرية وحامية حمى المساواة . . وعرفوا . . وعرفوا . .

وكلٌّ يدَّعى وصلاً بسلمى وسلمى لا تقر لهم بذاكا

اذن فينبغى ان ينتقل الكلام اليوم من ضمان الاسلام للحرية مثلا الى مزية الاسلام وتفوقه على غيره فى ضمان الحرية . . وقل مثل ذلك فى المساواة . . وفى الاقتصاد . . وفى شتى النواحى من سياسية او اجتماعية او غيرها . . لقد سئم الناس من دعوى كل مذهب ضمان حقوق الناس: فلابد ان يعمد الناس الى معالجة القضية بطريق أقصر وهو الى اى حد يضمن هذا المذهب او ذاك حقوق الانسان بصورة افضل وأكمل . .



مثال آخر

تقدم العلم فقلب المقاييس رأسا على عقب - بل وتحدى البداهة فى كثير من الامور البديهية تقول - مثلا - ان الارض ثابتة . . العلم يقول انها متحركة . . البديهة تقول ان الارض مسطحة ومجنون من يقول غير ذلك . . والعلم يقول لا بل انها كرية (كروية) . . البديهة تقول ان قنطارا من الحديد اذا سقط من اعلى مع ريشه فى ظروف متساوية فان قنطار الحديد يقع على الارض قبل الريشة . . العلم يقول انهما يقعان فى نفس الوقت بفعل الجاذبية لا بفعل الوزن وهكذا . . حتى انهم يقولون ان المرء لا يجرى من الاسد لانه خاف منه ولكنه يخاف من الاسد لانه يجرى منه .

وبناء على ذلك اذا استخدمت البراهين الفلسفية الكلامية التي كانت فى الماضى تستخدم للتدليل على وجود الله وهى تعتمد اساسا على البداهة فقلما تنجح فى مهمتك لأن كل موجود لابد له من موجد مثلا اصبحت لا تقنع الملاحدة . . حارب الملاحدة بسلاحهم ولا ترجع بعقارب الساعة الى الوراء .

● اذا قالوا نظرية التطور فلا ترجع بهم الى البديهة فتقول ما شاع بين الناس من ان الناموسة وجدت مع الفيل من قديم الزمان - فاين التطور؟ . . لا: بل وضح لهم ما قاله العلماء عن نظرية التطور وعن قصورها وعن فسادها . قل ما قاله العلماء فى نظريه التطور لا تقل ما قالته البديهة فان العلم - كما ذكرنا - تحدى البديهة فى اكثر من ميدان . . ولا تقل لهم ما تراه انت وما يمليه عليه فكرك - فاين تكون انت من هؤلاء العلماء الملاحدة ولو فى نظر المغرورين بهم المعجبين بضلالاتهم . . قل ما قاله نظراؤهم من علماء الرياضة ومن علماء الطبيعة . . او من العلماء الذين جمعوا بين الطبيعة والرياضة واستقرت لهم فى هذه العلوم مكانة اعلى واثبت من مكانة المتنكرين(١) (الملاحدة) كما يقول الاستاذ العملاق عباس محمود العقاد .

● واذا تكلموا عن المصادفة فلا تستسخف كلامهم استنادا الى البديهية بل حاربهم بسلاحهم واذكر ما قاله *العلماء المؤمنون الذين اتخذوا من قوانين المصادفة برهانا على وجود الله .*

• واذا احتجوا بالطبيعة فاذكر ما قاله العلماء المؤمنون الذين اتخذوا من قول الملاحدة فى الطبيعة برهانا على وجود الله. اما الكلام عن الجوهر والعرض وبرهان التسلسل الى آخر ما كان يستخدم فى البرهان على وجود الله فاقرأه للمتعة لا للمحاجة فلكل زمان دولة ولكل دولة رجال. .

مثال ثالث

كان الداعية فى الماضى غالبا ما ينظر الى الموضوع من الزاوية الاسلامية دون غيرها وما يزال من الدعاة من يلتزم ذلك حتى عصرنا هذا؟. . انظر الى الضجة التى اثارها كتاب «**حياة محمد**» للدكتور هيكل عليه الرحمة فيما يختص بتعرضه فى كتابه لاقوال المستشرقين وتصديه للرد عليهم فقد اخذ بعض النقاد عليه ذلك وعدوه عيبا من عيوب الكتاب وكاتبه وهى من المحاسن التى تجعل هذا الكتاب فريدا فى بابه شكلا وموضوعا.

اذا محاسنى اللاتى أتيت بها
عدت ذنوبا فقل لى كيف اعتذر

مثال رابع

لقد درج وفق بعض الواقع كثير من الدعاة الذين يتكلمون عن فضائل العبادات دون ان يولوا اى اعتبار لما قد يثيره كلامهم هذا من التساؤلات. . مثلا يقول القائل منهم «الصيام يفيد الصحة. . ويشفى بعض الامراض. . ويساعد على شفائها) ولا يخطر بباله انه بذلك - فى عصرنا هذا - يتورط فيما هو غنى عن التورط فيه - فقد يسأله سائل: اذا كان هذا حقا فلماذا لا يفرض الصوم على المرضى وحدهم. . **ولماذا يفرض على الاصحاء؟**. . مثل هذا التصرف يعود بدعوة هذا الداعية الى انتكاسة - وعليه فلابد أن يغير من وسيلته اما بان يستعد للاجابة او يقول افترض الله الصيام على عباده يعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فهو مجرد متحان اوكيا كانوا يقولون امر تعبدى ولا يخلو من حكم قد علم الناس بعضها ويختص الله بعلم ما لم يعلم منها. . ويكفى فى العبادات ان الله لم يجعل فيها من حرج - ﴿**فمن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾. . المهم لابد من مراعاة ذلك فى العصر الحاضر رغم ان كثيرا من الدعاه بدافع من حماسهم لا يلتفتون لذلك.

مثال خامس

تطورت وسائل الدعوة من «الموسوعية» الى التخصص.

فقد كانت «الموسوعية» سمة النهضة الفكرية الاسلامية فكان العالم الذى يفسر القرآن الكريم - مثلا - موسوعة من المعارف والعلوم. . فبالاضافة الى معرفته باللغة واساليب البيان كان مؤرخا حين يفسر الآيات ذات الصلة بالتاريخ. . وكان فلكيا فى ذات الوقت حين يفسر الآيات المرتبطة بالفلك. . وكان عالما بالطب وعلوم الاجنة والتشريح والفلسفة حين يتعرض لتفسير الآيات المرتبطة بهذه العلوم. . وكان. . وكان. . مما هومعروف. . فانتقل العالم من عصر «**الموسوعية**» الى عصر التخصص واصبح الداعية الناجح هو الذى يرجع الى «**اهل الذكر**» أو الى جهات الاختصاص فيما لا يحسنه او مالا يتعلمه من العلوم.

مثال سادس

كان الداعية فى الماضى قليل الاهتمام - وفى اكثر احواله شديد النفور - من العلوم غير الاسلامية حتى لو اضطر الى ان يرد على بعض ما تعالجه هذه العلوم فانه لا يبرح دائرته الاسلامية. . وخير مثال على ذلك الفلسفة التى كانت تقف موقف الهجوم من الاسلام ويقف العالم المسلم دائما منها موقف الدفاع وما ذلك الا لعدم معرفته او رغبته فى دراسة الفلسفة حتى جاء الامام الغزالى رضى الله عنه فانعكست الآية ووقف الاسلام موقف المهاجم وتزحزحت الفلسفة من موقف الهجوم الى موقف الدفاع. يقول الاستاذ محمد السليمانى محقق كتاب قانون التأويل للامام القاضى ابى بكر محمد ابن العربى:

«ان المهاجين للاسلام من الفلاسفة لما رد عليهم رجال من اعيان الامة لم يكلموهم بلغتهم ولا ردوا عليهم بطريقتهم وانما ردوا عليهم بما ذكر الله فى كتابه وعلمه لنا على لسان رسوله (ﷺ) فلم يفهموا تلك الاغراض وطفقوا يهزءون بتلك الردود ويضحكون منها. . فانتدب ابو حامد (يعنى الغزالى) للرد عليهم بلغتهم. .

ومكـافحتهم بسـلاحهم . . والنقض عليهم بأدلتهم . . فأجاد فيها افاد وأبدع في ذلك كما اراد الله .

ولذلك انتقلت وسائل الدعوة من التقوقع في دائرة خاصة الى الانفتـاح الى كافة دوائر الثقافة العالمية ووجدت في كتـابها العزيز وفي تراثها المحمدي وثقافتها الاسلامية ما حقق للاسـلام نصراً فكريا كاسحاً كان من نتائجه هذه الصحوة الاسلامية التي نشهدها وهذه الاعداد من افذاذ العلماء الغـربيـين الـذين اخذوا يتوافدون على الاسلام يرتبطون بعقيدته وينهلون من معينه الثر الغزير الهنى الفريد .

ومثال سابع

كان الداعية في العهود الماضية اذا تكلم فلا يسمع كلامـه غير عدد محدود من النـاس اما اليوم فعن طريق الاقـمار الصنـاعيـة وبواسطة الاذاعات والتلفازات التى اصبحت في متناول الغنى والفقير على السواء فقد صار الداعية يُسمع الألوف المؤلفه من الناس بل ربما اذا كانت شهرته واسعة اسمع الملايين ولهذا فعلى الداعية في الوقت الحاضر ان يستغل ما اثمره العلم والتكنولوجيا من مكبرات الصـوت . . ومن ناشـراته في شتى انحاء العالم . . ومن حافظـاتـه ومسجـلاته كالفيديوهات والاشرطة . . وذلك لخدمة الدعوة ونشر الاسلام والدفاع عنه .

كذلك كان الداعية في الماضي يعتمد على نسخ الكتب وذلك اما لانعدام المطابع في مرحلة او لندرتها في مرحلة تالية ولربما قطع المسافات الطويلة بوسائل النقل البدائية ليتحرى مثلا من صحة حديث او لينسخ كتابا لا يوجد الا في محلة نائية قد لا يصلها الا بشق الانفس.. اما اليوم فان المطابع وفرت على الدعاة هذا الجهد الشاق المضنى واصبح في امكان المرء ان يتنـاول الكتـاب في غايـة اليسر ان لم يكن من المكتبـات التجـارية فمن المكتبات العامة او في مكتبات الجامعات التي - ولو بعدت - يستطيع الوصول اليها باقل مجهـود . كما توفر للداعية اعداد ضخمة من المبتعثين في الخارج والذين ينبغى ان يتعقبهم الدعاه ويتعهدهم حتى يكـونـوا حملة المشاعل وامتدادا لهؤلاء الدعاة اينما ابتعثوا وحيثما وجدوا مما فتح آفاقا واسعة للدعوة ما كان يحلم بعشر عشر معشارها آباؤنا الاقدمون الذين نشر الله بهم دينه . . وأعلى بهم كلمتـه . . ونفـع بهم عبـاده . . رغم ما كان يكتنفهم من الصعـوبـات ومـا يقف امامهم من عقبات فكانوا بذلك خير امة اخرجت للناس يشهد بذلك العدو قبل الصديق .

وبعد فالكلام عن تطور اساليب الدعوة يطول والامثلة على ذلك فوق ما يتسع له هذا الحيز من صدر هذه المجلة الغراء .

واتمنى ان يكون فيما ذكرت الكفاية .

بقيت هناك نقطة هامة لابد من الاشارة اليها .

يخلط كثير من الناس بين اساليب الدعوة وبين الدعوة نفسهـا . . الاسـاليب تتطور او تتـدهور وتتغير اما الى احسن او الى اسـوأ اما الدعوة نفسها امَّا الاسلام ذاته فتطوره من ذاته فهو يتطور ولا يُطور لانه فضفاض يتمشى مع تقدم الازمنة . . قسطاط يلبى كل حاجة دون ان يكون ذلـك على حسـاب اى عنصـر من عناصره او جزء من اجـزائه بخلاف المسيحية(٣) مثلا فانها كلما خطت خطوة نحوالتطور فقدت عنصرا من عناصرها الذاتية ومقوماتها الاساسية وبالتالى قضت على وشيجة من الوشائج التى تصلها بالسماء(٤) .

●● الله تبارك وتعالى يقول : **﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا﴾** . . فمن هذا الذى يستطيع ان يكمل ما سبق ان أكمله القاهر فوق عباده الحكيم العليم . . ومن هذا الذى تحدثه نفسه بان يطـور منهاجاً امتن الله به على المصطفين من خلقه وجعله لهم الوسيلة (الكاملة) التى تربطهم به وتوصلهم اليـه وتقربهم منه . . وتهيئهم للانس به والحظوة برضوانه الاكبر في مستقر الرحمة ودار الكرامة والرضوان والنعيم المقيم . .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(١) انظر كتاب : «الله» للمرحوم العبقرى الفذ الاستاذ عباس محمود العقاد ص٢٨٦ .

(٢) انظر ص ٦١ من المصدر المذكور

(٣) اعنى بالمسيحية هنا المسيحية الحاضرة المشوهة التى كفر بها اهلها وان دأبوا على تصديرها لغيرهم

(٤) راجع على سبيل المثال ما قاله عن ذلك الفيلسوف المعاصر C.E.M Joad في كتابه Recovery of Belief .

النداء



مجلة «المنهل» بمناسبة اصدارها عدداً خاصاً عن الدعوة الاسلامية، وما يواجهها من تيارات مضادة ـ اقترحت عليَّ ان يكون هذا الفصل من ذكرياتى فى موضوع «الدعوة» وما يتصل بها.

والحقيقة ان لى ذكريات جمة عن «الدعوة» فى مقدمتها البداية التى اخذت بالتدريب فيها على الخطابة المباشرة ـ اى بدون القراءة من ورقة مكتوبة ـ فالخطابة المباشرة ضرورية لنجاح الداعية لانها تجتذب انظار المستمعين واسماعهم وافكارهم فهم يتجهون بكل ارواحهم واجسادهم الى الخطيب الذى ينظر اليهم ويحدثهم مباشرة كما يحدث المحاور محاوره.

بدأت اتدرب على الخطابة المباشرة سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م خلال رحلتى الى باكستان ملبياً دعوة تلقيتها من جامعة البنجاب للمشاركة فى «الندوة العالمية للاسلاميات» التى انعقدت فى لاهور وحضرها كثير من علماء البلاد العربية والاسلامية وفى مقدمتهم الاساتذة الاجلاء: محمد ابو زهرة ومحمد عبد الله دراز ومحمد المبارك والسيد عبد الحميد الخطيب ـ رحمهم الله ـ ومصطفى الزرقا وعمر بهاء الأميرى.. وغيرهم.

وكان حديثى بالندوة عن «فكرة الدولة فى الاسلام»(١) وبعد انتهاء الندوة من اجتماعاتها قام المسؤولون عنها



على الدعوة الإسلامية

بتطويف المشاركين فيها على عدد من المؤسسات الدينية والتعليمية والأماكن المعروفة والمشهورة بآثارها العمرانية والتاريخية ومنها حديقة شليهار فى لاهور.

وكان رفيقى فى المسكن ـ خلال الندوة وبعدها ـ السيد عبد الحميد الخطيب يرحمه الله. ولما كانت له خبرة واسعة بباكستان لانه كان سفيراً للمملكة العربية السعودية بها كما له صلات وصداقات بعلمائها ورؤساء مؤسساتها الدينية والتعليمية ـ فقد كان هؤلاء الاصدقاء يدعونه ـ وأنا معه ـ لحضور احتفالات تكريم له ولمن معه ولبعض اعضاء وفود الندوة.

وكان لابد من كلمة تلقى فى كل احتفال من هذه الاحتفالات شكرا للمحتفلين اولا وحديثاً عن الاسلام والمسلمين ثانيا كدعوة الى الثبات عليه ومواجهة اعدائه والمفترين عليه بالاكاذيب والأباطيل.

كنت اتكلم باللغة العربية ـ لأنى لا اعرف الأردية لغة القوم الذين اتحدث اليهم ـ وكان يترجم حديثى السيد «القدوسى» الذى كان موظفا بالسفارة السعودية على عهد السيد عبد الحميد الخطيب ـ يرحمهما الله ـ

ولا شك ان حديثى باللغة العربية الى قوم لا يعرفونها كان يمنحنى شجاعة وجراءة فى الاسترسال كما يمنحنى فرصة استراحة قصيرة لكى أتهيأ فى فترة الترجمة لإعداد فقرة اخرى من الحديث.

وقد عدت من باكستان حينذاك وأنا قادر على الحديث المباشر بعد إعداده فى ذهنى.. أى اعداد عناصره وموضوعاته واستدلالاته.

ولكن هذا الأسلوب من الحديث أو الخطب او المحاضرات ـ مع أنه المؤثر البليغ فى المستمعين ـ الا انه يفقدنى الكثير من موضوعات الحديث الذى تحدثت به عندما أريد تدوينه بعد الالقاء فإن الشيطان حاضر دائما لكى ينسينى الكثير مما قلته فى حديثى او محاضرتى.

وهكذا تكون الندوة العالمية للاسلاميات ـ فى باكستان ـ هى البداية لتدربى على الدعوة الاسلامية.. وقد فتح الله الفتاح العليم علىّ فساهمت فى كثير من المؤتمرات والندوات داخل بلادى وخارجها فى مصر والجزائر وموريتانيا والصومال والهند وبريطانيا وأسبانيا فأستراليا وايران والأردن وغيرها. وكنت اتحدث فيها أو اعقب على المتحدثين باعتراض أو تأييد لما يقولونه أو يطرحونه من آراء وأفكار وقضايا ومشكلات.

وفى سنة ١٣٩٧هـ عقدت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة حين كان يرأسها الدكتور عبد الله الزائد ـ مؤتمراً للدعوة والدعاة ودعتنى الى المساهمة فيه بإلقاء محاضرة

وعرضت على المدعويين عددا من الموضوعات ليختار كل واحد منهم الموضوع الذى يجب ان يتحدث عنه او يخوض فيه.

فاخترت موضوعاً خارج نطاق الموضوعات المطروحة من المؤتمر وهو: «الميدان الاول للدعاة الاسلاميين» وقد تحدثت فى المؤتمر حديثاً مطولا ومفصلا عن الدعوة والدعاة - وعن ضرورة تطوير اساليب الدعوة وفقاً لأوضاع العصر الحديث - وعن العقبات التى تعترض سبيل الدعاة - وعن الداعية وكيف يجب ان يكون قدوة عملية لمن يدعوهم الى الخير.. الخ (٢).

واقتبس هنا - بمناسبة الحديث عن الذكريات - بعض فقرات المحاضرة.

● الموضوع الأول الذى اقترحته الجامعة : التعريف بالدعوه الاسلامية ومنهاجها الأقوم فى توجيه الحياة الانسانية فى كل جوانبها الى غايتها الفاضلة وفى توجيه بناء حضارتها بناء متكاملا يلبى دائما مطالب الجسد والروح معاً.

هذا الموضوع مهم جدا والحديث حوله ضرورى وواجب. لأن المفهوم الشائع للدعوة الاسلامية انها مجرد الوعظ والارشاد والقاء الخطب والمحاضرات فى المساجد أو الاندية الثقافية والمجامع الفكرية والعلمية.

مع ان حقيقة **«الدعوة الاسلامية»** أوسع من ذلك وليست مجرد قول أو كلام أو خطبة. إنما هى منهج وخطة وسياسة ورسالة حركية وعملية..

● **«الدعوة الاسلامية»** فى حقيقتها قول وعمل وسلوك.. ومجالاتها متعددة: فى المدارس والجامعات وفى الدواوين والمكاتب والاسواق والمتاجر بالاضافة الى المساجد والأندية والمجامع الأخرى على اختلاف ألوانها وأغراضها.

انها - باختصار - الدعوة الى تطبيق الدين الاسلامى فى كل جوانب المجتمع المسلم عقيدة وشريعة وأخلاقا.

■ وتحدثت عن العقبات والصعوبات التى تعترض سبيل الدعوة الاسلامية وما ينبغى من مواجهة التحديات المعادية لها من آراء ومذاهب ودعوات هدامة لمكارم الاخلاق ومخربة للعقيدة الاسلامية وقلت:

انه ينبغى لأولئك المهتمين بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف: ان يقصروا دعوتهم على مجتمعاتهم شباباً وشيوخاً ونساء وان يقرنوا الدعوة بالعمل والسلوك المطابق لها.. اى يوضع منهج حركى عملى لتطبيق الدين الاسلامى فى المنازل والمتاجر والمدارس والدواوين وكل قطاع فى مجتمعاتهم.. فهذا هو الميدان الأول الذي يجب ان يبدأ به الدعاة الاسلاميون.

● فأنا - واستغفر الله ان كنت مخطئا - أرى خطأ اتجاه كثير من المؤسسات الحكومية والمنظمات الأهلية المتسمة او المتسمية بالعمل الاسلامى - الى بعث افراد أو جماعات الى بلاد اوربية وأمريكية وأفريقية وآسيوية من اجل «الدعوة» الى الاسلام.. وشرح احكامه وآدابه وإثبات مزاياه وخصائصه الانسانية والبشرية على كافة الأديان والانظمة الاخرى..

إننى لا أؤيد هذا الاتجاه.. لا لخطأ فى ذاته وانما لخطأ فى تقديمه.. فإنَّ حقه التأخير. واحق منه بالتقديم واولى بالابتداء ان تتجه **«الدعوة»** الى إصلاح ما فسد من المجتمع نفسه والى تقويم ما اعوج من سلوك الامة شبابا وشيوخاً ونساء.. والى تطبيق (الاسلام) داخلياً بعقيدته وشريعته وأخلاقه.

● فالصالحون داخل مجتمعاتهم الاسلامية يتألمون لما يرونه من انحراف عن الصراط الاسلامى.. ويعجبون اذ يرون ان المنظمات الاسلامية الأهلية تبعث دعاة الى بلاد أخرى من أجل الدعوة او الدعاية للاسلام. فالأهم والأوجب والألزم - فى نظرهم - ان نصلح اولا فساد المجتمعات أو الدول المتسمة او المتسمية بالاسلام ظاهراً لا حقيقة. ونعيدهم الى المنهج الاسلامى تربية وتعليماً واجتماعاً واقتصاداً.. وسياسة وحكما - لنكون بعد ذلك قدوة عملية

للدعوة الاسلامية وأسوة حسنة حقا لمن يريد أن يقتنع بالاسلام ديناً وبمحمد نبيا ﴿ﷺ﴾.. فهذا خطأ كبير.. وعمل معكوس والاسلام فى اول مبادئه ومفاهيمه يأمر المسلم ان يبدأ بنفسه واهله ثم بالناس فى كل ما يدعوهم اليه من حق.. ويأمرهم به من خير ومعروف.

● والآباء والامهات والرؤساء والمدرسون والمدرسات هم «دعاة»..

وما اكثر ما نتحدث فى أسف وحسرة عن خيبة المدارس فى التعليم وفشل البيوت فى التربية وقصور المجتمع عن ضبط سلوك أفراده.. ولكن ما أقل ما نفكر فى أسباب ذلك وأسراره وما أقل ما نسعى لعلاج العلة وإصلاح الفساد..

فى القرآن آيتان ما تلوتهما أو استمعت اليهما الا عزوت خيبة التربية والتعليم فى الناشئة الى عدم اعطاء الآباء والمعلمين والرؤساء: القدوة العملية من أنفسهم لمن وكل اليهم الامر فى تعليمهم أو تربيتهم أو تشغيلهم.. هاتان الآيتان هما:

● ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟ ﴾.

● ﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾.

●● ان القرآن الكريم ـ وهو المنبع الأول لتعاليم الاسلام ـ يبنى بهاتين الآيتين قاعدة متينة هى أولى قواعد التربية والتعليم والتشغيل ويقرر بهما الاصل الأول لصلاح هذه الأعمال الحيوية الخطيرة فى دنيا الناس، ويبين الضمان الأكيد لنجاح القائمين بها فى مهمتهم.

●● يُرى أحدنا ـ أبا كان أو أخا أكبر أو أما ـ يزجر الأطفال فى البيت عن أخلاق السوء من كذب أو اعتداء باليد او ايذاء باللسان ويظل دائما فى أسرته آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ولكنه ـ مع الأسف ـ يمثل فى كل ذلك الدور الذى يعنيه الشاعر القديم الحكيم اذ يقول:

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصح به وانت سقيم!!

● وقد دار حوار بينى وبين بعض المستمعين وعلق اخرون على حديثى ما مشكلات الدعوة وطرح بعضهم مشكلات اخرى وفى ضم تعليقات المؤتمرين الى أصول البحث فائدة لا تنكر ففى ذلك بيان لحقائق مكتومة وشفاء لصدور مكلومة.

وابدأ بممثل نيجريا «**الشيخ محمد عبد الله**» الذى استمع الى خلاصة بحثى وشد انتباهه ما ركزت عليه من ضرورة الاهتمام بإصلاح المجتمعات الاسلامية داخلياً قبل بعث البعوث وإرسال الدعاة الى خارجها لدعوة الأوربيين والأمريكيين والافارقة والآسيويين الى الاسلام.

●● فقد تحدث ممثل نيجريا هذا بصراحة فيها كثير من الأسى وكثير من الملام ـ تحدث قائلا:

● ان المسلمين فى أفريقيا ينظرون الى الأمة العرّبية فى كل قطر عربى ـ شمال افريقيا أو غربها ـ نظرتهم الى القادة والسادة الذين هم موضع الاعتبار، ومناط القدوة.. لذلك فهم يأسون اشد الأسى حين يرون أو يسمعون «المناقضات» القائمة فى المجتمعات العربية.



احمد جمال من اليمين فالسادة: الشاذلى نيفر والقدوسى فى الندوة الاسلامية بباكستان سنة ١٣٧٧هـ

ثم قال ما معناه :

● ان العرب هم بذور الاسلام وجذوره وهم ايضا يمثلون مظاهره ومنابره قولا وعملا وسلوكا ـ فاذا لم يكونوا على هذا المستوى الجليل الجميل من مسؤولية الريادة والقيادة. . فكيف يصدق الأفارقة الدعاة العرب الذين يفدون اليهم يخطبون فى كل مسجد ويتحدثون فى كل ناد. . عن الاسلام وجماله وجلاله؟.

●● وفى جلسة تالية للمؤتمر. . جاء دور ممثل المغرب العربى «الشيخ محمد زبير» ليتحدث عن مشكلات الدعوة والدعاة فقال صريحاً جريئاً :

● إن العالم الاسلامى ـ شعوبا ودولا ـ مفرغ تماماً من الاسلام الحقيقى وملىء بعقائد ومذاهب وافكار واخلاق. . هى أبعد ما تكون عن حقيقة الاسلام. . ثم نادى باعلى صوته: عودوا أيها المسلمون فى دياركم الى الاسلام اولا عقيدة وشريعة وأخلاقا ـ ثم ادعوا غيركم الى الاسلام.

●● وحول دعوتى الى التركيز على اصلاحات المجتمعات العربية اولا وقبل توجيه الدعاة الاسلاميين الى اوروبا وأمريكا ـ ذكر أحد الحضور ان رجلًا اوربياً اسلم فى بلد عربى. . ولكنه اعتزل المسلمين خوفاً على اسلامه منهم. . لما رأى من مخالفاتهم وانحرافاتهم عن منهج الاسلام.

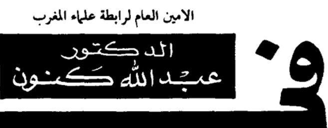
هذه بعض ذكرياتى عن «الدعوة والدعاة» واذا استعادت الذاكرة احداثا اخرى رويتها فى حلقة قادمة باذن الله وعونه.

---

(١) صدر كتاب لى بهذا العنوان سنة ١٤٠٦-١٩٨٦م كان الحديث فى الندوة مقدمة له.

(٢) تراجع المحاضرة فى كتابنا «قضايا معاصرة فى محكمة الفكر الاسلامى» ط اولى ص٥٧

الامين العام لرابطة علماء المغرب



الكلام على الدعوة والدعاة اصبح من المعاد المكرر بعدما كتب فيه من المقالات ووضع عنه من المؤلفات واذا كان الاعتبار بالأعمال لا بالأقوال فالامر كما يقول البوصيرى:

واذا البينات لم تغن شيئا
فالتماس الهدى بهن عنان

ولعل اعظم ظاهرة تلاحظ على الدعوة والدعاة فى الحقبة الراهنة. هى الباس الاسلام لباس التفسير المادى والتعليل الايديولوجى المستورد الذى كان يلجأ اليه بعض المصلحين فى بحر القرن الرابع عشر المنصرم للرد على خصوم الدين الحنيف. وتزييف اتهاماتهم له بمجافاة سنن التطور وعدم مجاراة الحياة العصرية. . وكان ذلك ضرورة لأفهام الخصم وتثبيت بعض الشباب المتعلم بالغرب على العقيدة الاسلامية التى ربما زعزعتها شُبَهُ الماديين الملحدين.

ومع ذلك فان العلماء المصلحين. لم يكونوا يتعمقون فى الاستدلال والاحتجاج وانما يأتون بها يضطرون اليه مما يؤمن به المتمردون على الحق وعلى المغيبات التى ينكرونها ليلزموهم ويبطلوا دعاويهم فآل الامر الان الى تجاهل

الدعوة والدعاة

الناحية الروحية بالجملة والتفصيل واعتماد التفسيرات المادية والجنوح الى الشروح العلمانية كما يسمونها. . وهى التى ليس للعلم الصحيح فيها حظ ولا نصيب حتى اصبح الدين مادة محضا وتجربة رياضية يستبعد عنها كل ما ليس محسوسا ومالا يدخل المختبرات الكيماوية. . ومن ثم لم يبق مستغربا ان يرفع الكثيرون من المغرورين شعار **«العلم لا يعترف بالدين» او «ان حقائق العلم وتعاليم الدين متضادتان»**. ومنهم من يتأفف من ذكر النار وعذاب الآخرة. ويُعَدّ خطيب الجمعة الذى يروى احاديث الحساب والصراط وجهنم خطيبا متخلفا منفرا مقنطا من رحمة الله.

إن هذا شىء واقع يعلمه الجميع. . ونسمع ما يدل عليه من اكثر من مسرف على نفسه ونقرأ فى الصحف اليومية من حين لآخر ما يشعر به ويزرى على العلماء الذين ما يزالون يفهمون الدين على أنه سوط عذاب يصب على المتدينين صبا بل ان واجهات المكتبات تتكدس فيها المؤلفات الجديدة التى تحمل اسماء اسلامية وهى فى جوهرها انما تعكس افكارا اشتراكية وماركسية مغلفة بشرع الاسلام ودعوة الاسلام وبعضها لا يخجل اصحابه من تسميته باشتراكية الاسلام او الاسلام الاشتراكى وما اشبه ذلك. . لان الغزو الفكرى والايديولوجى الاجنبى قد ملأ شعاب النفس عند الناشئة العصرية. . فبات من المسلّم به ان ينزل الدعاة المهزوزون على ارادتها وترضيها باكثر من وجه لتصحيح نظرها.

على ان بعض الكتاب من اصحاب هذه المؤلفات هم ممن يترضون الحكام الذين يصطنعون انظمة الحكم الاجنبية ويزعمون انها تستمد مبادئها من الاسلام تضليلا لشعوبهم وخداعا لهم حتى الذين يدورون فى فلك الشيوعية ويسمونها بغير اسمها لا يعرفون من يزكى عملهم ويحمله على الاسلام حملا رغبة ورهبة وتزلفا وطمعا.

والذى لا يحقق الامور يرى واجهات المكتبات المشار اليها فيعتقد ان الدنيا بخير وان الدراسات الاسلامية فى نمو وازدهار وقد اثرت الخزانة الفقهية والعقائدية بمئات الكتب والمؤلفات القيمة والحقيقة فى ذلك اشبه بما جاء فى الحديث الشريف: **«الناس كإبل مئة ليس فيها راحلة»**.

هذا من جهة. . ومن جهة اخرى اصيبت الدعوة بدعاة ضررهم اكثر من نفعهم وهم ممن اعدوا لهذه المهمة اعدادا وابتعثوا من طرف مؤسسات اسلامية او حكومات

حرمه. . فصلا عمن انتصبوا من تلقاء انفسهم للدعوة بالـداخـل والخـارج وكانوا قبل قليل افرادا يعدون على اصابع اليد الواحدة فلم ينتبه اليهم احد. وإن حصلٍ أن تبعهم بعض الناس فلم يكن بذلك بأس. لاسيما وهم ممن عرف بالعلم ومتانة الدين فلا يخشى على من تبعهم فتنة.

هؤلاء الـدعـاة هم الـذين يتبجحـون باتبـاع السنّة ويـرمـون غيرهم بالابتـداع ويفـرقـون بين المسلمين ولا يصلون خلف الائمة المرتبين فى المساجد. . يطعنون فيهم بطعون مختلفة ويصلون خلف العوام من اصحابهم وان لم يحسنـوا قراءة الفاتحة فأحرى ما دونها. وانْ تمكنوا من احـداث مسـاجـد خاصة بهم لم يعودوا يعرفون المساجد الجـامعـة. . وربـما منعـوا غيرهـم من ارتيـاد مساجدهم المحـدثـة كما يقـع ذلك كثيرا فى بلاد الغربة باوروبا. . وتحدث عن ذلك مشاجرات ومضاربات تؤدى احيانا الى تدخل الشرطة الاجنبية واقتياد المتنازعين الى القسم حيث تحرر لهم محاضر ويرفعون الى المحاكم.

ولا يفهمون من السنَّة التى يدّعون التمسك. . بها السنة المعتبرة شرعا الثابتة بالرواية الصحيحة. . بل لا يعلمون مسائل الخلاف المذهبى التى اخذ الائمة المجتهدون فى العالم الاسلامى كل بما ثبت عنده فيها او رجح فى نظره مما لا دليل عليه قاطعا. . وهى التى تختلف فيها المدارك ولا يكون قول هذا الامام اولى من قول ذلك ولا احق بوصف السنة من مقابله.

لكن هؤلاء المتعصبين لا يتورعون عن وصف مذهبهم بالسُنِّية ووصم غيره بالبـدعـة فيحـدثون فى نفس أتباع المذاهب الاخـرى بلبلة وارتبـاكا وترجع هذه الفئة الى فقهائها فيصححون لها ما هي عليه. . وتنشأ الجفوة ويبدأ الخصـام الذى يصل الي الطعن فى الائمة وتجهيلهم. . ناهيك بالعامة اذ ظنت انها على شيء من العلم. . اذ يصبح المندوب واجبا والصلاة باطلة لتركة هذا على تسليم انه مندوب وما هو الا اجتهاد يحتمل ويحتمل.

والاجـتـهـاد انـما يكـون فى كل ما دلـيـله مظـنـون

ولئن كان علماء الاسـلام المجتمعـون فى مؤتمر القدس، منتصف القرن الماضى قد قدمـوا للصـلاة بهم الشيـخ آل كاشف الغطاء وهو شيعى فاغلقت بذلك المحاريب التى كانت تختص ببعض المذاهب فى المسـاجـد الكـبرى بالمشـرق كالازهر والاموى فمن المؤسف ان هذه الفئة تريد احياءها الان بجـماعتها الخاصة فى المساجد العمومية او بمسجد ينفـردون به عن جماعة المسلمين. . فهل نحن نسير الى الامام ام نرجع القهقرى؟.

وقد اثرت هذه الظاهرة التنطعية على علاقات الجاليات الاسلامية فى بلاد الغربة. . ما لم تؤثره من قبل الانتماءات الطـرقيـة والقبليـة. . وانعكست آثـارها على الصحافة الاجنبية التى كتبت عنها منتقدة ومتحرشة بالاسلام على عادتها.

وكهذا قال احـد المسلمـين الجـدد بفرنسا متضجرا من خلافات المسلمين التافهة: اننى اسلمت اسلام الوفاق ولم اسلم اسلام الخلاف. وهذه المسائل اما ان تكون واجبة فلا يجوز مخالفتها واما ان تكون غير واجبة فلا يجوز ان ينكر بعضهم على بعض بسببها.

واذن فعلينـا ان ندبِّر امر الدعوة والدعاة على الميدان لا على الـورق ونحسم العمل بالنسبة للصنف الاول من





من الجمعيات الاسلامية فى بريطانيا

من المراكز والجمعيات فى بريطانيا: المركز الاسلامى فى منطقة (برنت) . . اتحاد الجمعيات الاسلامية فى بريطانيا وايرلندا: تأسس ١٣٩٠هـ انضمت اليه (٦٦) جمعية اسلامية فى بريطانيا . . يقوم بالتنسيق بالجمعيات المشتركة فيه ويقيم لها مؤتمراً سنويا . .

جمعية الوقف التعليمي: تأسست ١٣٨٦هـ تشرف على (٤٧) مدرسة وتقوم بتعليم (٢٫٠٠٠) طفل مسلم . . طبعت عدداً من الكتب الاسلامية للاطفال وانشأت خمسة مساجد موزعة فى بريطانيا . . مقر الجمعية فى لندن وتتلقى دعماً من رابطة العالم الاسلامى . .

مجلس أوربا القارى: تشكل هذا المجلس فى ١٣٩٣هـ ويهدف الى مساعدة الجمعيات التى تنضم اليه فى نشر الدعوة الاسلامية واقامة المؤسسات الاسلامية ومعاونة المراكز الاسلامية على تأسيس مكتبات ومراكز ابحاث وتدريب الائمة وتنسيق العمل الاسلامى العام . . وتأسيس مكتب اعلامى . . ويشمل نشاط هذا المجلس أوربا والمملكة المتحدة . . وهناك العديد من الجمعيات الاسلامية الاخرى.

وفى بريطانيا اكثر من ثلاثمائة مسجد ومصلى . . وفى لندن وضواحيها اكثر من خمسة وخمسين مسجدا ومصلى . . ويقدر عدد المسلمين فى بريطانيا بـ (١٫٥٠٠٫٠٠٠).

الدعاة فنتعقبهم ونقعد لهم كل مرصد ونطهر الساحة من تظاهراتهم وانتاجهم واستغلالهم لاسم الاسلام وهم يضربونه فى الصميم. اما بالنسبة للصنف الثانى من الدعاة فلا يكفى لأن يتولى أحدهم هذا المركز الحساس ان ينظر الى مظهره العام فلابد ان نختبر علمه وسلوكه وفهمه لروح الاسلام والاصلاح الاجتماعى الذى جاء به ونتأكد من ان قصده هو الارشاد لا الارتزاق ونلقنه طريقة البلاغ التى كان الرسول ﴿ﷺ﴾ يتبعها ويأمر بها وهى التى تجمع ولا تفرق وتهدى ولا تضل ـ فلا يكون ممن يأتيهم السائل بمشكل فيردوه بعدة مشاكل او من يوسوس له الشيطان فيكونون عونا له عليه. والخلاصة ان يكون منطلقه الدائم هو قوله تعالى: **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾** وقوله عليه السلام: **«بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا وسددوا وقاربوا.**

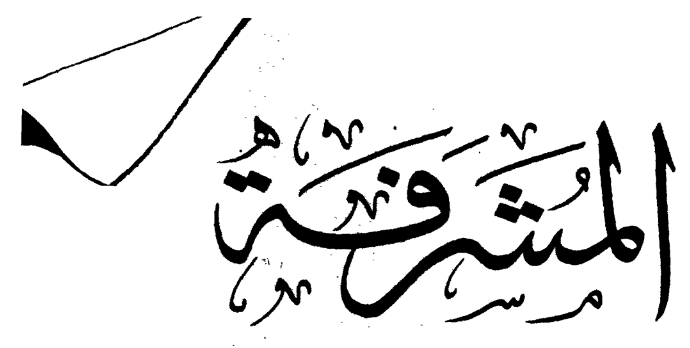


أحمد بن ابراهيم الغزاوي

الأرضُ تطربُ والسماء تغردُ
وعلى الورى (ام القرى) تتسوّدُ
أذِنَ الالهُ - فما تطوف (مشركٌ
حول (الحطيم) ولا تطرق (ملحدُ)
وتهللتْ دنيا الوجود (بمولد)
كسف الشموسَ وشعَّ فيه (احمدُ)
دُكّتْ به الأصنامُ - فهى رواغم
وانجابت الآفاقُ - وهى تربدُ
وانقضّتِ الشهبُ الشواقبُ من عل
تصلِى طواغيتَ الضلال وتهمدُ
و(قريشُ مكة) فى بطون شعابَها
ما بين مرتابٍ. وآخرَ يحسدُ
متحيِّرينَ - كأنما اضطربتْ بهم
(نذرُ القيامة). والجحافلُ تحشدُ

* * *

وُلِدَ (البشيرُ) وللخلائِقِ ضجةٌ
مما تسام وما تضام وتضهدُ
يتقحّمُونَ النارَ فى نزواتهم
والجو يطبقُ والبلاء يشددُ
حيث الشعوبُ يسومُهَا سرواتُهَا
سوء العذابِ وشملُهَا يتبددُ
وتئِنُّ من بؤسِ الحياة وضنكِهَا
هَلْكَى تطلع للخلاصِ وتجهدُ
يحكى الشواظ شهيقها وزفيرها
ورقابها قبل اليدين تصفدُ
مرتاعةٌ منيت بكاٍ مسلط



مستكبرٍ فى بَغْيِهِ يتلددُ
يعلو - وتهبطُ دونَهُ من حالقٍ
وقلوبُهَا بجنوبها تستنجدُ؟

***

هبلتهُم البطحاء كيف تيمَّموا
(هبلا) وربُّ البيتِ فيهم يجحدُ؟
خذلُوا النبىَّ المجتَبَى - وتآمرُوا
ان يقتلُوه وأجلبُوا وتهدَّدُوا؟
وهو الحفىُّ بهم عشية أحدقتْ
بالمشركين (الخيلُ) إذْ هِىَ موعدُ

كلُّ اليدِ يمتُّ فى أسبابه
والجيشُ يزحفُ و(الأخاشِبُ) تطردُ
آوى جموع اللائذين بظلِّه
والسيفُ يرعفُ والدماء تجمدُ
وقضى بوحِى الله فى الرهْطِ الأولى
ما كان همهمو - سوى ان يفسدُوا

***

تلك (الرسالة) فى الحقيقة مِنَّةٌ
لله - وهى على الخليقة تشهدُ
سورٌ مِنَ «الفُرقانِ» فى إعجازها
نهض الدليلُ وأذعن المتمرد؟
طويت سجلات القرونِ ولم تزلْ
تجلى به اسراره وتجددُ
أعظِمْ بميلادِ النبىِّ «محمدٍ»
وبكل ما يدعو اليه «محمدُ»

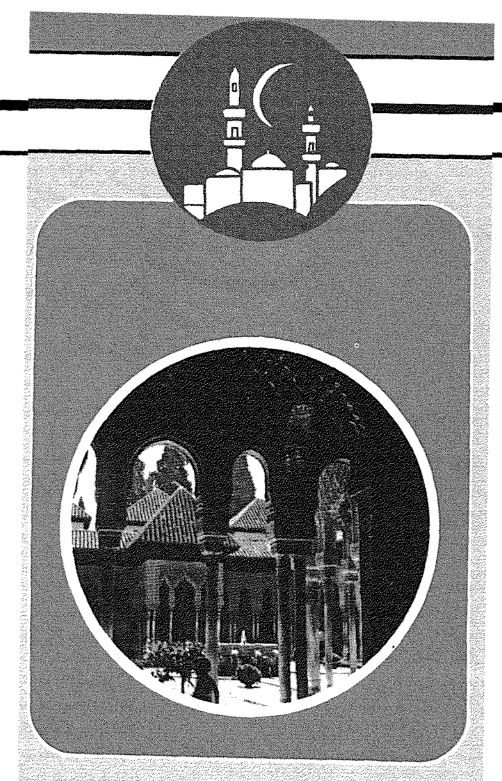
هو «رحمةٌ للعالمينَ» ونعمةٌ
للمتقينَ وعصمةٌ وتزوّدُ
احيا به الله العباد بشرعِهِ
وسبيله للسالكين ممهدُ
لا خير فيها دونه ولو انه
فى الأرض عيشٌ بالنعيمِ مخلَّدُ

***

بوركتَ من يوم به الدنيا ازدهتْ
وجلالُه فى الكائنات مؤيّدُ
اقبلتَ بالفتح المبينِ - وبالهُدى
والعدل والاحسان أنّى ينشدُ
بهواتفِ النجوى شعاعُك ملهَمٌ
وبموقفِ الذكرى أديمُكَ مسجدُ

***

آمنت أنَّك يا «محمد» عبدُه
ورسولُهُ والطيبُ المتوددُ
انشأتَ بالتوحيدِ افضلَ دولةٍ
لله فيها الحقُّ لا يتعددُ
ووصفْتَ «بالخُلُق العظيم» كرامةً
ممن له تعنُو الجباهُ وتسجدُ
«لمكارم الاخلاق» جئتَ متمِّماً
ورفعتَ منها السَّمْكَ فهو مُشيَّدُ
حتى اذا افترقت بنا اهواؤنا
دون اليقين ولم يزعنا المرشدُ؟
ضاعَ التراثُ وعزَّنا استبقاؤه
وعلا النشيجُ وأعوز المتفقدُ



عطاء الفهريّة

استقبلت مدينة «فاس المغربية» ضيوفها الوافدين إليها من الأندلس والقيروان ليقيموا فيها.. فخصص القطاع الشرقى من مدينة فاس للاندلسيين وعرف بعدوة الأندلس.. والجانب الغربى للقيروانيين وميلا للتخفيف سموا بالقرويين.. وكان فى عداد القرويين الذين هاجروا الى فاس واتخذوها وطناً لهم فى القرن الثالث الهجرى محمد بن عبد الله الفهرى القيروانى الذى توفى بُعَيْد وصوله فترك ثروة طائلة لكريمتيه: فاطمة ومريم..

كثر الواردون على مدينة فاس وأمسى الناس فى حاجة الى مسجد كبير جامع.. فكان أن تطوعت فاطمة الفهرية ببناء مسجد جامع واستجمعت فيه آراء العلماء والفقهاء واشترت حقلا شرقى المدينة القروية فى فاس.. وبدأ حفر الأساس فى اول رمضان ٢٤٥هـ/ ٣٠ نوفمبر ٨٥٩ والتزمت ان تستخرج مواد البناء من نفس المكان.. وكان (جامع القرويين) النابع من سخاء تلك المرأة المسلمة العربية وإحساسها الايمانى

جامعة القرويين

إعداد قسم التحقيقات بالمجلة

المتوقد.. طوله من الشرق الى الغرب يعادل (تسعة وثلاثين مترا) وعرضه يعادل (اثنين وثلاثين مترا).. زاد فى مساحة هذا الجامع الأمير أحمد بن أبى بكر الزناتى وساهم فى مشروع الزيادة امير المؤمنين الأموى عبد الرحمن الثالث وبلغت الزيادة فيه ٢٧٤٨ مترا مربعاً وكان ذلك فى ٣٢٢هـ/٩٣٤م.. وتمت التوسعة التالية فى اوائل القرن السادس الهجرى (٥٣١هـ-١١٣٧م) فى ايام العاهل المرابطى أمير المؤمنين على بن يوسف بن تاشفين وكانت زيادته ١٨٥٠ متراً مربعاً وتوالت فيه الزيادات والتحسينات عبر الاعصر المتتالية.. وظل جامع القرويين من جانبه المعمارى تحفة رائعة من عطاء الحضارة الاسلامية فى المعمار..

إذا علمنا أن جامعة بولونيا فى (ايطاليا) اسست سنة ١١١٩م وجامعة اكسفورد اسست سنة ١٢٢٩ وجامعة السوربون سنة ١٩٥٧ فانه بناء على هذه التواريخ تكون (اقدم كلية فى العالم ليست فى اوربا كما كان يظن) بل هى جامعة القرويين.

المناهج

شيد جامع القرويين منذ بادىء الامر ليكون مركزاً للتعليم وقد ظل كذلك باستمرار مدة أحد عشر قرنا وبذلك يعتبر اقدم جامعة اسلامية.. تعددت الدراسة فيه فالى جانب الدراسات الدينية واللغوية شملت أيضا الفلسفة.. الطب.. الصيدلة.. الطبيعة.. الفلك.. الهندسة وظل الجامع حصناً للثقافة العربية الاسلامية.. كان التعليم فيه حراً يختار الأساتذة والطلاب ما



يشاؤون من المواد والكتب وفى ١٧٨٩م أصدر السلطان محمد الثالث مرسوماً يأمر بتحديد مواد الدراسة والكتب.. وفى ١٩٣١م صدر مرسوم يقسم التعليم فى الجامعة الى ثلاث مراحل: ابتدائية وثانوية وعالية وأضيف اليه معهد للفتيات يؤهل للعالمية.. وبعد الاستقلال بدأت اصلاحات اساسية فى جامع القرويين وتقرر جعله جامعة مؤلفة من ثلاث كليات: الشريعة.. الاداب.. العلوم..

الجامعة المفتوحة

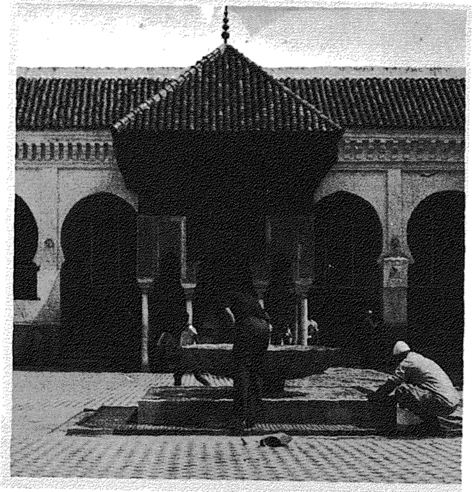
لا شك ان جامعة القرويين كان ولا يزال لها دورها الرائد فى نشر الدعوة الاسلامية وتعليم اللغة العربية والحفاظ على التراث الاسلامى الخالد.. وفى رحابها التقى أساتذة وطلاب كانوا الشعلة المتقدة تنير مسالك النفوس بكتاب الله وسُنَّة رسوله.. وأمَّها أساتذة أخيار ومفكرون أفاضل من أنحاء العالم الاسلامى منهم من طاب له المقام بين أهلها.. وتوافد اليها طلاب العلم ممن اصبحوا فيها بعد ينابيع علم متدفق ينشرونه فى بلدانهم عند رجوعهم اليها.

واضافة الى حركة المد الاسلامى التى ساهمت بها فقد كان لها دورها الملحوظ فى نواحى الحياة الاخرى من سياسية واقتصادية واجتماعية وفنية.

وكان لعلماء القرويين داخل ابهاء بنايتها وخارجها اهتمام بكل العلوم والفنون الا انهم كانوا يخصصون مجالسهم داخل المسجد للعلوم الاسلامية ولعلوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة ويلقون دروسهم فى العلوم الاخرى من رياضيات وطب وموسيقى وتاريخ فى المدارس او فى مساجد الاحياء او حتى فى دورهم.

ان المكانة التى تحتلها (القرويين) فى الوسط الفاسى وهالة الاجلال والتعظيم التى يضفيها اهل فاس على هذه المؤسسة التى هى مركز الحياة وحولها يدور كل انواع نشاطهم كل ذلك يظهر فى عوائدهم وامثالهم من ذلك ما يقولون عندما يحدِّث احدهم شخصا بخبر فيقول له هل هذا صحيح فيجيبه اذا لم يكن متيقنا من صحته: من يبتغى الصحيح عليه بالقرويين «اللى بغى الصح يمشى للقرويين».

وقد كان من اثر هذا الاجلال ان اقبل



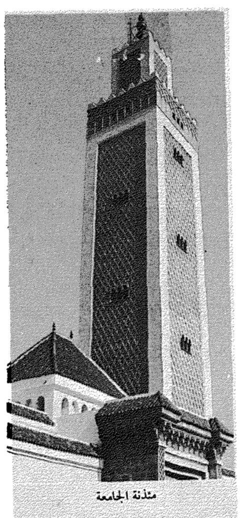
الفسقية وجناح الوضوء

اغـنـيـاء اهـل فاس على تحبيس العقـارات والاراضى الفـلاحيـة والبسـاتـين على القـرويـين وعلى مدارس الطلبة وعلى مساجد التعليم الاخرى مثل جامع الاندلس - وتحبيس الكتب على خزانة القرويين ساهم فيه عامة الناس من تجار وصناع ونحوهم زيادة على القواد والرؤساء والوزراء والامراء والملوك.

الأثر الممتد

وتعدى اثر القرويين حدود مدينة فاس الى كافة اقطار المغرب اولا مباشرة بما كان ينقله طلبتها الآفاقيون من علومها الى حواضرهم وبواديهم وثانيا بواسطة اهل فاس الذين ينقلون حضارتها الى النواحى التى يقصدونها للتجارة ولهم تفوق فى هذا الميدان او للعمل فى المصالح الرسمية كسلك القضاء والكتابة عند العمال والامانة والعدالة وكان الطلبة الذين يقضون مدة من حياتهم بفاس حتى ينهوا تحصيلهم ويرجعوا لاوطانهم الاداة الفعالة لنشر العلم بالمغرب ونقل مظاهر حضارة فاس الى مختلف نواحى البلاد.

وقد كان من اثر هذه المؤسسة الخالدة ونجاحها فى تأدية رسالة نشر العلم ان اولاها ملوك كل الدول التى تعاقبت



مئذنة الجامعة

على المغرب اهتماما كبيرا بالعناية بالعلماء المدرسين ماديا وادبيا وببناء المدارس للتخصص ولايواء الطلبة فعمت الحركة العلمية هذه المدينة كلها وصار يؤم جامعتها الطلاب من كل الاصقاع واخذ العلماء زيادة على الدروس التى يلقونها فى مسجد القرويين نفسه يخصصون بعض الساعات فى كل يوم لدروس خاصة كل واحد منهم بالمسجد القريب من منزله وحيث ان ظروف حياتهم تجعل كل الاحياء تضم عددا من العلماء صارت المدينة وكأنها جميعها جامعة واحدة حتى ان بعض المعامل الكبرى مثل دور الدباغة فيها مسجد خاص يدرس به استاذ ويلقى به دروس الوعظ على الصناع والعملة حتى صار من الاقوال السائرة «يكاد العلم يتفجر من حيطان فاس».

وان دور جامعة القرويين فى الحياة السياسية من الدفاع عن حوزة الاسلام والوقوف فى وجه الاستيلاء الاجنبى لَمِنَ الصفحات المشرقة فى تاريخ القرويين مما جعل فاس من مراكز المحافظة على الكيان الاسلامى العربى.. ويطول بنا الحديث لو اردنا ان نتعرض لكل المواقف الشريفة التى وقفتها (القرويين) فى تاريخها الطويل الى ايام الحماية الفرنسية حيث انبعثت منها الانطلاقة الاولى فى سنة ١٩٣٠م مقاومة للظهير البربرى الذى اراد من ورائه المستعمرون فصل البرابرة عن الاسلام وعن المغرب.. ولكن نريد ان نذكر صفحة من هذه الصفحات المضيئة وذلك ايام المرينيين وقد اشتد خناق النصارى على مسلمى الاندلس (فقام العلماء والادباء بفاس يدعون للجهاد وتصدى الشاعر مالك بن المرحل السبتى نزيل فاس لنظم قصيدة يحرض فيها بنى مرين وسائر المسلمين على حد تعبير صاحب الذخيرة السنية على جهاد الكافرين



ونصرة بلاد الاندلس.. فقرئت القصيدة بصحن جامع القرويين من فاس يوم الجمعة بعد الصلاة (سنة ٦٦٢) فبكى الناس عند سماعها وانتدب كثير منهم للجهاد».

مائة كرسي وعشرون خزانة:

وتؤكد المصادر انه كان بفاس على عهد السلطان محمد الثالث مائة كرسي لتدريس العلم موزعة على مختلف فروع القرويين «المائتين والخمسين» المنبثة في كل منعطف وفي كل زقاق علاوة على ست ومائة مدرسة اولية من بينها دور للفقيهات. ومن تلك الكراسي يوجد عشرون كرسيا بجامع القرويين نفسها يجرى العمل في نيلها على نهج الاكاديميات العصرية.. من غاب من كبار العلماء نال كرسيه آخر بعد مصادقة القاضي وكل كرسي له استاذه الخاص وكتابه الخاص ووقفه الخاص كذلك.. ومع هذا فان كل هذه المساجد تتوفر على خزانات علمية تحتوي على مخطوطات يستعين بها الطلاب.

خطوة ثانية نحو النظام:

ولقد فتح ملف القرويين من جديد من لدن السلطان عبد الرحمن بن هشام اصدر هذا العاهل بدوره ظهيرا الى شيخ القرويين قاضي فاس في محرم ١٢٦١ ينـاير ١٨٨٥ ينتقد السلطان فيه سير الدروس بالقرويين وعقم الوسائل التي تتخذ لسير التعليم ويدعو الاساتذة الى تجديد المناهج والبرامج.

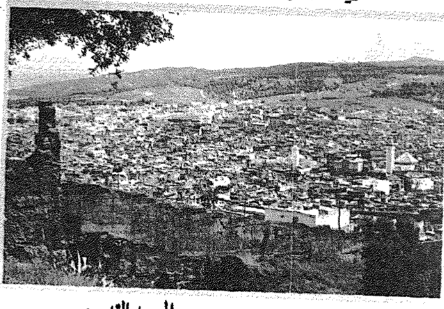
فترة مقاومة:

وقد تعرض رجال القرويين منذ اواخر القرن الثامن عشر - على الخصوص - لحملة هوجاء وجهها ضدهم بعض الكتاب الافرنج ممن وردوا على المغرب في «بعثات خاصة» لقد نعتوهم بانهم «يعادون كل تطور» وطعنوا في معارفهم وكفاءاتهم.. ولعل من يعرف «مركز القرويين» ايامئذ والحظوة التي تنعم بها سواء من لدن رجال السلطة او الشعب يدرك سر التوجه الى «هؤلاء» على الخصوص وسر «الرثاء» على «مقبرة الفكر» بفاس. ولقد بسطت الحماية نفوذها على المغرب وكان عليها ان تطمئن على ما يجرى داخل القرويين التي تهيمن على «المدينة المجرمة» كما دعاها الجنرال موانبي سيما وقد اعرب المولى يوسف قدس الله روحه عن رغبته في ان يتطور التعليم الى حال افضل.



رواق داخل القرويين

مدينة فاس التي تحتضن القرويين



ورجع المسجد القديم:

ان الحماية لابد ان يكون لها «وجود» في القرويين ايضا وهكذا لاول مرة في التاريخ تفصل الادارة عن نظر القاضي ويتكون «مجلس» بحضور المسيو مرسي والقبطان ميلي يوم الخميس ٢١ جمادى الثانية ١٣٣٢ (١٧ مايو ١٩١٤) وقد صدر ضابط الاصلاح سنة ١٩٣١ ينص على ان اطوار التعليم بالقرويين ثلاثة: الابتدائي والثانوي والنهائي وهذا يشتمل على قسمين للتخصص الديني والادبي لكن تقدم القرويين كان بالفعل امرا متعذرا بل وغير مرغوب فيه ولما كانت صرخة الاحتجاج ضد السياسة البربرية قد نفذت من زوايا هذه القرويين فقد تعرض «علماء الشباب» للحرمان من عتلاء الكراسي العلمية سنة ١٩٣٢

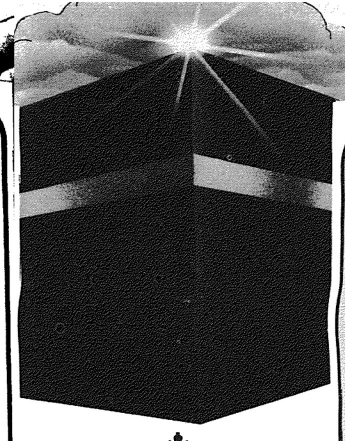
واسترجعت المملكة المغربية سيادتها فاستشرفت جامعة القرويين المجهدة الى ما كانت تتوق اليه وقد فتح المغرب عيونه «بعد الاستقلال» ليجد نفسه فعلا امام جيل مختلف التكوين: فريق قصرت ثقافته في الدراسات العربية والاسلامية بينما قطعت صلة الفريق الآخر بمعطيات اللسان الاجنبي وكان الحل «المثالي الواقعي» الذي لجأت اليه اللجنة الملكية الجديدة سنة ١٩٥٧ يتلخص في تقرير توحيد البرامج لجميع المدارس بما في ذلك اطوار التعليم بالمعاهد الدينية والى هذه الطفرة في المنهج سلم الملك المعظم مفاتح ثكنات فسيحة الارجاء لوزير التربية الوطنية برسم ان تمسي حيا جامعيا للقرويين بدلا من المدارس العتيقة. ثم تأسس «المجلس الاعلى للتربية الوطنية» فخطا الخطوات الحاسمة سنة ١٩٦٠ وهكذا انصرفت الجهود الى تحقيق مبدا «التوحيد» في مرحلة اولى للتعليم تكون بمنزلة «جذع مشترك» تتفرع منه مرحلة ذات شعب في السلك الثانوي الثاني تؤدي حسب مادتها سواء الى كلية الشريعة او كلية الآداب أو كلية العلوم.. وهذه الكليات هي التي سوف تحضنها جامعة القرويين المنبعثة.. هذه القرويين التي ستنعكس عليها - دون شك - امجاد ذلك الاحد عشر قرنا التي خطاها المسجد الجامعة منذ عهد الادارسة..

هذه القرويين التي من حق كل مغربي ومن واجبه كذلك انْ يعتز بها وان لا ينسى ان هذا الاسم الاغر ظل منقوشا على الجبل وفي تخوم الصحراء في المدينة والقرية ظل يغزو الجهالة والمروق في المجتمعات والاندية في كل مكان.. ظل ويجب ان يظل في عداد تراثنا الاثيل المجيد.

المراجع

● كتاب (جامعة القرويين) للدكتور عبد الهادي التازي
● مقال للدكتور محمد الفاسي بعنوان «دور جامعة القرويين في جعل فاس من بين العواصم الاسلامية المرموقة.
● تاريخ بناء القرويين - مقال للدكتور عبد الهادي التازي.





أساس العمل فى الاسلام إخضاع الحياة للعقيدة. . وإيثار المصلحة العامة وواجبات المجتمع الانسانى على المصلحة الخاصة والمنفعة الفردية. . والابتعاد عن كل ما يباعد بين الانسان وبين ربه من خطوات الشيطان وسبله التى لا نهاية لها والمنهى عنها فى قوله سبحانه ﴿**وأنَّ هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله**﴾ وقـولـه جل شأنـه: ﴿**يـا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾. . والاقتراب من كل المعانى الروحانية التى تفـرغ الانسـان من حظ الشهـوات والمنـافع وتملؤه يقينا واطمئنانا وثباتا وتجعل للانسانية امتدادا موصولا بتوجيهات وتعاليم صاحب الرسالة الخالدة سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾.

والمسـلم الحق الـذى يستـوى غيبـه ومشهـده. . وسره وعلانيته. . هو الذى يدع مالا إثم فيه ولا بأس خوفا مما فيه إثم وبأس. . وهو الذى يجعل الشرف الانسانى غرضه الأول لأن الله الحق غرضه الأخير. . وهو الذى يستفتى لدينه لكى يقبل على ربه بقلب سليم وكلما قرب القلب من الله زالت عنه معارضات السوء وكان نور كشفه للحق أتم وأقوى.

نقول هذا لأن الناس جميعا يستفتون ويسألون وما أكثر



إذا وقر الإيمان فى القلب وسكنته محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم خرجت منه كل معانى الفقر النفسى وامتلأ يقيناً واعتزازاً وغنىً بالله سبحانه وتعالى . .



دكتور
محمود محمد عبده
القاهرة - جامعة الازهر

الفتوى بين السائل والمجيب

مسائلهم ومشاكلهم ـ ولكن الواقع المشاهد للسواد الأعظم منهم يدل على أنهم لم يستقيموا على جهة . . ولم ينتظموا على طريقة . . ولم يتحولوا عما هم عليه من حب الشهوات وجنون المادة وفتنة الغنى . . وتسلط الجهل والعمى الاجتماعى على الأصل الأدبى . . والمبدأ الانسانى الذى به قوام حياتهم . وإنهم فى سؤالهم واستفتائهم صنفان :

الصنف الاول

يستفتى لغرض فى نفسه أى لحرام يريد أن يستحله . . أو لباطل يريد أن يفعله . . أو لحق يريد أن يأكله . . ولنضرب مثالا لذلك : رجل يأكل الربا ويستغل فقر الناس وحاجتهم . . ولا يقرض أحدا قرضا إلا لوجه المنفعة . . ولا يرعى لأحد حرمة . . ولا يرقب فى إنسان إلاًّ ولاذمة . . ويعظم الدينار والدرهم ويعلم علم اليقين أن كل ما يكسبه حرام ولا شبهة فيه لدرهم واحد حلال . .

وأن الخبيث الظالم قد امتلأ به جيبه وانتفخ به بطنه ـ ومع هذا كله يذهب الى عالم يستفتيه فى أمر نفسه ولكنه كذهاب أهل الكتاب الى النبى ﴿ﷺ﴾ يتحاكمون إليه لأجل تحقيق أغراضهم وليس من أجل الالتزام بدينهم . . فخير الله نبيه ﴿ﷺ﴾ بين الحكم بينهم أو الاعراض عنهم فقال : **﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين﴾** .

إن أمثال هؤلاء المرابين والآكلين أموال الناس بالباطل لا يريدون الحق لذاته ولا يطلبونه ليهتدوا أو ليكفوا عن الحرام أو ليتوبوا الى الله مما فعلوا وإنما يسألون ليحصلوا على فتوى تسوّغ لهم إجرامهم وتكون حجة لهم بظنهم ووهمهم والدليل على ذلك أنه حينما تأتى الاجابة على غير هواهم ويجدونها تقمعهم وتردعهم وتنذرهم بغضب الله وسخطه يردون على المفتى كلامه ويذهبون الى غيره ولا يزالون كذلك حتى يجدوا مفتيا على هواهم يؤول فى كتاب الله وهو لا ينفذ الى حقائقه ولا يستبطن أسراره ولا يعرف حكمة التشريع المنزل فيه .

إن هؤلاء ينظرون الى الدين كما ينظر أرباب الخصومات لكسب خصومتهم بأى حيلة ووسيلة فلا يذهبون الى الحق يطلبونه ويتمسكون بعراه وإنما يذهبون الى محام يسحر القاضى بلباقته ويستغل ثغرات القانون بذلاقة لسانه ونصاعة بيانه حتى يجعل الحق باطلا والباطل حقا ونسوا قول رسول الله ﴿ﷺ﴾ «إنكم تختصمون إلىَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من أخيه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار» . . ونسوا كذلك أن الفتوى ليست كل شيء ولا

يصح العمل بها إذا لم تطمئن نفس السائل لها أجو ترددت فى قبولها وقد قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ **«استفت نفسك وإن أفتاك الناس وأفتوك»** وقال **«البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن إليه القلب والاثم ما حاك فى الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس»**.

وهذه الضوابط التى وضعها رسول الله ﴿ﷺ﴾ تنبه الفطرة الايمانية الصحيحة فى كل نفس وتجعل كل انسان مفتى نفسه قبل أن يخلص الى فتوى المفتى ويعيش بمعانى قلبه المؤمن القوى ويملك أقوى أسلحته من الدين والفضيلة ـ لا من الخديعة والحيلة ويرى أن السعة فى الخلق لا المال والفقر فى النفس لا العيش، ويستشعر اللذة فى مقاساة الحياة بشرف ومعاناة الرزق بقناعة . . ونسوا أيضا أن المفتى لا يجيب السائل إلا بمقدار ما يقدم له من أدلة وبراهين لأنه يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، والسائل وحده هو الذى يعرف مافى كلامه من حق أو باطل فعليه وحده تقع المسئولية **﴿بل الانسانُ على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره﴾**. **﴿كلّ نفسٍ بما كسبتْ رهينة﴾**.. **﴿يوم لا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئــاً والأمــرُ يومئـذ لله﴾**.. إن الانسـان المؤمن لا يترك مفتيا ويذهب الى آخر غيره إلا حينها يتأكد أو تساوره الريبة فى الفتوى التى تلقاها وذلك بأن يشعر بأن المفتى جاهل أو محاب أو غير ملتزم بالكتاب والسنـة . . أو يأخذ بالحيل المخالفة لسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ والرخص فإن من حقه حينئذ أن يسأل ثانيا، وثالثا وعاشرا لماذا؟ لأنه لا يريد فتوى يحقق بها مطمعا دنيويا أو غرضا دنيئا وإنما يريد أن يستوثق لدينه وتحصل له الطمأنينة التى نبه عليها رسول الله ﴿ﷺ﴾.

وهــل يظن الانسان أنه سيأتى ربه يوم القيامة ويقول له: يارب أنـا فعلت كذا لأننى سألت فعـلانا وقال لى كذا وكـذا؟.. **﴿وذلكم ظنكُمْ الـذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾**.. إن الله يقول له: خسئت: بل أنت الذى دلست وخنت وكذبت **﴿ويوم القيامة ترى الـذين كذبـوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين﴾**.

جاءنى مرة تاجـر يسأل عن زيادة ثمن السلعة التى يبيعهـا مقـابل زيادة الأجل وفهمت منه أنه يسأل سؤال استحلال لما يفعل وليس من أجل الحلال والحرام لذاته فقلت له: لا مانـع أن تزيـد فى الثمن مقابل الزيادة فى الأجل وأن تراعى فى ذلك أمرين:

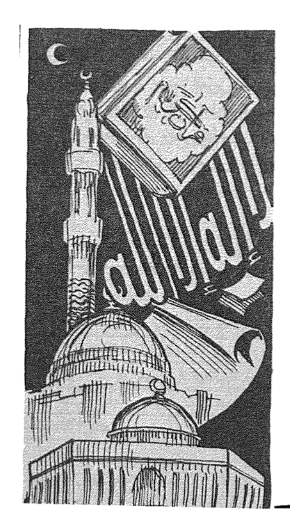
أولا: تراعى وجـه الله فى هذه الزيادة بحيث لا يصل المكسب الحلال الى حد الاستغلال.

ثانيا: تراعى حال المشترى قوة وضعفا.. قدرة وعجزا فإذا وجدت أنه فقير قد عضه الدهر بنابه فلا تزده فقرا على فقر وضعفا على ضعف وأقرضه قرضا حسنا.. أو على الأقل بعه الأجل بسعر العاجل ـ وذكرته بالآية الكريمة **﴿من ذا الذى يقرضُ الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبضُ ويبسط وإليه تُرجعون﴾**.. فما كان منه إلا أن قال: هذا الكـلام لا يعجبنى لأن الشيـخ فلان أفتانى بغير ذلك وقال كذا وكذا.

إن مثل هذا يريد أن يوثق الحرام الذى يكسبه من أكثر من طريق فإذا وجد ما يخالف طمعه الجشع ونفسه القرمة الى الحرام أبى واستكبر وتأبى ونفر لأنه يريد أن يشبع وإن جاع غيره ويبنى بيته وإن هدمت بيوت الآخرين ويحيا وإن مات غيره. وهكذا من معانى النقص التى لا تزيده إلا سوء حتى يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله.

● والغريب حقا أن هؤلاء الذين يبيعون دينهم عرض من الدنيا قليل ويفضلون ما يفنى على ما يبقى يتكئون على الأمثال العفنة التى لا تغنى عن الحق شيئا فيقولون «حطها فى رقبة عالم واطلع سالم» وهذا كلام فارغ من كل معنى إلا من المعانى المردية فى نار جهنم والمؤدية الى أقرب السبل الموصلة إليها.. فرقبة السائل أولا.. وجهنم له أولا.. وسخط الله وغضبه ومقته عليه أولا.

● لا نقول هذا تبرئة لعلماء السوء الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يعلمون ويفتون بما يجهلون، وإنما نوضح حجم المسئولية مادام النيِّران الطاهران كتاب الله وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ موجودين وفيهما الهدى لمن أراد الهداية والمقنع لكل من أراد الاقتناع.



الصنف الثانى

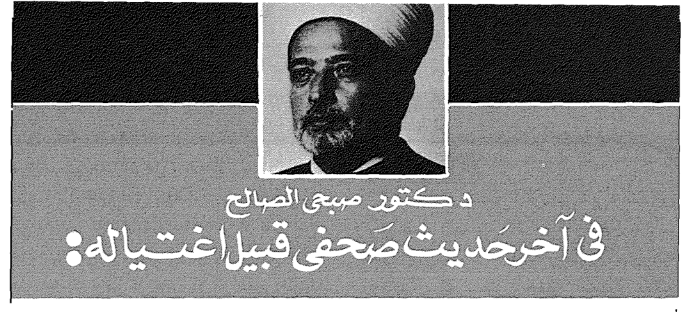
هو الذى يستفتى ليكون كل شيىء عنده وفى مرأى بصره وبصيرته فى درجة علم اليقين ومن ثم يكون صحته وكلامه وأخذه وعطاؤه وحبه وبغضه وحركته وسكونه صورة الحقيقة العاملة فى داخله الضابطة لتصرفاته ونوازعه واتجاهاته بحيث لا يأخذ شيئا ولا يفعل فعلا إلا من ناحية الايمان بالله وحفظ الانسانية هو الفريق الذى ألقى الله فى قلبه نورا فهو يتخذه وسيلة الى الفرقان بين الحق والباطل **﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتَّقوا الله يجعلْ لكم فرقاناً ويكفّرْ عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾**.

هذا الفريق ذو النفس الذائقة طعم الايمان.. والراضية بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.

● لقد كان أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا سئل أحدهم أجاب قائلا: قال الله كذا وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ كذا فيشفى السائل ويبلغ القائل. ثم ماذا؟ **﴿ثم خَلَفَ من بعدهم خَلَفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾**.

● ليس هناك فقر ولا جوع ولا حاجة وإنما هناك نزوات لم تقمع.. وحيوانية لم تكسر.. ودواع لم تمت.. وخواطر لم ترب.. ونفس لا تقنع ولو ملكت كل ما طلع عليه الشمس.. وجوف لا يملأه إلا التراب.

● فإذا وقر الايمان فى القلب وسكنته محبة الله ومحبة رسوله ﴿ﷺ﴾ خرجت منه كل معانى الفقر النفسى وامتلأ يقينا وثقة واعتزازا وغنى بالله سبحانه **﴿يا أيها الناسُ أنتم الفقراءُ إلى اللهِ واللهُ هو الغَنِىُّ الحميدُ﴾**.



د. كتور صبحي الصالح
في آخر حديث صحفي قبيل اغتياله:

لم أكن أعرف الدكتور صبحي الصالح الانسان قبل الاحتفال الذى أقيم له مؤخرا فى تونس بمناسبة منحه جائزة التفكير الاجتهادى فى الاسلام من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وعندما رافقته طوال اقامته بتونس اكتشفت ان صبحى الصالح الانسان لا يختلف عن صبحى الصالح المفكر المتميز: فهو يمتلك مهابة الشيخ التى تقدحها حركية الشباب ويتميز برحابة صدر نادرة واتساع أفق مذهل والاهم من كل ذلك تلك الارضية المعرفية التى تشعرك بأنك تجلس الى بحر ملىء بالاصداف والدرر.

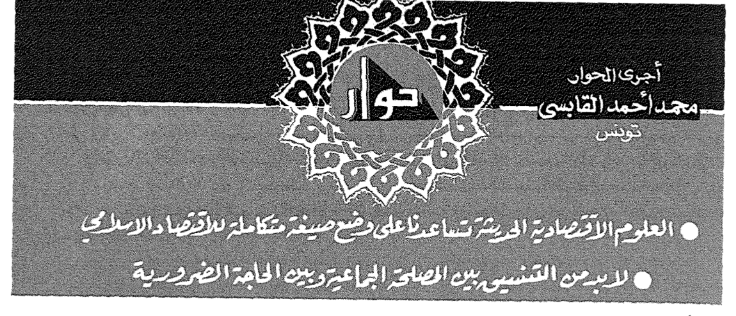
لقد نزل الرجل بتونس فتحلق من حوله المريدون والاحباء ولا يكاد ينفض مجلس حتى يلتئم آخر. ولم أذكر ان الرجل رفض مطلبا لاحد - فهو فى كرمه وعطائه نموذج لصاحب العقل الكبير والتواضع الاكبر. يبادلك الحب بمثله والفكرة بأعمق منها.. ويجعلك على قناعة تامة بأن «منهجية الاعمال الفكرية الدينية مع الثقافية والثقافية مع الدينية هى البديل الذى يجعل كلام المتدين فى عصر الشارع التكنولوجى مقبولا».

وعندما خططت لحديثى معه قصدت أن يكون الحديث مغايرا تماما لما يطرح عادة فى مثل هذه المناسبات.. لقد أردت مقاربة فكرية مع الرجل لاكثر قضايا العصر تعقيدا.. لقد التمست منه حلولا لقضايا قائمة فى مجتمعنا العربى المعاصر.. فكيف نضع حلولا مقنعة لمسائل يثار حولها جدل كبير؟. كيف نضع صيغة متكاملة للاقتصاد الاسلامى نطرح من خلالها معاملات البنوك واشكالات الربا.. ومؤسسات القرض وشهادات الاستثمار.. وصناديق التوفير وعقود التأمين.. وكيف ننظر برؤية اسلامية متطورة الى مدنية السلطة واستمرار الشريعة.. والى الاحوال الشخصية ووضع المرأة والحريات الديمقراطية.. وتحديد حجم الاسرة ومعالجة العقم وزيادة الاخصاب.. وبالتالى كيف نسهم فى صنع الحضارة الانسانية والاضافة اليها مقتنعين بأن ذلك كله أمر دينى بقدر ما هو حضارى منشود.؟

تلك هى بعض الاشكالات التى طرحتها على الشيخ الشهيد منطلقا من مسألة مبدئية هى ضرورة تنمية التفكير الاجتماعى. قلت له:



● *لقد دعوتم فى أكثر من مناسبة وموقع الى ضرورة تنمية التفكير الاجتهادى فى الاسلام لمواكبة تحديات العصر، فكيف تحددون هذا الطرح وما هى الدوافع الملحة التى تقف وراء ذلك؟.*



●● إنَّ حاجة الأمة الى الاجتهاد مسلمة بديهية لم تكن فى نظر القدامى تقبل الجدل حتى تحتمل التأجيل عند المعاصرين ولا سيما بعد أن قامت فى وجوهنا تحديات من كل نوع وضعتنا قسرا أمام الاختيار الصعب بين ثلة من ايجابيات الواقع الحضارى المعاصر وكثير من سلبيات واقعنا المريض. . ولقد اتيح لنا فى أكثر من ندوة وكتاب أن نقيم الدليل على أن اغلاق باب الاجتهاد فى أواخر القرن الهجرى الثالث وهمٌ علق بالاذهان - مؤكدين بوجه خاص أن محاولات الاجتهاد لم تنقطع حتى خلال تلك القرون العشرة الممتدة من القرن الرابع الهجرى الى اليوم.

وما لاحظوه بالأمس فى جميع تعاريف الاجتهاد وضوابطه من وجوب استفراغ الجهد لاستنباط الاحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية يزيدنا اليوم اقتناعا باستمرار معنى المحاولة وبذل الطاقة فى كل عمليات الاجتهاد - ويزيدنا اقتناعا أيضا كما قال الشوكانى بأن «من حصر فضل الله فى بغض خلقه وقصر فهم هذه الشريعة على ما تقدم عصره فقد تجرأ على الله عز وجل وعلى شريعته الموضوعة لكل عباده».

لا شيء يلجئنا إذاً الى إعادة القول فى تلك المسلَّمة البديهية لان المحققين من علمائنا شاركوا فى مقاومة التقليد وفى دعوة المسلمين الى الاجتهاد وان كانوا لم يفتحوا بابه على مصراعيه الا للقادرين عليه - وانما ينحصر حديثنا فى حاجتنا اليوم الى تنمية التفكير الاجتهادى وتوسيع مجالاته. . والتنسيق لمعضلات الحياة العصرية فى كل الميادين. آخذين فى حسباننا كما قال ابن القيم: «هـذه الشريعة معناها وأسسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد. . وهى عدل كلها. . ورحمة كلها. . ومصالح كلها. . وحكمة كلها».

ولقد كان بديهيا أن يستدعى قيام الشريعة على الحكم والمصالح اهتمام فقهائنا بتحديد الشروط التى لابد من توافرها فى المجتهد القادر على ادراك حكم التشريع - من علم راسخ بلغة القرآن نحوا وصرفا وبيانا. . ومعرفة تامة بآيات الاحكام ومجاميع السنة الكبرى. . واطلاع كافٍ على علم الاصول لاستنباط مقاصد الشريعة وقواعدها العامة.

ونحن فى عصرنا الحاضر مع تسليمنا بدقة هاتيك التحديدات جميعا لن ندخل فى تفصيلاتها. . ولن نعلل وجهات النظر المتباينة فى تصنيف القدامى لمراتب المجتهدين مستقلين ومطلقين ومنتسبين ومقيَّدين - بل نرى من المفيد كى نتحول بالاجتهاد من الصيغة الشكلية الى جهاز حي دائم التحرك أن نضيف الى هذا كله شرط الالمام الكافى بلغة حية على الاقل الى جانب لغتنا نطل من نافذتها على ثقافة عصرنا بوساطتها وكل مسألة طارئة فى ضوء العلوم المتعلقة بها منطلقين من سوسيولوجية المعرفة بوجه عام ومن بعض التجارب والخبرات بوجه خاص.

لا ريب عندنا فى أن العلوم الاقتصادية الحديثة تساعدنا على وضع صيغة متكاملة للاقتصاد الاسلامى نطرح من خلالها

معاملات البنوك ومؤسسات القرض. . وشهادات الاستثمار وصناديق التوفير. . وعقود التأمين على اختلاف أنواعها وكل ذلك يعرض ويناقش بدقة فى ضوء تعاليم الشريعة الاسلامية. . وأن مناهج السياسة وأشكالها المتطورة تعيننا هى الاخرى على وضع صيغة متكاملة لخصائص الحكم الاسلامى نرى من خلالها مدى الترابط بين مدنية السلطة واستمرار الشريعة فى الامة. . وأن أخْذَنا «باجتماعية المعرفة» يسعفنا بنظرة أدق وأشمل الى الاحوال الشخصية والى وضع المرأة ومكانتها. . والى الحقوق العامة والحريات الديمقراطية. . والى توثيق علاقتنا الثقافية والاقتصادية مع العالم غير الاسلامى وزيادة اسهامنا فى صنع الحضارة والاضافة اليها انطلاقاً من وجهتنا الاسلامية مقتنعين بأن هذا كله أمر دينى مطلوب بقدر ما هو حضارى منشود.

وإن حاجتنا الى توسيع آفاقنا عن طريق ثقافة العصر وعلومه لتزداد الحاحا اذا علمنا أن آيات الاحكام التى نصت على شؤون الحلال والحرام لا تزيد فى القرآن على خمس مئة آية ـ وأن أحاديث الاحكام لا تزيد فى مجاميع السنة الكبرى على ثلاثة آلاف. . والى هذه وتلك استند علماء الاصول فى كل ما استنبطوه من المسائل والفروع.



● *تنحون فى طرحكم فيما يتعلق بقضية الاجتهاد الى ما تسمونه باعتماد «المصلحة الشاملة» ولكن ذلك يبدو غير كافٍ للوصول الى أفضل النتائج؟.*

●● يكفى فى اعتقادنا كى ننتهى الى أفضل النتائج العلمية والعملية أن نشجع أذكياء فقهائنا مع أهل الاختصاص متعاونين متضامنين على الاجتهاد الجزئى فى المسائل الطارئة التى تمس مساسا مباشرا شؤونهم المعيشية الضرورية على أن نرصد اجتهادات أولئك المختصين فى عملية احصائية: من أى بلد أتت وعن أى خبير صدرت. . تمهيدا لصهرها والتنسيق بينها يوم نوفق الى انشاء المجمع الاجتهادى الجماعى على مستوى العالم الاسلامى كله ـ عملا بقول الرسول الكريم فيما لم ينزل به قرآن: «أجمعوا له العالمين أو العابدين من المؤمنين فاجلعوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد».

ونحن فى هذه الوصية النبوية العظيمة لا نستبعد ان يكون لفظ الرسول اجمعوا له العابدين وليس «العالمين» لما يوحيه وصف العبادة من صدق التوجه الى الله لدى العلماء المخلصين الذين يقرنون التفكر بالتعبد والاجتهاد بالورع. . ولا يتملقون غرائز الناس وأهواءهم بها يفتون. . ولا يضلون ولا يضلون.

وأولئك العلماء العابدون لن تطوع لهم أنفسهم اذا أن يتخذوا الاجتهاد ترفا عقليا ككل وسائل الترف المتحكمة تحكما آليا بإنسان عصرنا الذى انتزعت منه انسانيته وأوشك أن يتحول هو أيضا آلة لمضاعفة الانتاج وانما يقفون عند حدود اختصاصهم مستخدمين ذلك الجهاز الحى المتحرك المستمر فى النماء المسمى «اجتهاد المسائل» فى التنسيق بين روح الشريعة ومسميات الحضارة ـ وبين تطور الانسان واستكماله النماء بحضارة القيم والاخلاق لا بحضارة الاجهزة والالات المتحللة من كل المعايير.

وعندما نأخذ بحسباننا كل هذه المقدمات سرعان ما نرى أن القضايا المعيشية الاقتصادية هى التى يجب أن تحتل المكانة الاولى فى سلم الاولويات ـ وهى التى يجب علينا ان نتجه الى حسمها حسما فعالا محققا لمصالح العباد وقابلا للتطبيق فى عالم الاقتصاد.

● في مسألة الربا

لكن من المؤسف ان يكون تضخيم مدلول الربا سببا مباشرا فى استمرار تخبطنا لدى معالجة هذه الشؤون الضرورية. ولقد صدق من قال: «تركنا ثلاثة أرباع الحلال مخافة الربا».

●● لكى نجتنب الانزلاق الى مزيد من الشبهات والتعقيدات علينا أن نحدد ثلاثة أشياء: **أولا**: حقيقة الربا فى المصطلح الاسلامى.. **ثانيا**: ما يدخل فيه وما يخرج منه.. **ثالثا**: موقف المسلم المعاصر من التعامل فى نطاق البنوك العالمية.

اننا ما نكاد نذكر لفظ «الربا» حتى تعود بنا الذاكرة الى خطبة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب صرح فيها أمام حشد من الصحابة بأن الرسول لم يبين الربا بيانا شافيا قبل موته: «مات رسول الله ﴿ﷺ﴾ ولم يبينه لكم».. ومنها نستنتج أن الفاروق كان يتوقع أن تجدّ بعد وفاة الرسول صور وأشكال من التعامل تغاير مفهوم الربا الذى عرفه أهل الجاهلية ومارسوه. وخلال الفتوح ظهر ما توقعه ابن الخطاب نتيجة لبدء الاختلاط ببعض الشعوب. ومع تعاقب العصور كثرت المسائل الطارئة وتعقدت وداخلت بعضها الشبهات فابكر الفقهاء لمعالجتها وخصوصا فى العصر العباسى ما لا حصر له من التفريعات والتقسيمات تلبية لحاجات التجار فى تنظيم العقود وتنسيق الشركات.

وبرغم تخوفهم من مواقعة الربا طبقوا فى وقت مبكر ما صلح لعصرهم ووافق روح الشريعة وحرك عجلة الاقتصاد كعقد السلم الذى يكون فيه المبيع مؤجلا.. وعقد المرابحة الذى يسمح للتاجر ببيع ما عنده على نسبة معينة من الثمن تشكل مقدار الربح فيه.. وشركات الضمان التى يسهم فيها عدد من الافراد فى رأس المال ثم يتضامنون فى الخسائر والارباح.. وانطلقوا فى كثير من التعامل التجارى من مبدأ المضاربة التى يدفع فيها أحد الشريكين مبلغا من المال ويقوم أخر بكل العمل أو يقوم الاول معه بعمل قليل.

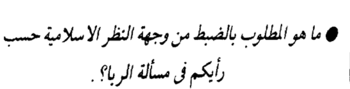
ولزاما علينا ـ قبل التورط باباحة المعاملات الحديثة أو تحريمها ـ أن ننطلق من الحقائق التاريخية الشاهدة بأن الربا المحرم شرعا هو ربا النسيئة الذى حدده العرف الجاهلى مقرا ما اشتمل عليه من استغلال الموسر للمعدم حين كان الدائن الطماع يوافق على قول المدين المحتاج: آخر عنى دينك وأزيد على مالك.

وفى الحديث الصحيح ما يشعر بأن هذا الشكل التاريخى للتعامل الجاهلى هو الرباط الجلى الصريح الذى لا يشك أحد فى تحريمه، بعد ان قال فيه رسول الله ﴿ﷺ﴾: «انما الربا فى النسيئة».. هكذا بصورة الحصر حسم ووضوح.

والمتتبع للمكى والمدنى.. ولاسباب النزول.. وتاريخ التشريع ـ يعلم أن ربا النسيئة هذا لم يحسم أمره دفعة واحدة بل تدرج القرآن فى تحريمه وفاقا لمنهجه فى معالجة القضايا المتأصلة فى أعراف المجتمعات.

نستنتج ذلك بكل بساطة من ذكر الربا أول مرة فى أواخر العهد المكى بأسلوب تربوى توجيهى يقارن بين نتائجه ونتائج الزكاة والصدقة والانفاق.





● *ما هو المطلوب بالضبط من وجهة النظر الاسلامية حسب رأيكم فى مسألة الربا؟.*

●● المطلوب من وجهة النظر الاسلامية نوع من التنسيق بين «المصلحة» الجماعية لا الفردية وبين «الحاجة» الضرورية لا الكمالية حرصا على التنمية البشرية فى جو روحى نظيف تزينه مكارم الاخلاق وتؤصله العقيدة السمحاء وفى ضوء هذه

القيم لمن يستسيغ الاجتهاد الاقتصادى الاسلامى أى شكل من أشكال التعامل بالربا الصريح أو ما يشبهه من وسائل الكسب بطريق الانتظار لان الجهد الشخصى منعدم فيه . . ولانه خال من كل عوض أو مقابل . . ولانه تهرب من تبعات الانتاج . . ولانه فى الاعم الاغلب استغلال من الذين يملكون ولا يعملون لجهود الذين يعملون ولا يملكون . . حتى ربا الفضل الذى هو بيع المتماثلين بزيادة احدهما على الاخر كبيع الدرهم بالدرهمين لم يكن تحريمه لذاته وانما حرم سدا للذرائع لئلا يتخذ وسيلة الى الربا الصريح .



● *مع الربا هناك مسائل اقتصادية أخرى تبحث عن بدائل اسلامية من ذلك مسألة الايداع والادخار والاستثمار كيف يمكن ايجاد هذه البدائل؟.*

●● لابد لمجتهدى عصرنا من اقتراح حلول لا تحتمل التأجيل لمختلف أشكال الايداع والاقراض والادخار والاستثمار . . ولابد من اعادة النظر فى طائفة من الاحكام الفرعية التى استند بعض الفقهاء فيها الى قواعدهم المذهبية لا الى النصوص النقلية الصحيحة . . ولابد فى نهاية المطاف من البحث عن البدائل الاسلامية الملائمة لروح شريعتنا والكفيلة بالتخطيط العلمى لمناهج اقتصادنا .

وربما كان الحل الامثل لو كانت ظروفنا السياسية أفضل أن تبادر نخبة من فقهائنا وأهل الاختصاص فينا الى وضع صيغة اقتصادية متكاملة خالية من الربا نرفض معها أن نظل مطوقين بتلك الشبكة الضخمة من المصارف والشركات ومؤسسات القروض الربوية وأسواق «البورصة العالمية» ولكن هذا الحل الذى كثيرا ما نادينا به لا يزال يصطدم بعقبات تضعها فى طريقنا ذهنية التخلف تارة ومصالح المستفيدين من واقعنا المريض تارة أخرى .

وإذا تحرج اليوم فقهاؤنا من الاحتفاظ بالسندات الحكومية وما فى حكمها . . وسندات البنوك العقارية . . والشركات الصناعية وشركات الاراضى والمرافق العامة الا فى حالات الحاجات والضرورات الحقيقية التى تقدر بقدرها لان تلك السندات بما تدره من فائدة ثابتة تشبه صكوك القرض الربوى المحرم - فلا قبل لهم بمنع أحد من الاحتفاظ فى الظروف العادية بأسهمه فى محفظة الاوراق المالية لان حامل السهم فى الشركات التعاونية يتحمل حينئذ مثل أى شريك «نتائج الربح والخسارة» - ولان عمليات المساهمة بوجه عام لا تنافى مفهوم المضاربة الذى نوهنا بأنه كان شائعا فى الجاهلية وأقره الاسلام .

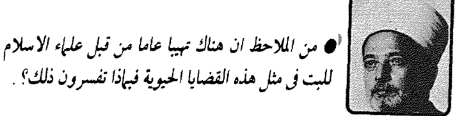
وعندما نرفض اليوم بلا تردد أنظمة «البورصة» وتلاعبها بالاسعار فى الاسواق العالمية لدخولها فى باب المضاربة الحديثة القائمة على الاستغلال والاحتكار - نجاهر بأننا فى المقابل نتبنى اجتهاد مَنْ رأى من علمائنا اباحة كل من صناديق التوفير وشهادات الاستثمار لدخولها - على تفاوت - فى بابى المضاربة والقراض الاسلاميين بعد اجراء تعديل جزئى على صياغة بعض القواعد الفقهية والشروط الاحترازية الاجتهادية رعاية للاعراف الجديدة وتحقيقا للصالح العام : «فلا يجوز أن نسوى بين المعاملات النافعة لآخذ المال وصاحب المال معا، وبين الربا الجلى المركب المخرب للبيوت» .

● الحرام حرام فى كل حال

بعد أن أخذنا بهذا التفسير الجامع الشامل لكل الحالات والاوضاع نود اليوم ان نتساءل عن موقف ذاك المسلم المعوز الذى لم يجد مؤسسة اسلامية او محلية تقرضه قرضا حسنا كما أمر الله . هل لنا أن نضيف الى ضيقه ضيقا أم نفرق بين حكمنا

على البنك المسْتَغِل المقرض وحكمنا على هذا المقترض المحتاج ونرى رأى مَنْ قال: «إنَّ الربا الذى حرمه القرآن ضار بواحد بلا ذنب غير الاضطرار ونافع لاخر بلا عمل سوى القوة والطمع فلا يمكن ان يكون حكمهما فى عدل الله واحدا ـ بل لا يقول عادل ولا عاقل من البشر: ان النافع يقاس على الضار ويكون حكمهما واحدا».

●● اننا ازاء هذا كله نؤثر الصراحة والحسم والوضوح أيا ما تكن رغبتنا فى الاجتهاد والتجديد ـ فالحرام حرام فى كل حال وانما ندعو أهل الاجتهاد الى توسيع قاعدة الضرورة ومفهوم الحاجة والمصلحة لنضع متساندين متضامنين حدا لهذا الفراغ الفقهى الذى يشكو منه المسلم المعاصر . . ونقدم له وللحكومات التى يخضع لانظمتها جذوة تزيل الحيرة والارتباك . . وتريح أعصاب الجميع . . وتفتح أمامهم الابواب لمزاولة النشاط الاقتصادى المتوازن ـ آخذين فى حسباننا حين يتعلق الامر بقروض الدول والحكومات: مشاركة رجال الاقتصاد والقانون لفقهائنا المجددين فى تقدير الحاجات الحقيقية واختيار مصادر القروض، تحقيقا لمصلحة الامة فى كل ديار المسلمين ودفعا لاستغلال الطامعين الجشعين.



● *من الملاحظ ان هناك تهيبا عاما من قبل علماء الاسلام للبت فى مثل هذه القضايا الحيوية فبماذا تفسرون ذلك؟.*

●● ينبغى ان نعترف بأن تهيب علمائنا ومجامعنا العلمية الاسلامية من معالجة هذه القضايا الاجتهادية لا يرتد الى غموض الموقف أو ضعف المواجهة بقدر ارتداده الى الورع والدقة والتمحيص. والمهم فى هذا كله أن تنسجم القرارات فى النهاية مع المناهج المقترحة لاستكمال التخطيط الاقتصادى والتنمية الشاملة وربط محاولات الاجتهاد بتكامل الصيغة التجديدية لانظمة الحكم فى بلاد المسلمين لئلا تتسم محاولاتنا بالتسرع والارتجال.

وأول ما يجب علينا فى مجال السياسة ونظام الحكم ـ مهما يكن ارتباطنا الدينى العاطفى عميقا بفكرة الخلافة ـ أن نكف عن الاعتقاد بأن هذا النظام التاريخى الذى لم يقم الا على مبدأ الاجماع هو شكل الحكم الوحيد فى ظل الاسلام: فما كانت الخلافة فى جوهرها الحقيقى الا تأكيدا عمليا لمدنية السلطة المتمثلة فى سيادة الامة والمتشخصة فى الدولة القانونية الاولى التى ظهرت منذ أربعة عشر قرنا فى صدر الاسلام وكانت حقا أول دولة تخضع للشريعة بجميع سلطاتها التشريعية والتنفيذية.

دكتور صبحى الصالح

● ولد الدكتور صبحى ابراهيم الصالح فى طرابلس (لبنان) سنة ١٩٢٦.

● دراسته الثانوية المدنية والشرعية فى دار التربية والتعليم فى طرابلس وبدأ يخطب أيام الجمعة فى المساجد الشريفة ولم يكد يبلغ الثانية عشرة من عمره.

● جمع بين الثقافتين الشرعية والمدنية. . وحصل على الشهادة العالية (الاجازة) سنة ١٩٤٧ من كلية اصول الدين، والشهادة العالمية ١٩٤٩.

● قدم الى باريس سنة ١٩٥٠ ونال فيها شهادة دكتوراه الدولة فى الاداب سنة ١٩٥٤.

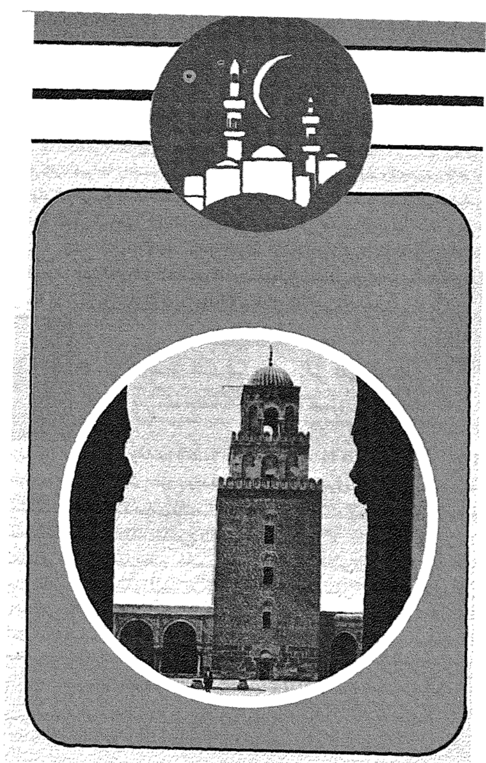
وقد كان للدكتور الصالح عضوية فى:

● مجمع اللغة العربية فى القاهرة ● اكاديمية المملكة المغربية ● المجمع العلمى العراقى فى بغداد ● لجنة الاشراف العليا على الموسوعة العربية الكبرى.

وآخر منصب تولاه قبل اغتياله (رحمه الله) هو: «نائب رئيس المجلس الشرعى الاسلامى الاعلى ورئيس اللجنة العليا للقرن الخامس عشر الهجرى فى لبنان والامين العام لرابطة علماء لبنان».

ومن مؤلفاته المطبوعة

● ـ مباحث فى علوم القرآن. ● ـ علوم الحديث ومصطلحه. ● ـ دراسات فى فقه اللغة. ● ـ النظم الاسلامية ـ نشأتها وتطورها. ● ـ معالم الشريعة الاسلامية. ● ـ الاسلام والمجتمع العصرى. ● ـ فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية.



إذا القيت نظرة على خريطة القارة الافريقية فانك ستجد القطر المصرى فى شمالها الشرقى (شمال السودان).. واذا واصلت النظر نحو الغرب فانك ستجد القطر الليبى وإثره القطر التونسى.. ثم القطر الجزائرى وإثره.. المغرب الأقصى الذى نطل منه (ومن طانجة بالذات) على جبل طارق.. وفى جنوب القطر المغربى نجد موريتانيا التى تقع شمال السينغال.

ويبدو أن نور الاسلام قد انبثق فى أم القرى مكة المكرمة ثم انتشر الهدى الاسلامى مشرقا ومغربا:

وانداح فى الآفاق متسعا
مثل الصدى فى الأفق يمتد
فحدوده فى الغرب أندلس
وحدوده فى المشرق الهند
وجنوده آى الكتاب وكم
فتح المعاقل ذلك الجند

وكان للدعاة فى نشر الاسلام دور كبير فى كل مكان حل فيه المسلمون ـ وسنكتفي بالاشارة الى قلعة من قلاع الاسلام فى قلب المغرب العربي النابض التي انطلق منها المسلمون لفتح الاندلس «الفردوس المفقود» إذ أن الجميع يعرف أنه:

جامع عقبة بالقيروان

إعداد: د. نور الدين صمود

من هنـا مر طارق بن زيـاد
حامـلا مشعل الهدى والرشاد
لكأني في الغيب أسمع منه
زأرة الليث خلف صف الجياد
بربـرى لكـنـه عربـى
مسلم حامـل لواء الجهـاد
ناشـر رايـة الإلـه على الأ
ندلس البكـر جنة القصـاد

فتح أفريقيا

يطلق اسم (أفـريقيـة) بالتـاء في الكتب القديمة على تونس الحالية.. وبعض بلاد الجـزائر غربا.. وبعض الأراضي الليبيـة جنـوبـا وهـو غير (أفريقيا) القارة المعروفة.

وعندما قرر عثمان بن عفان ثالث الخلفـاء الـراشـدين رضي الله تعالى عنهم اجمعين فتح أفريقية وبقية بلاد المغرب (العربي الحالي) استشار نخبة من أصحابه فوافقوه على رأيه باستثناء واحد منهم لأنه سمع عمر بن الخطاب يقول عن أفريقية: «لا أغزيها أحداً من المسلمين ما حملت عيني الماء» وأخيرا استشار زيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة الأنصاري وهما من أفاضل الصحابة فرأيا أن تغزى أفريقية.. وقد سارع للمشـاركـة في هذه الغـزوة كثير من مشاهير الصحابة والتابعين مثل: عبد الله بن الزبير وعدة من قومه ومن بني زهـرة.. وعبد الـرحمن بن أبي بكر الصديق.. وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأخيه.. وعاصم بن عمر بن الخطـاب.. وعبد الرحمن بن زيد بن الخطـاب.. وعبد الله ابن عمرو بن العاص.. والمسور بن مخرمة القرشي من أصحاب الرسول ﴿ﷺ﴾ وجماعة من بني هذيل منهم الشاعر المعروف أبو ذؤيب الهذلي صاحب العينية المشهورة:

أمن المنون وريبها تتوجع

التي منها قوله:

وإذا المنية أنشبت أظفـارهـا
ألـفيت كل تميمـة لا تنفـع

وقد أنشبت فيه المنية أظفارها بأفريقية فقام بأمره عبد الله بن الزبير حتى واراه التراب (طبقات ابى العرب ص٦٨)



وأول غزوات المسلمين لافريقية كانت غزوة: «العبادلة السبعة» بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة ٢٧هـ وقد ضمت سبعة من الصحابة والتابعين يسمون باسم عبد الله.

وتوالت بعد ذلك الغزوات فقد روى الدباغ فى (معالم الايمان ١/١١٣) أن معاوية بن حديج غزا أفريقية ثلاث مرات إحداهن سنة ٣٤هـ ٦٥٥م فى خلافة عثمان بن عفان فنزل مكان القيروان اليوم.. وكان معه فى هذه الغزوة كثير من الصحابة منهم أبو زمعة البلوى الذى مات ودفن بالبلوية إحدى مقابر القيروان الآن سميت به. وفى هذه الغزوة ماتت أيضا بنت صغيرة لعبد الله بن عمر بن الخطاب ودفنت بمقبرة باب سلم الآن. ثم غزاها سنة أربعين.. ثم غزاها سنة خمسين للهجرة. (طبقات ابى العرب ص٧١).

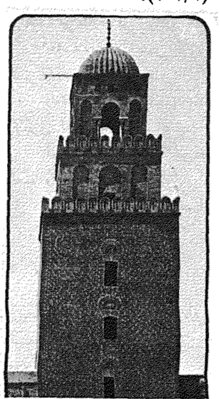
●● قال ابن عبد الحكم فى (فتوح مصر والمغرب ص٢٣٦) ثم انصرف عقبة الى القيروان فلم يعجب بالقيروان الذى كان معاوية بن حديج أنشاه قبله فركب الناس معه حتى أتى الى موضع القيروان اليوم وكان واديا كثير الشجر. تأوى إليه السباع.. وأمر الناس بالتنقية والخطط ونقل الناس من الموضع الذى كان معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان اليوم وركز رمحه وقال: «هذا قيروانكم» واختط منازل أصحابه المجاهدين وشرع فى بناء جامع القيروان وبجانبه دار الامارة - مقلدا الكوفة والبصرة والفسطاط بمصر حيث يختص كل طائفة من الفاتحين بناحية (ورقات حسن حسنى عبد الوهاب ص٤٣ عن المصدر المذكور).

تخطيط القيروان وبناء جامع عقبة

خطط عقبة بن نافع الفهرى مدينة القيروان وبنى جامعها سنة خمسين من هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ فى مكانها المعروف الآن.. وتم بناء القيروان وجامعها فى خمس سنوات وقد روى أن سبب بنائها يعود الى أن أهل أفريقية كانوا يرتدون عن الاسلام كلما فارقهم العسكر العربى الاسلامى فرأى عقبة أن يتخذ مدينة تكون مقاما لجيشه فوقع اختياره على موضع القيروان (طبقات ابى العرب ص٢٤٤)

والقيرَوان (بفتح الراء فارسية معربة معناها: (القافلة) والقيرُوان» بضم الراء معناها: (الجيش) هذا ما نقله الوزير السراج فى: (الحلل السندسية) ١/ ٢٦٠) عن ابن خلكان مرويا عن ابن قطاع اللغوى وقد اختط عقبة المدينة وجامعها المشهور الذى ينسب إليه ويسمى باسمه الى الآن. وقد ذكر البكرى (فى مسالكه: (ص٢٢) أن أول من وضع محراب الجامع بالقيروان هو عقبة بن نافع، ثم هدمه حسان بن النعمان الغسانى ولم يبق منه إلا المحراب وأعاد بناءه.

وفى أيام خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان كتب إليه عامله على القيروان يعلمه بأن جامع القيروان لا يتسع للمصلين.. وأشار إلى وجود جنة كبيرة بجوف الجامع لقوم من (فهر) فأشار عليه الخليفة هشام بشرائها وضمها الى الجامع ففعل.. وبنى فى صحنه ماجلا: (وهو صهريج مثل البئر يجتمع فيه ماء المطر).. وبنى الصومعة فى بئر الجنان ونصب أساسها على الماء.. والصومعة اليوم على بنائه طولها ستون ذراعا وعرضها خمسة عشر ولها بابان: شرقى وغربى ويقول صاحب (الحلل السندسية (الوزير السراج المتوفى سنة ١١٤٩هـ) «وأما فى عصرنا هذا فليس لها إلا باب واحد جوفى الذى يخرج منه يستقبل القبلة» (١/ ٢٥١).



صومعة جامع عقبة

وفى عهد ولاية يزيد بن حاتم على أفريقية وبالضبط سنة ١٥٥هـ أى بعد الانتهاء من بناء مدينة القيروان بمائة سنة هدم الجامع كله باستثناء المحراب وبناه من جديد.. فلما ولى حكم القيروان الأمير الأغلبى زيادة الله بن إبراهيم هدم الجامع كله وأراد أن يهدم المحراب أيضا ليجدد المسجد برمته فذكروه بأن جميع من سبقه من الولاة لم يمسوا المحراب احتراما لعقبة بن نافع الذى وضعه لأصحابه لكنه أراد أن لا يبقى فيه أثر لغيره فقال له بعض البنائين: إذا أدخلته بين حائطين لا يظهر فى الجامع أثر لغيرك فاستصوب ذلك وفعله - فهو على بنائه إلى اليوم والمحراب كله وما يليه مبنى بالرخام الأبيض من أعلاه الى أسفله.. وهو مخرم منقوش كله.. منه كتابة تقرأ ومنه تدبيج مختلف الصناعة تستدير به أعمدة رخام فى غاية الحسن) (الحلل ٢٥٢/٤).

دور جامع عقبة فى نشر الاسلام

هذا الجامع كان يعتبر فى ذلك الوقت جامعة بالمعنى الجديد للكلمة يلتقى فيها المعلم والمتعلم بطريقة عفوية يندفع فيها العالم بحماس الداعى الذى يريد نشر لغة القرآن ومبادىء الاسلام مع لهفة المسلم الذى يريد أن يعرف كل شىء عن دينه الجديد الذى فتح القلوب قبل القلاع والحصون ولا غرو فقد روى أبو العرب (فى طبقاته ص٥٦) أن عقبة بن نافع كان معه فى عسكره خمسة وعشرون من أصحاب النبى ﴿ﷺ﴾ وأن عقبة جمع وجوه أصحابه وأهل العسكر فدار بهم حول مدينة القيروان وأقبل يدعو لها ويقول فى دعائه: «اللهم املأها علما وفقها واعمرها بالمطيعين والعابدين واجعلها عزا لدينك وذلا لمن كفر بك وأعز بها الاسلام وامنعها من جبابرة الأرض» (وقد اورد هذا الخبر البكرى ص ٤٥ وصاحب المؤنس ١٨).

وإذا كنا قد عرفنا بعض الصحابة الذين أقبلوا فى جملة الفاتحين فيمكننا أن نتصور الدور الذى قاموا به فى نشر الدعوة الاسلامية بين المعتنقين للدين الاسلامى الحنيف. وتشير المصادر والمراجع إلى بعض حلقات الدروس التى كان يقوم بها بعض الدعاة الأول فى جامع عقبة ومن بين هؤلاء عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما.

وإذا كنا نعرف أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما - وهو (ترجمان القرآن) - قد جاء ضمن غزوة (العبادلة السبعة) فاننا لا نعرف هل كانت له دروس فى جامع عقبة أو غيره لكن المصادر تشير الى أن مولاه عكرمة كان له مجلس فى مؤخر المسجد الجامع فى غربى المنارة الموضع الذى يسمى: «بالركيبية» ولم يكن عكرمة دخلها غازيا(طبقات أبى العرب ص ٨٢-٨٣).

وعكرمة هذا مولى ابن عباس وتلميذه.. قيل ان أهله من بربر

باب وصومعة جامع عقبة
والمسجد من الداخل بالقيروان



أفريقية.. وقيل انه من سبيهم وقد روى عنه كثير من الناس كما روى عن غيره مثل ابى هريرة.. وقد أقام بالقيروان الى أن توفى بها سنة ١٠٥هـ وإذا كان قد ثبت أن عكرمة البربرى قد أخذ العلم عن ابن عباس الذى يروى أن الرسول ﴿ﷺ﴾ قد دعا له بقوله: (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» فلا يستبعد أن يكون ابن عباس قد علم غيره من بربر أفريقية ولقنهم مبادىء الدين الاسلامى الحنيف مثل عكرمة ـ فاذا لم يثبت ذلك فان تابعه هذا قد بث علمه ونشر تعاليم الاسلام مروية عنه فى بنى جلدته من البربر المسلمين.

وأمثال عكرمة ممن كانت لهم فى جامع عقبة حلقات دروس كثير خاصة فى الفترة الاولى.

وابتداء من القرن الثانى للهجرة بدأ أهل افريقية يهتمون بالعلم أكثر فأكثر فلم يكتفوا بما لديهم من العلم والعلماء وحنوا الى منابع المعرفة الاسلامية لذلك سافر الكثير منهم الى المشرق ليأخذوا العلم عن المشارقة مشافهة لا رواية.. فسافر البعض الى مكة المكرمة والمدينة المنورة والبعض الأخر الى الكوفة والبصرة.. وسار غيرهم إلى بغداد ودمشق ومصر.. وفى هذه العواصم العلمية العربية الاسلامية نهلوا من معين المعرفة التى نبت فيها آباؤهم وأجدادهم وأسلافهم وشيوخهم.. ثم عادوا ليبثوا العلم بشقيه: أصول الدين وأصول العربية.. ولا يمكن أن يفهم الأول الا بالتبحُّر فى القسم الثانى.. وقد عادوا الى بلادهم والى القيروان بالذات ـ لينشروا المعارف الاسلامية فى أهلهم وذويهم ومن لاذ بهم.. ومن هؤلاء على ابن زياد تلميذ مالك (ودفين تونس).. وأسد بن الفرات الذى أقام مدة طويلة بالمدينة المنورة قادما إليها من القيروان ليأخذ المذهب المالكى عن الامام مالك مباشرة فلما أخذ كل ما كان يريد أخذه منه وتاقت نفسه الى الجدال واعمال الرأى ذهب الى العراق بتوجيه من مالك وصاحب الامام أبا يوسف تلميذ أبى حنيفة فأخذ عنه الفقه الحنفى واخذ عنه ابو يوسف موطأ مالك وقد اقتدى الامام سحنون بن سعيد ـ محدث المدرسة المالكية الافريقية ـ بأسد بن الفرات فى السفر الى المدينة وأخذ الفقه المالكى عن صاحبه بعد ما أخذه عن أسد إثر عودته من دار الهجرة محملا بالاسدية التى تشبه مدونة مالك ومعلوم أن أسد بن الفرات قد درَّس الاسدية لطائفة كبيرة من أتباع هذا المذهب من بينهم سحنون المذكور.. ثم عاد سحنون من المدينة بعد صحبة طويلة لصاحب المذهب المالكى وعاد بأكثر مما عاد به أسد بن الفرات قاضى القيروان وفاتح صقلية تلك الجزيرة التى تقع قرب إيطاليا مما يلى شمال تونس.

بدأ أسد بن الفرات حياته بتعليم القرآن ثم نشر تعاليم الدين الاسلامى بعد أخذها من منابعها.. ولم يكتف هذا القاضى بنشر الدعوة الاسلامية بواسطة التدريس والتلقين فتاقت نفسه الى نشر الدين بواسطة الفتح فقد ولاه الأمير زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب على الجيش الذى وجهه الى فتح صقلية فسار إليها بنحو من عشرة آلاف فارس فى شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة ومائتين (الرياض ١/١٨٢) ففتح جزءا كبيرا منها ومات بها وتم فتحها بعد وفاته التى كانت سنة ٢١٤هـ وانتشر الاسلام فى صقلية قرونا طويلة.

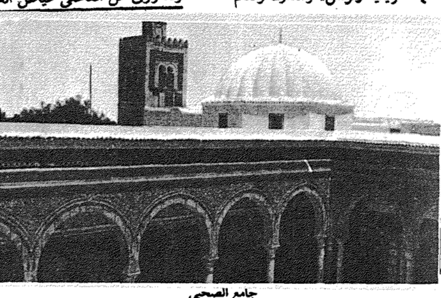
لقد كان هذا القاضى القائد نموذجا فريدا فى نشر الدعوة الاسلامية بالتدريس والتلقين وبالافادة والاستفادة وبالتأليف والتدوين والجهاد فى سبيل الله والفتح لنشر تعاليم الاسلام الذى أنزله الله للناس كافة هدى ورحمة مقتديا فى ذلك بالصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وكما جلس أسد للتدريس بجامع عقبة جلس الامام سحنون بن سعيد وجلس للتدريس بهذا الجامع قبلهما كثير من العلماء واستمرت العلوم الدينية ـ من تفسير وحديث ـ تروى فى حلق التعليم بالمسجد الجامع ـ ولم تكن مذاهب السنة تمحصت بعد ولذا كان أصحاب الآراء المخالفة لها يجتمعون فيه ويتناظرون فى مذاهبهم ويلقون الدرس فيها.. ودامت هذه الحال إلى أواسط الدولة الأغلبية ـ يعنى إلى أن

تولى سحنون خطة القضاء بالقيروان سنة ٢٣٤هـ وحينئذ منع التدريس به لمن لم يكن على مذاهب السنة (ورقات ١٠٧/١).

وقد روى أصحاب كتب: «طبقات علماء أفريقية وتونس» والمدارك ومعالم الايمان أن الامام سحنون شرد أهل الأهواء من جامع عقبة وكانوا فيه حلقاً من الخوارج: صفرية واباضية ومعتزلة - يتناظرون ويظهرون زيغهم فعزلهم سحنون أن يكونوا أئمة الناس ومعلمين لصبيانهم وأمرهم أن لا يجتمعوا فيه وأدب جماعة منهم بعد أن خالفوا أمره (أبو العرب ١٢٤ المدارك ١/ ٢٠١ معالم الايمان ٢/ ٥٥).

ومن ذلك الحين تمحض جامع عقبة لتعليم أصول الشريعة لجماعة السنة دون سواهم.. واستمرت دراسة العلوم العربية والأدبية تدرس به.. وكانت الحلق مكتظة بالطلبة من سائر أنحاء أفريقية والمغرب والأندلس وحتى السودان الغربي على نمط ما نعرف في الجامع الأزهر بالقاهرة وجامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس (ورقات ١/١٠٧).



جامع الصحبي

وقد روى عن القاضي عياض أنه قال: (إن يحيى بن عمر الكناني كان يجلس في الجامع: (جامع عقبة) للاقراء وينصب له كرسي يجلس عليه ليستمع من بعد من الناس لكثرة من يحضر مجلسه (المدارك ٢/ ١٠).

ومن هذه الكلمة القصيرة ندرك مدى ما كان يقوم به جامع عقبة بالقيروان من دور في نشر الدعوة الاسلامية وقد كان الى جانب يحى بن عمر المذكور الكثير ممن يُعلمون المسلمين شؤون دينهم على المذاهب المبنية المعروفة.. وقد تعطلت هذه الدروس السنية خلال فترة حكم الدولة العبيدية من الفاطميين التى قامت في المهدية.. لأن مذهبهم الشيعي يتنافى مع المذاهب السنية ولم يسمحوا لشيوخ جامع عقبة إلا بتدريس اللغة العربية من نحو وصرف ولغة وترك أمور العقيدة والدعوة الاسلامية جانبا فلم يستسلم هؤلاء العلماء بل درسوا تلاميذهم علوم الدين في منازلهم أو في دكاكينهم حتى روى عن ربيع القطان المتوفى سنة ٣٣٣هـ أنه كان ملتزما الاقراء في الحانوت الذي يبيع فيه القطن وفيه كان يأتيه من يدرس عليه من الطلبة أو من يسأله ويستفتيه) (ورقات ١/ ١٠٨ عن معالم الايمان ٣/ ٢٩).

ومعلوم أن الأدب والنحو والصرف هي أدوات ضرورية لخدمة الدين لذلك سماها بعضهم «علوم الوسائل» إذ أنها وسائل فهم الدين وقد روى ابن حيان قال: حدثني بعض أدباء تونس والعهدة عليه: أن المحدث أبا القاسم بن البراء قاضي تونس كان يحرض الأديب الكاتب حازم القرطاجني (صاحب كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء) على أن يشتغل بالفقه ويكف عن الأدب فحضر حازم وجماعة عند المستنصر بالله الحفصي ملك أفريقية وذكروا قراءة ابن كثير (وكائن) واستغربوها وقالوا: لم يحك منها في كلام العرب إلا قول الشاعر:

وكائن بالأباطح مِنْ صديقٍ

فقال لهم حازم: قد ورد منها ما لا يحصى كثرة فطالبوه بذلك فأنشدهم من هذه اللغة ألف بيت فجازاه المستنصر عن ذلك ألف دينار ذهبا فجاء حازم بها إلى ابن البراء وقال له: هذه مسألة من الأدب أخذت فيها ألف دينار فأرني أنت مسألة من الفقه

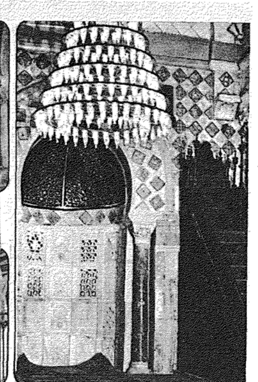
حصل بها المخبر ألف دينار؟) (ورقات ٢/٤٠٤-٤٠٥).

والملاحظ أن هذه المسألة الأدبية جاءت جائزتها لعلاقتها بقراءة من القراءات القرآنية فهي من صميم الفقه الاسلامي.

إن إقبال أهل القيروان وأفريقية عامة على العلم لا يكاد يقدر وهذا الخبر يدل على ذلك فقد: (دخل بعضهم على العالم القيرواني الشهير أحمد بن نصر ابن زياد الهواري ؟ت٣٣٥هـ) في مرضه الذي توفي فيه. فوجده ملقى بالفراش وكتاب على صدره فسأله عن حاله فقال: ما أغفل الملوك عن لذة العلم وما آسف على موت ولا على شيء في الدنيا كأسفي على كتاب لم أبلغ منيتي منه (ورقات٢/٤٠٠)

وكانوا يقدرون العلماء ويرفعون من شأنهم ويحتقرون الجهلاء.. ومن النوادر التي تروى في ذلك أن محمد بن زر زر من علماء القيروان وأدبائها المعروفين حضر مرة جنازة التقى فيها بأبي المنهال الفقيه وكان عظيم الجاه رفيع القدر فسألها بن زرزر عن مسألة من الفقه فأخطأ فيها ثم مسألة ثانية أخطأ فيها أيضا فقام ابن زرزر على قدميه ثم كبر وصلى عليه كما يصلى على الميت. وقال له: أنت أولى أن يصلى عليك من هذا الذي حضرنا جنازته) (ورقات ٢ عن المالكي).

والعالم الحقيقي عندهم هو الذي يأخذ من كل شيء بطرف ويطلع على جميع المذاهب ليميز بين صحيحها وسقيمها فقد روى الخشني عن مالك بن نصر ابن عيسى - من علماء الحديث في القرن الثالث للهجرة - أن بعض طلاب الحديث أتاه وهو في مجلس إقرائه في القيروان وقال له: حدثني ولا تحدثني إلا بما يوافق مذهبي. فعطف مالك إلى الحاضرين وقال لهم: هذا رجل لا يحب ان يكون عالما (ورقات ٢/ ٣٩٩-٤٠٠).



محراب جامع عقبه والمنبر الخشبي

الشوق الى القيروان في بعض أشعار علمائها

●● إن الحديث يطول عما قام به جامع القيروان من دور في الدعوة الاسلامية وما كان فيه من علماء دين فان الكتب التي اهتمت بالجامع وبعلمائه الأفذاذ كثيرة والمعلومات عن كل ذلك مبثوثة هنا وهناك وكان الكثير من أولئك العلماء يقولون الشعر ويجيدون قوله ولو حاولنا أن نورد شيئا من ذلك لطال الحديث ولكنا سنكتفي بايراد نموذجين من ذلك الشعر مما له مساس بموضوعنا.

●● روى أن أبا الحسن على بن أبي الرجال الشيباني رئيس ديوان الانشاء في الدولة الصنهاجية بالقيروان (ت٤٢٦) غاب مدة عن القيروان فاشتاق الى رؤية من كان له من الأهل والأحباب فأنشد:

ولى كبد مكلومة من فراقكم
أطامنها صبراً على ما أجنّت
تمتكم شوقاً إليكم وصبوة
عسى الله أن يدنى لها ما تمنت
وعين جفاها النوم واعتادها البكا

إذا عَنَّ ذكر القيروان استهلت

قال ابن رشيق معقبا (على هذه الأبيات): لو أن أعرابياً تذكر نجداً فحن به الى الوطن أو تشوق فيه إلى بعض السكن ما حسبته يزيد على ما أتى به هذا المولد الحضرى المتأخر العصر (ورقات ٢/ ٤٢٥).

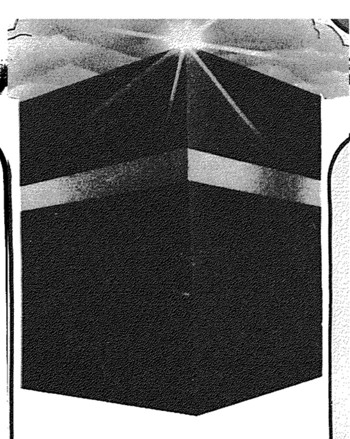
●● والملاحظ أن عبد الرحمن هذا قد ولد سنة ٧٥ أو ٧٤هـ فى برقة عندما كان الجند العربى الاسلامى فى طريقه الى أفريقية - وهو أول مولود للمسلمين فى أفريقية وقد أخذ العلم عن كثير من العلماء وأخذ عنه العلم كثير من مشاهير أهل المشرق مثل سفيان الثورى وعبد الله بن لهيعة وعبد الله بن وهب وأبو عبد الرحمن المقرى وابن غانم وأبو المبارك والبهلول بن راشد.. وابن أبى حيان ومعاوية الصمادحى وغيرهم.

●● وقد تولى قضاء القيروان مرتين الأولى فى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية والثانية فى عهد أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس. وقد تخلى عن القضاء عندما حاول يزيد بن حاتم التدخل فى حكمة وأقسم: (والله لا حكمت بين اثنين أبدا). (طبقات أبى العرب ص٩٩).

وبعد فان هؤلاء العلماء الذين قاموا بدور الدعاة الأول فى جامع عقبة بن نافع بالقيروان ما هم إلا قطرة من بحر ونماذج لغيرهم فى نشر الاسلام وتعاليمه فى أفريقية والمغرب العربى الكبير بأجزائه المعروفة الآن.. ومن شاء أن يعرف المزيد عمن ذكرنا ومن لم نذكر منهم فعليه أن يعود الى ما ذكرنا من مصادر ومراجع وما لم نذكر منها أيضا وهى كثيرة.

●● وأما من شاء أن يأخذ صورة واضحة عن الناحية المعمارية لجامع عقبة فليعد الى مراجع أخرى تحدثت عن هذه الناحية مثل كتاب أحمد فكرى: آثار تونس الاسلامية ومصادر الفن الاسلامى وغيره وغيره..





مشكلات الد



يقوم جهاز الدعوة على دعامتين .. دعامة بشرية هى الأساس وهى القوة الضاربة فى الميدان .. ودعامة مادية فى مؤسسات الدعوة ومقارها .. وأدوات توصيلها ونشرها .



فضيلة الدكتور
محمد حسين الذهبى

الدعوة الى الله واجب عام . . ومسئولية الوفاء به فى أعناق المسلمين جميعا . . هى مسئولية يجب للوفاء بها توفير أمرين لابد منهما :

أول الأمرين : ما يلزم للدعوة ومتطلباتها الشاملة من مال ينفق منه على ما تقتضيه مجالاتها المتعددة ـ من إعداد للدعاة . . وتهيئة للوسائل الضرورية من كل ما هو لازم لتوصيل دعوة الحق الى الناس داخل بلاد المسلمين وخارجها على السواء ـ فالدعوة الى الاسلام لا يجوز الوقوف بها عند حدود عالمنا الاسلامى بل يجب أن تصل هذه الدعوة وتبلغ كل ما طلعت عليه الشمس وكل ما دخل عليه الليل .

ان كتاب الله تعالى أنزل ليكون نذيرا للناس كافة . . وما بدأه رسول الله ﴿ﷺ﴾ على طريق هذا الانذار العام من دعوة لملوك الأرض وشعوبها الذين أتيح له أن يدعوهم ـ ما بدأه رسول الله ﴿ﷺ﴾ ـ علينا أن نكمله فنصل بالدعوة الى كل مكان نستطيع الوصل بها إليه تحقيقا لقول الحق تبارك وتعالى لنبيه وعلى لسانه : ﴿وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ . (الانعام: ١٩) . ﴿قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا﴾ . (الاعراف: ١٥٨) .

معوقات الدعوة والدعاة وكيفية التغلب عليها

وهو معنى التعميم فى آية البلاغ: ﴿يأيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك﴾. (المائدة: ٦٧).

وإذا كان مجال الدعوة بهذه السعة وبخاصة فى عصرنا الذى يسرت وسائل الاتصال فيه الوصول الى كل شبر فى أرض الله.. تبين لنا حجم المال الذى لابد منه للوفاء بمطالب دعوة جادة تخرج الأمة من دائرة التقصير والتفريط فى جنب الله فى عالم ضاقت فيه المسافات وألغيت الحواجز بين الدول والشعوب.

وثانى الأمرين: ما يلزم للدعوة من جهاز متكامل ينهض بها فى داخل بلاد المسلمين وخارجها ـ جهاز تتوافر فيه المقومات والخصائص التى تناسب طبيعة الاسلام من ناحية وتلائم طابع العصر من ناحية أخرى.

ان الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾. (إبراهيم: ٤).

لابد للدعوة من لسان مشترك بين الداعى والمدعو والمشترك أوسع دلالة من مجرد معرفة بلغة مشتركة بل لابد من معرفة بما تحويه هذه اللغة من ثقافة المدعو وخصائص بيئته.. وما يشكل موقفه من أفكار ومعتقدات.. وما يحكم تفكيره من عادات وتقاليد.. لابد للداعية من الملم بها حتى يستطيع احكام خطته فى غزو الحصن من حيث يتمكن من فتحه بإذن الله.

ولابد فى خطاب البشر خطابا ناجحا من مراعاة طبيعة البشر العامة فيهم أولا.. ومراعاة الخصائص الجنسية والعرقية ثانيا.. ثم مراعاة الفروق الفردية فى النهاية.

ان عقلية الانسان هى نتاجٌ تشكله عوامل كثيرة تختلف من شعب لآخر ومن بيئة لأخرى ومن فرد لفرد.

● هذه الفروق الجنسية والفردية على مستوى الشعوب والأفراد أصبحت أساسا مقررا وحقيقة مسلّمة لدى علماء النفس والاجتماع وخبراء التربية وقد اعتمدت عليها نظم التعليم فى كل الدنيا وآن لنا أن نستفيد منها فى مجال الدعوة الذى رأينا كيف أسسه القرآن الكريم على أساس الفهم المشترك العميق بين الداعى والمدعو ليتم الاتصال الذى يحقق الغاية كاملة.

لابد للدعوة من توافر هذين الأمرين:

(١) التمويل الكافى.

(٢) والجهاز المقتدر.

ويبقى بعد توافر هذين العاملين شرط إذا لم يتوافر هذا

الآخر ضاعت الآمال المعلقة بالدعوة وتبخرت الاهداف المنوط بها تحقيقها.

وهذا الشرط يتمثل فى توفير مناخ صالح تنطلق فيه الدعوة الى الله خالصة من كل قيد متجردة من كل غاية إلا غاية وحيدة هى - هداية الخلق الى صراط الله المستقيم - ومعناه: أن ترفع عن أجهزة الدعوة فى كل بلاد المسلمين أثقال أجهزة السلطة التى تمنعها حرية الكلمة وتوجهها فى كثير من الأحيان لتتحول من دعوة الى الله الى بوق من أبواق الدعاية أو وسيلة من وسائل الاعلام.. أو تجمد حركتها بحيث تصبح مجرد وظيفة اجتماعية تتيح لصاحبها موردا للرزق يصبح الحصول عليه هو الغاية الأخيرة.

تمويل الدعوة ، جهازها، مناخها - هذه الثلاثة هى الميادين التى يجب البحث فيها عن مشكلاتها.. والتى يمكن معالجة هذه المشكلات فى نطاقها أيضا.

ولنتناول بايجاز مشكلات كل ميدان من الثلاثة مقترحين ما نراه من علاج ملائم.

أولا: تمويل الدعوة

وقد آثرنا البدء به لأنه يمثل عنق الزجاجة ويعتبر الصخرة التى تؤسس للبناء أو تصطدم بها وتتحطم عليها الجهود.

نحن فى عصر تحول فيه صراع الأمم والشعوب من صراع عسكرى الى صراع اقتصادى فى جوهره يتخفى وراء صراع فكرى عقدى أو مذهبى.. وأصبح من - المصطلحات الشائعة فى عالم اليوم ما يتردد عن **«الغزو الفكرى»** الذى اشتدت ضراوته واصطنعت له الأساليب والمناهج التى خدمها العلم فى جانبيها - النظرى والعملى على السواء.

هذا الغزو الفكرى المتبادل بين الشرق والغرب وبين مختلف النظم والمذاهب المعاصرة بعضها وبعض يركز ويكثف جهوده على بلاد العالم الاسلامى بخاصة وعلى بلاد العالم النامى بوجه عام.. فهى - من جهة - مطمح نظره، يرى فى طلبته التى تحقق مطامعه الاقتصادية.. ومن جهة ثانية يراها متخلفة وتخلفها يجعلها أكثر طواعية وتقبلا لما يقذف به إليها من فكر يراد منه أن يكون رباطا وثيقا يشد اليه عقول أبنائها على نحو يجعل منهم تابعين مخلصين ينفذون له مخططاته فى بلادهم دون أن يضطر الى الكشف عن وجهه القبيح.. كما يوفر عليهم الكثير من الجهود والمال لو أنهم اصطنعوا للسيطرة طريقا آخر.

هذا الغزو الفكرى ترصد له ميزانيات ضخمة وتقام له مؤسسات وأجهزة تخطط له وترسم له المناهج والاساليب وتعد له من الوسائل والأدوات ما يجعله قادرا على تحقيق غاياته.

ان المراكز الثقافية وما إليها.. والاذاعات الموجهة مسموعة ومرئية.. **(والسينما)** ودور النشر.. وفروع الجامعات الأجنبية والمكتبات العامة الأجنبية التى لها امكانات تجعلها مقصد طلاب البحث العلمى فى جامعات كثيرة فى بلادنا الاسلامية والعربية وبلاد العالم النامى - فضلا عن الصحافة التى تتخذ منبرا يصل صوته الى كل مكان - هذه كلها من أدوات **«الغزو الفكرى»** المباشرة.. ولعل غير المباشر من هذه الأدوات أشد خطورة وأخفى آثارا.

لعل هذا يصور لنا حجم التمويل والمال المرصود لهذا النشاط الزاحف الشرس المصرّ الدؤوب.

هذا النشاط الضخم بامكاناته الهائلة يلقى بنتائجه فى طريق **«الدعوة الى الاسلام»** داخل بلاده وخارجها على السواء - نتائج هى عقبات وحواجز وصدود تعترض طريقها من ناحية وهى معاول تخلخل وتهدم من ناحية أخرى.

فاذا رجعنا الى «الدعوة الاسلامية» وقارنا ما هو مخصص لتمويلها فى ميزانيات الدول الاسلامية بما تملكه أجهزة «الغزو الفكرى» وما يرصد لها فى ميزانيات الدول التى تمارسه بدأ لنا العجز الكبير فى امكانات «الدعوة» على المستويين الداخلى والخارجى من حيث القدرة المادية اللازمة والتى بدون توافرها تصبح هذه الدعوة بين موجات الغزو الفكرى المضاد قزما بين عمالقة شداد.

ان قصور التمويل عن الوفاء بمتطلبات «الدعوة» وأجهزتها - وفاء يمكنها من أن تصمد فى معركة الصراع . . وتطور من أسلحتها ووسائلها . . وتكيف نفسها بالأساليب الملائمة فى حرب المواجهة الفكرية المذهبية - جعلها كالحمائم بين النسور.



وإذا كان «الغزو الفكرى» ينطلق من مرتكز سياسى فى الأساس فهناك حركة أخرى تنطلق من مرتكز مختلف ونعنى بها حركة التبشير الجديد والتى تلبس فى عصرنا ثيابا وأزياء تمعن فى التخفى وتعمية ما وراءها وتجد من مصادر التمويل الرسمية - من ميزانيات الدول - والشعبية - من تبرعات الأفراد والمؤسسات والجمعيات ما يجعلها وافرة القدرة بالغة النشاط تصل بنشاطها الى كل ركن معلوم أو مجهول فى عالمنا.

المنهل انه لولا المناعة الذاتية التى يتمتع بها الاسلام كدين . . ولولا جوانب ضعف موضوعية فى تلك الدعوات المضادة لا تفلح كل وسائل التمويه فى سترها . . لكانت نتائج عدم التكافؤ الخطير بين ممكنات الدعوة الاسلامية وامكانات أعدائها أضعاف أضعاف ما هو واقع فعلا - وصدق الله العظيم ﴿**ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**﴾ . (الأنفال: ٣٦).

ان مقارنة بين «**الفاتيكان**» وحده بامكاناته وطاقاته وسلطانه على الشعوب والحكومات المسيحية فى العالم الغربى . . وبين «**أجهزة الدعوة**» مجتمعة فى عالمنا الاسلامى تكشف لنا وتجسد ما تعانيه الأجهزة وتهيب بنا جميعا أن نبحث عن مخرج لانتشالها من مأزقها.

وهنا نقترح - أن تخصص نسبة مئوية من ميزانية كل دولة إسلامية لتمويل الدعوة فى الداخل والخارج - نسبة مئوية يتحقق بها العدل والتضامن فى تحمل أعباء هذا الواجب الخطير وتفى بمتطلبات المهمة الخطيرة التى تنتظر المسلمين اليوم وفاء بحق دينهم وبحق الانسانية التى ضلت طريقها ولا سبيل لهدايتها إلا عن طريق تعريفها بالدين الذى جاء لهداية البشر جميعا

ان «١٪» واحدا فى المائة بل نصفا فى المائة من ميزانيات كل الدول الاسلامية الغنية والفقيرة يحقق حصيلة ضخمة تمول منها حركة الدعوات الاسلامية داخل البلاد الاسلامية وخارجها تمويلا جماعيا يتحدد نصيب كل منها بحسب ما تحتاجه لا بحسب ما أسهمت به.

تمويل الدعوة تمويلا يمكنها من الانطلاق دون معوقات هو أول ما يجب التركيز عليه واتخاذ قرار بشأنه حتى لا يتحول الحديث والحوار الى مجرد أفكار ونظريات لا تجد لها طريقا لأن توضع موضع التطبيق.

ثانيا: جهاز الدعوة

وبناء هذا الجهاز بوجهيه «**البشرى**. . **والمادى**» رهن بما يتوافر للدعوة من مال تسهم فيه الحكومات بنسبة مئوية كما اقترحنا. . ويضم اليه ما يمكن تقديمه من قبل الأفراد والمؤسسات والجمعيات الاسلامية فى كل بلاد المسلمين - ومن خلال دعوة جادة ومؤثرة تدعو للاسهام والتبرع لهذا العمل الجليل.

وجهاز الدعوة يقوم على دعامتين - دعامة بشرية هى الاساس وهى القوة الضاربة فى الميدان. . ودعامة مادية فى مؤسسات الدعوة ومقارها. . وأدوات توصيلها ونشرها - وكل ما يعتبر وسيلة معينة على تحقيق الاتصال الناجح المؤثر بين الدعاة والمدعوين.

ومشكلة جهاز الدعوة الاسلامية اليوم بوجهيه البشرى والمادى تتمثل فى عجزه عن الوفاء بمتطلبات الدعوة تحت ظروف العصر عجزا مزدوجا يشمل الكم والكيف معا.

فمن حيث الكم: نجد قصورا واضحا فى إعداد الدعاة والمشتغلين فى مجال الدعوة على وجه العموم. فالمساجد - مثلا - لا تجد من الأئمة والخطباء من يقومون بهذه الوظائف بأعداد تكفى لتغطية حاجتها جميعا. والواقع - حتى فى أحسن المجتمعات الاسلامية ظروفا من هذه الناحية - ينطق بهذا النقص.

ومثل ذلك يقال عن عدد الوعاظ - فالمؤهلون منهم قلة محدودة جدا وبجانبهم أعداد هائلة ممن يمارسون الوعظ هواية أو من خلال جمعيات تعد لهم مستويات من الدراسة تتيح لهم حدا أدنى من المعرفة الدينية الضرورية التى تكفى لمواجهة حاجات البيئات المحدودة الفكرة والثقافة - ولكنها لا تفى بحاجة الانسان الذى نال قسطا كبيرا من ثقافة العصر وتعرض لمؤثراته الفكرية والحضارية.

ان ساحة الدعوات الاسلامية داخل البلاد الاسلامية نفسها خالية - إلا نسبة محدودة منها - من دعاة حقيقيين قادرين على حمل أمانتها والوفاء بتبعاتها.

فإذا ألقينا ببصرنا على ساحة الدعوة خارج بلاد المسلمين وحيث يوجد ملايين البشر مازالوا على فطرتهم أو شابتهم وثنية انتقلت إليهم بالعدوى. . وحيث يوجد ملايين من أصحاب الديانات الأخرى يعانون القلق ويبحثون عن معتقد تطمئن إليه نفوسهم التى يرهقها الآن أن تتقبل عقائد ومذاهب يصعب على عقل أضاءه العلم وصقلته الحضارة أن يتقبلها.

هؤلاء حيارى يتلمسون الضوء فى ظلمات بعضها فوق بعض ولو أن دعوة الاسلام بلغتهم فى خطاب يفهمونه وأسلوب حكيم يفتح الطريق الصحيح الى عقولهم وضمائرهم لكان لهم من الاسلام موقف آخر - ولغدوا جنودا مخلصين يستطيعون ويملكون من وسائل نشر الاسلام بين قومهم مالا نملكه نحن فى بلاد المسلمين.

إن الاسلام ليس ملكا لنا وانما هو أمانة الله فى أعناقنا ومن الوفاء بالأمانة أن تؤدى الى من هو أقدر

على القيام بها والحفاظ عليها وهو مغزى قول رسول الله ﴿ﷺ﴾ - فى حجة الوداع - **«ليبلغ الشاهد الغائب»** (رواه البخارى) وقوله: **«رب حامل فقه الى من هو أفقه منه»** (رواه الترمذى وحسنه).

لقد انتشر الاسلام فى أفريقيا وآسيا على أيدى التجار المسلمين باكثر مما انتشر على أيدى الدعاة الرسميين ذلك أن (الاحتساب) غير (الاحتراف) وليس من قبيل المصادفة أن يكون هذا القول الكريم: **﴿قل لا أسألكم عليه أجرا﴾** شعاراً مشتركا بين رسل الله أجمعين.

نحن بحاجة الى تأمل المغزى العميق وراء هذا الشعار لنصل الى معادلة صحيحة نحل بها مشكلة الدعوة العويصة فى عالمنا وهى: **كيف نوفق بين كون الدعوة غاية يجب التجرد لها والتضحية فى سبيلها وبين كونها مصدرا ضروريا لرزق من تناط بهم وظائفها فى عالم أصبح توزيع العمل والتخصص فى المعرفة سمة من سماته؟**.

كم من «الدعاة» اليوم يبشرون بالاسلام على سطح هذا الكوكب الذى نعيش فيه؟

لو تصورنا ان كل مليون من البشر يكفيهم داعية واحد - وهو فرض أقرب الى الخيال - لكان العدد المطلوب من (الدعاة) بضعة آلاف داعية فهل نستطيع أن نحصى على مستوى العالم غير الاسلامى كله أكثر من بضعة عشرات؟ تلك حقيقة يجب أن نذكرها ونذكر بها.

هذه مشكلة الدعوة وجهازها من حيث عدد «الدعاة» وهم العنصر الأساسى فيها. فإذا انتقلنا الى مشكلة الدعوة من حيث نوعية «الدعاة» صدمنا الواقع صدمة قاسية - ان مستوى الداعية فى أحسن حالاته اليوم لا يفى على الاطلاق بحاجة من يدعوهم.

إن إنسان العصر يريد أن يجد فى «الدين» حلولا لكل مشكلات الحياة التى تعترضه سواء فى سلوكه الشخصى.. أو فى علاقاته الأسرية أو فى معاملاته الاقتصادية.. ويريد أن يجد للدين كلمة تضىء له طريقه فى قضايا الحكم ومسائل السياسة ومشكلات الاقتصاد.

والشباب - بخاصة - فى حاجة الى أن يقدم لهم من خلال الدين نظرة متكاملة للحياة تستطيع اشباع حاجتهم للمعرفة وتتيح لهم ما يبحثون عنه من سكينة النفس واطمئنان الضمير.

هذه المطالب المعقدة المتشابكة يقدم «الدين» حلولا جذرية عميقة لها. ولكن السؤال هو: ما مدى ادراك «الداعية» لهذه المشكلات؟.. ثم ما مدى قدرته على استنباط حلولها والاجابات الصحيحة عنها من المصدر الأصيل للدين ممثلا فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ يعتمد عليهما أساسا ويستعين بعد ذلك بما يراه ملائما من الأدوات؟.

هل يملك «داعية» العصر القدرة على الاقتراب المباشر من هذا المصدر وأخذ الأحكام والحلول لقضايا الحياة المعاصرة ومشكلاتها من خلال نصوصه مباشرة؟.

هنا يبرز لنا قصور الاعداد ونقصه حتى على مستوى حملة الشهادات العلمية التى تجيزهم بأهلية العمل فى مجال الدعوة وتقرر صلاحيتهم لها.

هذا القصور إذا أردنا تحديد أسبابه وجب أن نتجه على الفور الى الجهات التى تتولى إعداد هؤلاء الدعاة ونتفحص مناهج اعدادهم ووسائل تكوينهم.

وأول ما يلاحظ على هذه المناهج والأساليب:

(١) - أنها بدلا من وصل الطالب وصلا مباشرا بكتاب

الله وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ أحلت بديلا منها يتمثل فى كتب ومذكرات مهما كانت قيمتها فلن تصلح بديلا فى يد داعية لابد أن يكون على بصيرة فى دين الله يستمدها من مصادره الموثقة وليس من آراء البشر واجتهاداتهم وشروحهم وتفسيراتهم - مهما بدت قيمتها فى نظر من يضعون المناهج.

(٢) - وهذا يقودنا الى أصل الداء فى الدراسات الدينية المعاصرة ويتمثل فى قصور الأدوات التى لابد من توافرها للتمكن فى هذه الدراسات وفى مقدمة هذه الأدوات اجادة «العربية».. وفقه لغة القرآن الكريم والسنَّة الشريفة.

ان مجتهدى الفقهاء لم يتمكنوا من الاجتهاد الفقهى إلا بعد إمتلاك ناصية اللغة امتلاكا تاما.. وعلم «أصول الفقه» - فى جملته وتفصيله - هو علم لغوى فى أساسه.

وهل استطاع أو يستطيع مفسر جاد أن يجلس الى كتاب الله - وهو آية بيانية معجزة - وأداته اللغوية لم تكتمل.. وذوقه اللغوى لم يصل الى القمة؟

إن فهم مراد الله من كتابه مرهون بالقدرة على النفاذ إليه من خلال اسلوب عربى شاء الله له أن يكون معجزة بلاغية فى صياغته.

وقصارى أمر من يحاول التفسير دون استكمال عدته اللغوية أساسا ان يكون راويا لأقوال الآخرين أو جامعا منظما لها اما أن يكون مفسرا بنفسه فهذا ما لا سبيل له..

وقل مثل ذلك بالنسبة لمن يفسر أحاديث رسول الله ﴿ﷺ﴾.

إن كل خلاف فى آراء المفسرين مرده الى أساس لغوى بالدرجة الأولى.. وكل ترجيح بين رأيين فمستنده أساس لغوى كذلك فكيف يسوغ الترخص فى هذا التكوين اللغوى للدعاة وهو أداة الأدوات فى يد كل باحث ومفكر ودارس ومعلم يبلغ عن الله ما جاء على لسان رسوله ﴿ﷺ﴾.

إن إعداد الدعاة - مهما تضخمت المناهج وتشعبت - يظل عاجزا عن ربطهم ربطا وثيقا بمصدر الدين الأساسى طالما بقيت هذه الثغرة.. أعنى هبوط المستوى اللغوى فى هذا الاعداد.

(٣) - إذا كانت ثقافة العصر تفرض نفسها على عقول الناس وتخلق فيها من المشكلات ما لم يكن فى عقول السابقين فالضرورة قاضية بأن يلم الداعية بتيارات هذه الثقافة.. ووزنها.. وتمييز ما هو حق فيها وما هو باطل.. ثم يسلح بأسلحة ملائمة للهجوم وللدفاع فى معارك الفكر التى لابد له أن يخوضها إذا كان يريد أو يراد له - حقا - أن يؤدى رسالته على وجهها.

● أصالة الثقافة بربطها بالمصدر الأول للاسلام.. ومعاصرتها بالتفتح على ثقافات العصر وميادين المعرفة اليوم.. كلاهما ضرورى لداعية العصر وإلا كان سطحيا غير عميق الجذور إذا فقد شرط الأصالة.. أو منغلقا ضيق الأفق إذا فقد شرط المعاصرة.

● لقد حفل تاريخ الدعوة الاسلامية وتطورها بنماذج فريدة من «الدعاة» المدافعين عن الاسلام. تمكنوا من قديمهم.. وتسلحوا بأسلحة عصورهم.. فلم يتهيبوا ميدان النزال - بل اقتحموا وصالوا وجالوا.. وغلبوا ورفعوا راية الحق عالية يقذفون الباطل من تحتها بقذائف لم تكن لتخطىء مقاتله..

ان هذا التاريخ ليذكر بالفخر والاعتزاز أمثال أبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل رضوان الله عليهم.

ويذكر أمثال الحسن البصرى وابن سيرين وأبى الحسن الأشعرى ويذكر الباقلانى والغزالى وابن رشد ومن إليهم

ممن كانوا حصونا ومعاقل تقف لترد عن الاسلام هجمات الطاعنين والمفترين.

ويذكر ابن تيمية وابن القيم والشاطبى وابن كثير.

ويذكر فى عصرنا الحديث محمد بن عبد الوهاب والافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا والكواكبى ممن كانوا شهباً راصدة تنقض على كل من يحاول النيل من الاسلام - بالطعن والتشكيك.

ان العودة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﴿ﷺ﴾ واستمداد مناهج إعداد الدعاة منهما مباشرة وتمكين الأساس اللغوى للدعاة هو نقطة بدء لابد من التفكير فيها تفكيرا عميقا ومخلصا وواثقا من أن ذلك هو الطريق لنهضة الدعوة والدعاة والذى لا طريق سواه ثم يكون بعد ذلك الانفتاح على ثقافات العصر.

(٤) - كل ما مضى يتصل بالتكوين العلمى أو المعرفى والثقافى للدعاة ويحدد جوانب النقص فيه.

وبقى جانب هو أخطر الجوانب كلها فى نظرنا لأن نقصه يذهب بكل النتائج التى نرجوها من وراء تصحيح المسار فى التكوين العلمى النظرى لمن يوكل إليهم أمر الدعوة ومهامها.

ان فلسفة إعداد الدعاة تبدو لنا ناقصة نقصا خطيرا ذلك انها تعنى بالجانب التعليمى التلقينى أو الجانب النظرى من الإعداد بينما تهمل اهمالا شبه كامل الجانب التربوى الذى هو الوجه المكمل للوجه النظرى.

ان العلم وحده لا يكفى لتكوين داعية.. والمعرفة وحدها لا تصنع داعية كذلك.. لقد قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: **«أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان»** (رواه ابن عدى عن عمر).

إن العلم إذا لم يستند الى خلق يحميه من نزوات النفس وطغيان الشهوات ويصونه عن الدنايا وسفاسف الأمور - يصبح كارثة حين يوجه لغايات آثمة أو يستغل فى مآرب خبيثة.

إن تنمية الاحساس بأن «الداعية صاحب رسالة» رسالة هى امتداد لوظيفة النبوة.. ومسئوليتها - لذلك - مسئولية ضخمة.. والتبعة فيها على قدر سموها وجلالها.

تنمية الاحساس بهذه المعانى شرط أولى يجب أن تحرص على التمكين له فلسفة إعداد «الدعاة» ولا تغفل عنه فى خطوة من خطوات هذا الاعداد.

يجب أن يختار «الدعاة» اختيارا مدققا بحيث تتوافر فيهم مقومات إذا تخلفت كانت البداية خاطئة وغير موصلة إلى الغاية المرجوة.

إن المستوى العقلى الجيد والذكاء بدرجة واضحة ضرورى هنا.. ومن المقرر **«أن الفطانة من صفات الأنبياء عليهم السلام»**. فنتعلم جيدا من قول الله تعالى: **﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾**. (الانعام: ١٢٤).

والمستوى الخلقى الممتاز ضرورة فوق كل الضرورات.. فالدعوات أمانة لا رقيب على صاحبها سوى ربه وضميره.. ومن المقرر كذلك «أن الأمانة من صفات الأنبياء صلوات الله عليهم».

والالتزام الدينى بالاسلام فكرا وسلوكا فى كل صغيرة وكبيرة مما يجب تمكينه تمكينا متأصلا فى أنفس الدعاة. ومن الخطورة أن نقدم للناس دعاة يقولون مالا يفعلون.. أو يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم.. أو ينهون عن المنكر ولا يتناهون هم عن فعله.

ان الداعية قدوة وشرط القدوة تطابق القول والعمل بعد استقامتها على نهج صحيح.

تربية الداعية دينيا . . وتدريبه على تطبيق الاسلام فى حياته عمليا . . وتزكية نفسه بما يجعلها متأبية على الدنايا . . وأخذه أخذا بما يحصنه ضد فتنة المال واغراءات الحياة ثم الترقى به ليعيش فى مستوى «التجرد» لرسالته مطمئنا ومستعداً للتضحية فى سبيلها بكل ما يستطيع . . هذه التربية ضرورية ولازمة . . وبدونها لا يكون هناك معنى للحديث عن دعوة ودعاة: ﴿قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين﴾ . (الأنعام: ١٦٢) هذا ما ينبغى أن يكون شعار الدعاة.

هذا الجانب التربوى من الاعداد غائب تماما الآن فى بيئات إعداد الدعاة.

وكيف ننتظر «داعية» حقيقيا أَلِفَ أن تمر عليه مواقيت الصلاة وهو فى قاعات الدرس مثلا مع أساتذته العلماء دون أن يكون من حوله ما يوحى بأن هناك التزاما بقول الله تعالى: ﴿ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾. (النساء: ١٠٣). ويكفينا هذا المثال.

هذه التربية العملية للدعاة على قيم الاسلام ومثله . . وعلى شرائعه وشعائره . . وعلى مفاهيمه وعقيدته . . لا يغنى فيها التلقين ولا المعرفة النظرية - بل لابد لاستكمال هذا الجانب الخطير من تغير جذرى يمس فلسفة الإعداد ويعدل من المناهج والاساليب. ولن يتم ذلك إلا بأن يتم الإعداد والدراسة والتربية من خلال حياة متكاملة يتخلق كل العاملين فى اطارها بخلق القرآن ويلتزمون التزاما كاملا بتطبيق الاسلام شعائر وآدابا وقيما وضوابط للسلوك بحيث يترجم ما يدرسه الطالب نظريا الى حياة وممارسة.

هل تصلح معاهد إعداد الدعاة الحالية لهذا اللون من التربية؟.

● **بالقطع هى لا تفى بهذا . . ولم تصمم مبانيها ولا مناهجها ولا فلسفاتها على هذا الأساس.**

(٥) بقى جانب مهم لا ينال - فى واقعنا - ما يستحق من عناية فى مناهج إعداد الدعاة ونعنى به الجانب الفنى العملى للدعوة فى مجال الممارسة والتطبيق.

إن «الدعوة» حين يمارسها الداعية خطابة ووعظا . . وفتيا ودرسا . . ومحاضرة وحديثا اذاعيا . . وحوارا ومناظرة . . وهجوما ودفاعا . . هى فى كل ذلك ذات وجه فنى يتمثل فى أساليبها وطرقها.

وإذا كان الفن فى ذاته استعدادا بالدرجة الأولى فان ذلك لا يغنى عن دراسة الأصول العامة التى تكشف عن حقائقه . . وتصقل مواهبه . . وتعين على الابداع والتطوير الناجح خلال الممارسة.

وإذا كانت مناهج الدراسة تزود الداعية بالمضمون الفكرى الذى يستمد منه . . وإذا كانت التربية المتكاملة التى اقترحناها تكون شخصيته تكوينا متوازنا يؤهله لرسالته فان استكمال هذا الجانب الفنى المتصل بالاساليب والأدوات لابد منه.

● الخطابة - مثلا - فن أساسه استعداد فطرى لا شك . . لكن فهم الخطيب لطبيعة موقف الخطابة . . وتكيفه بظروف الحاضرين . . وأنها لون من السياسة النفسية للجماهير . . وتصلح لتناول موضوعات دون غيرها . . وتحتاج لاصطناع أسلوب غير ما يحتاج إليه فى محاضرة مثلا الى ما يكون للأداء الصوتى من تأثير بتلوين نبرات الصوت ودرجته . . والوقفات والسكتات التى تتخللها . . والسرعة والبطء . . وطول الجمل وقصرها . . وكونها مرسلة أو مسجوعة أو متوازنة . . وكيف يكون تفجير طاقات الناس واستنفارهم أو استهواؤهم وتهيئة قابليتهم لما يلقى إليهم . كل أولئك مما يفيد «الداعية» معرفته ويزيد من بصيرته بفنه الذى يمارسه.

إن القرآن الكريم حافل بالمناهج والأساليب والطرائق التى يمكن الاستنباط منها والاستهداء بها فى كل موقف نوعى يقفه الداعية أو يتعرض له: خطابة وحوارا وقصصا وموعظة وتقريرا فى تنوع يقدم لكل مقام ما يلائمه ولكل موضوع ما يناسبه.

وفى سُنَّة النبى ﴿ﷺ﴾ ومواقفه العملية ذخيرة ثمينة وثرية لو تناولها باحث بالدرس والاستقراء واستنبط منها الأصول النفسية والاجتماعية والدينية التى تفسر نفاذ النبى ﴿ﷺ﴾ الى قلوب الناس وعقولهم.. فى سنة النبى هذه ما لو تناوله باحث حصيف لقدم لنا ما يمكن أن نسميه: «علم نفس الدعوة» على غرار ما يعرف من علم النفس التعليمى أو التربوى ويعمق أكثر فيما يتصل بطبيعة النفس إذ كان منهج النبوة فى دعوة الناس منهجا ربانيا ألهمه اياه ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى.

وفى وصايا النبى ﴿ﷺ﴾ لمبعوثيه الذين أرسلهم معلمين هنا وهناك من أمثال معاذ بن جبل وفى اجاباته عن أسئلة محددة من أشخاص ذوى سمات خاصة مجال واسع لتأمل رشيد يعود على صاحبه بما يفتح بصيرته على رؤى ومدارك لم يكن يراها من قبل.

إن العصر الذى نعيشه ابتكر من وسائل الاتصال والتوصيل ما لم تعرفه الدنيا ولا سمعت به قبل قرن واحد وكلها مما يتوسل به لتوصيل الكلمة نافذة مؤثرة بأقصى ما تحتمل من هذا التأثير.

والدعوة الاسلامية - وأداتها الكلمة - لابد لها من تفكير جاد فى دراسة وسائلها التقليدية لتطورها من جهة ولتكملها بما استحدثه العصر من وسائل تلائمها وتجعلها أكثر قدرة على النفاذ الى القلوب والعقول.

ان بقاء أجهزة الدعوة الاسلامية فى عالمنا مقيدة بهذه الحدود والوسائل الضيقة التى دفعت الى مضايقها دفعا خلال فترات متخلفة من تاريخ المسلمين يجعلها متخلفة عن الوفاء بحاجة العصر.. والمسلمون طوروا كل أساليب حياتهم تقريبا واستحدثوا كل جديد رأوه نافعا فى مجالات الحياة ومن واجبهم أن يعطوا «الدعوة» الى الله جانبا من هذه العناية.

ثالثا: مناخ الدعوة

وهو الميدان الثالث الذى تنبثق منه مشكلات كثيرة تتصل بالدعوة والدعاة بل لعله أخطر الميادين كلها على الدعوة سلبا وايجابا.

إن مناخ «الدعوة» حينما يكون ملائما يتيح لها من الحرية والانطلاق ما هو شرط ضرورى لازدهارها وايجابيتها.. وحين يكون هذا المناخ غير مواتٍ بما يسوده من كبت وتقييد تفقد الدعوة اول شرط لحياتها وتصبح مختنقة محبوسة الأنفاس.

حينما قال الله تعالى: ﴿**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾. (الجن: ١٨) فقد قرر حق الدعوة فى حرية مطلقة لا قيود عليها.. وأوجب على الدعاة ألا يذعنوا لأى نوع من أنواع الضغط أو التوجيه الذى ينال من تجردهم للغاية التى جندوا أنفسهم لها.

وإذا كان من واجب حكام المسلمين أن يوفروا للدعوة هذه الحرية الكاملة فمن واجب الدعاة كذلك الا يسيئوا استخدام هذه الحرية بما يسىء الى أممهم ودولهم دون غاية من دين أو دنيا تبرر هذه الاساءة.

وإذا كان لابد هنا من ضابط لهذه الحرية فهذا الضابط يتمثل فى امرين:

(١) تجريد الغاية كلية لله فلا هوى ولا غرض ولا مرض

ولا عرض من أعراض الدنيا .

(٢) سمو الاسلوب واستقامة المنهاج بالالتزام بما أرسته الآية المباركة : ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ . (النحل : ١٢٥) .

إن حرية الدعوة يقابلها الالتزام بهذا الأدب الآلهى الذى سنَّهُ الله تعالى لإمام الدعاة صلوات الله وسلامه عليه .

● حرية الدعوة والتزامها على هذا النحو هى الصيغة الوحيدة التى يمكن على أساسها حل المشكلة الأساسية التى تعانى منها الدعوة الاسلامية فى كثير من البلدان وهى مشكلة كونها تابعة للحكومات والسلطات .

● والمشكلة هنا ذات أبعاد يجب تأملها ليمكن تصورها على نحو صحيح .

والحق ان هذه المشكلة من أعقد مشكلات الدعوة . . فتبعية الدعوة للحكومات تضمن لها وللقائمين عليها موردا يصعب تدبيره عن طريق آخر ومعناه : ان قطع هذه التبعية يقتلها قتلا .

واستمرار هذه التبعية يعرض الدعوة فى كثير من الاحيان لضغوط تشل فاعليتها وتفرغها من مضمونها .

والحل فى نظرنا يمكن تحقيقه على النحو التالى :

١ - توفير ضمانات كافية تؤمن «الدعاة» تأمينا كاملا فيما يتصل بأرزاقهم . بمعنى أنهم لا يصادرون فى أرزاقهم مهما كانت المآخذ أو حتى التهم التى توجه إليهم .

٢ - أن تتولى محاسبة من يرى أنه ارتكب ما يوجب المحاسبة هيئة علمية تحاكمه على أساس واضح من مقررات الاسلام التى لا يجوز للداعية أن يذعن لغيرها ولا يجوز لغيره أن يحاكمه إلا على أساسها .

٣ - التفكير فى نظام يكفل تمويل الدعوة على مستوى العالم الاسلامى - كما اقترحنا فى صدر البحث - وبحيث لا يكون هناك سلطان مباشر للحكومات على الدعاة .

هذه هى المجالات الثلاثة الكبرى التى تتركز فيها مشكلات الدعوة والدعاة .

وبقيت أمور تمثل عقبات وتحديات تعترض طريقها وسوف نشير الى أهمها فيما يلى :

أولاً : عقبات داخل مجال الدعوة نفسها

١ - ومن ذلك تعدد أجهزة الدعوة . . كيانا . . وتوجيها . . واشرافا . وهو أمر له خطره المتمثل فى تضارب الاتجاهات وما يترتب على ذلك من شقاق . . وبلبلة تهز ثقة الناس وتجعلهم يتساءلون : ترى من المحق من كل هذه الطوائف؟ ولماذا يكون بعضها أولى بالحق من الآخرين؟ .

٢ - ومن ذلك ترك ساحة الدعوة فوضى يتجول فيها هواة ومشعوذون ودجالون . . ومرتزقة كاذبون . ولعل ما يجرى تحت اسم الطرق الصوفية فى أنحاء العالم الاسلامى أسوأ ما يعترض طريق الدعوة الحقة .

٣ - ومن ذلك مناهضة أجهزة الاعلام والثقافة العامة بوعى وبدونه لأجهزة الدعوة مناهضة تملك من الوسائل والطاقات ما يكاد يذهب بأثر الاخيرة ذهابا كليا . ومن أخطر ما يجرى فى هذا القطاع التعريض بالدعوة ورجالها والنيل من مكانتهم . . ومحاولة التأثير على صورتهم عند الجماهير بما يضعف استجابتهم لهم .

٤ - ومن ذلك ميل كثير من العاملين فى مجال الدعوة الى الهروب من الميدان والاتجاه الى مجالات أخرى يرونها أكثر سخاء فى العطاء الدنيوى . . وهذا أكبر دليل على أن فكرة «الرسالة» والاحساس بها لم تنشأ فى نفوسهم ولم يعن بتنميتها فيهم خلال مراحل الاعداد .

ثانيا : تحديات من خارج المجال

وفى مقدمة هذه التحديات ما يتستر ويتخفى تحت

شعار العلم متخذا منه قناعا من جهة ومعبرا يعبر منه الى عقول الشباب المعاصر من جهة أخرى.

من هذه التحديات:

(١) ـ تلك النزعات والمذاهب والفلسفات المادية التى تفد من الشرق ومن الغرب على السواء والتى تلتقى على غايـة واحـدة قلع جذور الدين والتدين من العقول والقلوب.. واصحـاب هذه الاتجاهات يحاولون اضفاء صفة العلم عليها لما للعلم اليوم من سلطان على العقلية المعاصرة وخاصة فى بلاد العالم الصناعى حيث قدم العلم انجـازات جعلت تلك المجتمعـات تقيم منه إلها تعبده وتتعبد فى محرابه.

ان فتنة العلم فى عصرنا هى أخطر ما يجب مواجهته وكشف ما ينطوى عليه من مغالطات وتجن على الحقيقة وافتعال الادعاء بأن الدين عدو للعلم.

(٢) ـ ومن فروع هذه الشجـرة الآثمـة ذلـك الاتجـاه «العلمانى» الذى يدعو الى فصل الدين عن الدولة ـ وهو اتجاه قد يكون له ما يبرره فى بلاد نبذت الدين كلية أو فشلت فى محاولة التوفيق بين نظرة العلم ونظرة الدين الذى تدين به للحياة لكن هذا إذا ساغ فى أى مجتمع يستظل بأى دين فانـه فى مجتمع يستظل بالاسلام لا يزيد عن تقليد جاهل أو محاولة مغرضة تريد حرمان المجتمع الاسلامى من أعظم مقـوماته.. ومن أعمق دوافعه.. ومن أقوى حصونه فى الصمود والدفاع عن نفسه فى مواجهة أعدائه.

فى مجتمـع الاسـلام لا مكان لهذه المشكلة بالمرة.. فالدين الحق والعلم الصحيح أخوان.. وفى تعاونهما معا ازدهـار الحياة وتقدمها. والداعون للعلمانية فى مجتمعات الاسـلام هم ـ بحق الـرجعيـون الـذين ينطلقـون من منطلقات جاهلة أو حاقدة.

(٣) ـ ومن فروع هذه الشجرة الآثمة أيضا ما نراه من انفصام بين الجامعات والمراكز التى تتولى شئون البحث العلمى فى بلاد اسلامية متعددة وبين روح الاسلام ونظرته للعلم والعلماء ـ وهى ثمرة مرة جاءت نتاجا غير صالح لما كان من فصل متعمد بين التعليم الدينى والتعليم المدنى أرسى الاستعمار قواعده.. ورسخ أصوله. وأحدث ثغرة هائلة فى بنيـة المجتمع الاسلامى المعاصر يجسدها هذا الانفصام بين مراكز التوجيه والقيادة الفكرية فيه.. وبين الاسلام على درجات متفاوتة.

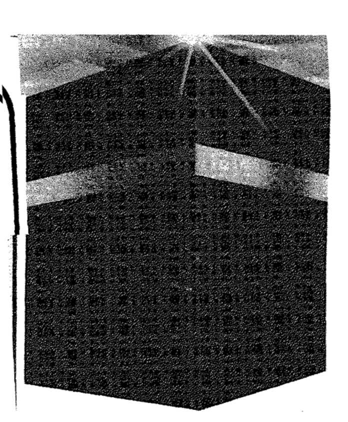
(٤) ـ ومن التحديات التى تواجه الأديان بوجه عام ما يبدو من ميل عام كذلك الى التحلل من الدين والتخفف من تبعـات التدين وهى ظاهرة عامة فى كل المجتمعات تعكس روح العصر. ومن الغريب أنها بدأت تنحسر فى المجتمعات المتقدمة وظهرت فيها نزعات تطالب بالعودة الى الـدين هذا بينما هى فى المجتمعات النامية مازالت تأخذ صورة المد ولما تنحسر بعد.

(٥) ـ وهنـاك تحد خطـير لأنـه يمثل خميرة الشيطان فى مجتمعـات المسلمـين لقـد تمكن الملاحدة من الماركسيين وغيرهم فى كثير من بلاد العالم الاسلامى من أن يكون لهم وجود منظم ومعترف به فى شكل أحزاب أو تجمعات تمارس نشاطها علانية أو تحت الأرض.

هذه التجمعات الالحادية تركز نشاطها على الشباب.. وتستثمـر الظـروف الصعبـة التى تعـانيهـا بعض تلك المجتمعات لحساب مبادئها الهدامة وأغراضها المشبوهة.. وقـد مكنهـا ما أضفى عليهـا من شرعية فى بعض تلك البلدان من أن تستعلن وتفصح عن مبادئها وتدعو اليها جهارا نهارا.

وبعد فعلنا نكون ـ بهذا التفاؤل الموجز ـ قد ألقينا ضوءاً كافيا على ما يعترض الدعوة الاسلامية من مشكلات وما يعترض «الدعاة» من عقبات حرصنا على أن نضعها فى أطرها العامة ليسهل التعرف عليها والنفاذ الى جذورها وأسبابها بما يهيىء السبل الصحيحة لعلاجها والخلاص منها.

شروط الافتاء



كثر فى الآونة الأخيرة ظهور (فتاوى) كثيرة فى الصحف والمجلات فى الأمور الدينية والمستحدثة . . بعضها من فقهاء كبار مشهود لهم بالعلم وأخرى من اناس لا نعلم من أمرهم شيئا ولا كيف بلغوا مرتبة الافتاء. وثالثة لا تحمل اسم مَنْ أفتى . . وكل منهم يفتى بجرأة وحماسة . . برفق احيانا وغلظة شديدة احيانا والعجيب انهم قد يفتون أحيانا فى مسألة واحدة فواحد يجنح الى التشديد . . وآخر يميل الى التساهل . . وواحد يحلل وآخر يحرم .



ويبدو أن الهجوم على الفتوى ليس من خصائص عصرنا وحده بل عرف فى عصور سابقة . . فقد وصف شيخ الحنابلة فى القرن السابع الهجرى أحمد بن حمدان ما كان فى ايامه من ذلك فقال: «عظم امر الفتوى وخطرها (أى شأنها) . . وقل اهلها ومن يخاف إثمها وخطرها . . وأقدم عليها (فى ايامه) الحمقى والجهال . . ورضوا فيها بالقيل والقال . . وليس معهم بأهليتهم خط أحد (أى لم يجز لهم أحد بالفتوى) وغرهم فى الدنيا كثرة الأمن والسلامة وقلة الانكار والملامة».

ثم وصف بعض الذين يتصدون للافتاء فقال: «وانما

صفات المفتي

..صده السمعة والرياء.. ومماثلة الفضلاء والنبلاء.. المشهورين المستورين.. والعلماء الراسخين.. فإن اقدم على ماليس له اهلا من فتيا أو قضاء او تدريس أثم. فإن اكثر منه واستمر فسق» (صفة الفتوى١١-١٢).

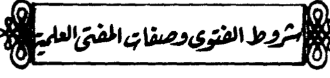
عظم شأن الفتوى

لا شك ان توضيح الأمور الدينية وبيان الحكم الشرعى فى الأمور المستحدثة واجب ومفيد لكن فتح الصحف والمجلات والاذاعات والتلفزيونات أبوابها لكل من يتصدى للافتاء.. وإطلاق الأمر لمن لم تتوفر فيه صفات المفتى أمر ينتج عنه مخاطر. ذلك لأن الفتوى ليس كلاما يلقى فيسمع او يكتب فيقرأ. ثم يرمى به بل قد يتبعه كثيرون من العامة ويكون منه ثواب او عقاب.

فالفتوى ذات شأن عظيم ولهذا قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ ..ما رواه الدارمي: «اجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار».

إذا تتبعنا سير الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ..جدنا ان قلة منهم كانت تفتى وكان كثير منهم لا يفتون حتى يشهد علماء عصرهم بقدرتهم على الافتاء. حتى إن الامام مالك بن أنس رضى الله عنه على جلالة قدره قال: «ما افتيت حتى شهد لى سبعون انى اهل لذلك» ومع هذا كان كثيرا ما يقول: لا ادرى.

وكان كثيرون من السلف رضى الله عنهم يتهربون من الفتوى من باب التقوى. رووا ان عبد الرحمن بن أبى ليلى رضى الله عنه وهو من كبار التابعين قال: «ادركت عشرين ومئة من اصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه.. ولا يحدث حديثا إلا ود أن أخاه كفاه».



شروط الفتوى وصفات المفتي العلمية

وقد أدرك علماؤنا الاقدمون عظم شأن الفتوى فوضعوا شروطا لمن يفتى. وقد غالى بعضهم فى التشدد فقال الامام أبو يعلى بن الفراء: «من لم يكن من اهل الاجتهاد لم يجز له ان يفتي ولا يقضى».

وقال الامام الشافعى: «لا يحل لأحد ان يفتى فى دين الله إلا رجلا عالما بكتاب الله بصيرا باللغة والشعر وما

يحتاج إليه منها فى فهم القرآن والسنة ويكون مع هذا مشرفا على اختلاف علماء الأمصار ويكون ذا قريحة وقادة. فإذا كان هكذا فله ان يفتى فى الحلال والحرام وإذا لم يكن هكذا فليس له ذلك».

وقوله «مشرفا على اختلاف علماء الامصار» يضاف اليه فى عصرنا «اختلاف المذاهب الفقهية».

وسئل حذيفة بن اليمان عن شىء فقال: انما يفتى احد ثلاثة: من عرف الناسخ والمنسوخ.. أو رجل ولى سلطانا.. أو متكلف.

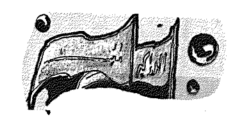
وتكلم شيخ الحنابلة احمد بن حمدان الحرانى المتوفى سنة ٦٩٥هـ وكان علامة فى رسالته المسماة **(صفة الفتوى والمفتى والمستفتى)** على شروط من يريد الافتاء فقال: «من شروط المفتى ان يكون مسلما عدلا.. فقيها مجتهدا صحيح الذهن والفكر والتصرف فى الفقه».

وقال فأما الفقيه على الحقيقة فهو من له اهلية تامة يمكنه ان يعرف الحكم بها اذا شاء معرفته جملة كثيرة عرفها من امهات مسائل الأحكام الشرعية.. الفروعية العملية بالاجتهاد والتأمل - وحضورها عنده.. فكل فقيه حقيقة مجتهد قاض لأن الاجتهاد بذل الجهد والطاقة فى طلب الحكم الشرعى بدليله.. وكل مجتهد أصولى فلهذا كان علم أصول الفقه فرضا على الفقهاء.

ثم ذكر ان (الفقيه المجتهد) الذى يفتى إما أن يكون مجتهدا مطلقا أو مجتهدا فى مذهب إمامه أو فى مذهب إمام غيره.. أو مجتهدا فى نوع من العلم.. أو مجتهدا فى مسألة او مسائل منه.. ثم أطنب القول فى صفات كل واحد من هؤلاء وكلها تتطلب العلم الواسع والاطلاع الشامل فمن شاء معرفتها فليرجع اليها.

ثم قال رحمه الله: فمن أفتى وليس على صفة من الصفات المذكورة من غير ضرورة فهو عاص آثم لأنه لا يعرف الصواب وضده.

وأضاف: قال ابن الجوزى: يلزم ولى الأمر منعهم كما فعل بنو أمية.



تخصيص الافتاء بعالم من كل مذهب

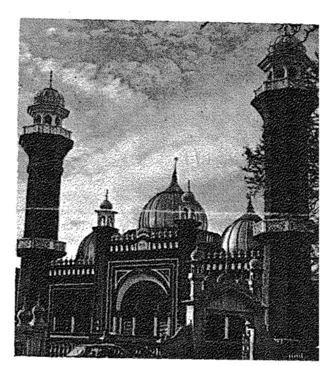
ونعود الى تاريخ الفتوى فنقول إن العلماء المشهود لهم بالعلم كانوا يفتون فيما يَرِدُ عليهم من الاسئلة.. وكان يقع بينهم الخلاف والمناقشة والخصام.. ولكن لم يكن يقدم على الافتاء من لم يكن أهلاً له.

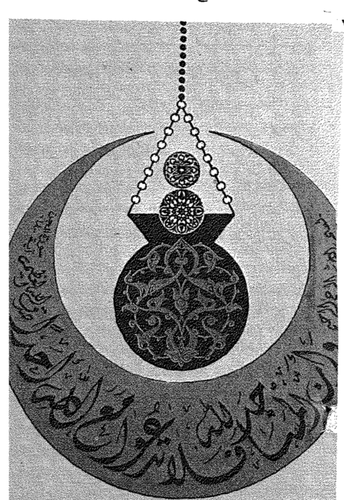
ورأى ابن خلدون وكان فقيها وقاضيا أن على الخليفة أو السلطان تصفح أهل العلم والتدريس ورد الفتيا الى من هو أهل لها ومنع من ليس بأهل لها وزجره.. لأنها من مصالح المسلمين فى أديانهم فيجب عليه مراعاتها لئلا يتعرض لذلك من ليس بأهل فيضل الناس.

وما ذهب إليه ابن خلدون نفذه السلطان سليم خان العثمانى عندما فتح بلاد الشام ودخل دمشق سنة ٩٢٢هـ.. فقد خصص إفتاء كل مذهب برجل واحد من علماء المذهب ومنع غيره من الافتاء وكان عملا جيدا لئلا يفتى من ليس هو اهلا للافتاء وجرى بعده أخلافه من ملوك بنى عثمان على هذا المنوال. وكان مذهب الدولة أيام العثمانيين فى سائر انحاء الامبراطورية المذهب الحنفى مع وجود مفتين معينين للمذاهب الأخرى يفتون إذا سئلوا.

صفات المفتى الخلقية وآدابه

وفى العصر العثمانى ألف مفتى الشام ومؤرخها السيد محمد خليل المرادى صاحب «سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر» الذى ترجمنا له فى (معجم المؤرخين الدمشقيين) - ألف كتابا وحيدا فى بابه سماه (عرف البشام فيمن ولى فتوى دمشق الشام) ترجم فيه لمن ولى الفتوى بدمشق منذ مجىء السلطان سليم إليها حتى أيامه. وقد حقق هذا الكتاب عالمان دمشقيان هما الاستاذان محمد مطيع الحافظ.. ورياض مراد وأجادا فى تحقيقه، ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق.





ففى هذا الكتاب يتحدث المرادى أيضا عن الشروط التى ينبغى أن تتوفر فى المفتى فنراه يلح على الصفات الخلقية والآداب التى يجب أن يتحلى بها مما لم يشر اليه ابن حمدان.. كأن يكون قصد المفتى وجه الله تعالى لا التوصل الى غرض دنيوى.

اقتراحات مفيدة

فيتضح مما ذكرنا أن الافتاء أمر صعب ليس بسهل وأنه جد ليس بهزل.. لا يبلغ رتبته الا من سهر الليالى وافنى عمره بالدرس والعلم.. ولعل اصحاب الصحف والمجلات لا يتسرعون فى نشر الفتاوى حتى يتأكدوا من اهلية كتابها حسب ما ذكرنا اعلاه.. وأن تقرن كل فتوى بتعريف عن صاحبها لتطمئن النفس اليه.. وأن يذكر المفتى على أى مذهب افتى إذ ليس من حقه فرض مذهبه على الآخرين إذا كان فى المسألة خلاف. أو ان يذكر الحكم على جميع المذاهب، لتكون الفائدة عامة.



عمر أبو ريشة

وقفَ الحقُّ وقفةً عند بدرٍ
شحذتْ فى الغيوب سيفَ القضاء
ووراء التلال ركبُ أبى سفيانَ
يحمىٍ سرية الفَيْحاء
وقريشٌ فى جيشِها اللجِبِ تسعى
بين وهج القنا وزهوِ الحداء
بلغتْ منحنى القليب ولفَّتْ
من عليه ببسمة استهزاء
وأرادت أكفاءها فتلقاها
علىٌّ ذؤابة الأكفاء
جزَّ بالسيف عنق شيبة وارتد
إلى صحبه خضيبَ الرداء
فطغَى الهولُ والتَقى الندُّ بالند
وماجا فى لجة هوجاء
وعيونُ النبىِّ شاخصةٌ ترقص
فى هُدْبِهَا طيوفُ الرجاء
ودنت منه عصبةُ الإثم والموت
على راحها ذبيحُ عياء
فرماها بحفنةٍ من رمال
ورنا ثائرَ المنى للعَلاء
ودعا «شاهت الوجوه» فيا أرض
اقشعرّى على اختلاج الدعاء

…مة النبي ﷺ

قُضِىَ الأمرُ يا قريشُ فَسِيري
للحِمَى واندبى على الأشلاء
واحذري الطيب أن يمس غلاماً
فى ندىٍّ أو غادة فى خباء
وأعدى للثأر حمرَ السرايا
واحشدِيها للوثبة الرَّعْنَاء
يوم بدر يومٌ أغرُّ على الأيام
باقٍ إن شئت أو لم تشائى
ركز الله فيه أسمى لواء
وجَثَا الخلدُ تحتَ ذاكَ اللواء

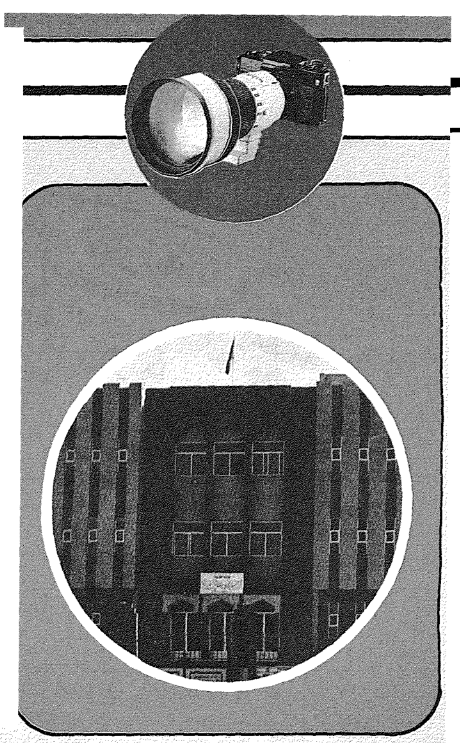
* * *

طوى الحولُ وانطوى أحدٌ فيه
ولم تحملى سوى الضُّراء
أىُّ ذل على جفونك يعوى
وركابُ النبى ملء العراء
حلَّ فى مكة وجهك فى التُّربِ
خضيبٌ ووجهُهُ فى السماء
يمشى للصلاة والكعبةُ السمحةُ
ن غمرة من النعماء
تعالى التكبيرُ يا سدة الأصنام
يدى ويا علوج تنائى

واشهدى يا سماء أن رسول الله
أوْفى بالعهد خيرَ وفاء

* * *

وجم المؤمنون فى رهبة الظنِّ
وناموا على رؤى سوداء
وتمطّى على المدينة صبحٌ
كاسفُ الوهج قاتمُ الأفياء
أحمد ودع الحياة فيافا
روقُ أقبصر ما فيك من غلواء
كلٍ حى رهنُ الفناء وتبقى
آيةُ الله فوق طوق الفناء
يا نجىَّ الخلودِ تلك سراياك
على كلِّ ربوة غَنّاء
حملت صبوة الشآم وفضتها
أريجاً على فم الزوراء
وشجتها غرناطة فشفت منها
فؤادُ الصبيّة الحسناء
فإذا الأرضُ فى عرائسك الأبكار
مغنى سنى ومجلى سناء
حلم وانقضى فيا للمناجى
زهرَ أطيافه ويا للرائى



وصف الله سبحانه وتعالى الأمة الاسلامية بأنها خير أمة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.. وأراد بالأمة العربية والاسلامية أن تكون أولى بقية ينهون عن الفساد فى الأرض.. يخرجون الناس من الظلمات الى النور.

عمدت حكومة المملكة إلى بناء صروح العلم وخصصت جامعات كاملة لبناء المسلم وترسيخ قواعد وتعاليم الدين الحنيف وتطبيق شرائع الاسلام حيث يلتئم شمل المسلمين وتتحد غاياتهم وأهدافهم ويصبح الدين كله لله خالصاً

ارتفعت صروح العلم والنور فى كل مكان من البلاد تقف شاهدة على مدى التطور الذى حققته فى مسيرة قصيرة بحساب الزمن كثيرة بحساب ما تحفل به من انجازات. وتمثلت بداية هذا النوع من التعليم فى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية التى أنشئت بمكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ توالى بعدها افتتاح الجامعات الخاصة والمتخصصة فى مجال الدراسات الاسلامية والدعوة واللغة العربية وسنتحدث عن نماذج هذه القلاع الشامخة للدعوة فى المملكة السعودية

جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية

إعداد قسم التحقيقات بالمجلة

يتمثل الهيكل التنظيمى والادارى لجامعة الامام فى المجلس الاعلى للجامعة ومدير الجامعة ومجلس الجامعة ويعتبر المجلس الاعلى هو السلطة المهيمنة على كافة الشؤون العلمية والمالية والادارية.

نشأة الجامعة:

كان تعليم العلوم الشرعية والعربية فى المملكة منوطاً للمساجد وبعض بيوت علمائنا الأجلاء الذين تخرج على أيديهم كثير من القضاة والعلماء.. ومع بداية النهضة العلمية الشاملة سنة ١٣٧٠هـ افتتحت حكومة جلالة الملك «عبد العزيز» رحمه الله ـ معهد الرياض العلمى ـ الذى كان اللبنة الاولى ثم افتتحت كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٧٣هـ وكلية اللغة العربية بالرياض عام ١٣٧٤هـ ثم تتابع افتتاح المعاهد العلمية تحت مسمى «الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية» وفى ١٣٩٤/٨/٢٣هـ صدر المرسوم الملكى رقم م/٥٠ المبنى على قرار مجلس الوزراء رقم ١١٠ وتاريخ ١٣٩٤/٨/١٧م بالموافقة على نظام جامعة الامام محمد بن سعود



الاسلامية واعتبارها مؤسسة تعليمية وثقافية مالية ومنذ إنشاء الجامعة وهى فى توسع مستمر إذ يوجد بها عشر كليات ومعهد عال للقضاء بالرياض وآخر للدعوة الاسلامية بالمدينة المنورة وثلاثة معاهد لتعليم اللغة العربية منها اثنان خارج المملكة فى اندونيسيا واليابان. أما المعاهد فقد بلغ عددها «٥٦» معهداً منتشرة فى أنحاء المملكة منها أربعة داخل مدينة الرياض وثلاثة خارج المملكة فى رأس الخيمة وموريتانيا وجيبوتى.

أهداف الجامعة:

- توفير اسباب التعليم والدراسات العليا فى العلوم الاسلامية وعلوم اللغة وغيرها من العلوم الاجتماعية.
- العناية بالبحوث الاسلامية والعناية بترجمتها ونشرها وتنظيم العلاقة بين الجامعة وجامعات العالم الاسلامية.
- العناية بالبحوث الفقهية والقانونية المقارنة.
- إعداد علماء متخصصين فى العلوم الاسلامية وعلوم اللغة والعلوم الاجتماعية والتاريخية وإعداد القضاة والدعاة المؤهلين.
- المساهمة فى تلبية حاجات البلاد الاسلامية التى تخصص طائفة من ابنائها للدعوة.

النظام الدراسى فى الجامعة:

تتبع الجامعة النظام الفصلى ومدة الدراسة فى كل كلية من الكليات الملحق بها اربع سنوات جامعية يقرر مجلس الجامعة تاريخ بدء الدراسة وتاريخ انتهائها ومواعيد الامتحانات وتقبل الجامعة الطلاب الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد العلمية أو ما يعادلها وتقوم الجامعة بعمل منح دراسية للطلاب غير السعوديين للدراسة بها وإعدادهم كمساهمة منها فى إعداد الدعاة فى كافة الدول الاسلامية.

الكليات المرتبطة بالجامعة:

(١) كلية الشريعة: افتتحت عام ١٣٧٣هـ كانت تتبع الرئاسة العامة للكليات والمعاهد - كما سبق القول - وتحولت الى جامعة الامام سنة ١٣٩٤هـ.. وتضم الاقسام الآتية: «قسم الفقه وقسم أصول الفقه وقسم الثقافة الاسلامية وقسم الاقتصاد الاسلامى» وتمنح شهادة البكالوريوس فى التخصصات الموجودة بها.

(٢) كلية اللغة العربية: تأسست عام ١٣٧٤هـ وكانت تتبع الرئاسة وتحولت عام ١٣٩٤هـ



خادم الحرمين الشريفين يطلع على مجسمات توسعة الجامعة



(٣) كلية أصول الدين: تأسست عام ١٣٩٦هـ ويتبعها الأقسام الآتية: «قسم القرآن الكريم وعلومه وقسم السُّنَّة الشريفة وعلومها وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

(٤) كلية العلوم الاجتماعية: كانت جزءاً من كلية اللغة العربية منذ عام ١٣٩٠هـ واستقلت عنها عام ١٣٩٦هـ.

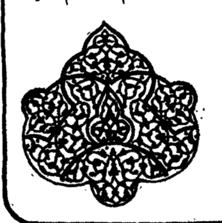
٥) كلية الشريعة وأصول الدين الجنوب: أنشئت فى مدينة أبها سنة ١٣٩ـهـ وتضم الأقسام الآتية: قسم فقه وأصوله ـ قسم الكتاب والسنة ـ سم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـ سم الاقتصاد الاسلامى.

) كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب: انشئت فى مدينة أبها سنة ١٣٩٦هـ ويتبعها الاقسام الآتية: «قسم النحو والصرف وفقه اللغة وقسم البلاغة والأدب والنقد وقسم التاريخ وقسم الجغرافيا وقسم الاجتماع وقسم علم النفس وقسم العلوم الادارية وقسم اللغة الانجليزية.

(٧) كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم: أنشئت فى مدينة بريدة عام ١٣٩٦هـ وتشتمل على الأقسام الآتية: «قسم الفقه وقسم أصول الفقه وقسم القرآن الكريم وعلومه وقسم السنة وعلومها وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة وقسم الدعوة والثقافة الاسلامية وقسم الاقتصاد الاسلامى.

(٨) كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم: أنشئت عام ١٣٩٦هـ وتضم الأقسام الاتية: «قسم النحو والصرف وفقه اللغة وقسم البلاغة والأدب والنقد وقسم التاريخ وقسم الجغرافيا وقسم الاجتماع وقسم التربية وعلم النفس وقسم الادارة وقسم اللغة الانجليزية.

(٩) كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالأحساء: انشئت عام ١٤٠٢هـ وتضم الأقسام الآتية·

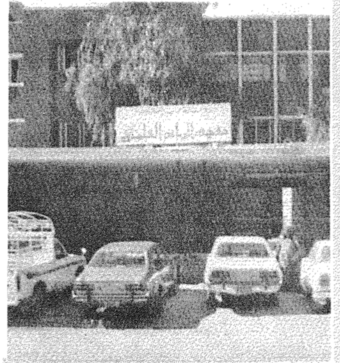




«قسم الشريعة وقسم اصول الدين وقسم اللغة العربية وقسم الجغرافيا وقسم الادارة.

(١٠) كلية الدعوة والاعلام: كانت تعرف باسم المعهد العالى للدعوة الاسلامية من تاريخ تأسيسه عام ١٣٩٦هـ وفى عام ١٤٠٤هـ عدل اسمه الى كلية الدعوة والاعلام





وعن مركز البحوث تصدر مجموعة اصدارات إعلامية منها:

«مجلة أضواء الشريعة (سنوية)
ومجلة كلية اللغة العربية (سنوية)
ومجلة كلية أصول الدين (سنوية)
ومجلة كلية العلوم الاجتماعية (سنوية)
ومجلة رسالة الطالب المسلم (فصلية)
ومجلة كلية الشريعة بالجنوب (سنوية)
ومجلة كلية الشريعة بالقصيم (سنوية)
ومجلة كلية الشريعة بالأحساء (سنوية)
ومجلة مركزالبحوث (سنوية).

ولا يفوتنا ان نتحدث عن المعاهد التابعة لجامعة الامام والتي تعتبر بحق من قلاع الدعوة حيث نجد:

●● المعهد العالى للقضاء: انشىء عام ١٣٨٥هـ ويعد المعهد الاول فى المملكة للدراسات العليا والدراسة فيه - كما يتبين من اسمه - تخصصية فى مجال القضاء وما يتصل به ومدتها سنتان ويمنح درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه فى كل من السياسة الشرعية والفقه المقارن ويلحق به قسمان فى التخصص.

●● المعهد العالى للدعوة الاسلامية بالمدينة المنورة: افتتح هذا المعهد عام ١٣٩٨هـ بالمدينة المنورة كفرع للمعهد العالى للدعوة فى الرياض.. «كلية الدعوة والاعلام حاليا» ويهدف الى خدمة الدعوة الاسلامية والعمل على تخريج جيل من الدعاة الاسلاميين على درجة عالية من الكفاءة والوعى لحمل رسالة الاسلام والمساهمة فى نشرها فى جميع انحاء العالم كما يقوم بالبحوث والدراسات المتخصصة التى تقتضيها أهداف الدعوة وقد تم فصل المعهد واستقلاله عن المعهد العالى للدعوة الاسلامية بالرياض ١٤٠٠/١٤٠١هـ ويمنح هذا المعهد درجتى الماجستير والدكتوراه فى الدعوة والاحتساب والاعلام والاستشراق كما

يمنح درجة البكالوريوس فى الدعوة والاعلام ويضم المعهد الأقسام الآتية: «قسم الدعوة والاحتساب وقسم الاعلام وقسم الاستشراق».

●● معاهد تعليم اللغة العربية: اهتمت الجامعة بتعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين غير الناطقين بها والوافدين للالتحاق بالجامعة عن طريق المنح الدراسية ليتمكنوا من مواصلة دراساتهم وليكونوا بعد تخرجهم دعاة مؤهلين وعلى معرفة بلغة القرآن .. لذا أنشأت المعاهد الاتية:

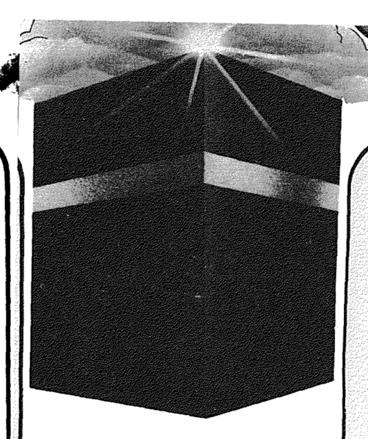
١ - معهد اللغة العربية بالرياض: عام ١٣٩٧/١٣٩٨هـ ويوجد به ثلاثة اقسام دراسية هى قسم الاعداد اللغوى وقسم العلوم العربية والاسلامية وقسم تأهيل معلمى اللغة العربية.

٢ - معهد تعليم اللغة العربية باندونيسيا: افتتح عام ١٣٩٩/١٤٠٠هـ ويعمل بنظام البرامج.

٣ - المعهد العربى الاسلامى باليابان: افتتح عام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ ويعمل بنظام البرامج وقد بلغ عدد طلابه الوافدين عليه عام الافتتاح (١١٨٠) طالبا.

●● المعاهد العلمية: انشىء أول هذه المعاهد عام ١٣٧٠هـ وهو معهد الرياض العلمى ثم تتابع افتتاح المعاهد العلمية فى مختلف مدن المملكة وخارجها حتى بلغ الآن (٥٦) معهداً وتضم جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض - إلى جانب مكتبة كل كلية - مكتبة مركزية تتولى إدارتها عمادة شؤون المكتبات وتعد هذه المكتبة من أغنى مكتبات الجامعات السعودية بالمخطوطات «اصلية ومصورة» حيث تضم اكثر من (١٤٠٠٠ مخطوط) ويبلغ عدد المطبوعات فيها اكثر من (٢٤٠٠٠٠) مجلد فضلا عن الدوريات والصحف والأقلام المصورة وتضم الاقسام الفنية الآتية:

«قسم المخطوطات وقسم المطبوعات وقسم الدوريات والمجلات وقسم التصوير وقسم الطباعة.. وتؤمن الجامعة السكن المؤثث للطلاب دون مقابل كما تؤمن لهم التغذية فى الاقسام الداخلية مقابل اشتراك زهيد وتعنى الجامعة بتنظيم النشاط الطلابى عن طريق اقامة الفرق الرياضية ومعسكرات تدريب للفرق الكشفية وفرق الجوالة والمخيم السنوى بمنى فى موسم الحج كما تعنى بشؤون الرحلات العلمية والترفيهية لزيارة المعالم الاسلامية التاريخية والحضارية وتنظيم المسابقات العامة فى حفظ القرآن الكريم وشكلت جماعات منها جماعة القرآن الكريم وجماعة الحديث الشريف وجماعة الدعوة وجماعة المحاضرات والندوات وجماعة البحوث والكتابة وجماعة الصحافة والجماعة الصحية والتعارف.. كما تؤمن للطلاب المواصلات وتقدم المنح والسلف والمكافآت على شكل اعانات شهرية وتتكفل الجامعة باعادة ترحيل طلاب المنح الدراسية بعد اتمام دراستهم الى بلدانهم على نفقاتها.

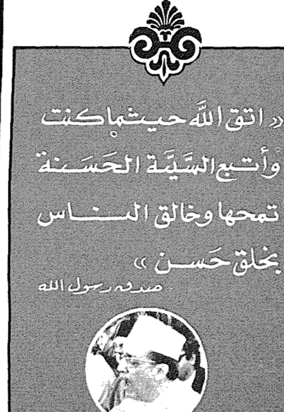


أوضـــاع المســـلمين

العالم الاسلامى اليوم على مفترق الطرق فهو يتطلع الى بناء نهضته على اسس سليمة ويبحث عن الطريق التى تدفع بعجلة تقدمه الى الامام. الا انه مع ذلك تتقاذفه تيارات متباينة.. فهو يرى نفسه مشدودا الى اسلامه متشبثا بشخصيته وذاتيته من جهة.. وهو يُرى متأثراً بالتيارات العالمية العاصفة.. منساقا الى السير فى ركابها من جهة اخرى.

●● فالمشاكل المعقدة والتى تتزايد العام بعد العام بل الشهر بعد الشهر اصبحت تتحكم فيه مثل ما تتحكم فى جميع الامم والشعوب النامية.. والقادة ـ المسؤولون ـ يبحثون لهذه المشاكل عن حلول.. فتارة يأخذون حلولا من الشرق وطورا يطلبونها من الغرب.. ولكن هذه الحلول سواء كانت شرقية ام غربية لا تعطى العطاء المطلوب ولا تلبى الرغبات الحقيقية لما تتطلبه الشعوب المرتبطة بالرباط الوثيق مع الاسلام.. لانها لا تعالج الامراض الحقيقية فى المجتمع الاسلامى.. ولانها لا تلمس الادواء فى الصميم وبالاحرى لم تستطع ان تهتدى للدواء الشافى من تلك الامراض.

كل هذا والتحديات الغربية للاسلام تتضاعف وتتكاثر ولسان حالها يقول: هاهو الدواء يوجد لدينا فخذوا به ان اردتم النجاح ـ وانهجوا نهجنا واسلكوا مسلكنا ان طمعتم فى النجاة.



الأستاذ/ أبوبكر القادري
المغرب

وسائل نشر الدعوة

وما هذا النهج الذى يدعوننا اليه والمسلك الذى يريدون منا ان نسير فيه الا منهجهم فى الحياة - والذى انطلق فى اوربا ابتداء من القرن الخامس عشر. . وقطع صلته مع التعاليم الدينية. . وسار فى نهج لا يعترف الا بالماديات.

ومن المعلوم ان اوربا عاشت صراعا حاداً وقويا فى القرون الاربعة الاخيرة استلزم منها ان تنبذ كل ارتباط مع الدين. . ودفعها ان تسير فى تنظيم شؤون حياتها على اساس فصل الدين عن الدولة. معتبرة ان ذلك هو الحل الوحيد الذى يقيها المشاكل والمآسى التى كانت تعانى منها. . ومقتنعة ان وظيفة دينها ليست وظيفة حياتية ولذلك فمن اللازم ابعاده عن التدخل فى تسيير وتنظيم شؤون الحياة.

ولو اقتصرت هذه النظرات الى الدين على حياة الغربيين لهان الامر ولكن الاقتناع بهذه النظرية اصبح يعكس مفعوله حتى على بعض المثقفين ثقافة غربية من المسلمين.

والواقع ان اخطر ما يعانيه العالم الاسلامى اليوم هو هذه الانعكاسات التى ترد عليه من الغرب المسيحى.. والتى تعمل جاهدة على ان تبث روحها فيه فتجتث كل ارتباط بينه وبين اصالته ودينه.. وتحاول ان تدفع به ليسير فى نفس النهج الذى سار فيه الغربيون.

والواقع كذلك ان هناك صراعا حقيقيا وعميقا بين حضارتين: حضارة غربية تريد ان تفرض سيطرتها ومفاهيمها ونفوذها ومفعولها فى العالم الاسلامى. . وحضارة اسلامية عريقة واصيلة تريد ان تحتفظ بشخصيتها ومفاهيمها وتأثيراتها وتنشد التطور والتقدم فى دائرتها. فاذا كانت الحضارة الغربية حاولت ان تقطع علاقاتها مع كل اصيل فان الحضارة الاسلامية لا تقبل ان تنصاع لهذه القطيعة لانها وهى تنشد الكمال والتقدم والاستفادة من التطور العلمى تريد وتصر على ان تبقى مرتبطة كل الارتباط بمفاهيمها الاصيلة التى تقتضى منها الاستمرار فى الارتباط بالخط الاسلامى والحقيقة الاسلامية.

وفى حلبة هذا الصراع يعيش العالم الاسلامى. . فالمفكرون المسلمون الواعون لمسؤولياتهم يدركون الاخطار التى تهدد مصير امتهم الاسلامية ومصير حضارتهم وقيمهم ان هم انساقوا مع هذه التيارات الدخيلة عليهم. . وهم يدعون الى الانبعاث والنهوض والاخذ بالاسباب الحقيقية لهذا الانبعاث والنهوض والاستفادة مما اعطته وتعطيه الحضارة الغربية من ابتكارات وتقدم فى ميدان العلم والتكنولوجيا وما الى ذلك ولكنهم فى الوقت نفسه لا يقبلون ان يتنكروا لذاتيتهم وشخصيتهم وحقيقتهم ويعتبرون ان التنكر لذلك قضاء على وجودهم. . ومحو لشخصيتهم. . وخسران لمستقبلهم.

لقد كانت الحضارة الحديثة تعطى الكثير فان الحضارة الاسلامية اعطت وغذت ولا زال فى امكانها ان تعطى وتزود بالكثير لانها حضارة حية معطاء استمدت اصولها وحيويتها من الحقيقة الاسلامية التى تعتبر حقيقة دائمة ومستمرة.. لانها بمقدار ما تشجع وتساهم فى التقدم العلمى باعتباره ضرورة حتمية فانها لا تتنكر للتعاليم الالهية التى جاء بها الوحى من عند الله على طريق سيدنا رسول الله ﴿ﷺ﴾.

فللعلم مكانته وضرورته فى نظرها.. وللعقل قيمته المقدرة عندها.. ولكنهما لا ينبغى ان يطغيا على حدودهما.. ويتعديا اختصاصاتهما.. ويستحوذا على تسيير جميع مناحى الحياة الانسانية ويناصبها العداء للحقائق الدينية المستمدة من التعاليم الالهية.

فالعقل مهما كانت عظمته قاصر والحقيقة الاسلامية كاملة وهو يخطىء ويصيب والحقيقة الاسلامية منزهة عن الخطأ. والعلم له ميدانه وهو يتقدم مع مرور الاعوام ولكنه مهما زاد تقدمه انكشف ضعفه وعدم احاطته بل انكشف قصوره وخطأ بعض نظرياته.

إن المفكرين المسلمين يدركون انهم مطالبون بالذود عن حقائق دينهم والاستمداد منها والاستمرار فى الارتباط بها مثل ما هم مطالبون بالتفتح على الاستفادة من النظريات العلمية واستعمال طاقتهم وامكانياتهم للدفع بها وتجديدها والتقدم فيها.. لانهم يعتقدون ان المسلم الحق لا يقبل ان تسبقه الاحداث وتتجاوزه الحياة كما لا يليق به ان يبقى فى مؤخرة الركب الحضارى لانه مطالب باعتباره مسلما ان يمد الحياة الانسانية ويسير فى الآفاق ليستفيد ويفيد وليزيد فى سعادة بنى الانسان بابتكاراته ومعارفه وخدماته لان عدم الزيادة يقتضى التوقف.. والتوقف ينتج عنه التراجع.. والتراجع يؤدى حتما الى الانحطاط ان لم يؤد الى الموت.

أن المسلم الحق مأمور شرعا ان يتقدم بالحياة الانسانية ويعمل على اسعاد بنى الانسان ولا تتحقق هذه السعادة ولا يتضمن الحياة الكريمة الا اذا سارت الانسانية فى توازن حقيقى فحافظت على الارتباط بالحقيقة الالهية والاستمداد منها واستفادت من التجارب الانسانية والتقدم العلمى وساهمت بنصيبها الاعظم فيها.

أن هذا التوازن يقضى على الهوة السحيقة التى خلقتها النظريات المادية الحديثة والقديمة التى اتى معها الدمار والخراب والفراغ الروحى والقلق اللذين اصبحا يهددان سعادة المجتمع الانسانى.

وأن هذه النظريات المادية اصبح لها انصار وحواريون ياخذون بها.. ويعملون على تطبيقها.. ويناضلون فى سبيل الاقناع بها. ومن المؤسف جدا ان بعض المثقفين من المسلمين تأثروا بهذه النظريات واعتنقوها.. وصاروا هم بدورهم يعملون على نشرها وتعميمها فى بعض المجتمعات الاسلامية جاهلين او متجاهلين النتائج الخطيرة التى ستحل بمجتمعهم واوطانهم ان هم انساقوا معها وساروا فى ركابها.

●● لقد اصبح هؤلاء يدعون جهرا وعلنا الى الاهتداء بهدى النظريات المادية الصرفة لعلاج ما اصاب الأمة الاسلامية والمجتمع الاسلامى من اضرار مادية ومعنوية.

●● لقد اصبح هؤلاء يفكرون فى اصلاح بلادهم بعقلية العبيد الوارثين لكل ما اتى ودعا اليه بعض زعماء الغرب غير مدركين للاخطار التى تنجم عن هذا التقليد الاعمى.. لان تكوين مجتمعنا يختلف كثيرا عن تكوين المجتمعات الغربية.. ولان مجتمعنا الاسلامى وجميع افراد شعبنا لا يريدون ان يضحوا بمعتقداتهم واصالتهم وحضارتهم فى سبيل تطبيق نظريات تتصادم التصادم الكلى مع النظريات التى يدينون بها.

إن المفكرين المسلمين يريدون ويطالبون بتغيير جذرى لحياة المجتمع الاسلامى بحيث تتجه الحياة الاجتماعية اتجاها اسلاميا صحيحا متوازنا متعادلا فتوثق الرباط بين ما تتطلبه الحياة الانسانية من اصلاحات اجتماعية واقتصادية تضمن سعادة الفرد والمجتمع والانتماء الحقيقى للاسلام.

فالتغيير الذى نريده لحياة مجتمعنا لا يتنكر للتقدم العلمى والتكنولوجى كما لا يتنكر للحقائق التى تزيدنا ارتباطا بالاسلام وتعاليم الاسلام.

●● كتب احدهم وهو المسيو شاتلييه فصولا فى مجلة «العالم الاسلامى» التى كانت تصدر باللغة الفرنسية قال فيها: «ينبغى لفرنسا ان يكون عملها فى الشرق مبنيا قبل كل شىء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل ان لا نقتصر على المشروعات الخاصة التى يقوم بها الرهبان المبشرون وغيرهم لان لهذه المشروعات اغراضا اختصاصية ثم ليس للقائمين بها حول ولا قوة فى حياتنا الاجتماعية التى من دابها الاتكال على الحكومة وعدم الاقبال على المشروعات الخاصة التى يقوم بها الافراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة للغرض العام الذى نتوخاه وهو غرض لا يمكن الوصول اليه الا بالتعليم الذى يكون تحت الجامعات الفرنسية نظرا لما اختص به هذا التعليم من الوسائل الفعلية والعلمية المبنية على قوة الارادة. وانا ارجو ان يخرج هذا التعليم الى حيز الفعل ليبث فى دين الاسلام التعاليم المستمدة من المدرسة والجامعة الفرنسية(١).

لقد كان اولئك الدعاة الى الاستعمار والممهدون له يوصون بالاعتماد على قواعد التربية العقلية لزعزعة الثقة بالتعاليم الاسلامية وليخرجوا لنا مثقفين ينتسبون للمجموعة الاسلامية ولكنهم يبثون فى الدين الاسلامى الاراء والتعاليم الغربية والتى هى فى صميمها وواقعها حرب على الاسلام وتنكر للمبادىء والتعاليم التى اتى بها سيد الانام عليه الصلاة والسلام.

●● والمسيو «شاتلييه» هذا لا يكتفى بما يقدمه هو من نصائح لزعزعة العقيدة الاسلامية من عقول الشباب المسلم ولكنه يشيد وينوه بما يقوم به القس صامونويل زويمر منشىء مجلة **«العالم الاسلامى»** الصادرة باللغة الانجليزية فيكتب قائلا: **«ان لنتيجة ارساليات التبشير فى البلاد الاسلامية مزيتين**: مزية تشييد ومزية هدم او بالاحرى مزيتى تحليل وتركيب.. والامر الذى لا مرية فيه هو ان حظ المبشرين من التغيير الذى اخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانية والقطر المصرى وجهات اخرى هو اكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه.. ولا ينبغى ان نعتمد على احصائيات التعميد فى معرفة الذين تنصروا من المسلمين لاننا هنا واقفون على مجرى الامور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الاسلامى من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفى»(٢) فيتضح مما ذكرنا ان تآمرا خطيرا كان يدبر لنزع الدين الاسلامى من قلوب الشباب المسلم حتى يصلوا لمثل ما وصل اليه ذلك الكاتب السالف الذكر.

ان التعاون بين الاستعمار والصليبية كان وثيقا للقضاء على الوجود الاسلامى بديار الاسلام.. وانهم كانوا يدبرون امرهم ليتوصلوا لتحقيق ذلك عن طريق المدرسة وعن طريق التبشير.. عن طريق التربية العقلية ونشر التعليم الاجنبى والثقافة الاجنبية.. وعن طريق المثقفين بالثقافة الاجنبية.. والمتلمذين على الاساتذة الاجانب.. وحسب رايهم فإن الشعوب الاسلامية لا تتطور وتتدرج فى مدارج الحضارة الحقيقية الا اذا ابتعدت عن الاسلام. فهذا مسيو وليام جيبور بالكران يقول: «متى توارى القران ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ ان نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه»(٣).

لقد كانت المدرسة وسيلة اساسية لدى هؤلاء لازالة ارتباط الشباب المسلم بدينه وحضارته.. فالمبشرة **«آنا ميليجان»** تقول فى بعض كتاباتها «ان المدارس اقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحى وهذا التأثير يستمر حتى يشمل اولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة اوطانهم».. وتقول ايضا: «فى كلية البنات فى القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات وليس ثمة مكان آخر يمكن ان يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى وليس ثمة طريق الى دحض الاسلام اقصر من هذه المدرسة»(٤).. ويقول المستر بشروز رئيس الجامعة

الامبريكية فى بيروت: «لقد ادى البرهان الى ان التعليم اثمن وسيلة استغلها المبشرون الامبريكيون فى سعيهم لتنصير سوريا ولبنان». . ويقول المبشر جون تكلى: «يجب ان نشجع انشاء المدارس وان نشجع على الاخص التعليم الغربى. . ان كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانجليزية. . ان الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقى مقدس امرا صعبا جدا»(٥).

والجامعة الامبريكية فى بيروت واضرابها فى كثير من الاقطار الاسلامية لم تنشا فى الواقع وحسب اعتراف المسؤولين فيها الا لنشر المبادىء المسيحية وزعزعة كل عقيدة سوى عقيدة الصليب - فلنقرأ المادة الرابعة من منشور اصدرته الجامعة المذكورة يقول بالحرف: «ان هذه الكلية مسيحية اسست باموال شعب مسيحى. . هم اشتروا الارض. . وهم اقاموا الابنية. . وهم انشأوا المستشفى وجهزوه. ولا يمكن للمؤسسة ان تستمر اذا لم يسندها هؤلاء. . وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الانجيل من موارده فنعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب ان يعرف سابقا ماذا يطلب منه»(٦).

ولقد كتب «شارل دوفوكو» وهو من هو توغلا فى المسيحية. . وتعلقا بالصليب وخدمة للاستعمار الفرنسى - كتب معلقا على تأسيس مدرسة فرنسية فى المغرب العربى فقال: لا شك ان هذه المدرسة لن يدخلها الا عدد قليل من الاطفال العرب لكن الاطفال البرابرة الذين ينحدرون من سلالة طيبة هم على كامل الاستعداد للتأثر بالفكرة اللاتينية التى عرفتها من قبل. . هم سيدخلونها كلهم(٧).

●● اما الاستاذ «جب» كبير المستشرقين الانجليز فهو بدوره يلقى بدلوه فى الدلاء ويعبر بوضوح عن تخطيط السياسة الاستعمارية لبسط نفوذها فى البلاد الاسلامية - ويقول فى كتاب وجهة الاسلام: **«الواقع اننا اذا اردنا ان نعرف المقياس الحقيقى للنفوذ الغربى ولمدى تغلغل الثقافة الغربية فى الاسلام كان علينا ان ننظر الى ما وراء المظاهر السطحية. . علينا ان نبحث عن الاراء الجديدة - والحركات المستحدثة التى ابتكرت بدافع من التأثر بالاساليب الغربية بعد ان تهضم وتصبح جزءا حقيقيا من الدول الاسلامية فتتخذ شكلا يلائم ظروفها».**

●● ويشير «جب» ايضا الى اهمية التعليم والصحافة فى هذا الصدد فيقول: ***«والسبيل الصحيح للحكم على مدى التغريب هو ان نتبين الى اى حد يجرى التعليم على الاسلوب الغربى وعلى المبادىء الغربية وعلى التفكير الغربى. الاساس الاول فى كل ذلك هو ان يجرى التعليم على الاسلوب الغربى وعلى المبادىء الغربية وعلى التفكير الغربى - هذا هو السبيل ولا سبيل غيره».***

ويعقب الدكتور محمد. م حسين على ما قاله الاستاذ «جب» فيقول «يلاحظ (جب: ان النشاط الثقافى والتعليمى قد ترك فى المسلمين من غير وعى منهم اثرا جعلهم يبدون فى مظهرهم العام لا دينيين الى حد بعيد وذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامى على حضارته من آثار»(٨).

اننا نعلم ان محاربة الاسلام والتهجم على تعاليمه لم يكونا وليدى القرن العشرين وانما لقى الاسلام الهجوم تلو الهجوم ابتداء من بزوغ الدعوة الاسلامية. . وسطوع التعاليم القرانية. . وانتشار الرسالة المحمدية وما التحريفات والمكايد التى دبرها اليهود ضدا على الاسلام. . وما الهجومات الصليبية فى المشرق والمغرب. . وما تلفيقات واكاذيب المستشرقين المغرضين. . وما الحروب التى قام بها دعاة الالحاد والزندقة ضدا على العقيدة الاسلامية والوجود الاسلامي فى ارض الاسلام الا دليلا على صدق ما نقول.

ومن الملاحظ الذى يدعو الى اخذ العبرة ان الحرب ضد الاسلام لم تأت من معسكر خاص من معسكرات الغربيين وانما اتت من جميعهم وان اختلفوا فى ان اديولوجياتهم وتطاحنوا فى اتجاهاتهم واغراضهم. . فهم جميعا يتخوفون من ان تصبح للاسلام دولة ولقوته وجود ولفعاليته تأثير. لقد قضوا على - الخلافة الاسلامية بتآمرهم ومكرهم. . وصاروا يخشون من كل بعث اسلامى وكل تضامن بين المسلمين. . ويعملون على عرقلة وتحطيم كل وحدة ممكنة لهم مهما كانت محدودة الهدف

واضحة المقصود. . ولقد عملوا جاهدين على تفكيك الروابط التى كانت بين اجزاء العالم الاسلامى. . كما عملوا على اضعاف فعالية الاسلام فى تقويم الحياة الاجتماعية للمسلمين.

لقد كانت تعقد المؤتمرات لوضع المخطط الاستعمارى ودراسته واتخاذ المقررات المناسبة لتطبيقه. . ففى المؤتمر الاستعمارى الذى انعقد اوائل هذا القرن أُتخذ قرار جاء فيه: «ان ارتقاء الاسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم ـ لذلك فان المؤتمر الاستعمارى ينصح الحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على ادوار هذه الحركة. . والمؤتمر الاستعمارى مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماما فى الشؤون الدينية يشير على الذين فى ايديهم زمام المستعمرات ان يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام. . وان يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية. . وان ينتفعوا من اعمال ارساليات التبشير التى تبث مبادىء المدنية ـ خصوصا بخدماتهم التهذيبية والطبية. . ومن رأى المؤتمر ان الخطر الاسلامى يدعو الى ضرورة انتباه المسيحية الالمانية لاتخاذ التدابير من غير تسويف فى كل الارجاء التى لم يصل اليها الاسلام بعد(٩). وحكى المرحوم علال الفاسى فى حديثه عن التبشير المسيحى انه قرأ فى كتاب: «مالم يقل عن دوغول» بعض اعترافات هذا الراهب كان من جملتها قوله: «ولكن الذى اخاف منه هو هذا الخطر الذى يمتد من طنجة الى كراتشى. ان الاسلام ذو حضارة وثقافة وهو جدير بان يكون الوارث لنا فاذا تحالف مع الصين فانه لن يوجد احد يوقف المسلمين عند بولتييه.

ان الاستعماريين يخشون من نهضة اسلامية وبعث اسلامى ولذلك كانت سياستهم تريد ان توقف هذا البعث وتقضى على هذه النهضة. . كما كانت ترمى الى السيطرة المطلقة على البلاد الواقعة تحت قبضتها: السيطرة الثقافية والسيطرة الدينية. . والسيطرة القضائية. . زيادة على السيطرة السياسية الاقتصادية والعسكرية. ولكى تصل الى تحقيق ذلك كانت تعمل بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة ـ فكل ما يوصل الى تحقيق الهدف وهو القضاء على الوجود الاسلامى والادماج فى العائلة الاستعمارية مساغ ومقبول. . واستعمال المراحل لتحقيق الغاية شىء ضرورى. . وتعدد الوسائل مطلوب ومرغب فيه وهكذا اتجهوا الى زعزعة عقيدة المسلمين وتشكيكهم فى حضارتهم وقيمهم. . وتشويه كل عاداتهم وتقاليدهم. . ونشر بعض الافكار والمبادىء والشعارات الجذابة كمبدأ الفكر الحر. . وتقديس الحرية مهما ادت الى الخلاعة والتهتك. . وتنشيط جميع وسائل اللهو والاغانى مهما كانت متعارضة مع الاخلاق وروح الدين. وهكذا صاروا ينظمون هجمات تبشيرية. . وينشرون افكارا مضللة وينظمون محاضرات ثقافية مدسوسة ويبثون افكارا إلحادية دخيلة.

لقد بلغت هذه التخطيطات التى كان يبيتها الاستعمار والصليبية تحقيق بعض اهدافها فبعد الاستقلال السياسى لبلادنا الاسلامية وجدنا انفسنا امام عدة مشاكل ترك فينا سمومها الاستعمار. . مشاكل لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة فى بلادنا ولكنها تعم كثيرا من الجوانب. . فالمقاييس التى كان يسير عليها مجتمعنا الاسلامى بدلت بمقاييس اخرى دخيلة والمفاهيم التى تعتبر الاساس الاول فى تكوين شخصية المسلم تغيرت لدى الكثيرين من الشباب المثقف ومجتمعنا اصيب بتدهور فى اخلاقه وبلبلة فى افكاره وشبابنا اصبح يعتنق اراء بعض المذاهب المادية التى تتصادم مع معتقداته الاسلامية ودعائم التربية صارت تتساقط الدعامة بعد الاخرى والجانب الروحى فى تكوين اجيالنا ضعف وصار يفقد مفعوله فى توجيه وتكوين هذه الاجيال ولغتنا العربية ابعدت عن تسيير شؤون الادارات والمؤسسات وقوانيننا بقيت فى معظمها بعيدة عن الخط الاسلامى ومناهج تعليمنا اقتبست من المناهج الغربية حتى اصبحت مناهج علمانية رغما عن وجود حصص فى التربية الاسلامية وثقافتنا بصفة عامة فقدت اصالتها ومفاهيمها الحقيقية.

ان الانحلال الذى اصاب المجتمع الاسلامى يرجع الى سببين رئيسين فهو من جهة يرجع الى عوامل الجمود والدعة والتخلف التى اصابت العالم الاسلامى فى القرون الاخيرة. . وهو من جهة ثانية يرجع الى التخطيطات التى وضعها الاستعمار والصليبية ضدا على الوجود الاسلامى

وعملا على طمس معالمه والقضاء على مقوماته ودعائمه. فاذا ما اردنا بناء نهضتنا على اسس قويمة فعلينا ان نعيد النظر فى الخطوط التى تسير عليها حياتنا لتتجه الوجهة الصحيحة فى بناء كيان مجتمعنا الاسلامى ولنحافظ على ذاتيتنا وشخصيتنا واصالتنا.

واول ما يجب النظر فيه بجد هو مراجعة التكوين الثقافى فى بلادنا الاسلامية.. فبعد مفارقة الاستعمار لديارنا بقيت رواسبه الفكرية متجذرة فى عقول وقلوب كثير من المثقفين.. وبقوا مصرين على ان الثقافة الغربية هى الثقافة الجديرة بالاعتبار مع ان الثقافة الغربية ذات جذور ومفاهيم خاضعة للتطورات التى وقعت فى الغرب - المسيحى ولا يسوغ لنا ان نأخذ بها اخذا اعمى لانها ستجرنا حتما الى الغرب وتبعدنا عن شخصيتنا وحقيقتنا الاسلاميتين.

والنظام الثقافى الذى نهدف اليه يجب ان يغيّر من تفكيرنا المقلد ويرجعنا لتفكيرنا الاصيل الذى يستمد حقائقه من المفاهيم الاسلامية.

ويجب ان اؤكد هنا اننا من الذين يميزون بين الثقافة والعلم: فالعلم حصيلة مشتركة وليس مختصا بأمة دون اخرى. اما الثقافة فهى شيء خاص.. فلكل امة ثقافتها الخاصة بها تتميز عن غيرها بكثير من المميزات وتطبع بطابع لا يكاد يفارقها. وتختص بمفاهيم لا توجد فى غيرها من الثقافات الاخرى.

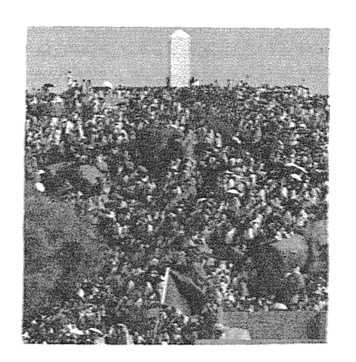
فللثقافة الاسلامية مفاهيمها الخاصة وهذه المفاهيم تعتبر الركيزة الاولى التى ينشأ عليها الانسان المسلم مفاهيم تعتمد الاسلام اساسا فى تكوين المثقف المسلم سواء من حيث عقيدته التى يدين بها او اعماله وتحركاته التى يتصرف بها فى الحياة او اخلاقه التى يسير على ضوئها فى تعامله مع نفسه او مع الاخرين.

والثقافة الاسلامية ثقافة مؤمنة تربط الانسان المسلم بخالقه وتدفعه الى ان يفكر دائما بانه مراقب من قوة عليا تدعوه الى عمل الخير ونشدان الكمال.. واستعمال الفكر.. والتدبر فى اسرار الكون.. وتطهير القلب من الادران.

● والمثقف المسلم يستمد تعاليمه من القرآن الكريم وسيرة الرسول الامين ويعتبرهما المصدرين الرئيسين لكل تقدم فى الحياة وكل اصلاح للبشرية ولكل اعمال الخير.. فوفقا لتعاليمها يعبد الله ويوحده ويطلب العلم ويتفوق فيه وينشد المعرفة ويستعمل الفكر ويشحذ الذهن ويسير فى الارض ويكتشف المجهول.. ويتفكر فى خلق السماوات والارض.

والثقافة الاسلامية ثقافة موحدة تنشد الوحدة فى كل شيء: الوحدة فى الافكار.. فى المشاعر.. فى الاعمال.. فى القلوب.. فى الاوطان.. وهى تدعو الانسان المسلم الى ان يعمل جاهدا لتحقيق هذه الوحدة حتى يعيش جميع الناس موحِّدين وموحَّدين.. ومتعاونين متوازرين.. ومسالمين متحابين.

والثقافة الاسلامية ثقافة متفتحة تحافظ على الاصول وتتطلع الى الجديد وتنظر الى الثقافة الانسانية العامة نظرة التقدير فتأخذ منها وتعطيها وتتبادل معها وتنميها.. ولكنها فى جميع ذلك تحافظ على اصالتها وتشد بالنواجذ على مفاهيمها.. وتقف وقفة صارمة ضد كل مفهوم دخيل لا يتلاءم مع مفاهيمها - خصوصا المفاهيم النازعة الى الالحاد والمقدسة للمادة والسائرة فى إبعاد الدين عن الحياة.



لقد استطاعت الثقافة الاسلامية ـ ايام صعودها ـ ان توحد البلاد الاسلامية جميعها وتجعل منها كتلة متراصة يتجاوب فيها الافراد والجماعات تجاوبا حقيقيا ويفكرون تفكيرا واحداً رغم بعد المسافات وكثرة العوائق ولكن التواطؤ الاستعماري على القضاء على هذه الوحدة الفكرية والشعورية بين المسلمين ليسهل عليه فرض وجوده الثقافى والسياسى والفكرى. . وهكذا صار المسلمون طرائق قددا فى تفكيرهم وثقافتهم لا يتفاهمون فى قضاياهم الا قليلا نظرا لاختلاف نظراتهم الى تلك القضايا حسب التكوين الذى كُوِّنوا عليه والثقافة التى غزاهم بها المستعمر الدخيل.

اننا نرى ان «**الاسلامية**» اذا صح هذا التعبير هى الطريق الصحيح لتقويم حياتنا وتحقيق العدالة فى مجتمعنا فإذا ما دعونا لتغيير الاوضاع التى نعيش عليها. . وهى اوضاع لا تدعو الى الارتياح ـ فاننا نريد ان نردها الى اصالتها حتى نستمد اصلاحاتنا وتطوير مجتمعنا على اساس ما جاء به الإسلام فى مختلف الميادين.

ان اول عمل يجب القيام به لارجاع قطارنا الى سكته والاتجاه بحياتنا ومجتمعنا الى الخط الاسلامى وصبغ بلادنا بالصبغة الاسلامية الحقيقية هو تصحيح المنطلق فمنطلقنا يجب ان يكون منطلقا اسلاميا ولا يتيسر لنا ذلكم الا اذا آمنا ايمانا حقيقيا بان الحل الوحيد لمشاكلنا هو تمسكنا باسلامنا واتباعنا نهجه وايماننا بان الاسلام كدين يجب ان يكون الموجه لنا فى تسيير جميع شؤون حياتنا. لا نحيد عنه ولا نستفتى الا اياه سواء فى حياتنا الروحية والاخلاقية او فى معاملتنا الاجتماعية والاقتصادية او فى تكويننا الثقافى والسياسى والمذهبى.

ولكى نصل الى تحقيق ذلك يجب ان نراجع المفاهيم التى اصبحنا نتعامل على اساسها والمقاييس التى نسير فى حياتنا على ضوئها «فتحديد المفاهيم يعتبر الشىء الاول والضرورى لدى بناء كل نهضة وتطوير اى مجتمع لانه على اساس تلك المفاهيم ينطلق الاصلاح وتتضح معالمه وتبنى اسسه فى جميع ميادين الحياة(٩). . ويدخل فى مراجعتنا للمفاهيم مراجعتنا للمناهج التعليمية والتربوية ووضع نظام ثقافى لبلادنا يستجيب لمطامحنا وتطلعاتنا ويرجعنا لتفكيرنا الاسلامى الاصيل الذى يستمد حقائقه من المفاهيم الاسلامية الصحيحة. كما يجب وضع منهج متكامل للدعوة الاسلامية حتى نستطيع ان نخوض معركتنا الثقافية الاسلامية لدى مختلف الاوساط سواء فى المدرسة والكلية او فى الشارع والبيت ـ بمعنى ان معركتنا الثقافية يجب ان تعمم حتى يستفيد من مفعولها كل ابناء المجتمع على اختلاف طبقاتهم وتكويناتهم.

اننا نرى ان الاساس الاول الذى يجب ان يبنى عليه التعليم فى بلادنا يجب ان يكون تثبيت العقيدة فى نفوس جميع افراد مجتمعنا بحيث تتكون شخصيتهم الثقافية باهداف التعليم والتربية فى امة اسلامية يجب ان لا تصطدم بها اية نظرية علمية مناقضة لاننا مقتنعون ان الاسلام لا يمكن ان يصطدم بالنظريات العلمية اليقينية وانما يصطدم بالنظريات التى لم يثبت صوابها. ولذلك فانه لا يقبل ان نركز لكل نظرية مهما كانت تفاهتها فى عقول ابنائنا.

إن الاسلام حرر العقل من الاوهام. . واكد على ضرورة استعماله. . وفكه من القيود المفروضة عليه. . وامر المسلم ان يعقل ويتفكر ضمن نطاق ايمانه بالله وبما اتى به الرسول الامين. . وانه حرص على اقامة توازن بين تطلعات الفكر وتطلعات الروح مثل حرصه على التوازن بين القيم الروحية والقيم المادية. وفى هذا النطاق يجب العناية بالتربية الاسلامية والتوجيه الاسلامى والتعريف بالتراث الاسلامى وتوضيح التقاليد والعادات الصحيحة التى اتى بها ودعا اليها الاسلام.

إن الاسلام يدعو الى الاخذ من جميع انواع العلوم والاهتمام بدراسة مختلف اللغات حتى يتكون المتعلم المسلم تكوينا شاملا ويرتفع مستواه الفكرى والثقافى والعلمى فيخوض معركة الحياة مزودا بجميع الاسلحة الضرورية ويحقق لمجتمعه ما يطمح اليه من نمو وتقدم.

ولكن دراستنا لمختلف انواع العلوم يجب ان توضع فى القالب الصحيح الذى يحقق لنا اهدافنا فى تكوين الاجيال الجديدة. فاذا ما كنا نرى مثلا ان الدول الاشتراكية اثناء دراستها للمواد العلمية كالفيزياء والكيمياء تعتمد على اساس المنطق الجدلى والفلسفة الجدلية بحيث «تجعل دراستها تطبيقا لقانون تصارع الاضداد الذى تعتقد الماركسية انه قانون الحياة»(١١). . ان دراستنا لمثل هذه المواد ينبغى ان تربط القوانين الكونية بارادة الله وقدرته اتباعا لتعاليم ديننا وتطبيقا للاتجاه القرآنى فى النظر الى الكون.

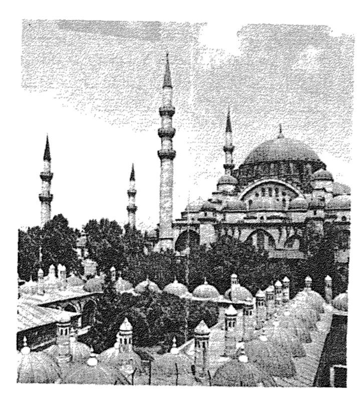
وما قيل فى مادة العلوم الكونية يقال فى غيرها من الفنون والعلوم كالفلسفة والتاريخ وغيرهما. بحيث يتكون الطالب المسلم وهو دائما مرتبط بفكره مع حقائق دينه وتعاليمه المثلى.

وحتى دراستنا للادب يجب ان يدخلها التوجيه والربط والتنسيق ـ فلا نختار من القطع والقصائد الشعرية الا ما يتلاءم مع الهدف الذى نرمى اليه. . ولا ننساق فنختار بعض القطع المائعة والاشعار المنحلة التى لا تفيد فى تكوين شخصية تلامذتنا. . وكذلك اثناء دراستنا لبعض الكتب والقصص يجب ان تكون اختياراتنا سليمة.

أنني اتذكر بهذه المناسبة ان اللجان التى اسست ببلادنا المغربية أوائل الاستقلال للنظر فى اصلاح المناهج التعليمية جعلت نصب اعينها هذه الاهداف عندما قررت مبدأ توجيه التعليم. واننا اثناء دراستنا لمنهج دراسة التاريخ والجغرافية مثلا وضعنا امام اعيننا ضرورة ربط امتنا بالمجموعة الاسلامية فرتبنا دراسة الاجتماعيات الى ما يلى:

اولا: تاريخ المغرب ـ المغرب العربى ـ الشرق العربى ـ العالم الاسلامى ـ الخ. بمعنى اننا كنا نرى ان التركيز يجب ان يتسلط على المجموعة الاسلامية باعتبارها مجموعتنا الاولى التى ننتمى اليها ونعتبر جزءا منها ـ وهكذا دواليك فى بقية المواد. . ولكن الرياح تجرى بما لا تشتهيه السفن.

أن اخطر ما ينتقد على مناهج تعليمنا هو خلوها من المنهجية الاساسية واعنى بها المنهجية التى تبنى على اساس العقيدة فتعليمنا اصبح خاضعا مع الاسف الشديد لمناهج غربية ففقدت روحها وضميرها حسب تعبير بعض المفكرين المسلمين.



يقول الاستاذ ابو الحسن الندوى امد الله فى حياته: «ان لنظام التعليم روحا وضميرا كالكائن الحى له روح وضمير. . ان روح نظام التعليم وضميره انما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم وغايتهم من العلم ودراسة الكون ووجهة النظر الى الحياة ومظهر لاخلاقهم وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة وروحا وضميراً بذاتيتها. ان هذه الروح هى التى تسير فى هيكله تماما انها تسرى فى جميع العلوم: فى الادب والفلسفة والتاريخ والفنون والعلوم العمرانية ـ حتى فى علمى الاقتصاد والسياسة بحيث يصعب تجريدها من هذه الروح».

واذا كان الامر كذلك فان من اول واجباتنا ان نرجع لمناهج تعليمنا روحها وضميرها حتى نقضى على التناقض الموجود فى تعليمنا اذا كنا نهدف الى تكوين متعلمين ومثقفين مسلمين يخدمون مجتمعنا الاسلامى ويتجاوبون

مع مطامحه ويسيرون فى حياتهم حسب النهج الذى تدعو اليه عقيدتهم فاننا مع الاسف نجد انفسنا امام اجيال تكون لاعلى هذا الاساس بل نرى الكثيرين من هؤلاء يغذون بمعلومات تخلق فى افكارهم صراعا قويا بين ما يدينون به وما يدرسونه وقد تعقب هذا الصراع ردة فكرية ينشأ عنها تنكر لكل المبادىء والقيم التى دعا اليها الاسلام الامر الذى أخافه لما له من عواقب التغريب.

وهنا يجب ان اشير الى المأساة التى لازالت بلادنا تعيشها بوجود ـ مدارس اجنبية ذات مناهج اجنبية ولغات اجنبية لتكوين طبقة من المتعلمين والمثقفين معزولة لا ترتبط مع عقيدتها ودينها وتقاليدها ولغتها باية صلة. . ونرى من حقنا ان نطالب بمنع انخراط اى فرد من مواطنينا فى سلك هذه المدارس. فاذا كانت اسست ليتعلم فيها ابناء الجاليات الاجنبية فلتبق خاصة بهم وليمنع من تعاطى التعليم بها اى فرد من مواطنينا المسلمين.

لقد اشرت الى ضرورة مراجعة مناهج التعليم مراجعة جذرية حتى تستجيب لمقتضيات ما يتطلبه منا واجبنا الوطنى والاسلامى ولكن ذلك وحده لا يكفى ولا يعطى النتائج المرجوة اذا لم نهتم ايضا بتأليف كتب دراسية تستجيب لهذه المناهج الجديدة وتوضع على اساس غرس الايمان والعلم والاخلاق فى نفوس ابنائنا كما ان الكتب لا تجدى نفعا اذا لم نصمم على إعداد معلمين واساتذة صالحين لا من حيث تكوينهم الثقافى فحسب ولكن من حيث تقويمهم الخلقى وعقيدتهم الصحيحة وضميرهم المهنى. . ان وضع المناهج السليمة وتأليف الكتب المستجيبة لتلك المناهج وتكوين المعلمين هى الشروط الاساسية لاصلاح كل تعليم.

ان اصلاح مناهج التعليم وما يتبعها من وضع الكتب واعداد المعلمين لا نعنى به نوعا خاصا من انواع التعليم وانما نعنى التعليم بجميع انواعه. . فالتعليم الجامعى محتاج بدوره لاعادة النظر فى مناهجه جميعها سواء منها الادبية والحقوقية والاجتماعية او غيرها بحيث يجب ان تشتمل هذه المناهج على القدر الضرورى الواجب على الطالب ان يكون ملما به فيما يتعلق بالاسلام وعقيدته واحكامه ونظامه وحضارته حتى يكون جو التعليم جوا ثقافيا اسلاميا وحتى تبقى مفاهيم ناشئتنا جميعها مفاهيم اسلامية.

وتحقيقا للاهداف التى نتوخاها من ضرورة اصلاح التعليم نقترح ان تتعاون جميع الدول الاسلامية على وضع نظام ثقافى اسلامى موحد يستجيب لمتطلبات امتنا الاسلامية ويصمد امام الثقافات الاجنبية الغازية والدخيلة.

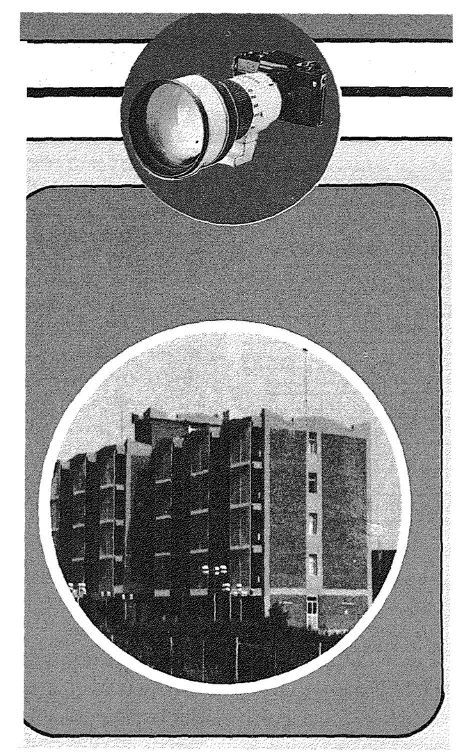
ان وضع هذا النظام او هذا المخطط الثقافى هو الذى سيصون ثقافتنا ويحميها. . وهو الذى سيوحد بين اجزاء امتنا الاسلامية ويجعلها تخوض معركتها بعزيمة وايمان وقوة. . وهو الذى يحدث وعيا اسلاميا فى نفوس كل المثقفين ويجعلهم يهتمون بقضايا الاسلام ويجابهون الاخطار التى تتعرض لها المجموعة الاسلامية فى مشرق الارض ومغربها.

وفى هذا المجال يجب التفكير فى وضع معلمة اسلامية جامعة تعرف بحقائق الاسلام وحضارته ورجالاته وتوضح مراميه واهدافه المثلى من خلال القرآن الكريم وما دعا اليه الرسول الامين عليه السلام ومن خلال اجتهادات المجتهدين المسلمين فى الاصول الاسلامية التى هى اصل التشريع.

ونرى ان وضع هذه المعلمة ضرورى واكيد ولانه سيقرب كثيرا من الحقائق الاسلامية الى نفوس وعقول ناشئتنا الاسلامية وسيجعل التعرف الى مبادىء الاسلام واصوله سهل المنال.

ولا يتيسر ذلك كله الا اذا انعقد مؤتمر للثقافة الاسلامية تشارك فيه نخبة من مفكرى المسلمين وعلمائهم وتدرس فيه شؤون التعليم والتربية والثقافة الاسلامية وتعميمها بين مختلف الاوساط الاسلامية.

والله سبحانه وتعالى من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.



الدين الاسلامى جاء لينير الدنيا باشعاعات الحق الوضاءة وليقيم حياة البشر على المنهج السوى الذى يغرس معانى الخير والمعروف فى الأفئدة المؤمنة به فتثمر خيراً وبركة للبشرية جمعاء.. ومن هذا المنطلق جاب دعاة الاسلام أقطار الارض ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور ومن حياة الجور والاستعباد الى حياة العدل والحرية..

ولكن الدعوة للاسلام لم تكن سهلة ولا طريقها معبداً ممهداً.. فهناك التيارات المضادة للدعوة الاسلامية فى كثير من بلدان العالم تناصب الاسلام والمسلمين العداء وما هو الا التعتيم على كلمة الحق وصدها.

وجاء الاستعمار الحديث ومن ورائه الصليبية والكنيسة العالمية.. وتبنت اولا غير المسلمين من الوثنيين واللادينيين وغيرهم.. بنت الكنائس وفتحت المعاهد والمدارس والملاجىء والمستشفيات لجذب هؤلاء البسطاء حتى من أبناء المسلمين أنفسهم فى محاولات جادة لـ (لتمسيحهم وتنصيرهم) وعلى أقل تقدير زعزعة تعاليم الاسلام فى داخلهم.. وباختصار كانت الكنيسة العالمية تجمع

منظمة الدعوة الاسلامية

إعداد
السماني كمال الدين

كانت القارة الأفريقية ـ بما لها من قوة بشرية.. وموقع متميز.. واراضر بكر.. وموارد كثيرة متعددة.. ومساحة شاسعة ـ هدفاً للهجمات الاستعمارية ومسرحاً للمد المسيحى مستغلا فى ذلك الخدمات والمعونات حتى تمكن من استمالتهم إليه وتعميق لغتهم.. وهذا الأمر ـ بداهة ـ اقتضى أن ينهض المسلمون لمواجهته حماية للعقيدة ونشراً للدعوة الاسلامية..

واستجابة لداعى الحق كان ضرورة انشاء كيان إسلامى متخصص للاضطلاع بعبء الدعوة الاسلامية فى افريقيا والتصدى للحملات الجائرة بذات الوسائل فجاء قرار إنشاء منظمة

فى قبضتها كل وسائل الانتشار.. ولعل هذا مما جعل مهمة الدعاة المسلمين صعبة للغاية فى البيئات غير المسلمة وغير الناطقة بالعربية.

وعامل المجابهة لحركة المد التبشيرى المسيحى يتطلب خططاً مدروسة ومعدة ومدعومة بما يستطاع من وسائل ايصال الدعوة.. فلم تعد أساليب الدعوة فى مفهومها الحديث مجرد خطب على المنابر فحسب بل هى اعداد كامل تستخدم فيها معطيات العلم الحديث ويسندها العطاء الخدق.. وتحقيقا لهذا الدور الرائد فى ابلاغ كلمة الحق فقد أنشىء وأسس عديد من المراكز والمنظمات الاسلامية فى كثير من الدول الاسلامية وغيرها لخدمة الدعوة الى الله سبحانه.. ومنها منظمة الدعوة الاسلامية بالخرطوم..

«تكونت منظمة الدعوة الاسلامية استجابة لداعى الله تعالى.. واختارت فور تكوينها أن يكون تخصصها التبشير بالاسلام بين غير المسلمين والجماعات المسلمة الناطقة بغير العربية.. كما اختارت أيضاً أن تكون القارة الأفريقية مسرحاً لنشاطها».



الدعوة الاسلامية فى الخرطوم فى رجب من فجر هذا القرن ١٤٠٠هـ الذى شهد صحوة اسلامية متنامية فى مختلف بقاع المعمورة.

أهداف المنظمة:

● نشر الاسلام عقيدة وشريعة فى أوساط غير المسلمين.. وترشيد الجماعات المسلمة من أجل تنمية الشخصية المسلمة القادرة على فهم عقيدة التوحيد والتعبير عن معانيها العميقة فى الحياة الفردية والاجتماعية..

● نشر روح التفاهم والتسامح بين الجماعات المسلمة واصحاب الديانات الأخرى..

● توجيه الجماعات المسلمة وتطويرها فكرياً وثقافياً وفقاً لتعاليم القرآن والسنة كمعيارين موحدين للفكر والشعور والممارسة الاسلامية.

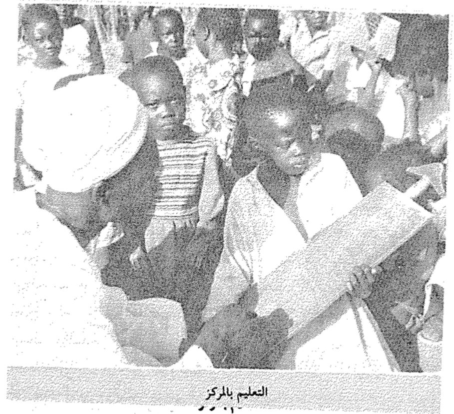
● الاسهام فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية والرعاية الصحية للجماعات المسلمة.

ولما كانت المجتمعات التى تعمل فى نطاقها هذه المنظمة مجتمعات تموج بمشكلات عويصة كالحروب.. والاوبئة والمجاعة.. والأمية والتخلف.. فإن مهمة المنظمة تصبح اكثر تعقيدا.. إعتمدت المنظمة أسلوب العمل المتكامل الذى تقوم بمقتضاه الدعوة الاسلامية مصحوبة بالخدمات الاجتماعية المختلفة التى يحتاجها الناس مثل التعليم والصحة ورعاية الطفولة والأمومة.

● وضعت المنظمة فى طليعة وسائلها نشر الاسلام وفقاً لخطط واستراتيجيات علمية على مراحل مبرمجة وعلى عاتق دعاة مؤهلين لذلك العمل عن طريق القيام بدراسات علمية ميدانية.. وتقوية الصلات بين الأفراد والهيئات والمنظمات الاسلامية العاملة فى مجال نشر الدعوة وتنمية المجتمع.. بالاضافة الى انشاء المؤسسات التعليمية والصحية والأندية والقيام بنشر الكتب والمطبوعات التى تحقق اهداف المنظمة..

إدارة المنظمة:

يشترك فى مجلس أمناء المنظمة أعضاء من: السودان ـ السعودية ـ الكويت ـ مصر ـ ليبيا ـ دولة الامارات العربية المتحدة ـ البحرين ـ قطر ـ شرق وغرب افريقيا.. وتضم فى عضوية مجلسها عدداً من الهيئات الاسلامية بصفة عضو مراقب.. ويتولى قيادة هذه المنظمة الاستاذ «مبارك قسم الله» المدير العام لها.. واستطاعت المنظمة أن تقدم من خلال هذه الادارات فى السنوات الستة الماضية ما يحتاج أداؤه إلى أضعاف ما لديها من إمكانات..



التعليم بالمركز

ولا يسمح حيز هذا الاستطلاع بالاطالة فى سرد منجزات هذه المنظمة ولكنا نكتفى بنماذج منها لعلها تلقى الضوء على طبيعة الاداء والانجاز فيها.

التعليم والدعوة:

ركزت المنظمة جهودها على التعليم فى مختلف اشكاله: التعليم النظامى من رياض الاطفال وحتى المرحلة الثانوية ـ والتعليم غير النظامى المتمثل فى تعليم الكبار ـ فصول محو الامية ـ مراجع المناهج التربوية ـ طبع مناهج خاصة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ـ برامج تدريب المعلمين.

أما قسم الدعوة فقد اهتم بنشر الاسلام بالكلمة الطيبة المسموعة والمقروءة والمرئية وبالقدوة الحسنة.. وعمل على نشر اللغة العربية وتبصير الدعاة بالوسائل الرشيدة والرفيقة لنشر الاسلام وتطوير وسائل وأساليب الدعوة بالتنسيق مع الهيئات المماثلة.. ويشرف قسم الدعوة على اعداد وتدريب الدعاة وإقامة المؤتمرات لتبادل الخبرات وتطوير مناهج العمل وبرامجه.. كما اهتم قسم الدعوة بمراجعة الكتب لتبين صلاحيتها وانشاء مكتبات للدعاة والجماهير فى المراكز والبعثات الاقليمية.

فريق التربية الرياضية بالمركز

وبالنسبة لحديثى العهد بالاسلام فقد أقامت منظمة الدعوة الاسلامية لهم دوراً اسمتها (دار المهتدين) فى كل بعثة اقليمية من بعثات المنظمة.. حيث تعلمهم اساسيات الدين من عقيدة وفقه وسلوك.. ويتبع لقسم الدعوة ثلاث وحدات رئيسية هى: المساجد ـ الحج ـ المرأة.. حيث تهتم الأولى ببناء المساجد والاشراف الفنى على مناشطها وبرامجها لتؤدى دورها المرسوم لها.. واستطاعت المنظمة بعون من الله سبحانه وجهود المحسنين من المسلمين بناء عدد كبير من المساجد فى العديد من المناطق.. أما وحدة شئون المرأة فقد اهتمت بتربيتها تربية دينية سليمة.

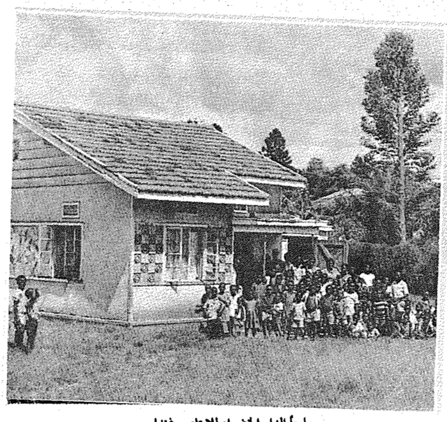
الشباب والطلاب:

يشكل الشباب حوالى ٦٠٪ من مجموع هذه المجتمعات.. والاهتمام بشأنه أمر حيوى وضرورى حتى لا يصبح نهباً للتيارات المناوئة للاسلام.. ولذا تقوم ادارة الشباب بتدريبهم وتأهيلهم وتوجيه طاقاتهم لخدمة مجتمعاتهم وتحضرها.. ويأتى ضمن ذلك إيفاد بعض الطلاب المختارين للدراسات الجامعية والعليا.

الإعلام والنشر:

ومن أبرز الاعمال فى هذا الجانب انشاء (مركز التركى للانتاج

الاذاعى والتلفازى) اذ تبرع بتمويل المرحلة الأولى منه معالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بتكلفة بلغت (٢٥٠) ألف دولار ويهدف المركز الى انتاج وتوزيع المواد السمعية والبصرية المتعلقة بنشر الدعوة الاسلامية وتبصير الرأى العام المسلم بكيفية مواجهة العمل المعادى للاسلام وتدريب الدعاة المسلمين على مختلف مهارات الاعلام وتقنياته وانتاج المواد الاعلامية التى تخدم الدعوة.



ملجأ الدار الخضراء للايتام بيوغندا

الوكالة الاسلامية الأفريقية للاغاثة:

مؤسسة متخصصة فى العمل بين اوساط اللاجئين نتيجة الحروب والضغوط السياسية والمتضررين من الكوارث الطبيعية والاجتماعية.. هذا إضافة الى اعداد الدراسات وتصميم المشروعات المتعلقة باعادة التوطين وإعادة اللاجئين والمتأثرين الى حياتهم الطبيعية.

وتعتبر هذه الوكالة المؤسسة الاسلامية الأولى من نوعها فى القارة الافريقية تعمل بين عدد ضخم من الوكالات الاجنبية والتنصيرية.. وقد تم تسجيلها عالميا كمنظمة استشارية مع الامم المتحدة.

● وللوكالة عدد من المشروعات فى كثير من دول القارة الأفريقية تتعلق باعمال الاغاثة والصحة والتعليم والزراعة وبعض المنشآت الاستثمارية.

● وفى الباكستان أقامت الوكالة للمهاجرين الأفغان مجموعة من العيادات الصحية ومركزاً لرعاية الامومة والطفولة ومركزاً لرعاية الأرامل وتدريبهن على بعض المهن كما تجهز مركزاً لتدريب الشباب الافغان.. وبالتعاون مع بعض المحسنين العرب انشأت الوكالة داراً للأيتام وتتبنى مشروعاً لكفالة الأيتام الافغان..

الجمعية الافريقية الخيرية لرعاية الأمومة والطفولة

نسبة لما يعانية كثير من اطفال افريقيا من تشتت وضياع نتيجة أسباب لا يد لهم فيها فقد أوجبت الضرورة الملحة قيام مؤسسة إسلامية متخصصة فى مجالات الأمومة والطفولة وكانت موافقة مجلس أمناء المنظمة فى اجتماعه الرابع ١٤٠٣هـ على قيام هذه المؤسسة.

● ومن ابرز المشاريع الخيرية التى تم انشاؤها مشروع قرية حنان للاطفال فى (أبو رخم) بتمويل من الجمعية

النسائية الاجتماعية الثقافية بالكويت ومجلة أسرتى الكويتية . . وتبلغ تكلفته الكسلية حوالى عشر ملايين دولار . . وأقامت أيضا مشروع (الدار الخضراء) للاطفال الأيتام فى كمبالا . . ولها مشاريع عديدة اخرى تحت التنفيذ

مشروع كافل يتيم:

مشروع انسانى تبنته المنظمة بتمويل من مشروع كافل يتيم التابع لبيت الزكاة الكويتى . . ويتبنى المشروع الكفالة من النواحى الصحية والتعليمية والتربوية وتهيئة السكن . . واتسع المشروع ليضم مجموعات من : السودان ـ الصومال ـ زنجبار ـ يوغندا .

●● وفى لقاء سريع مع الأستاذ سناده محمد سناده المسؤول المالى للمنظمة الاسلامية مستوضحاً فيه بعض النقاط المتعلقة بتمويل مشروعات المنظمة قال سيادته :

شارك ولا يزال يشارك فى التمويل كثير من المؤسسات والمنظمات والهيئات الاسلامية الخيرية . . الرسمية والشعبية . . من دول الخليج العربى والمملكة العربية السعودية والدول العربية والاسلامية والافريقية . . كما شارك أفراد خيرون أسسوا على نفقاتهم الخاصة مستشفيات ومراكز صحية ومدارس . . وغيرها من مشاريع الخدمات المتعددة . . من تلك الهيئات : رابطة العالم الاسلامى بالمملكة العربية السعودية ـ هيئة الافتاء والدعوة وعلى رأسها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ـ الندوة العالمية للشباب المسلم ـ بنك التنمية الاسلامى ـ الهلال الاحمر السعودى ـ لجنة مساعدة مسلمى افريقيا بالكويت ـ الهيئة المشتركة لتأسيس المراكز الاسلامية بطرابلس ـ ليبيا ـ بيت الزكاة بالكويت ـ الجمعية النسائية الاجتماعية ومجلة أسرتى بالكويت ـ جمعية الدعوة الاسلامية بليبيا ـ المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية/ الكويت . .

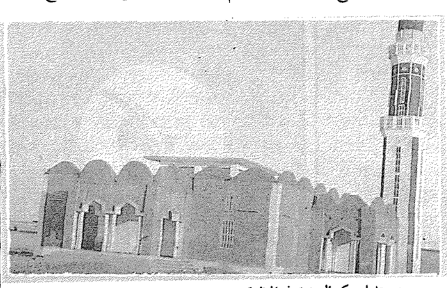
●● وللمنظمة استثمارات ثابتة فى داخل السودان وخارجه . . ولديها شركة **(دان فوديو)** الخيرية وتقوم باستثمارات على اسهم وقفية وهى تغطى نسبة ٤٥٪ من ميزانية المنظمة .

●● وللمنظمة عدد من المكاتب فى الدول الأفريقية منها: **مكتب تنزانيا فى (زنجبار) ويخدم هذا المكتب منطقة شرق أفريقيا . .**

وفى مقابلة مع الأستاذ عبد الكريم حسن مدير مكتب المنظمة فى تنزانيا أوضح ان المنظمة استطاعت بناء (عشر) مدارس لتحفيظ القرآن الكريم . . كما أرسلت بعثة من خبراء المناهج لوضع مناهج اللغة العربية والتربية الاسلامية . . كما قامت بتدريب المعلمين فى عشر مراكز فى زنجبار . . وتتولى طباعة الكتب المدرسية وغيرها من النشاطات التعليمية والخدمية .

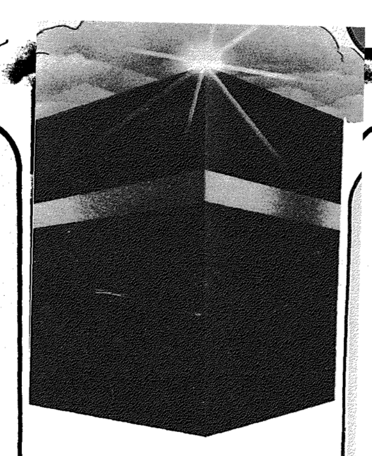
● ولها مكتب فى كينيا حيث تتركز فيه عمليات الاغاثة ومشروع اعادة توطين اللاجئين فى اوغندا . .

● وللمنظمة مكتب فرعى فى **(الشارقة)** ويمثل سفارة للمنظمة فى دول الخليج العربية ـ يوضح دورها وما تقوم به من اعمال خيرية اصلاحية فى افريقيا . . ويتلقى المعونات والمساعدات من المحسنين والهيئات الراغبة فى تمويل تلك المشاريع .



مسجد ابو بكر الصديق فى المنظمة

من ميراث الرسول







محمد يوسف مصطفى
مصر

تشكل الرسالة عنصرا هاما من عناصر عملية الاتصال . . فالقائم بالاتصال ينقل الى المتلقى معنى ما عن طريق الرسالة أى عن طريق مجموعة من الكلمات أو المعلومات أو الأفكار بغية تحقيق نوع من التأثير على آرائه واتجاهاته .

فالرسالة : هى الأفكار والمفاهيم والاحساسات والمهارات والاتجاهات التى يرغب المرسل فى اشراك المستقبل فيها(١) . كما تعرف الرسالة كعنصر من عناصر الاتصال بأنها الانتاج المادى الواقعى للمُصْدِر أو المُرسِل - فعندما نتكلم يكون كلامنا هو الرسالة وعندما نلوح تكون حركات أيدينا هى الرسالة مضافا اليها تعبيرات وجوهنا(٢) .

ولقد تميزت الرسالة الاتصالية الاسلامية التى صدرت عن النبى «ﷺ» ودعاته . . تستحث الناس على الدخول فى الاسلام وتشرح لهم فكر الدعوة الجديدة ومبادىء الاسلام وأخلاقياته وأوامر الدين ونواهيه . . تميزت بمجموعة من الخصائص والسمات نعرض لها على النحو التالى :

التشويق وجذب الانتباه

لضمان تعرض المستمع لكل ما يلقى اليه من كلام

في مجال الدعوة

وتعلقه به فان رسالة الاتصال يجب أن تتضمن ما يؤدى الى تشويق المتلقى وجذب انتباهه حتى يتابع الرسالة ويتعرف على مضمونها. وقد كان النبى ﴿ﷺ﴾ يحرص على أن يبدأ كلامه وهو يدعو بها يمكنه من الاستحواذ على انتباه المتلقى وتشويقه حتى يضمن سماعه للرسالة..

ففى مواجهة قريش بالدعوة يبدأ النبى بالاستفهام الذى يدل على التشويق والتنبيه «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج عليكم من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم تكذبوننى؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار. انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد»(٣). فالبدء هنا بأداة استفهام يحمل المتلقى على الاهتمام والمتابعة حتى يجد إجابة لسؤال ابتدأه به المتكلم.. كما أن النبى دعم هذا الاستفهام بأداة نداء وهى يا معشر قريش حتى يعيروه انتباههم ويقبلوا عليه «إذ أن النداء هو طلب الاقبال بحرف من حروف النداء»(٤).

ونجد النبى ﴿ﷺ﴾ فى مخاطبة أحد الوفود الآتية من يثرب يقول: «هل لكم فى خير مما جئتم له»(٥) ونراه كذلك يقول: «أفلا تجلسون أكلمكم»(٦) هنا يستحوذ النبى على انتباههم باستفهام للتشويق واثارة الانتباه. وواضح أنه صلى الله عليه وسلم يشرك المخاطبين فى التفكير وفى التطلع الى الجواب.. وفى ذلك تقدير لهم وبهذا الاستفهام تستقر الفكرة فى نفوسهم أكثر مما تستقر بالخبر العادى كأن يقول لهم «انى رسول الله اليكم». وبهذه الطريقة يعطى المتكلم للكلام حيوية تزيد من تأثيره ومن اقناعه لما فى الاستفهام من اثارة للسامع وجذب لانتباهه ليصل بنفسه الى الجواب.. دون أن يملى عليه كما حدث أن نطق أهل قريش بصدق النبى قبل أن يتحدث هو.. وكما حدث عندما أجاب الوفد اليثربى على سؤال النبى فقالوا: وماذاك.. فبدأ النبى يتكلم.

وهكذا كان النبى يعمد الى استحضار انتباه الحاضرين والسامعين لضمان سماعهم ومن ثم استيعابهم وفهمهم للنصائح والكلام. وكما يتحقق جذب الانتباه بالاستفهام فانه يتحقق عن طريق أدوات الاستفتاح(٧).. كما يتضح ذلك من قول الرسول عند البدء بألا الاستفتاحية «ألا أخبركم بخير الناس.. رجل مسك بعنان فرسه فى سبيل الله»(٨) وألا تفيد التنبيه وتجعل المستمع يتيقظ ويتأهب للسماع كما نسمع النبى يبدأ الكلام بالاستفهام الذى يفيد التنبيه والتشويق واثارة الاهتمام «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا أيبقى ذلك من درنه؟..

لا يبقى من درنه شيئا . قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»(٩).

وبالنداء المتبوع بالاستفهام يستحضر النبى ﴿ﷺ﴾ انتباه الأنصار ويعدهم لسماع كلامه . . ويدفعهم الى التطلع لمصدر الخطاب **«يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتنى عنكم»**(١٠).

وقد يجذب الانتباه ويستحضر الأذهان للسماع عن طريق ذكر المعنى اجمالا ثم متابعة ذلك الاجمال بتفصيل يوضحه كما يقول «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الامام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها . . وكلكم مسئول عن رعيته»(١١).

وذكر المعنى مجملا على هذا النحو يجعل النفس تتشوق إلى معرفته تفصيلا وتتطلع الى معرفة دقائقه . فإذا ذكر المعنى بعد ذلك تفصيلا استقر فى النفس وترك أثرا ثابتا لا يمحى(١٢) . . وخاطب مصعب بن عمير أسيد بن حضير بادئا باستفهام بالهمزة متبوع بالخبر قائلا له : أولا تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرنا قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره(١٣)، وهو يدفع المتلقى الى المتابعة والاستماع حتى يحكم على صدق أخبار المتكلم من عدمه .

وهكذا تأكد ما تعنيه الدراسات الحديثة من ضرورة أن يعطى المتلقى انتباهه للرسالة حتى يتم التعرف على مضمونها . . فلكى تؤدى الرسالة الاستجابة التى يهدف اليها المرسل يجب أن تجذب انتباه المستقبل(١٤) . حيث إن الاتصال الفعال يجب أن يتضمن عنصر جذب الانتباه .

مراعاة مصالح المتلقى

●● وتأكيدا للكلام السابق من أن الرسالة يجب أن تجذب انتباه المتلقى فانه يمكن القول بالاضافة الى ما سبق أنه ليس هناك شيء يضمن استحضار انتباه السامع وتعلقه بكلام أو برسالة ، ما أكثر من أن تحتوى الرسالة على ما يؤكد اهتمامها بمصالح هذا المستقبل «فالناس تتعلق بفكرة ما أو رأى أووجهة نظر عند ما يلمسون تأثيرا مباشرا على آمالهم وتطلعاتهم ورغباتهم»(١٥).

ولما كان الغرض من الاتصال هو التأثير فى الرأى العام وهذا يعنى التأثير فى آراء أفراد عديدين فان الطريق الأسهل للتأثير فى رأى الفرد هو أن نلجأ الى المصلحة الذاتية للفرد(١٦).

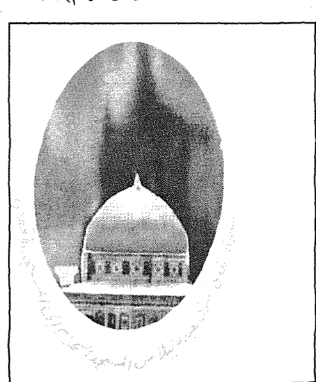
والاسلام ما جاء بتعاليمه وأوامره ونواهيه الا لما فيه مصلحة البشر. فليس هناك أمر فى الاسلام الا ويتحقق باتباعه مصالح الناس جميعا . . ولا نجد فى الاسلام نهيا الا وفيه حفاظ على الانسان ومراعاة مصالحه . وكان النبى ﴿ﷺ﴾ وهو يدعو يحاول أن يربط السامع بالكلام أو الرسالة عن طريق تأكيد تلاقيها مع مصالحه وآماله وتطلعاته . . القائمة على الايمان بالله غير المتعارضة مع عقيدة التوحيد ومنهج الرسالة .

●● ففى مواجهة قريش بالدعوة دعاهم النبى ﴿ﷺ﴾ الى الايمان بالله تعالى مؤكدا لهم أنهم ان كانوا يظنون أن فى اعتناقهم الاسلام خطرا على مصالحهم وقضاء على سيادتهم السياسية والاقتصادية والدينية فانهم واهمون - فلن ينزع منهم الاسلام مجدا كان لهم وانما ستستمر سيادتهم وسيحتفظون بولاء العرب لهم ولذلك كان النبى يقول : «أريد من قريش كلمة تدين لهم بها العرب أى تطيعهم وتخضع لهم»(١٧) . . هل تعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم(١٨).

فقد عرف أهل قريش أن ما جاء به محمد هو الهدى ولكنهم خشوا على سيادتهم وعلى جاههم وعلى

سيطرتهم . . وخشوا أن يطبقوا حدود منهج لا اله الا الله ووحدانية الله وهو أمر لا يتصورونه ولهم تلك السيادة ولهم ذلك الجاه ولهم ذلك(١٩) النفود ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾(٢٠).

فيرد الله عليهم مؤكدا أن مالهم من نفوذ سيبقى. وتضمنت الآية القرآنية رسالة تؤكد لهم أن مَنْ أمَّنهم واحتفظ لهم بالسيادة والجاه وهم عصاة ـ لوجود البيت الحرام عندهم ـ لا يمكن أن يتركهم ويدع الناس تتخطفهم وهم تقاة، فالله هو الذى منحهم الجاه والسيادة ولن يضيع منهم ذلك باسلامهم ـ فمهابتهم وسيادتهم فى الجزيرة لم تنشأ الا من هذا الحرم الذى هو الباقى من دين ابراهيم يحج اليه جميع سكان الجزيرة العربية . . وهو الذى جعل هؤلاء جميعا يخافون أن يتعرضوا لهم بشىء لأنهم سيجيئون عندهم فى يوم من الأيام. ولذلك رد الحق عليهم بقوله الذى تلاه محمد ﴿ﷺ﴾ على أسماعهم ﴿أوَلَمْ نمكِّنْ لهم حرما آمنا يُجْبَىَ اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾(٢١). . ﴿أوَلَمْ يروا أنَّا جعلنا حرما آمنا ويُتخطَّفُ الناسُ مِنْ حولهم﴾(٢٢).



وفى مخاطبة القادمين من يثرب

قال النبى لهم «هل لكم فى خير مما جئتم له» ومن هنا أصغت آذانهم لهذا الذى يحدثهم عن إمكانية وضع حد لمتاعبهم ويوفر عليهم مشقة وعناء البحث عن نصير أو حليف ويضمن لهم مستقبلا آمنا . . وليس هناك أهم بالنسبة لأى فرد من أمور تتعلق بمصلحته وأمنه ومستقبله . وكأنما أراد النبى أن يؤكد هذا المعنى للأنصار حتى بعد هجرته اليهم . . وأن يوضح لهم أن مصلحتهم تتطلب أن يختفى شبح الحرب من حياتهم وأن يتناسوا أياما سالفة ثارت فيها حروب طاحنة سالت فيها دماء غزيرة . . وأن عليهم أن يبدلوا حال الرعب والفزع بحال أمن وسلام . فقال لهم الرسول : «أفشوا السلام وصلوا الأرحام وأطعموا الطعام»(٢٣).

واستطاع النبى أن يحدث تلاقيا بين قيامه فى نشر الدعوة ومصالح أهل يثرب فى العيش الآمن والسلام . فاذا كان النبى يريد تمكين الاسلام فى المدينة واتخاذها نقطة انطلاق للدعوة وكان أهل يثرب يطمعون فى ازالة ما بينهم من عداوات وتنافر فانه قد التقت أهداف الرسول بمصالح أهل يثرب فتحالفا وتعاقدا على الاسلام وعلى التفانى فى نشره ونصرته(٢٤).

وفى مخاطبة يهود المدينة : حدثهم النبى وقبل أن يطلب منهم الايمان بما أنزل الله عليه ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم﴾(٢٥). . أجابهم الى مافيه مصلحتهم بوثيقة عقدها معهم . ولم يكن القوم أكثر استفادة من استقرار المدينة وأمنها من اليهود . . فلهم بها الزروع والثمار والمتاجر والذهب والفضة فأعطاهم النبى فى وثيقته «الضمان بأن لهم مافى المنطقة من مستعمرات غنية وتجارة يملكون قيادها وحصون مكدسة»(٢٦). . فأكد النبى بهذه الرسالة التى تتضمنها الوثيقة مراعاته لمصالحهم ولمطالبهم . . وكل ذلك فى حدود التشريع الإلهى .

وفى مكاتباته للملوك : كان صلى الله عليه وسلم يعلم أن من أهم الأمور التى تشغل أذهان الملوك بقاءهم على

عروشهم وربما فهم بعضهم أن ملكهم زائل عنهم. وفى رد المقوقس على (**حاطب بن أبى بلتعة**) ما يؤكد أن الملك أمر يعنى فى المقام الأول كل ذى عرش فقال المقوقس «**وأنا أضن بملكى أن افارقه**»(٢٧). وما كان النبى ينزع ملكا من أحد فهو ما جاء ليهدم العروش ويزيل الممالك ولكن النبى كان يريد من كل حاكم ألا يحجب الدعوة الاسلامية عن الرعية ومن أسلم منهم كان يوليه ويثبته..

●● وقد ورد فى كتاب النبى لجيفر وعبد ابنى الجلندى «إنكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما»(٢٨).. وفى كتاب النبى الى صاحب اليمامة ما يطمئنه على ملكه وسلطانه «أسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك»(٢٩).. وفى كتاب النبى لوائل بن حجر «ووائل بن حجر يترفل أى يتسود ويترأس على الاقبال»(٣٠).

وهكذا كان النبى يراعى المصالح ويركز عليها ويعمل على تحقيق مصالح الناس وحاجاتهم بجلب النفع لهم أو دفع الضر عنهم(٣١). ولعل النبى ﴿ﷺ﴾ وهو يهدم من جاهلية القوم الكثير من الأشياء ويستبقى من ماضيهم ما كان فيه مصلحة لهم انما كان يوضح لهم أن المصلحة هى الأساس ولو لم يكن الأمر كذلك ما أمر بشىء ونهى عن آخر. وقد أيقن بذلك المنذر بن ساوى وقال موضحا ما معناه: ان أوامر النبى ونواهيه لا يمكن أن يجد فيها الفرد تناقضا وتعارضا مع مصالحه.. فهذا النبى هو والله الذى لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو مانهى عنه أمر به(٣٢)

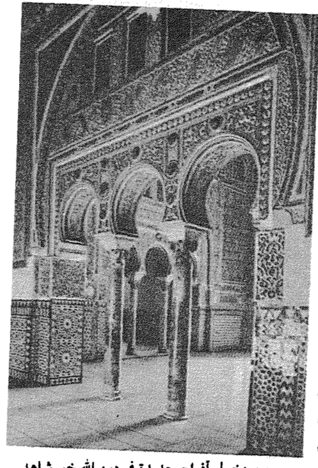
لقد أشارت الدراسات الحديثة فى مجال الاتصال الى ما عناه النبى ﴿ﷺ﴾ من تركيزه على اجابة مصالح الناس وتضمين رسالة الدعوة ما يدل على ذلك.. فتشير هذه الدراسات الى أن الرسالة الاتصالية يجب أن تحرك المصلحة الذاتية للمتلقى وتثيرها(٣٣) وأن هذه المصلحة الذاتية هى أقوى الأوتار التى يمكن أن تستعمل فى الرسالة(٣٤) وأنه كلما كانت الرسالة مراعية للمصلحة الانسانية وكلما كانت شخصية وتتحدث عن الناس كلما كانت فعاله(٣٥).

وحظى عنصر المصلحة باهتمام كبير فى العملية الاتصالية ـ فمصلحة المتلقين ينظر اليها على أنها عنصر على درجة عالية من الأهمية فى عملية الاتصال إذ أن عملية استقبال الرسالة تتأثر بما يعتبره المتلقون هاما بالنسبة لهم.. فهم يستمعون باهتمام أكبر الى الرسائل التى ينظرون اليها على أنها ذات أهمية بالنسبة لهم(٣٦).. وتجاهل هذا العنصر يمكن أن يؤدى الى فشل الاتصال فمحور المصلحة أمر هام فى الاتصال وقلة الاهتمام بمصلحة الجمهور فى موضوع ما يمكن أن يؤدى الى كارثة للاتصال(٣٧).

الهوامش

(١) فتح الباب عبد الحليم وآخر: وسائل الاعلام والتعليم: ص٧١.
(٢) محمد محمد البارى: البنيان الاجتماعى للعلاقات العامة: ص١٥١.
(٣، ٦، ١٨، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢) على برهان الدين الحلبى: السيرة الحلبية: ج١ ص٣١١، ج٢ ص٦، ١١٨، ج٣ ص١٥١، ٢٥٣ـ٢٥٥.
(٤) عبد الفتاح عثمان: محاضرات فى علم المعانى: ص٦٥.
(٥) محمد أبو زهرة: خاتم النبيين: ج١ ص٤٨٩.
(٧) مقابلة علمية أجراها الكاتب مع الدكتور كمال جعفر: فى ١٥/٧/١٩٨٠.
(٨) سيد سابق: فقه السنة: ج١١ ص٧٥.
(٩) أبو العباس زين الدين أحمد: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح: ج١، (بدون تاريخ) ص٥٠.
(١٠، ١٣) خالد محمد خالد: رجال حول الرسول: ص٥١٦.
(١١، ١٢) عبد القادر حسين، من بلاغة النبوة سلسلة دراسات اسلامية العدد ١٩١: ص٣٣.
(١٤) على عجوة: الأسس العلمية للعلاقات العامة: ط٢ (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٨) ص١٧٨.
(١٥) Doug Newson and Alon scott. The is publicjrelations california: Wadsworth publishing, 1976,p. 35.
(١٦) Lawrence Nolte, op. at., 102.
(٢٣) Cutlip and conter, Effective public Relations: thirded, New york prentic-Hall, Snc, 1964, P. 147.
(٣٤) Lawrence Nolte, op.cit., p.123
(٣٥) Op. cit,; p.329.
(٣٦) Daleyader, personnel Management and Industrial

من رياض الدعوة



■ أستطيع أن أؤكد لكم ان الصحوة الاسلامية موجودة وتمثل الأمل الأعظم لدى كل مسلم فى العودة الى الاحتكام الى تعاليم الله سبحانه وتعالى. وهذه الصحوة لم تكن إلا نتيجة حتمية لجهاد علماء ومفكرى الاسلام.

ومن المفيد أن يدرك المسلمون الذين يعايشون الصحوة الحاضرة أن هناك أعداء لهم يتربصون بهم الدوائر ويرصدون تحركاتهم ويحسبون عليهم كل فعلة صغيرة كانت أو كبيرة بغية الايقاع بهم والنيل منهم.

والواقع أن الصحوة الحاضرة لا تخص جماعة من المسلمين دون جماعة أخرى وانما الاشعاع الاسلامى ونور الدين الحنيف يمتد الى المجتمعات الأخرى غير الاسلامية ويغزو قلوبا وعقولا أعيتها نظم المادية والمذاهب الالحادية. ولعل ما تشهده الأيام مع كل صباح من دخول أفواج جديدة فى دين الله خير شاهد على هذا.

وأفضل دعم وأكبر عناية بالصحوة الاسلامية المعاصرة انما يتمثل فى ترشيدها بعيدا عن التزمت والضيق والمغالاة أو التفريط والافراد.

«د. مصطفى كمال التازى»
مدير عام الدعوة بتونس

Relations New Delhi: Hall of India Private Limited, 1975, p. 574.

(٣٧) John Makay and thomas sower, speech Comminication Now: V.S.A, chorles Merrill publishing company, 1973, p.56

(١٧) كامل سلامة الدقى: من روائع الأدب النبوى: ط٢ (جدة) ص١٥٨.

(١٩) محمد متولى الشعراوى: قضايا الفكر الاسلامى المعاصر: ط١: ص٣٨٦.

(٢٠، ٢١) القصص: ٥٧.

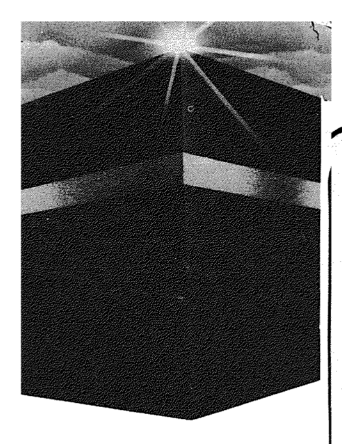
(٢٢) العنكبوت: ٦٧

(٢٤) على ابراهيم حسن: التاريخ الاسلامى العام: ج١ ص٢٣٥.

(٢٥) البقـرة: ٤١.

(٢٨) دكتورة عائشة عبد الرحمن: مع المصطفى فى عصر المبعث: ص١٤٣.

(٣٣) محمد يوسف: من أخلاق الرسول: ص٣٦



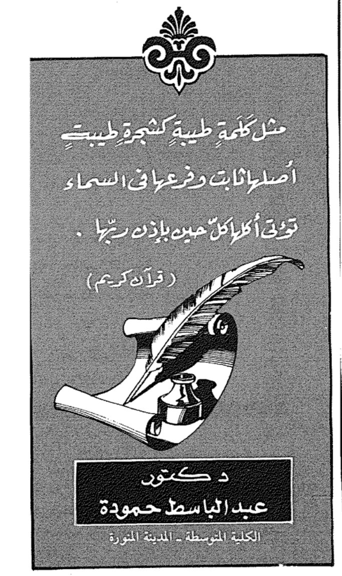


أثر الخطابة

الخطابة فن أدبى له جلاله وشأنه وخطره فى كل عصر ومجتمع وهو من الفنون القديمة فى الأدب العربى.. ومن خلال رحلته الطويلة فى العصور المختلفة ظهر قدره وأثره بين العلماء والأدباء والساسة وأرباب الدعوات.. وإن قد اعتراه بعض الكساد والفتور فى بعض العصور فإنما ذلك يرجع الى ظروف لا تتصل بهذا الفن الرفيع.

وقد عرف العرب فى القديم مكانة الخطيب وأقروا له بالفضل والتقدم على الشعراء لأنه يقصد بالخطابة أشراف الناس وعلية القوم.. وينأى عن الهجو والشتم والاسفاف والسوقية.. ويتسامى عن التكسب العاجل أو الآجل.. قال أبو عمرو بن العلاء: كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم.. ويهول على عدوهم ومن غزاهم.. ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم.. ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم. فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر(١).

واهتم الاسلام بالخطابة وأعلى من قدرها فجعلها ركنا فى صلاة الجمعة لا تصح إلا به.. ورفع من قدر صلاة الجمعة وثوابها لأنها توحد بين المسلمين وتجمع أخوتهم



دكتور
عبد الباسط حمودة
الكلية المتوسطة - المدينة المنورة

الخطابة الدينية في المجتمع المعاصر

وتذكرهم بما فيه خيرهم وتحذرهم مما فيه شرهم من خلال موعظتها الأسبوعية.. وكذلك فى صلوات العيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء.. والخطابة معلم هام فى مناسك الحج عندما يجمع المسلمون الظهر والعصر قصرا فى عرفات اقتداء برسول الله ﴿ﷺ﴾ الذى ألقى خطبة الوداع لتكون منهجا وسلوكا ينير طريق المسلمين فى حياتهم من بعده.. والتزم الخلفاء والأمراء بالخطابة بعد بيعتهم.

ومن هنا حفلت كتب التاريخ والأدب بالكثير والكثير من أعلام الخطباء وأفردت صفحات عديدة لتسجيل هذه النصوص. ويكفى أن نشير فى هذا المجال الى كتب البيان والتبيين للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة.. والعقد الفريد لابن عبد ربه.. فتحدثوا عن صفات الخطيب التى تسهم فى انجاح الخطابة ومنها عدم التكلف والتشادق وحشد الغريب من الألفاظ وتجاهل حالة السامعين ـ لأن الخطابة تلخيص المعانى والترفق فى إيصالها عن طريق الطبع والدربة وتخير الألفاظ التى تعرب عما فى نفس الخطيب ويستوعبها الجمهور ويفهمها.

ومما يذكر فى هذا المجال أن بشر بن المعتمر مر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكونى «الخطيب» وهو يُعلِّم فتيانهم الخطابة فوقف بشر يستمع فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو يكون رجلا من النظارة. فقال بشر: أضربوا عما قال صفحا.. واطووا عنه كشحا.. ثم دفع إليهم صحيفة من تنميقه وتحبيره منها قوله: وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك الى التعقيد ـ والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين ألفاظك.. ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف.. وكن فى ثلاث منازل: وإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا.. ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا.. وما يجب لكل مقام من المقال.. فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مدخلك واقتدارك على نفسك على ان تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الألفاظ المتوسطة التى لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام[٢].

●● وهذه الأمور مستلهمة من هدى النبى ﴿ﷺ﴾ فهو القائل: (إياى والتشادق) وقوله (أبغضكم إلىّ الثرثارون المتفيهقون). وقال أيضا (من بدا جفا).. والمقصود من ذلك ترك المبالغة والتكلف والتوسع فى الكلام بما يخرجه من المألوف الى التنطع ومجاوزة الحد. وقد قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لمعاذ رضى الله عنه حين طول الصلاة بالجماعة (أفتان أنت يا معاذ). وعن على رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال (حدثوا الناس بما يعرفون.. أتحبون أن يكذب الله ورسوله ﴿ﷺ﴾)[٣].

●● ولا يعنى ذلك أن تكون الخطابة بلغة سوقية أو عامية

مبتذلة لأن الخطابة وخاصة الدينية لها جلالها النابع من لغة القرآن الكريم فإذا نزلت الى العامية سقطت وفقدت المهابة والجلال. . ويمكن إدراك هذه الغاية بسعة الاطلاع والتزود بكل ألوان الثقافة الخاصة والعامة والاستعانة بالقصص وروايات التاريخ القديم والحديث ومحفوظ كلام الشعراء والحكماء فإن ذلك يكسب قوة البيان وطلاقة اللسان.

●● ويحسن بالخطيب أن يلم بعلم النفس والاجتماع ليحيط بنفسيات المستمعين ويتعرف على مشاكلهم حتى لا يكون فى وادٍ غير واديهم وعصر غير عصرهم وعندئذ لا يصل الى قلوبهم ولا تجديه قوة البيان وكثرة المحفوظ وأنواع الثقافات. . وإذا ألم المتحدث بنفسياتهم وعرف مشاكل مجتمعهم وصل الى مكنون قلوبهم بالايماءة والاشارة اللتين تشتركان من اللفظ وتعينان عليه وتملك ناصية البيان.

والخطيب لابد له من موهبة تعينه الى جانب شخصيته السوية الجامعة للصفات الخلقية والخلقية وفى مقدمة ذلك سلامة النطق: فهى من المؤثرات الخارجية فى الخطابة فالصوت وقوته وحسن مخارج الحروف وهيئة الخطيب وسمته. . والارتياح الى منظره. . والتوقيت فى استخدام الحركات الجسمية باليدين أو الرأس أو غيرها من لوازم الفن الخطابى لأن الخطيب ـ فى عصرنا الحديث ـ قريب الشبه بالممثل الذى يتحرك أمام الناظرين فيؤثر بحركاته كما يؤثر بكلماته والأمثلة كثيرة لخطباء شهدهم العصر الحاضر ونشاهدهم فى أجهزة الاعلام يؤدون أدق المعانى عن طريق الحركات وقد قال الشاعر(٤):

أشارت بطرف العين خيفة أهلها
إشارة مذعور ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا
وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال الآخر:

وللقلب على القلب
دليل حين يلقاه
وفى الناس من الناس
مقاييس وأشباه
وفى العين غنى للمر
ء أن تنطق أفواه

وقال آخر حول هذا المعنى:

العين تبدى الذى فى نفس صاحبها
من المحبة أو بغض إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتة
حتى ترى ضمير القلب تبيانا

●● ومن النصوص التى اعتمد الخطيب فيها على الاشارة وأدت المعانى التى يريدها خطبة مصعب بن الزبير حين قدم العراق فصعد المنبر ثم قال: (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون، إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يُذَبِّحُ أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين**﴾ وأشار بيده نحو الشام ﴿**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**﴾ وأشار بيده نحو الحجاز ﴿**ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**﴾ وأشار بيده نحو العراق.

وتسامح القدماء فى بعض العيوب التى تبدو فى أجسام وأشكال الخطباء مما قد ينفر السامعين فيقطع حبل الاتصال بهم والانسجام والتعاطف فيما بينهم ومن ذلك دقة الرأس واعوجاج الأنف واسترخاء الأذن. . وتراكب الأسنان وسعة الفم. . وميل الذقن وبروز الوجنة وعور العين. . واعوجاج الرجلين وغير ذلك. . ولكنهم عابوا بعض الصفات التى تتصل بالنطق ومخارج الحروف وتعطل ملكة الخطابة وآلة البيان مثل: نزع الثنايا فقد قال عمر رضى الله تعالى عنه فى سهيل بن عمرو الخطيب (يارسول الله انزع ثنيته حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك

خطيبا أبدا) وإنما قال ذلك لأن سهيلا كان أعلم من شفته. ولما شد عبد الملك أسنانه بالذهب قال: لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت(٥).

ومن عيوب البيان ما يؤثر على مخارج الحروف كالصفير واللثغ والتتعتع والتلجلج والفأفأة والتهيب.. وكثرة النظر والتطلع فى أعين الجماهير.. وخفض الصوت وإهمال مظهره الخارجى.. وإلقاء الكلمات جزافا دون تخير وعناية بما يقوله لاقناعهم وأهم ما يكره فى الخطيب أن يكون قوالا متناقضا فى أفعاله مع قوله.

وثبت من الروايات أن خطب رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان اكثرها يبدأ بقوله (الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه.. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.. من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ووجد فى بعضها (أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته). وفى خطبة أخرى بعد حمد الله والثناء عليه: (أيها الناس: إن لكم معالم فانتهوا الى معالمكم.. وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم.. الخ) وكانت خطب العيد تفتتح بالتكبير وتكبير الامام قبل أن ينزل عن المنبر أربع عشرة تكبيرة(٦).

وتقوم خطب النبى ﴿ﷺ﴾ على إصلاح الوازع الدينى وتنقيته وسلامة العقيدة.. وعلاج المجتمع من الخلل فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم وغير ذلك - فإن الخلل يأتى من نسيان الجزاء والعقاب فى الآخرة وإقامة الحدود والزواجر فى الدنيا. ولعل ما روى عن أول خطبة لرسول الله ﴿ﷺ﴾ فى المدينة المنورة ما يؤيد ذلك فقد جاء فيها: (أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن - والله - ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه - ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه - ألم يأت رسولى فبلغك؟ وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر قدامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإنها بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف).

فدعائم الارشاد فى خطب رسول الله ﴿ﷺ﴾ تقوم على الترغيب والترهيب وعرض صور الموقف فى الآخرة حيث ما من دار إلا الجنة أو النار وما مقام الانسان فى الدنيا إلا بمشابة راع يرعى غنمه ويموت فجأة ويدعها ثم يواجه مصيره فى الآخرة.. وما أصعب الموقف حين يخاطبه ربه ويسأله فيما مَنَّ عليه من النعم وفضله بالعلم والعقل فماذا قدم لمثل ذلك الموقف؟.. وصورة الانسان وهو ينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر أمامه ويفتح عينيه على الحقيقة وهى جهنم صورة مفزعة.

ويرغب النبى ﴿ﷺ﴾ فى فعل الخير ولو كان قليلا بمقدار شق تمرة، فإذا لم يجد فبكلمة طيبة فإنها حسنة والحسنة بعشر أمثالها.

ولو علم الناس قيمة الكلمة ووزنوها بميزانها الصحيح فى شريعة الله لقوى شأنها وشأن أصحاب النتاج الأدبى والعلمى فى المجتمع الاسلامى وخاصة المتأدبين بالثقافات الملتزمة بكتاب الله وأدب رسول الله ﴿ﷺ﴾.

ولا يظن أحد أن المنبر قاصر على أصحاب الوعظ الدينى.. فهو فى المقام الاول لولىّ الامر يوجه الناس والأمة ويقدم لهم النصح والارشاد فى دينهم ودنياهم بكل ألوانها السياسية والاجتماعية.. ويخطط لجهاد الأعداء ومسالمتهم إذا كان فى ذلك مصلحة الجماعة.

والخطابة الدينية نتاج أدبى رائع له وزنه وقيمته الخالدة لاشتماله على شريف المعانى والأفكار وتدفق العواطف وصدقها وتخير الألفاظ وجمالها مما يرفع من قدره ويعلى من شأنه فى الحاضر والمستقبل.. ولذلك جعل الاسلام للخطابة أهمية فى انتشال البشرية من ضعفها أمام الماديات

وتذكيرها بالباقيات الصالحات والمثل العليا التى ترفع البشرية وتسمو بها الى مافيه تطوير الحياة وازدهارها ولذلك قيل: «الأدب والفن المنبثق من التصور الاسلامى أدب وفن موجه بحكم أن الاسلام حركة تطوير مستمر للحياة»(٧).

وقد خطت الخطابة فى العصر الحديث خطوات واسعة وتعددت أغراضها نتيجة للعوامل والظروف التى جاءت بها النهضة والحضارة فى هذا العصر ـ فكانت الخطابة القضائية والنيابية والسياسية والاجتماعية والعلمية والدينية وغيرها. وبرز دور الخطابة الدينية بسبب تصديها لتيارات الفساد والالحاد التى ارتدت أثواب المدنية والحضارة والمذاهب التقدمية ـ فكان لابد من نشر التوعية والثقافة والدفاع عن الأخلاق والدين من فوق المنبر. وغدت الخطبة المسجلة تنتقل بين الخاصة والعامة بسرعة أكثر من الكتاب المطبوع وأقيمت لها المكتبات فى كل مكان.

ومما ساعد على ذلك الاقتناع من خلال التجارب أن الدين أداة فعالة لردع الرذيلة ومقاومة المذاهب الاجتماعية والسياسية الهدامة أو الهيمنة والدجل باسم الدين ومقاومة أطماع المستعمرين والتصدى للطغيان السياسى والاستبداد الرأسمالى وغير ذلك مما حواه النظام الاسلامى. . ومن هنا كان أعداء الاسلام يحاولون طمس هذه الجوانب ويقللون من شأن الخطابة الدينية ويعزلونها عن الفنون الأدبية الرفيعة.

وفى الحياة المعاصرة ظهرت أهمية المحاضرات والخطب والأحاديث والتوعية الدينية وبدت كسلاح يؤرق كل من يحيد عن جادة الصواب واتخاذ غير سبيل المؤمنين وأصبح بعض الدعاة ـ ممن ألهموا فن الالقاء والتحدث الى الناس لخصائصهم الفنية والثقافية لا يرضون بأرقى المناصب وأعلاها بديلا عن دعوتهم لأنها بوأتهم مكانة أدبية وروحية لم يحققها الجاه والسلطان وأصبح لبعضهم جمهور يستمع اليهم ويتابع نتاجهم يزيد عن عشرات الملايين ويستمع إليهم فى خطبة الجمعة أكثر من ثلاثين ألفا من المصلين.

والخطابة الدينية تشرق فأفكارها وموضوعاتها التى تجتث الفساد الاجتماعى وتسعى الى خير الناس جميعا دون التركيز على حزب أو طائفة مما يعطيها المثل الأعلى فى التجرد عن المظاهر الكاذبة والعصبية الممقوتة. . وبهذا أيضا تتميز عن ألوان الخطب الأخرى كالسياسية والاجتماعية لأنها تعنى مصالح المسلمين فى كل مكان. بل لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إنها تعنى صلاح الانسانية جمعاء(٨).

والخطيب الناجح هو الذى يختار موضوعه ويجدده بما يتلاءم مع نفسيات المستمعين وواقع زمانهم ومكانهم حتى لا يملونه أو ينصرفون عنه بأذهانهم وعقولهم ـ أو يبتعدون عنه بأجسامهم لأنهم لا يتوقعون منه جديدا أو إضافة الى معلوماتهم ونشير فى هذا المجال الى كلمات لأمير الشعراء أحمد شوقى(٩) يقول فيها لخطيب الجمعة: «إنما نبت للوعظ والارشاد وتعليم العلية والسواد. . فماذا عندك للأتقياء من الأغنياء. وماذا أعددت للتاجر من الوعظ الزاجر؟ وما الذى بذلت للعامل والصانع من لفظ رائع ووعظ جامع؟ . . وهل ذكرت للعامة أن ضرب النسوة من القسوة؟ وأن البغى بالطلاق يمقته الدين والأخلاق وأن الطفل من حقه أن يهذب لا أن يضرب ويعذب. . أم أنت كما زعموا ببغاء لم تحفظ غير صوت تردده الى الموت. . كلمات محفوظة (فى كل ملفوظة. . سيف من خشب وخطوب فى صورة خطب).

تلك هى ملامح الخطابة وما ينبغى أن تكون عليه فى المجتمع المعاصر. فهى رسالة غالية إذا أمكن الاستفادة بها فى المناسبات الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها. . وليس من قبيل الصدف أن يجعلها الاسلام منسكا إسلاميا تتجدد بها الحياة وتنمى الثقافة الرفيعة. . وتدعم القيم والأخلاق وتكبح جماح الفساد والرذيلة ـ فيسود الأمن والاستقرار والحق والخير والفضيلة.



■■ اجتماع المسلمين فى المساجد ايام الجمع مقصود به دراسة احوالهم واوضاعهم والتعرف على مشاكلهم.

والحقيقة ان هناك الكثير من المساجد تعانى من عدم توفر الامام والخطيب الكفء القادر على التأثير فى مستمعيه.

وهناك الكثير من الخطباء يعتمدون القوالب التقليدية للخطبة ويبتعدون عن قضايا الساعة التى تشغل اذهان الناس.

واعتقد ان الجامعات والمعاهد الاسلامية تقع عليها مسئولية اعداد الخطباء وتدريبهم وان كنا نلاحظ ان اقبال شبابنا للأسف على هذا العمل ضعيف للغاية. وقليل من الأسر يمكن ان يقتنع بهذا العمل اما لأسباب مادية. او لأسباب مظهرية، لأن كثيرا من الناس ينظر الى ائمة المساجد نظرة غير مرضية..

ولا شك ان مشاكلنا تتطور مع العصر وينبغى ان يتطور فكر واسلوب خطباء المساجد تبعا لهذا التطور. والاسلام لم يترك شيئا الا ووضع له العلاج والحلول.

الشيخ احمد صلاح جمجوم
رئيس جمعية القرآن الكريم

■■ الملاحظ ان معظم خطباء المساجد لم يتخرجوا اساسا من كليات او معاهد الدعوة والبعض ممن تخرجوا من كليات ومعاهد الدعوة لم يؤهلوا فنيا للقيام بهذه المهمة. وهناك القليل الذى يقدر هذه المسئولية ويشعر انه كداعية يحمل امانة وعليه رسالة يجب ان يقوم بها.

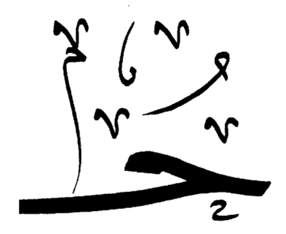
وهذا العدد القليل للأسف لا يمارس الخطابة فى المساجد حيث تختطفه الوظائف البراقة حيث اغراءات المنصب والمادة ايضا.

ولعله من السهل ان نجد الاف المثقفين ولكن من الصعب جدا ان نعثر على الداعية المتمكن الذى تتوفر فيه الحكمة والموهبة والاستعداد للخطابة.

الشيخ حسن ايوب
المحاضر بمعهد الائمة والدعاة

الهوامش

(١، ٤، ٥) الجاحظ: البيان والتبيين ج١ ص٢٤١، ص٧٨، ص٥٥-٦٠.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٤ ص٥٥
(٣) النووى: الأذكار ص ٢٨٦
(٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار المجلد الثانى ص٢٣١.
(٧) سيد قطب: النقد الأدبى ص١٠٠.
(٨) د. عبد الباسط حمودة: النثر الفنى الحديث ص١٧٣.
(٩) أحمد شوقى: أسواق الذهب ص٩٣.

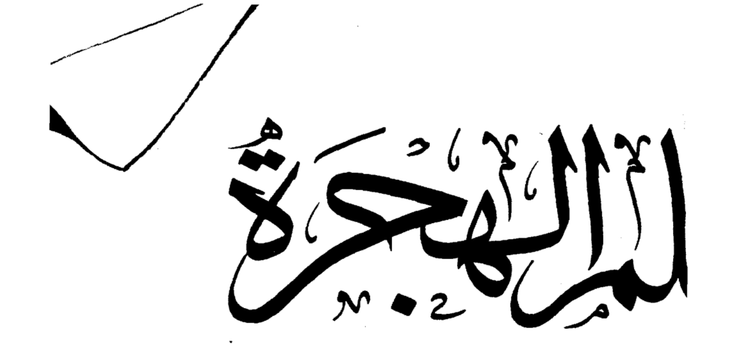


مبارك المغربي

حُلمُ الماضى المجيد السَّيَر
زارنى فى النوم عند السَّحَرِ
حُلمٌ ناهيك من رَوْعَتِهِ
هاجَ شجوَ الشاعر المبتَكِرِ
أيقظَ المِزهر من غَفْوتِه
فانبري يشدو شجِيَّ الوتر
إن للإسلام عرقاً من دمى
وهوىً فى النفس منذ الصغر
مجدُه مجدى.. وفى تاريخه
مُجتلى قلبى وسلوى عُمُرى
غايتى العظُمى وأقصى وطرى
عودة فى عهده المزْدَهر
بين فيضٍ من معالى أحمد
وصفاء من سجايا عمر

**

أزمعَ الهجرة من معشره
صاحبٌ قد كان زَيْنَ المَعْشِرِ
جاءهم بالحقّ والهدى فلم
يلقَ إلا ثورة المستنكر
ثم قالوا كاذبٌ فى قوله
ضلَّ ظنُّ الحاقدين الغُير



أجمعوا الأمر على تعذيبه
بصنوفٍ من عذاب نُكُر

وأذوه.. وهو من إيمانه
لم يلن عن عزمه أو يَخُر

سار والليلُ رهيبٌ والدُّجى
يبعثُ الرعبَ بقلبِ الحجر

وحده غير صديق مخلص
يفتدي بالروح عند الخطر

أنزل الله على قلبيهما
رحمة من فيضه المنهمِرِ

ومضى الكفار كلٌ يبتغى
أثراً للمُدلج المستترِ

عجبوا للوُرقِ تشدو طربا
فى هدوء بغناء مُسْكِر

وخبتْ ثورتهم لما رأوا
ما بناه العنكبوت العبقرى

قلّبوا الرأىَ معاً فاستبعدوا
أن يكونا عند غارٍ مُقْفِرِ

ومضوا ينعون جهداً ضائعاً
بقلوب مُشْعلاتِ الشرر

* * *

تابعا الهجرة حتى وصلا
«يثرباً» بعد عناء السفر

ما دعا دعوتَه إلا أتى
أهلُها فى فرحة المُستبْشِر

أيدوا الدين وشدّوا أزره
فاستقام الدينُ بعد الخَوَرِ

وسرى الاسلامُ فى الأرض كما
بدّدَ الظلمة نورُ القمر

* * *

إنّ فى الهجرة أسمى عِبْرة
فلْذة تَخلُدُ بين العِبَرِ

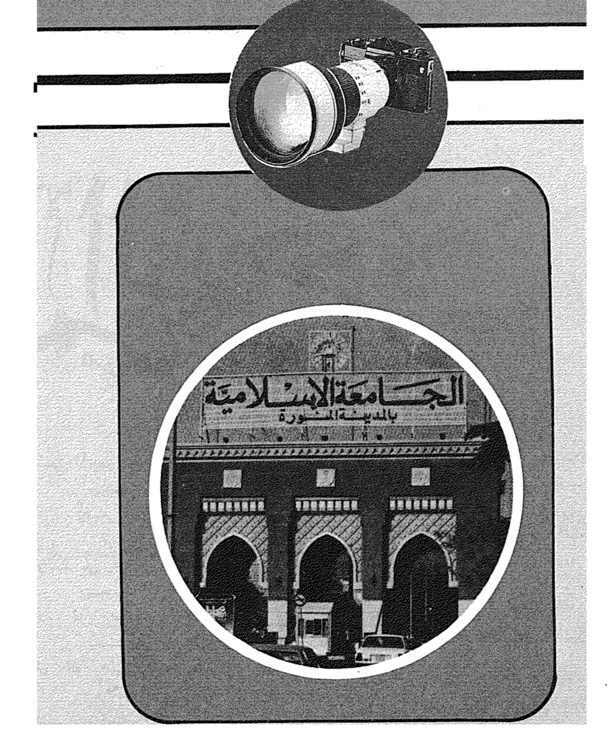
ذكرُها باقٍ وفى تاريخها
عِظةٌ للمؤمن المُدَّكر

آه من ماضٍ مجيدٍ خالدٍ
كان ملء السمع ملء البصر

نحن آثرنا على الدين الدُّنا
وافتتنّا بالهوى والبَطَر

لو أطعنا الله ما كنّا لُقىً
فى الثرى يُلهى بنا كالأكر

فانبذوا اللهوَ وثوبوا للتُّقى
فالتُّقى بابُ العُلا والظَّفَرِ



الجامعة الاسلامية تمثل الدور الكبير الذى اضطلعت به طيبة الطيبة مهبط الوحى ومأزر الايمان فيفد إليها من شتى البقاع طلاب العلم والنور ليتعلموا كتاب ربهم وسيرة نبيهم ليعودوا دعاة خير سفراء رحمة وهدى محققين قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾. .

وقد كان إنشاء هذا الصرح عام ١٣٨١هـ ومنذ انشائها وهى تلقى الدعم والتأييد اللائقين بها لعالميتها وسمو اهدافها وشمول نفعها.

وقد أصدر جلالة الملك خالد ـ رحمه الله ـ الأمر الملكى الكريم رقم أ/١٨٩ وتاريخ ١٣٩٥/٨/٢٥هـ بتعيين صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ـ فى ذلك الوقت ـ رئيساً أعلى لهذه الجامعة ولا يدل ذلك إلا على مدى العناية بهذه الجامعة وفى عام ١٣٩٦/٩٥هـ تم افتتاح قسم الدراسات العليا فى الجامعة لمنح درجة «الماجستير» ثم «الدكتوراه» وافتتحت كذلك كلية اللغة العربية والآداب بالجامعة.

أهداف الجامعة

(١) تبليغ رسالة الاسلام الخالدة الى

إعداد: قسم التحقيقات بالمجلة

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٣٨١هـ

العالم عن طريق الدعوة والتعليم الجامعى والدراسات العليا.

(٢) غرس الروح الاسلامية وتنميتها وتعميق التدين العملى فى حياة الفرد والمجتمع المبنى على اخلاص العبادة لله وحده وتجريد الاتباع لرسوله.

(٣) إعداد البحوث العلمية وترجمتها ونشرها وتشجيعها فى مجالات العلوم الاسلامية والعربية خاصة وسائر العلوم والمعارف عامة.

(٤) تثقيف من يلتحق بها من طلاب العلم المسلمين من شتى بقاع المعمورة وتكوين علماء متخصصين فى العلوم الاسلامية والعربية وفقهاء فى الدين بما يؤهلهم للدعوة إلى الاسلام وحل ما يعرض للمسلمين من مشكلات فى شؤون دينهم ودنياهم على هدى الكتاب والسنة.

(٥) تجميع التراث الاسلامى والعناية بحفظه وتدوينه وتحقيقه ونشره.

(٦) إقامة الروابط العلمية والثقافية بالجامعات والهيئات والمؤسسات العلمية فى العالم وتوثيقها لخدمة الاسلام وتحقيق أهدافه.

ويتعين على من يريد الالتحاق بهذا الصرح الشامخ توافر شروط منها:

١ - أن يكون مسلماً حسن الأخلاق مستقيما فى دينه.. وان يتعهد بالالتزام بمبادىء الجامعة وان يخضع لجميع الأحكام الشرعية.. وألا تقل سنه عن (١٨) ولا تزيد عن (٣٠) عند الالتحاق وأن يكون حاصلا على الشهادة الثانوية من المعهد الثانوى التابع للجامعة أو خارجها أو احدى المدارس شريطة ان تكون مناهجها معادلة وان تكون مصدقة من سفارة المملكة فى بلده.

ويلحق بتلك المنارة عدة كليات هى:

١ - كلية الشريعة ١٣٨١هـ: أولى



كليات الجامعة بلغ عدد طلابها عند افتتاحها ٨٥ طالبا ووصل عددهم فى نهاية العام الى ٦٢١ منهم ٤٨٢ من خارج المملكة ينتمون الى ٥٣ قطراً فى آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الجنوبية واستراليا و يشع نورها الآن فى شتى بقاع العالم بسفراء متخصصين فى مجال الدعوة الى الله ومعرفة احكام الدين. واليك بيانات احصائية توضح مدى اقبال الطلبة الوافدين على الكلية.

٢ ـ كلية الدعوة واصول الدين ١٣٨٦هـ: نكتفى بعرض نماذج من الاحصائيات والرسومات البيانية التى توضح ازدياد الطلبة على الدراسة ومدى الاقبال المتزايد وعدد الخريجين.

٣ ـ كلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية ١٣٩٤هـ: وهى تقوم على خدمة كتاب الله عز وجل والعناية بحفظه والمحافظة عليه ودراسة علومه دراسات مستفيضة وتخريج العلماء المتخصصين المتمكنين من هذه العلوم وايجاد القراء المرتلين المجودين..

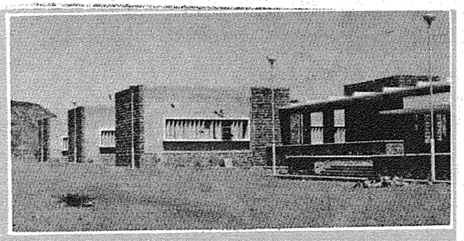
لقد تحقق بوجود هذه الكلية امل كبير كان يراود المسلمين رغبة منهم فى المحافظة على دينهم وانتهاجا لما كان عليه أسلافهم الاخيار وقياما بالواجب الكفائى على الأمة الاسلامية.. وكان لوجودها بالمدينة المنورة نظرة خاصة تزيد من قدرها وتعلى من شأنها وتعمق من معانى رسالتها وأهدافها فى نفوس المسلمين كافة.. وقد بلغ عدد الوافدين اليها يوم افتتاحها ٣٨ طالبا ونترك لك عزيزى القارىء المقارنة من خلال بعض الرسوم البيانية والجداول الاحصائية مدى تهافت طلاب العلم من المسلمين على هذا الصرح المشع نوراً.

٤ ـ كلية اللغة العربية والآداب ١٣٩٥هـ: ونكتفى بعرض بعض الجداول الاحصائية والرسوم البيانية التى تبين ارتياد الطلبة للكلية وعدد الملتحقين بها.

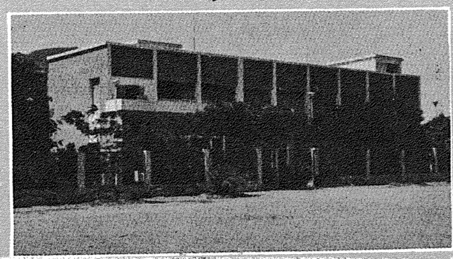
السلطات فى الجامعة الاسلامية:

جلالة الملك هو الرئيس الفخرى للجامعة ويتم اختيار الرئيس الأعلى للجامعة بأمر ملكى وتتولى السلطات الجامعية:

أ ـ المجلس الأعلى: ويضم رئيس الجامعة ونائب رئيس الجامعة ووكيل وزارة المعارف ورئيس إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد والأمين العام للجامعة ورئيس قسم الدراسات العليا وعميداً واحداً يختاره



مبنى كلية الشريعة



مبنى كلية الدعوة واصول الدين

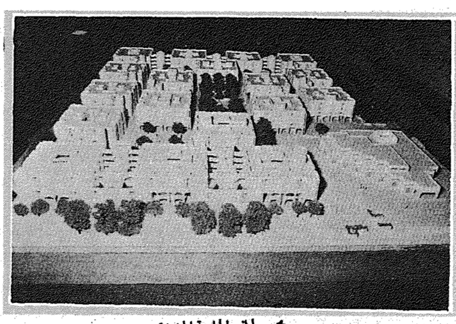
لس الجامعة وثلاثة عشر عضوا من بار العلماء وقادة الفكر الاسلامى مديرى الجامعات على ان يكون من بينهم عشرة اعضاء من خارج لملكة . . وهو السلطة المهيمنة على كافة الشؤون العلمية وشؤون الدعوة والشؤون المالية والادارية . ويجتمع لمجلس بدعوة من رئيسه لدورتين فى السنة وللرئيس دعوته الى دورة استثنائية .

ب ـ رئيس الجامعة : يتولى الاشراف على شؤون الجامعة العلمية والادارية والمالية وفقا للاحكام واللوائح التى يصدرها المجلس الأعلى ويمثلها أمام الهيئات الأخرى ويمكن ان يفوض نائبه فى بعض اختصاصاته على ان يكون الرئيس هو المسؤول أمام المجلس الأعلى عن تقديم التقرير العام عن نشاطات الجامعة وشؤونها .

ج ـ نائب رئيس الجامعة : يعين بقرار من مجلس الوزراء لمدة ثلاث سنوات ويعاون رئيس الجامعة فى إدارة شؤونها .

د ـ الأمين العام : يعين من بين اعضاء هيئة التدريس بناء على اقتراح الرئيس الأعلى للجامعة ويصدر القرار من مجلس الوزراء ويتولى الأعمال الفنية والادارية والمالية تحت اشراف الرئيس ونائبه .

هـ ـ مجلس الجامعة : يجتمع بدعوة من رئيسه كل شهر وللرئيس دعوته كلما اقتضت الحاجة ذلك ويتولى تنفيذ



مجسم لمبانى الجامعة الجديدة

السياسة العامة للجامعة دون تجاوز لصلاحيات المجلس الأعلى وينعقد المجلس بحضور اغلبية الاعضاء .

مجلس شؤون الدعوة

ينشأ فى الجامعة مجلس لشؤون الدعوة الاسلامية يتولى الاشراف على شؤون الدعوة وتحدد اللائحة التنفيذية اعضاءه واختصاصاته وصلاحياته .

المجلس العلمى :

يتولى شؤون البحوث والدراسات العلمية .

وهناك قسم الدراسات العليا وعمداء الكليات ومديرو المعاهد . . ووكلاؤها ومجالس الكليات والمعاهد وأقسام الكليات والمعاهد واعضاء هيئة التدريس . . وللجامعة ميزانية مستقلة تحدد وارداتها ونفقاتها وتخضع فى مراقبة تنفيذها لديوان المراقبة .

قسم الدراسات العليا :

انشىء قسم الدراسات العليا بالجامعة مستقلا عن الكليات طبقاً لما جاء فى نظام الجامعة ويتألف من عدة شعب وهى : «شعبة العقيدة ـ شعبة التفسير ـ شعبة السُنة ـ شعبة السيرة النبوية والتاريخ الاسلامى ـ شعبة الفقه ـ شعبة أصول الفقه ـ شعبة الاقتصاد الاسلامى ـ شعبة الدعوة» .

والدراسة بهذا القسم مرحلتان :

١ ـ مرحلة العالمية ـ الماجستير ـ والدراسة فيها سنتان .

٢ ـ مرحلة العالمية العالية «الدكتوراه» وقد تم افتتاح قسم الدراسات العليا بالجامعة عام ١٣٩٦/٩٥هـ بشعبة السُنة ثم توالت الشُعب بعد ذلك .



من ملحقات الجامعة

المعهد الثانوى ١٣٨١هـ

وهو أهم وأكبر الاقسام التعليمية الملحقة بالجامعة الاسلامية حيث أعطى الفرصة الطيبة لعدد كبير من طلاب العلم ليلتحقوا بالجامعة. وقد بدأت الدراسة فيه من اليوم الثانى لشهر جمادى الآخره من عام ١٣٨١هـ ويلتحق به الطلاب الحاصلون على الكفاءة المتوسطة أو ما يعادلها من أبناء المملكة أو سائر بلاد العالم بأسره مع مراعاة ان تكون النسبة الغالبة فيه للطلبة الوافدين من خارج المملكة. وقد حرص المسؤولون فى الجامعة على تزويد المعهد بنخبة ممتازة من المدرسين ذوى الأخلاق والكفاءات العالية والتخصصات المتنوعة حيث يعنى فى المعهد بتدريس العلوم الشرعية والعربية وبعض المواد الاجتماعية واللغة الانجليزية.

المعهد المتوسط:

لاحظ المسؤولون فى الجامعة الرغبة القوية الصادقة المتزايدة لدى كثير من الطلاب فى الالتحاق بالجامعة الاسلامية - غير أن مستواهم العلمى يحول دون ذلك - فعملت على زيادة النفع والتيسير وأنشأت المعهد المتوسط الذى افتتح عام ١٣٨٦/١٣٨٧هـ ويلتحق به الطلاب الذين استكملوا دراسة المرحلة الابتدائية بالمملكة او ما يعادلها خارج المملكة. ويتفق منهجه مع مناهج المعاهد العلمية ودار التوحيد بالمملكة حيث يدرس فيه العلوم الدينية والعربية والاجتماعية والرياضيات والعلوم الصحية والصحة العامة واللغة الانجليزية ويؤهل الحاصل على شهادة الكفاءة المتوسطة منه للالتحاق بالصف الأول من المعهد الثانوى.

شعبة تعليم اللغة العربية لغير العرب.. ملحق بالمعهد المتوسط:

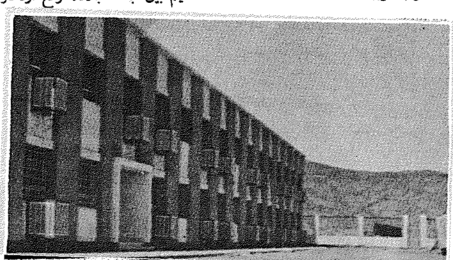
• رأت الجامعة ان من بين الطلاب الذين يفدون الى الجامعة من أبناء العالم الاسلامى طلاباً لا يتكلمون اللغة العربية أصلا أو يتكلمونها بضعف شديد.. لذا رأت افتتاح هذه الشعبة عام ١٣٨٦هـ/١٣٨٧هـ والحقت بالمعهد المتوسط ومدة الدراسة فيه سنتان يلحق الطالب بالصف الأول أو الثانى حسب مستواه فى النطق بالعربية.

دار الحديث فى المدينة المنورة ١٣٥٠هـ:

هى مؤسسة دينية تعليمية أهلية أنشئت سنة ١٣٥٠هـ بإذن جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود وتعنى بدراسة السنة النبوية المطهرة ونشر الثقافة الحديثة.

وكانت الدار تتكون من: «**القسم الابتدائى - القسم المتوسط - القسم العالى**» واستمرت الدراسة بهذه الاقسام زهاء عشر سنوات وبعد الحرب العالمية الثانية اضطرت إلى إغلاق القسمين الابتدائى والمتوسط ويقى القسم العالى يعنى بتدريس الحديث الشريف والتوحيد والتفسير والفقه وعلوم اللغة وقد أتم الدراسة فى هذا القسم عدد كبير خرج إلى ميدان الدعوة والارشاد والتعليم وغرس العقيدة فى نفوس المسلمين.

وفى عام ١٣٦٤هـ اعيد فتح القسم الابتدائى ليسهم فى نشر التعليم بين ابناء البلاد. ومع ازدهار

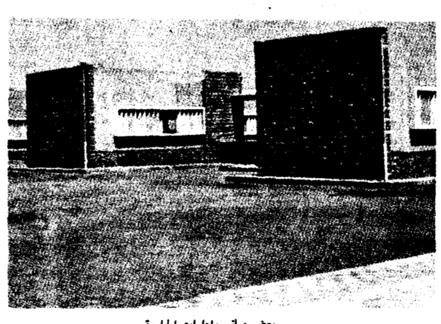


واجهة المعهد الثانوى

حركة التعليم فى المملكة وازدياد عدد المـدارس الحكـوميـة توقف القسم الابتدائى مرة اخرى عام ١٣٧٤هـ واقتصرت مناهجها على الدراسة الدينية.

وفى عام ١٣٧٧هـ صدر أمر ملكى كريم بتخصيص إعانة مالية للدار. .

وفى عام ١٣٨٤هـ صدرت المـوافقة الملكيـة السـامية على ضم الـدار للجـامعـة الاسـلامية. وبـالـدار مرحلتـان: «المرحلة الابتدائية ومدة الـدراسة فيها خمس سنوات والمرحلة المتوسطة ومدتها ثلاث سنوات.



بعض مبانى وادارات الجامعة

دار الحديث فى مكة المكرمة:

الحديث النبوى هو الأصل الثانى من أصول ديننا الحنيف تنبغى العناية به والاهتمام بدراسته استمراراً لما كان عليه السلف الصالح ومواصلة للجهود التى قاموا بها. فكر الشيخ عبد الظاهر أبـو السمح امـام وخطيب المسجـد الحـرام - رحمـه الله - فى انشـاء دار لتدريس الحديث النبوى بمكة المكرمة مهبط الـوحى ومنبع الرسالة وعرض الفكـرة على جلالـة المغفور له الملك عبد العزيز فأيدها وأشار بعرضها على الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضـاه - آنـذاك - واجتمعـا واصـدر جلالته موافقته السامية فى ١ صفـر ١٣٥٢هـ على افتتـاح الـدار وعلى مناهجها وقد تم الافتتاح بمقر دار الارقم بن أبى الأرقم فى ١٢ربيع الاول ١٣٥٢هـ ثم انتقلت الدار من هذا المقر لدخوله فى توسعة الحرم المكى الشريف.

وفى عام ١٣٩٠هـ رأى مجلس الادارة برئـاسة فضيلة الشيخ عبد الله خياط إمام وخطيب المسجد الحرام ومستشار وزارة المعـارف رفـع التماس الى مقام جلالـة الملك فيصـل رحمـه الله لضم الـدار الى الجـامعـة الاسـلاميـة. وصـدرت المـوافقة السامية على ذلك بالكتـاب رقم ٣/٨٨٩٨ بتـاريـخ ١٣٩١/٢/١٠هـ وتم الضم ابتـداء من ١٣٩٢/١٣٩١هـ.

وبـالـدار قسمان أحدهما ابتدائى ومـدتـه خمس سنوات والثانى متوسط ومـدته ثلاث سنوات يحصل الطالب بعدها على الكفاءة المتوسطةس التى تؤهله للالتحاق بالمعهد الثانوى التابع للجـامعـة الاسلامية وقد تمت معادلة شهـادة الكفاءة المتوسطة التى تمنحها الدار بشهادة الكفاءة المتوسطة بوزارة المعـارف وذلـك بالكـتـاب رقـم ٤٥/٧/٢٦/٤٤٥/٢٠ وتـاريـخ ١٣٩٠/٥/٥هـ وأغلب روادهـا من غير السعوديين وينتمون إلى اكثر من ٢٢ قطراً.

وهناك مدارس وجامعات من مختلف انحـاء العالم تمدها الجامعة الاسلامية ببعض المدرسين معاونة لها على آداء رسـالتهـا التعليمية والتربوية والثقافية امتداداً لرسالة الجامعة فى نشر الدعوة الاسلامية منها على سبيل المثال:

(١) الجامعة السلفية ببنارس «الهند».
(٢) الجـامعـة السلفيـة بلايلعـور «باكستان الغربية»

(٣) المدرسة السعودية «بالحبشة» اثيوبيا.

(٤) المدرسة السلفية ببلجرشي «المملكة العربية السعودية».

كما تقدم الجامعة الاسلامية منحاً دراسية للطلاب الذين يقبلون باحدى كلياتها أو بالمعاهد والدور التابعة لها من شتى انحاء العالم وتوزع هذه المنح قبل بدء العام الدراسي وقد بلغ عدد المنح التي قدمتها الجامعة عام ١٣٩٦/٩٥هـ (٦٨٠) منحة وزعت على ١٠٧ من الأقطار بالاضافة الى بقية الاقليات الاسلامية الأخرى.

ونكتفي بعرض بعض الجداول الاحصائية والرسوم البيانية التي توضح مدى تزايد المنح الدراسية ومدى الاقبال عليها من مسلمي دول العالم.

مكتبات الجامعة الاسلامية ومسجد الجامعة

١ ـ المكتبة المركزية: وبها مجموعات كبيرة من الكتب والرسائل في شتى فروع المعرفة الاسلامية خاصة والانسانية عامة وباللغة العربية وبعضها باللغات الاجنبية يؤمها الرواد من أساتذة الجامعة وطلابها وغيرهم للاطلاع والاستفادة منها في البحوث والدراسات وتعنى بجمع المخطوطات وتصويرها من المكتبات في شتى انحاء العالم وبها دار للتراث الاسلامي وتضم الكتب النادرة والوثائق والآثار العلمية والتاريخية.

كما تشتمل على مجموعة الدوريات ومعرض لنماذج من بعض الكتب والمطبوعات الحديثة.

٢ ـ المكتبات الفرعية: بكل كلية وقسم من أقسام الجامعة مكتبة فرعية تضم كتبا ومراجع في الدراسات الاسلامية والعربية وفروع المعرفة الأخرى ولا سيما ما يتصل منها بدراسات نفس الكلية أو الفرع الملحق بها.

مسجد الجامعة: تم انشاء مسجد جديد بالجامعة على أحدث طراز إسلامي.

مستوصف الجامعة: وأنشىء أيضا مستوصف لتقديم الخدمات الطبية والرعاية الصحية لجميع الموجودين بالجامعة من طلاب وأساتذة وموظفين وعمال عام ١٣٨١هـ ويشمل نشاطه علاج بعض الأهالي المقيمين في المناطق المجاورة لمقر الجامعة وقد تحول المستوصف إلى مستشفى تضم كل التخصصات العلاجية والجراحية والمختبر ووحدات الاشعة والصيدلة.

قاعة المحاضرات: اقيمت القاعة على أحدث طراز وقد تم افتتاحها في شهر ربيع الاول عام ١٣٩٦هـ بمناسبة قدوم صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد في ذلك الوقت وقد اصبحت مقراً لالقاء المحاضرات التي تنظمها الجامعة ويحضرها جموع غفيرة من الطلاب.

كما أوجدت الجامعة داراً للطلبة وتوزيع الكتب بجدة تقوم على الآتي:

(أ) اجراءات تصدير الكتب المدرسية التي تقدمها وزارة المعارف ورئاسة تعليم البنات الى المدارس والمعاهد خارج المملكة تلبية للطلبات التي ترد إليها.

(ب) خدمة الطلاب اثناء مرورهم بجدة متوجهين الى المدينة أو عائدين لبلادهم.. كما تقوم باستقبال الطلبة الوافدين وتسهيل معاملاتهم.

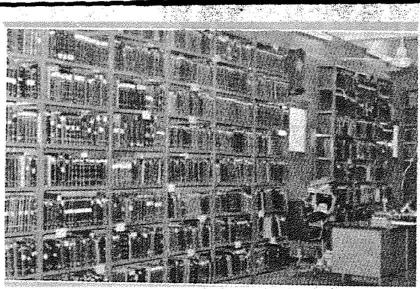
وتضم الجامعة أيضا إدارة لشؤون الاشراف والتوجيه الاجتماعي تعمل على تهيئة الجو الجامعي المناسب لتوفير طمأنينة الطالب وتحقيق النمو الامثل والتكامل المنشود بعوامل الترابط والتفاعل الايجابي بين حياة الطالب العلمية وحياته العملية والسلوكية وتعمل على تقوية اواصر التعارف والتآلف والتآخي والتواد وتقوية أجسام الطلاب وتجديد نشاطهم عن طريق الأنشطة الرياضية المختلفة كما تساعد الطالب على حل ما يواجهه من مشكلات وتقديم المساعدات المالية عند الحاجة.

نشاط الجامعة في مجال الدعوة:

تعنى الجامعة الاسلامية بتبليغ رسالة الاسلام الخالدة من دار الايمان

الى الناس كافة فى أقطار الأرض عامة وتبصيرهم بعقيدته عقيدة التوحيد الخالص وشريعته السمحة الكاملة

وتصدر الجامعة مجلة علمية ثقافية إسلامية باسم «مجلة الجامعة الاسلامية» كل ثلاثة أشهر فى نحو ١٦٠ صفحة توزع بدون مقابل على الهيئات والمؤسسات الاسلامية والافراد من العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية والمعنيين بها فى بلاد العالم.



جانب من المكتبة العامة بالجامعة

ومن الجوانب ذات الاهمية التى تقوم بها الجامعة الاسلامية أيضا فى مجال الدعوة الى الله فى الخارج وتثقيف المسلمين وتبصيرهم ايفاد البعثات السنوية من بعض الاساتذة الى البلاد الخارجية ومن المهام الاساسية لهذه البعثات:

١ ـ تعرف أحوال المسلمين فى تلك البلاد ودراسة أوضاعهم وظروفهم ومشكلاتهم الدينية ـ التعليمية ـ والاجتماعية والاقتصادية وعاداتهم وتقاليدهم واساليب حياتهم.

٢ ـ معرفة الهيئات والجمعيات والمؤسسات الاسلامية ونشاطها ومدى الاستفادة منها وسبل التعاون معها فى نشر الدعوة.

٣ ـ الاتصال بزعماء المسلمين وعلمائهم ومفكريهم وتبادل الرأى معهم فيما يحقق مصلحة المسلمين.

٤ ـ الوقوف على الدعوات المضادة للاسلام ووسائلها وأساليبها وامكانياتها ومدى نشاطها.

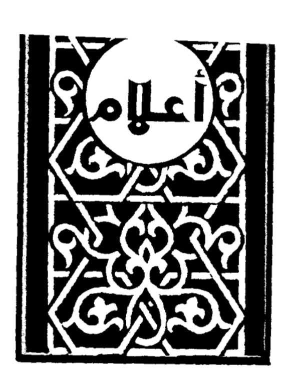
٥ ـ إلقاء المحاضرات والدروس والكلمات الدينية فى المساجد والاندية والجمعيات والمدارس.

٦ ـ توزيع المصاحف وبعض الكتب والمطبوعات الاسلامية التى تحملها البعثة معها مجانا.

٧ ـ تقدير حاجة تلك البلاد من منح دراسية للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة على اساس من الدراسة الواقعية.

٨ ـ تقدير ما إذا كانت تلك البلاد فى حاجة الى مساعدات مالية أو مدرسية أو كتب ومطبوعات اسلامية ومعرفة كيفية تقديم تلك المساعدات.

مهاجع الطلاب بالجامعة



إن دراسة مناقب الاعلام تملأ الاجيال المتأخرة روحا تقدمية ونفسا طموحة الى العلا شريطة أن تكون تلك الدراسة موزونة بميزان الكتاب والسّنة ـ وذلك كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؟ كنا أذل أمة فأعزنا الله بالأسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله . . لذلك يطيب لى أن أقدم هذه السيرة العطرة لنابتة البلاد العربية ولاجيالها الصاعدة خصوصا ولكافة المسلمين عموما لتكون حافزا لهم على التمسك بدينهم وعقيدتهم خالصا من شوائب الشرك والبدع والخرافات .

هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن على من سلالة عربية خالصة يمتد نسبها الى تميم الى نزار بن معد بن عدنان ـ وهو إمام الدعوة السلفية الحديثة والمجدد للعقيدة الاسلامية السليمة .

مولده ونشأته

ولد رحمه الله فى بلدة العينية بنجد قريبا من الرياض العاصمة السعودية سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م فى بيت توارث بنوه العلم والتقى كابراً عن كابر . . وقد كان أبوه عبد الوهاب عالم بلدته وقاضيها وكذلك كان جده ـ سليمان من قبله . . وقد نشأ الامام نشأة صالحة ـ ثم أخذ يتلقى عن أبيه علوم الدين من تفسير وحديث وفقه وعلوم اللغة من نحو وصرف وغيرهما . . وأكثر من القراءة والاطلاع على الكتب المتداولة بين الناس فى ذلك العهد . . وكان ذكيا المعيا ينفذ بذهنه وعقله الى ما وراء النصوص المدونة . . ويميز بين الحق منها والبهرج . . فلم يجد فيها قرأ ما يعادل كتب ابن تيمية وابن القيم فأعجب بها ومال إليها . . ورأى كثيراً مما نعاه ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات والمروق عن الدين ومظاهر الشرك ماثلا أمام عينيه فى معتقدات قومه وأعمالهم لا سيما العامة منهم فهو إذا من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا منها على الرغم من طول العهد بينهما ـ وإن آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر الاثر فى توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته .

رحلاته العلمية

وتطلع الشيخ الى أفق علمى أرحب فذهب الى مكة



المكرمة حاجا لله تعالى وملتمسا فيها من العلماء من يشفى غلتـه ويـروى ظمأه. . ويظهر أنه لم يظفر بما كان يؤمله فرحل الى المدينة المنورة والتقى هناك بالشيوخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف وهو عالم من أهالى المجمعة بنجد أقام بالمدينة فأخذ ابن عبد الوهاب عنه كما أخذ عن عالم مقيم بها هو الشيخ محمد بن حياة السندى.

رحلة الامام خارج الجزيرة

ولم تكن هذه النفس الطلعة لتقنع بما يحسب الناس أن فيه كفاية وغناء بل لابد لها أن تنشد الكمال وتسعى اليه . . وتستعـذب الصعـاب . . وتـركب الاهـوال . . وتعتصم بالصبر . وتطلب الحقيقة فى مظانها لعلها تظفر بشىء منها وهكذا كان شأن الشيخ فلم يجد بدا من الرحلة الى بعض العـواصم الاسـلاميـة التى اشتهـرت بكثرة العلماء فيها وتوارثت البحث فى مسائل الدين وعقائده. . فرحل الى العراق ونزل بلدة الزبير من أعمال البصرة. . وأخذ عن أحد فقهائها الشيخ محمد المجموعى . ولكن الامام لم يقنع بالسماع والحفظ بل برح يناقش ويحاور ويمحص ويوازن بين ما يلقى اليه وما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله فيجد فيها يقوله العلماء ميلا وانحرافا وخروجا عن نصوص الدين وتعـاليمه. . وساءه ما عليه الناس من خرافات وأباطيل فجاهـر بآرائـه هذه فأنكـر ونقـد كثيرا من بدع الناس وضـلالاتهم وفسـاد عقـائدهم - فثار به فريق من جهال البصرة وأذوه وخرج منها فى وقت الهجير خائفا يترقب بلا زاد ولا راحلة ومـا كان الله ليـترك مجاهـدا فى سبيل دينه فقيض له رجـلا من أهـل الـزبير وهى بلدة عراقية أكثر سكانها نجديون فأعانه وحمله على دابته حتى بلغ من هذه البلدة. . وفكر الشيخ بعد ذلك فى مواصلة الرحلة الى بلاد الشام لعله يجد فيها خيرا مما لقى بالعراق ولكن الله أراد أن يريحه من سفر قد لا يحصل منه على فائدة تذكر ففقد ما كان معه من مال وقفل راجعا الى بلاد نجد ونزل بالاحساء. . وأقام مدة لدى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعى الاحسائى من رجال الدين والعلم بها. وكان والد الامام قد انتقل من العيينة الى حريملاء بعـد نزاع نشب بينه وبين حاكم قريته محمد بن حمد بن

معمـر أدى الى عزله عن قضائها فرحل الامام الى أبيه وأقام معه فى بلدته الجديدة.

تنفيذ الدعوة ومراحلها

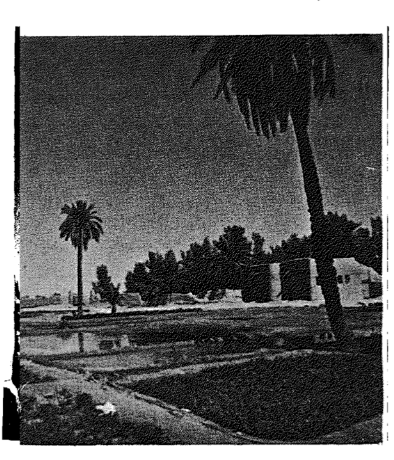
بدأ الشيـخ دعوته فى حريملاء ولم تلق هناك نجاحا يذكـر ولكنه لم ييأس ولم يقنط وظل يدرس ويرشد ويعظ حتى مات والـده فى عام ١١٥٣هـ/١٧٤٠م وهنا أعلن دعـوتـه وجـد فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فتبعه بعض أهلها وأيدوه..

ولم يطب للشيـخ مقام بحريملاء فانتقل الى مسقط رأسـه بالعينيـة وتلقـاه أمـيرهـا عثـمان بن حمد بن معمر بالـترحيب وعـاونـه فى دعـوته وتوثقت بينهما أواصر الثقة والمحبة خصوصا بعد أن أصهر الشيخ الى أسرته وقد تبعه كثير من الاهالى ثم شرع فى تنفيذ مبادئه عمليا فاستأجر أنـاسا ليقوموا بقطع الاشجار التى يغطيها العامة.. ثم خرج بنفسه الى كبراهن فقطعها ـ ولابد للشيخ أن يمضى فى طريقه بلا وجل ولا تردد فاتجه بنفسه الى قبة قبر (زيد بن الخطاب) رضى الله عنه بقرية (الجبيلة) وأعد العدة لهدمها فاستعان بعثمان لحمايته فاستجاب له ـ ولكنه أبى أن يتولى الهدم هو أو أحد من رجاله فتقدم الشيخ وهدمها بنفسـه حتى أتى عليهـا.. ومضى فى سيـاسته العملية «فأقام حد الزنا ونفذ أحكام الشريعة» ومن ثم اشتهر أمره وعظمت هيبته وأقبل كثير من الناس عليه مبايعين معاهدين.

مناوأة الدعـوة

وبينـما الـدعـوة تشق طريقهـا الى القلوب الصلدة فتصـدعهـا.. والى العقـول الضـالـة فتردعها.. والى النفوس الظامئة من العلم فتبل صداها وتجلو صدأ الجهالة الـذى ران عليهـا ـ نرى سليـمان بن محمـد بن عريعـر الحميدى حاكم الاحساء والقطيف ينذر عثمان بن معمر بالثورة عليه وقطع الخراج عنه ان لم يقتل الشيخ ويقضى على دعـوته ـ ويتخاذل عثمان ويأمر الشيخ بالخروج من بلدته فسار معه الى الدرعية ورافقه فى الطريق **«الفريد الظفير وطوالة الحمرانى»** من رجال بن معمر بأمر منه.. وكان الشيخ يسير فى الرمضاء والحر يلفحه ومعه مروحة من الخوص وهو يردد قول الله تعالى **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجـا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾.. ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**.

«وسبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر» وحتى وصل الى الدرعية.. ومما قاله بعض المؤرخين من أن ابن معمر قد أمر (الفريد) أن يقتل الشيخ فى منتصف الطريق فلا صحة لهذا القول.



الدرعية.. احدى ضواحى الرياض

آل سعود يحتضنون الشيخ وينصرونه

وصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية فى اليوم الخامس من شهر رجب عام ١١٥٨هـ ونزل فى بيت رجل فاضل هو (**عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم**) الذى أكرم وفادته وكتم أمره خوفا من بطش أمير الدرعية الامير (**محمد بن سعود**) ورجاله ـ وأخذ الشيخ يدعو الناس الى دعوته السلفية سرا حتى استطاع أن يقنع الامير (محمد بن سعود) على تأييده ومؤازرته وأقبل عليه الامير وبايعه على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيله وتنفيذ أحكام الشريعة وقد عاونه على اتمام هذه المبايعة أخوا الامير محمد بن سعود وهما مشارى وثنيان . . وكان عبد الله بن سويلم قد حضّهما على تأييد الشيخ ومعاهدته من أجل نشر دعوته السلفية الخيرة فبدأ بزوجة الامام (**موضى بنت أبى وطيان**) لتكون عونا لها على زوجها ـ وكانت ذات عقل ودين فألقى الله فى قلبها محبة الشيخ ودعوته فقالت لزوجها : ان هذا الرجل اتى اليك وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته . . فقبل قولها وألقى الله سبحانه فى قلب الامير محبة الشيخ فأراد أن يرسل اليه فقال أخوا الامير وزوجته : «**اننا نرى أن تذهب اليه بنفسك وأن تظهر لاهل الدرعية تكريمه واحترامه والاحتفال به لان العلم يُذْهَبُ اليه ولا يذهب العلم الى أحد من الناس**» . . فسار الامير اليه وقابله فى بيت ابن سويلم . . ورحب الامير بالشيخ وقال له : (ابشر ببلاد خير من بلادك وابشر بالعز والمنعة) فقال له الشيخ : (وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين وهذه كلمة التوحيد (**لا إله الا الله**) التى دعت اليها الرسل كلهم فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد . . وأنت ترى نجدا كلها وأقطارها قد سارت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف وقتال بعضهم بعض فأرجو أن تكون اماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك) وأخذ يشرح له الاسلام وشرائعه وما يحل وما يحرم وما عليه النبى ﴿ﷺ﴾ من الدعوة الى التوحيد والقيام فى نصره والقتال عليه . .

فلما شرح الله صدر الامير محمد بن سعود بذلك وتقرر عنده ـ طلب من الشيخ المبايعة على ذلك فبايعه الشيخ على ذلك وقال : (**ان الدم بالدم والهدم بالهدم**) . . أى دمى دمك . . وهدمى هدمك ـ ولكن أريد أن اشترط عليك اثنين (أولاهما اننا اذا قمنا بنصرتك والجهاد فى سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترتحل وتستبدل بنا غيرنا . . والثانية أن لى على الدرعية قانونا آخذه منهم فى وقت الثمار وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئا) . . فقال الشيخ : أما الاولى فلك علىَّ عهد الله ورسوله . وأما الثانية فلا ـ فأن لك عليهم الزكاة ولعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها) .

وبسط الامير يده فبايعه الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيله واقامته شرائع الاسلام والقرآن والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبهذا تم لقاء القمة الاسلامى السياسى بين مؤسس الدولة السعودية الاول الامام محمد بن سعود . . ومؤسس الدعوة السلفية الاول فى العصر الحديث الشيخ محمد بن الوهاب . . ومن هنا دخلت دعوة الشيخ فى مرحلة التنفيذ والجد والعمل . وأيد أهل الدرعية صغيرهم وكبيرهم دعوة الشيخ واتباع تعاليمه السلفية وبهذا اتحد الدين والسياسة وسارا فى طريق سليم واحد لهدف اسلامى نبيل واحد . . ثم بدأ الشيخ يراسل ذوى الرأى فى بلاد نجد من قضاة وعلماء وأعيان فاستجاب له البعض وصد عنه آخرون ـ فسل أعوان الشيخ السيف للجهاد وأعلنوا الحرب فى سبيل الله وقتال المارقين . . ومات فى هذه المعركة ابنا الامير محمد بن سعود وهما : فيصل وسعود . . وتوفى الامير محمد وولى مكانه امارة الدرعية ابنه عبد العزيز بن بن محمد بن سعود . . وقد ولد الامام محمد بن سعود عام ١١٣٨هـ وتوفى عام ١١٧٩هـ الموافق

١٧٢٥-١٧٦٥م . . وفى عهده وبعد انتقال الامام محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية أخذت الدرعية فى الازدهار . تشد لها الرحال وتضرب لها اكباد الابل لمقابلة الشيخ وطلب العلم عليه والتزود بعلومه ومن نبعها الصافى ومعينها النمير - وفيها شيد الامير مسجد الدرعية الكبير . .

وفى عهد ابنه عبد العزيز زاد ازدهار الدرعية وقصدها الناس من كل مكان للقاء الشيخ ومبايعته . . وقد أعلنت حريملاء الانضمام الى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤازرته والاستجابة له . . وقامت فى حريملاء حروب وخصومات بين انصار الدعوة وأعدائها - وكذلك قامت بين حريملاء والدرعية حروب وخصومات أخرى انتهت بانتصار الدرعية وخضوع حريملاء خضوعا مطلقا .

الخطر الخارجى

على أن هذه الحروب لم تظل فى دائرتها الداخلية الضيقة فقد هجم العراقيون وأهل الحجاز على بلاد نجد بتحريض من الاتراك العثمانين وكل يدعى الحفاظ على الدين والغيرة على تعاليمه فتبلبلت أفكار المسلمين فى سائر البلاد وقذفت السياسة فى هذا الصراع بسيل من الدعايات المغرضة وخيلت للناس أن الشيخ متنبىء جديد يحاول القضاء على الاسلام والتعفية على آثاره واستطاعت بذلك أن تؤلب المسلمين عليه فى كل مكان . وتوفى الشيخ رحمه الله فى ابان هذه المعارك سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م وله من العمر اثنان وتسعون عاما ولما يشهد نهاية هذا الكفاح الخالد لكنه رأى مبادئه الاصلاحية ودعوته الاسلامية السلفية تشق طريقها وتسود فى جزيرة العرب بفضل تأييد آل سعود الذين أصبحوا خلفاء فى نشر دعوته الى يومنا هذا والذين بنوا ملكهم على أساس هذه الدعوة السلفية العظمة .

خطب الشيخ ورسائله

قضى الشيخ طوال حياته معلما وواعظا . . ومرشدا مبينا لأحكام الدين . . حاضا على اتباعه والعزوف عما ينافيه من - ضلال وبدع وشرك . . ومحرضا على الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله . . وقد حفظ بعض احفاده كثيراً من خطبه . . ولقد كان فى خطبه يميل الى مخاطبة قومه باللغة التى يفهمونها . . وكان همه منصرفا الى المعانى لا الى العبارات والتأنق فى الاساليب - ولو فشل لأضاع كثيرا من جهده سدى فما كانت البيئة النجدية فى زمنه تتقبل غير الطريق الذى سار عليه .

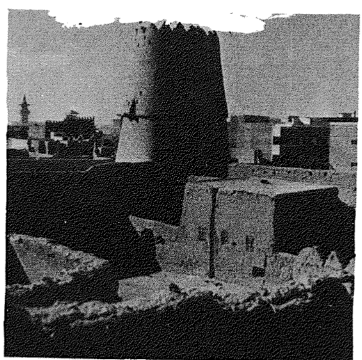
مثال من رسائل الشيخ

وهذه رسالة من رسائل الشيخ التى يشرح فيها عقيدته السلفية - وهى رسالة موجهة منه الى أهل القصيم بنجد قال رحمه الله :

«بسم الله الرحمن الرحيم : أشهد الله ومن حضرنى من الملائكة وأشهدتكم أنى أعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله . . والبعث والموت . . والايمان بالقدر خيره وشره . . ومن الايمان بالله - الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل - بل أعتقد أن الله (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) فلا أنفى عنه ما وصف به نفسه . . ولا أحرف الكلم عن مواضعه . . ولا الحد فى أسمائه وآياته . . ولا أكيف ولا أمثل صفاته بصفات خلقه لأنه تعالى لاسمى له ولا كفء - ولا ندَّ له ولا يقاس بخلقه فانه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره وأصدق من أهل التحريف والتعطيل».

فقال تعالى : ﴿سبحان ربِّك ربِّ العزّة عما يصفون . . وسلامٌ على المرسلين . . والحمدُ لله ربِّ العالمين﴾ فالفرقة

الناجية وسط فى باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية ـ وهم وسط فى باب وعيد الله المرجئة والوعيدية ـ وهم وسط فى باب الايهان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية ـ وهم وسط فى باب أصحاب رسول الله بين الروافض والخوارج. . واعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود. . وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﴿ﷺ﴾. . وأومن بأن الله فعال لما يريد ولا يكون شيء الا بارادته ـ ولا يخرج عن مشيئه. . وليس شيء فى العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن تدبيره. . ولا محيد لاحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له فى اللوح المسطور. . وأعتقد بكل ما أخبر به ﴿ﷺ﴾ وسلم مما يكون بعد الموت. . وأومن ـ بفتنة القبر ونعيمه وباعادة الارواح الى الاجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة عزلا تدنو منهم الشمس وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد **﴿فمن ثَقُلَتْ موازينه فأولئك هم المفلحون. ومن خفَّتْ موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون﴾** وتنشر الدواوين



الرياض القديمة

فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله. . واومن بحوض نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ بعرصة القيامة ـ ماؤه اشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل. . آنيته عدد نجوم السماء. . من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا. . وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم. . وأومن بشفاعة النبى ﴿ﷺ﴾ وأنه أول شافع وأول مشفع ولا ينكر شفاعة النبى الا أهل البدع والضلال ـ ولكنها لا تكون الا من بعد الاذن والرضا كما قال الله تعالى: **﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾ وقال ﴿من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه﴾** وهو لا يرضى الا التوحيد ولا يأذن الا لاهله.

«وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب كما قال تعالى: **﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾**. . وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما اليوم موجودتان وأنهما لا يفنيان وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته. . وأومن بأن نبينا محمدا ﴿ﷺ﴾ خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح ايمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ـ وافضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم على المرتضى ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة رضوان الله عليهم. واتولى أصحاب رسول الله وأذكر محاسنهم واستغفر لهم. . وأكف عن مساوئهم واسكت عما شجر بينهم. . وأعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى:

﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم﴾ واترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء. . وأقر بكرامات الاولياء الا انهم لا يستحقون من حق الله شيئا. . ولا أشهد لاحد من المسلمين بجنة ولا نار الا من شهد له الرسول ﴿ﷺ﴾

وسلم ـ ولكنى أرجو للمحسن وأخاف على المسيىء ولا أكفر احدا من المسلمين بذنبه ولا أخرجه من دائرة الاسلام . . وأرى الجهاد مع كل امام برا كان أو فاجرا وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمدا ﴿ﷺ﴾ الى أن يقاتل آخر هذه الامة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل .

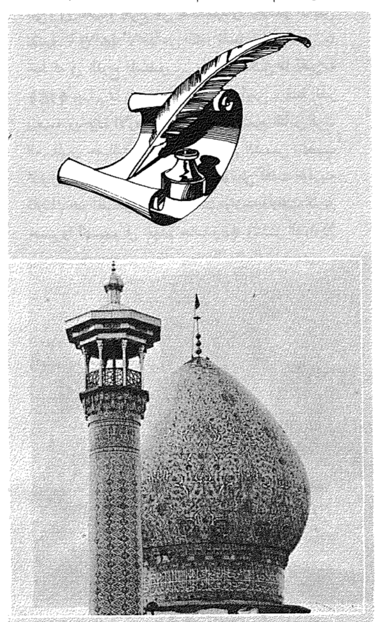
«وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم مالم يأمروا بمعصية الله ـ ومن ولى الخلافة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه وأرى هجر اهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا وأحكم عليهم بالظاهر وأوكل اسرارهم الى الله . . وأعتقد أن كل محدثة فى الدين بدعة . . وأعتقد أن الايمان قول باللسان وعمل بالاركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ـ وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق وأرى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الظاهرة ـ فهذه عقيدة وجيزة حررتها لتطلعوا على ما عندى والله على ما نقول شهيد . »

مؤلفات الامام وآثاره العلمية

تفسير شهادة أن لا اله الا الله وكتاب التوحيد وكشف الشبهات فى معنى التوحيد وما يخالفه وكتاب معرفة العبد ربه ودينه . . وكتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . . ومختصر الانصاف . . وكتاب الكبائر . . وله رسالة عن التقليد ومختصر الشرح الكبير ومختصر الفتاوى المصرية لشيخ الاسلام ابن تيمية . . وكتاب المسائل التى خالف فيها رسول الله ﴿ﷺ﴾ أهل الجاهلية . . وكتاب النبذة فى معرفة الدين الذى معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة والجهل به سبب لدخول النار .

انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية

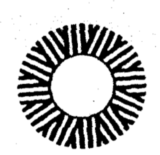
ان استيلاء آل سعود على الحجاز ودخولهم مكة والمدينة فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى أعطى الفرصة لسائر الحجاج من مختلف البلاد الاسلامية ليتعرفوا أهداف الدعوة ويلتقوا بدعاتها ويناقشوهم فيما يدعون اليه وكان من نتائج هذا أن اعتنق بعض الحجاج هذه المبادىء وتعصبوا لها ثم حملوها معهم ودعوا اليها فى بلادهم بعد



رجوعهم اليها ـ فانتقلت هذه المبادىء الاصلاحية الى السودان والى الهند وسومطرة فى آسيا. وكان هدف دعاتها فى كل مكان تحل به هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات. . وتصحيح العقيدة الدينية. . ثم محاولته اقامة حكومة صالحة على أساس دينى لتنفيذ الاحكام الشرعية وتقيم الحدود. . كما انتقلت هذه الدعوة الى مصر والشام وزنجبار واليمن ـ وكذلك الحركة السنوسية التى ابتدأت فى الجزائر أواسط القرن التاسع عشر ثم غزت طرابلس بعد ذلك وانتشرت فى شمال افريقيا ثم مدت رواقها نحو الجنوب فتمكنت فى السودان وان هذه الحركة السنوسية التى ناهضت الاستعمار فى كل مكان حلت فيه والتى كان مؤسسها فى مكة يطلب العلم وقت استيلاء آل سعود عليها فعاشرهم وتتلمذ على علمائها وتأثر بدعوتهم ثم عاد الى الجزائر وابتدأ حركته الاصلاحية على ضوء تعاليم الاصلاح الدينية الاسلامية التى أضرم نارها فى الجزيرة العربية الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وجزاه عن الاسلام خير الجزاء.

عبد الله سعد الرويشد

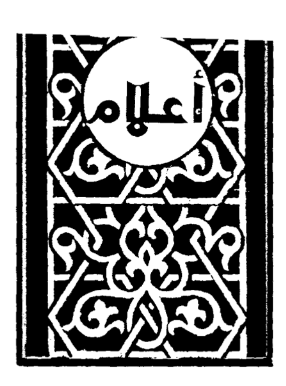
الرياض



الشيخ محمد بن على السنوسى

١٢٠٤-١٢٧٦هـ/ ١٧٨٧-١٨٥٩م

جاء من قبيلة مهاجر التى تسكن قرية الواسطة من اعمال مقاطعة وهران بالجزائر. . درس فى جامعة القرويين بفاس. . رحل إلى القاهرة ودرس فى الأزهر (١٢٣٩هـ/١٨٤٢م) ذهب إلى الحجاز فأخذ عن بعض شيوخ مكة والمدينة/ نعى على التقليد ورفض إغلاق باب الاجتهاد ورأى ان احياء الأمة يحتاج الى تربية علمية ودعوة جهادية. . أنشأ (الزاوية) لتكون محضناً للدعاة وسبيلاً لتنظيم شئونهم وتربيتهم. . حاول الاستقرار فى فاس بمراكش ولكن المستعمر ضيق عليه الخناق فخرج الى طرابلس الغرب ثم عاد إلى الحجاز فأقام بها ثمانى سنوات ثم عاد فاستقر فى الجبل الأخضر فى ليبيا. . أنشأ مجموعة من الزوايا ليدرس فيها العلوم الدينية وعلوم الفلك والمساحات. . لما ضيق عليه المستعمر وبدأ زحفه واحتلاله للمغرب العربى حاول الشيخ السنوسى أن يؤسس الزوايا على طرق القوافل فصنع الحزام الاسلامى لأفريقيا من جنوب الصحراء الغربية حتى سواحل الصومال شرقاً وبلغت الزوايا مائة وثمانياً وثمانين. . نشرت الدعوة الاسلامية فى أنحاء أفريقيا وخرجت المئات من الدعاة وأنشأت المئات من المدارس. . وكانت تقوم على التنشئة الدينية الجهادية وتربط بين القلوب برباط الايمان وبعد ذلك يوجههم لتبليغ الدعوة ونشرها بين الناس. . وتأسست الدولة السنوسية فى ليبيا على تراث هذه الحركة الجليلة. .



الشيخ من أقواله

● «ارتفع صوتى بالدعوة الى أمرين عظيمين :
الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه الى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله سبحانه لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه .
والأمر الثانى إصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير سواء كان فى المخاطبات الرسمية أو فى المراسلات بين الناس . . وكانت أساليب الكتابة فى مصر تنحصر فى نوعين كليهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب . . الأول ما كان مستعملا فى مصالح الحكومة وما يشبهها وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات رث خبيث غير مفهوم ولا يمكن رده الى لغة من لغات العالم فى صورته ولا فى مادته . . والنوع الثانى كان يستعمله الأدباء والمتخرجون من الجامع الأزهر وهو ما كان يراعى فيه السجع وان كان بارداً وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس وان كان رديئاً فى الذوق بعيداً عن الفهم وثقيلاً على السمع غير مؤدٍ للمعنى المقصود» .

● يقول فى (تصحيح الاعتقاد) ينبغى «إزالة ما طرأ عليه من الخطأ فى فهم نصوص الدين حتى إذا سلمت العقائد من البدع تبعها سلامة الأعمال من الخلل والاضطراب واستقامت أحوال الأفراد واستضاءت بصائرهم بالعلوم الحقيقية . . دينية ودنيوية وتهذبت أخلاقهم بالملكات السليمة وسرى الصلاح منهم الى الأمة . . وإذا كان الدين كافلاً بتهذيب الاخلاق وصلاح الاعمال وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها ولأهله من الثقة به ما بيناه وهو حاضر لديهم والعناء فى إرجاعهم إليه أخف من إحداث مالا إلمام لهم به . . فَلِمَ العدول عنه إلى غيره؟؟» .

● ونسمعه يقول «ولم أكن فى كل ذلك الامام المتَّبع ولا الرئيس المطاع غير أنى كنت روح الدعوة وهى لا تزال بى فى كثير مما ذكر قائمة ولا أبرح أدعو إلى عقيدتى فى الدين وأطالب باتمام الاصلاح فى اللغة وقد قارب . . أما أمر الحكومة والمحكوم فتركته للقدر يقدره وَليد الله بعد ذلك تدبّره . . لأننى عرفت أنه ثمرة تجنيها الأمة من غراس تغرسه . . » .

هذه مقتطفات من أقوال الشيخ محمد عبده ـ عليه رحمة



الله ـ لعلها تشكل الملامح الأساسية لما يحمله وما عمد إليه من فكر إصلاحى شمل من جوانب الحياة ما يراه على درجة من الأهمية لا تتقدم الحياة فى بعض ميادينها ان لم تمسه يد الاصلاح.. من أجل الاصلاح بذل علمه وجهده ووقته.. ومن أجل الاصلاح حُورب واضُطهد ونُفى.. ومن أجل الاصلاح لقى المعاناة والعنت.. ولكنه رغم كل ذلك لم يتوقف.

تعددت ميادين تحركه نحو الاصلاح

اصلاح فى العقيدة: الدجل والشعوذة والخرافة والأباطيل كلها التفّت حول عقول بعض أفراد المجتمع وتسربت لتختلط بمعتقده النقى النظيف.. فأصبح يخلط عملاً صالحا بآخر سيئا.. وظنه من الدين فى شيىء وما هو من الدين.. إذن لابد من قطع جذور هذه الشوائب العالقة بالمعتقد.. ومن هنا يبدأ عمل المصلح والاصلاح.. والعقيدة أولا.. العادات والتقاليد والاعراف ـ الخارجة عن نطاق الدين كثيرا أو قليلا ـ والتى أصبحت فيها بعد قانونا متبعا.. لابد من النظر فيها من منظار الدين الاسلامى ليثبت ما يثبت ويبعد ما يتعارض وأساسياته.. (إنى وهبت نفسى لاصلاح العقيدة الاسلامية وتنقيتها مما علق بها من الخرافات والاوهام).

إصلاح فى الفكر.. أن يتحرر الفكر الدينى من أغلال الحواشى وشروح الحواشى وما يتبعها.. أن يتخلص من التعقيد والتحديد.. أن ينطلق فى آفاق الفكر الاسلامى الواسعة ليثرى ويظل يثرى.. ينمّى الحياة ويستجيب لمستجداتها من غير ما تجوّز لمحكم آيات الدين.. العودة بالاسلام إلى ما كان عليه فى الصدر الأول من تحرر واجتهاد.. نبذ التبعية الفكرية والجمود فى الرأى.

إصلاح فى التعليم: أول درس تلقاه فى (الجامع الأحمدى) فى طنطا حفر فى ذاكرته ولم ينسه.. حسب مُعلِّمه يقول طلاسما يصعب حل رموزها.. ويتحدث بلغة سمها ماشئت غير العربية.. تعقيد فى تعقيد.. وعقم فى الاسلوب والطريقة ـ المنهج والاستاذ ـ تحالفا ليطردا الشيخ (وهو ابن الخامسة عشرة) ليس من الجامع الأحمدى ولكن من التعليم بحاله.. تحالفا ليطرداه من أى شىء يتعلق بالتعليم والعلم.. ورضى لنفسه أن يكون مزارعاً كأخيه فى القرية.. ولولا قدرة الله سبحانه وشيىء

من الحـرص لما كان الشيخ محمد عبده الذى كان (ملء السمع والبصر) . اختزن هذا الدرس منذ الصغر ليكون منطلقه لاصلاح التعليم . . اصلاحه فى : (المنهج والأستاذ والأسلوب) ليخرج جيلاً متفتحاً على الحياة ليتعرف اليها وتتعرف إليه .

«كان يريد ان يسيطر على برامج التعليم فى المدارس حتى يصلح النفوس من هذا الطريق بالتوسع فى التاريخ الاسلامى وبث مبادىء الدين الصحيح . . كتب مقالات عدة فى نقد نظارة المعارف وكان من أثر ذلك انشاء المجلس الأعلى للتعليم وكان عضواً بارزاً فيه» . . تولى التدريس فى الأزهـر ودار العلوم وتـولى القضـاء . . تولى إصلاح الأزهر وقدم تقريراً بذلك وصدر قرار بتشكيل مجلس إدارة للأزهر . . لم تسر الأمور كما ينبغى ودخل ما عكر الصفو بينه وبين الخديو فحورب أشد محاربة وأعنفها من عدة جهات .

الهـمّ الكـبير

●● لم يقف جهده فى حدود وطنه الصغير مصر بل التفت للوطن الاسـلامى الكبـير فوضـع لائحتـين فى اصـلاح التعليم الدينى فى مدارس المملكة العثمانية رفع إحداهما لمركز الخلافة فى الاستانة وهو يرى فيها ان ضعف المسلمين سببه الجهل بأصول الدين وهذا أضاع أخلاقهم وأفسدها وان العلاج الوحيد هو اصلاح التعليم الدينى وقد رسم لذلك خططه . .

ورفع لائحة أخرى الى والي بيروت تتضمن خطة ايضاً فى هذا الشأن . . ودُعى للتعليم فى المـدرسـة السلطانية ببـيروت فأصلح برامجها ونقلها الى درجة ارقى بكثير مما كانت . . فى بيروت ملأ زمنه بالتأليف والتعليم . . شرح نهج البـلاغـة ومقامات بديع الزمان وأخذ يدرس تفسير القـرآن الكـريم فى مسجـدين من مسـاجد بيروت على طريقتـه الخـاصـة وليست طريقـة اسـاتذته ومشائخه فى الأزهر . . لا يتقيد بكتاب بعينه إنما يقرأ الآية من القرآن ويفسـرهـا من عنـده بما يختـار من التفـاسـير وبما يجتهد ويستطرد فى شرح أحوال المسلمين ونقدهم حسبما تلهمه الآية . . اتخذ بيته ندوة للحديث العلمى والأدبى وكان لبقاً فى دروسه وأحاديثه . . وفى حركة اصلاحه اتجه لاصلاح القضـاء والأوقـاف . . وأخـلاق النـاس ومعـامـلاتهم وسلوكياتهم ـ هاجم بشدة الداعين الى الحرية الشخصية والحرية الاجتماعية فى اطلاقها حيث يرى أنها ضارة ان لم تدعم بالـتربية وإلا سقط الناس فى الخمر والقمار وهتك المحرمات وجاهروا بالالحاد باسم الحرية الشخصية وحرية الرأى .

أوكـل إليـه ريـاض باشا اصلاح (الوقائع المصرية) فاظهر فيها قدرات فائقة وبراعة فى الأداء وجعل منها أداة للعمـل الاصـلاحى يتحرك فى كثير من الميادين . . منها السيـاسى والاجتماعى والتربوى وحتى ميدان الاصلاح اللغوى . . بقى فيها مدة ثمانية عشر شهراً .

المتاعب والصعاب

ضيقـوا عليه فى بلاده . . وتلك هى طبيعة المستعمر الغاشم ما تطرق أذنيه وتصل سمعه كلمة حق الا وقد هاج هائجه . . وما أن يظهر واحد من الدعاة إلى سبيل الحق والخير والى اصلاح حياة الناس إلا ووضعت المتاريس فى طريقه . . ولكن الشيخ محمد عبده يعرف كل ذلك سلفاً فلا شيىء أمامه سوى الصبر والاحتساب . . قبض عليه أيـام الثـورة العـرابية لاشتراكه فيها واودع السجن وذاق الامـرَّين . . مارس الانجليـز عليه ضغوطاً قوية وضيقوا على (العـروة الوثقى) فلم يصدر منها سوى ثمانية عشر عدداً فى ثمانية أشهر . . أوقفت هذه المجلة التى كانت منبراً حراً للرأى الصـريـح النـاضـج القـائم على دعـائم الاصـلاح . . الاصـلاح فى المجتمـع . . الاصـلاح فى السياسة . . الاصلاح فى الاقتصاد . . الاصلاح فيما دخل الدين والمعتقد مما ليس منه فى شيىء الاصلاح فى كل ما يهم الانسان والحياة . . ولم يقتصر فى كتاباته على (الوقائع المصرية) و(العروة الوثقى) بل كتب فى عدد من الصحف والمجلات فى مصر وخارجها . .

وفى استقراء عام لاتجاه كتاباته فى (الوقائع) و(العروة الوثقى) نجد ـ كما يقول الأستاذ احمد أمين ـ ان «مقالاته فى الوقائع تقصد الى الاصلاح الاجتماعى فى مصر وحدها بأسلوب هادىء يغلب عليه العقل والتحفظ والتدرج . . ومقالات العروة الوثقى تنظر الى العالم الاسلامى كله على أنه وحدة . . وكانت تقصد اول ما تقصد إلى مناهضة الاحتلال الاجنبى بجميع اشكاله . . وتقصد الى بث روح العزة بواسطة العقيدة الدينية الصحيحة وخلق الأمل والنجاح مكان اليأس . . وتوثيق الصلات بين الشعوب الاسلامية لتتعاون على دفع أذى الأجنبى عنها وتأسيس الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية على اسس اصول الاسلام من اعداد السلاح ومقابلة القوة بالقوة وطرح العقائد الدخيلة التى تدعو الى الاستسلام مثل رمى العبء كله على القضاء والقدر . . وإفهام الشعوب ان الاسلام فى شكله الصحيح لا يتنافى مع المدنية ولا يعوق التقدم والوصول الى ما وصلت إليه الأمم الاخرى) .

الشيخ محمد عبده



جمال الدين الأفغاني

دفاع الكلمة

هكذا كان الشيخ محمد عبده . . عاش مجاهداً فى سبيل الله . . لا يخاف ولا يخشى غيره . . حدد الهدف والغاية واتخذ لهما الوسيلة من كلمة مسموعة ومقروءة . . ومن جلد وصبر وقوة عزيمة وثبات على المبدأ لا يهابه حتى ان افقده حياته .

كان الشيخ محمد عبده غيورا على دينه . . لا يغمض جفنه إن مس الاسلام أحدٌ بسوء . . وله فى ذلك مواقف مشهودة . . منها ردوده على مزاعم (هانوتو) التى كونت فيها بعد كتابه (الاسلام والنصرانية) و(انطون فرح) الذى هاجم الاسلام والمسلمين فتصدى لهما ولغيرهما مدافعاً وموضحاً .

زار كثيراً من البلاد الاسلامية . . فقد كان مصلحاً ومجددا . . ذاع صيته وانتشرت آراؤه فى البلاد الاسلامية وتتلمذ عليه من أصبحوا قادة إصلاح ودعاة معروف . . وأصبح فى القلوب رمزا حياً للتجديد والإصلاح . . يقول عنه الأستاذ احمد امين (لقد خلف فى هذه الآراء كلها مدرسة تأخذ بتعاليمه وتعتمد على آرائه . . منهم من اخذها عنه شفاها ـ ومنهم فى الاقطار الاسلامية ـ من أخذها عنه بما نشره فى كتبه ومقالاته . . وكانت مدرسته هذه قوية الاثر واضحة المعالم . . وحسبنا دليلا على هذا ان اكثر من تصدوا للاصلاح الدينى أو الاجتماعى أو السياسى بعده كانوا من تلاميذه أو من اصدقائه المتأثرين به . . لم يكن يدعو إلى الاصلاح نظرياً عن طريق التأليف او الخطب والمقالات فقط بل كان يحاول دائماً أن يحول اصلاحه الى عمل . . وينغمس فى الحياة الواقعية ليتمكن من تنفيذ برامجه الاصلاحية) .

●● له من المؤلفات: **«رسالة التوحيد.. الاسلام والنصرانية.. تفسير جزء عم.. واجزاء اخرى نشرتها مجلة «المنار»..** هذا غير كتاباته فى العروة الوثقى والوقائع المصرية وغيرهما من الصحف والمجلات الاخرى..

هذا استقراء يسير للشيخ المجدد المصلح محمد عبده من خلال أقواله وأفعاله وانجازاته.. فهل لنا أن نستقرئه من خلال نشأته وبيئته.؟. لنقف على شيء من مكنونات سر هذه العقلية المتفتحة والروح المتدفقة خيرا المتطلعة الطموح التى جعلت منه الشيخ محمد عبده.. فقد حولته من محمد عبده الفلاح الى الشيخ محمد عبده العالم المجدد المصلح..

النشأة والبيئة

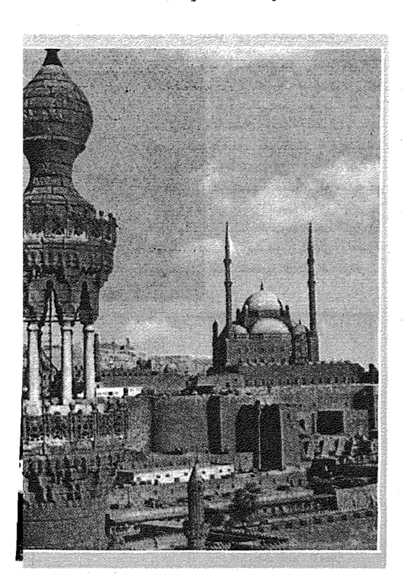
ولد الشيخ محمد عبده فى عام ١٨٤٥م فى بلدة نصر بالغربية فى مصر لأبوين فقيرين.. رأى والده فيه ـ دون إخوانه ـ ملامح الذكاء والنجابة فرغب فى تعليمه وأصر على ذلك فأدخله كُتَاب القرية ثم أدخله الجامع الأحمدى فى طنطا ليجود القرآن الكريم بعد أن حفظه ثم ليتعلم العلم.. كانت طريقة التعليم عقيمة منفرة لم يمكث سوى عام ونصف العام فقد أجهد نفسه فى محاولة الفهم.. فهم ذلك التعقيد.. ولكنه ثار ورفض الاستمرار ورفض التعليم بحاله وهرب منه وتوسل الى أبيه ان ينظمه فى سلك إخوته فلاحاً.. ويظل والده اكثر اصراراً على تعليمه لما يعرفه فيه من ذكاء وقوة استيعاب.. هرب الى قرية فيها بعض أقاربه وشاء القدر أن يلتقى بالشيخ درويش خضر خال أبيه.. استطاع بلطف اخلاقه وحلاوة أسلوبه ان يستميل محمد عبده للدرس والقراءة واستطاع ان يحل العقدة النفسية التى عمقها فيه (شرح الكفراوى على الاجرومية) ثم رجع الى الجامع الاحمدى ليدرس النحو كأحسن ما يكون فهما واتقاناً.. وسئل الشيخ محمد عبده فيما بعد عن سبب هروبه من الدراسة وعدم رغبته فيها فقال (إن الذى كان يعوقنى عن تفهم المقصود من هذه الشروح والمتون ثلاثة امور:

الأول: رغبتى فى أن اكون مثل اخوتى فلاحاً وعدم وجود الوسائل التى ترغبنى فى العلم.

الثانى: اختلال نظام التدريس بحيث كنت أسمع الشيخ وهو يدرس فأحسبه يتكلم بلغة أجنبية.

الثالث: ما اتفق عليه الطلبة من مضايقة معدهم بالاغذية الضارة مما يكون منه اعتلال الجسم والفكر معا.. ومن الجامع الاحمدى الى الجامع الازهرى حيث نال شهادة العالمية واشتغل بالتدريس فيه وفى دار العلوم.. وتولى تحرير الوقائع المصرية واشتغل فى القضاء ثم تولى الافتاء.. وغير ذلك من الوظائف والاعمال..

●● وفى عملية التكوين الفكرى للشيخ محمد عبده نلمح ثلاث شخصيات كان لها أثرها فيه:



الشيخ درويش: فقد علمه كيف يتصل بالناس ويتحدث إليهم ويعظهم.. حفَّزه لدراسة كل العلوم فليس فيها من واجب ومحظور بل كلها تخدم بعضها.. ورغبه فى الاستمرار مما اظهر فيه الثقة بالنفس والاعتداد بالرأى.

الشيخ حسن الطويل: كان ذكياً جريئاً يتحدث فى الفلسفة والسياسة ولا يأبه لشيىء.. كانت الفلسفة محرمة فى الأزهر فرغبه فيها هذا الشيخ واختلف إليه الشيخ محمد عبده وأخذ عنه منها ما أخذ.

الشيخ جمال الدين الافغانى: اتصل به الشيخ محمد عبده عند مجيئه لمصر وتتلمذ عليه واستفاد منه بصراً بالدنيا التى حجبها الأزهر عنه.. ورغبة صادقة فى العمل للأمة وشوقاً إلى الاصلاح الدينى والخلقى والاجتماعى وميلا ملحا إلى اجادة قلمه حتى يتصل بالرأى العام من طريق الكتابة.

ويقول الشيخ محمد عبده فى جمال الدين الافغانى «إن أبى وهبنى حياة يشاركنى فيها على ومحروس - وهما أخوان له كانا مزارعين - والسيد جمال الدين وهبنى حياة أشارك فيها محمد وابراهيم وموسى وعيسى والأولياء والقديسين».

رحم الله الشيخ محمد عبده فقد أخلص لدينه وأعطى لأمته وأفاد منه الكثير.

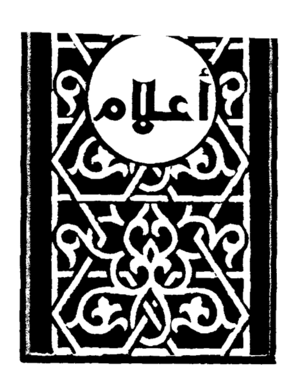
التحرير



جمال الدين الأفغانى

(١٨٣٩-١٨٩٧م)

تربى على العلوم العقلية الاسلامية والفلسفية وأخذ جانباً من العلوم العسكرية انخرط فى الجهاد ضد الانجليز أفغانستان وهو لا يزال شاباً.. يضطر امام الزحف الاستعمارى للخروج من بلده وتترامى فى أعماقه أخبار الغزو استعمارى للعالم الاسلامى ويظل ذلك هاجسه ويؤرق مضجعه ويحوله إلى جذوة متقدة.. يتلمس الواقع حوله جد انهيار المسلمين وانكسارهم وضعف العلماء وجمودهم والاستعمار يحكم قبضته ويسيىء للاسلام والمسلمين.. ل يرسل صيحاته للجهاد والصحوة والوحدة.. يتصل بالحكام ويلتقى بالشباب ويلقنهم ويدعوهم إلى التحرر التقليد والجمود وان يملؤا نفوسهم بقوة الايمان بالله.. قضى عشرين عاماً وهو يتجول فى الشرق الاسلامى ويترك ه فى البلاد التى مر بها.. اتجه إلى مصر والتقى بعلماء الأزهر.. ذهب إلى باريس وأصدر هناك (العروة الوثقى) اعية لتلاقى المسلمين ووحدتهم تحت راية الجامعة الاسلامية.. استدعاه السلطان عبد الحميد وحبسه فى قصر ل فى الأستانة لمدة خمس سنين حتى مات فيه..



فى حلب وبين أسرة ثرية اختصت بنقابة الأشراف ولها باع طويل فى العلم. . ولد عبد الرحمن الكواكبى عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م. كان والده أحد المدرسين فى الجامع الأموى وفى مدرسة الكواكبية التى أنشأتها الأسرة على غرار الطريقة الأزهرية فى كتبها ومناهجها. . وترك اهتمام خالته بالأدب وما عرف عنها من كياسة وحسن تفكير بصمات واضحة على شخصيته خاصة وأنها تعهدته بالتربية بعد وفاة والدته وهو لايزال صغيراً. . فى تلك البيئة الفاضلة بتقاليدها الأصيلة وأخلاقها القويمة نشأ عبد الرحمن الكواكبى. . ومنها خرج رجلاً عفيف النفس معرضاً عن المطامع بعيداً عن الزلات والهفوات. . يقطر لسانه حكمة وتفيض شخصيته أنفة وإباء. . شجاعا غير هياب لا تمنعه عن قولة الحق لومة لائم.

فى المدرسة الكواكبية - مدرسة الأسرة - تعلم الكواكبى اللغة العربية والدين كما أتاح له والده أن يتعلم الفارسية والتركية. . وبدأ بعد ذلك فى تعليم نفسه وتثقيفها فقرأ بعض العلوم الرياضية والطبيعية وطالع الكثير من كتب التاريخ واهتم بدراسة قوانين الدولة العثمانية. .

أنفق الكواكبى جزءاً كبيراً من حياته للعكوف على مطالعة التاريخ الاسلامى فى الماضى والحاضر وما كتب الكُتّاب المحدثون فى ذلك سواء فى الكتب أو المجلات أو الجرائد. . وأفاد الكواكبى من رحلاته الكثيرة الى سواحل افريقية الشرقية وآسيا الغربية وبلاد العرب والهند حيث درس حالة كل بلد ارتحل اليها دراسة اجتماعية واقتصادية وزراعية دقيقة وعميقة. وقد ظهرت آثار دراساته وثقافته الواسعة واضحة فى كتابيه طبائع الاستبداد وأم القرى كما سنبين فيما بعد.

حياته العملية

كما تنوعت ثقافة الكواكبى ومصادرها تنوعت وتعددت أعماله فأصقلته التجارب المختلفة التى خاضها وتعمقت معرفته بالحياة وزادت خبرته فيها. عمل الكواكبى محرراً لجريدة رسمية ورئيس كتاب المحكمة الشرعية وقاضياً شرعياً فى احدى بلاد سورية ورئيس بلدية وكان يعتزل أحياناً الوظائف الحكومية. . وأنشأ لنفسه جريدة فى حلب باسم «الشهباء» كما اشتغل بالأعمال التجارية وقام



بالمشروعات العمرانية وحين تعرضت تجارته لخسارة كبيرة بسبب اتهام عارف باشا والى حلب له ووقوف أبى الهدى الصيادى ضده تحمّل ذلك بنفس قوية ترفض الاستسلام للمصائب وتقلب الأحوال.

الكواكبى يتصدى للحكم الظالم

فى فترة حكم السلطان عبد الحميد توالت الاضطهادات والضغائن وكثرت الجمعيات السرية التى تعمل لتحرير البلاد ووضع نظام ديمقراطى.. واضطر البعض الى الهروب من هذا الظلم متوجهاً الى البلاد الأوربية ومن هناك كان يكتب مقاوماً تير الحكم.

اصطدم الكواكبى بنظام الدولة واستبداد الحكم فى كل اعمـاله الحكومية والحرة.. فكان يتصدى لذلك مستعيناً بعدله واستقامته حتى ارتفع شأنه وقصده أصحاب الحاجات ورجال الحكومة.. وقد جرت عليه جرأته فيما يقول وشجاعته النادرة الخلافات مع (عارف باشا).. (والى حلب) وراح يعدد سيئاته وينقم عليه تصرفاته محرضاً الناس على رفع صوتهم معه بالشكوى لرؤسائه فى الاستانة.. وما كان من والى حلب إلا أن زوّر عليه أوراقا اتهمه فيها بأنه يسعى لتسليم حلب الى دولة أجنبية ثم حبسه وطلب محاكمته.. وبذل الكواكبى ورجاله جهدا كبيرا ليحاكم فى ولاية غير حلب وبالفعل حوكم فى بيروت فحكم ببراءته وظهرت خيانة الوالى ومكائده فعزل.

لذا جاءت موضوعات كتابيه «طبائع الاستبداد.. وام القرى» فى هذا الخصوص.

أم القرى

سواء كان لهذا الكتاب أصل من حقيقة - كما ذكر الكواكبى - أو هو محض خيال فإن الذى يلفت الانتباه هو أن دعوته لاصلاح أحوال المسلمين بعد أن شعر بفساد أحوالهم تظهر جلية واضحة يتلمس فيها الكواكبى مواطن الداء ويصف العلاج بأناة وحكمة منطلقاً فى ذلك من غيرة صادقة على العالم الاسلامى والشعوب الاسلامية.

فى أسلوب قصصى جذاب يتحدث الكواكبى عن

جمعية من المسلمين عقدت فى مكة أول اجتماع لها فى الخامس عشر من ذى القعدة سنة ١٣٦٦هـ حضرها ممثلون لكل قطر إسلامى - وكأنه أراد بذلك تمثيل وجهات النظر المختلفة فى القضية أو الموضوع - يرأسها العضو المكى ويتولى السكرتارية السيد الفراتى (ومثل به لنفسه).. اجتمع هؤلاء للتداول فى حال المسلمين وبحث الداء وأعراضه ثم وصف الدواء الناجع.

وكان منهج البحث الكتمان وتناسى الاختلاف فى المذاهب والتحرر من اليأس فى الاصلاح.. طرح الكواكبى القضية الأولى على لسان الرئيس وهى الفتور العام الشامل لجميع المسلمين فى كل أقطار الأرض ثم راح يناقشها ويبحث فى أسبابها على لسان كل عضو..

فالشامى يرجع حالة الفتور الى الزهد فى الدنيا وإماته المطالب النفسية.. والتبريزى يرجعه الى ترك المسلمين أصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. والفاسى يراه فى اهمال الناس الاهتمام بالدين.. أما المدنى فَفَقْدُ الرابطة الدينية والوحدة الخلقية لا يكفى عنده سبباً لهذا الفتور العام إنما السبب هو غلاة المتصوفين الذين أضاعوا الدين وأضاعوا أهله.. والكردى يؤكد على الفتور بسبب اقتصار المسلمين على العلوم الدينية واهمالهم العلوم الدنيوية كالرياضة والطبيعة والأخلاق.. والأفغانى يرجع ذلك الى الفقر.

وينتقل البحث الى تحديد الاسلام الصحيح وفى نهاية الكتاب يدعو الرئيس - السكرتير - لتلخيص المحاضر السابقة - وبذا يلخص الكواكبى بحثه - فيلخص أسباب فتور المسلمين فى أسباب دينية وسياسية وخلقية إضافة الى الغفلة عن تنظيم شئون الحياة وانتشار داء التواكل أما الدواء فهو فى تنوير الافكار بالتعليم وإيقاظ الشوق للترقى وخصوصاً فى الناشئة.. وفى تأسيس الجمعيات التى تقوم بهذا العلاج.. ويكلف بذلك كل قادر على عمل وخاصة نجباء الأمة من السراة والعلماء.

إن كتاب أم القرى كما يقول أحمد أمين - رواية جدية ليس فيها غرام وغزل - بل فيها غرام مؤلفه بالعالم الاسلامى.. يعانى فى سبيله ويضحى بماله ووطنه فيهجره لأنه لم يستطع أن يجهر برأيه فى حلب فجهر به فى مصر.. وما كان يكتب فى هذه الموضوعات فى المجلات والصحف أقرب الى موضوعات انشائية جوفاء نقلها هو الى بحوث علمية عملية يحلل ويذكر العرض وسبب الداء ويعالج فى صبر وشجاعة واستقصاء.

طبائع الاستبداد

مجموعة من المقالات نشرها الكواكبى بداية الأمر فى بعض الصحف سنة ١٣١٨هـ وكان فى مصر آنذاك ثم جمعها فى كتاب قال فى بدايته «إنى نشرت فى بعض الصحف أبحاثاً علمية سياسية فى طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد منها ما درسته ومنها ما اقتبسته غير قاصد بها ظالما بعينه إنما أردت بذلك تنبيه الغافلين لمورد الداء الدفين عسى أن يعرف الشرقيون أنهم هم المتسببون لما هم فيه فلا يعتبون على الأغيار ولا على الأقدار ثم أضفت إليها بعض زيادات وحولتها الى هيئة هذا الكتاب».

والاقتباس يظهر للكثير من أقوال الكاتب الايطالى «ألفيرى» الذى تأثر «بفولتير وروسو» وقاوم الاستبداد فى كل صوره.. غير أن الكواكبى هيأ ذلك بما يتلاءم مع البيئة الشرقية والعقل الاسلامى إضافة الى تجاربه وأفكاره.

وأوضح الكواكبى أن الاسلام فى جوهره الأصيل لا ينطبق عليه ذلك الاستبداد فالحرية وتقدير المصلحة العامة تقديراً كاملاً والشورى مبادىء بنى عليها والقرآن الكريم يقضى بتعاليمه العظيمة على الاستبداد قضاء تاماً بل انه يدعو الى التمسك بالعدل والالتزام بنظام الشورى

والآيـات فى ذلـك كثيرة منها قوله تعالى ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ وقوله تعالى : ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ . . كان هذا ملموسا ومشهودا فى عهد النبى ﴿ﷺ﴾ وعهد الخلفاء الراشدين غير أن كلمة المسلمين تفرقت وانقسموا شيعاً وظهر الاستبداد وأضاعوا مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وتحدث الكواكبى فى كتابه عن خوف الحاكم من العلم خاصة العلم الذى يعلم الحرية والشرف والحقوق والانسانية وقيمتها والعبودية وضررها . . وخوفه من الفلسفة العقلية ودراسة حقوق الأمة وعلوم السياسة والاجتماع والتاريخ المفصل والقدرة على الخطابة الأدبية . . والحاكم المستبد يسعد بغفلة الشعب . . والواقع ان الكواكبى كان فى كل ذلك ينظر الى الدولة العثمانية فى عهده ويستنبط منها آراءه وأحكامه.

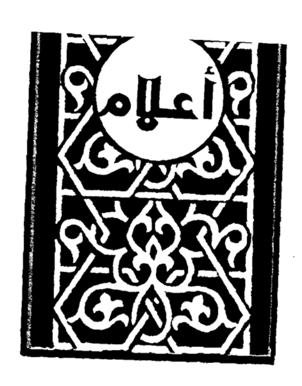
ثم عرض بعد ذلك للاستبداد والمجد معرفاً المجد بأنه (لرغبة الانسان أن تكون له منزلة حب واحترام فى قلوب الناس) وقسم المجد الى أنواع ثلاثة . . مجد الكرم وهو بذل المال فى سبيل المصلحة العامة (أضعف الثلاثة . . ومجد العلم وهو نشر العلم النافع رغم عوائق السطات . . ثم مجد النبالة وهو بذل النفس بالتعرض للمشاق والأخطار فى سبيل نصرة الحق . أما التمجد فهو المجد الكاذب.

وللاستبداد أثر كبير فى فساد الأخلاق فهو يفقد الانسان عاطفة الحب لقومه ووطنه واسرته وصديقه . . وهو يفقد الناس ثقة بعضهم ببعض . . والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم نحوا منحى خاصا فى تكوين اخلاق الناس يعتمد على (فك العقول من تعظيم غير الله وتقوية الايمان المفطور عليه الانسان وتنوير العقول بمبادىء الحكمة والارادة وحرية الفكر وهدم حصون الاستبداد . . فالتربية الصحيحة لا تتحقق فى ظل الاستبداد الذى يمنع ترقى الأفراد والشعوب.

أما وسائل التخلص من الاستبداد فهى تتلخص كما يرى الكواكبى فى مقاومته . لكن باللين والتدريج وعن طريق بث الشعور بالظلم . وذلك لن يتحقق إلا بالتعليم والتحميس . . وقبل مقاومة الاستبداد يجب تهيئة ما يحل محله ومعرفة الغاية معرفة دقيقة واضحة واقناع الناس بها ونشر ذلك فى كل الطبقات . .

وفى السادس من ربيع الاول سنة ١٣٢٠هـ-١٩٠٢م كانت وفاة الكواكبى الرجل الذى اكتوى - كما يقول احمد أمين - بالسياسة العثمانية فكانت موضع نقده . . ووهب نفسه لاصلاح المسلمين فى معالجة طبيب يفحص المرض فى هدوء ويكتب الدواء فى أناة . . يدعو الى المدرسة ويعمل فى بطء حتى يفتت الصخر كخرير الماء . وأسف عليه كل من كان محباً لاصلاح المسلمين وبكاه اخوانه الذين رأوا فيه نبل الخلق وسمو المقصد وعفاف اللسان ونقاء الضمير.

نادر صلاح الدين



كان الشيخ الابراهيمي عبقرية رائعة حقا.. ومفخرة قومية صدقا.. تمثلها حياة حافلة وتاريخ مضيء مملوء بالبطولة وبالإيثار والتضحية..

عاش عصره بكل ذرة من جوارحه وبكل ما حفل به العصر من مواقف وأفكار وتحولات.

عرفت فى الشيخ الابراهيمى رجلا من طراز اعلام الاسلام المبرزين الهادين المهتدين يعيش لفكره ويؤمن بوطنه ويضحى من أجل عقيدته بكل ما يملك من نفس ونفيس.

عاش الشيخ فى عصر رهيب - عصر الاستعمار الغربى للعالمين الاسلامى والعربى وعصر نضال الأحرار فى أنحاء وطننا فى سبيل الحرية والاستقلال وآمن بما كان يؤمن به الرواد الكبار فى الفكر الاسلامى المعاصر من أنه لا سبيل إلى النجاة والحرية والكرامة والشرف إلا بتربية أجيال من الشباب على الالتزام وتحمل المسئولية.. والايمان بالله وبالوطن.

وكانت خطة العمل الاسلامى والعربى التى سار عليها الأئمة الكبار الرواد فى مختلف أنحاء وطنهم متماسكة..
الامام محمد عبده يقول للأفغانى: (لو أننا ذهبنا فى مجهل من مجاهل الأرض وربينا عشرة من الشباب المسلم على كل القيم العظيمة فى ديننا وقام كل واحد منهم بتربية عشرة آخرين لكان لنا فى مدى قليل جيل من رواد العمل الاسلامى فى الوطن الكبير).

والامامان ابن باديس والابراهيمى يسهران فى ليالى المدينة الوضاء بعد ذلك بربع قرن ليضعا لمسات العمل الوطنى الاسلامى لتحرير الجزائر من نير الاستعمار على أساس من التربية الاسلامية لأجيال الشباب الجزائرى الحر.

كان مولد البشير فى أسطيف فى الثالث عشر من شوال من عام ١٣٠٦هـ الرابع عشر من يونيو من عام ١٨٨٩م من أبوين كريمين ومن أسرة علمية تنتمى الى السادة الاشراف الأدارسة.

وتمر السنوات الاولى من حياته هادئة - فلما بلغ

الشيخ محمد البشير الابراهيمي

السابعة سار فى طريقه فى حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادىء علوم الشريعة والعربية على يدى عمه الشيخ محمد المكى الابراهيمى.

ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره وذلك عام ١٩٠٣م توفى عمه وخلفه البشير فى تدريس علوم الدين والعربية للشباب من طلاب العلم.. واستمر فى أداء ذلك الواجب حتى بلغ العشرين من عمره الحافل.

عندئذ تبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ أسرته فقد هاجر والده عام ١٩٠٨ الى مدينة رسول الله ﴿ﷺ﴾ فراراً من بطش الاستعمار وأذنابه ـ وأقام بها.. وفى أواخر عام ١٩١١ لحق الابن محمد البشير بأبيه.

وفى طريقه الى المدينة المنورة مر بالقاهرة ومكث بها ثلاثة شهور ـ يحضر حلقات العلم فى الازهر الشريف ويلتقى فيها بعلماء الازهر من أمثال الشيخ سليم البشرى والشيخ محمد بخيت المطيعى.. والشيخ يوسف الدجوى.. كما التقى بالشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار.. وزار الشاعر أحمد شوقى وحافظ ابراهيم.

وفى المدينة المنورة أفاد من علم الشيخ العزيز الوزير التونسى المقيم فيها والشيخ حسين أحمد الفيض أبادى الهندى ت(١٩٦٠) الذى رأس فيما بعد جمعية العلماء بديوبند بعد عودته كما أفاد من علم الشيخ الشنقيطى وغيره على امتداد ستة أعوام.

وفى أخريات هذه السنوات جلس الابراهيمى فى مسجد رسول الله ﴿ﷺ﴾ يلقى بعض الدروس على طلاب العلم فى المسجد النبوى الشريف.. ووفد عليه فى المدينة عام ١٩١٣م صديقه الشيخ عبد الحميد بن باديس الذى مكث ثلاثة شهور فيها حيث اخذا يلتقيان ويتدارسان دوما.

●● ويعود ابن باديس (١٨٨٧-١٩٤٠) الى الجزائر على أن يلحق به البشير بعد قليل ولكن الحرب العالمية الاولى تشب نارها ويرتفع أوارها وتقف العوائق حائلة بينه وبين العودة الى الوطن.. ويهاجر الشيخ محمد البشير الابراهيمى وآله الى دمشق ويقيم فيها.. وفيها يلتقى ببعض زعماء النضال الوطنى العربى من مثل الشيخ محمد

الخضر حسين التونسى . . وخير الدين الزركلى . . وخليل مردم . ومن أمثال الشيخ بهجت البيطار ـ وغيرهم .

وهناك يختار الشيخ الابراهيمى مدرسا للآداب العربية بالمدرسة السلطانية الثانوية التى كان من تلامذته فيها عدنان الاتاسى وجميل صليبا وغيرهما .

ويظل فى دمشق حتى عام ١٩٢٠ وعندئذ بدأ يعد العدة للعودة إلى أرض الوطن الذى وقفت الحرب العالمية الأولى فى طريق عودته إليه منذ اقبالها عام ١٩١٤ .

وفى قسنطينة فى وطنه الجزائر يلتقى بزميل حياته وشبابه الشيخ ابن باديق ويرى ما بدأ يصنعه من تأسيس المدارس والكتاتيب وبناء المساجد . . وتعليم الشباب الجزائرى علوم اللغة العربية والشريعة الاسلامية . . ومن إلقاء المحاضرات فى كل مكان وفرح البشير بذلك الفرح كله لانه رأى الوطن العريق يبدأ السير فى الطريق القويم .

وسافر البشير الى بلدته أسطيف وما لبث أن اخذ يحاضر فى كل مكان . . ويلقى الدروس فى كل بلد ويسير فى الطريق التى سار فيها صديقه ابن باديس فأنشأ مدرسة صغيرة وأخذ يدعو الى بناء المدارس والمساجد ما استطاع الشعب الى ذلك سبيلا .

وما ان مرت السنون على الاحتلال الفرنسى وجاء عام ١٩٣١م حتى اعلن مع صديق نهجه (ابن باديس) قيام جمعية العلماء المسلمين فى نادى الترقى بالجزائر ـ وذلك من اجل تطهير عقائد الاسلام من أوضار الضلال والابتداع . . وإبراز فضائل الاسلام وقيمه ومثالياته الرفيعة . . والبذل فى سبيل الدين والوطن . . ونشر الاخاء بين أفراد المجتمع كافة . . وتولى رياستها الشيخ عبد الحميد بن باديس وانتخب الشيخ الابراهيمى نائبا له واصبحت من خلال الرسالة التى حملتها لها دلالاتها البعيدة فى حركة النضال الوطنى . . وكانت تمثل القيم الاصيلة فى السلوك من أجل الحفاظ على التراث الجزائرى وعلى أن تظل العروبة هى السمة الأساسية للشعب والاسلام هو عقيدته .

وكان من رأى الامامين: ابن باديس والابراهيمى العمل من أجل تخريج جيل قوى مؤمن بدينه وعروبته .

وفى هذا وعنه ينادى البشير بأن لا سبيل الى فرنسة الجزائر وأن شعب الجزائر شعب عربى مسلم . . ولأنه عاش على أرضه سيدا حرا . . مبدعا للحضارة . . مؤمنا بالحرية . . عاملا على البذل والتقدم والازدهار .

ولهذا كان الهدف من دعوة الامامين: ان باديس والابراهيمى فى جمعية العلماء المسلمين هو تركيز دعائم المحافظة على جوهر الاسلام . . وانتشال الشباب الجزائريين من وهدة التغريب والاندماج . . وتنظيم حملة كبيرة على البدع والخرافات .

وفى عيد الحرية فى الرابع عشر من شهر يوليو عام ١٩٣٩م يقف ابن باديس خطيبا فى الجماهير ويقول: **«أيتها الحرية التى يتغنى بمفاتنك الشعراء وتسفك فى سبيلك الدماء أين أنت فى هذا الوجود؟»**.

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين علامة مضيئة فى تاريخ الشعب الجزائرى . . وكانت بداية رائعة لحركة التحرير الوطنى . . ومقدمة جميلة للثورة الجزائرية الكبرى . . ويقول البشير «إنها جاءت على عبوس من الدهر وتنكر من الاقوياء فنعجب من روح العروبة فى تلك الانساب فاذا هى صريحة وسكبت من سر البيان العربى فى تلك الالسنة فإذا هى فصيحة .)

وتقوم الحرب العالمية الثانية وتشب نيرانها وتندلع شرارتها ولا يتوقف نضال الابراهيمى ويصدر فى العاشر من مارس عام ١٩٤٠م رئيس وزراء فرنسا **«المسيو دلاديه»** أمرا بإبعاد البشير الابراهيمى ونفيه . . وبعد شهر أو يزيد توفى المناضل الامام ابن باديس فى ١٦ ابريل من

عام ١٩٤٠م وينتخب البشير من بعده رئيسا لجمعية العلماء المسلمين.

وتصدر الجمعية جريدة البصائر لسان حال لها - وكانت مقالات الابراهيمي فيها تحمل الأمل والبشرى للشعب الجزائري وهذه المقالات هي التي صدرت في القاهرة بعد ذلكم في كتاب «**عيون البصائر**» للابراهيمي.

وتنشىء الجمعية مئات المدارس والكتاتيب والمساجد بعون من الله ومن الشعب حتى بلغت جملة التلاميذ فيها عام ١٩٥٢ مئات الالاف ما بين بنين وبنات.

ومن حيث كان المستعمرون يعلنون أن الجزائر صارت مسيحية وأن لغتها هي الفرنسية كانت جمعية العلماء المسلمين بلسان رئيسها الشيخ الابراهيمي تقول: «**شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب**» وبفضل جمعية



العلماء صارت الثقافة الاسلامية العربية هي الثقافة المميزة للشعب والقائدة له والبناءة العاملة لدعم كيانه وشخصيته وكانت الجمعية بكل كفاحها ونضالها تمهد الطريق لقيام الثورة الجزائرية الكبرى على أرض الوطن.

وهبت الثورة الجزائرية الكبرى في نوفمبر من عام ١٩٥٤ وفي التاسع عشر من سبتمبر عام ١٩٥٨ أعلنت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.. وفي الثامن عشر من مارس ١٩٦٢ تمت اتفاقيات افيان وقامت الدولة الجزائرية الكبرى وشقت طريقها الى السيادة والتقدم والرخاء.

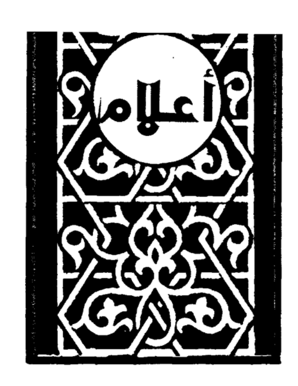
كل ذلك والبشير الابراهيمي في مصر حينا وفي العالم العربي والاسلامي حينا آخر من أجل أهدافه الكبيرة يعمل كسفير للثورة الجزائرية ولجمعية العلماء المسلمين ويرسل الأموال والسلاح للثورة والثائرين ليتحقق الامل وليقوى الرجاء في الوصول بسفينة الوطن إلى شاطىء الحرية والسلام.

وفي مصر اختير الشيخ محمد البشير الابراهيمي عضوا في جمعية الشبان المسلمين العالمية.. وعضوا في رابطة الأدب الحديث.. وعضوا في مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف.. وعضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦١ - واستقبله أعضاء المجمع بالترحيب والتقدير.

كما اختير الشيخ البشير عضوا في رابطة العالم الاسلامي وفي غيرها من الهيئات العاملة في مختلف أنحاء الوطن العربي.

هذا هو محمد البشير الابراهيمي وهذه صفحة أعماله البيضاء الناصعة.. جهاد في كل مكان وبناء في كل ميدان.. وإيمان عميق بالنصر يأتي من عند الله لوطنه ﴿**وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم**﴾.

د. محمد عبد المنعم خفاجي
مصر



في عام ١٩٣٥م أى منذ خمسين عاما زار الامام الشيخ الطاهر القاهرة واجتمعت به في رحاب الأزهر الشريف وجمعية الشبان المسلمين فرأيت فيه من جلال الشخصية وعبقرية الذكاء.. وسعة العلم ووفرة التحصيل وسمو الخلق.. ما ملك عليّ أقطار نفسي ووجداني.

وكان «محمد الطاهر بن عاشور»(١) إماما في الدين.. مفكرا إسلاميا كبيرا كما كان أديبا كبيرا ترك وراءه آثارا خالدة في الأدب والنقد تعد من أروع ما تركه لنا الرواد.. وكان الطاهر شيخا جليلا واستاذا كبيرا يملأ العقل والقلب بسعة ثقافته وسحر بلاغته.. وروعة فصاحته وجمال أسلوبه.. وعمق آرائه في شتى علوم الشريعة والأدب.

وبحق كان الامام «ابن عاشور» من أئمة رجال الدين وشيوخ الاسلام متمكنا في علوم الشريعة والادب وفي الأصول والفروع حتى عدّ إمام عصره وشيخ دهره وتصدر جيله وصار مقصد الناس وطالبي الفتيا في حياته.

■ عاش سبعة وتسعين عاما هجريا (١٢٩٦-١٣٩٣هـ) أو أربعة وتسعين عاما ميلاديا (١٨٧٩-١٩٧٣م).

■ وكان جده لأمه الوزير الشيخ عبد العزيز بو عتور(٢) الذي عاش الى ما بعد عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م.. وحين آنس جده إقبال سبطه على العلم ونبوغه في اللغة وتوفره على الأدب وهب له خزانة كتبه فكانت خير هدية أهديت إليه حيث عكف على مخطوطاتها وأمعن في قراءاته لنفائسها.

■ التحق الشيخ بالزيتونة وأخذ عن شيوخها(٣) وفيها تفوق في دراساته الدينية واللغوية والأدبية درس في حلقاتها العلمية: اللغة وشتى علومها من نحو وصرف وبلاغة وعروض.. كما درس علوم الشريعة من فقه وأصول وتفسير وحديث.. ولم يلبث ان صار أستاذا فيها وشيخا من أعلام شيوخها.

وكان للامام محمد عبده مكانة كبيرة في تونس وعند علماء الزيتونة وكان قد زارها عام ١٨٨٤م يحمل إليها وإلى



تونس العربية رسالة العروة الوثقى ثم زارها مرة ثانية عام ١٩٠٣ ومعه محمد فريد زميل مصطفى كامل فى النضال الوطنى ـ وآنذاك التقى الشيخ محمد الطاهر وصفوة علماء الـزيتـونـة بالشيـخ محمـد عبـده فى رحاب هذه الجامعة الاسلامية العريقة.

ورأى الشيخ محمد الطاهر فى الامام محمد عبده صورة رائعـة للمفكر الاسلامى ولشيخ من شيوخ الاسلام.. ولمناضل من أجل مستقبل أمته ومستقبل الاسلام والمسلمين.

وملأت شخصيـة الامـام كل جوانب روحـه وعقله ونفسه.. فتعددت اللقاءات بينهما وتحدثا معا فى اصلاح التعليم الدينى والنهوض بالعلوم الاسلامية وكانت كتب الامـام وأفكاره وآراؤه فى الاصلاح والتجديد الدينى قد سبقته الى تونس والزيتونة وقرأ علماء الزيتونة فكرا جديدا صدر من قبـل فى كتاب للامام هو «رسالة التوحيد».. أصبح الشيخ محمد الطاهر من تلامذة الامام ومن الدعاة لى فكره وفكر الأفغانى ومدرسته.

وعـاد الامام محمد عبده الى القاهرة وتوالت رسائله الى الشيخ محمد الطاهر حيث كان يلقبه فيها بابنى العزيز أو ولدنا الفاضل.

وعمل الشيخ محمد الطاهر رئيسا للمفتين المالكيين فى تونس وشيخـا لجامعة الزيتونة وفروعها.. ولقب فى عام ١٩٣٢م بشيخ الاسلام وصار عمدة العلماء فى الدراسات الاسلامية والشرعية واللغوية والأدبية.

(أ) فى الدراسات الاسلامية أصدر الشيخ محمد الطاهر العديد من المؤلفات القيمة ومن بينها:

- **كتاب أصول النظام الاجتماعى فى الاسلام**
- **كتاب مقاصد الشريعة.**
- **كتاب الوقف وآثاره فى الاسلام.**
- **كتاب مشكلات صحيح البخارى.**
- **كتـاب فى تاريخ التعليم الاسلامى فى تونس بعنوان «أليس الصبح بقريب».**
- **ومن أهم ما خلفه لنا فى هذا الجانب تفسيره للقرآن الكريم**

الذى أصدره بعنوان «التحرير والتنوير» فى ثلاثين جزءاً والذى يمتاز بسعة إحاطته بمرامى كتاب الله وأسرار بلاغته مع سعة العلم وعمق الأفكار والمضامين والمعانى وجمعه بين المعقول والمنقول وذلك كله فى بلاغة اسلوب ووضوح عبارة . ،

وحدِّث عن هذا التفسير ولا حرج وعن شرحه الرائع لكتاب الله من مختلف النواحى الدينية والفقهية والبلاغية واللغوية .

وبعد هذا التفسير من أهم ما صدر من تفاسير لكتاب الله الحكيم فى هذا العصر وقد تأثر فيه الامام محمد الطاهر بمناهج المفسرين القدماء : كالطبرى والرازى والزمخشرى والبيضاوى وبمنهج الامام محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار .

وفى الحق ان هذا التفسير هو موسوعة اسلامية وعلمية وبيانية رائعة وهو مصدر وثيق للباحثين والدارسين فى تفسير كتاب الله الخالد العظيم .

(ب) أما فى الدراسات الادبية واللغوية فقد خلف الامام الشيخ محمد الطاهر لنا آثارا نفيسة خالدة من بينها :

- كتاب موجز البلاغة .
- كتاب أصول الانشاء والخطابة
- شرح على ديوان النابغة الذى عنون له بديوان النابغة فى الأدب .
- شرح وتحقيق لكتاب «قلائد العقيان» من تأليف الوزير الاندلسى الفتح بن خاقان وهو فى تراجم أدباء وشعراء أندلسيين .
- شرحه لقصيدة الاعشى الأكبر فى مدح الرسول ﴿ﷺ﴾ .
- شرحه على المقدمة الأدبية لشرح الامام المرزوقى (ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠م) على ديوان الحماسة لأبى تمام (١٨٥-٢٣١هـ) . .

وهذا الشرح حافل بالتحقيقات العلمية المفيدة والفريدة شرحا لغريب المقدمة . . وتبيينا لمقاصدها . . وتفسيراً لمراميها . . وتحقيقا لنصوصها . . وتوضيحا لمعانى أشعارها . . وحرصا على نسبة كل بيت إلى قائله وكل نص الى صاحبه . . مما يدل على سعة ثقافته اللغوية والأدبية والنقدية . . وفى مقدمة هذا الشرح يقول :

«إن المقدمة التى دبجها الامام المرزوقى لشرحه على ديوان الحماسة اختيار «**ابى تمام**» تعتبر خير رائد لمنتجع روض الفصاحة وقد كنت اهتممت بتدبرها فقدرت قدرها وتبينت نفاستها فى صناعة الأدب وخطرها . .

فلما نشر الشرح مكللا بجواهرها هز ذلك من عطفى وحرك سواكنى إلى مراجعة عهد مضى - فأصدِّق عزما قديما وغرضا : هو العزم على أن أعلق على هذه المقدمة القيمة وأسرع إليها جواد الذهن وأسوِّقه فعنيت بتوضيح دقائقها . وحين حللت فى الآستانة فى أواخر عام **١٣٧٠هـ/١٩٥١م**) ورأيت خزانة كتبها الثرية كان مما لفت نظرى نسخة تامة من شرح المرزوقى فى مكتبة كوبرللى باشا وقد حصلت منها على شريط فوتوغرافى ولم يكن عندنا بخزائن تونس إلا نسختان من جزء أول منه حوتهما مكتبة الجامع الأعظم .)

والمقدمة توضح لنا أسلوب الامام الطاهر، الواضح البليغ الذى يوشيه بالسجع والاستعارة وألوان من محسنات البديع أحيانا .

وفى الحق ان شرح الامام الطاهر على المقدمة يبهر القارىء له - بعموم آرائه وتحقيقاته . . ودقة شروحه وتصويباته . . وسعة فهمه ونقده لأساليب العرب .

ومن أهم ما خلفه الامام الطاهر من مؤلفات فى الأدب شرحه الرائع لديوان بشار الذى طبع فى أربعة أجزاء ونم عن سمو ذوق . . وسعة ثقافة . . وطول باع فى علوم العربية .

وثقافة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الاسلامية والدينية تضعه فى مصاف الأئمة الكبار الاعلام من شيوخ الاسلام الخالدين.

وثقافته اللغوية والأدبية تضعه كذلك فى مقدمة علماء الادب المحصلين المحققين المبرزين.. وفى التحقيق العلمى للتراث يعد من طبقة الرواد الكبار فيه.

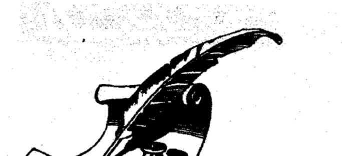
---

(١) من أسرته: الشيخ محمد الطاهر بن محمد الشاذلى عبد القادر بن محمد بن عاشور نقيب أشراف تونس وكبير علمائها فى عهد الباى محمد الصادق باشا وولى قضاء تونس عام ١٢٦٧هـ ثم الفتيا فيها عام ١٢٧٧هـ فنقابة الأشراف وله كتب عدة وشعر جيد (٢/ ٢٩ مجلة الهداية الاسلامية ـ ١٥٦ معجم المطبوعات العربية لسركيس ـ الاعلام للزركلى الجزء السادس ١١٤).

(٢) ١/ ١١٧ ديوان بشار شرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ـ الطبعة الثانية.

(٣) من مشاهير شيوخها: عمر بن الشيخ (١٨٢٣-١٩١١) وأحمد بن الخوجة (١٨٢٧-١٨٩٥).. وسالم بوحاجب.. ومحمد بيرم الخامس.. وعمر الخشانشى (١٨٥٥-١٩١٥) وكثير غيرهم.

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

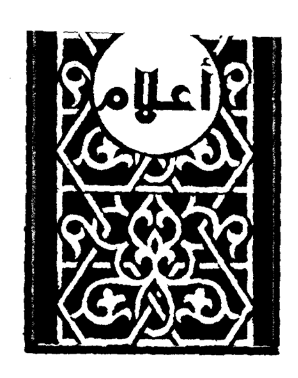


الشيخ فاضل حبيب الله رشيدى

(١٩١٤-١٩٨٦م)

شغل منصب مدير الجامعة الرشيدية ورئيس تحرير مجلة «الرشيد» أنشأ والده «الجامعة الرشيدية» تلقى الدراسة الابتدائية فى المدرسة الرشيدية.. حفظ القرآن الكريم.. تعلم الأردية والعربية والفارسية.. التحق بالجامعة الاسلامية دار العلوم ديومند عام ١٣٥٤هـ وتلقى فيها الدراسة العليا على فطاحل العلماء المشاهير هناك.

بعد تخرجه عمل فى التدريس والصحافة وعمل فى حقل الدعوة إلى الله بالمحاضرات والخطب والكتابة وظل مجاهداً مخلصاً فى طريق الدعوة.. تخرج على يديه جيل يتصف بالعلم وروح الاخلاص ويفهم الكتاب والسنة مع فهم روح العصر. حارب المذاهب الهدامة لعقيدة المسلمين مثل القاديانية والطوائف والفرق الضالة.. فى عام ١٩٤٧م استقر به المقام فى «ساهيوال» وعمل فى (منتكمرى) فى إسكان المسلمين الذين هاجروا من الهند إلى الباكستان بعد التقسيم وساهم فى إنشاء مستوطنات لهم.



هو الشيخ احمد الطيب بن مولاى البشير بن مالك بن الأستاذ محمد سرور ولد ١١٥٥هـ فى قرية (أم مرح) تابعة لمحافظة الخرطوم.. فى السودان.. قرأ القرآن الكريم فى قريته وحفظه وهو ابن السابعة ثم رحل إلى أم طلحة فقرأ على الشيخ الفقيه أحمد الفرضى المشهور بالفزارى.. ثم رحل الى الشيخ عبد الباقى النيل فرأى فيه النبوغ والصلاح والورع وقال: انه ستكون له مكانة عظيمة فى طريق الحق سبحانه.. أخذ نفسه بالعبادة والتهجد والذكر واشتغل بالعلم وطلبه وسلك مسالكه ورحل إلى كثير ممن اشتهروا بالعلم والصلاح.. فى السادسة عشرة من عمره تاقت نفسه الى أداء فريضة الحج وزيارة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام فرحل الى هناك واجتمع هناك بكثير من العلماء والاخيار منهم العالم الجليل الشيخ ابراهيم بن محمد بن عبد السلام الريس الزمزمى..

وفى المدينة المنورة لازم الشيخ محمد السمان سبع سنين أخذ عنه كثيراً من دروسه فى التفسير والحديث وأفاد منه علماً وصلاحاً وأجازه.. ثم رحل قافلاً الى السودان ليؤدى مهمته التربوية والعلمية وإرشاد المسلمين فهدى الله به كثيراً ونذر نفسه لهذه المهمة الجليلة وتنقل فى البلاد مرشداً وداعياً إلى الله سبحانه..

وفى رحلته الثانية للحج سافر على طريق مصر فظل متنقلا من بلد الى بلد حتى دخل مدينة أسوان فى جنوب مصر. وأقام أياماً فى بعض المدن المصرية التى مر بها فى طريقه داعياً الى الله ومرشداً الى الطريق السوى.. وكان ممن احتفوا به وأخذوا عنه الشيخ عبد الرحيم القناوى فى مدينة قنا وفى سوهاج عند الشيخ شيخون الوزى وفى أسيوط الشيخ احمد الأسيوطى.. وفى الأزهر احتفى به العالم الجليل الشيخ محمد الأمير وأجلسه مجالس العلماء الكبار وقال لمن سأله عنه **(مابين علمكم وعلمه كما بين السماء والأرض)** هذا ولم يجاوز عمر الشيخ احمد الطيب

الشيخ

أحمد الطيب بن البشير

الثلاثين بعد . . وعندما رجع الى السودان ثانية ظل يؤدى مهمته متنقلا فى البلاد فقد وطّن نفسه على نشر منهاج الحق بين الناس . . وله جمهرة من المؤلفات .

وإذا رجعنا مع التاريخ قليلا الى الوراء حيث قيام دولة «الفونج» أو الدولة السنارية كما تسمى أيضا فى ١٥٠٥م تقريبا وامتدت قرابة ثلاثة قرون ١٨٢١م فان تلك الدولة تعد أول دولة إسلامية فى السودان . . اهتم ملوك وخواص الفونج بالعلم والعلماء وقربوهم وأجزلوا لهم العطاء ومهدوا لهم السبل ما استطاعوا لتعليم الناس أمور دينهم . . والناس حينئذ كانوا على جهل كثير مما دفعهم الى شىء من الخلط بين ممارسات خاطئة وتقاليد وبين مفهوم الدين الأساسى فى كل ذلك . . فكان أن ظنوها من الدين فى شىء مما شوه المفاهيم الدينية عند كثير منهم . . وآخرون لا يعلمون عن الدين إلا أقل القليل . . وهذا كله مما يؤكد مهمة العلماء الاصلاحية . . وكان دور العلماء والصالحين الأتقياء دوراً عظيماً فى تلك الفترة وما تلتها . . إذ عقدوا مجالس العلم وفتحوا بيوتهم لطالبيهم يقصدونها متى شاءوا . . ومن كانوا على ميسرة منهم أسسوا معاهد العلم وانشأوا (الخلاوى) لتحفيظ القرآن الكريم وتدارس علومه وبنوا المساجد والزوايا والتكايا يؤمها الناس زرافات ووحدانا .

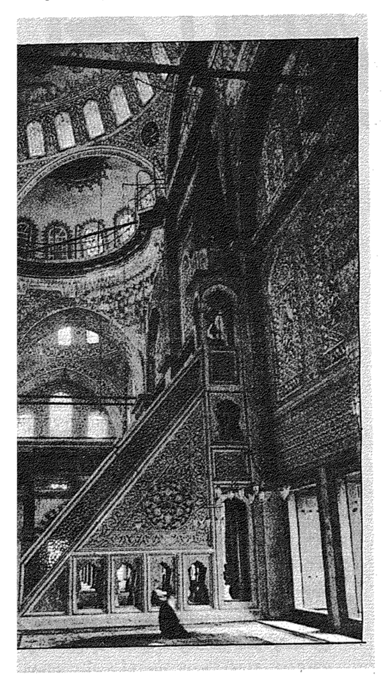
ويأتى دور الشيخ احمد الطيب ضمن تلك السلسلة النورية فى الحركة الاصلاحية الارشادية فاصلح الله سبحانه وتعالى به قلوباً غلفا وأرشد به نفوساً صما ونذر نفسه للجهاد فى سبيل الحق والدعوة إليه بالكلمة الطيبة والحكمة . . وعندما استقر فى بلدته بعد ترحال فى سبيل الله توافد إليه الناس من الأنحاء ـ لما عرفوه فيه من علم وتقى وصلاح ـ وأقام عنده من أقام مدة تطول أو تقصر لتلقى العلم والارشاد والتوجيه وبنى مسجداً فى قريته (أم مرح) وأسس (الخلاوى) وحفظ القرآن الكريم عنده خلق كثير وأفاد منه خلق كثير . . من رجع منهم الى موطنه

أصبح قدوة ومرشدا. . وهكذا تمتد هذه السلسلة الايمانية من غير انقطاع. . كل يأخذ عن الآخر ويظل هذا التعاقب الخيِّر تتوارثه الأجيال من الأبناء والحفدة ومحبي العلم والمعرفة والتوّاقين الى الصلاح والتقى والاصلاح بين الناس. . وهؤلاء بدورهم أنشأوا وأسسوا المعاهد الدينية والخلاوى وبنوا المساجد وظلت كلها منارات للعلم وطلبته. . ينفقون عليهم مما جاد الله به عليهم من رزق. . وان كنا نأسف على شيء فى أيامنا هذه فإنّا اكثر أسفاً وحزنا على انحسار (خلاوى) القرآن الكريم وقلة عددها لدرجة الندرة. . واغفال الناس عنها وغفلتهم حيث اصبحت المدارس هى الرغبة الأولى لدى الجميع. . وبعملية احصائية خاطفة ندرك ان من يحفظ القرآن الكريم فى أيامنا هذه قد لا يصل الى عُشْر من قد حفظوا القرآن من ذى قبل فى أيام ازدهار ـ الخلاوى وقيام اهلها بها. . فهل أعد هذا دعوة الى الاهتمام بامر الخلاوى واصلاح شأنها. . ؟ وهى ـ باى حال ـ لا تتعارض مع المدارس بل هى سند لها. . فقد ثبت من غير جدال أن التلميذ الذى يحفظ القرآن اكثر استيعاباً من غيره. . آمل من الجهات المسؤولة فى الشؤون الدينية والتربية أن تعيد فى الأمر النظر.

●● ونرجع الى المترجَم عنه ـ الشيخ احمد الطيب ـ تذكر المصادر أن بعض خواص الدولة (الفونجية) قد أخذُوا بعلمه وصلاحه فدعوه لزيارة (سنار) حاضرة الدولة. . ولم يكن ليغيب عن بلدته وطلابه لولا أن الأمر أيضاً جهاد فى سبيل الحق فاستجاب لرغبتهم ومكث عندهم زمنا يؤدى رسالته ويدعو الى التمسك بالدين والبعد عن كل ما ينافيه من عادات وتقاليد وسلوكيات خاطئة. . ولما أزمع الرحيل الى بلدته (ام مرح) أجزلوا له العطاء واهدوه (نحو ثمانين أوقية من خالص الذهب فأمر أن تفرق على المساكين ولم يأخذ لنفسه شيئاً لا قليلا ولا كثيرا كعادته المعروفه فيه نحو ذلك. .) راجع الكئوس المترعة للأستاذ الشيخ عبد المحمود نور الدائم ص ٧٩.

لشدة حرصه على بقاء هذه الشعلة الايمانية متقدة وحرصة على استمرارية هذه الدعوة الارشادية فقد دعا الله سبحانه وتعالى وسأله أن يصلح له فى ذريته ويبارك فيها ويجعلها أئمة هداية ودعاة حق وطالبى ارشاد.

انتقل الى رحمة الله سبحانه فى ١٢٣٩هـ عن أربع وثمانين عاماً قضاها ذاكراً عابداً. . هادياً ومرشدا الى السواء. . وترك للدعوة والارشاد من بعده خيرة



من ابنائه الذين تربوا فى كنف علمه واسترشدوا بكريم سلوكه ورفيع اخلاقه . . وأصبحوا هم أنفسهم نماذج طيبة مجاهدة (ذرية بعضها من بعض) فقد كان أبوهم صالحا . . أسسوا المساجد ـ وعمروها وانشأوا (الخلاوى) لتحفيظ القرآن الكريم وانفقوا على طلبتها وفتحوا بيوتهم لطلاب العلم والمعرفة وخصصوا لهم الجزء الاكبر من أوقاتهم . . ويمتد هذا المدّ الإيمانى وينتشر أيضاً من خلال من تتلمذوا عليه وأخذوا منه . . وهكذا يمتد عطاء الايمان الحق من جيل الى جيل . . كل يسلمه الى من بعده . . نسأل الله أن يوفق عباده الى ما فيه الخير والصلاح . . ونسأله المثوبة لكل من سار نهج الحق سبحانه .

محمد السمان
السودان



عبد القادر الجزائرى
(١٨٠٧-١٨٦٤)

هو الأمير عبد القادر ناصر الدين بن محى الدين بن مصطفى الحسنى الجزائرى ولد فى اقليم مهران فى الجزائر فى قرية تسمى (القيطة)

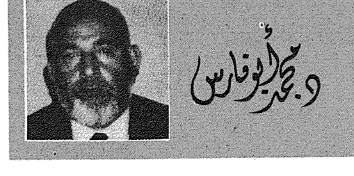
كان متعدد المواهب متفتح الأفق واسع الاطلاع تميز بالفطانة ورجاحة العقل ونبل الاخلاق . . حفظ القرآن فى مسجد الأسرة وهو لا يزال دون العشرين من عمره . . الى جانب العلوم الدينية والعربية فقد قرأ ايضا آثار افلاطون وفيثا غورس وأرسطو فى الفلسفة والمنطق ودرس كتابات مشاهير المؤلفين فى التاريخ الحديث واللغة والفلك والجغرافيا وعلم العقاقير . والأمير عبد القادر الجزائرى كان نتاج مرحلة هامة من تاريخ الجزائر بكل ما تشتمل عليه من علم وثقافة وتربية ودين وحروب استطاع بما وهبه الله سبحانه من مواهب ان يستوعبها فى أهم مظاهرها وقد انعكس كل ذلك فى مؤلفاته وآثاره القلمية . . وفوق ذلك اشتهر بالفروسية وشدة المراس وتربى على النجدة ونصرة المظلوم . . وما امتاز به من ايمان قوى بالله وغيرة متأججة على الدين والوطن وحماس فائق على حب الجهاد فى سبيل الله دفاعاً عن حرمة الدين والعرض والوطن مكنه كل ذلك من قيادة المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسى لبلاده فى الفترة (١٨٣٢-١٨٤٧) . . وخطب مرة جنود الميدان قائلاً: (لن آخذ بقانون غير القرآن . . لن يكون مرشدى غير تعاليم القرآن والقرآن وحده . . فلو أن أخى الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرآن لمات) .

وفى نهاية يوليو ١٨٦٤م ذهب الى دمشق حيث توفاه الله ودفن على مقربة من الشيخ محى الدين بن عربى .



الدعوة والدعاة موضوع يطرح نفسه من حين لآخر لأهميته وتعلقه بأمر الدين الحنيف توصيلاً وتعميقاً وتطبيقاً عملياً. ومتابعة لهذا الموضوع فقد جاء هذا الاستفتاء نستطلع فيه بعض الآراء حول موضوعنا هذا.

● ضعف الثقافة الدينية لدى كثير من شبابنا أدى الى انتشار كثير من الاراء والمذاهب الهدامة المناوئة للاسلام فى أوساطهم.. وأصابع الاتهام فى هذا التقصير موجهة الى بعض وزارات الشئون الاسلامية والدعاة.. هل ترونه كذلك..؟



■ يجيب الدكتور محمد أبو فارس الاستاذ بكلية الشريعة بالجامعة الاردنية عمان على هذا السؤال بقوله:

●● إن انتشار المذاهب الهدامة المناوئة للاسلام فى اوساط الشباب يعود الى ضعف الثقافة الدينية عندهم وهذا يعود فى نظرى الى اسباب كثيرة منها.

١ ـ اجهزة الاعلام: ان المسيطر على أجهزة الاعلام من اذاعة وصحافة وتلفاز فى كثير من بلاد المسلمين افراد لهم انتماءات حزبية او على الاقل بضاعتهم مزجاة فى الثقافة الاسلامية ومطبوعون بالثقافة الغربية او غيرها المناقضة للثقافة الاسلامية.. وعليه فإنهم لا يهتمون فى الغالب بالثقافة الاسلامية ولا يحرصون على تحصين الشباب بها.. وحقيقتهم لا تقف عند ذلك بل إنهم يخططون لضرب الثقافة الاسلامية فى نفوس الشباب وتشويهها من حيث يعلمون أو لا يعلمون وينفذون خططهم هذه من خلال البرامج المعروضة.

٢ ـ إن الاقبال على الثقافة الاسلامية فى نظر البعض عمل غير محمود وقد يرهب الشباب ويخيفهم من الاتجاه الاسلامى والتثقف على يديه. وهذا بدوره يؤدى الى فراغ فكرى ممقوت.

٣ ـ محاربة اعداء الاسلام فى الداخل والخارج لعناصر الصحوة الاسلامية من الشباب أدى إلى تراجعهم وضعفهم ثم الى التأثر بالافكار الهدامة.

٤ ـ محاصرة كثير من الأنظمة للشباب المسلم ومطاردته فى كل مكان جعل بعضه ييأس ويفقد الثقة ثم ينهار.

٥ ـ كبت الحريات العامة ومطاردة الدعاة والحيلولة دون توصيل رسالتهم.. ومنعهم من تزويد الشباب بالثقافة

ضعف الثقافة الدينية عند الشباب أدى إلى انتشار المذاهب الهدامة للإسلام (د. أبو فارس)

لابد من المناعة والحصانة الفكرية حيال الغزو الثقافي الشديد (عبد الله الحقيل)

أصبح الشباب مستهدفاً لدى القوى المعادية فيما ترسمه وتخطط له (د. العميريني)

يجب أن تتوافر شروط الحد الأدنى اللازم للداعية في الدعاة المسلمين (أحمد فراج)

الاسلامية الفاعلة المتحدية للمبادىء الهدامة الناقضة لها.

٦ ـ اخـلاق الكثرة وسلوكهم تتنافى مع الاسـلام مع تمسحهم به ـ تصيب الشباب باحباط شديد يقعدهم عن العلم والعمل.

٧ ـ إن وزارات الاوقاف والشئون الاسلامية فى بعض بلاد المسلمين تنفذ المخططات المحبطة لأمال المسلمين. ومن مظاهر ذلك محاربة الدعاة المخلصين واقصائهم عن منابر التوجيه والارشاد.

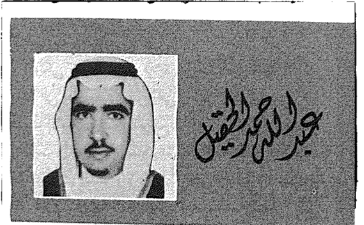
● العالم الاسلامى مستهدف الآن فكريا وثقافيا.. ثم تأتى وسائل الاعلام فى بعض الدول الاسلامية والعربية لتقدم للمشاهد أفلاما ومسلسلات فيها من الابتذال والخلاعة ما يُحَطِّم المُثُل.. كيف يستقيم الأمر؟ وما الحل.

■ يرى الاستاذ الدكتور عبد الله صالح العبيد رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

●● ان المسلمين مستهدفون من قبل القوى المعادية الخارجية والباطنية وهو ليس بالأمر الجديد على الاسلام والمسلمين. ويجب على المسلمين دولا وافراداً التناصح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وازالة المنكرات مثل الافلام والمسلسلات والعمل على ايجاد البدائل المناسبة والعمل بصدق واخلاص ونزاهة فى التعريف بالاسلام وتقديمه للناس من خلال العلم الصالح والقدوة الحسنة والبعد عن الخلافات وبذلك يكون الحل ويستقيم الأمر.

■ ومن رأى الاستاذ عبد الله حمد الحقيل الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز و مدير تحرير مجلة الدارة:

●● إن العالم الاسلامى مستهدف فكريا وثقافيا ويواجه تحديات بالغة الصعوبة من خلال أمور شتى متعددة



الوجوه ومتنوعة الجوانب والأشكال والأساليب وقد ازدادت ضراوتها وبلغت حدتها فى الآونة الأخيرة.. فالتبشير فى البلاد الاسلامية يقوم بنشاط فعال كما أن مراكز الاستشراق ودوائر الاستعمار والصهيونية دأبت فى محاولات مستمرة على إذابة القيم الاخلاقية والفضائل الاسلامية حسب مخططات مدروسة تهدف الى تدمير المثل الاسلامية والابتعاد عن تراثنا وديننا وتاريخنا المجيد ونشر الرذيلة بين شباب المسلمين وهدم الأخلاق والتقاليد الموروثة.. فالأمة الاسلامية مطوقة بالأعداء ولا شك أن لوسائل الاعلام فى بعض البلدان الاسلامية نوايا بعيدة عن روح الاسلام خاصة فى هذا العصر الذى أصبح الإعلام فيه جزءا أساسيا من حياتنا. ولقد تجسدت تلك النوايا فى وسائل وأساليب شتى كالمسلسلات والأفلام وغيرها.. ولقد ضاعف التطور التقنى من فاعلية تلك الوسائل.. ومن هنا تبدو أهمية الاصلاح والمواجهة فكرا وسلوكا وتعميق معانى الفضيلة والخير والايمان ومواجهة تلك الوسائل بالبناء الأخلاقى كما قال الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
فلو ألفُ بانٍ خلفهم هادم كفى
فكيف ببانٍ خلفه ألف هادم

فلابد من العمل على ايجاد المناعة والحصانة الفكرية حيال الغزو الثقافى الشديد والعمل على ربط الشباب بمثله ودينه وأخلاقه وأمجاده.

ولكى يستقيم الأمر فلابد من مضاعفة الجهد بحيث يمتد الى آفاق بعيدة وعن وعى وحسن تفهم وتدبير. ان صوت الاسلام يجب أن يرتفع لمواجهة كل تحديات العصر الحديث فى مجالات العلوم والتربية والآداب لوقاية الأجيال من تيارات الشر والابتذال والفتن والمادية والانحراف والالحاد.. وعلينا أن نتحمل ما تحمله أسلافنا من صبر ومجاهدة حتى انتصر الاسلام وزحف عبر القارات.

ولا شك أن مراقبة تلك الوسائل ومنع كل ما يتنافى مع القيم والفضائل أمر مهم وتوجيهها الوجهة الصحيحة التى لا تتنافى مع روح الاسلام ولا تتعارض مع قواعده أو أصل من أصوله ونشر رسالة الاسلام الخالدة وانتقاء الرجال الصالحين للعمل فى وسائل وحقول الاعلام وأن يكونوا قدوة صالحة حسنة وأن يلتزموا بمنهج القرآن الكريم كما قال تعالى **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾**.

ولقد قال سيد قطب «ان المبادىء وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكا.. فالاسلام يحرص على تربية الفرد واقامة المجتمع الفاضل وايجاد الأمة المثلى».

واذا كانت التربية لها أثر كبير فى التوجيه والسلوك والاستقامة فنحمد الله.. فأهداف السياسة التعليمية والاعلامية فى المملكة العربية السعودية مبنية على تعاليم الاسلام ومن الاسلام اشتقت أهداف التعليم.. والاسلام يحقق خيرى الدنيا والآخرة ويدعو الى الحياة المتوازنة ويجعل العمل المخلص عبادة ويقدم لنا الاسلام بالقرآن الكريم والسُّنَّة وسلوك الصحابة والسلف الصالح نموذجا تربويا يحتذى به فى تحديد معالم التربية الاسلامية السليمة.

■ وعلى هذا السؤال يجيب الدكتور على العميرينى رئيس قسم الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض.



●● الشريعة الاسلامية: لم تحظر الشهوة أو تحجر عليها الا حيث جاءت بطرقها غير المشروعة كما فى الزنا وأقرتها حيث جاءت من وجهها الصحيح كما فى عقد النكاح.

ومثل ذلك - ايضا - يرد فى المعاملات فهى اذ تحظر وجوه التعامل غير المشروعة - كما فى الربا - تقر ما جاء من ذلك بطرقه المشروعة كما فى عقد البيع.

وعلى هذا النحو نقول: ان هذه الافلام والمسلسلات التى فيها من الابتذال والخلاعة - ما يحطم المثل ويزرى بالقيم - تمثل ضروبا غير مشروعة للمتعة الذهنية والحسية يجب مجابهتها بما هو مشروع من قصص وتمثيليات تعلى من شأن القيم وتعمق الايمان فى نفوس اصحابه.

والقصص القرآنى وامجاد ابطالنا - على مدى تاريخنا العريق - ملىء بذلك فى شتى الموضوعات التى تستهوى الشباب وتغرى طالب المتعة المشروعة والمتطلع الى القيم الرفيعة.

الشباب فى كل عصر ومصر فى حاجة الى أن يشغل وقته ويستنفد طاقاته وهو ان لم يشغل هذا الوقت ويستنفد هذه الطاقات فيما يفيد ويعود على نفسه وعلى أمته بالنفع والخير فسيستثمرهما فيما هو مدمر لنفسه ومقوض للمجتمع.

ولذا فقد اصبح هذا الشباب بما يمثله من وقت وجهد كثروة بشرية وبما يمثله من قيم ومثل كطاقات ايمانية فعالة - مستهدفا لدى القوى المعادية فيما ترسمه وتخطط له وفيما تبثه وتوجيه اليه بوسائلها المختلفة والمغرية وادواتها المتباينة والعديدة، وفى مقدمتها وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

وما الحـــل؟

لابد من بديل اسلامى:

العبث الردىء والمتعة المرذولة والبهيمية الجامحة - فيما يبدو من بعض وسائل اعلامنا - لابد لها من بديل اسـلامى.. لا يكـفى ان نقف عنـد حد التحـريم والاستنكـار بل لابـد أن تمتـد العقول والافكار بالبديل الاسـلامى ولنـا فى استنكـار الربـا وتجريمه اكبر شاهد واصدق دليل فكم امتدت بنا السنون ونحن نجرم ونحرم الربا دون أن يجدى ذلك من حقيقة الامر شيئا فى الواقع المعاش لدى البنوك التجارية الربوية الى أن قامت البنوك الاسلامية كواقع عملى وتطبيق ماثل فكان فى ذلك مافيه من صفعة لقوى الاتجار الربوى والاحتكار العالمى فكان أن انحسر الباطل امام صولة الحق.

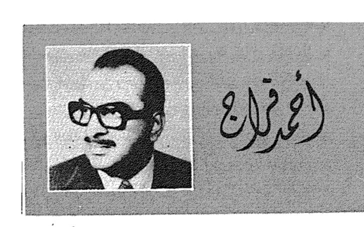
الغزو الاعلامى والغزو المضاد:

واذا سلمنا باستهداف وسائل اعلامنا والغزو الثقافى الذى مازال جاثما وماثلا بكل ضروبه وصوره ولا ادل على ذلك من شعورنا به وبادراكنا اياه مما يدفع الغيورين - بين الحين والأخر - الى تلمس العلة والوقوف على حقيقة الداء. وهذا يتطلب منا بذل الجهد واستفراغ الوسع لايجاد الوسيلة الى غزو مضاد يتمثل فى بديل اسلامى وسبيلنا الى ذلك - الآن - ما يأتى:

١ - تشجيــع كل من يقـوم فى مجال العمـل الاعـلامى الاسـلامى تأليفـا وتمثيـلا واخراجا ويكون ذلك بتسليط الاضواء على اعمالهم للاشادة بالجاد والناجح منها وتقويم ما دون ذلك وأن تهيىء لهم الامكانات المادية والعصرية المتاحة وترصد لهم الأجور والمكافآت المتاحة لغيرهم حتى لا ينظـر اليهم كمؤلفين أو ممثلين أو مخرجين من الدرجة الثانية اذ فى ذلك مافيه من تراجع للبديل الاسلامى الذى نبغيه.

٢ - ان تستشعر وسائل الاعلام فى الدول الاسلامية الأمانة والمسئـوليـة.. فلم يعد مساغا فى النظريات الحديثة أن يكون الفن للفن بل قامت نظريات تجابه ذلك وترفضه فيما يسمى بوجوب أن يكون الفن للمجتمع وفى خدمته. واذا كان الأمر كذلك فيجب على وسائل الاعلام هذه أن تعلم حق العلم أن مجتمعها الذى توجه اليه اعلامها هو مجتمع اسلامى بكل ماله من قيم ومثل وأن تتورع عن تقديم ما يجافى هذه القيم أو ينـال من هذه المثـل فالأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر الذى هو واجب كل مسلم قادر عليه عالم به تتصدره وسائل اعلامنا القادرة والمتخصصة.



● الطفرة الهائلة فى مجال الاتصالات اليوم جعلت من عالمنا اليوم أشبه بقرية صغيرة تنتقل المعلومة او الفكرة فى انحائه فى لحظات معدودة وهذه الطفرة سلاح ذو حدّين.. كيف يمكن للقائمين على أمر الدعوة الاسلامية تفادى سلبيات هذه الطفرة؟ والى أى حد يمكن ان نفيد منها ونسخرها لصالحنا ودعوتنا الخيرة؟؟

■ يقول الاستاذ احمد فراج امين عام منظمة اذاعات الدول الاسلامية.

●● السؤال المطروح على جانب كبير من الاهمية والواقع أن العالم يشهد ثورة هائلة فى عالم الاتصال ومازال التطور متنامياً فى عصر الاقمار والتوابع الصناعية.. واذا كنت تستطيع اليوم أن تدير مؤشر الراديو الصغير فينقل اليك أحداث العالم من اقصاه الى أقصاه.. فلن يكون بعيدا ذلك اليوم الذى ينتقل فيه العالم الى غرفة نومك عبر شاشة التلفزيون وهو ما يحدث بعضه الآن بالفعل ولكنه سيصبح أكثر سهولة بعد تطورات مرتقبة لن يحتاج المرء معها الى اكثر من جهاز التقاط بسيط.. وهذه التطورات تطرح فى الواقع مشكلتين:

الاولى تتعلق بالتباين الضخم بين امكانيات الدول الفقيرة وبين تلك الغنية من حيث القدرة على التحديث وتطوير تقنيتها الفنية المستخدمة وما يترتب على ذلك من آثار ونتائج.

والمشكلة الثانية تتعلق بطبيعة الرسالة التى تحملها ادوات الاتصال. وقد افرزت كلا المشكلتين نوعا من الاختلال فى التوازن وهو مشهود ويعترف به فرحلة الخبر أو المعلومه من الدول الغنية القادرة الى الدول النامية تبلغ أضعاف سرعتها اذا كانت فى الطريق العكسى ومن ثم فان التدفق فى المعلومات يكاد يكون فى اتجاه واحد أو فى اتجاه غالب.. فاذا اضفت الى سيطرة الدول المتقدمة مصالحها وأهواءها وتوجهاتها استطعت أن تفسر منهجها فى التعتيم على اخبار وقضايا الشعوب النامية بالاضافة الى تشويه صورتها وتزييف الحقائق عن أوضاعها ومشكلاتها وتطلعاتها الى المستقبل والتنمية. وجاز لنا أن نتصور دون صعوبة أن هذا الاختلال فى التوازن يمتد بعد القضايا الاقتصادية والاجتماعية والمشكلات السياسية الى الجوانب التربوية والفكرية والثقافية وتصبح ثقافات ومعتقدات الدول الاقل تطورا مهددة بالاجتياح بل والذوبان.. لأن قدرة التقنية الحديثة المعاصرة تزود الرسالة الثقافية الغربية بامكانيات غير عادية فى الوسائل وفى المضمون ومن ثم تتعرض ثقافات الدول النامية الى غزو منظم نتيجة استبداد الثقافة الغربية بسماء الحياة الثقافية والفكرية عبر اجهزة الاتصال الحديثة.

فالقضية إذن ليست هامة فحسب ولكنها خطيرة اذا نظرنا اليها من منظور النتائج والآثار السلبية الناجمة من ذلك الخلل القائم واذا كان العالم اليوم يتحدث عن نظام اقتصادى عالمى جديد فقد اقترن ذلك على الفور بحديث آخر عن نظام إعلامى جديد نظرا لخطورة دور الاتصال فى تدعيم مثل هذا النظام وفى تطوير العلاقات بين شعوب العالم وفى المساهمة فى تحقيق التنمية المطلوبة وصولا الى اوضاع اكثر عدالة.. ومع ان الجهود من اجل بعث هذا النظام الاعلامى الجديد تتواصل منذ قمة عدم الانحياز فى الجزائر فى عام ١٩٧٣م الا انها لم تتوصل الى نتائج نهائية

غم النجاح الذى تحقق من خلال ايجاد بعض الهياكل الاجهزة التى تساهم فى تحقيق الفكرة.

واذا كانْ هذا هو الشأن مع الدول غير المنحازة وانتقل الاهتمام الى الدول الافريقية والى الدول العربية فانني اعتقد انه قد آن الأوان لوضع نظام اعلامي اسلامي جديد ينطلق من رسالة الامة الاسلامية واهدافها وطموحاتها وينطلق من بلاغ مكة الصادر عن قمة مكة والطائف واعتقد أن اهتمام المملكة العربية السعودية بالتحديد بهذا الموضوع قد عبر عن نفسه بقرارها استضافة أول مؤتمر لوزراء الاعلام فى الدول الاسلامية ومدى علمى ان معالي الاستاذ علي الشاعر وزير الاعلام يعطي لهذا الموضوع ما يستحقه من اهمية من خلال توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رائد الصحوة الاسلامية. . فاذا تضافرت الجهود الاسلامية وتوفرت الشروط المناسبة وتهيأت لمثل هذا المؤتمر فمن المأمول أن يكون ذلك الانطلاق الاولى لنظام اعلامى اسلامى جديد يؤدى بوسائل الاتصال الاسلامية ومؤسساتها ومنظماتها الى القيام بدورها الايجابى فى تحقيق اهداف الامة الاسلامية على ألا يقتصر دورها على وضع هذه الاجهزه فى موقف الدفاع عن الذاتية الاسلامية وواقع وتطور الامة الاسلامية وانما يمتد الى رفد الدعوة الاسلامية بالعناصر التى نؤمن لها الانطلاق لأخذ زمام المبادرة سواء فى المواجهة أو فى المساهمة فى تشكيل البنية العقلية والثقافية على منهج الاسلام وطرح عقائديته التى نُؤمن أنها السبيل الحتمى والخيار الوحيد لنهضة العالم الاسلامى وتحصينه وتأكيد مناعته وتطوير واقعه وأنها السبيل الوحيد لذلك لترشيد حركة الانسان المعاصر على منهج الحق وتحقيق التوازن المفقود لمسيرة البشرية.

ومن نافلة القول أن نقرر أن الدعاه المسلمين ينبغى أن تتوافر فيهم الشروط التى تمثل الحد الادنى اللازم للداعية من ناحية مع الادراك الواعى بالظروف المحيطة والمناخ السائد فى العدو من حولنا والامكانيات المتاحة له وأن يعمل على استيعاب معطيات التقدم لاجهزة الاتصال والثقافة ووسائل التأثير كافه لاننا لن نستطيع مواجهة القوى المناوئة بمنعها فى الوقت الذى مكنتها التطورات الحديثة من تحقيق الاختراق الثقافى فلابد اذن من المواجهة. . ولابد إذن من المبادرة.

■ وعلى هذا السؤال تأتى إجابة الاستاذة أمينة الصاوى الكاتبة الاسلامية المعروفة.



●● لما كنت مهتمة بأمر الدراما وتوجيهها لخدمة الدعوة الاسلامية فان قضيتى الادبية والفنية تتلخص فى توظيف الدراما لها من خلال اعمال توضح وتشرح وتبسط المعلومات الدينية للجماهير العريضة من المسلمين الذين لم تتح لهم فرصة الدراسة الدينية الكافية فى المعاهد المتخصصه ببلادنا المسلمة. . ولغير المسلمين فى دول العالم المختلفة ممن يحترقون شوقا الى معرفة حقيقة الدين الاسلامى.

●● **ولدىّ امنيات اقدمها فى صورة مقترحات للمعنيين بأمر الدعوة الاسلامية هى:**

١ - انشاء معهد متخصص للدراما الاسلامية يتخرج منه الكتاب والمخرجون ومهندسو الديكور والنقاد - معهد يدرسون فيه القرآن الكريم والسنة الصحيحة دراسة شاملة كاملة - وايضا يدرسون فيه اللغة العربية.

٢ - انشاء شركة متخصصة فى الانتاج الدرامى الاسلامى - حتى يتسنى لها من خلال هذا التخصص تقديم الاعمال

الدينية السليمة ومحاربة الغزو الفكرى الذى يتسلل الى مجتمعاتنا الاسلامية فى بعض الاعمال الدرامية التى تهدم الاسرة وتخدم اغراض الشيطان بما تقدمه من سموم خلقية .

٣ ـ التصدى لخطر انتاج اعمال اسلامية بواسطة غير المسلمين . . فقد رأينا فى السنوات الاخيرة اعمالا تليفزيونية ينتجها ويخرجها ويمثلها ويضع لها الديكور قوم من اديان اخرى ـ ومهما قيل عن اعمالهم ـ فهى اعمال مسمومة هدفها النيل من ديننا الحنيف .

٤ ـ الضرب على ايدى التجار والانتهازيين واصحاب الايدولوجيات والمبادىء الهدامة وعدم السماح لهم بدخول مجال المسلسلات الاسلامية كتابا كانوا ام مخرجين ام غير ذلك .

٥ ـ ايجاد رقابة واعية مستنيرة دينيا وعلميا وفنيا يعرض عليها النص وهو فكرة . . فاذا وافقت عليه يعاد الى الكاتب ليكتب السيناريو والحوار وعندما توافق عليه يتم اخراجه ثم يعرض على الرقابة مرة اخرى لتبدى فيه رأيها بالمنع او العرض . .

٦ ـ تنشيط حركة النقد الفنى وانشاء مجلة متخصصة تكون مهمتها نقد الاعمال الدرامية الاسلامية نقدا موضوعيا لا مجاملة فيه ولا حقد ـ وتوجيه حركة التأليف توجيها صحيحا سليما .

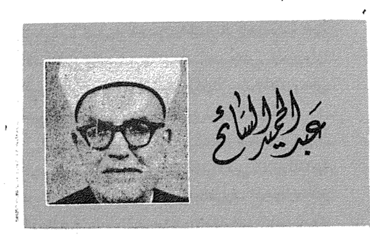
● ما هى السبل التى ترونها لكى تأخذ الدعوة مكانتها المطلوبة وغايتها المرجوة وينهض الدعاة بأمرها؟

■ يقول الشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى اجابة على هذا السؤال :

●● أولا . . اهنئكم على اعتزامكم اصدار عدد خاص من مجلتكم الزاهرة يدور حول موضوع «الدعوة والدعاة» لأن الدعوة هى القاعدة التى يبنى عليها الاسلام ومنطلقه الذى يمكن أن تذاع منه مبادىء الاسلام الخيرة وتعم العالم . . والدعاة هم الآلة التى ستكون مختبرا لاظهار محاسن الاسلام وحسن عرضه وامكان قبوله والقناعة به .

ولا ريب أن حركة المد الاسلامى فى جميع أنحاء العالم دليل واضح على قوة الاسلام الذاتية ومؤشر بارز على انتشار الشعور بضرورة العودة الى الله سبحانه وتعالى وظهور الخلل فى سير الأمور فى شتى الميادين نتيجة التخلى عن الخلق القويم ومبادىء العدالة والحق والانسانية .

وانى أرى أن أهم سبيل كى تأخذ الدعوة مكانتها وغايتها المرجوة وجود دولة اسلامية قوية تطبق الاسلام تطبيقا شاملا سليما تقام فيها شعائر الاسلام وعباداته وتمارس فيها تعاليم الاسلام فى الدولة والمجتمع ولا ترى فيها سائلا يمد يده ولا محتاجا الى ضرورات الحياة ولا تكون تابعا منفذا لاوامر ورغبات الدول غير الاسلامية وتؤمن فيها معاهد العلم وجامعاته ومؤسساته ـ على اختلاف أنواعه ـ وتنتشر فيها المصانع والمعامل ويتفق المواطنون فيها مع قادتهم وحكامهم على أن لا يأكلوا ولا يلبسوا ولا يستعملوا الا ما تنتجه أيديهم وتكثر فيها المؤسسات الانسانية من طبية واجتماعية وغيرها وتظهر فيها المختبرات والتطبيقات العملية لمختلف المبتكرات والمخترعات حتى يتحقق فيها الاكتفاء الذاتى أو السير على طريقه وتدافع عن المسلمين حيثما وجدوا وتهتم بأمرهم . . فاذا تحققت هذه الدولة أقبل العالم على زيارتها



ايجاد رقابة واعية مستنيرة دينيًا وعلميا وفنيا

إنشاء معهد متخصص للدراما الاسلامية (امينة الصاوى)

الدعوة إلى الله سبحانه عمل إيمانى خالص يقوم به من اتصف بالاعتدال (عثمان الصالح)

يسروا ولا تعسروا .. بشروا ولا تنفروا .. هكذا ينبغى ان تكون (عبد الحميد السائح)

المجتمع المتمثل لتعاليم الاسلام فى قوله وسلوكه خير داعية للدين (عبد الحميد السائح)

من كل صوب ليتحققوا بأنفسهم ما اذا كان بالامكان تطبيق الاسلام وقواعده وأهدافه فى العصر الحاضر رغم تقدم التكنولوجيا والصناعات الثقيلة والخفيفة فاذا صدق الخبر الخبر ستجد الناس يقبلون على الاسلام طواعية واختيارا زرافات ووحدانا وحينئذ يتحقق فعلا ما هدف اليه الرسول ﴿ﷺ﴾ من قوله وبدأ الاسلام غريبا وسيعودكما بدأ (من الغرابة لا من الغربة).

والى أن يتحقق ذلك ـ على وجه الشمول ـ ويخرج الى حيز الوجود يجب أن نعنى عناية فائقة بتهيئة الدعاة وتربيتهم تربية خاصة ويراعى فيهم ما يلى:

١ ـ أن يكون الداعية على صلة حقيقية بالله سبحانه ـ يبتغى رضاه ويخشى عقابه ومعصيته كما يتبين من سيرته وممارسته.

٢ ـ ان يكون الداعية على ثقافة واسعة فى علوم الاسلام والقرآن وعلوم الحياة على اختلافها.

٣ ـ أن يكون الداعية مرآة لما يدعو غيره المشاركة فيه مسلكا ومسيرة ومعاملة وحسن خلق وعفة ولا يتناقض فى سيرته ومظهره ومسلكه مع ما يدعو الناس اليه لئلا ينطبق عليه قوله تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾

٤ ـ أن يأخذ الداعية بأيسر الطرق وأسهلها مع عدم التفريط فى واجب أو التساهل فى ارتكاب المحرمات ويضع نصب عينيه قوله ﴿ﷺ﴾ يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا ـ رواه البخارى ومسلم.

٥ ـ أن يحاور خصومه ومخالفيه على قاعدة قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ (٢٤/سبأ). أى لا يفاجؤهم بأنهم على ضلال وأنه هو على هدى بل يدع هذا لنتيجة الحوار الهادىء الذى يؤدى الى القناعة والاطمئنان ويضع نصب عينيه قوله تعالى ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ (١٢٥/النحل) وقوله سبحانه: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ (٢٦٩/البقرة).

٦ ـ أن يكون الداعية على علم تام بلغة من يدعوهم وعاداتهم وتقاليدهم وحضارتهم وتاريخهم حتى يتجنب الأمور التى توجد لديهم حساسية خاصة ولو لفترة محددة وقد تقضى الحكمة بأن لا تثار بعض الأمور فى الوهلة الاولى رغم أهميتها وضرورتها.

وقد نقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله أنه كان يمر على التتر فى فترة معينة وهم يشربون الخمر فلا ينكر

عليهم فسئل من قبل البعض فقال دعوهم فانهم اذا تركوا الخمر اشتغلوا بتقتيل المسلمين.

٧ ـ إشعار الداعية بأنه يجب أن يكون هدفه التبشير لا التنفير وجلب الآخرين الى نور الاسلام وهديه لا سلوك المسالك المنفرة والتى تبعد المدعوين عن الاصغاء والدخول فى الحوار والله ولى التوفيق والهداية.

■ ويرى الاستاذ المربى الفاضل عثمان الصالح.

●● الدعوة الى الله سبحانه عمل ايمانى خالص يقوم به من اتصف بالاعتدال قولا وعملاً.. منهجاً وسلوكا.. وهذا الاعتدال يجعل من الداعية عبدا من عباد الله صالحا يتبعه الآخرون لسلوكه وعمله قبل قوله.. إن من عباد الله من إذا رأيته ذكرك بالله.. والرسول ﴿ﷺ﴾ قدوتنا فى ذلك اذ قالت فيه السيدة عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها «كان خلقه القرآن» فقد تجسدت تعاليم القرآن فى خلقه وسلوكه ومثله.. وهذا ما نفتقدها فى كثير ممن يحملون دعوة الحق الى غيرهم..

ومن يحمل هذا المشعل المضىء لينير به قلوب وأفئدة الآخرين ينبغى أن ينزع الدنيا وشهواتها من قلبه وأن يبتغى وجه الله ويرجو رضوانه ويسأله الهداية والرشاد لغيره..

لعل هذا فى رأيى هو الداعية المخلص لدينه كما كان على ذلك من سبقونا فلم يكونوا طلاب دنيا ولم يحرصوا عليها وانما حرصوا على اتباع الحق فجاءتهم الدنيا منقادة..

ينبغى على الداعى أن يكون ملما بجوانب وجزئيات ما يدعو اليه متمكنا طلق اللسان.. بعيداً عن الثرثرة.. بعيداً عن نقاط الخلاق التى لا طائل وراءها.. يحدد هدفه ويحسن اختيار الوسيلة من علم وأسلوب وتؤدة وقبل كل ذلك حسن خلق.

والداعية عليه أن يبدأ بغرس العقيدة الصحيحة السليمة وابعاد كل ما علق بها من شوائب معتقدات البشر ومن ردىء عاداتهم ومضل تقاليدهم.. ثم يتبعها ما يتعلق بها من خلق وسلوك ومعاملات وعبادات وغيرها.



لا شك أن الدعوة الى الله سبحانه من الأمور التى ينبغى أن تقوم على منهج سوى حتى لا يكون المردود عكسيا والناتج سلبياً.. وان كنت أعد كل شخص مسلم داعياً.. داعيا بسلوكه وحسن خلقه.. داعياً فى دقة معاملاته.. الا أن من يتصدون لهذه المهمة بخصوصية عليهم ان يقوّموا أنفسهم اولا.. ويكونوا اكثر محاسبة لها..

اما دعاة اليوم فمع احترامى لهم فان كثيراً منهم ليسوا من المهارة فى الدعوة والاتقان لها بالدرجة التى اصبحوا بها مؤهلين.. اغلبهم عرف معلومات فتعلق بها وأصبح يدعو بها على بصيرة.. ومع انه على حق الا ان هذا الحق يجب ان يكون فى وصوله الى اذهان المدعوين إلى الاسلام بصورة مرنة تنفذ الى اذهانهم بصورة مرنة سلسة.. وكثير من الدعاة لا يعتمد الا على المادة..

● ولا شك أن فى ساحة الدعوة اليوم دعاة تجمعت فيهم كل مميزات الداعى المتمكن الواعى.. ونسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير.

●● اجدادنا وآباؤنا ودعاتنا السابقون لم تكن الدعوة لديهم تعتمد على أن يكونوا موظفين يتقاضون رواتبا ولا

مكافآت ولا كانوا تجارا لكنهم كانوا مؤمنين يعرفون ما عليهم من الواجب فى سبيل الله.

والداعى يجب ان يكون على الماام بمعنى التوحيد.. والضرورى من الفقه فى المعاملات.. وما الى ذلك واذا لم يكن كذلك فدعوته لا تلج الى النفوس والقلوب.



- الدكتور عمار هلال يكتب عن مملكة الكانم وبورنو.
- تجربة كاتب « سومرست موم »
- حوار تحت الشجرة « بول فاليرى »

من ذخائر المكتبة التراثية

- رسالة فى الأشكال المساحية

لابن البناء المراكشى - محمد العربى الخطابى

- أشهر معالم الآثار الفنية التى عايشها ابن زيدون

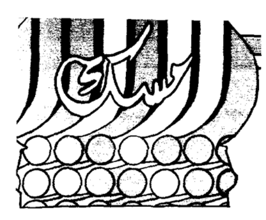
د. عثمان عثمان اسماعيل

- الأثر البيئى عند الشعراء العرب

د. حسين نصار

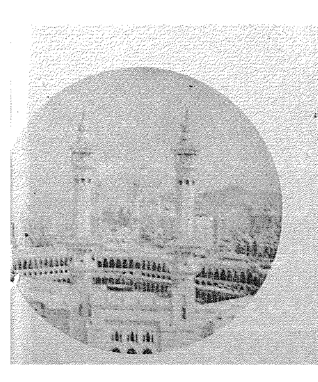
- محاورات فى الأدب والفكر

أحمد عبد الواحد حجازى



أثر الكلمة فى بناء الانسان

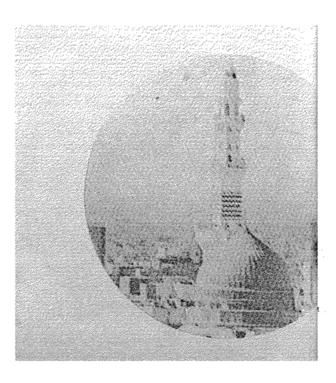
عندما ينظر الى الثقافة على انها ذات اثر فى حياتنا.. فلابد ان تكون متفقة مع روح العصر ومسايرة لابنائه فى كل ما يعرض لهم من مشكلات.. لتكون هذه المشكلات نقطة الالتقاء بين المفكرين جميعا.. فيما تتطلبه من حلول.. كل ينظر اليها بوجهة نظره الخاصة حتى لو اختلفت وجهات النظر.. لكنهم يتفقون فى جعلها موضوع البحث وهنا يقال انهم صاروا ابناء عصر فكرى واحد يسايرون عصرهم ويشاركون فى مشكلات انشأتها لهم جميعا ظروف العصر الواحد وحوادثه.. وبذلك نستطيع ان نجعل تاريخنا الاسلامى ممتدا.. وان نلحق بمفكرين كانوا قمة فى تفكيرهم.. وتكون جهودنا حلقة اتصال ترفعنا الى مستوى ما كانوا عليه فعندما نطالع تراثهم ونلم به يدفعنا الى العمل.. لنسير معهم فى طريق فكرى واحد.



ولكى يكون الطريق موصولا لأمة واحدة لابد ان نصنع تجاه حياتنا نظير ما صنعوا هم تجاه حياتهم.. فانهم قد نظروا الى كل ما حولهم نظرة عقلية وذلك من منطلق ما كان يحثهم به دينهم الحنيف.. لأن النبى ﴿ﷺ﴾ (جاء يدعو لتحكيم العقل فيما يعرض للناس من مشكلات) فالعاقل هو الذى يحسن القصد الى الهدف الذى يريده وقد حمد العلماء بحسن التثبت فى اوائل الامور.. واستشفافهم بعقولهم ما تجىء به من العواقب.. لذلك كان المفكر يهيىء لنفسه سبل الفهم وما فهم شيئا الا رده الى اصله ومبدئه.. لذلك كانت نظرته الى العالم من حوله نظرة واعية وهذا هو المطلوب من المفكر المعاصر اذا شاء ان يصل حاضره بماضيه وصلا حيا نابضا خصبا ولوداً فيطبق ذلك على ما يعرض له من مشكلات عصره.. كالالتزام بالقيم والمبادىء.. والحقوق والواجبات بين الافراد والجماعات والعلاقات الاجتماعية.. وهذا هو عمل العقل الذى يتم به بناء الانسان.. وتقوى به الروابط.. ويتماسك به المجتمع والعمل بمقتضى العقل هو الانتقال من الوسيلة الى الهدف.. ومن الفكر الى الواقع.. ومن النظرية الى التطبيق.. فاذا كان الهدف المقصود ان تزدهر فى المجتمع صناعة مثلا ثم كان هذا الازدهار مرهونا بتحطيم بعض التقاليد ـ التى لم يأمر بها الاسلام ـ برغم الاجماع عليها فليكن ذلك لتكون النظرة نظرة عقلية لكل ما يدور حولنا.. وعندما نقول ذلك انما نعنى ان تكون ثقافتنا تحمل موضوعات العصر.. وتعيش اهتماماته.

● فالعلم لا ينبع من باطن الانسان وانما يجىء اليه من خارجه ومن الدنيا التى حوله.. عن طريق السعى والجد فى التحصيل والغوص وراء المعانى والحقائق وبذل الجهد فى فهمها والانتفاع بها والعمل الجاد فى معامل التجربة والاختبار فيبنى بذلك بناء فكريا شامخا ينتقل منه الى مرحلة التطبيق لان العلم فى العصر الحاضر لا يكون لذات العلم نفسه بل انه لمنفعة الناس فى تدبير معاشهم.. وحل مشكلاتهم فللعلم الصدارة.. وللقيم





والمبادىء الريادة.. وللأخلاق والفضيلة السيادة.. ولعلماء الاسلام جهود مشكورة فى سبيل العلم والمعرفة.. يسروا بها ومهدوا طرق اكتسابها فى شتى ميادين الحياة.

يقول الرسول ﴿ﷺ﴾ فى اهم ما يميز العالم **(لايزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل)**.. وهذا قول يوضح ان العلم طريق يسار عليه.. وليس نهاية يوصل اليها فالعلم منهاج قبل ان يكون نتيجة.. وتيار متدفق فى حركة تدوم ما دام للعقل نشاط. والعلم لم يقصر على فرد دون فرد ولا على جيل دون جيل ولا على عصر دون عصر ولا على امة دون امة.. فَرُبَّ فرد من الناس يكمل ما انجزه فرد اخر.. وجيل يواصل طريق الجيل الذى سبقه.. وعصر يصحح عصرا.. وامة تتكامل بنتاجها العلمى مع نتاج سائر الامم.. فالكون كله كتاب فما عليك ايها العالم الا ان تقلب فى صفحاته ما تستطيع لتقع على جوانب من المعرفة.. ثم يمضى عهد ليتابع من خلفك السير على الطريق.. فان ظن انه قد اتم العلم لفرع من المعرفة كان ذلك برهانا على ان بصره قد قصر عن رؤية الابعاد والاعماق لأن العلم لا يعرف الكلمة الاخيرة وصدق الله العظيم اذ يقول: **﴿وما أوتيتم من العلم الا قليلا﴾**.

● فالعلم هو البحث الدائم المستمر.. قيل لأبى عمر ابن العلاء حين سأله سائل.. **هل يحسن بالشيخ ان يتعلم؟**.. فاجاب قائلا: اذا كان يحسن به ان يعيش فانه يحسن به ان يتعلم.. فالعلم عبادة اذ كان خير عبادة لله ان يهتدى بها الانسان الى سر الله فى خلقه وان يعرف حقائق الوجود فى نفسه.. ومن حوله.. ولهذا قال النبى ﴿ﷺ﴾ فى فضل هذه العبادة (فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد) وقال ﴿ﷺ﴾ **«ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء»**.. وموقف الاسلام من العلم او من العلوم عامة يتبين من موقف علمائه المجتهدين فى كل حقبة من تاريخه.. الذى تعاقبت به الاجيال بين القوة والضعف.. والتقدم والتأخر.. والنشاط والجمود.. فقد مرت بالامم الاسلامية عصور مختلفة جهلت فى بعضها الاسلام نفسه.. فجهلت فضل العلم كما جهلت فضل الدين.

ولكن الاسلام لم يخلُ قط تاريخه بين المشرق والمغرب من ائمة مجاهدين استمدوا حرية الفكر من ينبوع تلك القوة الحيوية التى تستنزفها المحن فحفظوا رسالة هذا الدين.. واوجبوا على المسلم ان يتعلم حيث وجد العلم.. وان ينظر الى الحكمة كأنها ضالته اينما وجدها فهو احق بها.. وروح الاسلام فى العصور الاخيرة ظاهرة فى موقف المسلمين من العلوم الحديثة فظهوره فى موقف الائمة المجتهدين الذين حفزوا قواهم الى الاقبال على تلك العلوم واعتبار العمل بها أمراً من أوامر الدين الحنيف.. وكل علم يأمر به الاسلام فهو علم يهتدى اليه كل مأمور بالنظر قادر عليه.



مُسابقة أرامكو السنويّة الثامنة لرُسوم الأطفال



يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية الثامنة في الرسم للأطفال من البنين والبنات، إسهامًا منها في تشجيع القدرات والمواهب الفنيّة لدى الأطفال في المملكة العربيّة السعوديّة.

موضوع المسابقة : اختيار موضوع المسابقة متروك للطفل.

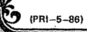
الجوائز : خصص للفائزين في هذه المسابقة خمس وسبعون جائزة، وقد قسمت هذه الجوائز إلى ثلاث فئات توزع على المتسابقين الفائزين كما يلي:

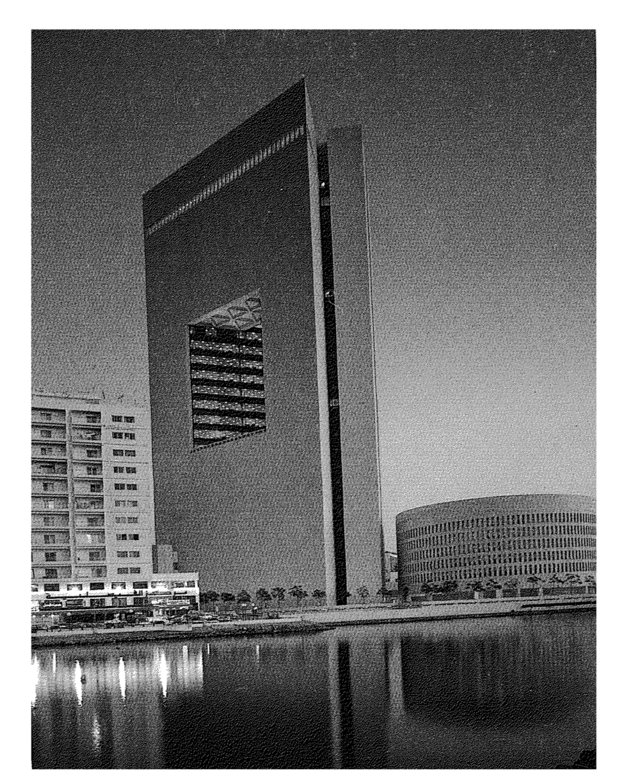
- خمس وعشرون جائزة للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات.
- خمس وعشرون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات.
- خمس وعشرون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة.

شروط المسابقة :

١- يستطيع أيّ طفل لا يزيد عمره على ١٤ عامًا ويقيم حاليًا في المملكة أن يشترك في المسابقة.
٢- يتقدم المتسابق برسم واحد فقط، على أن يكون الرسم من عمل الطفل نفسه.
٣- يراعى ألا تقل مساحة ورقة الرسم عن ٤٥ سم طولاً و ٣٠ سم عرضًا.
٤- يرسم المشهد بالألوان التي يختارها المتسابق.
٥- ترسل الرسوم في مظروف مقوّى حفاظًا عليها من التلف.
٦- يكتب المتسابق اسمه خلف الرسم بخط واضح بالإضافة إلى عمره وعنوانه واسم مدرسته ليسهل الاتصال به.
٧- يرسل المظروف في موعد أقصاه ١٦ جمادى الثانية ١٤٠٧هـ الموافق ١٤ فبراير ١٩٨٧م إلى العنوان التالي:
مبنى الإدارة - العلاقات العامة - غرفة رقم ٢٢١٦ - أرامكو - الظهران
ويكتب في أعلى المظروف: مسابقة أرامكو السنوية الثامنة لرسوم الأطفال.

تبقى جميع الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامة مع الاحتفاظ بحق نشر أيّ منها حسب ماتراه الإدارة، وسوف تنشر أسماء الفائزين في جميع الصحف والمجلات السعودية.





اسم واحد يقف شامخا عملاقا فى عالم المصارف

فى مطلع عام ١٣٧١هجرية.. بدأ البنك الاهلى التجارى اعماله المصرفية بنشاط وتؤدة.. وخلال ما يزيد عن ثلث قرن من الزمن وبعونه تعالى اصبح اليوم صرحا شامخا فى جسم الاقتصاد السعودى واكبر مصرف تجارى ليس فى المملكة العربية السعودية فحسب، بل فى جميع انحاء الشرق الأوسط.. فقد زادت أصوله المالية عن ٩٠ بليون ريال سعودى.. بما فى ذلك الحسابات النظامية وبلغت ودائعه اكثر من ٤٣ بليون ريال سعودي كما يرمز لقوته ذاك البناء الشامخ لادارته العامة فى جدة وفروعه التى تزيد عن ١٦٠ فرعا والتى تعتبر اكبر شبكة مصرفية فى المملكة العربية السعودية مرتبطة اغلبها بنظام الكترونى متطور يعمل بالكمبيوتر مما يوفر للعملاء الكرام اسرع وأشمل خدمة مصرفية

كما امتدت نشاطاته لتشمل معظم عواصم العالم حيث تتواجد فروعه ومكاتبه فى كل من نيويورك ولندن وفرانكفورت مرورا ببيروت والبحرين حتى سنغافورة وسيول.

هذا هو مصدر اعتزازنا.. وهذا هو الاساس المتين الذى بنينا عليه ثقة زبائننا الكرام لترسيخ مشاعر الطمأنينة والأمان لمستقبل استثماراتهم وسلامة اموالهم.

للمزيد من المعلومات.. يرجى زيارة اقرب فرع لكم والحصول على دليل البنك الاهلى التجارى للخدمات المصرفية العصرية.

البنك الأهلي التجاري

THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

المنهل

ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

٤٥ السنة ٥٣ المجلد ٤٨

جمادى الاولى ١٤٠٧هـ/ يناير ١٩٨٧



ديننا الاسلامى الحنيف منجم عزتنا ومعدن كرامتنا ومنبت حضارتنا وقاعدة مجدنا الضخمة التى قام بناؤها عليه وهو يدعونا بحرارة واخلاص لحمايته وحماية أوطاننا بعزائمنا وعزائم شبابنا المتطلع الى مجد المستقبل .

وكانت حياة أسلافنا الغر الميامين تتركز على ممارسة التدريب فيما يدعم حماية الدين ووقاية الوطن الأمين . وخير قدوة مثالية يقتدى بها اليوم شبابنا الطامح ، هى شباب أصحاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فى هذا الميدان الحافل بالمكرمات ولقد كان تدريبهم يومئذ حافلا يشمل ألوان التدريب المعروفة فى عصرهم السالف فكانوا يحتفلون بممارسة فن الرماية وفن السباحة وفن امتطاء صهوات الخيل وبذلك كانوا خير حراس أمناء لعقيدتهم وللبلاد التى نمت فيها لأول مرة هذه العقيدة السمحة المعطاء تماما كما قامت حكومتنا السعودية الرشيدة بانشاء مدارس لشبابنا لممارسة فن الطيران الجوى السلمى والحربى فى هذه البلاد وغيره من فنون التدريب الواقية .

ان شبابنا اليوم مدعوون فى حرارة واخلاص الى أن يقتفوا آثار أسلافهم فى الانخراط فى سلك التدريب المنشود لينهضوا كشباب صاعد متنام بمهماتهم العربية والاسلامية والوطنية الجليلة وليكونوا فى طليعة حماة أوطانهم العزيزة ان شاء الله .



المحرم ١٣٩٩ هـ

وبدأ الحوار .. وجاء السؤال من وراء البحار .. مَنْ أنتم ؟
أتسألنا ؟ نحن مَنْ علّمنا العالم صعود الجبال وركوب البحار ..
نحن مَنْ علّمناكم الرياضة والجبر والحساب .. نحن مَنْ علّمناكم
الفيزياء والكيمياء والأحياء .. نحن مَنْ .. هوّن عليك .. ؟
لا تعدد تاريخًا ليس لكم منه نصيب غير تعداده ..
مجدكم الذي أصبح رواية مقال وحكاية حال حوّلناه نحن
إلى حياة مُعاشة وحضارة مُشادة .. فهو مِلْكُنا ..
هوّن عليك .. نحن لا ننسى لكم مَنْ أنتم في ماضيكم ..
ولكن مَنْ أنتم في حاضركم .. ؟ ألستم حوار بندقيتنا ومخزن
سلاحنا .. ومدفن نفاياتنا .. ألستم سوقنا ورصيدنا .

وفرك العربي عينيه .. فقد أفاقته « الصفعة » فإن كانت
الصفعة « السابقة » قد أنامته طويلًا ليستلب فإن هذه
الأخيرة قد فتحت عينيه ..

ولما تمنّينا دوام الصحو فإن حارسه السهر والعمل ..
فهل استوعبنا الدرس والعبرة !؟

نرجو ذلك ..

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

المملكة العربية السعودية - جدة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٧م

عبد القدوس الانصاري

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مدير الادارة والتحرير
زهير نبيه الانصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الانصاري

مراسلونا فى الخارج
- القاهرة: د. احمد الحفناوى
- عمان: روكس بن زائد العزيزى
- الرباط: عبد الرحيم عبد السلام
- تونس: د. نور الدين صمود
- انقرة: د. انور طاهر رضا
- الجزائر: د. بكرى عبد الكريم

- التحرير
السمانى كمال الدين
محمد سيد على الدين
نادر صلاح الدين
- الجمع التصويرى
عبد الفتاح السيد سليمان
- الارشيف
الامين الصديق
- العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

المخرج الفني
فريد أبو سعده

معلومات ادارية

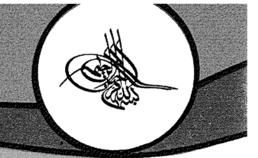
المركز الرئيسى
جدة - الشرفية
ص. ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١
ت: ٦٤٤٧٧٩٤
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
ت: ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
السليمانية
ص. ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات
- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة
ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة
- السعودية: ٨ ريال
- البحرين: ٨٠٠ فلس
- قطر ٨ ريال
- الامارات: ٨ دراهم
- اليمن: ٦ ريال
- الاردن: ٥٠٠ فلس
- مصر ٥٠ قرشا
- السودان: ١٥٠ قرشا
- تونس: ٦٠٠ مليم
- المغرب: ٦ دراهم

جمادى الأولى ١٤٠٧هـ - يناير ١٩٨٧م



من كتاب هذا العدد

محمد بن احمد العقيلي — د. عمار هلال — احمد جبر — احمد مصطفى حافظ

مجلاتنا الداخلية

عروبة القدس قدر وتاريخ ومصير
من أبناء العرب في فلسطين
شعر الأرض المحتلة

● حدائق وكهوف
● ملاد النمال

المسرح المفتوح

العـالم الـذى نعيش فيـه اليوم يسير على مناهج حياتية متعددة ومختلفة ومتباينة . . وفلسفات سلوكية أصبحت يقينية عندهم ـ حسب معتقداتهم ـ تسير عليها حياتهم فى كل جوانبها . .
ومهما كان لهذا التعدد فى المناهج والفلسفات السلوكية من الغلبـة فى عالمنـا اليـوم فلا يعنى هذا صحته وصلاحيته المطلقـة إذ لا تُؤْخَـذ هذه القـاعدة (الصلاحية) بمنطق الغلبـة أو الشمـول وإنـما بمنطق التمحيص الـدقيق الواعى . . إذ يمكن لمنهج حياتى معين أن يُفْرض بغلبة الغالب على المغلوب أو يبسط ويؤخذ به ـ اضافة لمنطق الغالب والمغلوب ـ من منطلق الدهشة المرتسمة على وجه هذا البسيـط لما يراه من تقـدم حضارى متلاحق ويظل مشـدوهـا كلما رأى من جديد حتى وقر فى يقينه ان هذا العقـل الجبـار الـذى صنـع كل هذه الحضـارة احق ان يتبع . . حتى فى سلوكياته وقوانين حياته . . ومن هنا تكون الكارثة .

فلسفة الحياة فى العالم غير الاسلامى تقوم على منهج لا دينى أو دينى منحرف معوج . . وعندما أقول الحياة **أعنيها** بكل جوانبها الحسى والمعنوى . . تقوم فلسفتهم الحياتية على (ان الـواقع الموضوعى يتكون فى النهاية من لبنات مادية متناهية الصغر فى حجمها) و(كل الظواهر النفسية والاجتـماعيـة والحيـويـة والفيزيائية ينبغى ان يُلتَمس فى تفسـيرها **تفسير مادى** باعتبار ان هذا الكون المادى كون مكتف بذاته . . وكل عبارة تنطوى على دعوى تخالف فى ظاهرها هذا التصور فإما أن يُحْكَم ببطلانها واما أن يعاد تفسيرها بحيث يوجد لها مكان داخل هذا الاطار المادى) كما يقول الدكتور جعفر شيخ ادريس .

الاستعمار يعمل دائما بمفهوم (المسرح المفتوح) وإن قلت الاستعمار فلا أعنى به الاستعمار فى شكله الضيق . . وانـما اقصـد الاستعـمار فى الافكـار والسلوك والعـادات والمعاملات . . اعنى به الغزو الفكرى والثقافى فى أوسع معانيه . .

وجاء ذلك الغزو أو الاستعمار (سمه ما شئت) . . أضاء المسرح لتبدأ فصول المسرحية . . أطفأ أنوار القاعة حتى لا يُشْغَل المشاهدون بغير ما يجرى على خشبة المسرح . عزفت موسيقـاهم بانغام متتالية وايقاع سريع متتابع . . وذهب الصدى بعيدا . . بعيداً . . وانتشى القوم وشدت الـدهشة أعينهم وقبلها قلوبهم . . وبدأ الشد على حبال الحضـارة الـوافـدة . . وبـدأ الفصل الأول من المسرحية بمشهـد عام أظهـروا فيـه تفـوقهم العلمى والفكـرى

والحضاري وتخلل المشهد موسيقى تصويرية متعالية كانها تمتد هاماتها فوق السحاب. . واشرأبت أعناق قلوب المشاهدين فانسكبت (انغام الفوقية) فى نفوسهم واعطوهم الزمام والقياد. . (وغداً كتب) العشاق [أوربا سيدة الحضارة) لا شيء أسوأ من الانبهار. . فقد (سحروا اعين الناس واسترهبوهم). . ومن هنا كانت البداية. . وتوالت فصول الرواية. . (هؤلاء المشدوهون الفارغون. . الفاغرو **أفواههم**) فلنفرغ فيهم ما شئنا. . فنحن السادة. . او هكذا لسان حالهم يقول. .

هذا المسرح مفتوح على حياة هؤلاء المتربعين على كراسى وجودهم الاجتماعى يشاهدون ما يجرى على خشبة المسرح. . فحيناً **يغمضون** عيناً خجلاً واستحياء مما يجرى فى المسرح العريض مما ليس فى أعرافهم وعاداتهم ومثلهم ويواصلون المشاهدة لبقية العرض بالعين الأخرى. . فهم - فى بادىء الامر - بين رفض وقبول. . لكنه قبول حذر. . فهو جديد يستهجنه المجتمع. . ويأخذه البعض على شيء من ترقب ردود الفعل. . فيداومه. **فيستهويه**. فيصبح جزءاً منه. . وما يلبث ان يتحول إلى واقع ماثل. . وسرعان ما تسرى عدوى محاكاته وتقليده فى اكثر المجتمع. . وبعدها لا سبيل لمعترض. .

حديث الشهر

وان حدث منك ذلك جاءتك الاجابة: إنه الواقع. . انها الحياة المعاشة اليوم. . هذا هو الواقع. . فى كل شيء تصدمك هذه العبارة. . الاجتماع - السلوك - الاقتصاد - السياسة - المعاملات اليومية بين الأفراد. . فى الادب والفن. . إذن هذا (الجديد الواقع) هو السنة المتبعة أما المنهج الربانى ففيه نظر - كما يقول بعضهم.

ولا نبعد عن الحقيقة إن قلنا ان بعض الدول الاسلامية عندما ارتفعت فيها اصوات لتحكيم كتاب الله سبحانه وشرعه تعالت أصوات تطالب بعرض الموضوع على الهيئة التأسيسية للنظر فيه. . إذ تحول الامر الى مجرد اقتراح يطرح للنظر فيه. . واذا تعالت اصوات اخرى بتحريم الخمر أو تنفيذ حدود الله كان الرد كسابقه. . أليست هذه - على مرارتها - هى الحقيقة. . وإذا ما حدث وطبق شيء من هذه التشريعات تعالت اصوات (الغزو) انهم يطبقون تشريع القطع والبتر. . ويضاء المسرح ثانية لنشاهد فصولا تحت مسميات غريبة مصطنعة (التطرف الدينى - المسلمين المتطرفين. . الخ) ولابد أن نلاحظ وبدقة هذا التركيز المقصود على المسلمين ومحاولة وصفهم بتلك الأوصاف الجائرة. . وبكل أسف يأكل بعضنا الطعم ليردد نفس العبارات والالفاظ. . من غير دراية منه أو عن قصد. . أليس هذا هو الواقع؟.

وحتى لا نؤخذ على غرة أو نخدع فى أمرنا علينا أن نقيس حياتنا وتصرفاتنا بمقياس شريعة الله سبحانه ونسير على هداها (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم). . **﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين﴾**.

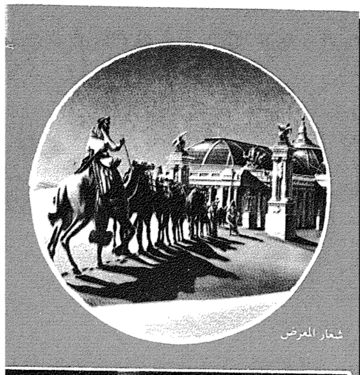
السمانى كمال الدين

معرض المملكة بين الأمس واليوم

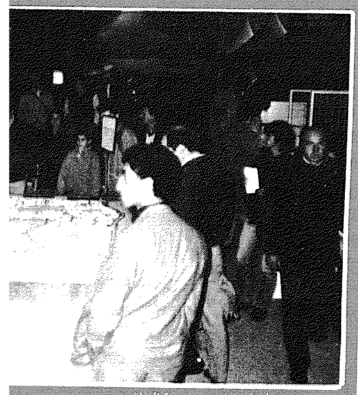
فى الأمس القريب وبالتحديد يوم الاربعاء ٩ ربيع الآخر ١٤٠٧هـ الموافق ١٠/١٢/١٩٨٦م افتتح فى باريس العاصمة معرض الرياض بين الأمس واليوم وبحضور صاحب السمو الملكى الامير سلمان بن عبد العزيز امير منطقة الرياض ومشاركة السيد جاك شيراك رئيس الحكومة الفرنسية وابرز اعضاء الحكومة الفرنسية . . وقد سبق افتتاح المعرض حفل خطابى تمثل فى كلمتين مهمتين بين الامير سلمان والسيد شيراك .

وقد حظى هذا المعرض باهتمام كبير من اجهزة الاعلام الفرنسية والشعب الفرنسى الصديق واغلب الجاليات العربية والاسلامية المقيمة فى باريس . . وقد تمثل الاهتمام الفرنسى بهذا المعرض فى اسمى صوره عندما شرف الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران المعرض بزيارة صداقة وبلفتة نادرة صباح يوم الخميس ١٠ ربيع الآخر ١٤٠٧هـ، وكان فى استقباله الامير سلمان بن عبد العزيز امير منطقة الرياض والوفد الرسمى المرافق لسموه . . وقد بدت هذه الزيارة بادرة عظيمة وتكريما كبيراً للمملكة ملكاً وحكومة وشعبا . . وقد تفقد الرئيس الفرنسى يرافقه الامير سلمان صالات العرض للاطلاع على محتويات المعرض والتعرف عن كثب على حضارة المملكة وماضيها . . واستمع الى شرح مفصل من الامير سلمان على محتوى كل جناح . . وتوقف الرئيس طويلا امام المجسمات التى تحكى قصة الانجازات السعودية الهائلة فى كل المجالات .

وخصَّ جناح التراث والصناعات الحرفية والتقليدية والآثار بالكثير من وقته الذى قضاه فى

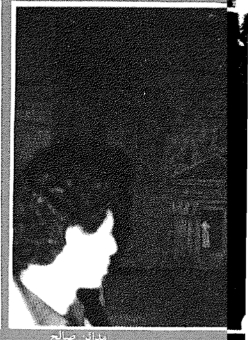


شعار المعرض



زوار المعرض امام مجسم مدينة الرياض

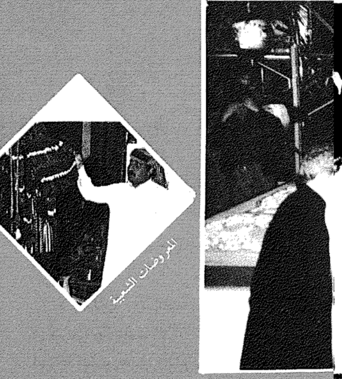
المعرض كما زار ايضا جناح الملك عبد العزيز وجناح رائد الفضاء الامير سلطان بن سلمان والذى التقى به الرئيس اثناء الجولة ووصفه بانه «**بطل عصرى**» وشاهد بعد ذلك العرضة النجدية وابدى ارتياحه لكل ما احتواه المعرض .



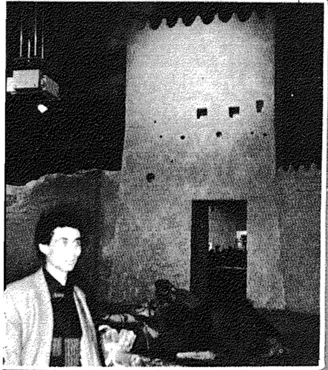
مدائن صالح



مدير الادارة والتحرير امام مدخل قصر «القران باليه»



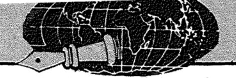
المعروضات الشعبية



صورة حية من قصر المصمك

ونسبة لما احتواه المعرض من ابراز جوانب حضارية وتراثية لاكثر مناطق المملكة فقد اعلن رسمياً تحول اسم المعرض الى «**معرض المملكة بين الامس واليوم**» حرصا من المسؤولين على ان يكون اشمل واعم لجميع اوجه التقدم الحضارى واوجه التراث والآثار والعادات الشعبية فى مملكتنا العربية السعودية الحبيبة.

وسينتقل المعرض فى الصيف القادم إلى جمهورية مصر العربية ومن ثَمَّ إلى الولايات المتحدة الامريكية.



منزل سعودى قديم

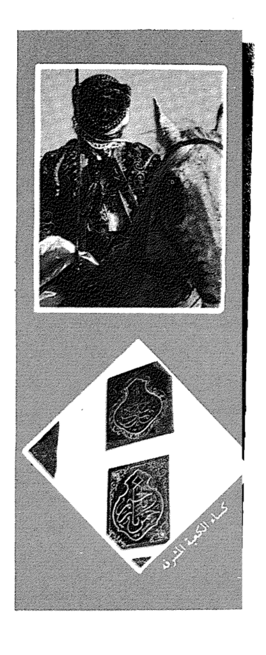
جانب من الحياة القديمة فى الرياض

انشاء اكبر مركز للدراسات الاثرية بالاقصر

بدأت هيئة الآثار فى مدينة الاقصر فى انشاء اكبر مركز للدراسات الاثرية فى الشرق الاوسط بتكاليف تصل الى ٢٥ مليون جنيه وسيفتتح المركز ابوابه لعشرات الآلاف من طلاب الجامعات المصرية والعربية والعالمية لدراسة فنون ترميم الآثار.. والطرق الحديثة للكشف عنها بالاضافة الى دراسة اللغات الهيروغليفية القديمة.

التسوق تلفزيونيا

لا عليك.. ولا تتعب نفسك.. ما تطلبه يأتيك فى منزلك وما عليك الا أن تدير قرص التلفون.. فى امريكا قامت إحدى (الشركات التلفزيونية) بالتعاقد مع بعض المحلات التجارية وذلك بغرض عرض منتوجاتها على شاشة التلفزيون لكى يستطيع المشاهد تحديد ما يختاره منها من مشتريات وفى هذه الحالة يتم الشراء بواسطة (بطاقات الائتمان) وبعد الاتصال بمحطة التلفزيون المعنية حيث تأتيك متطلباتك وانت على كرسيك..



اكبر مصحف فى العالم فى المدينة المنورة

تضم مكتبة المغفور له الملك عبد العزيز فى المدينة المنورة جناحا يشتمل على مكتبة للمصحف الشريف تضم النادر والنفيس من المصاحف الكريمة المخطوطة ومن هذه المصاحف يوجد اكبر مصحف ربما يكون فى العالم حيث يبلغ وزن هذا المصحف اكثر من (١٥٤) كيلو جرام ويبلغ مقاسه ١٤٢٫٥ × ٨٠ سم كما يوجد فى هذه المكتبة ايضا اقدم مصحف ويعود تاريخه الى سنة (٥٤٩هـ) اى قبل ثمانمائة وستة وخمسين عاما. . وهو مخطوط بخط شخص يدعى ابو سعيد محمد اسماعيل وحجم هذا المصحف النادر يبلغ ٢٠ × ٣٠سم.

كما تضم هذه المكتبة نماذج من احزمة الكعبة المشرفة ومنها حزام يرجع تاريخه الى سنة ١٣٤٨هـ فى عهد مؤسس هذا الكيان الكبير المغفور له الملك عبد العزيز اضافة الى احزمة للكعبة المشرفة فى عهد الملوك المغفور لهم سعود وفيصل وخالد طيب الله ثراهم جميعا.

المسابقة الدولية التاسعة للقرآن الكريم

فى منتصف هذا الشهر سيفتتح - باذن الله - صاحب السمو الملكى الأمير ماجد بن عبد العزيز أعمال المسابقة التاسعة للقرآن الكريم فى مكة المكرمة. . وتشترك فى هذه المسابقة (٣٣ دولة و٤٥ جمعية ومركزاً إسلاميا) من مختلف دول العالم. . وهذه المسابقة تنظمها وزارة الحج والأوقاف السعودية وتتكفل بكل نفقاتها خلال فترة انعقادها بما فيها تذاكر السفر للمتسابقين والمرافقين ذهاباً وإيابا. . وتبلغ جوائز هذه المسابقة (٨٨٨ ألف ريال).

وهذه المسابقة تحظى باهتمام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز. . وذلك حرصاً منه على توسيع دائرة حفظ وتجويد كتاب الله الكريم بين الشباب ومعرفة احكامه وفقهه والترغيب فى اتباع نهجه.

الطفل .. واليوم العالمى

العنصر البشرى قوام الحياة . . ومعافاته معافاة لها إذا سلك سواء السبيل . . والاطفال هم رجال ذلك الغد المأمول . . وحفاظاً على حياتهم وتنمية لها قامت المنظمات الدولية والاقليمية . . ولهذا تحتفل منظمة الامم المتحدة للأطفال (اليونيسيف) بالذكرى الأربعين لانشائها . . وقد ساعدت كثيرا فى تخفيف ما تعانيه الطفولة.

وقد أشادت المنظمة بالجهود الكبيرة والعظيمة التى قدمها (برنامج الخليج العربى لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية) برئاسة الامير طلال بن عبد العزيز . . وفى هذا الاطار دعت (هيئة الاغاثة الاسلامية) التابعة لرابطة العالم الاسلامى لمساعدة اطفال العالم.



هل تحولت إلى ذكرى . . ؟

فى اكتوبر ١٩٤٨م أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الاعلان العالمى لحقوق الانسان . . وفى الشهر الماضى احتفل المجتمع الدولى بذكرى ذلك الاعلان العالمى . . **ويقفز الى الذهن سؤال: هل حقا أصبحت حقوق الانسان ذكرى؟** . . إن كثيرا من دول العالم قد حطمت فى الانسان كل معنى خير فيه . .

مجلس وطنى للثقافة والفنون والأدب فى البحرين

اصدر سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة امير البحرين مرسوما يقضى بانشاء وتنظيم مجلس وطنى للثقافة والفنون والآداب يلحق بوزارة الاعلام.

وسيكون من اختصاص المجلس الاهتمام بشؤون الثقافة والفنون والاداب ويعمل على تنمية وتطوير الانتاج الفكرى واثرائه وتوفير المناخ المناسب للانتاج الفنى والادبى والاهتمام بالفنون الجميلة

تليسكوب المليار فرنك

هذا المبلغ حدده علماء الفلك الأوربيون لبناء أضخم تليسكوب فضائى وقد تخيل علماء الفضاء بناء تليسكوب من أربعة عناصر متماثلة له مرايا قطرها ٨ أمتار ويلتقط ضوءاً يماثل ما يلتقطه تليسكوب قطره ١٦ مترا . . والدول المهتمة بهذا الامر هى: بلجيكا - الدنمارك - فرنسا - المانيا الاتحادية - هولندا - السويد - سويسرا . . والمنافسة فى ذلك قوية بينهم وبين السوفيت واليابانيين والامريكيين الذين يعتزمون بناء تليسكوب فضائى واجهزة يتراوح قطرها ٢٫٨٥ فى عام ١٩٩٣م.



وعلاجها فى النظرة الاسلامية

اذا تأملنا العلاج النبوى للاحزان التى تتسبب عن المصائب نجد انها من أبلغ الطرق العلاجية وأنفعها للانسان فى دنياه وآخرته ذلك انها تتضمن أصلين عظيمين اذا عرفهما الانسان ـ الذى ابتلى بمحنة من المحن فانهما تسريان عنه مصيبته . ويمكن أن نلخص هذين الاصلين فيما يلى :

الأول: انه اذا عرف العبد ان أهله وماله ملك لله عز وجل على الحقيقة وانه ليس الا أمينا على ما فى يده فاذا أخذه تعالى منه فكأنه رد الأمانة الى صاحبها فليس العبد هو الذى أوجد الشىء ـ المال أو الاهل ـ وانما المالك على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى لذلك فهو لا يمتلك شيئاً على الحقيقة ولا هو الذى يستطيع أن يحفظه من العدم والآفات بعد وجوده لذلك فان الله هو المتصرف، واذا تصرف العبد فانما يتصرف حسب ما يوافق أمر المالك الحقيقى هو الله عز وجل .

الثانى: ومادام مصير العبد الى الله ومرجعه اليه فيتوجب عليه أن يعلم أن هذه الدنيا انما هى رحلة قصيرة مهما طالت وأنه سيتركها إن آجلا أو عاجلا . وانه سيقابل ربه كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة وانما سيقابله بحسناته وسيئاته فاذا كان الامر كذلك فكيف يفرح بموجود ويأسى لمفقود وهو زائل لا محالة راجع الى ربه عن قريب .

هذان هما الطريقان الموصلان الى التخفيف من وقع المصيبة . . وهما بلسمان شافيان لما يقع فيه العبد من الحزن نتيجة نقص المال أو فقدان الاهل والولد ويؤيد ذلك قول الله عز من قائل : ﴿**وبَشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون**﴾ (البقرة: ١٥٥).

ويقول الرسول ﴿ﷺ﴾ فى ذلك: «ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. .

اللهم أجرني من مصيبتي وأخلف لي خيرا منها ـ الا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها».

وهناك طرق عديدة في علاج حزن المصائب والتخفيف عن صاحبها بحيث يصبح الشخص وقد عوض عما هو فيه من حزن وكرب وغم ويمكن تلخيص هذه الطرق العلاجية في النقاط الآتية:

(١) أن يعلم الانسان الذي أصيب بمصيبته أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه. ومعنى ذلك أن كل ما يصيب الانسان في دنياه وفي نفسه انما هو مدون في كتاب من قبل ميلاده وان ذلك على الله بيسير وهذا تصديق لقول الله عز من قائل: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها إنَّ ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كلَّ مختال فخور**﴾(الحديد: ٢٢).

(٢) لو تأمل الشخص ما أصيب به من محنة أو شدة أو نقص في الولد أو المال لوجد أن الله سبحانه وتعالى أبدله في الوقت نفسه ما هو أفضل منه أو أبقى له.. على الاقل مثله. وهذا ميزان عدل من الله سبحانه وتعالى الا أن الانسان ينسى ويتغافل عما أبقى عليه سبحانه وتعالى من النعم عندما أخذ منه بعضها فينسى نعمه ويذكر نقمه فلو صبر العبد على ما ابتلاه الله به ورضي عن ذلك لجزاه الله سبحانه وتعالى بنعم مضاعفة أكثر كثيرا مما أخذه أو ابتلاه به.. كما أن الله سبحانه وتعالى كان يمكن أن يصيبه بمصيبة أعظم مما جرت له لكنه عندما أصابه تلطف به.

(٣) ومن أفضل الطرق المخففة للمصائب التأسي بأهل المصائب وذلك ليطفيء من نفسه نار مصيبته.. فهو إن نظر لغيره لوجد مصائبهم أشد وأنكى.. ولو فتش العالم كله لم ير الا مُبْتَلَى ـ إمّا لوفاة محبوب أو حصول مكروه وأن الدنيا وهم وحلم كظل زائل تضحك قليلا وتبكي كثيرا فان سرَّت الانسان يوما ساءته دهرا.

(٤) كما أن على الشخص الذي أصيب بمصيبة أن يعلم تمام العلم أن عدم صبره وتسليمه بقضاء الله وقدره هو ضياع أعظم من مصيبته ـ ذلك لأن الصبر فيه ثواب والتسليم لله هو من الهداية والرحمة.. والصلاة اذا تغافل عنها العبد عند وقوع المصيبة فيعني ذلك انه وقع في مصيبة أكبر.

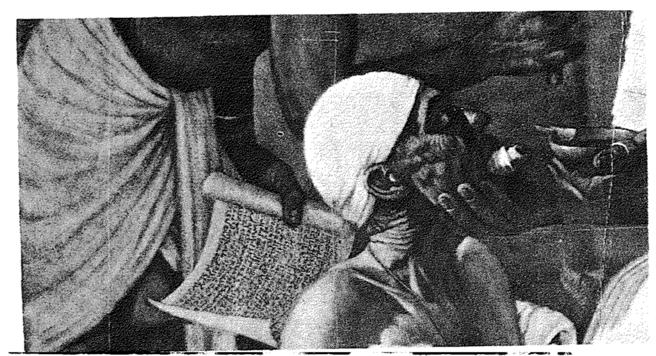
(٥) يجب أن يعلم الذي أُبْتلي بمصيبة أن جزعه يُغْضِبُ ربه.. ويسر شيطانه.. ويُحْبِطُ أجرَه.. ويُضعف نفسه.. ويُشمِّت فيه عدوه.. ويسيء الى صديقه.. اما اذا صبر عند المحنة ولم يجزع أقصى عنه شيطانه ورده خاسئا واقترب منه ربه وأرضاه.. وسر صديقه وساء عدوه.. وهذا هو الانسان الثابت الجنان الذي لا يفعل مثل الكفار من لطم للخدود وشق الجيوب والسخط على المقدور.

(٦) أن يعلم الذي أصيب بمصيبة أن الصبر يعقبه لذة ومسرة أضعاف ما كان سيحصل عليه ببقاء ما أصيب به اذ أن الصابر يبنى له بيت الحمد في الجنة لحمده بربه واحتسابه له.

(٧) ان أثر المصيبة على صاحبها تحدد موقفه من الله فمن رضي بما أصابه الله به فله الرضا ومن سخط فله السخط. وعلى المرء أن يختار ما هو أفضل له فان اختار السخط كُتِب مع الهالكين.. وان اختار الجزع والتفريط في حقوق الله كتب مع المفرطين.. وان أحدثت له المصيبة التبرم والشكوى والضجر كتب مع المغبونين.. وان أحدثت له اعتراضا على حكم الله ومقدوره في عدله وحكمته فقد دخل باب الزندقة أو قرعه وكتب مع الكافرين أو الفاسقين أو المنافقين.

اما اذا أصيب بمصيبة وصبر وثبت في رضى وصبر واحتساب كتب في ديوان الصابرين أو الراضين أو الحامدين أو الشاكرين.

(٨) ان العاقل في حال المصيبة يجب أن يوازن بين



أمرين اما ان يصبر وهو راض بقضاء الله ومقدوره واما أن يصبر صبر الاضطرار . ذلك لأنه مهما بلغ الجزع من حدوث المصيبة غايته فان صاحبها سينتهى حتما الى صبر الاضطرار وهو غير محمود عند الله ولا يثاب عليه العبد. لذلك فان العاقل عليه أن يصبر على المصيبة من أول يوم فلا يجزع ولا يتبرم . . يقول بعض الحكماء :

«والعاقل يفعل فى أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام . . ومن لم يصبر صبر الكرام سلك سلوك البهائم. فالصبر على وجه الحقيقة هو الصبر عند الصدمة الاولى».

(٩) ان الصابر لله أفضل كثيرا فى تمتعه وسروره بما أصيب به ممن لم يصب إذ أن لذة التمتع بثواب الله أعظم من بقائه مع من يحب كثيراً.

(١٠) انه يجب أن يعلم أن الله لا يريد له البلاء والهلاك . . ولا يريد أن أحدا يعذبه بما افتقده . . وانما ابتلاه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ليمتحن صبره ورضاه وايمانه ليسمع تضرعه وابتهاله وتقربه اليه.

ويجب ان يعلم العبد أن المصيبة كثيرا ما تكون لها فوائد عديدة منها انها علاج لأمراض الكبر والتعجب والاغترار وقسوة القلب وهى سبب لهلاك العبد . فلولا المحن والمصائب والخطوب لهلك الانسان من هذه الأفات النفسية والنقائص الاخلاقية اذ أن من رحمة الله بالانسان أن يبتليه ببعض المصائب حتى تكون درعا له واقيا من هذه الآفات والامراض وحفظا لسلامة عبوديته.

(١١) على العبد الذى أصيب أن يعلم أن حلاوة الدنيا هى مرارة الأخرة وأن مرارة الدنيا هى حلاوة الآخرة وأن الافضل للعبد أن ينتقل من مرارة منقطعة الى حلاوة دائمة «حفت الجنة بالمكاره وحفت الدنيا بالشهوات».

هذه العلاجات للحزن من ألم المصيبة والمحن تفيد الانسان العاقل أيما تكون الافادة ذلك لأنها فى علاجاتها المتعددة تصلح لكل انسان ما دام هذا الانسان حاصلا على شىء من الايمان الا أنها لا تصلح لمريض القلب الذى اعتراه التحدى والكفر والاعتراض على ابتلاء الله سبحانه وتعالى له والذى سينتهى به الامر حتما (الى صبر الاضطرار) كما يحدث للكافرين والملحدين . . وربما يؤثر ذلك على صحته النفسية والبدنية على السواء.

ان العلاجات النفسية فى الطب النبوى تعد من أكمل أنواع العلاجات ذلك لأنها تواكب الفطرة السليمة والعقل الرشيد والقلب السليم والنفس المستقيمة.



الذى ينظر فى العلوم الاسلامية منذ نشأتها الاولى الى عصرنا الحاضر يلاحظ ان بعضها قد احتل مكان الصدارة من حيث شدة اهتمام العلماء به درسا وتأليفا وكذلك من حيث اهمية الدور الذى لعبه فى تبليغ تطورات الفكر الاسلامى عبر القرون.

ويعتبر علم التفسير احد تلك العلوم. فان احصاء المؤلفات التى ظهرت فيه ما بلغنا منها ومالم يبلغنا يقدم وفرة من التأليف تدل على شدة الاهتمام به كما ان التأمل فى محتوى تلك المؤلفات يمكن من ضبط الاتجاهات المتعددة التى عرفها الفكر الاسلامى عبر القرون.

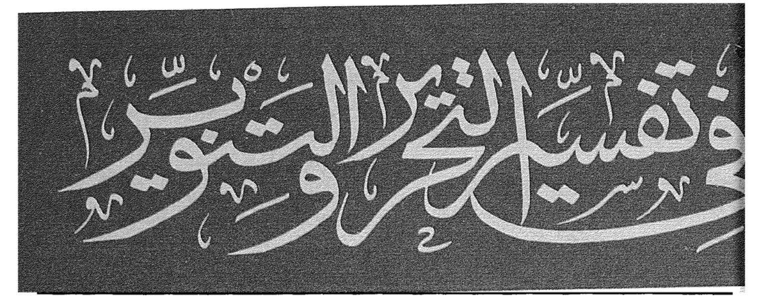
ويفيد تصنيف المؤلفات فى التفسير تصنيفا تاريخيا فى معرفة الكيفية التى تطور بها الفكر الاسلامى من جهة كما يفيد فى معرفة خصائص ذلك الفكر فى كل عصر بملاحظة الجانب الذى طغى على التفاسير التى ظهرت فى فترة معينة.

وككل القرون السابقة فانه قد ظهر فى عصرنا الحاضر عدد من التفاسير لها طابعها الذى يميزها عما جاء قبلها. لذلك يصنف الباحثون اليوم مدارس التفسير كالاتى: مدرسة التفسير الموضوعي.. ومدرسة التفسير الاصلاحي الاجتماعي.. ومدرسة التفسير الادبي ومدرسة التفسير العلمي.

ولقد حظيت بلادنا فى العصر الحاضر بمن الف فى تفسير القرآن - كما حظيت بذلك فى القرون الماضية انطلاقا من يحيى بن سلام البصرى القيروانى من القرن الثانى للهجرة ومرورا بمكى بن ابى طالب وابى العباس المهدوى من القرن الخامس الى محمد بن عرفة من القرن الثامن.

وكتاب التفسير التونسى الذى نعنيه والذى ظهر فى عصرنا الحاضر هو الذى الفه المرحوم العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وسماه: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» والذى اختصره فى عبارة: «التحرير والتنوير من التفسير»

هذا التأليف الذى يشارك التفاسير القديمة فى منهجيته عموما ينحاز فى الموضوع الذى اهتم به الى مدرسة عريقة الجذور هى المدرسة البلاغية التى يعتبر الزمخشري من اهم ممثليها فهو تفسير بلاغى بالدرجة



الاولى لكن الشيخ قد اهتم فيه بدقائق البلاغة خاصة وحرص على ان يلتزم البحث فى ذلك فى كل آية من القرآن وهو امر لم يسبقه اليه غيره. يقول رحمه الله: «ان معانى القرآن ومقاصده ذات افانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الاطراف موزعة على آياته.

فالأحكام مبينة فى ايات الاحكام.. والاداب فى اياتها.. والقصص فى مواقعها.. وربما اشتملت الاية الواحدة على قليل من ذلك او اكثر.

وقد نسى كغيره من المفسرين بعض تلك الافنان ولكن فنا من فنون القرآن لا تظهر على دقائقه ولكنه اية من ايات القرآن وهو فى دقائق البلاغة هو الذى لم يخصه احد من المفسرين بكتاب كما خصوا الافانين الاخرى. من اجل ذلك التزمت ان لا اغفل التنبيه على ما يلوح لى من هذا الفن العظيم فى اية من آيات القرآن كلما الهمته بسبب مبلغ الفهم وطاقة التدبر»

هذه الخاصية الاولى لتفسير التحرير والتنوير قد لا يبرز فيها الجانب الذى اشرنا اليه من قبل وهو الجانب المتجلى فى مدارس التفسير الحديثة ذات المشارب الجديدة المتنوعة.

والخاصية الثانية: تتمثل فى اهتداء الشيخ رحمه الله الى نكت فى التفسير لم يسبق اليها كذلك وتتعلق بمعانى القرآن واعجازه.

● وموضوع اعجاز القرآن وان كان محل اهتمام المفسرين القدامى فان الشيخ قد اتى فيه بما يراه جديدا. لذلك وددنا التركيز فى هذه الكلمة على الجانب الثانى الذى اهتدى اليه وهو النكت المتعلقة بمعانى القرآن واعجازه والذى سنتبين من خلاله انتماء تفسير التحرير والتنوير الى العصر الذى ظهر فيه فكان بمثابة الطابع الذى ختم به ليمكن الباحثين من تصنيفه تصنيفا زمنيا.

يرى الشيخ ان الاهتمام بالبحث فى وجوه اعجاز القرآن يرجع الى كونه معجزة الرسول ﴿ﷺ﴾ الكبرى التى تحدى بها معانديه تحديا صريحا. والتأليف فى هذا الغرض تسابق فيه العلماء من اهل البلاغة فبينوا

نماذج من وجوه اعجاز القرآن بالاعتماد على مالاحظوه من تفوق بلاغة القرآن على بلاغة كل كلام عربى - مستندين فى ذلك الى العلوم الصناعية التى استنتجوها من خصائص كلام العرب وجعلوها المعيار الذى يقيّمون به الكلام تقييما بلاغيا.

ولن نتحدث فى كلمتنا هذه عن الجديد الذى اضافه الشيخ ابن عاشور فى هذا الموضوع فان ذلك يحتاج الى بحث مستقل بل نركز اهتمامنا على معقد من معاقد وجوه اعجاز القرآن الثلاثة او الاربعة، وهو (ما اودع فيه من المعانى الحكمية والاشارات الى الحقائق العقلية والعلمية مما لم تبلغ اليه عقول البشر فى عصر نزول القرآن وفى عصور بعده متفاوتة) .

وقد رأيت ان ابحث فى هذا الموضوع فى تفسير التحرير والتنوير لانه:

(١) *بحث جديد فى نظر الشيخ اغفله من تكلم من العلماء فى اعجاز القرآن مثل ابى بكر الباقلانى والقاضى عياض*

(٢) *كما يطبع هذا التفسير بطابع العصر فيكون ممثلا له بمعالجة المسائل التى ظهرت فيه وشغلت افكار العلماء واقلامهم . . . فيدل على تفسير التحرير والتنوير ما صدق على غيره من التفاسير العالمية فى اعتبارها مرآة عاكسة للتيارات الفكرية التى يعاصرونها - ولا شك فى ان مسألة اشتمال القرآن على حقائق العلوم المعاصرة تعتبر من مواضيع الساعة فى الاوساط العلمية فى العالم الاسلامى وغيره ولا يسمح المقام بتفصيل القول فى اسباب ظهور هذه المسألة على ساحة الفكر الاسلامى ولا فى استعراض المواقف المختلفة منها والتى ترددت بين الافراط والتفريط والتوسط فى القبول او الرفض فالذى يعنينا الاشارة اليه هو ان (ابن عاشور) اهتم بهذه المسألة اهتماما مركزا ظهر فى حديثه عنه بالاشارة والتوضيح فى مقدمتين من مقدمات التفسير هما: المقدمة الرابعة . . . والمقدمة العاشرة كما ظهر فى معالجة الايات المتعلقة بهذا الموضوع معالجة علمية ولكن فى الحدود التى التزم بها والتى تبعده عن الافراط فى الاستطراد الذى يخرج به عن الكتابة التى يرمى اليها من تفسير لآيه تفسيرا علميا.*

وقد علق الشيخ ابن عاشور شرعية تفسير الايات على ضوء الحقائق العلمية المعاصرة فى مناسبات متعددة فى التفسير.

١ - *فهو يرى ان فى القرآن روحا علمية مبثوثة فى الايات وتستوجب الدعوة الى النظر والاستدلال . . . وفى التنبيه الى فضائل العلوم وتشبيه العلم بالنور وبالحياة*

٢ - *وبين ان القرآن قد اشتمل فى كثير من اياته على اشارات لكثير من العلوم . . كما ان بعض العلوم قد ايدت ما ورد فيه مثل علم طبقات الارض والطب والمنطق .*

٣ - *ويحتاج تفسير الايات الكونية فى نظر الشيخ الى العلم بقواعد العلوم لانه لا يتسنى فهم تلك الايات على حقيقتها الا من طريقها(١٥) فان تجاوزها قد يؤدى الى اخطاء فى الفهم مثل ما حصل لبعض المفسرين من القدامى فى شرح الاية الخامسة من سورة الحج عندما فسروا قوله تعالى: ﴿وغير مخلقة﴾ بانها المضغة التى لم يكمل خلقها فسقطت - وهو خطأ بينه ما تم اكتشافه حديثا فى علم الاجنة .*

٤ - *وينبغى ان يكون هذا كله مختصرا على خدمة مقاصد القرآن مثل ما فعل اسلافنا فى الاحكام والاخلاق فجلبوا لها من تفاريع العلوم ما يزيدها شرحا وبيانا .*

ورد الشيخ على من عارض فى تناول القرآن لا على ما كان متعارفا عند العرب، وكان عاما فى الفهم والافهام لجميعهم. وهو ابو اسحق

الشاطبي الذي يرى ان الشريعة امية ليس فيها من علوم المتقدمين والمتأخرين شيء. لذلك لا ينبغي تناول آيات القرآن من وجهة نظر العلوم الحكمية بجميع انواعها.

وكان رد ابن عاشور على القول بامية الشريعة من ستة وجوه:

(١) فاشار الى قصد القرآن الى نقل العرب من حال الامية الى حال العلم واستشهد بقوله تعالى: ﴿تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا﴾ .

(٢) ونبه الى صفة العموم في الدعوة الاسلامية - وهذا يعني بقاء معجزة القرآن بقاء مستمرا لاشتمالها على ما يعجز الناس في عصور انتشار العلم.

(٣) واشار الى تقييد فهم ما جاء في القرآن بما كان لدى العرب من معارف يتنافى مع ما جاء في وصفه بانه لا تنقضي عجائبه... يعني معانيه.

(٤) كما يقضي مفهوم الاعجاز في نظره استخلاص المعاني الكثيرة من الفاظه القليلة.

(٥) ولئن كان المخاطبون بالقرآن اولا: قد وقفوا في فهمه عند معنى معين لم يتجاوزوه فان ذلك لا يعفي ان من اتى بعدهم لن يدركوا من النص القرآني الا ما ادركه هؤلاء... ورب حامل فقه الى من هو افقه منه.

(٦) ثم انه لاحظ ان السلف قد فصلوا القول في علوم عنوا بها وتجاوزوا عن طريقها ظواهر الايات فيما كانت له علاقة بمقاصد الشريعة لذلك فانه لا مانع من اقتفاء اثارهم في علوم اخرى هي ايضا خادمة للمقاصد مبينة سعة العلوم الاسلامية .

بهذا يكون الشيخ ابن عاشور قد دعا الى ضرورة تأويل الايات الكونية تاويلا علميا من طريقين: طريق التقرير وطريق الدحض. ولا بأس من تحديد مفهوم لفظة العلوم عند الشيخ في هذا المقام.

لقد قسم الشيخ ابن عاشور العلوم الى نوعين... سمى الاول علما اصطلاحيا وهو: «ما تواضع الناس في عصر من الاعصار على ان صاحبه يعد في صف العلماء» وفي القرآن من هذا النوع نصيب وافر وهو ما يتعلق بمعرفة «الشرائع والاحكام.. وقصص الانبياء والامم.. واخبار العالم» .. فان ذلك العلم هو الذي كان سائدا في عصر نزول القرآن - وكان بايدي علماء اهل الكتاب ولم يكن للعرب منه نصيب الا في القليل النادر فكان ظهوره بهذا المعنى على يد الرسول العربي الامي معجزة دالة على صدق نبوته ﴿ﷺ﴾ .

والنوع الثاني من العلم سماه علما حقيقيا وهو: «معرفة ما بمعرفته كمال الانسان وما به يبلغ الى ذروة المعارف وادراك الحقائق النافعة عاجلا وآجلا .

■ وقسم رحمه الله هذا العلم الى قسمين من حيث امكانية ادراك اعجازه - فجعل القسم الاول يمثل ما هو قريب الادراك فهو لذلك عام الفائدة اذ يكفي لادراكه فهمه وسمعه... واعتبر ادراك القسم الثاني متوقفا على الالمام بقواعد العلوم «فينبلج للناس شيئا فشيئا انبلاج ضوء الفجر على حسب المفهوم وتطورات العلوم» .

وهذا المعنى هو الذي جعله الشيخ محط الاهتمام في تفسيره لانه يجسم الجانب الذي به لن ينفك القرآن ان يكون معجزا عبر العصور. فان القرآن «ما كان قصاراه مشاركة اهل العلوم في علومهم الحاضرة حتى ارتقى الى مالم يألفوه وتجاوز ما درسوه وألفوه».

فالاشتغال بفهم القرآن عن طريق العلوم ليس امرا تخييريا في نظر الشيخ انما هو ضرورة نابعة من القرآن لاشتماله على معاني ادخر فهمها للآتين في العصور الحاضرة والمستقبلة. وقد صرح بذلك عند شرحه للاية ١٦٤ من سورة البقرة: ﴿ان في خلق السموات والارض﴾ الى قوله: ﴿وما انزل من السماء من ماء﴾

فقال: «وفى الاية عبرة علمية لمن يجىء من اهل العلم الطبيعى»

والقرآن بهذا القسم من العلم معجز للناس باعتبارات مختلفة فهو معجز للعرب لجهلهم بالعلوم.. يقول تعالى فى الاية ٤٩ من سورة هود: ﴿**تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا**﴾. وهو معجز لاهل الكتاب لانهم يعلمون انه ﴿ﷺ﴾ قد اتى بالحق ولم يكونوا قد لقنوه شيئا. وهو معجز لعامة الناس لانه جاء على يد امى نشأ بين اميين.

ولا يؤدى التأكيد على وجود معلومات فى القرآن قد خفيت عن العرب - ولا شك ان فيه ما هو خفى عنا اليوم وما يكون خفيا عمن سياتى بعدنا - قلت لا يؤدى التأكيد على وجود هذه المعلومات الخفية الى القول بان مقتضى البلاغة ان يخاطب الناس بما يفهمون.. فان تخلف ذلك لم يكن الكلام بليغا ذلك لان الناس يتفاوتون فى الادراك وقد يهتدى بعضهم الى معنى لا يهتدى اليه البعض الاخر. فان كانت العقول قاصرة يوما فى ادراك بعض خفايا ايات كريمة فان ذلك لا يعنى انها لن تهتدى الى الكشف عنها ذات يوم - وهو ما لاحظه الشيخ عند تفسير الاية: ٣٠ من سورة الانبياء: ﴿**اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما**﴾ فقال: «فتكون الاية قد اشتملت على عبرة تعم كل الناس وعلى عبرة خاصة باهل النظر والعلم فتكون من معجزات القرآن العلمية التى اشرنا اليها فى مقدمات هذا التفسير»

ففى تفسير الايات على ضوء العلم ثراء لا ينكر وفى تكثير المعانى تكثير للعبرة وهو القصد من القرآن

وقد تطول قائمة الامثلة التى تناول بها الشيخ الايات عن طريق العلوم الحديثة.. لذلك نكتفى بالاحالة على بعضها وهى:

١ - الاية ١٦٤ من سورة البقرة: ﴿**ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الريح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون**﴾.

٢ - الاية ٣٠ من سورة الانبياء: ﴿**اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون**﴾.

٣ - الاية ٥ من سورة الحج: ﴿**يأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**﴾.

٤ - الاية ٥ من سورة الزمر: ﴿**خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى إلا هو العزيز الغفار**﴾.

والذى يلاحظه الباحث فى كيفية طرق الشيخ هذه الايات ومثيلاتها دقة فى الوصف تنم عن اطلاع وتحقيق دون ان يتوسع فى الجزئيات التى قد يصعب على القارىء ادراك الفائدة من ايرادها فى تفسير الاية.

■ والواقع ان بقدر ما اكد على ضرورة الاهتمام بجانب العلوم الحديثة فى شرح الايات بقدر ما دعا الى الحذر والتثبت فى تأويلها ... فالقاعدة التى سار عليها

عندما تلتقى الاية بالحقيقة العلمية كما فهمت وكما ستفهم اكثر «ان لا يخرج الفهم عما يصلح له اللفظ عربية . . ولا يبعد عن الظاهر الا بدليل . . ولا يكون تكلفا بينا ولا خروجا عن المعنى الاصلى حتى لا يكون ذلك كتفاسير الباطنية» ٣٣ . كما اشترط توخى الايجاز وتجنب الاستطراد



وقد استوفى الشيخ ابن عاشور فى وضوح تام الشروط التى ينبغى ان يخضع لها كل تفسير فى المقدمة الرابعة فجعل مقياس التصرف فى المعانى دلالة اللفظ والسياق الذى يرد فيه والمقصد القرآنى الذى يستخلص من الاية . . من اجل هذا كله فانه لا ينبغى ان تجلب الضمائر العلمية فى شرح الاية الا فى مناسبات محددة كأن توحى الاية الى مسألة علمية او يكون معنى الاية متوقفا على الالمام ـ بالقاعدة العلمية ولا يكون ايراد المسائل العلمية فيها هدفا بحد ذاته بل يكون طريقا لتوضيح المعنى او تثبيت المقصد القرآنى او استرواح المعانى من الاية .

ولعل هذه الاحترازات التى أبداها الشيخ ترجع الى عدم موافقته اولئك الذين افرطوا فى جلب المسائل العلمية وفى تحليلها فخرجوا بذلك عن الهدف الاصلى من تفسير الاية تفسيرا علميا وهو عين الهدف من التفسير عموما واعنى بذلك الهداية .

ويتفق الشيخ ابن عاشور فى هذا الموقف مع الشيخ محمد عبده الذى دعا هو ايضا الى الاخذ بالتفسير العلمى ولكن بالقدر الذى لا يبعد بالمفسر عن المقصد الاعلى للقرآن وهو الهداية .

إن تفسير الشيخ ابن عاشور قد جمع فى طريقة تأليفه بين تيارين :

١ ـ تيار تناول التفسير من ناحية بلاغية ولا شك من انه قد ابدع فى هذه الناحية .

٢ ـ تيار تناول التفسير من ناحية علمية . وهذا الجانب **وان لم يكن هو الطابع المميز له غير انه رحمه الله قد وفاه حقه بالقدر الذى لا يزيد على الحاجة الى فهم القرآن وقصد الاهتداء به . . وهو باهتمامه بهذه الناحية قد طبع تفسيره كما قلنا فى البداية بطابع العصر لأن عصرنا هو عصر العلم فأعان الباحثين على تصنيفه تصنيفا زمنيا كما لبى رغبة المتسائلين المتعددين عن موقف القرآن الكريم من العلم وهى مسألة لا تنفك اليوم عن الالحاح فى السؤال فى الاوساط المختلفة بين المسلمين وغيرهم .**

ولعل احسن ما نختم به هذا البحث ان ننعت تفسير التحرير والتنوير بما نعته به صاحبه حين قال عنه : «ففيه احسن ما فى التفاسير . . وفيه احسن مما فى التفاسير»

الزبيريون

في طليعة علماء علم الحديث

نشأت صلة الزبيريين بعلم الحديث النبوى منذ فجر الاسلام، فقد كان الزبير بن العوام رضى الله عنه رأس الأسرة الزبيرية.. وحوارى رسول الله ﴿ﷺ﴾.. وأحد العشرة السابقين الى الاسلام والمبشرين بالجنة.. وفارس رسول الله ﴿ﷺ﴾ وابن عمته ومن أخص الناس به فحفظ بعضا مما سمعه من أحاديث النبى ﴿ﷺ﴾.

وكما كان عبد الله بن الزبير قطب الحركة السياسية التى خاضها رجال أسرة الزبير بن العوام كان عروة بن الزبير قطب الحركة العلمية.. ومؤسس الاتجاه الفكرى الذى احتلت فيه الأسرة الزبيرية مكان الصدارة فقد كان أحد فقهاء المدينة السبعة الذين تصدروا للافتاء.. وواضع اللبنة الأولى فيما عرف بعد بعلم السيرة.. ثم تبعه من بعده رجالات الأسرة الزبيرية المشهود لهم بالفضل فى أمهات العلوم الشرعية كعلم الرواية.. وعلم الفقه.. وعلم التفسير وفى علوم أخرى منها علم النسب.. وعلم اللغة.. وعلم الشعر.

مصادر رواياتهم

امكن تحديد المصادر أو الروافد التى استمد الزبيريون علومهم عن طريقها بثلاثة مصادر أو بثلاثة روافد:

أ ـ ما حدَّثت به السيدة عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﴿ﷺ﴾.

ب ـ ما حدَّث به كبار الصحابة كعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وأبى ذر الغفارى وعبد الله بن عمر والسيدة اسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم اجمعين.

ج ـ ما حدَّث به صغار الصحابة كعبد الله بن العباس والحسن والحسين ابنى على ابن أبى طالب، وعبد الرحمن بن أبى بكر وغيرهم من كبار التابعين.

وكان لصلة القربى التى تصل بين اسرة الزبيريين وبين السيدة عائشة اكبر الأثر فى اثراء حصيلة علماء

الأستاذ الأديب سيد عبد القدوس الأنصاري

يسرني ويسعدني كثيرا ان تصلكم هذه الرسالة وأنتم في كامل الصحة والسعادة .
أخي الكريم : اشكركم ولابنكم الكريم زهير ما قابلتم به عملي المتواضع
الذي بعثت لكم سابقا ، ولكنني اشترط منذ الآن فصاعدا عدم قبول اي رمز
مالي مهما كان كبيرا أو صغيرا ، فقد استشعرت الخجل ، وبت في وجل مما نلته
من تقدير لست له بأهل ، فأرجوكم العفاف في المرات المستقبلة من مثل تلك
المكافآت الرمزية ، ويكفيني ان اقرأ مع قراء المنهل كل نتاج مفيد تزوده
ان صالح النشر . والله تعالى يكفيكم مددا بما انتم له اهل

هذه الأسـرة فكـريـا اذ كان بيتها نقطة اتصال بين الأرض والسماء ومهبطا للوحى ومدرسة للقرآن ومنبتا للحكمة فنهل ابناء الزبير بن العوام من منهل النبوة بالتفافهم حول خالتهم . . واقتبسوا من ذكائها الوقاد فكانت لهم رافدا ثراً ومعيناً عذباً . . وحصناً منيعاً، ودرعاً شديدا ـ حيث آزرت الزبير بن العوام وابنه عبد الله فى قضيتهما المشتركة ووقفت بجانبهما فى مواقف كثيرة سطرها تاريخ الاسلام .

ما رواه الزبيريون عن السيدة عائشة رضى الله عنها :

١ ـ ما كان له صلة وثيقة بالسيدة عائشة وهو على قسمين :



أ ـ ما يتعلق بها خاصة .

ب ـ ما يخصها ويتعلق بنساء المسلمين عامة .

٢ ـ ما اخـبر النبى ﴿ﷺ﴾ به السيدة عائشة : وهو على قسمين :

أ ـ ما كان جوابا لها عن استفتاء فى حكم شرعى .

ب ـ ما قصد به تعليمها لتبلغه النساء من أمورهن .

٣ ـ ما رأته السيدة عائشة او سمعته من صنيع النبى ﴿ﷺ﴾ وأقواله :

أ ـ فى بيتها خاصة .

ب ـ فى بيوت نسائه الأخريات .

ج ـ عند مصاحبتها له فى غزواته وأسفاره .

أهم ما رواه الزبيريون عن السيدة عائشة من مواضيع :

تطبيب الرسول ﴿ﷺ﴾ . . اعتكاف الرسول ﴿ﷺ﴾ . . حكم ترجيل الحائض للمعتكف . . حكم تقبيل الصائم . . أول نزول الوحى . . مناسبة نزول الآيات . .

تحنيك الرسول ﴿ﷺ﴾ لمواليد المسلمين. . حكم غسل بول الصبى. . حكم اغتسال المرأة المحتلمة. . كيفية اغتسال النبى ﴿ﷺ﴾ من الجنابة. . حكم اتخاذ قبور الأنبياء مساجد. . كيفية صلاة النبى ﴿ﷺ﴾. . طعام النبى ﴿ﷺ﴾. . استحباب التعوذ من عذاب القبر. . خبر ما كان يتنفل به النبى ﴿ﷺ﴾ فى بيتها. . حكم تأخير صلاة العصر. . حكم تأخير صلاة العشاء. . كيفية صلاة نساء النبى ﴿ﷺ﴾. . كيفية أول ما فرضت الصلاة. . كيفية صلاة النبى ﴿ﷺ﴾. . حث النبى ﴿ﷺ﴾ على عدم التكلف فى العبادة. . خبر قراءة الرسول ﴿ﷺ﴾ القرآن وتذكره له بقراءة أصحابه. . خبر غناء الجوارى فى بيت النبى ﴿ﷺ﴾. . خبر تسلية النبى ﴿ﷺ﴾ للسيدة عائشة بالنظر للعب أهل الحبشة. . كيفية صلاة الكسوف. . خبر مواصلة النبى ﴿ﷺ﴾ الصوم. . حكم سرد الصوم. . حكم صوم عاشوراء. . خبر تحرى ليلة القدر. . ما يجوز قتله من الجوارح والحشرات. . حكم حج الحائض وعمرتها. . أحكام الحج والعمرة. . كيفية هدى النبى ﴿ﷺ﴾. . خبر بناء الكعبة على بناء ابراهيم. . خبر زواج النبى ﴿ﷺ﴾ من السيدة عائشة. . حكم رجوع المرأة الى زوجها الأول. . حكم الغيلة. . أحكام الرضاع. . خبر غيرة السيدة عائشة من أزواج النبى ﴿ﷺ﴾. . حكم الحداد على الميت. . حكم صدقة الميت. . حكم القطع فى السرقة. . حكم النفقة على الزوجة والأولاد وحق المرأة فى ذلك. . حكم ما يتخذ بشأن ميراث النبى ﴿ﷺ﴾. . خبر بعض غزوات النبى ﴿ﷺ﴾. . حكم مبايعة النبى ﴿ﷺ﴾ النساء. . ما قاله النبى ﴿ﷺ﴾ فى بعض الاطعمة. . كيفية فراش النبى ﴿ﷺ﴾. . موقف النبى ﴿ﷺ﴾ من سترة بيت عائشة. . حكم الحجاب وفرضه على أزواج النبى ﴿ﷺ﴾. . ما تعرض له النبى ﴿ﷺ﴾ من سحر اليهود. . حكم التعوذ. . حكم الرقيا. . حكم تطيب النبى ﴿ﷺ﴾. . تعليم النبى ﴿ﷺ﴾ الناس ما يقولونه فى الدعاء. . تقبيل النبى ﴿ﷺ﴾ الصبيان ورحمته بهم. . بعض مكارم اخلاق النبى ﴿ﷺ﴾. . خبر وفاة النبى ﴿ﷺ﴾. . ما أوصى به النبى ﴿ﷺ﴾ قبل موته. . خبر فضل السيدة خديجة رضى الله عنها. . بعض مظاهر حب النبى ﴿ﷺ﴾ للسيدة عائشة رضى الله عنها. . خبر تخيير النبى ﴿ﷺ﴾ عند وفاته. .

ويمكن تصنيف مواضيع الاحاديث التى رواهـ الزبيريون عن طريق السيدة عائشة فى ثلاثة أصناف هى:

١ ـ الأحاديث المبينة لأحكام شرعية.

٢ ـ الأحاديث المبينة للسُّنَّة النبوية.

٣ ـ الأحاديث المعالجة للأخلاق والآداب الاجتماعية.

اهم مواضيع الأحاديث التى رواها الزبيريون عن غير طريق السيدة عائشة

●● اضافة الى المواضيع التى حدَّثت بها السيدة عائشة حدَّث كبار الصحابة وابناؤهم فى موضوعات أخرى رواها علماء الزبيريين ومنها:

(احاديث الهجرة النبوية. . مغازى النبى ﴿ﷺ﴾. . مواقفه ﴿ﷺ﴾ من افتداء الأسرى. . احاديث تعالج أمور المعاش. . فضائل السور. . تعاليم الرسول ﴿ﷺ﴾ لأصحابه عند الحرب. . تعاليمه فى حالات السلم. . الأحاديث المتعلقة بقيام الساعة. . الاحاديث المتعلقة بيوم الحساب وما يلقاه المؤمن من النعيم وما يلقاه الكافر من العذاب. . احاديث الحض على الجهاد. . الأحاديث المبينة للحدود كالقطع فى السرقة والجلد والرجم والزنا).

رواة الحديث الزبيريون

لن اتبع ـ عند ذكر رواة الحديث الزبيريين ـ خط[illegible] السابقين الذين صنفوا رجال الحديث ورواته [illegible] طبقات لأن ذلك الأسلوب ـ وإن ابتدع لتحرى الد[illegible] فى التعرف على صحة الحديث وتنقية سنده ـ لم يخ[illegible]

ن المآخذ المقنعة بالعدول عنه إلى أسلوب آخر علميا يحافظ على المسند والاسناد ويمكنني تلخيص تلك المآخذ في ثلاث نقاط :

١ ـ ما شاب تلك التراجم من تعميمات ومطاعن وتضعيفات لا تستند على أسس قوية أو حجج دامغة.

٢ ـ ما شاب كثيرا من كتب التراجم من خلط وتذبذب أو إغفال عدد من الرجال قد وصفهم آخرون في طبقات عالية.

٣ ـ عدم وضوح المعايير التي يقيم بها بعض الرجال.

وسأعمد الى ترتيب رواة الحديث الزبيريين حسب تقدمهم في الرواية والسن ـ فأذكر (الزبير بن العوام) اولا لأنه أول زبيري في الأسرة . . والمؤسس لها وأول راوٍ للحديث ثم اذكر ابناءه حسب تقدمهم : فأذكر «عبد الله بن الزبير . . يليه المنذر وعروة فجعفرا . ثم انتقل الى ابناء «عبد الله بن الزبير» ثم ابناء أبنائه الى آخر من روى الحديث من عقبه الذكور ـ مراعيا في



ذلك ترتيب أسنهم فالذي يصغره ثم أنتقل الى عقب (المنذر بن الزبير) من رواة الحديث فأصنع ما صنعته مع من سبقهم حتى أنتهي الى آخر راو من هذه السلسة الطيبة من رواة الحديث الزبيريين.

رواة الحديث من أبناء الزبير بن العوام

(عبد الله بن الزبير . . المنذر بن الزبير . . عروة بن الزبير . . جعفر بن الزبير).

رواة الحديث من أبناء عبد الله بن الزبير

(خبيب بن عبد الله بن الزبير . . حمزة بن عبد الله بن الزبير . . عباد بن عبد الله بن الزبير . . ثابت بن عبد الله بن الزبير . . عامر بن عبد الله بن الزبير . . عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . . عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . . مصعب بن ابراهيم بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . . ابو البركات محمد بن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . . محمد بن عباد بن عبد الله بن الزبير . . يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير . . نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . . مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . . صديق بن موسى بن عبد الله بن الزبير . . عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير . . عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير . . عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . . عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . . الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . . مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . . الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . . مصعب بن الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير).

رواة الحديث من ابناء المنذر بن الزبير

(عاصم بن المنذر بن الزبير . عبد الله بن المنذر بن عمرو بن المنذر بن الزبير . ابو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير) .

رواة الحديث من ابناء عروة بن الزبير

(عبد الله بن عروة بن الزبير . يحيى بن عروة بن الزبير . محمد بن عروة بن الزبير . هشام بن عروة بن الزبير . عثمان بن عروة بن الزبير . الزبير بن عروة بن الزبير . عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير . عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير . عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير . سليمان بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير . محمد بن عروة بن هشام بن عروة بن الزبير . الزبير بن عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير . عروة بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير) .

رواة الحديث من أبناء مصعب بن الزبير

(عمر بن مصعب بن الزبير . جعفر بن مصعب بن الزبير . ابراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير) .

رواة الحديث من ابناء خالد بن الزبير

(جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير . خالد بن محمد بن خالد بن خالد بن الزبير) .

رواة الحديث من أبناء عمرو بن الزبير

(الوليد بن عمرو بن الزبير بن عمرو بن عمرو بن الزبير) .

رواة الحديث من ابناء جعفر بن الزبير

(محمد بن جعفر بن الزبير) .

كـان الـزبير من المقلين فى مجال رواية الحديث النبوى شأنه فى ذلك شأن كثير من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ الذين كانوا شديدى الحذر من التورط فى الكذب خاصة أنهم رووا عن النبى ﴿ﷺ﴾ ان من كذب عليه تبوأ مقعدا فى النار .

لكن ثمة خبرا اثبته ابن النديم مفاده ان مجموع ما للزبير بن العوام ثمانية وثلاثون حديثا وان هناك مسندا باسمه ألفه (ابو اسحاق ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن بشير بن عبد الله الحربى . . فى حين ان ما توصل اليه احصائى لروايات الزبير بن العوام فى اشهر كتب الصحيح والسنن لم يتجاوز نيفا وعشرة أحاديث وذلك كالتالى :

(١) فى موطأ مالك:	**لم تثبت له رواية**
(٢) فى صحيح مسلم :	**لم تثبت له رواية**
(٣) فى صحيح البخارى:	
أ - عن السيدة عائشة :	**رواية حديث واحد**
ب - عن غير السيدة عائشة :	**روايتان لحديثين**
ج - رواياته المرسلة :	**روايتان لحديثين**
د - رواياته المنقطعة :	**رواية لحديث واحد**
(٤) فى جامع سنن أبى داوود:	**لم تثبت له رواية**
(٥) فى جامع الترمذى:	
أ - رواياته المرسلة :	**خمس روايات لخمسة أحاديث**
ب - رواياته المنقطعة :	**خمس روايات لخمسة أحاديث**

٦) فى سنن الدارمى:

- رواياته المرسلة:	رواية واحدة لحديث واحد

الرواة عن الزبير بن العوام:

روى عنه جلة من الصحابة والتابعين نذكر منهم على سبيل المثال:

«عبد الله بن الزبير. . وعروة بن الزبير. . ومالك بن أوس. . وموسى بن طلحة بن عبيد الله القرشى التميمى. . وقيس بن أبى حازم. . عوف بن عبد الحارث بن حبيش بن هلال بن الحارث. . سفيان بن زياد. . وابو جرد المازنى البصرى. . وابو حكيم والد اسماعيل - مولى نافع. . وجون ابن قتادة بن الأعور بن ساعدة التميمى البصرى. . وعبد الله بن عامر. . وقحافة بن ربيعة. . ومسلم ابن جندب الهذلى. . وابو عبد الله قاضى المدينة. . ومسلم بن أبى حرة. . وابو بردة الحرث بن أبى موسى الأشعرى. . والأحنف بن قيس. . وعامر بن الأحنف. . والحسن البصرى. . وعبد الله بن الحسن البصرى. . وميمون بن مهران. . وعبد الرحمن بن عوف. . ونافع بن جبير. . وغيرهم.

كان عبد الله بن الزبير من المقلين فى رواية الحديث ولكن ورد أن له ثلاثة وثلاثين حديثا اتفق الشيخان على حديث وانفرد البخارى بستة وانفرد مسلم بحديثين وانتهى تتبعى لرواياته فى كتب الحديث الى ما يلى:

١) فى موطأ مالك:

عن غير السيدة عائشة:	رواية واحدة لحديث واحد

٢) روايته فى صحيح البخارى:

أ - رواياته عن السيدة عائشة:	ثلاث روايات لثلاثة أحاديث
ب - رواياته عن غير عائشة:	ست روايات لستة احاديث
ج - رواياته المرسلة:	ثلاث روايات مرسلة
د - رواياته المنقطعة:	ثلاث روايات

(٣) فى صحيح مسلم:

أ - رواياته عن السيدة عائشة:	روايتان لحديثين
ب - رواياته عن غير عائشة:	اربع روايات لأربعة أحاديث
ج - رواياته المرسلة:	رواية مرسلة واحدة

(٤) فى سنن أبى داود:

أ - رواياته عن السيدة عائشة:	اربع روايات لأربعة أحاديث
ب - رواياته عن غير عائشة:	اربع روايات لأربعة أحاديث
ج - رواياته المرسلة:	أربعة روايات لأربعة أحاديث
د - رواياته المنقطعة:	ثلاث روايات لثلاثة أحاديث

(٥) فى جامع الترمذى:

أ - رواياته عن السيدة عائشة:	ثلاث روايات لثلاثة أحاديث
ب - رواياته عن غير عائشة:	اربع روايات لأربعة أحاديث
ج - رواياته المرسلة:	خمس روايات لخمسة أحاديث

(٦) فى سنن الدرامى:

أ - رواياته عن غير عائشة:	رواية واحدة لحديث واحد
ب - رواياته المرسلة:	روايتان لحديثين

الرواة عن عبد الله بن الزبير:

روى عنه جمع من التابعين وأتباع التابعين ومنهم:

«عروة بن الزبير. . وعباد بن عبد الله بن الزبير. . وعامر بن عبد الله بن الزبير. . وطاووس. . ومالك بن يسار. . وجبلة بن سحيم التيمى الكوفى. . وزهرة بن معبد بن عبد الله بن هشام بن زهرة التيمى المدنى. . وسليمان بن عطاء المكى. . وطلق بن حبيب العنزى البصرى. . وأبو حصين الكوفى عثمان ابن عاصم بن حصين الأسدى الفقيه. . وعمرو بن أبى سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان القرشى. . وثابت البنانى بن أسلم أبو محمد البصرى. . وصالح بن كيسان المدنى. . وحنظلة بن

قيس بن عمرو بن حصين ابن خلدة الزرقى المدنى . . وسعيد بن عمرو بن العاص بن أمية القرشى أبو عثمان . . وأبو نصرة المنذر بن مالك العبدى ثم العوفى البصرى . . وكعب الأحبار عمرو بن قيس بن معن أبو اسحاق الحميرى . . وعفان بن سعيد . . وغيرهم .

كان عروة بن الزبير من المكثرين فى رواية الحديث النبوى وثبت عن ابنه هشام بن عروة قوله :

«ما حفظت من أبى جزءاً من ألف جزء من حديثه» فإذا كان ما رواه هشام بن عروة جزء من ألف جزء حفظه ونسى معظمه فذلك مما يشير الى ضخامة علم عروة وغزارته كما ورد عن هشام أيضا أن عروة كان يحض ابناءه على الحفظ عنه فيقول : «يا بَنِيَّ سلونى فلقد تُركت حتى كدت أن أنسى وإنى لأسأل عن الحديث فيفتح حديث يومى» . وانتهى تتبعى لروايات عروة بن الزبير الى قرابة ألف وثلاثمائة وست وخمسين رواية فى كتب الحديث السابق ذكرها ، وهى كالتالى :

(١) موطأ مالك :

أ - رواياته عن السيدة عائشة : خمس وأربعون رواية لخمسة وأربعين حديثا

ب - رواياته عن غير عائشة : ست وعشرون رواية لستة وعشرين حديثا

ج - رواياته المرسلة : ثلاث وعشرون رواية

د - رواياته المنقطعة : سبع عشرة رواية

(٢) فى صحيح البخارى :

أ - رواياته عن السيدة عائشة : ثلاثمائة وثمان وسبعون رواية

ب - رواياته عن غير عائشة : مائة وست عشرة رواية

ج - رواياته المرسلة : سبع عشرة رواية

د - رواياته المنقطعة : خمسون رواية

(٣) فى صحيح مسلم :

أ - رواياته عن السيدة عائشة : مائتان وثلاث وعشرون رواية

ب - رواياته عن غير عائشة : ست وأربعون رواية

ج - رواياته المرسلة : سبع روايات

(٤) فى سنن أبى داوود :

أ - رواياته عن السيدة عائشة : مائة وسبع وثلاثون رواية

ب - رواياته عن غير عائشة : سبع وثلاثون رواية

ج - رواياته المرسلة : خمس روايات

(٥) فى جامع الترمذى :

أ - رواياته عن السيدة عائشة : مائة واحدى عشرة رواية

ب - رواياته عن غير عائشة : خمس وعشرون رواية

ج - رواياته المرسلة : رواية واحدة

د - رواياته المتقطعة : ثلاث روايات

(٦) فى سنن الدارمى

أ - رواياته عن السيدة عائشة : خمس وستون رواية

ب - رواياته عن غير عائشة : اربع عشرة رواية

ج - رواياته المرسلة : رواية واحدة

د - رواياته المنقطعة : تسع روايات

الصلة القوية التى تصل بين أسرة الزبيريين وبين السيدة عائشة أكبر الأثر فى إثراء حصيلة علماء هذه الأسرة فكريا . .

اسماء الذين روى عروة بن الزبير عنهم الحديث

تجدر الاشارة هنا قبل اثبات اسماء الذين روى عروة بن الزبير عنهم الى مخطوط كتاب: (رجال عروة بن الزبير وجماعة من التابعين . .) تأليف: الامام مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري حيث تتبع فيه الامام مسلم رجال الحديث الذين روى عنهم عروة بن الزبير والرجال الذين حملوا الرواية عنه ويوجد مصور مايكروفيلم لهذا المخطوط بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ضمن مجموع رقم ٦٦٤ مع مجاميع من ٦٦٢-٦٦٦. وقد روى عروة عن كثير من كبار الصحابة والتابعين منهم:

«الزبير بن العوام . . واسماء بنت أبي بكر الصديق . . وزيد بن ثابت . . وأسامة بن زيد . . وسعيد بن زيد . . وحكيم بن حزام . . والسيدة عائشة الصديقة . . وأبو هريرة . . وعبد الله بن الأرقم . . والنعمان بن بشير الأنصاري . . ومعاوية بن أبي سفيان . . وعبد الله بن عمر بن الخطاب . . وعبد الله بن عمرو بن العاصي . . وعبد الله بن العباس . . وعبد الله بن الزبير . . والمسور بن مخرمة . . ومروان بن الحكم . . وزينب بنت أبي سلمه . . وعبد الرحمن بن القاري . . وبشير بن أبي مسعود الانصاري . . وزيد بن الصلت . . ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . . وجهان مولى الاسلميين . . وعلى بن مسلمة . . ومحمد بن مسلمة . . وابو حميد الساعدي . . وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق . . وعمر بن أبي سلمة . . وعبد الله بن جعفر . . وعلقمة الخزاعي . . وعثمان بن طلحة . . وابن جندب الاسلمي . . وقيس بن سعد بن عبادة . . وسفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفي . . وسهل بن أبي حثمة عامر بن ساعدة الأنصاري الحارثي . . وسفيان ابن أبي زهير الشنائي . . وعاصم بن عمر بن الخطاب . . وعبد الله بن زمعة بن الأسود . . وأم شريك العامرية غزيلة بنت دودان بن عمر الأنصارية . . وأم هانيء فاختة أو هند بنت أبي طالب القرشية . . وفاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية . . وحمران بن أبان . . وجابر بن عبد الله . . والحسن بن علي بن أبي طالب . . والحسين بن علي بن أبي طالب» . . وغيرهم كثير.

اسماء الذين رووا عن عروة بن الزبير من كبار التابعين وأتباع التابعين

«ابناء عروة بن الزبير . . ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري . . ومحمد بن المنكدر بن الهدير . . وصالح بن كيسان . . و(ربيبه) محمد بن عبد الرحمن . . وسليمان بن يسار . . وابن ابي مليكة . . ويزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي ابو عبد الله المدني الأعرج . . وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . . وخبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير . . وابو الزناد عبد الله بن ذكوان . . وعراك بن مالك . . وعطاء بن عبد الله الخراساني . . ومجاهد . . وأبو بردة الأشعري . . وأبو سلمة بن عبد الرحمن . . ومخلد بن خفاف . . ومحمد بن أبان . . و(مولاه) زميل . . وسليمان ابن عبد الله بن عويمر . . وسليمان بن محمد بن يحيى . . وهاشم بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . . وعاصم بن المنذر ابن الزبير . . و(مولاه) حبيب . . وعمر بن عبد العزيز بن مروان . . وسعيد بن ابراهيم . . وصفوان بن سليم . . ومحمد بن كعب القرظي . . ويزيد بن خصيفة . . ويزيد بن رومان . . وسالم ابو النضر . . وعبد الله بن دينار . . وعبد الله بن هند بن أسلم . . ووهيب بن كيسان . . وعبد الله بن أبي بكر الصديق . . وبكير بن عبد الله الأشج . . وابراهيم بن عقبة . . وربيعة بن أبي عبد الرحمن . . وسعيد بن سعيد المعبدي . . وعثمان بن الوليد . . والوليد بن الوليد . . وسعيد بن خلد بن عمرو بن عثمان» وغيرهم مما يضيق المقام بحصر اسمائهم.

وكان هشام بن عروة من الموثقين الأثبات. روى عن أبيه الحديث فأصبح إماما فيه وقيل: «وكان هشام صدوقا تدخل أخباره فى الصحيح» وسئل ابن معين عن رأيه فقالوا: هشام أحب اليك أو الزهرى؟ فقال: كلاهما.. ولم يفضل . وكان احمد بن سعيد الدارمى يقدم هشام بن عروة: «هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أحب اليّ - هكذا رأيت أصحابنا يقدمون» .

وقد ساورت الشكوك بعض رجال الحديث فيما رواه هشام بن عروة فقد قال عبد الرحمن بن يوسف ابن خراش: «هشام بن عروة كان مالك لا يرضاه» بلغنى ان مالكا نقم عليه حديثه لأهل العراق.. قدم الكوفة ثلاث مرات كان يقول: حدثنى أبى قال: سمعت عائشة.. وقدم الثانية فكان يقول: أخبرنى أبى عن عائشة وقدم الثالثة فكان يقول: أبى عن عائشة . ونلاحظ فى هذا النص دقة العلماء واهتمامهم بالسند وحرصهم على خلوص الرواية من المطعن.. بالتالى خلوص الحديث من الضعف فكان هشام يقول انه سمع من لفظ أبيه دون واسطة، وأن اباه سمع من لفظ عائشة دون واسطة... ثم قال فى الثانية انه سمع من لفظ ابيه.. وان أباه روى عن عائشة دون تحديد ما اذا كان سماعه من لفظها أو من لفظ واسطة بينه وبينها تصل الى اكثر من واحد ثم قال فى الثالثة إنه سمع عن طريق أبيه وليس من لفظه.. وان أباه سمع ايضا عن طريق عائشة ولم يحدد ما إذا كان من لفظها أو من غير لفظها.

وبالمقابل فقد قال يعقوب بن شيبة: «هشام بن عروة ثقة ثبت لم ينكر عليه شىء إلا بعد ما صار إلى العراق.. فإنه انبسط فى الرواية فأنكر عليه أهل بلده.. فإنه كان لا يحدث عن أبيه إلا ما سمعه منه.. ثم تسهل فكان يرسل عن أبيه».

فكان لتساهل هشام بن عروة وعدم تقيده بالاسناد الباعث على إثارة الشكوك فيما يرويه عن أبيه عن عائشة عن النبى ﴿ﷺ﴾ لكنه لم يكن من المخلطين ولا من الكذابين ولا يجوزاعتبار ما وصمه به الخطيب البغدادى بقوله: «فكان تسهله ان أرسل عن أبيه مما كان يسمعه من غير أبيه عن أبيه» .

وقد دافع كل من الذهبى صاحب الميزان والامام مسلم صاحب الصحيح عن هشام بن عروة وعن صحة روايته وأبدى كل منهما وجهة نظره فى مساجلة ارساله الحديث، فقال الذهبى: «هشام بن عروة أحد الأعلام حجة إمام لكن فى الكبر تناقص حفظه - ولم يختلط أبدا.. ولا عبرة بما قاله أبو الحسن بن القطان من انه وسهيل بن ابى صالح اختلطا وتغيرا... نعم الرجل تغير قليلا ولم يبق حفظه كهو فى حال الشبيبة فنسى بعض محفوظه أو وهم - فكان ماذا؟ أهو معصوم من النسيان؟ ولما قدم العراق فى آخر عمره حدث بجملة كثيرة من العلم فى غضون ذلك يسير أحاديث لم يجودها - ومثل هذا يقع لمالك ولشعبه ولوكيع ولكبار الثقات... فدع عنك الخبط - وذر خلط الائمة الاثبات بالضعفاء والمخلطين فهشام شيخ الاسلام ولكن أحسن الله عزاءنا فيك يا ابن القطان»

وقال الامام مسلم بن الحجاج فى تقديمه لصحيحه: «... والمرسل من الروايات فى أصل قولنا وقول أهل العراق بالأخبار ليس بحجة احتجت لما وضعت من العلة الى البحث عن سماع راوى كل خبر عن راويه فإذا أنا هجمت على سماعه منه لأدنى شىء ثبت عندى بذلك جميع ما جاء عنه بعد فإن عزب عنى معرفة ذلك اوقفت الخبر ولم يكن عندى موضع حجة لامكان الارسال فيه فيقال له: فإن كانت العلة فى تضعيفك الخبر وتركك الاحتجاج به امكان الارسال فيه لزمك ان لا تثبت اسنادا مضعفاً حتى ترى فيه السماع من أوله الى آخره، وذلك ان

الحديث الوارد علينا بإسناد هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فيقين نعلم ان هشاما قد سمع من ابيه وأن اباه قد سمع عن عائشة - كما نعلم ان عائشة قد سمعت من النبى ﴿ﷺ﴾ وقد يجوز اذا لم يقل هشام فى رواية يرويها عن ابيه سمعت او أخبرنى ان يكون بينه وبين أبيه فى تلك الرواية انسان آخر أخبره بها عن أبيه ولم يسمعها هو من ابيه . . كما أحب ان يرويها مرسلا ولا يسندها الى من سمعها منه . وكما يمكن ذلك فى هشام عن أبيه فهو أيضا ممكن فى ابيه عن عائشة وكذلك كل اسناد لحديث ليس فيه ذكر سماع بعضهم من بعض وان كان قد عرف فى الجملة ان كل واحد قد سمع من صاحبه سماعا كثيرا - فجائز لكل واحد منهم ان ينزل فى بعض الروايات فيسمع من غيره عنه بعض احاديث ثم يرسله عنه احيانا ولا يسمى من سمع منه . . وينشط احيانا فيسمى الرجل الذى حمل عنه الحديث ويترك الارسال . . » ونسب الى البخارى وابن المدينى انهما حددا عدد روايات هشام باربعمائة رواية.

وبعد تتبعى لروايات هشام بن عروة فى كتب الحديث المذكورة خلصت إلى ما يلى:



(١) فى موطأ مالك:

أ - رواياته عن السيدة عائشة:	**ثلاثون رواية**
ب - رواياته عن غير عائشة:	**خمس وعشرون رواية**
ج - رواياته المرسلة:	**عشرون رواية**
د - رواياته المنقطعة:	**تسع وثلاثون رواية**

(٢) فى صحيح البخارى:

أ - رواياته عن السيدة عائشة:	**مائتان وتسع روايات.**
ب - رواياته عن غير عائشة:	**سبع وستون رواية.**
ج - رواياته المرسلة	**احدى عشرة رواية.**
د - رواياته المنقطعة:	**ثلاث عشرة رواية**

(٣) فى صحيح مسلم:

أ - رواياته عن السيدة عائشة:	**مائة واثنتان وعشرون**
ب - رواياته عن غير عائشة:	**ست وثلاثون رواية.**
ج - رواياته المرسلة:	**خمس روايات.**

(٤) فى سنن أبى داوود:

أ - رواياته عن السيدة عائشة:	**ستون رواية**
ب - رواياته عن غير عائشة:	**ثلاث وعشرون رواية**
ج - رواياته المرسلة:	**ثلاث روايات**
د - رواياته المنقطعة:	**اربع روايات**

(٥) فى جامع الترمذى:

أ - رواياته عن السيدة عائشة:	**تسع وخمسون رواية**
ب - رواياته عن غير عائشة:	**اثنتان وعشرون رواية**
ج - روايته المرسلة:	**رواية واحدة.**
د - رواياته المنقطعة:	**رواية واحدة.**

(٦) فى سنن الدارمى:

أ - رواياته عن السيدة عائشة:	**ثمان وعشرون رواية.**
ب - رواياته عن غير عائشة:	**أربع وعشرون رواية**
ج - رواياته المنقطعة:	**اربع روايات.**

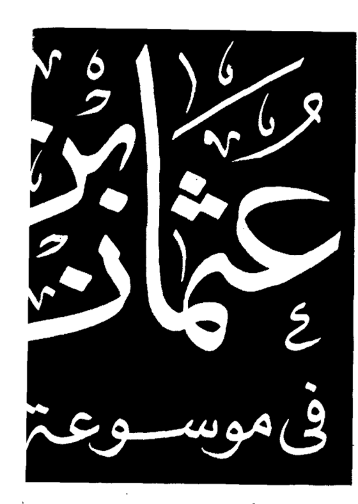
اسماء الذين روى هشام بن عروة عنهم الحديث من الصحابة والتابعين

«عروة بن الزبير. . أسماء بنت أبى بكر الصديق . . وهب بن كيسان . . محمد بن المنكور . . كريب مولى ابن عباس . . ابن شهاب الزهرى . . فاطمة بنت المنذر بن الزبير . . ابو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف . . سفيان بن عبد الله بن ربيعة

الثقفى.. صالح بن ربيعة بن الهدير التيمى المدنى.. صالح بن أبى صالح السهان.. عبد الله بن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى.. عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبى رافع.. عمرو بن خزيمة.. يزيد ابن عبيد أبو وجزة السعدى.. عبد الله بن الزبير. عوف بن الحرث بن الطفيل.. محمد بن على بن عبد الله بن العباس.. عبد الله بن عمر بن الخطاب».. وغير هؤلاء كثير.

اسماء الذين رووا عنه من التابعين واتباع التابعين

«يحيى بن سعيد الأنصارى.. ايوب السختيانى.. مالك بن أنس.. عبيد الله بن عمر العمرى.. ابن جريج.. سفيان الثورى.. الليث بن سعد.. سفيان بن عيينة.. دلهم بن دهثم.. الزبير ابن عيسى.. زكريا بن منظور بن عقبة بن ثعلبة القرظى.. سعيد بن أبى سعيد الزبيدى.. سلمة الضبى.. شعيب بن الأشعث.. صبح بن محارب التيمى الكوفى.. عاصم بن سليمان ابو شعيب التميمى الكوفى البصرى.. عاصم بن عبد العزيز الأشجعى.. عائذ بن حبيب الكوفى ابو أحمد.. عباد بن صهيب البصرى.. عبد الله بن الحارث ابن محمد بن عمر بن حاطب الجمحى الحاطبى المدنى المكفوف.. عبد الله بن حكيم ابو بكر الداهرى البصرى.. عبد الله ابن زياد ابو العلاء.. عبد الله بن سنان الزهرى الكوفى.. عبد الله بن عقيل الثقفى.. عبد الله بن قبيضة.. عبد الله بن محمد زاذان المدنى.. عبد الله بن محمد بن المغيرة المدنى.. عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المنذر ابن الزبير. عبد السلام بن عبد القدوس بن حبيب الكلاعى الشامى.. عبد الكريم الجزرى.. عبيد بن القاسم».. وغير هؤلاء مما يضيق المقام هنا عن حصر اسمائهم.



ماذا نقرأ عن عثمان بن عفان رضى الله عنه فى موسوعة الاسلام؟(١)

هذا ملخص ما ورد عن الخليفة الراشد فى تلك الموسوعة من مفتريات:

هو ثالث الخلفاء. ينتمى الى بنى امية مما يجعل اسلامه المفاجىء امرا مثيرا للاهتمام... لم يُسلم اول البعثة ولكن فى فترة مبكرة قبل الهجرة بعدة سنوات.. كان تاجرا غنيا.. تربط المصادر التاريخية اسلامه بزواجه من ابنة الرسول رقية ولكن مصادر اخرى اكثر انصافا تجعل زواجه بعد اسلامه.

هاجر الى الحبشة مرتين كما هاجر الى المدينة الا انه لم يشارك فى معركة بدر. تجددت صلة عثمان بالرسول بعد وفاة رقية وزواجه من أم كلثوم.. ان الشكوك التى اثارها (Lammems) فيما يتصل بحقيقة هذا الزواج لا مبرر لها.

عثمان بن عفان والاسلام

بسام محمد ملص
الأردن

●● المعادون للاسلام والمسلمين لا يتركون سبيلا للتشكيك فى الاسلام وقيمه وأعلامه إلا سلكوه.. ولا شك أن مثل هذه الأباطيل ستجد مداخلها الى العقول الهشة والحاقدة.. وتبياناً للحقيقة ودفعاً للشبهات تتضاعف مسؤولية العلماء ويكون مثل هذا الجهد..

« المنهل »

كان الدور الذى لعبه عثمان اثناء حياة الرسول والخليفتين ابى بكر وعمر متواضعا جدا فكيف اذاً اختار مجلس الشورى عثمان؟.. يمكن التأكيد على ان المؤهلين للخلافة قد تنازلوا لعثمان.. ان انتخاب على كان يعنى الغاء سياسة عمر اما انتخاب الزبير وطلحة فهو لا ينسجم مع كونهما خصمين لعمر، ويخشى من طموحهما.. لم يتم انتخاب عثمان لصلته بالرسول فقط ولكن لانه من بنى امية ايضا ـ كانت هذه النقطة الحاسمة فى صالحه.. رغم ذلك فقط تابع عثمان سياسة عمر وطوّرها: لهذا كان لابد له ان يواجه صعوبات ـ هنا فقط ظهر الفرق جليا بين مواهب عمر وعثمان.

● اثارت مأساة عثمان الدموية وما تبعها من حروب اهلية حرجا كبيرا للمؤرخين العرب كما اجبرتهم على تسجيل سلسلة الاتهامات التى اثارها اعداؤه ضده.

● الاتهام الاكثر حدة هو تعيينه افرادا من بنى امية للولايات. هذا الاتهام لا يخلو من محاباة للاقارب وان كان فيه واقع اكثر عمقا ففيه تأسيس وحدة فى الحكومة والادارة كان يمكن ان يهددها الاستقلال المفرط الذى تمتع به الولاة. انها نفس الرؤية التى وضعها عمر الا ان عمر وصل الى الحكم بقوته ونفوذه فى فرض سلطته حتى على الولاة الذين ينتمون الى قبائل وعائلات اخرى.

فى عهد عثمان انعكس الوضع فاصبح عثمان تحت رحمة اقاربه (ربما اقل حدة مما بينه المؤرخون) اشار الكاتب Caetani الى ان نظام الديوان الذى اسسه عمر تطلب ازدياد غنائم الحرب بانتظام ـ كما ان الجزية المنظمة التى يدفعها اهل الذمة ما كانت كافية للجيوش الجديدة التى اسرعت الى الاقاليم من عمق الجزيرة.. هكذا جاء الحافز من اجل الحملات التى لم تتوقف خلال خلافة عثمان لامتداد حدود الامبراطورية العربية.

الا ان الغنائم التى جاءت بها الحملات لم تكن كما توقع لها. بالاضافة الى هذا فان عثمان (وهذا اتهام آخر) لم يترك الغنائم كلها للجنود بل ابقى حصة للولاة ولافراد اسرته ليطور بذلك نظام القطائع الذى استفاد منه عمر. كذلك فان الازمة الاقتصادية وما نجم عن الثراء المفاجىء للعرب الزمت الدولة لاتخاذ اجراءات اقتصادية وايقاف المِنَح العسكرية.

من الخطوات التى ساهمت مساهمة كبيرة فى الثورة على عثمان جمعه للقرآن. اما اجرأ عمل فى هذه العملية فهو تخلصه من النسخ المحلية ـ لقد مارس القرّاء الذين اتصلوا بالنص المقدس تأثيرا عظيما على الجماهير بسبب ما فعله عثمان وهذا جعلهم مستقلين الى درجة ما عن القوة المركزية.. لم تكن لدى القوة المركزية اية وسيلة للتحقق ما اذا كانت الفقرات التى استخدمها موثوق بها ام لا؟.

ان حرمان الحكومة للقراء من هذا السلاح واحتكارها للنص الموحى به معناه ان الحكومة كانت تسعى لتحقيق الوحدة وتأسيس قوتها المطلقة على الدولة.

● تقسم المصادر التاريخية خلافة عثمان الى فترتين متساويتين ست سنوات من الحكومة الجيدة وست سنوات من اللاشرعية والفوضى. يتمثل التغيير رمزيا بضياع خاتم النبى الذى اسقطه عثمان فى بئر عام ٣٠هـ.

فى هذه الفترة بدأت اول حركة التمرد فى العراق ـ تلك المنطقة التى كانت تعانى اكثر من غيرها من الازمة الاقتصادية وهى المنطقة التى كانت فيها العناصر المتمردة اكثر عددا.

● بدأت اكثر الاضطرابات فى الحكومة عامى ٣٢ و٣٣هـ بقيادة القراء الذين اضافوا الى شخصيتهم الدينية الحركة السياسية فجمعوا عددا من العناصر المشكوك بها.. ورغم الاجراءات الصارمة التى اتخذت ضدهم فقد نجح المتمردون فى اقصاء سعيد بن العاص وتعيين ابى موسى الاشعرى والى البصرة السابق الذى كان تقيا ومنافسا لعثمان آنذاك ما عادت الحكومة المركزية تسيطر على الكوفة.

الامر نفسه حدث فى مصر: فقد كان عَلىَ ابن ابى سرح ان يستسلم لعنف جماعة يقودها الشاب محمد بن ابى بكر الذى اخذ جانب خصوم عثمان رغم انه كان ابن عثمان بالتبنى ويبدو ان عمرو بن العاص الذى بقى فى فلسطين بعد عزله عن مصر قد اخذ يشجع الحركة الثورية فى مصر سرا.

● اخيرا ثارت العاصفة فى اواخر عام ٣٥هـ عندما تقدمت مجموعات من الثوار الى المدينة.. كان المصريون اول من وصلوا فاجتمعوا بعثمان وبادروه بالاتهامات بلهجة مريرة ولكن الثوار القوا سلاحهم عندما اعلن عثمان النزول عند مطالبهم ووعدهم بالغاء اجراءاته السابقة وتغيير ولاته فترك الثوار المدينة راضين.

فى طريق العودة الى مصر ـ عند العريش ـ القى الوفد القبض على رسول لعثمان معه رسالة من عثمان الى ابن ابى سرح المعزول فيها اوامر بقتل وتعذيب قادة الحركة.. رجع الوفد الى المدينة غاضبا وبنيته الانتقام.. انكر عثمان ان تكون الرسالة حقيقية واصر على انها من تزوير اعدائه الذين يسعون للقضاء عليه.

● حوصر بيت عثمان فى حين ان الصحابة وخاصة علي اخذوا مواقف حيادية حاقدة.. انسحبت عائشة ارملة الرسول فى آخر لحظة الى مكة بحجة انها تنوى

الحج وهى التى شنت حملة ضاربة ضد عثمان.

● رفض عثمان ان يتنازل امام اصرار الثوار - وبعد حصار دام مدة اقتحم رجال من الثوار البيت فى اواخر عام ٣٥هـ بقيادة محمد بن ابى بكر الذى رفع يده فوق عثمان.. سال دم عثمان - كما يقال - فوق نسخة القرآن الذى كان يقرأه عند مهاجمته وجرحت زوجه نائلة ثم نهب البيت.. قامت نائلة وبعض الاصدقاء بدفن عثمان سرا اما القوات التى ارسلها معاوية الى المدينة فقد عادت من حيث اتت بعد ان تلقت نبأ قتل عثمان.

● وصلت الوحدة السياسية والدينية الى نهايتها لتبدأ مرحلة الفرق والحروب الاهلية.. ان خلافة عثمان ونهايته الدموية هما نقطة تحول فى التاريخ الاسلامى وقد منحا عثمان الخليفة اهمية لا تستحقها شخصيته الحقيقية. انتهى.

هذه مفتريات واكاذيب مضللة نقلتها مختصرة من موسوعة الاسلام.. وفيما يلى نوضح رأينا فيها..



ما تزال الاقلام تكتب عن عثمان بن عفان رضى الله عنه محاولة التعرض له وهى فى هذا قسمان: قسم لم يقرأ التاريخ قراءة واعية فتاه فى روايات رواها اناس غير اهل للثقة فتشبعت رواياتهم بالكذب والافتراء - وبذلك يكون هذا القسم قد اساء الى هذا الخليفة الراشد دون ان يدرك ذلك.. ومجرد الاساءة الى هذا الانسان العظيم يعنى النيل من الاسلام: وقسم يحاول النيل من ذى النورين الشهيد المظلوم عن سابق اصرار وترصد فيورد الروايات الكاذبة.. ويشوه الحقائق.. ويدس السم.. ويثير الشبهات ليشكك فى خلافة هذا الرجل العظيم وانجازاته ومواقفه التى نهلت من منبع الاسلام الصافى.

نقول ان ما ورد فى هذه الموسوعة المختصرة يقع تحت القسم الثانى:

لقد ارادت الموسوعة اثارة الشكوك حول صحة خلافة عثمان واهليته لهذه الخلافة معتبرة ان انتخابه انما كان لانه من بنى امية لتعزز عند القارىء فكرة العصبية القبلية البعيدة عن روح الاسلام دون ان تعى حقيقة نبه اليها الحق فى كتابه العزيز بقوله: ﴿**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**﴾(٢). ثم اختيار عثمان رضى الله عنه للخلافة من بين الستة الكرام لانه اهلا لها.

قال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما: «**كنا فى زمن النبى ﴿ﷺ﴾ لا نعدل بأبى بكر احدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك اصحاب النبى ﴿ﷺ﴾ لا نفاضل بينهم**»(٣) كان هذا يحدث زمن الرسول الكريم دون ان يبدى الرسول اى اعتراض وهو الذى يعرف الصحابة رضوان الله عليهم. هكذا جاء اختيار عثمان ذى النورين منسجما مع مكانته ليس لانه من بنى امية

ولكنه لانه يأتى بعد ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فى المنزلة عند المسلمين وخاصة عند الصحابة الكرام.

اعتبرت الموسوعة ان الدور الذى لعبه عثمان بن عفان رضى الله عنه اثناء حياة الرسول الكريم والخليفتين انما هو دور متواضع جدا. ولنا ان نسأل ليس الموسوعة ولكن ابن عمر رضى الله عنهما عن المنزلة التى بلغها هذا الخليفة الكريم والتى اهّلته لتلك المنزلة. فلنذكر بعضا من اعماله ثم نقرر ما اذا كانت هذه مجرد اعمال عادية يقوم بها رجل عادى فلا تعدو ان تكون فى نطاق الدور المتواضع جدا.

من الذى ارسله الرسول ﴿ﷺ﴾ الى مكة ليبلغ اشراف قريش ما جاء له قبل بيعة الرضوان؟.. ثم كانت بيعة الرضوان بعد ذهاب عثمان رضى الله عنه الى مكة فقال الرسول الكريم بيده اليمنى: «هذه يد عثمان»(٤)... فهل كان هناك اعز ببطن مكة من عثمان ليبعثه الرسول ﴿ﷺ﴾ مكانه؟(٥).

من ابتاع بئر رومه ليجعل ماءها للمسلمين دون مقابل بعد ان كان يهودى يبيع ماءها للمسلمين؟.. من جهز جيش العسرة(٦) استعدادا لغزوة تبوك؟.. الجواب هو عثمان بن عفان رضى الله عنه.

لم تسبب مأساة عثمان «حرجا كبيرا» للمؤرخين العرب كما زعمت الموسوعة بل هى سببت الما تنفطر له القلوب ـ فكل مؤرخ مسلم لا يملك الا ان يسجل حادثة استشهاد عثمان على ايدى طائفة مغرر بها كواقعة احدثت فى الامة زلزلة. فالخليفة الذى تنبأ له الرسول بالشهادة(٧) قد مات ظلما وهذه حقيقة ما غابت ابدا عن المؤرخين المسلمين.

أشارت الموسوعة الى قائمة الاتهامات التى وجهت الى ذى النورين وهى فى الحقيقة لا تعدو كونها اكثر من مناكير رواها كذابون(٨) ارادوا من ورائها تشويه سمعة هذا الرجل العظيم فى حلمه وسماحته وكرمه وعطفه وحيائه وحزمه.. ولكن الموسوعة لم تذكر ان تلك الاتهامات هى افتراءات على هذا الخليفة المظلوم من اجل مزيد من التشكيك فى اعماله وبالتالى التشكيك فى التاريخ الاسلامى والاسلام نفسه.

ذكرت الموسوعة من جملة تلك الاتهامات انه قد عين رجالا من بنى امية لصلة القرابة ـ هذا اتهام مرفوض لان عثمان رضى الله عنه لم يكن يعين الرجال بسبب عصبية وهو الخليفة الراشد الورع المسؤول عن رعيته ولكن كان تعينهم لتحليهم بالصفات التى تؤهلهم لذلك.



● فلنأخذ على سبيل المثال معاوية بن ابى سفيان. يقول ابن العربى وهو يرد على هذا الاتهام: «واما معاوية فعمر ولاه وجمع له الشامات كلها واقره عثمان.. بل انما ولاه ابو بكر الصديق رضى الله عنه لانه ولى اخاه يزيد.. واستخلفه يزيد فأقره عمر لتعلقه بولاية ابى بكر لاجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر وأقره. فانظروا الى هذه السلسلة ما اوثق عراها ولن يأتى مثلها ابدا بعدها»(٩).

● كذلك يحدثنا شيخ الاسلام ابن تيمية وهو يرد على الاتهامات فيما يتصل بمعاوية: وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة وكان رعيته يحبونه..»(١٠) وقد ذكر المؤرخ ابن كثير ان المسلمين كانوا مع معاوية فى راحة وعدل وصفح وعفو(١١).. وقد شهد لجهاد معاوية وجنده فى حديث ام حرام عن فتح قبرص(١٢) كذلك شهد له فى صحيح الحديث بالفقه(١٣).

هل كان اختيار عثمان بن عفان رضى الله عنه للوليد بن عقبة واليا على الكوفة من باب المحاباة ام لأن الوليد كان اخاه لامه اروى بنت كريز؟..

قبل ان يتولى الوليد الكوفة كانت له جولات فى الجهاد فقد كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى كانت بين الخليفة ابى بكر الصديق رضى الله عنه وخالد بن الوليد فى وقعة المذار مع الفرس سنة ١٢ هـ(١٤).

عندما قرر الصديق ان يفتح الشام دعا الوليد مثلما دعا عمرو بن العاص لقيادة جيوش الجهاد فقد امّر الوليد الاردن(١٥).

فى خلافة الفاروق كان للوليد دوره حينما ارادت تغلب ان تتمرد عليه فغضب غضبة المؤمن(١٦).

● استمرت ولاية الوليد على الكوفة خمس سنوات كان فيها خير وال يحرص على امور الناس ـ يرعاها بحب وحزم وجلد(١٧).. كذلك امضى ولايته غازيا مجاهدا فقد غزا اذربيجان حتى استسلمت وصالحت بعد ان حاولت ان تتمرد وتوجه ايضا الى ارمينية بجيش كبير(١٨).

لو كان عثمان رضى الله عنه يحابى اقاربه حقا لما اقام الحد على الوليد عندما اتهم ظلما بانه يشرب الخمر ـ فقد اشيع عنه مقالة السوء وعندما اتى شاهدان كانا يحقدان عليه الى المدينة اقام الخليفة الحد على الوليد وقال بعد ان سمع ما قاله الوليد بان للشاهدين مكانهما فى النار اذا كانت شهادتها زورا(١٩).

نظرت الموسوعة الى ما جاء به مستشرق من ان الفتوحات الاسلامية تمت بدافع اقتصادى من اجل دعم نظام الديوان الذى اسسه عمر رضى الله عنه. ان بعد المستشرقين عن روح الاسلام ومعنى الجهاد دفعهم الى تصورات شتى فهم لا يمكن ان يتصوروا ان تكون الفتوحات لإعلاء كلمة الله دون ان يكون هناك اى دافع مادى نفعى.

غريب ما تدعيه الموسوعة من ان القراء قد ساهموا فى الثورة على عثمان.. وغريب ايضا ان يفسر انجاز عثمان العظيم فى جمع الامة على القرآن على اساس انه الهيمنة المطلقة على الدولة.

يقول ابن العربى: «واما جمع القرآن فتلك حسنته العظمى وخصلته الكبرى.. وان كان وجدها كاملة لكنه اظهرها ورد الناس اليها وحسم مادة الخلاف فيها.. وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه»(٢٠)..

اذا ارادت الموسوعة ان تشير الى ان فترة خلافة عثمان للست سنوات الاخيرة هى من اللاشرعية والفوضى فانها لم تذكر ابدا عبد الله بن سبأ الذى ساهم مساهمة كبيرة فى تحريض الثوار متنقلا فى بلاد المسلمين . . . استقر فى مصر وراح يخبر الناس ان عثمان قد اخذ الخلافة بغير حق فبث دعاته وكاتب من كان قد افسد فى الامصار حتى وصلت الامور الى ما وصلت اليه(٢١).

اما الرسالة فامرها عجيب حقا . تذكر الموسوعة ان وفد المصريين قد القى القبض على رسول لعثمان معه رسالة الى عبد الله بن ابى سرح المعزول يأمره فيها بقتل وتعذيب الوفد.

ان المتتبع للروايات التاريخية فى المصادر يلاحظ ان مضمون الرسالة مضطرب الروايات(٢٢) . . . وقد بين محب الدين الخطيب محقق كتاب «العواصم من القواصم» لابن العربى ان الاخبار الواردة عن هذه الحادثة مرسلة لا يعرف قائلها او مكذوبة اذاعها رواة مطعون فى صدقهم وامانتهم(٢٣).

ثم يعقل ان يطلب الخليفة من عامله فى مصر ان يقتل محمد بن ابى بكر وجماعته وهو ما عرف عنه انه قتل احدا(٢٤)؟ . . ان رجلا فى عظمة عثمان كان يمكنه ان يقتل الثوار ولو امر بقتلهم فانه بذلك سيدفع ضررا عن الامة كلها ولا يؤاخذه الشرع(٢٥) الا انه رفض ان يهدر دم مسلم. فاين هذه الاخلاق مما ذكرته الموسوعة؟ . .

لقد كانت الرسالة التى اشارت اليها الموسوعة هى افتراء ودسا على عثمان . . ولنتذكر ان الغلام الذى وجده الوفد حاملا للرسالة كان يعترض طريق الوفد الى مصر(٢٦)

لم يكتف اصحاب الفتنة بتزوير هذه الرسالة بل انهم زوروا كتبا على اساس انها من علي كرم الله وجهه(٢٧) وطلحة والزبير رضى الله عنهما(٢٨).

■ ذكرت الموسوعة ان الصحابة ـ وخاصة علي ـ قد اخذوا مواقف حيادية حاقدة خلال محاصرة عثمان. فهل هذا صحيح؟ . .

■ اشار شيخ الاسلام ابن تيمية الى انه لم يكن بين عثمان وعلي اى نزاع فى حياة عمر اصلا بل كان احدهما اقرب الى صاحبه(٢٩).

●● **فلنقترب من الاحداث ونرى عليّا كرم الله وجهه وهو يواجه الفتنة ويلقي الضوء على المضللين الذين اعمتهم الاهواء ـ فبعد عودة الوفود من الكوفة والبصرة ومصر سألهم: «كيف علمتم يا اهل الكوفة ويا اهل البصرة بما لقي اهل مصر وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا؟ . . هذا والله امرا ابرم بالمدينة»**(٣٠).

● **هل هذا هو موقف حيادى حاقد؟ . . معاذ الله ان يصدر عن علي امر كهذا وهو الخليفة الراشد.**

● وها هو علي فى موقف آخر مع الثوار الذين امتلأوا حقدا على عثمان رضى الله عنه بالفتنة التى دبرها عبد الله بن سبأ وتلاميذه. لقد اجتمع الوفد بعلي وسألوه: «لم كتبت الينا؟ فقال: والله ما كتبت اليكم كتابا قط؟»(٣١).

● كان علي كما جاء فى تاريخ الطبرى اول من انجد عثمان عندما منع عنه الثوار الماء والطعام(٣٢).

●● **هل صحيح ان عائشة ام المؤمنين قد شنت حملة ضاربة على عثمان كما ذكرت الموسوعة؟ . . هل صحيح انها ذهبت فى آخر لحظة الى مكة بحجة انها تنوى الحج؟ .**

● ذلك هو عين الافتراء على ام المؤمنين رضى الله عنها. لقد خرجت عائشة من المدينة وهى ممتلئة غيظا على اهل مصر(٣٣) وكانت تنوى الحج فرارا من الفتنة(٣٤) وما قد يحدث لها لو تعرض الثوار الحاقدون لها وقد علمت ما حصل لام حبيبة وهى تحاول دع

علي كرّم الله وجهه نجدة عثمان رضى الله عنه وكيف نعرض لها الثوار(٣٥).

● ثم ها هى ام المؤمنين رضى الله عنها بعد عودتها الى مكة تقول: «يا ايها الناس ان عثمان قتل مظلوما ووالله لأطلبن بدمه»(٣٦).

●● ذلك كان ردا على عدة امور وردت فى موسوعة الاسلام المختصرة التى اصرت على ان تركب مركب الهوى وتبتعد عن الحق فكان لابد من محاولة لكشف الضلالة والافتراء والدس.

●● ينبغي ان نذكر هنا ان المادة تلك قد جاءت فى موسوعة ـ والموسوعة تعتبر مرجعا اكاديميا فى حالات كثيرة يرجع اليها اولئك الذين لا يعرفون عن الاسلام الا القليل او انهم يعرفون عن الاسلام كثيرا من الشبهات. امر آخر وهو ان المؤسسة (مؤسسة بريل فى هولندا) التى اصدرت ذلك المرجع تعد من المؤسسات التى تتصف بانتاج فكرى جاد، فهى قد قامت ـ على سبيل المثال ـ بنشر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث وتاريخ الطبرى. ولكن لماذا اكتفت بمراجع اعدها مستشرقون؟.. ولماذا اعتمد معدو المادة على مصدر واحد مثل انساب الأشراف للبلاذرى؟..

●● مازال الظلم يحيط بعثمان رضى الله عنه.. ويبقى عثمان هو الخليفة العظيم الذى قدم للاسلام ما جعل الرسول ﴿ﷺ﴾ يقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»(٣٧).

●● هو الخليفة الراشد الذى استطاعت جيوشه المجاهدة ان تقف فى وجه البيزنطيين لتحقق اول انتصار بحرى لها قرب الاسكندرية فى معركة «ذات السوارى».

---

(١) Shorter Encyclopaedia of Islam Leiden: Brill,1974 p. 615-617

(٢) الحجرات ١٣

(٣) البخارى صحيح البخارى ـ القاهرة: مطابع الشعب ١٩٥٨. ج٥ ص١٨

(٤) المصدر نفسه ج٥ ص١٨-١٩

(٥) ابن حنبل، تحقيق وصى الله عباس كتاب فضائل الصحابة ـ مكة: جامعة ام القرى ١٩٨٣ ج١ ص٥٠٦

(٦) صحيح البخارى ج٥ ص١٦-١٧

(٧) كتاب فضائل الصحابة ج١ ص٥٠٢و٥٠٥

(٨) ابن العربى، تحقيق محب الدين الخطيب. العواصم من القواصم ـ ط٤ ـ القاهرة: المطبعة السلفية (١٩٧٦)

(٩) المصدر نفسه ص ٨٠-٨١

(١٠) ابن تيمية منهاج السنة النبوية ـ القاهرة المطبعة الكبرى الاميرية (١٩٠٤) ج٣ ص١٨٩

(١١) ابن كثير البداية والنهاية ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٥ م٤ ج٨ ص١٢٢

(١٢) صحيح البخارى ج٤ ص١٩

(١٣) المصدر نفسه ج٥ ص٣٥

(١٤) الطبرى تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ تاريخ الطبرى ـ ط٢ ـ بيروت: دار سويدان ١٩٦٧ ج٣ ص٣٥١، انظر ايضا البداية والنهاية م٣ ج٦ ص٣٤٩

(١٥) تاريخ الطبرى ج٣ ص٣٨٩-٣٩٠

(١٦) المصدر نفسه ج٤ ص٥٥-٥٦

(١٧) المصدر نفسه ج٤ ص٢٧١

(١٨) ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ ـ بيروت: دار صادر، ١٩٨٢ ج٣ ص٨٢-٨٣

(١٩) تاريخ الطبرى ج٤ ص٢٧١-٢٧٧

(٢٠) العواصم من القواصم ص٦٦

(٢١) تاريخ الطبرى ج٤ ص٣٤٠-٣٤١

(٢٢) المصدر نفسه ج٤ ص٣٧٣و٣٧٦، انظر ايضا البداية والنهاية م٤ج٧ ص١٨٢

(٢٣) العواصم من القواصم ص١٢٦

(٢٤) (٢٥) منهاج السنة ج٣ ص١٨٨-١٨٩

(٢٦) (٢٧) تاريخ الطبرى ج٤ ص٣٥٥

(٢٨) البداية والنهاية م٤ ج٧ ص٥٨٢

(٢٩) منهاج السنة ج٣ ص١٦٩

(٣٠) (٣١) تاريخ الطبرى ج٤ ص٣٥١-٣٥٥

(٣٢) المصدر نفسه ج٤ ص٣٨٥-٣٨٦

(٣٣) المصدر نفسه ج٤ ص٣٨٦

(٣٤) البداية والنهاية م٤ ج٧ ص١٩٦

(٣٥) تاريخ الطبرى ج٤ ص٣٨٦

(٣٦) المصدر نفسه ج٤ ص٤٥٩

(٣٧) كتاب فضائل الصحابة ج١ ص٤٥٧-٤٥٨

العرب

في تتبعه للأثر البيئي (الجغرافي والثقافي) في الشعر العربي القديم عرض الدكتور حسين نصار في حلقته الماضية لآراء بعض النقاد القدامى التى اكدوا فيها الفوارق الملحوظة في شكل القصيدة ومضمونها بين اهل الحضر وبين البادية واورد من هؤلاء النقاد: ابن سلام الجمحى . . ابن قتيبة . . الجرجاني وابن طباطبا . . حيث يقول ابن سلام (أهل القرى ألطف نظراً من أهل البدو) ولمح فيها للتغيرات الثقافية بين المجتمعات . . ويتابع هذا الاثر في حلقته هذه عند الشعراء

أقدم خبر عثرت عليه يدل على تنبه الشعراء لتأثير البيئة في عملية الابداع الفنى قيل ان كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة سئل ذات يوم: «يا أبا صخر كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر؟ . . » فقال: «اطوف في الرباع المخيلة (الجميلة) . . والرياض المعشبة فيسهل عليَّ أرصنه ويسرع اليَّ أحسنه». واذن فكثير يزعم أن هناك بيئات تسد مسالك الشعر أمام الشاعر. وهناك بيئات تدفعه الى النظم ـ وأن البيئة التى يتوفر لها الجمال الطبيعي تدخل بالشاعر في حالة انفعالية تصل به الى عملية الابداع وتستدعى ما أحب من الشعر . . بل يمتاز الشعر الآتى في مثل هذه البيئة بجمال فنى قد لا يتوفر في انتاج غيرها من البيئات .

وربما نجد فيما روى عن معاصره الفرزدق مثل هذا التنبه وان لم يصرح الشاعر به أو يومىء اليه. قال ابراهيم بن محمد الزهرى «قدم الفرزدق المدينة في امارة أبان بن عثمان . . فاني والفرزدق وكثيرا لجلوس في المسجد نتناشد الأشعار اذ طلع علينا غلام شخت (هزيل) آدم (أسمر) في ثوبين معصفرين (أي مصبوغين) بصفرة غير شديدة ـ ثم قصد نحونا حتى جاء الينا فلم يسلم فقال: أيكم الفرزدق؟ . . . فقال له الفرزدق: ومن أنت لا أم لك؟ . قال: رجل من بنى الانصار ثم من بنى النجار . . ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم . . بلغنى أنك تزعم أنك أشعر العرب وتزعم مضر ذلك لك . . وقد قال صاحبنا حسان (بن ثابت) شعرا فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنة فان قلت مثله فأنت أشعر العرب والا فأنت كذاب منتحل . ثم أنشده قول حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
متى ما تزرنا من معد عصابة
وغسان نمنع حوضنا ان يهدما

فأنشده القصيدة الى آخرها وقال له: انى قد أجلتك فيها حولا . . . ثم انصرف وانصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه ما يدرى أي طريق يسلك حتى خرج من المسجد . . . فَلَمْ نزل في حديث الفرزدق والانصارى بقية يومنا . حتى اذا كان الغد خرجت من منزلى الى مجلسى الذى كنت فيه بالامس . . وآتانى كثير فجلس معى فانا لنتذاكر الفرزدق ونقول: ليت شعرى ما يفعل اذ طلع علينا في حلة أفواف (قطن) يمانية موشاة له غديرتان ـ حتى جلس في مجلسه بالامس ثم قال: ما فعل الأنصارى؟ . فنلنا منه وشتمناه . فقال: قاتله الله : ما رُميت بمثله ولا سمعت بمثل شعره . . فارقتكما فأتيت منزلى فأقبلت

الحلقة الثالثة

ـــر واثر البيئة

د. حسين نصار
كلية الآداب
جامعة القاهرة

أصعد وأصوب فى كل فن من الشعر فلكأنى مفحم أو لم أقل قط شعرا ـ حتى نادى المنادى بالفجر فرحلت ناقتى ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى أتيت ذبابا (جبل بالمدينة) . . فجاش صدرى كما يجيش المرجل ـ ثم عقلت ناقتى وتوسدت ذراعها فما قمت حتى قلت مئة وثلاثة عشر بيتا .

وقد أنتجت أمثال قول كثير . . وفعل الفرزدق مقولة اشتهرت بين الشعراء وسارت مسار الأقوال الشاردة تعلن : «ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجارى . . والشرف (المرتفع) العالى . . والمكان الخضر الخالى» .

مهما تكن قيمة الأقوال السابقة فانها لا تقارن بما وقع فى القرن التالى . . ويمكن وصفه بالثورة على العرف الشعرى القديم فقد تغيرت بيئات الشعراء تغيرا كبيرا فساروا أبناء مدن بعد أن كانوا أبناء بادية ـ بل صاروا أبناء مدن غاية فى التحضر فقدت أكثر صلاتها بالبادية مثل الكوفة والبصرة وبغداد ففقد هؤلاء الشعراء معرفتهم بالبادية وكان من الطبيعى أن يفقدوا صلتهم العاطفية بها فيفقدوا اعجابهم بها واحساسهم بمواطن الجمال فيها . بل شاهت صورتها عند بعضهم فصارت خرابا يبابا يسكنه قوم من الأجلاف الغلاظ . . يعيشون فى خيام مصنوعة من جلود الانعام صناعة فطرية . . لا يتركون حيوانا من حيوان الصحراء الا أكلوه حتى الحيات» . قال على بن الخليل فيمن تشبه بالأعراب :

أتيناه بشبوط
ترى فى ظهره حدبا
فقال : أما لبخلك من
طعام يذهب السغبا
فصد لأخيك يربوعا
وضبا واترك اللعبا
فرشت له قريح المسـ
ـك والنسرين والغربا
فأمسك أنفه عنها
وقام موليا هربا
يشم الشيح والقيصو
م كى يستوجب النسبا

وقال أيضا :

فلو تراه صارفا أنفه
من ريح خيرى ونسرين
لقلت : جلف بنى دارم
حن الى الشيخ بيبرين
دعموص رمل زل عن صخره
يعاف أرواح البساتين
تنبو عن الناعم أعطافه
والخزّ والسنجاب واللين

●● وطبيعى أن يحس بعض الشعراء أن بيئتهم (وما

يمارسون فيها من حياة) تختلف كل الاختلاف عن بيئة الشعراء السابقين. . وأن يعدلوا عن تقليد هؤلاء الشعراء فى انتاجهم لأنهم يصورون حياة غير حياتهم. . وأن يأخذوا فى تصوير واقعهم الحى.

●● وكان العرف الشعرى قد اتخذ من القصيدة الجاهلية نموذجا أوجب على الشاعر الفحل أن يحتذيه. . ولم يقتصر على هذا بل حدد عناصر تلك القصيدة النموذجية لأنها لم تكن المثال الأوحد وعنى عناية خاصة بمطلعها. ويمكن معرفة هذا النموذج من قول ابن قتيبة الذى ربط ربطا وثيقا بينه وبين البيئة التى ظهر فيها: «سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار. . فبكى وشكا. . وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها، اذ كان نازلة العمد فى الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتقالهم عن ماء الى ماء. . وانتجاعهم الكلأ. . وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان. ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه. . فاذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء اليه والاستماع له عقب بايجاب الحقوق فرحل فى شعره وشكا النصب والسهر. . وسرى الليل وحر الهجير. . وانضاء الراحلة والبعير. . فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل. . وقرر عنده ما ناله من المكاره فى المسير ـ بدأ فى المديح فبعثه على المكافأة. . وهزه للسماح. . وفضله على الاشباه. . فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب. . وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين فى هذه الاقسام فيقف على منزل عامر أو يبكى عند مشيد البنيان ـ لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافى. . أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير. . أو يرد على المياه العذاب الجوارى لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامس. . أو يقطع الى الممدوح منابت النرجس والآس والورد لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة».

وقد قنع بعض الشعراء بالخروج على هذ العرف واختاروا عناصر أخرى غير الأطلال لمطالع قصائدهم. . وقد وقع هذا منذ عهد مبكر يرجع الى منتصف العصر الاموى عند عمر بن ابى ربيعة واتباعه ولكنه لم يثر الدهشة ولا لفت الانظار لأنه لم يعلن تحديه للقديم ولأن بعض القديم نفسه لم يبدأ بالاطلال. فافتتح أبان بن عبد الحميد اللاحقى مدحته للفضل بن يحيى بالغزل والخمر قال:

نعمنا ليلة الانعام
حيث العرج ينعرج
بناعمة كمثل البد
رِشاب دلالها غنج
تغادينى المعازف عو
دها والصنج والرنج
بكفى شادن لم أنـ
ـسه فى طرفه غنج
له نغمات قينات
بها الأرواح تختلج
أحب من الغناء مليـ
ـح ما ايقاعه الهزج
امرّ سلافة صرفا
كأن صبيبها ودج
كذاك العيش اذ قلبى
رخى باله بلج

وكذا فعل أشجع السلمى ومنصور النمرى وغيرهما.

●● وافتتح عبد الله بن المعتز احدى قصائده بالوقوف على شجرة نبق لأنها الشجرة التى كان يجتمع مع صاحبته تحت ظلها عند ماء يجاورها قال:

أيا سدرة الوادى على المشرع العذب
سقاك حياحى الثرى ميت الجدب
كذبت الهوى ان لم أقف اشتكى الهوى
اليك وان طال الطريق على صحبى

وقفت بها والصبح ينتهب الدجى
بأضوائه والنجم يركض فى الغرب
أمانع أطراف الدموع فمقلتى
موقرة بالدمع غربا على غرب
وهل هى الا حاجة قضيت لنا
ولوم تحملناه فى طاعة الحب

●● الأمر المهم أنهم لم يلتزموا رسما معينا لم يتعدوه وانما حرروا انفسهم واستغلوا مطالع قصائدهم فى التعبير الحر عن أنفسهم وما عَنَّ لهم من افكار. قال أبو نواس فى مطلع مدحته للعباس بن الفضل بن الربيع:

الحمد لله ليس لى نشب
فخف ظهرى وقل زوارى
وأحسنت نفسى التعزى عن
شىء تولى ومتن أوطارى
فلست أخشى نفسى على طمع
أخاف منه دريكة العار
من نظرت عينه إلىَّ فقد
أحاط علما بما حوت دارى

●● وصرح ابو نواس فى احدى قصائده بجهله بالصحراء وأنه يصف بيئته التى تقع عيناه عليها فقال:

مالى بدار خلت من أهلها شغل
ولا شجانى لها شخص ولا طلل



ولا رسوم ولا أبكى لمنزلة
للأهل عنها وللجيران منتقل
بيداء مقفرة يوما فأنعتها
ولا سرى بى فأحكيه بها جمل
ولا شَتَوْتُ بها عاما فادركنى
فيها المصيف فلى عن ذاك مرتحل
ولا شددت بها من خيمة طنبا
جارى بها الضب والحرباء والورل
لا الحزن منى برأى العين أعرفه
وليس يعرفنى سهل ولا جبل
لا أنعت الروض الا ما رأيت به
قصرا منيفا عليه النخل مشتمل

●● ثم يمضى فى وصف النخل. والحق أن أبا نواس كان على وعي عميق باختلاف البيئتين القديمة والحاضرة وبوجوب استلهام الشعراء بيئتهم الراهنة.. قيل انه عند مادخل ليهنىء الأمين بأولى قصائده فيه استأذن فى حديث يمهد لقصيدته قال فيه: «يا أمير المؤمنين ان شعراء الملوك قبلى شببوا بالمدر والحجر.. والشاء والبقر.. والصوف والوبر. فغلظت طباعهم.. واستغلقت معانيهم.. ولابصر لهم بامتداح خلفائنا».. ثم أنشده قصيدته التى افتتحها بالخمر:

ألا دارها بالماء حتى تلينها
فلن تكرم الصهباء حتى تهينها

وعندما وجد الشاعر الخليفة لا يعترض على شعره غَالَى فى موقفه وانتقل الى الدعوة العلنية الذؤوب الى ترك الوقوف على الاطلال والاستعاضة عنها بالخمر أو غيرها من موضوعات الحاضرة. حقا لم يكن أبو نواس أول من رفع لواء هذه الدعوة ولا الوحيد فيها بل سبقه الى اطراف منها بعض الشعراء ـ فقد عجب بشار بن برد ممن يقف فيبكى على الاطلال فقال:

كيف يبكى لمحبس فى طلول
من سيبكى لحبس يوم طويل؟

ان فى الحشـر والحسـاب لشغـلا
عن وقـوف بكـل رسـم محيـل

ونضل صديق لمطيع بن اياس موقف عاشقين على الصحارى وما فيها من مواضع وجبال وطيور. قال مطيع: «جلست أنا ويحيى بن زياد الى فتى من اهل الكوفة كان ينسب الى الصبوة ويكتم ذلك ففاوضناه وأخذنا فى أشعار العرب ووصفها البيد وما أشبه ذلك فقال:

لأحسـن من بيـد يحاربهـا القطـا
ومـن جبلى طى ووصفكـما سلعـا
تلاحـظ عيـنـى عاشـقـين كلاهما
له مقـلة فى وجـه صاحـبـه ترعـى

وسخر سلم الخاسر فى مدحته للمهدى ممن يصف الصحراء والرحلة فيها قال:

حى المنـابـر بالسـلام
أعـلى وداع أو لمام؟
لم يبـق منـك ومـنهم
غير الجلود على العظام
ولقد سكرت من الهوى
سكر الغوى من المدام
فالقلب مضطرب الحشا
والعـين نافـرة المنام
فاذا عزمت فأمض همْـ
ـمَك بين محمود وذام
ودع النوافخ فى البرى
يسبحن فى بحر الظلام

ودعا عبد الله بن أبى أمية دعوة صريحة الى اهمال الوقوف على الأطلال فى عبارة كأنها صادرة من أبى نواس قال:

دع دارسـات الطلول
وكـل ربـع محيـل
ولا تصف دار سلمى
ذرهـا لكـل جهـول
ولا تقـل؟ آل ليـلى
قد آذنـوا برحيـل

ولم ينفرد أبوا نواس بحملته على الاطلال بل شاركه فيها كثير من معاصريه الذين أغرموا خاصة بالخمريات - من أمثال الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع الذى هاجم البادية وماتنبته من زروع وما تفرضه على سكانها من شرب للبن الابل والنعاج - ولبس لملابس خشنة قديمة وركوب للخيل.. ووصف كل ما فى البادية بالأقذاء وكل من فيها بالأجلاف قال:

بدلـت من نفـحـات الـورد بالآء
ومن صبـوحـك در الابـل والشـاء
ما بين بطـن بشـيران حللت به
الـى الـفـراديس الاشـوب أقـذاء
فعـد همك عن طرف يمارسـه
جلف تلفـع طمـرا بين أحـنـاء

ولـذلك يعد المؤرخون هذه الحملة ثورة عامة أعلنها المجددون فى مطلع العصر العباسى للمواءمة بين شعرهم وبيئتهم الحضرية الحديثة وما تمتلىء به من تيارات ثقافية جديـدة.. ويعـد المؤرخـون أبا نواس زعيم هذه الثورة لالحاحه فى الاعلان والدفاع عنها.. ولاتساعه فيها حتى شملت الاعراف البدوية من وقوف على الأطلال وبكاء عنـدهـا وحديث معها.. وتغزل بأسماء عربية معينة.. ووصف للرحلة فى الصحارى المجدبة الفسيحة لبلوغ الممدوح.. وتصوير لحياة أهل هذه الصحارى وما عرفوه من حيوان ونبات. قال فى احدى قصائده:

انس رسـم الـديـار ثم الطـلولا
وارفض الـربـع دارسـا ومحـيـلا
هل رأيـت الـديـار ردت جوابـا
وأجـابـت لذى الـسؤال سئـولا
واشـربـنـهـا كأنهـا عين ديـك
يطـرد الهـم طعـمهـا والـغليـلا

وقال:

دع الأطـلال تسـقـيهـا الجـنـوب
وتـبـكـى عهـد جدتهـا الخطـوب
وخـل لراكـب الـوجـنـاء أرضـا
تخث بها الـنـجـيـبـة والـنجيب

ولا تأخذ عن الأعراب لهوا
ولا عيشا فعيشهم جديب
ذر الألباب يشربها أناس
رقيق العيش عندهم غريب
بأرض نبتها عشر وطلح
وأكثر صيدها ضبع وذيب
اذا راب الحليب فبل عليه
ولا تحرج فما فى ذاك حوب
فأطيب منه صافية شمول
يطوف بكأسها ساق أريب

من أجل ذلك لا نعجب عندما نجد من الادباء من اتهمه بالشعوبية أى كراهية العرب والتعصب عليهم ممالأة لأصله الفارسى. ولكن غيرهم اعتدل فاكتفى بالقول بأنه «كان شعوبى اللسان» وبرأه من شعوبية القلب.

والأمر الغريب فى هذه الدعوة أنها ـ على الرغم من اعتمادها على واقع البيئات الجديدة ـ لم تنل النجاح المقدر لها ـ واستمر الشعراء ـ بل المجددون من الشعراء أمثال أبى تمام والمتنبى والمعرى فى الاجيال القادمة يلتزمون بالعرف العربى القديم فى تصوير الأطلال والصحراء.. بل اضطر أبو نواس نفسه الى التنازل عن دعوته والعودة الى عرف العرب القديم فى بعض مدحه ارضاء للممدوحين.. ويكشف لنا ذلك أن الخلفاء وكبار القوم وعلماء اللغة فى بغداد احتضنوا العرف القديم.. وقاوموا كل مساس به.. وفرضوه على الشعراء فرضا.. ويكشف أيضا أن البيئة الثقافية غلبت البيئة الجغرافية ودفعت الشعراء الى الاحتذاء أو التجديد فى داخل الاطار القديم.

والغريب أيضا أن دعوة أبى نواس صارت دعوة تقليدية رددها شعراء الخمر بعده تظرفا منهم دون ان تكون منهم ثورة أو محاولة للثورة ودون أن يكون ذلك منهم تلبية لشعور بيئى.. يقول ابن وكيع التنيسى مثلا فى احدى خمرياته:

ذا العيش لانعت المهامه والفلا
وسؤال رسم الدار والاحجار
لافرج الرحمن كربة جاهل
يبكى على الاطلال والآثار

وورد الينا خبر من القرن الرابع يدل على أن الشاعر العربى اتسعت فطنته بالاثر البيئى فتنبه الى أن البيئة الضيقة الخاصة تفرض من الآثار مثل ما تفرض البيئة الواسعة.. قيل إن أحد الاشخاص سأل ابن الرومى لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه؟ فقال له: أنشدنى شيئا من شعره أعجز عن مثله ـ فأنشده وصف ابن المعتز للهلال:

فانظر اليه كزورق من فضةٍ
قد أثقلته حمولة من عنبر

فقال ابن الرومى: زدنى.. فانشده:

كأن آذريونها
والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب
فيها بقايا غاليه

فصاح ابن الرومى: «واغوثاه ـ لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذلك انما يصف ماعون بيته».

ومجمل القول أن الشعراء خضعوا للآثار التى تفرضها كل بيئة وما يجرى فيها من تيارات ثقافية متغايرة ـ عن وعى من بعضهم ـ وعن غير وعى من أكثرهم.. ولذلك اختلفت صورة ما أصدروه من شعر فى الاقطار العربية المتعددة والعصور المتعاقبة.

ولم يقف الامر بهم عند هذا بل كان منهم من له حس أرق.. وفطنة أثقب.. فتنبهوا الى أثر البيئة فى المجالات الشعرية المتعددة وكشف أقدم الاخبار التى عثرنا عليها عن أن أقدم تنبه كان فى مجال عملية الابداع عونا لها أو اعاقة.

ثم فطن الشعراء الى ما تخلفه البيئة من آثار فى شكل القصيدة ومضمونها بل الى عناصر جزئية فى المضمون.. وقد هاج هذا التنبه أول ثورة عامة على العرف العربى القديم فى بناء القصيدة.



حدود العقل

قال أبو عبد الله محمد ابن ادريس الشافعى فيما روى عنه: ان للعقل حداً ينتهى اليه، كما ان للبصر حداً ينتهى اليه. وروى عنه انه قال: قال ابن عباس لرجل: اى شيىء هذا فاخبره ثم اراه شيئا ابعد منه فقال: اى شيىء هذا؟ قال انقطع الطرف دونه.. قال: فكما جعل لطرفك حد ينتهى اليه، كذلك جعل لعقلك حد ينتهى اليه فلا تفهم ان عقلك يشتغل بادراك كل شيىء فهناك أمور لا مجال له فيها او لا يمكنه معرفة خصائصها بدون ان يهتدى بأدلة السمع ويستنير بقواعد الشرع(١).

قلت: ان عجز الانسان وعدم قدرته على «الاحاطة» يعنى قصور عقله عن ادراك ما يرغب فى ادراكه. ويخطئ الذين يظنون او يعتقدون وجود قدرة «مطلقة» للعقل يستطيع بها فتح ابواب غير عادية.

إن قدرة العقل فى ارتياد كثير من المجهولات أمر ممكن الحدوث فى كل زمان ومكان.. ولكن الاحاطة «المطلقة» تعتبر من المستحيلات المادية على العقل البشرى مهما كان نفاذه.. فاذا كان البصر ـ مهما كانت حدته ـ يقف عاجزا عن النفاذ الى ما وراء الحواجز والحجب فان العقل البشرى مهما كانت قوته ـ يظل عاجزا عن الاحاطة المطلقة.

ونستمد الدلائل عبر حدود العقل من الوقائع المادية البسيطة التى يعايشها الانسان ولا يلقى لها بالا.. فنحن قد نعرف خصائص معينة للكائنات كزحف نوع معين من الحشرات على نوع من الشجر دون غيره فنعلل ذلك بمذاق هذا الشجر اورقة ملمسه ـ **الا ان العقل يقف عاجزا عن تعليل قيام نوع آخر من هذه الحشرات بالتسلط على ذلك النوع من الحشرات وأكله دون غيره.. ربما يتصور العقل ان الحشرة المأكولة صارت مقبولة فى طعمها للحشرة الآكلة بسبب تغذيتها من الشجرة ذات الخصائص ـ**

الأدب بمفهومه العام فن يتسع للأخذ من كل فن بطرف ولعل من هذا المنطلق جاءت هذه الخطرات النفيسة لفتات ذكية خفيفة الظل عميقة المعنى



وهنا يبرز سؤال آخر: لماذا تترك الحشرة الآكلة الشجرة وتلجأ الى الحشرة التى تتغذى منها؟.

●● هل المقصود مثلا حماية الشجرة بقتل الحشرة المتسلطة عليها.. هل المقصود دفع ضرر محتمل للانسان من اكل الحشرة لاوراق الشجرة.. ام ان المقصود ان تتغذى الحشرة المتسلطة لتكون طعاما لحشرة أخرى..؟

ومثال آخر نراه فى الانتحار الجماعى للحيتان امام بعض السواحل الامريكية والاسترالية.. ومشهد الغرابة أنها تقف فى صف منتظم قبل الفجر ثم تنتحر جماعيا وترتمى على الشواطىء على نحو يشبه الخط المستقيم.

ومثال آخر نراه فى الرحيل الجماعى المنتظم للطيور حين تنتقل من مكان الى آخر يبعد عن الأول آلاف الاميال.. ومشهد الغرابة انها تظل تطير فى صفوف منتظمة وتتناغى بلغة واحدة.. وتنزل فى مكان واحد ـ ثم تتكيف فى هذا المكان الى ان يأتى موسم آخر لرحيلها الى مكانها الأول او مكان ثالث او رابع.

هل يستطيع العقل الاحاطة المطلقة بالاسباب التى تدفع بالحيتان الى هذا الانتحار المنظم او معرفة دوافعه او اللغة التى يتم بها هذا التنظيم الغريب؟.. كيف يعرف العقل مشكلة هذه الحيتان.. ولماذا لا يتم هذا الانتحار فى شواطىء أخرى؟.. ربما نعلل ذلك بالصعوبات التى تواجهها الحيتان من تلوث هذه البحار ولكن هذا لم يثبت.. وربما نعلله بمضايقات الصيادين وعابرى البحار هناك ولكن هذا لم يثبت أيضا.. لان هناك بحاراً أخرى اكثر تلوثا واكثر حركة ومع ذلك لم تفعل فيها الحيتان ما فعلته فى بعض الشواطىء الامريكية والاسترالية.

كيف يحيط العقل احاطة مطلقة برحيل الطيور؟.. ربما نعللها بشح الماء وجفاف الارض وتهشم الغابات فتضطر الطيور بحكم الفطرة بالرحيل الى مكان تجد فيه غذاءها ـ ولكن هل يستطيع العقل

الاحاطة بدقة التنظيم فى الرحيل ومعرفة اللغة التى تم بها الاتفاق عليه؟ . .

وإذا كانت هذه الامثلة البسيطة تدل على «محدودية» العقل امام فهم اسرارها ومكنوناتها فان محدوديته امام الظواهر الكبرى أمر مسلم به تسليما مطلقا ـ وسيظل اى تطور يفجره العقل البشرى مرهوناً بالارادة الالهية التى تتحكم فى الكون والتى بينها الله فى قوله الكريم: **﴿ولا يحيطون بشيىء من علمه الا بما شاء﴾**(٢).

جـرأة الحق

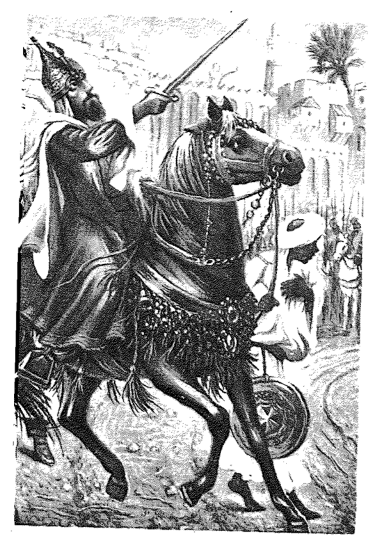
استدعى عبد الله بن على بن عبد الله العباس ـ عم السفاح ـ ذات يوم فقيه الشام المعروف بالاوزاعى عبد الرحمن بن عمر(٣) فقال له: يا عبد الرحمن اريد ان اعرف رأيك فيما فعلناه فى الظَّلَمَة حين ابعدناهم عن رقاب العباد والبلاد أليس ذلك من باب الفضل والجهاد؟ . . فلم يرد عليه الاوزاعى باكثر من الحديث النبوى: بان «الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى».

ثم سأله صراحة عن رأيه فى رقاب بنى أمية فرد عليه بحديث نبوى آخر: «بانه لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث النفس بالنفس. . والثيب الزانى. . والتارك لدينه المفارق للجماعة.

ثم سأله عن رأيه فى اموالهم فاجابه قائلا: يا عبد الله ان كانت هذه الاموال التى فى ايديهم حراما اخذوه فهى بلا شك حرام عليكم. . وان كانت لهم حلالا فلا تحل لكم الا عن طريق شرعى.

●● سكت الاوزاعى بعد اجاباته المقتضبة ووجم عبد الله بن العباس ـ عم السفاح ـ ثم اخذ ينكت الارض بعصاه فى محاولة منه للتحكم باعصابه وكظم غيظه على ما سمع من فقيه الشام.

قلت: وربما صعب على من حضر السؤال والجواب ان يرى الاوزاعى على تلك الجرأة فى القول والصراحة فى الاجابة ـ ولكنه لم يكن يكترث بما كان يدور فى اذهان الحاضرين لانه كان يرى نفسه فقيها قد التزم فى نفسه بحكم علمه ان يكون قوالا للحق جريئا فيه. . لا يبحث به عن سلطان يأمر به. . وجاه ينظر اليه به. . او مال يستمتع به. . لهذا لم يكن من الصعب عليه ان يقول ما قاله حتى وان غضب منه سائله وغضب منه الحاضرون معه.



المسعودى ومملكة التبت

منذ مئات السنين رأى الرحالة والمؤرخ العربى الشهير ابو الحسن على بن الحسين المسعودى(٤) فى بلاد التيبت ما أعجبه واسره فوصفها بأنها مملكة من بلاد الصين ولها مزايا وخواص فى أنهارها وهوائها ومياهها وجبالها ومروجها . . كما وصف أهلها بالمرح وعدم تعرضهم للاحزان والغموم والافكار فلا يرى بينهم شيخ حزين ولا عجوز بل الطرب فى شيوخهم وكهولهم وأحداثهم كما أن لهم تحنن كثير من بعضهم على بعض .

وقال فيما قاله: ان الغالب على اهلها «حمير» وفيهم بعض «**التبابعة**» ولهم حضر وبدو وبواديهم ترك لا تدرك كثرة ولا يقاومهم أحد من بوادى الترك وهم معظمون فى سائر أجناس الترك لان الملك كان منهم من قديم الزمان .

●● وللاستدلال على «حميريتهم» و«تبابعيتهم» قال فيهم دعبل بن على الخزامى فى قصيدته التى يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان على نزار .

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا السهام بسمرقند
وهم غرسوا هناك التبتينا(٥)

●● قلت : وللمؤرخ الكبير ما قاله مشاهدة(٦) أو سماعا فى وصف بلاد التيبت وطيب مناخها وجمال وسلوك أهلها فى ذلك الزمان ولكن هل يمكن الجزم بانتساب أهلها او غالبيتهم الى «**حمير** » و«**التبابعة**»؟ ربما يكون من صائب القول عدم الجزم بذلك فبين مملكة التيبت الصينية فى ذلك الزمان وبين اليمن الحميرية أميال يصعب بسببها السفر والاستقرار .

● ومع ان هذا ليس بمستحيل على العرب اليمنيين الذين عرفوا بحب السفر والمغامرة وأن ما قاله ابو الحسن قابل للاحتمال والصواب فان الاستشهاد بفخر الخزاعى ليس بحجة كافية فقد تعود المفاخر بقومه ان ينسب اليهم كل فضل يظهر فيه الاعجاز وتبرز فيه ابلغ صفات المدح فيخلق من أجلهم الاسطورة وينسج من حولهم الخيال اعتزازا بهم وتحديا لخصمه عندما يفاخر هو الآخر بقومه .

●● قلت : وربما لم يقرأ «**الدالاى لاما**»(٧) ما قااله ابو الحسن المسعودى عن عجائب بلاده وجمال اهلها فى ذلك الزمان ولكن الذى لا شك فيه ان «**الدلاى لاما**» قد عانى كثيرا من أجل التيبت التى كان يحلم باستقلالها ولكنه حلم لم يتحقق عندما ضمتها الصين اليها لانها جزء من مملكتها القديمة .

● إن التبتيين سواء منهم من يقيم فى بلاده خاضعا للصين ، أو من يقيم منهم لاجئا فى الهند لا يفكرون ابدا فى انتسابهم الى حمير والتبابعة . . إنهم يفكرون فى لقمة العيش التى تطأ الانسان بثقلها فينسى معها كل شيء يعرفه عنه الآخرون .

الهامش

(١) آداب الشافعى ومناقبه لمحمد عبد الرحمن بن ابى حاتم الرازى ص٢٧١ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .
(٣) ولد عبد الرحمن بن عمر الاوزاعى فى مدينة بعلبك فى سنة ثمان وثمانين للهجرة وتوفى فى بيروت فى سنة مائة وسبعة وخمسين منها وله ضريح معروف فى منطقة الاوزاعى فى غرب بيروت .
(٤) ولد المسعودى فى اواخر القرن الثالث الهجرى .
(٥) مروج الذهب للمسعودى ج١ ص١٧٩
(٦) ورد فى اخباره انه جال فى مناطق الهند والصين ويؤيد هذا ان وصفه لتلك الاصقاع وصف تفصيلى يدل على مشاهدة فيها .
(٧) (الدالاى لاما) زعيم عاش لاجئا فى الهند يطالب باستقلال التبت .





لا ملل لدابتي ما حملتني

زرت وصديق لى صديقا ذا مال كثير ومسئولية تجارية واسعة ولكنه أيضا ذو سخاء بالمال وجود به عن سماحة نفس وطيب خاطر. . طلب الينا الجولة فى منطقة ما ونحن فى بلد ما خارج البلاد وكانت معه سيارة ذات (موديل قديم) لا تتصف بالجمال ولا بالرشاقة. . فقال له صديقى انت من المال والجاه فى منزلة رفيعة. . وعرفت بسخاء اليد لماذا لم يكن لك سيارة فارهة تليق بك. . فوقف برهة ثم قال: قيمة المرء بخلقه لا بما يملك من مال وجاه. ولكنى - وقد اعجبنى كلامه - رأيت ان أنقل له قصة عن عمرو بن العاص فاتح مصر التى هذه خلاصتها:

«قيل لعمرو بن العاص وقد رؤى راكباً على بغلة قد شمط وجهها هرما، ، أتركب هذا وأنت أمير مصر». . فاجاب رضى الله عنه: «لا ملل عندى لدابتى ما حملتنى. . ولا امرأتى ما أحسنت عشرتى. . ولا لصديق ما حفظ سرى. . ثم اضاف قائلا: إن الملل من كواذب الأخلاق» انتهى. . فكان الصديق مسروراً جداً من هذه الاجابة ولم يتركنا إلا بعد ان حفظ هذه الكلمات ثم قال: إن هذه العبارات تساوى عندى شيئا كثيرا.

التخطيط اليهودى القديم والعمل الصهيونى المعاصر

(الوطن صوت عمان فى الوطن العربى) جريدة يومية تصدر مؤقتا أسبوعية رئيس تحريرها «محمد سليمان الطائى» ويصلنى منها تباعا جميع اعدادها وأرى فيها الصورة والخبر معاً والأدب والعلم معاً. . يعجبنى فيها الشىء الكثير واهمه باب مستمر فى الصفحة الثانية عشر عنوانه «دائرة الضوء للكاتب (طه كسبه) من جملة كلماته: كثيرة هى تلك الكتب والابحاث والدراسات التى كتبت عن الدين وتاريخ الديانات. . وكثيرة هى اصوات الدعاة التى تتعالى فى أرجاء وطننا العربى والاسلامى. . وعلى الرغم من كثرة هذه الكتب والموضوعات. . وتعدد هذه الاصوات التى ترفع لواء الدعوة والدفاع عن الاسلام فى وجه اعدائه من المستشرقين والمستغربين والملحدين الا انه مازالت هناك فجوة كبيرة بين الداعى والمتلقى. . بين الكاتب والقارىء. . فجوة ليست من صنع احد منا ولكنا وجدناها فجوة عميقة وهوة سحيقة تفصل بين هؤلاء جميعا. . صنعها لنا اعداؤنا وأعداء ديننا على اختلاف هوياتهم وجنسياتهم وليس غريبا ان نقول ان وراء كل هذا تخطيط يهودى قديم وعمل صهيونى معاصر - ذلك ان من يقرأ التراث اليهودى القديم يشعر ان جميع المؤآمرات على الاديان وجميع الانقلابات المخربة والثورات على القيم والمبادىء والاخلاق خرجت من هذا التراث وأن كل معول هدم كان وراءه توجيه يهودى ذو علامة صهيونية مسجلة.

ان من يقرأ توراتهم المحرفة وتلمودهم الوثنى. . ويقرأ ايضا بروتوكولاتهم يجد العجب العجاب. فاليهود - وليست يهودية موسى عليه السلام التى امرنا القرآن باحترامها - هم اس كل بلاء ينزل بالعالم اليوم كما كانوا يفعلون فى أمم سابقة بالامس.

وعلاقة اليهود بالبهائية والماركسية والماسونية والمادية والفوضوية والعبثية والفرويدية علاقة واضحة لا تحتاج الى يهودية صهيونية تحمل علامتها المسجلة.

ومن هنا وجب علينا وعلى كل قادر مواجهة كل هذا العبث الصهيونى الذى يستهدفنا نحن دون سائر البشر.

غير عابرة

خطاتنا

لاننا اول من يريدون فناءه وتدميره . **انتهى** . . ان اليهود من القديم الى اليوم وباساليب مختلفة يحاولون إضلال المسلمين وافساد دينهم ولكن لم يتأت لهم ذلك لأن بيننا كتاب الله وسنة رسوله لا خير الا دلَّانا عليه . . ولا شر إلا حذَّرانا عنه وما ينادى به (طه كسبه) وما يراه حول هذه الفجوة التى صنعها اعداؤنا وعلينا أن نسدها بالتكاتف فى نشر فضيلة الاسلام ومزاياه وان نلقن ابناءنا فى البيت والمدرسة والمسجد من فضائل الاسلام ومزاياه ما يُسعد البشر ويصلح البيئة ويجعل الناس يعيشون فى سلام وامان ووئام ويحيون فى ساحة كلها محبة ومودة وخلال سنها الاسلام ونشرها رسول السلام . . وبلادنا مهبط الوحى ومنطلق الاسلام وينبوع العلم والعلماء يجب ان تكون بهم وبشبابنا الواعى قوة تقهر أحابيل اليهود .

شهر العسل

بدعة من البدع برزت جلية واضحة منذ صار الاحتكاك بالغرب ولكن فرق بيننا وبينهم . . فنحن نجعل هذا الشهر (العسلى) فى بلاد خارجية نصرف فيه ما يكفينا عاما او عامين من المصاريف البيتية اما الغرب فبالعكس فإن شهر العسل يقضيه اولئك فى عمل مجد مفيد واليك هذا الخبر الذى ننقله من جريدة الوطن العمانية يقول :

● آن . . الابنة الكبرى للرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان تقضى الان شهر العسل مع زوجها جيرار مونتاسيى فى قرية توزاك التى يقطنها ٦٠٠ شخص فقط . .

المكان الذى يقضى فيه الزوجان شهر العسل بيت قديم ورثه الزوج عن اجداده

وقد استطاعت الزوجة الشابة ان تستميل اهالى القرية بأدبها وتواضعها . . بالاضافة الى اعجابهم بزوجها الذى قدم خدمات هامة للقرية .

يقضى الزوجان وقتهما مع سكان القرية وتزجية الوقت فى القراءة وقضاء حاجياتهم بلا خدم . . ما عدا حارس البيت الذى اعجبت به آن جدا لانه عجوز طيب ـ على حد تعبيرها .

بعد انقضاء شهر العسل . . سيقطن الزوجان شقة فى العاصمة الفرنسية . . وجدير بالذكر ان الزوج حاصل على الماجستير فى الادب المعاصر . . اما الزوجة فهى موظفة فى دار كبرى للنشر . . وقد قدم لها زملاؤها فى الدار (حلة) جديدة كتعبير عن اعجابهم بكتاب وضعته بعنوان **«الطعام والشباب»** .

والملاحظ والمهم فى الخبر أنها لم تختر إلا قرية فيها بيت قديم ورثه الزوج عن اجداده . . وأن الزوجة استمالت سكان القرية بخلقها وجميل خلالها ويقضيان الزوج والزوجة وقتهما مع سكان القرية فى اندماج وانسجام . . وليس معهما خدم وسيعودان لا الى قصر ذى أبهاء وساحات بل الى شقة متواضعة . . والزوج والزوجة فى مستويات واعية من العلم والادراك . . وأخيرا لست ممن يعجب بالغرب ولا أميل مطلقا الى حضارته وثقافته وان كنت أصبو الى صناعته وتقدمه التكنولوجى . . ما احوجنا الى ان نميل الى (البساطة) فى الأمور وان تكون الغاية فى الزواج بناء البيت والاسرة والمجتمع ـ فى أن لا ننفق قرشا إلا فى موضعه وقرانا اليوم ومدننا ومصائفنا ازدهرت الحياة فيها . . ففيها الجمال والهدوء والخصب والنماء .



خطـرت فى بالى هذه الذكرى خلال اجتماعى بهؤلاء العلماء الافـاضل فى شهر صفر ١٤٠٧هـ فى ندوة المجمع التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامى ـ فى عمان بالأردن ـ لمناقشة بعض القضايا والمسائل المطروحة على المجمع.

أما الـذكـرى. . فتعـود الى سنة ١٣٩٦هـ حيث انعقد مؤتمر الفقة الاسلامى فى الرياض ودار جدل طويـل حول وجـوب تطبيق الشـريعة الاسلامية. . وكان من رفاق الاجتماع السابق والاجتـماع الـلاحق هؤلاء العلماء الاجلاء: الاسـاتـذة: مصطفى الـزرقـا. . والـدكتور يوسف القرضاوى. . والدكتور وهبه الـزحيلى.

وكان بحثى فى مؤتمر الفقه الاسلامى يركز على وجـوب تطبيق الحكـام والـرؤساء المسلمين لأحكام الشريعة الاسلامية فى بلادهم وبين شعوبهم وانه لا منـدوحـة لهم ولا معـذرة لديهم ولا مبرر عنـدهم للانحراف عن الحكم بما أنزل الله الى تحكيم القوانين الـوضعيـة والأنظمـة البشـريـة. . فى محاكمهم ومعاملاتهم ومشكلاتهم الحقوقية والجنائية.

وذكرت ـ خلال دراستى المقدمة فى المؤتمر ـ آراء بعض الصحـابـة والتابعين وأئمة الفقه الاسلامى فى فهم وتفسير قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) كما اوردت آيات اخرى من القرآن لا مجال فيها للاختلاف فى تأويلها ولا التعلل باسباب نزولها ـ كما هو الحال فى تلك الآية الكريمة.

وكان مما اعترض به المعترضون هذه الآراء:

● أنهم يرون ـ بصفة عامة ـ أن القول بتكفير من لم يحكم بما أنزل الله من أمراء المسلمين ورؤسائهم: غير وارد وإنما هو عاص أو فاسق.

● وجـاء فى اعـتراض الاستاذ عبد الحليم الجندى (من مصـر) ان الآيـات القـائلة: ﴿**فأولئك هم الكافرون ـ فأولئك هم الظالمون ـ فأولئك هم الفاسقون**﴾ غير محكمة اى انها من المتشابه الذى يقبل وجوها متعددة من التأويل.

● وقال مفتى الأردن الشيخ محمد عبده هاشم تعقيباً على القضية المطروحة إن النبى صلى الله عليه وسلم قد ذكر فى بعض احاديثه ما يقع من مخالفة الحكام فى آخر الزمان لاحكام الشريعة الاسلامية كما أنه صلى الله عليه وسلم نصـح باعتـزالهم. . كحـديث: «**اذا رأيت هوى متبع**



ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جديدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

وشحا مطاعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك» ثم قال: إنه لا يكفر الا من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة.

وأنكر الاساتذة مصطفى الزرقا - والدكتور وهبه الزحيلى - والدكتور سعيد رمضان البوطى - والدكتور يوسف القرضاوى.. على وجهة النظر القائلة بعدم انطباق الآية القرآنية موضوعة البحث على الحكام المسلمين الذين يحكمون دولهم وشعوبهم بغير ما أنزل الله وكانت أبحاثهم المطروحة فى المؤتمر تدور حول صلاحية الشريعة الاسلامية لا حول وجوب تطبيقها من قبل الرؤساء والحكام المسلمين.

● وكان فى الجانب الآخر - جانب الوجوب الدكتور على عبد الواحد وافى الذى قال: ان الامر لا يكون واجباً الا اذا كان صالحا واذا كانت الشريعة الاسلامية صالحة للحكم.. فكيف لا يكون تطبيقها واجباً على الحكام فى المجتمعات الاسلامية؟.. ثم أورد الدكتور وافى قوله عز وجل: **﴿إن الدين عند الله الاسلام﴾** وقوله ايضا: **﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾**..

واضاف أنه لا اختلاف بين علماء المسلمين على أن الاسلام يشمل العقيدة والشريعة وليس العقيدة وحدها ولا الشريعة وحدها.. ثم ضرب بعض الأمثلة الواقعية من احكام القوانين الوضعية التى يطبقها بعض الحكام المسلمين فى بلادهم وبين شعوبهم.. مما لا يتفق مع طبيعة الاخلاق الاسلامية واحكام الدين الاسلامى. وأشار الى «الزنا» الذى لا تعاقب عليه القوانين الوضعية اذا كان بالتراضى أو كانت المزني بها بالغة.. أو كان زوجها راضياً بفعلتها.

وكان فى هذا الجانب ايضا الاستاذ يوسف الرفاعى - من الكويت - وعقب مرارا على المعترضين - بقوله: بان هذا المؤتمر انعقد اساسا بقصد التأكيد على ان تطبيق الشريعة الاسلامية واجب فى كل زمان ومكان.. لا لبيان صلاحيتها التى لا يختلف عليها علماء المسلمين ومفكروهم. ثم سأل: اذا كان القرآن الكريم يقرر بأسلوب القسم بالذات الآلهية العظمى نفى الايمان عمن لا يرضى بتحكيم الشريعة الاسلامية ويجد حرجا فى نفسه من قضائها.. من عامة الناس - أفلا يكون نفى الايمان من الحكام

والرؤساء الذين يملكون القوة والسلطان لتطبيق احكام الله بين رعاياهم وشعوبهم ثم لا يطبقونها ـ أولى وأحق؟ . . إنها اذن قسمة ضيزى ان ينفى الايمان عن المحكوم اذا رفض حكم الله ولا ينفى عن الحاكم الذى يحكم بغير ما أنزل الله .

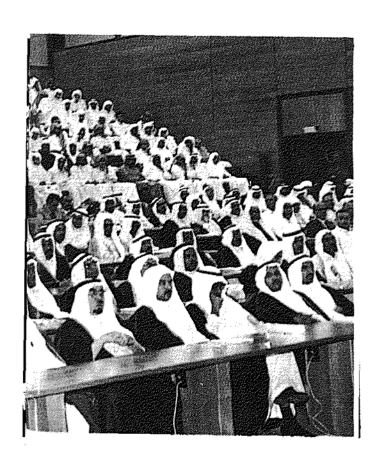
اما قول الاستاذ عبد الحليم الجندى: «**إن الآيات القائلة بكفر من لم يحكم بما أنزل الله أو بظلمه او بفسقه غير محكمة**» فهو دليل على انه لا يعرف معنى المحكم والمتشابه من آيات القرآن ـ لان الآيات موضوع البحث فى قمة الآيات المحكمة الواضحة الدلالة، ولا تحتمل خلافا فى الفهم ولا اختلافا على التأويل والذين يرفضون سريان حكم هذه الآيات على الحكام المسلمين يحتجون بأنها نزلت فى اليهود والنصارى ويتناسون ـ فى الوقت نفسه ـ ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فى كل ما نزل من القرآن لأسباب خاصة .

وأما قول الشيخ محمد عبده هاشم ـ مفتش الاردن ـ انه لا يجوز تكفير الا من انكر معلوما من الدين بالضرورة . . فوجوب الحكم بما أنزل الله ثابت بالقرآن الصريح والسنة النبوية الصريحة فهو معلوم من الدين بالضرورة دون ادنى شك او خلاف .

وما اشار اليه فضيلته من احاديث الرسول ﴿ﷺ﴾ عن الفتن وضعف الايمان وخروج المسلمين عن طاعة الله واتباع دينه والحكم بكتابه وسُنَّة رسوله ﴿ﷺ﴾ فهذا لا يعنى سكوت جماعة المسلمين على المنكر والرضا به والخضوع للمفسدين والملحدين . . فقد وردت ـ فى مقابلها ـ احاديث نبوية اخرى تذكر الدعاة الى الحق والحاثين على الخير الناصحين بالاستقامة على دين الله الصابرين على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى ولو ادى ذلك الى استشهادهم فى سبيل الله وكتابه ورسوله .

والحقيقة: أنه لا مندوحة ولا معذرة ولا مبرر لأحد من حكام المسلمين ورؤسائهم وولاة امرهم ـ لان يحكموا شعوبهم ودولهم ومجتمعاتهم بغير ما أنزل الله من شريعة . . كما لا يجوز لهم ان يعتقدوا غير ما أنزل الله من عقيدة . . بلا تفريق ولا استثناء .

تذكرت هذا الحوار بينى وبين العلماء الاجلاء منذ نحو ثلاثة عشر عاما . . لأنى التقيت بهم أخيرا فى

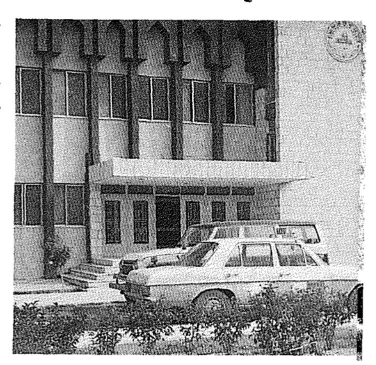


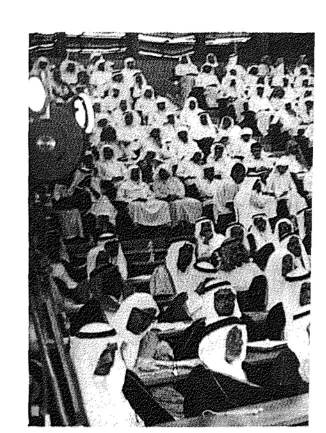
جانب من مؤتمر الادباء السعوديين الاول الذى عقد برعاية جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

مؤتمر المجمع الفقهى الاسلامى المنعقد بالأردن خلال صفر من العام الحالى ١٤٠٧هـ كما سبق ان اجتمعت بهم ايضا فى مؤتمر الدعوة والدعاة الذى عقدته الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٧هـ.

ولا شك انها لقاءات فكرية سعيدة على الرغم مما يبدو خلالها من خلاف فى الرأى وهو خلاف لا يفسد المودة بين المفكرين والعلماء بل يزيدهم اجلالا وتقديرا من بعضهم لبعض ومن احدهم للآخر.

مبنى مجمع اللغة العربية فى عمان ـ الاردن





ولقد لقيت ـ فى مؤتمر عمان ـ الأخ الفاضل الاستاذ محمد عبده عمر الذى كان يمثل جمهورية اليمن الجنوبى فى المجمع وقد تفضل فقدم الى نفسه قائلا: «**لقد عرفتكم عندما كنت بالمملكة العربية السعودية فى بداية شبابى وكنت أقرأ مقالاتكم وكلماتكم فى صحف المملكة ومجلاتها وقد تأثرت بها كثيرا وكنت من المعجبين باخلاصكم وجراءتكم فى قول الحق**».

فشكرت له حسن ظنه وسابق لقاءاته الفكرية بى دون اتصال شخصى بينى وبينه فيما مضى من شبابه وشبابى.

ولست بقائل كما قال الشاعر:

الا ليت الشباب يعود يوما
فاخبره بما فعل المشيب

فما فعل المشيب بى إلا خيراً كما هو شأن شبابى والحمد لله. . ولابد مما ليس منه بد.

المجلة الأولى

السائح

العدد السادس والعشرون - جمادى الأولى ١٤٠٧هـ



- كهوف وحدائق — د. أنور طاهر رضا
- بلاد البنغال — محمد يوسف صديق





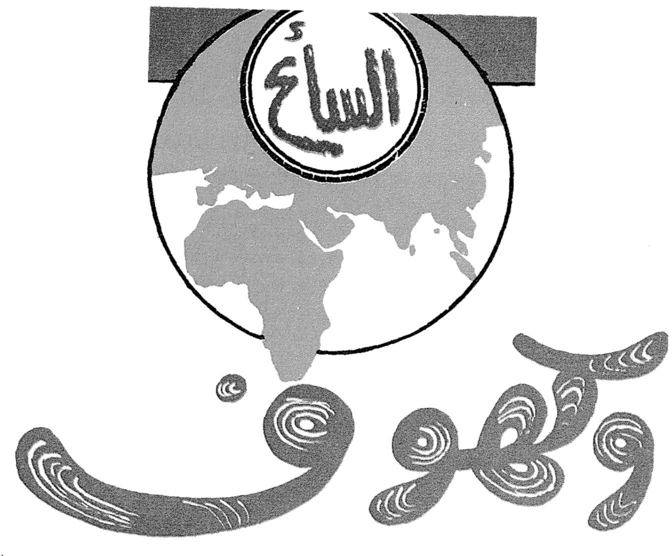
عندما علمنا بوجود «رياض الدنيا» فى ارض تركي انتابتنا رغبة عارمة فى زيارتها للتعرف على شكلها.. والتنعم فى التنقل بين رحابها.. والتعرف على اهلها. كانت تلك الرغبة تسيطر على كل كياننا فلا نجد مفرا من السؤال عن كيفية الوصول اليه والاستعداد للسفر قبل فوات الاوان.

كان الطريق على ساحل البحر الابيض المتوسط يمتد بحوالى ستين كيلومترا فى الاتجاه الغربى من مدينة (مرسين) التركية.. يشرف على البحر احيانا فيتمتع الانسان بمنظر البحر الممتد الى ما شاء الله له ان يمتد.. والذى يلتقى مع الافق فى اروع منظر يمكن لمخلوق ان يراه. يجد الانسان فى هذه المياه الراحة النفسية التى تسيطر على كل جوارحه ـ وهذا هو السر الذى اودعه الله فى الماء اذ جعل منه كل شيىء حي. يبتعد الطريق احيانا اخرى عن هذا الساحل فيجد الانسان اشجارا كثيفة مظللة وبساتين فواكه امتد

●● المسلمون أينما حلوا فى أرجاء الدنيا تجد بصمات حضارتهم وثقافتهم واضحة للعيان.. تدل عليهم وعلى عمق تأثر الآخرين بهم.. وهذه بلاد «البنغال» تحمل الشواهد على ذلك كغيرها من بلاد أخرى.

واذا كان التنقل يمثل طبيعة (السائح) فإننا نتلقى منه المعلومة والدلالة مما يشوقنا للارتحال معه عبر ساحل البحر لنرى جزءاً من غربى تركيا وما سنقف عليه هناك من بعض عجائب الآثار وجمال مناظر الطبيعة.. والى تركيا.. والبنغال ندعوكم.

(السائح)



على مد البصر. لقد شق الطريق احيانا فى ارض منبسطة واحيانا اخرى على سفوح الجبال فيتعرج بالمرء لكى يسلب لبه تماما.

لم تكن هذه «الروضة الموعودة» على الساحل بل كانت تبعد عنه بحوالى ثلاثة كيلومترات نحو الداخل كان الطريق الملتوى يرتفع بنا شيئا فشيئا الى ان كنا قد اشرفنا على مداخلها. استقبلنا الحراس فسلموا علينا وباركوا لنا عيدنا ونظروا فينا مليا.. ثم طلبوا اجرة الدخول فنقدناها اياهم.

عندما كنا فى الارض الرحبة التى نستطيع التحرك فيها بحرية وجدنا اناسا يركبون جمالا يتنقلون هنا وهناك مبتهجين بما هم فيه من سعادة وحبور... قيل لنا انه من الافضل زيارة جهنم اولا.. وانها تبعد بحوالى ثلاثمائة متر فى اتجاه الشرق. كانت الملاحظة فى محلها ذلك لان العبرة التى يعتبر بها الانسان من جهنم اكبر واشد هولا... ففضلنا ان نسير على الاقدام بخطى ثقيلة - ومن ذا الذى يهوى ان يسرع فى الذهاب الى الجحيم؟.

كان منظر جهنم مخيفا حقا الى درجة لا يجسر الانسان فى الرؤية اليها - ولكنه مع ذلك يريد ان يرى طالما انه تجشم تعب قطع هذه المسافة الطويلة. قرأنا من التعليمات المكتوبة ان دخولها محظور ومخطور. كانت جهنم عبارة عن حفرة هائلة بطول ٧٥ مترا وعرض ٥٠ مترا وعمق مائل من الغرب نحو الشرق بـ ٣٠ درجة.. والعمق يختلف تبعا لذلك بين ٨٠ مترا الى ١٢٠ مترا بحيث يستحيل على الداخل فيها الخروج منها الا بسلطان... كانت الحفرة اعرض فى الاعماق منها فى الفوهة بحيث يشعر الانسان بالهول عندما يروم النظر اليها... كانت شجيرات نبتت هنا وهناك كما ان الرطوبة كانت بادية فيها.
يروى ان المجرمين كانوا يسجنون فى هذه الحفرة

الضخمة فى فترة من فترات التأريخ. ورد فى الاساطير ان الشيطان (تايفون) كان قد سجن فى هذا المكان بالذات.. لقد سميت بهذا الاسم لانها تثير الدهشة والعجب.

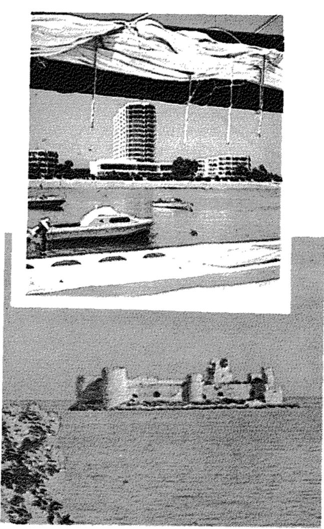
لم نطل الرؤية كثيرا ذلك لان الانسان لا يقوى على رؤية المناظر المفزعة.. رجعنا قافلين غير اننا كنا بحاجة الى بعض الراحة.. جلسنا وشربنا المرطبات كانت المسافة بين الجحيم والنعيم ٧٥ مترا.

كان مدخل هذه الرياض ضيقا بين مرتفعين لا يسع الا لشخصين فى الوقت نفسه.. لقد قادتنا درجات السلم التى بنيت فى العهد الرومانى فى الهبوط نحو الاسفل.. كانت هذه الدرجات اما انها بنيت اصطناعيا بفعل الانسان بالاسمنت او صخورا طبيعية نحتت على شكل مدرجات.. درجات السلم مظللة باشجار كثيفة منها مزهرة.. رائحة الازهار تفوح من كل مكان.. اشجار الزيتون زينت بالالوان الكثيرة من الخرق البالية التى تعبر عن امنيات اصحابها.

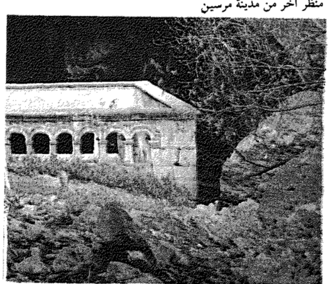
ادت درجات السلم نحو الاسفل فى اتجاه الغرب. كنا هنا وهناك نتقابل مع اشخاص آخرين بعكس اتجاهنا فلا نسمع منهم الا التأوه... ونترقب التعب على اجسادهم.. والعرق يتصبب من جبهاتهم.. فنعجب من هذا المنظر على اننا لم نكن نجسر فى السؤال عن ذلك وكانما قد حرم علينا الكلام والسؤال عن الحال.

كانت هذه الروضة على عكس ما كنا نتوقع - عبارة عن حفرة ضخمة منحدرة انحدارا عموديا من الجوانب وعلى ارتفاع ١٥٠ مترا عن مستوى سطح البحر.. تفوق ضخامتها اضعاف جهنم وبطول

منظر من مدينة مرسين

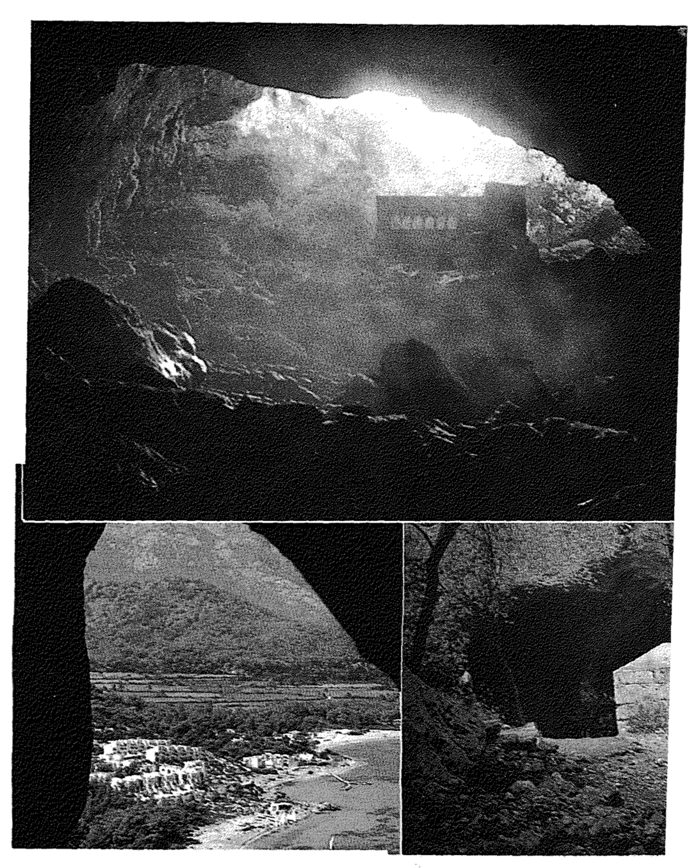


منظر اخر من مدينة مرسين



منظر الكهف والحديقة المطلة عليه

منظر من داخل الكهف



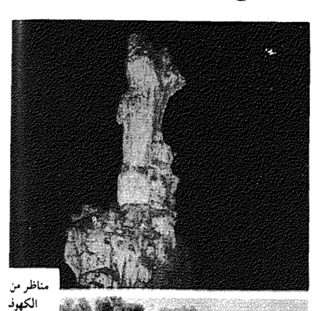
مناظر من داخل الكهوف

عاملا آخر يضاف الى هول المنظر. . كان هناك ينبوع صغير ينبع من ارض الكهف وكان ماؤه الرقراق الصافى غير الآسن لذة للشاربين. يقال انه سمى «بالجنة» لكثرة اشجار الزيتون فى هذا المكان وينبوع الماء الرقراق. . لم يطل الطريق طويلا اذ وصلنا الى نهاية الكهف وكان هناك خرير قوى جدا لماء جوفى جارٍ فى الطرف الآخر من الكهف غير انه لم يكن فى الإمكان رؤية ذلك النهر الذى سمعنا خريره. . كان الينبوع نفسه يغيب فى هذا المكان تحت الارض لينبع مرة اخرى بالقرب من الساحل ليختلط ماؤه بماء البحر.

كانت العودة اصعب من الذهاب ذلك لاننا كنا بحاجة الى صعود بدلا من هبوط. . كنا نسبح فى حمام من عرق وكان التعب قد حل بنا واضطررنا الى الجلوس والراحة مرات ومرات ـ عندما وصلنا الى الباب تنفسنا الصعداء.

وفى مقابل الباب انقاض مدينة قديمة تعود الى عهد الامبراطور الرومانى بابيرون لم نطل زيارتها كثيرا.

كانت المرحلة التالية زيارة كهف استم للامنيات. يقع هذا الكهف على بعد ٣٠٠ متر فى اتجاه الغرب ويرتفع عن مستوى سطح البحر بـ ١٨٥ مترا. . يختلف هذا الكهف عن الكهوف الاخرى من حيث ان النزول اليه عمودى تماما وفوهته ضيقة جدا ـ وترتفع الفوهة عن قاع الكهف بـ ١٨ مترا ويتسع الكهف فى القاعدة بطول حوالى ٢٠٠ متر بحيث يكون فى الامكان التجول فيه. لقد احدثت المياه تأثيرات كبيرة فى الكهف فنشأت اشكال عديدة من الاستلاكتايت والاستلاكمايت كالستائر ورأس طير بمنقار ووجه خروف ويقال ان ماء الكهف ينفع علاج بعض امراض الجلد ولا يمكن النزول اليه بدون اضاءة وقد انتشر حواليه اطفال مع مصابيحهم لمساعدة السواح لقاء اجر.



مناظر من الكهوف





التفسير الجيولوجى لنشأة هذه البقعة هو ان باطن الارض تآكل بفعل المياه الجوفية ثم انهارت الارض

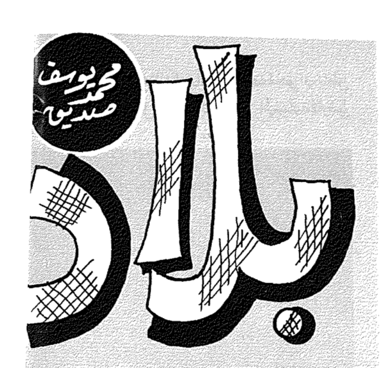
وتكـونت هذه الحفر والكهوف التى تستحق الزيارة فعلا رغم ما فيها من تعب ومشقة.

٢٧٥ مترا ـ وعرض ١٢٥ مترا ـ وارتفاع ١٣٥ مترا . . لعل السر فى ضخامتها راحة اهلها . . والسر فى ضيق جهنم تعذيب اهلها.

على ان الغريب كون الاولى فى واد بدلا من ان تكون فى ارض منبسطة وان تكون محدودة بحدود بدلا من ان تكون فسيحة بلا نهاية. كان الوادى يميل فى الهبوط نحو الغرب وكانت درجات السلم قد اتجهت هذا الاتجاه ايضا. لم يكن هناك طريق غير الطريق الذى سلكناه . . لقد هبطنا ١٨٠ درجة من درجات السلم حتى وصلنا الى نهاية الوادى وقد انهكنا التعب ايما انهاك.

اقيمت فى هذا الجـزء من الـوادى على ارض منبسطة كنيسة صغيرة والظاهر انها بنيت من صخور فى فترة سحيقة فى القدم تعود الى العهد البيزنطى فى القـرن الخامس الميلادى ـ غير ان انقاضها لا تزال قائمـة . . والغريب ان الكنيسة لم تكن تحتوى على باب للدخـول وهـذا ما يوحى الى انها كانت محلا للعبادة السرية. القينا نظرة وفضلنا ان نرتاح بعض الوقت لمواصلة المسير فى المرحلة التالية.

كان الجزء الثانى من الرحلة داخل كهف ضخم مظلم يمتد نحو الغرب قيل لنا ان المسير فى داخله مستحيل بدون اضاءة وعلينا ان نستأجر مصباحا نهتدى به . . استمر الطريق فى الهبوط الشديد بـ ٤٥ مترا غير انه كان طريقا مرعبا فى هذه المرة . . كانت الرطوبة فعلت فى الطريق الترابى فى هذه المرة فعلتها ـ وكان هناك خطـر التـزحلق والوقوع فى كل لحظة وآن . . . كان الضبـاب كثيفـا داخـل الكهف مما زاد من صعوبة الـرؤية . . . كان هناك كتابات على الجدار لم نفهم كنههـا . . كانت الاصـوات المرعبة التى تصدر من الـزوار والصدى الذى ينعكس من جوانب الكهف



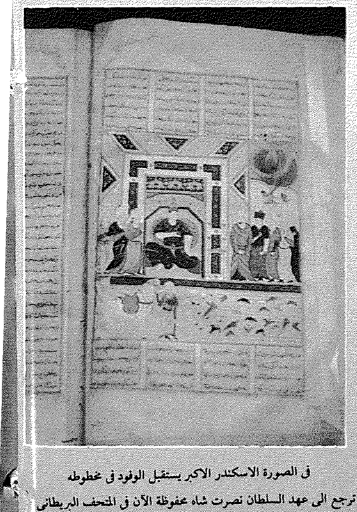
لا شك ان دخول الاسلام الى البنغال كان له اثر كبير فى الحياة الثقافية والاجتماعية والعمرانية فى هذه البلاد.. فشيدت تحت رعاية سلاطينها وحكامها المسلمين المساجد والمدارس.. والاضرحة والاسبلة.. والجسور والقلاع والقصور.. وغيرها من العمائر الاسلامية.

نلاحظ ان العمارة والفنون فى هذه الفترة قد ازدهرت وصبغت بصبغة اسلامية جديدة. فالمنتجات الاسلامية فى الفترة السلطانية وصلت الى درجة كبيرة من الاتقان فى جميع الميادين ـ ولكن للأسف الشديد لم يبق منها الا القليل بسبب احداث الزمن.

ومن الروائع الأثرية الاسلامية البنغالية التى تحتفظ بها هذه البلاد حتى الآن النقوش العربية التى تحمل اكبر مظهر للحضارة الاسلامية فى البنغال لسبب ندرة التحف الاثرية الاخرى.. ولا شك ان هذه النقوش دلائل واضحة فى تطور الكتابة العربية وزخرفتها وجودتها الى المستوى العالى فى هذه البلاد فى العصور الاسلامية المبكرة. وكذلك ان المبانى والعمائر الاسلامية فى البنغال ايضا ليست اقل شأنا من المنتجات الاسلامية الاخرى.

نلاحظ فى اول الامر ان العمائر الاسلامية فى هذه الفترة قد تأثرت بأساليب العمائر الاسلامية فى وسط آسيا وايران.

●● ولكنها تحتفظ فى نفس الوقت بالعناصر المعمارية المحلية التى تجعلها متميزة عن الطرز الاخرى. وقد شيدت العمائر على هذا النمط الممزوج الذى يجمع كل هذه السمات ـ فنجد ان مدينتى (غور) و(بندوه) تحتفظان حتى الآن بالعديد من المساجد التى تتضمن الكثير من العناصر المعمارية المعروفة فى بلاد ايران وتركستان وافغانستان من العصور الاسلامية ـ ولكنها تمتاز ايضا بكثرة استخدام القباب للتسقيف فى اشكال متنوعة.



فى الصورة الاسكندر الاكبر يستقبل الوفود فى مخطوطه ترجع الى عهد السلطان نصرت شاه محفوظة الآن فى المتحف البريطانى



● مسجد مغولى فى وسط مدينة دهاكا عاصمة بنجلاديش - اسس عام ١٢١٢هـ.



● ولا بد من ان نذكر ان كثرة هذه القباب قد يثير عجابا لدارس العمارة الاسلامية البنغالية فأحد المساجد هذه الفترة قد أشتهر باسم (شات غنبد مسجد) او (مسجد ذو ستين قبة) الذى شيده خانجهان فى عصر السلطان ابى المظفر محمود شاه (٨٣٩هـ/ ٨٦٤هـ).

●● ومن الجدير بالملاحظة ان هذه القباب تكون على

الاشكال المتنوعة مثل الاشكال البصلية او المستديرة او المروحية او المدببة او الناقوسية . . كما توجد هناك بعض القباب التى أقيمت على اضلاع - وكثيرا ما نرى أن معمارى هذه الفترة استخدموا القباب الضحلة والصغيرة للتسقيف . . وكذلك يمكن ان يكون السقف عبارة عن قبة واحدة كبيرة أو عدة قباب.

ونلاحظ ايضا ان المسلمين فى البنغال اتجهوا الى استخدام الدعائم لعمائرهم اكثر من الاعمدة خاصة فى حالة توفر الأحجار ولكنهم استخدموا الاعمدة ايضا حينما لم تتوفر الحجارة . . وكان الملوك والحكام والسلاطين يرغبون فى استخدام الاحجار اكثر من المواد الاخرى حتى يخلدوا ذكراهم لمدة طويلة . . ولعدم توفرها فى بعض الاماكن فانهم لم يترددوا فى استخدام الكتل الحجرية المجلوبة من العمائر الهندوكية القديمة : فمتحف ابحاث ورندره بمدينة راجشاهى يحتفظ بمحراب من عصر السلاطين توجد فى خلفيته اشكال كائنات حية تمثل تماثيل هندوكية ولاشك انه جلب من احد المعابد الهندوكية القديمة.

كما نلاحظ أن الواجهات الخارجية فى بعض العمائر الاسلامية بنيت بالاحجار حتى تقاوم الرطوبة فى موسم الامطار.

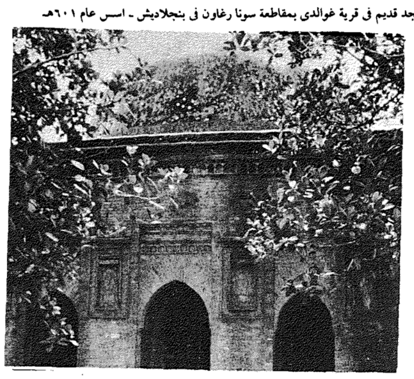
اما واجهتها الداخلية غير المعرضة للامطار الغزيرة فكانت تستخدم لها الاجر - ولا شك ان العمائر الاسلامية فى البنغال تمتاز ايضا باستخدام الآجر والبلاطات الفخارية المزخرفة.

ولما كانت الامطار غزيرة فى هذه البلاد كان هناك اتجاه الى تسقيف العمائر بشكل انحدارى تنساب منه الامطار بسهولة . . وهناك بعض العمائر التى استخدم فيها نوع من السقف الجمالونى الذى يحمل سمات الكوخ حيث يوجد له سقف مسلوب وكذلك له منحدران متعاقبان فى جميع جوانبه - وقد يكون المنحدر السفلى اكثر ميلا من المنحدر العلوى. ولاشك أن البيئة تلعب دورا هاما فى بناء العمائر فى كل بلدان العالم.

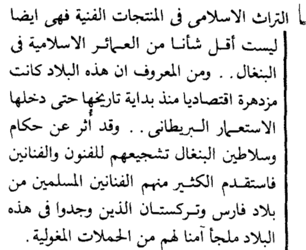
●● واذا قارنّا العمائر الاسلامية فى البنغال مع العمائر الاسلامية فى البلاد الاسلامية الاخرى نجد أنها أقل فخامة وروعة اذ تسودها البساطة - فهى خالية مثلا من الاحجار الكريمة التى نجدها فى العمائر الاسلامية الأخرى سواء فى دلهى واجرا وايران والاندلس وغيرها . . وهى تشترك فى العناصر الأساسية مع العمائر الاسلامية فى سائر البلاد الاسلامية ولكنها فى نفس الوقت تمتاز ببعض المميزات التى نمت تحت تأثير العوامل المحلية فنستطيع ان نميزها بتخطيطها وبزخارفها البديعة.



لوحة تذكارية مؤرخة سنة ٨٧١هـ تزين مدخل احدى المنتزهات فى مدينة غور العاصمة القديمة (محفوظة فى متحف جامعة بنسلفانيا الامريكية)



● مسجد قديم فى قرية غوالدى بمقاطعة سونا رغاون فى بنجلاديش - اسس عام ٦٠١هـ



التراث الاسلامى فى المنتجات الفنية فهى ايضا ليست أقل شأنا من العمائر الاسلامية فى البنغال . . ومن المعروف ان هذه البلاد كانت مزدهرة اقتصاديا منذ بداية تاريخها حتى دخلها الاستعمار البريطانى . . وقد أثر عن حكام وسلاطين البنغال تشجيعهم للفنون والفنانين فاستقدم الكثير منهم الفنانين المسلمين من بلاد فارس وتركستان الذين وجدوا فى هذه البلاد ملجأ آمنا لهم من الحملات المغولية .

نتيجة لذلك : امتزجت العناصر المحلية والعناصر الخارجية فى العمائر والفنون البنغالية . وحيث ان الاسلام قد نهى عن تصوير الكائنات الحية وعدم صنع التماثيل كما جاء فى الاحاديث النبوية الشريفة فان الفنانين المسلمين قد تجنبوا استخدام الكائنات الحية فى زخرفة التحف .

وبالرغم من هذا : فقد وجدت بعض المنمنمات التى تمثل الحياة الاجتماعية . . ومناظر البلاط الملكى . . ومناظر المبارزة فى ميدان الحرب . . . وكذلك بعض المناظر الخيالية القديمة .

●● والمكتبة البريطانية بلندن تحتفظ بمخطوطة ثمينة نرجع الى عهد السلطان نصرت شاه - وهذه المخطوطة الثمينة (اسكندرنامة) التى كتبت باللغة الفارسية تحتوى على قصة عاطفية للاسكندر الاكبر - فهى غنية بالمنمنمات الملونة التى توضح التأثيرات لايرانية . وأغلب الظن ان الرسامين كانوا يفضلون الالوان المائية فنادرا ما وجدت الرسوم الزيتية فى ذلك لعصر .

●● وتقدمت فى البنغال ايضا صناعة المنسوجات فى عصر السلاطين . وقد أشار ابن بطوطة فى رحلته الى المنسوجات البنغالية النفيسة التى كانت تباع الخمس عشرة ذراعا منها بدينارين . وكان يطلق على المنسوجات القطنية الرقيقة فى البنغال اسم (موصولين) او (موسلين) نسبة الى مدينة الموصل التى اشتهرت فى القرون الوسطى بمنتجاتها القطنية باسم (موصولين) .

فلا عجب لو استعيرت هذه التسمية فى البنغال من مكانها الاصلى (الموصل) لسبب وجود التبادل التجارى بين هذين البلدين فى تلك الفترة .

●● اما صناعة السجاد فلم تكن قد وصلت الى درجة كبيرة من الاتقان - فكانت البنغال تستورد سجاجيدها من كشمير وايران ووسط آسيا . . وبرع الفنانون المسلمون فى البنغال ايضا فى المنتجات الخشبية والمعدنية والزجاجية .

ونلاحظ ان الزخرفة النباتية والهندسية تغلب فى زخرفة هذه التحف بدلا من الزخرفة الحيوانية وهذا لأن الفنان المسلم اراد أن يبرز براعته ويظهر عبقريته عن طريق الزخرفة الكتابية والنباتية عوضا عن الزخرفة الحيوانية التى تخالف معتقده .

محاورات في

الأدب والفكر والحياة

«.. ويستمر الحديث بينهما حول العيون.. سحرها.. جمالها.. ما تحمله من معان وأسرار.. ويردد صاحبه ان للعيون سحراً اسطورياً لا يقاوم.. ويتجدد الحديث والحوار بينهما ويقول صاحبه :-»

والله ما أدرى ماذا أقول لك عن سر الاحساس بجمال العيون: أهى غريزة حضارية درجت معنا ودرجنا عليها منذ فجر التاريخ فرسبت فى فكرنا وشعورنا وخيالنا وجرت منا مجرى الدم فى العروق؟.. أم أنه إحساس فطرى بالحياة وهذا ما أميل إليه كما تعلم؟

قلت: أتريد الصراحة ولا شيء سوى الصراحة؟..

قال: أجل.. وإن كنت أخشى من شطحاتك..

قلت: لا تخشى شيئا.. هو إحساس فطرى ذو انطباع حضارى تجسده الأساطير خلقا وفنا وأدبا.. وما كانت الأساطير فى لبابها أوهاماً ومخرقة.. وما كانت الأساطير فى لبابها تخريفاً وتضليلا ولكنها نظام وسلوك وبناء اجتماعى له أركانه وقواعده وطرائقه فى العيش.. وله نظرته السطحية او العلوية.. ولئن كان الشرك بالله واضح التجسيد فى تلك الأساطير إلا أننا فى هذا المقام نأخذ بدلالتها وصفاتها فحسب.

قال: حصافة منك وبلاغة أن تنبه إلى ذلك وتشير حتى لا يحسب من يسمعك أنك من عباد الأساطير..

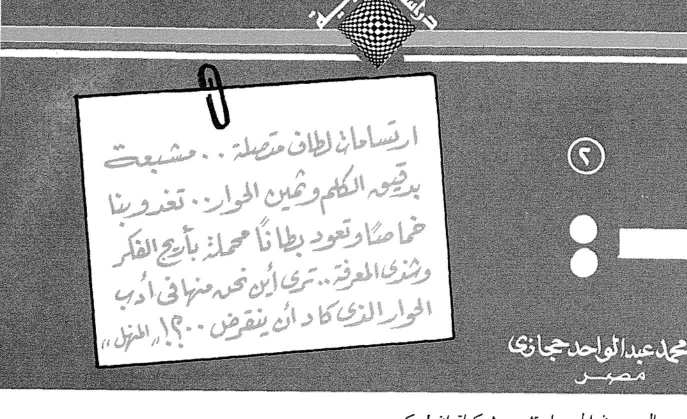
قلت: معاذ الله أن يكون شيء من ذلك!! والله سبحانه هو الواحد الأحد الفرد الصمد..

قال: اذن دعنا نقص الحديث على تلك الصفات التى ذكرتها

قلت: هى مجموعة من الصفات التى يصف بها الذوق العربى العيون الجميلة كتبها المنذر الأكبر الى أنو شروان الفارسى حين بعث إليه بجارية حسناء فقال فى رسالته: «إنى قد وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق نقية اللون والثغر. بيضاء قمراء وطفاء دعجاء حوراء عيناء.. قنواء شماء برجاء زجاء.. أسيلة الخد».

قال: بعد أن ضحك ضحكات عالية متقطعة دمعت منها عيناه.. الآن فقط صدقت انك لم تكن تهزل.

قلت: أبداً، أبدا.. لكن خبرنى بالله - ألا ترى ن



العيون الحوراء تثير مشكلة إن لم يكن مشكلات؟.. أما من ناحيتي فإنه يخيل إلى أنها تثير من المشكلات ما هو شبيه بمشكلات الحدود بين الدول..

قال: أنت تخلق من الحبة قبة وتفترض المصائب كأنك حفي بها..

قلت: في نبرة استنكار ـ أنا؟.. أنت ظالم ـ ظالم لي وظالم لنفسك: هل تستطيع أن تدلني على ماهية العيون الحوراء؟.. الذي أعرفه أن المفسرين اختلفوا فيما بينهم فيما يقصد بالحور.. فأحد مفسري القرآن الكريم قال: إنما سميت العيون حوراء لأن الطرف يحار في حسنهن وبياضهن وصفاء لونهن.. وعلى ذلك يكون الحور هو البياض.

● وقال العجاج الشاعر «بأعين محوّرات حور» وهو ...ي بذلك الأعين النقيات البياض الشديدات سواد ...ق.. أما الأصمعي فإنه أراح نفسه وأراح غيره فقال: ...ادري ما الحور في العين؟

...: أياً ما كانت الاختلافات فإن الحور هو شدة بياض العين في شدة سوادها.. ولا تسألني بعد ذلك عن شدة غرام العرب بالعيون أو العيون السوداء.

قلت: بالعكس يا صديقي العزيز.. أنت بكلامك هذا تغرى بالحوار عن الحور ولذا فإن أول ما أود أن أعرفه أو أقترب من سره وحقيقته هو علة غرام العرب وكلفهم الشديد بالعيون الحوراء أو السوداء أو العسلية وعلة لهجهم بامتداحها والتغني بجمالها وفتنتها؟.. أهي طبيعة من الطبائع التي اختص بها العرب؟.. فهم لا يحبون سوى العيون الحوراء الكحيلة؟.. أم أنها طبيعة من طبائع الشرقيين بعامة؟ لا أدري..

قال: هذه مسألة تتصل في لبابها بالوعي الوجودي للحياة.. فهي ليست سهلة يسيرة تتبع المزاج الذاتي للعاشقين أو المحبين المتيِّمين.. فاللون الأبيض هو تمام الضياء ورونق الصفاء.. واللون الأسود لا يدل على الظلمة والغيهب القاتم الرعيب ولكنه العمق وماله من أبعاد وأغوار.. إنه أشبه ما يكون بالأفق اللانهائي الثرى بعجائبه وأسراره ولذا فإن لهذه السمرة ـ أو السواد من الجاذبية والسحر ما يستهوى الأفئدة فتهتف بجمال الحب لأنها تجد نعيمها في أسرار العين.. بل تجد دنياها ذاتها في تلك الأسرار.. وهنا ترتفع العيون

الحوراء بنفسية المحب فوق شهوات الأبدان وجموح الغرائز. .

قلت : فى تصورك أن العيون الحوراء تجمع بين عنصرى الوجود: النور الذى يتمثل فى اللون الأبيض وهو كما قلت دليل الصفاء والوضوح. . والظلمة الحافلة بالأسرار: أسرار الماضى وأسرار الحاضر وأسرار الغد.

قال : بلغت الصواب. فالعين الحوراء تنطوى على تصوف عجيب - فهى تحببك إلى ما بها من أسرار. وهى فى نفس الآن ترتفع بك تساميا وعلاء فوق واقع الحياة وماله من وهج وأصداء. .
إن التسامى هنا درجة من درجات التصوف يحياه المرء فى معاناة مضنية لها تكاليفها وفروضها التى لا يصبر عليها سوى الصالحين الصادقين ومع ذلك فهى معاناة شائقة ممتعة.

قلت : تفسيرك هذا ليس أقرب تفسير إلى نفسى ولكنه أول تفسير أسمعه. . ومع ذلك فهل سيكون حسان الجنان كلهن من الحور العين. أعنى سحر العيون؟ . . لو أن الأمر سيكون كذلك فربما نفر الأوربيون الذين يعشقون العيون الزرقاء من العيون الحوراء وربما تشككوا فيما إذا كانوا فى الجنة أم أنهم يصلون عذاب الهون بما كانوا يكسبون. .

قال : على أية حال ورغم خبثك وسوء قصدك فإننى أعرف أن العرب كانوا يكرهون العيون الزرقاء ويتشاءمون منها. . وقد يكون ذلك راجعاً إلى صفاء سمائهم بالليل والنهار وكذلك لبعدهم عن البحار.

وربما رجع إلى أن الأعاجم من حولهم كانت عيونهم زرقاء وكان العرب بطبيعة الحال يتوجسون منهم ويتشككون فيهم. . ولقد قال ابن السبكى فى الطبقات : «لم أجد خيراً فى أزرق العينين. . وجاء بشار بن برد فرسم صورة بشعة مخيفة للعيون الزرقاء فقال :

وللبخيل على أمواله علل
زرق العيون عليها أوجه سود

إن بشاراً هنا يصور نفسية البخيل فى حرصها وشحها وكذبها ومقتها لكل مكرمة من مكارم البذل والعطاء. . ولم يجد لتجسيد هذه النفسية خيراً من جعلها فى صورة عيون زرقاء ركبت على وجوه كالحة سوداء. .

وأكثر من ذلك فإن الصوفية فى مقاماتهم ومواجدهم حين أرادوا أن يصفوا الدنيا لم يجدوا أصلح من تمثلها بعجوز شوهاء زرقاء العين عمشاء. .

قلت : أتريد الحق؟

قال : أجل. .

قلت : أنا أشك فى ذلك. . أشك فى كراهية الذوق العربى للعيون الزرقاء فقد قال أحد شعرائهم الأقدمين :

أحبك أن قالوا بعينيك زرقة
كذاك عتاق الطير زرق عيونها

وتلك دلالة على أن الذوق العربى كان يستملح العيون الزرقاء ويستريح إليها.

قال : لا تعجل فشاعرك لم يخرج على الذوق العربى فى نفوره من العيون الزرقاء. . إنه يحس بشدة وطأة التقليد الاجتماعى فهو من ثم لا يمكنه الفكاك منه أو الخروج عليه. . لكن لما كان قلبه قد وقع فى هوى صاحبة العيون الزرقاء فقد التمس ما يعلل به حبه ويبرر عشقه أمام المجتمع - غير أن علته أو حجته تحمل تهافتها فى ذاتها. فالقلوب لا تتعلق بعتاق الطير ولا تأنس إليها إنما تتعلق وتأنس لما يؤنسها ويحبها ويكون قريباً منها وليست العتاق كذلك.

قلت : إذا كانت الزرقة دليلًا على الشر والعداء فما أجدرنا إذن أن نقول: لقد خاف فلان وانقمع حين بانت له العين الزرقاء.

قال : الحكاية فيما أعتقد ليست فى اللون ذاته إنما هو الاحساس النفسى الذى يصاحبه والشعور الدائم

الذى يكون عليه المرء حين يشاهد هذا اللون أو ذاك. . هذا مع وضع التقليد الاجتماعى وما ألفه الناس فى الميزان.

●● فالأوربيون يعشقون العيون الزرقاء ويحسون نحوها بنوع من الاطمئنان والنشوة الصوفية الساجية لأن فيها يجتمع النور والحياة والثقة اللانهائية فى الغد. ولا ريب - وهذا الاحساس النفسى فطرة أصيلة عند الأوربيين - أنه يرجع فى كثير من عناصره إلى طبيعة الحياة التى عاشوها ويعيشونها. . فهم أناس غلب عليهم التطلع الى السماء المكفهرة بغيومها يرتجون إشراقها ويستطلعون صفاءها. . فهم يستبشرون بالزرقة والصفاء ويحملونها ما بنفوسهم من أشجان وآمال. .

قلت: وعلى منهاجك فى التعليل أظن أن غرام الأوربيين بالعيون الزرقاء يرجع إلى أن للبحر بألوانه وأعماقه دوراً بعيد الأثر فى حياتهم فهم يعتمدون عليه فى السعى وراء أرزاقهم وقد أكسبهم ذلك مزية المخاطرة الواثقة من التوفيق. . كما أكسبهم نزعة الانطلاق الدائم الذى لا يدركه التواكل ولا ينحاز إلى سكون عقيم.

قال: وفى الزرقة أسرار وفى الخضرة أسرار. . ولكنها الأسرار التى لا ترهق الفكر وتكد الشعور فتغوص بالانسان فى مجاهل مستسرة لا يدرك كنهها. . إنها أسرار تدركها الروح بينة القسمات محسوبة الحركات فتتملاها فى نشوة واعية فلا تذهل عن وجودها ذهول الاستمتاع المستغرق أو ذهول الحيرة التى تقول فى جهالة: ها هوذا. . ثم لا تدرك شيئا ولا تقع على شىء. . ومصداق ذلك نظرة الشاعر الايطالى بترارك (١٣١٢م) إلى عينى حبيبته فقد قال فيها:

إن من لا يتطلع إلى عينيها اللتين اكتمل فيهما الجمال
إنما يبحث عن الجمال بلا جدوى
وإن من لا يرى هاتين المقلتين النيرتين الزرقاوين
تشعان الضياء
لا يعرف كيف يذعن الحب ويصد

هل رأيت إذن مدى عمق التأثير الذى تخلقه العيون الزرقاء فى النفس والخيال؟. . إنها تخلق إحساساً بالجمال ليرتفع بصاحبه فوق صراعات الأنانية وينزهه عن الحرص المادى الضنين بالتعاطف الانسانى الكريم. .

إن الاحساس بجمال العيون الزرقاء يبرىء من الافتتان الأخرق ويخلق إحساساً بالشوق والتعاطف مع كل إنسان ومع كل شىء. . ونُضار الأمر أن العيون الزرقاء فى الخيال الأوربى تخلق أواصر من التعارف والتآلف بين المحبين فتصير نظراتهم حديث أنس وقرب وحنان. . وتصير أرواحهم فى حوار عاشق لا تفتر حرارته ولا تذوى نضرته.

بهذا الاحساس همس الشاعر الانجليزى «بيرون» إلى حبيبته قائلا:

تَعالَىْ عذراء السماء ذات العيون الزرقاء
أوه! دعى تلك العين الوحشية كعين الغزال
المضيئة فى روعة وجسارة
دعيها تلك العين تأسرنا فى شرودها وترحالها
دعيها إذن تلقى نظرة على هذه الصفحات ولا تجعليها تحرم شعرى من هذه البسمة التى يزفر صدرى تحرقاً إليها لو أننى كنت لك شيئا أكثر من صديق.

قلت: آه ما أجمل العيون. . بل ما أحلى العيون. . لكن أى العيون تحبها أنت؟. . أما عن نفسى أنا فأنا أحب العيون الحوراء. . أنا ضعيف أمامها لا أستطيع أن أقاوم نظراتها فقلبى يستسلم لأشعتها الساحرة التى لا أدرى كيف تنفذ إليه.

قال: **أحب كل ما يحببنى فى الحياة. . أحب من العيون كل ما يخلق فىّ إحساساً جديداً بحب الحياة. . إحساساً يجعل للحياة فى عينى معنى طريفاً. . أحب العيون التى تحيينى فى عيون الناس وتحيى الناس فى عينى. .**

قلت: إلى هذا الحد تعشق العيون؟

قال: **أجل أعشق الحياة والنور. .**

ثم نظرت فى ساعتى وقلت: الثانية صباحا؟ لقد سرقنا الحوار. . هيا يا صاحبى. هيا وإلى أمسية قريبة. . ثم انصرف كل منا إلى بيته مسرعا. .

في المناخ الفكري

الأدب إثراء للفكر

أنــا في شمال الحــبّ قلبٌ خافــقٌ
وعــلى يمــين الحــق طيرٌ شادي
غنيت للشـرق الجـريح وفي يدي
ما في سماء الــشــرق من أمجــاد

هكذا يصور الأخطل الصغير (بشارة الخوري) شاعر العربية الكبير نفسه فله عالم جديد غير عالم الجهات الأربع (الشرق والغرب والشمال والجنوب) موقعه فيه على الجهة اليسرى للحب وعلى يمين الحق فإذا اعتبرنـا (اليمـين ـ جهة الشرق يكون الشمال جهة الغرب) ولا شمال لديه أو جنوب إذ أن لعالمه جهتان فقط. والشعراء نادراً ما يحتفون بالجغرافيا أو يولونها عنايتهم.

أما ما عنـاه بهذين البيتين الرائعين فهو أنه كالقلب يخفق بحب النـاس في جهـة الجسم اليسـرى وأنـه ينتسب الى الحق شأن أصحــاب اليمــين ومـراده القول: أنه يعشق الحب والحق ولا يحيد عنهما ثم لا يلبث أن يعلن عن فرحه بالشرق والشرق هنا (وطنه العـربي الكبير) وهو إذ يعرب عن فرحه بوطنه فإنما يعـرب عن شغفـه واعتزازه به لاشتماله على الأمجاد التي يحق للشرق الطعين (الجريح) أن يفخر بها حتى حدود الكبرياء. ويلاحظ أن الاستعارات والمعاني في هذين البيتين (مجازية) وأن الشاعر كالبلبل الذي يحط على يسار الحب الذي تضطرم به مشاعره فالحب هنا استعارة مكنية مشبه بالانسان ومرموز له بشيء من لوازمـه وهـو (القلب) وكذلك الحق. . والشاعر في صدر البيت قلب خافق بالمحبــة وفي عجـزه (طير شاد). وفي البيت الثاني رجل ماجد تتجسد فيه أمجاد الشرق التي يحسها ويشعر بها ويغني لها برغم ألمه لأن الشرق بات مظلوماً ومعتدى عليه.

إن هذين البيتين الغنيين بالصور البلاغية (الفنية) وبالمعاني السامية المحلقة المعبرين عن أعتزاز الشاعر بمحيطـه العـربي الذي يتعرض (الآن) أي قبل ما يزيد على ربع قرن (حين قال هذين البيتين) ونشرتهما مجلة (الآداب) اللبنـانية في مطالع الستينات ولازال صداهما العـذب يرن في أذني ولا أظنه يغيب عنهما لأنهما جمعا حب الشاعر العربي الأصيل لموطنه ونقلا اعتزازه بهذا الوطن الغني بالأمجاد وهو يتشبث بهذا الحق لأنه يعتبره الحق الذي لا تهاون فيه ولا تنازل عنه. كيف لا. . وقد ظلم هذا الوطن على يد أعوانه وجرحت كبرياؤه.

وليس ترفاً

.. في تقييمي لهذين البيتين الملحميين أقول بأنهما ..يين بالأفكار غنيين بالقيم وأنهما كالجواهر النفيسة أو الماس النادر الثمين الذي يمتلكه الندرة من بني بشر لذلك لا عجب أن تحمل إليه (إمارة الشعر) ..د شوقي حيث نالها بجدارة واقتدار.

بيد أن ما يعنيني هنا ليس الأخطل الصغير بقدر ..ا تعنيني الصورة الشعرية (الزاهية) التي بلغت حد ..ثراء أي (الغنى) و(الثروة) في هذين البيتين ..لخالدين.

..ذلك بحثت في قاموس (لسان العرب المحيط ـ لابن ..نظور) إعداد وتصنيف يوسف خياط الذي أعاد بناءه ..على الحرف الأول من الكلمة وتقديم العلامة عبد الله العلايلي عن معنى الثروة والثراء فوجدت أن من معاني الثروة: كثرة العدد من المال والناس، وليلة ..لتقى النجمان (القمر والثريا) ومن معاني الثراء:



المال الكثير وعليه يكون الاثراء الزيادة أو التكثير. ووجدت قول حاتم الطائي:

وقد علم الأقوامُ لو أنَّ حاتماً
أراد ثراء المال كان له وَفْرُ

وعن معنى الترف رجعت إلى (المنجد في اللغة والأدب والعلوم) للأب لويس معلوف فوجدت ما يلي:

تَرِفَ ترفا وتترَّفَ: تنعم فهو تَرِفٌ وتَرِيفٌ. تَرَّفَهُ وأتْرَفَهُ المال: أبطره وأفسده أترفَ الرَجلِ: أصر على البغي. إستترف: بغى. المُتْرَف والمُترَّف: الجبار المتنعم.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار ما تعنيه (رسالة الأديب) من حيث كونها رسالة سامية ذات عطاء فكري ومضمون (ايديولوجي) محدد تبين لنا مداها الواسع الشاسع وتأثيرها غير المحدود وعرفنا كيف تكتسب خطورتها في عالم الفكر والابداع الأدبي. إذ ليس أدل على ذلك من رفضها الانسياق في جدلية العبث الديالكتيكي فهي غنية في مضامينها العلمية وأطرها البيانية ومؤشراتها المعبرة عن روح المجتمع وتصوراته الحقيقية

القائمة على النزوع إلى تحقيق آمال الناس وتطلعاتهم واحترامهم للاشراقات المعبرة عن أحاسيسهم وتصوراتهم لمختلف القضايا الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية التى تؤثر تأثيراً بالغاً فى حياتهم فى كل حين.

لذلك كان من المعقول (الواقعى) والصواب أن يرفض الأديب الخطأ الناجم عن مخالفة المفاهيم النظيفة فى مسيرة الحياة العقلية للأمة بمجابهة صلبة للمروجين للفكر (الغريب المستورد) المخالف للاتجاه نحو الصحيح من المعتقدات والأفكار الصاعدة نحو السمو المثالية فى معترك الواقع. مما كان له الأثر الكبير فى إسقاط العديد من تيارات الفكر المعادى لأمتنا وإن تجليب بجلباب الوطن أو تزيا بزيه فالنتيجة انه سيبقى مرذولا غريبا منفيا بعيداً عن مسارب الفكر الأصيل فاقداً التأثير إلا على قلة قليلة ممن تبهرهم أضواء الفكر الغريب فينقادوا له دون تبصر بمواقع أقدامهم.

إذ الأصل فى الفكر أنه يعنى الأدب بشقيه **(الشعرى والنثرى)** وما يتبع ذلك من أغراض عديدة وقوالب للتجارب الأدبية المختلفة وكذلك الفن والالتزام المعرفى بكل أبعاده ونسيجه العقلى والمنطقى والفلسفى والتراثى واللغوى.. والأدب يقود إلى عالم الأديب الذى هو صاحب الرسالة التى ألمعت إليها قبل أن أذكره.. والفن صورة للأدب لا تكاد تحيد عن مضمونه إلا فى اختلاف سبل التعبير والنهج الذى تسلكه لاعطاء انعكاسات موحية مؤثرة Super Reflections مما ينقلنا من نقطة الاستجابة العفوية إلى دائرة التحدى المسؤول ويجعلنا قادرين على إنتاج فن خاص بنا نرسم نحن أبعاده ونعرف مزاياه ونخرجه إلى الدنيا بالثوب الجميل المتألق فنكسبه نظرة إختراقية للأشياء تقصر عنها الفنون الأخرى وتتهادى دونها الفنون المبتذلة وذلك بعد أن نضفى على فننا مسحته الابداعية الشفافة.

وهذا ما لم تدركه الفنون التى تجعل من (الجنس والانحراف) هدفاً لها فتسقط فى حبائل الشيطان بعد أن تتعرى مضامينها المتهافتة أمام مجتمعنا المتسامى الذى ينظر إليها بازدراء واحتقار.

اما عن الالتزام المعرفى فالمعرفة فى أصلها التزام جاد بأهداف سامية نبيلة وهى ليست عبثاً ولا ملهاة لأحد بقدر ما تتبنى مفهوم النهوض الاجتماعى وتسلك دربه إلى أن تبلغ غايتها الفضلى. إذ لا حياة بلا غاية ولا سبيل بغير معرفة يقينية توصل إلى الهدف.. ولا دارية لغير مقصود معروف محدد. ولا تبعية إلا لما كان واضحاً بيناً ساميا.



إذا كان الاثراء (نسبيا) يحبذ الخط الواقعي الواضح التصور بينما يسير الترف مع الخروج عن المألوف فهو كثار غير معقول للأشياء مفسد لأمزجة العامة بما يوفر لهم من زيادة وتزويق في الأدب يقودهم إلى البغي وبالتالي إلى ظلم أنفسهم وفساد الأدب وضياع الفكر المستقيم النافع ضياعاً غير محمود العاقبة.

لذلك كان الترف مستهجناً وغير مستحب بينما كان إثراء الفكر مفيداً في:

(١) المضامين والقيم الاجتماعية والمفاهيم القيادية والتوجيهية للناس والأشياء.

(٢) حفز روح التقدم ومشاعر التطلع إلى الأحسن.

(٣) نمو التراث الشعري والنثري والملاحم البطولية.

(٤) تسجيل تاريخ الأمة ونضالها عبر القرون.

(٥) رسم صورتها المثالية التي ينبغي أن تكون عليها أو تصل إليها في المستقبل القريب (المنظور) والبعيد.

(٦) بيان متناقضات الحياة ومعالجتها بشتى السبل التي تعود على المجتمع بالخير العميم.

(٧) الابتعاد عن الاسراف المشين للوصول الى أفضلية لا تحيد عن منطق العدالة التي تعلو على الصغائر وتتوسط روح الأشياء فتكون ذات ميكانيكية إصلاحية راشدة فاعلة.

وإذا كان من معاني الوسطية في القرآن الكريم **(الأفضلية والعلو والعدالة)** فقد جاء في الصفحة الحادية والعشرين من كتاب الأستاذ ابراهيم العجلوني **(في الفكر القومي - مشروعنا الحضاري وسقوط الليبرالية)** الصادر عن وزارة الثقافة والشباب الأردنية - دائرة الثقافة والفنون حول هذا المفهوم القرآني الجليل نصه ما يلي:

«ففي سورة البقرة الآية ١٤٣ نقرأ قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**﴾. والامة الوسط - كما هو في كشاف الزمخشري وغيره - هي الأمة الخيرة العادلة لأن وسطاً تعني خياراً وعدولاً.

وفي سورة القلم الآية ٢٨ يقول تعالى: ﴿**قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون**﴾، وأوسطهم هنا بمعنى خيرهم وأعدلهم.

وفي سورة البقرة أيضا الآية ٢٣٨ قوله تعالى: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾، والوسطى هنا بمعنى الفضلى بين الصلوات.

وفي سورة العاديات في الآيتين ٥، ٦ قوله تعالى: ﴿**فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعا**﴾، أي علون بالغبار جمع القوم.

وفي سورة المائدة الآية ٨٩ يقول تعالى: ﴿**فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون به أهليكم**﴾ أي من أفضل ما تطعمون به أهليكم» إنتهى الاقتباس.

ولما كان الاسراف الذي من أسبابه الترف منهيا عنه في القرآن الكريم (في الآية ١٤١) من سورة الأنعام وفي (الآية ٣١) من سورة الأعراف بها لفظه في الآيتين الكريمتين: ﴿... **ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾.

يكون الوسط أي (العدل) الذي به بلوغ الغاية والمقصد في مسيرة الأمة نحو الظفر لا سيما إذا كانت الأفضلية والعلو له أيضاً. وهو ما ينهد له الأديب وهو يحاول إثراء الفكر وزيادة ما يطعمه به (على سبيل الزينة المعقولة) من مفردات وأفكار تجعله في موضع الصدارة بين الآداب الأخرى. كما هو حال أدبنا العربي الذي زاده القرآن الكريم تحسيناً باللغة العربية الشريفة التي هي ثقاف الألسنة ومهوى الأفئدة وموضع الرجاء.

لا عجب ـ فى نطاق هذا المفهوم القرآنى الجليل ـ أن يكون إثراء الأدب والفكر للنهوض به جميلاً ومقبولاً. بينما يكـون الترف الفكرى غير مرغوب فيه لأنه لا يحقق حد الاعتدال والمنطق والسلام المبنى على العدل، ولا الأسس السليمة للنهضة الثقافية المستمرة التى تضمن للأدب والفكر العلو والأفضلية بل يصل إلى حد الزيادة التى تقود إلى (التنعم) الـذى هو فوق حد الاكتمال مما يؤدى إلى (البطر والفسـاد والبغى). وهنا ينزل الفكر إلى مرحلة الانحدار الشديد كما هو الحال فى عصور الزينة والزخارف اللفظيـة من سجـع وتغـريد وجناس وطباق دون تحقيق المـراد. فالنص حليـة بديعيـة ورصف بالمحسنـات بلا مضمون فكرى صحيح. لذلك لا نفع للأمة أو مصلحة تتـوخاها من هذا الكلام الفارغ الذى يؤدى إلى دروب السفسطـة والتعقيد فى غير طائل على قاعدة (لا ينقص البدر إلا حين يكتمل).

وأى كمال فى الانحراف عن جادة الصواب..؟ بل أى نقص هذا الذى يهز فكر الأمة ويحوله إلى سلسلة من حلقات الزينة وفى ذات الوقت يفرغه من أى محتوى يعود عليها بالخير والنفع والفائدة.

والاسلام يرفض المبـالغـة فى التحسين على حساب الغـرض المقصــود. لذلـك كانت آيـات (القرآن الكريم) بينات تيسر ولا تعسر وكان الدين الحنيف مؤديـاً رسـالـة السـماء على أكمـل وجه بل كان فى مفاهيمه ثروة كبرى للناس ولكنه لم يكن (ترفاً) فى يوم من الأيام كما هو حال بعض المتأدبين اليوم من أتباع المـدارس السـيريـاليـة والتجـريـدية والرمزية ذوات المتاهات التى ليس لها أول ولا آخر لأنها لا تفضى إلى شيىء غير التعقيد والبعد عن الموضوعية وتجنح إلى السراب الخداع فى كل ما تصور أو ترسم أو تكتب.

فسبحانك ربى ما اعظم شأنك، وأجمل صنعك فلك الحمـد على ما أنعمت ولـك الشكر على ما أبدعت جلت قدرتك يارب العالمين.




العدد السادس عشر
جمادى الأولى ١٤٠٧هـ
فلسطينا





فدائى يعذب فى سجون الأرض المحتلة

أحمد عبد الهادى

«إن ما تقوم به اسرائيل من انتهاكات متواصلة واجراءات قمعية ضد المواطنين الفلسطينيين الذين يعيشون تحت يد الارهاب اليهودى قد فاق كل تصور مما يعد خرقاً وانتهاكاً لكل النظم الدولية . . وكل عرف إنسانى» .

ياسر عرفات

أنا قد سُجِنتُ أجَلْ وأر
ضِى كلُّها حولى سجينهْ
ترجو من الله الخلا
صَ وترفضُ القدَمَ اللعينة
فإذا خَطَتْ من فوقها
حُرِمَ الأنام من السكينه
ياكلَّ أقطابِ السلا
مةِ أين ربَّانُ السفينه؟
أين الذى هو مرسلٌ
كى ينقذَ الأرضَ الحزينه
الليلُ داجٍ حالكٌ
والثأر لم يكبح أنينَه

وأنا هنا خلف السيا
ج وتحت أنقاض المدينه
قد كُبِّلَتْ كلتَا يد
ىَّ وإذْ بدمعاتٍ سخينه
قد بلَّلتْ جفنى الأبىَّ
كما بكى ليثٌ عرينه
أنا مِنْ بنى الشعب الذي
أبلَى ولم يخفضْ جبينه
مازال يدعو للجها
د ليمحو البقع المشينه
مازال يرفع صوته
كى تسمع الدنيا رنينه



لن أنسى بلادي

شعر يوسف حمدان

أُحبُّ بلادِي وإلى الأبَد
لو أخذوها واحتلُّوها
لو طردونى لو سجنونى
لن أنساها لن ينساها
بعدى ولدى
مثل النَّسْر أنا فى القمةْ
مثل النجمَةْ
علمى عالٍ فوق الغيمةْ
عربيٍ عربي وفلسطينى
سأخبِّئُهَا تحت جفوني
لو قتلونى لو شنقونى
لن أنساها لن ينساها
بعدى ولدي

زال يبرز للورى
أحقادَ «صهيونَ» الدفينه
تقاد من طمس الهدى
وغدا سلاح الرعب دينه
* * *

يا كلَّ أقطاب.. الهدا
ية والدساتير المبينه
أين الهدايةُ والحقو
ق وأين بُلدانى الأمينه؟
هل قد مضى حقى المبين
فأطبق الباغى جفونه
وأتى يعيث بأرضنا
وتبارك الدنيا مجونه
أفيرتضى الأحرار هدًا
م المبادىء فى رعونه؟
أفترتضى كل الشعو
ب بلاد آبائى مهينه
* * *
يا أيها الباغى يدا
كِ بما جنتْ فينا رهينه
فغداً أفلُّ سلاسلى
وأدُكُّ قلعتك الحصينه
وأقول: يا شهداءنا
سأقدِّمُ الروح الثمينه
مهما أكابد من أذى
أو ينصب الباغى كمينه
سأمرُّ فى درب قضَى
فيه الشهيدُ أجِلُّ طينه
وأعاهدُ الوطنَ الذى
قد أشربَتْ روحى معينه
انى سأمضى للوغى
لأعيد للماضى سنينه
فإذا قضيتُ فإنما
أنا واحد نفسى مدينه
للعُرب والأرضِ التى
شُجَّتْ بأسياف الضغينه
مهلا فلسطين الهُدى
فسيطفىء الصادى حنينه

عروبة القدس

عبد العزيز عبد الرحمن

من المؤكد ان القضية الفلسطينية هى قضية أرض ووجود مصير . . وهى القضية المصيرية الأولى بالنسبة للأمة العربية والاسلامية . . ولها الاولوية المطلقة فى حشد الطاقات . . وتجنيد الامكانات . . وبذل المال والروح والدم رخيصا من اجل استعادة الوطن السليب . . والحق المغتصب والأرض المحتلة واسترجاع القدس الشريف والمقدسات الاسلامية فى فلسطين وعودة الشعب اللاجىء الى وطنه ودياره .

والتعامل مع الخطر اليهودى المتجسد فى اسرائيل لا يمكن ان يكون مجديا وفعالا ومؤثرا الا اذا كان هذا التعامل من منطلق جديد . . وعلى اساس جديد . . وليس عبثا ان تنطلق انتفاضة الشعب الفلسطينى اليوم من المسجد الأقصى المبارك . . اولى القبلتين . . وثالث الحرمين الشريفين . . ومسرى محمد ﴿ﷺ﴾ . . وان تدور حول محوره . . فى اقدام الشباب الفلسطينى لتحرير مدينة القدس . . والمسجد الاقصى . . ومواصلة التصدى لرصاص الجيش الاسرائيلى . . والارهاب الصهيونى . . والعدوان الشرس . . على الرغم من حرص الاحتلال الاسرائيلى طوال السنوات الماضية على محاولة عزل الشباب الفلسطينى عن قضية القدس العربية بصفة خاصة .

والمدهش والغريب ان اسرائيل تغلف منطقها فى قضية القدس بالتاريخ والتوراة للتدليل على ان القدس يهودية منذ القدم . . وهذا هو الاسلوب الذى يتصرف به زعماء الكيان الصهيونى البغيض ويفعلونه فى ممارساتهم العملية لاضفاء الطابع الدينى والتاريخى على قضية سياسية . واذا فاتهم ان يفهموا القانون فانهم يحاولون تزييف حقائق التاريخ . . فالحقائق التاريخية والدينية تجمع على ان القدس عربية قبل دخول المسلمين لها سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م ـ لأن سكان القدس كانوا جميعا عربا من الموجات الارامية والكنعانية والعمورية وغيرها من الشعوب والقبائل التى سبقت الاسلام .

ومن الحقائق التاريخية الثابتة والمؤكدة لعروبة القدس . . ان العرب انشأوا مدينة القدس لاول مرة فى التاريخ منذ نحو اربعة الاف سنة قبل الميلاد . . واعتبروها مقدسة منذ نحو ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد . . ثم غزا اليهود مدينة القدس سنة الف قبل الميلاد واسسوا فيها مملكة داود وسليمان . . ولم يحكموا حكما موحدا الا مدة سبعين سنة . . ثم تفككت المملكة اليهودية وتجزأت وانهارت اركانها وتوزع اليهود بعد ذلك فى الدول المختلفة على شكل جماعات صغيرة ـ فى الوقت الذى ظل فيه سواد الشعب والحكام فى مدينة القدس من العرب الكنعانيين .

قدس تاريخ ومصير

الحقائق التاريخية على عروبة القدس. . ان تسمية القـدس تسميـة عربية وقديمة تعنى الطهارة. . وبيت المقـدس هو البيت المطهر. . ولقد اسماها العـرب ايضـا «**دار السلام. . وقرية السلام. . ومدينة السلام**» وهى ترجمة لاسمها القديم: أور سالم، لأن كلمة أور تعنى قاعدة. . أو مدينة. . فأسماء القدس كلها عربية الأصول والجذور. . يبوسيـة أو كنعـانيـة وقـدسيتهـا فى نظـر العرب المسلمين منذ اكثر من ألف وأربعمائة سنة لوجود المسجد الاقصى المبارك. . ومسجد الصخرة. . وخمسة وثلاثين مسجدا أثريا.

● والتوراة فى سفر القضاة تصف علاقة اليهود بالقدس نحو سنة الف ومائة وخمسين قبل الميلاد. . حيث اقترح غلام اسرائيلى على سيده الاسرائيلى ايضا ـ وقد ادركهما الليل ونشر الظلام استاره ـ ان يعرجا على القدس ليبيتا فيها ويقضيا فى رحابها الآمن بقية الليل ـ فقال له سيده الاسرائيلى بالحرف الواحد: لا تمل الى مدينة غريبة لا احد فيها من بنى اسرائيل. وتشير التوراة فى سفر القضاة ايضا الى مقاومة اهل القدس العرب لغزو اليهود لها.

ويؤكد التاريخ المسيحى انه فى سنة سبعين ميلادية قتل القـائـد الـرومانى تيطس معظم مَنْ كان فى القدس من اليهود. . واستباح اموالهم واستولى على املاكهم. . ودمر هيكلهم وقضى على كل أثر لهم. . ودخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القدس سنة ستمائة وثمانية وثلاثين ميلادية وكان اليهود فيها جالية صغيرة جدا وظل العرب فى البلاد حتى التاريخ المعاصر.

وكان عدد اليهود فى القدس فى النصف الثانى من القرن السابع عشر مائة وخمسين شخصا فقط. . وفى اوائل القرن الثـانى عشـر سنة الف ومائة وسبعين ميلادية لم يكن فى القـدس الا عائلة يهوديـة واحـدة. . امـا فى سنـة الف وتسعمائة واربعين فقد ازداد عدد اليهود الى نصف سكان مدينة القدس بسبب الهجرة الناتجة عن تطبيق سياسة وعد بلفور الاستعمارية الجائرة.



ان عروبة القدس من الحقائق والمسلمات التى تتجاوز ذلك الحيز الجغرافى للأمة الاسلامية وتتعداها الى آفاق الارض المسكونة . . وايضا ان عروبة القدس معروفة قبل الرسالة الاسلامية ويسبقها بقرون عديدة تلازم كبر المراحل التى ظهر فيها العرب عرقا بين الاعراق البشرية ـ الدارسون والباقون جميعا ـ وشأن عروبة القدس بين المسلمات التاريخية هو شأن المسلّمات الرياضية الاساسية التى لا تحتاج الى تأكيد او اثبات . . وليس هناك حاجة بأحد الى مجادلة تطول او تقصر حول هوية القدس كمدينة عربية اصيلة منذ فجر التاريخ البعيد السحيق الا بقدر الحاجة الى اقامة الدليل على ان اسرائيل النبى كان عبرانيا مختارا من بين العبرانيين .

ومثلما عُرفت فلسطين كلها فى التاريخ القديم باسم بلاد كنعَان ـ نسبة الى الكنعانيين من شعوب العرب المعروفة، فان القدس ذاتها قد عرفت ايضا قديما باسم يبوس ـ نسبة الى سكانها اليبوسيين من بطون العرب الأولية . . الامر الذى يؤكد قدم الهوية العربية لمدينة القدس ـ التى أخذت لنفسها اسم الشعب العربى الذى يسكنها منذ فجر عهدها بالوجود . . وهو (يبوس) كما اخذت الارض الممتدة فى كل اتجاه حولها وهى فلسطين كلها . . اخذت لنفسها اسم شعب عربى آخر . . وهو كنعان .

وعند هذا الحد من الحقائق التاريخية لا يحق لأحد ان يمضى بها عابراً دون ان يتأمل بالبصيرة عمق الدلائل المؤكدة لها . . ودون ان يستعيد بالتصور جنبات القدس فى تلك الحقب البعيدة من التاريخ . . وهى ترن دوما . . وتصرخ حينا . . وتدوى احيانا اخرى بلسان العروبة وحدها ولهجاتها العربية المعروفة .

واذا كانت القدس قد بقيت مدة سبعين سنة . . قبل الميلاد بألف عام . . تحت سيطرة ملوك من بنى اسرائيل . . فان هذه الفترة القصيرة لا يمكن الاعتداد بها . . فى عرف قديم او قاعدة اصولية حديثة للتقليل من شأن هويتها العربية الاصيلة عبر التاريخ ـ وذلك لقصر المدة التى سيطر فيها هؤلاء الملوك على تلك المدينة العربية العريقة . . وزوال كل أثر لهم فيها بعد ذلك على يد غزاة آخرين أشد واقوى .

وقد شهدت القدس احداثا اخرى على مر الايام نكبت خلالها بمراحل ضياع واغتراب على يد غزاة غاصبين لكنها استعادت فى نهاية المطاف والى الأبد هوية العروبة وخصائصها وملامحها . . فعادت مرة اخرى سيرتها الاولى على يد العرب المسلمين فى عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والقائد المظفر صلاح الدين . . وظلت منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم . . وعلى امتداد ما يزيد عن الف واربعمائة عام قريرة فى احضان العروبة مثلما كانت منذ اول عهدها بالحياة قبل مئات من القرون الماضية .



فالقدس عاصمة الاديان والايمان والسلام . . مدينة عربية منذ فجر التاريخ وقبل ان يحتلها داود بأكثر من ألفى سنة . . وعروبة القدس على هذا النحو ليست مجرد واقع تاريخى فحسب ولكنها ترقى الى مفهوم الحتمية التاريخية بل انها تتخطى القدر التاريخى مما يؤكد عروبة القدس ارضا وشعبا . . قدرا وتاريخا وجودا ومصيرا .



من أيام العرب في فلسطين

يوم موسم النبى موسى سنة ١٩٢٠م

محمد حسن شراب

أيام العرب: هى وقائعها ومعاركها التى خاضتها.
يقال: هو عالم بأيام العرب: يريد بوقائعها. وانما خصوا الأيام دون ذكر الليالى فى الحروب لأن حروبهم كانت نهاراً - فاليوم: مقداره عندهم: من طلوع الشمس إلى غروبها وقد يجمع بين الليل والنهار. والمعركة وإن طالت أياما إلا أن النصر أو الهزيمة يتحققان فى أحد أيام المعركة.

وأيام العرب: قد تكون فيما بينهم.. وقد تكون بين العرب وغيرهم من الأجناس. بل قد تكون بين أبناء العم فى القبيلة الواحدة. والدهر يومان: يوم لك ويوم عليك: وكلاهما «لك» بمعنى أن الخير والشر فيها يعود اليك فما كان فيه من النصر «فهو لك» لأنه يزيدك قوة ومتعة.. ويدخل هيبتك فى قلوب عدوك. وما كان من الهزيمة (فهو لك) لأن العظماء لا تأخذ الهزيمة من عزائمهم بل يتخذون من أسباب الفشل طريقا الى نصر أكبر. وقد قال شاعر العرب:

لا يفرحون إذا نالت رماحهم
قوما وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
لا يقع الطعن إلا فى نحورهم
وما لهم عن حياض الموت تهليل

وأيام العرب فى فلسطين كثيرة: منذ فتحها العرب المسلمون.. وما سجل التاريخ القديم منها كان محل اعتزاز كل قارىء للتاريخ ولكننى لن أحدث (قراء المنهل) عما عرفوه من الوقائع مثل «حطين» و«عين جالوت» وانما أحدثهم عن أيام العرب فى فلسطين فى العصر الحديث منذ ابتلى الفلسطينيون العرب.. بل ابتلى العرب جميعاً بالغزو الاستعمارى حيث تعتبر أيام العرب فى فلسطين مصدراً خصيبا من مصادر التاريخ.. وينبوعاً صافيا من ينابيع الجهاد.. ونوعاً شريفاً من انواع القصص التربوى الذى يجب أن يقصه الآباء على الأبناء - بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث.. وما أريق فى اثنائها من زكى

الدماء. ولو نظرت الى التاريخ العربى الحديث فى جملته وتفصيله.. وما كان فيه من مفاخر أو مهازل.. وما تضمن من فخر وحماسة ورثاء وهجاء.. فإنك تجده قد ارتبط بهذه الأحداث ارتباطا تاما.. فالمعرفة الحقيقية لتاريخ العرب الحديث اذن مرتبطة بمعرفة تاريخ فلسطين.

● لقد بدأت أيام العرب فى فلسطين منذ وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها واستقر الغادرون فى فلسطين - ولكنها كانت لها مقدمات منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادى منذ وضع الصهيونيون يدهم فى يد الأوروبيين ليسهلوا لهم مهمة الاستقرار فى فلسطين - ولكن الخلافة العثمانية (التى ظلمها العرب) كانت الصخرة القوية التى تقف حاجزا أمام آمالهم. ولكن محاولاتهم لم تنقطع وذلك عن طريق السماسرة والمرتشين حيث لاحت لهم الفرصة أيام الحرب العالمية الأولى عندما أعطاهم «بلفور» وعده وجعلت بريطانيا من أهم واجباتها فى فلسطين تهيئة الأسباب لتحقيق ما وعدت به اليهود - كما أصرت فى أعقاب انتصار الحلفاء أن تكون فلسطين من حصتها فى الانتداب على البلاد العربية التى انفصلت عن تركية من أجل الغرض نفسه.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى التى اسهم العرب فيها بالقتال الى جانب الحلفاء كان العرب ينتظرون أن يفى الحلفاء بوعودهم باستقلال الأقاليم العربية التى كانت تابعة للامبراطورية العثمانية وتوحيدها - غير أن الحلفاء نكثوا بوعودهم فاقتسموا هذه الأقاليم فيما بينهم وأخضعوها لاستعمارهم باسم نظام الانتداب.. وباشرت بريطانيا التى انتدبت على فلسطين بتحقيق وعد بلفور بفتح باب هجرة الصهيونيين الى فلسطين - فأخذ هؤلاء يتدفقون اليها.. وهنا أدرك العرب فى فلسطين خطورة ما بيت لهم الاستعمار البريطانى والصهيونية فكانت ثورة ١٩٢٠ أو يوم «موسم النبى موسى» أول تحرك شعبى عام للتعبير عن شعورهم بخيبة آمالهم وإحباط مطالبهم.

وكان هناك اكثر من مصدر للسخط الشعبى المتزايد فى أوساط الشعب العربى الفلسطينى منها: **اللجنة الصهيونية التى وافق الحلفاء على تشكيلها برئاسة حاييم وايزمن عام ١٩١٨م لتتعاون مع حكومة الانتداب البريطانى فى تطبيق وعد بلفور**.. وقد اخذت هذه اللجنة تدلى بالكثير من التصريحات التى كشفت أطماع الحركة الصهيونية ومحاباة سلطات الاحتلال للصهيونيين على حساب السكان العرب فى مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية فقد قررت السلطات جعل اللغة العبرية لغة رسمية فى فلسطين.

ومن اسباب الثورة: وضع الفلاح العربى الذى ناء تحت وطأة الضرائب المتراكمة عليه منذ أواخر العهد العثمانى ونهاية الحرب العالمية الأولى وأصرت سلطات الاحتلال على جمعها بكاملها.

ومنها ان مثقفى عرب فلسطين قد تزايد سخطهم بسبب تقلد المستعمرين والصهاينة الوظائف العليا فى البلاد وحصر العرب فى الوظائف الصغرى - بالاضافة الى معارضتهم سياسة الاحتلال التعليمية الرامية الى تقليص عدد المتعلمين العرب الى ما يكفى لمد السلطات بالموظفين لادارة البلاد.

وقد سبق يوم موسم النبى موسى انتشار المظاهرات فى معظم انحاء فلسطين مما دفع الادارة البريطانية الى اصدار امر بمنع المظاهرات - ومع ذلك فقد أخذت بعض مظاهر العنف ضد الاستيطان الصهيونى تبرز فى الجانب العربى.. ومن أمثلة ذلك: هجوم جماعات وطنية فى شهر آذار سنة ١٩٢٠م على مستعمرتين فى منطقة الحولة أسفر عن مقتل سبعة من اليهود.. ومن أمثلة ذلك أيضا

الهجومان اللذان قامت بهما قبائل عربية عبر نهر الأردن وحاصرت فيهما مستعمرات صهيونية محاطة بأسلاك شائكة. . كما هوجمت الحاميات البريطانية فى «سمخ» وبيسان وعطلت المواصلات البرقية والهاتفية مما دفع القيادة العسكرية البريطانية الى ارسال نجدات والى قصف المهاجين بالطائرات.

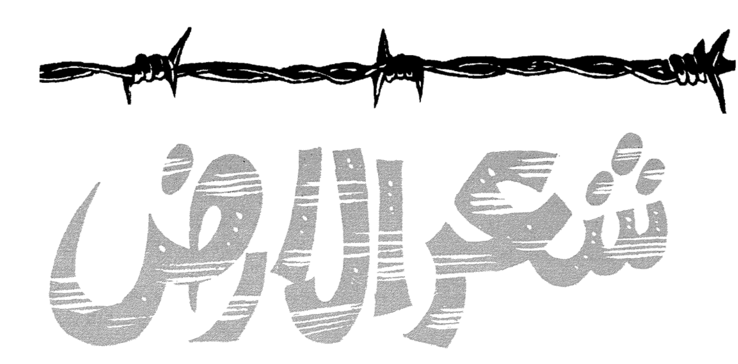
وهكذا توفرت العوامل الكافية للثورة وكان موعد احتفال المسلمين بموسم النبى موسى مناسبة لذلك. . وموسم النبى موسى من المناسبات التى قيل ان صلاح الدين قد ابتكرها بهدف تجميع الناس واستغلال هذا التجمع للتحريض على مقاومة الصليبيين. ويبعد موقع الاحتفال نحو ثلاثين كيلا الى الشرق من القدس على طريق القدس أريحا. وتبدأ الاحتفالات بتجمع سكان مدن وقرى فلسطين فى مدينة القدس حيث يفدون اليها شاهرين سيوفهم



ورماحهم. . رافعين راياتهم. . منشدين الأناشيد الدينية والوطنية. . ويلتقى الجميع فى المسجد الأقصى ثم يتجهون بعد ذلك الى مكان الاحتفال.

●● وفى يوم ١٩٢٠/٤/٤م وقع صدام حين منعت الشرطة أهل الخليل من دخول القدس للاشتراك فى الاحتفال وكان أهل القدس ومعهم ابناء نابلس قد خرجوا لاستقبالهم واشترك فى الاحتفال ابناء الطوائف المسيحية حسب العادة المتبعة. . وارتفعت من الجموع المحتشدة هتافات وطنية تطالب بالوحدة العربية والاستقلال وتنادى بالأمير فيصل ملكا على سورية وفلسطين وتعلن رفضها الوطن القومى اليهودى والهجرة الصهيونية. . واقتحم ابناء الخليل (باب الخليل) فى القدس عنوة واتجهت الجموع حاملة العلم الى الساحة امام باب الخليل. . ووقف الخطباء على شرفة النادى العربى ـ وتكلم الحاج أمين الحسينى وعارف العارف. . وكانت الكلمات حماسية ألهبت حماس الناس. . . وفى اثناء ذلك اندس صهيونى بين الجماهير وحاول خطف العلم وتمزيقه فانقض عليه بعض الرجال وقتلوه ـ فجاء صهيونى آخر وحاول اختطاف العلم فأهوى عليه احد الرجال بسيفه وقتله.

●● وعلى إثر ذلك اجتمع الشباب اليهود والجنود الانكليز وهاجموا العرب المحتفلين بموسم النبى موسى فنشبت بين الفريقين معركة حامية سقط فيها تسعة قتلى وحوالى مائة جريح من الطرفين. . وفجرت هذه المعركة الصراع ضد الاستعمار والصهيونية فاستمر القتال فى القدس مدة خمسة أيام وانتهى يوم ١٩٢٠/٤/٨م بقيام القوات البريطانية بمحاصرة المدينة المقدسة. . وعلى اثر ذلك أعلنت الاحكام العرفية. . وحظر التجول. . وتعطيل الصحف. . وكانت هذه الثورة فى أسبابها وأهدافها اللبنة الأولى للثورات التى نشبت فيها بعد فى فلسطين



لم تعرف الآداب العالمية والعربية أدباً حمل معانى الحنين والتشرد والتمزق والتشبث بالأرض والثبات والمقاومة والتفاؤل الثورى مثل أدب أبناء فلسطين.

وقد حملت القوافى والحروف فيما حملت اللهب الى النفوس لاثارة النخوة والحمية.. وظهر شعراء ومازال يظهر منهم من كان له أثر كبير فى الوطن العربى بأجمعه ومنهم من كان أثره فى مجتمع فلسطين.. وكان الشعر القومى هو السائر على كل شفة ولسان.

● نذكر من شعراء فلسطين على سبيل المثال لا الحصر الشاعر الفلسطينى البارز **ابراهيم طوقان** (١٩٠٥-١٩٤١) الذى دوى صوته الشعرى من اذاعة القدس زمن الانتداب وهو يردد تحذيراته من ضياع القدس - ومازال شعره حيا باقيا يصور نبضات قلب الفدائى وهو يقتحم هوج المعارك فى قوله:

لا تسل عن سلامته
روحه فوق راحته
يرقب الساعة التى
بعدها هول ساعته
بين جنبيه خافق
يتلظى بغايته

● ومن أناشيده الوطنية المشهورة انشودة موطنى التى تغنى بها الناس فى شرق الوطن العربى ومغربه ومنه قوله:

موطنى الجلال والجمال.. والسناء والبهاء.. فى رباك
الحياة والنجاة.. والهناء والرجاء.. فى هواك
هل أراك
سالما منعما.. وغانما مكرماً
هل أراك.. فى علاك.. تبلغ السماك

موطنى
موطنى الحسام واليراع.. لا الكلام والنزاع.. رمزنا
مجدنا وعهدنا وواجب الى الوفا.. يهزنا
عزنا
غاية تشرف.. وراية ترفرف
يا هناك.. فى علاك.. قاهراً
عداك

ولا ننسى الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود (١٩١٣-١٩٤٨م) الذى كتب بدم استشهاده أروع القصائد بعد أن عرفت سهول فلسطين وهضابها هذا الثائر الاسمر والشاعر الفارس الذى حمل روحه على



المحتلة

راحته وسار مخضب العينين، دامى القدمين ينثر اشعاره على الجنبات :

سأحمل روحى على راحتى
والقى بها فى مهاوى الردى
لعمرك انى أرى مصرعى
ولكن أغذ اليه الخطا

●● وهذا عبد الكريم الكرمى (ابو سلمى) صاحب قصائد الحنين الظامىء إلى الديار والتى تنطق بلسان كل مشرد فى العالم فى مثل قوله :

هل تسألين النجم عن دارى
وأين أحبابى وسمارى
دارى التى أغفت على ربوة
حالمة بالمجد والغار
الشمس لا تضحك إلا لها
تهدى اليها وشى أستار
والتينة الخضراء فى ظلها
تاريخ أشواقى وآثارى

●● وهذا خطاب حار من الشاعر (يوسف الخطيب) الى عندليب مهاجر من الأرض المحتلة يقول فيه :

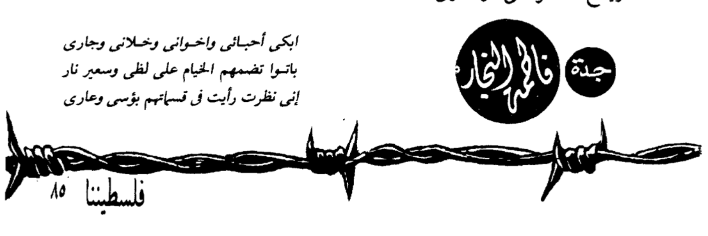
أتراك مثلى يارفيق تمر بالزمن
عبر الليالى السود والمحن
لا صاحب يرخى عليك غلالة الكفن
بى لهفة يا صاحبى مشبوبة بالنار
هل بعض اخبار تحدثها وأسرار
للظامئين على متاه الوحشة العارى
كيف الحقول تركتها فى عرس آذار
ومتى لويت جناحك الزاهى عن الدار
لوقشة مما يرف ببيدر البلد
خبأتها بين الجناح وخفقة الكبد
أم جئت مثلى بالحنين وسورة الكمد

ولراضى عبد الهادى شعر يموج بالحزن والشمم والحنين ومنه قوله :

أنا إن بكيت فلن ألام لأننى ابكى ديارى
أبكى على وطنى السليب تعيث فيه يد الدمار

ابكى أحبائى واخوانى وخلانى وجارى
باتوا تضمهم الخيام على لظى وسعير نار
إنى نظرت رأيت فى قسماتهم بؤسى وعارى

جدة
فاطمة النجار



● ومع هذا الحنين سرت فى روح الشعر تيارات ايجابية خصبة تنافح بنار الحرف وحمم الايقاع عن الحمى المقدس والوطن المتوارث.

وللشاعر معين بسيسو شعر ملحمى بطولى يخفق بالإباء والمقاومة يقول:

أنا إن سقطت فخذ مكانى يا رفيقى فى الكفاح
واحمل سلاحى لا يخفك دمى يسيل من السلاح

ولهارون هاشم رشيد شعر تمور فى قوافيه براكين الثورة يقول:

أنا لن اعيش مشردا
أنا لن أظل مقيدا
أنا ثورة كبرى تز
مجر بالعواصف والردى

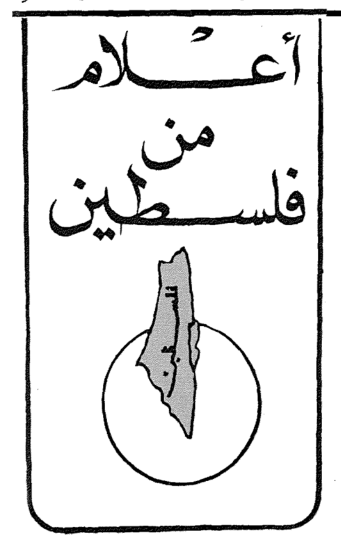
ومنه أيضا:

عودا إلى التاريخ يا كل المنى
عودا له ولتفتح الصفحات
وليرجع الماضى بكل بهائه
وغنائه ولتقرأ الآيات
ويلوح (خالد) فى الرجال (وعقبة)
و(الخافقى) وتزخر الطرقات
ويطل من بين الصفوف مكبرا
«قطز» فتوعد حوله الذروات
ويجرع الغازى كؤوس مرارة
وهزيمة وتطوح الهامات
ما عاد غير الصحو ملء سمائنا
يسخو فتندى أربع وجهات
وطن الصمود وهبت أروع صورة
تزهو بها وتفاخر الصفحات

ولفدوى طوقان آمال تترقب تتلهف للحب والخير تقول فيها:

فى يدينا لك أشواق جديده
فى مآقينا تسابيح وألحان فريده
اعطنا حباً فبالحب كنوز الخيرفينا تتفجر
وأغانينا ستخضر على الحب وتزهر
وستنهل عطاء وثراء وخصوبه
أعطنا حُبًّا فنبنى العالم المنهار فينا من جديد
ونعيد.. فرحة الخصب لدنيانا الجديده

وختاما لا ننسى الشاعر الشهيد كمال ناصر الذى تمنى



فى كل يوم وفى كل ساعة يقدم العدو الصهيونى الدليل تلو الدليل على انه لا يستهدف فلسطين الارض وحسب بل ويستهدف فلسطين الشعب والتراث والحضارة.. فهو يؤرقه ويفزعه ان تنمو الثقافة الفلسطينية وان يترعرع التراث الفلسطينى.

وما ازال اذكر تلك المحاكمة العسكرية التى اجرتها سلطات الاحتلال الصهيونى فى غزة الصامدة للفنان

الشهادة ووجد ملاذه فى صدر الأرض والوطن والثورة فاختار طريق الثورة ومثل مأساة الجيل :

لا تطرقى فإن جراح الحياة بصدرى
تعذب صدرى
وان نداء القدر يلون بالثأر عمرى
ويقذفنى للخطر

فامش الى مصرعى وعش إبائى معى
وتمش بدربى جراح الشباب

●● وكثير من الشعراء ممن لم نذكر يجرون على أساليب التعبير المتعارفه وبلاغة البيان الأصيل المتموج مع خلجات النفس ونوازع الارادة ومطامح الانسانية .

فتحى غبن

هارون هاشم رشيد ـ تونس

الفلسطينى المبدع «فتحى غبن» يوم حكمت عليه بالسجن لمدة سنة ، ستة اشهر منها فعلية وستة اشهر اخرى مع وقف التنفيذ . . اضافة الى تغريمه بمبلغ ٣٧ الف «شيكل» لا لأنه عارض السلطات او قام بعملية فدائية . .

أو خالف القوانين والانظمة . . او ارتكب جريمة من اى نوع بل كانت تهمته الجديدة المبتدعة ان لوحاته الفنية التى صورتها ريشته الخلاقة تعتبر عملا تحريضيا .

وفتحى غبن البالغ من العمر أربعين عاما . . والذى يعمل مدرسا للفنون بمدارس قطاع غزة . . والمتزوج والأب لثمانية اولاد . . واحد من لاجئى مخيم **«جباليا»** بقطاع غزة ذاق مرارة التشرد وعاش مراحل العذاب وسنوات القهر وأيام السغبة فحمل فى اعماقه جذوة الايمان بحقه كإنسان فى وطنه وارضه ودياره فجادت لوحاته الناطقة تعبر عن قضيته وقضية شعبه صادقة فى الهامها واستلهامها . . واضحة معبرة جارحة . . فماذا كان ينتظر العدو من فنان عاش هموم شعبه ومأساة وطنه ان يقدم غير ما يحس ويرى؟ .

ان «فتحى غبن» كفنان أصيل . . صادق ـ صادق مع نفسه ـ لم تغرقه المدارس الفنية المختلفة المستوردة من هنا او هناك من رمزية وسريالية فى تيه الهلوسة تلك التى اجتذبت الكثيرين من الهاربين اليها من الوضوح والابلاغ المختفين خلفها فرقا ورعبا من طائلة المحاسبة والمساءلة . . فهو كغيره من الفنانين والكتاب والشعراء فى الأرض المحتلة يحرص على ابلاغ رسالته والتعبير عن شعبه ومعايشة مواطنيه ونقل مشاعرهم وهمومهم بالصدق والوضوح لأنه قريب من شعبه متلمس لاوجاعه يرى يوميا ما يعانيه من سجن وقتل وتشريد وابعاد كما يختزن فى اعماقه المأساة كلها منذ ١٩٤٨ الى ١٩٥٦ الى ١٩٦٧ الى ١٩٨٢ .

ان «غبن» يؤمن بان الريشة والبراعة لا تختلفان فى دورهما عن دور البندقية المقاتلة فى مسار النضال الفلسطينى العادل . . العدو الذى سرق الأرض واختطف بسمات الاطفال ونشر الرعب والخوف والدمار عدو شرس محتوم عليه مقاومته بالوسائل المختلفة . . إذا جاء تعبيره

واضحا وصادما وجه نظر العدو واثار حفيظته فجاء قرار محكمتـه الظـالمة بأن ما ابدعته ريشته «**مادة تحريضية**» يستحق عليهـا السجن والغـرامة. . ويستوجب المطاردة والملاحقة. . والمحاربة بأخس انواع الظلم واشدها قسوة. .

وهكذا من حين لآخـر يقـدم لنـا اولئك الصامدون فى الأرض المحتلة المتجذرون فى الوطن المثل: فهم لا يهربون ولا يتهـربـون. . ولا يغريهم زور وزيف المدارس الفنية الكـاذبـة الخـادعـة التى تعطى الشهرة الآنية. وتجتذب الإعـلام الكـاذب الملفق الـذى يطلق البـالونات الملونة



الزاويـة الكبكيـة

يسميها الناس القبقية وتقع فى تربة ماملا.

ذكـر مجير الـدين الحنبلى أن هذه الـزاوية «قبة **محكمـة البنـاء**» وتعرف بهذا الاسم نسبة إلى الأمير علاء الدين آيد غدى بن عبد الله الكبكى المتوفى فى سنة ٦٨٨هـ. وقد دفن فيها كما يبدو فى نقش كتابى تذكارى كتب على بلاطة من رخام فوق مدخلها.

ولهـا قاعـدة مكعبـة وعليها قبة تستند إلى رقبة مستـديرة ولها مدخل فى حائطها الشمالى يؤدى إلى غرفـة الضـريح وهو ضريح حجرى. وللغرفة أربع نوافذ ولها محراب.

وقد لقى هذا الأثر عناية من علماء الآثار الأجانب.

وتتكون هذه الزاوية من غرفة مربعة الشكل وتمتاز بمتانة البناء وتغطيها قبة جميلة تقوم على رقبة دائرية الشكـل وذلـك بعد تحويل أعلى أركان المربع الى دائرة. ولها مدخل جميل الشكل والتكوين وتحف به مكسلتـان حجـريتـان ويعلوه عقد ثلاثى الفتحات وفوقه عقد آخر زخر فى مدبب الشكل. وينتهى كل منهما بتاج عمود مما يشير إلى أنه كان يحف بالمدخل عمودان أيضا.

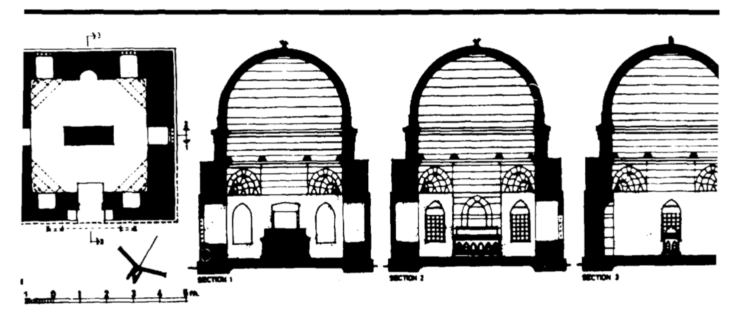
ولكن فتحـة المـدخـل مغلقـة الآن بجدار من الاسمنت مما سبب عدم الوصول الى الغرفة لمشاهدة عنـاصـرهـا المعـماريـة الداخلية وقبر الأمير الكبكى المدفون فيها.

ربـاط الكـرد

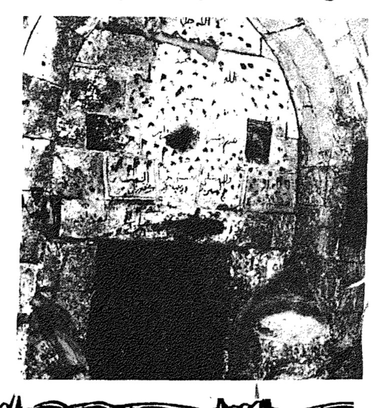
وقفه المقر السيفى كرد، صاحب الديار المصرية فى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣ـ١٢٩٤م فى عهد السلطان



لاجتـذاب الانظار وخداعها. . لقد عبر «غبن» بصدق عن شعبه وقومه وقدم الدرس لكل الذين مازالوا يتنطعون على أبواب المستورد من الفكر والفن. . وقدم الفن للحياة للشعب للوطن لا للنخبة المدعاة التى تتقوقع فى ابراجها تحت مختلف المسميات متخذة من مقولة الفن المجرد فرية تخفى وراءهـا ذعرهـا وخوفها وهروبها إن الفن الذى لا يكون للناس ـ لأوسع قطاع من الناس ـ فن محكوم عليه بالانتهاء والانهيار والفناء مهما سلطت عليه الاضواء وروج له المطبلون والملفقون. . واحتوته فئة او جماعة او حزب أو دولة.



النـاصـر محمـد بن قلاوون وقد وقفه لايواء الفقراء والحجاج والزوار الوافدين إلى بيت المقدس.



ويتكون هذا الرباط من طابق واحد وأما الطابق الثانى الذى يعلوه فهو تابع للمدرسة الجوهرية وبنى الطابق الثالث فى العصر العثمانى.

ويتم الوصول إليه عبر مدخل صغير تقوم على جانبيه مكسلتان حجريتان ويؤدى إلى ممر ضيق غُطى جزء منه وهو الجزء القريب من المدخل ثم يتسع الممر قليلاً ويؤدى هذا الممر الى عدة أماكن مكشوفة توصل إلى مجموعة من الخلاوى والغرف.

واستمـر هذا الـربـاط يقـوم بدوره الاجتـماعى والفكرى عدة قرون فقد عد مدرسة من مدارس بيت المقدس القديمة.

تهدمت بعض أجـزائـه وتحول إلى دار للسكن ويسكنـه جماعـة من آل الشهابى وهو متصدع الآن ومهـدد بالسقوط نتيجة لأعمال الحفر التى قامت بها سلطات الاحتلال الاسرائيلى خلف سور الحرم الغربى.





د. عمار هلال

معهد التاريخ - جامعة الجزائر

بلغت مملكة الكانم وبورنو أوج قوتها فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) وقد ذكرها أبو عبد الله البكرى - الجغرافى الاندلسى - الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وقال عنها(١)« . . . انها كانت شاسعة الأطراف تمتد حتى نهر النيجر غرباً . . وان مناطق كثيرة فى اجزاء هامة من بلاد الهوسه(٢) كانت تخضع لنفوذها» .

وباعتلاء «إدريس الثالث ألوما(٣)» عرش الكانم بورنو إزدادت المملكة إتساعاً وقوة - فبسطت نفوذها بصفة كلية على هضبتى (باونشى(٤) . . وآداماوا(٥)) . . . وباحتلالها لهذين الموقعين الهامين فى غرب افريقيا السوداء تضاعفت حظوظها فى التوسع ورد الغارات التى كانت تشن على حدودها من حين الى آخر - من طرف القبائل الافريقية المجاورة لها .

نشأة مملكة البورنو:

منذ أقدم العصور جلبت بحيرة تشاد الحالية والمناطق المجاورة لها انظار الدارسين والباحثين العرب الذين زاروها وبحثوا فى عادات وتقاليد أهلها وتطور نظم الحكم فيها . . ووصفوها وصفاً جغرافيا وافياً لا يزال حتى أيامنا هذه كثير من العلماء الأوربيين يعتمدون عليه لدراسة المنطقة من جوانبها الطبيعية والبشرية فى الفترة الممتدة ما بين القرنين الرابع والعاشر الهجريين (العاشر والسادس عشر الميلاديين) .

ومن أهم المؤرخين العرب الذين زاروا مملكة البورنو وتناولوها فى مؤلفاتهم نذكر: القلقشندى(٦) . . والحسن بن محمد الوزان(٧) . . وعبد الرحمن بن خلدون(٨) .

وهذا الحسن الوزان(٩) يحدد موقع مملكة البورنو كما يلي: « . . . يحدها من الغرب ونقاره . . وشرقاً صحراء سو . . ومن الشمال صحراء البرداوة المتاخمة لبرقة - ويمتد هذا الاقليم شرقاً على مسافة ٥٠٠ ميل . . » اى انها تقع فى الشمال الشرقى لبحيرة تشاد الحالية .

ة الكانم وبورنو

أما عن سكان المملكة فيقول الكاتب(١٠): «. . . وتوجد بسهول (المملكة) قرى آهلة بالسكان المتمدنين. . كما يوجد بها أناس غرباء عن الاقليم سود وبيض(١١). . يقطن الملك باكبر هذه القرى(١٢) مع جنده. . ويتمركز سكانها وراء صحراء سو. . ».

لم يقم الحسن الوزان فى بلاد البورنو المترامية الأطراف سوى شهر واحد لم يسمح له بزيارة أماكن عدة من المملكة لذلك نلاحظ عدم اشارته لعدة ظواهر جالية للعيان وذلك مثل: اسقاطه لكلمة «الكانم» وهو يتكلم عن المملكة التى كانت تعرف فى وقته بمملكة «الكانم بورنو». وواضح من هنا ان الوزان لم يزر منطقة الكانم (فى شرق تشاد حاليا) التى كانت القاعدة الأولى للمملكة فى القرن الحادى عشر الميلادى.

أما القلقشندى(١٣) الذى يبدو أنه أكثر إطلاعاً عن البلاد من الوزان ـ ففي كلامه عن المملكة يفصل بين البورنو وبلاد الكانم. . ويصف كل إقليم على حدة. وعن بلاد البورنو يقول(١٤): «. . سكان هذه البلاد مسلمون والغالب على ألوانهم السواد. . . وبلادهم تحدها بلاد التكرور من الشرق ـ ثم يكون حدها من الشمال بلاد افريقيه ومن الجنوب الهمج وقاعدتهم مدينه كاكا. . ».

أما عن بلاد الكانم فيقول القلقشندى(١٥): «. . . هم مسلمون (يقصد سكانها) والغالب على الوانهم السواد. . وبلادهم بين افريقية وبرقة ـ ممتدة فى الجنوب الى سمت الغرب الأوسط. . . وأحوالها وأحوال أهلها حسنة ـ وربما كان فيهم من أخذ حظه فى التعليم ونظر فى الأدب نظرة النجوم فقال إنى سقيم ـ فما يزال يداوى غليل فهمه ويداوى جامح علمه حتى تشرق عليه أشعتها ويطرز بديباجه امتعتها(١٦). . . وقاعدتها مدينة جيمى ـ وبها مقر سلطانهم. . . ».

أما ابن خلدون(١٧) فيذكر عن أهل الكانم بورنو(١٨) أنهم «خلق عظيم. . والاسلام غالب عليهم. . ومدينتهم حيمي(١٩) ولهم التغلب على بلاد الصحراء الى فزان. . »

وخلافا لكل الرحالة(٢٠) العرب الذين زاروا المنطقة

ونوهوا بحرص أهل بورنو على عقيدتهم الاسلامية يذهب الحسن الوزان الى ان هؤلاء «وثنيون لا دين لهم» وذلك فى الربع الأول من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر ميلادى).

ولا نعرف الأسباب الحقيقية التى جعلت الحسن الوزان يذهب هذا المذهب ويختلف مع جميع الرحالة العرب فى هذا الجانب الهام من حياة أهل البورنو الذين دخلوا الاسلام فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى - وبالضبط بدأ الاسلام فى الانتشار بين أهل البلاد فى سنة ٥٥هـ (٦٦٦م)... وهى السنة التى شن فيها الفاتح العربى عقبة ابن نافع حملة على فزان وكعوار حيث نشر الاسلام على نطاق لا يستهان به.

ومن غير المعقول أن يمس الاسلام مناطق فزان وكعوار غير البعيده نسبياً عن البورنو والكانم ولا يمس هذه المناطق الأخيره بطريقه أو بأخرى.

وليس هناك تفسير لما ذهب إليه الحسن الوزان سوى ان مدة إقامته فى بلاد البورنو كانت قصيرة جداً لم تسمح له بالاطلاع الواسع على كيفية حياة أهل البورنو الروحية والاجتماعية والثقافية. ثم إن هناك كثيراً من الشواهد التاريخية التى تجعل المرء يحتار وهو يقرأ ما يذهب إليه الحسن الوزان.

ونحن نؤكد على هذه النقطة بالذات لما لهذا الرحالة العربى المسلم(٢١) من وزن ثقافى ومكانة علمية بارزة - الشيىء الذى قد يجعل الباحثين الشبان يأخذون كل ما ذهب إليه هذا الأخير مأخذ الجد ويعتبرونه من المسلمات التاريخية دون ان يخضعوه للمناقشة العلمية الهادئة والنقد الهادف البناء.

ومن الشواهد التاريخية التى تنبذ نبذاً قاطعاً قولة الحسن الوزان عن أهل البورنو - ان القرن الثانى الهجرى شاهد تأسيس مملكة سنغاى الاسلامية(٢٢) التى تطورت تطوراً ملحوظاً خلال القرون التى تلت تأسيسها.. إذا بلغت أوج قوتها فى الفترة الممتدة ما بين القرنين الخامس والثامن (هـ) وبعد قرن واحد من قيام هذه المملكة الأخيرة كان تأسيس مملكة الكانم الاسلامية - أى فى القرن الثالث الهجرى وفى القرن الرابع الهجرى تم تأسيس ما عرف فى التاريخ بالامارات السبع الهرسية التى كان للعرب علاقات طيبة معها فى مجالات شتى.. ومن جهتها تطلعت هذه الامارات إلى ربط علاقات بينها وبين أقطار شمال إفريقيا بما فى ذلك الجزائر. وهل يمكن ان تبقى كل هذه العوامل الحضارية والتجارية التى ربطت العرب والأفارقة بدون تأثير على هذا الجانب أو ذاك؟.. وهل يمكن ان يبقى قيام مملكة اسلامية كبيرة كسنغاي دون أى تأثير على جيرانها سلباً أو ايجاباً؟.

والحق ان الاسلام ليس فحسب كعامل عقائدى - وإنما ايضاً كعامل حضارى وثقافى وسياسى واجتماعى واخلاقى قد مكن مملكة الكانم بورنو من دخول التاريخ من ابوابه الواسعة... ولولا اعتناقها للاسلام كعقيدة دينية ثابتة لما تسنى لها ذلك.

● وما يقال عن مملكة الكانم بورنو الاسلامية يقال كذلك عن كل الممالك والامبراطوريات الافريقية الأخرى التى قامت فى غرب افريقيا خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الثانى والثالث عشر الهجرى.

● وقبل دخول الاسلام الى المنطقة لم تتعد اخبار هذه المملكة أو غيرها من الممالك الأخرى ضفاف المحيط شمالا ورمال الصحراء المانعة جنوباً.

ومن مؤثرات الاسلام الايجابية المساعدة على التطور والتقدم انه استطاع فى وقت وجيز ان يوحد الشرائح الاجتماعية البورنوية التى كانت متفككة ومتشتة عن بعضها البعض ـ بل متناحرة ومتحاربة فيما بينها خلال الفترة الوثنية التى سبقت دخول الاسلام الى المملكة.

وإن كان صاحب صبح الأعشى لا يحدد بالضبط تاريخ دخول الاسلام الى مملكة الكانم بورنو فإن ما جاء به نقلاً أو معاينة لواقع المملكة جدير بالاهتمام والدراسة وفى هذا الباب يقول القلقشندى(٢٣): «.. وسلطان هذه البلاد رجل مسلم وهو من ولد سيف بن ذى يزن(٢٤) ..».

وأول من بث الاسلام فيهم (**أهل البورنو**) الهادى العثمانى الذى إدعى انه من ولد «**عثمان بن عفان**» رضى الله عنه.. وذكر فى «**التعريف**» أن السلطان الكانمى من بيت قديم فى الاسلام وقد جاء منهم من ادعى النسب العلوى فى بنى الحسن وتمذهب بمذهب الشافعى رضى الله عنه.. ولكن المذهب السائد بينهم هو المذهب المالكى ـ ويتمذهبون بمذهب الامام مالك(٢٥) رضى الله عنه.. وهم يابسون فى الدين.. وقد بنوا مدرسة للمالكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم».

● ومهما يكن عن نسب ملوك الكانم بورنو فإنه يبدو ان أول ملك كانمى إعتنق الاسلام ديناً ـ فى نهاية القرن الرابع الهجرى ـ هو سلطان أو يمبى وذلك فى نفس الوقت الذى أسلم فيه سلطان غاوو وغانة القديمة.

ومنذ ذلك العهد اصبحت مملكة الكانم دولة ذات أهمية كبرى اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.. ودخلت تحت سلطانها أقطار وأمصار عديدة من غربى وشرقى القارة السمراء.

ورغم أهمية مملكة الكانم بورنو سياسياً وزمنيا... سياسيا إنها بسطت نفوذها على اجزاء هامة من القارة السوداء غرباً وشرقاً... وزمنيا لأن سلطانها دام قرابة عشرة قرون ـ أى أنه إمتد من القرن الرابع الى الثالث عشر للهجرة ـ فإن تاريخها يكاذ يكون مجهولا ولم يدرس على البت: اذا استثنينا ما كتبه المؤرخ الفرنسى «بالمير» (PALMER) عن مملكة الكانم بورنو(٢٦) استنادا الى بعض الرحالة العرب والأوربيين نكاد لا نعثر عن أية دراسة تاريخية علمية أخرى اهتمت بتاريخ هذه المملكة وتطورها.

وفى الصفحات التالية سنحاول شرح هذا الجانب الهام لهذه المملكة الاسلامية.

تطور مملكة الكانم بورنو:

تكاد النصوص التاريخية القديمة التى تتناول تطور تاريخ الكانم بورنو إقتصادياً أن تتفق على أمر واحد وهو: قلة الموارد الاقتصادية فى مملكة الكانم بورنو من جهة وسوء حالتها الاجتماعية.. وبساطة عيش أهلها من جهة أخرى. وعن ذلك يقول القلقشندى(٢٧): «.. وهى بلاد قحط وشظف وسوء مزاج مستول عليها.. وغالب عيشهم (السكان) الأرز والقمح والذرة.. وببلادهم التين والليمون واللفت والباذنجان والرطب، وذكر عن الشيخ عثمان الكنمى وغيره: ان الأرز ينبت عندهم من غير بذر..

ويتعاملون أيضا بالودع والخرز والنحاس المكسور والورق.. وبالكانم فواكه لا تشبه فواكه بلادنا وفيها الرمان والخوخ وقصب السكر».

ولقد رأى الحسن الوزان ـ حسب قوله ـ مرة خزانة ملك الكانم البورنو مملوءة بجميع لوازم الخيل المذهبة. . وفي باب آخر يؤكد على أن أهل البورنو جميعاً يحبون كثيراً الخيول التي تأتيهم من شمال إفريقيا وأن سعرها جد مرتفع عندهم. . كما يؤكد نفس الكاتب: أن جميع الأواني المنزلية التي يستعملها الملك مصنوعة من الذهب الخالص(٢٨).

(إذن من أين يأتي شظف العيش إلى أهل البورنو؟)

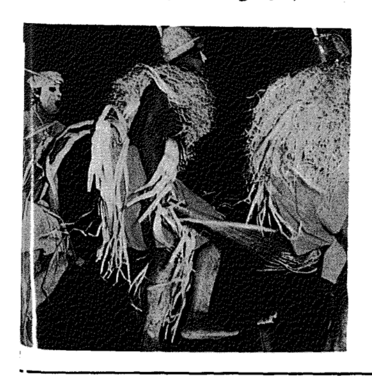
وإذا علمنا أنه في نهاية القرن السادس الهجري تم لهم فتح الصحراء بأكملها يحق لنا أن نتساءل: هل الوضعية الاقتصادية المتدهورة التي يتكلم عليها كل من الحسن الوزان والقلقشندي ـ وضعية خاصة عرفتها الكانم في وقتها؟. . أم هي وضعية عامة سايرت تطورات المملكة المختلفة ـ بدءاً من نشأتها الى سقوطها؟. .

والراجح ان الحالة الاقتصادية لمملكة الكانم التي وصفها كل من (الحسن الوزان . . والقلقشندي ما هي في حقيقتها سوى وضعية خاصة عاشتها المملكة في وقتها وإن لم يكن كذلك فكيف إذن تطلع ملوك الكانم الى ربط علاقات تجارية وسياسية مع كامل دول شمال افريقيا؟.

وفي هذا الصدد تذكر المصادر: ان الملك الكانمي «ماي»(٢٩)قد أدى فريضة الحج مرتين «في القرن السادس الهجري» وفي كل حجة من حجتيه كان يترك في مصر قرابة ٣٠٠ خادم لملكها.

وقد استعان سلاطين الكانم بالسلاطين الحفصيين أكثر من مرة حتى تم لهم فتح الصحراء بأكملها في نهاية القرن السادس الهجري ـ وكانت بينهم وبين الحفصيين علاقات ديبلوماسية وثيقة ففي سنة ٦٥٧هـ. . حسب ابن خلدون(٣٠) أوفد أحد السلاطين الكانم بعثه ديبلوماسية الى تونس ترافقها زرافة عجيبة أحدثت هولا كبيراً في الناس وهي تدخل المدينة وهو ما ستفعله بعد قرنين من الزمن (القرن الثامن الهجري) زرافة مالي عندما تدخل مدينة مراكش.

كما كانت لمملكة الكانم بورنو علاقات تجارية مع الجزائر ـ التي كان يربطها بالكانم الطريق التجاري الشرقي ـ الذي كان يمتد من مدينة تيهرت حتى منحنى النيجر جنوباً(٣١). . . كما ان هناك طريقاً تجارياً آخر هاماً ـ وهو طريق قسنطينة ـ يمر على بسكرة حتى تمبوكتو ـ ثم الكانم. . وكان لتلمسان علاقات تجارية هامة مع الكانم وغيرها من الممالك الافريقية الأخرى التي ازدهرت في نهاية القرون الوسطى وبداية القرون الحديثة(٣٢).



هذه العلاقات التجارية والسياسية التى ربطت لكانم بكامل أقطار شمال إفريقيا اكثر من دلالة على قوتها مادياً وسياسياً.

من الحقائق التاريخية الثابتة التى لا يختلف فيها إثنان - ان المؤثرات الاسلامية قد وجدت طريقها الى غرب افريقيا السوداء منذ العصور الأولى الاسلامية وهو ما تؤكده التنقيبات والحفريات الأثرية الحديثة(٣٣)... وقد اثبتت الشواهد المادية لكل من «كومى صالح(٣٤).. وتغداووست»(٣٥) التشابه الكبير بين الحضارة الافريقية المحلية والحضارة الاسلامية كما اثبتت هذه الحفريات الأثرية مدى تأثير الحضارة الاسلامية فى الحضارة الافريقية - ذلك لأن حظ الاولى فى استيعاب العوامل الحضارية وتطويرها وتوظيفها حسب ميولها وطموحاتها وكان أكثر بكثير من الثانية.

وعن توغل الاسلام فى غرب إفريقيا السوداء خلال الفتره الزمنية التى سبقت الاشارة اليها تذكر بعض الروايات الافريقية المحلية: أن الفاتح العربى عقبة بن نافع قد أدرك بلاد السودان الغربى - ووصل الى منحنى نهر النيجر ومصب نهر السينغال.

● والى يومنا هذا نجد بعض القبائل فى المنطقة تدعى الانتساب الى عقبة بن نافع - وهو الشيء الذى لاحظه وأكد عليه الرحالة الألمانى (هنرى بارث) خلال رحلته التى قادته الى بعض مناطق غرب افريقيا فى القرن الماضى.

لقد أدرك الرحالة الأوربيون المحدثون مدى تأثير الاسلام على الافارقه فاستعملوه لتحقيق مآربهم وبعض اغراضهم الشخصية.. فهذا المغامر الفرنسى رونى كاييي الذى اخترق مناطق افريقيا جنوب الصحراء بين سنتى (١٨٢٧-١٨٢٨) ودخل تمبوكتو(٣٦) التى بقيت حتى هذا التاريخ الأخير تشكل لغزاً كبيراً بالنسبة لكل الأوربيين - وحتى بالنسبة لهؤلاء الذين نشطوا نشاطاً كبيراً فى اكتشاف مناطق هامة كانت مجهولة من قبل العالم الأوربى المتصنع فى أمريكا وآسيا وإفريقيا. فالبرتغاليون مثلا: لم يكونوا يعرفون شيئاً عن تمبوكتو سوى إسمها وبعض الأخبار عنها باعتبارها مركزاً تجارياً هاماً فى افريقيا جنوب الصحراء.

●● ولم يكن رونى كاييي ليدخل تمبوكتو لو لم يستعمل الدين الاسلامى واللغة العربية كوسيلتين هامتين لتحقيق غرضه.

قبل ان ينطلق كاييي من سيراليون - المستعمرة الانجليزية القديمة - نحو تمبكوتو استعد استعداداً كاملاً للعيش بين القبائل الافريقية فى الصحراء.. ولعلمه بتقاليدها وعاداتها وحرصها الشديد على عقيدتها الاسلامية أقام كاييي بين قبائل البراكنة - فى جنوب السينغال - مدة زمنية مكنته من تعلم اللغة العربية وشيئاً من القرآن الكريم وبعض مبادىء الاسلام الشائعة الاستعمال بين الناس فى المنطقة.. وتعلم الصلاة وأركانها - فصلى بدون وضوء.. واتجه نحو الكعبة الشريفة رياءاً ونفاقاً.. لا يفكر فى شيء سوى فى الدخول الى مدينة تمبوكتو الاسلامية وكشف الستار عنها. وبكل مكر وخبث استطاع كاييي ان يقنع حاكم مدينة جنيى على نهر النيجر الأعلى بإسلامه وعروبته - فوجهه هذا الأخير الى أحد أعيان تمبوكتو على أساس انه عربى مسلم ولد ونشأ فى أوربا. وهكذا دخل كاييي تمبوكتو أحد المراكز الثقافية الاسلامية الهامة فى غرب افريقيا.

● وبعد نصف قرن من الزمن (سنة ١٨٨٠) حذا

الألماني أسكار لونتز حذوكاييي ودخل تمبوكتو متنكراً في هيئة طبيب تركى تحت إسم الحكيم عمر بن على(٣٧).

● وفى سنة ١٨٨٤ لم يجد النقيب الفرنسى بانجير من وسيلة لاختراق الصحراء الافريقية ودخول تمبوكتو سوى إقتفاء خطوات كل من كاييي ولونتز.

وعن مدى تأثير الاسلام فى مملكة الكانم بورنو ـ التى هى موضوع دراستنا ـ يحدثنا عن ذلك كثير من الرحالة العرب.. منهم ابن بطوطة الذى يقول «**ان الماى أى الملك يجلس حسب طريقة ملوك العرب لغرض فض النزاعات بين اهل المملكة.. وانه يتقلد الملك وراثياً حسبما هو معمول به عند العرب**»(٣٨).

●● والملك لا يظهر أبداً فى سائر الأيام أمام الناس بل أمام أىّ كان ويخاطبهم دائماً من وراء الستار. يحدثنا القلقشندى عن الملك فيقول «... **لا يراه احد الا فى يوم العيدين بكرة وعند العصر ـ أما فى سائر أيام السنة فلا يكلمه أحد ولو كان أميراً إلا من وراء حجاب**(٣٩)»... ورغم ذلك يؤكد نفس الكاتب على قيام العدل فى المملكة(٤٠) وذلك بسبب احترام الملك لمبادىء الاسلام وقوانينه وتشريعاته.. من ذلك أنه لا يحكم البلاد بمفرده انما يساعده مجلس استشارى يتكون من بعض العسكريين وأعيان البلاد.

●● وحسب رواية ابن فرطيوة الذى ترجم للملك الكانمى (**إدريس الثالث**) فى نهاية القرن العاشر الهجرى: فإن هذا الملك قد أدخل إصلاحات جذرية على هياكل الدولة وأعاد تنظيم المملكة من جديد(٤١) ـ متخذاً القرآن والسنة النبوية أساساً لاصلاحاته... وانتزع من رؤساء القبائل المهام القضائية التى كانوا يحتكرونها وكلف القضاة بهذه المهام. كما إنه اهتم بصيانة المساجد وترميمها ـ وفى الوقت نفسه شيد عدة مساجد فى البلاد بالآجر اعتبرها الباحثون فى تاريخ المملكة آية فى الفن والجمال.

● وعن الجانب العسكرى تأثر (**إدريس الثالث**) كثيراً بالتنظيمات العسكرية العثمانية فأخذ الكثير منها وطبقها على جيوشه.

بعض مراحل تطور مملكة الكانم الاسلامية:

ضعفت مملكة الكانم خلال القرنين الثامن والتاسع (هـ) وتدهورت قواتها العسكرية وغير العسكرية وذلك بسبب الغارات التى شنتها عليها القبائل الافريقية ـ منها قبائل «البولالا» القوية... ولكن ما لبث ان ظهرت بوجه آخر واستطاعت فى وقت وجيز استرجاع قوتها والتحكم فى زمام الأمور ـ فبسطت من جديد نفوذها تقريباً على مناطق هامة من السودان الغربى.. وبلغت حدودها غربا شمال نيجيريا الحالى.

● ولأسباب استراتيجية: اضطر الملك (عمر بن إدريس) ان ينقل قاعدة البلاد الى غربى تشاد الحالى واستقر فى بلاد البورنو.. ومنذ ذلك الحين اصبح يعرف بملك الكانم ـ بورنو.

●● وفى القرن الحادى عشر الهجرى نجد مملكة الكانم بورنو تمثل الدولة المركزية بما لهذه الكلمة من معنى ـ فى الوقت الذى نجد فيه بقية الممالك الافريقية الأخرى لا تزال تحتفظ بنظمها الادارية الموروثة ـ أو يكاد ينعدم فيها التنظيم والهيكلة الادارية وغير الادارية.. وفى نفس الفترة الزمنية ظهرت مملكة الكانم فى خريطة برتغالية كمملكة كبيرة ذات شأن إقتصادى وسياسى.

●● وقبل ذلك بقرن واحد استطاعت مملكة الكانم ان ترد عنها قوة غازية كبرى وتقف فى وجه دولة الكبى ويبدو ان مساعدة العثمانيين للكانم ـ وخاصة

بالاسلحة المتطورة كان لها دور فى انتصار الكانميين على الكبيين . . . ولهذه الاسلحة العثمانية يعزى تفوق الكانميين واتساع الرقعة الجغرافية لدولتهم التى بلغت أقصاها فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى - ولكن ما لبثت هذه المملكة ان انحلت من جديد ودب الضعف فى أركانها .

وخلال فترة الضعف هذه ومع بداية القرن التاسع عشسر - غزاها الفاتح السودانى الشهير (عثمان دان فودى) وأعلن الجهاد ضد كل بلاد الهوسة بما فى ذلك مملكة الكانم . . . وأخذت جيوش عثمان دان فودى فى غزو المملكة ولما أوشك جيشهاعلى الانهيار فر ملكها - الشيء الذى زادها ضعفا على ضعف واستمرت على ذلك الحال الى ان ظهر محمد الكانمى وهو من مواليد مدينة فزان من أب عربى وأم كانمية(٤٢) .

وقد عرف محمد الكانمى بتقواه وباصلاحه . . وبكيفية معالجته للأمور الدينية والدنيوية لمملكة الكانم . ففى الميدان الادارى نظم من جديد المملكة على اساس مركزى بحت - كما فعل اسلافه - ولم يسمح بأى عمل خارج هذا الاطار . . كما أنه لم يسمح بارتكاب أى خطأ سواء كان إدارياً أو سياسياً أو دينياً .

كما اشتهر محمد الكانمى هذا بثقافته الاسلامية العالية . . وقد كان له شأن بين علماء عصره العرب منهم والأفارقة على السواء .

وقد حج محمد الكانمى وأقام مدة طويلة فى المدينة المنورة - دارساً ومدرساً - وفى طريق رجوعه استهوته مصر والحركة الثقافية الهامة التى كانت دائبة فيها - فأقام بها مدة ينهل من ينابيع العلم والمعرفة . . وبقدر ما كان اهتمامه بالدين كبيراً كان كذلك اهتمامه بالعلم كبيراً . وذلك ما تفسره إقامته الطويله فى كل من الحجاز ومصر .



صراع الكانميين والفلانيين:

بعد رجوعه من البقاع المقدسة استعد محمد الكانمى لاعلان الحرب ضد الغزو الفلانى لاراضى مملكته. وفى فترة وجيزة استطاع ليس فحسب أن يكوِّن جيشاً قوياً ولكن أيضاً أتباعاً مخلصين له متحمسين لآرائه يخضعون لأوامره دون نقاش ـ الشيىء الذى ساعده كثيراً على الحاق الهزيمة تلو الأخرى بأعدائه.

● وأخيراً انتهت مواجهته للفلانيين بأن هزمهم فى موقعة فاصلة فى حدود سنة (١٨١٢م).

●● هكذا انقذ محمد الكانمى بلاد البورنو من غزو خارجى خطير. وبذلك نال تأييد واعجاب العام والخاص.. وأبدى له شعب الكانم طاعته التامة ولكنه رفض كرسى العرش الذى عرض عليه.. وأعاد الملك المطرود وأقعده على كرسيه.. وانصرف هو الى ميدان طالما شغله.. واستحوذ على كل قواه الروحية والعقلية ـ وهو ميدان العلم والمعرفة ـ وإن كان فى الواقع هو المسيِّر الحقيقى لشؤون البلاد.

● ومن الأعمال العمرانية التى قام بها محمد الكانمى فى مملكة الكانم بورنو الاسلامية أنه أعاد تأسيس وتنظيم مدينة كوكا قاعدة المملكة ـ وذلك فى سنة (١٨١٤م) والتى أصبحت فيها بعد الحاضرة الحقيقية للبلاد.

وقد جلبت أعمال محمد الكانمى والاصلاحات التى قام بها فى البلاد انظار الكثير من علماء التاريخ والآثار وبعض الرحالة الأوربيين فزاره بين سنتى (١٨٢٢، ١٨٢٤) كل من دنهام وكلابرتون واستفسراه طويلاً عن أحوال بلاده.. ونقل هذان الكاتبان أخبار الكانم بورنو ـ وأخبار زعيمها الحديث محمد الكانمى إلى الرأى العام الانجليزى بواسطة الصحف والمجلات الانجليزية(٤٣).

وبعد محمد الكانمى أخذت مملكة الكانم فى الضعف من جديد.. واحتلتها الجيوش المصرية فى عهد الزبير باشا.. وبقيت تابعة لها حتى قيام الثورة المهدية فى السودان الشرقى(٤٤).

وقد خلف محمد الكانمى ابنه الشيخ عمار (١٨٣٢-١٨٨٠) الذى احتفظ بمدينة كوكا كمركز تجارى عالمى.. وبلغت فى عهده الحركة الثقافية الاسلامية فى البلاد أوج قوتها وانتشارها ـ ولكن السلطة الفعلية تبدو أنها فلتت من يده واحتكرتها فئة معينة من الاشخاص لصالحها.. ولم يستطع الشيخ عمار ان يفعل أدنى شيىء لايقاف نفوذهم.

● وفى أواخر القرن الماضى بلغت مملكة الكانم بورنو أقصى درجة التدهور والانحطاط وذلك فى الوقت الذى نلاحظ فيه ظهور شخصية وطنية حاولت النهوض بالبلاد وانقاذها من الفساد الأخلاقى والمادى الذى وقعت فيه ـ ولكن بدون جدوى.. ونقصد هنا رابح السودانى الذى بذل قصارى جهوده لانعاش مملكة الكانم مرة اخرى وذلك فى الوقت الذى هاجمها الفرنسيون من كل جهة.. ولم يستطع رابح السودانى ان يقف أمام القوات الاستعمارية الفرنسية الغازية.

ومهما يكن فقد حارب رابح السودانى الفرنسيين بكل بسالة حتى داهمه الموت وهو فى ميدان المعركة ـ وذلك فى سنة (١٩٠٠) وبهذه السنة الأخيرة ينتهى تاريخ اكبر مملكة إسلامية قامت فى غرب افريقيا السوداء.. دامت سلطتها حوالى عشرة قرون من الزمن لتدخل المنطقة فى مرحلة تاريخية أخرى ـ وهى مرحلة العهد الاستعمارى الفرنسى لهذا الجزء الهام من القارة السمراء.

(١) البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز: «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب» طبعة دي سلان (باريس ١٩١٧) زار البورنو في حدود سنة ٤٧٨هـ.

(٢) الهوسة: هناك من يطلق على هذا الشعب الافريقي اسم «الحوصا» اما الأصح فهو «الهوسة».

(٣) من السلاطين الافارقة المتحمسين للدين الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية يمكن أن يعني إسمه هذا «ألوما» «اللهم» حكم البورنو ما بين سنتي (١٥٧١-١٦٠٣).

(٤) باوتشي: إقليم في شمال نيجريا حالياً.

(٥) اداماو: إقليم في غرب الكاميرون حالياً.

(٦) القلقشندي: أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الانشاء.

(٧) الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا مترجم الرياض ١٣٩٩هـ (١٩٧٨م) وربما زار الوزان مملكة البورنو في حدود سنة ٩١٨هـ.



(٨) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: «العبر وديوان المبتدأ والخبر» ٧ اجزاء، القاهرة ١٢٨٤هـ وفي الجزء السادس هناك بعض الاشارات الهامة الى مملكة البورنو التي يطلق عليها ابن خلدون اسم: «بورو».

(٩، ١٠) الحسن الوزان: المصدر السابق ص ٥٥٣.

(١١) يقصد بالبيض هنا التجار الذين كانوا يفدون بأعداد وافرة على بلاد البورنو خاصة منهم أهل شمال افريقيا.

(١٢) يقصد بها عاصمة المملكة جيمي.

(١٣، ١٤، ١٥) القلقشندي: نفس المصدر ص ٥٠٦، ٢٧٩، ٢٨٠.

(١٥) القلقشندي: نفس المصدر ص ٢٨٠.

(١٦) يقصد تعليم اللغة العربية ولم تعرف المنطقة حتى هذا التاريخ من تعليم آخر سوى تعليم اللغة العربية.

(١٧) ابن خلدون: المصدر السابق الجزء السادس ص ١٩٨.

(١٨) يطلق ابن خلدون على سكان المنطقة إسم: «الكانم بورو» الصواب هو: «الكانم بورنو».

(١٩) جيمي عند ابن خلدون والصواب هو «جيمي» ولا نعرف سبب هذا التحريف في أسماء الأماكن والمدن كما انه في باب آخر يسمي مملكة غانة» الشهيرة بـ: «نغالة».

(٢٠) قارن بين ابن خلدون: المصدر السابق - القلقشندي: المصدر السابق: ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة - ٤ أجزاء وغيرهم من المؤلفين والرحالة العرب الذين عاشوا خلال القرون الوسطى.

(٢١) ليس هناك أدنى شك في إسلامه قبل وبعد تنصيره من قبل حكام روما.

(٢٢) عاصمتها كوكيا صوب الشمال من البورنو تقع على نهر النيجر انظر عنها: د. عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأساقيين، الجزائر ١٩٧١.

(٢٣) القلقشندي: المصدر السابق ص ٢٨٠

(٢٤) عن هذا النسب يقول القلقشندي في (ص٢٨٠) «... لم يحقق النسب (السلطان) فذكر أنه من قريش (سيف بن ذي يزن) وهو غلط فإن سيف بن ذي يزن من أعقاب تبابعة اليمن من حمير.».

(٢٥) وهو ما يؤكده كذلك المقريزي (١٣٦٤-١٤٤٢).

(٢٦) نشر عنها عدة دراسات في مجلات مختلفة منها المجلة الافريقية ومجلة الجمعية الجغرافية لمدينة قسنطينة وغيرهما.

(٢٧) القلقشندي: المصدر السابق الجزء الخامس (ص ٢٨٠).

(٢٨) الحسن الوزان: المصدر السابق ص٥٥٥.

(٢٩) بمعنى الملك.

(٣٠) ابن خلدون: المصدر السابق ص ١٤٠٦.

(٣١) العلاقات العربية الافريقية، نشر جامعة الدول العربية ١٩٤٧ بدون مكان طبع ص ٣٩، ٤٠.

(٣٢) عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا السوداء، نشر وزارة الثقافة والسياحة الجزائر ١٩٨٤ ص ٢٧، ٢٩.

(٣٣) عمار هلال: المرجع نفسه «تعود الحفريات الاولى في المنطقة الى سنتي ١٩١٣-١٩١٤، وهي التي قام بها السيد بونال دوميزيار ثم قام السيد ترما ساي بحفريات مشابهة في الجنوب الموريطاني بين سنتي ١٩٤٩ - ١٩٥١، وفي السنة الاخيرة إكتشف كوهبي صالح وفي ١٩٦٠ إكتشف السيد جان دوفيس آثار مدينة تفداوست..».

(٣٤) عاصمة غانا، المملكة الاسلامية القديمة يمكن ان يرجع تأسيسها الى القرن الثاني الهجري

(٣٥) مركز اسلامي قديم كان له دور هام في نشر الاسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا السوداء في الفترة الممتدة ما بين القرنين الثاني والسابع (هـ).

(٣٦) Rvne Caille: Journal al un Voyage a TomBouctou et DJENNE dans L'AFrique Centrale. Paris 1830. 3 Vol.

(٣٧) oscar lentz: Vovge du maroc au senegal. paris. 1880 .

(٣٨) رحلة ابن بطوطة: المرجع السابق.

(٣٩، ٤٠) القلقشندي: المصدر السابق ص ٢٨٠.

(٤١) بالمير: المرجع السابق المجلة الافريقية ١٩٢٧.

(٤٢) حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام في القارة الافريقية ط ١٩٦٤ القاهرة ص ١٣٠ وما بعدها.

(٤٣) عمار هلال مآثر الاسلام الخالدة في إفريقيا جنوب الصحراء تحت السحب.

(٤٤) حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق.



حكايتان طريفتان كان يطيب للكاتب الاديب المرحوم الحاج احمد بنانى رئيس التشريفات الملكيةالمغربية السابق ان يحكيها للتمثيل والاستشهاد على فنون الجنون التى عرفها اثناء عمله واحتكاكه بالشرقيين والغربيين على السواء.

ورغم جانبها الفكاهى فان دلالتها الحضارية والاجتماعية والنفسية واضحة ومن شأنها أن تسلط الضوء على جانب من طباع الامة الصينية فى اول عهدها بثورتها الحمراء ـ وعلى جانب آخر من طباع الشعب الاميريكى الحديث العهد بالخروج من عزلته التاريخية والاختلاط بالعالم القديم..

حكاية من الصين

يحكى الحاج احمد بنانى رحمه الله بطريقته المهيلة وهو يحاول كبت ابتسامة صبيانية مرحة فى عينيه الزرقاوين انه زار «الصين» مرة على عهد رئيسها السابق «ماوتسى تونغ» وعلى رأس وفد.. فاستقبله الصينيون بكل حفاوة وترحيب.. واخذوهم الى افخم فنادق (بيكين).. وانزلوهم فى احسن الاجنحة.

وفى غرفة النوم اكتشف عضو من الوفد المغربي بعض الحشرات والخنافس المنزلية ـ فاخبر المشرف على الطابق وطلب منه مبيدا للحشرات او تغي الغرفة.. فاستمهله المشرف وغاب قليلا.. ثم ع ومعه شخص اخر قدمه للحاج بنانى على انه رئيس المشرفين على الطوابق.. ونظر هذا الى الحشرات ث انحنى واستأذن وخرج وغاب بضع دقائق ثم ع ومعه شخص ثالث قدمه اليه على انه مدي الفندق.. ففعل هذا مثل ما فعل سابقه وكتب شـ فى مذكرته وانحنى مستأذنا وخرج.

وبعد نصف ساعة حضر وفد من ستة أشخاص دخ الغرفة جميعا ووقفوا امام الضيوف صفا واخر رئيسهم نسخة من **«الكتاب الاحمر»** (ما وتس تونغ) واخذ يقرأ منه عليهم بوقار وكأنه يتلو آيات الذكر الحكيم والترجمان يترجم:

«ان الخنافس والقمل والبراغيث والنمل والناموس والذباب.. والجرذان والفيران.. و الميكروبات والحشرات الضارة.. ما هى الا ر

من عمل الامبريالية الاميريكية المعتدية».

واقفل الكتاب الاحمر وانحنى باحترام كبير وودع
خرج تاركا اعضاء الوفد يحملقون فى الفراغ فاغرى
الافواه.

زائر منتصف الليل

ويحكى الحاج احمد بنانى بنفس لهجته المرحة ـ
عن مراحل الاعداد لزيارة الرئيس الاميريكى الاسبق
«دوايت ايزنهاور» للمملكة المغربية ـ وكيف ان رئيس
التشريفات بالبيت الابيض حضر بنفسه وعقد معه
عدة جلسات مطولة درس فيها الجانبان جميع تفاصيل
الزيارة من نزول الرئيس بالمطار الى اقلاعه منه عائداً
الى بلده.

عاد رئيس التشريفات الاميريكى الى بلاده وبقى
يتسلم منه البرقيات التوضيحية والاستيضاحية
المكالمات الهاتفية ويستقبل السفير عدة مرات فى اليوم
حتى ظن انه قتل موضوع الزيارة بحثا وتدقيقا.

لما لم تبق الا ليلة واحدة على الزيارة نام الحاج بنانى
ل‍ء جفنيه فى انتظار الصباح الذى ستبدأ فيه الرحلة
لهامة.

فى الثالثة صباحا رن جرس التلفون فاستيقظ
جل من عمق نومه متوجسا شرا.. وجاءه صوت
سفير الاميريكى يطمئنه ويعتذر عن مكالمته فى تلك
ساعة.. ولم يقض وقتا طويلا فى الاعتذار بل دخل
شرة فى الموضوع:

اريد ان اراك.

الآن؟

نعم الامر مستعجل و«البيت الابيض»
ظر الجواب الآن.

الا يمكن ان تقول لى عبر الهاتف؟

الاحسن ان نتقابل.

■ **تعال، اذن انا فى انتظارك.**

● **وأضاف فى نفسه: «وامرى لله».**

ولم تمض بضع دقائق حتى رن جرس الباب ودخل السفير ومساعده وبقى حارسه الشخصى مع سائق السيارة بالباب.

وكرر السفير الاعتذار مرة اخرى عن الازعاج وفتح ملفا كان يتأبطه وقال:

■■ وصلتنى برقية مستعجلة من واشنطن تتطلب ايضاحا لنقطة معينة.. وتتعلق بمرحلة استقبال السيد الرئيس عند نزوله من الطائرة فمن عاداتكم العربية استقبال الضيف الكبير بالحليب والتمر..

ووقف السفير يمثل الموقف: فنزل من الطائرة. وسلم على مضيفه.. وقدم له المضيف صحن التمر.. فتناول تمرة ادخلها فى فمه وقال:

■■ سؤال (واشنطن) هو: «ماذا يفعل الرئيس بعظم التمرة حين يأكلها؟.. هل يبلعه؟. يبصقه فى يده؟ يرميه على الارض؟ يضعه فى جيبه؟..».

وكاد الحاج احمد بنانى ان ينطح السقف ـ وكظم غيظه حتى لا يصيح فيه. «اهذا ما ايقظتنى من اجله فى جوف الليل؟».

وابتسم للسفير وقال:

■ التمر الذى يقدم للضيوف يكون منزوع العظم ـ وبدل العظم نضع لوزة او جوزة مقشورة.

فتنفس السفير الصعداء وصافح رئيس التشريفات بحرارة وودعه قائلا:

■■ سابرق بالخبر الى واشنطن حالا ـ لقد انقذت حياتى.



فى قصيـدة شوقى «**الهمـزية النبوية**» التى ورد جزء منها فى صفحة (**٥٢، ٥٣**) لعـدد المجلة المتخصص عن الـدعـوة والدعاة رقم (**٤٤٩**) لشهرى ربيع الاول والثانى ١٤٠٧هـ . . ورد البيتان : (**ما جئت بابك مادحـا** . . . . .) . . معلوم بالضـرورة انه لا يختلف اثنان ممن أنار الله سبحانه وتعالى قلوبهم ونفوسهم بنور الايمان الوضىء والتوحيد الخالص لله سبحانه . . أن (الدعاء) لا ينبغى ان يتجه به إلا لله سبحانه فهو مالك الملك والمتصرف فيه . . وكثير من آيات القرآن الكريم ترشدنا الى هذا ﴿**قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله ربِّ العالمين**﴾ . . واحاديث الرسول ﴿ﷺ﴾ وتوجيهاته وسلوكه يرشدنا الى الطريق الواضح فى السؤال والدعاء (**إذا سألت فاسأل الله** . . **واذا استعنت فاستعن بالله** . .) وما فى معنـاهـا . . ومـا من شك فى ذلك قط ولا ينبغى . . وهذه هى الحقيقة الايمانية الخالصة التى منها تنطلق رسالة الكلمة الناصعة التى تحاول هذه المجلة إيصالها لقارئها فى كل البقاع . . وما ورد فى هذين البيتين موضوع الحديث مما يخالف هذه القاعدة الايمانية فإنه لا شك مرفوض منا قلباً وقالباً وهـو (**خطأ غير مقصـود**) وإنّـا وايّاكم لنسأل الله سبحانه سواء السبيل وحسن القصد . .

المنهل

المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

قصائد العدد

العدد (الثلاثون) جمادى الأولى ١٤٠٧هـ

المشرف

محمود عارف



د. نور الدين صمود
تونس

قصيد **(حكاية)** للشاعر السعودي الكبير **محمد حسن فقي** ذات خمسة مقاطع.. نوّعها الشاعر تنويعا قليل المثال، اذ لم يكتف بتنويع القافية أو الرويّ بن سب س مقطع على بحر من البحور الشعرية.. ولم يكتف بالبحور المألوفة التى كثيرا ما يكتب عليها الشعراء قصائدهم. وقد كانت بحور قصيدته على النحو التالى:

البسيط: قالت له وهى تبكى إننى امرأة..

الطويل: وفكر واستأنى وكان عن الهوى..

الوافر: وقلن لها: أمثلك يزدريه..

المديد: رُبَّ عذل كان بلسمنا..

الخفيف:

ومضى الدهر راكضا.. فاذا العازف

عن حبه هو المشغوف

فالقارىء لا يكاد يظفر بقصيد على البحر **«المديد»** فى شعرنا الحديث إلا فى القليل النادر.. بينما يتهافت الشعراء على: الرجز **«حمار الشعراء»** وعلى المتقارب والخبب والرمل والكامل والبسيط والوافر والطويل.. ويُهملون المقتضب والمنسرح والمضارع. ولم يكتب

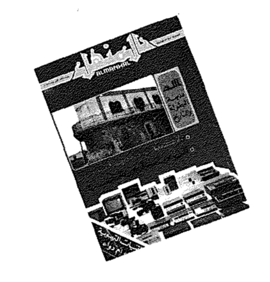


على جميع بحور الشعر إلا القليل من الفحول وأصحاب الحس الموسيقى الشعرى ممن لهم رصيد من الشعر العربى الأصيل.

وبعد هذا أليس الشاعر محمد حسن فقى جديرا بأن أهديه قصيدتى **(الى شاعر)** التى نُشرت فى العدد الأسبق ٤٤٧.. فقد كُتبت فيه وأهديت إليه. وبالمناسبة شكرا للأستاذ فريد أبو سعدة على رأيه فيها الذى اعتز به.

١ ـ قصيدة **(القطا)** لأحمد مصطفى حافظ من مصر.. نونية مردفة بهاء على البحر الخفيف، ذكرتنى بعض مقاطعها فى فظائع العدو على أرض لبنان بالفظائع التى سلطت على العرب أثناء إخراجهم من الأندلس التى وصفها أبو البقاء الرندى:

يا رُبَّ أمٍّ وطفلٍ حيلَ بينهما
كما تُفرَّقُ أرواحٌ وأبدا
وطفلة مثلَ حسن الشمس إذ طلعت
كأنما هى ياقوتٌ ومرجا



مقاربة لقصائد العدد رقم (٤٤٨)

يقـودها العِلجُ نحوِ السبى مكرهةً
والـعـينُ باكـيـة والـقـلبُ حيرانُ
لمثـل هذا يذوبُ الـقـلبُ من كَمَـدٍ
إن كان فى الـقـلب إسـلام وإيـمان

وإن متانة القصيدة تجعلنى أتساءل: ما هو الخطأ المطبعى الذى جعل هذا البيت مختل الوزن:

إذ يرى من تقـاعس الحـياة
صولـة الذئب فى ثرى أوطانه (!)

اما البيت الأخير وهو قوله:

أى فرْحٍ على الـقـلوب حرام
أو يعـود (الـقطـا) الـى أفـنانـه

فان تسكين (الراء) من كلمة (فَرْح) للوزن غير مستحسن إلا إذا كان جائزا لغويا.. وأحسب أنه يحسن إبدال كلمة (أى) بكلمة (كل).. ولا أظن أن كثيرا من القراء العاديين يعرفون أن (أو) معناها فى البيت (إلى أن) على نحو ما قال الشاعر القديم:

وكـنـت إذا غمـرت قنـاة قَوْمٍ
كَسَـرْتُ كعـوبهـا أو تسـتـقـيـما

أى: الى أن تستقيم والألف للإطلاق.

٢ - وفى نفس الموضوع نجد قصيدة «عودى يا بيروت» للدكتور سامح درويش من مصر. وهى رائية على البحر البسيط متينة السبك إلا أنى أريد أن أعرف أصل البيت السابع فى مخطوطة الشاعر لأن وزنه مختل هنا:

من قاتلوك؟ ام من غارت خناجرهم
فى صدرك الحـر تدميـه إذا غدروا

٣ - اما قصيدة «قبضة الليل» للشاعر عبد الفتاح الخطيب، فهى على البحر المتدارك الذى زعموا أن الأخفش تداركه على أستاذه الخليل.. صور فيها صاحبها تطاحن الشعوب وسطو الغنى على الفقير. وكنت أود لو أن الشاعر وجد كلمة أخرى عوض (طحناء) فى قوله:

أغـصـان الـزيـتـون احـترقـت
بسـعـير خـروب طحـنـاء

فقد نُعتت الحرب والحروب: (بالطحون والطحانة) قديما ولم أسمع نعتها بالطحناء. وكنت أود لو قال الشاعر:

فى شرق الارض ومغربها (عوض): (وفى غَرْبٍ).

وما عدا ذلك فالقصيدة طيبة.

٤ - وأصل الى قصيدة: «الرحيل الى الأعماق لأحمد غراب. وهى «قافيَّة» على البحر الكامل فيها لغة شعرية

جيدة مناسبة للموضوع الغزلى المعطر المحبب، لكن الأسلوب العربى الصحيح يتطلب أن تأتى «الفاء» الرابطة فى جواب الشرط إذا كان مسبوقا بحرف.. وفى حالات أخرى أيضا فقد جاء فى الطالع ـ للوزن طبعا ـ

إن ترحلى مازلت فى أعماقى
أحلى السنابل فى ربا أشواقى

ولولا الوزن لوجب أن نقول: (ان ترحلى فمازلت فى أعماقى..)

وأما قوله:

وحقيبة العطر الصغيرة مالها
سوداء لون جوانح الاخفاق

فكنت أود لو أبدلت: (الحقيبة) (بزجاجة) للملاءمة.. وأحسب أن البيتين الموالين لهذا البيت دون مستوى الأبيات الأولى والتالية لها إلا قوله:

قصّي غصونك عن روابي جبهتي
ولترفعى الأوراق عن أشداقى

(فالأشداق) ليست شعرية البتة فى هذا السياق.. كما لم أفهم هذا البيت:

ماذا لقد أورقت بين جوانحى
وتغلغل الجذر المشاكس ساقي

ولعل الكلام يقتضى أن نقول: (تغلغل.. فى ساقي)

على اننا نظلم الشاعر إذا لم نشر إلى مثل قوله:

وخيوطُ عطرك فى دمى مغموسة
صلّى عليها النبضُ فى أعراقى

٥ ـ ومن مصر نقرأ قصيدة الشاعر ياسين الفيل: «عيناك والحقيقة الباكية» على البحر البسيط وروي الراء وهى جيدة متينة كنت أود لو أبدل فيها لفظ السهم بالسيف فى قوله:

إنى أحبك حبا لا يحس به
إلا حبيب بسهم الحب ينتحر

لأن «المنتحر» الذى يقتل نفسه لا يستطيع أن يفعل ذلك بسهم يصوبه نحو نفسه.. كما لم أهتد إلى فهم كلمة: (خذْر) بسكون الدال للوزن فى قوله:

وصوتك العذب خذْر يستحل دمى
هذى بقيته فى الروح تنتشر

ولعلها بتحريك الدال وسكنت للوزن... وما عدا ذلك فهو شعر لا غبار عليه.

٦ ـ قصيدة «**الرمز الجميل**» لمصطفى النجار «من حلب» لامية على الرمل.. إلا أن البيت الرابع تختلف عروضه عن بقية أعاريض أبيات القصيدة فهى تنقص عنها سببا خفيفا، كما أن «التدوير» فى البيت السابق للأخير أفسد موسيقاه والتدوير لا يحسن إلا فى الخفيف. كما نلاحظ أن الشاعر لم «يصرّع» البيت الأول كما هى عادة القدماء بل صرّع البيت الأخير، والقصيدة دون مستوى شعره الذى ألفناه منه فى مختلف المجلات.. وإذا كان ضم اللام فى كلمة (لقانا) من الشاعر فانها من الأخطاء الشائعة مثل قولهم: «البُعاد» بضم الباء.

٧ ـ وقصيدة: «**آهات مغترب**» لشهاب غانم.. بائية على البحر الطويل، وهى فى وصف غربة الشاعر عن أهله وأسرته من أجل طلب العلم فى بلاد الغرب. وكأن هذا الشاعر يرد على الشاعر أحمد محمود مبارك «من مصر» أو كأن الثانى يرد على الأول ففى قصيدة هذا الأخير



لست ترقى وهى قافية على مجزوء الرمل - يخاطب مغرورا ضاع فى دوامات المادية وعاد بعد رحلة علمية الى أروبا نازعا عنه ستر القيم والأخلاق متعللا بالمدنية والتحضر. ونحن نعـرف أن النـوعـين اللذين تحدث عنهـما هذان الشاعران موجودان فى كل مكان.

٨ - ومن السعودية يكتب الشاعر عبد السلام هاشم حافظ قصيدة من الشعر الحر على تفعيلة «**المتقارب**» وهى عبارة عن قصة فتاة زُفَّتْ الى ابن عمها الذى لا تحبه قسرا فكان مآلها الـوأد. . لذلـك جعـل الشـاعر لقصيدته عنوان: «**كبدى التى وأدوها**» وكنت أود لو أن الشاعر قال:

ولـو أنهـم أسـعـدوهـا
لهان على البــلاء وزال

عوض: (**وياليتهم أسعدوها/ لهان. . الخ**) لأن اللام تأتى بعد (لو) أحسن من مجيئها بعد (ياليتهم). . . كما أن الوزن يستقيم بقوله: (نشيد الحياة) ويختل بقوله: (أناشيد الحياة) ولعلها غلطة مطبعية.

وأظن أن الخاتمة تكون: (فواهاً على. . وآهاً عليها) بالنصب أحسن من الرفع أو الجر.

والقصيدة بعد هذا من الشعر القصصى القليل المثال.

٩ - أما قصيدة «**همسة قلب**» للشاعر يحي توفيق حسن من السعـوديـة فهى داليـة على البحر الكامل يتحدث فيه صاحبها عن وداعه للحب وما يجره لقلبه من الويلات حتى عرف هذه الفـاتنـة فانثنى مسلِّما لها مهجته وسـريـرتـه وقياده. . وأظن أن صواب هذا البيت:

وأقـمـت فى أنـفـاس عطـرك واحتي
وأرحــت فيـهــا عربـتـى وبـعــادى

(بالغين المعجمة من فوق فى (غربتى) لا بالعين المهملة. كما أنى لم أفهم بسهولة البيت الأخير وهو:

فضـعـى على رداء حبـك واسعـدى
روحــا تذيــب بيأســهــا عوادى

خاصة اذا أضفنا ان الهمزة القطعية فى (أسعدى) قد أصبحت همزة وصـل للوزن فهناكِ فرق بين: (اسْعَدِى روحا) و(أسْعِدِى روحا). .

١٠ - أما قصيدة المتنبى فليس لى ما ألاحظه حولها إلا أنها تخلو من التقـديم والتعـريف بمـوضـوعها لكن القارىء يكتشف أنها فى مدح كافور الاخشيدى أبى المسك وهى تضـع أبـا الطيب فى حرج خاصة والناس جميعا يعرفون أهاجيه المقذعة فى هذا الممدوح وكان غيرها أولى بالتقديم والاختيار فى هذا الركن. . أضيف الى ذلك أن فى بعض كلماتها اختلافاً عن رواية الديوان الذى حققه عبد الرحمن الرقوقى وأعتقد أن بعضها فى الرواية الأخيرة أحسن أو أصح.



عبد الواحد أخريف
المغرب

من القريض ما يلهب الشوق ويوحد الكلم... ومنه ما يوطد المحبة ويفرز المشاعر... ومنه ما يتعدى قائله الى نائله فيعيده مسكوبا.. نقيا.. معطراً.. يتجاوز المساحات ويتخطى المسافات ليصل عبقا لمجموعة تلك الامم المتمسكة بدينها المتخلقة بفضائله.

فأهلا بهذا العطاء

من المغرب الأقصى الى منبع الشعر
تطير بنا الأشواق ظامئةً تجري

على نَفَسٍ ما ينثني عن لهاثه
اذا هو لم يشهد ربوع بني بكر

الى «حرم» بالدين يسمو مهابة
وبالشعر منقوشاً على غُرَّة الدهْرِ

يطوف به الحادي فيوحي غناؤه
إلى مرهفِ الإحساس آياً من السحر

فينفثُها شعرا تكاد عيونُهُ
تلاحق في العشاق نافلة العمر

على مسرح رفَّ الخيالُ به ضُحَىً
فولَّدَ إعجازالبديع من الشعر

فحُولُ القصيد الجزل في جنباته
تُشِعُّ على الآفاق الأنجم الزهْر

وفيها امرؤ القيس المضمَّخُ بالهوى
يفوق كما فاق النجومَ سنَى البدر

هُمُ ورَّثوا للضاد فيضَ شعورها
ولولا همُ ما كان للشعرِ من ذكْرِ

عواطفهم صاغتْ لغاتِ قصيدِهِم
مرصَّعَة الألفاظ لامعةَ الفكر

الى النفس تنسابُ انسياباً كأنها
من الوحي أنغام منسقة تسرى

اذا كان للاغريق «هوميرسُ» الذي
بملحمة الهيجاء غنَّى على جمْر

فإنَّ لنا سيْلاً يُدوِّي هديرُه
بسبْع وعشْر عانقت قدس الحجر

به الهَرمانِ: الشعر والنثر صوَّرا
ملاحم قوم والفخار لذي الفخر

تحية وولاء

عدنان أسعد
القاهرة



من مِصْرَ وادى النيل
أزجى بالتحيّةِ والدُّعاء
للمجد .. للفهد المعظّم
للرجاحةِ والسَّناء
فاضتْ أياديه الجليلةُ
بالفيوض .. وبالسَّخاء
ورعَى (المدينة) روْضةَ
الرَّوْضاتِ واكتملَ البناء
طابتْ هنالك طَيبَةُ
والروضُ مبتهجُ الغِناء

مجدٌ يُخلّد للمليكِ
صحائفاً بيضاً وِضاء
اللهُ كرَّمَهُ وأيّد
خطوهُ .. صُبْحاً مساء
دام المليكُ وخادمُ
الحرمَيْن مرفوعَ اللواء
دامتْ أيادِيه الحسانُ
ودام مأمولَ الرَّجاء
وأنا المتيَّمُ بالرسالةِ
والرسولِ بلا انتهاء
من مِصْرَ وادِى النيل
أُزجِى بالتحيَّةِ والوَلاء

نقسُ وسجعُ القول فى فقراته
يدبج انماطا من اللؤلؤ النثر
«سحبان» يهمى كلما عصفت به
رياح من الإبداع تبعث بالبِكرِ

طوينا اليها الأفقَ طيراً كأنه
على طول مسرى النسر أقصر من شِبْرِ
لترتوىَ الأكبادُ من منهل الهُدى
وترتدىَ الأجسادُ ثوباً من البِشر

ونسرحَ فى الذكرى معطرة الشذى
مطهرة الأنفاس بالنشر والنصر
وألوية القسطاس فوق سمائها
وفيها رسولُ الله يصدعُ بالأمر

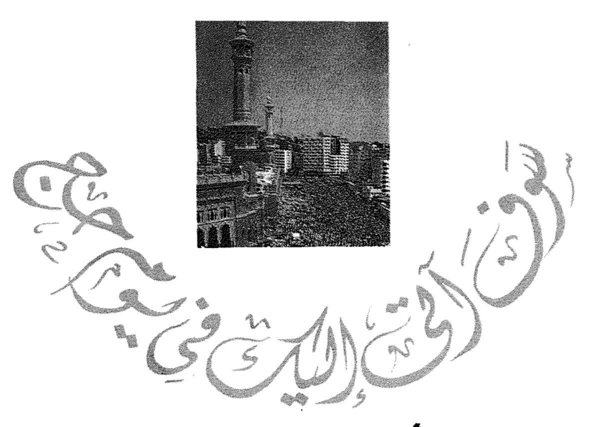


وأعمدة الأنوار من شُرُفاتِهِ
تبدّد أحلاكَ الضلالة والكفر
حواليْه من فتيان «مكة» باقةٌ
هى الأملُ المنشودُ للخيرِ والبِرِ
وفى «يثرب» الفيحاء أسدٌ اذا دعُوا
تراهم على الأعداء فى هجمة الصَّقْرِ
على الدين والتوحيد شدُّوا خناجراً
فجاءت نفوس القوم أغلى من التبر
رعيل من الأبطال فازت به الدُّنَا
ونال من الأجيال خاتمة الشكر

* * * *

«رُبُوعَ الهُدى» جئنا نجدد عهدنا
ولم ننس هذا العهد من مطلع الفجر
فمنكِ اخذنا الدين غضّاً رواؤه
ومنك تعلمنا المناجاة بالشِّعرِ
وفى كل عامٍ للوفود رسائل
يرتِّلها الحجاج شوقا الى الطُّهْرِ

وفى الحرمين الآمنين تنسُّكٌ
ونجوى وغفران وزادٌ من الأجْرِ
فبين «بلادى» والحجاز وشائجٌ
تلازمُها أقوى من الشفع والوِترِ
بها الحسنُ الثانى يتيه صبابةً
وفهد على الاخلاص شد من الأزر
جناحان للإسلام طار عليهما
فحقَّقَ للإنسان معجزة العصر
يقينهما أن الشريعة دولةٌ
تصون حقوقَ الناس فى السر والجهرِ
فمذهبُهَا لو ساد دينا ودولة
لعادت به الدنيا جناناً من الزهر
أنتركُهُ ظهراً ونجرى تخاذُلاً
وراء ضلالات مخدِّرة الفكر؟
هما لبَنِي الإسلام حصنٌ وملجأ
اذا مسَّهُمْ بالسوء طيفٌ من الشر
قد ارتويا من فيض نبع «محمدٍ»
فجاءا كما شاء الكمال من الوفْر
علوماً وتقوى واستقامة منهج
وجدّاً يذيب اللهوَ فى مائه الغَمْرِ
مساعيهما فى صالح العُربِ جمّةٌ
اذا تمَّ مسعى كان آخرُ فى الإثْرِ
أيادٍ أرى تعدادها غير ممكن
فَقُلْ عدُّها كالنجم او كحصَى البحرِ
هنيئاً بما نَالاَ من المجد والعُلاَ
وما حقَّقا من واسع الصيتِ والذِّكْرِ
من «المغرب الأقصى» تحايا أزفُّها
محمَّلة الأعطافِ بالوُدِّ والعطر
وما أملى إلا قبولُ هديتِى
فذاكَ ـ اذا جُدْتُم ـ وسامٌ على صدرى



أحمد مصطفى حافظ مصر

هل بطوقِ القريض أن يتسنَّى
لفؤاد.. ذاق الغرامَ.. فَجُنَّا؟.
كان قبلا - قبل الهيام - خليّاً
يُبدع الشعر آمنا مطمئنا
والقوافى - بغير كدٍّ - توافى
مائسات.. تفيض بشراً وحسْنا
ما بهند ذاك الهُيام ولُبنى
أو بدنيا تطيب مبنى ومَعْنى
بل بِطَهَ.. خيرِ البرايا.. وطه
قمة الوجد.. للشجىِّ المُعَنَّى

* * *

بعد شوط الحياة فى عشرات
ها هو القلب.. للتطهُّرِ.. حَنَّا
قد نفضتُ اليدين من كلِّ شىء
غير وجدٍ.. يقضُّ مهداً وجَفْنَا

كلُّ ما أبتغى من الدهر.. يوما
أنتحى فيه - من رحابك - رُكنا

* * *

سوفَ أتِى إليك فى يوم حجٍّ
فوق رجلى إذا زمانى ضنَّا
إنَّ أصْلىِ من الحجاز فجدِّى
من بنيهِ كما تحدَّث عنّا
وإذا أدركَ الفؤادُ مناه
لا يبالى تحت الجلامدِ دفنَا

* * *

أين منى ومن جميع لذاتى
فى مدى القول - وصفكم - أين منّا
يُطرق الكلُّ فى حياء وصمت
أنت أسمى من كل نعتٍ وأسنى
إن تغنّى بحب ليلاه قيس
كنت وحدى بالمصطفى أتغنّى



أتـريـدنـى ألا أصـوغ نشيـدا
أتـرى البـلابـل تهجـر التغـريـدا
أغـريـت نفسى بالتصـبر فانثنت
عنـى وزادت نفـرة وصـدودا
فركبت بالأمـل الخطوب يزيـدنى
إيـمان قلبـى عزة وصـمـودا
ورفـعـت رأسـى لم أنكسهـا لذى
بغى وسـرت على الطـريق رشيـدا
أطلقت فى دنيـا التأمـل خاطـرى
ورسـمت للنفس اللجـوج حدودا
أحـببـت حتـى خلت أنى عاشق
يفـنـى ويـلقى فى الغـرام صدودا
وجـزعت حتى خلت أنى راحـل
يمضى على درب الحيـاة وحيـدا
غنـيـت بالآلام حتـى خلتـنـى
أبـكـى حرارة ما أحس نشيـدا
وحسبتنى رمـز التـورع والتقى
فغـدوت أحسب من أرى عربيـدا
وأصـابنى زهـو الصغـار فلم أجـد
إلا غيـوراً حاقـداً وحـسـودا
أقسى المصائب فى حياتك أن ترى
ممن تحب تنـكـراً وجـحـودا
وأشـد ما يؤذيـك صحبة صاحب
أبـدت لك الأيـام منـه حقـودا
يا ساحـة الأوهـام ما فى ظلهـا
أمـن يريـح المتـعب المكـ
السـافـرون عن الـوجـوه تقنعـوا
والـلامعـون استعـذبـوا التمجيـدا
والسـائـرون على خطـا ساداتهم
وجـدوا طريق نجـاتهم مسـدودا

عبرة وعبرات

عمر بهاء الدين الأميري

المغرب

> ما أشد لوعة الفراق.. وما اعمق غوره فى احاسيس الناس عامة ـ فكيف به وقد رشق بسهامه كبد شاعرنا المرهف المعطاء؟.. انها نازلة تعد فى ذاتها «أوحدية».
>
> «المنهل: المشتار»

في عَبْرة الموت آيات لمعتبر
وفي زواجره، ردع لمزدجر

ما بال مَنْ سكنوا رحب القصور نسوا
أهوال أحبابهم في أضيق الحفر

بالأمس ساروا بهم والحزن يغمرهم
وأودعوهم بلحد مُطبَق حَصِر

ما بين زفرة صدر جاش لاعجها
وبين دمع من العينين منحدر

وقيل ما قيل في الدنيا وباطلها
وخيل أنهم تابوا من الأشر

واليوم عادوا الى مألوف غفلتهم
كأن دائرة الأيام لم تدر!

ويعذلون لآهات أرددها
ودمع عيني كذوب الجمر منهمر!

يا صحب، لا تعذلوني في البكاء وقد
فقدت أمي، فقلبي ليس من حجر

قلبي قد انتزعت منه حشاشته
في فجأة، والردى أمر من القدر

أمي، وكانت ضياء في دجى عمري
وموئل النفس في الجلّى ومدخري

وكنت في نظر الحب الرؤوم لها
مجسّم الفضل في الدنيا، على صغري

ودّعتها قبل شهر في ارتقاب غد
اللقيا، وعشنا معاً بالروح في سفري

وعدت في لهفة حرّى لأصحبها
فما لها لا تناديني: «قمر عمري»

ولا تمدّ يداً نحوي تعانقني
ولا تسائل عمّا جدّ من خبري!

وجدتها جسداً مسجى، وصفرتها
نور رصيف سرى من جسمها العطر

فما ملكت انكباباً فوق مبسمها
ورأسها، والجوى في القلب كالشرر

سلّمت لله في حمد الرضا، وأنا
أبكي.. وأبكي... وقد أبكي مدى عمري

ساحة الأوهام فجرى طالع   أأمد كفى للعباد تقربا
فقفى على قدم الخضوع بعيدا   منهم وأنسى الواحد المعبودا

الشيخ والبنت

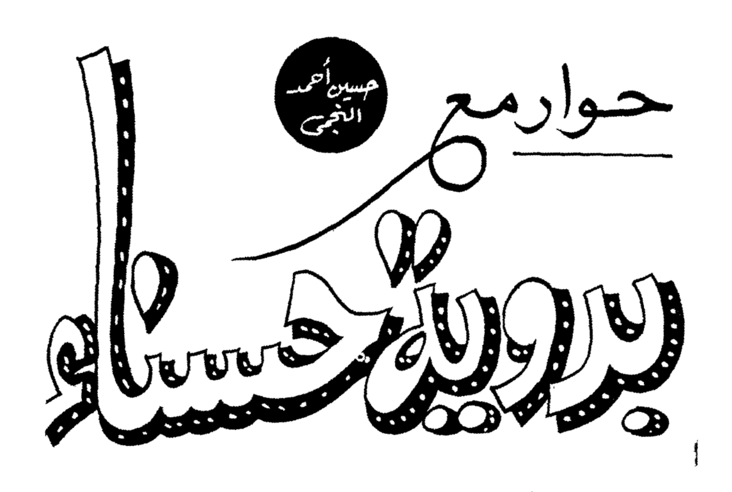
شاعر الريف السعودي



قال شيخٌ طاعنٌ فى السنِّ مُثْرِى
قلتُ مفتوناً بها ياحبَّ عمرى
أنظرى فى قصتى بُتِّى بأمرى
لى أعوامٌ بدرب الحبِّ أجرى
وسواك اليومَ لم يخطرْ بفكرى
نظرتْ لى نظرة شقت لصدرى
ثم قالت لى بلفظ غيرِ مغرى
أننى أرجوكَ لا تنطقْ بذكرى
لا تؤمل أن تضمَّ اليومِ خصرى
أو يقبل ثَغْرُك الظمآنُ ثغرى
أو تداعب كفُّكَ العجفاء شَعْرِى
أو تقابل بمغيب الليلِ فجرى
أنا لا أسعى الى جاه وتِبْرِ
إنَّ حبى للذى أهواهُ مَهْرى
لو قضيتُ العمرَ فى جوعٍ وفقرِ
والذى أرجوه لا تهزأ بعُذْرِى

* * *

قُلْتُ للشيخِ الذى قَد رام نصرى
لا تزد حرفاً فإنى عيل صبرى
أنت فى الستين أمَّا كنت تدرى
ما الذى تنويه من إثم وَوِزْرِ
قال أرجو ان يضمَّ البنتَ قصرى
كى يزيدَ اليومَ عند الناس قَدْرى
فأجبتُ الشيخَ فى لطفٍ وسخر
قلت كَمْ بالمال من أشياء تشرى
غير أن الحُبَّ لا يشرى بنزرِ
إن هذا المال فى رأيى كصفر
عند أنثى عشقت فى كل عصر
ثم إنَّ البنتَ هذِى حَسْبَ خبرى
مثل بنتٍ لك فى العشرين بِكرَ
أفتهدى بنتَكَ الكبرى لقبر
فأصيب الشيخُ من قولى بذعر
قال كادَ الجهلُ بالاشياخ يُزرِى
وانثنى يعدو وفى عينيه شكرى



بدويةٌ ليليةُ الشَّعْرِ
حسناءُ تحكى طَلعةَ البدرِ
تجلو الهوى من مقلتى أرقاً
ويذوبُ فى أهدابها شعرى
وحديثُها همساته نغمٌ
وبيانُهُ ينسابُ كالسِّحْرِ
نظرت فضجَّ الشوقُ فى كبِدى
والحبُّ أضحَى فى دمى يسرى
ورنت إلىَّ تقول فى خَفَرٍ
ماذا أرى يا شاعرى العُذْرى
أأرى الهوى طفلا يُحرِّكُهُ
حُبُّ الحياة وبسمةُ الثَّغْرِ
وتماوج الأحلام ضاحكة
أم لوعة الأشواقِ فى الصدر

فهمستُ والنظراتُ شاردةٌ
رفقاً بقلبٍ ذابَ فى الأسْرِ
قالت وفى نظراتها فرحٌ
والثغرُ يرسُمُ بسمةً تُغْرِى
ماذا ألمَّ بقلبِ شاعِرنا
أتراه ذاب بلُجَّةِ العِطْرِ
أم هل تُراهُ متيمٌ وجِلٌ
لعبَتْ به الأمواجُ فى البحرِ
قُلتُ الهَوَى سهمٌ يُصَابُ بِهِ
قلبُ الفتى من حيثُ لا يَدْرِى
فيذوقُ من أحزانِهِ ألماً
أو ينتشى فى فرحةِ العمرِ
قالتْ ودمعُ العَيْنِ منسكباً
قد سالَ فى الخَدَّيْنِ والحجرِ

أنــا ثورة الأطــيــافِ شاردة
تنــثــالُ فى الأنــغــام والــزهــرِ
أنــا قطــرةُ الأمطــارِ تسـكـبُـهــا
عينُ الــســحــابِ بعــالم الطُّهْــرِ
أنــا من رُؤى الأحــلامِ شاخصــةً
قد ضقــتُ بالآلام والــعُــهْــرِ
وكــرهــت أيــدى الحقــد داميــة
تغــتــالُ قسـراً عفَّــة الــبِــكْــرِ
وتُحطِّــمُ الآمــالَ فى مُقَــلٍ
قد سالَ منهــا الــدمــعُ كالقَطْــرِ
قد ضِقــتُ بالأحــزان تسـلبنــى
سحــرَ الجمالِ على الرُّبَــا الخضرِ
فعــزفــتُ عن دينــاكُمُــو طمعــاً
فى أن أعــيشَ بعــالمِ الــشِّــعْــرِ
لأذيــبَ فى أفــراحِــهِ ألمــى
ولــيــنــجــلِى فى دَرْبِــه قَهْــرِى
وأعــيش هائــمــة محلِّقــة
طيــفــاً يهيــمُ لآخــرِ الــعُــمْــرِ
فإذا نُعِــيــتُ إلــيــك يا أمــلى
فاذكــرْ هواكَ بســابــقِ الــدهــرِ
واســفــحْ بعــيــنِ الــوُدِّ معتــبراً
بعضَ الــدمــوع على ثَرَى قَبْرِى
واعــلــمْ بأنِّــى فى الهــوى حلمٌ
فاقــبــل بقــلــبٍ صادقٍ عُذْرِى
واعــلــمْ بأنَّــكَ سوف تذكــرنِّــى
ما هاجــت الأمــواجُ فى الــبحــرِ
أوحَــل فى أطــرافِ ساحــتِــكُمْ
فرحِ الــغــنى أو قســوة الــفــقــر
ومــضـــتْ تُردِّدُ وهــى مســرعــة
إنِّــى الحــيــاة قَدَمْ على الــصــبرِ



حتــى تلاشــتْ خلفَ مخدعِــهَــا
وتــوارتِ الأحــلامُ فى الخــدرِ

البدوية الحسناء

د. أحمد عبد القادر المهندس
الرياض

قالت: إليَّ! فقلتُ: ليس سِواكِ   عيناي في فيضِ الهوى عيناكِ

قالت: هداكَ اللهُ أنتَ أسرتَني   قلتُ الذي أسرَ الفؤادَ بهاكِ

لا تُفزعي قلبي بتِيهٍ .. إنَّما   قلبي يَطوفُ ولا يَرى إلّاكِ

تمشين بالدلِ الموشَّى بالسَنا   فتحفي الدُنيا إذن بسَناكِ

يا غضَّةَ العودِ الرهيفِ ويا [illegible]   [illegible] ارقصي بشذاك

إني بنيتُ من ادكاري معـ[illegible]   [illegible] التقى .. لأراكِ

أنتِ النعيمُ وليس مثلكِ نعـ[illegible]   [illegible] خافقًا بهواكِ

قد زانكِ اللهُ الجمالَ حقيقةً   [illegible] كساءً بفضلِ رداكِ

أخلاقكِ الحسنى تلوّن مهجتي   وتنيرُ الدربَ الطويلَ نداكِ

يا ليتني يومًا أراكِ بلا رُؤى   ويكونُ حسنُكِ مرشدًا لحماكِ

يا ليتني .. هلّا نفعتُ بليتني   ورضيتُ حتى بانتظارِ جناكِ

يا زهرةً في الغيبِ، يا أحلى الشذى   قُولي متى .. قولي متى ألقاكِ

حرمان



هذه (انابيش.. شعرية) لم تنشر من قبل.. اختارها لمنهله استاذنا المربى عثمان الصالح لتشرق فى هذا العدد.. ما احرى باعلامنا وادبائنا ومثقفينا ورواتنا ان يثروا «انابيش المنهل» بذلك الفيض المتناول والمتبادل

«المنهل: المشتار»

حرمان ..

يا حبيبي: وأين مني حبيبي؟
في خيالي أدعوك في كلّ آية
لهو لفظٌ وليس معناه إلّا
أنا أفردتُ في حياتي جمالي
أشتهي الحبّ وموطنٌ لبعيدٍ
أنا زهرٌ قد ضلّ بين غصونٍ
ضاع منّي الشذا وجفّت ثماري
أنا طيرٌ يحيا بدون أليفٍ
ضلّ عن عشّه وراح ينادي
كيف أحيا بدون إلفٍ وحبٍّ
كم أنادي ومن يجيب ندائي
وشبابي خلّفته ولوعته
فصفوا لي الجمال حتى أراه
كيف ترنو العيون تحت جباه
كيف تروي الشفاه غلّة حبٍّ
كيف تجني من الخدود زهورا
كيف تلتفّ في اعتدالٍ غصونٌ
أيهون ما عرفته في حياتي

للشاعر صاحب التوقيع

قمرٌ لاح ثم انطوى للغروب
أنا أدعو ولات حين مجيب
أملاً ما عرفته من نصيبي
سحبةٌ في الهوى سوى تعذيبي
أيّ قلبٍ يحنو لقلبٍ غريب
كيف أحيا بدون غصنٍ رطيب
وحياتي قد أوشكت للمغيب
ستذوي في الغصون رجع نحيب
أين إلفي؟؟ فذكرته من قريب
ولهو لا إلفي وسلوتي وطبيبي
أمحبٌّ أنا؟ فأين حبيبي
جفّ كأسي ولم أبلّ لهيبي
في خيالٍ بريشةٍ للأديب
كهلالٍ تحت الظلام قشيب
برحبوه يشقّ بين القلوب
فبلادي الهوى بدون رقيب
تأسر القلب من نشوةٍ عجيب
فدعوني ودمعتي ونحيبي

م.ش



الحبُّ يومضُ فى عينَيكِ فتّانا
ويرقص الفرحُ مختالاً ونشوانا
ويشرقُ الأملُ الفجْرِىُ مؤتلقاً
فى جنةٍ تزدهى سحراً وألوانا
وأيكة غرَّدَ الطيرُ الطَرُوبُ بها
فأرسلَ النورَ والأحلامَ ألحانا

عيناكِ خبَّأتا خلفَ البريقِ دُنى
بهيجةً وسماواتٍ وأكوانا
وعالماً من أساطير وأخيلة
أجوبُ عبر مداها الحلوِ أزمانا
وأبحراً كبحار السحر مذهلة
بها الأعاجيبُ تغرى الإنس والجانا

كلُّ الذى فيكِ ـ يا حوراء ـ حيَّرنى
وأشعلَ الشكُّ فى جنبىَّ نيرانا
وأيقظ الخوفَ فى قلبى عليكِ إذا
ثارت حواليكِ ريحٌ من خطايانا
فأنتِ حيناً كطفلٍ راح مندفعاً
نحو اللهيب بومضِ النار فرحانا

وأنت ـ يا عذبة العينين ـ ماكرة
تلهو مُغامِرَة بالحبِّ ـ أحيانا
حذارِ لا تحرقى هذا الجمالَ ولا
تغامرى فى طريقٍ كان خوانا

• • •

خبأتِ ـ أعرفُ ـ أسراراً محيرة
وذكرياتٍ عن الحب الذى كانا
وقصة عن صراع كان محتدماً
ـ فى صدرك الطفل ـ ثم انداح دخانا
وقلتِ ـ ما قلتِ ـ من عذب الكلام وقد
أخفيتِ فيه تباريحاً وأشجانا
لكن كل الذى خبأت ألمحُهُ
فى ومض عينيك ـ يا حوراء ـ قد بانا
مهما كذبتِ سنى عينيكِ يصدقنى
ففى العيونِ يصيرُ السرُّ اعلانا

• • •

صدقت ما قيل فى عينيك من زمنٍ
مضى ولما يزل يجرى الى الآنا
إنَّ العيونَ التى فى طرفها حَوَرٌ
قَتلننا ثم لم يُحيينَ قتلانا



وأرعن طمّاح الذؤابةِ باذخ
يطاولُ أعنانَ السماء بغاربِ
يسُدُّ مهبَ الريحِ من كل وجهةٍ
ويزحمُ ليلاً شهبَهُ بالمناكبِ
وقوُر على ظهرِ الفلاة كأنه
طوال الليالى مُفْكرٌ فى العواقبِ
يلوثُ عليه الغَيْمُ سودَ عمائم
لها من وميض البرقِ حمرُ ذوائبِ
أصخت إليهِ وهو أخرسُ صامت
فحدَّثني ليل السُّرَى بالعجائبِ
وقالَ ألاَ كَمْ كنتُ ملجأ قاتلٍ
وموطنَ أوّاه تبتّلَ تائبِ
وكمْ مَرَّ بى مِنْ مُدْلجٍ ومؤوِّبِ
وقالَ بظلى مِنْ مطيٍّ وراكب





ولاطَمَ مِن نُكْبِ الـريـاحِ معـاطفى
وزاحـمَ من خُضْـرِ البحـارِ غواربى
فما كان إلا أنْ طوتهُـمْ يدُ الـردى
وطـاحتْ بهم ريحُ النـوى والنـوائب
فما خفـقُ أيكـى غير رجفـة اضلعٍ
ولا نوحُ ورقـى غيرُ صرخـةِ نادبِ
ومـا غَيَّضَ السُّـلوانُ دمعـى وانمـا
نزفـتُ دمـوعـى فى فراق الصـواحبِ
فحتـى متـى أبـقـى ويظـعن صاحبٌ
أودِّعُ منـه راحـلاً غيرَ آيـب
فرُحماك يا مولاى دعـوة ضارع
يمـدُّ إلـى نعماكَ راحـةَ راغـبِ
فقـلتُ وقـد نَكَّـبْـتُ عنـه لِطيَّـة
سلامٌ فإنـا من مقيـم وذاهـب



لهذا البحث العلمي العميق آخر ما كتبه للمنهل الأستاذ الدكتور أحمد سعيد الدمرداش عليه رحمة الله.. وسينشر تباعًا

« توطئـــة »

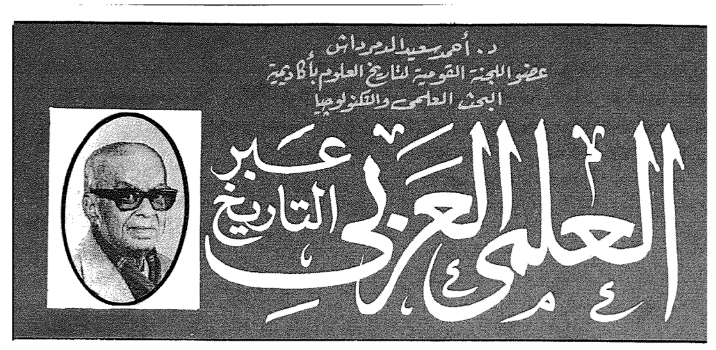
جموع هائلة لا يحصـرهـا العـدد من الكـائنات الحية. . وسيل جارف ينبع من هاوية الماضى السحيق حيث يفقد رجل البادية شعوره بالزمان وحيث يقذف به الخيال الجامح او الجزع والتوتر الى متاهات الكيان الاسطورى. . مجسمة فى الطلول القائمة كى يخفى من ورائه سرا لا يمكن النفاذ اليه، وتيار زاخر يضل فى بيداء مستقبل مظلم كهذا الاظلام الذى يحتويه ليس فيه ثمة مجال للزمـان، وأمـواج من الاجيال صاعدة كثيرة راتبة الحركة تهدر صاخبة فوق التتابع الزمنى ونصـال براقة تمر منتشرة فى الفضاء المحيط وأضـواء خاطفـة تتأرجـح وترقص من فوقها تتحول وتستحيل وتبرق ثم تختفى وترتفع ثم من جديد تغوص.

من اجـل هذا التـاريخ الغامض المترسب فى البعد الـزمـانى والمكـانى تلاقى وجـدان الـرجل العربى الجاهلى والشعر فى معلقاته الاولى. . فالصلة قوية بين الشعر وبين التاريخ فهما يتعلقان بالصيرورة. . أمـا الروح العلمية المنطقية المجردة التى لم تكن قد تولـدت بعـد فظـاهـرة متأخـرة تنتسب الى الادوار الاخيرة الناضجة. . حينما كان يجوس خلال الاسواق والمدائن داخل الجزيرة العربية وخارجها فى رحلتى الشتـاء والصيف. . وحينما كان يمر المجتمع بعصر الفروسية وعصر الحروب التى ألهب أوارها السلاح السياسى والاقتصادى لكن من روما وفارس ثم عصر التبـادل التجارى مع امبراطورية بيزنطة التى كانت خليطا عجيبا من حضارات تصوحت أغصانها فى الشمال.

أنـه فى مفـترق الطـريق يتلفت يمنـة الى تقاليد قد انهكتـه عبر العصور والحقب ثم يسرة الى مستقبل تشرئب عنقه الى التسامى نحوه حيث مجتمع أفضل كالذى يسمعه عن مجتمع آل ساسان أو مجتمع توابع بيزنطة.

فى ذلك الوقت أحس بارهاصات حضارية تنتظره وتـومض امـامـه شيئا فشيئا. . لقد ثار العقل على الوجدان وتمرد المكان على الزمان. .

أنـه اصبـح يرى مجمـوع حقـائق يسـودهـا التفكير العلمى لا مجموع وقائع تنتظم فى سمط وأسائن ثم اضاءت مشكاة الاسلام ذلك العالم المختلط المشتت والمتشعب الاطراف وشجب الاسلام الشعر والشعراء حيث نادى. . والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم ترأنهم فى كل واديهيمـون. وانهم يقـولون مالا يفعلون. .



ودعا فى الوقت نفسه الى التأمل والتفكير واستعمال العقل.

«او لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء»

«أفى الله شك فاطر السموات والارض»

«ويتفكرون فى خلق السموات والارض»

«افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت.. والى السماء كيف رفعت»

«ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون».

هذا الاسلام الذى نادى بالتوحيد استطاع ان يشعر ذلك العالم المشتت الاطراف بوحدته.. وأن يجعل هذه البيئة المترامية الاطراف حول الرافدين وحول النيل وامتدادا الى الشرق فى أرض فارس حتى ما وراء النهر تشعر بأنها تكون حضارة واحدة يربطها سمط واحد.

وعن الاسلام نشأت الحضارة العربية.

ومن الحضارة العربية تولد العلم العربى الذى ساهم فى تكوينه مفكرون من مختلف القوميات والجنسيات سوريانيون وفرس وصائبة ومسيحيون ونساطرة ويونانييون واقباط من مصر وعبرانيون وهادكة واتراك ودميون.

ولكن بلسان عربى وفى ظل الدين الحنيف.

لقد خطب النبى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام خطبة جامعة فقال:

«يأيها الناس.. ان الرب واحد والدين واحد والاب واحد ومن أسرع به عمله لم يبطىء به نسبه ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.. ومن دخل فى هذا الدين فهو من العرب».

وكان هذا ردا على ذلك الاعرابى الذى خاطب رهطا من الاعاجم المسلمين.. سلمان الفارسى.. وصهيب الرومى.. وبلال الحبشى.. فقال ساخرا: تحلقتم يا معشر العلجة كأنكم من الأوس والخزرج.

المنحى العقلى فى الاسلام

لم يكن الاسلام دينا بالمعنى التقليدى للدين وانما هو نظام جديد لا يكتفى بمعالجة القضايا التى عالجتها الاديان من قبله من تنظيم العلاقة بين الفرد وربه فحسب او تنظيم العلاقة بين الانسان وأخيه فى

داخل مجموعة صغيرة مما ينطبق على اليهودية التى لم تعد فى نهاية تجوالها ـ بعد ان عرفها اليهود على حسب أهوائهم ـ سوى ديانة قومية خاصة لمجموعة من البشر بعينها.

وأتت المسيحية لتغير هذه النظرة ولتجعل من الله الذى ادعى اليهود انه إلههم الهم القومى دون بقية البشر، وانهم شعبه المختار دون جميع الناس إلها لكل الناس ولتجعل رسالة الدين لكل البشر محبة واخاء ولكنها لم تتوسع فى تنظيم حياة المجتمع بل تركت ما لله لله وما لقيصر لقيصر.

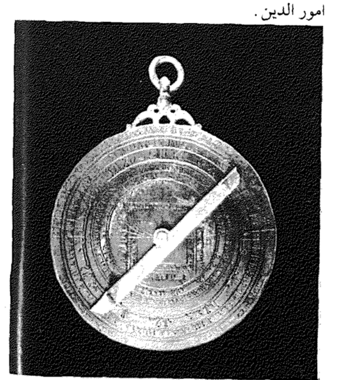
وقبل ان يجيء الاسلام كانت المفاهيم والمدلولات عند العربى الجاهلى لا تعنى الا رمح المحارب وقوسه فما هو الا ان ظهرت الدعوة الاسلامية بكل ما جاءت به من خضم زاخر فى مبادىء الاخلاق العربية والاجتماعية جميعا حتى قفزت المفاهيم قفزة هائلة نقلتها من ميادين الرماح والاقواس الى فطنة العقل وذكائه ليكون قادرا على مشكلات الحياة.

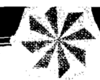
وانتقل الاسلام بالعرب من المحلية الضيقة فى الجزيرة العربية الى العالمية فى الامبراطوريات المجاورة فى الأمصار. ولم يقف الاسلام عند العروبة وان كان العرب هم العنصر الفاعل فى البداية لانهم كما قال عمر بن الخطاب مادة الاسلام ودخلت شعوب اخرى اكثر تقدما. منهم الفرس وسكان الشام من رعايا الروم فغيّر الاسلام من حياتهم وصبغ هذه المجتمعات بصبغته مع المحافظة على ذاتية هذه الشعوب.

كان النزوع الى العقل احدى ظواهر الفكر الاسلامى التى برزت فى وقت مبكر من حياته، ومرد ذلك أن هذا الدين الجديد جاء فى اعقاب ديانات امتلات بالمشاحنات الفكرية والخلافات المذهبية التى اعتمدت منطق العقل فكان عليه ان يقارعها وأن يتصدى لها بمنطق العقل نفسه ليزيح من فاعليتها.. ثم كان من اهداف هذا الدين الحنيف نقل ولاء الفرد من القبيلة وأعرافها البالية الى الامة المسلمة ومثلها العليا.

لذلك نراه يلجأ الى العقل ليحرك به الوعى الذاتى للفرد ويدفع به الى الاستقلال فى الرأى ويحمله على فك ارتباطه بالقبيلة فتتدافع سور القرآن سواء منها المكى او المدنى بآيات الدعوة الى النظر العقلى.

وبدت الحاجة الى اعتماد العقل اكثر بعد اتساع رقعة الاسلام ودخول امم متحضرة فيه وبروز مشكلات جديدة معقدة لم تألفها نصوص الشرع فقد بدا للمستنيرين من فقهاء الدين وعلمائه ضرورة الاستعانة بالعقل فى استيعاب مستجدات الحياة بما يواكب ظروف الحياة الجديدة مع مراعاة روح الدين ومنهجه الأساسى ومن هذا تأكيد مبدأ **«الرأى» و«القياس» و«الاجتهاد»** وما الى ذلك مما يعكس التلاحم بين العقل والنقل فى امور الدين.





ولدينا شواهد من فقه الامام الشافعى فى «رسالته» حيث يقول:

«كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم.. او على سبيل الحق فيه دلالة موجودة.. وعليه اذا كان فيه بعينه حكم اتباعه.. واذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد والاجتهاد القياس» كما يقول:

طلب الشىء لا يكون الا بدلائل والدلائل هى القياس

ثم يضع الضوابط للقياس التزيه الصحيح.

وفى مجال استخراج العلل وتحقيقها وتنقيحها مع السير والتقسيم والدوران، وما اليها من طرائق فى احكام آلة الاجتهاد او القياس. مع تحديد الاصل والفرع المقيس والربط بالعلل، تجلت النزاهة العقلية التى لا تخضع لمقررات سابقة فلسفية او سياسية او دينية ولا لآراء جماعة اودولة اوشهوة فقد كانت غاية القياس معرفة حكم الشرع وحكم الشرع لا يحتمل الهوى.

فانطبع هذا النمط الفكرى فى منهاج الذين يشتغلون بالطبيعيات وغيرها.. ان مملكة المعرفة فى العلم هى العقل. وبادىء ذى بدء كان العلم ينحصر فى المتواترات والمتواترات لا شك تعتمد فى العلم والا انحصر علم الانسان فى حدود خبرته الشخصية الضيقة وامتنعت من جهة المشاركة فى العلم وامتنع من جهة اخرى الاكتساب بالتعلم.

لذلك وجب القياس، ولا يكون لأحد ان يقيس حتى يكون «**صحيح العقل**» وحتى يفرق بين المشتبه.. ولا يعجل بالقول «**دون التثبيت ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه**» لانه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ويزداد تثبيتا فيما اعتقد من الصواب.

إن القانون السائد فى الفكر العلمى هو قانون التكافؤ او قانون العليّة اى تكافؤ العلة مع المعلول تكافؤا تاما.. ومنطق علوم الطبيعيات هو قانون العلية وهو مصير أصابه الثبات.. وتبعا لذلك هو علاقة وجودنا الواعى العقلى كله.

والعلية لا تعرف الزمان لأن العلية تقول فقط بأنه اذا وجد شىء وجد آخر او اذا وجدت العلة وجد المعلول.. ولكنها لا تقول متى توجد العلة اى ان العلة تعبر عن علاقة ضرورية قد صرف النظر فى تصورها صرفا تاما عن كل زمان لانها خارج الزمان والعقل والمذهب المنطقى والتصور تقتل حين تعلم.. لانها تجعل من المعلوم موضوعا جامدا يقبل القياس ويسمح بالتقسيم.

وجاء عصر الترجمة فكان القوة الدافعة للمذهب العقلى.. وذلك أنه ربط العربية بالمجرى العام للفكر الانسانى ومكن المتكلمين بها من الوقوف على آراء الاقدمين فى مشكلات الوجود الكبرى وطرق حلها ومن هنا نشأ التفاعل بين الفكر العلمى العربى والفكر الاجنبى الدخيل.. والتفاعل مادة نضج الفكر وبناء الشخصية القوية المستقلة التى تأبى الاذعان لغير منطق العقل.

ويأتى بعد هذا اتباع الديانات الاخرى الذين تحولوا الى دين الاسلام والذين قد مرنوا على استخدام العقل فى موضوعات الدين والعلوم الوافدة.. فهؤلاء وان تخلوا عن دياناتهم ظل النهج العقلى. بفعل العادة يلاحقهم فكانوا بهذا من اسباب اشاعة المذهب العقلى ينساقون وراءه بوعى وبدون وعى.

واشترك فى هذا التيار الجارف اهل الذمة والذميون الذين افاضت عليهم سماحة الاسلام الحرية فى المساهمة فى الترجمة والتأليف.. ففى القرن الاول من خلافة العباسيين كان المترجمون (من **الاغريقية الى السريانية ومن السريانية الى العربية)**

هم الذين احتلوا المرتبة الاولى على وجه الخصوص من النشاط العلمى ولا سيما اولئك المترجمون الذين كانوا من المسيحين المنشقين.

ففى الطب نبغ ثيوفيل بن توما الرهاوى المتوفى عام ٧٨٥م وهو مسيحى مارونى وكان فلكى الخليفة المهدى ثالث الخلفاء العباسيين.. ترجم من السريانية كتابا لجالينوس كما نبغ جرجس بن جبريل بن بختيشوع المتوفى عام ٧٧١م وهو نسطورى من مدرسة جنديسابور والتحق بعض الوقت بسدة المنصور وكان اقدم ممثل لطبقة من الاطباء الذائعى الشهرة من اسرته نفسها ومنهم حفيده: جبريل بن بختشوع المتوفى عام ٨٠٠م وهوأشهر اعضاء هذه الاسرة كما نبغ ابو يحيى البطريق المتوفى عام ٨٠٠م وهو أشهر اعضاء هذه الاسرة وابنه زكريا يحيى ابن البطريق.

وأشهر مدارس الترجمة التى وجدت فى الاسلام هى تلك المدرسة التى كان يترأسها ابو زيد حنين بن اسحاق العبادى (٨٠٩-٨٧٧م) وكان حنين طبيبا مسيحيا نسطوريا من مدرسة جنديسابور ثم ابنه ابو يعقوب المتوفى ٩١٠م وابن اخته حبيش بن الحسن ذكر لحنين بن اسحاق اكثر من مائة كتاب اصيلة باللغة العربية.

وهناك طائفة اخرى من المترجمين والمؤلفين الذين كانوا من اصل صائبى على رأسهم ثابت بن قرة الحرانى وهو من الذين مهدوا لحساب النهايات ثم التفاضل والتكامل ونحن مدينون له بترجمة ابولونيوس وارشميدس واوطيقاوس واقليدس وتيودوزيوس.. الخ كما ندين له بنظرية الاهتزاز الارضى التى تثبت نوعا من الارتجاج الدورى فى ضبط معادلة الليل بالنهار وهى التى تركت اثرا بعيد المدى فى تكوين كثير من اوصاف العالم قبل «**كوبرنيق**».

وكذلك ندين له بكتاب الذخيرة فى الطب وهو يبحث عن علاج الامراض بوجه خاص.

الرخاء الاقتصادى للعلوم دعامة

لقد كان لاعادة الذهب المكتنز فى قصور الملوك والاثرياء بفارس الى التداول السلعى ثم النقدى ثم استغلال جميع مناجم الذهب القديمة المعروفة فى الشرق الاسلامى فى الهند والتبت وفى آسيا الوسطى فى اتجاه مناجم التاى التى نشر فيها الاسلام ألويته على الشعوب التركية وفى وادى السند وساحل ملبار الذى يصل اليه ذهب الدكن وفى الساحل الشرقى لافريقيا الذى تصل اليه السفن العربية لشحن الذهب القادم من الداخل وفى بلاد النوبة وشمالى السودان وفى الساحل الشمالى لافريقيا فى بلاد المغرب حيث ينتهى اليه ذهب غانا وغينيا والترانسفال كل هذا الذهب الذى كان يصب فى الامبراطورية الاسلامية قد جعل من المسلمين سادة الذهب بغير منازع.

فى الكرة الاولى السريعة للفتح الاسلامى منذ القرن السابع الميلادى فتح المسلمون البلاد التى تجمع فيها ذهب العالم المتمدين وقتئذ وتشمل البلاد التى تبتلع الذهب وتكتنزه (ما بين الرافدين وفارس الخاضعين لآل ساسان) والبلاد التى تمتص الذهب (مصر وسوريا الخاضعتين للبيزنطيين).

ونزلت الآية الكريمة التى تحرم اكتناز الذهب والفضة.

فعاد كل الذهب الذى سبق للكنيستين المصرية والسورية اكتنازه فى العهد البيزنطى الى التداول العام.

ومن عام ٦٥٤م حين تم احتلال دنقلة وهى أهم مركز لتجارة الذهب فى السودان - فتح النوبيون

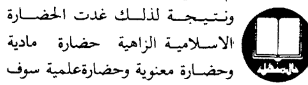


الحدود امام كل المسلمين من التجاراو الباحثين عن الذهب ووصف اليعقوبى هذا النشاط فى القرن التاسع فى حقول الذهب بأعالى النيل فقال عن وادى علاقى: انه اشبه بمدينة كبيرة مزدحمة بالسكان من كل الاجناس من العرب وغيرهم وكلهم من الباحثين عن الذهب.

غير ان امتداد السيادة الاسلامية على شمالى افريقيا هيأ للمسلمين الحصول على مورد من اهم الموارد التى غذت التيار الرئيسى للذهب الجديد المتجه الى البحر المتوسط من القرن التاسع الى القرن الحادى عشر. فبعد ان دخلت الابل فى افريقيا الشمالية فى القرن الثانى بعد الميلاد على وجه التقريب رحلت قبائل البربر التى تقطن الداخل متقدمة صوب الجنوب عبر الصحراء الكبرى وأخذت تستولى على الصحراء على مراحل متقاربة وانشأت الواحات ووطدت الصلات مع اطراف البلاد السودانية. ثم ان فتح المسلمين لبلاد المغرب وبسط سيادتهم على قبائل البربر وامتداد تجارتهم الى الجنوب ضم هذه الشبكة من الصلات الصحراويةالى منطقة البحر المتوسط وساعد على تنظيم وصول ذهب السودان بالطرق الصحراوية الى أسواق افريقيا الشمالية واصبحت (سجلماسة) التى اسست باقليم تافيلت عام ٧٥٧ـ٧٥٨م مدينة ضخمة من القوافل ومرسى المتاجر السودانية ترحل منها فى كل خريف «**قافلة الذهب**» على هيئة تبر وفى القرن العاشر بلغ دخل بيت المال من الضرائب المفروضة على الواردات السودانية اربعمائة ألف دينار فى السنة.

وفى القرن التاسع كان الأمويّون فى قرطبة قد ضمنوا تقريبا تبعية أسر البربر الصغيرة فى غربى بلاد المغرب وولاء الرستمين فى تاهرت الذين امتد سلطانهم او نفوذهم من جبل نفوسه حتى سجلماسة اى انهم كانوا فى واقع الامر يتحكمون فى منافذ الطرق الصحراوية

ولكن الفاطميين فى السنين الاولى من القرن العاشر بعد ان استولوا على افريقيا والجريد وطرابلس قضوا على امارة تاهرت واحتلوا سجلماسة فأصبحوا سادة طرق الذهب كلها وقتا ما مما هيأ لهم انشاء احتياطى ضخم من المعدن النفيس لاتمام مشروعهم الكبير وهوغزو مصر وخصصوا مبالغ ضخمة لدعايتهم فى وادى النيل وفى اثناء غزوتهم الاخيرة المظفرة حملوا معهم الى مصر الف حمل من الذهب لنفقات اقامتهم الاولى.



ونتيجة لذلك غدت الحضارة الاسلامية الزاهية حضارة مادية وحضارة معنوية وحضارةعلمية سوف نراها فى عصر الترجمة لعلوم الاوائل وانشاء المكتبات العامة ودور الحكمة والبيمارستانات وما سمى بالنهضة الاسلامية بفنانيها وعلمائها ومفكريها وفلاسفتها ومدنها الزاهرة كبغداد والفسطاط (القاهرة فيما بعد) وقرطبة ـ غدا ذلك كله وكأنه محمول على هذا المجرى المتدفق من الذهب وامسى الدينار العملة الرئيسية فى العالم الاسلامى وعملة حقيقية تستخدمها التجارة الكبيرة وعملة حسابية لتقدير المكوس والضرائب.

وأوغل الدينار فى التقدم شمالا حتى كييف وغربا حتى انجلترا للحصول على قصدير كورنواليس وجنوبا فى افريقيا حتى مدغشقر وسقطرى وسيلان وساحل ملبار.

وفى الماضى كان الذهب هو المصدر الرئيسى للثروة فى حضارة العرب واليوم أصبح النفط هو المصدر الرئيسى للثروة فى المجتمع العربى وله السيطرة على اقتصاديات العالم المتمدين والعالم النامى.

ومن ثروة الماضى ابتدأ العلم العربى يحبو فى العصر العباسى حتى وصل القمة فى القرن الحادى عشر الميلادى كما سنوضحه فيما بعد.

مظاهر الحضارة المعمار في شعر

الاندلس ..
مركز الاشعاع الحضارى الاسلامى على مدى ثمانية قرون .. الاندلس بلاد الطبيعة والفنون .. ابن زيدون شاعرها وكاتبها .. كيف صور شعره مظاهر الحضارة المعمارية والفنون .. اطلالة على الاندلس يقدمها لنا هذا البحث المتابع ..



أشهر معالم الآثار الفنية التى عايشها ابن زيدون

الخزف والفخار

واذا كان المجال يضيق بنا فى هذا المقام عن حصر نواحى العظمة والابداع فى مجالات الفنون التطبيقية المتصلة بالحياة الاجتماعية لبيئة ابن زيدون فإن الضرورة لا تعفينا من واجب الإبانة عن بعض تلك النواحى . . فلا زال فن الخزف والفخار من أبرز المعالم لتحديد نوعية الحياة الاجتماعية فى مجتمع من المجتمعات وحضارة من الحضارات . . وهذا هو جوميث مورينويقول بأن (الفنون القائمة على الصلصال فى مجالها الخاص بفن صناعة الأوانى تعتبر أحد مظاهر النشاط التى عرفت تطورا عظيما فى العصور الوسطى . . وتردد صداها الكبير فى الأندلس فى عهد الخلافة بقرطبة . . وبلغ ذروة ذاتية رائعة تجاوزت الفن المسيحى الأوروبى والفن البيزنطى مما سوغ ازدهار تصديره للخارج(١) . . وقد أشار الشريف الادريسى الى الغُضَار المذهب الذى كان يجهز فى مدينة قلعة أيوب ويصدرالى كافة الجهات . . كما ذكر ابن بطوطة أن الغضار المذهب العجيب كان يُصنع فى مالقة وينقل الى أقاصى البلاد . . وقد نوه المقرى بصناعة الفخار المزجج والمذهب فى مرسية والمرية ومالقة . ويكفينا دليلا على رقى تلك الصناعة أن مجلس الشيوخ فى مدينة البندقية قد استثنى من قرار منع الاستيراد انتاج مدينة بلنسية باعتباره أرقى أنواع ذلك العصر .

ة والفنــــون

إبن زيدون



د. عثمان عثمان اسماعيل
عضو اتحاد المؤرخين العرب
استاذ التاريخ والآثار جامعة محمد الخامس

النسيج ودور الطراز

وقد احتل فن النسيج أرفع مكانة بين فنون ذلك العصر منذ دخلت دور الطراز الى الأندلس فى عصر عبد الرحمن الداخل وعاشت الى أيام المنصور بن أبى عامر. كما تجددت نهضة النسيج فى عصر عبد الرحمن الثانى الذى أسس دارا للطراز ومصانع لانتاج الأقمشة والسجاد التى تضاهى أجمل منتجات الشرق . . ومهد بذلك الى أصالة التقاليد الاسلامية(٢) لفن النسيج بالاندلس مما جعل المرية وحدها على عصر المرابطين تحتضن ثمانمائة طراز ذكرها الادريسى تنتج أنواعا محلية وأخرى ذات شهرة عالمية . . وعندما دخلت دودة القز الى الأندلس مع المسلمين أصبحت الأندلس مركزا كبيرا لتصدير الحرير الى سائر البلاد الأوروبية(٣) حاملا معه شتى أنواع الانتاج الاسلامى . . وقد دأب أمراء وملوك الأندلس على تعيين أرقى الشخصيات وأقربها اليهم للاشراف على دور الطراز . . ويحدثنا ابن حيان أن الخليفة الحكم حوَّل الفتى الكبير الصقلبى صاحب البرد والطراز من داره بالمصاف الشرقى من قصر الزهراء الى دار الحاجب(٤) جعفر بن عثمان الجليلة بالمصاف الغربى تنويها به وتشريفا له ـ وأنه عهد الى وزيره القائد الأعلى غالب بصلات الخارجين اليه من فاخر الكسوة . . الديباج والخز والمطارف وعدد ذلك من الديباج المضلع الملون خمسون جبة والخز العبيدى الملون خمسون جبة(٥) . .

ويذكر لسان الدين فى تاريخ اسبانيا أوأعمال الأعلام قوله (ومن آثاره التى ضربت بها الأمثال . . وقضيت بها العجائب حال الطراز ببابه . . فقد كان على عهده مدينة تشتمل على آلاف من الخلق ـ وقد اتخذ فيها المرافق والمساجد والحمام والسوق ولو تتبعنا أصنافهم وما كانوا يحاولونه من صناعاتهم . . ومقدار جراياتهم ونفقاتهم لضاق عنها الكتاب)(٦) .

وقد فتن المجتمع المسيحى حقا بفن النسيج الاسلامى بالأندلس وحرص الأساقفة والقديسون وكبار المسيحيين على اتخاذ الأكفان بوجه خاص من ذلك النسيج . . وأقبل المسيحيون المتاخمون للأندلس على حفظ بقايا المنسوجات الاسلامية بمخلفات

القديسين . . وبلغ من شدة تأثرهم به أن أصبحت مفردات اللباس كلها عربية تقريبا ـ فقد تضمنت وثائق ذلك العصر وخصوصا عقود الزواج المسيحية أسماء الثياب العربية للسيدات المسيحيات ومن ذلك MOBATANOS, ALLIHAFOS, ADORRAS, ALGUBAS كما يقر ليفى بروفنسال بأن ملابس الأبهة الرهبانية بخزائن الاسبان لازالت تزدان بنقوش ذات صلة مباشرة بالفن المغربى الأندلسى وأنها تزدان أحيانا بنقوش عربية(٧) ولا غرو فقد ظل تأثير الذوق العربى لدرجة مدهشة فى البيوتات الارستقراطية باسبانيا(٨).

وقد كانت الزرابى الأندلسية فى مقدمة الهدايا النفيسة التى تصدر عن الملوك والخلفاء كما تتهافت اليها الأنفس لاقتنائها بأغلى الأثمان ـ ولم يغفل عن ذكرها المؤرخون كابن حوقل وياقوت والمقرى وغيرهم.

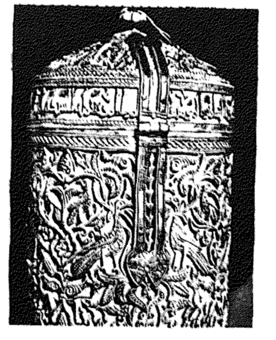
العاج الاندلسى

أما التحف العاجية النادرة المثال والصنع على شكل علب وصناديق لحفظ الحلى والعطور والتى كانت تشكل حشوات زخرفية عجيبة المثال مزخرفة بالتوريق . . ومناظر الصيد والطرب ومجالس الأنس التى تعكس حياة الأندلس الاجتماعية فى عصر ابن زيدون ـ فقد كانت من أعز ما يقتنى بالقصور الملكية بقرطبة والزهراء وغيرها مما تتسابق المتاحف العالمية اليوم فى سبيل اثراء مجموعاتها الفنية بنوادرها. لقد كانت تلك الروائع ولازالت وثائق تاريخية من الدرجة الأولى لحضارة ذلك العصر باشتمالها على نقوش تتضمن إسم الخليفة والصانع ومكان الصنع وتاريخه ومن صنعت له ووظيفته . . فمن عصر الحكم المستنصر تحفة كتبت عليها (. . ويمن وسعادة لزياد ابن أفلح صاحب الشرطة العليا عمل فى سنة تسع وخمسين وثلث مائة) وعليها مناظر تمثل حياة صاحب الشرطة. وقد نقش على مثال آخر شعر يفصح عن الغرض من استعماله:

خلعة الحسن علىَّ حلة تزهو بجوهر
فأنا ظرف لمِسْك ولكافورٍ وعنبر

البلور والحلى النفيسة

اشتهرت الأندلس كذلك بانتاج الصحون والفناجين . . الكؤوس والقوارير من البلور الشفاف ـ منقوشة بمناظر الطيور والنباتات والكتابات. وكانت القوارير والقنينات ذات العنق الطويل تتراءى على علب العاج فى أيدى الخليفة بالزهراء(٩) . . وقد فتن المسيحيون بجمالها واحتفظوا بها فى مقدساتهم(١٠) . . وكانت الحلى من الفضة والذهب تمثل فناً معدنياً عظيم الشأن(١١) وان كان قد


علبه من العاج الاندلسى

ضاع معظمه غير أن ذلك النقص يستعاض عنه بما تضمه مجموعات المتاحف العالمية وما تصل اليه من أوصافها فى قصائد الشعراء.

وبعد فهذه لمحة شاملة لصورة الحياة الحضارية للعصر الذى عاشه شاعرنا ابن زيدون والبيئة التى انتجت نسائمه العطرة - وقد عنينا فيها على الخصوص بمظاهر الحضارة المادية من عمائر وفنون تطبيقية لننتقل بعدها الى النظر فى مسيرة حياته ونوعية احتكاكه بحضارة عصره.

ابن زيدون وحضارة عصره

المولد والنشأة بقرطبة

ولد شاعرنا ابن زيدون عام ٣٩٤ هجرية ونشأ فى بيت علم وأدب وثراء مع أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة فكان أبوه من أعلى رجالات عصره. وبعد وفاة والده انتقل مع والدته الى بيت أبيها أبى بكر بن محمد صاحب الشرطة والسوق بقرطبة. وقد قدر له الاستمرار فى التنشئة والتكوين على العلم والأدب حتى عرف بزعيم الشبيبة القرطبية(١٢). ثم أصبح من معاول هدم الحكم الأموى الذى قتل جده... ومن ركائز النظام الجديد لدولة بنى جَهْوَر بقرطبة منذ عام ٤٢٢ عندما قام عدد من دويلات ملوك الطوائف على أنقاض عصر الخلافة.

ففى قرطبة أصبح ابن زيدون صاحب النظر فى أهل الذمة... كما اعتمده ابن جهور سفيرا لدى بعض ملوك الطوائف الى أن كشف الشاعر السفير عن آماله العريضة لقاء إعانة بنى جهور فى قيام دولتهم - وتوجس أبو الحزم ابن جهور من أطماعه وخشى معاونته لخصوم الدولة السابقين من بقايا الأمويين فأودعه السجن بتهمة اغتصاب عقار لرجل ذمى.

فى بلاط المعتضد - عباد باشبيلية

وينجح ابن زيدون فى الفرار من السجن ليقصد اشبيلية المنافس الأول لنظام قرطبة... ويرحب به المعتضد بن عباد ويشركه فى مجالس أنسه وشرابه ويضمه الى خاصته... ثم يصطفيه مشيرا ويجعله فى منزلة الوزير إضماراً لاستغلاله بسبب كثرة أعوانه عند مهاجمة قرطبة.

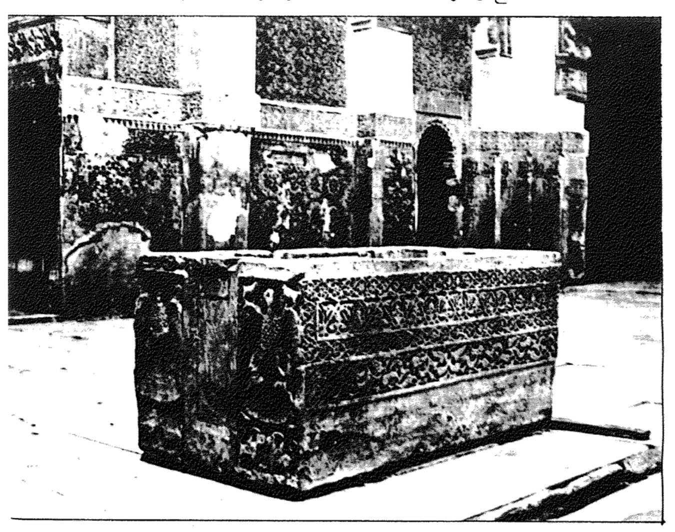
وعلى الرغم مما بلغه ابن زيدون فى بلاط اشبيلية فى أقصر وقت.. فإن الحياة لم تكن لتحلو له بعيدا عن قرطبة التى فر اليها - وعرَّج على الزهراء يرسل منها أعوانه لاسترضاء أبى حزم الى أن نجح ولى العهد الأمير أبو الوليد بن جهور فى الحصول على صفح والده لكسب تأييد أنصار ابن زيدون لصالح أمير قرطبة ضد منافسيه.

لقد كانت قرطبة مهد صباه.. ومسرح لهوه.. ومحل نجواه.. وموطن حبيبته ولّادة ابنة المستكفى الأموى.

وكانت الزهراء مكانه المفضل الذى كتب فيه أرق أشعاره.. وخلف به غرر آثاره.. حيث تغنى بجمال الطبيعة المجسم لجمال المحبوب(١٣). وعندما آل الأمر الى أبى الوليد الذى تربطه بابن زيدون علائق المودة والصفاء ارتفع شاعرنا الى منصب الوزارة والسفارة لدى الامارات المجاورة متنقلا بين قصورها ومنغمسا فى مباهج حياتها حتى كثر حساده وأفسدوا ما بينه وبين أبى الوليد فاستدعاه من سفارة كان يقوم بها لدى بلاط ادريس بن يحيى بن حمود.. وتلكأ ابن زيدون وأوجس خيفة فجرده أبو الوليد من مناصبه وفر الشاعر أخيرا الى بلاط اشبيلية.

مرة أخرى في بلاط المعتضد

وفي بلاط اشبيلية مرة أخرى يفسح المعتضد صدر مجلسه لشاعر قرطبة السابق.. ويقلده منصب الوزارة.. ويكلفه بمهام السفارة.. ويمنحه ودّه وثقته لدرجة سمحت للمعتضد أن يدخله حمامه الخاص.. ويبيح له التنزه مع حريمه بعد أن أصبح صديقه الأثير ونديم الكأس وشاعر البلاط ومستشار الدولة وأمين السر حتى تاريخ وفاة المعتضد عام ٧٦١ هجرية (١٤) ويذكر المؤرخون أن المعتمد خليفة المعتضد بالغ في الوفاء والاحتفاء بأستاذه وصديقه ابن زيدون... ويكتب المراكشي في كتابه المعجب(١٥) انه كان من جملة وزراء المعتمد بن عباد الوزير الأجل ذو الرئاستين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون ذو الأدب البارع والشعر الرائع أحد شعراء الأندلس المجيدين وفحولها البارزين. وقد نجح المعتمد في تحقيق أمل طالما راود بني عباد بفتح قرطبة وضمها لاشبيلية بمساعدة ابن زيدون وتأييد أنصاره هناك... واحتل ابن زيدون بذلك المكانة التي كان يؤملها لديه حتى وفاته في سن التاسعة والستين فجزع لفراقه المعتمد وقلد ولده أبا بكر الوزارة(١٦) وجعله بجانبه حتى تاريخ مقتله يوم سقوط قرطبة في يد المرابطين.



حوض وضوء من الرخام صنع بالأندلس في عصر الدولة الأموية وهو عصر الخلافة بالاندلس ثم نقل إلى المغرب

نوعية احتكاكه بالحضارة

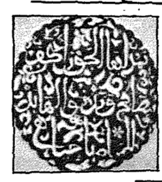
هذه هى المحاور الرئيسية فى الخريطة الزمنية لحياة الشاعر ابن زيـدون . . شاعر وأديب من أكبر بيوتات الأندلس. . . يتولى الوزارة فى قرطبـة واشبيلية ويقوم بالسفارة لكـل من الـدولتـين الى عدد من الدويلات الأخرى. . عارفا بحياة القصـور ومظـاهر البلاط ومراسيم الملك وأبهـة السلطان معرفة دقيقة عن قرب بدراسـة وممـارسـة لأفخر مظاهر الحضارة المعـاصـرة. . جلس الى يمـين سريـر الملك وتحت السلطـان ووطىء موطىء الملوك والـوزراء والسفراء فوق أفخـر وأنـدر أنواع الزرابى. . . وتناول كأس الأمـير وامتـدت يداه الى الأطبـاق الملكيـة ومس بالحقيقـة تحف ونـوادر القصـور ودلف الى الحـمام الخـاص بالملك ليرى مشتمـلاتـه وتصميمه وعمارته وزخرفته. . وحمل عجائب الهدايا ونفائس الأعطيات وارتدى أبهى انتاج طراز الخاصة الملكية. . . وافترش أرقى منتجـات الحـريـر واستظـل بأفخر القباب فى قصور قرطبة والزهراء واشبيلية وقصور الملوك الذين أوفد فى سفارات اليهم.

وهكذا كان مدى احتكاكه بحضارة العصر المعمارية والفنيـة ـ وهى التى تعكس بالضرورة صورة الحياة الثقـافيـة والفكـرية ومستويات الجوانب الاجتماعية والاقتصـاديـة ـ وهـو مجمـوع ما تبـاهى به الأمم والحضارات مصداقاً لقول الشاعر:

بأربـع فاقـت الأمـصـارَ قرطبـةٌ
منهن قنطـرة الـوادى وجـامعهـا
هاتـان ثنتـان والـزهـراء ثالثـة
والعلم أعظم شىء وهـو رابعهـا

فاذا كانت مظـاهـر العمـران من بنـاء القنـاطـر الضخمـة. . والجوامع الفخمة. . والقصور العامرة بمختلف ألوان المنتجات ونفائس النوادر والمصنوعات الوطنية تعتبر جميعها من أبرز مميزات العصر وسمات الحضارة فهل يحق لنا أن نتساءل الآن الى أى حد استجاب شاعرنا ابن زيدون لمميزات عصره وسمات حضارته؟ . . وما هو حظ الحضارة المعمارية والفنون من شعر ابن زيدون؟ .

وقبـل الاجابة على هذا السؤال نود أولا القاء نظرة سريعة على مكانة العمارة والفن الاسلامى فى شعر المغرب والاندلس. وهذا موضوع الدراسة القادمة.



---

(١) جوميث مورينو: الفن الاسلامى ص٣٦٩/ ٣٧٠ وعن الغضار المذهب انظر ص٣٨٢

(٢) ليفى بروفنسال: حضارة العرب فى الاندلس، الطبعة المعربة ص٤٦

(٣) دكتور زكى محمد حسن: فنون الاسلام ص ٣٨٩.

(٤) الحاجب كان يشغل منصبا ساميا يشبه منصب رئيس الوزراء اليوم.

(٥) ابن حيان: المقتبس صفحات ٦٦-٩٢-١٠٨-١١٩

(٦) لسان الدين: تاريخ اسبانيا الاسلامية نشر وتحقيق ليفى بروفنسال ص٤٠. . وانصر جوميث مورينو فى الفن الاسلامى حول النسيج ص٤١١/ ٤٢٠.

(٧، ٨) ليفى بروفنسال: حضارة العرب فى الأندلس ص٩٠.

(٩، ١٠، ١١) جوميـث موريـنـو: الفن الاسـلامى ص٤١٠، ص٤٠٧/ ٤١٠، ص٤٠٣/ ٤٠.

(١٢) دراسة حياة ابن زيدون المكونة للقسم الأول بديوان ابن زيدون نشر الشركة اللبنانية للكتاب القسم الأول ص١١ وما بعدها.

(١٣، ١٤) نفس المصدر القسم الاول ص١٧، ص٢١.

(١٥) المعجب ص١٠٥/ ١١١.

(١٦) المعجب ص١٠٥ هامش رقم ٢.

رسالة في الأشكال

لابن البناء

قال الشيخ الامام العلامة ابو العباس احمد بن محمد بن عثمان الازدى الشهير بابن البناء رحمه الله تعالى :

الاشكال المساحية على قسمين : مجسمة وبسيطة .

والبسيطة تنقسم اربعة اقسام باعتبارين :

احدهما باعتبار حدودها فتنقسم الى ما يحيط به خط واحد ـ وهو الدائرة ـ وما يحيط به خطان وهو المقوس وما يحيط به ثلاثة خطوط وهو المثلث وما يحيط به اربعة خطوط وهو المربع . . وما زاد على هذه الاربعة يرجع اليها بالتقطيع .

والثانى باعتبار سطوحها فتنقسم الى المثلث والمربع والمدور والمقوس .

فاما المثلث فينقسم ثلاثة اقسام باعتبارين :

احدهما : باعتبار اضلاعه الى المتساوى الاضلاع . . والمتساوى الساقين . . والمختلف الاضلاع .

والثانى باعتبار زواياه : الى القائم الزاوية . . والمنفرج الزاوية . . والحاد الزاوية .

واما المربع : فينقسم خمسة اقسام : باعتبار اضلاعه وزواياه معا : الى المربع المطلق ـ وهو المتساوى الاضلاع القائم الزوايا ـ والمربع المستطيل : وهو المتساوى الطولين المتساوى العرضين القائم الزوايا وطوله مخالف لعرضه . . والمربع المعين المتساوى الاضلاع المختلف الزوايا والشبيه بالمعين وهو المتساوى الطولين المتساوى العرضين المختلف الزوايا وطوله مخالف لعرضه ـ والمنحرف : وهو المختلف الاضلاع والزوايا .

واما المقوس فينقسم ثلاثة اقسام باعتبار حدوده وسهمه الى : نصف دائرة واكبر . . واصغر من نصف دائرة .

واما المدور فهو شكل واحد يسمى الدائرة باعتبار حده وتساوى اقطاره .

● والمجسمة تنقسم الى ما يحيط به سطح واحد : وهو الكرة وما يحيط به سطحان : وهو قطعة الكرة وما يحيط به اكثر من ذلك وينقسم قسمين : المتساوى الغلظ والمخروط .

فهذه الاقسام هى التى جرت العادة عند اهل التكسير . . وما وراء ذلك يرد اليه بالتقطيع فهذه الاقسام مطالب بحسب مقصدنا .

المثلث

اما المثلث ففيه خمسة اشياء : اضلاعه الثلاثة وعموده وتكسيره الذى بمسطحه فيه ثلاثون مطلبا لانه اما ان يكون المعلوم منه واحدا منها او اثنين او ثلاثة او اربعة والمطلوب ما جهل منها .

واما المربع ففيه ثلاثة اشياء : اضلاعه وقطره وتكسيره فمطالبه ستة .

واما المستطيل ففيه اربعة اشياء : طوله وعرضه وقطره وتكسيره ففيه اربعة عشر مطلبا .

كمال المساحية

سناء المراكشي

واما المعين ففيه اربعة اشياء: أضلاعه وقطره الاكبر وقطره الاصغر وتكسيره فمطالبه اربعة عشر مطلبا.

واما الشبيه بالمعين ففيه خمسة اشياء: طوله وعرضه وقطره الاكبر وقطره الاصغر وتكسيره فمطالبه ثلاثون مطلبا.

واما المنحرف ففيه سبعة اشياء: اربعة منها اضلاع وقطره الاكبر وقطره الاصغر وتكسيره فمطالبه مائة وستة وعشرون مطلبا.

القوس والوتر والسهم والتكسير فضل ما بين قطر الدائرة التى منها القوس ومنها السهم فمطالبه ثلاثون مطلبا.

واما المدور ففيه ثلاثة اشياء: القطر والدور والتكسير فمطالبه ستة.

اما الكرة فتزيد على الاشياء التى فى الدائرة (بامرين) تكسير سطحها وتكسير جرمها.

واما قطعة الكرة فتزيد على الاشياء التى فى المدور بثلاثة اشياء: الخط الخارج عن رأسها الى محيط قاعدتها وتكسير سطحها.. وتكسير جرمها.





واما المجسم المتساوى القواعد فيزيد على الاشياء التى فى شكل قاعدته بثلاثة أشياء: عموده سمكه وتكسير سطحه وتكسير جرمه.

واما المخروط فيزيد على الاشياء التى فى شكل قاعدته باربعة امور: بعموده.. وضلعه.. وتكسير سطحه.. وتكسير جرمه (ولمن شاء ان يزيد فى الاشياء الثلاثة التى ذكرناها فى كل شكل فتتضاعف المطالب فى كل واحد منها بحسب ذلك مثل ان يزيد فى المثلث مسقط العمود وفضل ما بين الاضلاع او مجموعها او مجموع بعضها او نسبة بعضها الى بعض او نسبة الزوايا او غير ذلك ومثل ان يزيد فى المستطيل فضل ما بين ضلعيه او مجموعها او فضل ما بين الضلع والقطر او مجموع الضلع ونحو ذلك فى كل شكل.

الا ان مطالب هذه الاشكال كلها منها ما يمكن الجواب عنه ومنها ما لا يمكن فاعلمه.

ولنشرع فى تكسير هذه الاشكال اذ هو المقصود.

اما تكسير المثلث فله فى العمل وجهان:

احدهما: ان تضرب العمود فى الضلع الذى وقع عليه ويسمى قاعدة وتاخذ نصف الخارج او احدهما فى نصف الآخر وعلته ان كل مثلث فانه نصف السطح القائم الزاوية الذى احد اضلاعه قاعدة المثلث وضلعه الثانى العمود.

والوجه الثاني: ان تاخذ نصف مجموع الاضلاع وتحفظه ثم تعرف فضله على كل واحد من الاضلاع فما كان من الفضلات الثلاث تضرب احدهما فى الثانى . . وما اجتمع فى الثالث . . وما اجتمع فى النصف المحفوظ وتاخذ جذر الخارج (يكن التكسير) .

وعلة هذا العمل الشكل (يج) من الشكل الثانى من النوع الثالث من الجنس الاول من كتاب الموتمن (بن هود) الذى خبره : كل مثلث فان نسبة السطح الذى يكون من نصف مجموع اضلاعه فى فضل ذلك النصف على احد الاضلاع الى سطح المثلث كنسبة سطح المثلث الى السطح الذى يكون من فضل نصف جميع الاضلاع الى كل واحد من الباقين احدهما فى الآخر .

والعمل فى استخراج العمود الواقع على اى ضلع اردنا : ان تاخذ فضل ما بين مربعى الضلعين الباقيين وتقسيمه على القاعدة فما خرج ان زدته على القاعدة كان ضعف المسقط الاكبر ونصفه هو المسقط الاكبر وان اخذت الفضل بينه وبين القاعدة بقى نصف المسقط الاصغر ونصفه هو المسقط الاصغر ومتى خرج المسقط مثل القاعدة فالمثلث قائم الزاوية وهى التى تحيط بها القاعدة والضلع الاقصر ومتى خرج المسقط الاقصر ومتى خرج المسقط اعظم من القاعدة فالمثلث منفرج الزاوية وهى التى كان الضلعان بها القاعدة والضلع الاقصر من الضلعين ومتى كان الضلعان متساويين فالمسقط نصف القاعدة لان الفضل الذى بين المربعين (يكون) لا شىء - فقسمته على القاعدة يخرج منه لا شىء . . وزيادة لا شىء على القاعدة او نقصانه منها لا يغير فيها شيئا فتكون القاعدة هى ضعف كل واحد من المسقطين ومتى نقص مربع اكبر المسقطين من مربع اكبر الضلعين او نقص مربع أصغر المسقطين من مربع اصغر الضلعين واخذ جذر الباقى كان العمود .

ولاستخراج المسقطين وجه آخر اعم من الذى قبله وهو ان تاخذ ربع الضلع الاطول . . فان كان مثل مربعى الضلعين الباقيين فالمثلث قائم الزاوية التى يوترها الضلع الاول فتجعل اى الضلعين شئت قاعدة ثم تاخذ نصف زيادة مربع الضلع الاطول على مربع الضلعين وتقسم على القاعدة يخرج مسقط العمود الاصغر . فان زدته على القاعدة يخرج المسقط الاكبر . وان كان اصغر من مربعى الضلعين فالمثلث حاد الزاوية فتاخذ فضل المربعين عليه وتجعل اى الضلعين الاقصرين شئت قاعدة وتقسم نصف الفضل المكور على القاعدة يخرج المسقط الاصغر فان نقصته من القاعدة يخرج المسقط الاكبر وعله هذا الوجه من المقالةالاولى من (بج) ومن (بد) من اوقليدس .

واما تكسير المربع فان تضرب ضلعا منه فى مثله او تاخذ نصف مربع قطره يكن التكسير وعلته من آخر المقالة من الكتاب (اى كتاب او قليدس) .

واما المستطيل بان تضرب طوله فى عرضه .

واما المعين فانه ينقسم بقطره الاكبر الى مثلثين منفرجى الزاوية . . وبقطره الاقصر الى مثلثين حادى الزاوية ويكون نصف احد القطرين عمودا على القطر الثانى فيجب ان يكون تكسيره بضرب احد قطريه فى الثانى واخذ نصف الخارج - او بضرب احدهما فى نصف الآخر لان تكسير كل مثلث منها هوبضرب نصف احد القطرين فينصف الثانى .

وان شئت اذا قسمته بقطره الاطول فانقسم بمثلثين منفرجى الزاوية تستخرج العمود من احدهما الواقع على احد الضلعين على ما تقدم وتضربه فى احد اضلاع المعين يكن التكسير - لان السطح المثلث وعمود احدهما مثل عمود الآخر .

واما الشبيه بالمعين فانه ينقسم بالقطر الى مثلثين متساويين فتستخرج عمود احدهما على ما تقدم اذ ارتفاعهما واحد وتضربه فى جميع القاعدة التى وقع عليها العمود لان السطح ضعف المثلث يكن التكسير.

واما المنحرف فمنه ما يكون ضلعان منه متساويين ومنه ما ليس كذلك.

فالاول يسمى عريضه وهو ينقسم بقطره الى مثلثين تستخرج عمود احدهما لان ارتفاعهما واحد وتضرب فى نصف قاعدتيهما وهم الضلعان المتوازيان يكن التكسير.

والثانى: ينقسم بمثلثين ايضا فيكسر كل واحد منهما على ما تقدم ويجمع التكسيران.



واما الدائرة فتكسيرها بضرب نصف القطر فى نصف الدور اوكل احدهما فى ربع الثانى - وعلة ذلك بينة من كتاب المؤتمن فانه بين ان كل دائرة فان سطحها مساو لسطح المثلث القائم الزاوية الذى احد ضلعيه المحيطين بالزاوية القائمة مساو لنصف قطرها والضلع الأخر مساوٍ للخط المحيط بها وبين ايضا ان محيط الدائرة يزيد على ثلاثة اضعاف القطر باقل من القطر فلذلك جعل الزائد على ثلاثة اضعاف سبعا بتقريب فليلتزم من ذلك ان تكون نسبة تكسير الدائرة الى مربع قطرها نسبة احد عشر من اربعة عشر.

واما المقوس فنصف الدائرة تكسيره كتكسير الدائرة: تضرب نصف القطر فى نصف القوس والتى هى اكبر من نصف الدائرة فتضرب نصف قطر الدائرة التى هى منها فى ضعف قوسها وتحفظه وتضرب فضل ما بين نصف القطر وسهمها فى نصف وترها فما خرج تجمعه مع المحفوظ يكن التكسير والتى هى اصغر من نصف دائرة تضرب نصف قطر الدائرة التى هى منها فى نصف قوسها وتحفظه وتضرب فضل ما بين نصف القطر وسهمها فى نصف وترها فما خرج تنقصه من المحفوظ بين التكسير.

وعلته انه اذا ضرب نصف القطر فى نصف القوس كان الخارج يزيد فى الصغرى وينقص فى الكبرى مثل تكسير المثلث الذى قاعدته وتر القوس وزاويته على مركزالدائرة وعموده فضل ما بين نصف القطر وسهم القوس فلذلك وجب ما ذكرناه من العمل.

ومعرفة من اى دائرة هى القطعة تكون: ان تقسيم مربع نصف وترها على سهمها وتزيد الخارج على سهمها يكن قطر الدائرة التى هى منها.

وعلة ذلك ان السهم وبقية القطر يكون نصف الوتر وسطا فى النسبة بينهما ابدا لانه عمود المثلث القائم الزاوية التى فى نصف الدائرة على ما تبين فى سادسة اوقليدس.

واما تكسير سطح المجسمات:

فالدائرة منها: تضرب مربع قطرها فى اربعة وتنقص من الخراج سبعة (ونصف سبعة) يبقى تكسيرها لانه قد بين ارشميدس ان بسط كل كرة فهو مساو لاربعة اضعاف اعظم دائرة تقع فيها وتقدم ان نسبة الدائرة الى مربع قطرها نسبة احد عشر من اربعة عشر فلذلك وجب ما ذكرناه من العمل.

واما قطعة الكرة: فانك تربع نصف الخط الخارج من

قطعة راسها الى دائرة قاعدتها وتسقط منه سبعة ونصف سبعة يبق تكسير سطحها لانه تبين فى «الاصول» ان بسط كل قطعة من كرة مساو للدائرة التى نصف قطرها مساو للخط الخارج من نقطة راس القطعة الى الخط المحيط بدائرة قاعدتها.

● واما سائر المجسمات فتكسر كل سطح من سطوحها على حدة ثم تجمع الجميع.

● واما تكسير اجرام المجسمات: فالكرة منها ونصف الكرة: تضرب بسيطها فى ثلث نصف قطرها يكون تكسير جرمها.

● واما القطعة الكبرى من الكرة فتضرب نصف ثلث قطر الكرة التى منها فى بسيط لقعة وتحفظه ثم تسقط نصق (قطر) الكرة من سطح القطعة وتضرب ثلث الباقى فى بسط قاعدة القطعة وتجمعه مع المحفوظ يكن التكسير.

● واما القطعة الصغرى من الكرة: فتضرب ثلث نصف (قطر) الكرة التى منها فى بسيط القطعة وتحفظه ثم تسقط سهما من نصف الكرة وتضرب ثلث الباقى فى بسيط قاعدة القطعة وتطرح الخارج من المحفوظ يبقى التكسير.

وعلة ذلك تتبين من علة تكسير المخروطات لان (كل) كرة فهى تنقسم بمخروطات مجتمعة الرؤوس (على مركز).

وتبين فى «الاصول» ان كل جسم فمخروطه مثل مثله ومن علة المقوسات التى ذكرت قبل.

واما المجسم المتساوى الغلظ فتضرب سهمه فى قاعدته يكن تكسير احدهما فى الآخر اعنى سهمه الذى يصل بين مركزى قاعدته وسهمه القائم على السهم الاول على زوايا قائمة.

● واما المجسم المخروط فتضرب ثلث سهمه فى بسيط قاعدته يكون تكسيره وقد ذكرنا علته.

وهذه نبذة جاءت على حساب عرضنا لاعلى ما ينبغى ومن احاط علما بصناعة الهندسة يقدر على فرض الاشكال وعلى استخراج ما يمكن استخراجه من مجهولاته ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.



طغت شهرة المتنبى فى حياته وبعد وفاته ورفعه شعره إلى مكانة سامية وكان المتنبى واثقاً من نفسه كثير الفخر بما يمتلكه من مواهب وقدرات مما دفع البعض الى اتهامه بالغرور والتعالى.

فهو القائل:

وما الدهر إلا من رواة قصائدى
إذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشدا

وهو القائل ايضا:

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى
وأسمعتُ كلماتى من به صمم

وتذكر كتب الأدب أن سيف الدولة سمح للمتنبى بأن ينشد له الشعر واقفا.. وفى ذلك دليل على تقدير سيف الدولة للمتنبى وشعره وبعد وفاة المتنبى أقبل العلماء على شعره يشرحونه ويفسرونه ويتناولونه بالنقد والتعليق وانقسموا واختلفوا فمثلما كان شعر المتنبى يثير الجدل فى حياته وينام هو ملء جفونه.. كما لو كان متعمدا ذلك.

أنام ملء جفونى عن شواردها
ويسهر الناس جرّاها ويختصم



أثار شعر المتنبى الجدل والخلاف والصخب بعد وفاته ولم يكن الأمر حينذاك مقتصراً على تلك الأبيات الغامضة التى سميت بأبيات المعانى(١) التى اختلف الشراح حول تفسيرها وانما امتد الأمر الى تقييم المتنبى كشاعر.. وترك العلماء والشراح للمكتبة العربية عدة كتب فى هذا الخصوص منها: «كتاب الفسر لابن جنى.. واللامع العزيزى ومعجز أحمد لأبى العلاء كما تناول عبد القاهر الجرجانى وأبو زكريا التبريزى أشعار المتنبى بالشرح والتمحيص والتحليل.. غير أن أخطر ما كتب عن المتنبى تلك المخطوطات التى اتهمته بسرقة الكثير من شعره من شعراء آخرين ولعل أخطر هذه الكتابات ما كتبه أبو سعيد العميدى فى كتابه «الابانة عن سرقات المتنبى» فى مخطوطته التى قام بتحقيقها الأستاذ ابراهيم الدسوقى البساطى(٢) وقد صدر هذا الكتاب القيم عن دار المعارف بمصر عام ١٩٦١م.. ويقرر محقق الكتاب منذ البدء أنه عمد إلى الاهتمام بالبحث عن مخطوطة العميدى وتحقيقها وإخراجها فى كتاب.. لأن هذا الكتاب ينقص المكتبة العربية وإخراجه يسد فراغاً بها.. غير أن هذا لا يعنى أنه متعاطف مع مؤلف الكتاب ـ المخطوط ـ بل هو يرى أن ما تضمنه فيه كثير جداً من التجنى على المتنبى ويرجع هذا التجنى الى الحقد الذى شعر به الكثيرون تجاه المتنبى بعد وفاته.

● ويذكر المحقق انه عثر على ثلاث نسخ مخطوطة من هذا الكتاب: الأولى برقم (٢٠٣١) أدب فى دار الكتب بمصر وهى نسخة كاملة ونسختين أخريين ناقصتين. بدار الكتب بمصر أيضا لم يعتمد عليها أساساً لما يعتورهما من نقصان ثم عثر على نسخة مخطوطة أيضا فى الجامعة العربية ناقصة ورقة برقم ٢٨ وقيل إنها نسخت فى القرن الخامس الهجرى فقام بتصويرها ووجدها مثل النسخة الأولى التى بدار الكتب فاستعان بها أيضاً حتى صار الكتاب بعد ذلك أقرب الى الصواب.

وإذا ما انتقلنا الى ما تضمنه كتاب الابانة من سرقات نسبها مؤلفه أبو سعيد العميدى إلى المتنبى. وجدنا أن المؤلف ينسب إليه سرقة الكثير من شعر الشعراء المتفاوتين مكانة وشهرة فى تاريخنا الأدبى.. ومن هؤلاء: ديك الجن.. ابن الرومى.. بشار بن برد.. أبو تمام.. البحترى.. أبو العتاهية.. أبو نواس.

وسنلقى الضوء فى عجالة على القليل من الكثير الذى ذكره المؤلف فى هذا الصدد.

● فمما سرقه المتنبى من ديك الجن ذكر المؤلف أنه سرق قوله:

غصنٌ على نَقَوَىْ فلاة نابت
شمس النهار تقل ليلا مظلما
من قول ديك الجن:

ديمصٌ(٣) يقل قضيب بان فوقه
شمس النهار تقل ليلا مظلما
ومن ذلك أيضا قول المتنبى:

حُلْو خلائقه شوس(٤) حقائقه
تحصى الحصى بعد أن تحصى مآثره
حيث سرقه من قول ديك الجن
تغدو الى سيد يحصى الحصى عدداً
فى الخافقين ولا تحصى فواضله

● ومما سرقه المتنبى من ابن الرومى يذكر المؤلف أن المتنبى قد سرق قوله:
أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى
وعادة العرى عن التفضل
من قول ابن الرومى:
أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى
وكفاه طيب الخلق أن يتطيبا
ومن ذلك أيضا قول المتنبى:
بانوا بخرعوبة(٥) لها كفل
يكاد عند القيام يقعدها
حيث سرقه من قول ابن الرومى:
إذا تمشى يكاد يقعده
ردف كمثل الكثيب رجراج
● ومما سرقه المتنبى من بشار بن برد قوله:
أقسمت بالله ما استيقظتم لخناً
ولا وجدتم عن العليا بنوّام
حيث أخذه من قول بشار:
وسهرتُمْ فى المكرمات وكسْبِهَا
سهرا بغير هوى وغير سقام

ومن ذلك أيضا قول المتنبى:
إن كان سَرّكُمُ ما قال حاسدُنا
فما لجرح إذا أرضاكم ألم

● فقد سرقه من قول بشار:
إذا رضيتم بأن نجفى وسرّكم
قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجرا
● ومما سرقه المتنبى من أبى تمام قول المتنبى:
حشاى على جمر ذكى من الهوى
وعيناى فى روض من الحسن ترتع
● فقد أخذه من قول ابى تمام:
أفى الحق أن يضحى بقلبى مأتمُ
من الشوق والبلوى وعيناى فى عرس
● ومن ذلك أيضا قول المتنبى:
تضيق عن جيشه الدنيا ولو رحبت
كصدره لم تضق فيها عساكره
● فقد أخذه من قول أبى تمام:
ورحب صدر لو أن الأرض واسعة
كوسعه لم يضق عن أهلها بلد
● ومما سرقه المتنبى عن البحترى قوله:
إذا اكتسب الناس المعالى بالندى
فإنك تعطى فى نداك المعاليا
● حيث أخذه من قول البحترى:
واذا اعتفاه المعتفون فإنه
يهب العلا فى نيله الموهوب
● ومن ذلك أيضا قول المتنبى:
إذا حاز مالا فقد حازه
فتى لا يسر بما لا يهب
● حيث أخذه من قول البحترى
ما احتج يوما كما احتجَّ البخيل ولا
يحب من ماله إلا الذى يهب
● ومن أبى نواس مثل قوله:
هدية ما رأيت مُهْديَها
إلا رأيت الأنام فى رجل

● فقد أخذه من قول أبى نواس:

وما على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

■ هذا ولم يكتف المؤلف ببيان ما نسبه للمتنبى من سرقات من شعراء لهم مكانتهم المرموقة فى الشعر العربى ولهم قدر كبير من الذيوع والشهرة. بل تطرق إلى شعراء آخرين أقل شهرة وذيوعاً.. واتهم المتنبى بالسطو على أشعارهم وزعمه أنه لا يعرفهم بل ذكر المؤلف أن المتنبى كان يزعم أنه لا يعرف الطائيين (يريد بهما أباتمام والبحترى) ولم يسمع بابن الرومى مداراة لاعتدائه على اشعارهم.. ومن هؤلاء الشعراء الذين يمثلون الطبقتين الثانية والثالثة ممن ذكر المؤلف أن المتنبى اعتدى على أشعارهم بالسرقة، الخبز أرزى، عمرو بن عروة الكلبى.. كثير عزة.. دعبل(٧) وغيرهم... وتعددت الأبيات التى ذكر المؤلف أن المتنبى قد سرقها من شعر هؤلاء غير أننا سنكتفى بأمثلة قليلة فى هذا الخصوص.



● فيذكر المؤلف أن فى قول المتنبى:

لو كان سكناى فيك منقصة
لم يكن الدر ساكن الصدف

● سرقة من قول الخبز أرزى:

وليس سكناى نقصانا لمنزلتى
فيكم كما الدر لا يزرى به الصدف

● وأخذ المتنبى قوله:

لو كنت حشو قميصى فوق نمرقها
سمعت للجن فى حافاتها زجلا

● من قول دعبل:

سمعت به للجن فى كل ساعة
عزيفا كأن القلب منه مخبَّل

■ ويبقى علينا أن نشير الى رأى المحقق فى الكتاب الذى قام بتحقيقه وإلى تعليقه على ما تضمنه فالمحقق يرى أن الكتاب ينطوى على كثير من التجنى ويقرر أن المؤلف عد التشابه الضئيل بين بعض شعر المتنبى وبين شعر السابقين سرقة ولم يعمد المحقق الى قدر كبير من التفصيل فى بيان أوجه هذا التجنى وأشار الى قول «صاحب المبنى عن حيثية المتنبى - وهو الشيخ يوسف المشهور بالبديعى» - الذى قال: **«وكان الشيخ أبو سعد محمد العميدى صاحب كتاب الابانة فى غاية الانحراف حائداً عن التمييز عن سنن الانصاف»**.

ويبدى المحقق أن المؤلف أورد فى كتاب الابانة أسماء شعراء مغمورين وأنه - أى المحقق - حاول جاهداً أن يعثر على تعريف لهم فى كتب التراجم فلم يجد ما خلا عددا قليلا منهم وأن فى بعض النصوص التى أوردها المؤلف لهؤلاء تحريف وليس لهم دواوين مطبوعة أو مخطوطة ليستفيد بها على تصحيح ما أورده المؤلف لهم.

وفيما يتعلق بالاشعار التى ذكر المؤلف أن المتنبى سرقها من شعراء مشهورين كالبحترى وأبى تمام وبشار وأبى العتاهية

يكرر المؤلف أن ما نسب للمتنبى سرقته من هؤلاء لا يخرج عن كونه أفكاراً مشتركة ومعانى مشاعة بين الشعراء أضاف عليها المتنبى من إبداعه وحسن صياغته فثمة معانٍ مشتركة بين ابن الرومى وابن ابى ربيعه والبحترى وابى تمام وابى العتاهية والمتنبى فلماذا يتهم المتنبى وحده بأنه سرقها من هؤلاء؟ . . ذلك تجن يعوزه الدليل ودافعه الحقد على المتنبى فقط وساق المؤلف بعض الامثلة لتلك الأشعار التى تتطوى على معانٍ مشتركة ومشاعة بين الشعراء من ذلك :

● قول ابن الرومى :

إذا تمشى يكاد يقعده
ردف كمثل الكثيب رجراج

● فهذا شبيه لقول عمر بن ابى ربيعة :

تنوء بأخراها فتأبى قيامها
وتمشى الهوينى من قريب فتبهر

● وفى مثل هذا قال أبو العتاهية :

بدت بين حور قصار الخطا
تجاهد بالمشى ألفالها

● وهذا المعنى قال فيه المتنبى وزاده قوة وتماسكا حين قال :

بانوا بخرعوبة لها كفل
يكاد عند القيام يقعدها

■ وعلى كل فإننا نرى أن المحقق بذل جهداً كبيراً فى سبيل تحقيق هذا الكتاب وإثراء المكتبة التراثية العربية به بعد أن كان مخطوطاً شبه مجهول وهو عمل عظيم النفع فى سبيل إحياء تراثنا العربى وتيسير أمر الانتفاع به واطلاع أجيال جديده عليه لتكون على صلة بتراث أمتها الأدبى مستفيدة به من غير أن توجه جل اهتمامها نحو تيارات الحداثة وحدها قاطعة صلتها بجذورها ومنابع أصالتها . . كما اننا نرى فى هذا الكتاب فائدة عظيمة لمن يريد ان يتعلم أصول النقد الأدبى والموازنة بين النصوص الشعرية وتمحيصها ولعل هذا ما دفعنا الى بذل هذا الجهد المتواضع فى عرض هذا الكتاب والاشارة الى أهم ما تضمنه من أفكار.



الهوامش

(١) انظر مقالنا «تفسير أبيات المعانى من شعر أبى الطيب المتنبى» مجلة المنهل - جمادى الثانية ١٤٠٦هـ.

(٢) الاستاذ ابراهيم الدسوقى البساطى . . مفتش سابق بوزارة التربية والتعليم بمصر - وصدر الكتاب عن دار المعارف سنة ١٩٦١م.

(٣، ٤، ٥، ٦) دعص: الكثيب من الرمل - شوس: جمع أشوس وهو المتكبر - خرعوبة: الشابة البيضاء الجسيمة - حسير: ضعيف.

(٧) الخبز أرزى (جاء فى اليتيمة: انه كان أمياً لا يكتب ولا يتهجى وكانت حرفته صناعة خبز الأرز فى دكانه بمربد البصرة فكان ينشد أشعاره الغزلية وهو يخبز والناس يزدحمون عليه ويتعجبون من أمره.

عمرو بن عروة الكلبى: وردا اسمه فى معجم الشعراء: عمرو بن عروة بن القداء الكلبى ونسب إليه:

وبدا النجم فى السماء كبيرا
مستقلا كأنه عنقود
وتدلت بنات نعش فعادت
مثل نعش عليه ثوب جديد

كثير عزة: ورد فى معجم الشعراء، انه عاش فى ظل الدولة الأموية وكا[ن] جيد الأسلوب . . مشهور بالغزل وكانت وفاته سنة ١٠٥هـ.

دعبل: جاء فى معجم الشعراء أنه شاعر مطبوع، أصله من الكوفة وك[ان] اكثر مقامه ببغداد ودخل دمشق ومصر وكان هجاء خبيث اللسان وله ديو[ان] شعر وكتاب طبقات الشعراء مات سنة ٢٤٦هـ.



رسالة اليك . . ايها الاخلاص

إن كنتَ سوف تنسى ما كانت عليه أحاسيسى ومشاعرى نحوك فتذكر الامل الذى زرعته فى روحى وخلَّدتْ ذكراه أكرم واسمى المعانى فى نفسى فى زمن اصبحت فيه المشاعر والاحاسيس اشبه برائحة العطر ما تلبث ان تفوح ومن ثَمَّ تتبخر. هذا الزمن الذى اعتمد على الماديات ومفاهيم العصر الحديث . .

ولكن الحفاظ على هذا (الجميل) من المشاعر يعتمد على مدى قدرتنا وشموخنا امام اعاصير الحياة وتلاطم موج المادة . . ونزوات البشر الشيطانية . .

تلك النزوات والنزعات هل حوَّلت الحب فى داخلنا إلى شرار ملتهب تحت الرماد . . ؟!! هل تحولت أحاسيسنا ومشاعرنا إلى مجرد سراب تحت وهج الشمس المحرقة . . ؟!! . . ربما اكون محتدا فى حديثى ولكنها الحقيقة . لنسأل انفسنا ما معنى ما نقول وما حقيقة ما نفعل . . ولكن حذارى . . هذه الحقيقة التى نبحث عنها هى الاخلاص . . هذا الاخلاص الذى هو قوام الحياة . . الاخلاص كله خير . . وكله نماء . . وكله عطاء . . الاخلاص فى عبادة الله خير وبركه . . الاخلاص فى الاداء خير . . الاخلاص فى محبة الأخرين وحسن معاملتهم خير . . لا ترون ان الاخلاص هو المرتكز المحورى لدائرة السلوك الانسانى كله . . والوفاء للمشاعر الانسانية اصبح منعدماً فى هذا الزمن . . والرغبات التى ليست لها حدود فى مجتمعاتنا اصبحت هى آمال الحياة الوجود حتى أصبحت حياتنا واهية ضعيفة كخيط عنكبوت . . وبعد هذا هل نقف مكتوفى الايدى . . امام صرخات المجتمع وتناقض انفسنا ونكتم فيها معانى الوفاء والاخلاص . . لنعلم انه لن يعرف الود الا من عرف الوفاء ولن يعرف الوفاء الا من عرف العطاء . . والاخلاص فى العطاء .

زهير

هواجس

اذا سألونى عما أكره سأقول الغباء
واذا سألونى عما أحب
سأقول الغباء
واذا لم يسألونى . . فما العمل!!
سأحاول أن أمرر رأيى
بعض الناس يحاول ان يعرف لماذا
واذا كان لابد من ذلك فهذه هى
مذكرتى التفسيرية
الغباء يا سادة الغاء للعقل وهذا
مكروه مكروه فما تميَّز الانسان عن الحيوان الا بالعقل وما استطاع ان يقبض على الطبيعة ويضعها فى (الحرملك) الا بهذا العقل
ولكن العقل أدمن شيئا غريباً . . أدمن القتل وأخذ ينمو على حساب كل شىء . . حتى أكل القلب وتمرد على صاحبه واصابه التلوث .
ولعل اللغويين يجدون رابطة ما بين التلوث واللوثة ولهذا فأنا احب الغباء . . احب الغباء لانه سيطرد هذا العقل الملوث من صفحتى هذه .

فريد



كتبتُ رواية (شيندن) معتمداً على تجاربي في دائرة الاستخبارات ابان الحرب العالمية الاولى - غير انني اعدت كتابتها ثانية هادفاً ان اجعل منها عملاً قصصياً. ان (الحقيقة) قاص رديء.. فهي تشرع في كتابة القصة كيفما اتفق.. وتواصل ذلك على نحو غير منطقي.. ثم تأخذ بالضعف شيئاً فشيئاً تاركة النهايات سائبة وغير منجزة دونما الوصول الى اية نتيجة.. وتتقدم تدريجيا لوضع مشوّق سرعان ما تتركه بعدئذ معلقاً في الهواء كي تتعقب قضية اخرى غير ذات علاقه بالموضوع.. انها لا تملك الاحساس بضرورة وجود ذروه في العمل الأدبي.. كما انها لا تكثر من النتائج المثيرة. تنظر احدى مدارس الروائيين الى ما تقوم به (الحقيقة) كعمل من الواجب ان يحتذى به عند كتابة الادب القصصي - ففي رأيهم: اذا كانت الحياة اعتباطية وغير مترابطة ينبغي ان يكون الادب القصصي كذلك ايضاً فهو ادب عليه ان يحاكي الحياة وان كانت الاحداث تسير عشوائياً في الحياة فعليها ان تبرهن على نفسها بطريقه مماثلة في القصة ايضا - فليس ضرورياً أن نقاد حيث الذروه التي هي انتهاك لما يحتمل حدوثه.

يضيق هؤلاء الروائيون بما يقوم به بعض الكتاب من محاولة لاثارة دهشة قرائهم باسداء اللكمات او بالتطوير بصورة فجائية - كما يتجنب هؤلاء قدر امكانهم الملابسات التي توصل بالقصة الى نتيجة مؤثرة.. وهم لا يقدمون للقارىء قصة بل يزودونه بمادة يستطيع معتمداً عليها ان يبدع قصته.. في بعض الاحيان.

تتكون القصة من حادث قد يحسبه القارىء مقدما

سومرست موم

كاتب

سومرست موم

- روائى وكاتب مسرحى انجليزى . . ولد فى باريس سنة ١٨٧٤م .
- اشهر رواياته «حد الموسى» ١٩٤٤ ، «القمر وست بنات» ١٩١٥ .
- من أشهر مسرحياته «الدائرة والخطاب» .
- من مؤلفاته النقدية : مقدمة للأدب الانجليزى والامريكى الحديث .
- يعد « موم » من قادة الأدب الواقعى .

اعتباطا ـ وهنا يكون (هو) كقارىء مدعوًّا للتكهن باهمية هذا الحادث . وفى احيان اخرى : يعطى شخصية قصصية تترك له . . يقدم هؤلاء الروائيون المواد اللازمة لتحضير طبق من الطعام متوقعين من القارىء ان يطبخها بنفسه .

هذه هى احدى طرق كتابة القصة وقد كتبت بها بعضاً من القصص الجيدة وكان «تشيخوف» بارعا فى استعمالها فهى تناسب القصة القصيرة اكثر مما تناسب الرواية . . ان بامكانى وصف حالة ما او بيئة ما أو جو معين شد انتباه القارىء لستة صفحات ولكن عندما تصبح الستة خمسين تحتاج القصة لهيكل مساعد ـ وهيكل القصة هو بالطبع حبكتها .

للحبكة خصائص معينة لا يستطيع المرء الافلات منها فهى كاملة بحد ذاتها . . لها بداية ووسط ونهاية . . وهى تبدأ بعدد من الملابسات التى من الممكن تجاهل اسبابها رغم وجود نتائجها .

يكون معه القارىء مقتنعاً بأنها لن تكون سببا لوجود نتائج اخرى بحاجة لأن تؤخذ بنظر الاعتبار . . ويعنى هذا وجوب ان تبدأ القصة بمرحلة معينة وتنتهى بأخرى محددة . . ان عليها الا تتسكع فى طريق مبهم بل ان تسلك منحنياً واضحاً من البداية حتى الذروة . . ويستطيع المرء تمثيل ذلك برسم خط بيانى يشكل شبه دائرة . ان من المستحسن وجود عامل الدهشة واللكمة والتطوير الفجائى وهو مالا يريده اتباع تشيخوف ولكن من غير المستحسن وجود ذلك اذا كان الكاتب لا يجيد استعماله . . . ويكون وجوده رائعاً عندما يصبح جزءاً متمما للقصة وقضية شرعية لها . ليس هناك من خطأ حول تحقق الذروة فى العمل فهى مطلب شرعى للقارىء ـ لكنها تكون خطأ حينما لا تعقب طبيعيا الملابسات التى سبقتها . . . انها وسيله مصطنعة بهدف المراوغة ـ ففى الحياة وكقاعدة عامة يضعف كل شىء بعقم .

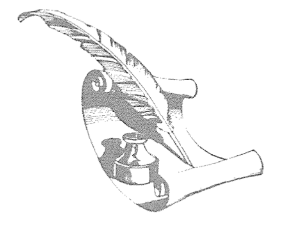
ان من غير الضرورى التعامل مع النظرية القائلة بأن على الادب القصصى محاكاة الحياة كبديهية ـ فهى مجرد نظرية ادبية كغيرها . وهناك «فى الواقع»

نظريه اخرى تبدو معقوله تقول بانه يجب على الادب القصصى استعمال الحياة كمادة خام ينظمها فى صيغ تدل على البراعة . . . ان لدينا فى الرسم مماثلة جيدة لما فى الادب ـ فرسامو المناظر الطبيعية فى القرن السابع عشر لم يعنوا بالنقل المباشر للطبيعة الذى كان بالنسبة لهم بمثابة القيام بزخرفة شكلية ـ بل قاموا بتنظيم منظر على نحو معمارى مواز بين شجرة وغيمة مثلا . . ومستعملين الضوء والظل لعمل مخطط معين . . . لم يكن هدفهم رسم منظر طبيعى بل ابداع عمل فنى ـ وفى تنسيقهم لمظاهر الطبيعة لم يكن ما يشعرهم بالرضا أو يطبع احساس المشاهد بصدق ما يرى.

أما فيما يتعلق بالانطباعيين فقد كانوا يرسمون ما يشاهدون محاولين القبض على الطبيعة ممثلة بجمالها المتلاشى. فرسم تألق اشعة الشمس . . . او رسم لون الظل . . . او شفافية الهواء . . . يشعرهم بالسعادة لأن الحقيقة هدفهم ـ وهم لا يريدون من الرسام اكثر من ان يصبح عيناً ويداً فالدهاء لا يلزمهم.

ومن الغريب كم تبدو لوحات رسامى المناظر الطبيعية فى القرن السابع عشر فارغة اليوم حين تضعها بجوار روائع فنان مثل كلود . . . تذكرنى طريقة **(كلود)** بطريقة سيد القصة القصيرة **(غاى دو موباسانت»** فهى طريقة رائعة واعتقد انها ستبقى حية بعد زوال طرق اخرى.

ان من الصعب اليوم معرفة كيف هى الطبقة الروسية الوسطى قبل خمسين عاما؟ . . فليس بالضرورة ان تحتوينا الحكاية فى قصص تشيخوف ـ كما تحتوينا قصة باولو وفرانسيسكا أو قصة ماكبث ـ الى الدرجة التى تشد معها انتباهنا بعيدا عن الاهتمام بالناس . . . ان الطريقة التى اتحدث عنها هى تلك التى تنتقى من الحياة ما هو غريب ومؤثر ومثير ـ فهى لا تحاكى الحياة بل تلازمها عن قرب كاف يمكنها من ان تحمل القارىء على تصديق ما يكتب . . انها تسقط هذا وتغير ذاك . . وتعمل مما ترى من المناسب التعامل معه زخرفة شكلية وتقدم لوحة . . فثمرة الابداع التى تصور حساسية الكاتب هى إلى حد ما صوره لنفسية ذلك الكاتب لكنها وضعت لتثير وتحث وتحتوى القارىء الذى يتقبلها كحقيقة فى حالة كونها ناجحة.



إن عمل الوكيل فى دائرة الاستخبارات ممل جداً وكثير منه غير ذى نفع . . . يزود هذا العمل المرء بمادة لكتابة قصة الا ان هذه المادة غير مترابطة وتافهة ـ لذا يفترض على الكاتب ان يعتمد على نفسه فى جعلها متماسكة ومؤثرة ومحتملة.

فى عام ١٩١٧ أُرسلتُ الى روسيا لأساهم فى منع الثورة البلشفية فيها والعمل على ابقائها فى دائرة الحرب ـ لكن جهودى ذهبت ادراج الرياح . . سافرت من فلاديفوستوك الى بيتروغراد . . وفى احد الايام وفى الطريق عبر سيبريا توقف القطار فى محطة ما ونزل المسافرون . . . كان بعضهم يبحث عن ماء لإعداد الشاى كما اراد بعضهم الآخر شراء طعام بينما جلس الاخرون ممدى ارجلهم . . وكان هناك جندى

اعمى جالسا على دكة وقد جلس جنود آخرون بقربه بينما وقف الكثيرون وراءه . . كان عدد الجنود يتراوح بين العشرين والثلاثين يرتدون ملابسا ممزقة ومبقعة . بدا الجندى الاعمى شاباً ضخما ونشيطا وقد ظهر على وجنتيه زغب ناعم للحية لم تحلق . . . كان وجهه عريضا له ملامح منبسطة وبارزة وعلى جبهته اثر جرح أودى ببصره فى حين أضفت عليه عيناه المغلقتان نظره غريبة خالية من التعبير . . . كان صوته قويا عذباً وصاحب غناءه عزف على الاكورديون . . كان القطار ينتظر وهو يغنى الاغنيه تلو الاغنية - لم استطع فهم كلماته ولكنى بدا لى اننى اسمع فى غنائه المتوحش والكئيب صرخة المضطهدين واحسست بالسهول الموحشه والغابات اللا متناهية - كما شعرت بتدفق انهار روسيا الكبيرة . . وكدح الريف . . وحرث الارض وحصاد القمح الناضج . . وتنهد الرياح بين اشجار البتولا . . والاشهر الطويلة فى الشتاء المظلم . . ورقص الصبيان فى القرى . . واستحمام الفتيان فى الجداول الضحلة عند الامسيات الصيفية . . وشعرت برعب الحرب وبالليالى المريرة فى الخنادق والزحف الطويل على الطرق الموحلة . . واحسست بساحة المعركة حيث الخوف والحقد والموت - كان ذلك مرعباً ومؤثرا جداً .

■ استولى الشعور ذاته على المسافرين : احسوا بحنو لا نهائى ورعب غامض - فملأوا قبعة الجندى الموضوعة على قدميه بالنقود . . . كان هناك شيىء ما مرعب فى ذلك الاعمى ذى الوجه المجروح فلا يحس المرء بأية صلة بين هذا الرجل والفرح فى هذا العالم الساحر . . . فهو لا يبدو انسانا بكل معنى الكلمة . . . كان الجنود يقفون صامتين وعدائيين - وكان هناك حنق من جهتهم وشفقة لا محدودة من جانبنا . . ولم يكن هناك اى وميض امل يوحى بامكانية تعويض ذلك الرجل العاجز عما ألم به ولو بطريقة واحدة .

الأشجار تلتهم أشعة الشمس

شعر : جون اوبديك

ترجمة : نادر صلاح الدين

جون اوبديك JOHN UPDIKE ولد فى مدينة شلينجتون ببنسلفانيا سنة ١٩٣٢ . تعلم فى مدرسة هارفارد ثم التحق بمدرسة الرسم والفنون الجميلة باكسفورد من ١٩٥٥-١٩٥٧ . . كان عضوا فى مجلة «نيويوركر حيث قدم مجموعة من القصص والقصائد والمقالات .

نشر له عدة كتب منها خمس روايات وثلاث مجموعات قصص قصيرة وثلاث مجموعات شعرية . . وقد احتفى به النقاد كواحد من اكثر الكتاب موهبة فى جيله .

الاشجار تلتهم اشعة الشمس :

إنها الحقيقة
مثل اللبن تلعقها اوراقها العريضة
وتصوغها اغصاناً صغيرة

* * *

السمك يلتهم السمك
الضوء تلتهمه المصابيح
وحين تنفض وليمتها
ينطفىء الفتيل

* * *

هكذا نحن
وكل المخلوقات الاليفة
القطط تأكل الإحصنة
والاحصنة العشبَ
والعشبُ الأرضَ
والأرضُ الماء
عدا ذلك الانسان النادر
الذى يستنشق عبير الروح
فلنناضل حتى نكون مثل هذا العملاق . .

حوار
بول فاليرى

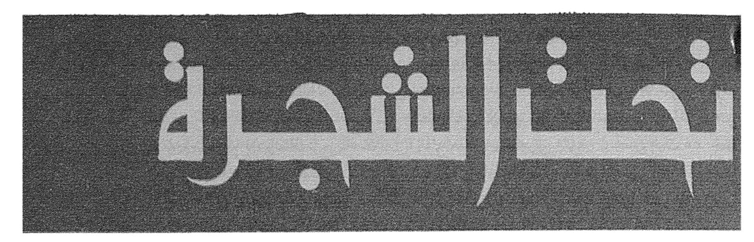
ترجمة
مصطفى القصرى
«المغرب»

تقديم

هذا الحوار تحت الشجرة قد يفسده التعليق عليه. فكلا المتحاورين يعرب عن افكاره ومذهبه فى الحياة ووجدانه وشكه ويقينه وضلاله وهداه وإحساساته وخلجات ضميره بالبلاغة التى أوتيها أو بعبارة أوضح بالبلاغة التى أطلقها على لسانه (بول فاليرى) الذى نترجم له اليوم هذا الحوار محاولين جهد المستطاع ان نضفى عليه الطابع العربى. . ونلبسه البردة والعمامة والخف. . ونقلده سيفا صقلته لغة الضاد. . ونركبه جوادا عربيا يتفسح به فى حلباتها الواسعة الارجاء.

وقد خطر ببالنا ونحن نترجم «**حوار الشجرة**» ان أصدق قول عن الشجرة هو ما ذكره تعالى فى كتابه الكريم. . شجرة آدم وحواء اللذين بدت لهما سوآتهما عندما أكلا منها فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة. . تلك الشجرة التى قال الشيطان لآدم فيها: ﴿**هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟**﴾. . والشجر الأخضر الذى جعل الله لنا منه نارا نوقد به. . وشجرة الزيتون التى يوقد منها الكوكب الدرى. . هذه الشجرة المباركة التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار. . وكل ما فى الأرض من شجرة لو صنعت منها الأقلام وكتبت بها كلمات الله لما نفدت كلماته ولو كان البحر مدادا يمده من بعده سبعة أبحر.

وأخيرا وبالخصوص تلك الشجرة التى ضرب الله بها المثل للناس ليميزوا بفضلها خبيث الكلم من طيبه. . والتى لو كان اطلع فاليرى على نصها القرآنى (لقد كان يجهل العربية. . . وقد لا يكون اطلع على ترجمة معانى القرآ كلها) لما تردد فى تصدير حواره بها وتتويج جبين قوله بتاجها ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار. يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويُضِلُّ اللهُ الظالمين ويفعل اللهُ ما يشاء**﴾. . . ومن القول الثابت. . هذا النبراس الذى ينير طريق الانسان الغارق وسط غياهب ظلمات الكون الغارق بنفسه فى الظلمات.



لوكريس : **ماذا تصنع هنا يا تيتير ـ يا عاشق الظل ـ ناشدا راحتك تحت شجرة الزان هذه . ؟ مسرحا ببصرك فى مسارح الهواء الذى نسجته الأوراق؟ . .**

تيتـــير : أُحيى . . انتظر . . نايى بين أصابعى مهيأ للنشيد ـ وانا أهيّىء نفسى لأصبح شبيها بهذه اللحظة الرائعة . أريد أن أكون أداة للسعادة وهى تعم الكائنات . . وها آنذا اتخلى للأرض عن ثقل ذاتى كله . . عيناى تسبحان فى كتلة النور المرتعش بأعالى الأجواء . . انظر الى الشجرة كيف تستمتع فوقنا بذلك اللظى المقدس الذى تحمينى من وهجه . . كيانها الملىء بالنزوات ـ كيان من جوهر الأنثى ـ يناشدنى بأن أتغزل فيه وأشيد باسمه بإضفاء صورة موسيقية على النسيم الذى يتخلله وبلطف وأناة يدغدغه . أنا فى انتظار روحى . . وللانتظار قيمة رفيعة يالوكريس . سأشعر بمجىء الفعل المجرد صادرا عن شفتى له . . وسيرتعش كل ما لا أزال اجهله من نفسى التى تيمتها شجرة الزان . أليس من المعجز الرائع يا لوكريس أن يتمكن راع من الرعاة سها عن قطيعه من إضفاء تلك الصورة الواهية الواهنة إلى السماوات ـ صورة ما يشبه من الشجرة ومن اللحظة مثالها المجرد .

لوكريس : **ليس هناك معجزة ولا روعة . . إنه يستحيل على الفكر ـ إذا فقد العزم ـ أن يختزل الشجرة إلى حجم رمزه البرىء . . أنا اتصور شجرتك وأمتلكها على الشكل الذى أراه أنا .**

تيتيـــر : ولكنك تتباهى بأنك تدرك معانى الأشياء . . وتحلم بخصوص هذا الزان بأنك تعلم عنه اكثر مما يعلمه هو عن نفسه لو أن له فكرا يعتقد بفضله بأنه يعرف نفسه ويدرك حقيقته ـ أما أنا فلا أريد أن اتعرف إلا على لحظاتى السعيدة . . روحى فى يومى هذا تلخص نفسها فى صورة شجرة وكنت فى أمسى اتصـورهـا عينا جارية فماذا عن غدى؟ . **هل ارتفع فى غدى متصاعدا مع بخور معبد من المعابد؟ . أم عساى امكث محلقا فوق السهول ونفسى طافحة بالشعور بقوة النسور وهى تحرك بتؤدة أجنحتها؟ . .**

وكريس : لست إذن سوى تحول مستمر .

تيتيـــــر: أنت بذلك أدرى. . إنى أترك لك الغوص فى الأعماق. . وبما ان هذا الحجم الضخم من الظل الظليل يجذبك إليه كجزيرة عليلة النسيم تحت وهج هذا اليوم فتعال نقف ونقطف اللحظة لنقتسم هذه النعمـة ولنتبـادل معرفتك لهذه الشجرة مشفوعة بالحب والحمد اللذين تلهمهما إياى. . أيتها الشجرة السامقة تيمنى جمالك. . وشغفتنى اعضاؤك. . فلا زهرة ولا امرأة أطرب لها مثل ما أطرب لك. . ايتها الكائنة العظيمة ذات الأذرع المتضاعفة. . لا زهرة ولا امرأة تستخرج من قلبى ـ مثل ما تفعلين ـ هذا الجنون الممتزج بالحنان. . . إنك تعلمين يا شجرتى اننى أصل إليك عند لحظة الفجر لأقبلك فيهـا ـ شفتـاى تقبلان قشرتك المرة ولحاءك الأملس فأشعر بنفسى أننى ابن نفس الأرض. . ابن أرضنا نحن الاثنين. . أعلق حزامى وجرابى على أقرب غصن من أغصانك. . ومن ظلالك الملتفة يرفرف فجأة طائر كبير. . يرفرف بجناحيه ويفر امامى من بين اوراقك فزعاً مفزعا ـ ولكن السنجاب الجرىء ينزل ويسرع نحوى ليتعرف علىَّ. وأشهد ميلاد الفجر فى حنان. . كل شىء حينئذ يعلن عن نفسه ويكشف عن ذاته لأن نار اليوم الجديد تستنهضه للافاقة من نومه. . والنسيم المستهل يهب على هذه الدوحة التى يضع بها عَيْنَىْ جارية. . وانصت فيها إلى الهواء المنعش ـ أنصت إليك أيتها الدوحة. . . ايها الحديث المختلط. . ايها الحديث الهائج الأهوج. . اريد ان امزج جميع أصواتك مزجا فمئات الورقات بل آلاف الورقات تتحرك لتصنع ما يهمس به الحالم إلى قوى الرؤيا.

إننى أحييك أيتها الشجرة واتحدث إليك بنواياى. . إنك تعلمين كل شىء عن حقيقتى وعن آمالى الريفية. . تعرفين كل شىء عنى وتعلمين ما يزعج حياة بسيطة كحياتى من مزعجات الفكر البريئة ـ حياة أقرب ما تكون من حياتك أيتها الدوحة. أنظر من حولى لأرى هل نحن حقا وحدنا وأسر إليك بمن أنا . . وأحيانا استعرض ذكرى من الذكريات فأهذى هذيانا واتهمك انك الذكرى ذاتها. وأخرج عن طورى خروجا يريد فقط ان يزور الأمور تزويراً ويمسك بمخالبه على شىء آخر ليس بالحلم ـ على شىء يحيا ويعيش بعد أن يلتحق بالحلم التحاقا. . انت حينما تهدأ الريح وحينما ترهق عظمة الشمس المطمئنة بنارها كل ما هو موجود فى الفضاء والأرجاء وتؤلفه بنورها فإنك تحملين فوق اغصانك المترامية المتخالفة وعلى اوراقك التى لا تحصى ثقل وهج الضحى الغامض والزمن النائم بين أحضانك لا يمتد إلا بفضل الضجيج المزعج الذى يحدثه فيك جمهور الحشرات. .

لوكريس: يا للبراعة. . إن الطرب يأخذك أخذا. . إنى انصت إليك معجبا بقولك.

تيتـــــير: لا: لن تعرف الأمر كيف هو. . . إنك تبتسم ضاحكا من شجرتى ولا تحلم فى الواقع إلا بشجرتك ليس الناى الذى تمسكه اناملى سوى انشوطة بين أصابع النسيم حينما يطبع النسيم نفسه على شفة الهالكين فيحدث فى اللحظة تجعيدا يخددها وفى السمع لهوا يلهيه. . ولكن هذا الناى ماذا عساه يكون فى عين الروح القوية العميقة؟ . . إنه ليس أكثر من عطر لا يكاد يشم أريجه. إن صوتى لا يتتبع سوى أثر ظل فكرة من الافكار. . اما فى عينك أنت يا لوكريس العظيم وفى عين ظمئك المكنون فإنه يعنو الكلم حين يتغنى الكَلِمَ وينشد النشيد. . إن الكلم يتيه فى متاهات الحقيقة التى ينشدها حقا: إنو أدرك ما قيمة ما تلقننى الشجرة إياه: إنها تحدثنى بما تريد ان أريد ان اشعر به من إحساس. . إننو

أحول ما أحب الى ثوان من الزمن أنعم بها واكتفى بأن اترك للهواء ما اتانى به من السماء. . سر على بركة الله فإننى أجدنى من البساطة بما لا آمل معه ان تستنفذ متعتى شيئا آخر غيرى - اما أنت فانك كلك أمل تعقده وجبينك مثقل بالظلال التى تكونها فى نفسك. . وعيناك المغمضتان تبحثان فى نفسك عن شخص ما هو كائن . . . إن عقلك لا يعنيه ما يلوح جليا تحت ضوء النهار كما لا يعنيك ما تهمسه شجرتنا للنسيم العليل ولا رعشة القمة الملموسة بلطف. . والتردد الواسع العريض الذى تحدثه الأغصان ويحدثه كل جمهورها المجنح المزقزق اللامبالى. . إنك تريد الوصول إلى جوهر الأشياء.

لوكريس: **ليست هذه الشجرة سوى وليدة خيالك الأحمق المبدع. إنك تظن أنك تحبها بينما لا ترى فيها أزيد من نزوتك الجميلة التى تكسوها بالأوراق. إنك لا تحب إلا نشيدك الذى تنشده - وفى الواقع هكذا أحبك أن تكون: تأخذ من الزان الفاخر فى أبهته ما يمكن أن ترسل به عقيرتك بالغناء. . تأخذ تقلبات هيأته وطيوره الرنانة وظله الذى يستقبلك فى كبد النهار المتوهج ثم تشيد بمحاسن هذا العملاق على نغم نايك الرقيق. . تلهمك فى ذلك عرائس الشعر إلهاما.**

تيتـــــير: فلتغنِّ أنت: ولتمل نشيدك إلى الطبيعة والأرض. . والى الشلال والصخر والبحر. اكس الموج شرائع وقوانينا. . والزهر أشكالا وألوانا. . فكر عوض الكون أيها الوحش المحروم من الرأس - الذى يبحث لنفسه فى الانسان عن حلم عقلى - ولكن لا تحتقر الكائن البسيط الذى ينصت إليك. . افتح له كنوز ظلمات الحقيقة - فماذا عساك تعلم عن الزان أكثر مما نعلمه نحن؟ . .

لوكريس: **عليك أولا بالتحديق جيدا فى هذه القوات الخاصة وفى الخشب المتين لهذه الاعضاء المتمددة. . لقد ملأت الحياة هذه المادة بما يجعلها قادرة على تحمل رياح الشمال وعلى الوقوف صامدة أمام صدمة الاعصار. . ماء الأرض الكثيفة المطبوعة بروح الأمومة المستخرج عبر الاحقاب من الأعماق هو الذى أظهر للعيان هذه المادة المتينة الجوهر.**

تيتـــــير: إن لها متانة الصخر وقابلية النحت فيه.

لوكريس: **وهى تنتهى بأغصان تنتهى بالأوراق وستبعث ثمراتها للحياة بعد أن ترسلها لواقح الرياح.**

تيتيـــــر: لقد أدركت ما أنت قائله.

لوكريس: **أنا انظر فى هذا الكائن العظيم صورة نهر من الأنهر.**

تيتيـــــر: صورة نهر؟.

لوكريس: **صورة نهر مليء بالحياة حافل بالنشاط. . عيونه تغرق فى كتلة الأرض الغامضة مسالك ظمئها الذى لا يسبر غوره. إنه تنين خرافى يصارع الصخر وينمو وينقسم على نفسه ليضم الصخر إلى**

درجة الخنق. إنه يرق ثم يرق ويحركه العنصر الرطب ويبعثر شعره لشرب أقل جرعة من الماء الذى يطبع الليل الكثيف ـ ليلا امحت فى احضانه كل الأشياء التى عاشت قبل امحائها. . ولا وجـود لأى وحش بحرى كريه أكثر جشعا وأقوى تضاعفا من هذه الخصلة من الجذور العشواء المتأكدة من السير قدما نحو أحشاء الأرض وأخلاطها. ولكن هذا التقدم يسير منتصرا مستظهرا لا يقاوم. . يسير ببطء يجعله مصيرا محتما كالزمن نفسه. إن عمل الشجرة هذا يدرج قوات إرادية أرضية عبر مملكة الموتى والجرد والديدان والهوام.

تيتيــــــر: ما اعجب ما تحكيه يا لوكريس. . ولكن اتريد ان أقول لك بأى شىء أحلم وفى أى شىء أفكر: تذكرنى شجرتك المخاتلة التى تنساب فى الظلام مادتها النشيطة فى صورة مئات من الخيوط والشعيرات وتستقى من الأرض النائمة عصارتها إنها تذكرنى بـ . . .

لوكريس: **بأى شىء تذكرك؟ . .**

تيتيــــــر: تذكرنى بالحب. . .

لوكريس: **ولم لا؟ . . إن ما أحدثك به يتسرب إلى روحك الريفية ويجد له صدى فى منطقك الرعوى. . إن قولى إذن وصل الى هذه الغاية ـ إلى هذه العقدة العميقة من الانسان التى تستقر الوحدة فيها والتى يلمع فى نفوسنا منها كنز المحاكاة والمشابهات الغامض مضيئا جوانب كون تكوِّنه فكرة واحدة.**

تيتيــــــر: لم أفهم كلامك المبهم. .

لوكريس: **كفانى أن أفهم نفسى ولتتحدث أنت كما تشاء. حدثنى عن الحب إن شئت ولكن أفضل أن تغنى لى أنشودة هذا التحول: . . كيف ان نبتة نامية جعلتك تحلم بالحب وبهذه الحاجة الى الرغبة.**

تيتيــــــر: الرغبة ليست الحب . .

لوكريس: **اتريد ان يكون أحسن من غريزة كونية؟ . ليس الحب سوى (شوكة) براها القدر.**

تيتيــــــر: شوكة؟. وتدعى أنت بأننى من الرعاع. شوكة أنت ! لا تصنع من الحب سوى ضمة راع فظ غليظ. . الحب الذى تتصوره ليس أكثر من حب التيوس ووحوش الغاب التى تسكرها امشاجها وتطغى عليها فتبحث فى فظاعة عند موسمها المتوهج عن تحرير ذاتها المادية من ذلك السم اليقظ ـ وأنا كراع يختلط أحيانا بالأنعام أعلم ذلك حق العلم فأتخير كما أريد: اتخير الذكر والأنثى وأجمع بينهما فى النزو والضراب عندما أريد منهما نوعا ما من اللقاح.

لوكريس: **ها هو تيتير يقتحم القدر. إنك تضع يدك فى الظل الذى تتلمسه المشيئة. . إنك تغش غشا.**

تيتيــــــر: **أليس ذلك من هم البشر الذين تزعج الطبيعة عقلهم المدبر وتربك عيشهم ويريدون مغالبة الموت؟.**

لوكريس: **لا تلق بنفسك فى متاهات عرائش كرومى المجردة. . اترك لى أمثال الحكماء وأقوال البلغاء. . أنا فى انتظار الشجرة والحب اللذين تريد اللحاق بهما. . غَنِّ لى إذا شئت أناشيد من صنعك. . إننى وأنا أصغى إلى أناشيدك بكل سمعى أخشى ألا أجد مذاقا لفلسفتك.**

تيتيـــــر: أنصت إذن: هاك ما جادت به القريحة:

الحب ليس شيئا إذا لم يَنْمُ إلى نهاية النمو. . النمو قانونه وشرعته فهو يموت إذا هو بقى كما كان من غير تغيير. . يموت فى من لا يموت حبا. . إنه يعيش بظمأ لا يفنى أبد الدهر. . هو شجرة فى الروح ذات جذور مادية. . شجرة تحيا بأنها تحيا فى صميم الحياة. . إنه يعيش بكل شىء. . بالحلو وبالمر. . وبالرطب يعيش وباليـابس أكثر. . يا شجرة عظيمة هى الحب. . إنك لا تفتئين تبعثين فى ضعفى حيوية غريبة. . مئات اللحظات يحتفظ بها الفؤاد لنفسه. . كلها ورقات لديك ونبال نور. . ولكن بينما تتفتح بشائر فرحتك فى لجين النهار. . فإن ظمأك الذى يهبط إلى الأعماق. . يستسقى فى الظلام من منبع الدموع.

لوكريس: **ليس هذا النشيد أبيات شعر نظمتها وإنما هو من نوع المعميات.**

تيتيـــــر: إنما كنت ارتجله ارتجالا وليس هذا الكلام سوى قصيدة مستقبلة . . . ما سبق لك أن قلته عن هذه الشجرة جعلنى أحلم الحب حلما . . . ويمكن للشجرة والحب أن يلحق احدهما بالآخر فى أفكارنا ليصبحا فكرة واحدة ـ فكلاهما ولد من جرثومة ضئيلة غير ملموسة فكبر وقوى وانتشر واغتصن . . . ولكن هذا الشيء بقدر ما يرتقى إلى علياء السماء (أو إلى السعادة) بقدر ما يكون عليه أن ينزل إلى المادة الغامضة التى هى «نحن» من دون ان نعلم اننا نحن إياها.

لوكريس: **اتعنى بها الأرض؟. .**

تيتيـــــر: نعم. . وهناك فى أحضان الغياهب التى يمتزج فيها ويختلط بها ما هو من جنسنا وعودنا وما هو من مادتنا الحية وذكرياتنا وأقوالنا الخفية ـ القوية منها والضعيفة ـ وما هو من الشعور الذى لا صورة له فيشكل بها شعور بأننا لم نسبق ان كنا كائنين وأنَّ علينا ان ننتهى من كوننا كائنين. . يوجد ما أسميته بمنبع الدموع اللاموصوف ذلك أن دموعنا فى نظرى تعبير عن عجزنا عن التعبير ـ أى عن عجزنا عن التحرر بواسطة الكلم من الضغط الذى يمارسه علينا ما أننا به «نحن» بالضبط.

لوكريس: **إنك لتتجاوز حد الراعى. . أأنت تبكى باستمرار؟. .**

تيتيـــــر: قد يمكن لى ذلك: ومهما كنت راعيا فإننى لاحظت بأنه ليس هناك من فكرة تتبعنا خطاها إلى أقرب مكان من الروح إلا وتؤدى بنا الى ضفاف الكلم بعينه. . تلك الضفاف البكماء التى لا يمكث فى ربوعها سوى الشفقة والحنان ونوع من المرارة يلهمنا إياه ذلك المزيج من البقاء والفناء والعرض. . أعنى به مصيرنا.

لوكريس: **اهذا ما يشغل بالك عندما تقضى ليالى الصيف فى رعاية قطيعك الذى ينام. . بينما وكأن قطيعا من النجوم أزعجه البرق الصامت من هنا وهناك بساحة الأفق أو تخلله سرب مفاجىء من الشهب يرعى الزمن رعيا ويقضم المستقبل كقطيع يقضم حظ خطاه قدما بقدم؟. .**

تيتيـــــر : وما العمل؟ . فكأن الشجرة تتأمل فى هذا الهزيع من الليل . . لقد اصبحت شخصا من الظلمة تتركها الطيور النائمة مستيقظة لوحدها . . وترتعش فى نفسها وكأنها تتحدث مع نفسها . . الخوف يسكن كيانها كما يفعل بنا عندما نكون وحدنا فى ظلام الليل البهيم ومع حقيقتنا ساعة محاسبة الضمير.

لوكريس : **حقا ليس لنا ما نخافه سوى أنفسنا: فالأقدار لا تقتحمنا إلا عن طريق اوتارنا الحساسة.**

تيتيـــــر : ولكن: أليست النار حقا هى نهاية الشجرة؟. فعندما يصبح كيانها كله عذابا أليما فإنه يتلوى ثم يتحول كله رمادا محضا عوض أن ينتن من جراء ما قد يحدث الماء الأسن فيه من تآكل . . وما تباشره الأرضة من قرض . . والدود من قضم.

لوكريس : **اختر يا تيتير - إن أمكن الاختيار - داء من بين الأدواء. والأفضل الا تختار لأن التفكير فى ذلك عبث . . ولأن الأدواء تكون - حيثما تكون - واضحة بنفسها كل الوضوح ولا تحتاج إلى غيرها لتتضح ولكن لو كنت رفيقك فى لياليك وكنا محجوبين معا عن الأبصار وراء ستار الظلام وكنا سميرين على سفح الشجرة واخْتُصِرْنا فى صوتينا واقْتُصِدَنا فى شخص واحد ينوء كاهله بكل هذه الكواكب والنجوم لقلت لك ما تقوله لى وتفرضه على روحى وما تغنى به على مسمعى مشاهدتى الداخلية لمثال الشجرة.**

تيتيـــــر : إنى انصت إليك فى ظلام الليل معتكفا وسأفقد الشعور بجهلى . . لن أدرك مغزى ما ستذكره ولكننى سأحبه حبا مصحوبا برغبة فائقة فى أن هذا هو عين الحق وقد سحر فكرى لدرجة أنه أصبح عاجزا عن تصور سعادة أكثر صدقا ولحظات اكثر دواما.

لوكريس : **إن الانسان الذى ينبهر لجميل كالزهرة.**

تيتيـــــر : معذرة فإننى لم امسك نفسى عن حبسك عن الكلام وأنت تتحدث عن المثال الذى تكونه الشجرة

لوكريس : **أإنك متيقن من أنه لا شىء يمكن أن يكون بواسطة نفسه وبلا سبب وعبثا وبلا نهاية تأتى قبله.**

تيتيـــــر : بالتأكيد

لوكريس : **اتحلم فى بعض الأوقات؟**

تيتيـــــر : نعم - قبل كل مطلع فجر.

لوكريس : **فكما يؤثر الصباح الوليد فى صخر التمثال الشهير ويجعله يرن رنينا فكذلك حال ميمنون - تتم يرتجل احسن القصص عند طلوع الفجر فى نفسه ولنفسه. ولكن هل لأحلامك بعض الثمن تيتير؟. هل أحلامك تساوى فى يقظتك انك رأيتها فى منامك . .**

تيـــــر : هناك أحلام ما أجملها ورؤى ما أصدقها . . رؤى نزلت من السماء ورؤى الهمها الشيطان. إنها من الغرابة بدرجة اعتقد معها انها تكونت من اجل نائم آخر غيرى كما لو انها اخطأت فى الليل غائبها العاطل . . وهناك من الأحلام ما هى قاسية بسبب انها كانت احلاما لذيذة ـ فهذه سعادة تتمزق ساعة تغمرنى وتتركنى على ضفة الحقيقة فى قبضة النهار. كل كيانى لا يزال يرتعش من الحب ولكن الفكر يرفض نفسه ويلحظ ببرودة رعدة جسمه الفانية كما لو انك قطعت احد الزواحف شطرين صارا يلتويان.



لوكريس : **لم تكن إذن سوى متفرج اضطر الى معاناة مشاهد الفرجة ـ ولكن قل لى بربك . . قل لى من قد يكون صانع هذه المأساة؟ . .**

نيتيـــــر : صانعها؟ لا أعلم ولا أجد أحدا أعلم به . .

كريس : **أنت صانعها؟ . .**

ـــــر : لست أنا بالتأكيد ذلك لأن مشاهد النوم هذه لا تتكون إلا وأنا مطرود من حظيرتها ولو لم يكن ذلك هكذا لما كان هناك هلع ولا فزع ولا مفاجأة ولا افتتان.

ريس : **إذن ليس هناك صانع . . إنك ترى بنفسك عدم استحالة صنع شىء ما من غير صانع . أىّ مِنْ الشعراء نظم لك هذه الهواجس الهوساء؟ . لا أحد وأنت نفسك ما كنت بقادر على ان تستنبط هذه النعم من نفسك وتستخرج هذه الأغوار من احلامك . . لا صانع هناك ـ بل هناك أشياء تتكون بنفسها دونما سبب وتصنع مصيرها بنفسها ولذلك فإننى أنسب إلى الضرورات الصبيانية الموجودة عند اهل هذه الدنيا سذاجة المنطق الذى يريد ان يرى وراء كل شىء فنانا ومقصدا منفصلين عن الصنع نفسه.**

إن الانسان لساذج امام كل ما فى السماوات من أجرام وما فى الأرض من مواسم ومن انعام.. ومن مظاهر السنن والقوانين وملامح التحسب والاستواء.. أقول إن الانسان أمام كل ذلك يسأل: من صنع هذا؟. ومن أراد هذا؟. وهو يعتقد أن عليه أن يقارن كل شيء بهذه الأشياء التى تصنعها أيدينا: مزهرياتنا.. وأدواتنا. وآلاتنا.. وبيوتنا.. وأسلحتنا..

تيتيـــــر: وهل تعتقد أنك بهذا المنطق ستبلغ جوهر الأشياء بأحسن مما قبل؟..

لوكريس: إننى اعتقد يا تيتير أنه وجد فى جوهر مادتنا ـ ودون أن نغوص بعيدا على ذلك ـ نفس القدرة التى تولد الحياة كلها فى صورتها المتشابهة.. أؤكد لك يا تيتير بأن لكل ما يحيا ويعيش رابطة سرية وشبها يتولد عنه الحب والبغض على السواء.

تيتيـــــر: ولكن أفى إمكانك أن تصنع مادة الشجرة أو تعيد صنعها؟

لوكريس: قلت لك إننى أشعر بميلاد ونمو خصوصية النبات فى نفسى.. وأعرف كيف أمزجنى بظمأ الوجود الموجود عند الجرثومة التى تجهد نفسها محاولة لحاق ما لا يحصى من الجراثيم الأخرى من خلال حياة نباتية مكتملة الحلقات

تيتيـــــر: اسمح لى بمقاطعتك.. سؤال خطر ببالى..

لوكريس: إن ما كنت سأقوله لك (وربما كنت سأنشدك إياه) كان من شأنه أن تجف له مناهل الكلم الصادر فجأة من اعماق فكرك ولكن تكلم.. فلو اننى طلبتك الانتظار لصرت تصغى إلى دخائلك بنفس راضية متساهلة عوض ان تصغى إلى حديثى.

تيتيـــــر: نعم: ألا تعتقد يا من هذبته الحكمة بأن إدراكنا لأى شيء من الأشياء إدراك ناقص إذا ما تقلص حجمه إلى مفهوم هذا الشيء وحده ولم يتجاوز ذلك المعنى.. واكتفى بحقيقة الشيء.. واستطاع تحويل النظرة الساذجة إلى مثال مجرد يتسم بالدقة والوضوح فى تحليلاته المختبرية.. وملاحظة دقة الصور والأشكال التى تأتى على كل غلط أو توهم مقتصرا على هذا الكمال؟.

لوكريس: ماذا تريد أكثر مما هو كائن؟.. أليست الحقيقة هى الحد الطبيعى الذى يقف دونه العقل المفكر؟..

تيتيـــــر: أعتقد فيما يخصنى بأن الحقيقة أغنى من الصواب بكثير.. وأنها ـ بخصوص كل موضوع وكل مادة ـ تحتوى على جملة من الأخطاء والأساطير والخرافات والعقائد الصبيانية التافهة التى يصدقها فكر البشر.

لوكريس : ومع هذا فأنت لا تريد أن يحرق الحكماء هذا العشب الردىء ليجعلوا منه بخورا يتصاعد فى الاجواء

تيتيـــــر : ولكنك إذا أنت غرست هذا النبت من جديد وتعهدته فى مكان معين فلن يبقى رديئا ويمكن أن يوجد له بعض الاستعمال. ولكن: أنصت إلى حديثى.. أنصت إلى كلام أمىٍّ بسيط.. إننا إذا نحن امسكنا مقاليد الصواب بحزم ولم نعد نخشى الضلال فى متاهات الأهواء والنزوات فلابد للحكمة أن تعود وأن تستعيد وتجمع فى ساحتها كل ما خُلِقَ ونُحِتَ وصُوِّر ورُئِىَ واعْتُقِد ـ أى جميع روائع بنات الفكر الذى هو فكرنا وجميع هذه القصص السحرية والفظيعة التى تتولد منا بصفة عفوية.

لوكريس : من المؤكد (ومن الغريب فعلا) أنه لا يمكن لنا أن نتعرف على الصواب باستعمال شتى المموهات وهذا بعيد عن الطبيعة كل البعد.

تيتيـــــر : لقد لاحظت أنه ليس فى العالم شىء لم تكسه بردة الأحلام.. ولم يعتبر رمزا من الرموز.. ولم يفسر عن طريق معجزة من المعجزات.. خصوصا وأن العناية بمعرفة الأصول والظروف الأولى تمتاز بالقوة والسذاجة ـ ولذلك ولا شك نسمع احد الفلاسفة الذى سهوت عن اسمه يقول: «**فى البدء كانت الخرافة**».

لوكريس : الست أنا بصاحبها؟ . ولكن ما أكثر ما نطقت به من حكم حتى إن هذه الحكمة قد تكون من صنعى كما قد لا تكون.

تيتيـــــر : ما أغناك من رجل.. ولكننى سأعود إلى حديثى ومنه إلى شجرتنا.. اتعرف «القصة الرائعة لشجرة الخلد»؟..

لوكريس : لا

تيتيـــــر : وقصة شجرة الأرز المتيمة؟ فى جزيرة اكسيفوس؟ ألا تعرفها؟.

لوكريس : أجهل كل شىء عن الأرز ولا أعرف أى شىء عن الجزيرة.

تيتيـــــر : وهل تعرف أعجب هذه القصص؟.

لوكريس : أجهل أيضا أعجبها.

تيتيـــــر : إن أعجب قصص الشجر هى حقا قصة أشجار التفاح العملاقة التى تهب فاكهة إحداها حياة خالدة لمن تناول لبابها بينما تحدث فاكهة الشجرة الأخرى إثر تناولها ضياء غريبا فى عقل آكلها يجعله يشعر بخجل يغمر نفسه ـ بخجل يتعلق بأمور الحب وقضاياه ـ وتشرع تحيط بكل جسمه حمرة مفاجئة ويشعر بسوءته أصبحت إثما ولهيبا.

لوكريس :   ما اكثر ما فى ذاكرتك من تراكيبات غريبة تسرح بارتياح فى ربوعها . .

تيتيـــــر :   أحب ما يثير الدهشة فى نفسى ولا احتفظ إلا بها لا يمكن ان يثير إلا النسيان فى فكر شخص ينتسب للحكمة .

لوكريس :   وما قصة شجرة الخلد هذه؟

تيتيـــــر :   لقد كانت موجودة فى غابر الأزمان وسالف العصور عندما كانت الأرض لا تزال محتفظة ببكرتها . . وكان الانسان مازال لم يكن وكذلك جميع الحيوانات . . وكانت الأعشاب تعم الدنيا ـ وكان فى الامكان أن تبقى هذه النباتات هى نوع الحياة الوحيد السائد مقدمة للعيون بهجة ألوانها التى تطبع المواسم والفصول . . وكان هذا النبات جامدا لا يتحرك بسبب طبيعة كل نبتة منه . . ولم يكن ينتقل الا بصفته أجناسا وفصائل ويتقدم من مكان لمكان ليحتل ساحة السعة بأكملها . . وكان يباشر عمله هذا عن طريق عدد من الجراثيم التى كانت تحملها الرياح بسخاء أخرق ويتسع فى الأرض كما يتسع الحريق الذى يلتهم كل شىء أمامه .
وهذا ما كانت الأعشاب والشجيرات لا تزال تصنعه لولا وجود الانسان واعمال الانسان . ولكن ما نشاهده الأن ليس شيئا بالنسبة لما كانت عليه تلك القدرة العارمة التى تحتل الأرض احتلالا بقفزات من بذورها المجنحة فى ذلك العصر المقدام الذى تميز بحيوية النبت . ثم وقع ان إحدى هذه الجرثومات (استمع لهذا الشىء يالوكريس) كبر بذرها ونما أكثر من أى شىء آخر إما بسبب جودة التربة التى نزلت بها أو بسبب جود الشمس عليها بالدفء ثم تحولت من حشيشة إلى شجرة ومن شجرة إلى آية فى الروعة . . نعم يظهر أن نوعا من التفكير والارادة تكونا فى تلك الشجرة فأصبحت أكبر وأجمل حي فى الورى وقد تكون شعرت بأن حياتها ـ كشجرة ـ لا تقوم إلا على نموها وأنها لا تحيا وتعيش إلا بصيرورتها إلى التضخم والكبر فأصابها نوع من حمق الشجر ففقدت معه الاتزان بين الافراط والتفريط .

لوكريس :   لقد كانت تلك الشجرة بسبب ذلك نوعا من العقل المفكر فإن قمة الفكر لا تعيش إلا بالنمو.

تيتيـــــر :   وكما ان رياضيا مفتول العضلات يفرق رجليه فيؤثر فى الأعمدة التى يقف بينها ويدفعها بقدر الطاقة التى تنفخ زنديه ـ كذلك أصبحت هذه الشجرة مركزا لأقوى دفع ممكن فى الكون وصورة لأكبر قوة متوترة سبق للحياة أن انجبتها .

لوكريس :   ما أعظم السيطرة التى مارستها هذه الشجرة .

تيتيـــــر :   نعم : كانت هذه السيطرة تصنع الليل تحتها ولم يكن فى إمكان أى شعاع من الشمس أن يخترق غصونها المورقة التى كانت جميع الرياح تتيه فى كثافتها بينما كان جبينها يهز العواصف المناوئة هزا كما يفعل ثقيل الثيران بضئيل الذباب ـ وقد انعدمت الأنهر لكثرة ما استسقى السماء والأرض نسغها .

لوكريس :   إنها مغامرة رائعة يا تيتير.



تيتيـــــر : معذرة إذا كنت وضعت هذه القصة من غير قصد فى غضون ما كنت ستحدثنى به حول موضوعنا الذى هو أكثر حكمة وعمقا.

لوكريس : لا أعلم أنى إمكانى أن أتحدث بأحسن من حكاية هذه القصة.

لوكريس : أجهل إذا كنت استطيع أن اتحدث بأحسن من خرافة.. كنت أريد ان احدثك عن الشعور الذى اشعر به أحيانا ـ شعور بأننى انا.. بأننى نبتة تفكر ولكنها لا تفرق بين قدراتها المختلفة ولا تميز شكلها من قواتها ولا هيأتها من موقعها.. وليست القوات والهيآت.. وليس الطول والحجم والمدة سوى نهر للوجود واحد ومد ينتهى سيله إلى جماد جامد ـ بينما الارادة الفاعلة للنمو ترتفع وتتفجر وتريد أن تصبح إرادة جديدة تحت فعل جنس البذر الخفيف الذى لا عدَّ له.. وهكذا أشعر بنفسى أعيش هذه المغامرة المهولة ـ مغامرة النوع النباتى.. ومقتحما للفضاء الواسع.. مرتجلا حلما من الأغصان.. منغمسا بتدرج فى قلب الوحل.. منتشيا من املاح الأرض.. بينما يفتح النبات آلافا من الشفاه الخضراء للهواء الطلق المعطاء فبقدر ما يغرق فى الأرض يرتفع فى السماء ويمسك فى القيد مالا شكل له.. ويهجم على الفراغ ويصارع من اجل تغيير كل شىء فى نفسه ـ ذلك هو مثاله المجرد.. يا تيتير: يلوح لى اننى اساهم بكل كيانى فى هذا التأمل الجبار الفعال المتبع بدقة صارمة فى مصيره والذى يمليه على هذا النبات.

تيتيــــر : تقول إن النبات يتأمل؟

لوكريس : **أقول إنه إذا كان هناك فى العالم شىء يتأمل فهو النبات.**

تيتيــــر : يتأمل؟ لربما يكون معنى هذه اللفظة غامضا فى ذهنى؟

لوكريس : **لا تنزعج لذلك ـ فإن غياب لفظة واحدة يجعل الكلم يحيا حياة أفضل فهى تتفتح بسعة أكثر ويقترح على الفكر أن يكون أكثر فكرا لسد الثغرة.**

تيتيــــر : لست ذكيا لهذه الدرجة.. ولا أتصور كيف أن النبات يتأمل.

لوكريس : **أيها الراعى إن ما تشاهده من شجرة كبيرة كانت أو صغيرة فهو ليس سوى مظهرها الخارجى ولحظتها الزمنية المقدمين للبصر اللامبالى الذى لا يزيد على أن يسرح بإهمال على سطح العالم. ولكن النبات يعرض على البصيرة إمكان متن كونى ـ لا شيئا بسيطا لحياة تافهة سلبية.**

تيتيــــر : لست سوى راع من الرعاة يا لوكريس فلا تجهز عليه.

لوكريس : **اليس التأمل معناه التعمق داخل النظام.. انظر كيف تنمو حولى هذه الشجرة العشواء ذات الأغصان المتخالفة حسب مقاييس التناسق... فالحياة فيها تحسب الحساب وتستجيب لبنية معينة وتنير ظلمتها بواسطة الاغصان وغرائسها ـ ولكل غريسة ورقتها بالمواقع المسجلة فى المستقبل المستهل.**

تيتيــــر : هيهات كيف أقدر على تتبعك.

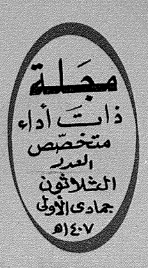
لوكريس : **لا تخف وانصت عندما يداعب روحك لحن من الألحان.. وعندما تخنق انفاسك رغبة فى الخلق ـ الا تشعر إذ ذاك بصوتك ينتفخ بالنغم المجرد؟. ألا تشعر بحياة النغم تخرج برغبتك نحو الرنة المحبوبة التى يرقى بك موجها؟. آه يا تيتير: إن النبات نشيد ينشر إيقاعه هيأة مؤكدة ويعرض فى الفضاء سرا من الزمان.. وفى كل يوم يمضى يرفع النبات فى الهواء شيئا فشيئا حمولة هيكله المتلوى ويسلم أوراقه إلى الشمس بالمئات والآلاف ـ هذه الأوراق المتنشية فى محطتها من الهواء حسبما يصلها من نسيم وبقدر ما تؤمن بأن وعيها وعى مقدس واحد.**

تيتيــــر : إنك أصبحت بنفسك شجرة من الكلم.

لوكريس : **نعم إن التأمل اللامع يسكرنى وأشعر بجميع الكلمات ترتعش فى روحى.**

تيتيــــر : أتركك فى هذه الحال الرائعة فقد آن الآوان لأجمع قطيعى. إحذر يا لوكريس من برد المساء المفاجىء.





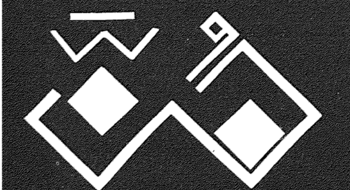


النساء .. شقائق الرجال

الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

حياة عبد الحميد عنبر — جدة





جاءتنى ضيفة زائرة فى جريدة «**النور الاسلامية**» حسنة السمت والمظهر . .

وعرفت انها فتاة طموحة بثقافتها فخورة لتفوقها (خريجة كلية الألسن بامتياز) وعرضت مشكلتها: «**خطبنى دكتور جامعى كان أكثر ماشدّه إلىّ نبوغى الظاهر دراسيا واجتماعيا وقد أبدى ارتياحه لتوجهى الى الدراسات العليا ثم جاءت الصدمة المفاجئة إنه يفضل زوجته غير عاملة ولا يرحب بان تكون راعية بيته شريكته وحبيبته وأم اولاده غير متفرغة لهذه المهام الدقيقة الخطيرة. وقد بُهِتُّ لرأيه الذى خالف ظنى وأجبته بعد ان تمالكت نفسى بأسلوب قاطع**: ذلك ليس مجالى وضد آمالى التى خلقت لها وعشت من أجلها ـ إذن لقد ضاع مستقبلى هل تجبرنى على أداء عمل لا أجيده؟ إنى أكاد أفقد ثقتى بنفسى وما تصورت يوما أن يقتصر همى على إدارة منزل وتربية أطفال بل باحثة ودكتورة. **هل ولّى مستقبلى والى غير رجعة؟ لقد** كرهت لقب (زوجة) بل لفظ (أمومة).

● قلت: **هل الأستاذة المعتدة بنبوغها وثقافتها تغفل عن أصالة رسالتها؟ أظن ان نشأتك كانت بين أهل وجهوا ذهنك الى احترام الدور الخارجى ثم الى ازدراء دورك داخل مملكة أنت سيدتها. وقد ساعد على ذلك مناهجنا الدراسية التى تميل بنفس الفتاة الى مواد علمية وفلسفية ولغوية تتحسس من خلالها قدرة ذكائية وابداعية فتعتقد أنها خلقت لهذا المجال لأنها موهوبة، أما فنون الحياة المنزلية فهى سخيفة ساذجة لا تليق إلا بالجاهلات الخاملات. إن شريكك يعرض عليك دورا أنت فيه العنصر المنتج لا تستطيع العمل فيه بكفاءة أية مديرة منزل أو مربية وبأعلى أجر. انه دور تربوى بمثابة دخل خفى للأسرة ومساهمة غير منظورة فى ارتفاع مستواها المادى والادبى.**

قالت معترضة: **وكيف ذلك وهو على أتم استعداد لاستئجار خادمة أو مديرة للمنزل؟.**

قلت: **إن ارضاعك طفلك وقاية لما يعتريه من أ**





مرض جسمي أو نفسي . . وانظري الى طفل تلقى تربية سليمة على أصولها من أم مثقفة واعية وآخر رُبِّي كيفما اتفق وإذا اعتقدت أن عملك في مملكتك ـ اذا ما قورن بعمل زوجك ـ مُمِلّ وغير ممتع لانك تنظفين وتطهين كل يوم بطريقة رتيبة (والذى تعيدينه تزيدين فيه) وكأنك لا تفعلين شيئا ذا قيمة لأن عمل الرجل أكثر إثارة ويتلقى عليه أجرا . . لتعلمي أن معظم الرجال سعيا وراء الرزق يعملون غالبا عملا روتينيا لا يميلون إليه. وإن عمل الزوجة والأم ستنال عليه من الله خير الجزاء. وإلا ما كان خصها الرسول عليه الصلاة والسلام بثلاثة أرباع الحق على ولدها ويجعل للوالد ربعا واحدا. وهل هناك أحلى من هذه الثمرة زوج راض وطفل مسلم؟. أما اذا ظننت أن المطلوب منك تفريخ كائنات بشرية فحسب . . فتلك مهمة ليست فوق مستوى ما تقوم به إناث الحيوان.

● استأنفت تحديها مستعرضة معلوماتها عن الغرب:

إن الغرب يحث المرأة على العمل فترتين في اليوم وإن دعوة سيمون دى بوفوار لمحاربة «الفيمينزم» أي الأنوثة والبقاء في البيت في فرنسا لقيت نجاحا كبيرا.

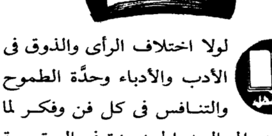
● أجبتها: ان السويد رغَّبت الأمهات أخيرا في البقاء في البيت والحصول على مرتب كامل حتى يبلغ الطفل السادسة عشرة ثم يمكنها الرجوع الى عملها. وكما قال عالم اجتماع أمريكي وهو يرثي لحال المرأة العاملة **«تركت رعاية زوجها وانطلقت تعمل مديرة أو سكرتيرة في مكتب رجل أجنبي ـ يلوم ويعنف وأحيانا يطمع . . أهملت اطفالها لتربي اولاد الغرباء تركت الطهي والتنظيف في بيتها كي تمارسها في المطعم والفندق.**

وأخيرا أنت تجهلين أن فهم الطفل والعناية بجسده وبنفسه ودينه والحفاظ على فطرته دون تشويه مما لا يحصله الانسان بسهولة، بل يختص به المختصون وتعطى فيه الشهادات والالقاب . . وفي الحديث الشريف **«المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها»**. وامهات المؤمنين وأزواج الصحابة والتابعين كن اذا دعا داعي الحرب كنّ المقاتلات المضمدات للجراح، وفي السلم هي الزوجة والراعية التي أخرجت من تحت يديها شبابا نزيها صالحا جسورا في سبيل الله والوطن.

وارجو ان تكون هذه الاستاذة (ف. ل) قد اقتنعت بأن مستقبلها لن يضيع أبدا.







لولا اختلاف الرأى والذوق فى الأدب والأدباء وحدَّة الطموح والتنافس فى كل فن وفكر لما انبعثت المواليد الجديدة فى العبقرية الانسانية . . فالماء الساكن والراسب يأس وإذا طال سكونه ورسوبه ينبت الطحالب على جنباته ثم يتحول الى مستنقع وبىء . . والماء المتدفق يتحرك وهو الذى ينبت الخصب والرونق على الضفاف وفى السهول فتطل البراعم والأزاهير على امتداده فى الربيع .

وما من موهبة عربية قامت من أجل الأدب فى القديم والحديث إلا كان من آثارها وأخبارها مؤلفات وتعليقات وقضايا فكرية واجتماعية وتيارات فيها متضاربة أو متجاوبة فى التحليل والتعليل أو فى التقويم والتقديم حتى كدت أن أقول لولا أهاجى الشعراء الامويين الثلاثة على عنفها وشرها فى التشهير والتعبير لفقدنا كثيرا من أدبنا فى عصرهم .

على أنى لست بسبيل الكلام على مراحل الخصومة والمنافسة فى نقد الأدب المعاصر فهذا موضوع يجىء فى أكثر من كتاب غير أنى أتناول الخصومة الأدبية التى تفجرت نقداً صاخباً غاضباً فى مطلع هذا العصر على شيوع الجمود والتقليد فى الفكر والتعبير والحياة حتى دعا رواد التجديد والتطور والانبعاث لطرح التكلف والزخرف فى الشعر والنثر . فقد آن للموهوبين المثقفين أن يتجاوبوا مع روح العصر ووعى الجماهير فى الفكر والشعور والاساليب ومن أولى من الشعراء والكتاب والخطباء بالتعبير عن هذه التطلعات القومية والوطنية فى أدب حى جديد . . وكان النقاد من الرواد فى مصر والعالم العربى وفى المهجر يدعون لهذا الأدب فى تطور الفكر والثقافة والأداء . . أما أبعدهم صوتاً وصيتاً فكان عباس محمود العقاد . . ولم يكن وحده فى الميدان فقد شاركه فى بادىء الأمر عبد الرحمن شكرى ثم ابراهيم عبد القادر المازنى وهؤلاء الثلاثة جمعوا بين الثقافتين العربية والغربية ووقفوا على فنون التعبير فيها ومذاهب النقد المعاصر .

في النقد الأدبي المعاصر

وكانت ثورة جبران خليل جبران من وراء البحار على القديم العقيم فى أدبنا وحياتنا تتردد فى شتى الآفاق والأمصار وقد بدأ العقاد والمازنى نقدهما للمشهورين الكبار فى آثارهم وكان فى طليعتهم أحمد شوقى الذى وصفه بأنه شاعر العصر الحديث. . ومن المنقودين كان الأديب البليغ مصطفى لطفى المنفلوطى وحافظ ابراهيم الشاعر فى حين أخذ عبد الرحمن شكرى بالتنقيب فى شعر المازنى واتهامه بالاقتباس من الشعر الغربى فاختلف النقاد الثلاثة ثم تخلى شكرى عن المازنى ومضى العقاد معه فى جميع مقالاتها النقدية فى كتاب «الديوان» وقد نشر هذا الكتاب عام ١٩٢١ واتخذ كل من الناقدين سبيله الى أدب الغرب بما يلائم تفكيره ومزاجه ولكن برز لكل منهما نقاد أشداء أكفاء كانوا بين محافظين ومجددين.



وفى مستهل الربع الثانى من هذا العصر كانت الضجة الكبرى لكتاب «فى الشعر الجاهلى» لطه حسين وهو الذى ألقاه محاضرات فى الجامعة المصرية القديمة بعد حصوله على الدكتوراه واتخاذه المذهب الديكارتى فى هذه الدراسة المنهجية فتصدى له ولكتابه أعلام النقد الاأدبى المعاصر والفكر السلفى فى تسفيه الرأى الجديد عليهم وقد عدوه زيفاً وانحرافاً ولم يتحرجوا من اتهام طه حسين بالالحاد والجحود والتنكر للتراث ومحاكاة المستشرقين المستغلين فى اقاويلهم حتى اضطر طه حسين المجدد المبدع الى تعديل فى كتابه وتبديل عنوانه فصار «فى الادب الجاهلى» وقد ظهر بطبعته الثانية عام ١٩٢٦ لكى يخفف من نقمة الثائرين عليه والناقدين الغاضبين ومنهم الكاتب البليغ مصطفى صادق الرافعى الذى ألف كتابه «تحت راية القرآن» ليهدم بنقده آراء طه حسين وبوادره فى التحرر الفكرى وتقليد المستشرقين فى دراسته المبتكرة. . وغير الرافعى كثير من المؤلفين والنقاد فى مصر وفى بعض البلاد العربية شاركوا فى معارك النقد الأدبى من بعيد تلقاء التيارات التى

تضاربت فيها الآراء والأهواء وعصفت بكثير من معوقات التطور فى الوعى الفكرى والحضارى . . ولم تهدأ رياح النقد فى حياة الأدب والأدباء الذين كافحوا كل دعوة مريبة وبنوا بمواهبهم وتجاربهم نتاجاً ضخما وعقولاً تفتحت على ثقافة الشرق والغرب، فإذا تناول تاريخنا الأدبى الحديث حوادث الخصومة لتحرير الوعى والكفاح رواد التجديد بالقدوة والدعوة لتطور التعليم من رواسب القديم فانه لا يستطيع أن يتغاضى عن آثار هؤلاء الأدباء السابقين فيما قدموا للعربية وبيانها وتراثها من جهد وتوجيه فى الصحافة والتدريس وفى المحاضرة أو المناظرة وقد أعدوا بعض المرجوين من تلاميذهم ومرتادى ندواتهم والمستمعين لمحاضراتهم لحمل المصابيح التى تضيىء من قريب ومن بعيد ولا تعبأ بتشهير أو تعيير لكن تزاحم المذاهب الأدبية والاجتماعية جعلتهم أحيانا يؤثرون العكوف على التأليف فى صمت الراصد لكل منهاج جديد على أن كتاب «**تحت راية القرآن**» لمصطفى صادق الرافعى كان أدباً بليغاً لكنه لم يتورع فيه عن السخرية ممن لم يعجبوه أو يحبوه من الادباء وفى كتابه هذا عيَّر الدكتور طه حسين بالعمى ونهر جبران خليل جبران من بعيد لاستهانته بقواعد العربية.

وفى كتابه «**على السفود**» أى سليخ اللحم تناول العقاد بما أساء فيه الى نفسه أكثر مما أساء إلى غيره وقد نال العقاد من الرافعى حين تصدى لنقد كتابه «**تاريخ آداب اللغة العربية**» وكان هذا الكتاب من البوادر السابقة فى موضوعه على أن العقاد وطه حسين كانا فى خلال النصف الأول من هذا القرن من أقدر النقاد والأدباء على ممارسة النقد الأدبى فى مقالات ومؤلفات تركت آثارها فى حياة الفكر والثقافة . . وممن شاركوا فى المعارك الأدبية والحركات الفكرية «**احمد أمين**» الذى تجنى عليه الدكتور زكى مبارك وهذا الأديب الثائر كان ممن صالوا وجالوا فى معارك أدبية مذمومة ومحمومة.

ومن النقاد الذين شاركوا فى النقد الأدبى كان اسماعيل مظهر ومحمود محمد شاكر. . ثم جاء بعد هؤلاء محمد مندور الذى كان معجباً بأدب المهجريين وسماه الادب المهموس. . وغير مندور كثيرون أخذوا ينقدون المقالات والمؤلفات الأدبية . . وبقى الصراع طويلا بين المختصمين حول السكسونية واللاتينية والقديم والحديث والتطرف والتجديد والفصحى والعامية ومن السابقين إلى هذه المعارك الأدبية كان الدكتور محمد حسين هيكل مؤلف «**فى منزل الوحى**».

ومن طبيعة الخصومة الأدبية النقدية أن تهدأ حيناً وتحتدم أحياناً وأن تترك وراءها خيراً وشراً وبعضها كان كالسيل فى تدفقه وانفلاته لكنه ينفع الأرض ويروى الجاف منها ولم تكن هذه الظاهرة مقصورة على أدبنا فى القديم والحديث فإن أدب الغرب حافل بصور الخصومات الأدبية النقدية التى دخلت التاريخ من بابه الكبير على أننا نفتقد اليوم أقلاماً عنيفة خرجت من معاركها الأدبية وهى أقوى عدة ومراساً وأقدر بمواهبها وتجاربها على معاودة النقد الأدبى فى مختلف سوانحه ومجالاته وإن زهدت فيما أقدمت عليه. وكان من البديهى أن يفتقد أدبنا المعاصر أمثال تلك المعارك

القديمة لتهب فيه حوافز الانتاج والتأليف بالنواحى التى تفتقدها المكتبة العربية والقارىء العربى وقد تقاذفته التيارات المتضاربة ذات اليمين وذات الشمال فإن هذه المحنة التى يعيش فيها لابد لها من معالجة كل ادب يخلو من الأخذ والعطاء مكتوب عليه الجمود . . وما كانت العلة والوبيلة فى تخلف النقد عن الأدب إلا لأن الذين يتصدون للنقد الأدبى وضعفه وتخلفه هم أكثر من الذين تمرسوا به فالناقد فى أدبنا يبدأ العراك والجدل قبل أن يجرب التعبير الفنى وما يلائم مزاجه وطبعه وطاقته فإذا طالت أظافره جربها فيمن علموه أو تقدموه ولو صب نقده على ذاته وموضوعه وتجاربه لساعف النقد الذى نتفقده فى أدبنا الحديث .



طه حسين





العقاد



المازنى



هيكل

محمود شاكر

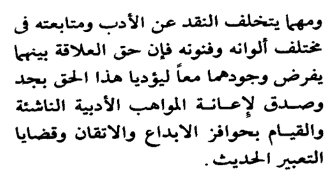




الرافعى

لقد اندفع المتعجلون فى النقد الأدبى إلى الترديد دون أن يستدلوا لما تتطلب أذواقنا وما تطلب من مقومات لما جاء فيها ولا تزال المطبعة العربية فى بناء ثقافتنا الفكرية والحضارية تخرج الكتاب تلو الكتاب دون أن تتناوله أقلام النقاد إلا قليلا . . ومن حين إلى حين . . وتمضى الأيام بكثير من المؤلفات حتى تكلف بعض الاذاعات العربية أو الأجنبية أحد الأدباء والمفكرين بمراجعة هذه الموضوعات التى يستسيغها مستمعون لها وتبقى أدراس الكتب ترتقب من يتناولها بالعناية والاهتمام والمراجعة الدقيقة فيها . وكانت الصحافة تعنى بالحياة الأدبية كما تعنى بالحياة السياسية وتختصها بصفحات تنقل فيها لقرائها وقارئاتها ـ إن وجدن ـ صور ما يقع فى الأدب وبين الأدباء والنقاد من خصومات حتى غاب النقد الأدبى فى زحمة المؤلفات التى تضاربت فيها الآراء والأهواء وقد خوت النظريات الوافدة الحديثة . . وكل خصومة قامت من جرائها ذهبت هباء وجفاء ولم تسفر عن حقيقة منشودة يرتجيها بناء النقد فى تطبيقه على الأعمال الأدبية .

يتاح لهذا الأمر اهتمام جدى بتدارس الأسباب لتخلف النقد عن الأدب ومسايرة الفكر فقد آن للصامتين عن هذه الشؤون أن يتكلموا ويتفهموا المعوقات بجرأة وصراحة وحجة دامغة فما ينبغى للنقاد أن يترددوا ويزهدوا فيما تتطلب هذه المسألة التى كانت من المشكلات الأدبية .



ومهما يتخلف النقد عن الأدب ومتابعته فى مختلف ألوانه وفنونه فإن حق العلاقة بينهما يفرض وجودهما معاً ليؤديا هذا الحق بجد وصدق لإعانة المواهب الأدبية الناشئة والقيام بحوافز الابداع والاتقان وقضايا التعبير الحديث .



أحبك ... أهمسها للنسيمْ
أبــوحُ بها لعيونِ النجــومْ
وحــين يغـرِّدُ طيرُ الـروابى
فإن الـنشيــد يبــوحُ بمابى
يقــول مع نبض قلبــى
أحبك
أحبُــك إسمــك أنشـودتى
وغــيره لا لم أعــد اعرفُــهْ
أردده فأجــد مهــجــتــى
معطــرة بشــذا أحــرفِــهْ
فلا بدر إن لم أجد طلعتك
تهلّ فتـملأ أفـقـى ضيـاءه
وسـرُّ ابتسامى سنا بسمتكْ
يبدّدُ عنى غصـون العنـاء
أحبك لكننى لا أبــوح . .
وأبدى التياعى بقول صريحْ
ويبقى هيامى بطىّ الخفـاء
أخاف معاو ل يومى تطيحْ
بأحلام عمرى
فتغدُو سراباً أمالُ الوصالْ
أفضـل قَصْراً ولو من رمال
على أن أعيشَ بواقع قفرى
ولكنّ نظـرة عينى تصيـحْ
ويبـزغُ فى مقلتى النـداء
برغم الخفاء
يقول أحبك

سامية محمود البكرى
مصر



لدرسَتِي الشَّمَّاء ترنُو المدارسُ
وتُعْقَدُ للآباء فيها المجالسُ

نُطُّ بحبرِ الصَّبرِ كلَّ فضيلةٍ
وللعلم والآداب فيها فهارسُ

لاثونَ فوجاً زِدْنَ أربعةً زَهَتْ
كما فى سباقِ المجد تزهُو الفوارسُ

يولُ من الأعوام تستبقُ المَدى
لنَيْلِ المُنَى والسابقاتُ أوانسُ

ديرَتُنَا فيها مرَبِّيةُ العُلا
نلوذُ بها إن هاجَتْنَا الهواجِسُ

هيئةُ تدريسٍ هىَ العلمُ والتُّقى
كنوزُ علوم ما عليهنَّ حارسُ

فمدرَسَتِي روضٌ أزاهرُه الرَّجَا
فليسَ بها مِنْ رحمةِ اللهِ آيسُ

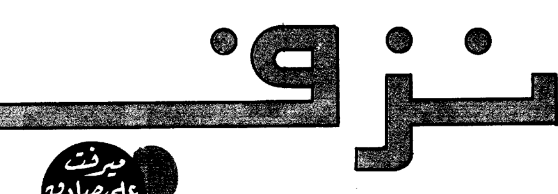
وجنباً إلى جنب مع العلمِ فوْقَها
هواياتنا بين الدروس نُمارِسُ

نسابقُ فيها الريحَ والضوءَ والصَّدَى
وليس على ساحاتِنَا متقاعسُ

نشاطٌ وجدٌّ فى الحياة كأنه
نجومٌ إذا لاحتْ تفرُّ الحنادسُ

وعزمٌ وحزمٌ فَجَّرَ الصخرَ نبعةً
وتُورِقُ منه قاحلاتٌ أمالسُ

هنيئاً لنا نَهْرُ العُلومِ فإنما
تطيبُ بأمواهِ العلومِ المغارسُ





والغربةُ . . والوحشة تُعانِقُنَا
متناثرة مبعثرة . .
على كل موانى الدنيا
نرسو . . نحط الرحال . .
نبحثُ عن وطن ضاع وامال . .
فتسخر الغربة . . وتقهقه الوحشة
وتعود سفننا الى الابحار
وعلى خريطة العالم . . مدار
يناولنا لمدار . .
كمؤامرة . . كمكيدة . .
كخيوط عنكبوت عتيدة
نقع فى اوهام . . مغزولة . . منسوجة .
لا نملك عندما نفيق منها الا الانحناء
نلعق من اكفنا مرارة ممزوجة
من اكفنا مرارة ممزوجة
وكقط يداعبه صاحبه
تدغدغنا جراحاتنا . . ويربت على ظهورنا
اغترابنا
فنلين وترتخى اعصابنا . . وننسى ثورتنا
وثوارنا . . ننسى مصائرنا واعمارنا . .
ونغفو على خيب الرضوخ
ويوقظنا ارتطام السفينة . . بموانى الغربة
والوحشة من جديد .



سهام اسماعيل حجى



بينَ الصخورِ وشاسع الفَلَوات
بحرُ الرمال.. يموجُ بالخيراتِ

الماء جانبها فصارتْ بلَقَعا
يشتاقُ للقطَرات والزَّخاتِ

نسرى الرياحُ بها بكلِّ مفازة
بتشوُّف.. للأنسِ فى الجنَبَاتِ

وخيام بدوٍ قد بَدَتْ وتناثرتْ
بغُضُونها.. وعلى مدَى خُطُوَاتِ

ورعاة أغنامٍ بغيرِ تلوُّثٍ
فى الجوِّ.. فى دعةٍ مَعَ النَّسماتِ

يحيونَ فى سَمَر بألفِ حكايَة
وحكايةٍ.. والليلُ فى إنْصَاتِ

يحيونَ فيها.. فى هدوء سابغ
يستقبلونَ الضيفَ بالنَّفحاتِ

* * *

الواحةُ الغنَّاء فى أغوارِها
كجزيرة فى مرتعِ اللُّجَّاتِ

هذى الصحارى بانتظار تحفُّز
لعمارها.. فى همَّة وثَبَاتِ

تدعو الشبابَ الناهضينَ.. كتائباً
تغزو مرابِعَها.. بعزمِ أباة

وجلائل الأعمالِ كانت كلها
ثمراتِ إقدامٍ وإنجازاتِ

لا تقنعُوا بسكينةٍ وتطامُن
بل فانزعوا لمكاسب الوثباتِ

لنرى بها طفراتِكم وحماسُكُمْ
يبدو بمرأى.. أنضجَ الثمراتِ

وإذا الشعوبُ تفقَّدتْ فُرسانَها
مَنْ غيرُكم ترجُوه.. للغمراتِ

فغزارة الإنتاجِ مطمحُ يَعْرُبٍ
بسواعد مفتولة العضلاتِ

والماء فى آباره.. متلهِّفَ
(للدَّلو).. يحملُهُ إلى الزهراتِ

(حربُ السلام) هنا.. تنادى جَمْعَكُمْ
و(الفأسُ) قد حَنَّتْ إلى الضربات

هذى الصحارى.. صفحةٌ مطموسةٌ
فَلْتجْعلُوها.. أنضرَ الصفحاتِ

ـعو (جنة الأطفال) اصدقاءها الذين يرسلون لها أفكاراً وطرائف ان يقرنوا ما يرسلونه بالصور الملونة

جنة الأطفال

اشراف
بابا فريد

كلمة أولى

ارسل الاستاذ محمد البلغمى من المغرب الشقيق هذه القصيدة الجميلة تعبيراً راقياً عن انطباعه حول جنة الأطفال ومشاركة واعية منه فى تأسيس واحة خضراء لأولادنا بعيداً عن عالم الكبار.

جَنَّةُ الطِّفْلِ

مَنْهَلِي أَنْتَ فَخَارُ العَرَبِ — وَعَبِيرٌ مِنْ تُرَابٍ طَيِّبِ
جَنَّةٌ لِلطِّفْلِ يَلْقَى بَيْنَهَا — مَا تَغَنَّى مِنْ قُطُوفِ الأَدَبِ
وَبِهَا تَمْرَحُ أُخْتِي وَأَخِي — وَبِهَا تَسْعَدُ أُمِّي وَأَبِي
مِنْهُ نَجْنِي كُلَّ مَا يَنْفَعُنَا — وَتُغَذِّي الفِكْرَ بَعْدَ اللَّعِبِ
قَدْ حَوَى مِنْ كُلِّ عِلْمٍ طَرَفاً — فِيهِ لِلنَّاسِ تَمَامُ الأَرَبِ
هُوَ فِي العَدِّ كِتَابٌ وَاحِدٌ — ضَمَّ فِي العِلْمِ مِئَاتِ الكُتُبِ
مَنْهَلِي عِشْتَ دَوَاماً نَاجِحاً — بَالِغاً فِي العِزِّ أَعْلَى الرُّتَبِ
وَبَقِيتَ الدَّهْرَ نُوراً سَاطِعاً — مِنْ رُبَى الشَّرْقِ لِأَرْضِ المَغْرِبِ

محمد البلغمي
فاس / المغرب

بابا فريد

مثنى متلازم

القبلتان: المسجد الحرام والمسجد الأقصى.
الحرمان: مكة والمدينة.
المهجرتان: هجرة الحبشة وهجرة المدينة
الذبيحان: اسماعيل بن ابراهيم وعبد الله بن عبد المطلب.
الثقلان: الانس والجن (فى القرآن).
الحسنان: الحسن والحسين.
السبطان: الحسن والحسين
الريحانتان: الحسن والحسين (فى الحديث)
الشريفان: المرتضى والرضي.
الرضيان: المرتضى والرضي
الصحيحان: صحيح البخارى وصحيح مسلم.
الرحلتان: رحلتا الشتاء والصيف (فى القرآن)
الجديدان: الليل والنهار.
القمران: الشمس والقمر.
الداران: الدنيا والآخرة.
الاصغران: القلب واللسان
الحجران: الذهب والفضة
الرافدان: دجلة والفرات.
الاحمران: اللحم والخمر.
العراقان: الكوفة والبصرة.
الهرمان: الاكبر والاصغر فى مصر.



كريم عبد الرحمن — حسام سامي الجمل — هبة حلمي — رانيا عبد الله سيد — محمد شعبان طلبة — عمرو شعبان طلبه

اضحــك



صحب طفيلي رجلا في سفر، فقال له الرجل:
امض فاشتر لنا لحما..
قال: لا والله.. ما أقدر..
فمضى هو واشترى ثم قال له: قم فاطبخ..
قال: لا أحسن..
فطبخ الرجل ثم قال له: قم فاثرد..
قال: أخشى أن ينقلب على ثيابي..
فثرف الرجل ثم قال له: قم الآن فكل..
قال الطفيلي: قد والله استحييت من كثرة خلافي لك وتقدم فأكل..

عجائب الارقام

ارسلت لنا الصديقة رجوى حليم هذه المختارات:

● للأرقام لغة عجيبة ودقيقة، فهي اذا رتبت بأشكال معينة كثيرا ما ينتج عنها نتائج مذهلة. هل تعلم مثلا اننا اذا ضربنا حاصل ضرب الرقم ٣٧ بالرقم ٣ × أي رقم من واحد الى تسعة تحصل في كل مرة على ثلاثة أرقام مشابهة للرقم الذي نضرب به؟ اذا كنت لا تصدق انظر ما يلي:

٢٢٢ = (٢) × ٣ × ٣٧
٣٣٣ = (٣) × ٣ × ٣٧
٤٤٤ = (٤) × ٣ × ٣٧
٥٥٥ = (٥) × ٣ × ٣٧
٦٦٦ = (٦) × ٣ × ٣٧
٧٧٧ = (٧) × ٣ × ٣٧
٨٨٨ = (٨) × ٣ × ٣٧
٩٩٩ = (٩) × ٣ × ٣٧

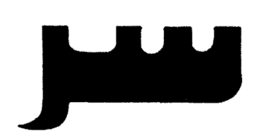
● والآن دعنا ندرس كيفية تركيب هذا الهرم الرقمي، لا شك بأنه سينال اعجاب القراء الذين يحبون العمليات الحسابية بدقته وتنسيقه وتسلسله:

٨ =٨+٩×٠
٨٨ =٧+٩×٩
٨٨٨ =٦+٩×٩٨
٨٨٨٨ =٥+٩×٩٨٧
٨٨٨٨٨ =٥+٩×٩٨٧٦
٨٨٨٨٨٨ =٤+٩×٩٨٧٦٥
٨٨٨٨٨٨٨ =٢+٩×٩٨٧٦٥٤
٨٨٨٨٨٨٨٨ =١+٩×٩٨٧٦٥٤٣
٨٨٨٨٨٨٨٨٨ =٠+٩×٩٨٧٦٥٤٣٢
٨٨٨٨٨٨٨٨٨٨ =١-+٩×٩٨٧٦٥٤٣٢١

مسرحية شعرية للأطفال

من منظرين

سر الفن



« المنظر الأول »

«يرفع الستار عن منظر حفل بهيج يموج ببعض المدعوِّين والأطفال وهم يتهيأون لتناول ما لذ وطاب بدعوة من أحد الوجهاء . . . ويبدو أحد الفنانين - وهو موسيقار رقيق الحال - كما يبدو من هيئته . . يعزف لهم على آلة الكمان .

ويقف رب الدار بعد اكتمال حضور المدعوِّين قائلا :

شرَّفْتم داري يا ساده
وأتيتم توّاً . . كالعاده
البِشْرُ يحلّ بمقدمكم
حققتم أملي . . وزياده

وتضع ربة البيت (التورتة) وهي تقول :

أهلا أهلا . . ياهنائي
عُقْبَى لكُمُ . . في الأبناء

فيقول مدعو :

عفوا . . لا شُكْرَ على واجبْ
مع هذي الحلوى . . نتجاوبْ

يضحك الجميع . . وتُطْفأ الأنوار وهم يرددون النشيد المألوف :

Happy birth-day to you عام سَعِدٍ ياربهام . .

بينما تبرز على خشبة المسرح مجموعة من الأطفال يرددون النشيد الجماعي التالي :

نحن أزهارُ الخميله
نحن أفياء ظليله
حفَّنا عيد الجميله
بالمسرات الجليله
نحن أزهار الخميله
صاغنا عهد الصِّغَرْ
مثل حَبَّاتِ الدُّرَرْ
وسنغدو للكِبَرْ
خيرَ ذخرٍ يُدَّخَرْ
نحن أزهار الخميله
نحن ربات الخدور
في غد . . مثل البدور
في حِمَى الله القدير
للعُلا . . نرقى . . نطير
نحن أزهار الخميله
وأخي . . فجر الرجوله
بمعانيها النبيله
منكمو نَلقَى الوسيله
للمعالي والبطولة
نحن أزهار الخميله

(تصفيق) . . . ثم يقف مدعو فيقول :



بقلم
أحمد مصطفى حافظ
مصر

من منبع الحب من أعماق أعماقى
لا من تفنن أقلامى وأوراقى
ينساب شعرى كأنفاس الربى سَحَراً
معطراً بالشذى . . أرجاء آفاقى
حتى لأحسب أن الفجر صوّره
فى لوحة فذة . . تزهو بإشراق
عيد الحبيبة وافى بعد لهفتنا
شوقا إليه . . يوافينا بإغداق
والطفل أغرودة للناس كلهمو
يبقى كنبعٍ سَرِى . . بالصَّفْوِ رقراق

يصفق الجميع مرة ثانية . . وبعد لحظة صمت قصيرة تصيح ربة البيت فجأة قائلة وهى تتفقد العقد الذى كان يزين جيدها منذ بداية الحفل:

عِقْدِى؟ . . عقدى . . أين العقدُ؟
أحد المدعوين (مندهشا) عجبا . . هل هزل أم جدُّ؟
آخر: قد كان بجيدِكِ لى يبدو
آخر: من منا اللص . . من الوغدُ؟
الزوج (رب الدار): العقد الغالى يا هند؟.
الزوجة (بحسرة) هو زين عقودى . . يا سعدُ . .
تهامس المدعوون فيما بينهم بعد أن تكهرب الجو . . بينما تقوم الزوجة بالبحث هنا وهناك فى جوانب المسرح . . وبعد فترة وجيزة يقول أحدهم:

نحن الأربعة هنا . . فينا
من عكّر صفوَ ليالينا
آخر:
مادام البحثُ بلا جدوى
فلنكشفْ أسرار البلوى
آخر:
كلٌّ سيُفتَّشُ يا ساده
كى نُظهر مَنْ فَقَدَ رشاده
والحرُّ يوافقُ . . لا يخشى
تفتيشاً . . يشمل أنداده

(يبدأ المدعوون فى تفتيش جيوب وصدور بعضهم البعض ـ إلى أن يجىء الدور على الفنان فى نهاية المطاف . . لقد كف عن العزف . . وحينما يحاول أحدهم تفتيشه ـ يمتنع . . ويدفعه بيديه . . ويرفض التفتيش بإصرار . . فيقول له:
هل أنت إذن مَنْ غافلنا
بدناءة فعلٍ . . أحرجنا؟.
(الفنان يطرق ببصره إلى الأرض بجمود دون أن

ينبث ببنت شَفَة).

فيقول مدعو آخر:

أخـزاكَ الـلهُ .. أفـنَّـانُ

وبـوجـهٍ آخـر.. ثعبـانُ؟.

آخر:

سنـفـوِّضُ أمـرَك للشـرطـه

كى تكـشـف عن هذى الخِطَّـه

«يتشاور الجميع فى الأمر ـ مرة أخرى ـ فيما بينهم همسا.. بينما يتهاوى الفنان جالسا على أحد المقاعد وتقول ربة البيت (محنقة):

بل يكـفـى ما قد أدْركْـنَـا

من غَدْر.. ولـترحـلْ عنـا

ما عاش دوامـا.. يَتْـبَـعُـهُ

عارٌ.. يُشْقِيـه.. ولـن يهنـا

ما عدت أُريـدُ العقـد فلا تهتمـوا

الزوج (مكمِّلاً بانفعال.. للفنان):

من حظـكَ أنـكَ فى بيـتـى

هيـا غادِرْنـا.. وأرِحْـنَـا

لو كُنـتَ بغـير جِوانـبـه

لتـغـيَّرَ ما تَلْقَـى مِنَّـا

الـعِـقْـدُ متـاعٌ لِزوال

والـلعـنـةُ تبـقَـى.. لا تَفْـنَـى

(وفجأة يندفع أحد الخدم إلى خشبة المسرح وهو يصيح بانفعال شديد ملوحا بالعقد المفقود..)

الـعـقـد بخـير يا ستـى

قد ظهـر بشـقٍّ فى الـبـيـتِ

السيدة (مبهوتة) قد سقط العقد.. ولم أشعر؟.

من جيدى سهوا؟.. من يعذرْ؟.

زوجها (متألما)

يا قوم ظلمـنـا الـفـنـانـا

آه آه.. ما أقْسانا.

«يتلفت الجميع ناحية الركن بأقصى المسرح حيث يوجد المقعد الذى كان يجلس عليه الفنان ـ فلا يرونه.. ويبدو أنه قد انتهز فرصة انشغالهم مع الخادم وانسل خارجا من بينهم دون أن يشعر به أحد..».

الزوج (بتعجب):

ما الـسـر إذن يا إخـوانـى

فى موقـف هذا الـفـنـانِ؟

مدعو:

لكأنـى أشـهـدُ فى مسـرحْ

مأسـاة تُبْـكِـى.. أو تُفْـرِحْ

آخـر:

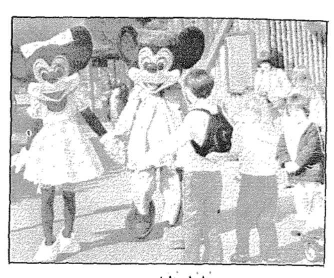
بل قُلْ تمثـيـلٌ للقَـدَر

قد فاقَ خيـالات الـبـشـرِ

آخـر (للزوج):

سأقوم أنا عنكم.. فاهْنأ بتحرى الأمر.. ولن أهدأ.





(المنظر الثانى)

«يرفع الستار عن الفنان وقد بدا عليه تغيير كبير فى هيأته وهندامه ـ بشكل يدل على انتعاشه وتحسن أحواله المادية . . وهو يجلس بركن بأحد المنتديات العامة الراقية، وقد انهمك فى عزف لحن شجى على (كمنجته) ورواد المنتدى يتوافدون تباعا ليجلسوا على مقربة منه ـ ليستمتعوا بالاستماع إليه . . وبعد لحظات : يمر (المدعو) الذى تعهد فى المنظر السابق بالبحث عنه وكشف السر فى امتناعه عن التفتيش بالحفل ـ رغم براءة ساحته . . ويلتفت إلى الفنان مندهشا كأنه لم يكن يتوقع رؤيته فى مثل هذا المكان . . ويلاحظ الفنان وجوده أيضا ـ فيلتفت إليه ويكف عن العزف . . فيبدأه المدعو بالكلام قائلا وهو يتجه إليه مُسلِّماً . . » .

سلامٌ عليك ورحمة ربى .

الفنان : عليك السلام . . تعالى بِقُرْبى .

(يجلس المدعو بجانبه ثم يخاطبه ـ هامسا ـ قبل أن يعود إلى العزف) :

مضت فترة دون أى لقاء . . ويبدو عليك نعيم الرخاء .

فنان : بحمد الإله . . تَغَيّر حالى . . وأصبح صيتى . . بكل مجال .

المدعو : (بعد فترة صمت وجيزة)

أتسمح لى بسؤال عسير؟

الفنان : تَفَضَّلْ . . تفضل . . بكل سرورْ .

المدعو : يحيرنى موقفٌ كنتَ فيه بريئا .

الفنان : (مكملا) وأبدو لكم كالسفيه .

المدعو : إذن قد عرفت المراد تماما

(بعد تردد) أتكشف عما صنعت اللثاما؟ ؛ .

الفنان (متنهدا) :

لقد كان حفلكمو رائعا
وكنت بلا عمل . . ضائعا
ولى صِبْيةٌ لم يذوقوا الطعام
ومرَّ النهارُ عليهم . . كعامْ
فغافلتكم . . وحشوتُ جيوبى
بزادٍ وحَلْوَى . . لهم من نصيبى

(بعد تردد)

وتفتيشكم . . كان بَلْوىَ . . أتفهْم؟
فما يختفى عنكمو . . كان أعظمْ

المدعو :

فهمتُ . . فهمتُ وهذى الرجوله
تمادتْ . . وضحَّتْ . . ونعم الرجوله
ويا عجبا . . ما استمعتُ إليه
يجيء بيوم احتفال الطفوله

«بعض رواد المنتدى الذين استمعوا للحوار بشغف . . وشاقهم ما عرفوه وفهموه . . يرددون فى هتاف وتهليل» :

بعيد الطفولة حقا بطلْ
وأنت لنا الآن خيرُ المثلْ

(يصفقون طويلا ـ بينما الفنان ينحنى أمامهم شاكرا . . أثناء إسدال : «ستار الختام» .

أوراق



١٤١

إننى لا أطالبك أن «تُسعدينى» فى حياتى فالسعادة انما تكون محصلة أمور عديدة لا أعتبرك وحدك المسؤولة عنها . . وكل ما أريده أن تؤدى من جانبك ما هو مطلوب منك بهذا الخصوص .



١٤٢

الغربة ليست أن يعيش المرء بعيداً عن مسقط رأسه . . واهله وجماعته . . ان الغربة يا سيدتى أن يشعر المرء انه غريب فى بيته وبين أهله .



١٤٣

أنتن معشر النساء إذا أحبت الواحدة منكن صديقتها أفضت اليها بكل اسرارها حتى خصوصياتها ترويها لها بلا ـ كسوف ـ واذا حصل المكروه وساءت العلاقة . . فالغسيل لا تتسع له الحبال على ظهر السطح او ـ البلكونة ـ بل على حبال الكهرباء . . وعلى طول الأعمدة .



١٤٤

ينبغى لزوجة النجار أن تلم بجانب من فنون النجارة حتى لو كان ـ نظريا ـ وكذلك زوجة الحداد والميكانيكى . . وكذلك زوجة لاعب كرة القدم ـ عليها أن تكون ملمة بفنون اللعبة وفرقها وانديتها . . وكذلك زوجة الطبيب والمهندس والصحفى ـ وإلا فقدت الزوجة موجة هامة يمكنها ان تلتقى مع «بث» زوجها منها . .



١٤٥

الزوجة الواعية هى التى تحل مشاكلها مع زوجها بمعـــزل عن أهلهـــا . . لكن للأسف ـ لا تهتـدى الـزوجـات الى هذه الحكمة إلا بعدما تقطع جميع الحبال بين أهلها وزوجها.



١٤٦

تشتكـين لى دائـماً من كثرة اشغالك المنزلية . . وانك واقفة طول اليوم . . ونسيت أنك كنت جالسة طيلة الأمس . . وأنه أصبح أمامك عمل يومين.

مشكلتنا يا سيدتى اننا لا نعرف متى نعمل ولا نعرف متى نستجم.



١٤٧

صدقينى انـــا لست متعصبـا لبنى جنسى . . ولكنى أقـول إنــه فى كل النســاء هناك امرأة واحدة تحظى باحترام زوجها . . تلك التى اذا قال سمعت ونفـذت لكن المشكلة ان الغـالبية منكن تسمع . . وتطنش ومما يزيد الطين بلة ان فئة منكن تعاند . . وتكابر!!



١٤٨

مفتاح الرجل ليس دائما قلبه . . فاذا غضب منك الزوج لا تخشى هذا الغضب لو اقترن بحب والديه لك وافتتانهم بك.



١٤٩

مشكلة الحسنـــاوات الجميـلات . . أنهن بعـد الزواج يقعن ضحية الغرور ـ وان ألفاً من يتمناها . . وتنسى المسكينة أن الرجل عندما يهم بالزواج يستثنى من القائمة كل المطلقات . . الا ما ندر . . أو عمي البصر.



١٥٠

إن أحـداً لم يجبرنى على الزواج منك . . وإن أحدا لا يجبرنى على البقاء معك.



بداءة: نود أن نشير إلى أن العامل المركزى وراء معالجتنا لهذا الموضوع هو هذا التشتت المنهجى الذى تعرفه الساحة الأدبية العربية حاليا. ذلك أن الكتابات النقدية الحالية تبدو أحد اتجاهين: اتجاه يمضى لاستلهام مخزوننا التراثى القديم.. واتجاه ثان يجتهد فى ترجمة إنجازات النقد الأوربى. وفى كلا الحالتين - وهذا مجرد اعتقاد - تبقى المسألة قاصرة على إعطائنا منظومة نقدية عربية أصيلة.

فالشىء «**الذى يجمع بين سائر الدراسات النقدية الأوروبية المعاصرة هو سعيها للحصول على منهج. لأن هذا الأخير يعد الأرضية اللائقة التى ينطلق منها كل تأمل حول قيمة المعرفة**»(١)

إن الحديث عن موجة النقد الجديد فى أوربا مثلا لن يكون إلا بتسليط الأضواء على تلك الخصومات النقدية التى كانت فرنسا مسرحا لها بين أنصار النقد الجامعى الكلاسيكى بزعامة رايمون بيكار من جهة وأنصار النقد الجديد بقيادة رولان بارت. والحق يقال أن شرارة الخصومة النقدية كان وراءها هجوم عنيف للناقد الجامعى رايمون بيكار القائلين بالنقد الجديد.. نشر على صفحات جريدة «**لوموند**» بتاريخ **١٤** مارس **١٩٦٤**م ثم احتدمت الصراعات عندما نشر نفس الناقد كتابا بعنوان: «**نقد جديد أم دجل جديد**».

إن صورة الناقد الكلاسيكى «رسمها بيكار بنفسه وبدقة متناهية عندما اعتبر أن هناك حقيقة راسينية يمكن للجميع أن يتفق بصددها، فبالاعتماد على يقينيات القول وعلى العلاقات الاستتباعية للتلاحم السيكولوجى وعلى مستلزمات بنية النوع - يمكن للباحث المتواضع والمتئد - أن يستخلص البديهيات التى تحدد على نحو ما مناطق الموضوعية. انطلاقا من ذلك يمكنه أن يحاول القيام بالتأويل»(٢) غير أن بارت الذى كان يسعى إلى تخليص الأدب من هيمنة الأحكام اليقينية والمسبقة «**استخلص أن النقد القديم يؤمن بوجود محتمل نقدى وأنه ذو نزعة حرفية يتعامى عن رؤية الطبيعة الرمزية للقول الأدبى وأن سيكولوجيته بالية تنتمى إلى «النمط الشائع» المحتشم وليس العلمى**»(٣).

إن الخصومات النقدية فى فرنسا أفرزت منهجا نقديا يمسك به الدارس باستقرار كتابات رولان بارت وخاصة «**النقد والحقيقة**» و«**درجة الصفر فى الكتابة**» وخلاصة المنهج البارتى أننا فى حاجة إلى منهج نقدى يعيد إلى الأدب

الكلمة جسر المعرفة .. والخاطرة .. تحمل بين ثناياها الفكرة .. ونتلمس بين طياتها الرأى .. وعلى وميض الكلمات نستقرئ مابين السطور ..
(ومضات) باب استحدثه محبو المنهل .. بالفكرة يلتقون .. وعلى الرأى يجتمعون وحول الطرفة يتسامرون .. هو منهم واليهم ..
فأهلاً بشداة الأدب .

د العربى المعاصر

أدبيته . وهذا لن يتأتى إلا بنبذ المنهج الكلاسيكى وخاصة مع سانت بوف إذ تتحول العملية النقدية إلى «جوسسة» حقيقية على حياة الأدباء .

إن ما نبتغيه ـ كما يرى بارت ـ هو مقاربة النص لأنه يتضمن فى ذاته بنياته الكاشفة والدالة . من ثم كان اقتراحه التعامل مع النص الأدبى فى داخليته أو أنيته . وذلك بتطبيق ثنائية منهجية : بنيوية لسانية سيميائية دلالية . ذلك أنه من المؤكد أن النص يمكن التعامل معه على أساس أنه بنية مغلقة دالة وباعتبار اللغة كذلك هى المجال الخلاق للعملية الأدبية/ الكتابة . لذلك وجبت الاستعانة بإنجازات اللسانيات والتسلح بأدواتها . غير أن بارت الذى دافع عن الطبيعة الرمزية للكتابة الأدبية/ اللغة طالب أيضا بتطبيق أساسيات المنهج السيميائى فى سبيل تفكيك البنية الرمزية للنص الأدبى .

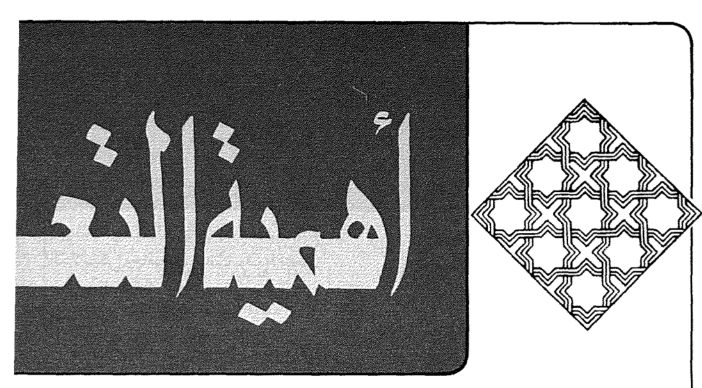
إن الحديث عن «منهج جديد» أصيل ومتماسك فى النقد الأوربى شىء مشروع مادامت القراءات النقدية الغربية تعلن عن تأسيس الجديد . وعملت على استيعاب تراثها النقدى وتفكيكه مع صياغته مجددا بالاستفادة من «**عطاءات العلوم اللسانية، والفلسفات الحديثة والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم والايديولوجيات التى تخول لهم ابتداع لغة نقدية جديدة**»(٤) .

ينبغى أن نشير إلى أن من أهم الأسباب التى أدت إلى تدهور هذا الفن انسلاخ النقاد عن مفاهيم النقد العربى ومقولاته ثم محاولتهم ترسيخ مفاهيم جديدة انطلاقا من لا شيىء(٥) وهذا عمق الأزمة فى اعتبارنا .

فعلى سبيل المثال هناك فى العالم العربى من يحاول تبنى طروحات جاكبسون الشعرية والبويطقية لكن لا يمكن لأى كان أن يزعم أنها رؤية نقدية عربية أصيلة . ذلك أن ترجمة عمل ما والدفاع عنه لا يعنى أصالته . وكان بإمكاننا أن نعود إلى عبد القاهر الجرجانى صاحب «**أسرار البلاغة**» و«**دلائل الاعجاز**» وخاصة فى نظرية النظم تلك النظرية التى أتى بها عبد القاهر ليحل بها إشكالية الصراع بين الاتجاهين اللفظى والمعنوى . . وإذا كان المرتكز دينيا فى هذه النظرية : إثبات الاعجاز القرآنى فإنه من جهة أخرى حاول تبيان خصائص وأساسيات جودة الكلام العربى أى تلك الأسس الأسلوبية والصوتية التى تضمن جودة الصناعة اللغوية فكان الأولى بقرائنا بدلا من الاكتفاء بتقديم شروح لنظرية النظم الجرجانية أن يتجاوزوا هذه الخطوة إلى المشى فى

مسارها بغية الوصول الى منظومة نقدية اصطلح عليها فى أوربا بالبويطيقا أو الشعرية.

إن من مظاهر أزمة النقد العربى المعاصر إضافة إلى ما ذكرناه سابقا تشتته بين قراءة تراثنا النقدى دون بلورته وترجمة النقد الأوربى بحرفيته.



الأمم المتقدمة دائما تكون أحرص الأمم على التخطيط العلمى.. وفى حرصها الشديد على استمرارية تقدمها تضع خططا دقيقة ومدروسة للمستقبل آخذة فى الاعتبار كل المتغيرات التى تطرأ على ميكانيكية الحياة وبالتالى تسير خطط المستقبل فى طرق ممهدة دون تعارض مع التطور السيكلوجى للانسان.

ومع بداية إعداد جيل جديد نجد أن الخطط تحرص على توفير مكان للطفل فى الحضانة والمدرسة والجامعة.. وتتابع هذه الخطط خطوات تطور الجيل العلمية والنفسية والاجتماعية متابعة أكثر دقة كما لو كان هذا الجيل منقذاً للبشرية.

فإلى جانب المناهج التعليمية والتربوية التى تدرس للنشء نجد أساليب اكتشاف القدرات والمواهب منذ البداية ثم رعايتها وتوجيهها التوجيه الصحيح ففى الدول المتقدمة هذه قبل أن يعد الفصل التعليمى تعد ورش تنمية القدرات والمواهب ويتم بعد ذلك توزيعها على مجالاتها فيشب الجيل كل يبرع فى تخصصه الذى أحبه وهواه وعليه يقدم إلى بلاده إبداعات جديدة وفريدة ومتميزة وهذه هى خطط التعليم لبناء المستقبل.

هذه المفاهيم ليست جديدة على العقل العربى بل إن البيئة العربية البسيطة أفرزت معطيات عظيمة أحدثت تحولات تاريخية وعلمية بهرت العالم المتقدم وجعلته يقف أمامها باحترام شديد وتجاوز ذلك إلى الأخذ منها والسير على خطاها وأصبحت صور التحضر العالمية تبهرنا نحن أصحاب المعطيات.

ومن بيئتنا المعطاءة أطلق الدكتور طه حسين رحمه الله صيحته الشهيرة «التعليم كالماء والهواء» ولإيمانه بأهمية التعليم فى حياة الأمم لم يطلق الصيحة من فراغ إلى

(١) د. حسن المنيعى ـ آفاق مغربية ـ المطبعة الوطنية ـ مكناس ١٩٨١ ص٤٩.

(٢) روكان بارت ـ النقد والحقيقة ـ ترجمة وتقديم إبراهيم الخطيب مطبعة دار النجاح الجديدة مراجعة: محمد برادة ص٦.

(٣) كرولان بارت ـ النقد والحقيقة ت. إبراهيم الخطيب ص٧.

(٤) د. حسن المنيعى ـ آفاق مغربية ص٤٩.

(٥) د. حسن المنيعى ـ آفاق مغربية ص٥٠.



فراغ ولكن بحكم النشأة والتكوين الفكرى والمعاناة فى رحلة الحياة أطلق هذه الصيحة ليؤكد أن التعليم حق أساسى للمواطن على وطنه مهما كانت الأمور. وهذا انطلاقا من أمر رسولنا الكريم بطلب العلم والحث عليه (**اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد**).

ولقد استمرت الصيحة تحكم أساليب التعليم فى عالمنا العربى سنين طويلة خرجت على أساسها أجيال ملأت الدنيا علما وفكرا وقدوة ولكن سرعان ما تحولت إلى شعار معلق فى الهواء فى زحام المبررات التى دائما تلجأ إليها لمواجهة مشاكلنا العربية عندما تستفحل وتضيق الصدور.

وسؤالنا المطروح.. إلى أين تتجه سياستنا التعليمية؟ هل تسير وفق خطط مدروسة المعالم والأبعاد لتأسيس وإعداد أجيال على أساس منهجى متوافق ومتواصل مع قيمنا ومثلنا وحضارتنا الاسلامية؟.

إن الذى نراه فى أغلب الأقطار العربية والاسلامية السير فى الاتجاه المضاد.. وإلا فأين علوم القرآن منا بعد هذه النتوءات الجديدة والظواهر الدخيلة والافرازات المخيفة التى أحدثت هزة فى الأخلاقيات الاجتماعية.

لقد اقتصرنا فى التعامل مع الاسلام على إقامة الشعائر فى المساجد وأنستنا مشاغل العصر أن الدين المعاملة ومن حسن المعاملة تقوى المجتمعات ويترابط بنياتها فأين ذلك من الوضع العربى الراهن؟.

لقد قال رسولنا الكريم (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) وتعلم القرآن وتعليمه تنسحب من خلاله كل التفريعات العلمية.. سواء فى العلوم البحتة.. او علوم

الطبيعة . . أو علوم دراسة الأشياء وصحتها فى قيامها على منهج عقائدى قائم على التوحيد مؤمن بقضية التسليم .

كان فى القديم (الكُتَّاب) هو مدرسة التعليم الأساسى وعلى يد سيدنا تخرجت أجيال مؤسسة تأسيسا قويا على تعاليم الدين والعادات والتقاليد المتأصلة وأصبحت لها ثقلها فى كل مواقع العمل . أى أن الكتاب قدم للمدارس والجامعات إنسانا مؤسسا على ما نرمى إليه .

وجاء عصرنا الحديث . . تقدم فيه الانسان علميا إلى أن وصل إلى القمر ولكن؟ . . ولكنه لم يرتق كإنسان بل تحول إلى وحش كاسر يفترس كل ما حوله ويطيح بكل ما يواجهه وأصبح شعار **(السيطرة للأقوى)** هو القانون الذى يحكم هذه الغابة البشرية . . إذن فما قيمة هذا العلم وهذا التقدم؟ . .

● انتشرت فى بلادنا دور الحضانة وتفاءلنا خيرا على أن الحضانة هى (الكتاب) المتطور الذى سيقدم للمجتمع إنسانا دارسا للدين والعادات والتقاليد بإسلوب يتناسب مع مقتضيات العصر . . لكن اتجهت إلى أبعاد خطيرة استخدمت أساليب غريبة على البيئة والمفاهيم التى ينبغى ان ينشأ عليها الطفل .

● وانتشرت الحضانات والمدارس متعددة الجنسيات منها الفرنسية والانجليزية والأمريكية وبطبيعة المتغيرات لا يدخلها إلا أبناء الطبقة الجديدة على المجتمعات وتباهينا بأن الأطفال يتحدثون باللغات الأجنبية ويرددون الأغانى الأجنبية أيضا وإن سألنا إن كان الطفل يحفظ فاتحة الكتاب لم يعرف أىّ كتاب!! وإن توفر له ذلك فقد غابت عنه تعاليم دينه الأولى وكأننا نعد أجيالا لدول غير بلادنا وكأن بلادنا مقاطعات للدول الأجنبية ولم نعرف ماذا نحن نريد من كل هذا؟ . . وانتقلت العدوى بعد ذلك الى المدارس والجامعات حيث ان المشاكل الاقتصادية فى بعض الأقطار العربية والاسلامية انعكست آثارها السلبية على التعليم فغيرت مفاهيم كثيرة أو على الأقل أزاحتها عن استقرارها وتغيرت نظرة الدارس أصلا للتعليم واعتبرت المسألة مجرد «رخصة» تمنحها البلاد لشخص لم تعرف هل هو تأهل تأهيلا كافيا لتحمل المسئولية وهل تأهل على المستوى الانسانى؟ لم يعد يهم ذلك كثيرا .

وهناك من يتجه للدول الغربية للحصول على شهادات لها بريقها وفور إنتهاء سنوات التعليم تراه إن عاد لبلاده يعود إنسانا غريبا فكرا وإحساسا . . فلا الدين الاسلامى تعرف عليه وقرأ تعاليمه التى يجب أن يعرفها كل مسلم . . وكذلك لغته العربية لغة القرآن الكريم لم يعد يهمه أن تكون لغته الأولى لأنه يتباهى أنه اوربى اللغة والعادات .

● ولقد صار الأمر يدور دورته كل عام مئات الألوف تتخرج دون أن نسأل أنفسنا أين نتجه؟ . . وما ذنب المواطن الذى يتعلم ويمتلىء طاقة وحيوية وبعد ذلك لا يجد المسار الصحيح لكى يعطى هذه الطاقة وهذه الحيوية لبلاده .

لماذا لا تكون مادتا اللغة العربية والتربية الدينية مادتين مقررتين على جميع مراحل التعليم وبالأخص العلوم البحتة حتى تتوفر للانسان المتعلم ثقافة روحية وقيمية وعقائدية تقود هذه العلوم إلى نفع الانسانية لا ضررها .

إننا فى حاجة لأن نعد المواطن العربى المسلم لأن يكون إنسانا ذا هوية مجتمعية إسلامية بكل ما تحمل كلمة إنسان من معنى قبل أن نعده لأن يكون مهندسا أو طبيبا أو عالما وذلك لإعداد أجيال قادرة على قيادة حركة الوعى والتنوير ومواجهة التدفق المستمر لأشكال الاستشراق ومدَّعيه ومروجيه خاصة الذين يتخفون فى عباءة الاسلام لضربه من الخلف .

ربما لم ندخل فى أعماق المشاكل التعليمية ولكن تطرقنا

للظـواهـر يمهـد للدخـول فيها ودراستها ووجود الحلول والخطط المنهجية . . والحمد لله لدينا المخطط والمنفذ على ألا تظل الأمور محل الحديث والجدل فقط .

صحيح أنه عقدت ندوات ومؤتمرات موسعة فى أكثر من بلد عربى جمعت كافة الآراء والاتجاهات المتباينة والمتقاربة وطرحت دراسات عن واقع التعليم تضمنت آراء لشرائح مختلفـة ومتعـددة لكن أغلب ما طرح دار حول مجانيـة التعليم وبالتحديد فى الجامعة ومن أحق بها وبهذا عدنا إلى أساليب التبرير حين تفاقمت المشكلة ولقد أغفلت أيضا الظروف الاجتماعية والمفارقات البيئة والمعيشية والتغيرات التى شكلت انعكاسات ذات أثر فى صميم حياة الدارس إلى جانب مشكـلات الاقليمية والعالمية الخاصة بعملية النهوض لانتشار الثقافة الاسلامية .

وعلى اعتبار أننا بلاد التاريخ والحضارة وتنتشر على أرض وطننـا الكبـير الجـامعـات العلمية فى مختلف المجالات لابد أن ننظر لقضايا التعليم بنظرة أعمق بكثير مما هو عليه الآن لنبنى الفرد إنسانا «**أولا**» ثم متعلما «**ثانيا**» . . وأن نعد لتحويل الانسان المتعلم من إنسان تقليدى مقلد إلى إنسان مبتكر ومبدع ـ وقد حثّنـا ديننـا الحنيف على إعـمال العقـل والنهـوض بالمستوى الفكرى للمسلمين وإلا فسنظل نحرث فى البحر . . ونعبىء الظل فى زجاجات . . ونتوهم أننا نتقدم طالما أن الغرب يبهرنا بزيفه وبريقه .



عثمان الصالح (الرياض)

الاستاذ نبيه الأنصارى

المجلات التى نعرفها والتى لها المجال والانتشار قليلة العدد . . وإن كانت موجودة بكثرة . . المنهل قديما كانت مجالا للكتاب واصبحت ميدانا للأدب ايضا . . اما الآن فمجلتكم اصبحت فى تعداد الكتب لما فيها من الكلمات لمختـارة . . والاشعـار المشتـاره . . والبحـوث الجيدة . . والمقالات المتعددة . . والابواب المملوءة علما وأدبا . . ولا أدرى متى جمعتم هذه الباقات مع هذا الاخراج الجميل والتبـويب السـديـد . إنّ العـدد رقم ٤٤٨ لصفـر سنـة ١٤٠٧هـ تحفة وهدية . . لا سيما وقد بحث فى نفس الوقت موضوع الهدية للاستاذ الدكتور محمد عثمان الملا ـ وكان حقا مقالا جميلا واختيارا سديداً . . إن بحث هذا الموضوع الشـائق والمعنى الـلائق مهم . . ولقـد كان حقا موضع التقدير والاكبار و(الهدية ما اتحفت به غيرك من الالطاف والطرائف . . وسميَّت الهدية بهذا الاسم لأنها تقدم أمام الحاجة ـ فكأنها تهدى صاحبها الى ما يريد) .

ولا اعتقد ذلك لأنها اذا كانت تقدم لغرض معين فهى من موضـوع الـرشـوة أو من طوبتها واسبابها . . كما ان

بودى لو أن استاذنا الدكتور ـ الملا عرفها اكثر وحذر منها واعطاها ما تستحقه من الايضاح ـ لان الرشوة اليوم ومع الاسف اصبحت عرفاً بين الناس عند التعامل. ودولتنا رفع الله عمادها واعلى مقامها كل يوم تنشر اسماء المرتشين والراشين فى الجرائد موقعاً عليهم العقوبة والغرامة والحبس لدرء هذا الفساد المحدود. . ولولا هذا لتمادى الناس فى ذلك مع الاسف. ولماتت الضمائر وفقد الأخلاص ووئد. . حقا إن مقال الملا جميل وهادف وبه حسن اختيار للقصائد والشواهد على ذلك وما اجمل بيت المعرى:

قبول الهدايا سنة مستحبة
اذا هى لم تسلك طريق تحابى

وفى هذا البيت يرد على الجملة السابقة.

واحاديث الجندى واقعية ومفيدة ولا سيما فيما يدور حول اباء الضيم وعزة النفس والرجولة وهما من صفات المسلم. . وحسنا فعلتم فى طلب الكتابة حول ـ الاكتناز للمال ـ وما فيه من الضرر. . ولقد احسن (محمد على الحريرى) فى حديثه وما ساقه من ادله ـ اما عبد الرحمن النفيسة فهو من كتاب المنهل الاوائل وأعرف مواصلته الكتابة وهو طالب وشاب صغير. . واليوم وفى خطراته الأدبية وافكاره الجميلة ـ هذا هو كما عهدناه ـ يهدى ويرشد. . وأما عاتق البلادى فهو الكاتب والمحقق وكتبه من الاركان فى كل مكتبة. . ومثل كتابة (د حسين نصار) يحسن ان تكون على الأقل بين عدد وآخر إن لم تكن فى كل عدد فهو فى الثقافة عمده وفى الأفكار البناءة ركن.

ولقد أعجبنى مقال عبد الله درويش فى (مهندسون أدباء) انه مقال طريف مفيد. بحث ترجمة اكثر من ٢٦ كاتبا واديبا . . إنه يغنى عن ٢٦ كتاباً.

هذا واجدنا افتقدنا كتابات السائح العربى محمد مرداد الذى كان الوالد ينقل عنه كثيرا فما باله سكت ولماذا لا تستكتبونه كثيرا. . ولكن ربما يكون مقاله هذا فى العدد فاتحة طيبة واول سلسلة من كتابات قادمة. . . وخليج (مسليدن) عجيب ويشكل بحثا مهما. . ولا شك أن «احمد جمال» فى ذكريات أديب عن الحرب واستفتاء المنهل. . وغيره من أحاديثه الجميلة وافكاره الجليلة يقدم للقارىء فى كل عدد ما يشده الى المتابعة. . والقلق مع الاسف يتصف به شبابنا اليوم ولا تكفى فيه هذه الكلمة القصيرة التى كتبها مصطفى النجار. . ومظاهر التجديد فى شعر ولى الدين يكن ـ بحث شائق ـ وكنا نقرأ له فى الصحف والمجلات الراقية سابقا وكم نود لو أنبرى له كاتب وحلل اثاره باحث وتحدث عنها متحدث. . والقصة فى الوقت الحاضر مهيضة الجناح استعاضوا عنها بما يترجم. . والدكتور عبد الملك مرتاض أحسن كل الاحسان فى ما كتبه عن القصة الجزائرية وأجاد فى ذلك. . والدكتور محمد الفاسى وحديثه عن البربر مهم جدا وهو بحث قيم. . وقصيدة فدوى طوقان فى غاية. . البيان ومحمد محمد شراب عن القضية الفلسطينية. . والمقالات الهادفة والبحوث الواسعة يتعذر ان يعلّق القارىء عليها فكلها درر وفحواها غرر ولم نعلق إلا على ما هو حسن وما تركناه وضاق الوقت من التعليق عليه هو احسن وأجمل.

ويكفى استاذنا الجليل وعبقرينا الاصيل وشاعرنا (محمد حسن فقى) فى حكايته ـ التى لها فى القلب ولوج وفى الفكر رسوخ. . يكفيه ما بها من أصالة ورصانة من الشاعرية ما فاق به سواه. . ومعانيه التى تتجد وتتعدد. . فكأنها الدر النظيم. . والعقد الجميل تحلت به العذارى فى نحورها وصدورها وفى المجلة كأنها الشمس المشرقة وكالشجرة المورقة:

قالت له وهى تبكى:

إننى امرأة. . سما بها
الحسن للأفلاك والشهب
وآزر الحسن ريّاناً به جسدى
ثقافة تزدرى بالمال والحسب
وقلن لها أمثلك يزدريه
فتى نأبى عليه فتات وصل

فهل مثل هذه الأبيات سلاسة تخلب العقول وتسلب الألباب. . ولكنه الشاعر الذى يحسن الفهم للشعر ويجيد الغوص على المعانى. .

وأخيرا (فالفقى) بين الشعراء غرة. . ووجه مشرق لبلادنا فى هذا النفس. . .والحس. . والفكر. . والرأى والقول. .

حقا إن ـ الفقى ـ ابدع فى ما صنع وما نحت وأجاد فى ما صاغ. . وهى باقات شعر فواحة. . وعقبات عرار نفاحة. . وافكار رائعة وأراء عميقة. . تتجدد فى كل زمان . وتتعدد فى كل كتاب ومجلة. . وهى القول الرصين والكلم المبين. . والنحت الدقيق. . والروض الباسم.

هذا واختم القول بأن المجلة سِفْر مُسْفِرٌ عن البيان. . متحدث عن العلم والعرفان. . ومزيدا من القول والعمل فى هذه المجلة.

ملاحظة

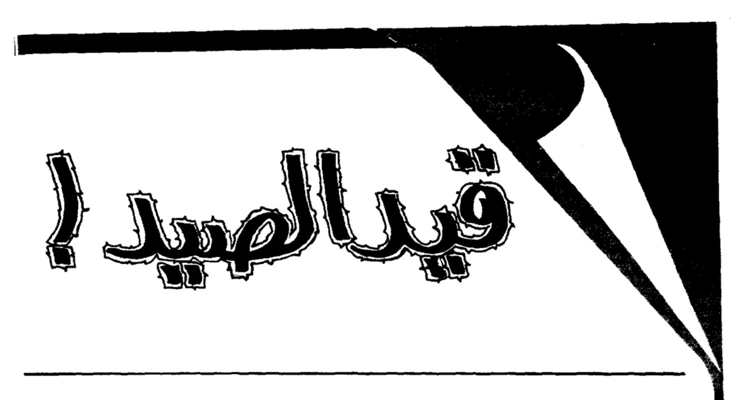
كان بودى ان تكون دراستى للمجلة محررة بأسلوب ينشر لكن الغرض من كل ما كتبت هو اشعارك بأن المجلة ذات هدف سام وغرض نبيل فى مجال العلم والأدب. . وفى ميدانى المجتمع والصحافة . . . وإلا فإن ما هو عن فلسطين جدير بالدراسة والتحليل لنفاسته وعمقه. . وما هو عن الكتب والمكتبة التراثية أصيل وعريق ومن الكتاب فيه امثال السامرائى جدير بالتقدير وعن ابن زيدون للدكتور عثمان عثمان اسماعيل بحث ممتع والمشتار فيه قصائد لشعراء كبار فكرا امثال محمد فريد ابو سعده واحمد حافظ والدكتور سامح درويش وعبد الفتاح الخطيب احمد غراب والنجار وغانم واحمد مبارك وعبد السلام هاشم حافظ ويحيى توفيق وان كنت للشعر المنثور لست من قرائه . . وقد احسنتم فى نقل ـ انى لنجم ـ للمتنبى لتزودوا القارىء بشىء متين من التراث واصيل من الشعر العربى. . ويعجبنى جدا أبو تراب وقد نقلتم له حديثا ممتعا(**قيد الصيد**) وما احلى أحاديثه وما أجملها. ويجب ان نشكر الدكتور جواد الطاهر على تحقيقاته المذكورة فهو من الادباء العاملين. . والدكتور محمود فاخورى بالشكر على ما كتبه عن لغتنا اما عين الأجوف وما كتبه الدكتور ضاحى عبد الباقى فبحث أصيل من البيتين الحجازية والنجدية وهو من البحوث التى يحتاجها الشباب وبودى لو نقلت شيئا مما قال. . فإنه مهم لمن له تعلق باللغة وشوق إلى معانيها.

والمجلة ذات الاختصاص عن النساء تجديد فى الصحافة. . على فن وذوق وانتم أول من جعل للمرأة صفحة معينة ولكن افرادهنّ بذلك ربما جعل التفرقة تستمر افلا ترون لو أن الدمج حصل والصهر تم بينهما لكان افضل لان المرأة لم يكن لها أدب خاص يختلف عن أدب الرجال. . وقد استوقفنى مقال ـ أغانى الاطفال الشعبية فى ٢١ لغة من لغات العالم. بطرائفه وتنسيقه والذى نظمته ولخصته فردوس عبد الرزاق كما أن حديث يوسف ابو عواد عن أورى زوجيه ممتع للغاية ورسالة من اعشى همدان الى السيدة الجميلة ممتعة وأرى ان حديث انور طاهر رضا هو كتاب المجلة لأنه يتحدث عن التقنيات التربوية والوسائل التعليمية وفى عالم الكتب عن لغة تميم عرض رشيق وتفكير حميد كتبه نادر صلاح الدين ومسك الختام ما كتبه على خالد الغامدى .

واعتقد أن كل عدد من المجلة يمثل كتاباً فمزيداً من العمل وارجو لكم التوفيق فى كل طريق.

المنهل : ـ

الفضل لا ينكر لاهله وعلى الرغم من ان هذا الذى كتبه لمنهله شيخنا المربى الاستاذ عثمان الصالح لم يكن للنشر. . ولكننا رأينا ان يكون كذلك لان فيه العرض والرأى الذى يتصل بالمنهل وبعض كتابه الافاضل. . وما اقتضى الحال ذلك ـ ايضا ـ لكونه يعد «بانوراما» لعدد صفر ١٤٠٧هـ . . وقعت باسلوبها الجميل وبخواطرها المرسلة فى انفسنا موضع الرضى والقبول والامتنان.



قال أبو تراب: جاء فى صحاح الجوهرى تأمَّيتُ أمَةً أى اتخذت أمة قال رؤبة (يَرْضَوْنَ بالتعبيد والتآمى)

قال أبو تراب: هكذا ضُبِطَ فى اللسان ضَبْطَ قَلَم (طبعة دار المعارف) والصواب (التَّأَمِّى) وبه يصلح الاستشهاد..

قال أبو تراب: ففى حاشية ابن برّى على الصحاح: وتقول: هو يأْتمِى بزيد أى يأْتمُّ به، قال الشاعر:

نزور امـرأً أمَّـا الإلَـه فيـتَّـقِـى
وأمَّـا بِفعـلِ الصـالحـينَ فيـأْتمِى

قال أبو تراب: وهـذا من الابـدال الـواقـع فى كلام العرب، وقد فصَّلنا هذا فى الباب بذاته فى (أَمَّ) من كتابنا شواهد القرآن.

قال أبو تراب: جاء فى مفردات الراغب الاصبهانى: لما كان الأنثى فى جميع الحيوان تضعُفُ عن الذَّكر اعتُبِرَ فيها الضعف فقيل لما يضعُفُ عمَلهُ أُنْثى، ومنه قيل حديدٌ أنيثٌ قال الشاعر:

فَيُـعْـلِمُـهُ بأن الـعـقـل عنـدى
جُـرازٌ لا أفـلٌ ولا أنـيـثُ

قال أبو تراب: هذا شطر لبيت صَخْر الغَىِّ.. وقد ضبطه الكيلانى محقق المفردات بـ (لا أفِلُ ولا أنِثٌ) وهـو خطأ فاحش، ومثله كثير فى تحقيقه وتشكيله، وانظر البيت فى شرح أشعار الهذليين ص ٢٦٢.

قال أبو تراب: ذكـر الـدامغـانى فى الوجوه والنظائر الاناث فى القرآن على ثلاثة أوجه البنات، الإناث من الأنعام، الأصنام.

قال أبو تراب: ولم يذكرها الثعالبى فى الأشباه والنظائر، ولا ابن الجوزى فى نزهة الأعين النواظر.

قال أبو تراب: ذكر الفرّاء فى معانى القرآن ونقله فى اللسان عن قيس بن سعد أن ابن عباس رضى الله عنهما قرأ «ياسينُ والقرآن الحكيم» يريد يا إنسانُ.

قال أبو تراب: روى ذلك عن ابن مسعود ايضا وذكره ابن الانبـارى والـزَّجّـاج، والـراجحُ أنه من الحروف المقطَّعة الواردة فى أوائل السور تعتبر من المتشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله والى هذا ذهب الحافظ ابن حزم فى إحكام الأحكام.

قال أبـو تراب: جاء فى لسـان العـرب (أنِسَ) قال



مُطرِّفٌ: أخبرنى الكَرِيْمِىُّ إملاء عن رجاله عن ابن عباسٍ رضى الله عنهما قال . . قال لى عَلىٌّ رضى الله عنـه: ان الله تبارك وتعالى خلق الفردوس يوم الخميس وسمَّاها مُؤنسَ.

قال أبو تراب: وهذا من الغرائب، ولم أجده فى شىء من كتب الحديث والآثار، والكريمىُّ راوية مُتَّهَمٌ عند المحدثين بالوضع فليتُنبَّه.

قال أبو تراب: جاء فى اللسان (أنِس) كان ابن عباس يقرأ: «حتى تستأذنوا» فى آية الاستئذان وقال: «حتى تستأنسوا» خطأ من الكاتب.

قال أبو تراب: هذا غير صحيح عن ابن عباسٍ والعياذ بالله، فكيف يُستساغ أن يقـول عما أجمع عليه الصحابة ومصاحف الاسلام أنه خطأ: وجاز أن يكون «حتى تستأذنوا» قراءة أخرى.

وقـد رد على من زعم هذا القرطبى والرازى، وابن عطية، وابن كثير والزمخشرى وأبو حيان وغيرهم.

قال أبو تراب: ومأنوسة رسم للنار كما فى المعاجم، قال ابن سيده: ولا أعرف لها فِعْلاً، فأما آنَسْتُ فانما حَظُّ المفعـول منهـا مُؤنَسَة، وقال ابن أحمر:

كما تطاير عن مأنوسة الشَّررُ.

قال الاصمعى: ولم نسمع به الا فى شعر ابن أحمر، وقال ابن الاعرابي: لأن الانسان اذا آنَسَها ليلاً أنِسَ بها وزالت عنه الوحشة.

قال أبو تراب: اذا كان كذلك فلا أدرى لماذا يقول ابن سيده: لا أعرف لها فِعْلاً والرجل يأنَسُ بها. وماضيه أنِسَ.

قال أبو تراب: جاء فى كتاب الابدال لأبى الطيب (ج ١ ص ١١٧) زَعَموُا أن بعض الأعراب كان يقرأ: ﴿قل أعوذ برب النَّاتِ مِلكِ الناتِ﴾.

قال أبو تراب: هذا على لغة الابدال الواقع فى كلام العرب فالناتُ لغة فى الناس على البدل الشاذ، وهذه لغة أعرابى وليست من القراءات فى شىء، ولا حُجَّة فى المزاعم والشواذّ بعد أن اتصل النقل الصحيح.

قال أبو تراب: آنسُ من حُمَّى، مَثَلٌ لم يذكره الميدانى، وذكـره ابن فارس، ولم يذكر صاحب اللسان قولهم: الايناس قبل الإناس وانما ذكره الميدانى.



جان جاك بيريبى ـ الخليج العربى تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز بيروت منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر. الطبعة الاولى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٩ـ٢٤٧ ص، مطابع دار الكشاف.

١ ـ ذكر المترجمان فى مقدمتهما أنهما تصرفا بترجمة العنوان بعد أن ذكرا أن المؤلف فرنسى أصدر كتابه بالفرنسية وهو بعد «علما من الاعلام الفرنسيين المختصين بالشؤون الشرقية والعربية منها بصورة خاصة ـ وكان مناسبا لو ذكرا تاريخ صدور الكتاب الاصلى.

٢ ـ الكتاب أنموذج للتأليف العلمى الذى يوجه الى عامة القراء على وجه من الطراوة يمتزج فيه الماضى والحاضر والحقائق بالأساطير والمؤلف فى كل ذلك استاذ مادته المسيطر على أجزائها وأركانها تاريخاً كانت ام جغرافية.. وثائق ام بحثا ميدانيا.

٣ ـ ص٢٥ «خمساية ألف» الصحيح: خمسمائة الف أو خمس مئة ألف.. ومثلها ص٩٥، ١٤٦.

٤ ـ ص ٤٧ «مدينة بوشير» بوشير.. تكررت ص١١٠

٥ ـ ص ٦٢ «بندر ماشور»؟ ص٩٦ «شيزى»؟.

٦ ـ ص ٦٥ «أثناء تخطيط الحدود بين الامارة الكويتية ومملكة نجد سنة ١٩٢٢م» كان عبد العزيز آنذاك «سلطانا» ونجد «سلطنة نجد».

٧ ـ ص ٩٥ «ان المدينة الحديثة الحالية البصرة قد غيرت موقعها منذ تأسيسها الذى يعود الى ألف وخمسمائة سنة تقريبا».

هذا الرقم غير صحيح لأن البصرة بنيت سنة ١٤هـ ولو قال «.. يعود الى أكثر من ألف وثلثمائة وخمسين» ـ أو ما أشبه لكان أقرب الى الصحة.

٨ ـ ص ٩٦ «هو رام شهر» يقصد حرم شهر وهى المحمرة تكررت ص ١١٠، ١١١

٩ ـ ص ٩٨ «مياه قارون»: كارون

١٠ ـ ص ١١٢ «أمارة»: إمارة

١١ ـ ص ١١٢ «اتفاق سنة ١٩٦٦» كيف يكون هذا والكتاب مؤلف قبل سنة ١٩٥٩؟.

١٢ ـ ص ١٨٦ «تشكيل لجنة دولية يرئسها القانونى البلجيكى.» يرأسها.

١٣ ـ ص ١٤٣ «المكائد»: المكايد.

١٤ ـ ترجم خيرى حماد الكتاب نفسه سنة ١٩٦١.

الدرر الحسان فى منظومات ومدائح مولانا معز السلطنة سردار أرفع سمو الشيخ خزعل خان أمير المحمرة وحاكمها ورئيس قبائلها (وهو مجموع منظومات سمو مولانا الشيخ وما قيل فى مديح سموه.. عنى بجمعه وتأليفه وطبعه خادم سموه الأمير عبد المسيح انطاكى بك صاحب جريدة العمران. طبع بمطبعة العرب فى مصر ـ ٦٠٦ص ـ مصور.

١ ـ جاء فى «تقدمة الكتاب.. لقد قصدتك من مصر.. عن القاهرة فى غرة رمضان المبارك سنة ١٣٢٦ ـ صاحب جريدة العمران عبد المسيح انطاكى».

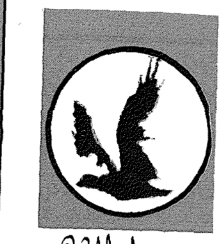
وعبد المسيح أنطاكى بك ـ ولا ادرى من أين جاءته البيكوية ـ شخصية عجيبة، قال عنه الزركلى ٤/١٥٣: «عبد المسيح أنطاكى ١٢٩١ـ١٣٤١هـ = ١٨٧٤ـ١٩٢٣م».

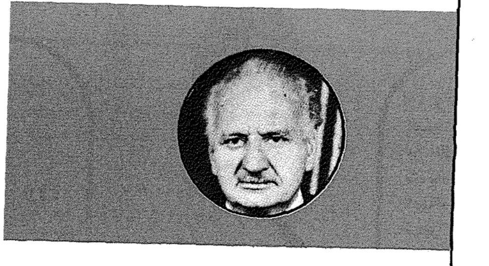
* الانطاكى الحلبى... يونانى الأصل. سكن أحد أجداده أنطاكية وانتقلت عائلتهم إلى حلب سنة ١١٦٣هـ وبها ولد صاحب الترجمة، ونشأ وأصدر عشرة أجزاء من مجلة شهرية سماها «الشذور» ثم انتقل الى مصر سنة ١٣١٥هـ وأصدر جريدة «العمران» اثنى عشر عاما. له.. «رحلة السلطان حسين فى رياض البحرين ـ ط» و«الرياض المزهرة بين الكويت والمحمره ـ ط»...».

وعجيب ان يهمل الزركلى كتاب «الدرر الحسان»؟.

٢ ـ الكتاب مصدر لأشياء كثيرة فى التاريخ السياسى والتاريخ الادبى ـ بعد طرح المبالغات منه.

٣ ـ ص ٢٢ «... وأناط به..».





د/ علي جواد الطاهر

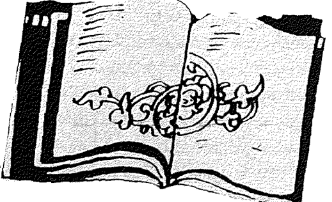
الصحيح ناط به. وورود الخطأ سنة ١٣٢٦هـ ينفع من يبحث عن تاريخ المفردات العربية والتصرف باستعمالها. ومعلوم ان اكثر ما يستعمل فى هذه اللفظة هو الرباعى «الخطأ» أناط ويتبع خطأ الماضى الخطأ فى حرف المضارعة فيضمون الياء من يُنيط على حين من ناط ينيط مفتوحتها. والخطأ فى المصدر كذلك.. وتنظر ص٣٧.

٤ ـ ص٢٥ «ظل... الشيخ جابر خان على أريكته المحمرة مدة ستة وعشرين عاما» يقصد بأريكته: حكمه. ثم كلمات أخرى مثل سُدّة وعرش.. فيما يستعمل للملوك.

٥ ـ ص ٢٨ «والده المعظم..».
تنفع لتأريخ استعمال كلمة «المعظم» للامراء والسلاطين والحكام والملوك.

٦ ـ ص ٩٧ «استلفت انظار..» تنفع الباحثين فى اللغة.

٧ ـ ص ٤ «الجامعة القومية، والرابطة الجنسية...» تنفع الباحثين فى المصطلحات السياسية.



٨ ـ وكنت أبحث عن تاريخ استعمال كلمة «عاهل» للملك، فوجدتها عنده فدلنى على أنها أقدم مما تصورت. وآسف إذ فاتنى تسجيل رقم الصفحة التى وردت عليها من كتابه ـ بل لقد وجدتها ص ١٢: «وهكذا بفضل ذلك العاهل الكبير والقائد الشهير والأمير الخطير نالت المحمرة استقلالها..».

عنوان المجد فى تاريخ نجد تأليف العلامة المحقق عثمان بن بشر النجدى الحنبلى. الجزء الاول يطلب من الناشر: مكتبة الرياض الحديثة بالرياض ٢٥٥ص. الجزء الثانى... المطبعة اليوسفية ٢ شارع دار الكتب ١٤٣ص.

١ ـ الكتاب مهم فى بابه. قال مؤلفه: وافق الفراغ من تبييض هذا الكتاب فى شعبان من شهور سنة سبعين ومائتين والف ـ توفى المؤلف سنة ١٢٨٨هـ.

٢ ـ بشر اسم جده لأنه: عثمان بن عبد الله بن بشر. ولذا حسن أن يرسم هكذا عثمان ابن بشر.

٣ ـ لم يذكر على الطبعة تاريخ او مكان. والمطبعة اليوسفية بالقاهرة.

٤ ـ جاء فى «ترجمة المؤلف»: «وكتاب عنوان المجد.. كتاب مفيد فى جزئين. وقد طبع مختصر الجزء الاول منه فى بغداد فى مطبعة الشاه بندر..»
أ ـ صحيح الشاه بندر: الشابندر

٥ ـ وللمؤلف منهج خاص به، بمعنى انه يسير فى التاريخ ثم يتوقف ليتحدث عن أمر متقدم على الزمن الذى يعالجه.. وهكذا تتكرر الحال هو يقدم لحديثه الاعتراضى الاستطرادى بكلمة «سابقة» والسوابق كانت قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بين سنة ٩٥٠، وسنة ١١٣٩.

٦ ـ كثيراً ما ترسم «مشايخ» على مشائخ وهو غير صحيح ـ والمؤلف كثير الخطأ فى امور من النحو والصرف.

٧ ـ ٣٤/٢ «وفاة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر»: *الصحيح*، ٣٣/٢ـ٣٤ «وفاة الشيخ عبد العزيز بن حمد».





سعيد بدر
الاسكندرية

لم اذكر على وجه الدقة.. متى بدأت اسمع ذلك الصوت.

مواء قطة صغيرة.. ضعيفا واهنا.. ربما كانت لم تزل مغمضة العينين.. تبحث عن ثدى امها.

كنت اقود سيارتى وبجوارى صديق.. وكنا نقصد زيارة صديق آخر. يسكن باكوس.

وكانت السيارة تمضى مع سيولة الشارع وصوت القطة يصلنى كل حين **نااااو.**

قلت:

- اتسمع ؟

- ماذا ؟

- مواء القطة.

- لم اسمع شيئا.

- ربما تسللت

كان الشارع واسعا وفى اتجاه واحد.. اوقفت السيارة على جانبه.. رجوت صديقى ان يبحث معى. مددت يدى تحت مقعدى لم اجدها. وايضا تحت المقعد الخلفى.. حتى الارضية والاركان.. لم نعثر فيها على القطة.

عدت الى عجلة القيادة وادرت المحرك انتظمت السيارة فى نهر الشارع.. واذا بالصوت يعود خافتا.. **نااااو.**

وكنت اعتمد على ذاكرة صديقى فى الوصول الى بيت الصديق الذى نذهب لزيارته.. سألته: عن اسم الشارع الذى يسكن فيه.. قال:

- ليس شارعا.. انما هو منزل جديد فى عطفة وسط عدة ازقة.. بالتأكيد احفظ شكل البيت والمنافذ الموصلة اليه.. انعطفت الى اليمين واصبح الشارع الذى نسير فيه ذا اتجاهين متقابلين.. وكان مواء القطة يصلنى متقطعا ملحا.. رغم صوت الموتور.. وصوت حفيف الاطارات على الاسفلت.. كان على ضعفه يصل جدا ملحا وسط الاصوات.. **نااااو.**

قلت لنفسى.. ربما تسللت هذه القطة من اسفل السيارة واختارت ركنا بجوار المحرك ربما جنب شاحنة

الكهرباء.. هى حتما تحت غطاء المحرك.. بالقطع درجة حرارة تحت الغطاء مرتفعة وربما الهبت جلدها الرقيق.

وكان الشارع ذو الاتجاهين ضيقا وكنت اسير فيه تابعا ومتبوعا. وبدأت ابحث عن اول مدخل الجأ اليه.

رفعت غطاء المحرك.. ولم اتبين فى الظلام شيئا.

اشعلت قداحة التبغ.. بان المحرك وشاحنة الكهرباء واسلاك شمعات الاشعال ولم أجد مبرراً لاطالة البحث فقد كانت كل الاركان تحت الغطاء واضحة امامى.

ولو كانت هنا قطة لرأيتها مهما صغر حجمها.

إقترح صديقى ان نمضى فى نفس المنعطف وسوف يوجهنى لنصل الى البيت. كنت مستعدا ان امتثل لأى قول.. فقط يتركنى أواصل البحث عن مصدر ذلك الصوت الذى بدا اكثر خفوتا وأشد ضعفا..

وجدت وجه صديقى متحيرا.. وقد عهدته بوجه متطلع ابدا.. سألته عن اسم الشارع الذى نسير فيه.. قال انه لم ير هذا الشارع من قبل.. ولم يذكر له اسما ومن الافضل الدخول فى اول عطفة للرجوع الى الشارع ذى الاتجاهين.. وعاد مواء القطة بنفس الدرجة من الوهن.. متوسلا.. مستعطفا. حفزنى على البحث من جديد..

اين يمكن ان تختبىء..؟ فتحت سقف السيارة دفعة واحدة.. اندفع الهواء يداعب رؤوسنا.. رأيت وجهاً يتحاشى الهواء. اغلقت السقف.. هبطت بالشماسات.. اشار بيده.. لم نهبط بها ونحن فى الليل.. تساءلت عيناه ماذا بك؟ تجاهلت نظرته.. فتحت طفاية التبغ ونظرت فيها. وكانت قداحة السيارة ترسل خيطا من الضوء بيٍن لى جنبات الطفاية.. وكان الهواء لا يزال يواصل النداء.. وكنت اشعر انه يخصنى بالذات.. قال صديقى:

ـ لقد غادرنا الزقاق الذى يجب الدخول فيه.. انعطف مع اول يمين وارجع من الداخل مسافة زقاق فائت.

ظللنا ندخل يمينا ونتعطف يسارا فى أزقة مظلمة حتى تجلت الحيرة على وجه صديقى.. وقفت وقلت:

ـ لو تذكرت اسم الشارع او الزقاق لأمكننا الاستدلال عليه.

قال:

ـ لقد زرته عدة مرات وكنت اعرف البيت جيدا.. برغم كثرة الانعطافات لكننى فى النهاية اصل اليه، ربما عدم كفاية الضوء جعلتنى اشعر بغرابة البيوت.. حتى الازقة اشعر اننى لم ارها من قبل.

انتهزت الفرصة وفتحت درج التابلوه.. مددت يدى علنى أعثر على القطة.. لكننى لم اجدها.. فتح صديقى الباب.. قال:

ـ لنترك السيارة.. ونبحث عن البيت سيرا على الاقدام.. بدأنا نتجول بين الازقة المظلمة.. وصديقى بوجهه المتطلع يبدى غرابة لما يراه من البيوت والحوانيت.. تجلت لمدات الحيرة على وجهه حين اعياه البحث.. وقف قال كمن يحدث نفسه:

ـ امتأكد انت؟ اننا سرنا فى الطريق الموصل لباكوس.

ـ نحن ـ الان ـ فى باكوس.

ـ امتأكد انت؟ يجب ان نعود للسيارة ونرجع الى الشارع ذى الاتجاهين ونستوثق من اننا نسلك الطريق الذى نريد.

عدت الي عجلة القيادة.. ادرت المحرك.. سمعت مواء القطة من جديد.





قراءة فى صحيـ

استهلال مرّ

ربما كان علينا أن نتقافز فوق صفيح ساخن . . بين الابـداع وبين مقاربة التجربة الشعرية . . هل هذا قدر الشعـراء . . أن نخـرج من إعـصـار القصيدة . . لندخل فى دوّامات التجربة الشعرية . . أن نصبح شعراء وقراء . . شعراء ووسطاء . . أن نظل نواصل تأصيل هذه الرؤية الجديدة . . بينما يصمت النقاد . . أو تتأخّذهم كلمات منبّتة . . لا أرضاً قطعت أو صوتا أبقت . .

مقاربـة

عبد الله السيد شرف . . ليس غريباً على قراء المنهل . . كان يشركهم دائماً فرحته بولادة القصيدة . . ويخصهم دائماً بأحدث قصائده واكثرها نداوة .

وهو بعد شاعر خارج عن الاجيال . . أو خارجٌ على الأجيـال!! هذا المصطلح النقـدى سيء السمعة . . الذى تحول الى سكين تضرب فى العتمة جسـد الابـداع . . صانعـاً اكـوامـاً عجيبـة من المبدعين . . وكل ما نرجوه ألا نجد عبد الله مقطوعاً نصفين . . كل نصف فى كومة!!

الديوان ليس الأول . . هكذا ينبئنا الشاعر . . أو الرافعى . . له قبل ذلك (العروس الشاردة) و(الحرف التائه) و(القافلة) .

والآن نبدأ رحلتنا فى تجربة عبد الله .

كم تصبّرت زماناً
وانقضى فى السهد صبرى
موعدى الصيف
وكم اخفيت سرى
خلتُ أيامى هناء
والهوى للقلب يغرى
ثم مرَّ الصيف يا «ليلى»
ولم أبلغ من الأحلام فكرى
وانتهى ما كان من عهدٍ (بعيد)
والهوى قد صار حُلماً
ذكريات لا تفيد

كان يمكن البدء من أى مكان . . ولكنى هنا . . هنا بالذات أحسست ان الأرض فى هذه القصيدة . . غير طبيعية . . واننى واجد هنا مفتاحاً للدخول الى القصر .

لقد وضعت فى محاولة لاختبار المفتاح كلمتين فى

مقاربة لديوان :





فريد أبو سعده

دبلوم دراسات عليا في الصحافة

هذه القصيدة . . الاولى يا(قلب) بدلا من يا (ليلى) والثانية . . (سعيد) صفة للعهد بدلا من (بعيد) . . عندئذ رأيت الوردة تتفتح . . وتسقط هذه الرومانسية السطحية التى حاولت التجربة ان تتقنع بها . . ونجد أنفسنا نوغل فى تجربة اكثر عمقاً وضراوة . . ها نحن امام الذات التى تتفجع من السقوط . . خزلها الزمن وها هى تتقصف شيئاً فشيئاً وتتهاوى كأوراق الوردة الجافة . . مدركة ان الصيف قد ولّى وراح!! ان هذه التقيّة وأمثالها كثير فى هذا الديوان . . حيل واقنعة تحاول الروح ان تستتر بها وتخفى تحتها هذا العوار وهذا الألم . . سقطت الأحلام ومرّ الزمن . . ولم يعد ممكناً اقتناص الصيف/ الحلم . . المراوغ .

لا تجزعى يا (فتاتى)
فسوف أكنى
ولكن أجيبى لماذا أكنّي

(فتاتى) هنا أقرب لأن تكون قناعاً للذات . . ونحن نؤمّن على كلام عبد الله . . نعم . . لماذا تكنّى يا عبد الله . . و:

حُلْمُ الهوى مات
حلمى المنوّر
وساقاى تحتى

حطام تكسّر
وكفاى جنبى
هشيم تبعثر
ودمعى على قبر عمر تحدّر
أنـــام
وفى الصدر طيف الشقاء
وأصحـو
وفى الروح حزنى تنمّر

مرة اخرى ومرة أخرى تعصف بالروح هذه النوبات الشديدة من القنوط واليأس .

لقد غابَ نَجمُك دون النجوم

وتصل هزيمة الذات الى موقف غريب . . استسلام هادىء . . وحزن شفيف . . ونسمع هذه النغمة الخيّاميّة الخافتة . . كأنها همسة الروح .

يا نديمى لم أجد فى العمر شيئاً غير همّى
وانتهت أحلامنا الغراء حتى ضاع وهمى
فابتسِمْ إن جئتَ قبرى اننى أدركتُ يومى
وانتهى عمرى هباء فاطردِ الأحزانَ واغنمْ

كم كنت اود أن ابدل كلمة وهمى بكلمة يومى فتصبح

(انني ادركت وهمى) . هذه نفثة حزينة ولكنها تبدو كوصيّة أخيرة لمن ضيّع عمره فى الاتجاه المعاكس.

ونتوغل خطوة اخرى فى لحم القصائد/ التجربة ونسأل . . من أين تأتى المرارة يا عبد الله :

وانفضّت الجبناء
والدّهماء
لم يتداركوا
وادّاركوا
فى بطن حوتٍ
لا يُرى من يلتقم

ويقول: **ضاعت هويتنا**
وما من فائده

ويقول. **وصرخت من ألمٍ ضللت**
فمرحباً وخز الابر

نعم مرحبا بوخز الإبر . . تكفيراً عن السقوط وتكفيراً عن ضياع الهوية وايقاظاً للذات ولكن هل يكفى الوخز يا عبد الله . . لا . . وها أنت توافقنى.

لم يَعُدْ يجدى
بهذا الجلد غمزُ
أو يعد يجدى ببحر الزيف رمزُ

هكذا يستيقظ الوعى . . وتنكشف امام عبد الله الحقيقة . . مفاجئةً . . وفجّةً . . وغليظةً . . وعبد الله امام هذا التكشف يتصاعد فى داخله الاحساس بالذنب . . والعار . . والتهاون . . ولا يملك حيال شعور كهذا أىّ قدرة على تقنيعه . . ولا يرى ضَيراً فى ذلك أو ضرورة.

كم أتمنى أن أُلقيكِ على الطرقات
إنْ تابعتكِ سوف أضل
. . . .
كَم اتمنى لكن كيف

انتِ بجوفى منذ مجيىء
وأنا ثوبك

ولعل فى هذا أوضح تعبير وصلنا اليه لهذه العلاقة الجدلية بين الذات/الحبيبة من جهة . . وبين الحبيبة /الوطن من جهة اخرى. وعبد الله الذى يتعذب بالوطن الذى توحّد بالذات فى علاقة حب غير قابلة للفصم . . عبد الله غاضب وحانق على هذه الحبيبة . . غاضب منها ولها وعليها . . فهى فى كل شىء . . هى كل شىء . . وهو يتمنى أن يتخفف من عذابه بها ولكن كيف!!

فى (نداء أخير) لها يقول:

هبّـى
سيفاً
فى وجه خفافيش الليل
ويثقب كل حوائطِ
هذا الصمت

لكنها لا تستطيع شيئاً . . لا تستطيع :

قطرُ الندى تبكى
بدمعٍ هاطل
والناس حولى حوقلوا
يارب هل من فارسٍ
يأتى يحطم قيدها

الجميع يرون قطر الندى تباع مكبّلة فى سوق النخاسة . . ولا يستطيعون شيئاً . . من أين يأتى الخلاص إذن . . والفارسُ لا يأتى.

تقذفنى كفُّ الصحراء الى قدمِ الصحراء
لا ظل حوالى ولا ماء
ما جَدْوى بفؤاد الأهل المفتوح الىّ
اذ كلّ سيوف الكل على

هذا هو الفارس . . تائه . . ضال فى الصحراء . . خائف حتى من الأهل.



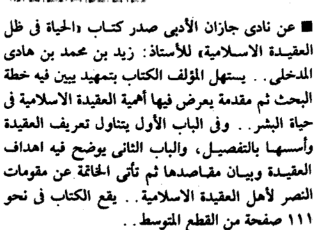
كتاب التدخين وأضراره على الجسم والعين

تأليف د. ابراهيم محمد عامر (اخصائى العيون بمستشفى مركز جدة الطبى).

يقع فى ٩٠ صفحة من الحجم المتوسط.. ويناقش العديد من الموضوعات الهامة التى تتعلق بالتدخين.. تاريخ التدخين وكيف دخل بلاد المسلمين.. وحكم الشرع فى التدخين.. الاساس العلمى لأضرار التدخين.

يحتوى هذا الكتاب على بحث عن أضرار التدخين على أنسجة العين المختلفة إبتداء من إحمرار العين المزمن ومروراً على الاصابة بشذوذ فى تمييز الالوان ووصولا الى فقدان الابصار بسبب تلف الشبكية وضمور العصب البصرى.





■ عن نادى جازان الأدبى صدر كتاب «الحياة فى ظل العقيدة الاسلامية» للأستاذ: زيد بن محمد بن هادى المدخلى.. يستهل المؤلف الكتاب بتمهيد يبين فيه خطة البحث ثم مقدمة يعرض فيها أهمية العقيدة الاسلامية فى حياة البشر.. وفى الباب الأول يتناول تعريف العقيدة وأسسها بالتفصيل، والباب الثانى يوضح فيه اهداف العقيدة وبيان مقاصدها ثم تأتى الخاتمة عن مقومات النصر لأهل العقيدة الاسلامية.. يقع الكتاب فى نحو ١١١ صفحة من القطع المتوسط..

ونتوغل اكثر فى لحم التجربة ونقرأ معا هذا المقطع أو المقاطع من قصيدة «رؤيا»:

يا أيها الصَّديق
فى اى مهْمَةٍ - ترى -
القت بك الأقدام

. . . .

فى أى جُبٍّ مثلنا
تلوك آسفاً
سحائب الألم

. . . .

أود لو ألقاك ياصدِّيق
كى أقصَّ رؤيتى

. . . . .

الشصُّ اغرانى ولكن
ما أكلت الطُعْمَ بعد
قَدْ قُدّ يا صدِّيق مئزرى
فجئت عارياً
أضاجعُ الفراغ
وأهصرُ الندم

هنا.. وبعد هذا التوغل فى لحم القصائد.. وبعد كبح جماحنا عمداً عن (رؤية) ملاحتها ومفاتنها. باحثين عما تخفيه اكثر مما تبديه.. يمكننا ان نرسم شكل الهاجس الذى كان يطارد عبد الله.. والذى لم يكن ممكنا لنا ان نترصَّد له فى قصيدة واحدة.. لأنه كان يحسن المراوغة.. وينام كل ليلة فى قصيدة.. هذا الهاجس يمكن ان نصوره على هيئة رغبة لا تقاوم فى امتلاك الحبيبة الوطن رغبة فى ان يكون الوطن حواء عبد الله.. له وحده.. ولكن هذه الحواء الشديدة الجمال.. الشديدة الدلال.. كثيرة المماطلة.. تطالبه بالتغنى بها فيتغنى بها فى طول الديوان وعرضه.. تعطيه المواعيد ولا تجيىء.. وكلما آيس منها القت عليه شباكها.. وعبد الله يصبر كثيرا

ويدلّلها كثيرا ولكنها لا تعطيه نفسها بل . . يراها تحت سواه . . ويتعـذب . . ويصبح الأمر اكثر قسوة ومرارة . . عندما يراها تُباع ولا أحد يستطيع شيئاً . . لقد اغوته كثيراً وكان يستمتع بالحب العذرى معها . . تكفيه لمسة من يدها أو نظرة من عينيها أو مشية فى ساعات العصارى على النيل أو . . حتى اختلاس قبلة تحمـرّ لها خدود الحبيبـة ويتلعثم العـاشق . ولكن . . اغـواءهـا كان اكثـر واكثر و . . انكسرت الحصانة الصدّيقية وقرر عبد الله ان يمتلكها . . ان تكون له . . وفى اللحظة التى (قدّ فيها مئزره) وكاد ان يمتلك العـالم بامتـلاكهـا وجـد نفسـه عارياً . . وحيـداً . . هذه هى الأزمـة/ الهاجس . . هذه هى الـرؤيـة كما أتلمسهـا . . انهـا اعـادة انتـاج يوسف الصـديق وزليخـا بشكـل مغـايـر . . بدون قداسة الصدّيق . . رضوخاً للإغواء وحباً فى الوطن . . لقد اهين عبد الله مرتين . . مرة لأنها لم تكن له بعد ان كاد وأوشك وكل افعال المقاربة والمرة الثانية لأنه رآها بين ايـدى الآخـرين ولم يستطـع شيئـاً . . حاول ولم يستطـع . . فلم يكن الفارس الذى تمنى الناس ان يأتي ويحطم قيد قطر الندى كما ان تحميسه لها لم يفعل شيئاً .

هبىّ سيفاً
فى وجه خفافيش الليل

أو: **ساعدينى**
بعثرى هذى المقاعد
والشعارات القديمة

أو: **لم يعد يجدى**
فكونى دمدمه
وارفعى الحرف الخناجر
احرقى عند المحاور
كل لوحات الولاه
واحملى الرأس على الكف وسيرى
لا تُبالى

انها الموت حياه

هذا الخطـاب الطـويـل المرير . . الذى يعكس العجز عن الفعل . . لم يخلِّص هذه الفاتنة من آسريها ولم يفعل عبد الله اكثر من ذلك . لهذا عندما يتفجر الوعى يأخذ نفسه بالشدة واللوم والتقريع . . يكتشف شيئاً فشيئا كم كان مخدوعاً وساذجاً . . ويولد عبد الله أو يغمس فى الألم غمساً فيصرخ :

لم أبايع
ويكتشف **انا راقص فوق الدرج**
ويكتشف **وأنا مع الجمع الكبير**
اللاعنين قساوة السير
البطىء المرتجل
ويكتشف **ضاعت هويتنا وما من فائده**
خدعتنى الالفاظ
فاستلقيت فى جوف الضياع
وصرخت من ألمٍ ضللت
فمرحباً وخز الإبر

نتيجـة هذا العجـز القـاتم . . القاسى . . عن الفعل . . يرتد عبد الله الى الحبيبة/ الوطن ـ الحبيبة/ الذات وكلما حاول وتوغل فى تعذيبها . . يتألم . . ويتألم . .

أنت بجوفى منذ مجيىء
وانا ثوبك
هاتى سوطك
هذا جسمى
فانتهبينى يا آسرتى
حتى الموت

هكـذا يعـذب عبـد الله نفسـه . . وهو يعذب الحبيبـة/ الـوطن ـ الحبيبـة/ الذات . . لقد اصبح الحب مستحيـلاً وعـلاقة خرج الشاعر منها مهزوماً منفياً متشككاً .

تقذفنى كفُّ الصحراء الى قدم الصحراء

لا ظل حوالى ولا ماء
ما جدوى بفؤاد الاهل
المفتوح إلىّ
اذ كل سيوف الكل علىَّ

هكـذا نجـد عبـد الله يعلكـه الأسى والأسف ويطحنه اليأس والقنوط وشيئاً فشيئاً يصبح أقل رغبة فى الحياة وتخبو أو تصغر فى عينيه الدنيا.

لقد غاب نجمك دون النجوم فيا ليت شعرى من منبىء
بما يحمل الـدهـر بعـد المشيب وماذا يخبىء لى موطىء
توالت عليك خطوب الحياة وسارت خطاك الى الأسوأ
فيا قلب ودع بقايا الرجاء وودع حياتك أو فارجىء

وتتصاعد فى خفوت هذه النغمة الخيّامية:

يا نديمى ان تعج يوماً على قبرى . . ترحم
أو تجىء ذكـرى أمـانينا المـواضى فتبسم
كم سعينا نبلغ الآمـال فى الدنيا . . وننعم
وانتهى عمـرى هبـاء فاطرد الاحزان واغنم

لعلنا نكون بتوغلنا فى لحم القصائد قد نجحنا فى الامساك بهذا الهاجس المراوغ . . الهاجس الذى سكن عبد الله وأرقه وطارده طويلاً.

ولكن كيف عبرّ عبـد الله عن هذا الهـاجس / الرؤيا . . كيف صنع اقنعته وحيله . .

مقاربة لجماليات القصيدة

أول ما يبدهنا به الديوان هو التوقيع . . ويحرص عبد الله على هذا التـوقيع حرصاً واضحاً . . وهو الذى أغـرانا بأن نمعن النظر فى هويّة قصائد عبد الله . . ولن نكون مغالين اذا قلنا ان نسبة غالبة من القصائد تأخذ شكلا خليلياً أو تأثرت بمران عبد الله الطويل فى القصيدة الخليلية . . وكما يبدهنا الايقاع هذا الحرص الواعى عليه تبدهنا أيضاً اللغة . . فى



■ وصدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون كتاب «موجز تاريخ الطب» الجزء الرابع للدكتور يوسف عبـد الله الحميـدان يعرض فيه المؤلف الطب فى مرحلة (صـدر الاسلام) من خلال الحديث عن بعض مفاهيم الطب ومبادىء التطبيب والتداوى فى صدر الاسلام. . والتـداوى من أقوال الرسول ﴿ﷺ﴾ والأدوية وأدوات الاعشاب ومقام العقل فى الاسلام. . الكتاب يقع فى نحو ٢١٨ صفحة من القطع المتوسط.



■ عن شركة دار العلم للطباعة والنشر صدرت الطبعة الأولى من كتـاب علي بن أبى طالب والحسن بن علي (اعلام الصحابة) تأليف الاستاذ: محمد على مغربى. . بعد المقدمة يعرض المؤلف لسيرة على بن أبى طالب كرّم الله وجهه فى ترجمه مفصلة تأتى فى سبعة عشر فصلا ثم يعرض فى الجزء الثانى لسيرة الحسن بن علي رضى الله عنه فى ترجمة مفصلة. . يقع الكتاب فى نحو ٥٤٥ صفحة من القطع العادى.

■ صدرت الطبعة الاولى من كتاب «قبيلة آدم» و«إلى من يقـرأ» والكتـابان آراء وموضوعات عن التربية والمجتمع للأستاذ على بن محمد العيسى. . يقع الأول فى نحو ٦٧ صفحة. . والثانى فى نحو ١٧٩ صفحة من القطع المتوسط.

قصائد عبد الله تعتمد جماليات القصيدة على التناسب المنطقى بين المشبه والمشبه به، بين الصفة والموصوف، بين الدال والمدلول. . والمعرفة التى يمكن ان يتطوع الشعر بأدائها فى قصائده معرفة تتوسط بالإدراك الذهنى والفكرى وليس الحدس الشعرى. نحن اذن امام الخطاب الشعرى الذى يعتمد اسلوبياً على فعالية المرجع الموضوعى خارج الذات. . هذه الوظيفة المرجعية تتكون من فعل أو مجموعة أفعال تتصل بالحياة اليومية. . حيث تقترب اللغة الشعرية من لغة التواصل فى تلك الحياة.

واللغة فى الخطاب الشعرى. . مفرغة من البناء المجازى الاستعارى والبلاغى. . ذلك لأنها تنهض بما نسميه بـ (المجاز البنائى) الذى يتحقق من مجمل علاقات النص. . و(المجاز البنائى) فى الخطاب الشعرى يتصف بذاتية واضحة وبحضور كثيف وغنائى لأنا المتكلم داخل النص كما يتضمن توجهاً نحو مخاطب.

ولكن ماذا فعل عبد الله. . هل أمكنه. . تخييل هذا المحيط الدلالى. . وبشكل اوضح وأدق هل أمكنه اعادة تخييل هذه اللغة الاعتيادية.

اللغة العربية لغة منقوعة فى المجاز. . ولذا يصبح على الشعراء دائماً ان يحلّوا هذا المجاز واعادة تخييل اللغة من جديد. . وبذا تنمو اللغة. . وتتفجر طاقاتها الايقاعية والمجازية. . اما استعمال اللغة والمحيط الدلالى فى الخطاب الشعرى دون ذلك. . ودون حرف علاقات اللغة بمرجعيتها أو محيطها الدلالى فاننا نكون امام حالة تعمل على تكريس التوقع الايقاعى والدلالى والمجازى. . الأمر الذى يؤدى الى الالفة. .

فاذا قلت (اشراقة) تبادر الى الذهن (الفجر) واذا قلت (النسيم) تبادر (العذب) واذا قلت (زقزقة) تبادر (البلابل) واذا قلت (خواراً) تبادر (أجوفاً) وهكذا. . ان عبد الله يكرس التوقع مستعيناً على تحقيق ذلك بالايقاع مرة وباستخدام المجاز المجّانى مرة اخرى. . وكأنه يُخرج لسانه لمحاولات التجديد التى تحاول اقتناص الاستعارة الغريبة والمدهشة وبذلك يضمن عبد الله ان يركب هو وقارؤه زورقاً دلالياً واحداً ويبحران معاً فى لغة مجازية متقاربة.

إن لغة الخطاب الشعرى تعتمد على اللغة الاعتيادية بعد اعادة شحنها. . انها لغة الحياة اليومية بعد تفجير أقصى ما يمكن من طاقتها. . واعادة تخييلها فى (المجاز البنائى) ولكن هذه المعادلة الصعبة اشبه بالمُهْر الحرون لا يمكن ترويضه بسهوله واذا لم يكن الترويض تاماً أطل النثر هنا وهناك كزهور صفراء (تقص للملأ/ ما أصل قصتك) (القيت يا صديق/ فى احضان من لا يحسن المعاشرة) (يعقوب/ عينه اضاعها البكاء/ والحلوة ـ النهر ـ/ التى قد غاض ماؤها/ ـ محظيتى/ اصابها الفواق) (صوت كزقزقة البلابل) (سوق الرقيق قد انتصب/ فتح المزاد/ تقدموا) (والصوت فى شىء مثير للقرف/ قد راح يهوى بالقفا) (قطر الندى تبكى/ بدمع ـ هاطل ـ) (قلبى يراك له السعادة والحبور) (عرض سمائك/ قد اتعبنى/ قربك منى قد ضايقنى/ قد اسلمنى للآهات) (وقل ما بدا لك قلبى تخدر)

وكما بدهنا الايقاع وبدهتنا اللغة ـ تبدهنا أيضا (الدراما) والدراما فى شعر عبد الله تأخذ أشكالا عديدة. . وتتراوح ما بين تعدد الأصوات ومسرحة الموقف. . ويتضح ذلك فى الكثير من قصائد الديوان (قطر الندى) (رؤيا) (عناق) (رؤية عصرية لمشهد قديم) (كان يا ما كان).

وهذه الدراما تطل من الديوان الى الحد الذى يغرينا بأن نسأل: هل نتوقع مسرحاً شعريا يا عبد الله. . نرجو ذلك.

ولكن يا عبد الله هناك ثلاث قصائد تلبّثت عندها كثيراً. . قصيدتان خليليتان هما (يانديمى) و(الى ين) وقصيدة حديثه. . (قراءة فى صحيفة يومية). . وهذا التلبث كان اغواء منك لأن نرى مدى تأثير الشكل والايقاع والموروث اللغوى المتعلق بهما على القصيدة. . ها نحن امام لغة مختلفة (ان تعج يوماً ـ فكم فى الذكر ـ ولتزر قبرى ـ من سنا رؤياك ـ ادركت يومى ـ طواك الورى ـ خطوب الحياة ـ واطو الكتاب ـ الدهر ـ المشيب ـ المنيّة). . كما نرى فى القافية استعمالا لغوياً كهذا (فارجئ ـ فاخبئ ـ ترتئى ـ فاستبرئى) (اما فى قصيدة «قراءة فى صحيفة يومية» فنجد معجماً آخر (ضجيج الباعة ـ فى كفيها ابريق الشاى ـ قطعة خبز ـ ما فيها من أنباء ـ أنديرا تسقط برصاص السيخ ـ خارطة الوطن ـ طقوس التأبين ـ يسجن من يُلقى بالأعلام ـ تموء القطة ـ امريكا ترفع فى وجه العرب الفيتو ـ يفوز ريجان ـ قل لى ماذا فى برج الثور ـ اغرس رأسى فى صفحات الكرة المجنونة).

هنا قاموس آخر ومعالجة اخرى . . وفى هذه القصيدة بالذات. . نجح عبد الله نجاحاً ملفتاً فى توظيف اللغة الاعتيادية. . بعد اعادة تخييلها وشحنها بالمجاز والاستعارة. . انه ينجح هنا بالكامل فيما نجح فى غيره بشكل غير كافٍ أو خشن. . وربما يكون من عدم اللياقة القول بأن فى الديوان اكثر من عبد الله. . عبد الله يسكن فى قصيدة (يا نديمى) وعبد الله يسكن بعد طول تجوال وترحال فى (قراءة فى صحيفة يومية) وربما كانت تسميته للديوان باسم هذا البيت فألا حسناً نفهم منه انه استقر أخيراً فى هذا البيت أو انحاز اليه.

اذا كانت القصيدة عند عبد الله تجمّلت قبل خروجها للقاء القارىء بالايقاع والدراما والفة المجاز. . فان هاجسه الذى ارقه وطارده طويلاً قد تقنّع هو الآخر بالرمز حيناً وبالموروث الشعبى والاقنعة أحيانا أخرى. . نرى يوسف الصديق قناعاً له حضور كثيف فى الديوان ويعقوب وعثمان وقطر الندى. . كما نلمح حوت يُونس وفأس ابراهيم. . هذه الرموز والاقنعة توسل بها عبد الله تقيّة من جهة وقناعا من جهة اخرى واحالة من جهة ثالثة تعين فى اضفاء دلالات اوسع اتكاء على المحيط الدلالى بينه وبين قارئه.

واخيرا تحية حب وتقدير. . وتهنئة بصدور الديوان. . وارجو ان تكون قراءتى يا عبد الله مما لا يفسد للود قضية.

رسائل للمحرر

الأستاذ الأديب نبيه بن عبد القدوس الأنصارى

يسرنى أن أبعث لكم برفقه مقالة بعنوان من «أدب الرحلات» وأنتهز هذه الفرصة لأعرب لكم عن خالص الشكر وعميق التقدير للخطوات الجيدة التى يتحلى بها المنهل فى كل عدد من أعداده وما يحفل به من أصالة وإبداع وما يزخر به من ثقافة وفكر وتطور وإتقان وشمول وغير ذلك من الخصائص والملامح الفكرية الى جانب اهتمامه بخدمة تراثنا الاسلامى العربى المجيد..

وفقكم الله وسدد خطى الجميع.

عبد الله الحقيل

الرياض

المنهل :-

أهلا ومرحبا بنتاجكم النفيس الذى ما فتىء يتوارد مدعما مسيرتنا ونهجنا.. واعتزازا بهذا الاطراء الذى يرسله احد ثقاتنا واعلامنا.

رسالةٌ في قصيدة

مرّ بي الأمسُ كالخيالْ ... وانمحى كطيفه وزالْ !

أينع الروضُ لحظةً ... وبدا مشرقَ الجمالْ

ثمّ أمسى مصوّحاً ... دون وردٍ.. ولا ظلالْ

ما الذي غيّر الهوى ... ما الذي عكّر النجالْ ؟

بعدا الهجرُ بسمتي ... بعد عهدٍ من الوصالْ

أيها «المنهلُ» الذي ... قد سقاني الماءَ الزلالْ

فارتوت منهُ مهجتي ... وبه حلّق الخيالْ

كيف ضاعت قصائدي ... واستحالت لِذا المآلْ

أتُرى خنتُ صحبتي ... أو مشى بيننا الملالْ ؟

أم ترى حاسدٌ رمى ... ما يسوء من المقالْ

كنت لي خيرَ مرشدٍ ... تعصم الخطو من ضلالْ

وعلى الصدق والوفا ... أنت أعطيتني المثالْ !

أيها «المنهلُ» الذي ... هجرُهُ عاد كالنصالْ

لا تهنّي لفاقتي ... أو لأنّي بغير مالْ

إنما المالُ وحدَهُ ... ليس ما يصنعُ الرجالْ !

وتذكّر بأنّهُ ... كلُّ حيٍّ إلى زوالْ

والذي يتقي بعدنا ... ما أتينا من الفعالْ !

إن يكن بي نقصٌ.. فقد ... لحق النقصُ بالهلالْ

ولربي.. مصيرُنا ... ولهُ منتهى الكمالْ !

محمد البلغمي

فاس / المغرب

السيد الفاضل رئيس تحرير مجلة المنهل الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فقد اطلعت على مجلتكم الغراء، فأثلج صدرى وانفتحت لها نفسى لما تحتويه من بحوث رائعة ومقالات قيمة تفد الى القلوب فتفتح أقفالها وتبلغ أعراف الضمائر فتهتز اقفالها وتعطى العقل غذاء طيبا من غزارة مادتها فى عبارات رشيقة وأساليب رقيقة ونتائج دقيقة.

فسُقيا لها من مجلة تبين الحق وتظهره ونعمى لها من منبر يدحض الباطل ويقهره.

انى لارى فى ردهاتها نورا يستضيىء به المرء حينما يحلولك الغم ويرتشف الظمآن ـ على مرور الايام ـ من كوثرها الشم ويتضوع أريجها ليبعث فى النفس الهمم.

اننا ـ يا رعاكم الله ـ فى وقت أحوج ما نكون فيه الى هذه المجلات لاظهار الحق وجلاء الافهام.. كما أننا فى الوقت نفسه بأمسّ الحاجة الى ردع الباطل وازالة الاوهام وان المجلات الهادفة من خير الوسائل المجدية لتلك النتائج المرضية.

أحمد القطان

الكويت ـ السالمية

المنهل :-

لأخوتكم أرسلنا بعض الأعداد المتوفرة.. ونشكر لكم متابعتكم المخلصة لـ (منهلكم).. ولاستمرارية الحصول عليها يمكن أن نعتمد لكم اشتراكا شهريا فيها ـ إن رأيتم ذلك..

المنهل :- نقدر مشاعرك.. وسيظل المنهل مشرعا لاحبائه.. وعلى الدرب كلنا غادون.

الأخ نبيه بن عبد القدوس الانصارى

وبعد: فقد تكرمت جامعة الملك عبد العزيز - مشكورة - فأهدتنى نخبة مختارة من المطبوعات النفيسة من كتب ومجلات ازدانت بها مكتبتى الخاصة.. وكان من بينها أعداد من مجلتكم الغراء.. مجلة «المنهل» التى تبلغ قمة الروعة فى مواضيعها وإخراجها وتنسيقها وطباعتها فعكفت على قراءة أعدادها بكل شغف ورغبة فنالت كل إعجابى وتقديرى فرأيت أن اكتب لكم معبراً عن ذلك الاعجاب والتقدير ولعلها أى هذه السطور النابعة من القلب - على قلتها - تحسن التعبير عن ذلك.. وكدليل متواضع على التقدير والاعجاب البالغَينْ فانه ليسعدنى أن أتشرف باهدائكم ما يتوفر لدى من دواوين شعرى.. فتصلكم فى صحبة هذه الرسالة وبمظروف خاص ديوانان لى هما والمتنبى بعد ألف عام - أنت أحلى راجيا أن تكون هذه الهدية المتواضعة لبنة فى بناء صرح علاقتنا الأدبية فآمل ان تتكرموا بإشعارى عن وصول الديوانين المذكورين.

وكم يسعدنى لو تتكرمون - اذا كانت هنالك امكانية بتزويدى بمجلتكم الرائعة لننهل على الدوام من «منهلكم» العذب.

محمد جواد الغبان

العراق - بغداد

المنهل: -

نقدر لجامعة الملك عبد العزيز بجدة هذا التواصل الذى من شأنه تصدير ادبنا.. ونشكر القارىء الاديب على هذه الاحاسيس ونبعث له ما توفر من اعداد المجلة وتسعدنا مشاركتكم العلمية فيها.

الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى

رئيس تحرير مجلة المنهل

تحية طيبة وبعد..

لأول مرة أكتب اليكم بعدما تصفحت عددا من أعداد مجلتكم الغراء فوجدتها مجلة عظيمة تحتوى على كَمٍّ هائل من الثقافة والمعرفة ووفرة الموضوعات المختلفة من علمية وادبية وغيرها. وانتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن اعجابى الشديد بهذه المجلة.. كما اسجل هنا كبير احترامى لكم بعد ان لاحظت ان اراء قرائكم ومراسليكم لها هذه الاهمية لديكم وهنا اكتشف سر عظمة مجلتكم.

وبعد..

فأفيدكم باننى أكتب فى المجالات التالية: المقالات الادبية - القصة - البحوث الثقافية والعلمية - اللغة... وغيرها واتطلع الى نشر إنتاجى فى مجلتكم - ولهذا فإننى أبعث إليكم مستفسرا عن شروط النشر لديكم والقوانين واللوائح التى يجب مراعاتها عند الكتابة وراجيا منكم موافاتى ببعض الاعداد القديمة من المجلة لاننى لا املك سوى القليل من هذا الكنز الأدبى.

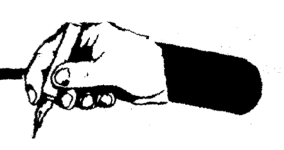
شاكرا ومقدرا..

صلاح خليفة على

البحرين

المنهل: -

شكرا لكم على المتابعة.. ونرجو أن يصلنا بعض انتاجكم الفكرى والعلمى.. وقد ارسلنا لكم بعضا من اعداد المجلة..



الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصارى
صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل الغراء
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

أسمى معانى الود والاخاء مشوبة بأزكى التمنيات وأطيب التحيات أزفها اليكم من ربوع المغرب النائى عن بلدكم الطاهر المعطاء، وذلك لجهدكم المشكور وسعيكم المأجور . . ودوركم النبيل الذى تبذلونه مخلصين فى سبيل توعية الشباب العربى خاصة والعالم الاسلامى قاطبة بتوعية وتعميق جوانب فكره وتنقية اذواقه من ادران الاعلام الملحد المنحرف .

لقد جاءت مجلة المنهل جامعة لكل الوان الثقافة والفكر والادب . . فهى تزداد شمولا وروعة فى كل عدد جديد . . لهذا احيى جهدكم من اجل اصدار هذه المجلة بهذا الشكل والمضمون العميقين والجميلين فى نفس الوقت .

رئيس التحرير . . اطلب من كريم شخصكم أن تبعثوا لى بهذه الاعداد التى تنقصنى ولو بعضا منها اذا كان بالامكان ولكم منى عميق شكرى وتقديرى .

واخيرا ارجو الله ان يكلل جهودكم الطيبة بالفلاح والنجاح والتوفيق حتى تؤدوا الدور المنوط بمجلتكم بما فيه خير العرب والمسلمين .

أزغيبات عبد المغنى

المغرب

المنهل :-

أرسلنا لكم الاعداد المطلوبة (ثمانية اعداد) مع امنياتنا لكم بالتوفيق .

الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى
رئيس تحرير مجلة المنهل

من اليمن الى ارض الحرمين الشريفين العربية السعودية احرر لكم واتمنى ان تصلكم وانت فى اتم الصحة .

نعم لقد اعجبت بالمنهل حين شاهدتها فى احد المكتبات العلمية بزبيد واعجبت بمحتواها وحاولت أن اتتبع اعدادها لكنى وجدت انها لا تباع فى مكتبات لواء الحديدة و ما العدد الذى قرأته من المنهل الا قديم من عام ١٩٨٣م وبرغم انه قديم لكنه حديث بمحتواه . وعاودت الذهاب للمكتبة مرة أخرى واخذت عنوان المنهل وبادرت بالتحرير لكم على عنوان المجلة المدون بها . . أبدى اعجابى ودعائى لها بالدوام والتطور والازدهار فى خدمة الثقافة فى عموم انحاء المعموره . .

ومن محبتى للمجلة احرر لكم هذه الرسالة ارجو تكرمكم باعطائى اى اعداد قديمة من المجلة للقراءة وايداعها للمكتبة بعد قراءتها مع قسيمة اشتراك مخفض حتى استطيع تسديد ذلك . . اكون شاكرا لكم تجاوبكم معى فى ارسال ذلك . . فجزاكم الله خير الجزاء

محمد ادم المرزوقى

اليمن الشمالى

المنهل :-

نقدر متابعتكم واخلاصكم . . وارسلنا لكم بعضاً من الاعداد . . ويسرنا الاشارة الى أن المنهل يباع الآن فى مكتبات اليمن السعيد .

الأخ الودود نبيه الانصارى

فإن الزخم الثقافى والحضور الفكرى والتميز الأخلاقى الذى تنطوى عليه مجلتكم يجعل مجرد التفكير فى الكتابة إليكم والاستمرار فى مراسلتكم مسؤولية أدبية حضارية ترتعد لها الفرائص وتنقد منها المفاصل.

فالمجد الأدبى.. والألق المعرفى الذى ترفل به عروس المجالس وأحلى الاوانس «المنهل» يحتم على من يتصل بهذا الرافد العظيم والينبوع الحى أن يتريث طويلا ويتروى مليا.

ولعل هذا السبب الذى وضعنى على الجسر القائم بين الاحجام والاقدام قبل ارسال أى نتاج الى مجلتنا الغالية.. وإننى إذ أغامر من جديد بزورق مهلهل الشراع فى اوقيانوس الأدب الخالد والمعرفة اللؤلؤية ليعذرنى فى ذلك طموح الشباب وشهوة الخلود المعرفى.. والرغبة الجامحة فى الاتصال بالروافد الانسانية.

ويسرنى بهذه المناسبة أن أهديكم باقة من ورود الشكر لاهتمامكم بما نرسله الى مجلتكم واخراجه بطريقة تضفى عليه رونقا وتكسبه مسحة من جمال ما كانت لتكون لو تناولتها يد مجلة تجارية او صحيفة دعائية فلله الحمد على ما هدانا إليه.

جهاد جميل محمد الجيوسى

عمان ـ الاردن

المنهل:-

لكم منا التقدير على ما أبديتموه من مشاعر طيبة كريمة.. والمنهل أخذ على نفسه دائما نشر ما يفيد منه القارىء علما وثقافة ونرجو تواصلكم.

الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى

تحية طيبة..

إننى انتهز هذه الفرصة لأشكركم على حمل المشعل الذى سار عليه والدكم المفدى طوال سنين عديدة على درب الكلمة الصادقة والعزة التى أتت اكلها لما تحتويه من طاقات مجدية قصد تيسير اللغة متنا وتركيبا ودفع عجلة الثقافة والأدب فى جل المستويات.

لكم منى أسمى التحيات وأطيبها وتمنياتى لكم بدوام العمر والريادة الادبية والعلمية وسط هذا الجمع من المجلات.

أخى الاستاذ نبيه.. اننى اكتب إليك هذه الرسالة باحتشام كبير وبعد تردد طويل ولكن بعون الله سرعان ما تغلبت على تلك الهواجس وقررت أن اخط هذه السطور عسى ان تجد منك مراعاة وسعة صدر.

اخى.. اننى طالب جامعى بكلية الشريعة وأصول الدين بالجامعة التونسية شغوف الى حد كبير بقراءة مجلتى المنهل نظرا لما تطرحه من مواضيع جد قيمة وهامة فى حياة الفكر العربى ولتكن لارتفاع سعر بيع المجلة فى السوق التونسية فكرت فى اشتراك سنوى لأضمن اقتناءها بانتظام فى بداية كل شهر عربى لكن والحق يقال لا أقدر على دفع مبلغ الاشتراك السنوى كاملا نظرا لحالتى المادية السيئة ولارتفاع تكاليف الدراسة هنا.

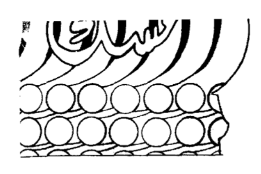
لذا أرجو من حضرتكم مساعدتى على تصفح هذه المجلة مستقبلا وكان الله فى عونكم.

حسن بن غزيل

تونس

المنهل:-

ارسلنا لكم بعض الاعداد المتوفرة واهلا بك صديقا.





١ ـ كل جديد يصبح قديما فى الغد، فنهر الحياة الجارى تعتريه التغيرات كل لحظة كالنهر الحقيقى نفسه.
٢ ـ الحداثة اسم معنى حسى لا جسما ولا مادة وانما قد تقول انها فكرة أو واقع معنوى يعتريه التغير على الدوام.

واذا رجعنا الى الكلمة فى مادة حدث نجد:
أ ـ الحديث الخبر وجمعه أحاديث على غير القياس.. قال الفراء: نرى ان واحد الأحاديث أحدوثة بضم أولها.
ب ـ الحدث بفتحتين والحدوث والحادثة والحدثان بفتحتين كلها بمعنى استحدث خبرا جديدا.

إذاً الحدث هو ما استجد من الأمر.. والحداثة هى حداثة الأمر: أوله وابتداؤه.
قال الطرماح:
ظعائن يستحدثن فى كل موقف رهينا
وما يحسن فك الرهائن

واستحدث الأمير مدينة أو قناة أى اختط بلدة وبناها وحفر قناة جديدة وأجرى فيها الماء فقد جعل الشاعر تلك الظعائن يستحدثن أى يأسرن فى كل موقف رهينا يرتمى فى غرامهن ويصبح أسير صبابتهن ومع ذلك لا يحسنَّ فك أسرهن.

ومن طبيعة الحياة أنها فى تغير وتبدل دائما.

والحداثة أرى أنها ما يحدث فى طبيعة الادب الحاضر من التغير والاضطراد فى المفاهيم والمعانى بحكم ما يقتضيه التطور فى العصر.

وهذا واقع ومطلوب تقتضيه سُنة التطور فى الحياة شريطة ان يكون بناءاً يشاد على أساس القواعد العربية والاسلوب الفصيح ليرتفع البناء شامخا فيها يناسب الطبيعة العربية ويتواءم مع ما يتطلبه العصر الحديث من القيم والذوق الحديث الحضارى.

لقد كان الادب فى الجاهلية على السليقة يتلاءم مع روح الرجولة والطبيعة العربية البدوية الجادة فجاء الاسلا بنوره الوضيء وهَدْيه القويم فأصبح الأدب ادبا اسلاميا.

وعندما بدأت الفتوح الاسلامية وخرج ابن الصحرا حاملا راية الهداية شاهد حضارة ومدنية فلم تبهره لأ محصن بمناعة الاسلام وانما استحسن الأحسن من تلك الحضارة وعايشه فكرا ومعايشة لا سلوكا أو أخلاقا

ومع قصر المدة بالنسبة لهم فان ما اختزنته الذاكرة من ذلك العهد أفرزته فى أدب العصر العباسى ورد فى شعر الشعراء العباسيين وقد تجسدت هذه الحضارية فى القطعة الفنية لاحد شعراء العصر ال وكان مما يستحسنه صاحب الذوق الرفيع والمكانة والمنزلة العالية فى الانشاء والترسل الوزير بن العمي



وقـامـت على ستر من الـبـاب دونـنـا
تحيف وقـد قامـت عليهـا الـولائـد
لتسمـع شعـرى وهـو يقـرع قلبهـا
بوحـى تؤديـه الـيـهـا الـقـصـائـد
اذا سمعت منى نفيسـا تنفسـت
له نفسـا تنقـد منهـا الـقـلائـد

انه شعر غنى عن كل اطراء يقطر رقة ويذوب ظرفا
ة . شعر يمثل الحضارة الفارهة والترف الفنى الرفيع
باة المدنية الراقية بوصفه لتلك الفتاة الغناء .
فا ـذ الشاعر الحبيب ينشدها شعرا يذيب الصم
لا ـ ويستنزل العصم من قنن الجبال . . من النسق
و فى الفاظ هى الدرر الغوالى يقرع قلبها رنين انغامه
ـ واصداء ترانيمه العجاب يتنزل على قلبها الوهان
ـ طل على الزهر فى قواف مجنحة واشعار من رحيق
ريان الهامه مترنحة فاذا ازداد غرامه وشبت حرارة
ـ لفظة مشعة أو مقطع مضىء تنهدت تنهدا ينفرط

له فرائد لألاء عقدها الدرى وتشرق له اسارير محياها البدرى .

فاذا نحن مع ذوق حضارى وشعر راق ومجلس تتجلى فيه الحضارة والفن والذوق والترف .

وعلى كل لا نحب الاطالة فالبدوى الذى كان يصف الناقة والجمل والطرديات التى تصف مطاردة حمار وحشى أصبحت فى الأدب العباسى فى وصف قصر الكامل للمتوكل والبرك العظيمة فى شعر ابن حمديس والاسود الصناعية التى تكتنف تلك البركة أو الصيد فى خروج مواكب نزه الخلفاء للصيد بالبيادق والطيور الجارحة وعلى صهوات الجياد المطهمة .

ومع ذلك الشعر الشيق والبيان المونق والادب الرفيع نجد روح المحافظة على الاصالة العربية .

هذا ما أراه تتطلبـه الحداثـه من طلب التجديد فى الاسلوب والمعنى ومسايرة الجديد شريطة ان يكون الادب عربيا أصيلا فى روحه وطبيعته .

وهذه هى نظرتى الى الحداثة ماضياً وحاضراً هو السير بجد نحو المستقبل مع المحافظة على العادات والتقاليد أسلاميا وعربيا فمن يتخلى عن ماضيه يضيع مستقبله وان نسير فى التجديد على ما يتطلبه عصرنا المتطور المتقدم حضارة ورقيا وانما بالروح الاسلامية والطبيعة العربية .

ومع كل ذلك فاننا محافظون على روحنا الاسلامية وطبيعتنا العربية لم نتغير مع الزمان ولم نتنكر للماضى وهذا بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى سر ما تعيشه المملكة العربية السعودية وكما قال الشاعر عن المملكة :

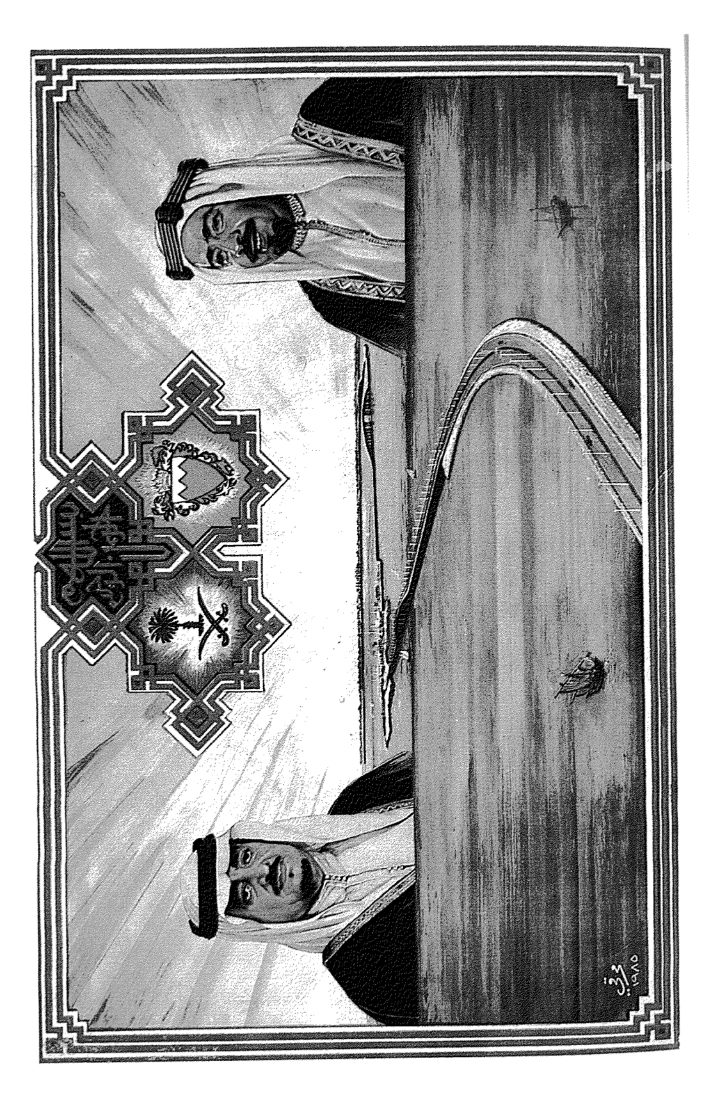
تسـنـمـت فى رقى الـعـصـر صاعـدة
تخطـو رويـدا فلا ريـثـاً ولا عجـلا



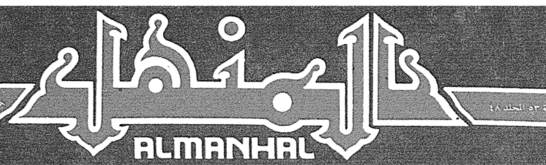
ترقبوا مجلدات المنهل الفاخرة

تعتزم مجلتكم إصدار أعدادها خلال خمسين عامًا في مجلدات أنيقة فاخ
وذلك استجابة لرغبة الكثيرين من محبي المنهل وتأصيلا لمسيرت
في العطاء الفكري والأدبي وحتى تكون هذه المسيرة حاض
وماثلة بين ايدى الباحثين والمؤرخين ومحبي الأدب وطل
وسوف يبدأ المشروع على دفعات لذا تهيب الادارة بالراغب
في شراء المجموعة الكاملة ارسال طلباتهم على العنوان التال

جدة الشرفية - ٢ شارع رأس تنورة (عرفات سابقًا)
ص ب : ٢٩٢٥ الرمز البريدي : ٢١٤٦١
تليفون : ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٤٧٧٩٤ - ٦٤٣٢١٢٤



السنة ٥٣ المجلد ٤٨



جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ - فبراير ١٩٨٧م

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

على طريق الخير: سائرون



ليس من ريب فى أن ابتعاد العرب والمسلمين عن دينهم : سر قوتهم ومنعتهم هو الـذى ادى بهم الى الاختـلاف الـذى هيأ لأعدائهم فرصة التسلل الى صفوفهم وافساد ذات بينهم ومن ثم الضرب بمعاول المذاهب المستوردةالهدامة لكياناتهم . والفتّ فى عضدهم وتوجيههم الى نواح جانبية تزيد شقة بلبلتهم وتفرقهم اتساعا .

واذا عرف مكمن الـداء العضـال الخطـير سهل علاجه، وسهل دواؤه . . والعلاج الفعال والدواء الناجع يتمثل فى العودة الى حِمَى الدين الحنيف، والنائى قلبا وقالبا عن مستورد المذاهب التى مهمتها الوحيدة أن تبلبل الاذهان وتفرق شمل الاخوان، وتفقر غنى الاوطان وتنشر البؤس فى كل مكان وتسلب ذوى العقول عقولهم . . ومتى هدى الله العالم العربى والاسلامى الى ادراك كنه هذه الحقيقة وعادوا الى حظيرة دينهم فسرعان ما تعود المياه الى مجاريها وسرعان ما يلتئم شملهم الممزق وتتحد صفوفهم المتنائية فيعودون أخوة متصافين كالجسد اذا تألم منه عضو أصيب سائره بالحمى والسهر وبالألم . . وبالعودة الى حظيرة الدين يسهل عليهم اقتلاع جذور الصهيونية المتفاعلة تفاعلا كيماويا عميقا مع الاستعمار .

والله تعالى أخبرنا فى محكم كتابه بأنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .



جمادى الاولى ١٣٨٩هـ



عَام جَديد .. وموسم جَديد للتوقعات مَاهى أهم أحداث العام الفائت ؟

البعض يقول انفجار تشيرنوبل وما أثاره من تلوث ذرى

والبعض يقول إستمرار الإحتلال السوفيتى لأفغانستان

والبعض يقول فضيحة "إيران جيت" التى أظهرت مَدى ضعف أمريكا وَعَدم مصداقيتها أمام العالم .

والبعض يقول محاولة قتل منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت ولكننى أقول إن أهم أحداث العام الماضى هو التحضير الجيد للقمة الإسلامية فى الكويت فلعلها الفرصة الأخيرة للمصالحة العربية والفرصة الأخيرة للصحوة الإسلامية .

المنهل

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

المملكة العربية السعودية - جدة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ ١٩٣٧م

عبد القدوس الانصاري

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الانصاري

مدير الادارة والتحرير
زهير نبيه الأنصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الأنصاري

مراسلونا فى الخارج

- القاهرة: د. احمد الحفناوى
- عمان: روكس بن زائد العزيزى
- الرباط: عبد الرحيم عبد السلام
- تونس: د. نور الدين صمود
- انقرة: د. انور طاهر رضا
- الجزائر: د. بكرى عبد الكريم

- التحرير
السمانى كمال الدين
محمد سيد على الدين
نادر صلاح الدين
- الجمع التصويرى
عبد الفتاح السيد سليمان
- الارشيف
الامين الصديق
- العلاقات العامة
مصطفى محمد مصطفى

المخرج الفني
فريد ابو سعده

معلومات ادارية

المركز الرئيسى
جدة - الشرفية
ص.ب: ٢٩٢٥
رمز بريدى: ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
ت: ٦٤٢٧٨٣١
ت: ٦٤٤٧٧٩٤
ت: ٦٤٣٩٧٦٥
ت: ٦٤٣٢١٢٤
مكتب الرياض
السليمانية
ص.ب: ٢٩٠
ت: ٤٥٤٢٤٣٢

الاشتراكات
- قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٠٠ ريال
- قيمة الاشتراك للافراد ١٥٠ ريال

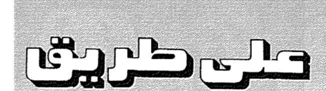
الاعلانات
تخاطب بشأنها الادارة
ت: ٦٤٣٢١٢٤

سعر النسخة
- السعودية: ٨ ريال
- البحرين: ٨٠٠ فلس
- قطر: ٨ ريال
- الامارات: ٨ دراهم
- اليمن: ٦ ريال
- الاردن: ٥٠٠ فلس
- مصر: ٥٠ قرشا
- السودان: ١٥٠ قرشا
- تونس: ٦٠٠ مليم
- المغرب: ٦ دراهم

جمادى الثانية ١٤٠٧هـ - فبراير ١٩٨٧م


من كتاب هذا العدد
عبد الله الدارى
د. كارم غنيم
د. حسين نصار
محمد عبد الواحد حجازى
مجلاتنا الداخلية





بالامس القريب وبالتحديد فى ٣٠ ربيع الآخر ١٤٠٧هـ الموافق (١٠ الجدى ١٣٦٥هـ.ش) أعلنت الميزانية العامة للدولة ١٤٠٧-١٤٠٨هـ وبلغت ايرادات الدولة ١١٧,٢٨٠,٠٠٠,٠٠٠ الف مليون ريال، بينما اعتمدت مصروفات الدولة للسنة نفسها مبلغ ١٧٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ الف مليون ريال على ان يُمول الفرق بين الايرادات والمصروفات ومقداره «اثنان وخمسون الف وسبعمائة وعشرون مليون ريال» من الاحتياطى العام للدولة. . واستبشر المواطنون خيرا بصدور الميزانية بعد فترة من الترقب. . ولقد جاءت الميزانية جيدة رغم الأزمة النفطية التى يعيشها العالم عامة والدول المنتجة خاصة. . (وبالطبع تُعَدّ المملكة فى أوائل الدول المصدرة لمادة النفط الخام). . رغم هذه العوامل الصعبة أعلنت الميزانية فى حجم جيد تغطى مصاريف هذه البلاد الحبيبة وتساعد فى اكمال خططها التنموية. .

ورغم ان المواطن قد يلاحظ نقصا فى الميزانية عن سابقاتها الا ان هذا النقص لا يعنى شيئا اذا عدنا للوراء قليلا واستدركنا ان كبر حجم الميزانيات السابقة يعود لأن المملكة كانت فى مرحلة بناء القاعدة الاساسية التى تعتمد عليها فى باقى مشاريع التنمية والنهضة الكبرى التى نعيشها الآن وننعم بظلالها. .

وبما ان الدولة السنية قد اكملت بناء هذه القاعد الأساسية من مشاريع التنمية فانه ليس بمستغرب ا الميزانية الحالية لا تشتمل على أرقام ضخم كسابقاتها وعلى مخصصات تزيد عن الحاج المطلوبة. وهذا المبلغ الذى اعتمدته الميزانية للانفا (مائة وسبعون الف مليون ريال). . يعتبر مبلغا جي اذا ما قيس بالظروف العالمية الاقتصادية التى يمر العالم وبانخفاظ عائدات النفط بالمملكة والذى وص معدل ٨٠٪ منذ عام ١٤٠١هـ والى ١٤٠٧هـ.

ولقد كانت كلمة خادم الحرمين الشريفين عندما قا فى جلسة مجلس الوزراء ظهر يوم الاثن ٢٨/٤/١٤٠٧هـ والتى ترأسها حفظه الله والت سبقت اعلان صدور الميزانية **(واستطيع ان اقول ا حكومتكم حاولت ولله الحمد ان تكون فى هذ الظروف الصعبة عند حسن ظن المواطن فى جمي الامور والا تحمِّل نفسها اية قروض سواء أكان خارجية أم داخلية).**

واضاف خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ

«ولهذا نأمل ان يتقبل المواطن السعودى هذه الميز بما فيها من بعض النقص عن ميزانية الاعوام الماضية

الخير سائرون

غير اننا لا يمكننا أن ننسى ان الدولة قامت فى الاعوام الماضية بالمشروعات الرئيسية فى جميع القطاعات . . وهذا لا يعنى اننا نستطيع ان نقول ان الدولة اكملت جميع ما تريد من مشروعات انشائية او ما يحتاجه المواطن من الطرق أو الكهرباء أو المياه أو المرافق الاخرى واهمها التعليم والصحة وغير ذلك بل ان الدولة تسعى دائما بقدر ما تستطيع من مجهود لاسعاد المواطن . . واحب كذلك أن أشير الى ان الفوائد التى يستفيدها المواطن من الاعانات التى تدفعها الدولة بمبالغ طائلة للمواد الغذائية والطبية والاعلاف أقول هذه الاعانات لم يحدث فيها بحمد الله تغيير وكذلك الامر بالنسبة للبترول ومشتقاته» .

لقد كانت هذه الكلمات المعبرة البلسم الشافى للمواطن لسعودى فى كل مكان . . كيف لا . . وهذا خادم الحرمين لشريفين يعلن انه لا مساس بمصالح المواطن السعودى ان صناديق الدعم العقارية والزراعية والصناعية وغيرها اقية فى اداء دورها المنوط بها من اجل اسعاد ورفاهية لمواطن . . ثم ان الدعم الذى تقدمه الدولة للمواد لغذائية باق دون مساس . وايضا يضيف حفظه الله ان لوية ستعطى لمشاريع الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة بنة المنورة وذلك تأكيداً على ان هذه البلاد وقد تحملت الأمانة . . (وأعنى هنا أمانة المحافظة على الأماكن المقدسة) لحريصة كل الحرص على الاهتمام بها واعتماد المبالغ الضخمة من أجل اتمام مشاريعها لما فيه خير المواطن السعودى المؤمن بربه وبعقيدته الاسلامية السمحاء وايضا لراحة الوافد والحاج من اجل اداء المناسك والعبادات . . هذا كله يؤكد ان حكومة خادم الحرمين الشريفين ساعية بكل ما اتاها الله من قوة ودعم من اجل إسعاد المواطن السعودى وبنائه . . نعم ان اهم ما يضمن لهذا المواطن التقدم والرفاهية هو جهد الرجال السعوديين والعمل على صناعة العقول والافكار التى هى ثروة المملكة الحقيقية وعدتها فى نموها الزاهر ان شاء الله وان السواعد الأبية والأيدى الماهرة الذكية والنفوس الطاهرة المتطلعة الى بناء الغد المشرق اللامع فى جبين الدهر لهى عدة الوطن . . وان على المواطن ان يقوم بدوره الكامل فى المساهمة فى مسيرة البناء والعمل على استغلال الفرصة التى هيأتها له حكومته من اجل تحصيل العلم بشتى فروعه ليكمل معادلة ازدهار البلاد . . (عقيدة + علم + ارادة) تعطى وطنا كريما مزدهرا بناء ان شاء الله عز وجل وكلنا على الدرب سائرون .

زهير الأنصاري



ذكـــرى

يتـواءم مع صدور هذا العـدد . . الـذكـرى الرابعة لرحيل المغفور له الاستاذ عبد القدوس الأنصارى مؤسس المجلة . . رحمه الله . . والمنهل إذ تواصل رسالتها ـ بعون الله . لتؤكـد مسيرتهـا متلمسة خطى المغفور له فى سبل الثقافة والمعرفة . . الملتزمة أبداً بمنهاج ديننا الحنيف ومثلنا وتقـاليدنا الحميدة والعاملة على تنمية الثقافة والعلوم فى منهـاج يسـايـر مستجدات التطور فى مجالاته المتعددة . . حاملة شعارها الدائم . . (إلى الامام على الدوام)

جائزة الملك فيصل العالمية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

ابوبكر جومى من نيجيريا
الفائز بجائزة خدمة الاسلام



د . بارى رسل جونز البريطانى
الفائز بجائزة الطب

د . ميخائيل عطية البريـ
الفائز بجائزة العلوم

اعلنت الامـانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية نتائج اعمال لجان الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية فى دورتها العـاشـرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م بفروعها الخمسة «خدمة الاسـلام» الدراسات الاسلامية . . الادب العربى . . الطب . . العلوم» . . وقـد اجمعت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام على اختيار فضيلة الشيخ ابى بكر محمود جومى من نيجيريا فائزا بجائزة الملك فيصـل العـالميـة لخدمـة الاسـلام لعام ١٤٠٧هـ وذلك للجهـود الكـبرى التى بذلها فى العمل الاسلامى داخل بلاده وخـارجهـا فى مجالات الـدعـوة والتدريس والتربية والقضاء والافتاء.

وفى الطب اجمعت لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية على منح الجائزة هذا العام فى موضوع «الوقاية من العمى» للاستـاذ الـدكتـور بارى رسـل جونز البريطانى الجنسيـة وهو استاذ ورئيس للمركز العالمى لصحة العين التابع لمعهد طب العيون بجامعة لندن كما انه رئيس لمركز الوقاية من العمى والتراخوما المتعاون مع منظمة الصحـ العـالمية . . ورأت اللجنة ان يكون موضوع جائزة الملك فيصل العالمية فى الطب للعام القادم ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م «سرطان الدم» .

وفى العلوم رأت لجنـة الاختيـار لجائزة الملك فيصـل العـالميـة منـح الجائزة هذا العام فى موضوع الرياضيـات للاستاذ الدكتور ميخائيل عطية البريطانى الجنسية .

وأوصت اللجنة بان تكون جائزة الملك فيصل العـالمية للعلوم العام القادم فى مجال علم الحياة «البيلوجيا» . . كما اجمعت لجـنـة الاختيـار لجائـزة الملك فيصـل العـالميـة فى

الشعراوى فى مجمع اللغة العربية

اختير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة يوم الاثنين ٢٩ ديسمبر ١٩٨٦م فى المكان الذى خلا بوفاة الأستاذ محمد عبد الغنى حسن. . كما فاز بالعضوية أيضاً الدكتور أبو شادى الروبى مكان المرحوم الشيخ حسن هريدى المفتى السابق. . والدكتور امين على السيد العميد السابق لكلية دار العلوم ـ فى المكان الذى خلا باستقالة الأستاذ توفيق الحكيم.

هذا . . وقد بلغ عدد المرشحين ١٨ مرشحاً للعضوية. . وكان هذا ضمن الانتخابات التى أجريت لشغل بعض الكراسى الخالية.

الدراسات الاسلامية على حجب جائزة الدراسات الاسلامية هذا العام لان الدراسات المرشحة فى موضوع العلاقات الدولية فى الاسلام بين المبادىء والتطبيق لا ترقى الى مستوى الجائزة واختارت اللجنة ان يكون موضوع جائزة الدراسات الاسلامية فى العام القادم: «الدراسات التى تتناول التربية الاسلامية.

واستقر رأى لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية فى الادب العربى على حجب الجائزة هذا العام لان اكثر ما قدم من دراسات فى موضوعها وهو الدراسات التى تناولت فنون النثر الادبى الحديث لا يرقى الى المستوى المنشود ولأن خير ما قدم لم يكن وثيق الصلة بهذا الموضوع.

وقررت اللجنة ان يكون موضوع الجائزة لسنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م: «دراسة الادب العربى فى الاندلس».

هذا. . وقد اكد صاحب السمو الملكى الامير خالد الفيصل رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية ان فروع الجائزة الخمسة تفى حاليا بالغرض المطلوب مشيرا الى انه سوف تتخذ الخطوات اللازمة اذا وجد مستقبلا ان اى جائزة من هذه الجوائز يمكن لها ان تتفرع لجوائز اخرى.

٢٨ مليون دولار من المملكة لخمس جامعات اسلامية فى العالم

فى نطاق الاهتمام الكبير المتواصل الذى يوليه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للدراسات الاسلامية والعربية والمؤسسات والجامعات الاسلامية. . قدمت المملكة العربية السعودية خلال الفترة الاخيرة اكثر من (٢٨ مليون دولار) دعماً لخمس جامعات اسلامية فى العالم منها: الجامعة الاسلامية فى ماليزيا ـ الجامعة الاسلامية فى النيجر المنبثقة من منظمة المؤتمر الاسلامى ـ الجامعة الاسلامية فى أوغندا ـ الجامعة الاسلامية فى الباكستان ـ الكلية الامريكية فى شيكاغو. . كما تحملت تمويل كثير من المنح الدراسية لأبناء الدول الاسلامية واوفدت المعلمين لتعليمهم وتدريبهم فى بلادهم.

نشر لغة القرآن فى القارة الافريقية

صرح صاحب الفضيلة «مصطفى العلوى» رئيس المجلس التأسيسى لرابطة علماء الاسلام فى المغرب والسنغال بأن اعضاء الرابطة دعوا الى خطة محددة لزيادة المدارس العربية والقرآنية فى الدول الافريقية والاهتمام بنشر اللغة العربية بين المسلمين الافارقة واضاف فضيلته ان المجلس طالب بادخال التعليم الاسلامى ضمن برامج التربية والتعليم فى جميع المراحل التعليمية ومقاومة التيارات الملحدة والهدامة فى الدول الافريقية عامة والاسلامية منها خاصة.

نزلاء تحت الماء

إذا كان البعض قد استهواه الفضاء الخارجى وحجز لرحلة فضائية «فوق نطاق الجاذبية» فإنه بأمكانك أن تحجز لرحلة فى عمق المحيط تصاحب فيها (القرش والاخطبوط).. على بعد إبحار يبلغ (٤٠ دقيقة) من مدينة ميامى الامريكية عاصمة ولاية فلوريدا وعلى عمق (٣٠) قدماً تحت سطح مياه المحيط افتتح اول فندق فى اعماق المحيط.. ويبلغ طول هذا الفندق المائى ٥٠ قدماً.. غرف هذا الفندق مجهزة بنوافذ تتيح التفرج على حياة المحيط.. ومجهز بعدة اجهزة الكترونية.



مؤتمر التعريب السادس

فى خريف هذا العام ١٩٨٧م سيعقد باذن الله سبحانه مؤتمر التعريب السادس الذى تنظمه «المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم».. وتمهيداً واعداداً لهذا المؤتمر المرتقب فقد تم عقد عدد من الندوات العلمية حضرها عدد من خيرة الخبراء العرب من أجل تنقيح مشاريع معاجم ذات صبغة ثقافية.. وقد قام مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية بدراسة مشاريع معاجم (الاقتصاد - الرياضيات - القانون - الجغرافيا - الآثار - الاعلام - الموسيقى) ومن المؤمل أن يعمل مكتب تنسيق التعريب على تعريب مصطلحات (الطاقة المتجددة والبيئة وعلوم البحار والزلازل..)

العثور على هيكل انسان عمره ٣٠ ألف سنة

عثر فريق علمى مصرى امريكى بولندى على اول هيكل عظمى كامل متحجر لانسان مصرى عاش فى صحراء مصر الغربية قبل ثلاثين الف سنة.

وقال الدكتور احمد قدرى رئيس هيئة الآثار المصرية بان هذا الكشف هو أهم كشف علمى حتى الآن على طريقة عصور ما قبل التاريخ المصرى المكتوب.

كما اوضح الدكتور محمد البهى عيسوى الخبير الجيولجى المصرى واحد العلماء الثلاثة الذين عثروا على الهيكل العظمى الكامل انه لانسان مصرى عاش فى منطقة وادى الكوبانية غرب نهر النيل فى كوم امبو بصعيد مصر وعلى بعد ثلاثين كيلومترا شمال أسوان.

اكثر من ألفى مؤلف ودراسة أعدها اعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود

بلغت جملة المؤلفات والدراسات العلمية التى اعدها اعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك سعود بالرياض خلال الخمس سنوات الفان و٣٩٦ مؤلفا.. الفان و٣٢٠ دراسة علمية.. و٧٦ كتابا نشر عدد منها فى مجلات عالمية وذلك من عام ١٤٠١هـ حتى عام ١٤٠٥هـ.

ساهم فى تأليف هذه الكتب والدراسات الكليات التابعة لجامعة الملك سعود ومنها كلية الاداب وساهمت بـ٢٢١ دراسة علمية و١٦ كتابا وكلية التربية التى ساهمت بـ١٩١ دراسة و١٩ كتابا وكلية الزراعة اعدت ٣٢٤ دراسة وثلاث كتب.

اجتماع اتحاد المؤرخين العرب بابو ظبى

اجتمع الشيخ حمدان بن محمد نائب رئيس مجلس الوزراء بدولة الامارات العربية المتحدة صباح امس بأعضاء الجمعية العامة لاتحاد المؤرخين العرب التى عقدت اجتماعها السنوى فى (أبو ظبى).

وتم خلال الاجتماع استعراض انشطة الاتحاد الذى يضم ٢٢ جمعية تاريخية عربية ودورة فى تسجيل قضايا التاريخ العربى والمشاكل التى تواجههم.

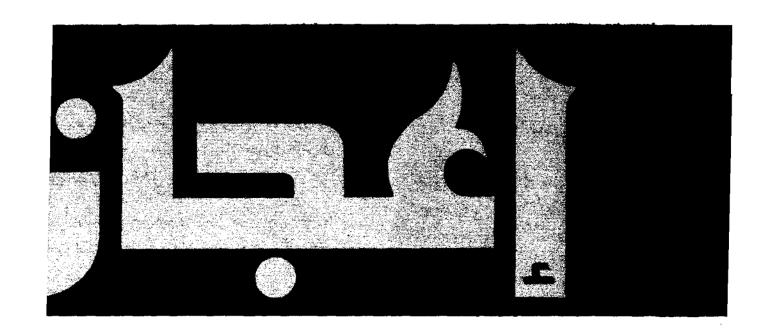
وابدى الشيخ حمدان استعداد دولة الامارات العربية المتحدة فى تقديم كافة المخططات والوثائق التى يضمها مركز الوثائق والدراسات بأبو ظبى الى اتحاد المؤرخين العرب للمساعدة فى احياء التاريخ العربى والاسلامى بصورته الصحيحة خدمة للاجيال القادمة.



بموافقة خادم الحرمين الشريفين اقامة «معرض الرياض الدولى السادس للكتاب»

صدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على اقامة «معرض الرياض الدولى السادس للكتاب» والذى تقيمه جامعة الملك سعود بالرياض وصدرت باقامة المعرض فى رحاب الجامعة. كما تقرر ان يكون موعد المعرض فى اواخر شهر رجب (مارس) القادم.

ومن المعروف ان الجامعة كانت تقيم المعرض سنويا ولكنه توقف منذ ثلاث سنوات وتأتى اقامة هذا المعرض الذى يعتبر من اكبر معارض الكتاب بالمنطقة ضمن الدور الكبير الذى تلعبه الجامعة فى المشاركات الثقافية والاجتماعية كمنبر علمى ثقافى واجتماعى وسيشارك فى المعرض عدد كبير من دور النشر السعودية والعربية والاجنبية.



القرآن الكريم معجزة رسول الله محمد «ﷺ» التى تحدى بها العالمين . . وهو آيات الله البينات وكتابه العظيم الذى لم تظفر أمة من الأمم بكتاب دينى مثله ، ودنيوى من حيث البلاغة والتأثير فى النفوس والقلوب ومن حيث الرسالة التى حملها والأغراض التى دعا اليها سواء فى مجال العقيدة حين يتحدث عن عبادة الله الواحد الأحد ويعرض دلائل وحدانيته واستحقاقه وحده للعبادة الظاهرة فى خلق السموات والأرض وما خلق فيها من دابة واحاطته بكل شىء قدرة وعلما . . أو حين يعرض دلائل البعث والنشور . . أو يعرض مكارم الأخلاق . ويشرع للناس أحكام حياتهم وما يتضمن لهم أمنهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة .

فوجد العربى الفارق العظيم الشاسع بين أسلوب هذا القرآن وتفوقه فى البلاغة والتأثير . . وبين أسلوب كلام أدباء العرب . كما وجد الفارق العظيم فى الأغراض والمقاصد . . فأين هذاالكلام من أغراض أدباء العرب وشعرائهم فى البكاء على الأطلال والغزل والنسيب والمديح والهجاء والرثاء ووصف الخيل والليل والكر والفر والفخر الى غيرها من أغراض الحياة الجاهلية وقيمها؟! فكان هذا القران بأسلوبه وبيانه معجزة محمد «ﷺ» وبرهان نبوته . . كما كانت معجزته بمعانيه ورسالته لهداية الانسان واصلاح الحياة .

تحدى العرب والعالمين أن يأتوا بسورة من مثله ولم ولن يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

معنى اعجاز القرآن

اعجاز القرآن مركب اضافى معناه لغةً إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به . . فهو من اضافة المصدر لفاعله والمفعول وما تعلق به محذوف للعلم به والتقدير : إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به ليكون فى عجزهم هذا الدليل ، على أن هذا القرآن من عند الله يعجز البشر عن الاتيان بمثله . فينتقل الناس من الشعور بعجزهم عن الاتيان بمثله الى شعورهم وايمانهم بمصدره وأنه تنزيل من الله العليم الخبير الحكيم الحميد وتصديق النبى الذى جاء به ليسعدوا باتباعه فى الدنيا والآخرة(1)

القرآن

حقيقة مهمة

بعض الناس يخلطون بين أمرين:
الأول: الاستدلال باعجاز القرآن على نبوة سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾..
والثاني: الاستدلال بصدق نبوة محمد ﴿ﷺ﴾ وعلى اعجاز القرآن. والذى يجدر معرفته هنا أن القرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة نبوة محمد ﴿ﷺ﴾..
أما صحة النبوة فليست برهانا على اعجاز القرآن(٢) ، واهمال الفصل بينهما يوقع الدارسين فى لبس وتخليط شديد.

ويحسن قبل البحث فى وجوه اعجاز القرآن ان نتحدث عن المعجزة ودلالتها والفرق بينها وبين السحر والكفر.



المعجزة

هى أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الاتيان بمثله.. أو هى أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالى على يد نبيِّه بعد دعوى النبوة شاهدا على صدقه.. أو هى الحد الفاصل بين قدرة المخلوق وقدرة الخالق يجريها على يد نبيِّه لتكون دليله وبرهانه على صدق نبوته وتأييد الله له ، وكأن هذه المعجزة تقول بلسان الحال: صدق هذا النبى فيما قال..

الدليل العقلى على حصول المعجزة

إن الايمان بأن الله خالق الأشياء وسننها وقوانينها يقودنا الى الإيمان بقدرته على تغيير هذه القوانين أو تعطيل هذه السنن فى حالة من الحالات على يد نبى من أنبيائه تأييدا له واظهارا لصدقه.. وأن الله مبدع المخلوقات جميعا وخالق سننها وقوانينها يصدقه فيما يقول فصدقوه واتبعوه لعلكم تفلحون.. ان واضع النظام قادر على تفسيره أو تعطيله.

وان الله خالق الخلق وواضع سننه وقوانينه قادر على تفسيره أو تعطيله لحكمة من الحكم تتصل بهداية الإنسان إلى الله خالق السموات والأرض رب العالمين.

ومع وضوح هذه الحقيقة نزداد إيمانا بمعجزة موسى عليه الصلاة والسلام التى حول الله فيها العصا الخشبية الى حية تسعى وكان أول من آمن به السحرة الذين هم أقدر الناس على التفريق بين السحر والمعجزة.

ونزداد ايمانا بمعجزة عيسى عليه الصلاة والسلام فى ابراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى وخلقه من الطين كهيئة الطير باذن الله.

ونزداد ايمانا بمعجزة ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين جعل الله النار عليه بردا وسلاما وسلب النار خاصيتها فى الإحراق.

ونزداد إيمانا بمعجزات محمد ﴿ﷺ﴾ التى اجراها على يديه فى شق القمر وتكثير الطعام والثمرات.

ولكن معجزة محمد ﴿ﷺ﴾ الكبرى التى وقع بها التحدى كانت القرآن الكريم.

الفرق بين المعجزة والسحر

السحر.. ليس فيه تغيير لسنن الله ولا تعطيل لها. ولا يملك الساحر سلطانا على الكون أو قدرة على تغيير قوانين الله فى كونه أو تعطيلها كتحويل العصا الى حية أو إحياء الموتى أو افقاد النار أو الأشياء خاصيتها.

كل هذا من سلطانه وحده لا يملكه الا خالق الخلق ومبدعه.

أما السحر فهو نوع من التخيل وخداع الأبصار والتأثير النفسى على الحواس ليشعر الانسان بما لا وجود له فى الحقيقة.. وهو يرجع الى «**فنون خبيثة ذات قواعد وأوضاع يعرفها كل من ألمّ بها ويصل الى وسائلها وغاياتها كل من عالجها من بابها**» ومثل هذا لا يسمى معجزة تعجز القدرة البشرية جميعها عن الإتيان بمثلها. ولهذا كان أول من آمن بموسى عليه السلام هم السحرة أنفسهم لأنهم أعلم بهذا الفرق الواضح والبون الشاسع.

حقيقة مهمة

ومن الجدير بمعرفته هنا أن النبى هو الذى يتحدى الناس بالمعجزة يؤيده الله بها من غير طلب منهم وليس البشر هم الذين يتحدونه فتنزل المعجزات بناء على طلبهم وتحديهم.

ولهذا كان رد القرآن الكريم على الذين طلبوا المعجزات من نبيه محمد ﴿ﷺ﴾ بتفجير الأرض ينابيع وتحويل الصفا ذهبا ﴿**وقالوا لولا أُنزل عليه آياتٌ من ربِّه**﴾.. ﴿**أوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أنَّا أنزلنا عليك الكتاب يُتْلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون**﴾.. (العنكبوت).

أما حواريو المسيح عليه السلام الذين طلبوا من عيسى عليه السلام ان يدعو ربه انزال المائدة عليهم من السماء فقد كانوا قوما مؤمنين.. وكان نزولها اكراما وتثبيتا لهم.

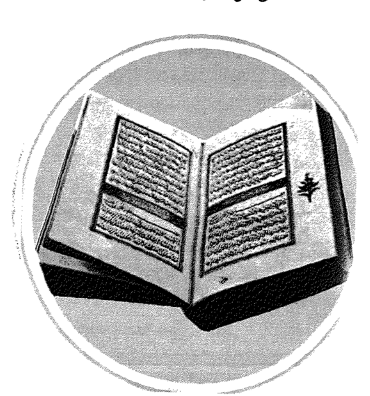
الفرق بين المعجزة والكرامة

المعجزة: هى الأمر الخارق للعادة يظهر على يدى الرسول بعد دعوى الرسالة وهى ترجع الى ثلاثة معانٍ: اما ايجاد معدوم كخروج الناقة من الصخر وأما اعدام موجود كابراء الأكمه والأبرص.. واما تحويل الموجود كقلب العصا ثعبانا.

الكرامة: أما الكرامة فهى ما

يكـرم الله به أولياءه من غير الأنبياء بما يظهره على أيديهم. فليس من شرطه ان يكون خارقا للعادة ولا خارجا عن المألوف وان حصلت بعض الخوارق على أيدى بعض الصالحين، فى بعض الأحوال فهو من الكرامات التى يكرم الله فيها من أوليائه من صَفَتْ سريـرتـه وخلص لله قلبـه وحسن عمله، كما وقـع للسيدة مريم عليها السلام وقد حكى القرآن عنها: **﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال: يا مريم أنّى لك هذا؟ قالت هو من عند الله إنَّ الله يرزق من يشـاء بغـير حسـاب﴾**.. (آل عمران/٣٣).. هذا والأصل فى الكرامات الاخفاء والكتمان بخلاف المعجزة لأن اظهارها واجب ليتم تبليغ الرسالة(٣).

فالكرامة التى يكرم الله بها بعض عباده الصالحين لا يصاحبها دعوى من الرجل الصالح ولا حرص على اظهـاره.. ومن الكـرامـة الاستقـامة على أمر الله والتمسك بأحكام دينه والتوفيق الى طاعته والزيادة فى العلم والعمل ودعوة الخلق الى الله والنجاح والتوفيق فى دعـوتهم فسبيـل المؤمن الصـادق مطـالبة النفس بالاستقامة فهى كل الكرامة.



وجوه اعجاز القرآن الكريم

الدارس لكتاب الله تعالى تظهر له وجـوه كثيرة من الاعجاز وقد عنى العلماء فى القديم والحديث باظهار هذه الـوجـوه وبيـانهـا للنـاس بما يتناسب مع المستوى الأدبى فى كل عصـر.. ويمكن ان نحمـل هذه الوجوه تحت العناوين التالية:

١ ـ الوجه الأول: لغته وأسلوبه:

امتاز القرآن الكريم بأسلوبه ولغته بخصائص فريدة أظهرت تفوق القرآن الكريم على كلام العرب وقد شعر العرب أنفسهم انه بديع النظم عجيب التأليف متناه فى البلاغة الى الحد الذى يعجز علم الخلق عنه(٤) وقد وازن الباقلانى بين القرآن وكلام العرب فى وجوه منها:

أ ـ ان نظم القـرآن خارج عن المعهـود من نظـام جميـع كلامهم فليس من الشعر ولا من النثر المرسل ولا المسجوع.

ب ـ ليس للعـرب كلام مشتمـل على هذه الفصـاحـة والغـرابة والتصرف البديع والحكم الكثيرة والتناسب فى البلاغة والتشابه فى البراعة على هذا القدر من الطول وانما تنسب الى حكيمهم كلمات معدودة الى شاعرهم قصائد محصورة.

ج ـ ان عجيب نظمه لا يتفاوت على ما يتعرف فيه من الـوجـوه: من قصص ووعظ واحتجاج وحكم وأحكام ووعد ووعيد وغير ذلك مما حواه القرآن الكريم بينما نجد كلامـاً للبليـغ الكامل والشاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف باختـلاف الأغراض فمنهم من يجيد فى الوصف دون الغزل ومن يحسن اذا رغب والآخر اذا طرب وغيره اذا ركب.

د ـ ومن ذلـك ان المعـانى التى جاء بها القـرآن الكريم وتعالج أحكام الشريعة والاحتجاج فى الدين والرد على

الملحـــدين قد اتسقت فى أسلوب بديـــع يتعـــذر على البشر . . لأنه قد علم أن تخير الألفاظ للمعانى المتداولة المألوفة أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة فاذا برع اللفظ فى المعنى البارع كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع فى المعنى المتداول .

هـ ـ ومن ذلك أن الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته بأن يذكر فى تضاعيف كلام فتأخذه الأسماع وتتشوق اليه النفـوس ويرى وجه رونقه باديا غامرا سائر ما يقرن به كالدرة التى سلكت من خرز وكالياقوته فى وسط العقد . . وأنت ترى الآية من القرآن يتمثل بها فى تضاعيف كلام كثير وهى غرة جيعه وواسطة عقده . . والمنادى على نفسه بتميزه وتخصصه برونقه وجماله(٥) .

ويمكن ان ترجع هذه الخصائص الى ما يلى :

١ ـ القصد فى اللفظ والوفاء بحق المعنى : يتميز الأسلوب القرآن باختيار الفاظه مراعيا ما بين الألفاظ من فروق دقيقة فى دلالتها حتى يصل الى المعنى بأوجز لفظ وأقوى أداء ولذلك لا تجد فى القرآن ترادفا بل فيه كل كلمة تحمل اليك معنى جديدا دالة على المعنى بدقة وقوة ووضوح(٦) .

وإذا استعرضت كلام الأدباء والعلماء تجد أن كل من يجمع فى أسلوبه بين هاتين النهايتين لا يقوى على العدل بينهما . . فالذى يعمد الى ادخار لفظه وعدم الأنفاق منه الا على حد الضرورة لا ينفك من أن يحيف على المعنى قليلا أو كثيرا . والذى يعمد الى الـوفـاء بحق المعنى وتحليله الى عناصره وابراز كل دقائقه لا يجد فى القليل من اللفظ ما يشفى صدره فان سرّك أن ترى كيف تجتمع هاتان الغايتان على تمامهما بغير فتور ولا انقطاع فانظر حيث شئت من القرآن تجد بيانا قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير . . فلا تحس فيـه بتخمـة الاسراف ولا بمخمصة التقتير(٧) وافيـة المعنى خالصـة اللفظ لا يشوبها شىء مما هو غريب عنها .

٢ ـ خطـاب العـامـة والخاصة . . المتأمل لأسلوب القـرآن الكريم يجد ان ألفاظه مصوغة بشكل يصلح أن يكون خطابا للناس كلهم على اختلاف عقولهم وتفكيرهم وثقـافتهم . فاذا قرأتـه على العامة أحسوا جلاله واذاقوا حلاوتـه وفهمـوا فنه على قدر استعدادهم . . واذا قرأته على الخاصة ملكهم اعجازه وجلاله وتذوقوا بلاغته . . ولا كذلك كلام البشر فان ارضى الأذكياء لم تفهمه العامة كما فهموه وان أرضى العامة لم يعجب الخاصة ولم يرقهم(٨) .

٣ ـ اقناع العقل وارضاء العاطفة : اسلوب القرآن يخاطب العقـل والقلب معـا ويجمع الحق والجمال معا(٩) والمعهـــود من كلام العلماء والحكـــماء وأسلوب الأدبـــاء والشعراء أن كلا منهما يحسن فى جانب ويقصر فى آخر . . ولم ير الناس أسلوبا واحدا يتجه اتجاها يجمع بين هذين الطرفين معا كما يحمل الغصن الواحد من الشجرة أوراقا وأزهارا وأثمارا معا الا فى كتاب الله تعالى . . لأنه تنزيل من الله القادر الذى خلق الانسان روحا وجسدا وخاطب قلبه كما خاطب عقله فتبارك الله رب العالمين .

٤ ـ البيان والاجمال : جمع القرآن الكريم بين الاجمال والبيان مع أنهما غايتان متقابلتان لا يجتمعان فى كلام واحد للناس(١٠) بل كلامهم اما مجمل دلالته غير واضحة واما مبـين واضـح بدلالة . . وتقرأ النص من القرآن الكريم فتجد فى ألفاظه من الأحكام والخلو من كل غريب عن غرض الكلام ما يفضى معناه الى نفسك دون قصد ولو قرأته مرة أخرى لتبين لك معان جديدة غير التى سبقت الى فهمـك أول مرة . . حتى ترى للجملة الـواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة كلها صحيح أو محتمل للصحة .

٥ ـ جودة سبك القرآن واحكام سرده : بلغ القرآن من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره مبلغا لا يدانيه كلام آخر مع طول نفسه وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه فى الموضوع الواحد . . اقرأ سورة الفاتحة مثلا وتأمل كيف جمعت مقاصد القرآن فى العقيدة والعبادة والشريعة والقصة والوعد والوعيد فكانت فاتحة جامعة لمقاصد القرآن

الكريم وأغراضه على وجازتها . . وتأمل كيف بدأت بتوحيد الله والمخاطبة بالاقرار بوحدانيته بالعبادة والاستعانة وطلب الهداية(١١).

٦ - براعته فى تعريف القول وثروته فى افانين الكلام: يعرف القرآن الكريم معانيه بأساليب متنوعة وقوالب مختلفة وفى كل مرة تجد مقدرة فائقة معجزة . . يلبس المعانى فيه من الصور والمعانى غير الذى كان يلبسه فى المرة السابقة وقد وفق الاستاذ سيد قطب فى كتابه التصوير الفنى فى القرآن فى ابراز هذه الجوانب فارجع اليه.

الوجه الثانى أنباء الغيب فيه:

اشتمل القرآن الكريم على أخبار كثيرة من الغيوب التى لا يمكن لسيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ ان يعلمها وهى ثلاثة أقسام:

أ - قصص عن الماضى البعيد المغرق فى القدم كقصة نوح وموسى عليهما السلام وعاد وثمود.

ب - قصص عن المحاضر التى لا يتأتى لسيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ رؤيتها ولا العلم بها ومنها ما فضح الله بها المنافقين فى عصر الرسول ﴿ﷺ﴾ وتحدث فيها عن مؤامراتهم وتخذيلهم المؤمنين عن الجهاد وتآمرهم مع اليهود والمشركين.

ج - اخباره عن المستقبل كأخبار القرآن عن الروم بأنهم ينتصرون فى بضع سنين من اعلان هذا النبأ وانه يتحقق مع انتصارهم انتصار آخر للمؤمنين.

وسر الإعجاز فى هذا ان اخبار القرآن الكريم وقعت كما أخبر القرآن وانتصر الروم على الفرس ٦٢٢م الموافق للسنة الثامنة من الهجرة برغم ان الرؤية المستقبلية لهذا الانتصار كانت فى صالح الفرس لان المقدمات والأسباب الظاهرة كانت الى جانبهم ولكن الله تعالى أنجز وعده بعد ثمانى سنوات من اعلان هذا الخبر فى بضع سنين وفى هذه السنة تحقق نصر آخر للمسلمين فى بدر وصدق الله العظيم **﴿غُلِبَت الرومُ فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبِهِمْ سَيَغْلِبون فى بضـع سنين لله الأمر من قبلَ ومن بعدُ ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون بنصرِ الله ينصرُ مَنْ يشاء وهو العزيزُ الرحيمُ﴾.**

الوجه الثالث: شريعة القرآن وأحكامه.

ان الدارس لشريعة القرآن المقارن لها مع الشرائع البشرية السابقة واللاحقة يتبين له من اعجازالقرآن الكريم ما يزداد به ايمانا ان هذا القرآن لا يمكن ان يكون من عند بشر.

أضف الى هذا ما قررته المؤتمرات الفقهية العالمية وأجمعت فيها كلمة علماء الفقه والقانون على مدى أهمية الفقه الاسلامى وغناه واعتباره مصدرا من مصادر القانون العالمى . . ويزداد هذا الوجه من الاعجاز اشراقا وبيانا حين نرى فى القرن العشرين رجوع كثير من الدول العربية والاسلامية الى شريعة القرآن تتخذ أحكامها منها بعد ان جربت القوانين الغربية ووجدت شقاءها على يديها وأصبحت المناداة بالعودة الى الشريعة الاسلامية حديث الأمة المسلمة فى كل مكان . . كما تسعى الجامعة العربية لوضع قانون مدنى موحد للمعاملات من الفقه الاسلامى ليطبق على جميع البلاد العربية وتحقق وحدتها القانونية على أساس شريعة القرآن الكريم.

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن للعلامة محمد عبد العظيم الزرقان ٢/ ٢٢٧.

(٢) انظر مقدمة الظاهرة القرآنية التى صدر بها الاستاذ محمد شاكر هذا الكتاب القيم للاستاذ مالك بن نبى رحمه الله . . وانظر علوم القرآن للدكتور عدنان زرزور/ ٢٢٩

(٣) العقائد الاسلامية/ ٢٠٨-٢١٥ - عقيدة المسلم وما يتصل بها للشيخ السائح/ ٢٤٦.

(٤، ٥) اعجاز القرآن للباقلانى/ ٦٨ وانظر من بلاغة القرآن للدكتور أحمد أحمد بدوى/ ٥١/ ٥٣.

(٦) من بلاغة القرآن احمد بدوى ٥٧/ ٦٠

(٧) علوم القرآن للدكتور عنان زرزو ر٢٥٩/ ٢٦٠ نقلا عن دراز فى النبأ العظيم واعجاز القرآن للباقلانى ١٨٤

(٨، ٩، ١٠) مناهل الفرقان ٢/ ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٩

(١١) مناهل الفرقان ٢/ ٢١٢

لمحة تاريخية

لم يكن الربا محظوراً عند الفراعنة بشكل صارم ولكنهم وضعوا له قيوداً تحد من أضراره، فيحدثنا «ديودور الصقللى» مؤرخ الاغريق عن القانون الذى وضعه «يوخوريوس» من الأسرة الرابعة والعشرين ، حيث قضى بأن الربا مهما تطاولت عليه الآجال فلا يجوز أن يصل الى مقدار رأس المال(١). كما نهى «سولون» واضع قانون أثينا القديم عن الربا. ولكن الموقف الرائع يسجله التاريخ لفلاسفة اليونان حول موضوع الربا.

آراء فلاسفة اليونان

قرر أفلاطون فى كتابه «**القانون**» (لا يحل لشخص أن يقرض بربا) كما اعتبر أرسطو الفائدة الربوية أيا كان مقدارها كسبا غير طبيعى ، لأن مؤداها أن يكون النقد وحده منتجاً غلة من غير أن يشترك صاحبه فى أى عمل أو يتحمل أى تبعة واشتهر عنه قوله «**إن النقد لا يلد النقد**» لأن اساس الغلات الطبيعية أن تكون متولدة من الأشياء ذاتها ضمن الاشكال التالية :

(١) توليد طبيعى ـ بتنمية المزروع أو الحيوان او استخراج الاشياء من باطن الأرض.

(٢) توليد صناعى ـ باستخراج غلات ناتجة من تحويل الاشياء عبر وسائل الصناعة.

(٣) توليد تجارى ـ بنقل البضائع من مكان إلى آخر أو ادخارها من زمن الى زمن إن لم يكن فى ادخارها احتكار.

أما النقد ذاته فلا يصلح لأن تتولد منه غلات كتلك الانواع الثلاثة لأنه مقياس لقيم الاشياء، والمقياس لا يكون سلعة يتجر فيها اذ يجب أن يكون مضبوطاً غير قابل للتغيير.

● وقسّم أرسطو طرق الكسب التجارى الى ثلاثة اقسام :

١ ـ معاملة طبيعية وهى المقايضة.

٢ ـ معاملة نقدية ـ حيث يكون النقد وسيط التبادل فى ظل اقتصاد نقدى.

٣ ـ معاملة غير طبيعية وهى اتخاذ النقد سلعة تباع بمثلها ويكون من ورائها الكسب بالربا بمختلف أنواعه(٢).

ويقول أرسطو أيضا : «ما نبغضه بأكثر ما يمكن من الحق هو تعاطى القرض بفائدة لأن الكسب الناشىء عن الفائدة يتأتى من النقود نفسها ولا يلبى الغرض الذى أُنشئت النقود من أجلها فما اخترعت النقود إلا للتداول والتبادل فى حين أن الفائدة تضاعف كمية النقود نفسها وهذا هو أصل كلمة



فائدة والتى هى (نقد ولد من نقد) وهذه الطريقة فى كسب النقود هى أكثر الطرق منافاة للطبيعة والفطرة(٣).

الربا فى التوراة

جاءت الشريعة اليهودية بتحريم الربا، وقد اخبرنا القرآن الكريم عن بنى اسرائيل أن من اسباب غضب الله عليهم «وأخذهم الربا وقد نهوا عنه» وبالرغم مما تعرض له العهد القديم من تحريف وتزوير فمازال فى نصوصه الحاضرة ما يقرر حظر الربا ومنعه، فقد جاء فى أحد أسفارها «**واذا أصبح أخوك فقيراً وضعفت يده بالقرب منك فأعِنْهُ ولو كان أجنبيّاً غريباً حتى يعيش معك ولا تأخذ منه فائدة ولا ربحاً ولكن اتَّق الهك. يعيش اخوك معك لا تقرضه من مالك بفائدة ولا تقدم إليه من أرزاقك لكى تتقاضى منه ربحاً**»(٤).

أبها
محمد علي بن حسين الحريري

وفى سفر الخروج «اذا أقرضت مالك لأحد من ابناء شعبي.. فلا تطلب منه ربحاً ولا منفعة»(٥)

ولكن اليهود مارسوا أبشع الوان التحريف والعنصرية عندما سمحوا لأنفسهم بأخذ الربا من غير اليهود وهو ما نعاه القرآن الكريم ﴿**ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل**﴾ فزعموا أن سفر التثنية يقول «لا تطلب من أخيك فائدة لا على النقد ولا على الطعام ولا على أى شىء قابل للاقراض بفائدة بل من الاجانب فقط.. أقرض الأجانب بالربا ولكن لا تقترض منهم أبداً»(٦). ويسجل التاريخ أن اليهود اكلوا الربا من شعبهم وغيره من الشعوب المجاورة حتى اصبح الجشع الربوى صفة لازمت اليهود عبر تاريخهم ملازمة تامة منذ عبدوا العجل فى عهد موسى عليه السلام حتى سيطروا على المصارف والنظام المالى العالمى فى العصر الحاضر. وقد صرخ النبى ارميا غاضبا «من صغيرهم الى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ومن القديس الى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب» بل كان رؤساء كهنتهم يشتغلون بالتجارة سراً ويمارسون القروض الربوية على جدران الهيكل من خلال عمليات الصرف التى تجرى مع الشعب لتقديم القرابين والكفارات والحمام للهيكل. ولم تنتشر فرية الربا فى الاقتصاد المعاصر إلا على يد الاقتصاديين اليهود(٧).

الربا فى المسيحية

جاءت المسيحية لتعلن تحريم الربا قال فى العهد الجديد «اذا أقرضتم لمن تنتظـرون منهم المكـافأة فأى فضـل يعـرف لكم ولكن افعلوا الخـيرات واقرضـوا غير منتظـرين عائداتها واذن يكون لكم أجر جزيل»(٨)

فالنصـوص عامـة فى العهـد القديم والجديد تمنع الربا الذى ساد تجارة الرومان، وكم كان انكـار المسيح عليـه السلام شديداً على الصيارفة الذين اقرضوا بالربا وانتهكوا حرمة الهيكل بتصارفهم فيه . وقد حافظ رجال الكنيسة على هذه التعـاليم حتى القـرون الـوسطى حتى ان الآبـاء اليسوعيين مع ترخصهم احيانا قالوا «إن من يقول ان الربا ليس معصية يُعد ملحداً عن الدين» «ان المرابين يفقدون شرفهم فى الدنيا وليسوا أهلاً للتكفين بعد موتهم» .

قال القـديس جيروم «هـو ربـا أن تعطى عشرة أصوع فى الشتاء من أجل البذار لتسترد خمسة عشر فى زمن الحصـاد، وهو ربا، كذلك أن تتسلم بمناسبة المال الذى اقرضته هدايا من أى نوع فبحسب نص الكتـاب «**يسمى ربـا أو فائضـاً أى شىء كان اذا تسلمت أكثر مما أعطيت**» .

● لقد حارب المسيح عليه السلام ـ الجشع اليهودى «فعندما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعـون ويشـترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام ولم يدع احداً يجتاز الهيكل بمتاع»(٩) .

ولما جاءت حركـة الاصـلاح فى المسـيحـيـة ـ البروتستانت ـ لم يكتف «لوثر» بتحريم الفائدة قلّتْ او كثرت بل حرم كل العقود التجارية المؤدية الى الربا حتى البيـع بثمن مؤجـل اذا كان اكثـر من الثمن العاجل، وقرر أن ذلك من الربا يروج باسم التجارة وكتب فى ذلك رسالة عن التجارة والربا ـ جاء فيها ـ «ان هناك أناساً لا تبالى ضمائرهم أن يبيعوا بضائعهم بالنسيئة بأثمان غالية تزيد على اثمانها التى تباع بها نقداً ، بل هناك أناس لا يحبون أن يبيعوا شيئا بالنقد ويؤثرون أن يبيعوا سلعهم كلها بالنسيئة» .

إن هذا التصـرف مخالف لأوامـر الله كمخالفته للعقـل والصـواب ومثله فى مخالفـة الاوامـر الالهيـة والعقلية أن يرفع البائع السلعة لعلمه بقلة البضائع المعـروضـة او لاحتكـاره القليـل المـوجـود من هذه البضاعة ومثل هذا وذلك أن يعمد التاجر الى شراء البضاعة . . كلها ليحتكر بيعها ويتحكم فى أسعارها(١٠) .

● إن كلام هذا الرجل ينفذ الى روح المسيحية ولبها مما يدل على مدى تحريم هذه الديانة للربا . . وقد التقى الفكـر المسيحى مع صدى الافكـار اليونانية فقررا أن النقد لا يصح اتخاذه موضوعا للتجارة يقول «دافيد هيوم»(١١) [**إن النقد ليس مادة للتجارة ولكنه أداتهـا وإنـه ليس دولاباً من دواليب التجارة ولكنه الزيت الذى يلين مدارها**] .

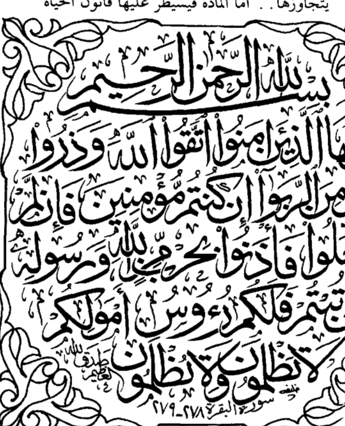
● وهكـذا نجـد الفلاسفة ورجال الدين المسيحى تضيق صدورهم حرجـاً بنظـام الفائدة الذى يجعل النقد يُكسب من غير عمل ولا تحمل تبعة ، فالتقت الفلسفة مع الدين فى تحريم تلك الآفة الاجتماعية والاقتصادية .

ثم ماذا حدث : لقد انتهى علم الاقتصاد الحديث منذ وضعت اسسه على يد ـ **آدم سميث** ـ الى اعتبار الربا ركنـا من أركـان النظـام الاقتصادى العالمى، ورسخ فى أذهان العالم أن الربا ضرورى لقيام حياة اقتصادية ناشطة باعتبـار الفـائـدة ثمن رأس المـال خلال نظرية التوزيع الرأسمالى فكيف حدث ذلك . . ؟

بازدياد الصلة بين الشرق والغرب وبزيادة تغلغل اليهود فى مرافق الكنيسة المسيحية وسيطرتهم على اسواق المال وبيوته، بدأت قضية تحريم الربا تتراجع مع كثرة الاستثمار التجارى حتى وصل الأمر الى مشاركة الكنيسة فى عمليات مضاربة ربوية. ولم تفد محاولات القديس «**سان توماس الاكوينى ١٢٢٥-١٢٧٤م**» فى محاربة الربا، بل ظهر فى مجال التعامل كل الحيل الربوية المتصورة كبيع العينة وما يشبه بيع الوفاء. ويرى بعض المؤرخين أن توماس الاكوينى كان متأثراً بموقف الاسلام فى تصميمه على التحريم(١٢).

ويتساءل المؤرخون عن ذيوع الربا وانتشاره تحت سمع الكنيسة وبصرها.. ويمكن الاجابة على ذلك من خلال النقاط التالية.

١ ـ سيطرة الروح المادية على المسيحيين فى المعاملات المالية حتى شاع عندهم أن الدين للمعابد لا يتجاوزها.. اما المادة فيسيطر عليها قانون الحياة (دع مالله لله وما لقيصر لقيصر) . وتم الفصل بين الدين والدولة فابتعدت سلطة الكنيسة عن احكام القوانين.



٢ ـ أوهم سادة الربا رجال الدين أن الفائدة القليلة هى أجرة ادارة.. وهذا شبيه بما يجرى به التمويه اليوم على علماء الفقه الاسلامى.

٣ ـ اعتقد الاقتصاديون الذين أخذوا بنظرية الفائدة ان الفائدة القليلة لا تتنافى مع الاخلاق ولا تؤدى الى الروح الاتكالية وتحكم رأس المال فى الانتاج وضياع عمل العاملين حتى ان ـ آدم سميت ـ **(١٧٢٣-١٧٩٠م)** قد استحسن الاقلال من فوائد الديون وزعم ان القليل منها يشجع المقترضين على الانتفاع بالاموال المدخرة ولا يرهقهم باعباء السداد او يحرمهم ثمرة العمل.

٤ ـ ان العامل الرئيسى فى التساهل بقضية الربا وسيطرته على عرش الاقتصاد يرجع الى اليهود الذين استولوا على عرش الاقتصاد وسيطروا عليه.. فإنهم وقد تمسكوا بغريتهم القائلة بحرمة الربا مع اليهودى وحله مع غيره من الاميين ـ طبقوا هذه النظرية على اوسع نطاق حتى تحول العالم كله الى عالم ربوى سيطر فيه رأس المال على الدول والملوك وعلى النظام المالى والاقتصادى المعاصر(١٣)

وظهر دعاة الاصلاح الدينى من رجال الكنيسة وعلى رأسهم «**كالفن ١٥٠٩-١٥٦٤م**» وغيره من رجال الكهنوت القائلين بإباحة الفائدة كما طالب مونتسكيو فى القرن الثامن عشر بإباحة الربا أيضا.

ولكن الضربة القاضية لتحريم الربا وموقف الكنيسة فى هذا الأمر جاءت من الثورة الفرنسية التى احتضنت الربا وجعلته مبدأ رسمياً، عندما قررت الجمعية العمومية فى أمرها الصادر فى **١٧٩٨/٧/١٢** أنه يجوز لكل أحد أن يتعامل بالربا فى حدود خاصة يعينها القانون.

ومعروف تاريخيا أن الثورة الفرنسية ثورة يهودية لتقويض الملكيات القوية فى أوروبا يسجل التاريخ لميرابو خطيب الثورة الفرنسية أنه وقف ضد هذا القانون وأوجب منع الفائدة بتاتا ولهذا كانت نهايته فى المقصلة(١٤).

ومع ذلك فقد صدر فى فرنسا عام **١٩٣٥**م مرسوم اشتراكى يدعم سياسة الضمور النقدى ويقضى بأن استيفاء معدل فائدة يتجاوز نصف المعدل الطبيعى يشكل جنحة الربا. إلا أن هذا القانون يَسْهُل الخروج عليه طالما ترك الناس تعاليم السماء.. أفليس بوسعهم الاحتيال على قانون كتبوه بأيديهم.. لقد ضعف الوازع الدينى وتكالب الناس على الحرام الى حد قول «**جون جنتر» إن الانجليز يعبدون بنك انجلترا ستة ايام فى الاسبوع ويتوجهون فى اليوم السابع الى الكنيسة**».

لقد غلبت الأمم على امرها فقبلت الربا ونصت قوانينها على ذلك.. وبدأ ذلك فى انكلترا والمانيا فى النصف الثانى من القرن السادس عشر.. ثم فى هولندا، واخيراً فى فرنسا. وما انتهى القرن الثامن عشر حتى اصبح الربا نظاماً سائداً فى اوروبا يوجهه ويديره صيارفة اليهود من الأسر المعروفة فى تاريخ بيوت المال والمصارف.. فاستطاعوا بذلك السيطرة على عنصر رأس المال.

قد يكون مناسباً أن نتحدث عن آخر ما تفتقت عنه عبقرية اليهود فى مجال السياسة المالية.. وذلك بالتعرض لبعض افكار البروتوكول ـ العشرين ـ الذى تحدث عن البرنامج المالى فى ظل التخريب اليهودى ـ يقول البروتوكول:

«ومن ألزم الضروريات عدم السماح للعملة بأن توضع دون نشاط فى بنك الدولة اذا جاوزت مبلغاً معينا.. إذ أن العملة وجدت للتداول. وان أى تكديس للمال ذو أثر حيوى فى أمور الدولة على الدوام.. لأن المال يعمل عمل الزيت فى جهاز الدولة فلو صار الزيت عائقاً، إذن لتوقف عمل الجهاز.

إن الازمات الاقتصادية التى دبرناها بنجاح باهر فى البلاد الأممية قد انجزت عن طريق سحب العملة من التداول.. فتراكمت ثروات ضخمة وسُحِبَ المال من الحكومة التى اضطرت بدورها للاستنجاد بملاك هذه الثروات لاصدار قروض.. ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات اعباء ثقيلة اضطرتها الى دفع فوائد المال المقترض مكبلة بذلك أيديها.. وان تركز الانتاج فى ايدى الرأسمالية قد امتص قوة الناس الانتاجية حتى جفت وامتص معها أيضا ثروة الدولة».

وفى الحديث عن الديون الخارجية يرى ـ البروتوكول ـ أن القروض الخارجية كالعلق الذى لا يمكن فصله من جسم الحكومة.. وان حكومات الاممين لا ترغب فى طرح هذا العلق بل تزيد عدده حتى تموت قصاصاً بفقد الدم. فماذا يكون القرض الخارجى سوى انه علقة يمكن بواسطتها تدفق كل ثروة الدول الى خزائننا، واضحت الامم الاخرى تدفع لنا مالا لا يقل عن الخراج المطلوب وستنتهى بفضل نظام الفائدة الى الافلاس»(١٥).

هذه فقرات مقتبسة من البروتوكول (٢٠) وقد زادها معرب البروتوكول قائلا: ولا ريب ان القوة الغازية الرئيسية لصهيون تكمن فى عجلهم الذهبى فهم يسعون دائماً لاعطاء الذهب أكبر قيمة ممكنة.

فلا تعليل لارتفاع سعر الذهب الا بتداوله خاصة.. ولا يعلل تكدسه فى أيدى الصهاينة الا بأن اليهود قادرون على الربح من كل الازمات

الاقتصادية ليحتكروا الذهب. ويتضح ذلك واضحاً في سلوك اسرة روتشيلد عبر التاريخ لحيازة الذهب(١٦).

ومن هنا فإن الاسس الاقتصادية التى تقوم كل الاشياء بالذهب تعتبر فكرة يهودية. . فالذهب ليس الا مقوما، وان مقدرة الدولة الاقتصادية لا تقوم بما عندها من الذهب ـ وان كان هذا ما يريد أن يؤكده اليهود ـ بل ان مقدرة كل دولة تقاس بمنتجاتها وخبراتها التى تقدمها للعالم ولو لم تملك من الذهب شيئاً فالدول التى تكدس الذهب دون الاعتماد على منتجاتها الأخرى تعد جاهلة مخطئة تسيء الى منزلتها وحياتها.

إن الفائدة هى الثمن الذى تدفعه الصهيونية العالمية لجمع المال الحاضر وللتحكم فى السيولة الدولية. لقد اغفل اكثر الباحثين هذه النقطة وتجاهلوا أن الفائدة هى المخدر الذى يعطى لأصحاب الأموال ليعيشوا نعيم الانتظار الى عام جديد بينما اموالهم تربح اضعاف ما يعطون من فائدة وتمنح مقترضيها جبروتا وسلطانا يتحكمون به فى مقدرات العالم بعد أن تركزت السيولة الدولية فى أيديهم ومنحتهم اسباب القوة والغلبة.

ان من الغباء أن تباع السيولة بثمن بخس حيث تصبح ذلة لأناس وقوة ومكانة لآخرين. . فكان من نتائج تلك القوة أن رسخ فى أذهان الجيل أن الفائدة اصبحت مسلمة مستقرة ولا حاجة لمناقشتها فهى نظام عالمى بينما هى فى الحقيقة ما تزال الى اليوم تبحث عن سندها العلمى واساسها القانونى.

أن وظيفة خلق الائتمان وامكانية النقود فى ايجاد هذا الائتمان النقدى جعل بيوتات المال تتحكم بأضعاف موجوداتها النقدية واصبح مركزها العالمى يتمتع بملايين الملايين من الأرقام الخيالية. . مما يفوق موجوداتها النقدية بأضعاف مضاعفة. وما كان هذا الائتمان ليوجد لولا نظام الفائدة القاتل(١٧).

قد يكون ممكنا أن يكون للفائدة دور رئيسى فى انماء الاقتصاد فى الزمن الغابر. . ولكن هذه الدعوى فقدت فاعليتها وزالت بانشاء اول مصرف مركزى يسيطر على اسعار الفائدة ويحددها بقانون يحد من حرية المقرضين المستثمرين. . ففى عالم اليوم وفى ظل الاقتصاد المبرمج اصبحت التنمية لا تواجه مشكلة الفائدة بمقدار ما تواجه مشكلة الاختيار. . فلا قيمة للفائدة فى الاقتصاد المبرمج. . ان نتائج المشاركة بالارباح المحتملة ـ المضاربة ـ بدلا من الفائدة سيكون فى مصلحة التنمية ـ فالمشاركة فى الخسائر هى احتمال نظرى لأن واقعية قرار الاستثمار ومهارة رجال الاعمال سيجعل الربح مضمونا(١٨).

ومن الضرورى هنا أن نعرف رأى احد مهندسى النظام الرأسمالى والذى يقترب كثيراً من المفهوم الاسلامى فى تحريم الربا وذلك هو ـ اللورد «**جون مينارد كينز**» وزير مالية بريطانيا فى أربعينيات هذا القرن.

النظرية الحديثة نظرية كينز فى سعر الفائدة

تعتبر أفكار كينز فى قضية الفائدة أهم جوانب نظريته فى النقود والتشغيل. . فقد أعاد النظر فى كل افكار من سبقه من الكلاسيك. . وبالرغم من كل الاعتراضات الموجهة اليه فان التحليل الكينزى مازال مطبقاً فى كثير من نواحى التحليل الاقتصادى.

يبدأ كينز نظريته بالتنبيه الى اهمية العرض والطلب فى تحديد مستوى الفائدة. . ويقترب بذلك من أفكار (مارشال) وهو الأمر الذى تردد فيه الكلاسيك مما جعل كينز ينتقدهم بشدة. يرفض كينز

المبدا القائل ان الفائدة ثمن الادخار مقابل الامتناع عن الانفاق ـ ويرى أن الفائدة مقابل التخلى عن السيولة أو عدم الاكتناز مؤكداً أن سعر الفائدة لا يتحدد طبقاً للعرض الموجود فى السوق ـ الارصدة القابلة للاقراض ـ بل ان العامل الاساس والمهم فى سعر الفائدة هو مقدار الدخل القومى حيث يتمكن الافراد من تحديد جزء من دخلهم للاستهلاك وآخر للادخار. وهو ما يمثل عرض السيولة لقروض الاستثمار. ثم قال ان الاغنياء يدخرون بدون تضحية كما تقرض الدولة بعض افرادها بدون تضحية فلا يوجد ترابط بين التضحية ومبدأ الادخار(١٩).

أن عرض النقود تحدده السلطات النقدية بعيداً عن معدل الفائدة. . وهذا العرض يرتبط بالناتج القومى. وان عملية الادخار تخفض اسعار السلع الاستهلاكية كما تخفض الفعالية الحدية لرأس المال مما يقلص طلب التوظيف ويقلص طلب الاستهلاك. . وهو بذلك يبين الأثر السيىء لاكتناز النقود على الحياة الاقتصادية. ولنستمع اليه يقول: « لو كان معدل الفائدة صفراً لكان هناك بالنسبة الى كل سلعة معينة بين وقت انتاجها ووقت استهلاكها مدى أنسب تبلغ كلفة العمل بالنسبة اليه حداً أدنى وتكون وسيلة

الانتاج الاقصر طولا أقل فعاليه من الناحية التقنية. والوسيلة الاكثر طولاً اقل فعالية بسبب التلف والمصاريف المخزنية. . فاذا كان معدل الفائدة أعلى من الصفر تدخّل عنصر كلفة جديد يزداد بازدياد طول الوسيلة الانتاجية ويتناقص المدى الانسب ويتوجب انقاص الانتاج الجارى لتغطية ازدياد الكلفة. . وهو ازدياد ناشىء فى نفس الوقت عن اعباء الفائدة ونقص فعالية الانتاج القصير المدة. . بينما لو أمكن جدلا انخفاض الفائدة عن الصفر لحدث العكس تماما. . ثم يقول:

أن الاقتصاد المستقر هو الذى ينخفض فيه معدل الفائدة الى الصفر لأن تزايد معدل الفائدة يعيق انتاج الثروات فى كل الفروع ذات الانتاج المرن. . ويقصد بالمرونة (امكان ايجاد كمية جديدة بالعمل) فالعملة هنا لا مرونة لها لأن العمل لا يصنعها ومرونتها بقيمتها الاستبدالية فقط وان معدل فائدة العملة بتحديده مستوى فائدة الثروات الأخرى يعاكس التوظيف فى هذه الثروات دون أن يتمكن من تنشيط التوظيف فى انتاج العملة التى لا يمكن انتاجها بالفرض. . ولهذا فان البطالة تتوسع لأننا ننشد القمر. . فلا يمكن استخدام البشر حينما يكون محط رغبتهم النقود ـ وهى شيىء لا يتسنى انتاجه(٢٠).

أن جون مينارد كينز ـ يقول ان النقد وسيلة تبادل فقط وهو عقيم، فالنقد لا يلد النقد. وعندما ترتفع الفائدة فان هذا يعنى ضربة قاصمة للعمل والانتاج وارتفاعاً فى نسبة البطالة. . فالفوائد من اهم عوامل تثبيط الانتاج وتخريبه.

وهذا التحليل ليس لاقتصادى ماركسى. . بل هو لأحد كبار دهاقنة الرأسمالية الذى قاد سياسة بريطانيا فى احلك ظروفها. . فاذا كان الفكر الرأسمالى فى قمة تطوره العقلى يرى أن منع الفائدة هو الحل الصحيح الى حد أن القضية دخلت عالم الأدب حيث يرى شكسبير فى ـ تاجر البندقية ـ أن الربا قمة الظلم الاجتماعى ـ اليس عجيبا أن يبقى الربا نظاما يسود العالم ؟. ويقول كينز ايضا ـ اذا كانت الامة تدبر امرها على نحو سليم وتمتلك التقنية الحديثة ولا يتزايد سكانها بسرعة. . فالجدير بها أن تخفض الكفاءة الحدية لرأس المال فى جيل واحد لتصل الى اوضاع شبه ثابتة حيث لا يحدث التغير والتقدم الا بالتقنية واذواق الناس وعدد السكان والنظم

السائدة(٢١).

فليس صحيحاً مقولة الكلاسيكيين أن سعر الفائدة هو العامل الحاسم فى الادخار وليس صحيحاً أنه كلما ارتفع سعر الفائدة كلما زادت المدخرات - فسعر الفائدة كما يقول كينز لا علاقة له بالادخار. . إن الادخار يعتمد اولا على مستوى الدخل والعادات والاعراف السائدة فى المجتمع. ان السياسة النقدية يجب أن تتجه دوما الى خفض سعر الفائدة والمجتمع المثالى النامى هو الذى تصل فيه الفائدة للصفر.

● وجاء تلميذ كينز - **سير هارود** - ونشر كتابه «**نحواقتصاد حركى ديناميكى**» فتبنى وجهة نظر كينز وطورها قائلاً - إن النظام الحر لا يمكن له البقاء اذا استمرت فئة خاملة باقراض النقود لتحصل على دخل يسمى الفائدة - دون أن تتعرض لمخاطر أو تبذل جهداً مبدعا فهى تعيش عالة على جهد المقترضين الذين يخاطرون ويبدعون. . ولابد من تخليص لمجتمع من شرورها بتحريم سعر الفائدة نهائيا عندها سيضطر المولون الى استثمار اموالهم بطرق نتاجية مفيدة(٢٢).

فلا عجب اذن أن نرى زيادات فى الادخار لمعاصر مع انخفاض سعر الفائدة.

● **ويمكن تلخيص الاطوار التاريخية التى مر بها الى ثلاثة اطوار:**

- طور التحريم - منذ اقدم العصور الى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى. . حيث تضافرت جهود الديانات الثلاثة لمحاربة هذا الداء مع ما قدمه الفلاسفة والمصلحون. . وهى اطول فترة فى حياة الربا كأسلوب يتعامل به فى النظم المالية.
- طور التساهل من منتصف القرن ١٢م حتى القرن ١م. . حيث نشطت التجارة وازداد نفوذ التجارة وضعف الوازع الدينى امام الاستخذاء المادى وكان لليهود أكبر دور فى افساد الحياة الاقتصادية.

٣ - مرحلة الرأسمالية التى نادت بوجوب التعامل بالفائدة. . واستمر ذلك حتى نهاية القرن الثامن عشر ليصبح الربا فيما بعد هو النظام المسيطر على اقتصاد العالم. ولا نعدم فى هذه المرحلة بعض نقاط الضوء التى رأيناها عند كينز. ويتطلع العالم اليوم الى جهود الفقه الاسلامى كوسيلة للخروج من ربقة النظام الربوى. . والله أعلم.

---

(١) دراسات اسلامية - د. محمد عبد الله دراز ص١٥٠ - دار القلم.
(٢) بحوث فى الربا - محمد ابو زهرة ص١٢-١٣ - دار البحوث العلمية.
(٣) مصرف التنمية الاسلامى - د. رفيق المصرى ص٦٨ دار الرسالة.
(٤) سفر اللاويين - اصحاح ٢٥
(٥) سفر الخروج - اصحاح ٢٢/ ٢٥
(٦) سفر التثنية - اصحاح ٢٣/ ١٩-٢٠.
(٧) المجتمع اليهودى - زكى شنودة ص٣٩٤.
(٨) انجيل لوقا - اصحاح ٦/ ٣٤-٣٥
(٩) مرقس صح ١١/ ١٥-١٦
(١٠، ١١) من حقائق الاسلام واباطيل خصومه ص١٢٩، ١٣٨ - موسوعة العقاد الاسلامية مجلد ٥.
(١٢) مصرف التنمية الاسلامى - د. رفيق المصرى - ص١٠٨ دار الرسالة.
(١٣) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه - العقاد - ١٣٤.
(١٤) دراسات اسلامية - محمد عبد الله دراز ص١٥٠.
(١٥، ١٦) بروتوكولات حكماء صهيون - محمد خليفة التونسى - تقديم العقاد ص١٩٩-٢٠٠، ٢٢٠.
(١٧) بنوك بلا فوائد - د. عيسى عبده - دار الاعتصام ص٤٢، ٢٣
(١٨) الاسلام والمعضلات الاجتماعية الحديثة ص١٧ - دار الكاتب العربى لعدد من الباحثين.
(١٩) المبادىء الاولية فى النظرية الاقتصادية - د. حمدية زهران ص٦٤١ - مكتبة عين شمس.
(٢٠) النظرية العامة فى الاقتصاد والفائدة والنقود - كينز - تعريب نهاد رضا - مكتبة الحياة بيروت ص٢٧٥.
(٢١) الاقتصاد الاسلامى بين النظرية والتطبيق - تعريب - د. منصور التركى ص١٨٨
(٢٢) موسوعة الاقتصاد الاسلامى - د. محمد عبد المنعم الجمال ص٣٩٦.

العرب

في الحلقات السابقة وحول حديثه عن الأثر البيئى عند العرب تتبع الدكتور نصار هذا الأثر عند النقاد العرب ثم عند الشعراء حيث كان هذا الأثر واضحاً في شعرهم بين البيئتين الحضرية والبدوية واستشهد لذلك من اشعارهم . . ويتابع فى هذه الحلقة من دراسته مقومات هذا الأثر عند المؤرخين العرب .

الاثر البيئى عند مؤرخى العرب (الى القرن الخامس)

أولع العرب بالأخبار التاريخية منذ جاهليتهم فتداولت كل قبيلة قصص تاريخها فى أسمارها وحافظت عليها حفاظها على كيانها ولذلك لم يعجب العلماء عندما وجدوا العرب يبادرون الى التأليف التاريخى منذ عصر مبكر كل التبكير بعد الاسلام ووجدوهم يبتكرون من وجوه التأليف التاريخى مالا نجده عند أمة غيرها فى قديمها فيما أعتقد .

وأقدم تاريخ عثرت على أخباره ويتناول بقعة معينة هو الكتاب الذى ألفه محمد بن الحسين بن زبالة فى تاريخ المدينة وفرغ من تأليفه فى اكتوبر سنة ٨١٤م .

والكتاب أو الكتب التالية هى ما ألفه محمد بن عمر الواقدى عن فتوح البلدان أو فتوح الشام ومصر وأرمينية والعجم والعراق وغيره . . ثم توالت الكتب التى اختص كل منها بمنطقة واحدة مثل اخبار مكة لأحمد بن محمد ، المعروف بابن الأزرق . . وأخبار البصرة لعمر بن شبة وغيرها . . أو عمت أكثر من منطقة مثل فتوح مصر والمغرب وأخبارهما لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم . . وفتوح البلدان لأحمد بن يحيى البلاذرى ، وغيرهما من الكتب التى قسمت ما احتوت عليه من فصول على أساس جغرافى . وعلى رغم أن هذه الكتب لاتمت الى التاريخ الادبى لا أشك أنها أسهمت فى لفت الانظار الى الأساس الجغرافى وأدخلته فى الاطار الثقافى للانسان العربى فى القرن التاسع .

وأقدم كتاب فى التاريخ الأدبى وصل الينا هو كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجُمَحِي . وقد قصر المؤلف كلامه على أربعين شاعرا من الفحول المشهورين فى الجاهلية ومثلهم فى الاسلام وما قارب ذلك من شعراء ذوى لون خاص .

وكما اختار الجمحى الشعراء على أساس تحكمى قسمهم الى طبقات على أساس تحكمى أيضـ فاعتمد فى التقسيم ـ كما يقول ـ على تشابه الشعر ولكنه جعل كل أربعة من الجاهلية ـ ومن الاسلاميين كذلك ـ طبقة . . وأقام الكتاب كله على هذا النظام وذلك أمر محال . . وقد شعر المؤلف بهذا فقال ذات مرة وهو يتحدث عن أوس بن حجر الذى وضعه فى



الطبقة الثانية من الجاهليين: وأوس نظير الاربعة المتقدمين الا أنا اقتصرنا فى الطبقات على أربعة رهط.

وعدل المؤلف عن هذا الأساس فى عدد من الشعراء وضعهم بين طبقات الجاهليين وطبقات الاسلاميين. حقا جعلهم طبقات غير أنه خصص واحدة لأصحاب المراثى وأخرى لشعراء القرى العربية وعنى بها المدينة ومكة والطائف والبحرين واليمامة، وطبقة ثالثة لليهود.

ويبين هذا أن ابن سلام رَاعَى فى تقسيمه الشعراء الذين تناولهم فى كتابه الأسس التالية:

١ - جودة الشعر وكثرته، فقدم الطبقات التى تتحلى بهاتين الخاصتين وأخر التى تفتقر الى احداهما.
٢ - لون الشعر، فجعل لأصحاب الرثاء طبقة وللرجاز الطبقة التاسعة من الاسلاميين.
٣ - جنس الشاعر فخص يهود المدينة بطبقة.
٤ - بيئة الشاعر حين جمع شعراء القرى معا وتكلم عن أهل كل قرية منها منفردين وحين أفرد الطبقة السادسة من الاسلاميين لأربعة شعراء من الحجاز.

يبدو أن دعبل بن على الخزاعى رَاعَى الأساس لبيئى فيما كتب عن الشعراء العباسيين اذ يقال انه لف كتابا فى شعراء بغداد وآخر فى شعراء البصرة وثالثا فى شعراء خراسان.. وسواء كانت هذه الكتب أجزاء من كتابه المعروف «**طبقات الشعراء**» كما يرجح الدكتور محمد زغلول سلام - أو كانت كتبا مستقلة فان دلالتها لا تتغير وتؤكد اقامة دعبل حديثه عن هؤلاء الشعراء على أساس جغرافى واضح.

ولم يصل الينا الكتاب التالى وهو «**البارع**» لهارون بن على بن يحيى المنجم. وقد أعطى ابن خلكان هذا الكتاب وصفين متناقضين فأوقعنا فى الحيرة.. فقد قال فى ترجمته للعماد الاصفهانى: «صنف التصانيف الفائقة من ذلك كتاب (**خريدة القصر وجريدة العصر**) جعله ذيلا على (**زينة دمية الدهر**) تأليف أبى المعالى سعد بن على الوراق الحظيرى، والحظيرى جعل كتابه ذيلا على (**دمية القصر وعصرة أهل العصر**) للباخرزى جعل كتابه ذيلا على (**يتيمة الدهر**) للثعالبى... والثعالبى جعل كتابه ذيلا على كتاب (البارع) «لهارون بن على المنجم».. وعاد الى تأكيد هذا القول فى ترجمته لهارون فقال: «هذا الكتاب هو الذى ذكرته فى ترجمة العماد الكاتب الاصبهانى وقلت: ان كتاب الخريدة وكتاب الحظيرى والباخرزى والثعالبى فروع عليه وهو الاصل الذى نسجوا على منواله».. وقبل هذا القول كل من كتب عن البارع أو يتيمة الدهر للثعالبى أو

منهج الثعالبى فى تأليفها . .

ولما كانت كل الكتب التى ذكرها ابن خلكان تعتمد على اساس جغرافى فى التقسيم كان لنا الحق أن نعتقد أن ابن المنجم اعتمد على هذا الاساس بل كان اول مؤرخ أدبى قسم كتابه كله على اساس جغرافى .

ولكن هذا الاستنتاج لا يتفق مع وصف ابن خلكان نفسه للبارع أيضا فى قوله : «افتتحه بذكر بشار بن برد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح» . . ذلك الوصف الذى يقارب وصف كتاب «الباهر» الذى بدأ تأليفه أخوه يحيى بن على وأتمه ولده أحمد . . ووصف ابن المعتز وقد صرح ابن المعتز . . فى مقدمة كتابه «**طبقات الشعراء**»بأنه تابع فيه ابن المنجم فى كتابه «طبقات الشعراء» الذى قطع محمد بهجة الأثرى انه اراد البارع . . فاذا صح ذلك وجب اخراج البارع من هذه المجموعة فلا اساس جغرافيا فى كتاب ابن المعتز . . وتؤكد هذا أن كتب هذه المجموعة صرحت أنها تتبع الثعالبى ومن بعده من المؤلفين ولم يذكر أحد منها ابن المنجم .

ويلف الغموض أحد الكتب المنسوبة الى محمد بن يحيى الصولى فقد سمته بعض المصادر كتاب شعراء مصر وبعضها شعراء مضر فاذا صح العنوان الاول كان أول كتاب تناول الشعراء المصريين بالحديث وكان الأساس الجغرافى واضحا فيه .

ونبرز الى الضياء مع كتاب عبد الملك بن محمد الثعالبى (٩٦١-١٠٣٧) المسمى «**يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر**» .

فقد رأى العالم الاسلامى يستظل بثلاث خلافات متخاصمة ومتنافسة عباسية سنية فى المشرق، وفاطمية شيعية فى الشام ومصر والمغرب، وأموية سنية فى الاندلس . . ورأى الشعراء الفحول يظهرون أو ظهروا فى كل واحدة من هذه الخلافات . . ولا يقتصر الامر على بغداد أو العراق بل رأى الشعر العربى ينزوى عن جزء من بلاد فارس تهيمن عليه الدولة السامانية، و تسلمه الى شعر فارسى اللغة أخذ يقوى شيئا فشيئا الى ان أظهر أول شعرائه الكبار فى أبى جعفر رودكى .

فاتخذ الثعالبى من التقسيم البيئى اساسا لكتابه ورتب شعراء عصره الذين ذكرهم فى اقسام أربعة :

١ - القسم الاول فى محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها من مصر والموصل (والمغرب) وما لمع من أخبارهم .

٢ - القسم الثانى فى محاسن أشعار أهل العراق وانشاء الدولة الديلمية من طبقات الافاضل وما يتعلق بها من اخبارهم ونوادرهم وفصوص من فصول المترسلين منهم .

٣ - القسم الثالث فى محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها وما ينضاف اليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

٤ - القسم الرابع فى محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر من انشاء الدولة السامانية والغزنية والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق والمتصرفين على اعمالهم وما يستظرف من أخبارهم وخاصة أهل نيسابور والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

ثم قسم كل واحد من هذه الاقسام الى عشرة أبواب فكانت أبواب القسم الاول كما يلى :

١ - الباب الاول فى فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان . .

٢ ـ الباب الثانى فى ذكر سيف الدولة.
٣ ـ الباب الثالث فى ذكر أبى فراس.
٤ ـ الباب الرابع فى مُلح شعر آل حمدان وغيرهم من أمراء الشام وقضاتها وكتابها.
٥ ـ الباب الخامس فى ذكر ابى الطيب المتنبى.
٦ ـ الباب السادس فى ذكر النامى والناشى والزاهى
٧ ـ الباب السابع فى ذكر أبى الفرج عبد الواحد الببغاء.
٨ ـ الباب الثامن فى ذكر الخليع الشامى والوأواء الدمشقى وابى طالب الرقى.
٩ ـ الباب التاسع فى مُلَح أهل الشام ومصر والمغرب.
١٠ ـ الباب العاشر فى ذكر شعراء الموصل.

وتأتى ابواب القسم الثانى كما يلى:
١ ـ الباب الاول فى ذكر ملوك آل بويه.
٢ ـ الباب الثانى فى ذكر المهلبى الوزير.
٣ ـ الباب الثالث فى ذكر أبى اسحاق الصابى.



٤ ـ الباب الرابع فى ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء.. عبد العزيز بن يوسف وعبد الرحمن بن الفضل الشيرازى، وعلى بن القاسم القاشانى.
٥ ـ الباب الخامس فى ذكر شعراء البصرة.
٦ ـ الباب السادس فى ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها سوى بغداد.
٧ ـ الباب السابع فى ذكر قوم من شعراء بغداد.
٨ ـ الباب الثامن فى تفاريق قطع من مُلَح المقلين من أهل بغداد ونواحيها والطارئين عليها من الآفاق والمقيمين بها.
٩ ـ الباب التاسع فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم فى الوزير أبى نصر سابور بن أرد شير.
١٠ ـ الباب العاشر فى ذكر الشريف ابى الحسن الرضى الموسوى النقيب.

وهذه أبواب القسم الثالث:
١ ـ الباب الاول فى ذكر ابن العميد.
٢ ـ الباب الثانى فى ذكر ابنه أبى الفتح ذى الكفايتين.
٣ ـ الباب الثالث فى ذكر الصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد.
٤ ـ الباب الرابع فى ذكر أبى العباس أحمد بن ابراهيم الضبى.
٥ ـ الباب الخامس فى محاسن أشعار أهل العصر من أصبهان.
٦ ـ الباب السادس فى ذكر الشعراء الطارئين على حضرة الصاحب (بن عباد) من الافاق سوى من يقع ذكره منهم فى أهل خراسان وطبرستان فإن لهم باباً مفردا فى هذا الربع الثالث.. وسوى أبى طالب المأمونى وأبى بكر الخوارزمى وبديع الزمان أبى الفضل الهمذانى فإن لذكر كل منهم مكانا فى الربع الرابع.
٧ ـ الباب السابع فى ذكر سائر شعراء الجبل والطارئين عليه من العراق وغيرها.
٨ ـ الباب الثامن فى ذكر.. أهل فارس والاهواز.. سوى

من تقدم ذكرهم فى ساكنى العراق . . وسوى من يتأخر ذكرهم فى الطارئين على خراسان .
٩ ـ الباب التاسع : ذكر . . أهل جرجان وطبرستان .
١٠ ـ الباب العاشر فى ذكر الامير السيد شمس المعالى قابوس بن وشمكير.

وهذه هى ابواب القسم الرابع :
١ ـ الباب الاول فى ايراد محاسن وطرف من أخبار وأشعار قوم سبقوا أهل عصرنا هذا قليلا وتقدموهم يسيرا ومن أبناء الدولة السامانية وانشاء الحضرة البخارية وسائر شعراء خراسان الذين هم ـ مع قرب العهد ـ فى حكم أهل العصر.
٢ ـ الباب الثانى فى ذكر العصريين المقيمين بالحضرة البخارية والطارئين عليها والمتصرفين فى أعمالها .
٣ ـ الباب الثالث فى ذكر المأمونى والواثقى .
٤ ـ الباب الرابع فى غرر فضلاء خوارزم .
٥ ـ الباب الخامس فى ذكر أبى الفضل الهمذانى .
٦ ـ الباب السادس فى ذكر أبى الفتح البستى وسائر أهل بست وسجستان .
٧ ـ الباب السابع فى تفاريق من مُلَح أهل بلاد خراسان سوى نيسابور.
٨ ـ الباب الثامن فى ذكر الامير أبى الفضل عبيد الله بن احمد الميكالى .
٩ ـ الباب التاسع فى ذكر الطارئين على نيسابور من بلدان شتى على اختلاف مراتبهم . . فمنهم من فارقها ومنهم من استوطنها . . سوى من تقدم ذكره منهم فى سائر الابواب .
١٠ ـ الباب العاشر فى ذكر النيسابوريين الذين تقع محاسن أقوالهم فى هذا الباب .

يتجلى من هذا العرض للأقسام والابواب أن الثعالبى أقام اقسام كتابه وابوابه على اساس جغرافى واضح . . فتناول القسم الاول المنطقة من الشام شرقا الى المغرب غربا . والثانى العراق الثالث ايران تقريبا والرابع خراسان وما وراء النهر . . وأقام الابواب على مدينة أو اقليم واحد احيانا مثل الموصل والبصرة والعراق واصبهان والجبل وبخارى وخوارزم وخراسان . . وأقامها على اكثر من مدينة مثل الباب التاسع فى القسم الاول والثامن والتاسع فى القسم الثالث والسادس فى القسم الرابع . . ولكنه فى الباب التاسع من القسم الثالث فصل الحديث عن جرجان عند حديثه عن طبرستان . . وأعطى بغداد ثلاثة ابواب ونيسابور بابين لاعتبارات مختلفة . . يظهر الاساس الجغرافى فى بابى نيسابور لان احدهما لابنائها والثانى للطارئين عليها .

وفصل الحديث عن المقيمين عن الطارئين فى داخل الباب السابع من القسم الثالث أيضا . وقد خلط الطارئين بالمقيمين دون تفرقة بينهما فى أبواب اخرى مثل الابواب السادس والسابع والثامن من القسم الثالث، والبابين الثانى والتاسع من القسم الرابع . . بل فعل ذلك فى أقسام أخرى دون أن يصرح بذلك فى عناوينها كما يتجلى فى القسم الاول خاصة . . بل ذهب الى ابعد من ذلك عندما خصص احد الابواب للطارئين على احد الاشخاص من البيئات المختلفة، مثل الباب التاسع فى القسم الثانى والسادس فى القسم الثالث . . وأعطى بخارى بابين أقامها على اساس زمنى يتجلى فى البابين الاول والثانى من القسم الرابع . . ولما فعل ذلك وغيره اضطر الى أن يخرج بعض الشعراء من الابواب التى يستحقونها جغرافيا كما فعل فى الباب السادس من القسم الثانى والبابين السادس والثامن من القسم الثالث . . والبابين السابع والتاسع من القسم الرابع .

ولذلك حين أقول ان الثعالبى أقام كتابه على اساس

جغرافى لا أعنى أنه التزم هذا الاساس التزاما دقيقا سالما من الشوائب. . فنحن نرى المؤلف فى العناوين السابقة يتخذ من الاسرات الحاكمة لا البيئات مواد بعض عناوينه ونراه يجمع فى القسم الواحد بين بيئات مختلفة متباعدة. . على الرغم من ذلك لقى كتاب يتيمة الدهر من اعجاب مؤرخى الادب ما جعلهم يتخذونه مثالا يحتذونه فى اعمالهم فيؤرخ كل منهم لأهل عصره، ويقيم الحديث عنهم على اساس جغرافى كما فعل الثعالبى. . بل اتبعوه فى حديثه المسجوع الذى لا يقدم معلومات عن اديب ممن تناولهم ولا يُقَيمه تقييما حقيقيا.

بعد مدة تجمعت لدى الثعالبى معارف تنتمى الى الكتاب الذى كان قد اشتهر بين العلماء فدونها فى ملحق سار فيه على نهج اليتيمة قال: «ووقع الىَّ على الايام ما ينخرط فى سلكه ويصلح للالحاق به ولا يسوغ تأخيره عن اخواته لاسيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبراء، لامترك لثمار خواطرهم ووسائط قلائدهم. (و) عن لى حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه وايداعه ما شذ عنه من طرزه وجنسه. . وقد قررت عنوان الكتاب تتمة اليتيمة».

وذكر صاحب كشف الظنون أن لتقى الدين بن عبد القادر المصرى مختصرا لليتيمة فى مقدار نصفها.

وألف على بن الحسن الباخرزى كتاب «دمية القصر وعصرة أهل العصر» وقسم معاصريه الذين تناولهم فيه الى سبعة أقسام هى:

١ ـ القسم الاول فى محاسن شعراء البدو والحجاز.

٢ ـ القسم الثانى فى طبقات شعراء الشام وديار بكر وأذربيجان والجزيرة وسائر بلاد المغرب.

٣ ـ القسم الثالث فى فضلاء العراق.

٤ ـ القسم الرابع فى شعراء الرى والجبال وأصفهان وفارس وكرمان.

٥ ـ القسم الخامس فى فضلاء جرجان واسترباذ ودهستان وقومى وخوارزم وما وراء النهر.

٦ ـ القسم السادس فى شعراء خراسان وقهستان وبست وسجستان وغزنة.

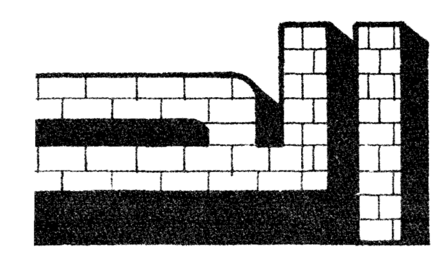
٧ ـ القسم السابع فى طبقة من ائمة الادب لم يجر لهم فى الشعر رسم أورد فيه عشرين رجلا ممن لم يعرفوا بالشعر لم يراع فى ايرادهم ترتيبا ما.

وكان كل واحد من هؤلاء الادباء ينتمى الى مدينة غير مدن رفاقه. وذكر الباخرزى انه جعل الاعلام فى داخل كل قسم ثلاث طبقات زمنية «منهم السابقون الاولون ومنهم اللاحقون المخضرمون ومنهم المحدثون العصريون. . غير أن الكتاب لا يفرد كل طبقة بفصل خاص. بل لا نجد فصولا فى الكتاب غير فى القسم السادس. فقد افتتحه بخمسة من الادباء عدهم نجوما أرضية نظموا من اسلاك القوافى عقودا مرضية. . هم فى مواكب الفضل خميس وما منهم الا مقدم أو رئيس». . كذلك فعل مع ادباء مدينته باخرز «عناية بأرض خرجتنى والى هذه الرتب العالية درجتنى» كذلك نجد فيه عنوانا لطبقات مدينة بيهق وآخر لاسفرايين.

وواضح ان الباخرزى تناول الاقاليم التى تناولها الثعالبى وعالج معاصريه من الشعراء خاصة والكتاب عامة كما فعل الثعالبى وانهما اشتركا فى بعض التراجم لان الباخرزى وجد الثعالبى لم يعطها ما تستحق رغم أن الباخرزى قسم الكتاب على سبعة أقسام لم تبرأ الدمية مما لاحظناه فى اليتيمة ومما سنجده فى معظم الكتب التالية.

«البحث موصول»

الكتاب العرب و



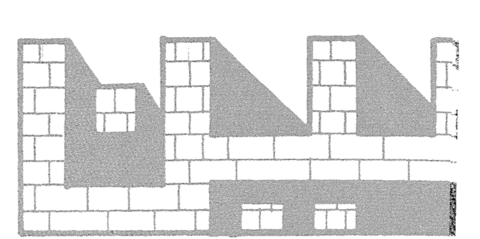
الصين . . ذلك الطرف القصى من الأرض رغم كل الصعاب والعوائق استطاع المسلمون والعرب ان يصلوا إليه ويتعرفوا على حياة القوم هناك وسجلوا مرئياتهم ومدوناتهم فى مجلدات تظل شاهداً بعظيم جهدهم فى سبيل المعرفة . . وهذا المقال محاولة احصائية لبعض هذا الكم الهائل .

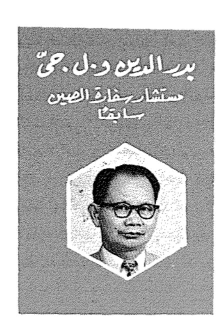
من المتصور بل من الثابت ان الصين كانت معلومة لدى العرب فى فجر الاسلام . . وقد كانت هناك علاقة طيبة بين الصين وملك الروم فى الشام من جهة وبين الصين وملك فارس كسرى من جهة اخرى . . وقد كان ملوك المناذره فى بلاد الحيرة «العراق» اليوم هم همزه الوصلة لهذه العلاقات الودية قبيل ظهور الاسلام فى جزيرة العرب لأن بلاد الحيرة كانت بمثابة نقطة اللقاءات للوافدين . . الروم والفرس والصين فضلا عن الوافدين ورؤساء القبائل العرب مثل بنى قيس وبنى تميم وبنى مضر من الحجاز وقريش من مكة المكرمة فى رحلاتهم التجارية صيفا وشتاء . . فلذا صار اسم الصين معروفا وشائعا لدى العرب .

وفى زمن النبى ﴿ﷺ﴾ كانوا يهتمون بحفظ القرآن وكتابة الوحى وحفظ الاحاديث وروايتها والدعوة الى الجهاد فى سبيل الله فبرز فيهم كبار الحفاظ والكتاب والرواة والخطباء والشعراء المسلمين .

وفى زمن الخلفاء الراشدين بدأ الاهتمام بجمع القرآن وتدوينه وترتيبه وكتابته فى مصحف وتفسيره وتوضيح معانيه بالاحاديث مع الاهتمام بتلاوته . . قراءة وتجويدا واستنباط الاحكام الشرعية بالاجماع والاجتهاد .

وفى العصر الاموى قام عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين فى البلاد الاسلامية التى كانت تدار باللغات النبطية او اليونانية او الفارسية وقد احسن عملا . . و أدى ذلك الى نشأة علم اللغة العربية وفروعها مثل الصرف والنحو والبلاغة وغير ذلك للحاجة اليها فى فهم القرآن الكريم فهما صحيحا من ناحية اللغة والنحو وحفاظا عليه بين المسلمين فى الاقطار النائية التى دخلت فى فتوحات العرب والاسلام وفى الاجيال القادمة . . ونتيجة لعملية التعريب برز عدد كبير من اللغويين والنحاة والعلماء





فى البلاغة والبيان وفى الادب العربى شعرا ونثرا والكتاب والفقهاء والمفسرين والمحدثين. . لكن احدا من علماء العصر الاموى لم يكتب شيئا عن الصين لانشغالهم فى العلوم العربية والدينية الاسلامية.

واذا جئنا الى العصر العباسى نجده عصراً ذهبيا لنهضة العلوم العربية والاسلامية مع نشر العلوم الاصيله والدخيلة التى تؤثر فى الحضارة الاسلامية من الطب والفلك والتاريخ والجغرافية والمعمار. . فبرز فى هذا العصر الذهبى عدد لا يحصى من الكتاب الذين كتبوا فى التفسير والاحاديث والشعر والنثر العربى وفى اللغة العربية والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والجغرافية والاسفار التى ذكروا فيها عجائب البلاد وغرائب العباد وغير ذلك من الكتب.

من المؤرخين والجغرافيين والرحالين عدد غير قليل قد دونوا ملاحظاتهم اومشاهداتهم فيما يتعلق بالصين وديانات اهل الصين وعاداتهم وغير ذلك من لعلومات القيمة. . واذكر فيما يلى بعض هؤلاء كتاب الذين ذكروا فى مؤلفاتهم اشياء كثيرة عن صين تثير اهتمام الباحثين عن العلاقة بين العرب الصين فى القرون الماضية.

ابن خرداذبه: وهو ابو القاسم عبد الله بن عبد الله ابن خرداذبه وكان فارسى الاصل وكان جده مزدكيا فاسلم وله كتاب سماه «المسالك والممالك» كتبه فى سامرا بين ٨٤٤ و٨٤٨م اذ كان مديرا عاما لديوان البريد وبين فى كتابه محطات البريد من مدينة الى اخرى ومن اقليم الى آخر. . وبيّن فيه ما يتعلق بالتجارة فى مرافىء الصين وغير ذلك من المعلومات فى تلك الايام.

سليمان التاجر السيرافى: ويقول غستاف لبون: إن اول من ترك لنا معلومات عامة موثوقة بها ومحفوظة فى اللغة العربية عن بلاد الصين وتجارة العرب فيها هو سليمان السيرافى الذى سافر الى الصين بحرا غير مرة عن طريق ساحل الهند وجاوه فدوّن ملاحظاته ومشاهداته فى كتاب سماه (سلسلة التواريخ) يضم جزئين والجزء الثانى بقلم ابى زيد الحسن السيرافى وتمت كتابته فى عام ٨٥١م وهو اول من ذكر مهمة وهبان بن الاسود الى عاصمة الصين فنقل عنه المسعودى فى كتابه الشهير (**مروج الذهب ومعدن الجوهر**) ولعل كاتب الشرق الاكبر الامير شكيب ارسلان لم يطلع على ما ورد فى سلسلة التواريخ فى

هذه النقطة فلذا ينسب اصل الرواية الى المسعودى حينما اجرى قلمه السيال فى بيان وصول الاسلام الى الصين تعليقا على كلمة (الصين) فى حاضر العالم الاسلامى . . ويظهر أن ما جاء فى تاريخ الكامل لابن الاثير فى الجزء السابع منقول من ابى زيد الحسن السيرافى الذى لاحظ تغير الامور فى الصين سنة ٢٦٤هـ . . ثم نقل عن ابن الاثير غيره من العلماء المتأخرين غافلين عما ورد فى الجزء الثانى من سلسلة التواريخ .

اليعقوبى : وهو احمد بن ابى يعقوب ابن جعفر بن وهب وادية المعروف باليعقوبى كان من بنى العباس وله اتصال بالعائلة الطاهرية بخراسان فقد ألف كتابا فى تاريخ بنى العباس ورأى (فران Feran) أن هذا الكتاب فى الحقيقة يعتبر خلاصة تاريخ العالم وهو فى جزئين وقد انتهى من وضعه سنة ٨٧٢م ذكر فيه طريق البحر من السيراف الى الصين يعبر سبعة ابحر كما قال .

ابن الفقيه : وهو ابو بكر بن محمد بن اسحاق بن الفقيه الهمدانى اذكره هنا لأنه من علماء الاسلام الذين عاشوا فى اوائل القرن العاشر الميلادى وكتاب البلدان الذى ألفه ابن الفقيه فى سنة ٩٠٢م فى الموضوع الذى نحن بصدده ولو انه لم يأت بشىء جديد من المعلومات عن علاقة العرب بالصين لوجدنا فى كتابه تأكيدا لما قال ابن خرداذبه وسليمان السيرافى واليعقوبى من الجزائر والمدن الواقعة فى الطريق البحرى الى الصين .

ابن رسته : من معاصرى ابن الفقيه واسمه «**ابو على احمد بن عمر**» ألف كتابا سماه العلقه النفيسة فى ٩٠٣م والقسم الجغرافى الذى كون الجزء السابع محفوظ فى متحف لندن .

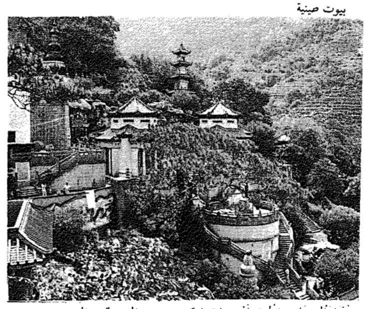
المسعودى : ولد فى بغداد وكان عالما كبيرا عميقا فى العلم والمعرفة سياحا كثير السياحة . . وقد صرف ٢٥ عاما من عمره فى السياحة العلمية والجولان فى الممالك الاسلامية المجاورة لقاعدة الخلافة العباسية مثل الهند وما وراء النهر . . له تحقيقات علمية ومشاهدات قيمة دونت فى الكتب والاسفار واشهرها مروج الذهب ومعدن الجوهر وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات فى الايام الماضية فى عواصم الغرب والشرق فى الهند ومصر وفى اوروبا وعلى هوامش نفح الطيب .

وقد ذكر اشياء كثيرة عن الصين منها سفر وهبان بن الاسود الى الصين نقلا عن ابى زيد السيرافى الذى اجتمع معه فى البصرة سنة ٣٠٣هـ (٩١٦م)، ومنها رسالة ملك الصين الى انوشروان ووفد الصين الى الخليفة المهدى، ومنها عادات الصينيين فى العبادة ودياناتهم، ومنها مراكب الصين الى عمان وسيراف، ومنها انهار الصين وظباء المسك ـ معلومات قيمة مدونة فى كتب العرب فى القرن العاشر من الميلاد .

ابو دلف الينبعى : (٩٤٠م) بعد المسعودى كتب ابو دلف الينبعى شيئا غير قليل عن الصين وكان شاعرا معروفا بابى دلف مصعار بن مهلهل المولود بينبع على ساحل البحر الاحمر وقد سافر الى خراسان واتصل بآل سامان فى القرن العاشر من الميلاد وله رحلات من خراسان الى الصين وقد دون مشاهداته فى كتاب سماه (**عجائب البلاد**) وقد تكلم عن الاحوال فى تركستان . . وكان سفره الى الصين فى حكم السلطان نصر بن احمد المتوفى سنة ٩٤٣م ليخطب ابنه ملك الصين لاحد ابنائه .

الادريسى : من الشخصيات البارزة فى العالم الاسلامى : ابو عبد الله محمد بن الادريسى المولود بسبته المراكش سنة ٤٩٣هـ المتوفى ٥٩٠هـ وقد جال

بيوت صينية



هذا السياح الجغرافى بلادا كثيره من الشرق والغرب فرجع واستوطن بجزيرة صقلية حيث كتب كتابه الشهير المسمى بـ (**نزهة المشتاق فى اختراق الافاق**) فى جغرافية المالك الاسلامية والشرقية وقد ذكر فى كتابه اشياء كثيره عن الصين ومدنها وعادات اهلها وعلاقتها التجارية مع الترك والعرب والاندلس والمغرب استنادا الى ابى زيد السيرافى وابن النديم. واول من ذكر ذهاب اهل الاندلس الى الصين هو ابو دلف الينبعى الذى ذكرته انفا.

الغرناطى: وهو محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن الربيع الغرناطى الاندلسى من معاصرى الادريسى.. وهذا العالم الجليل مع تركته العلمية فى اللغة العربية لا يزال مجهولا عند كثير من الباحثين لأن الكتاب الذى كتبه لم يطبع حتى الآن ومازال فى صورة مخطوطة بدار الكتب المصرية يحمل عنوان «**جغرافية المأمون**» وأخرجته وحين كنت باحثا فى ايام دراستى بمصر عما يدلنى على معلومات قيمة بعلاقات العرب بالصين.. فاذا هو نسخة مخطوطة بخط مغربى.. كتب على اول ورق الكتاب عالم اسمه السيد محمد الاقدمى الذى اطلع على هذه الكتب وهى.. الكلمات التالية.. «ان هذه المخطوطة لكاتب من اهل غرناطة فى اوائل القرن السادس من الهجرة اسمه محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن الربيع الغرناطى الاندلسى المتوفى سنة ٥٦٥هـ واسم الكتاب الاصلى (**تحفه الالباب ونخبة الارباب**)..

وهذه المخطوطة فى جزئين وفى الجزء الاول ذكر اشياء كثيرة عن الصين منقوله مما سمع من الناس الآخرين ومما قال عن منقولاته ما يأتى: «كنت بمصر سنة ٥١٢هـ واجتمعت بها بالشيخ ابى العباس الحجازى وكان ممن اقام بارض الصين والهند اربعين سنة وكان الناس يتحدثون عنها بالعجائب وقلت له يا ابا العباس.. انى سمعت عنك اشياء كثيرة من العجائب والآن اريد ان اسمع منك شيئا من عجائب خلق الله.. وكان الشيخ الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى حاضرا.. فقال ابو العباس: رأيت اشياء كثيرة ولا يمكننى الاخبار بها لأن اكثر الناس يحسبونها كذبا.. وقال الشيخ الامام ابو بكر ذلك يكون من العوام الجهال.. اما العلماء واهل العلم فانهم يعرفون الجائز من المستحيل.. فقص عليه ما رآه من العجائب والغرائب.. منها طير الرخ وكبر رياشها وذكر ان رجلا من التجار ممن سافر الى الصين واقام فيها مدة فوصل الى بلده بالمغرب باموال عظيمة وكان الناس يتعجبون من ذلك وكان يعرف بعبد الرحيم (الصينى) بسبب سفره الى الصين واقامته بها مدة طويلة.

اننا لا نستعجب من رجل مغربى يلقب (بالصينى) كما ورد فى كتاب الغرناطى لاننا اذا نظرنا فى معجم البلدان لياقوت فاننا نجد فيه كثيرا من تجار الاندلس والمغرب يلقبون بالصينى للسبب المذكور وهذا ايضا دليل على وجود علاقة متينة بين الاندلس والمغرب والصين فى القرن السادس الهجرى (اى القرن الثانى عشر الميلادى قبل سفر ابن بطوطة الى الصين).

ياقـــوت: وهـو ياقوت بن عبد الله الرومى الذى عاش بين ١١٧٩ و١٢٢٩م وكـــان أول من سلك مسلكا جديدا فى ترتيب كتابه «**معجم البلدان**» على الحروف الأبجدية وبهذا الترتيب المبنى على القاعدة العلمية الصحيحة سهل السبيل الى اقصى حد فى اخراج المراجع التى يريدها الباحث فمثلا اذا أردت ان تعرف ماذا كتب عن الصين ففى دقيقة تستخرج كلمـة الصـين من معجم البلدان وتقرأ ما تريد من المعلومـات بكل سهولة ليس كمثل الكتب الاخرى قبله لانها لم تكن مرتبة على اسلوب علمى . . فمن الصعب العثور على ما تريده من المعلومات الا بعد تعب كثير.

وقـد ذكر ياقوت فى كتبه كثيرا من التجار العرب منهم السيـد ابراهيم بن اسحاق الكوفى الملقب بابراهيم الصينى لطـول اقـامته بها ومن الثابت انه قد تعلم اللغـة الصينيـة واجـاد كتـابتها والشاهد على ذلك رسـالتـه باللغـة الصينيـة التى رفعت الى امبراطور الصين وكانت مكتوبة باسلوب ادبى صينى فى سنة ٩٩٤م ومحفوظة فى بعض المراجع الصينية.

ابن البيطار: وهو عبد الله بن البيطار المولود بمالغة سنـة ١١٩٧م على اغلب الظن . . وقـد كان عالما عربيـا لكنـه ليس من علماء الجغرافيا ولا من علماء التاريخ ولا من علماء الفقه بل انه عالم ممتاز من علماء النباتات . . وقد دخل فى خدمة الملك الكامل بدمشق كرئيس علماء النبـاتات ثم فى خدمة الملك الصالح نصار معززا ومكرما عنده ومات فى عاصمة الشام سنة ١٢٤٨م.

. وقـد كتب هذا العـالم النباتى لنا كتابين باللغة العـربية احدهما «المغنى» والثانى «جامع المفردات» وقد ذكر فى جامع المفردات اشياء كثيرة صينية الاصل منهـا بيش وجـزع وتـوتيـا وراوند والمسك وكل هذه الاشياء مفيدة فى مداواة بعض الامراض المعروفة فى وقته.

رشيـد الـدين فضـل الله المتوفى ١٣١٨م: من الشخصيـات اللامعة التى لا نستطيع ان نتجاهلها عندما نتكلم عن كتاب الاسلام والعرب فيما يتعلق بتاريخ الاسلام فى الصين . . ولرشيد الدين فضل الله كتاب قيم باللغة الفارسية يسمى «**جامع التواريخ**» وكـانت تجتمع فى شخصية هذا العالم صفات كثيرة مشهـــوره وكـــان مشهـورا بالطب وفعـل الخـيرات وبالسياسة والتاريخ . . ولد بهمدان ببلاد الفرس سنة ١٢٤٧م وكان جده موفق الدولة على معاصرا لاكبر عالم فلكى اسلامى وهو نصر الدين الطوسى الذى بنى مرصدا بامر هولاكو بمدينة مراغه والذى ترك لنا زيجـا قارن فيـه ببعض المـدن الصينية مثل خانبالق ويـانجـو مع البلدان الاسـلامية فى درجات الطول والعـرض كما أنـه كان معـاصرا لسعد الدين صدر الـدولـة المغـولية ببغداد وكان ثلاثتهم قد دخلوا فى خدمة هولاكو بعد فتح المغول لبغداد.

وكـان رشيد الدين لأنه طبيب القصر المغولى فى بغداد يتمتع بنصيب عظيم من الامتيـازات اثناء عهد عباقة خان ولكن فضائله المتنوعة لم تشتهر الا فى عهد غازان خان الذى ارتقى العرش فى سنة ١١٩٥م واستوزره غازان خان مع اشراك سعد الدين فى منصب الوزارة.

وقد كان غازان خان كلفه بتدوين تاريخ المغول فمات غازان خان قبل ان يتم رشيد الدين كتابه فى تاريـخ المغـول لكن خليفتـه اوليجاتو خان أَمَرَهُ ان يكمله وينسبه كما كان فى الاصل الى غازان خان.

كان اولجاتو خان من محبى العلم وانصاره فكلفه ان يكتب جزءاً آخر عن بلاد الاسلام وجزءاً ثالثا عن الجغـرافيـا الخاصة بالممالك الاسلامية . . ويظهر ان رشيـد الـدين كان يعرف كثيرا من اللغات الشرقية

كالعربية والفارسية والمغولية والصينية والتركية والكشميرية وغيرها من الالسن مما يساعده على اتمام الكتاب الجليل المعروف بجامع التواريخ بين ايدينا الآن . . ويعتبر العلماء وخاصة المستشرقين هذا الكتاب اهم المصادر التى لا غنى عنها فى البحث عن تاريخ الاسلام فى آسيا ونفوذ الاسلام فى الصين فى عهد المغول.

ابن بطوطة : وهو اشهر رحالة المسلمين فى القرن الرابع عشر الميلادى وقد بدأ رحلته العالمية فى سنة **١٣٢٥**م من مدينة طنجه بمراكش فمر بشمال افريقيا ثم مصر وفلسطين - شمال جزيرة العرب ثم مكة المكرمة حيث أدى فريضة الحج ثم سافر الى استنبول ومن هناك الى الهند عن طريق جنوب الروسيا وخراسان وبخارى وقندهار واستقر فى دهلى عاصمة الهند ثم ارتحل من هناك الى قاليقوط على ساحل ملابار وابحر من هناك فى السفن البحرية سفيرا لتغلق شاه صاحب دهلى الى القان (خان الاعظم) بخانبالق (بكين اليوم) فمر فى طريقه الى اول مرافق الصين بحرا بجزائر سيلان ومالديب وسماطره وجاوه فنزل بالزيتون (الكانتون اليوم) اول مرافق الصين بالجنوب ثم سار من مدينة الى مدينة حتى وصل الى خانبالق . . وله ملاحظات قيمة عن احوال الصين وعادات اهلها وحالات المسلمين فيها.

لقد صرف ابن بطوطة **٢٤** عاما فى السياحة والرحلات والجولات فى الممالك الاسلامية بالشرق الادنى والشرق الاقصى لكن هذا السفر الطويل لم يتعبه بعد عودته الى الوطن المغرب ولم يقنع نفسه الكبيرة التى تحب الاستطلاع والاكتشاف بما شاهده فى الشرق من كرة الارض المعمورة حتى استأنف رحلة طويلة اخرى الى بلاد الاندلس ثم الى بلاد اواسط افريقيا حتى لم يحلم احد من رجال اوربا بالسفر اليها ثم عاد الى فاس وتوفى بها سنة **١٣٧٧**م بعد مشاهدة ثلثى الربوع المسكونة من كرة الارض.

وقد دون ابن بطوطة مشاهداته فى كتاب سماه «تحفة الانظار فى غرائب الامصار» وهو موجود فى اربعة اجزاء اصبحت اوثق المصادر والمراجع للكتاب الباحثين عن احوال العالم الاسلامى فى القرن الرابع عشر الميلادى وما قبله من القرون . . وعلاوة على هذه القيمة العلمية فالجزء الرابع من طبعة اوربا من كتابه ملىء بالمعلومات الموثوق بها عن الصين واحوال المسلمين فيها ثم ما ذكره من مراكب الصين وانواعها وصناعة الفخار ودراهم الكاغد (بنك النوت) فى معاملة البيع والشراء والرقابة على الفنادق وحفظ امن الطرق من المشاهدات القيمة التى قلما يلتفت اليها سياحو القرون الوسطى . . فكتابه من هذه الناحية يعتبر من اهم المصادر التى نستند اليه فى ابحاثنا عن موضوعات شتى.

الجلبى : وهو سيدى على الجلبى ربان السفينة الذى بعثه السلطان سليمان العثمانى فى سنة **١٥٥٣**م الى برتغال فسدّ طريقه عاصف هائل حتى حول مسيره الى ساحل الهند وقبل ذلك كان معروفا بانه شاعر واديب وقرأ الكتب العربية والفارسية والتركية المتعلقة بالملاحة وقد قيل انه قد زار جميع المدن الشهيرة فى الشرق واجتمع برجال العلم والفضل وجال استنبول وشمال الهند وبدخشان وما وراء النهر وخوارزم وايران وكان كاتبا بليغا باللغة التركية وألف كتابا سماه مرآة الممالك بالتركية وله كتاب اخر وهو اكثر اهمية من الاول فى موضوع الملاحة فى الابحر الشرقية، مسمى بالمحيط . . لقد عثر على نسخة من هذا الكتاب فى احمد اباد بكجرات الهند أتمّ كتابته سنة **١٥٥٤**م ونظرا لاهمية ما جاء فى هذا الكتاب كتب الاستاذ هومر عدة مقالات نشرت فى مجلة الجمعية الاسيوية (بنغال) فى العدد الثالث

(١٨٣٤م) والخامس (١٨٣٦م) والسابع (١٨٣٧م) والثامن (١٨٣٨م).

وبناء على ما ورد فى علاقات الاسفار للاستاذ فران: أن الجلبى قد بين الطريق من سنغافورة الى الصين عن طريق كوجين وانام ومن انام الى ابواب الصين ومنها الى الجنوب الشرقى حيث توجد دار الصينى وراوند واحسن الاصناف من الفخار يقال له «بايه تخت جين وكما توجد فى شهر نو وفغفور.. واعلى البضائع يقال له «بايه تخت فغفورى».

الهمدانى: وهو ابو الخير مؤلف تاريخ المغول المعروف بتاريخ الغازانى باللغة العربية.. ومن خصوصيات هذا الكتاب انه يوجد فيه ذكر انساب التتار واحواهم من قديم العهد الى زمن غازان خان واحوال اويغور اول من اسلم من امراء التتار.

القلقشندى: من علماء الاسلام البارزين الذين تكلموا عن الصين، العلامة القلقشندى.. وهذا العالم الجليل معروف فى العالم الاسلامى وكتابه صبح الاعشى كفيل لتخليده الى ما شاء الله.. وقد ذكر فى الجزء الرابع من هذا الكتاب شيئا غير قليل عن مملكة الصين وترتيبها فى عهد المغول وحالة المسلمين فيها وعقائد خان واتباعه وعاداتهم واحترامهم لرجال الدين.. واما مصدر معلوماته فمن العلماء الذين سافروا الى بلاد الصين مثل تاج الدين السمرقندى او من المؤلفين الفارسيين المعتبرين من علاء الدين بن عطاء الملك الجوينى.. وقال فى ترتيب مملكة الصين وهو يروى عن لسان الشريف تاج الدين السمرقندى: أن هذا القاآن (الخان الاعظم) اسيرين كبيرين هما من الوزراء يسمى كل من يكون فى هذه الرتبة جنكهان ودونهما اميران اخران يسمى كل منهما بنجانج ودونهما اميران آخران يسمى كل منهما «بوجين وتشوجين» وله كاتب هو رأس الكتاب يسمى «لنجون» وهو بمنزله كاتم السر فى بلادنا.

ثم ذكر عن الشريف ابى الحسن الكربلائى وكان اجتمع بالقاآن فى بلاد الصين أن له اربعة وزراء يصدرون الاوامر فى مملكته كلها ولا يراجع القان الا فى حالة نادرة.. قال فى مسالك الامصار: ذكر لى الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطيارى البوسعيدى ان المغول على ما هم عليه من الجاهلية على السيرة الفاضلة الشاملة لاهل مملكتهم ومن يرد اليها.. ثم تكلم عن لسان الشريف «تاج الدين السمرقندى» ومن عجائب ما رأيت فى مملكة هذا القان انه مع كفره فرعاياه من المسلمين امم كثيره وهم عنده مكرمون محترمون ومتى قتل احد من الكفار مسلما قتل القاتل الكافر هو واهله.. ومتى قتل مسلم كافرا لا يقتل به بل يطالب بديته ودية الكافر عندهم حمار لا غير.



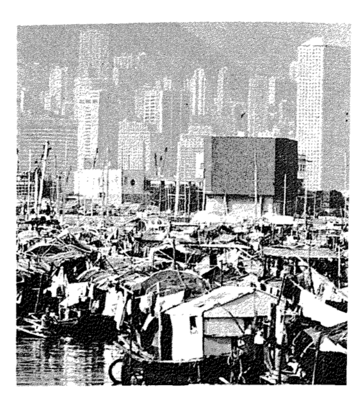
الامير شكيب ارسلان : لا يخفى على القراء أن الامير شكيب ارسلان من العلماء الاجلاء الذين انجبهم النصف الاول من القرن الحاضر (العشرين) للعروبة والاسلام . . فانه مؤرخ عظيم واديب كبير وشاعر بليغ وفوق كل هذا انه عامل ليس لبلاد العرب فقط بل للعالم الاسلامى كله . . وهذا العالم الجليل مؤلفات كثيرة فى موضوعات شتى ومنها التعليقات على حاضر العالم الاسلامى للاستاذ ليتوروب ستودارد وما علق على كلمة الصين ولخص فيها ما قد كتب الكتاب الفرنسيون مثل تقارير بعثة دولون والمحمدية فى الصين لميسيو دابرى تيرسان والمسلمون فى يننان لميسيو كورديه .

اتربى ابو العز باشا : وقد ولد فى اغسطس/ آب ١٨٨١م فى بلدة ميت ابو غالب من مركز شبين/ مصر وقد اشتغل رئيسا لمحكمة الاستئناف بمصر . . وله رسالة صغيرة عن الصين سماها (نبذة عن الصين) قسمها الى ثمانية فصول وهى :

«جغرافية الصين . . تاريخ الصين . . الاسلام فى الصين . . نظام الحكومة . . المدنية الصينية . . الديانة واللغة . . الاخلاق والعادات» .

● **كتاب صغير ولكنه مفيد لمن يريد ان يعرف شيئا عن الصين غير ما ذكر فى الفصل الرابع وهو الاسلام فى الصين من ذهاب احد الصحابة يدعى (وهب بن رعشة) بعد هجرة النبى ﷺ الى المدينة المنورة لا يستند الى اى سند تاريخى ويظهر انه اخذ هذا الاسم سهوا مما اخطأ كثير من الاوربيين فى مؤلفاتهم عن الاسلام فى الصين .**

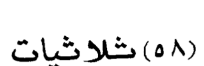
● **ثم هناك كتاب آخرون مثل «فريد وجدى»** وقد ذكر الاسلام فى الصين فى دائرته المعارف الاسلامية وكذلك البستانى فى دائرة معارف البستانى .


القديم والحديث فى الصين

الشيخ بيرم التونسى : وهو مولود بمدينة تونس سنة ١٨٤٠م المتوفى بمدينة حلوان ١٨٨٩م وفى الجزء الاول من كتابه المسمى بصفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار وقد طبع بالقاهرة فى اربعة اجزاء فصل مستقل تكلم فيه عن الاسلام فى الصين - دخول الاسلام فى الصين ومذاهب المسلمين فيها . . وهو اول كاتب عربى اتى فى كتابه باخبار عن ثورة يعقوب بيك فى تركستان الصينية وثورة محمد سليمان «تووين شيوى» فى يوننان . وهو ايضا اول عالم اسلامى ذكر (هوى هوى) اى المسلم باللغة الصينية وخوى خوى تانج (معبد المسلمين) ولا وشيوفو اى المعلم ولى باى سى اى المسجد وتسين جسن جاو (اى الدين الطاهر الخالص) .

ويظهر ان الشيخ بيرم التونسى قد نقل هذه لكلمات من مؤلفات الفرنسيين الذين كتبوا عن لمسلمين فى الصين فى اواخر القرن التاسع عشر لميلادى .





(٥٨) ثلاثيات

ثلاث من شيم الكرام : العفو عند المقدرة ـ وقبول الاعتذار ـ ومؤانسة الزائر .

●● يقول الشاعر :

لو جئتنا يا ضيفنا لوجدتنا
نحن الضيوف وانت رب المنزل

وثلاث تجلب الحزن : الاستقصاء يورث الغم ـ والبخل يورث الذم ـ والدَّين يورث الهم .

وثلاث فى ذوى العاهات : قالوا : القصير اما حكمة وإلاَّ نقمة . . كل ذى عاهة جبار . . اذا شفت أعور اقلب حجر .

(٥٩) السراقة السلابة :

قال الامام على ـ كرم الله وجهه ـ :

اذا أقبلت الدنيا على أحد اعارته محاسن غيره واذا أدبرت سلبته محاسنه .

فبئس الدنيا ومن يركن إليها سرّاقة سلاّبة . !

(٦٠) قسمة مجنون :

كان بهلول من عقلاء المجانين فى العهد العباسى فسئل يوماً عن رجل مات وخلف ابناً وابنة وزوجة ولم يخلف من المال شيئاً فكيف تكون القسمة .

فقال : للابنة الثكل ، وللزوجة خراب البيت ، وما بقى من الهم فللإبن .

(٦١) ثلاثة مجانين :

قيل : أمر الخليفة موسى الهادى باحضار بهلول وعليان المجنونين فأُحضِرَا فلما دخلا عليه قال العليان : أيش معنى عليان؟ . قال عليان : وأيش معنى موسى أطبق؟ . فغضب الهادى وقال : خذو برجل ابن الفاعلة . . فالتفت عليان إلى



بهلول، وقال: خذها إليك كنا اثنين فصرنا ثلاثة.



وقصة: موسى أطبق هي أن الهادى فى صغره كان يغفل فيظل فاتحاً فاه فوكل به أبوه من يذكره فيقول له: (موسى أطبق) فصارت عيرة لموسى حتى بعد أن أصبح خليفة.

(٦٢) نذير الكلاب:

حكى صاحب كتاب عقلاء المجانين فقال: قال الامام يوسف القاضى كنت ماراً فى طرقات الكوفة واذا أنا بعليان المجنون فلما بصرنى سلم وقال: لى أيها القاضى مسألة.. قلت: هات قال أليس قال الله تعالى فى كتابه العزيز ﴿**ومامن دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم**﴾ قلت: بلى. قال أليس قال الله عز وجل ﴿**وإن من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾.. قلت: بلى. قال: فما نذير الكلاب؟ قلت لا أدرى فأخبرنى؟.. قال لا والله لا أقول الا (بمنّ) رقاق من شواء ونصف من فالوذج.. فأمرت من جاء بها ودخلت معه المسجد فأكلها فقلت: هات الجواب فاخرج من كمه حجراً وقال: هذا نذير الكلاب..؟

(٦٣) حلاوة المقال:

لو كُلُّ كلب عَوَى القمته حجراً
لأصبح الصخر مثقالاً بدينار



وقفة الصابرين

أرثيك يا أبى وأنا أعرف حقا أن أصعب كلمات الرثاء هى التى تنحبس عن التعبير فتعصر القلب، وتفجّر الدمع وتنكأ الجراح . . . أرثيك يا أبى بعد أن توقف القلب الكبير الذى ظل طيلة نبضه يخفق بصدق الإيمان وحرارة الحب وفيض المشاعر الانسانية التى لا يهبها الله الا لمن يشاء من عباده.

●● أرثيك وقد سكت اللسان الذى ظل طيلة نطقه يسبح لله فى اليوم اكثر من ألف مرة، وعاهد الله بأن لا ينطق إلا بكلمة عفاف أو مقولة نصح، أو عبارة صدق أو توجيه.

أرثيك وقد توقفت الرِّجل التى دأبت على المشى الى المساجد لتناجى ربك فى ظلمات الليل ساجدا وقانتا تدعو لبلادك وأمتك وأمة المسلمين بالأمن والتمكين فى الارض . .

أرثيك وقد توقفت الرِّجْل التى دأبت على المشى عدة كيلات لتطوف بيت الله الحرام أكثر من أربعين شوطاً فى اليوم والليلة.

أرثيكَ وقد كُنْتَ تأمل أن تكون من مجاورى مسجد رسول الهدى فى طيبة الطيبة . . أرض الرسالة، ومنطلق الجهاد لأول دين سماوى خالد.

●● أرثيك وقد أصْرَرْتَ أن يكون حفظ كتاب الله العزيز أول واجب على ابنائك.

●● أرثيك وأنت تدعو الله فى كل صلاة ا[illegible] يُخلِّص بيت المقدس أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين من قيود الأسر والظلام

الأدب بمفهومه العام فيه متسع للإبداع في كل فن يعرف ولعله من هذا المنطلق جاءت هذه الخطرات النفيسة لفتات ذكية خفيفة الظل عميقة المعنى.



والاحتلال. . أرثيك وقد خَدَمْتَ بلادك سنوات طوال أبَيْتَ بعدها ان تطلب تقاعداً، أو تأمل في أي عرض من حطام الحياة الدنيا.

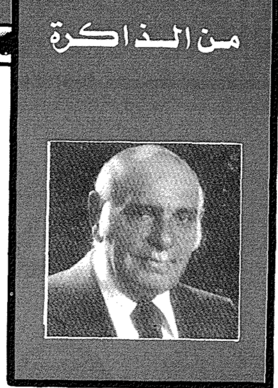
نرثيك يا أبي والانسان يؤمن ان الموت قضية أزلية حتمية ترتبط به منذ كينونته، وانه بالتوكيد لم يعرف نتيجة مؤكدة لأي معادلة اكثر مما عرف ان الموت نتيجة ازلية ومؤكدة لمعادلة الحياة. . وهو حين يُعَزّى في قريب او عزيز، او صديق له انما يعزى في الحقيقة نفسه كما في قول إمامنا ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي:

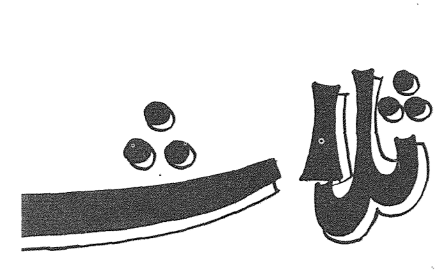
إني أعزِّيك لا أنّي على طمع
من الخلود ولكن سَنّة الدِّيْنِ
فما المعزَّى بباقٍ بعد صاحبه
ولا المعزِّي وان عاشا الى حينِ

●● هذه هي الحقيقة ومادام الموت نهاية الانسان بعد ما يستوفي أجله. فهو بالنسبة للميت قضية ربانية توكدت في قول الله تعالى ﴿**كُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت**﴾ وفي قوله تعالى ﴿**كُلُّ مَنْ عليها فانٍ**﴾.

●● أما بالنسبة لذويه وأعِزّائه واصحابه فينبغي أن يكون وقفة صبر احتسابا وطاعة للخالق العظيم في وعده الحق ﴿وبشّر الصابرينَ الذينَ إذاأصابتهُمْ مُصيبةٌ قالوا إنّا لله وإنّا إليهِ راجعونَ. أولئكَ عليهم صلواتٌ مِن ربِّهِمْ ورحمة وأولئكَ هُمُ المهتدون﴾.

●● اللهُمَّ صبرا. . والى جنة الخلد يا أبي ودعاء من الاعماق بأن تكون مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقا.





الحقيقة الأولى :

إسم ديوان عرار شاعر الاردن المجلّى:

مازال الناس يتوهمون ان اسم ديوان عرار هو جمع عشية لان المرحوم كان له سهرات فى **(وادى اليابس)** والصحيح ان الشاعر يرحمه الله سمى ديوانه باسم الفتاة الغجرية التى كان يستلطفها واسمها (عشيات) ذكر لى هذه الحقيقة صديقى المرحوم **«زعل القسوس»** فى مكتبى سنة ١٩٥٧ . . قال لى - وقد جرى ذكر عرار يرحمه الله - انا اتعجب من هؤلاء الناس الذين لا يعرفون ان اسم الفتاة التى سمى باسمها ديوان الشاعر هو **(عشيات)**.

سألته لانى انا نفسى كنت أجهل هذه الحقيقة فاجاب: «انا كنت رئيس اجراء والمرحوم عرار كما تعلم كان صديقاً لنا ووالده كان صديقاً حمياً وقد ذهبت معه مراراً الى وادى اليابس وعرفت تلك الفتاة وكان اسمها عشيات وقد اشار الشاعر الى ذلك بقوله:

يا اخت واد قد دعوتك باسمه
وله نسبت تبركاً ديوانى

افبعد هذا بيان؟ دعوتك باسم هذا الوادى **(عشيات وادى اليابس)** ولاسمك نسيت تبركاً باسمك - ديوانى اليه.

والمرحوم (زعل القسوس) انسان مُزكّى مهذب لا يلقى كلامه جزافاً.

ولما رأيت ان كل الذين كتبوا على شاعر الاردن قد غابت عنهم هذه الحقيقة وجدت من واجب الحقيقة علىَّ وواجب هذين المرحومين (عرار) و(زعل القسوس) أن اذكر هذه الحقيقة بعد ان ذكرتها للناس مراراً وقد طلب إلىَّ الاستاذ الشاعر المبدع (حيدر محمود) ان اذكر ما اعلم للناس.

الحقيقة الثانية :

هى نسبة هذين البيتين من الشعر الى سماحة المغفور له الشيخ «محمد عبده» مفتى الديار المصرية والبيتان هما:

ولست أبالى ان يقال (محمد)
ابلّ واكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد اردت صلاحه
احاذران تقضى عليه العمائم

روكس بن زائد العزيزي
عمــان



فهذان البيتان للمصلح الاجتماعى الوزير العلامة الشاعر المؤرخ (محمد بن احمد اكنسوس) وسنفرد له مقالاً خاصاً به وهو ينتسب الى (جعفر بن ابى طالب) رضى الله عنه.

الحقيقة الثالثة :

هى ان القصيدة المشهورة (ياتين) هى للشاعر العراقى المرحوم (حافظ جميل) وهى مثبتة فى ديوانه «نبض الوجدان» من ص١٥٦-١٦٤ وقد ذكر لى - برحمه الله - قصتها ايام دُعيت الى (بغداد) سنة ١٩٥٥ قال:

لقد كثر الجدل واللغط منذ سنوات خلت حول عائدية هذه القصيدة فمنهم من زعم ان ناظمها هو زميلى فى الجامعة الامريكية بـ (بيروت) وقتئذ الشاعر المرحوم (ابراهيم طوقان) الفلسطينى ومنهم من زعم ان ناظمها هو زميلى فى الجامعة الدكتور (وجيه البارودى الحموى) وآخرون رووها لنا نحن الثلاثة.. والحقيقة التى لا مراء فيها هى ان ناظم القصيدة هو (انا لا غيرى) وان ما يروى للمرحوم (ابراهيم) وللدكتور (وجيه) من قصيدة مماثلة حول الموضوع اشتركا سوية فى نظمها بعنوان (حديقة العشاق) انما كانت قصيدة معارضة لقصيدتى (ياتين) ليس الا.

وان ما ورد فى قصيدة (**حديقة العشاق**) من ابيات هى من اصل قصيدتى (**ياتين**) لم يكن الا اقتباساً. فالمرحوم (ابراهيم) والدكتور (وجيه) لم تكن لهما ادنى صلة او حتى ادنى تعرف على التى اوحت إلىَّ بنظم هذه القصيدة وغيرها من القصائد (التينية) المتفرقة التى ورد ذكر بعضها فى الديوان وضاع بعضها الآخر مع ما ضاع من شعرى الجامعى.

والذين كانوا معنا فى الجامعة الامريكية بـ (بيروت) وقتئذ يذكرون جيداً ان ملهمة شعر المرحوم (ابراهيم) كانت الآنسة الفلسطينية (م.ر.) التى نظم فيها الشيء الكثير واشهر ما نظم فيها آنذاك كانت قصيدته المعروفة (فى المكتبة) التى يقول فيها:

«وغريرة فى المكتبة　　بجمالها متنقبة»

كما ان ملهمة شعرى كانت يومئذ الآنسة الدمشقية (ل.ن.) التى نظمت فيها الشيء الكثير.

اما الحادث الطريف الذى وقع لى يومئذ فنظمت بسببه قصيدة (ياتين) فهو اننى كنت ذات يوم اتحدث الى زميلى الدكتور (وجيه) فى عمارة (لويج هول) من الجامعة الامريكية واذا بالآنسة (تين) تمر بنا فجأة فما كان منى الا ان التفت اليها بدون عمد او اصرار وصحت باعلى صوتى (ياتين) ولكننى سرعان ما ادركت اننى قد وقعت فى الفخ وان الآنسة (تين) سوف لا تغفر لى هذه الزلة المكشوفة سيما بعد ان وعدت عميد الجامعة بانى سوف اقلع عن التشبيب بها وبعد ان بعثت اليها بقصيدتى (التينة العاشقة) المثبة فى ديوانى (نبض الوجدان) الذى سينشر ان شاء الله قريباً ـ وقد نشر فعلا سنة ١٩٥٧ .

اقول اننى وقد شعرت باننى قد وقعت فى الفخ سرعان ما عدت والتفت ثانية الى زميلى الدكتور (وجيه) متمما (ياتين ياتوت يارمان ياعنب) فلم يتمالك الدكتور (وجيه) من الضحك وقال: «لله درك كيف استطعت ان تتخلص من ورطتك هذه» قلت: «يا وجيه والله لأجعلن منها قصيدة ستسمعها عن قريب ان شاء الله» وبعد اسبوع واحد او يزيد سلمت الدكتور «وجيه» ستة مقاطع من القصيدة هى المقاطع (١) ، (٢) ، (٩) ، (١٠) ، (١٢) ، (١٣) وبعد نحو شهر او يزيد كنت قد اتممت القصيدة والقيتها فى مدرسة (**الفريندز**) فى قرية (برمانا) فى حفلة ترحيبية اقامتها لى هيئة المدرسة آنذاك .

هذا مجمل تاريخ نظم قصيدة (ياتين) وكان ذلك فى سنة ١٩٢٧م وقد حاول كثيرون غيرى من زملائى فى الجامعة الامريكية بـ (بيروت) وممن يعرفون تاريخ هذه القصيدة ان يفهموا مصدر التبلبل والخطأ فى اسناد هذه القصيدة او بالاحرى القصيدة المماثلة لها ومعرفة الاسباب التى حملت الكثيرين ان يسندوها الى المرحوم (ابراهيم) او الينا نحن الثلاثة (أنا والمرحوم ابراهيم والدكتور وجيه) فلم يحصلوا على نتيجة شافية .

اما الآن قد صدر الى الاسواق ديوان المرحوم (ابراهيم طوقان) الذى كان قد هيأه المرحوم (ابراهيم) بنفسه واعده للطبع قبيل وفاته فليتأمل القارىء فيما سطره بالحرف الواحد ناشر الديوان وهو الاستاذ (احمد طوقان) فى الصفحة (٩) من الديوان اذ كتب ما يلى حرفياً: «**هذا هو ديوان اخى (ابراهيم)** اضعه بين يديك ايها القارىء الكريم بعد ان ساعدت الظروف على نشره غير مدع فضلاً فى جمعه ولَمِّ شتاته فقد كفانى المرحوم (ابراهيم) مشقة الجمع وعناء البحث بين مفرق الاوراق. . الى ان يقول فى الصفحة (٩) نفسها ما يلى: «قلت ان ابراهيم رحمه الله وندى ثراه قد كفانى مؤنة جمع الديوان ذلك لانه




ابراهيم طوقان

جمع ديوانه بنفسه قبل ان يفارق دار النكد والفناء الى دار النعيم والبقاء وانك لتجد بين مخلفاته دفاتر متعددة كتبت فى مناسبات متفاوتة فى القدم فهذه قصيدة اثبتت فى المجموعة الاولى فمر عليها قلمه فى مناسبة اخرى فحذفها وكتب عليها (قصيدة مفككة الاوصال باردة العاطفة) وتلك قصيدة اخرى بدون تعليق لاعتقاده بان المناسبة التى قيلت فيها لم تكن بالمناسبة التى تستحق الخلود ثم نقل تلك المجموعة المنقحة مرة اخرى ولم تنج هذه المجموعة الثانية ايضا من قلمه بل أعمل فيها فحذف ما حذفه واثبت ما اثبت ما ستطالعه فى هذا الديوان فهوبعينه ما كان سيطلع به علينا المرحوم (ابراهيم) لو مد الله فى اجله وأشرف بنفسه على طبع ديوانه».

لذي يتصفح ديوان المرحوم (ابراهيم) لا يجد فيه اى ذكر أو اشارة الى قصيدة (ياتين) كما لا يجد فيه اية ارة او ذكر الى قصيدة **(حديقة العشاق)** التى كان

نظمها بالاشتراك مع الدكتور (وجيه) فى رضتها قصيدتى (ياتين) وعلى هذا فلا ادرى من

اين حصل الذين يردون قصيدة (ياتين) للمرحوم (ابراهيم) على معلوماتهم هذه وما هى تلك المصادر التى استقوا منها تلك المعلومات. . ان هذه الكلمة التى اوردها ناشر ديوان المرحوم (ابراهيم) وهو اخوه كافية وحدها لاماطة اللثام عن الحقيقة ولدحض مزاعم اولئك الذين لا يبغون من وراء اسناد هذه القصيدة الى غير ناظمها الا طمس الحقيقة والواقع.

هذا وقد جرى حوار - فى دارى بعمان - بينى وبين الاستاذ الدكتور (كامل السوافيرى) نهار الاحد ٢٧/٤/١٩٨٦ بحضور:

١ - علامة الجزيرة العربية الاستاذ حمد الجاسر.

٢ - الاستاذ ابراهيم عبد اللهالعمار الملحق التعليمى فى السفارة السعودية بعمان.

٣ - الشاعر المبدع الاستاذ حيدر محمود المدير العام لدائرة الثقافة والفنون.

٤ - الاستاذ الدكتور عدنان البخيت عميد البحث العلمى فى الجامعة الاردنية.

٥ - الاستاذ الدكتور هانى العمد مدير مكتبة الجامعة الاردنية والاستاذ فى الجامعة. ،

٦ - الاستاذ وديع الصوالحة الاديب المعروف.

٧ - الاستاذ احمد جبر محقق المطبوعات فى دائرة المطبوعات والنشر.

وعلى الرغم من ايرادى البراهين التى سقتها قبل هذا فانه - اعزه الله أصر على ان قصيدة (ياتين) هى للمرحوم (ابراهيم) وكانت حجته ان الديوان لم يحو كل شعر (ابراهيم طوقان) وقوله هذا صحيح لكن قصيدة مشهورة مثل هذه نظمت سنة **١٩٢٧** لو كان له فيها اية مشاركة لما اخجله ان يذكرها.

فرحم الله (حافظاً) و(ابراهيم) فقد طلبت روحاهما الرحمة على حد تعبير الارادنة.



في اوائـل عام ١٣٨٦هـ نقل الاستاذ «عبـد الله خيـاط» عنـدما كان رئيس تحريـر جريـدة «عكـاظ» رأيـا لاديبنا الكبير الاستاذ «عزيز ضياء» يقول فيه: ان بلادنا لا ادب فيهـا ولا ادباء.. لأننا نفتقد الجو الذى يخلق رجالات هذا الميدان. واضاف الاستاذ الخياط الى ذلك اعجابه برأى الاستاذ ضياء ووصفه بانه اعتراف بالحقيقة وهو فضيلة. وهو رأى له قيمته لأنه صادر عن أحد أدباء الجيل القديم.

وقبل ذلك - اى فى عام ١٣٧٨هـ - نشرت جريدة الاضـواء (استـفـتـاء) حول مقـومـات الادب السعـودى.. وكـان جواب الاستـاذ عبـد الكـريم الجهيمان: انه اذا كان السؤال عن ادبنا الحاضر فإنه يشك مع الشاكين فى وجود ادب مستقل لدينا.. اما اذا كان السـؤال عن مقـومـات أدب المستقبـل؟ فالجواب: الحرية هى التى تنقصه والحرية هى التى يكون بها أدبا بحق وبها أيضا تتفتح الاذهان وتطمح الأبصـار وتتسـع المجـالات لـرواد الحقيقـة وتخـرج الكفاءات المغمورة..

وفى إجابات بعض الأدباء على استفتاء الأضواء م يؤيـد وجهـة نظـر الاستـاذ «الجهيـمان» باننـا نفتقد الاستقلال او التميز فى ادبنا.

وكانت اجابتى على الاستفتاء نفسه: اننى اتفق مع القائلين بأن أدبنا غير مستقل ولا متميز واعدت م سبق ان نشـرته لى جريدة (البلاد السعودية) على عهد رئيس تحريرها الاستاذ «عبد الله عريف» بعنوان «أدبنا لا معالم له فكيف نضع معالمه؟» وما نشرته بعد ذلـك مجلة «المنهـل» لى حول ادبنا وكيف نجدده؟ ونحدد شخصيته؟.

وقلت - فى اجابتى على استفتاء الاضواء - اننى لا اختلف مع الاستـاذ الجهيمان فى أن الحـرية دعامة الادب الاولى ولكنى تسـاءلت يومـذاك: هل اذا ضمنًا (الحرية) لأدبنا سوف نظفر بأدب متميز المعالم؟ وبالتالى هل فقدان الحرية فى أدبنا هو وحده السبب فى فتوره وضعفه وعدم استقلاله وامتيازه؟.

ثم أضفت قولى: من رأيى ان أدبنا يمر منذ اكثر من عشر سنوات - وكان ذلك فى عام ١٣٧٨هـ - بفترة انقراض وفناء - اى ان ترك شيوخ الأدب عندنا الميدان للمتأدبين



ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جليدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

الصغار.. يخوضون فيه بما شاءوا من لغو وكيف شاءوا من عبث ظانين أن الأدب هو هذا الانشاء الذى يتعلمه الطلبة فى المدارس.. مجرد الكتابة واتقان الاسلوب وترتيب النشر فى الصحف أو إصدار الكتب والدواوين والاقاصيص.. ولا شىء بعد ذلك من ثقافة واسعة مستمرة ومبادىء فكرية مستقيمة ثابتة ورسالة أدبية مرسومة معلومة - إن إخلاء شيوخنا لميدانهم هو أحد الاسباب الرئيسية لاختفاء أدبنا أو انتهائه.

وقلت أيضا: حتى أدبائنا الكبار أو شيوخ الادب - بعد تركهم الميدان للصبيان والغلمان العابثين - لم يعودوا أدباء أدب واضح المعالم متميز الحدود مستقل الافكار.. الا قليل منهم..

محنة الأدب السعودى واسبابها

وختمت إجابتى - على استفتاء مجلة «الاضواء» بأن السبب فى محنة الأدب السعودى عندى هو:

أولا: عدم الثبات على المبدأ فالأدب عندنا هواية غير دائمة فى حين أن الهوايات الاخرى تدوم عند اصحابها.. أدباؤنا غير دائمين على القراءة والكتابة معا.. فهم إن وجدوا فرصة للنشر كتبوا وان لم يجدوا صمتوا مع أن الكتابة سواء أكانت فى نطاق الصحف والمجلات ام فى النطاق الاوسع نطاق التأليف - هى حافزة على القراءة والقراءة ايضا حافزة على الكتابة فكلتاهما تستمد من الأخرى نشاطها وحيويتها واستمرارها بحيث يكون العمل الأدبى أو الفكرى عندئذ (رسالة) يحملها الأديب أو المفكر طوال حياته دون انقطاع.

ثانيا: التقليد فى القصة والتقليد فى الشعر.. حتى فى نفس الألفاظ وذات المعانى وهو أمر مفضوح للقراء فى أكثر ما ينشر من قصص واشعار.

ثالثا: نظرتهم الى الأدب كمشغلة مؤقتة أو وسيلة الى الشهرة وطريق الى الوظيفة فى حين ان «الادب» رسالة فكر وجهاد قلم مدى الحياة.

رابعا: عدم وجود رابطة بين الادباء يتعاونون بها على تركيز الافكار وتبادل المعارف وتحديد معالم الادب السعودى وانهاضه والتقدم به واستكمال نقائصه.

وهذا الذى قلته عن أدبنا وأدبائنا لا يعنى بإطلاق ان بلادنا لا أدب فيها ولا أدباء - كما يرى الاستاذ عزيز ضياء - ولذلك كان تعقيبى عليه فى جريدة «عكاظ» نفسها وبتاريخ ١٣٨٦/٤/٢٧هـ: بأن لدينا أدبا

وأدباء والاستاذ عزيز ضياء فى مقدمتهم فكراً وأسلوبا - ولكن الأدب فى بلادنا يحتاج الى تشجيع وتنظيم فهو يفتقر الى نوادٍ (١) للنقاش والجدل والحوار وتبادل الآراء والافكار والى مؤسسات ودور للطباعة والنشر والتوزيع على نطاق عربى عام ولو تحققت هاتان الحاجتان: النوادى ودور النشر(٢) لرأينا لادبنا وادبائنا شأنا. . واضفت الى ذلك فى تعقيبى على الاستاذ ضياء: ان هناك مؤثراً سلبيا فى تطور أدبنا ورقيه . . وهو اشتغال الادباء بالكتابة فى الصحف والاذاعة. وأنه مجال - كما هو ملحوظ وملموس - لا يغرى بالتجديد اللفظى ولا التعمق الفكرى وانما تغنى فيه عمليات «**سلق البيض**» على حد تعبير أديبنا الكبير الاستاذ «**احمد قنديل**» - رحمه الله - .

على الأدباء أنفسهم أن يتحركوا

وفى حوار آخر مع صديق العمر ورفيق المدرسة الاستاذ «**عبد العزيز الرفاعى**» والذى يقوم الان بعمل ادبى كبير - وان سماه «**المكتبة الصغيرة**» اشار الاستاذ الرفاعى الى لجنة متواضعة ضمتنى وإياه وبعض الافاضل منذ ربع قرن تقريباً تعاونت مادياً وأدبياً على نشر بعض المؤلفات السعودية مع ضعف الامكانات وقلة الاقبال على الادب المحلى وندرة العون والتشجيع الحكومى يومذاك وهو اليوم يبذل بسخاء لبعض المطبوعات السعودية.

وقد نادى الاستاذ الرفاعى عندئذ - اى فى اوائل سنة ١٣٨٦هـ نادى المتحمسين لنشر الادب السعودى ان يعملوا فى هدوء وتواضع كما فعلنا من قبل وكما يفعل هو الآن وحده مشكوراً.

وحاورته فقلت - فى عكاظ - تعقيباً عليه لقد أحسن حين ذكر بعض الأدباء والشعراء الذين قاموا بنشر مؤلفاتهم على حسابهم كالأستاذ السباعى - وعارف - والقرشى - والسنوسى - والزمخشرى - والانصارى - والعواد - وابن خميس وامثالهم.

وأرى - كما قلت فى تعقيبى - أن بقية الأدباء والشعراء الذين تثار الضجة حول أدبهم وتنطلق النياحة على ضياع آثارهم وأفكارهم واشعارهم المطمورة أو المقبورة. . ليسوا فقراءً ولا بؤساء يعجزون عن نشر إنتاجاتهم الأدبية على نفقاتهم الخاصة كما أنهم سيجدون من تشجيع بعض الوزارات والمؤسسات العلمية والادبية نصيباً موفوراً بشراء القليل أو الكثير من مطبوعاتهم. . ولو فرضنا أنهم حصلوا على رأس مالهم الذى بذلوه فى الطبع دون ربح أو خسارة فذلك مكسب أدبى كبير.

ومن الملاحظ أن هؤلاء الأدباء البخلاء المحجمين عن نشر إنتاجهم الأدبى - يملأون الصحف والمجلات والاذاعة بأحاديثهم وكتاباتهم وقصائدهم ويتقاضون عليها أجوراً سخية. . فماذا عليهم لو اختصوا بجزء منها طبع كتبهم ونشرها؟.

أدبنا بين الاتهام والدفاع

وفى محاضرة طويلة تحت عنوان «**ادبنا بين الاتهام والدفاع**» ألقيتها بنادى الوحدة الرياضى الثقافى بمكة المكرمة خلال شهر ذى القعدة عام ١٣٨٧هـ تناولت الموضوعات التالية:

قلت: إن فى محيطنا الأدبى خلافاً واختلافاً. . اما الخلاف فهو ناشب بين شباب أدبنا وشيوخه. . فى صورة اتهام متبادل بين الطائفتين بالعجز والتقصير أو بالكسل والانطواء - واما الاختلاف فهو قائم بين فريق من أدبائنا

وفريق آخر على أمور لا أحصيها وانما اعد منها: **«الالتزام» و«ركود الحركة الادبية» و«أهلية أدبنا للنشر»**.

وقلت ـ في المحاضرة ـ إن الشباب الناقم على الشيوخ لم نعرف له سوى الاختلاس والتقليد بفهم وبدون فهم مع انحراف عن الحق وتجسيد للمنكر من الأفكار والنظريات.

وطالبت يومذاك بأن تكون صحافتنا واسعة الصدر تفسح المجال للنقد الأدبي الموضوعي المهذب وتتيح لادبنا التطور والنماء.

وقلت: إننا عندما ندعو إلى الحرية والتجديد في أدبنا فإننا نشترط لذلك ان نحترس من المفاهيم الخاطئة لمعنى الحرية ومعنى التجديد فالخطأ فيهما سبيل الى الضياع والفناء.

وتحدثت أيضا عن شيوخ الأدب كيف نشأوا؟ وماذاكانت نشاطاتهم الفكرية وتنظيماتهم الاجتماعية عندما



محمد حسن عواد — أحمد قنديل



محمد على السنوسي — عزيز ضياء



عبد العزيز الرفاعي — عبد الله خياط

كانوا شباباً ينتهلون في شغف بالغ من موارد العلم والثقافة من كل باب وفي كل طريق.. على الرغم من ضعف الامكانات يومذاك وصعوبة المواصلات وقلة ما يصل الى أيديهم من كتب ومجلات.

كما تحدثت كذلك: عن أدباء الشباب وما ينبغي لهم من متابعة الدراسة واتقان الأداء قبل العجلة الى النشر والتماس الشهرة بإنتاج ضعيف هزيل ـ مع الالتزام والأصالة في الايمان برسالة الأدب وأدائها بإخلاص.

وتصديت للأدب النسوي وقلت: إنها مسألة فيها نظر وأعتقد أن وراء كل أديبة رجلاً أديبا وذكرت شيئا من سيرة الأديبات العربيات **«مي ـ ومارى العجمي ـ ووداد سكاكيني»** وما جاء في أدب طه حسين والرافعي واسماعيل صبري من إطراء للأديبات العربيات.. وبواعثه العاطفية.

وهذا لا يعني أنه ليس هناك أديبات عربيات على مد تاريخ الأدب العربي إطلاقاً فهناك نوادر منهن قديماً وحديثاً ولكن النادر لا حكم له ولا عبرة به(٣)

بهذا التقديم او هذا التلخيص لما يقال حول ادبنا يتبين لنا:

- ***أن أدبنا ضعيف او راكد.***
- ***ولذلك فهو لا شخصية له..***
- ***ويجب ان نعمل جادين مخلصين لتقويته وتغذيته وإعطائه «شخصية» يمتاز بها.***
- ***ولن يتحقق ذلك الا بأن يكون «أدبنا» بعد تطويره وتحريره: «ملتزماً».***

أدبنا.. وكيف نطوره ونحرره

فكيف نطوره ونحرره؟ وكيف نوجهه نحو الالتزام بالحق والخير والجمال؟.

الجواب:

أولاً: على القادرين من أدبائنا أن يقوموا بأنفسهم وعلى نفقاتهم الخاصة - بنشر تراثهم الفكرى المطمور أو المقبور دون ان ينتظروا تجارة رابحة من وراء ذلك.

ثانياً: ان تنشأ مجلة أو مجلات أدبية على مستوى رفيع متين تختص بنشر المقالات والدراسات الفكرية وقصائد الشعراء الرائعة والقصص الاجتماعية التى تمتاز بموضوعاتها واساليبها الممتعة الى جانب النقد الأدبى الموضوعى المهذب.

ثالثاً: ان تقوم أندية أدبية خاصة بالنشاط الفكرى وهنا اذكر بالخير الاندية الرياضية التى أقامت فى السنوات الماضية مواسم ثقافية نشط الادب السعودى خلالها شيئا ما ولكنى آسف الآن لانقطاعها وانصرافها عن مواصلة نشاطها الثقافى.. وهى ظاهرة اجتماعية عجيبة فى بلادنا تصور المثل العربى **«شقشقة هدرت ثم قرت»** أحسن تصوير فقد بدأ بهذه المواسم الثقافية نادى الوحدة الرياضى بمكة فتبعته الأندية الرياضية الاخرى.. حتى اذا أدركه الملال والكلال أصيبت معه بما أصيب وكما بدأت جميعا انتهت جميعا فى وقت واحد.

رابعاً: أن تهتم مديريات التعليم وادارات المعاهد والكليات والجامعات بصفة خاصة الى جانب اهتمامها بالمكتبات - أن تهتم بأدبنا السعودى ومنشوراته ومطبوعاته مساهمة فى شراء كميات منه وحثها للطلاب على دراسته والعناية به فهماً ونقداً.

خامساً: بعد ما تقدم من مطالب التيسير والتشجيع لأدبنا حتى يقف على قدميه وحتى يتميز بشخصية مستقلة لابد لأدبائنا من الاجتهاد فى تحقيق الاستقلال التعبيرى والاستقلال التفكيرى.. ليكون لنا قصصنا المصبوغ بصيغة بيئتنا أحداثاً وأبطالا وليكون لنا شعرنا المصور لحياتنا واقعاً وخيالاً ولتكون لنا بحوثنا ودراساتنا التاريخية والاجتماعية التى تعرف بنا ونعرف بها.. وبذلك ينتهى عهد القطف والخطف من هنا وهناك وينتهى عهد التقليد والمحاكاة لآداب الآخرين وأساليب الآخرين ونظريات الآخرين.

هذا ما تحدثت به وكتبته خلال سنة **١٣٩٤** - اى قبل ثلاثة عشر عاما.. وفى عام (١٣٩٤هـ) انعقد أول مؤتمر للادباء السعوديين - وكان اخر مؤتمر ايضا - دعت اليه كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.. وكان انعقاده فى مكة المكرمة وكانت لى مشاركة فى أحاديثه وأبحاثه وحواراته.

ومما نأسف له الآن: ان هذا المؤتمر كان الأول وكان الأخير. وكان على الأندية الأدبية التى انشئت فى عدد من المدن تحت إشراف الرئاسة العامة لرعاية الشباب أن تنشط فى عقد مؤتمر للأدب السعودى كل خمس سنوات - مثلا - للإدلاء بالابحاث والآراء والنظريات الجديدة بعد تطور حركة النشر فى بلادنا وبعد نشاط الجامعات فى تخريج أدباء جدد لهم صيغتهم الخاصة ومناهج تفكيرهم وأساليب تعبيرهم.

على أية حال.. فقد سجلت فى هذه الحلقة من ذكرياتى فترات من أدبنا وما قيل عنه سلباً وايجاباً.

---

(١) أنشئت نواد أدبية فى معظم مدن المملكة ويختلف نشاطها قوة وضعفاً ولكنها على أية حال تؤدى واجبها فى تحريك مسيرة الأدب فى بلادنا.

(٢) كذلك أنشئت دور للنشر فى مقدمتها دار تهامة ودار الرفاعى وغيرهما.. ومعظمها فى الرياض وجدة.

(٣) ألقى الأستاذ عزيز ضياء خلال ربيع الثانى ١٤٠٧هـ محاضرة عن «أدب المرأة» عندنا بدعوة من الجمعية الخيرية النسائية فى جدة.. وقد دار جدل حولها فى بعض الصحف المحلية من بعض الأديبات السعوديات.



تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



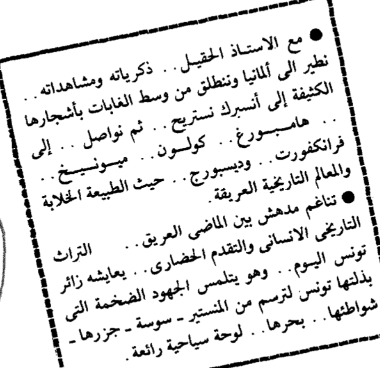
رحلة إلى ألمانيا
عبد الله الحقيل

تونس.. جوهرة المتوسط
نادر صلاح الدين

من أدب الرحلات

عبد الله الحقيل
الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز
الرياض

رحلة


● مع الاستاذ الحقيل.. ذكرياته ومشاهداته.. نطير الى ألمانيا وننطلق من وسط الغابات بأشجارها الكثيفة إلى أنسبرك نستريح.. ثم نواصل.. إلى.. هامبورغ.. كولون.. ميونيخ.. فرانكفورت.. وديسبورج.. حيث الطبيعة الخلابة والمعالم التاريخية العريقة.

● تناغم مدهش بين الماضى العريق.. التراث التاريخى الانسانى والتقدم الحضارى.. يعايشه زائر تونس اليوم.. وهو يتلمس الجهود الضخمة التى بذلتها تونس لترسم من المنستير - سوسة - جزرها - شواطئها.. بحرها.. لوحة سياحية رائعة.

لأدب الـرحلات اهمية كبيرة، اذ حفل تراثنا العربى الاسلامى بذلك وترك اسلافنا ثروة كبيرة تعتبر من اهم روافد الثقافة والادب والتـاريخ.. واذا كانت الرحلات بالامس ممارسـة شاقـة.. فان الـرحـلات فى هذا العصـر اصبحت ممتعة بفضل الله، ثم بفضل تطور وسائل المواصلات. وفى الرحلات يتعرف المرء على حقائق تاريخية وجغرافية وعلمية واثرية وعِبر ودروس ومواقف واشخـاص وجبـال وانهـار... الخ. وكل صـاحب رحلة يروى مشـاهـداتـه على طريقتـه واسلوبه.. والمهم ان ينتفع المرء بها رأى.. ففى الرحلات دروس وعبرة ومتعة للخيال والذهن.. وهناك اناس يروحون ويجيئون دون ان يستفيدوا او يتثقفوا من الرحلات..

ولعل من ابرز صفات الرحالة أن يكون صبورا قادرا على الاحتـمال والبحث وتحمـل المواقف المتنوعـة والمفاجئة والعيش مع اناس غرباء.

ولقد رأيت فى رحـلاتى اصنـافا شتى من الرحالين والسـائحـين.. فهناك من يعشق الشمس ويبحث عنهـا وهنـاك من يهوى تسلق الجبـال والصعود الى قممها.. واخرون يبحثون عن الجليد والتزلج عليه ويجـدون فى ذلـك لذة ومتعـة واخرون يبحثون عن العلم والادب والفن، لما لاحظته خلال رحلتى مع مجمـوعـات سياحيـة من شتى الاجناس. انهم حريصون على الرحلات والتجوال فى البلدان وزيارة مختلف القـارات وخـاصـة التى تحوى الاثار والمعالم



إلى ألمانيا

التاريخية القديمة.. فهم يعدون العدة لذلك ويخططون للسياحة ويوفرون مصاريفها من طعامهم وشرابهم.. كما لاحظت اهتمامهم بكل صغيرة وكبيرة ووقوفهم على كل اثر ومعلم واعجابهم بكل ما يشاهدونه ويصدقون كل ما يسمعونه من المرشدين السياحيين رغم ما قد يكون فيه من مبالغات وقصص خيالية.

إن أدب الرحلات ادب شهي لذيذ بما يقصه من ذكريات وأخبار ومعلومات عن أحوال الأمم وما يتميز به من عادات وتقاليد.. ولقد استأثر ادب الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديما وحديثا وعني به أعلام بارزون عبر أطوار التاريخ فتركوا لنافيه ثروة تعتبر من أهم روافد الثقافة على اختلاف مناهج الرُّحَّل من اجناس العالم.

ولنعد الى موضوع رحلتنا:

ففي صباح يوم ١٤٠٦/١١/٢٣هـ غادرنا النمسا صباحا وبدأت رحلتنا لالمانيا.. وعلى متن احدى العربات السياحية وضعنا امتعتنا وتهيأنا للسفر مرددا قول الشاعر عمر بن ابى ربيعة:

ولما قضينا من مِنىً كل حاجة
ومسح بالاركان من هو ماسح
اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا
وسالت باعناق المطى الاباطح

وشدت على «دهم المرسيدس» وحالنا
ولم ينظر الغـادى الـذى هو رائح

وجمعتنـا الرحلة مع مجموعات شتى من مختلف البلدان وبالطبع فلا بد من الاندماج والتعرف على هؤلاء، وذلك بالبدء بتحيتهم والتعارف معهم كما قال شاعرنا العربى :

قد يمكث النـاس حينـا ليس بينهم
ود فيــزرعــه الــتسـليم والـلطـف

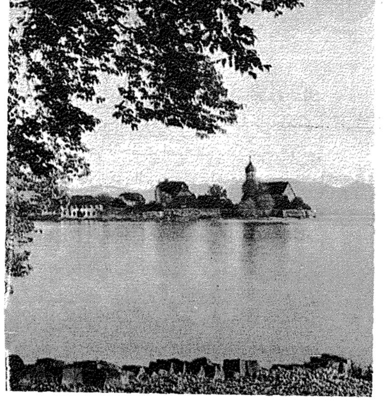
وقد اخبرنا المرشد أننا سوف نصل الحدود النمساوية الالمـانيـة بعـد سير نصف ساعـة. وبعد ان وصلنا الحدود كان الوقوف بضع دقائق . . لم نهبط من سيارتنا أو يُطلب منا فتح الحقائب وهكذا فى جميع البلدان الاوربية التى مررنا بها.


دار الاوبرا فى كولونيا على ضفاف الراين

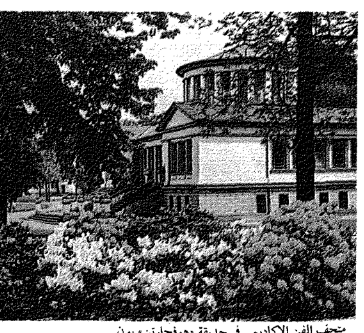
ثم واصلنـا المسيرة فى داخـل الارض الالمـانية وكانت الساعة التاسعة صباحا والسماء كلها ضباب كثيف وأمطار رغم اننا فى شهر ايلول.

فالأرض قد كسيت رداء اخضـرا
والطـل ينشـر فى ربـاهـا جوهـرا

ووصلنـا الى بلدة «قوقن» الالمانية حيث تناولنا طعـام الافطـار فى أحد مطاعمها ودفعنا لهم الثمن بالشلن النمسـاوى، اذ لم نكن بعـد قد استبـدلنـا الـدولار بالمـارك الالمـانى. وقد اخبرونا بأن الشلن مقبول الدفع فى الكثير من المدن الالمانية ثم توجهنا الى قلعتهـا السيـاحية فوجدناها مليئة بالسواح من مختلف الامم، ثم واصلنا الصعود فى سيارات سياحية خاصة بالصعود الى تلك المناطق التى تقوم الجبال العـاليـة على جوانبهـا وكان الطريق ضيقا ومرتفعا بشكـل لا يسمـح بمرور سيارتين حتى وصلنا الى


قاسر بورج على شاطىء بحيرة تونستانس

سوق المواد الغذائية فى ميونيخ



متحف الفن الاكاديمى فى حديقة «هوفجارتن» بون.

جبل شاهق اخبرونا انه كان مقرا للقائد الالمانى «هتلر».. ثم صعدنا بواسطة مصعد وسط الجبل لمشاهدة استراحة هتلر وموسولينى والمقر الذى كانا يلتقيان فيه وقد حُوِّل الى منطقة سياحية تحف به المطاعم والمقاهى واماكن لبيع التحف.

ثم عدنا مع ذلك الطريق المرعب وصادف ان التقت العربة التى نستقلها بعربة اخرى فأخذ كل منهما يدنو الى حافة الجبل الشاهق، وقال المرشد: ان هذا الموضع يسمى مكمن الخطر فكم من سيارة تدحرجت فى ارجائه، فقلنا: وما دمتم تعرفون صعوبة اجتيازه وخطورته وضيق ممراته فلماذا تذهبون بنا اليه وليس فيه ما يدعو الى هذه الرحلة التى تشد الاعصاب؟. ولكنكم ايها الاوربيون مفتونون بالبحث وركوب الخطر لأمور ليست ذات بال. وبعد اداء الامتحان المرورى الرهيب لسائق عربتنا صفق الجميع لمهارته وقدرته على السير على حافة الجبل.. ثم توجهنا بعد ذلك الى مدينة قوقن التى تركنا فيها سيارتنا وصعدنا فيها شاكرين الله على السلامة والعافية. وواصلنا السير صوب مدينة «انسبرك» فى جوٍّ بهيج جميل حيث طاف بى الخيال فى اغوار التاريخ فنحن فى المانيا بلد الصناعات العملاقة وضجة التاريخ، وتذكرت بسمارك وهتلر وما عانته هذه البلاد من ويلات الحروب والشقاء حيث خرجت من الحرب بأسوأ نصيب وفقدت الملايين من ابنائها ودمرت حضارتها وعمرانها فقد أثخنتها الحرب العالمية الثانية بالتدمير والتخريب.. وهكذا كنت استعرض فى ذهنى ذكريات شتى عن هذه البلاد ماضيا وحاضرا حتى صحوت من تخيلاتى وافكارى على صوت الدليل السياحى الذى اخذ يحدثنا عن المانيا وتاريخها ومصانعها والهزيمة الالمانية فى سنة ١٩٤٥م، حيث اصبحت امة مجزأة مقسمة وانتصار الحلفاء وما عانته برلين من تخريب جسيم وتقسيمها وضياع دورها كعاصمة مزدهرة بالامس.. حقا ان انتصار المعارك

والدماء والدمار لم يخلد هولاكو ولا الاسكندر المقدونى ولا نيرون اوهتلر او غيرهم لان نهايتهم تعيسة . . وما اكثر ندم من غلطوا فى حق اممهم واوطانهم وأثاروا الفتن والدمار لبلادهم . والمانيا اليوم مؤلفة من احدى عشرة مقاطعة وهذه المقاطعات متفاوتة فى نشاطها وثرائها واقتصادها ومعاملها ومصانعها .

وخلال سيرنا كنا نشاهد الطرق الواسعة والغابات بأشجارها الكثيفة . . ووصلنا مدينة «**انسبرك**» حيث توجهنا صوب فندق «**بيلفير**» فى وسط المدينة وبعد استراحة استغرقت ساعة . . ذهبنا فى جولة فى اطراف المدينة لزيارة ما امكن رؤيته من معالمها، كمتحفها القومى وحدائقها والمدينة القديمة واهم شوارعها . . ثم عدنا للفندق حيث أمضينا تلك الليلة بها . وفى الصباح شددنا الرحال لزيارة المزيد من المدن الالمانية والتعرف على هذه البلاد التى تبلغ مساحتها **٩٥٫٧٩١** ميلا مربعا، اما السكان حسب آخر احصاء (٦٢٫٧٥٠٠٠٠) ، وعاصمتها بون ولغتها الالمانية . ولقد انتعشت المانيا اليوم اقتصاديا انتعاشا مرتفعا وتبوأت مكانتها بين الدول الغربية . . فهى عضو بارز فى المجموعة الاقتصادية الاوربية . ولقد لاحظنا قوة المارك الالمانى فى مختلف اسواق النقد فى العالم فهو عملة صعبة . . والدخل لدى الفرد الألمانى مرتفع كما أن حالتهم المادية والاجتماعية جيدة . ولقد لاحظت غلاء الحياة وارتفاع الاسعار بالنسبة للسلع والكماليات واسعار الفنادق والمطاعم .

وخلال فترة تجوالنا فى العديد من المدن مثل «**هامبورغ وكولون وميونيخ وراين كوز ورثمبورغ وفرانكفورت ومانهايم وهايد لبرج هلون ديسبورج**» وغير ذلك لاحظت ما تزدان به من طبيعة خلابة ومشاهد مثيرة . . ومعالم تاريخية .

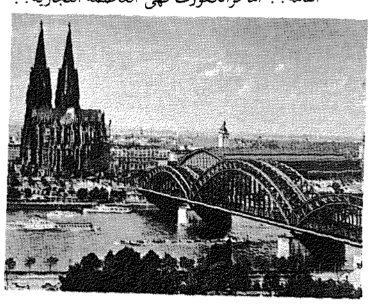
وفى المانيا توجد الغابات الكثيفة الموجودة فى المرتفعات وهى من اشجار الصنوبر والزان وغيره كما انها منتشرة فى جبال الالب . . وكل ما شاهدناه يوحى بعضه ببعض من المدن والقرى والارياف .

وفى المانيا اكثر من خمسين جامعة اقدمها جامعة هايدلبيرج التى انشئت سنة ١٣٨٦م .

فى كثير من المدن كنا نحرص على ان نمشى على الاقدام لمشاهدة ما وصلت اليه هذه البلاد من رقى وعمران وصناعة وحضارة والتعرف على المعالم والاثار والقلاع والحصون . . وهذه المدن تبرز فى مستوى واحد من النهضة والعمران وطراز موحد فى البناء واسلوب الحياة .

ولقد حققت ألمانيا نهضة صناعية ونشاطا اقتصاديا . و الشعب الألمانى شعب قوى . . يحب العمل والانتاج والكفاح نساء ورجالا .

أن حركة التعمير التى اعقبت الحرب كما حدثنا احد الاخوة الالمان اضفت على الكثير من المدن احياء عصرية الطراز وخطط اسكان واسعة . . وفى هامبورغ الواقعة على نهر الالب يوجد اهم الموانىء الالمانية وفيها صناعات هامة لا تقل عن ميونيخ . . كما ان كولون الواقعة على نهر الراين التى دمرتها الحرب واعيد بناؤها من جديد تعتبر من المدن الهامة . . اما فرانكفورت فهى العاصمة التجارية . .



منظر عام لنهر الراين


كاتب السطور على ضفاف نهر الراين

اذ تحتوى على المراكز الرئيسية لجميع بنوك المانيا الغربية وبيوتاتها المالية بالاضافة الى العديد من الشركات والمؤسسات الصناعية.

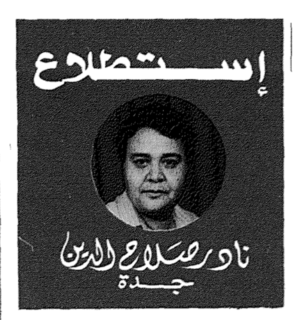
حرصت خلال زيارتى لمدينة فرانكفورت على زيارة معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية.. ولكن اقامتنا كانت قصيرة.. وصادف المرور بها فى نهاية الاسبوع.. وهذا المعهد كما قرأت عنه يعمل على نشر المخطوطات وعلى توسيع نطاق المعرفة عن انجازات العلماء العرب والمسلمين لبيين مكانتهم الخاصة فى تاريخ العلوم.. كما ان له مجلة علمية هى **«مجلة تاريخ العلوم العربية الاسلامية»**.. وقد صدر المجلد الاول لها فى عام ١٤٠٥ـ١٩٨٤م وهى تحتوى على ٣٣٥ صفحة من الابحاث باللغات الاوربية مع تخصيص ٨١ صفحة باللغة العربية.

وبالطبع فالمانيا الغربية اليوم ثانى اكبر دولة منتجة فى اوروبا.. كما انها الدولة الثانية فى العالم بعد امريكا فى صناعة السيارات.. كما ان الغابات لموجودة بها تمثل مصدراً تجارياً كبيراً. وتزداد مساحة لغابات فى المناطق الجنوبية.. كما ان نهر الراين روافده يشكل ثروة هائلة.. لذا فكم يستمتع المرء حلته بالسيارة رغم طول المسافات.. اذ تمر ساعات كلمح البصر.. حيث يتنقل بين ستراحات والغابات والتلال والاودية والمروج الخضراء التى تزدان بالمياه فى اغوارها.. وكذا البساتين والحقول المنسقة البديعة والتى هى متعة لعين الناظر وبهجة لنفس المتأمل وتسلية للقلب والوجدان.. وكذا القرى والبلدان المنتشرة بمبانيها الجميلة فى اعالى الجبال وسفوح التلال فما اطيب الربى واحسن المصطاف.

وفى المانيا الخطوط الحديدية التى تصل كل بلدة وقرية.. وتجد فيها الحركة الهائلة حيث تموج بالبشر المسافرين والعائدين من مختلف النواحى ومنها ما يسير فى جوف الارض وآخر فوق الارض.. كما ان هناك شبكة ممتازة للطرق تواجه هذا التقدم فى حركة المرور وكثافة السيارات.. وهكذا كل شىء يعمل ويتحرك بسرعة.. الرجال والنساء والصغار والكبار والكهول.. فالحياة عمل متواصل وجرى سريع فمن لم يعمل ويكدح فلا مكان له.. كما انهم امة تحترم النظام وتحرص على المحافظة عليه.

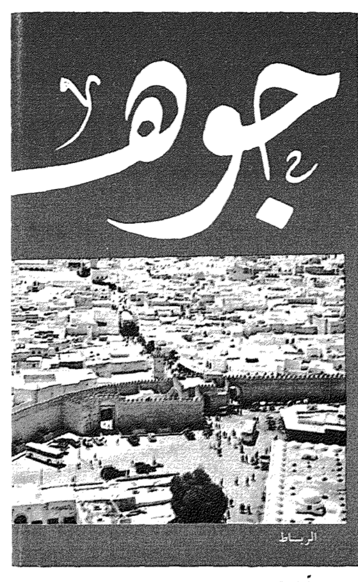
ومع ما فى هذه البلاد من جمال ومناظر رائعة ورقى وحضارة.. غير ان هناك سقوطا اخلاقيا فى كل ديار الغرب واختفت فيها المثل والقيم ولنتّقِ عدوى هذه الحضارة وما فيها من رذائل وسلبيات وتفسخ أخلاقى.. فقد ضاقوا اليوم بها وصاروا يبحثون عن النجاة لشبابهم وشاباتهم من شرورها.. فاكثر شباب الغرب اليوم كما لاحظت تائه لا يجد له ملاذا غير المجون والمخدرات والتسكع فى الشوارع والمحطات.. فلا المدرسة قادرة على توجيهه، كما ان البيت غير قادر على اصلاحه والحنو عليه نتيجة التفكك الاسرى.

وبعد فما اجمل روائح الصحراء وعبيرها فى بلادنا فنحن نعيش فى مجتمع لا يزال متماسكا ومليئا بالخير ومفعما بالتعاطف والتعاون.. ولا يزال محافظا على قيمه ودينه ومثله.. ولنحرص على الا تصيبنا العدوى التى يضيق بها الانسان الغربى اليوم فعلينا بالحرص على قيمنا الروحية وفضائل الاخلاق.



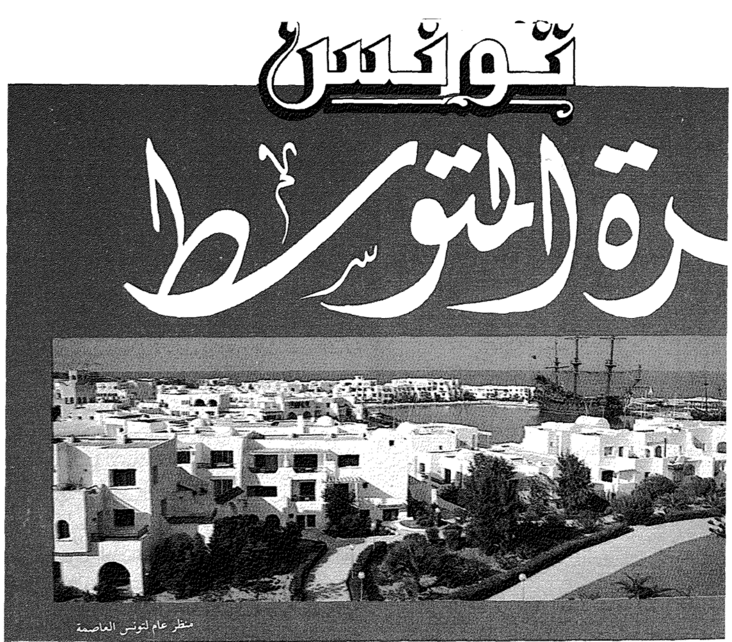
تشغل تونس (١٥٦٠٠٠) كيلو مترا مربعا . . منها حوالى (٤٣٠٠٠) ضمن النطاق الصحراوى . . وسكانها يزيدون عن أربعة ملايين نسمة . . تقع فى شمال افريقيا ويحدها فى الشمال والشرق البحر الأبيض المتوسط . . كما تمتد فى الشمال جبال أطلس . . وفى الجنوب بحيرة ملحية من ورائها الصحراء . . تكثر الأقاليم الطبيعية فى تونس ويمكن تحديدها فى : اقليم التل الشمالى وهو من أكثر أرجاء تونس خصوبة . . اقليم : السهول الشرقية والشمالية الشرقية . . اقليم : التلال العليا . . اقليم : الهضبة الاستبسية . . اقليم : الشطوط الجنوبية والصحراء .

أما تونس العاصمة . . فهى مدينة يزيد سكانها عن ٤١٠٫٠٠٠ نسمة . . ميناء على بحيرة تونس . . تربطها قناة بالبحر المتوسط وتصدر الحديد والفوسفات وزيت الزيتون والتمر والسجاد . . بالقرب من تونس العاصمة خرائب قرطاجة القديمة التى ترجع أصلا الى العصر الفينيقى . . أصبحت عاصمة البلاد على عهد الأسرة الحفصية (١٢٢٨-١٥٧٤م) وقد تداولها الأتراك والأسبان فى القرن السادس عشر واستولت عليها تركيا لكن ظل لحكامها الاستقلال . . كما احتلها الفرنسيون ١٨٨١ .



الربـاط

وقد اتجهت جهود الدولة منذ استقلالها ١٩٥٦م الى الاهتمام بالسياحة وتوفير كل ما يلزم لراحة السائح . . ولا نغالى اذا قلنا إن زائر تونس اليوم يعيش الماضى المجيد فى الحاضر المتقدم . . حيث يتلمس هذا المزيج البديع بين التاريخ العريق . . الحضارات الانسانية . . والطبيعة بجمالها الساحر ومباهجها الفتانة . . يتلمس الزائر كل ذلك فى كل اقليم وناحية فى المنستير . حى الشراقة . . **صقانس والدخيلة . الحمامات . . جزيرة جربة . . جزيرة جرجيس . طبرقة . . تونس العاصمة . . سوسة**



منظر عام لتونس العاصمة

المنستير:

قلعة من القلاع الشامخة.. قامت كحصن هائل لردع الغزاة وصد غاراتهم على القارة الافريقية من البحار. أقيمت منذ فجر التاريخ وسماها البونيقيون (روس بليزا) واتخذ منها الرومان مدافعاً قوياً عن ساحل البلاد مطلقين عليها (روسبينا).. وفى القرن لثامن عشر أقام الاغالبة بالمدينة طوقاً يضم ثلاثة حصون ـ لم يبق منها الآن غير حصن الرباط. لم تنج ىذه القلعة الشامخة (المنستير) من أطماع الدول الكبرى فى المتوسط.. بل كانت دائما موضع أطماعهم، واستطاع الأتراك بعد هزيمتهم للأسبان الاستيلاء عليها وتعزيز مكانتها الاستراتيجية. والحقيقة إن شهرة المنستير لا ترتبط بقوتها العسكرية وحدها.. بل هناك دور كبير لعبته منذ القرن الحادى عشر وبالتحديد بعد أن تقلص دور القيروان كعاصمة دينية، فصارت المنستير قِبلةً للزائرين متبوئة دور المدينة الاسلامية. **تنزع** المنستير الى أمواج البحرّ الأبيض المتوسط من أعمق الطرف الجنوبىّ لخليج الحمامات.. وقد استطاعت بمفاتنها الخلابة

ومعالمها الرائعة التى شكلها تاريخها العريق أن تجتذب اليوم إليها السياح الأجانب من كل البقاع والأمصار حيث يسعون اليها طلباً للراحة والاستجمام والتمتع بتاريخها العريق وحضارتها الأصيلة. . ولعل أول ما يلفت نظر السائح تلك الأضداد التى جمعتها المدينة بشكل منسجم بديع ـ ففيها امتزج التاريخ بالحضارة العصرية التى تنصهر فيها كل مؤثرات التقدم الحديث.

فهناك حى الشراقة الذى رمم بأكمله وفتح به شارع جديد فصار مركز نشاط يشع من قلب المدينة على كافة الأحياء. . ويستطيع الزائر أن يدخل دكاكين المنتجات التقليدية ويتذوق أجود الطبخات الشرقية ويعرج على المقاهى المنبسطة فى الهواء الطلق. . كل ذلك بطول هذا الشارع الجديد الذى يقف فى طرفه جامع الحبيب بورقيبة نموذجاً مكتمل الصفات للهندسة الاسلامية الأصيلة. . ويتصدر بيت الصلاة محراب مكسىٌّ بالفسيفساء.

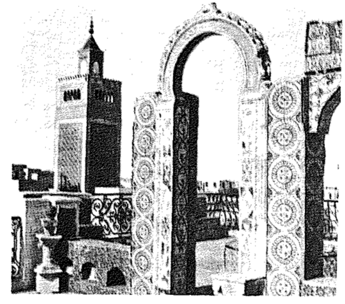
وعلى مقربة من الجامع لا يملك الزائر إلا أن يدخل ديوان الصناعات التقليدية، حيث يجذبه الفن التقليدى الأصيل فيقف على أشكال مختلفة ومتعددة من الزرابى والأوانى الخزفية والسلال والتحف التى صنعت بدقة وفن من الحديد المتشابك كما أن هناك الكثير من المنتوجات الفنية المتنوعة.

الربـــاط:

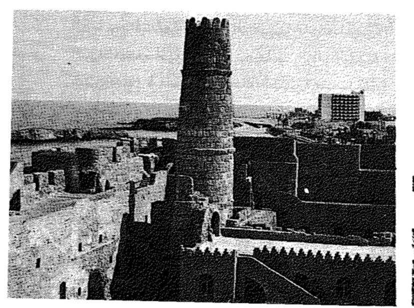
معلم أثرى عظيم أقيم فى القرن الثامن. . وقد وسع ودعم فى القرنين التاسع والحادى عشر. . يعلو الرباط برج مراقبة شيد فى البداية لتحصين البلدة وإيواء المتعبدين. . وفى الطابق الأول كان بيت الصلاة الذى تحول الى متحف للفنون الاسلامية. . يقف فيه زائر اليوم على شواهد عديدة ومختلفة لمرور حضارات وعهود متلاحقة عبر القرون. . فهناك تحفة من العاج المنقوش يعود تاريخها الى العهد الأموى ودمية خشبية من مخلفات الدولة العباسية. . بساط من جليز الخشب أندلسى. . ورسم مصغر من إبداع الفن الفارسى. . وآلة فلكية لقياس ارتفاع الكواكب يعود تاريخها الى القرن العاشر، من قرطبة. . وسدسية فرنسية من القرن الثامن عشر، وقطع من القماش أنتجه القرن التاسع عشر. وهناك عقد زواج حرر باللغة التركية يرجع تاريخه إلى القرن الثانى عشر الهجرى. . ومصنوعات من البلّور والقطع النقدية المختلفة. . وعشرات التحف الأخرى التى تجعل من هذا المتحف الاسلامى. . **(متحف على بورقيبة)** مجمعاً تاريخيا جامعا على صغر حجمه. . ومن الأربطة زاوية السيدة وهو مسجد كان مقاما داخل رباط ثانى امحت اليوم آثاره. . وهناك رباط ثالث يسمى زاوية سيد ذويب. . وهو أصغر حجماً من سابقيه، عبارة عن حصن مربع مستقيم الزوايا معزز بأبراج مستديرة.

البحر والشواطىء:

من الرباط الى ميناء الصيد يشرف شارع الكورنيش على شواطىء المنستير. . بين شبه جزيرتين مروراً بشبكة النزل المواجهة للبحر. . وقد انصرفت كل الجهود منذ استقلال تونس سنة ١٩٥٦ لتحويل المنطقة الى محطة استجمام مزودة بكل المرافق التى يتوق إليها المستجمون. . كما تجرى أشغال لبناء مركب سياحى بجزيرة غدامسى التى يربطها بالبر ممر حجرى مقام وسط المياه. . ويسمى هذا المركب **«كاب منستير»** ويعد المحطة السياحية الثانية التى تندمج بالمنطقة. . تتوفر فى المركب كل وسائل الترفيه والتنشيط من مرافق سياحية مختلفة وميادين لمختلف الرياضات. . من بينها ميدان «جولف». وليس أجمل



القيروان ويرى الجامع



منازل رومانية بقرطاج

من الكهوف الكحلية التى ترقد عند أقدام الساحل الصخرى والتى تمثل نادرة من النوادر الطبيعية.

كما تنتشر الفنادق السياحية الراقية كفندق حياة ريجنسى وفندق الأميران وفنادق أبو نواس.

وعلى امتداد شهرى يوليو وأغسطس تتزيا المنستير أبهى حلل الزينة وتظهر عروساً تختال فى حسنها وبهائها.. حيث تسطع المشاعل بكل مكان وترتفع أقواس النصر بمختلف الشوارع.. انها أعياد ومهرجانات المنستير التى تشارك فيها كل الولايات فتنتظم التظاهرات ويقام المهرجان الدولى للفنون الشعبية ومهرجان المسرح الدولى اللذين ينتظمان بالتناوب كل عامين من أواخر يولية الى بداية أغسطس.. وطيلة النصف الأول من شهر أغسطس يقام معرض إشهارى.. وفى الثالث منه تحتفل المنستير بعيد ميلاد الرئيس الحبيب بورقيبة فتزخر بالوافدين والزائرين من كل جهة وتحيا هذه الذكرى الفرق الفنية الشعبية وشعرائها وتنطلق الشماريخ الملونة تتويجاً للاحتفالات.

واليوم ما من مكان.. ما من ساحة فسيحة.. ما من نهج أو شارع فى المنستير، إلا وقد سطر بكامل الدقة والاناقة وألبس ثوباً واسعاً فضفاضاً من الخضرة والحياة.

ولا ينسى الزائر أن بالجير مقام سيدى المازرى ولى المنستير الذى تم بناؤه فى القرن الثانى عشر.. وكذا ضريح آل بورقيبة بقبته المذهبة الساطعة وبرجيه التوأمين.. وعلى بعد أمتار من الضريح ينصب وسط بساط من الزهور تمثال تلميذ فى العاشرة من العمر.. هذا أحد أبناء المنستير.. الحبيب بورقيبة محرر تونس ومؤسس دولتها العصرية.

وبالمنستير اليوم قصر مؤتمرات جهز بكل لوازم الندوات والمؤتمرات.. وعن طريقه استطاعت المدينة مواكبة عصر الملتقيات واللقاءات العالمية.. كما تأسست بها كلية الصيدلة وكلية جراحة الأسنان ومبيت للفتيات وملعب يتسع لعشرين ألف متفرج.. وبذلك أصبحت المنستير مركزاً جامعياً ناشطاً.

صفانس والدخيلة:

على مسافة ثلاثة كيلو مترات من المنستير.. وفى الجانب الآخر من الشاطىء الرملى الدافىء.. يوجد

قصر صقانس الرئاسى . . يتوسط هذا القصر ذو الرسوم البديعة والجليز الزاهى والجدران المرمرية الساطعة . . حديقة غناء . . تجذب الزائر إليها . . وتمتد خلفها واحة الدخيلة الشهيرة منذ القدم (بلاقمى)نخيلها . . وبطول الشواطىء ترقد شبكة نزل شيدت فى فترة قريبة يصل اليها الزائر عبر طرق سياحية ماراً بحقول الملح والمطار الدولى .

ويستطيع الزائر أن يمارس كل الرياضات المائية فى الدخيلة . . من دراجات بحرية وألواح مشراعية وتزحلق على الماء ورحلات بحرية ممتعة . .

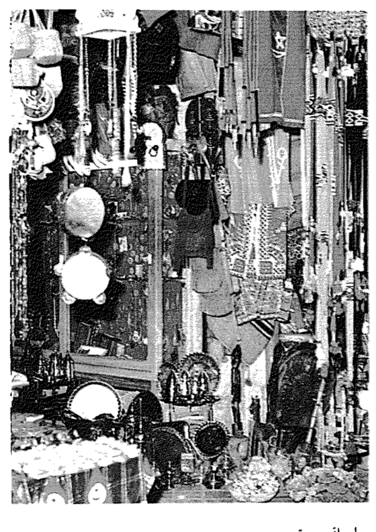
الحمامات :

منطقة تبعد حوالى أربعين كيلو مترا من تونس العاصمة . . وهى منطقة تضرب بجذور قوية وطويلة فى العراقة والتاريخ . . فقد احتضنت العديد من الحضارات الانسانية .

تعد الحمامات أشهر المواقع السياحية فى المغرب العربى كله . . فعلى اتساع المنطقة تنتشر الفنادق والوحدات السياحية التى تجمع كل أنواع الترفيه والتسلية كالمسابح والفروسية وملاعب كرة المضرب . . ومن أشهر الفنادق . . شيراتون الحمامات - فينسيا . . الفراتى . . السلطان . . أبو نواس . .

ومن الحمامات الى القيروان التى تعد من أهم عواصم الحضارة الاسلامية . . بل هى أول مدينة إسلامية فى المغرب العربى فتحها عقبة بن نافع . . وتشتهر القيروان بصناعة السجاد . .

جزيرة جربة : عروس جميلة تزدهى بالفن والتاريخ . . فالجزيرة تحتفظ حتى اليوم بآثار العهود المضطربة التى أصبحت اليوم وجهة كل من ولع بالفن والتاريخ . . فالفن لا نغالى إذا قلنا إنه سر



اسواق سوسة

الحياة فى جربة . . الجربى يصنع مصوغات أو يشيد مساكن أو مساجد . . وهو إذ يقوم بذلك إنما يبرز تحفاً فنية . . وهناك متحف مقام فى زاوية يرجع تاريخها الى القرن الثامن عشر يجمع نماذج ذلك كله . تمتد الشواطىء الرملية على مرمى البصر فى جزيرة جربة . . وتقوم الفنادق الضخمة التى امتزجت برؤوس النخيل وسقوف المساكن العتيقة .

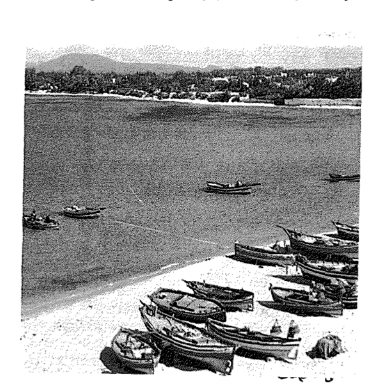
ومن الناحية الأخرى من البحر . . تأتى جزيرة (جرجيس)مكملة لجربة بسمائها الزرقاء الصافية ومياه بحرها الرائع البديع . . ولعل أهم ما يميز تلك الجزيرة . . الواحة المشجرة الخضراء والشواطى الممتدة ويكفى التصاق كل جانب منها بغابات الزياتين شاهداً حياً على جمال وسحر طبيعتها .

طبرقة :

تقع طبرقة على الساحل شمال غرب تونس . . وتقوم فيها المرافق والمركبات السياحية الراقية مثل (مجمع بورقيبة السياحى) الذى يضم شققا فندقية ومطاعم ومراكز استشفاء صحية تعتمد على المياه المعدنية . . وهو مجمع يقع على بعد ١٥ كيلو مترا من طبرقة . وهناك فندق المرجان الذى يقع على شاطىء البحر ويضم نادياً بحرياً ومطاعم راقية وفندق (**الميموزا**) فوق التل المرتفع . . حيث يطل على مدينة طبرقة والبحر الأبيض المتوسط . . وتنتشر الغابات الكثيفة لهواة الصيد والشواطىء البحرية الجذابة . . وتبدو طبرقة فى أبهى منظر وأبدع مشهد حين تتساقط الثلوج ابتداء من ديسمبر حتى فبراير من كل عام .

تونس العاصمة :

ملتقى لعدة حضارات انسانية ـ فينيقية ـ رومانية ـ بيزنطية ـ واسلامية . . وفيها مقر الجامعة العربية . .



يبرز الجنوب مجموعة من الشواطىء ومراكز الاصطياف . . فهناك «**رادس بحيها القديم فوق هضبة جميلة . . والزهراء بفنادقها ومطاعمها العصرية . . حمام الأنف محل إقامة البادى فى الشتاء . . وهو اليوم مدينة كبيرة تمتد من الشاطىء الرملى الى جبل بوقرنين الذى تكسوه أشجار الصنوبر**.

وعلى بعد بضعة كيلومترات جنوب تلك الضاحية ترقد شواطىء «**برج السدرية**» ببحرها الجميل الرائق ورمالها الناعمة . . كما تنتشر بلدة «**قربص**» بحماماتها المعدنية الشهيرة على علو جبل . .

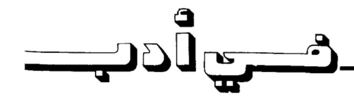
ومن تونس العاصمة نستطيع زيارة « **أوتيك** » أقدم مدينة بناها الفينيقيون فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد شمال افريقيا . . ولا تزال حتى اليوم بقايا أقبية هذا العهد وآثار رومانية ثرية . . نقف عليها فى كوبر بومايوس ودوقة وبولاريجيا . . وفيها أحسن ما احتفظ به من الآثار االرومانية فى تونس ممثلة فى الكابيتول والساحة العمومية وقصر المدينة والأسواق والمنازل والحمامات والأروقة .

سوسة : التى قال فيها الشاعر:

أرأيت سوسة والأصيل يلفها
فى حلة نسجت من الأضواء
أما أنا فلقد أخذت بسحرها
لما وقفت هناك ذات مساء

مدينة ساحرة تبعد عن العاصمة تونس نحو ١٢٠ كيلو مترا . . وتعد أهم المناطق السياحية فى تونس فهى تضم أكبر مجمع سياحى . . مجمع القنطاوى الواقع بسوسة الشمالية . . وتنتشر فيها الفنادق الضخمة . . المجهزة بكل ما يتوق إليه الزائر كفندق الهنا وفندق قلعة خلف وفندق مرحبا وفندق ديار الأندلس وفندق النجمة وفندق أبو سفيان . .

فلسفة



الموت: هو النهاية التى تؤرق الملايين وتجعـل لون الحيـاة باهتـا فى عيـون الكثيرين وتمثل النجاة من شرور العالم الدنيوى فى نظر طوائف أخرى.

الموت: هذا اللغز المحير لا ندرى ما سببه؟ وفى أى وقت يحل بنا؟ وكما نختلف عليه رفضا وإيجابا قبولا وإعـراضـا.. اختلف القدماء عليه فلاسفة وعلماء وأدباء.. وفى مقدمة هؤلاء «**سقراط**» وكان سقراط يعتقـد أن الفيلسـوف الحق هو الذى لا يشغله عن التفكير فى الموت شاغل.. إذ الموت هو السبيل الى تحرير الفكـر.. ولن تستطيع النفس أن تدرك أى شىء على حقيقته إلا إذا قطعت كل وشيجة تربطها بالجسم لأنـه يعـوقها عن المعرفة الحقة فليس البدن بحال ما هو الذى يوقفها على معانى العدل والخير والجمال وحينئذ فمتى عجز المرءعن إدراك هذه المعانى بالابصار أو اللمس أو الذوق أو الشم فلابد من حس آخر غير تلك الحواس التى لا قوام لها إلا بالبدن.. فإذا كان من المستحيل فى الواقع أن تدرك أى شىء على حقيقته مادامت متصلة بالبدن فإنه يجب أحد أمـرين.. فإمـا ألا تستطيع الوصول بحال ما إلى تحصيـل المعـرفـة.. وإمـا أن تصـل إلى ذلك بعد الموت.. ثم يقول سقراط:

«واذا كان الأمر هكذا فليس للفيلسوف إلا أن يأخذ العدة لهذه الرحلة بأن يطهر النفس ويجعلها تحيا بعزلة عن البدن ما استطاع إلى ذلك سبيلا ولكن النفس لا تتحرر تمامـا من البـدن إلا بالمـوت فإنـه هو الذى يفك عقالها ويحررها من أسرها وخضوعها للبدن ونزواته والفلاسفة هم الذين يتوقون الى خلاص نفوسهم من قيودها».

ولكن ليس معنى هذا أن سقـراط يحبـذ الانتحار كوسيلة للخلاص. فإنه يقول: «يحق لنا أن ننتحر وإنما يجب علينا أن ننتظر القضاء دون هلع أو فزع فإن الخـوف من المـوت لا يليق بالفيلسـوف.. بل هو مدعـاة الى السخرية منه.. وذلك لأن الرجل الذى يحنق حينما تدنو ساعـة المـوت رجل لا يحب الحكمة.. لكنه يحب جسده وماله»(١).

أثـار المـوت الفلاسفة قديما وكذلك الأدباء فى القديم والحديث.. أثار أدباء المهجر الذين نَحَوا فى مواقفهم منحى تأمليا فلسفيا متأثرين بأقوال الفلاسفة والحـركـة الأدبيـة فى أوروبا فى القرنين الثامن عشر

ـة الموت

ـ المهجر

والتاسع عشر . حيث سادت نزعة الهروب من الحياة وفى مقدمة هؤلاء «بودلير» (١٨٢١-١٨٦٧م) الذى يقول: «العالم ممل وصغير. اليوم وأمس وغدا» وفى ديوانه «**أزهار الشر**» قصيدة بعنوان «**الرحلة**» وهى دليل اكيد على ذلك . . إنها تجرب كل محاولات الخلاص لكى تصمم فى النهاية على الموت . أما ما يجلبه الموت فهو شيء لا تدريه . . فالمهم هو السفر فى حد ذاته وأما الشاطىء المجهول فلا أهمية له»(٢)

وقد كتب «فلتر ريم» كتاباً واسعاً عن مشكلة الموت فى الشعر الألمانى . . وكتب «ماريو براز» كتابه (الهم الرومانتى) وهو كتاب يعنى بمشكلة الموت كما يوحى بذلك عنوانه الايطالى «الجسد والموت والشر فى الأدب الرومانتى»،

دكتور صابر عبد الدايم



وقد كتب «تيودور سبنسر» كتاباً عن «الموت والمأساه الاليزابيشيه» يتتبع فى مقدمته مفهوم القرون الوسطى عن الموت مقابل مفهوم عصر النهضة وأوضح فيه أن الانسان فى العصور الوسطى يخشى اكثر ما يخشى الموت المفاجىء لأنه يمنعه من الندم وتجهيز نفسه لملاقاة ربه»(٣).

وتأثراً بهذا الرصيد الفكرى والفلسفى تجاه الموت إختلف أدباء المهجر فى الموقف من الموت هل هو بداية الخلود؟ أم أنه ينتشل الانسان من صراع عالمه المادى ويخلصه من قيوده أم أنه يحرم الانسان من سعادته الأبدية فى حياته وتهب رياحه الخريفية على شجرة الحياة فتقتلع جذورها وتطيح بما عليها من أوراق وغصون وثمار . . ؟ وهل الموت موت الروح والجسد أم موت الجسد فقط؟ وهل هناك بعث يؤمنون به؟ أم هم ماديون؟ . . وذلك ما سأحاول توضيحه إن شاء الله .

فنسيب عريضة . يرى أن الموت خير من قيود الأغلال والجمود فى مكان محدد والاختباء فى الثلوج

يقول:

نقم بنا يا سمير نفسي
نقفوا الأماني الى الكمال
قم واترك الجسم حيث يبلى
فالموت خير من الجمود

● والموت عنده هو النهاية الحتمية للحياة مهما حاول المفكرون والفلاسفة فلا داعي للتزاحم والضجيج والتكالب على تفاهات الحياة. ويهرب الشاعر من حقيقة الحياة المرة إلى الهيام في عالم الرؤى.. يقول في قصيدته «رباعيات»:

شربت كأسي أمام نفسي
وقلت يا نفسُ ما المرام
حياة شك وموت شك
فلنغمر الشك بالمدام
لا يأس ليس الحياة إلا
مرحلة بدؤها ختام

ويقول لطبيبه: ويعبر بذلك عن عقيدته في الموت بصورة فنية:

فقلت يا صاح جف زيتي
فباطلا تجبر السراجْ
إذا خبا النور في الدراري
فما ترى ينفع الزجاج؟

● وجفاف الزيت هنا رمز فني للانتهاء ولا جدوى من محاولة استرجاع الحياة فنور النفس قد هرب من الجسم فعاد الجسم كزجاج المصباح هل تراه يضيء ويبين الشاعر سر المأساة وأنه ربما يموت الانسان حياً إذا مات قلبه.. فالناس يمشون وقبورهم في داخلهم.. والدمع دمع البكاء والألم:

يمشون والرمس في حشاهم
والدم يجري من الندوب
مامَيْتُهم يَعْظمون قدرا
بل دية الميْت في الجيوب(٤)

● وبذل الشاعر كل شيء في سبيل التعرف الى شيء واحد.. ترى ما هو؟ لم يعرف حتى ما هو ذلك الشيء.. وعاد حائراً في آفاق اللاشيء يجهل حتى مصيره المحتوم!!!.

ومنهم من كان يتمنى الموت هروباً من الحياة التي تضج من حوله.. وانسد أمامه كل طريق مثل «قيصر سليم الخوري» الذي يقول:

لم أدنُ من سبب أمد له يدي
متناولا إلا وأبعده القضا
يا مانعي اللذات جُدْ بألذِّها
وامنعْ فؤادي مرَّة أن ينبضا
ماذا أرجِّي أن ألاقي في غدٍ
غير الذي لاقيته فيما مضى
تبَّاً لقيس لا ترى نفسي به
لولا خطوط الشيب شيباً أبيضا

● ومنهم من كان يخاف الموت حرصاً على بهجة الحياة ورغبة في التزود من مفاتنها مثل «**زكي قنصل**» الذي يقارن بين نفسه وبين الدوحة التي تساقطت أغصانها ولا شك أنها نظرة تحن للحياة وتكره الموت يقول:

أكذا ستسلبنا الشبابَ يدُ الليالي الحائره
وتبعثر الأيامُ آمالَ الشباب الزاهره
وتعيث في أحلامه الغر الفواتن ساحره
أكذا ستحرمنا النضارة والأماني الساحره

● ومنهم من كان يرى الموت محرراً من القيود والأسر في قفص الدنيا الضيق ولا شك أن هذا الموقف يتمشى مع موقف «فوزي المعلوف» من الحياة الرافض لها دائما يقول:

ما وليد الآلام غير أسير
والردى وحده يحرر أسره
ضاقت الأرض في الحياة عليه
وكَفَتْهُ في الموت أضيق حفر

●● ويقول مؤكداً نظرته هذه إلى الموت.. فهو المعت

وهو الموثق:

والآن يا موت إليَّ اقتربْ
يا حبذا بالموثق المعتق
معتق نفسي من قيود الأسى
موثق جسمي في المدى الضيق

● ويتغير إحساس «فوزي» فجأة حينما تلوح له أطياف الحب.. فيرجو الموت أن يقف بل يأمر الموت أن يشفق على قلبه:

الحب؟ قف يا موت وأشفق على
قلبي ودعه لحظة يخفق
لي بغية قبل الردى ليتها
تمت فلم آسف ولم أفرق
تلك أن ألمح محبوبتي
فنحن بعد اليوم لن نلتقي

● وفي غياب الحب يصل كره «فوزي» للحياة الى مرحلة يحبذ فيها الانتحار ويدعو إليه وقصيدة «المنتحر» بطاقة دعوة الى ذلك يقول:

كبري يا قبورُ جاءك ضيفٌ
هو غير الأحياء في أطوارهْ
كم تُواري القبورُ حيًّا وكم يمْـ
ـشي على الأرض ميت لم تواره
يذهب الناس مرغما الى القبـ
ـر وقد جاءه بملء إختياره
شاعر لا يرى الحياة سوى ليـ
ـل بهيم والموت من أسحاره(*)

● وفي هذه القصيده يتوسل الشاعر الوزن الخفيف وهو وزنه المأثور.. في بساط الريح وشعلة العذاب وكثير من قصائده بشحنة النغم المأساوي الحالك السواد وتراه يعزف على قيثارته كل وحشة.. أما المعاني الظاهرة التي يسوقها فيه فترد موشحة بجلباب القنوط ويحتضنها النغم ويبعثها على إيقاع جنائزي يضاعف من وقعها.. ويبدو أن المعاناة العدمية هي معاناة خالقة في شعر «فوزي» أبصر بها الحياة ليلا والموت صبحا.

وتمثيل الموت بهيكل رهيب يقوم الهول على خدمته والصلاة فيه وهي مما لا يتيسر إلا للفكر المبدع.

والموت عند «رشيد أيوب» نهاية كل شيء ونسيان كل شيء.. وهو في الوقت نفسه بداية لرفع الحجاب الذي قنع الحقيقة بألف قناع وهو يجهل مصيره بعد الموت.

دنت المنيةُ وانقضى عمري
ونسيتُ ما قد كان من أمري
ماذا إذا رُفع الحجابُ غداً
ألقى وقد أصبحتُ في القبر

وعند «**نعمة الحاج**» تتبدل المفاهيم ويبلغ قمة التشاؤم والفلسفة حين يعتقد الميلاد موتا والموت ميلادا.. وهو يلتقي في هذه النظرة مع «**فوزي المعلوف**» الذي أبصر الحياة ليلا والموت صبحا.. يقول متبرما بالحياة:

لو كان أمري في يدي
لوددت أن لم أولدِ
فولادتي بدء المما
ت ويوم موتي مولدي

والموت كان قضية «**شفيق معلوف**» الأساسية التي من أجلها رفض الحياة وهو في مطلع حياته وعلى دعائمها بنى فلسفته فيها. وهو ينقم على الحياة بدافع من نقمته على الموت، ولكنه في الوقت نفسه يتحرق شوقاً للخلود وهو يتمنى الموت مكفنا بأنوار القمر.. وفي ملحمته «**الأحلام**» يخصص حلما بعنوان «**قبر الشاعر**» يتحدث فيه عن هدوئه بعد العاصفة ثم يسترجع ذكريات الفردوس.. ثم يتأمل في وجوده ويرى نفسه قطرة ذائبة في محيط الكون وذلك في نشيد بعنوان «**أشباح وصخور**»، وبين دخان النار يلقى بهمومه ويتحدث عن الموت فيقول:

هو المـــوت أورثنيـه جدودى
فلازمـنـى مقـلقــا مرقــدى
يدب بمـــنــســمــه فيطــير
شعـــاع الأضـــالـع والأكبـد
ويغتـــال نفســا فيخفق منهـا
أمـــانـىَّ تقتضى بلا موعـــد

والحياة والموت عند الشاعر متوازيان، ولكن الموت يقضى بحقيقتـه المفجعة على بهجة الحياة فالطبيعة نفسها يود الشاعر إشراكها فى مأتم الحياة.. يقول فى نشيده «أنشودة النزع»:

لنشركْ نسيمَ الصَّبا فى الأنين
ورهـط الأزاهـير فى الإلتياع
وسـروا بكف الـريـاح ينوح
كشبَّــابــة فى أنـــامــل راع

● والشاعر يتمنى أن يفنى فى الطبيعة حتى وهو ميت ينظر للبدر ويقول فى نشيده «زنبقة فى جمجمة»:

ألا ليــت أنـــواره كفَّـنـــت
بقـايـاى من شبحى العـابـر
لأدفن بين زهـــور الـريــاض
على ضفـــة النهـــر الـزاخـر
يجدد ربـــى فى كل عام
نضـــارة مدفـــنـى الـــزاهـــر

وكانت هذه النظرة المتشائمة أحيانا والمبالغة فى بشاعة الموت أحيـانـا أخرى فى بداية عهد الشاعر بالحياة والتعامل معها.. فقد كتب مطولته «الأحلام» سنة ١٩٢٣ ولكن بعـد مرور الأعـوام واختـمار تجارب الشـاعـر وتنامى طاقاته الشعرية والفكرية رأيناه فى كتـابـه «ستـائر الهودج» يناجى زوجته التى رحلت منـاجاة تشبه أن تكون صوتا روحانيا صافيا.. وفى ذلـك الصـوت نغمـة عذبة ترى أن الإنسان يعتق بالموت من قيـود المادة ويقطف النجوم والأسرار..

وتتغير المتع الحسية الى متع روحية وما أشهى حديثه لزوجته:

جَفْنَاك تلاقيا لغير فراق
صرتُ أقرب الى تقطيف النجوم منكِ
يوم كنت على الأرض
ذكراك متعة لروحى وهى ترافقنى فى يقظاتى
ما أشـــوقنى الى رؤيتـك فى الحلم ولكننى منـذ فارقتنى فارقتنى أحلامى(٦)

● ويـرى «جبران» أن الموت شفاء من جنون الحياة والأفكار يقول من قصيدته «بالأمس»:

تلك حالـــى فاذا قالـــت رحـيــلْ
ما عســى حل به؟ قولـــوا: الجنـــونْ
وإذا قالـــت أيُـشـفـــى ويــزولْ
ما به؟ قولـــوا: استـشـفـيــه المنــونْ

وهو ينظر للمـوت بعقل المفكر فهو لا يتمناه مثل «فـوزى المعلوف» ولا يخشـاه مثل غيره من الشعراء وغيرهـم.. ولكنه يقف منه تبعا لنوعية الناس. فالموت نهايـة للمثقـل بأوزار المـادة أما الذى تشبع بنسائم الـروح وخفت عنـاصـره فالموت انعتاق له.. وبدء لقصته الخالده فى العالم الأبدى.. يقول فى «مواكبه»:

والموت فى الأرض لابن الأرض خاتمة
وللأثـــيرىِّ فهـــو الـــبـــدء والظـــفـــر

ويقول:

فالمـــوت كالبحـــر من خفت عنـاصــره
يجتـــازه وأخـــو الأثـــقـــال ينــحـــدِرْ

●● ويفر «جبران» الى الغابات حيث عالمه المثالى الذى تتلاشى فيه المسافات وتتداعى فيه الخيالات والرؤى فهناك يفقد الموت طعمه ولونه.

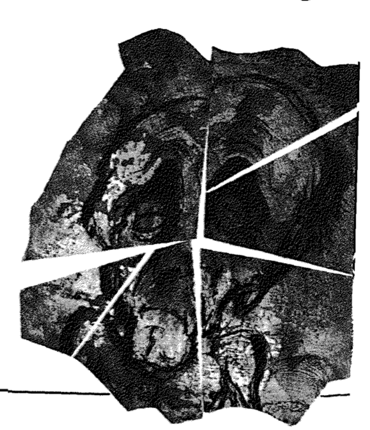
ليس فى الغـــابـــات موت
لا ولا فيـهـــا الـقـبـــو.

فإذا نيســـان وَلَّــى
لم يمت معــه الســـرور
إن هوْل المــوت وهـــم
ينثنـى طىّ الـصـــدور
فالــذى عاش ربـيـعــا
كالـذى عاش الـدهـور

●● ويـرد ذكـر المـوت كثيرا فى كتابات «جبران»، ومعتقـده فى الموت لا ينفصل عن معتقده فى خلود النفس، وإيمانه بالغاب وجها صادقا للحياه.. وفى كتاب «النبى» تقول له «الميترا» «المطرة» نود أن تحدثنا الآن عن المـوت.. فقـال لها.. انكم تريـدون أن تعرفوا أسرار الموت ولكن كيف تجدونها إن لم تسعوا إليها فى قلب الحياة.

وهل موت الانسان سوى تحرير النفس من مده وجزره المتواصل لكى يستطيع أن ينهض من سجنه ويحلق فى الفضاء ساعيا إلى خالقه من غير قيد ولا تعويق؟(٧).

والرؤية المأساوية للحياة واعتبار الموت هوالمخلص من الـواقع «الكابوس» والسجن الخانق «هو موقف



الـرومـانسيـين» دائـما.. فالمـوت وسيلتهم الوحيده للعثور على الجديد وما هو هذا الجديد؟ هو شىء غير محدد.. هو الضد الأجوف الفارغ للواقع الموحش، وعلى قمـة هذه المثـالية يتربع الموت المملوء بالعدم والفـراغ.. أليست أقـوال الشعراء والأدباء السابقة تقترب من قول بودلير:

يا موت أيها الملاح العجوز آن الأوان فارفع المرساة
مللنا المقام هنا، ياموت فعجل بالرواح
ان يكن قد ادلهم سواد البحر والسماء
فإن قلوبنا التى تعرفها يفيض منها الضياء(٨)

«وجورج صيدح» يفتح ذراعيه للموت ويقف مرحبا بمقدمه بل ويدعو الناس إلى لقائه.. ولكن نلمح أن موقفه من الموت لا ينميه على أساس فكرى معين أو فلسفة لها أبعادها ودلالاتها المحددة.. ولكنه يدعو الى نبذ العيش والترحيب بالمنون على طريقة الوعظ فى أسلوب خطابى يقول:

أيهــا الــواجـف من طيــف المـمات
ينـشـــد الـغـبطــة فى طول الـبقــاء
ليس لولا المــوت فى الـكــون حيــاةْ
فتــوجــه صامتــا نحــو السكــونْ
إن فى طول الــبــقــا طول الـشـقــا
فانــبــذ الــعيش ورَحِّبْ بالمنــونْ

«وإيليـا أبو ماضى» ينظر للموت من خلال رؤية إجتماعيـة فهـو الـذى ينـادى بالمسـاواة فى قصائده «**الطين**.. **الحجر الصغير**» نراه يعتبر الموت ميدانا للمسـاواة بين البشـر.. ومن خلال قصته الشعرية «**الشاعر والسلطان الجائر**» يوضح هذا الرأى فى تجربة شعرية موفقة.. فبعد الحوار بين الشاعر والسلطان حيث دحض الشاعر إفتراءاته وإدعاءاته التى افتخر فيهـا بالرياض الغن والبحر العميق والجيش الجرار

والقصر والغابات والناس بيّن له الشاعر سخرية هذه المظاهر الكونية ويصدر الحكم بالاعدام على الشاعر ويموت السلطان بعد ذلك ويلتقى الوجهان وجه الحق ووجه الطغيان ويبرز الشاعر حينئذ موقفه من الموت:

فى حومة الموت وظل البلى
قد التقى السلطانُ والشاعرُ
هذا بلا مجد وهذا بلا
ذلّ فلا باغ ولا ثائر
عانقت الأسمال تلك الحلى
واصطحب المقهور والقاهر(٩)

● ويتسرب الى نفس «إيليا» رهبة الموت وربما الشك فى حقيقته. يقول فى قصيدته «الدمعة الخرساء» وفيها يخاطب زوجته «دوروثى» شريكة حياته يقول:

أكذا نموت وتنقضى أحلامنا
فى لحظة وإلى التراب نصير
وتموج ديدان الثرى فى أكبد
كانت تموج بها المنى وتمور(١٠)

●● ولكنه فى المرحلة الأخيرة من حياته يقر بهذه الحقيقة إقرارا لا شك فيه ولا خوف وديوانه «**تبروتراب**» يمثل المرحلة الخامسة فى نتاجه الفنى وفى قصيدته «**موكب التراب**» نعثر على هذه الحقيقة حين يخاطب الريح الشديدة التى أثارت الغبار وعقدته فى الفضاء كالسرادق:

من أين جئت؟ وكيف عجْت ببابى
يا موكب الأجيال والأحقاب
أين القبور؟ فكيف منْ حلَوا بها
أهناك ذو ألم وذو قطراب؟
ولهم صبابات لنا؟ أم غودروا
فى بلقع ما فيه غير خراب؟

●● ثم يتخيل أنه رأى فى هذه الريح المتكاثفة الشبيبة والكهولة والأحلام والشاربين بكل كأس والظامئين والمدافعين والمستسلمين والغواة والمتعبدين والحسان والدميات والعاشقين والعبيد ويقول هؤلاء جميعاً:

آبوا جميعا فى طريق واحد
الخاسر المسيىء مثل السابى

●● ثم يسخر من نفسه الحريصة على عهد الصبا قائلاً:

فضحكت من حرصى على ملك الصبا
وعجبت كيف مضى عليه شبابى

■ ويقر بالحقيقه فى طمأنينةٍ غريبةٍ عنها تلك اللهفة القديمة والرهبة من الموت وأوهام التناسخ وتقمص الزهر والغدير وتخيل العودة بصورة أخرى كما كان يمنى زوجته فى قصيدته «**الدمعة الخرساء**» ويقول فى «**موكب التراب**» مخاطباً الريح:

ووقعت أنت على تراب ضاحك
لما وقعت على فى جلبابى
وكذاك أشواق التراب مآلها
ولئن تقادم عهدها لتراب(١١)

لكننا نحس نبرة الحزن الخفية تغلف الكلمات فقوله «التراب الضاحك» يشبه رقصة المذبوح إنه عرف الحقيقة ولم يعد هناك دور للمقاومة وإلا كانت جنونا!! والقافية المكسورة توحى بهذه النبرة الحزينة المفعمة بالأسى وألف المد ثم الباء فى القافية يومىء إلى طول المعاناة الدفينة، ألسنا نشعر هنا عندما ننشد هذا الشعر إنشاداً سلبياً بأن أنفاسنا تكاد تنقطع فالألف الممدودة تمثل صحوة الموت والباء المكسورة تمثل رقدة الموت الأخيرة.. وهذه المعانى تتجسد فى البيت الأخير.

وكـذاك أشـواق الـتراب مآلهـا
ولئـن تقـادم عهـدهـا لتراب

■ والاستاذ «**جورج ديمترى سليم**» قام بإحصاء كمى لمادة «**موت**» و«**شك**» للوقوف على موقف أبى ماضى من اليقين بالموت أو الشك فيه وانتهى الى ما انتهيت إليـه سابقـا وأثبت هنـا ما توصـل اليـه بطـريقتـه. . فطريقة «**التحليل الاحصائى الكمى**» هذه فى الدراسات الأدبية اتجاه علمى حديث يهدف الى دعم هذه الـدراسات باستخلاص الحقائق من النصوص الأدبية موضوعياً وقياسها رقمياً. . وبعد أن قسم مراحـل تفكـير أبى ماضى إلى خمس مراحل حسب طهور دواوينه:

(١) تذكار الماضى سنة ١٩١١م
(٢) الجزء الثانى سنة ١٩١٩م
(٣) الجداول سنة ١٩٢٧م
(٤) الخمائل سنة ١٩٤٠م.
(٥) تبر وتراب سنة ١٩٥٧م.

وصل إلى النتائج التالية:

أ ـ تكـررت كلمة «شكوك» خمس مرات فى دواوين أبى ماضى الخمسـة المعـروفة منها ثلاث فى ديوان «الخمائل» وهذه كلها فى قصيدة «الدمعة الخرساء».
ب ـ يتأرجـح الشـك عنـد الشاعر صعوداً وهبوطاً على التـوالى فهـو أشد فى المرحلتين (٢×٤) منه فى المرحلتين (١×٣) ثم إنه أشد فى المرحلة (٢) منه فى المرحلة (٤).
ج ـ ينعدم الشك كلية فى المرحلة الأخيرة.

ثم يقول: **فإذا قارنا كمياً «الشك» عند أبى ماضى بـ«الموت» عنده وجدنا أن فكرة الشك ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرة الموت بل هى صورة حقيقية لها وأثبت:**
ـ أن فكرة الموت لازمت الشاعر طول حياته.
ـ أنها تسلطت عليه اكثر فى المرحلتين (٢×٤) منها فى المراحل (١، ٢، ٣).
٣ ـ أنها فى المرحلة (٢) أشد منها فى المرحلة (٤)
٤ ـ أنها فى المرحلة الأخيرة تقف منفردة لا يقابلها «شك»(١٢)

●● والعديد من قصائده يفسر النتائج السابقة. . فالموت أمـامه يتخيله فى ظواهر كثيره فبهجةالطبيعة يقتلها شبح الفأس. . وهو قبل ذلك فى ربيع **١٩٢٣**م أقر بجهله هذا بصورة مباشرة فى مقالته التى كتبها إثر وفاة أخته الوحيده «جنى» بعـد ولادتها الأولى فقال: «أنا لا أعرف ما بعد الموت وربما كان ليس لى أن أعرف ذلك سر خفى ذلك هو اللغـز الأكـبر. . ولكنى أعـرف أن فى العالم فكرتين ساريتين يعول عليهما الناس. . وفى كلتيهما تعزية للروح الكئيبة مثل روحى:
الأولى: فكرة المؤمنين بالبعث والميعاد القائلين أن بعد هذه الحيـاة حياة أخرى أبهى وأجمل وأسمى وأكمل وأن الموت هوالجسر الذى يعبر عليه الناس الى تلك الحياة.
والثـانيـة: هى فكرة الفلاسفة الذين يثبتون لاخوانهم البشر أن الانسان مادة وأن المادة لا تفنى وأن ما يكون اليوم لا يكون غدا. . هو كائن موجود ولكن فى شكل غير شكله الأول.

ويخاطب أخته قائلا: فأنا على الاعتقاد الأول أغبطك لأنك عبرت ذلك الجسر الى الحياة التى لا حزن فيها ولا غم وسأظل أسقى شجرة الأمل فى نفسى الى أن تنطلق من قفصها الترابى فتلتقى روحى وروحك حيث لا تحذران الفراق.

وفى مراثيـه تبـدو عقيـدته المؤمنة بالبعث فى المرحلة الأخيرة من حياته كما كانت فى المرحلة الأولى والقصائد فى ديوان «تبر وتراب» وهى:
● الشاعر ص**١٦٩ـ١٧٣**. .
● مازال فى الارض حيا ص**١٧٤ـ١٧٧** فى رثاء خليل مطران
● يا قائد القوم ص **١٧٨ـ١٨١** فى رثاء د. رزق حداد.
●وليتهم عرفوه ص**١٨٢ـ١٨٨**. . «سكت الشادى وبح الوتر» ص**١٨٩ـ١٩٣**. . فى رثاء يعقوب روفائيل صاحب

مجلة الأخلاق.

● ولم يهدم الموت إلاَّ هيكل الطين ص١٩٤-١٩٧ . . فى رثاء نسيب عريضه.

● ريح الرثاء ولم يجدد الشاعر من رثاه فى هذه القصيدة.

■ ومع إيمانى بأن الرثاء تؤثر فى أفكاره المجاملات تأثيراً يضر بالفكرة نفسها فى أغلب المواقف إلا أننى لاحظت أن الخط الفكرى لأبى ماضى فى هذه القصائد هو إيمانه بالبعث وإعتقاده بأن الموت حق وأن الميت يكون بجوار الله الخالق المبدع يقول:

إن الـذى قد كان معـكـم قد مضـى
من موضـع أدنـى لأرفـع موضـع
من عالم متـكـلف متـصـنـع
تشـقـى نفـوس فيـه لم تتـصـنـع
للعـالم الأسـمـى الطـهـور
ومن مجاورة الأنـام الى جوار المبدع(١٤)

● ويقول فى رثاء «ندرة حداد» وقد مات فى مأتم عرس:

شاعـر أعـجـب معـنـى صاغـه
للبرايـا . . موتـه المـبـتـكـر
يا رفـيـقـى ما بلغـت المـنـتـهى
ليـسـت الحـد الأخـير الحـفـر
كلنـا منـتظـر ساعـتـه
والمـصـير الحـق ما نـنـتظـر(١٥)

ومنهم من كان ينظر للموت فى خشية ورهبة ولكنهم يرونه ضروريا ومنقذا من مآسى الحياة . . ومن هؤلاء الأدباء الشاعر «رياض المعلوف» والموت قليل الأصداء فى أشعاره فقلما نعثر على هذه المادة «م وت» اللهم إلا فى ديوانه «**الأوتار المتقطعة**» وأعتقد أن الشاعر قابل الحياة بهذا التشاؤم المفرط نتيجة لظروف آنية . . وهو بعد ذلك مقبل على الحياة، فرح بها ودواوينه «**زورق الغياب**» و«**خيالات**» . . «**غمائم الخريف**» شاهد إثبات على ذلك.

● وقد حدثنى برأيه فى الموت . . **وهل هو النهاية أم المعبر؟** فى رسالة قال فيها:

«الموت لا غرو إنه شىء مخيف . . ولكننا نراه أحياناً ضرورياً ومنقذاً لمآسى الحياة ورحم الله أخى فوزى المعلوف القائل:

من يمـت ألـف مرة كل يوم
وهـو حىّ يسـتـهـون المـوت مرةْ

وإذاً لابـد من المـوت فلماذا نخشـاه؟ ونَجْبُن تجاهه . . ألم يقل الشاعر:

وإذا لم يكـن من المـوت بد
فمـن الـعـجـز أن تموت جبـانـا




جبران خليل جبران

ايليا ابو ماضي

جورج صيدح

ميخائيل نعيمه

وإذا كانت عقيدة «التناسخ» هي محور تفكير مخائيل نعيمه في كتابه «زاد الميعاد» وكتابه «اليوم الاخير» ومن حذا حذوهما هو وجبران من المهجريين فلهم رأيهم الخاص وفلسفتهم المستقلة.. أما أن تفضل هذه الفلسفة على الفلسفة الاسلامية التي تقول بفناء الأجساد وانتظار الروح للبعث مقترنة بالجسد مرة أخرى في العالم الآخر. وبما فيه من بعث وثواب وعقاب وجنة ونار كما وضح القرآن الكريم فذلك مالا أقبله وبخاصة من ناقد مثل الأستاذ «الناعوري» حينما يفضل في جرأة عقيدة التناسخ ويقول مردداً الرأى الذى احتج به «نعيمة» في كتابه «اليوم الأخير» يقول: في يقيني أن هذه العقيدة الساذجة أوقع في النفس مما سواها لأن الانسان يفضل أن يظل في الوجود يرى ويسمع ويشم ويذوق ويمشي على أن تعيش روحه خالدة في عالم آخر غير الأرض(١٦).

فهل نسى «الناعوري» مشاهد الجنة والنار في القرآن الكريم؟ وهل غاب عن وعيه الديني وعقليته المتفتحة تصوير القرآن ليوم البعث وبراهينه القوية في كيفية إحياء الناس؟ وهل نسى أو تناسى أو أنساه حب التفلسف التقليدي منهج الاسلام «الوسط» وأن الفلسفة القرآنية المستمدة من النبع الالهي تسمو فوق فلسفة الماديين الذين يتنكرون للروح بل وتهزأ بهم وتنأى بنفسها أيضا عن عقيدة الهنود الساذجة التي تحتقر الجسد ورغائبه المشروعة.. إنها والحق أقول: لا تنكر على الجسد متطلباته الضرورية التي بها يفيد ذاته والناس ولا يضرها ويضر الناس. وهي لا تهيض جناح الروح.. بل تمدها بالوسائل والمرغبات.. وتمد لها الآفاق لتصل ما بين الأرض والسماء. وتجعلها في قران أبدي مؤمن بقدرة الله المبدعة الخلاقة.

---

(١) د. محمود قاسم - في النفس والعقل ص ٣٠-٣١
(٢) د. عبد الغفار مكاوي - ثورة الشعر الحديث ص٨٦.
(٣) اوستمد وارين، رينيه ويليك، نظرية الأدب - ترجمة محيى الدين صبحي مراجعة د. حسام الخطيب.
(٤) نسيب عريضه: الأرواح الحائرة ص٨٣-٨٦
(٥) إيليا حاوي: فوزي المعلوف شاعر البعد والوجد ص٥٠
(٦) شفيق معلوف: ستائر الهودج ص١٤٣.
(٧) جبران خليل جبران: النبي ص٩١-٩٢.
(٨) د. عبد الغفار مكاوي: ثورة الشعر الحديث ص٧٦
(٩، ١٠) ايليا أبو ماضي: الخمائل ص٩، ص١١
(١١) إيليا ابو ماضي: تبر وتراب ص٢٤-٢٨
(١٢) جورج ديمتري سليم: أبو ماضي: دراسات عنه وعن أشعاره المجهولة ص٢٨-٢٩
(١٣) د. حسن جاد: الأدب العربي في المهجر ص٢١٥
(١٤، ١٥) ايليا ابو ماضي: تبر وتراب ص١٨٨
(١٦) د. عيسى الناعوري: أدب المهجر ص١٥٧

مقامات

لابن شرف القيرواني

المقامات ظاهرة أدبية فريدة ظهرت فى المشرق على يد البديع الهمذانى أواخر القرن الرابع الهجرى. . لكنها لم تلبث أن اشتهرت وشاعت فى أقطار العالم العربى والاسلامى آنذاك، حتى وصلت إلى بلاد الأندلس مارة فى طريقها ببلاد المغرب. وبهذا لم تعرف المقامة الأدبية وطنا عربيا خاصا بها وإنما انتشرت فى جميع الأقطار وصارت بعد فترة وجيزة فنا من فنون الأدب. . **فكيف إذن وصلت الى ديار المغرب والأندلس؟.**

مع نهاية القرن الرابع ومطلع القرن الخامس الهجريين حيث كانت مدينة «**القيروان**» ترفل فى أوج ازدهارها الثقافى والأدبى، سطع نجم ناقد أدبى كبير هو «**أبو إسحاق الحصرى**» الذى أقام مدرسة أدبية ونقدية شهيرة. . قصدها كثير من الدارسين من أبناء إفريقية والأندلس فنشر بينهم ما راقه من نصوص أدبية لعدد من مشاهير الأدباء المشارقة الذين حفل بهم القرن الرابع الهجرى، كما بث فى نفوسهم وحبب إلى قلوبهم أدب المحدثين. . وكان فى طليعة من اهتم به من أعلام وأدباء وأولاهم عناية خاصة، بديع الزمان الهمذانى الذى أعجب بشخصه وأغرم بأدبه فأثبت الكثير من رسائله ومقاماته فى العديد من مؤلفاته وبخاصة فى كتابه «**زهر الآداب**».

وإذا ذهبنا نحصى ما أورده الحصرى للبديع فى هذا الكتاب لوجدناه يصل الى تسع عشرة مقامة. . عدا الرسائل المختلفة. بالاضافة إلى ما أولاه من عنايته الخاصة لمذهب البديع النثرى القائم على الصنعة والاهتمام بالمحسنات اللفظية. . فمدحه وأثنى عليه وأبدى إعجابا كبيرا به فى أكثر من موطن فى كتابه. . وبهذا يعتبر الحصرى القيروانى أول من أدخل المقامات البديعية الى المغرب وأطلع عليها رواده والعديد من تلاميذه وطلابه وأرشدهم إلى ما لها من أهمية أدبية.

يضاف الى ذلك المجهود المتقدم الذى بذله الحصرى، تلك الروح العلمية التى سادت بلاد المغرب والأندلس والتى كانت تعتمد على حب الانتقال والرحلة الى المشرق لتحصيل العلم والأدب من معينه الأصلى ومصادره الأولى. . ولم يكن من الجائز أن تغفل عيون من رحل منهم عن ذلك الفن الجديد الذى فرض نفسه على الحياة الأدبية في المشرق منذ تم للبديع اكتشافه.

مجهولة

دكتور
حسن ذكرى
مدرره
أستاذ مشارك بقسم الأدب والنقد
كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى

وهكذا سرعان ما عرف المغاربة والأندلسيون هذا الفن الأدبى الجديد، بعد أن وصلت إليهم مقامات البديع عن طريق من رحلوا منهم الى المشرق طلبا للعلم وتحصيلا للأدب، فدرسوا هذا اللون الجديد من الأدب فى جملة ما درسوه من العلوم والفنون والأدب ثم عادوا الى بلادهم محدثين به وناشرين له.

بدأت طلائع المقامات الهمذانية تظهر فى بلاد المغرب مع بداية القرن الخامس، وتنتشر بين رجال الأدب والمتأدبين الذين انكبوا على درسها والوقوف على سماتها وخصائصها الفنية، حتى تمكن بعض الأدباء المغاربة من معارضتها والنسج على منوالها.. فوضع الأديب القيروانى أبو عبد الله محمد بن شرف مقاماته وضمنها كتابه **«أعلام الكلام» أو «مسائل الانتقاد»**.

فى **الأندلس** حدث الشىء نفسه حيث قام ابن هيد وابن مالك القرطبى بتأليف مقامات أخرى رضا فيها البديع وسلكا معا طريقه ونهجا نهجه نى فى صياغة هذا الفن الجديد وكلا الأديبين عاشا عهد «المعتصم بن صمادح» بالمرية عصر ملوك وائف (٤٣٣/ ٤٥٤هـ).

مقامات ابن شرف القيروانى:

استهل ابن شرف مقاماته بمقدمة أوضح فيها ما قام به من عمل ادبى عارض به بديع الزمان الهمذانى وصب فيه على قالبه فقال: «هذه أحاديث صنعتها مختلفة الأنواع، مؤتلفة فى الأسماع.. عربيات المواشم.. غريبات التراجم.. واختلقت فيها اخباراً فصيحات الكلام.. بديعات النظام.. لها مقاصد ظراف.. وأسانيد طراف.. يروق الصغير معناها.. والكبير مغزاها.. وعزوتها إلى أبى الريان «الصلت بن السكن» من سلامان.. وكان شيخا همّاً فى اللسان وبدراً تمّاً فى البيان.

واحتذيت فيما ذهبت إليه ووقع تعريضى عليه من بث هذه الأحاديث.. ما رأيت الأوائل قد وضعت فى كتاب «كليلة ودمنة» فأضافوا حكمه الى الطير الحوائم، ونطقوا به على ألسنة الوحش والبهائم... وقد نحا هذا النحو سهل بن هارون الكاتب فى تأليفه كتاب «النمر والثعلب»..

وزور أيضا بديع الزمان الحافظ الهمذانى مقامات كان ينشئها بديها فى آخر مجالسه وينسبها الى راوية رواها له يسميه عيسى بن هشام وزعم أنه حدّثه بها عن بليغ

اسمه «أبو الفتح الأسكندرى».

وينهى ابن شرف هذا التقديم بالكشف عما قام به من عمل.. سلك فيه نهج البديع واقتفى أثره فيقول: «فأقمت من هذا النحو عشرين حديثا أرجو أن يتبين فضلها ولا تقصر عما قبلها». ويقصد بقوله «عشرين حديثا» عشرين مقامة.. ضاع معظمها ولم يبق منها إلا عدد قليل.. ثم يتبع ابن شرف هذه المقدمة بثلاث مقامات طويلة هى كل ما تضمنه كتابه **«أعلام الكلام» أو «مسائل الانتقاد»**. وعلى الرغم من أن تلك المقدمة لا تشغل سوى صفحة وبعض الصفحة إلا أن من يطالعها يدرك أنها أوسع من تلك المقامات الثلاث التى تلتها فى المعنى والمحتوى بكثير. ففحواها ينبىء عن أنها مقدمة لكتاب كبير فُقِدَ معظمه.. وهذه المقامات الثلاث هى التى قاومت الضياع والاندثار حتى وصلت إلينا.

لقد تضمنت هذه المقدمة إشارة واضحة الى عدة مؤلفات مهمة.. منها كتاب **«كليلة ودمنة» وكتاب «النمر والثعلب» و«مقامات البديع»** والتى عقب عليها بقوله: «فأقمت من هذا النحو عشرين حديثا أرجو أن يتبين فضلها ولا تقصر عما قبلها» مما يؤكد ـ دون شك ـ ضياع معظم هذه الأحاديث العشرين، وإلا فأين وجه الشبه إذن بين «أعلام الكلام» أو «رسائل الانتقاد» من ناحية.. وبين كل من «كليلة ودمنة» و«النمر والثعلب» و«مقامات البديع» من ناحية أخرى.

فإذا كانت المقامات المتبقية لابن شرف تشبه مقامات البديع.. فليس بينها وبين **«كليلة ودمنة» أو «النمر والثعلب»** مثلا أى شبه من قريب أو بعيد.. اللهم إلا أن يكون ذلك التشابه الذى يقصده ابن شرف قد ذهب فيما فقد من هذه الأحاديث العشرين.

كما وردت مقامة أخرى من مقامات ابن شرف فى ذخيرة ابن بسام لم ترد فى النسخة التى عثرنا عليها لمقامات ابن شرف.. نقلها ابن بسام عن كتاب ابن شرف قبل أن يضيع. وبهذا يصبح مجموع ما لدينا من مقامات ابن شرف أربع مقامات سنحاول من خلال عرضها فى هذه العجالة أن نستوضح إلى أى مدى وصلت حدود التشابه أو مواطن الاختلاف بينها وبين مقامات البديع الهمذانى.

يبدأ ابن شرف مقامته الأولى بمحاورته أبا الريان الذى اختاره بطلا لمقاماته الثلاث الأول فيقول: «وجاريتُ أبا الريان فى الشعر والشعراء، ومنازلهم فى جاهليتهم وإسلامهم، واستكشفته عن مذهبه فيهم، ومذاهب طبقته فى قديمهم وحديثهم» فيكشف بذلك عن موضوع مقامته وهو الحديث عن الشعر والشعراء وتحديد منازلهم فى القديم والحديث.



ولقد بلغ عدد من عرض لهم فى هذه المقامة من مشاهير الشعراء مشرقيين ومغاربة أكثر من ستة وستين شاعرا انتقاهم من الجاهلية حتى عصره . . يتناول أبو الريان كل واحد منهم مقوماً لنتاجه الشعرى ومحددا لأبرز خصائصه وسماته الفنية . . وقد يضيف الى ذلك فى أحيان كثيرة الحديث عن المنهج الفنى للشاعر وتحديد منزلته بين شعراء عصره، كما أجرى بعض الموازنات النقدية بين عدد منهم . . يتم كل ذلك من خلال حرص واضح على التزام الأسلوب المقامى المعروف .

ويبدأ أبو الريان بامرىء القيس فيقول : «لقد سميت مشاهير وأبقيت الكثير، أما الضليل مؤسس الأساس، وبنيانه عليه الناس، كانوا يقولون : أسيلة الخد، وأشباه هذا، وجيداء تامة العنق، حتى قال امرؤ القيس : بعيدة مهوى القرط، وكانوا يقولون فى الفرس السابق، يلحق الغزال، ويسبق الظلام، وأمثال هذا حتى قال : «بمنجرد قيد الأوابد هيكل»(١) .

وينتقل أبو الريان مَن امرىء القيس الى بقية الشعراء الذين عددهم له ابن شرف، حتى إذا ما انتهى من نقده وتقويمه لشعراء المشرق، يبدأ فى التصدى لمن ذكر له من شعراء الأندلس والمغرب حتى تنتهى هذه المقامة التى طالت حتى استوعبت أكثر من اثنتى عشرة صفحة .

أما الموضوع الذى تضمنته المقامة الثانية فيدور حول عدد من قضايا النقد الأدبى المهمة . . وقد استهلها ابن شرف برجاء حار تقدم به لأبى الريان فقال : قلت لأبى الريان فى مجلس عقب هذا المجلس، يا أبا الريان : لقد رأيت لك نقدا مصيبا، ومرمى جيبا، ولقد أرغب فى أن أنال منه نصيبا» . . فقال : نقد هبة فى الموالد، وفيه زيارة طارف الى تالد . .

ثم يعرض لعدد من القضايا الأدبية والنقدية . . محاولا أن يدلى فيها بدلوه بعد أن تخلص من الالتزام بالأسلوب المسجوع الذى تقيد به فى المقامة الأولى، مما سمح له بأن يطرح فى يسر وسهوله كل ما يريد قوله فى معظم القضايا الأدبية والنقدية ومكنه من أن يعطى فيها رأيا سديدا لا يكاد يختلف وما توصل إليه النقد الحديث فى كثير منها .

وتضم المقامة الثالثة مجموعة من المختارات الشعرية التى انتقاها أبو الريان لما استحسن من عيون الشعر العربى . . استجابة لما أبداه ابن شرف من رغبة فى قوله : «وطلبتنى نفسى بمعرفة مذهب أبى الريان فى اختيار الشعر، واغتنمت جوده بها أردته . ووجوده متى طلبته، فقلت له يوما : يا أبا الريان : أبت نفسى أن ترتوى من مائك، ولا أن تسأم من طيب غذائك . . . فتبسم ثم قال : **ما الفن الذى تريد؟ ومن أى صنف تستزيد؟** قلت اقتراحى على فهمك وكرمك، أن تنشدنى ولا تمل، وتملى على ولا تكل، من مستحسن الأشعار عندك، ما جمع بين ميزك فيه ونقدك على الاختيار» فيستجيب أبو الريان لذلك وينتقى له مجموعة جديدة من الأبيات الشعرية فى الحكم والمديح والغزل والرثاء وصلت فى مجموعها إلى ما يقرب من مائة وعشرين بيتا لعدد من كبار الشعراء . . ذكرها متتابعة دون أن يعلق عليها بكلمة نقد أو تقويم، وابن شرف ـ كما أعتقد ـ أراد لها أن تعطى الوجه الآخر والمقابل للمقامة التى سبقتها، وكشفت عن المعيب من الشعر . . فإن هذه المقامة قد عرضت للجانب الحسن منه بما اشتملت عليه من الشعر الجيد . . والاستقباح والاستحسان يمثلان وجهة نظر ابن شرف النقدية دون شك .

أما المقامة الرابعة فتختلف عن المقامات التى تقدمتها من حيث الهدف منها والبناء الفنى

هنا . . فهى قصة فكاهية كاملة صاغها ابن شرف فى أسلوب مقامى مصنوع فتجاوز بها الصياغة التقريرية التى غلبت على مقاماته المتقدمة . . بما تحمله من عناصر التشويق وطرافة الحادثة الأدبية التى احتوتها.

وقد اختار هنا ابن شرف راوية جديدا أسماه «الجرجانى» وجعل أحداثها تدور فى مدينة «جرجان» وفى منزل من منازل فتيانها الأثرياء الذى جمع بين المال والجمال، حتى غدت داره مأوى للأدباء، وملاذاً للغرباء، وذات ليلة يطرق بابه فقير ضرير، فيحسن استقباله ويبالغ فى إكرامه ثم يستدعيه الى إيوانه.

فإذا بنا أمام شخصية لا تختلف كثيراً عن شخصية أبى الفتح الأسكندرى يصفه الجرجانى ويحدد لنا هيئته فيقول: **«دخل علينا رجل شيخ وافر السبال، قد عمه البياض بالكمال، مطموس العينين، مسترخى الحاجبين، قد صلعت هامته، وركعت قامته، وقصرت مسافة خطاه، وثقل جسمه على عصاه، فسلم بصوت ضئيل، ودعا بلسان ثقيل»**.

وبما ينتهى مجلس الفتى ويغط الجميع فى ثبات عميق حتى يتسلل الشيخ يريد الاعتداء على الفتى . . فيستيقظ الجميع على صوت صخب وجلبة ويكتشف الجميع فعلته الشائنة، لكن الشيخ لم يتحرج مما أتى بل يقف مبررا فعلته فى أسلوب بليغ وبلسان ذرب فصيح على طريقة أبى الفتح الاسكندرى ثم يختمها الجرجانى بما دار بينه وبين هذا الشيخ من حوار طريف مما يطبع هذه المقامة بطابع الظرف والفكاهة المرحة التى هى من سمة المقامة البديعية، مما يؤكد صدق ابن شرف فيما صرح به من اعتراف بمتابعته للبديع فى مقاماته والنهج على منواله فيما قام به من عمل.

بين مقامات البديع ومقامات ابن شرف:

من خلال ذلك الاستعراض السريع والسابق لمقامات ابن شرف يمكننا أن نشير فى ايجاز الى مواطن الاتفاق والتشابه . . ونحدد نقاط الاختلاف والافتراق بينها وبين مقامات البديع.

فإذا كانت مقامات البديع تضم الى موضوعها الرئيس عن الكدية والاستجداء بعض الموضوعات الأخرى من أدب ونقد وقصص وفكاهة . . فمقامات ابن شرف قد انتفت عنها صفة الكدية والحيل المقترنة بها، وجاءت خالية منها تماما . . ولكنها اتفقت معها وشاركتها فى بعض الصفات والموضوعات الأخرى . . مثل الرواية الأدبية والنقد والفكاهة والقصص. فالموضوعات التى تطرقت إليها مقامات ابن شرف ظهرت على نحو أو آخر فى مقامات البديع.

أما بطل ابن شرف وراويته **«أبو الريان»** فلا يكاد يشبه بطل البديع **«أبا الفتح الأسكندرى»** إلا فى الأدب والبلاغة وقوة البيان وما يتمتع به من ذلاقة لسان، فهو مثله أديب فكه يجيد حرفة الأدب ويتقن أساليب الفصاحة والبيان . . ويزيد على أبى الفتح الالمام بقضايا الأدب والنقد ومشكلاته . . أما من ناحية التسول والشحاذة فتلك صفات ينفرد بها أبو الفتح الأسكندرى وحده. ويمكن رد ذلك الفارق بينهما الى الحياة الاجتماعية والسياسة التى كان يعيشها كل من ابن شرف والبديع.

ويؤدى أبو الريان فى مقامات ابن شرف دو الراوية الذى لا تتجاوز مهمته تقرير الأفكار، وتسجيل الآراء التى عمد ابن شرف إلى عرضها فى مقاماته دون أن يغلف ذلك بأدنى لون من الاثارة و التشويق، كالتى تتسم بها المقامات البديعية . . فها أ

يفرغ أبو الريان من سرد روايته حتى يقدم له ابن شرف الشكر ويعترف له بالفضل والنبوغ فى صورة عادية من الحوار لا تشبه تلك النهايات المثيرة والمشوقه. . التى يفاجىء فيها أبو الفتح مستمعيه من خلال مواقفه العجيبة وعبر حيله المثيرة وألاعيبه الغريبة فى العديد من مقاماته. . ويرجع ذلك الى طبيعة الموضوعات التى عرض لها كل منهما فى مقاماته.

كما تابع ابن شرف البديع فى اختيار الشكل الحوارى لمقاماته، فاختار لها بطلا أسماه «أبوالريان بن الصلت بن السكن من سلامان» وجعل من نفسه راوية له يسأله ويستفسر منه ويروى على لسانه كل ما يريد من موضوعات أدبية ونقدية. . ولكنه فى المقامة الرابعة يستبدل بأبى الريان راوية آخر أسماه «الجرجانى» وهو أقرب شبها ببطل البديع أبى الفتح من أبى الريان.

أما من ناحية التشابه بين موضوعات كل منهما فهو ما نلمحه فى مقامات ابن شرف الثلاث الأول، التى تشبه مقامات البديع التعليمية من أمثال المقامة القريضية والغيلانية والابليسية والجاحظية والشعرية، التى أقامها البديع حول الشعر والشعراء. . بيد أنه لم يفصّل الحديث فيها كما فصله ابن شرف، حيث لم يكن يهدف فيها الى النقد الأدبى وحده كما كان الحال عند ابن شرف الذى أقام مقاماته أساسا عليه دون الالتفات إلى أى شىء آخر. ويتضح ذلك بشكل ظاهر فى المقامة الثانية التى عرض فيها لعدد من قضايا الأدب والنقد المهمة وطال الحديث به حتى جاوزت العشرين صفحة أو تزيد. . فى الوقت الذى تجاوز فيه البديع هذه الغاية ليقدم لنا نموذجا إنسانيا يمكن عن طريقه أن يرسم صورة حية لما أصاب حياة المجتمع فى العصر العباسى الثانى من خلل واضطراب. . ثم تمكن من وضع كل ذلك فى إطار من التشويق المثير.

أما المقامة الرابعة فهى التى تكاد تلتقى بالعديد من مقامات البديع القصصية ويصل التشابه بينهما إلى درجة كبيرة. . وذلك لما احتوته من حكاية وحوار قصصى مثير. وما تضمنته من عقدة وتأزم. . وما حفلت به نهايتها من غرابة وطرافة ممتعة.

فإذا كانت المقامات الثلاث الأول لابن شرف قد افتقرت إلى عنصر التشويق والاثارة وجاءت مسرفة فى الطول بشكل واضح. . فإن المقامة الرابعة قد تمتعت بما افتقدته تلك المقامات المتقدمة وجاءت مختلفة عنهن من حيث الهدف والبناء والصياغة الفنية. . كما تخلصت من الصياغة التقريرية المعهودة فى الأخبار الأدبية وصيغت فى أسلوب موجز يقوم على الالتزام الكامل لأسلوب السجع المعروف.

وإذا كان البديع قد هدف فى مقاماته الى جانب ما تضمنته من كدية واستجداء الى غاية تعليمية. . فقد هدف ابن شرف من وراء مقاماته إلى سوق جملة من آرائه الأدبية والنقدية وتقديم جملة من ألوان الفكاهة. ولذا عندما تكشف له أن ذلك الأسلوب المسجوع يثقل خطاه ويعوقه عن الانطلاق لتسجيل ما أقدم على طرحه من خلال مقاماته من قضايا ومشكلات تتعلق بالأدب والنقد. . عمد إلى التخلص من أعباء الصنعة اللفظية، فجاء أسلوبه فى المقامة الثانية متحرراً من معظم القيود البديعية ومعتمدا على الأسلوب المترسل وبخاصة فى حديثه عن سقطات الشعراء وذكر أغلاطهم وما وقعوا فيه من عيوب آخذهم عليها.

وإذا كان قد تمسك بالأسلوب المسجوع والتزم به فى المقامة «**الجرجانية**» إلا أنه كان فى سجعه هذا أخف



روحا وأرشق لفظا وأرق معنى وأبعد عن الغريب وحوشى الألفاظ من البديع الهمذانى.

وعلى الرغم مما انزلق إليه ابن شرف فى هذه المقامة من مهاوى الأدب المكشوف.. إلا أن عمله هذا يعد تطوراً جديداً لفن المقامة العربية فى تلك الفترة المتقدمة من حياة ذلك الفن الجديد، وخطوة على طريق مسيرتها الطويل.. مما ينبغى أن يحسب لابن شرف ويضاف إلى رصيد جودته فى ميدان الأدب والنقد.

نخلص من هذه العجالة الى التأكيد على تلك العلاقة الوطيدة والصلة الوثيقة القائمة بين مقامات البديع ومقامات ابن شرف.. مما يؤكد عمق ذلك التأثير الفنى الذى أحدثته مقامات البديع فى شتى أرجاء العالم الاسلامى والعربى.. فكانت النموذج الفنى أمام مؤلفى المقامات منذ اخترعها البديع حتى عصرنا الحديث.

مراجع البحث

١ ـ أعلام الكلام لابن شرف القيروانى طبعة الخانجى
٢ ـ مسائل الانتقاد لابن شرف القيروانى تحقيق وشرح د/ حسن ذكرى حسن
٣ ـ مقامات البديع. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.
٤ ـ البديع رائد القصة العربية. د/ الشكعة طبعة بيروت
٥ ـ زهر الآداب الحصرى القيروانى مطبعة السعادة
٦ ـ النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى دار الكتاب العربى بمصر.
٧ ـ حوليات دار العلوم ١٩٦٨-١٩٦٩م
٨ ـ مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد الثانى عام ١٩٥٤م العدد ١-٢ مقال بقلم د/ احمد مختار العبادى
٩ ـ الذخيرة لابن بسام، المجلد الرابع الجزء الأول. طبع دار الكتب المصرية.
١٠ ـ المقامة الأدبية بين المشرق والمغرب. د/ يوسف نور عوض ـ بيروت



من حكايا زوربا

حكاية رواها زوربا لصديقه..
حكى زوربا أن أباه نسى يوماً علبة تبغه ولم يكتشف ذلك إلا فى الحقل.. ولما كان عاشقاً للتدخين..
تعكر مزاجه وأحس أنه لن يستطيع أن يمسك فأسه ويفلح أرضه..
كل ذلك بسبب نسيانه للتبغ..
وفجأة أخذ يجرى حتى وصل بيته.. وهناك أتدرون ماذا فعل؟
أمسك العلبة. وضعها تحت قدمه.. ثم راح يفرك التبغ بكل قوته وهو يلعنه..
من لحظتها.. لم يشعل لفافة تبغ واحدة..
وكان.. آخر عهده بالتدخين.

وحكاية أخرى..

كان زوربا متيماً «بالكرز».. يراه ألذ طعام.. وأطيب فاكهة.. وفى يوم بلغ به هيامه أن ظل يلح على أبيه ليشترى له.. غير أن أباه نهره.. ولم ينم زوربا ليلته حتى استطاع تدبير ما يشترى به سلة من «الكرز».. وضع السلة أمامه.. وظل يأكل ويأكل وبطنه تنتفخ حتى لم تعد معدته تحتمل كرزة واحدة..
حينئذ.. راح زوربا يتقيأ كل ما أكله..
من يومها.. كره زوربا الكرز.. لم يعد يشتهيه. وانتهى عهده به..

«نيكوس كازنتزاكى»

نادر



● ايام العرب فى فلسطين(٢) — محمد حسن شراب
● عودة الى الغد — هارون هاشم رشيد
● محمود درويش — رابح لطفى جمعة
● قصائد فلسطينية — يوسف حمدان
● الارهاب الصهيونى — زياد عودة



«ان الولايات المتحدة لم تطلب من اسرائيل، بل لم تشجعها على الانسحاب من الأراضى التى تحتلها بصورة غير مشروعة. على العكس من ذلك نجد ان الولايات المتحدة قد أمدت اسرائيل بدعم مالى ومعنوى كامل لقاء تحديها المتواصل لمتطلبات الأمم المتحدة التى تتمثل فى ضرورة إعادة هذه الأراضى».

«اللورد كارادون»

ابك

روحى محمّد عبدالغنى صالح
أبها

الـصـقـرُ لا يـسـبرُ الـبطـحـاء من وهنٍ
والأُسْـدُ لا تهجـر الآجـام من هَرَمِ
مَنْ قال إنَّ كماةَ الْـعُـرْبِ فى خورٍ
لن توهـن الـشـعـبَ أقـوالٌ من الـكَـلِمِ
مَنْ قال إنَّ الـفـلـسطـيـنـىَّ فى مِزقٍ
لا درّ در الْـعِـدى عُمْـىٌ وفى صمـم
هذى طلائـعُـهُ كالـسـيـل هادرة
هذى بطـولاتـه نارٌ على عَلَمِ
هذى الجـراحـاتُ فى لبـنـان شاهـدةٌ
أن الـكـرامـةَ لم تُهْدَر ولم تُسَـمِ

* * *

يا نافِـثـاً سُمَّـه فى كل ملحـمـة
يُشـيـدُهـا بطـل بالـدَّم والـنَّـسَـم
أنظـر هنـاك أمـا عين ترى زُمُـراً
تسـربـلت بالـرَّدى والـعـزم والـشِّـيَم
كالـسـيـف صارمـة كالـرِّيـح عاصفـة
لم تثـنـهـا نذر من آبِـتٍ لَـمِ

* * *

صَيْـدا أيـا مَرْبضَ الأحـرار والـنُّـجُـب
كم حُرِّقَـتْ فيـك أكـبـادٌ من الألمِ
كم هدّمتْ طائـراتُ الـغـدر من سكـنٍ
على ولـيـد وشـيـخ طاعـن حَطِـم

تالـله ما فَتَّ هذا الحـقـدُ من عَضُـدٍ
بل أنبـت الحقـدُ جيلا ثائـر الْهمَـمَ
يا صيحـةً سُبـقـتْ بالـثأر من خمر
ما خلَّفـتْ غير أشـلاء على ثُلمٍ
الله اكـبرُ هذى خَوْلـةُ الـعَـرَبِ
فى مركـب للردى لا مركـب الـنَّـعم
تجتـاحُ عصبـة بغْـى غرَّهـا نَزَقٌ
حتـى غدوا نتـفـاً سوداً من الـرمـم
هذى سنـاء عروسٌ زفَّـهـا ظَفَـرٌ
بل زفَّـهـا طَرَبٌ بالأرضِ والأكَـمِ

* * *

أين الـذى زعمـوا؟ أين الـدعـاة ومـا
تخرَّصـوه ومـا صاغـوه ملء فم
ـن الـصحـافـة والمـذيـاع والـكـتب
ايـن الـرواة ومـا ذاعـوه فى الأمـم
ليشـهـدوا ضربـةً ما خاب ضاربُهـا
ويـدركـوا أن أُسْـد الـرَّوع لم تهم
هذى مقـاتـلُهُـم أضحـتْ بقـارعـةٍ
مثـل الجنـى داسَـه فِزرٌ من الـغـنـم
خمسـون كلبـا وقرص الشمس يشهـدهم
وأرض جزِّيـن (والحـاخـام) ذو الـسَّـدَم
هلا درى الـكـفـرُ أن الأُسْـدَ حاضـرةٌ
فى السهـل والـوعـر والـوديـان والأجُمُ

* * *

ما بال صهـيـون فى رعـبٍ وفى هلعٍ
والـغـربُ يبكـى على معبـوده الصَّنَم
شاهـتْ وجـوهُـهُـمـو حتى بدتْ صوراً
مجذومـةً زادهـا سقم على سقـم
يا أمـتـى قُدُمـاً بالـعـزم محتـدمـاً
لا ينفـعُ الـيوم غيرَ الـصـارمِ الحـذِمِ

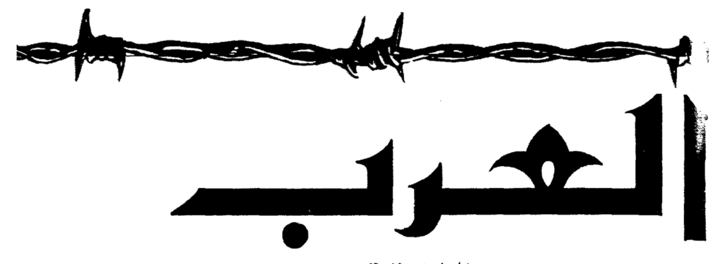


أيام في فلسطين

للعرب فى جاهليتهم وإسلامهم أيام (معارك ووقائع) . . كانت حيناً لهم وحيناً عليهم، وفى الحالين لها دلالات على تاريخهم الاجتماعى والسياسى . . بقيت هذه الأيام موصولة عبر تاريخهم لتضافر أعداء دينهم عليهم وكثرة الحاسدين لهم على ما آتاهم الله من فضله، حيث جعلهم سادة الأرض بما حملوا من مبادىء الخير وخصهم الله بمواقع من الأرض أصبحت سُرّة الدنيا ومنبع الثروات ومهد الحضارات.

وقد خصصتُ هذه السلسلة من المقالات بأيام العرب فى فلسطين لأن أعداء العرب الطامعين فى أرض فلسطين وأرض العرب زيفوا تاريخ هذه الأيام فأثروا فى عقول الناس تأثيراً كبيراً سيئاً. فأحببت أن أجلو تاريخ هذه الأيام والوقائع فى تاريخ فلسطين الحديث لا فخراً به بل تصحيحاً له ليكون عوناً للأبناء والأحفاد على الاستلهام والقوة وليعرفوا أن آباءهم لم يفرطوا فى حقوقهم وإنما كان ما كان لأسباب منها اجتماع اهل الأرض جميعاً على أهل فلسطين مع حدوث غفلة ساعدت الأعداء على تحقيق ما أرادوا.

■ والذى أريد أن أنبّه إليه أننى سوف أتحدث فى هذه الحلقات عن الأيام الكبرى فى هذا التاريخ، وهى الأيام التى حصل بينها اجتماع الناس أو بعضهم على عدوهم. والأيام التى اجتمع فيها الأعداء على قلة من العرب فكانت لنا فيها وقفات مجيدة . . وليس معنى ذلك أن ما بين اليوم واليوم كان هدنة وصلحاً . . فالحرب كانت سجالا بين العرب وأعدائهم . . وبين الوقعة والوقعة كانت تحصل بطولات فردية موزعة هى التى أدت الى حدوث الأيام الكبرى . . فمنذ أن صحا العرب من غفلتهم ـ على أثر اندحار الأتراك وحلول الانجليز محلهم وتكشفت نوايا الانجليز العدوانية وكشروا عن أنيابهم بإعلان وعد بلفور، والناس فى هياج مستمر. بل ان الفلسطينيين قد تنبهوا إلى مخاطر اليهود قبل أن تطأ بريطانيا أرضنا حيث تدل الوثائق الرسمية على أن الاصطدامات المسلحة بدأت بين الفلاحين العرب والغزاة الصهيونيين عام ١٨٨٦م عندما هاجم الفلاحون المطرودون من الخضيرة وبتاح تكفا (ملبس) قرى اليهود، ودفعت الاصطدامات الحكومة التركية فى عام ١٨٨٧م الى فرض قيود على هجرة المستوطنين الصهيونيين الذين كانوا يدخلون البلاد فى صورة سياح. وكان أهل فلسطين يتعاطفون مع الحركات التى تحدث فى العالم العربى مناوئة الاستعمار. ففى أعقاب وقفة عرابى فى وجه الغزو البريطانى لمصر بعث القنصل البريطانى فى القدس عام ١٨٨٢م حول تجاوب عرب فلسطين مع ثورة عرابى الى حد أدى الى هياج واضطرابات فى كل من القدس ويافا. وفى سنة ١٨٨٤م بعث القنصل البريطانى فى القدس بتقرير آخر حول رده الفعل الفلسطينية لثورة المهدى فى السودان يفيد بأنه على الرغم من عدم إيمان مسلمى فلسطين بالجانب الدينى من حركة المهدى فإن هناك تعاطفاً مكبوتا مع المهدى لأن



الحلقة الثانية

يوم يافا سنة ١٩٢١م

محمد محمد حسن شراب

عربى يناضل من أجل جنسه العربى ضد السيطرة العثمانية وسوء الحكم العثمانى .

● وكنتُ قد بدأت فى الحلقة الأولى بيوم القدس أو يوم موسم النبى موسى سنة ١٩٢٠م . . وهو أول يوم تظهر فيه الغضبة العربية العامة على اليهود والانجليز مما لفت أنظار مؤتمر السلام **(سان ريمو)** الى النزاع العربى الصهيونى فى فلسطين فسارع الى منح بريطانيا حق الانتداب على فلسطين وحدد واجباتها من خلال تكرار نص تصريح بلفور حرفياً . . وتلت ثورة يافا عام ١٩٢١م . . حيث اشتدت الحركة الفلسطينية الوطنية وتوقد الشعور الوطنى على الرغم من انهيار العهد الفيصلى فى سورية (١٩٢٠م) فكان صدمة عنيفة لأهل فلسطين . . لأنه جعلهم يقفون وحدهم أمام الانجليز واليهود وييأسون من تضامن واندماج عربى عام فى القريب العاجل . . ولكن أهل فلسطين استأنفوا نشاطهم وتابعوا عقد مؤتمراتهم الوطنية حيث عقد المؤتمر العربى الفلسطينى الثالث فى حيفا فى آذار سنة ١٩٢١م، وقرر رفض الانتداب البريطانى ووعد بلفور وطالب بوقف الهجرة اليهودية وانشاء حكومة وطنية فى فلسطين .

■ ومن الأسباب المباشرة لاندلاع هذه الثورة فى يافا، أنها المركز الرئيسى لتلقى سيل الهجرة الصهيونية . . بالاضافة الى وجود عدد كبير من اليهود إلى الشمال منها فى مستعمرة «تل أبيب» الناشئة . . فقد أخذ اليهود يردُّون على مقررات المؤتمر العربى الفلسطينى بإعرابهم عن مطالب متطرفة وراحوا يُظهرون الازدراء لمطالب العرب وقامت الصحف الصهيونية تشن حملات قاسية على العرب وتدعوهم الى الرحيل عن فلسطين الى الصحراء . . ورافق ذلك أن أعلنت بريطانيا تمسكها بالانتداب ووعد بلفور وتمادت فى السماح بهجرة اليهود إلى فلسطين فارتفعت أعدادهم بصورة كبيرة . وفى الوقت نفسه أخذ الصهيونيون يقومون بمظاهرات يتحدون فيها العرب . . وبصورة خاصة فى مدينة يافا ميناء فلسطين الوحيد يومئذ . . وانطلق شبابهم يستقبلون المهاجرين الجدد فى ميناء يافا بحماسة واعتزاز وينقلونهم إلى تل أبيب فى مهرجانات رفعوا خلالها العلم اليهودى وقاموا فى تل أبيب وبتاح تكفا وغيرها من المستعمرات فى منطقة يافا بأعمال استفزاز لأهالى يافا، ومنطقتها.

ومن العوامل التى أثارت هياج العرب، قرار الحكومة، اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية فى البلاد الى جانب اللغتين العربية والانجليزية .



● بدأت مراحل الثورة فى الأول من أيار سنة ١٩٢١م . . حيث قام الصهيونيون فى تل أبيب والمستعمرات بمظاهرات كبرى هتفوا خلالها هتافات معادية للعرب . . وخطب زعماء المظاهرات يطلبون بالثأر للدماء اليهودية التى سفكها العرب فى ثورة القدس يوم موسم النبى موسى .

واتجه المتظاهرون نحو حى المنشية فى مدينة يافا تحت حماية القوات البريطانية . . وحينئذ هب أهل يافا لرد المتظاهرين فوقع اصطدام دموى عنيف سقط خلاله قتلى وجرحى من الفريقين وانتهى بردّ المظاهرة . . وفى اليوم الثانى من أيار عاود اليهود مهاجمة يافا وكان معهم عدد من المسلحين . . فنشبت معركة عنيفة بين العرب والصهيونيين أدت الى وقوع إصابات كثيرة بالمهاجمين . . وفى اليوم نفسه هاجم اليهود قرية العباسية المجاورة ليافا وقتلوا عدداً من أهلها فثارت ثائرة العرب وهاجم أهل يافا مستعمرة تل أبيب وقامت القرى العربية المجاورة ليافا بمهاجمة المستعمرات اليهودية واشتبك أبناء عشيرة أبو كشك مع القوات البريطانية التى كانت تحمى الصهيونيين وتمنع وصول النجدات الى يافا .

وفى **اليوم الثالث: تواصلت الاضطرابات فى يافا ووقعت حوادث قتل فى كلا الجانبين . . وأدت النساء العربيات دوراً كبيراً فى حث الرجال على المقاومة ومساعدتهم . وقد ظهر فى خلال ذلك انحياز القوات البريطانية إلى الجانب الصهيونى حيث تم وضع حرس يهودى فى سيارات مدرعة بريطانية وقام الصهيونيون بتفتيش العرب على مرأى من الجنود البريطانيين وشوهد يهودى مدنى وهو يصدر الأوامر الى الجنود البريطانيين باطلاق النار على الجمهور.**

وفى اليوم الرابع امتدت الاصطدامات ـ بين العرب من ناحية واليهود والانجليز من ناحية أخرى ـ إلى مدن قلقيلية وطولكرم والرملة واللد . . وقامت المظاهرات فى المدن الفلسطينية وقرر كثير من الشباب حمل السلاح والتوجه الى يافا . . وما أن سمع الفلاحون ورجال القبائل فى المناطق المجاورة ليافا بتعرض العرب للقتل حتى سارعوا إلى مسرح الحوادث .

وفى اليوم الخامس : تجمع نحو ثلاثة آلاف عربى شمال مستعمرة «بتاح تكفا» ملبس التى تبعد عن يافا نحو ١٦ كيلا . . كما تجمع مئات الرجال جنوبى المستعمرة . . غير أن قوات الانتداب البريطانية تولت مواجهة التجمعات وشتت أفرادها وألحقت بها اصابات بلغت نحو ستين شهيداً وعدداً من الجرحى .

ولم تستطع قوات الانجليز إخماد ثورة العرب فلجأت الى الوجهاء تطلب منهم المساعدة ووعدتهم بالاسراع فى اعادة النظر فى سياستها والعمل على انصاف العرب . ومن العجيب الغريب أن يصدق الوجهاء والزعماء بريطانيا ويطمئنوا الى وعودها ولسعتها الأولى لازال سمها فى الدماء والآلام تعتصر النفوس والقلوب . . فعمل الزعماء على تهدئة الخواطر وأخذوا يصرفون الناس عن ثورتهم . . ولم يطل الزمن على ظهور كذب الانجليز حيث تبين أنهم لجأوا الى هذه الحيلة لتهدئة شعور العرب ريثما تصل القوات المسلحة التى طلبتها حكومة الانتداب من قبرص وقناة السويس . . فلما وصلت هذه القوات انقض الجيش ورجال الشرطة على العرب فى يافا وسائر المناطق المحيطة بها فوقعت اصطدامات عنيفة واستطاعت قوات الغادرين اخماد الثورة بعد استمرارها خمسة عشر يوماً .

● وكانت نتيجة هذه الثورة هلاك سبعة وأربعين شخصا من الصهيونيين والقوات المسلحة البريطانية وجرح ستة وأربعين ومائة بريطانى، واستشهد من العرب سبعة وخمسون ومائة شهيد، وجرح نحو سبعمائة عربى وسقط أكثر الشهداء والجرحى برصاص الجنود البريطانيين وقوات الشرطة . . وشكلت حكومة الانتداب محاكم عسكرية أصدرت أحكاماً بالسجن على عدد من المجاهدين . منها حكم بالسجن خمسة عشر عاماً على الشيخ شاكر أبو كشك زعيم قبيلة عرب أبو كشك بعد أن أحرقت بيته وغرمته ألفى جنيه وفرضت على كل من مدينتى قلقيلية وطولكرم ستة آلاف جنية فلسطينى . . وبذلك يُسَجَّل لأهل فلسطين يوم خالد فى سجل التاريخ الشريف ويلطخ تاريخ بريطانيا بيوم بغيض لا ينساه شعبنا.

عودة إلى الغد



هارون هاشم رشيد

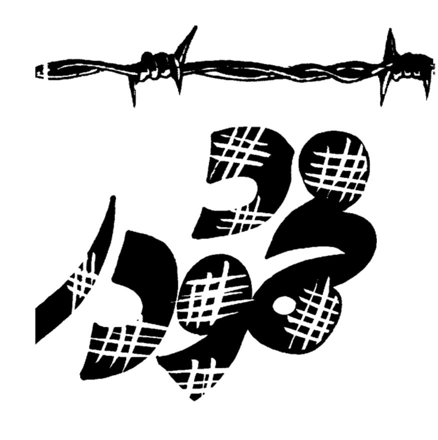
فى اواخر الأربعينات وقبل انفجار المأساة وتمزق الوطن وتشردالأهل . . كانت العالية فلسطين قد اخذت موقعها الثقافى الرائد وبدأت تتبوأ مكانة فى الطليعة بصحفها ودورياتها وإذاعتها . . وعرف عرب فلسطين أعلام الفكر العربى إذ هم ضيوف إذاعتها أو منتدياتها يقدمون ثقافتهم ويناقشون ويتحدثون ويستمعون إلى شعب واع متقدم مفكر.

عرف عرب فلسطين المازنى . والعقاد . . والحكيم والجواهرى . . والأخطل الصغير . . وغيرهم ممن استضافتهم القدس ويافا وحيفا وغزة من الأعلام والعلماء . . وقد كانت صحف فلسطين رائدة فى تقديم الصفحات الادبية التى تتناول النقد والقصة والقصيدة وغير ذلك من فنون الادب، وكان شعب فلسطين يترقب تلك الصحف ويتابع إبداعاتها ويتجاوب معها ويتفاعل مع كتابها وكان من بين دوريات ذلك الزمن مجلة **«الغد»** التى رادت الفكر التقدمى فى فلسطين وصرخت بعالى الصوت فى وجه الاستعمار والصهيونية واخذت تستقطب الاقلام الشريفة النظيفة.

ولقد كان لـ **«الغد»** من رئيس تحريرها المفكر الفلسطينى الحر **«مخلص عمرو»** الأسوة الحسنة . . قد اضفى عليها الكثير مما تحلى به من وطنية وموضوعية والتزام وصفاء . وقد عرفت فلسطين فى «الغد» منبرا للاحرار والمنافحين عن الحق، واذكر انذاك وكنت لم ابلغ العشرين بعد، أن نصحنى أحد كتاب «الغد» بأن ارسل إليها ما اكتب من شعر لم تكن لى الشجاعة بعد فى ارساله لجهة ما . . وفعلا كانت اول قصيدة ارسلتها لـ «الغد» . . وكانت المفاجأة لى أن وجدتها منشورة على غلاف المجلة باحراج رائع ومثير اثلج صدرى وهزنى من الأعماق.

ولقد مرت الأيام والتقيت بعد النكبة بمخلص عمرو إذ هو زميل لنا فى إدارة التربية والتعليم بقطاع غزة وقد عرفناه انذاك واستمتعنا بفكره فى الجلسات الطويلة فى مكتبه او فى منزله بغزة الجديدة، وعاد مخلص عمرو الى القدس وعمل فى الصحافة إلى أن توفاه الله وهو على ما هو من إخلاص للحق وإيمان بالواجب وتفان للانسانية . وقد ترك مخلص عمرو تراثه الثرى بين دفتى مجلدات مجلة «الغد» وعلى صفحات الصحف التى شارك فى تحريرها . . ومازال تراثه الفكرى يترقب اليد التى تجمعه وتنسقه وتقدمه زادا لاجيالنا الفلسطينية وللأجيال العربية . وما أشك أن مجلة «الغد» تحتوى على العديد من الابداعات الفلسطينية التى لم تجمع ولم تنشر والتى هى حرية بذلك، وكم اتمنى على اتحاد كتابنا أن يلتفت الى مجلة «الغد» ويعيد نبضها ويطلقها لترد إلينا ذلك الزمان الثرى وتحفظ لنا ذلك التراث الخالد .





من ألمع الشعراء العرب:

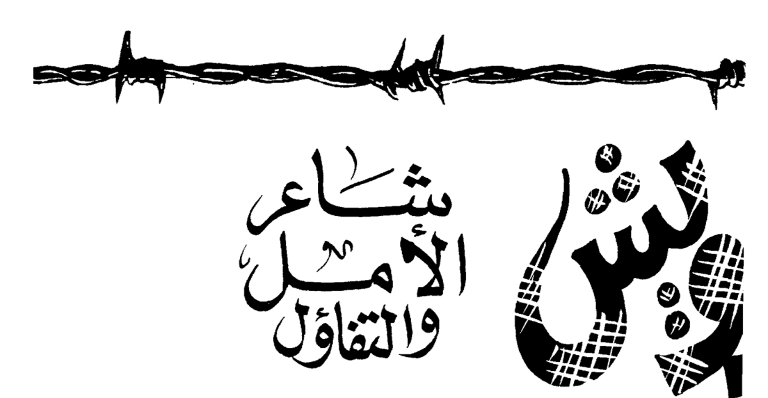
يعتبر محمود درويش من ألمع شعراء فلسطين بل لا نكون مغالين إذا قلنا إنه من ألمع شعراء العربية المعاصرين الذين أسهموا فى تطوير الشعر العربى الحديث فبصرف النظر عن جميع الاعتبارات السياسية والعاطفية والظروف الصعبة التى عاشها الشاعر فى طفولته وصباه فإنه يتمتع بقيم فنية وجمالية وفكرية على أكبر درجة من النضج والأصالة والرؤية الابداعية إنه يرتفع الى مستوى الشعراء اللامعين المرموقين لا عن طريق القضية التى يعبر عنها فقط، وانما عن طريق موهبته الشعرية الفذة ومعرفته الواسعة باللغة العربية ومفرداتها اللغوية وامتيازه بخصب وثراء قاموسه الشعرى ومقدرته على استعمال الأسطورة والرمز فى بناء قصائده بمقدرة وذكاء ووضوح فنى. وقدرته الفائقة على أن يجعل من قصيدته عملا فنيا متكاملاً قادراً على استيعاب تجاربه الشعرية والنفسية والروحية.

ولقد وضع الاستاذ الفاضل والأديب الناقد **«رجاء النقاش»** أول دراسة موضوعية كاملة عن محمود درويش فى كتابه القيم الممتع **«محمود درويش شاعر الأرض المحتلة»**. . تناول فيه العديد من جوانب هذا الشاعر الأصيل وموهبته الشعرية. ولا أحسبنى قد تجاوزت الحقيقة إذا قلت إن هذه الدراسة كان لها فضل السبق فى التعريف عن الشاعر الموهوب واسماع صوته خارج الأسوار منذ بدأ هذا الصوت يرتفع سنة **١٩٦١** متسللاً على استحياء على صفحات بعض الجرائد والمجلات الأدبية.

لمحة عن الشاعر.

ومحمود درويش يدلف الآن الى منتصف الحلقة الخامسة من عمره، فهو من مواليد سنة **١٩٤٢** بقرية البروة على بعد تسعة كيلو مترات شرقى عكا وقد تلقى تعليمه حتى نال شهادة الثانوية سنة **١٩٦٠** ولم يتم تعليمه الجامعى.

ومنذ أن أتم دراسته اشتغل بالكتابة فى الصحف العربية كجريدة الاتحاد ومجلة الجديد ومجلة الفجر وهى مجلة عربية أدبية ورأس تحرير المجلة الفكرية لمنظمة التحرير، وشغل منصب مدير عام مركز الأبحاث الفلسطينية. . كما رأس اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.



وقد صدرت له حتى الآن عدة مجموعات شعرية نذكر منها **«عصافير بلا أجنحة»** . . **«آخر الليل»** . . **«أوراق الزيتون»** . . **عاشق من فلسطين»** . . ويبلغ توزيع بعضها كما يقول محمود درويش ـ الى المليون نسخة . .

وهو يُؤْثِرُ فى شعره الشكل الجديد للقصيدة وإن كان يحرص أشد الحرص على الوزن والموسيقى الشعرية بعد أن اجتاحت الشعر موجة رعناء لا تمت اليه بصلة ولا تعرف طريقها الى أوزان الخليل وبحوره . بل إنه يمتاز على الشعراء المعاصرين بموسيقاه الشعرية سواء فى ذلك موسيقاه الخارجية المتمثلة فى التفعيلة . . أو موسيقاه الداخلية المتمثلة فى تناغم الكلمات وتساوق الحروف .

الأمل وروح التفاؤل :

على أن أهم ما يلفت النظر ويشد الانتباه فى شعر محمود درويش هو تلك النبرة المفعمة بالأمل المملوءة بروح التفاؤل . . ذلك الأمل وتلك الروح التى تسرى فى شعره سريان الماء فى العود الأخضر.

فبالرغم من أن حياته تعرضت للعديد من الهزات والصدمات والضغوط والأزمات والعواصف والمثبطات . . إلا أنه لم يَحْنِ هامته قط إلا بقدر ما تنحنى النخلة الباسقة حتى تَمُر العاصفة ثم لا تلبث أن تعتدل شامخة راسخة . . لم يستسلم قط لليأس ولم يتقوقع على ذاته كالمحارة يجتر أحزانه وآلامه . . وانما استفاد قوة جديدة وعزيمة صلبة وإصراراً قوياً وأشد من كل التجارب القاسية المريرة التى مرت به وهو فى ذلك أصدق من عمل بمقولة نيتشه . . «ان المصائب التى لا تقتلنى تزيدنى قوة» .

والحقيقة أنه منذ أن ارتفع صوت محمود درويش فى الستينيات وهو ـ كما يقول الاستاذ «رجاء النقاش» يحلق فى عالم من الأمل والتفاؤل ولا يتردى أبدا الى قاع اليأس القاتم أو الهزيمة الساحقة، لأنه يرى أن الظلم لابد أن يزول والليل لابد أن ينجلى عن فجر جديد . . فالتشاؤم يشل قدرة الانسان على الحركة والعمل ويجعله فى حالة سقوط معنوى كامل. أما التفاؤل والأمل فهو وحده الذى يمنح الانسان قدرة على العمل واحتمال الاضطهاد الذى يتعرض له .

الأدب المتشائم والأدب المتفائل:

وبهذه المناسبة نود أن نعرض فى عجالة لقضية من قضايا الأدب المعاصر تلك هى قضية الأدب المتشائم أو أدب اليأس والانهزام فى معترك الحياة.. ولعل أدب العدميين وأدب العبث واللامعقول يأتى فى مقدمة هذا اللون من ألوان الأدب وأجناسه.. فقد مر المجتمع الأوربى خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها بمرحلة عصيبة وانهار فيها العديد من القيم والمفاهيم وأثبتت الحرب أن كل شيىء بناه الانسان من حضارة وتراث يمكن أن ينهار فى لحظات بفعل إنسان آخر لذلك أصبح من العبث البحث عن معنى منطقى لكل ما يقوم به الانسان من تصرفات لأن الحياة عديمة المعنى، والوجود عديم الجدوى ولكل شيىء نهاية.

ومن هنا نشأ الأدب الذى يدفع الى اليأس والقنوط ويفعم النفس بالحزن والأسى ويغلف الروح بالقتامة والتشاؤم ويشعر الانسان بتفاهته وعبثية الحياة وعدمية الوجود ويضع على عينيه منظاراً أسود ينظر به ومن خلاله الى كل شيىء فى هذه الحياة ويحمله على اليأس والانهزام فى معترك الحياة والاحساس بالغربة والضياع والخواء.. إنه أدب كالسحر الأسود يرى أن بذرة الحياة تكونت فى حقل الشرور والآثام وأنبتت شجر اليأس والقنوط وأثمرت القلق والخوف والفزع والتمزق النفسى وفقدان الثقة ولعل الشاعر الانجليزى «فيليب لاركن» يعتبر اكثر الشعراء المعاصرين فى العالم الغربى إعراقاً فى الحزن واليأس والتشاؤم والتغنى بالموت والخواء.

هذا اللون من الأدب الوافد علينا يجب أن يكون مرفوضاً فى بيئتنا وأرضنا العربية لأنه **«أدب بخس»** كما يقول محمد لطفى جمعة أو **«أدب شرير»** لأنه لا يمت بصلة الى أعرافنا الأدبية وتقاليدنا العربية وشخصيتنا القومية ومنظورنا الدينى الى واقع الحياة ورسالة الانسان فى هذه الحياة **﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾.. ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾.**

وتحضرنى فى هذا المقام كلمة للاستاذ رجاء النقاش يقول فيها «لابد أن يكون للفكر الوافد من الغرب مهما كانت قيمته وعمقه أرض عربية صالحة لاستقباله وهضمه وفهمه واستبعاد ما لا يصلح منه وإلا كان أشبه بحقنة البنسلين التى تقتل الذى يحقن بها إذا كانت لديه حساسية معينة ومن العلاج ما قتل».

نماذج شعرية:

نعود الى شاعرنا محمود درويش فنقول إنه مما يحمد له أنه شاعر الأمل والتفاؤل وواحد من أجمل وأصدق الأصوات الفنية المعبرة عن المرحلة الجديدة فى الشعر العربى الفلسطينى.

فعندما وقعت أحداث الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ - أو كما يسميها محمود درويش فى حواره المنشور بمجلة الدوحة خيبة ١٩٦٧ - كان من المنتظر أن يكون أول اليائسين المنهزمين.. ولكن الذى حدث هو العكس تماماً، لم يفقد الأمل ولم تتحطم معنوياته ولم يتزعزع إيمانه ولم يستسلم لليأس ولم تمتلىء نفسه بأى لون من ألوان الانهزامية أوالمرارة أو الاحساس بالتشاؤم والاحباط.. وإنما تلقى الصدمة بقوة وثبات وصمود ورباطة جأش.. لانه ممتلىء بروح التفاؤل والأمل الجميل فى المستقبل والاحساس بأن الهزيمة ليست نهاية المطاف أو خاتمة العزة القومية وانما هى خطوة على طريق النصر المؤكد الذى لابد منه فهويؤمن بعدالة قضيته وضرورة انتصارها ولا يعبر فى شعره عن يأس أو روح عدمية قاتمة.. استمع اليه يقول بعد ٥ يونيو سنة ١٩٦٧:



ولكن
لابد لى
لابد للشاعر من نخب جديد
وأناشيد جديدة

● ويقول أيضا من قصيدة له: إنه بالرغم من خسائره الفادحة فانه متفائل لأنه لم يخسر السبيل. ويلاحظ هنا ما توحى به كلمة «السبيل» من دلالات وايهاءات وظلال:

خسرت حلما جميلا
خسرت لسع الزنابق
وكان ليلى طويلا
على سياج الحدائق
وما خسرت السبيلا

● ويعبر عن روح التفاؤل والأمل المتجدد دائماً فى قصيدة له بعنوان «عن إنسان» فيقول:

يا دامى العينين والكفين
إن الليل زائل
لا غرفة التوقيف باقية
ولا زرد السلاسل
نيرون مات ولم تمت روما

بعينيها تقاتل
وحبوب سنبلة تجف
ستملأ الوادى سنابل

● وفى قصيدته «أغنية ساذجة عن الصليب الأحمر» ينبهنا الاستاذ رجاء النقاش الى صوتين: صوت صبى صغير يصور أحواله وأحوال أهله فى غضب ويأس.. وصوت آخر يرد عليه ـ ربما يكون صوت الأب أو صوت الشاعر نفسه ـ هو صوت الأمل والمستقبل واليقين بالنصر يرد هذا الصوت المتفائل على صوت المرارة واليأس فيقول:

يا صبىّ!
يا زهرة البركان يا نبض يدى
إننى أبصر فى عينيك ميلاد الغد
فتحوا جرحا ليعطوك صباح
هدموا بيتاً لكى تبنى وطن

نظرة إنسانية نبيلة:

ونعتقد أن روح التفاؤل والأمل التى تملأ شعر محمود درويش انها تنبع من نظرته الانسانية النبيلة التى تدعو الى العدل والاخاء ولا تدعو الى الحقد والثأر والانتقام.. وقد عبر عن هذه النظرة الانسانية فى قصيدته التى يقول فيها «سجل أنا عربى» والتى أصبحت ـ كما يقول محمود درويش ـ هويته الشخصية الشعرية والتى تحولت الى نشيد شعبى:

سجل برأس الصفحة الأولى
أنا لا اكره الناس
ولا أسطو على أحد

● انها نظرة تدعو الى الانسانية والعدالة والأخوة البشرية بكل ما فى هذه القيم من معان رحبة واسعة.. لذلك لم يكن غريباً أن يُمنح محمود درويش أرفع جائزة دولية هى جائزة من أجل توطيد السلام بين الشعوب تقديراً لشعره

الذى يعبر فيه عن طموحات شعبه ولما يقوم به من عمل متواصل من أجل توطيد السلام والصداقة والأخوة بين الشعوب.

ويقول «ميرزا ابراهيموف» بمناسبة منح محمود درويش أيضاً جائزة دولية أخرى هى جائزة الفيلسوف العربى **«ابو على ابن سينا»** - لقد صارت فلسطين فى شعر محمود درويش رمزاً لجسارة وصلابة الذين لم يستسلموا لمصائب القدر. . . إنهم يؤمنون بالنصر المؤكد. . والشعب الذى يناضل يثق فى قواه ومحمود درويش يحاول أن ينقل هذه القوة الى أشعاره.

استخدام مظاهر الطبيعة فى التعبير عن الأمل والتفاؤل:

وقد استخدم محمود درويش مظاهر الطبيعة استخداماً ذكياً للتعبير من خلالها عن نبرة الأمل وروح التفاؤل فى شعره **«فحبوب سنبلة تجف ستملأ الوادى سنابل»** وفى قصيدته **«رد الفعل»** يقول إنه كلما ضاق الخناق عليه تجدد وازداد اشتعالاً وتوهجاً. . فالضغط لا يقتله وانما يحييه والمصاعب لا تسد عليه الطريق أو تصيبه باليأس والقنوط والاحباط وانما تفتح أمامه سبلا واسعة عريضة. . اشتمع اليه فى هذه القصيدة يقول:

سدوا عليَّ النور فى زنزانة
فتوهجت فى القلب شمس مشاعل
كتبوا على الجدران رقم بطاقتى
فنما على الجدران مرج سنابل

● والزيتون اكثر ما يستخدمه محمود درويش من مظاهر الطبيعة - تعبيراً عن الأمل والتفاؤل ورمزاً للازدهار والاخضرار الدائم. فما اكثر ما تلقى الزيتون فى قصائده ودواوينه كما يقول رجاء النقاش حتى انه أطلق على أحد دواوينه اسم **«اوراق الزيتون»**. فالزيتون من الاشجار القليلة التى تحمل بالنسبة للوجدان الانسانى بعض المعانى الرمزية. . فهو شجرة ترمزللسلام بالنسبة لكل إنسان على هذه الأرض. . السلام المتصل بالازدهار والاخضرار فى الطبيعة والانسان. . وشجرة الزيتون رمز للحياة المتجددة الخضراء المتألقة المنتجة فى كل ميدان. والشواهد على استخدام الشاعر للزيتون كثيرة فى شعره.

وبعد. .

فإن محمود درويش شاعر فذ تنبع موهبته



الساحةُ تنزفُ صمتْ. .
كان العشقُ يموتْ
وامرأةٌ تحمل رأسى تبكى
وعلى الشرفة أخرى
تهتفُ لى بالموتْ
والسيفُ القاتلُ. .
يقطر فى عينىَّ دَمَاً
يزرع فى موتها الموتْ

●●

تعلو. . تعلو الجدرانْ
حيرانْ. . .
وكوّةُ النور الوحيدةْ
عاليةٌ. . . بعيدةْ

●●

وقف الصمتُ على المنبرْ
ألقى كلمةْ. .
قَبَضَ عليهِ العسكرْ



. صيلة من حبه للحياة وعشقه للجمال فى الطبيعة
لانسان. . ومن نظرته الانسانية النبيلة ومن روح
الأمل والتفاؤل التى تغمر روحه ووجدانه فيعبر عنها
أشعاره أصدق وأجمل تعبير.

(١) دواوين محمود درويش.
(٢) الاستاذ رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة - كتاب الهلال - القاهرة يوليو ١٩٦٩
(٣) حوار مع محمود درويش أجراه الاستاذ مفيد فوزى - مجلة الدوحة عدد ديسمبر سنة ١٩٨٥
(٤) مجلة الفكر التونسية - عددى فبراير سنة ١٩٨٢ - يونيو سنة ١٩٨٣
(٥) محمد لطفى جمعه - الأدب البخس - مجلة الرابطة العربية - العددين ٦٥، ٦٦ سنة ٣٧

قصائد فلسطينية

شعر/ يوسف حمدان

●●

ضبانْ . . .
ضبانْ . . .
غرفةٌ مليئةٌ بالرعبِ والظلامِ
لسُكوتْ
حارسٌ فى البابِ
زنديه موتْ
نجمٌ بعيدةٌ . . بعيدةْ
رعانَ ما تنطفى . . .
حبيبةٌ تأتى لكى تزورنى
خوننى . . . !!
ماجع السَّجَّانَ ثمّ تختفى
. . . وهوانْ !
عاندُ الزمانْ
سرٌ أن يذلّنى . . .
سرٌ أن أموتْ

●●

أروى لكم قصتى . . .
وأنا الذى رويتُها
عشرينَ ألف مرَّه
نهضتُ من خيمتى
قلبى خفقْ
نبضتُ أوّلَ نبضةٍ
كفنى احترقْ
ووقفتُ فوقَ جُثّتى . . .
أبحثُ عن زمانْ . .
عن مكانْ . . .
عن تُربتى

●●

صدرى يضيقْ . .
ويدى تضيقْ . .
أبوابُ هذا العالمِ المشؤوم
واسعةٌ
وفى وجهى تضيقْ !!

عيناى تلتصقانِ بالسُحبِ
البعيدة
والنجوم ولا طريقْ
ذنْبى وُلدْتُ مشرَّداً .
وفقدتُ عنوانى العتيقْ
ووجدتُ نفسى فى العواصفِ
لا معينَ ولا صديقْ
كلّ المراكبِ حطّمتْها الريحُ
والأمواجُ
فى القاعِ السَّحيقْ

من: المكتبة الفلسطينية



هذا الكتاب : «من ملفات الارهاب الصهيونى فى فلسطين ـ مجازر وممارسات ١٩٣٦-١٩٨٣» دراسة موثقة من إعداد الأستاذ غازى السعدى، وقد صدر عن دار الجليل للنشر فى عمان وهى متخصصة فى تقديم الدراسات حول الكيان الصهيونى الجاثم فوق أرض فلسطين العربية حيث صدر عنها عشرات الكتب الجادة والموثقة تكشف فيها بالحقائق والأرقام ممارسات الصهاينة ضد المواطنين العرب من أبناء فلسطين الذين كانوا ومازالوا وسيظلون يعانون الويلات من عدوهم الذى لا يرحم ولا يقيم وزنا للمشاعر الانسانية . . فالذى خضب يديه وولغ بالدم العربى منذ أكثر من نصف قرن من الزمان واستمرأ قتل الاطفال والنساء والشيوخ لا يمكن أن يردعه أحد عن ارتكاب الجرائم .

جاء الكتاب الذى صدر سنة ١٩٨٥م فى مقدمة وافية ومدخل بعنوان «**تاريخ الارهاب الصهيونى** في



لسطـين المحتلة» وفيـه لمحـة تاريخيـة عن العنف
،الارهاب فى الفكر الصهيونى وعن التعاون النازى
لصهيونى . . وأربعة عشر فصلا تحمل العناوين
لتالية :

- الارهاب الصهيونى ضد الفلسطينيين خلال الفترة ما ين ١٩٣٦ـ١٩٤٨ .
- المهارسات الارهابية الصهيونية ضد الفلسطينيين خلال لفترة ما بين ١٩٤٨ـ١٩٦٧ .
- الاعتـداءات الاسـرائيليـة ضد مدن وقـرى البلدان لعربية المجاورة .
- الارهاب الصهيونى ضد الفلسطينيين ١٩٦٧-١٩٨٣ .
- المهارسات الارهابية ضد المجالس المحلية والبلدية .
- الاستيطان ومصادرة الأراضى .
- الارهاب الثقافى والفكرى والتعليم والصحافة الاسحفيون .
- لارهاب فى السجون والمعتقلات . . شهداء السجون الا رائيلية .
- الارهاب ضد المقدسات : الاعتداء على الأماكن المقدسة .
- المهارسات الارهابية بعد عدوان ١٩٦٧ ضد سكان الأراضى العربية المحتلة .
- النشـاطـات الارهابية الصهيونية ضد الدول العربية والمؤسسات والقيادات الفلسطينية .
- أهم القوانين العنصرية التى أقرت فى عهد حكومة الليكود .
- التنظيمات الارهابية الصهيونية : الهاجاناه . . اتسل . . ليحى . . غوشى ايمونيم .
- أبرز الارهابيين فى الكيان الصهيونى .

فمن خلال عنـاوين فصول الكتاب يتبين لنا الجهد الكبـير الـذى بذلتـه دار الجليل بضخامة مواد هذا الكتاب التى تلقى الأضواء على المهارسات الارهابية التى نفـذهـا الصهـاينة عبر حقبة زمنية محددة ضد الشعب الفلسطينى خاصة والعربى عامة . . ويزيح الستار أيضا عن العلافات المشبوهة التى أقامها زعماء الصهيـونيـة وقادة العصابات مع النازية والاستعمار الـبريطـانى للاستئثار بأكبر قدر ممكن من المكاسب التى مهـدت لقيـام دولـة الاغتصاب على أنقاض الشعب الفلسطينى وأرضه وشعبه .

الارهاب الصهيونى

إذا كان الارهاب نزعة شاذة فى السلوك البشرى فهـو ليس كذلـك فى العرف الصهيونى الذى يعتبر الارهاب ركيزة يستند إليها نظام حياة الفرد والمجتمع الصهيـونى . . فالارهـاب كان على مدى أكثر من نصف قرن من المكـونـات الـرئيسيـة للسيـاسـة الصهيونية ، وقد اقترن قيام الكيان الصهيونى كدولة بأبشـع أشكـال الارهـاب الـذى مارستـه الحـركـة الصهيونية ضد العرب فى فلسطين والبلدان العربية



الأخرى وضد كل من حاول أو يحاول أن يعرقل تحقيق أهدافها . . وكان إرهابا مدروسا ومنظما مارسته المنظمات الارهابية الصهيونية فى البداية ثم مارسه الكيان الصهيونى . ولو قرأنا التلمود لوجدناه يؤكد أن الارهاب أداة مشروعة فى السياسة وهو بذلك يؤكد القاعدة السياسية المعروفة «الغاية تبرر الوسيلة» فعندما دخل اليهود أريحا تحت قيادة ملكهم يوشع فى العام الألف قبل الميلاد: أعملوا السيف فى رقاب سكانها وكان شعارهم حينذاك القتل. . القتل. . واليهودية تحلل القتل للوصول إلى الأهداف المطلوبة.

ويؤكد الارهابى مناحيم بيغن فى مذكراته: «**إننا كصهاينة نقتنع بفعالية الابادة الجسدية من أجل التخلص من أولئك الذين يريدون جعل حياتنا قاسية**» وجاءت أحداث فلسطين الدامية لتؤكد منطق الارهاب الصهيونى. . وقد أكد روز نبرغ فى كتابه «حول مكانة الارهاب فى التفكير اليهودى» الصادر فى المانيا سنة **١٩٤٢**م: أن النفسية اليهودية نفسية شريرة لا تقبل السلام وهى لذلك نفسية عدوانية ان لم تجد ما تقتله قتلت نفسها. . ويعزى وزنبرغ ذلك إلى الأسباب التالية:

١ ـ ان الدين اليهودى خال من التسامح فهو لا يعترف بأية ديانة أخرى وهو بذلك عكس الديانات الاخرى، ولأن اليهود يعتبرون دينهم هو الدين الصحيح فقط فانهم يحتقرون ويكرهون الأديان الأخرى. «نظرية شعب الله المختار»

٢ ـ رغبة اليهود فى الكسب المتواصل وجمع المال والذهب وجمع كل شيء يمكن حسب المبدأ «أكثر ما يمكن بأقل ما يمكن»

٣ ـ رؤية اليهود فى كل ما هو غير يهودى عدوا طبيعيا لهم ويجب قتله والتخلص منه.

برنامج بازل

فى أواخر القرن التاسع عشر ومع اشتداد القوميات الداعية إلى «**كيان الشعب المستقل**» فى المانيا وروسيا وفرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول التى اشتدت فيها حركة الدعوة الى القومية شعر اليهود بخطورة الموقف فانتشر المفكرون بينهم وعلى رأسهم «**تيودور هيرتسل**» (**١٨٦٠-١٩٠٤**) وهو صحافى يهودى ولد فى «**بودابست**» عاصمة المجر وأمضى معظم حياته فى فيينا الذى سعى لاقامة الأساس التنظيمى للحركة الصهيونية واتجهت محاولاته نحو عقد مؤتمر عام يحضره مندوبون عن الجوالى اليهودية فى أوروبا وغيرها لوضع أسس المشروع الصهيونى وخطواته التنفيذية وقد نجح هيرتسل فى عقد المؤتمر الصهيونى الأول برئاسته فى مدينة «**بازل**» بسويسرا سنة **١٨٩٧** ووضع ما عرف فيها بعد باسم «**برنامج بازل**»الصهيونى . . والقرار الأساسى الذى اتخذه المؤتمر هو: إن غاية الصهيونية هى خلق وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يضمنه القانون العام وانبثقت عنه قرارات سرية عرفت باسم بروتوكولات حكماء صهيون. . حيث جاء فى موضوع الارهاب على لسان حكماء صهيون ما مفاده «**ان الارهاب أداة سياسية نلجأ لاستعمالها حين نرى أن عدونا يريد الخلاص منا**».

وقد أكد هذه القاعدة أحد المسؤولين الصهاينة معللا الهجوم على بيروت وقتل ثلاثة من كبار قادة منظمة التحرير الفلسطينية بقوله: «لقد قررنا إبادة الفلسطينيين لأنهم قرروا ابادتنا ولا تراجع عن هذا القرار». ولم يكتف حكماء صهيون بتأكيد هذا النوع من الارهاب الذى عرف باسم «الارهاب الوقائى» بل أكدوا ضرورة وجود «الارهاب المدمر» والقاسى بسحق كل ما هو معاد لليهود أو الصهيونية.



وقـد اتضـح لقـادة الحركة الصهيونية الـذين خططـوا وعملوا لاقامة الكيان الصهيونى فى فلسطين إستحالة القيام بعمـل من هذا النـوع دون اعتـماد لغـة القـوة والسـلاح. . وقـد برز هذا الادراك فى كتابات قادة الحركة الصهيونية الاوائل وفى تصوراتهم الكيفية التى ستتحقق بها أهـداف المنظمـة الصهيونية العالمية فى أعقاب مؤتمرها الأول الذى عقد فى سويسرا سنة ١٨٩٧م.

فلسطين المطلوبة

فى عام ١٩٠٤م كتـب الـزعيـم الصهيـونى اوسشكين: «من أجل تأسيس حياة مستقلة للطائفة اليهودية فى فلسطين من المحتم بالدرجة الاولى أن تكون جميع أراضى فلسطين أو معظمها ملكا لشعب اسرائيل وبدون حق ملكية الأرض لا تكون فلسطين يهودية أبدا مهما كان عدد اليهود فى المدن والقرى. . لكن كيف الحصول على ملكية الأرض؟.
حسب الأساليب المتبعة فى العالم هناك ثلاث طرق:

أولا: بالقوة بواسطة الاحتلال العسكرى، أو بمعنى آخر بواسطة اغتصاب الأرض من أصحابها.
ثانيا: بالقسر، أى بمصادرة الأراضى على يد الحكومة.
ثالثا: بشراء الأراضى من أصحابها.

فى عام ١٩٠٨ كتب زعيم آخـر هو يسـرائيـل زنفقفيل يقول فى مقال له بعنوان: «**الصهيونية اليوم**» فلسطين المطلوبة مكتظة بالسكان، والبدائل المفتوحة أمام الصهيونية محصورة فى: امـا الحصول على فلسطين بقوة السيف. . واما التورط ببقاء عدد كبير من السكـان الغـربـاء معظمهم من المسلمـين المعـادين. . ويأتى دافيـد بن غوريون ليكمل اتجاه الحركة الصهيونية نحو العنف والقوة وسيلة لتحقيق أهـدافهـا، وقد كتب بن غوريون عام ١٩٥٤م فى مقدمة كتاب «**تاريخ الهاجاناه**» الذى أصدرته المنظمة الصهيـونية العالمية يقول: «من الواضح ان انجلترا تعود للانجليز ومصر للمصريين وفلسطين لليهود؟. وفى بلادنا هناك فقط مكان لليهود. . وسوف نقول للعـرب اخـرجـوا فاذا لم يوافقـوا واذا قاوموا فسوف نخرجهم بالقوة».

وقد امتدت آثار أفكار العنف والارهاب إلى الأدب الصهيـونى. . ويتجلى ذلـك بوضـوح فى أكثر الروايات الصهيونية شهرة وأوسعها إنتشارا ألا وهى رواية «الخروج» لكاتبها الصهيونى ليون أوريس. . يقول أحد الأبطال الرئيسيين فى الرواية: «لقد خلقنا جيلا من الطرزانات ليدافع عن اسرائيل. . إننا لا نستطيع أن نعطيكم غير حياة من الدماء».

ويصـور عازر سميـلانسكى الكـاتب الاسرائيلى فى قصته «**القرى الصامتة**» نتـائـج العنف والارهـاب الصهيـونى تصويرا واقعيا فيقول وهو يقف أمام البيوت والقرى العربية التى دمرت ومسحت من الوجود: «**ماذا كان إسم هذا المكان**»؟.

قبـل سنـوات قليلة فقط كان له مكان وكان له إسم. . لقد ضاع المكان وماذا بقى؟. . إسم بدون مكـان ثم وسريعا محى الاسم. . والآن ليس هناك مكـان وليس هنـاك إسم. . لقـد حرثت الأرض وأصبحت حقـلا واسعـا. . لا يوجد حزن هنا وانما صمت فقط. . وليس هناك جدران ولا أبواب تحملق فيك ولا حجارة تصرخ.

وهكذا صارت فلسطين العربية التى كانت تعيش آمنة



مطمئنة «المحطة» التى مارس فيها الصهاينة أبشع أنواع الارهاب من أجل الوصول إلى أهدافهم العداونية قبل قيام الكيان الصهيونى .

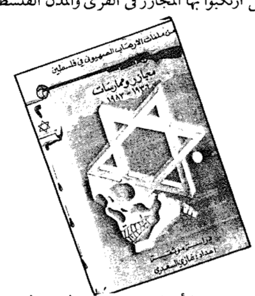
عمليات ارهابية خلال ثورة ١٩٣٦م

كان عام ١٩٣٦م نقطة تحول هامة فى تاريخ عمليات الارهاب الصهيونية . . فقد شهد هذا العام إدخال الارهابيين اليهود صنوفا جديدة من الارهاب فى فلسطين راح ضحيتها السكان العرب الآمنون فى مدنهم وقراهم .

ففى الفترة بين ١٩٣٦-١٩٣٩م ألقى الارهابيون الصهاينة عشرات القنابل على المقاهى والأسواق والمحلات العربية فى يافا وحيفا وتل أبيب والقدس ونابلس وأسفرت عن مقتل العشرات وإصابة المئات بجروح . . وقد شهدت هذه الفترة أسلوبا إرهابيا جديدا تمثل فى الهجوم بالقنابل على الحافلات وسيارات النقل التى تعج بالسكان العرب مما أسفر عن مقتل عدد كبير منهم . . والارهابيون الصهاينة هم أول من أدخل أسلوب الرسائل والطرود الملغومة إلى ساحة النزاع العربى - الصهيونى فقد بعث ارهابيو منظمة الأرغون برسائل ملغومة إلى عدد من الوزراء والمسؤولين البريطانيين بينهم وزير الحربية البريطانية . . وأدخلوا أيضا أسلوب التخريب الاقتصادى . . ففى صيف ١٩٣٩ نسف الصهاينة خط أنابيب النفط قرب حيفا ووقعت أربع عمليات مشابهة خلال سنة ١٩٤٧ .

تطور أعمال الارهاب

وفى سنة ١٩٤٦ تطورت أعمال الارهاب الصهيونى حيث قاموا بنسف فندق الملك داود بالقدس الذى كان مقرا للشرطة العسكرية والمدنية بما فيها مكتب التحقيقات الخاصة البريطانى . . ويقول الارهابى مناحيم بيغن قائد منظمة اتسل الارهابية : لقد نفذنا هذه العملية الشاقة بناء على طلب منظمة الهاجاناه وكان أهم هدف بالنسبة لمنظمة الهاجاناه آنذاك هو اتلاف الوثائق التى صودرت من مبنى الوكالة اليهودية والتى أكدت معرفة الوكالة اليهودية بنشاطات منظمة الهاجاناه . . ومن ضمن هذه الوثائق تقرير بقلم موشيه شاريت رئيس الدائرة السياسية التابعة للوكالة اليهودية آنذاك وأكد هذا التقرير بانه كان يعلم بالعمل التخريبى الذى وقع فى الخط الحديدى وخشى أعضاء الوكالة اليهودية وأدى الانفجار إلى مقتل ٩١ شخصا بينهم ٤١ عربيا و٢٨ بريطانيا و١٧ يهوديا وخمسة آخرون . . وقام الصهاينة بعشرات العمليات الأرهابية فى جميع أنحاء البلاد فى السنوات الأخيرة من احتلال فلسطين . . فهاجموا البنوك والمحلات التجارية والقرى العربية فى محاولة أخيرة من أجل ترحيل أهل البلاد بعد أن قويت شوكة الصهاينة وصارت لديهم القدرة الضاربة القادرة على القتال بعد أن تم تسليحها بأحدث وأقوى الأسلحة التى ارتكبوا بها المجازر فى القرى والمدن الفلسطينية .



ونورد هنا أسماء بعض هذه المدن والقرى التى كانت هدفا رئيسيا للمجازر وهى : «سعسع . . دير

يـ ـسين . . سلمة . . يازور . . الدوايمة . .
المد . . يافا».

وما يجرى هذه الأيام فى فلسطين المحتلة وفى لبنان خير شاهد على الأسلوب الاجرامى الذى يتبعه الصهاينة من أجل هدر المزيد من الدم العربى فى فلسطين وغيرها من الأقطار العربية الأخرى.

مجزرة الدوايمة .. الاكتشاف المتأخر

منذ سنتين ونيف تم الكشف عن مذبحة الدوايمة وهى قرية صغيرة تقع فى قضاء الخليل وذلك بعد أكثر من خمسة وثلاثين عاما على احتلال الصهاينة لفلسطين، حيث ظلت تلك المجزرة طى الكتمان لا يعلم بها إلا أهالى القرية الذين ضاع صوتهم إثر الاحتلال الاسرائيلى لقريتهم سنة ١٩٤٨ . . ولم يجدوا من يسجل مأساتهم . . وكم من مجازر ارتكبت فى فلسطين من أقصاها إلى أقصاها دون أن يسجلها أحد . .

وتفاصيل هذه المجزرة التى ظلت طى الكتمان إلى أن كشفت عنها لأول مرة مراسلة صحيفة «حداشوت» الصهيونية فى شهر ايلول سنة ١٩٤٨ وقد أثار هذا الاكتشاف إشمئزاز الرأى العام العالمى وسخطه.

وقد تم نقل وقائع تلك المجزرة على لسان مختار قرية الدوايمة حسن محمد هديب الذى شاهد المجزرة ونجا منها بأعجوبة.

أصبحت قرية الدوايمة فى متناول عصابات العدو الارهابية بعد تداعى قوة المدافعين فى قرية ا تحر وسقوط قريتى قبة وبيت جبرين وقد شعر . كان قرية الدوايمة بخطورة بقائهم فى القرية لكنهم . ذلك رفضوا مغادرتها فاختبأ بعضهم داخل كهوف القرية وشعابها بينما تجمع الشيوخ فى مسجدها.

●● ويوم الجمعة ١٩٤٨/١٠/٢٨م جاءت العصابات الصهيونية ضمن الكتيبة ٨٩ بقيادة الارهابى موشيه ديان وهاجمت القرية فى البداية من جهتها الغربية فى حوالى منتصف الليل ثم توزعت المصفحات إلى ثلاث مجموعات: الاولى اتجهت نحو الجهة الشمالية للقرية والثانية نحو الجهة الجنوبية والثالثة نحو الطرف الغربى وتركت الجهة الشرقية مفتوحة ليتمكن من ينجو من الموت أن يهرب شرقا . . ثم بدأت عملية اطلاق النار وتفتيش المنازل بيتا بيتا وقتل كل من يجدوه صغيرا كان أم كبيرا شيخا أم امرأة ثم نسفوا بيت المختار.

● وفى العاشرة والنصف من صباح يوم السبت ١٩٤٨/١٠/٢٩م مرت المصفحات الصهيونية بالقرب من مسجد الدراويش فى القرية وكان بداخله حوالى ٧٥ مُسِنّاً يستعدون لأداء الصلاة فقاموا بقتلهم جميعا بالمدافع الرشاشة.

● وفى ساعات بعد الظهر اكتشفت القوات المهاجمة المغارة الكبيرة التى اختبأ بداخلها ما يزيد عن خمس وثلاثين عائلة . . فاطلقت النيران وحوصروا جميعا داخل المغارة.

● وفى ساعات الليل تسلل بعض سكان القرية إلى منازلهم ليأخذوا بعض الطعام والملابس بينما عمد الارهابيون الصهاينة إلى قتل كل من يضبط عائدا الى القرية وتم جمع جثث القتلى والقائها فى بئر وسط القرية فى محاولة لاخفاء آثار الجريمة.

وبعد:

إن هذا الكتاب من الكتب القليلة فى الوطن العربى التى كشفت بالأدلة والوثائق حجم الارهاب الصهيونى فى فلسطين المحتلة والوطن العربى.

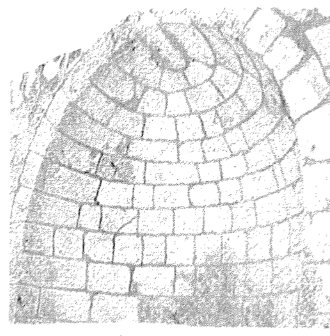
كنوز القدس

الخانقاه الدوادارية

● أنشأها الأمير علم الدين سَنجَر بن عبد الله الدوادار الصالحى النجمى فى سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب. ووقفها فى السابع من ربيع الأول سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م فنسبت إليه. . وقد وقف عليها أوقافاً كثيرة كما يبدو فى النقش الكتابى التذكارى على بابها الخارجى.

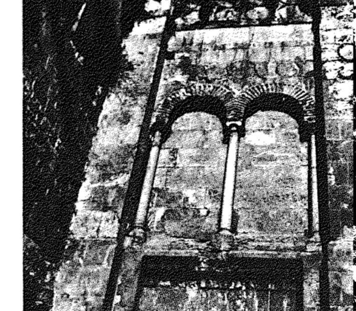
وهى خانقاه ومدرسة وقد وقفت على ثلاثين من المتصوفة الوافدين الى بيت المقدس. وقد قامت بدورها فى الحركة الفكرية فى القدس. وفيها دُرس المذهب الشافعى وقُرىء القرآن وسمع الحديث وأُنشد المديح النبوى.

وتعددت الوظائف فيها فكان فيها شيخ فى الحديث النبوى وقارىء له وعشرة طلاب يسمعون الحديث وعشرة آخرون يقرأون القرآن ومنشد للمديح النبوى.



محراب داود

● وهو واحد من المحاريب المشهورة فى بيت المقدس. ويبدو أنه من الأبنية الاسلامية المبكرة وذكر أن بناءه قد جدد فى عهد السلطان حسام الدين لاشين بين سنتى ٦٩٦ـ٦٩٨هـ/ ١٢٩٦ـ١٢٩٨م.



وهو «خارج المسجد الاقصى فى حصن عند باب المدينة وهو القلعة» وكان هذا الباب يعرف قديماً بباب المحراب.

ويتكون هذا المحراب من حنية حجرية داخل بناء مستطيل الشكل. . ويتوج الحنية ربع قبة ويرتفع البناء الى ممر السور العلوى.

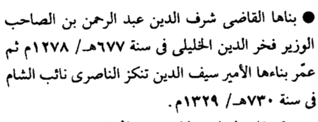
التربة الأوحدية

● أنشأه الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الناصر داود ناظر الحرمين الشريفين فى سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧ - ١٢٩٨م.

وكان هذا الأثر مدرسة ورباطاً أيضاً. . وقد قامت المدرسة بدورها الفكرى كما قام الرباط بدوره كذلك. وللمدرسة سجل فى المحكمة الشرعية يصف التربة من ناحية معمارية.

وتتكون هذه التربة من طابقين من البناء وتوجد فى الأ ل منهما غرفة الضريح وأروقة مجاورة وصهريج للماء وبيـ ت للصلاة. وفى الطابق الثانى عدد من الغرف المتباينة الـ حم.

مئذنة باب الغوانمة



● بناها القاضى شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلى فى سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م ثم عمّر بناءها الأمير سيف الدين تنكز الناصرى نائب الشام فى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م.

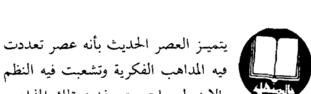
وقد قام المجلس الاسلامى الأعلى بتجديد شرفتها وافريزها وما يعلوه فى سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

وتتكون هذه المئذنة من بناء مربع الشكل يقوم على قاعدة حجرية عالية تنتهى بمجموعة مقرنصات ويقوم فوقها الطابق الأول. وتوجد فتحة مربعة الشكل فى كل واجهة من واجهاتها الأربع.

ويقوم الطابق الثانى على غرار الطابق الأول باستثناء الفتحة فهى مستطيلة الشكل وأمامها عمود صغير من الرخام فى الطابق الثانى. . وينتهى هذا الطابق بمجموعة من المقرنصات لإقامة شرفة حجرية مربعة الشكل فوقه. وفى وسطها بناء مربع وهو أصغر حجماً من مربع المئذنة ويقوم فوق بدن مثمن ينتهى بطاقة المئذنة (مبحرة).







يتميز العصر الحديث بأنه عصر تعددت فيه المذاهب الفكرية وتشعبت فيه النظم والايديولوجيات حتى غدت تلك المذاهب والنظم فى تعددها وسرعة توالدها مثل «موضات» الملابس والأزياء التى تتغير بتغير الفصول والمناسبات.

والذى ينظر اليوم فى الخريطة (الايديولوجية) أو المذهبية للعالم يميز ثلاثة ألوان بارزة تمثل المذهب أو النظام الرأسمالى الليبرالى والمذهب أوالنظام الشيوعى ـ التسلطى والمذهب أو النظام الإسلامى.

ورغم أن الاسلام ظل موجودا وحاضرا خلال القرون المتعاقبة منذ بدء الرسالة الاسلامية قبل أربعة عشر قرنا من الزمان إلا أن قوته السياسية والحضارية تفاوتت بين مد وجزر وتوسع وتقهقهر نتيجة لظروف متعددة مرت بالمسلمين.

ولكن الجدير بالملاحظة أن قوة الاسلام فى الفترة الحاضرة بدأت مسيرة جديدة متمثلة فى ظواهر بارزة على سطح الأحداث.

من هذه الظواهر انبعاث حركة تجديدية فى الفكر الاسلامى تقدم للعالم الاطر الاسلامية لنظام الحياة فى مختلف جوانبها، تعضدها حركة واسعة لعودة الشباب المسلم الى الاسلام عقيدة وسلوكا وتدعو الى تحكيم الاسلام وإقامة دولته.

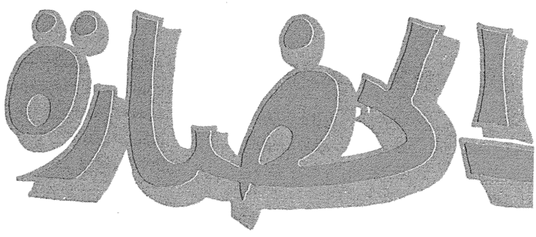
ومن تلك الظواهر ايضا تصعيد نضال الحركة الاسلامية ليس فى المجال التربوى والفكرى فحسب بل وفى المجال السياسى والجهادى المتمثل فى حركات الجهاد والتحرر الاسلامية فى اكثر من بقعة فى العالم.

يضاف الى ذلك كله هذا الانتشار السريع للاسلام بين غير المسلمين فى العالم حتى أصبح اكثر الاديان انتشارا وتوسعا رغم قلة الامكانات والموارد المخصصة أو المتاحة للدعوة الى الاسلام مقارناً بالميزانيات الضخمة المتاحة للتنصير ولنشر المذاهب والايدلوجيات الوضعية.

والباحث فى ظروف وملابسات الصحوة الاسلامية الراهنة يدرك أن من أهم الاسباب التى اسهمت فى تصعيد هذه الصحوة هو شعور الاحباط النفسى الذى تولد فى نفوس الشباب المسلم نتيجة للهزائم المنكرة التى منيت بها الامة الاسلامية فى تاريخها الحديث. وقد رافق هذا الشعور بشكل موازٍ شعور آخر باليأس من قدرة المذاهب والنظم الوضعية المعاصرة على إسعاد الانسان والارتقاء به الى مستوى أحلامه الفردية والاجتماعية معا

والشعور بفشل المذاهب الوضعية فى اسعاد الانسان ليس مقصورا على المسلمين وحدهم ـ رغم انه لديهم أكثر حدة ـ بل إنه يتفاعل فى المجتمعات المادية التى تتبنى تلك المذاهب نفسها.

وما هذه المقالة الا محاولة للبحث عن الاسباب التى



...ظم المعاصرة

أدت الى فشل المذاهب الوضعية فى اسعاد الانسان والتى تكمن فى مواقفها من المقومات الاساسية للحضارة. كما انها محاولة لتقديم صورة عامة عن موقف الاسلام من تلك المقومات.

وسنتعرض اولا لموقف المذهبية الرأسمالية ـ الليبرالية والشيوعية ـ التسلطية من المقومات الاساسية للحضارة وهى:

«الايمان والعقيدة ـ القيم الخلقية ـ الحرية ـ العدالة ـ العمل ـ الابداع العلمى».. ثم نعرض ـ بعد ذلك ـ لموقف الاسلام من تلك المقومات ونوضح خاصية الاسلام فى معالجة تلك المقومات برؤية توحيدية شاملة متوازنة تجعله المنهج الصالح لبناء حضارة راشدة تنعم فى رحابها الانسانية وتسعد.



دكتور
عبد القادر طاش
رئيس قسم الإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

نشأة المذاهب والنظم المعاصرة:

وقبل ان نعرض لموقف المذاهب المعاصرة من مقومات الحضارة نرى من الضرورة أن نمهد لذلك بمقدمة عن ظروف نشأة المذاهب والنظم الحديثة والعوامل التى ساعدت على نشأتها.

بدأ ظهور الفلسفات والمذاهب الفكرية الحديثة فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. وقد مهد لظهور تلك الفلسفات والمذاهب التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى نتجت عن حركة الاصلاح الدينى فى اوربا. فقد ظهرت الفلسفة المثالية والفلسفة الواقعية والفلسفة التجريبية والفلسفة (البراجماتيزمية) والفلسفة المادية الجدلية. ظهرت هذه الفلسفات ـ كما يقول الدكتور عبد الغنى عبود ـ لتسد ذلك الفراغ الدينى أو العقائدى الذى نتج عن الشك فى العقيدة المسيحية.. إما نتيجة للنزعة الروحية التى تتسم بها وإما نتيجة لانحراف الكنيسة الكاثوليكية ورجالها عن جوهر تعاليم المسيحية فى العصور الوسطى وإما للأمرين معا(1).

وقد كانت هذه الفلسفات تمهيدا لظهور الايدلوجيات والمذاهب الوضعية المعاصرة. فالرأسمالية نشأت فى ظروف الكبت الكنسى وقامت على أساس أن «الفرد قوة

اجتماعية ضرورية ونافعة» ولهذا الاساس جذور فى الفكر الاغريقى القديم خاصة عند سقراط وأفلاطون وقد بلور هذه الفلسفة الفردية فى صورتها العصرية الفيلسوف الانجليزى (جان لوك) الذى تأثر بأفكاره مجموعة من الفلاسفة أمثال «**فولتير ومونيسكيو وروسو**» - وكلهم فرنسيون - وكانت هذه الافكار وراء الثورات المتعددة التى شهدتها اوربا وابرزها الثورة الفرنسية .

وكانت الثورة الصناعية أثرا من آثار الحركة الرأسمالية نتج عنها بزوغ طبقة رأسمالية جديدة تقوم على الصناعة وتؤمن بالاكتشاف العلمى .

أما الشيوعية فقد نشأت متأثرة بأفكار مجموعة من الفلاسفة أبرزهم (**هيجل**) الذى كان يرى بأن «**الدول هى إله يمشى فى الارض وان الدول أعظم من عهودها وان الحق يجب ان يدعم بالقوة بل إن الحق هو القوة**» .

ومن وحى فلسفة (هيجل) الجدلية المادية كتب (كارل ماركس) ماديته الجدلية التى تعتبر اساسا للمذهب الشيوعى الماركسى كما أسهم (انجلز) فى بلورة الافكار الشيوعية . وقد برزت المادية التاريخية لدى (ماركس وانجلز) أول الامر «ممثلة لرد فعل عنيف سياسى وفلسفى على حالة اجتماعية قائمة : المجتمع الرأسمالى الاوربى فى القرن التاسع عشر الذى يتألف من طبقتين متصارعتين : الطبقة البرجوازية الرأسمالية التى تحتكر ركائز الانتاج والاقتصاد والمال والسياسة والطبقة الكادحة الخاضعة لسيطرة الطبقة الاولى»(٢) .

حالمنطلق

ورغم ما بين المذهبين من أوجه تناقض واختلاف إلا أن موقفهما من طبيعة الانسان واحد حيث ينطلقان من أساس فلسفى واحد هو الاساس المادى الذى ينظر الى الانسان على انه حيوان مادى . وبينما تعامل الرأسمالية هذا الحيوان على اساس تحقيق ذاته وتحريره من الكبت - كما يرى (فرويد) وجعل الغريزة الحيوانية موجها ومفسرا للسلوك الانسانى فان الشيوعية تعامل هذا الحيوان على اساس التسلط على حريته وتسخيره فى اتون الصراع الطبقى .

موقف المذاهب المعاصرة من مقومات الحضارة :

قامت الرأسمالية - كما رأينا - كرد فعل للتسلط الكنسى ولذلك رفضت الرأسمالية الدين والقيم الاخلاقية التى تنبع عنه وبنت وجودها على اساس المادية الدنيوية التى لا تعطى للدين والاخلاق فى الحياة دورا مؤثرا وتعزلهما عن التأثير فى الناس وقد تتساهل الرأسمالية مع الدين والاخلاق النابعة منه متى رأت فى ذلك مصلحة لها وإلا فالعقيدة الدينية - فى نظرها - تختص بأحكام لقطاعات جزئية فى حياة الانسان وتنحيها بالذات عن أى تأثير حاسم فى المصالح العامة(٣) .

أما الشيوعية فتنظر الى الدين أو الايمان والاخلاق التى تنبع منه باعتباره «أفيونا للشعوب» ومخدرا للجماهير ولذلك ينبغى ان يستبعد من الحياة . ويقوم المذهب الشيوعى على اساس الالحاد الذى يرى المادة اصلا للكون . يقول البيان الشيوعى (المانفستو) : «ان الدستور والاخلاق والدين كلها خدعة البرجوازية وهى تتستر وراءها من أجل مطامعها» ويقول لينين : «اننا لا نؤمن بالاله . ونحن نعرف ان أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله الا استغلالاً ومحافظة على مصالحهم . اننا ننكر بشدة جميع هذه الاسس الاخلاقية التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة غير الانسان والتى لا تتفق مع افكارنا الطبقية(٤) .

وفى النظام الرأسمالى يعطى الفرد مكانة بارزة على اعتبار انه المركز الحقيقى للسلطة دون تقييد . فالفرد فى هذا النظام حيوان عاقل وهو هدف بحد ذاته ولذلك فهو يملك القدرة على تنظيم حياته واتخاذ القرارات التى ينبغى ان يتخذها لاسعاد نفسه وخدمة مجتمعه .

ويرفض هذا النظام فكرة كون الدولة أو المجتمع شخصية منفصلة عن الفرد وان هذه الشخصية أهم من الفرد نفسه ويعتبر وجود الدولة او المجتمع على اساس انه خادم لوجود الفرد واشباع حاجاته .

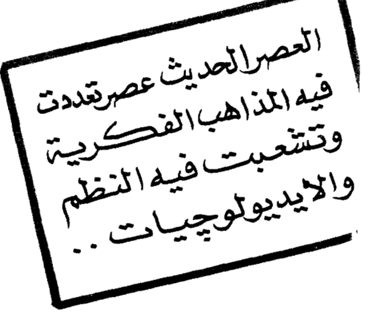
أما النظام الشيوعى فينظر الى قضية الحرية فى ضوء علاقتها بالدولة والظروف الاقتصادية . وجوهر الشيوعية

هو تزويد الدولة بكل وسائل القوة. والحزب هو السلطة العليا التى تمارس دورها بشكل دكتاتورى تحت زعم ان قوة الدولة هى الطريق الصحيح لتقدم المجتمع والضمان الوحيد لاستمرار سلطة البروليتاريا. يقول لينين: «الى أن تأتى مرحلة القضاء على الطبقات فان النقاش حول الحرية والمساواة ينبغى ان يصاحب بالاسئلة التالية: أى حرية تقصدون؟ حرية لأى طبقة واى هدف؟ وأى مساواة تريدون؟ وبين أى طبقة من الطبقات؟ ولذلك فان مفهوم الحرية مرتبط بمفهوم التسلط الطبقى والحزبى..

وفى ميدان العدالة الاجتماعية فان الرأسمالية تأخذ بمبدأ الحرية الفردية فى التملك والانفاق بلا حدود وفسح المجال امام كل فرد لاستغلال ملكيته على الوجه الذى يروق له وضمان حرية الاستهلاك للفرد بلا حدود.

والشيوعية تحرم الملكية الفردية وتعمل بقانون القيمة الفائضة حيث يعطى الفائض من الانتاج لليد العاملة ولا يسمح للمالك بأن يستفيد من ملكيته.

أما العمل فهو مرتبط ايضا بالاساس الفلسفى للمذهبين فهما يشجعان العمل ويعترفان بقيمته وحيويته ما داما يخدمان التسلط الاقطاعى والاحتكارى فى المذهب الرأسمالى والصراع الطبقى فى المذهب الاشتراكى.



ومفهوم العلم والابداع العلمى مرتبط بتسخيره فى خدمة رأس المال وتحقيق المطامع الشهوانية والاستعمارية. وهو منفصل كلية عن القيم الدينية والخلقية فى المذهبين مما ادى الى هذا الانفصام المريع بين التقدم العلمى التكنولوجى والقيم الانسانية والخلقية فأصبح عالم الابداع العلمى والتكنولوجيا عالما خاصا مستقلا ينمو ويتطور بعيدا عن عالم المعرفة الانسانية والأخلاق.

إن هذا الاستعراض السريع لموقف المذهبين من المقومات الاساسية للحضارة يكشف لنا ما قررناه سابقا من الالتقاء بين المذهبين فى بناء مواقفهما على اساس النظرة المادية للانسان والنشاط الانسانى.

الاسلام ومقومات الحضارة:

يتميز الاسلام بأنه منهج شامل للحياة ويبنى الاسلام هذا المنهج على اساسين متينين هما: «**العقيدة الدينية التى تتغلغل فى النفوس والتشريع الاجتماعى الذى ينظم الحياة**. ولذلك فان موقف الاسلام من مقومات الحضارة ينفرد بخاصية الربط بين البعد الروحى التعبدى والبعد الاجتماعى المادى بصورة متكاملة متناسقة لا تعارض بينهما ولا تنافر وتتضح هذه الخاصية المتميزة فى نظرة الاسلام تجاه كل مقوم فى تلك المقومات.

١ ـ الايمان:

إن النفس الانسانية مغروس فيها الشعور بوجود الله والايمان بالالوهية ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**﴾.. وهذا الشعور النفسى يستيقظ ـ كما يقول الاستاذ سيد سابق ـ عند وجود مثير يبعث على اليقظة من ألم ينزل أو ضر يحيط ﴿**وإذا مَسَّ الانسانَ الضرُّ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّه**﴾.

والاسلام يقوم على عقيدة دينية راسخة قوامها التوحيد ـ توحيد الله بالربوبية والالوهية ـ ﴿**وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**﴾.. ﴿**إن ربكم الله**

الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾.

ولهذه العقيدة التوحيدية آثار فردية واجتماعية تنعكس على سلوك الفرد والجماعة فهى تحرر النفس من سيطرة الغير وتبعث فيها روح الشجاعة والاقدام وتمنحها الطمأنينة القلبية والسكينة ﴿**الذين آمنو وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾. . كما ان هده العقيدة ترفع من قوى الانسان المعنوية وتربطه بمثل أعلى الى جانب ان العقيدة التوحيدية توفر للانسان حياة كريمة طيبة يعجل الله بها للمؤمنين فى الدنيا قبل الاخرة: ﴿**ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فَلنحيْينّه حياة طيبة ولنُجزِينهمّ أجْرهُم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾.

هذه العقيدة الدينية هى اساس الوجود الانسانى كله وكل نشاط الانسان مرتبط بها ارتباطا عضويا ومن ثمّ فإن رسالة الاسلام رسالة شاملة كاملة عالمية تسير دفة الحياة فى كل اتجاهاتها وصالحة لكل البشر فى أزمانهم وأعمارهم بلا انقطاع.

٢ ـ الاخـــــلاق:

والاسلام دين الاخلاق جاء ليقيم الحياة على اسس من القيم الخلقية الرفيعة فقد بعث الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ بأفضل الاخلاق وأعطمها ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾. . وبعث متمما للاخلاق «انما بعثت لأتمم مكارم الاحلاق» وليس ذلك بدعا على الاسلام الذى يهدف الى ايجاد افراد صالحين وعناصر قوية فى المجتمع يستطيعون الاسهام بعقولهم وقلوبهم فى ترقية الحياة واعلائها

وقد وضع الاسلام مقاييس للخير والشر فما حبب الاسلام فيه ودعا اليه فهو الخير وما حظره ونهى عنه فهو الشر وهذا المقياس يمتاز بأنه من الله تعالى فهو ثابت لا يختلف باختلاف الاشخاص ولا باختلاف الظروف والاحوال والبيئات.

والعقيدة التوحيدية التى يقوم عليها بناء الاسلام تستوجب ان تكون للقيم الاخلاقية ـ لا القيم المادية ـ المكان الاول فى الحياة البشرية وان يعمل الانسان على الاسترشاد بها فى حياته وتعميقها فى سلوكه حتى تؤدى الى الامن النفسى والاجتماعى الذى يقيم صلب الحضارة الراشدة.

وهذا الاساس الاخلاقى لرسالة الاسلام الحضارية يُبْنى فى الانسان من خلال بُعْدَيْن متوازيين: «**البعد الداخلى والبعد الخارجى**». . فالاسلام لا يعتمد فى فرض نظامه وقانونه على السلطة الخارجية كالعقوبة والجزاء المادى ـ فحسب بل انه يعتمد على تربية النفس الانسانية !ولا بتعميق معانى الخير فيها وتنفيرها من معانى الشر والفساد كما يعتمد على ربط الانسان بالله تعالى وايقاظ ضميره وتذكيره بالجزاء الأخروى دائما.

وان من أخطر امراض البشرية فى ظل المذهبية الوضعية هو غياب هذا البعد الداخلى فى معالجة قضايا الانسان فى حياته. وقد عبر الروائى الروسى الشهير (**سولجنستين**) عن ذلك بقوله: «لقد عشت طول عمرى تحت ظل نظام حكم يفتقر الى العدالة الموضوعية ـ النظام الشيوعى ـ واعرف كم هو فظيع ذلك. . ولكن المجتمع الدى لا يملك أى معايير أو مقاييس اخرى غير القانون الوضعى ولا يردعه عن الشر سوى يد القانون الباطشة وحدها فهو ايضا وبنفس القدر مجتمع تحتقر فيه قيمة الانسان. . إن يد القانون مهما كانت طائلة فهى باردة دات طابع رسمى جامد لا يمكن ان يكون لها تأثير حقيقى فى مناهضة الجريمة والشر.

واذا كانت علاقات الناس نسجا لا تربطه الا خيوط قانونية تَولدَ جوّ من الانحطاط الادبى والخلقى يشل ابل ما فى الانسان(٦).»

٣ ـ الحريـــــة:

وموقف الاسلام من الحرية ينسجم مع الاطار الايمانى والاخـلاقى لمنهجه الشمولى. واذا كانت الحرية فى الرأسمالية حرية حيوانية فانها فى الاسلام حرية مسؤوه فهى حرية تتصل بطبيعة الانسان كخليفة لله فى الارض مكلف برسالة تعميرها. وهو يملك حرية الاختيار بين الخير والشر والهدى والضلال: ﴿**وقل الحق من ربكم فمن**

شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ . . ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ . . ولكنه مسؤول عن اختياره محاسب على حريته . . ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ .

والاسلام يكفل للانسان كل انواع الحريات : حرية الدين ﴿لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾ . . وحرية التفكير والتعبير: ﴿قل انظروا ماذا فى السموات والارض﴾ . . «الساكت عن الحق شيطان أخرس» . . والحرية السياسية التى تقوم على اساس الشورى: ﴿وأمرُهم شورى بينهم﴾ . . وحرية العمل والحركة : ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ .

٤ ـ العـــــدل :

ويقوم الاسلام على اساس العدل فغايته ـ كما يفصح القرآن ـ أن يحقق العدالة بين الناس : ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ . . ﴿وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم﴾ .

ولهذا العدل صور متعددة فى مجالات الحكم والقضاء والتعامل والخصام وغير ذلك .

ويتمثل العدل الاجتماعى فى النظام الاقتصادى للاسلام حيث يوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فيضمن الملكية الفردية للانسان ما دامت قد اكتسبت بطرق مشروعة ويحفظها من السرقة او الاختلاس او المصادرة .

لكن هذه الملكية ليست مطلقة بل هى مقيدة بالاساس التوحيدى لمنهج الاسلام فالاعتراف بألوهية الله وبمكانة الانسان كخليفة لله فى الارض تقتضى كون الله تعالى المالك الحقيقى للمال : ﴿ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ومالكم من دون الله ومن ولى ولا نصير﴾ . . والانسان خليفة لله فى هذا المال وبقاؤه معه مرهون بحسن تصرفه فيه : ﴿آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ .

وبعض الاموال التى تعتبر مرافق حيوية عامة لا يمكن للجماعة ان تستغنى عنها كالماء والكهرباء والفحم والبترول والحديد . . الخ . . تبقى خارج نطاق التملك الفردى وتكون ملكا مشتركا للجماعة .

وقد وضع الاسلام قواعد للتملك الفردى وتنمية الثروة واستغلالها وانفاقها حتى يحقق التوازن الاجتماعى والعدالة فى المجتمع كما فرض الى جانب ذلك مجموعة من الواجبات المالية على الفرد تحقيقا للتكافل الاجتماعى والقضاء على الانانية والاثرة . ويأتى على رأس هذه الواجبات الزكاة وهى حق على كل مسلم ـ يعفى من آدائها الفقراء طبعا ـ وهى حق لله تعالى وبالتالى حق للجماعة فى المال : ﴿واقيمو الصلاة وأتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله . . ان الله بما تعملون بصير﴾ .

٥ ـ العمـــــل :

اما بالنسبة للعمل كمقوم حضارى فإن من طبيعة الاسلام الحركة والنشاط والاسلام يحب لاهله ان يحيوا كأقوى ما تكون الحياة وان يناضلوا كأشد ما يكون النضال . واسلوب الاسلام فى الدعوة الى العمل اسلوب متميز لا يكاد يضاهيه أو يقاربه أى اسلوب آخر .

فغاية الحياة فى نظر الاسلام هى احسان العمل واتقانه واظهار المواهب وابراز القوة الكامنة فى النفس الانسانية ﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ . . ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ .

ان الاسلام يطلب من المسلم ان يكون عاملا دائما والعمل المطلوب هو العمل الصالح الذى تزكو به النفوس وتتوسع به دائرة البر وتقوى به العلاقات الانسانية . إنه العمل الذى ينمى الانتاج ويزيد الثروة ويحفظ كرامات الافراد ويصل بالامة الى غايتها من السيادة والسعادة . ولذلك يحض الاسلام على التمتع بالطيبات من الرزق :

﴿يا أيها الذين امنوا لا تُحرِّمُوا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾. . ويمنع الاسلام رفض الدنيا لان ذلك يعطل النشاط الانسانى فالدنيا طريق الاخرة.

وهذه النظرة الرائعة التى يوفرها الاسلام للعمل بشتى صوره - مادام فى حدود الضوابط الاخلاقية للاسلام - يعطى الانسان مجالا رحبا للنشاط والحركة والانتاج بل انه يوفر له جوا من الاطمئنان النفسى فهو يحس بأن العمل الذى يقوم به أيا كان لا يتوقف فى حدود النظرة المادية الضيقة بل يتألق الى رحاب النظرة الشاملة لذلك العمل على انه مرحلة مرتبطة بمراحل اخرى تنتهى الى الحياة الآخرة. وبذلك تختلط المادة بالروح وتتصل الدنيا بالاخرة ويتلاقى الدين والدنيا فى نسق واحد. . فى انسجام متكامل.

٦ - العلــــــم :

وطلب العلم فى الاسلام فريضة مقدسة: طلب العلم فريضة على كل مسلم والـذين أتـوا العلم مكـرمون ﴿يـرفـعُ الله الـدين آمنـوا منكم والـذين أوتـوا العلم درجات﴾ . ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.

والعلم هو ميراث النبوة: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سهـل الله له طريقا الى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع. وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبيـاء لم تورث درهما ولا دينارا وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (رواه أبو داود والترمذى)

والعلم الذى يطلبه الاسلام - كما يقول الاستاذ سيد سابق - هو: الوحى: كتابا وسنة عقيدة وشريعة وماوراء ذلك من العلوم الكـونيـة فهـو مما يدعـو اليه الاسلام ويحث عليه لتعرف سنن الله فى الكون واسراره فى الخلق وحكمته فى الوجود. ودراسة العلوم الكونية والانسانية لا تقل اهميتها عن دراسة العلوم الشرعية وهى علوم الطبيعة والكيمياء والفلك والاحيـاء والنبـات والنفس والاجتـماع والتاريخ العام(٧) ولنتدبر هذه الآيات:

﴿أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾. . ﴿ومن آيـاتـه خلق السمـوات والارض واختــلاف السنتكم وألـوانكم إن فى ذلـك لايـات للعالمين﴾. . ﴿سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق. أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد. الا انهم فى مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شىء محيط﴾.

اليس فى هذه الايـات ما يقطـع بأن تحصيـل علوم الكون: من طبيعة وحياة ونبات واجتماع ونفس وتاريخ من لب الاسلام وصميمه؟

ويتميـز الاسلام فى نظرته الى الابداع العلمى بأنه يحدد غاية نبيلة لذلك الابداع وهى الوصول الى معرفة الحق تبارك وتعالى وعمارة الارض بالخير. وهو بهذا يسحم مع الاسـاس التـوحيدى لرسالته. وهدا التحديد للغاية يحفـظ الابـداع العلمى من ان ينقلب الى سلاح مدمر يعرقل مسيرة الانسان نحو أهدافه العليا.

الاسلام هو الحضارة

ان من اهم مميزات إنسان العصر الحديث انه انسان قلق حتى وإن كان يعيش فى جو البحبوحة المادية لان عالم (التكنولوجيا) الذى يشكل محيطه المباشر والذى فصله عن عالم الطبيعة. . فشل فى توفير حاجات الانسان الاساسية التى لم تتغير ولم تتبدل - كما يقول البرفسور دوبو(٨).

ان حضارة (التكنولوجيا) الرأسمالى - وحضارة الصراع الطبقى الشيوعى قد فشلا معا فى توفير حاجة الانسان الى الايـمان - اولا - اذ الايمان بالله فطرة بشرية تشهد عليها طبيعة الانسان وتؤكدها حوادث التاريخ.

وفشلت الحضارتان - **ثانيا** - فى توفير حاجة الانسان الى الحرية الحقيقية لأنهما تطرفتا به إما نحو اليمين وإما نحو اليسار فاذا هو فى النظام الرأسمالى فوضوى لا يلقى لمسئوليته الاجتماعية بالا واذا هو فى النظام الشيوعى محروم من اكرم حقوق الانسان.

وفشلت الحضــارتـان - **ثالثا** - فى توفير العـدالة الاجتماعية التى تحقق للانسان حياة كريمة لان الحضارتين

كلتيهما تسخران الاغلبية الكادحة لخدمة الراسمالية الاقطاعية او الرأسمالية الحزبية.

وفشلت الحضارتان - **رابعا** - في توفير حاجة الانسان الى الابداع والتقدم العلمي الذي يقوده الى المعرفة الحقيقية - وهي معرفة الله تعالى - ويلزمه بأن يسخر علمه وتكنولوجيته لخدمة القيم الانسانية وتنمية الروح الاجتماعية.

أن هذا الفشل الذريع في توفير الحاجات الاساسية للانسان هو الذي يقود الانسانية اليوم الى حالة القلق والضياع التي تعيش فيها. ولا يمكن للبشرية ان تتخلص من قلقها الا بالبحث عن مصدر آخر جديد لمنهج حياتها.. عن حضارة جديدة توفر لها حاجاتها الاساسية



كلها.. والاسلام بمنهجه الشمولي واصوله الحضارية يوفر للانسانية ذلك المخلص والمنقذ.. إننا لا نقول ذلك ادعاء ومباهاة وتعالياً على الانسانية لان الاسلام ليس منهجا وضعيا صنعته عقولنا وانتجته عبقرياتنا.. بل الاسلام منهج إلهي سماوي انزله الله تعالى ليكون هاديا للبشر جميعا الى الحق وقائدا لهم الى طريق الفلاح والسعادة.. ولقد بنى الاسلام في واقع الحياة حضارة انسانية راقية سعد فيها الانسان ايما سعادة وقد اثرت هذه الحضارة الرفيعة بقيمها ومبادئها في الحياة الانسانية. وقد احمل المستشرق الدنمركي (جوستاف فون جرونيباوم) التأثير الحضاري للاسلام - في كتابه الذي اسماه الاسلام الحديث - «في تغييرات اساسية احدثها في مجال القيم النسبة لما كان سائدا قبله بشبه جزيرة العرب في ظل الوثنية.. ومحور هذه التغييرات هو تحديد هدف الحياة وغايتها وراء هذه الحياة الدنيا ومن ثم تكون قيمة اى انجاز بشرى هي في تقدير حسابه وجزائه في الدار الاخرة الباقية وقد ضمن ذلك استمرارية الحياة الانسانية بدون قطع او تفتت وهكذا يتوالى السير ويتصل العمل ولا تكون الحياة تتابعا لتصرفات جزئية متقطعة منعزلة بعضها عن بعض.

ثم يضيف (جرونيباوم) «وكذلك فان الاسلام ينصب الجماعة حارسة على صراط الله المستقيم المبين للناس والذي عليهم ان يلتزموا نهجه في مختلف مساعيهم ومناشطهم وان كان الاسلام يؤكد بصفة اساسية مسئولية الفرد ويقدمها على المسئولية الجماعية وفي ظل هذه القيم الاساسية يطرح الاسلام اسئلة جوهرية ثلاثة يقدم اجوبته عليها وهي: **كيف تعيش حياة صحيحة؟.. وكيف تفكر تفكيرا صحيحا؟..** وكيف تقيم نظاما صحيحا؟. وقد قدم الاسلام اجوبته لهذه المشكلات والقضايا في التربية الصحيحة للفرد والترتيب النسبي لمناشط الانسان.. وتحديد القصد والمجال بالنسبة لسلطة الحكم او ممارسة القوة السياسية. وبذلك بنى الاسلام نظاما للقيم يتناول الواجبات والحقوق في شتى مجالات السلوك الانساني سواء السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي وعلاقات الفرد بقرابته او بالجماعة كلها وقد ادى ذلك الى تقويم اية خبرات حضارية سابقة او لاحقة في هذا الضوء بحيث تكون متجاوبة مع معايير الاسلام ومقاصده(٩).»

إن الانسانية تتطلع اليوم الى حضارة الاسلام بعد أن فشلت النظم الوضعية في قيادة سفينتها الى بر الامن والطمأنينة والحياة الكريمة الهانئة. وإن تقديم حضارة الاسلام بمبادئها وقيمها وتطبيقاتها لن يتم إلا من خلال

القدوة الصالحة والنموذج العملى الذى يبرز هذه الحضارة فى صورتها النظرية والعملية فى واقع الحياة المعاصرة. والمسلمون اليوم مطالبون بالعمل الصادق الدؤوب على تأصيل قيم الاسلام الحضارية فى حياتهم حتى يكونوا قدوة حضارية للانسانية التائهة. وبذلك يكونون قد قاموا بمسئوليتهم المطلوبة منهم وأدوا امانة الرسالة العالمية التى حملهم الله إياها: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾**.. والمقصود بالشهادة على الناس هنا الشهادة بابلاغ الرسالة وإيصالها اليهم.

فالامة الاسلامية هى «الأمة الوسط التى تشهد على الناس جميعا فتقيم بينهم العدل والقسط وتضع لهم الموازين والقيم وتبدى فيهم رأيها فيكون هو الرأى المعتمد.. وبينما هى تشهد على الناس هكذا فان الرسول ﴿ﷺ﴾ يشهد عليها.. وامة تلك وظيفتها وذلك دورها خليقة بأن تتحمل التبعة وتبذل التضحية فللقيادة تكاليفها وللقوامة تبعاتها ولابد أن تفتن قبل ذلك وتبتلى ليتأكد خلوصها لله وتجردها واستعدادها للطاعة المطلقة للقيادة الراشدة(١٠)

وعندما يتوافر للامة الاسلامية العزم الصادق والعمل الجاد من اجل تحقيق وظيفتها والاطلاع بدورها القيادى تتضح امامها الآفاق الرحبة ويتنزل عليها النصر المؤزر من الله ويومئذ تفرح الانسانية بفجر جديد يشرق عليها ليضىء جنباتها ويحيى مواتها ويبعث فيها الرواء والنضرة والتطلع وما ذلك على الله بعزيز.

---

(١) الدكتور عبد الغنى عبودة العقيدة الاسلامية والايدولوجيا المعاصرة - القاهرة - دار الفكر العربى ١٩٧٦م ص٤٢، ص٩٨

(٣) مريم جميلة الاسلام فى النظرية والتطبيق - ترجمة س حمد (الكويت مكتبة الفلاح ١٣٩٨هـ ص٢٢

(٤) وحيد الدين خان الاسلام يتحدى - القاهرة المختار الاسلامى ١٩٨٦م ص٢٧

(٥) راجع بتفصيل سيد سابق عناصر القوة فى الاسلام - بيروت - دار الكتاب العربى ١٩٧٣م ص١٢-٢١

(٦) الدكتور محمد الشوش الحضارة المادية المعاصرة وتدهور القيم الانسانية - مجلة الدوحة العدد ٣٢ اغسطس ١٩٧٨م ص١٣

(٧) سيد سابق المرجع السابق ص٨٠

(٨) رينيه دوبو. إنسانية الانسان استشهد بذلك الدكتور نبيل الطويل فى ترجمة مقدمة الكتاب فى مجلة الامان (٢٢/ ٦/ ١٩٧٩م) بيروت

(٩) انظر د محمد فتحى عثمان - القيم الحضارية فى رسالة الاسلام - جدة الدار السعودية ١٤٠٢ ١٩٨٢م ص٤٢-٤٤

(١٠) سيد قطب فى ظلال القرآن - بيروت - دار الشروق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م - م١ ١٣١-١٣٢



- نتابع قراءة الدراسات العلمية والفكرية مع الأستاذ الدكتور محمد سعيد الدمرداش.. الدكتور حسين نصار.. الأستاذ محمد حسن شراب.
- حوار ودراسة طبية عن العيون وغيرها
- المجلات الداخلية (المشتار - السائح - هنَّ - فلسطيننا) مع جديدها.
- الأدب والدراسات النقدية.. الدراسات الاسلامية.. التاريخ.. والمكتبة التراثية.
- اضافة الى كل ذلك تتابع القراءة للأبواب الثابته فى منهلك..
- مجلتك «المنهل» تستقبلك غرة كل شهر.

المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

قصائد العدد

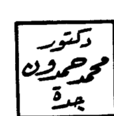
العدد الحادى والثلاثون جمادى الثانية ١٤٠٧هـ

للمشرف

محمود عارف



دكتور
محمد حمدون جدة



من أبرز الظواهر الفنية للقصائد أنها جميعا عمودية تتراوح بحورها بين **الطويل** «تحية» و«الجبل» **والكامل** «فجرى طالع» و«حوار مع بدوية حسناء» و«البدوية الحسناء» **والبسيط** «عبرة وعبرات» و«حوراء» **والخفيف** «الشيخ والبنت»:

وكم كنت أود أن تطبع أبيات «تحية ولاء» للشاعر عدنان اسعد كلا على سطر دون تشطير لأن نسقها الموسيقى (مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلات) يصعب التعرف عليه فى كتابة البيت فى شطرين فى الشكل الذى ظهرت به.. أما «حرمان» فتبدو مسودة أو نسخة أولى للقصيدة كما يتضح من شحط بعض الكلمات.. وفيها - فى نفس الوقت - دلالة على أنها محاولة لا تعدو إطار «رومانسية المبتدئين تصف الحبيب بأنه:

«قمر لاح وانطوى لغروب»

● **ثم تعود فتطلب منا:**

«فصفوا لى الجمال حتى أراه
فى مثال بريشة لأديب»

حسب القصيدة على كل حال «**قيمتها الوثائقية**» فى الـ«**أنابيش**».

فى قَصِيدَتَىْ «**فجرى طالع**» لعبد الرحمن صالح العشماوى و«**الشيخ والبنت**» لمفرج السيد مزيد من الدلالة على ما لهذين الشاعرين من مكانة فى الشعر الحديث فى المملكة العربية السعودية.. فقد جاءت قصيدة العشماوى (نوح باك وترنم شاد).. لم تزعزعه متناقضات «التقى» و«العربدة» ولا «زهو الصغار» ولا «الغيرة» و«الحقد» والذين «استعذبوا التمجيدا» و«السائرون على خطا ساداتهم» لأنه يواجه كل ذلك بسؤاله الاستنكارى الصامد:

أأمد كفى للعباد تقربا: منهم وأنسى الواحد المعبودا؟..

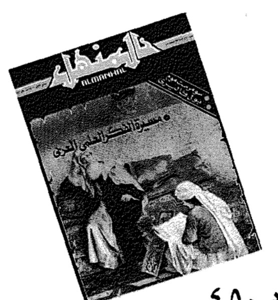
● أذكر أننى حين نشرت أول بحث لى فى المنهل عن «الذاتية الاسلامية والشاعر السعودى» منذ أربع سنوات كتب إلىَّ أحد القراء الأفاضل معاتباً: كيف لم أتعرض للعشماوى فيه.. كان السبب هو أننى كنت أشرف على رسالة للماجستير اختارت صاحبتها من شعر العشماوى وغيره ما يبرز الاتجاه الاسلامى لشعراء المملكة فاقتضت الظروف العلمية ألا أتعرض لشعره لحين.

لكن العشماوى كان - كما هو دائما - فى تقديرى من أبرز معالم الاتجاه الاسلامى فى الشعر الحديث.. إنه يعرف حقيقة انتمائه فلا يضج ولا يتململ.. بل ولا يقول ما قال الشَّنْفرى من قبل:

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم
فإنى إلى قوم سواكم لأميل

وإنما يظل معهم ينشد ويبكى:

غنيت بالآمال حتى خلتنى
أبكى حرارة ما أحِسُّ نشيدا



مقاربة لقصائد العدد ٤٥٠

وهو قادر على امتصاص (جروح أمته ورزايا عصره) التي طالما عبرت عنها قصائده لأنه يعى أنها لحظة وتبيد ولأنه قد رسخ فى وجدانه: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض﴾** (الرعد: ١٧) ولذا جاءت «فجرى طالع» صرخة إصرار وتفاؤل:

يا ساحة الأوهام فجرى طالع
فقفى على قدم الخضوع بعيدا

● أما مفرج السيد، شاعر الريف السعودى بحق فيحكى (والحكاية هى أصدق تعبير فنى لقصيدته هذه) قصة الزواج غير المتكافىء بين الشيخ العجوز وبنت العشرين.. وعلى الرغم من رواج وشيوع هذه القضية فى الأدب السعودى فى العقدين الأخيرين (تناولها هو نفسه فى قصيدة ـ استعطاف بنت ـ المنهل ١٤٠٦/١هـ) فإن «حلاوة» الشعر تغرينا بالقراءة.. وحجة الشاعر لفتاته ضد شيخه مرة (رومانسية): «إن حبى للذى أهواه مهرى».

ولا شك أنه شاعر عشق ريفه فى مظاهر رومانسية سكبها فى قصائد أخرى مثل «أحبك للأبد» و«عودة الحب» (المنهل ١٤٠٥/٦هـ) و «الفجر فى القرية» (المنهل ١٤٠٥/١١هـ) و«المنى ليلة» (المنهل ١٤٠٦/١٢هـ) وهى كلها رومانسية الشباب المناضل من أجل حبه.. غير أنه يعرض فى قصيدتنا هنا حجة أخرى مثالية:

«إن هذا المال فى رأيى كصفر».

الثة واقعية:

ثم إن البنت هذى حسب خُبْرى
مثل بنت لك فى العشرين بكر.
أفتهدى بنتك الكبرى لقبر؟.

وحجته فى الحالات الثلاثة منطقية وبدون سماجة يأنفها الشعر.. ومن هنا بدت هذه المرة ـ أكثر مما بدت فى استعطاف بنت ـ دافعة للشيخ.. فأين يذهب؟

قال: كاد الجهل بالأشياخ يزرى

وقد لا أكون مخطئا إن وددت أن يتغير البيت: «والذى أرجوه لا تهزأ بعذرى» الى: «والذى أرجوه لا تهزأ بأمرى» أو «والذى أرجوه أن تسمع عذرى» وذلك لتناسب الفعل ومتعلقه أكثر فى كل من هذين.

ومثل العشماوى يعد عمر بهاء الأميرى نموذجاً صادقا للشاعر المسلم المعاصر.. وقد بدا ذلك واضحاً فى ثنايا وختام مرثيته «عبرة وعبرات».

سلَّمتُ لله فى حمد الرضا وأنا
أبكى وأبكى وقد أبكى مدى عمرى

ويبدو أن البكاء مرتبط بحس الشاعر المرهف.. دوافعه هنا «فقد الأم» وفى مكان آخر (قصيدة أب فى «ديوان أب») رحيل أولاده للاقامة فى حلب:

دمعى الذى كتمته جَلَداً
لما تباكوا عندما ركبوا
حتى إذا ساروا وقد نزعوا
من أضلعى قلبا بهم يجبُ

ألـقـيـتـنـى كالطـفـل عاطـفـة
فإذا به كالـغـيـث ينـسـكـب

ونحن مع الشـاعـر: «ماكل البكا خور». . إن بكاءه انعكـاس لشفـافيـة نفس تؤمن بروابط الأسرة فى عصر تكالبت عليها فيه الأحداث غير أن «الردى أمر من القدر» وروابـط الأسـرة والقـدر فى شعـره مظهـران لا يخطئهـا فاحص. . ومع ما يرد فى القصيدة من صور فنية جميلة أعجبتنى لم أستطـع تصـور «ذوب الجمـر دمعـاً منهمرا» فجامع «الحرارة» وحده لا يكفى هنا.

وتموج النفوس بعاطفة الحب سُنَّة حياة ومصدرا لسعادة الانسـان وقـد كانت «البـدويـة الحسنـاء» أميرة العشق فحظيت بحب شاعرنا د. احمد عبد القادر المهندس ووقف معهـا الشـاعر حسين أحمد النجمى فى «حوار مع بدوية حسناء» ويلحق بهذا الغرض «حوراء» د. سامح درويش مع فارق كبير بينها وبين «بدوية» المهندس والنجمى. . «فـالحـوراء» عذبـة العينـين. . ماكـرة. . تلهو. . تغامر بالحب. . تقلب «عـالـم الـرومـانسيـة» الـذى بدأت به القصيـدة حيث «الامـل الغجـرى» حيث يومض الحب «ويرقص الفرح» «فى جنة تزدهى سحرا وألوانا». . تقلب كل هذا إلى كل «واقعية» كريهة نشمها فى الشك ودخان المدينـة وصـراعهـا. (وقـد أعجبنى جدا ختم الشـاعر «قصيـدته بالبيت الذى وصفه نقادنا القدامى بأنه أغزل بيت قالته العرب:

إن الـعـيـون الـتـى فى طرفـهـا حور
قتـلـنـنـا ثـم لم يحيـين قـتـلانـا

أما البدوية الحسناء فلا يزال عالمها الرومانسى «اكثر تألقـا وصفـاء. . وربـما أيضـا أكثر وهما وحرمانا وأطيافا شاردة. . وأعتقد أن الحوار بين البدوية والشاعرين وإن كان له نظـائره منذ امرىء القيس وابن أبى ربيعة وأبى فراس ـ يزيد قصيدتيهما تألقا كما أن مواد صور النجمى الفنية بدت أكثر التصاقا بعاطفته. . ولعل الخطأ المطبعى فى الـبـيت: «وعــزفت عن دينــاكـمــو. .» وصــوابــه «دنياكمو. .» فى تلك القصيدة مما لا يخفى على القارىء.

● ●

الأبيات الثلاثة الأخيرة فى قصيدة «البدوية الحسناء» «يا ليتنى يوما أراك. . الخ» تسلب الاحساس الذى ولدته الأبيات السابقة عليها والتى نحس فيها «بالحضور» الوجدانى بين الشاعر والبدوية وما أظن أننا كنا بحاجة الى اعتبار ما سبق «رؤى» «وزهرة غيب» . . متى . . متى . . متى نلقاها؟

بقيت من قصـائـد العـدد اثنـان: الافتتاحية وهى قصيدة لعبد الواحد أخريف «تحية» من المغرب الأقصى الى منبع الشعر يعنى المملكة العربية السعودية وفيها حشد الشـاعـر قدرا كبيراً من ممتلكاتنا التراثية يدل على وعى الشـاعـر بها وانتـمائـه لها. . فيها «الحَرَمان». . «وربوع الهدى». . و«الشريعة» التى تصون حقوق الناس فى السر والجهر». . وفيها قس وسحبان. . .

وفـيـهـا امـرؤ القيس المضمـح بالهـوى
يفـوق كما فاق الـنـجـوم سنى البدر

● وحبذا لو تخلى الشاعر ـ وأنا مثله ـ عن قياسنا بهم حين يقول:

إذا كان للأغـريق «هـومـيـرس» الـذى
بمـلـحـمـة الهـيـجـاء غنـى على جمر
فإن لنـا سيـلا يدوِّى هديـره
بسبـع وعـشـر عانـقـت قدس الحجر

مالنا وللاغريق؟.

ولعله يقصد بالشطر الأخير المعلقات السبع أو العشر. أمـا القصيـدة الأخـيرة فهى قصيدة المختار والتى حوت اختيارها الموفق جدا «الجبل» من ابن خفاجة وما أروعها من شعـر يجمـع الى جزالـة القديم وفخامته رقة التعبير وجماله. . قطعة تلخص حكمة الدهر وتعى بصروفه. . حتى الجبل ينوء بعبء «فراق الصواحب» وكلنا معه بين «مقيم وذاهب»

من «قاتل» أو «تائب»

أظن أن بعض ألفـاظ القصـيـدة تحتـاج لتفسـير يساعد القـارىء غير المتخصص على فهمهـا مثـل (الأرعن = الشامخ، طماح الذؤابة = عالى الرأس، وقال بظلى = أوى الى ظلى) كما أقترح أن تتصدر قصيدة المختار جملة عن مصدرها وصاحبها فى الاختيارات القادمة.





شعر
الحسيني عبد العاطي حري
مصر

يا سرَّ أسرارِ الحياةِ ونورها
إنى هنا أبغى حِمىً مأمونا

لا أرتضى نفساً يُمزِّقها الهوى
أبداً فلستُ مُكبَّلاً مجنونا

أو أننى أمشى بلا هدفٍ سوى
أنى أكونُ الصَّبَّ والمفتُونا

هذى قلوبُ الناسِ تلتمسُ الرِّضا
أفلا أكون الجوهرَ المكنونا

يا من خلقت لنا الحياة بأسرها
وجعلتها للناظرين فُتونا

وهديتنا بالأنبياء جميعهمْ
جاؤا بكلِّ الهدى كى يَهْدُونَ

ومحمّدٌ بالبيِّناتِ ونورِه
وبمعجزاتِ كتابِه يدعُونا

واذا تلوتُ من الكتاب وآيِه
ذهب الرجيمُ مكدَّراً ملعُونا

وعبادُكَ الرُّحماء فيما بينهم
سهرُوا على قرآنِهم يتلُونا

وسجودُهُمْ دوْماً لذاتٍ قُدِّسَتْ
يُزكى نُفُوسَهُمُ فهمُ يَعْلُونا

وصراطُكَ القُدْسِيُّ سارَ طريقَهُمْ
فيهِ الأمانُ وفيهِ هُمْ يمشُونَا

فلأنت من أمٍّ أحنُّ عليهمُ
بل أنتَ من خَلق الفؤاد حَنُونَا

يارب أقْبَلْنا عليكَ بذلَّةٍ
فغدوتَ سمعاً بالكمالِ مصُونا

أنت الرحيمُ فمن سواك يجيرُنا
فجَّرت أرض الطيباتِ عُيُونا

جنَّاتُك الفيحاء أنت وهبتها
خُلداً يضمُّ التينَ والزَّيتُونَا

وأقمت للنَّملِ الضعيفِ ممالكاً
ورفعت للرطب الجنىِّ غُصُونا

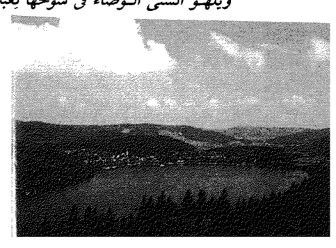
أنت الذى وهب الحياة جمالها
ورعى الجميع تحركُاً وسُكُونا

أسعَدتَنا يارَبِّ بالنورِ الذى
ملأ القُلُوبَ خواطِراً وشُجُونا

منْ قال فى التوحيد انك واحدٌ
نال الرِّضا والملجأ المضمُونا

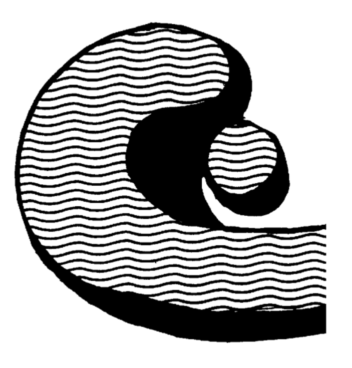
على ضفاف
نهر الرين

على الـرَّين ـ ياقلبى ـ وجدتُ لك الحُبَّا
فارشف رحيقاً من رُضابِ اللَّمى عذبا
فإنَّ الهــوى الــرَّيان والحُبَّ والصِّبا
هُنـا فى ضفاف (الرَّين) والمنظر الأصبا
تأمَّــل جمال الــكـونِ اروع ما ترى
وحـور حسانِ (النهر) سربٌ يلى سِرْبا
(أوانسُ) يوقِظـن الـغـرام وإنْ خبتْ
شرارتُــهُ يُشـبِـبْـنَ نار الهـوى شَبَّـا
وفـيـهـنَّ فرعـاء القـوام وضيئـة الـ
ـمحيـا ساطعـة المقلد واللبـا
كأنَّ ضيـاء الصُّبـحِ حلّ اديمها
أو أنَّ شعَاع الشمسِ فى جسمها صُبَّا
توسَّـدتِ العُشب النضـير وأشْـرعت
ذراعـين كالسيفـين هنـديـة عضبـا
صقيلين يعشى النـاظـرين شُعاعُها
كأفـرنـد ماء السيفِ فى نصله هدبـا
نعـرَّتْ فلا ستر الحـيـاء يُصـدُّهـا
ولا دِيـنُهـا ينهـى ولا عرفـهـم يأبى
تكـادُ العيـونُ الخـزرُ ينهشن لحمهـا
طريّـا ـ على مهـل ـ وينهبنـه نهبـا
صرفـت عُرام الـنفسِ عنهـا تعففـا
وتقـوى وخـوفـا من مآب ومن عقبى
وروض كوشـى الخـزِّ طرّز نسجـهُ
صناعٌ ـ بلونِ الطَّيف ـ قد وشَّح السُّحْبا
تمطّى عليـه الظَّـلُّ واستيقـظَ السنى
يداعِـبُـهُ وانـى الـنسـيم اذا هَبَّـا
على ربـواتٍ يرقصُ الظـلُّ فوقـهـا
ويلهـو السَّنى الـوضَّاء فى سوحها لِعبا









ونبت كأهداب الحرير نعومةً
يكوسُ على بعض فتحسبه دبَّا
حقولٌ كصُبحِ العيدِ بهجاً وزينةً
وكالعُرس أبراداً مزخرفةً قشبا
جنانٌ توشَّت بالشَّذا وخمائلٌ
تدانى جناها يفعمُ الفمَّ والقلبا

* * *

ونهر مِنَ الفردوس شف معينه
بدفق من البلور يسكُبهُ سكبا
تمارى به الامواجُ سبقاً كأنَّها
صواهِلِ خيلٍ فى الوغى احتمت غضبا
تشابتِ الخلجانُ فابتسمت لها
ثغورُ زُهورِ الوردِ مزهُوَّة عجبا
وتلك الروابى الناعساتُ عشيةً
تموجُ اخضراراً كالخِضَمِّ إذا عبَّا
فى غفوة الغيم الرقيق وضحوه
مناظرُ تستهوى اللواحظ واللُّبا

شواطئُهُ ضحيانةُ الماء والثَّرى
تلألأ فيها الزهرُ والنَّبتُ والحصبا
تُصفِّقُ ما بين الضفافِ خمائِلٌ
نشاوى يُرنِّحُها النَّسيمُ إذا هبَّا
ووشوشتِ الأغصانُ لحناً مرنما
به همست أوراقُها نغماً عذبا

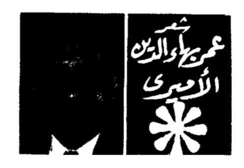
* * *

وهضبٌ يظل النهرَ وارفٌ ظلُّهُ
ظلال الجفونِ الوطفِ زينتِ الهُدبا
وسفح من الاحلام افقاً ومُنتدى
له بسطٌ من سُندُسٍ غطَّتِ التُّربا
وقد طرزت بيضُ المنازلِ خيفه
وفضَّضتِ الاطواد والريع والهضبا
وفاض الضُّحى جذلان يُسكُبُ نُوره
درانك قد زانت فرائدُها العُشبا
دوالى كأثداء المراضِع حُفَّر
تُدرُّ على وجهِ الثرى ينعها حلبا

* * *

على ضِفَّة موشِية مخمليَّةٍ
تنفس بوحاً ـ ما العطورُ ـ اذا هبَّا
تخطرُ بين الضفتين مراكبُ
تجوب لجين الماء جانحة غربا
قطعنا بها وقتا جميلا ونزهةً
يضُمُّ عليها الدهرُ أعطافهُ حُبَّا

وحدي في



«مرّ بجنيف والتقى بصديق قديم فتشاكيا أوضاع الإنسانية وهموم الأمة الإسلامية.. وذهب إلى فندقه لينام وهو موزع الفكر بين الألم والأمل..
وفي الصباح هتف صديقه يسأله هل نمت جيداً؟.

لا لم أنمْ بلْ قدْ أرِقتُ وللصداع رحى تدورْ
وتسعّرتْ مِنَ الهموم لظى وفي رأسي نذُور
والغربةُ الليلاء في عُمري أوامٌ لا يحُور
عقمتْ «جنيف» فلا أنيسَ ولا جليسَ ولا سرورْ
وخلتُ أمدّ دقائقي وأضيعُ في تيه التدهورْ
بين التألم والتأمل في التباسات الأمورْ
حيرانَ أفتقدُ المعالمَ لا حجابَ ولا سفور
أسهو وأصحو والدُّجى ساجٍ وفي نفسي فُتور
وأظل في شبه الكرى متقلباً حتى أخور
فأغيبُ عن دنيا شعُوري في ضبابة اللاشعُور
ماذا؟ أأنباء الغيوب غداً وسكانُ القبور
من كُلّ فجٍّ ينسِلُون كأنّه يومُ النُّشور
يتدافعون بقضّهم وقضيضهم عبر العصور
كُلٌّ يسارعُ في مناه وإنّها لمنى غرور
وأنا أحسُّ بكاهلي الأعباء قاصِمة الظهور
أعباء كل الخلق ويلي كِدْتُ إعياءً أمور
وكأنما اجتمعتْ على صدري مُلمّاتُ الصدور
فالأرضُ تحملُني على مضضٍ وتُوشكُ أنْ تفُور

جنيف ٧٨

وفتحتُ عَيْنَيّ يقظةٍ غرثى وفى حلقى حرُور
وشرعتُ أصحُو مُثقل الأنفاس مبهور الشعور
وفمى الأجفُّ كأنّ فى جنباته نبتت بُثُور
أغمضتُ عينى مرَّة أخرى ومزَّقتُ الستور
ومضيتُ أرنُو فى كتاب الغيب ما بين السطور
فرأيتُ أهوالاً وكان الحقُّ من غيظٍ يفُور
بحرٌ من الظُّلُماتِ والظُّلم المؤجّج والشُّرُور
والكونُ بالغربانِ عجَّ فلا صقُور ولا نُسُور
وألمَّ بي أو كاد يأسٌ: فالدُّنى ختلٌ وزُور
ونظرتُ والأحلاكُ تدفعُ نظرتى خلف الجسُور
فلمحتُ فى بونِ الدُّجى المسحُوب مُنبلج البكُور
ورأيْتُ صرحِ المجدِ ينتظرُ الجسور ولا جسُور
ووجدتُ همَّ العالمِين بقلب إيمانى يسُور
وكأنَّ إنقاذ الوجودِ علَىّ محوره يدُور
ورأيتُنى وأنا أنا المسكينُ كالأسد الهصُورْ
وحدى تسلّقتُ الرياح الهوج سوراً إثر سُور
ومن الذُّرى أبصرْتُ درْب الخُلْدِ رشَّتهُ العُطُور
وتلامعتْ فى مُنتهاه طيوفُ جنَّاتٍ وحُور
وسمعْتهُ ثمَّ هواتف الأقدار: حىَّ على العُبُور
فقذفتُ نفسى غير أنى شمتُ أجنحة الطُيُور
بُسطت لتحملنى وحطَّتْ بى على جددِ المُرور
وفتحتُ عينى والخلافةُ فى رُؤى أملِى الغيُور
والروحُ يقظى والأمانةُ فى دمِى نارٌ ونُور
والعهدُ فى عُنُقى وأمْرُ الله فى عزمى يثُورْ

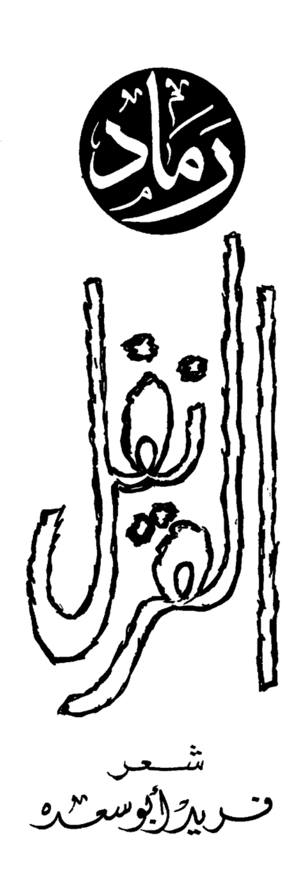


شعر



تقــولـين ملء الثغـر: إنـك قُلَّبٌ
نزع إلـى التغيـير لا تخدعن مثلى
ولا تلعبــن بالنّــار عبر عوالمى
فدنيــاى جنـاتٌ من الـورد والفُـلّ
وقــلبــى ربيــعٌ مورقٌ متــوثـبٌ
ينامُ بصدرى ناعم البالِ كالطفل
حنـانكِ قد أدميتِ بالعُتب مُهجتى
ومزَّقتِ أحلامى على مذبحِ القولِ
وما كان عتبــاً ما نطقتِ وإنّــما
مقــالٌ على قلبى أشدّ من النَّصلِ

فمهــلا رعــاكِ الله ما أنـا عابثٌ
ولا لاعبٌ بالنـار فى الموكب الجذلِ
ولـكنــه الحبّ الـذى تُنكِـرينــهُ
ويا شدّ ما يلقى من النُّكرِ ذو الفضل
سلامٌ على الـدنيـا إذا لم أعش بها
كريـماً وبئس الحبّ يرتـعُ فى الـذل
أقـلّى فإنِّـى قد قبرتُ مشـاعِـرى
ذبحتُ أحاسيسى أسِفتُ على قولى
طردتُـك من قلبى وطَهَّـرتُ ساحـهُ
بأيـامى الخضـراء فى أعـين الطَّلِ
فمــثـلى من تاهــت به كبريــاؤه
وبـاهت به الدنيا على مفرق النُّبلِ
ومـثلى من تسمــو به فى حيـاتــه
أصــولٌ وأمجــادٌ يطـيبُ بها أصلى



أعاشقة آنتِ
ام وردةٌ . .
وشظايا
أعاشقةٌ أنتِ
أمْ جسدٌ
تتنفَّسُ فيه السبايا
رميتِ قرنفلة الوقتِ فى النارِ . .
ماذا تبقىّ
سوى وردةٍ . .
من رمادِ المحبينَ
تصرخُ
داخلةً فى المرايا
أنا واحدٌ . .
واحد والطريقُ الى الحزنِ يمتدُّ ما بين عِشْقِى
وحبُّكِ . .
يمتدّ . .
يمتدُّ حيثُ تنامينَ حقلاً من القمحِ
والوردِ . .
يُغرى الطيورَ
سوايا
فتحتُ لعينيك بابَ القصيدةِ
وبيتاً وسيعاً
من البحرِ للبحرِ . .
لوَّنْتِ بالفطْرِ صوتى وبيتى
وحين تقدمتُ . .
كنتِ . .
تفرِّين حافيةً للاغانى البليدةْ
خُذِى ما تبقَّى
رمادَ القرنفلِ والدمعِ . .
يا امرأة من بقايا

شعر

أغنيات لعينيها

يس قطب الفيل
مصر

لعينيكِ أشدُو إذا ما افترقنا
وأشدُو لعينيك عند اللقاء
وأشتاقُ أن لا يضيع الصباحُ
كما ضاع من راحتينا المساء
فإنّا سئمنا احتراق الأمانى
على دربنا وانقطاع الرجاء
ونحنُ اللذانِ أقمنا صُرُوحاً
من الحبِّ تنضحُ بالكبرياء
ونحن اللذان زرعنا المحال
فأورق من حولنا كيف شاء
ونحنُ اللذانِ انطلقنا فراشاً
جريئاً يرفرفُ حول الضياء
فما ارتاع فى القاع منا ذراع
ولا ضلَّ عبر الصحارى نداء

تحدَّى هوانا خداع الزمان
وأشرق حتى بليلِ الشَّق
وها هُو لما يزل مشرئبّاً
إلى النورِ يعزفُ لحن الوف
يغنى من القلب للأصفياء
وإن جرَّحتهُ سِهامُ الغـ
لعينيكِ أشدُو كما كنتُ أشدُو
مُحبّاً ولستُ أملُّ الغنـ
فإنَّ العيُون التى أسعدتنا
عليهنَّ لا يُستحبُّ البكـ
وعيناكِ مهما تغيبان عنّى
هما الأمن لى وبقايا الر
أراكِ ونورهما يحتوينى
صباحاً إذا التفَّ حولى مـ

وكبرما من الحب لا لن يزول
وإن فيه عربد جيشُ الوباء
وجدول ماء يذوب اشتياقا
ليمنحنى شهدَه فى سخاء
أراك على شُرُفاتِ الصباح
سنابل تهفو ليوم العطاء
فيورقُ بين يدىَّ الأمانُ
وينسلُّ من مهجتى ألفُ داء
وأحيا . . وإن غالنى اليأسُ يوماً
على أمل فى امتلاكِ الفضاء
هو الحبُّ . . كم يصنع المعجزاتِ
وكم يتخطَّى حدُود الفناء

* * *

عينيكِ أشدُو وأشدُو وفيّا
أليسَ من العارِ قتل الوفاء؟
تغيبين عن عالمى ألف عام
يعزُّ علينا بأرضٍ لقاء
نادى عليكِ فيرتدُّ صوتى
جريحاً بلا أمل فى شفاء
ضلُّ كما ضل فى البيد «قيس»
«وليلى» مُقيَّدة فى الخباء
عينيكِ أشدُو وأشدُو وأشدُو
ومهما يكُنْ لنْ أملَّ الغناء
أنَّ الغناء عزاء لِقلب
يمُوتُ ويحيا على الكبرياء
هوانا الذى عاش رغم الصعاب
سيبقى على الأرض رمز الإباء
يبقى إلى أن يعُودَ الصَّباحُ
صباحاً . . يؤكدُ معنى الضِّياء

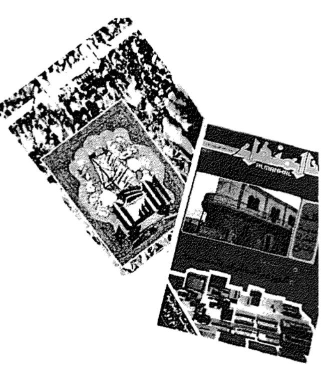
فى كل حال .. أحبك



أحبُّكِ قاتلةً ضاريه
وأهواكِ عاصفةً عاتيهْ
وأهفو اليكِ أوان الهدوء
وأهفُو لدى اللحظة العاويهْ
أنا ما عشقتُكِ وفق شُروطٍ
فما الحبُّ بالصَّفقةِ الرابيهْ
فلا يتأثَّرُ ما بيننا
بأحوالنا ربتةً حانيهْ
ولا يتأثَّرُ ما بيننا
بأحوالِنا صفعةً داويهْ
وأنتِ كما أنتِ فى كلِّ حالٍ
حنوناً على القَلبِ أو قاسِيهْ
وأنتِ كما أنتِ مهما يكُنْ
أُحبُّكِ قاصيةً دانِيهْ
فما الحبُّ إلَّمْ يكُن غافِراً
ذنوبَ المحبين فى ثانِيه؟
فثُوري فثورتُكِ العاتيه
أحنُّ منَ البرء والعافيهْ
أقابِلُها بالحنانِ الوثيرِ
من القلبِ والرُّوحِ يا غالِيهْ



تحية للمنهل



محمد حسن علوي الحداد / مكة المكرمة

يا أيُّها الظمآن هذا المنهلُ
من نبعه الصافى نعلُّ وننهلُ

ينبوعُ علمٍ لم يزل متدفِّقاً
منه ارتوى فكر وأخصب مُمحِلُ

هو دوحة غنَّاء ذاتُ مباهِج
ومفاتِن وأزاهر لا تذبُلُ

فيها يُلاقى عاشِقُ الآدابِ ما
يهوى فكم فيها ترقرق جدولُ

رُد حوضها الفيَّاض تسق بارداً
وانزل بروضتها يطيبُ المنزِلُ

يا منهل الآدابِ يارمز الحِجى
يا سلسبيلاً لم يزل يتسلسلُ

لك فى ميادين الثقافة والعُلى
دور عظيمٌ بارزٌ لا يُجهلُ

خمسُونَ عاماً أنت فيها منبرٌ
للفكر حزت السَّبق.. أنت الأوَّلُ

قبسٌ من الإلهام يسطعُ مُشرِقاً
ويُطِلُّ مؤتلق السَّنا لا يأفلُ

تلكَ المجلَّة ذاتُ مجدٍ شامخ
هى للثقافة والفضائل موئلُ

منها اغتذت افكارنا ونماها
حبٌّ إلى اعماقنا يتغلغل

سر يانبيهُ بها الى أوج العُلى
قُدُماً فأنت لها فتاها الأمثلُ

بجهود والدِكَ الكريم تمكنت
أعراقُها وبجهدكُم تتطاول

لم تفتقد منهُ الحنانَ فإنَّ فى
آفاق رُوحكَ روحهُ تتمثَّلُ

هنئت بالعام الجَديد ودُمت فى
حُلل السعادة والمسرَّة ترفُلُ

وأزفُّها منِّى إليك قصيدة
فى روعة الأزهار بل هى أجملُ

أودعتُها أحلى التهانى والمنى
والبِشْرُ فى قسماتها يتهلَّلُ

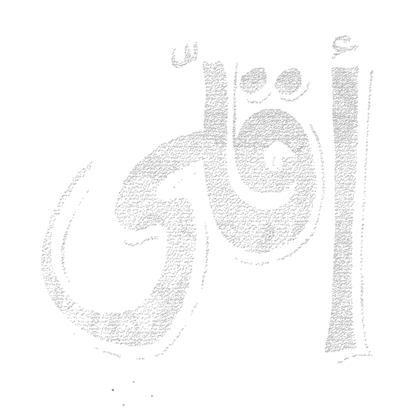
وتحيةً للمنهل الميمون ما
شادٍ تغنَّى أو ترنَّم بُلبُلُ



ستعيشُ يا شيخ العرب
ستعيشُ ما عاش الأدب
يا فخرها أمَّ القُرى
ميراثُها خيرُ الكُتُب
يا فخرها أمَّ القُرى
مهدُ العمالقة النُّجُب
يا فخرها أمَّ القرى
و«أبو نبيه» ينتسب
يا فخرها أمَّ القُرى
لَّما أضاء بها كتب
مهَّدت بالإخلاصِ درب
الحُبِّ أتعبت التَّعب

فُقهاؤنا جاءوك طُلّاباً
وفيضُكَ ما نضب

وجدُوا «بمنهلك» الرُّواء
فعش على مرِّ الحِقَب
واسقِ الظماء محبة
وهَبِ المكارِم إنْ تَهِبْ
فلأنتَ فى أعْماقِنا
نورٌ يفيضُ وينسكب
تحيا القُلوبُ بذِكركم
فارضَ فإنَّك لم تغِب
يا أنجُماً فى ذكره
تبكى المعالى .. تنتحب
لا تحزنى هُو لم يمت
هو فى الجوانح يحتجب
ويشِعُّ نوراً فى القُلوب
لكى تُرى خلف الحجُب



أقلّى علىَّ اللومَ يا بنت مُنذر
ونامى وإن لم تشتهى النوَمَ فاسهَرِى
ذرينى ونفسى أم حسان إننى
بها قبل أن لا أملك البيع مُشترى
أحاديث تبقى والفنى غير خالد
إذا هو أمسى هامةً فوق صُيَّر
تُجاوبُ أحجار الكناس وتشتكى
إلى كل معروف رأته ومنكرِ
ذرينى أُطوِّف فى البلاد لعلنى
أُخليك أو أُغنيك عن سوء محضرى
فإن فاز سهمٌ للمنية لم أكن
جزوعاً وهل عن ذاك من متأخر؟
وإن فاز سهمى كفَّكُم عن مقاعدٍ
لكم خلف أدبار البيوت ومنظر
تقول: لك الويلات هل أنت تاركٌ
ضُبُوّاً برجل تارة وبمنسر
ومستثبتٌ فى مالِكَ العام أننى
أراك على أقتاد صرماء مذكر
فجوعٍ لأهل الصالحينَ مزلةٌ
مَخوف رداها أن تصيبك فاحذر
أبى الخفض من يغشاك من ذى قرابة
ومن كلّ سوداء المعاصم تعترى
ومستهنىء زيدٌ أبوه فلا أرى
له مدفعاً فاقنى حياءكِ واصبرى
لحى الله صعلوكاً إذا جنَّ ليلُه
مصافى المُشاشِ آلفاً كل مجزر
يعُدّ الغنى من نفسه كل ليلة
أصاب قراها من صديق ميسَّر
ينامُ عشاء ثم يصبح ناعساً
يحُتُّ الحصى عن جنبه المتعفـ
قليلُ التماس الزاد إلا لنفسه
إذا هو أمسى كالعريش المجوّ
يُعينُ نساء الحى ما يستعِنَّهُ
ويُمسى طليحاً كالبعير المحـ
ولكنَّ صُعلوكاً صفيحةُ وجهه
كضوء شهاب القابس المتنـوِّ



طلًّا على أعدائِهِ يزجرونه
بساحتهم زجر المنيحِ المشهَّر

إذا بَعُدوا لا يأمنون اقترابه
تشوُّف أهلِ الغائب المتنظَّر

فذلك إن يلق المنية يلقها
حميداً وإن يستغن يوماً فأجدر

أيهلكُ مُعتم وزيدٌ ولم أقُم
على نُدب يوماً ولى نفسٌ مخطر

ستفزع بعد اليأس من لا يخافنا
كواسع فى أخرى السوام المنفَّر

يُطاعن عنها أولَ القوم بالقنا
وبيضٍ خفافٍ ذات لونٍ مشهَّر

فيوماً على نجدٍ وغاراتِ أهلها
ويوماً بأرض ذات شثّ وعرعر

يناقلن بالشُّمْط الكرام أولي القُوى
نقاب الحجاز فى السريح المسيَّر

يُريحُ على الليل أضياف ماجد
كريمٍ ومالى سارحاً مالُ مُقترِ

(*) ديوانا : عروة بن الورد والسّموأل.

نغمات فى دنيا

فى دنيا الحشرات تجد أنماط الاثارة وأشكال العجب ودواعى الدهشة تشيع فى كل مكان.. نعم فى كل مكان.. فالحشرات ما تركت بيئة إلا واستوطنتها أو ـ على الأقل ـ ارتادتها فمن حشرات فى الهواء الى حشرات فى الماء ومن حشرات على فروع النباتات وداخل البذور والجذور والثمار الى حشرات فى الأمعاء ومن حشرات رديئة المنظر كريهة الطلعة الى حشرات رائعة الجمال بهية المنظر ومن حشرات أصواتها مزعجة مملة الى حشرات شجية النغمات... الخ.

يذكر لافكاديو هيرن (Lifcadio Hearn) فى كتابه **«الدخلاء والأصلاء» ١٨٩٨م** مدى شغف الشعب اليابانى بأصوات صرصرة الحشرات واستمتاعهم بنغماتها الطروب التى تبعث فى مخيلة الشعراء هناك أبهى الصور الشعرية وقد أشادوا بموسيقاها كإحدى مباهج الخريف الجميلة وان كانت الزيارات الى الريف لسماع هذه الأصوات قد قلت بعد أن أصبحت تربية وبيع هذه الحشرات تجارة تدر ربحاً وفيراً.

كما أن لافكاديو هيرن ينصح زائرى اليابان أ[ن] يشاهدوا أحد احتفالات المعابد وخصوصاً أثنا[ء] الليل.. وكتب أنه من بين القمرات المصفوفة المنمق[ة] الجذابة التى يعجز عنها الوصف تجد قمرة مضيئ[ة] كفانوس سحرى مملوءة بأقفاص خشبية صغيرة جد[اً] فى الحجم ينبعث من داخلها صرير لا يمكن أ[ن] يبارى وهذه هى القمرة الفخمة التى تحوى حشرات مغردة وهى فى أغلب الأحوال أنواع مختلفة م[ن] النطاطات وصراصير الغيط.. أما حشرات السيكاد (Cicadas) فيقول لافكاديو هيرون أن اليابانيين لا يضعونها فى أقفاص بل يطلقونها فى الأماكن خصوص[اً] التى يرتادها الثرثارون من الناس.

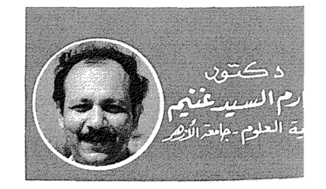
ولا يحتاج المرء للذهاب بعيدا الى اليابان لكى ير[ى] ويسمع الحشرات الموسيقية فى أقفاصها ففى بعض مناطق ايطاليا يحتفظ الناس بصراصير الغيط للتسلي[ة] والاستمتاع بأصواتها.. وقال «أ. إ. إيتون» (A.E.Eaton) أنه يحدث نفس الشىء فى البرتغال حيث يباع فى لشبونة وأبورتو هذا النوع من صراصير

الحشرات

لغيط فى أقفاص صغيرة جدا لأن السكان هناك
يحبون الاحتفاظ بها فى حجراتهم والائتناس بها.

لا يستدعى الأمر أن يذهب المرء الى هناك وهنالك
ل عندنا فى مناطق الريف وكذا الحدائق والبساتين
سمع أصوات الصرصرة أثناء الليل بوضوح سماعك
نقيق الضفادع فى الترع والمصارف والحقول الرطبة
ذلك فى موسم تزاوجها خلال الربيع والصيف.

من الطريف أنه قد حدث هناك فى بلاد الاغريق
القديمة اهتمام زائد بحشرات السيكادا لدرجة
عتبارها أشياء مقدسة فبالاضافة الى وضعها فى



أقفاص واستلهام الشعراء لشعرهم على نغمات
أصواتها فإن دراسة الموسيقى عندهم كان شعارها
عبارة عن (سيكادا متوجة فوق قيثارة) بل إنهم أطلقوا
اسم «**أغنية السكادا**» على صوت القيثارة نفسها.

يقوم حشد كبير من الحشرات بإصدار أصوات مميزة لها
نغمات محددة ومن أشهر هذه الحشرات:
**الرعاشات.. البق الحقيقى (Hemiptera) الذباب
.. النمل.. والنحل والزنابير.. النمل الأبيض
(القرضة).. السيكادات.. الجراد. النطاطات
والجنادب وصراصير الغيط.. الفراشات وأبى دقيق
وكذلك بعض أنواع الخنافس.**

لما كان سلوك الحشرة أيا كان نوعه تقوم به الحشرة
بقصد تحقيق غرض معين أو بلوغ هدف ما فإن
أغانيها - أو أصواتها عموماً - توظف لأغراض هامة فى
حياتها ومن ذلك على سبيل المثال:

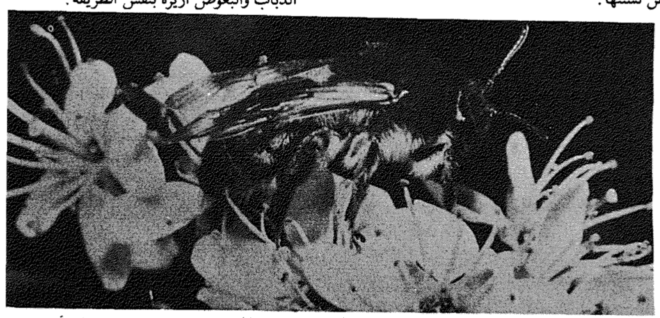
تقوم حشرات معينة بإصدار أصوات مرعبة تخيف
بها أعداءها من الحشرات الأخرى أو حتى من
الحيوانات التى تبغى بها سوءاً وهناك حشرات تقوم

باستدعاء شريك الحياة أو المناداة على الأليف بإصدار أصوات معينة لها من النغمات ما تستطيع أنثاه فقط ـ دون إناث الأنواع الأخرى ـ الاستدلال بها على موقعه وتحديد مكانه لتذهب اليه فيقضى منها وطره وهكذا تستمر الحياة وتواصل النسل.. وهنا تكون طبقة الصوت ودرجته أو نغمته فى غاية الأهمية سواء من الحشرة المغردة أو من الجنس الآخر لها فلابد أن يكون هناك اتفاق قدرى بينهما على تمييز النغمة وتحديد الصوت حتى لا يأتى الذكر أنثى لا يرغب فيها أو يأتى الى الأنثى ذكر تبغضه.. وهذا شكل من أشكال القدرات والكفاءات التى وهبها الله لهذه المخلوقات الضئيلة التى يحتقرها الانسان أحيانا..
كما أن من أغراض الحشرات فى إصدارها لأصواتها أيضا حين تريد ذكور حشرية غزو مواطن معيشية لذكور أخرى فتقف هذه الأخيرة لها بالمرصاد وتطلق تجاهها صيحات الانذار والتحذير.. وتقوم السيكادات بتلحين ـ وكذا صراصير الغيط ـ بنغم يحفز أفراد عشيرتها على التجمع ولم الشمل من بعد الفرقة والتشتت هنا وهناك وهذا الأمر يؤدى الى تعضيد أواصر الجماعة الحشرية ويمنع ضعفها الناجم عن تشتتها.

ونأتى الى سؤال غاية فى الأهمية ـ بل الاجابة عليه هى لب الموضوع ـ يطرح نفسه علينا هو: **كيف لهذه الكائنات الضئيلة أن تقوم بإصدار أصوات الصرصرة والقعقعة والفرقعة والطنين والأزيز والحفيف والخشخشة والسقسقة والقرع والنقر وغير ذلك من ألوان النغم أو أنماط الأصوات؟** وأنَّى لهذه المخلوقات أن تحدد درجات نغماتها وتطلق أصواتها من طبقات معينة؟ هذا ما سوف نجيب عليه بشىء من التفصيل فيما يلى:

الطنين والأزيز:

جاء فى المعجم الوجيز: طنَّ يطنُّ طنيناً وطنًّا: صوَّت ورنَّ.. يقال: طنَّ الذباب وطنَّت الأذن.. طنَّان: له صدى.. طنين: ضرب من الأصوات كصوت الناقوس والعود.. طنطن: طنَّ مرة بعد أخرى أو دندن.
تحدث الجعال والخنفساء الطنانة وخنافس الروث والنحل الطنان ونحل العسل طنينها (Humming) المعروف أثناء طيرانها باهتزاز أجنحتها كما يحدث الذباب والبعوض أزيزه بنفس الطريقة.



تقوم انواع النحل المختلفة بإصدار طنينا اثناء طيرانها حتى لقد سميت مجموعة تصنيفية منها باسم «النحل الطنان»

والأزيز (Buzzing) كما يعرفه علماء اللغة هو التحرك والاضطراب من: أز أزا وأزيزاً وأز الشيىء هزه وحركه شديداً.

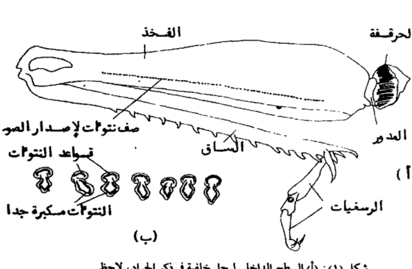
يسبب اهتزاز أو تذبذب أجنحة بعض الحشرات أثناء الطيران تذبذب الحلقات الصدرية وينشأ عن تذبذب هذه الحلقات أصوات تفوق فى قوتها الأصوات الناتجة من اهتزاز الأجنحة نفسها.. ويعتقد بعض الحشريين أن الازيز الذى يحدثه الذباب الازرق (Calliphora) (١) ينتج عن تذبذب حلقات الصدر بسبب احتكاكات قواعد الأجنحة به عند اهتزازها اثناء الطيران وكذلك فإن ملكة نحل العسل تطلق نغماتها التعبيرية نتيجة اهتزاز الصفائح الصدرية أيضا.. وفى بعض أنواع الجراد (Locusts) يعتقد أن الأجنحة ترتطم بسطح الجسم أثناء الطيران فينشأ صوت رخيم نتيجة لذلك.

أما إذا أراد الجراد الصحراوى (Schistocerca) أن يحدث صوتا قويا مسموعا فإنه يقوم أيضا بحك السطح الداخلى لفخذ الأرجل الخلفية فوق الأجنحة.

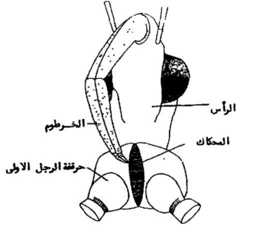
وبوجه عام يعتبر طنين نحلة العسل أو أزيز البعوض أثناء الطيران من أوضح الأمثلة على الأصوات الناشئة عن اهتزازات وتذبذبات الأجنحة.. ويتراوح عدد ضربات جناح الحشرة أثناء الطيران بين ٤ـ١١٠٠ ضربة/ثانية.. وتتوقف نغمة الطنين أو الأزيز على هذا المعدل.

(أنظر شكل (١) وشكل (٢).

ولكن الطريف أن الرعاشات (رتبة (Odonata) تحدث خشخشة جافة (Dryrustle) أثناء طيرانها وكذلك فالذباب الحوام يمكنه أن يطن ويصدر نغمه المميز حتى وان كان فى وضع استرخاء وعدم التحليق فى



شكل (١): (أ) السطح الداخلى لرجل خلفية فى ذكر الجراد، لاحظ مكان النتوءات التى تحدث احتكاكا ينتج عنه صرصرة (ب) بعض نتوءات الصرصرة بعد تكبيرها.



شكل (٢): منظر سفلى للرأس والجزء السفلى من أول عقلة صدرية فى بقة Coranus .. لاحظ الخرطوم الذى يحك طرفه فى «مبردة موجود بين حرقفتى الرجلين الأماميتين.

الهواء.. وذلك بفضل تذبذب حلقات الصدر أو اهتزاز أعضاء التوازن(٢) هذا وان كانت إناث البعوض تطن بأجنحتها طنينا تعرفه ذكورها فتأتيها لتلبى رغبتها فإن لدى هذه الحشرات وسائل إضافية توظفها فى عملية استدعاء وجذب الجنس الآخر فيها.

النقر والقرع والأصوات الارتطامية:

قرع (Knocking) الشىء: ضربه يقال: قرع

الباب: طرقه وهو بمعنى النقر، نقره ينقره نقراً: ضربه ونقر الشيء بالشيء: ضربه به.

تمتلك كثير من الحشرات غلافاً صلبا قويا يحيط بالجسم يشكل الهيكل الخارجى فيها (Exoskeleton) وهو فى الخنافس أقوى ما يكون فهذه الحشرات يظهر بأجسامها المدرعة، ويرقاتها ذات أفواه أجزاؤها كبيرة جدا وصلبة القوام لتسهيل عملية قضم الأخشاب والألياف النباتية.

■ تقوم خنافس الخشب (مثل Anobium £ Xestobium) بإحداث قرعها ونقرها (Tapping and Snapping) المُمَيَّزَيْن فى أنفاقها التى تحفر بداخلها وتحدث هذه الأصوات فى شهرى أبريل ومايو أثناء موسم التزاوج حيث ترتطم رؤوس الحشرات اليافعة بأرضيات الأنفاق المحفورة فى الأخشاب القديمة وغيرها من المصنوعات الخشبية.

من هذه الأصوات الارتطامية (Impact sounds) أيضا ما تحدثه «عساكر» النمل الأبيض (القرضة)(٣) من قرع يشبه قرع الطبول المتناغم لاسيما حينما يحدق بها خطر محيق وتستخدم فى هذه المهمة التحذيرية رؤوسها الصلبة وفكوكها القوية التى تعمل فى هذه الحالة كآلات صوتية للنقر بمعدل ١٠ دقات/ ثانية. ومن الطريف أن عاملات (أى الشغالات) النمل الأبيض فى أعشاشها لا يمكنها سماع هذه الأصوات الارتطامية وانما تشعر بها بسبب تسرب ذبذباتها وانتشارها عبر الألياف الخشبية التى يحفرون فيها.

■ تقوم إناث قمل الكتب (من رتبة Psocoptera) بإحداث قرع مميز وذلك بدق الأسطح التى تعيش فيها أو عليها بواسطة نتوءات خاصة موجودة على السطح السفلى لحلقات البطن الخلفية.. وهى إذ تقوم بهذا القرع فإنها تنادى على ذكورها بغرض التزاوج.. وتصل هذه العملية درجة أكثر تخصصا فى فى حشرات رتبة مطبقة الأجنحة (Pleco-ptera) حيث توجد أعضاء خاصة بالنقر والدق على السطح السفلى للحلقة البطنية التاسعة فى الجسم واذا كانت بعض الحشرات مستقيمة الأجنحة تقوم بمثل هذا العمل الصوتى فإن منها ما يستخدم رسغيات أرجله فى قرع الأسطح التى تعيش عليها.

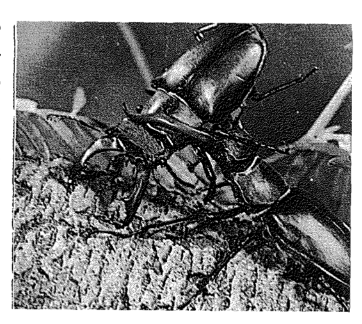
الحفيف أو الخشخشة:

يقول أهل اللغة عن الحفيف أنه صوت يشبه الصوت الناشىء من طيران الطائر أو الرمية أو التهاب النار ونحو ذلك.. حف يحف حفيفاً.. حفحف وحف الجُعْلُ يعنى طار وحفيفه صوت جناحيه وحفيف الريح صوتها فى كل ما مرت به.

أما الخشخشة (فهى الصوت المنبعث من احتكاك أدوات الحرب التى يرتديها الجندى حين خروجه للقتال.. أو هى أصوات حركة أعواد الحصاد اليابسة.. أو هى الصوت الحادث من حركة الثوب الجديد اذا تحرك ببعضه وهى هنا بمعنى الشنشنة.

■ تقوم النطاطات (Grasshoppers)(٤) كبيرة الحجم بإصدار مثل هذه الأصوات أثناء طيرانها وهى الأصوات المشابهة لحريق حيث يشب فى نباتات جافة.. كما تقوم يرقات بعض الحشرات حرشفية الأجنحة بإطلاق مثل هذه الأصوات نتيجة احتكاك شوكتين موجودتين على الحلقة البطنية العاشرةبأسطح أوراق النباتات التى تتغذى عليها..

وكذلك فالأصوات التى تحدثها يرقات الدبور الأ[illegible] (Vespa crabra) تنشأ عن تمشية أجزاء الفم عا[illegible] جدران عيون العش الذى تتربى فيه.

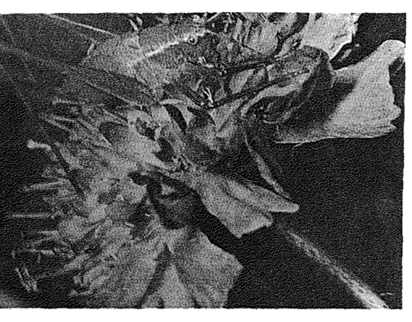


هذان الجُعلان المتشاكسان يُصدِران أصوات ارتطامية بفكوكهما نتيجة اصطدامات الفكوك والرؤوس بأسطح الأخشاب التي يتجوّلان عليها، كما تصدر طنينا عندما تطير في الهواء

الفرقعة:

في اللغة: فرقعة الأصابع غمزها حتى يسمع لمفاصلها صوت، والمصدر الافرنقاع.. والفرقعة: الصوت بين شيئين يضربان.. والصرقعة والفرقعة بمعنى واحد.

ولعل صوت الفرقعة (Clicking) يسمع كثيرا من خنافس تدعى فرقع لوز (Click beetle) (*)وهذه حشرات طويلة أنيقة المظهر وفي حركتها تسلية لمن يشاهدها فإذا لمس الانسان احدها فإن أرجلها تلتف حول جسمها فتسقط على الأرض كما لو كانت قد أطلق عليها رصاص وتظل مستقرة على ظهرها ساكنة فوق الأرض حتى ليخيل اليك أنها قد فارقت الحياة ولكنك فجأة تراها في حركة وثب سريع قاذفة بنفسها في الهواء مبتعدة عنك بمسافة تصل عدة بوصات محدثة فرقعة مميزة (ومنها أخذت تسميتها) واذا فحصنا هذه الخنفسة بشيء من الدقة والدراسة عرفنا مكمن قدرتها على إصدارها هذه الفرقعة المميزة حيث توجد شوكة أسفل الحلقة الصدرية الأولى متجهة للخلف ومشبوكة في مقبض ومستقرة في تجويف موجود في الحلقة الصدرية الثانية وطالما هذه الشوكة مقبوض عليها في هذا التجويف فإن الحشرة تظل في وضع استقرار على سطح الأرض ولكن اذا انسحبت الشوكة من التجويف انزلقت من مقبضها فيتسبب ذلك في ارتطام غمدى الجسم (جناحيه الأماميين) بسطح الأرض وبذا تنهض في حركة وثب واسعة.. ومن الظريف أن هذه الحشرة لا يمكنها تصحيح وضعها على سطح الأرض طالما هي منقلبة على ظهرها ولكن فقط تستطيع الوثب كما أوضحناه.



تقوم النطاطات (وكذلك الجراد) بإصدار خشخشتها أثناء أكلها النباتات

الصرصرة:

صرصر الطائر: صوّت.. يقال: صرّ العصفور يصرٍّ إذا صاح وصر الجندب يصر صريراً وصر الباب يصر وكل صوت يشبه ذلك فهو صرير اذا امتد فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف كقولك صرصر الأخطب صرصرة كأنهم قدروا في صوت

الجندب المد . . قال ابن السكيت: صر المَحْمِل يصر صريراً والصقر يصرصر صرصرة وصرت أذنى صريرا اذا سمعت لها دويا والصرصر: دويبة تحت الأرض تصر أيام الربيع وصرّار الليل: الجُدْجُدُ وهو أكبر من الجنـدب وبعض العـرب يسميـه الصـدى جاء فى المعجم الوجيز: صرصر: صاح بصوت شديد متقطع.

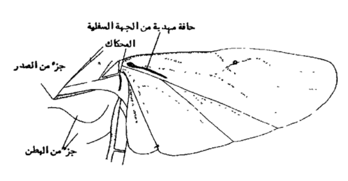
حينما يستعمـل المتخصصـون فى دراسـة وبحـوث الحشرات مصطلح «الصرصرة (Stridulation) فإنهم يقـصـدون به ما ينبعث من أصـوات ناتجـة عن احتكاكات جزئين صلبين ببعضهما فى جسم الحشرة تصـدر الصـرصـرة من حشـرات كثيرة كالنطاطات والجراد وصراصير الغيط والجنادب وبعض الخنافس وكلها أصوات نغماتها الموسيقية المتباينة تقع فى شكل إيقـاعـات غريبـة وطـريفة . . يحدث هذا وتقوم به الحشرات المذكورة بصفة دورية منذ بزوغ فجر كل يوم الى غسقه ثم من الغسق حتى بزوغ فجر اليوم التالى وهكذا.

تتوقف طبقـة الصـوت فى الصـرصـرة المنبعثـة من صراصير الغيط على ما يسمى «**ثابت الدوام Time constant**» ويعـرف ثابت الـدوام هذا بأنـه الزمن المستغرق لاعادة غشاء أو شعرة ما الى وضعها المعتاد بعد ارتطام إحدى الموجات الهوائية أو الصوتية بها.

وتفصيل القول فى ثابت الدوام مناسبته هناك عند الحديث عن الحاسة السمعية فى الحشرات وكفاءاتها التى تفوق أذن الانسان بكثير وهو الأمر الذى يحتاج منا مقالا خاصا نعد بكتابته إن شاء الله . . كما تتوقف درجـة الصـوت الصرصرى أيضا على أشياء سوف تتضح فى التفصيلات اللاحقة.

يمكن إيجـاز الميكـانيكيـة التى تحدث بها الحشرات صرصـرتها فى حدوث احتكاك بين جزئين فى جسم الحشـرة أحـدهما على شكـل تضاريس أو بروزات ويسمى «المبرد» File ويعمل كسطح احتكاك والآخر عبارة عن حافة (Ridge) جناح أو حلقة من حلقات الجسم أو حتى بروز يسمى «المحكاك Scraper» عند مرور المحكاك على سطح الاحتكاك تنتج اهتزازات معينة فى سطح الجسم فيصدر منها صوت . . وتتوقف طبقـة الصوت الصادر بهذه الميكانيكية على شيئين أحدهما حجم الفراغات الواقعة بين نتوءات «المبرد» وبعضها والآخر هو سرعة جر المحكاك على سطح الاحتكاك . . أما عن موقع كلا من الجزئين المحتكين فى جسم الحشرة فإنه يختلف باختلاف أنواع الحشرات ذات الأصـوات فمثـلا فى ذباب الفاكهة من جنس Dacus عند اهتزاز الجناحين تحتك منطقتاهما الزندية الشـرجيـة (Cubito-anal) بخطـين من الأشـواك الطويلة الموجودة على كلا جانبى السطح العلوى فى الحلقة البطنية الثالثة. (أنظر شكل (٣))

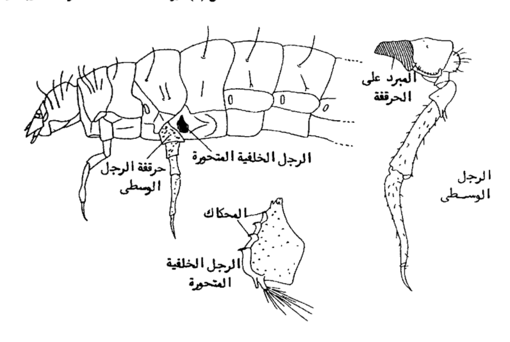
شكـل (٣): الجناح وجزء من صدر وبطن حشرة Kleidocerys spp ، منظر علوى يبين جهاز الصرصرة.



يقوم النطـاط ذو القـرون القصـيرة بحـك السطح الـداخلى لكـل من الفخذين الخلفيين حيث يوجد صف من أوتاد Pegs» دقيقة ضد عرق متغلظ بالجناح الأمـامى المتاخم وهو مغلق . . وفى صراصير الغيط

يحوى كل جناح من الجناحين الأماميين على مبرد ومحكاك ويحدث الصوت باشتغال مبرد أحدهما ضد محكاك الآخر ويعجب الانسان حين يعلم أن هذا الصرصور الضئيل الحجم يمكنه القيام بعملية تضخيم لصوته حتى يخرج رخيما كما لو مر عبر جهاز استريو إلا أن الجهاز هنا فى غاية البساطة فما هو الا مساحة متخصصة موجودة على الجناح الامامى فى الحشرة. . واذا كان صرصور الغيط يصرصر بواسطة جناحيه الأماميين كل منهما يصدر نغمة ليصبح الصوت الناتج هو محصلتهما فإن النطاط ذا القرون الطويلة لا يصدر صوته إلا بحك مبرد أحد الجناحين الأماميين بمحكاك الجناح الأمامى الآخر فقط.

أما الخنافس المغردة فإنها تملك باقة رائعة من الأنغام ويصل التخصص فى هذه الحشرات أقصى مداه حينما نعلم أن يرقات فصيلة (Passalidae) مثلا قد تجهز فيها عضو متخصص فى الصرصرة المنغمة ويقع فى الزوج الثالث من الأرجل ومن المعلوم أن هذه اليرقات تعيش طوال حياتها فى أنفاقها بالأخشاب.
(انظر شكل (٤))



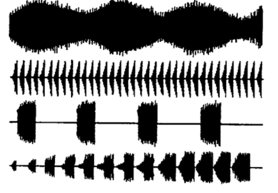
شكل (٤): يرقة خنفساء Passalus مُوضّحاً عليها جهاز إصدار الصرصرة.

تحليل النغمات الصوتية فى الحشرات:

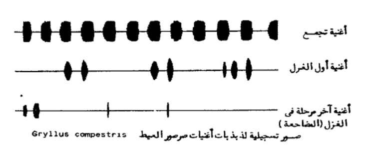
بالتحليل الطيفى للأصوات الصادرة من احتكاك أجزاء جسم الحشرات ببعضها وجد أن أغنية أحد الخفارات (Gryllotalpa) تتكون من نغمة موسيقية خالصة واحدة تتراوح الذبذبة الصوتية فيها ما بين ٣٥٠٠ـ٤٥٠٠ ذبذبة/ ثانية. . إلا أنه فى غالبية الانواع الحشرية وُجدَتْ نُطُقٌ متضاعفة لمساحات متباينة فى كل من الترددات الصوتية المسموعة وكذا المدى فوق المسموع (Ultra-sonic range) فمثلا تقوم حشرة (Decticus) بإصدار أصوات فوق مستوى السمع البشرى حيث يرتفع ترددها ليصل الى ١٠٠٠٠٠ ذبذبة/ ثانية كما أن الجلبة الحادثة من صرصرة الجراد الصحراوى تحتل المدى الترددى ٥٠٠٠ـ١٦٠٠٠ ذبذبة/ ثانية. (انظر شكل (٥)

فى أغانى بعض أنواع صرصير الغيط (كصرصور الاشجار (Oecanthus) مثلا وجد أن كل رعشة صوتية (Trill) تنتج من ١٠ـ١٢٠ هتزازة أو ضربة جناح/ ثانية إلا أن الموجة الصوتية العامة الناتجة سجلت ذبذبتها فوجدت ٢٠٠٠ـ٣٠٠٠/ ثانية.

الصورة الذبذبية (Oscillogram) للصوت الصادر من إحدى يرقات بقة Coranus · التسجيل الصوتى تم خلال ٠,٧ ثانية ·



صور تسجيلية لذبذبات أغانى أربعة من النطاطات الانجليزية · كل تسجيل تم فى ٣ ثوان فقط ·



شكل (٥): صور تسجيلية لذبذبات أغانى بعض الحشرات.

تأثر الصرصرة بالظروف المناخية:

لقد وجد أن درجة الحرارة لها تأثير كبير على سرعة الصرصرة فى صراصير الغيط مثلا وتزداد كلما ارتفعت درجة الحرارة. . وعلى هذا الأمر أجرى بعض الباحثين تجارب خرجوا منها باقتراح فى صورة معادلة رياضية هى:

$$\text{درجة حرارة الجو} = ٥٠ + \frac{\text{ن} - ٤٠}{٤}$$

حيث «ن» هى سرعة الصرصرة فى الدقيقة. . ومعلومية أحد المجهولين فى هذه المعادلة يمكن حساب المجهول الآخر.

القعقعة:

يقول أهل اللغة: تقعقع الشىء أى اضطرب وتحرك وقعقعت القارورة وزعزعتها إذا أردت نزع صمامها من رأسها.

من أشهر الحشرات التى تقعقع الحفارات وتسمى أحيانا «**كلب البحر**» وكذلك السيكادات(٦) فعن نغم الحفار أبدى جلبرت وايت ملاحظته بأن (بانتهاء النهار تبدأ هذه الحشرات فى تسلية نفسها بإحداث نغمة كالقعقعة المنخفضة تستمر لوقت طويل بدون انقطاع وهى تشبه الى حد ما نعيق البوم).

أما السيكادات فتملك أعضاء راقية متخصصة فى إصدار النغمات القعقعية. . وقبل أن نترسل فى هذه المسألة نلفت النظر الى أن هناك طرافة وغرابة فى تاريخ حياة هذه الحشرات فالأطوار غير اليافعة منها تمكث تحت سطح الأرض حوالى ٢-٥ سنوات تعيش على امتصاص العصارة النباتية من الجذور العصيرية الممتدة فى هذه المناطق الأرضية. . ثم ان السيكادات الدورية (periodical Cicadas) تضم ستة أنواع مختلفة قد يمتد عمر الطور اليافع فى بعضها الى نحو ١٣-١٧ سنة.

توصف الاناث فى أغلب أنواع هذه السكادات بأنها صامتة بيد أن ذكورها هى المسئولة عن موسيقى السيكادا المعروفة. . تصدر هذه الأصوات الموسيقية بواسطة زوج من الطبول (Drums or Tympals) يقعان فى منطقة البطن وتتغطى كل طبلة بصفيحة (Operculum) غشائية مرنة سطحها الخارجى محد ب (Convex) أما سطحها الداخلى فمقعر (Concave) وتتصل به عضلة منقبضة كلما انقبضت شدت معها غشاء الطبلة الى الداخل فإذا انبسطت تركته ليه د

ينتج عن قيام بعض افراد النمل باسطح المعيشة وحمل أجزاء اوراق النبات ومحتويات البيئة المختلفة، أصوات خاصة تعد «قرعا» او «نقرا».



تصدر النطاطات والجراد خشخشة مميزة لها اثناء اكلها النباتات.



الى وضعه المعتاد وهنا يحدث الصوت الذى يشبه صوت صفيحة مرنة مستديرة محدبة تضغط عليها بأصبعك فيحدث صوت معين ثم تتركها فترجع الى حالتها الأولى ويحدث إذ ذاك صوت أيضا.

تتكون نغمة السيكادات من سلسلة ذبذبات متضائلة يبلغ ترددها الرئيسى حوالى ٤٥٠٠ ذبذبة/ ثانية وتتحدد النغمة بواسطة الفترة الزمنية المنحصرة بين اهتزاز الطبلتين اليمنى واليسرى . . وقد أمكن تسجيل عدد الذبذبات وهو يتراوح بين ١٢٠-٤٨٠ ذبذبة/ ثانية . . بالاضافة الى قيام هاتين الطبلتين بإصدار قعقعتها فانها تعمل كأعضاء سمع راقية فهى تستقبل المؤثرات الصوتية ذات التردد ٣٩٠ ذبذبة/ ثانية.

بجانب السيكادا فى امتلاكها لأعضاء الصوت المتطورة فإن هناك حشرات يافعة من رتبة حرشفيات الأجنحة وجد فيها هينتون (١٩٤٨م) صفيحة غشائية فى السطح السفلى للحلقة الثالثة تسمى «المرايا» تقوم مقام غشاء الطبلة فى السيكادا ويوجد داخل هذه الصفيحة تجويف كبير نوعا يضيق ويتسع بسبب انقباض وانفراج عضلات الطيران العمومية الواصلة بين حافتى الجهة العلوية من الصدر ومن ثم فهذه الأصوات تحدث فقط أثناء الطيران بعكس ما يجرى فى السيكادا. (انظر شكل (٥))

الأصوات الحشرية ذات الطبقة العالية:

أغلب هذه الأصوات تصدر بآليات غير مفهومة جيدا وتحتاج دراسات وبحوث حتى تتضح بجلاء وانما نسوق عجالة عنها للتعريف بها.

فى الفراشات: (٧) يحدث الصوت فى الحشرات اليافعة لبعض أنواع الفراشات نتيجة خروج أو



تقوم الفراشات وابو دقيق بإصدار نغمات مميزة لها اثناء الطيران.

دخول الهواء الى جسم الحشرة ففى فراشة السمسم (Acherontia) ينشأ الصوت من البلعوم بمساعدة عضلاته التى تربطه بكابسولة الرأس حيث يعمل البلعوم وقت خلوه من الغذاء كمضخة تمتص أو تطرد الهواء خلال الخرطوم ويصاحب امتصاص أو طرد الهواء هذا حدوث صوت واضح . (انظر شكل (٥)

فى الذباب : يعتقد أن الصوت ينشأ عن اهتزازات مجموعة من الصفائح تقع داخل القصبة الهوائية خلف فتحات بعض الثغور التنفسية وتحدث هذه الاهتزازات نتيجة مرور الهواء عند تنفس الحشرة .

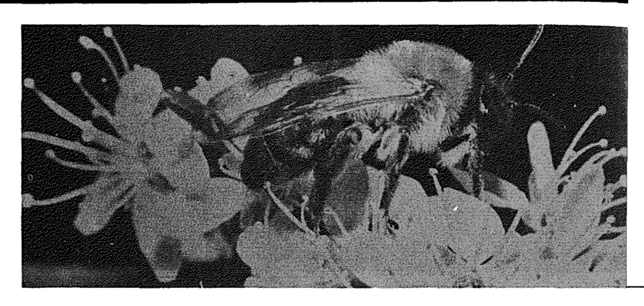
فى النحل : (٨) قام (Snodgrass) (١٩٢٥م) ومن بعده Woods (١٩٥٦-١٩٥٧م) بدراسة هذه الأصوات فى نحل العسل خصوصا الملكة (اليعسوب) أثناء طيران زفافها أو حتى حركتها داخل الخلية فكانت النتيجة النهائية لهذه البحوث أن الأصوات تنشأ من اهتزاز الأجنحة بدرجة معينة تؤدى الى انفتاح الثغور التنفسية التى يخرج منها تيار هوائى محدثا صوتا يندمج مع صوت ذبذبات الأجنحة نفسها فيكون الصوت المسموع محصلة هذين الصوتين .

فى الخنافس : الخنافس المدفعية (Bombardier beetles) هى خنافس سوداء اشتق اسمها من الانفجار الصوتى المرعب الذى يصاحبه اطلاق إفراز كيماوى دفاعى وذلك عند تعرض هذه الخنافس لوقوع ضرر لها أو حتى شعورها بمقدم خطر فى البيئة المحيطة بها عندئذ تقف الخنفساء رافعة قمة بطنها وتديره هنا وهناك وكأنها تصوب فوهة مدفع تجاه عدوها وبعد ضبط زاوية الوقوف وتحديد الموقع بالضبط تطلق هذه الخنفساء طلقة كيماوية يصاحبها صوت انفجار مدوى. انظر شكل (٥)



أصوات صرصرة الحشرات تبعث فى مخيلة الشعراء ابهى صور الشعر

ولقد جذب هذا السلوك انتباه العلماء فراحوا يبحثون فى أسراره حتى توصلوا الى التعرف على جهاز القذف المدفعى . . فوجدوه يتركب من خزان لتخزين مواد كيماوية هيدروكينونات وفوق أكسيد الهيدروجين بعد إفراز هذه المواد تدفع الى الخلف حتى يختلط بها إنزيم مساعد فإذا تفاعلت هذه المواد فى حضور هذا الانزيم تحرر غاز الأكسجين بشكل مفاجىء ليأخذ منظر سحابة مدفوعة تجاه العدو وتتكون هذه السحابة من الكينون والماء .



تقوم افراد النحل بأنواعه المختلفة بإصدار طيناً معيناً أثناء الطيران أو حتى أثناء اهتزاز الاجنحة وهى تحط على زهرة من الازهار.



اذا كان أفراد النمل غير المجنح يصدر عنه صوت خاص (قرع أو نقر) نتيجة ارتطام رؤوسه بسطح المعيشة، فإن الافراد المجنحة يصدر عنها صوت آخر أثناء الطيران هو (الأزيز).

الهوامش

(١) الذباب جميعه من رتبة الحشرات ثنائية الاجنحة (Diptera)

(٢) أعضاء التوازن عبارة عن الزوج الخلفى من الأجنحة وهى تشبه العقدة فى الشكل وتعمل على حفظ توازن الحشرة أثناء الطيران.

(٣) وهى من رتبة الحشرات متساوية الأجنحة (Isoptera)

(٤) النطاطات والجراد والجنادب والحفارات من رتبة الحشرات مستقيمة الأجنحة (Orthoptera)

(٥) إحدى خنافس رتبة الحشرات غمدية الأجنحة (Coleoptera)

(٦) وهى من رتبة الحشرات متجانسة الاجنحة (Homoptera)

(٧) جميع الفراشات وأبى دقيق من رتبة الحشرات حرشفية الأجنحة (Lepidoptera)

(٨) النحل والنمل والزنابير من رتبة الحشرات غشائية الأجنحة (Hymenoptera)

المراجع

● الصواف وآخرون (د. صالح كامل.. د. زعزوع.. د. حماد.. د. دنيا) مبادىء علم الحشرات.

● عزب د. أحمد كامل: علم الحشرات

● غنيم د. كارم السيد: احتماء الحشرات من الاخطار وتوقيها مختلف الاضرار مجلة (منبر الاسلام) بمصر.

● من عجائب الخلق: الدفاع الكيميائى فى الحشرات - مجلة الازهر بمصر

● مجمع اللغة العربية (القاهرة) المعجم الوجيز

● المصرى (ابن منظور) لسان العرب ط١ دار المعارف بمصر



عن المنحى العقلى فى الاسلام ـ ودور الرخاء الاقتصادى كدعامة للعلوم كان الجزء الأول من هذا البحث العلمى التاريخى الممتع . . وعن بدايات علوم الطب والكيمياء والفلك والحساب نتابع حديث د. الدمرداش فى هذه الحلقة . .

جرعة أولى من علوم الأوائل

يحدثنا المسعودى فى كتابه «فنون المعارف وما جرى فى الدهور السوالف» عن كيفية انتقال العلم اليونانى المصرى من الاسكندرية الى انطاكية حفاظا عليه من الضياع . . والانتقال كان عن طريق مابقى من مكتبتها الشهيرة وفيها ذخيرة من علوم الطب والهندسيات والرياضيات والفلكيات. ومن انطاكية كان النقل الى حران وهى مدينة الصابئة امثال ثابت بن قره والبتانى واخيرا استقرت هذه العلوم فى بغداد . . كان النقل الاول الى انطاكية بأمر من عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى.

وتحت ضغط التحديثات من رواسب الحضارات السالفة ثم الشعور بمركب النقص ابتدأت الخيوط الاولى لاقتباس هذه العلوم. يقول ابن خلدون فى مقدمته :

«فبعث أبو جعفر المنصور الى ملك الروم ان يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب إقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقى منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له فى العلم رغبة بما كان ينتحله المشتغلون بهذه العلوم فأوفد الرسل الى ملوك الروم لاستخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربى» .

ولم يجد خلفاء بنى أمية او العباسيين اية غضاضة من انتشار علوم الاوائل بين العرب الذين اقبلوا عليها برحابة صدورهم فى المعرفة نابذين كل ما لا يواكب اصول الدين الحنيف مُؤْثِرين كل ما يقبله الفكر العلمى الاسلامى.

وعلى النقيض من ذلك نجد الكنيسة فى عصر النهضة بايطاليا تحرم تداول العلوم الاسلامية التى وصلت لديها من كتب ومؤلفات ابن رشد بعد ترجمتها باللاتينية فى اسبانيا . . واعتبر مذهب ابن رشد نموذجا للالحاد وقرر مجمع «لاتران» الكنسى لعنة ابن رشد واتباعه بل واعتبروا هذه اللعنة نوعا من العبادة والقربى الى الله.

ومن جهة اخرى اقدمت الكنيسة على حرق الـالم القس «جيوردانو برونو» فى احد ميادين روما حـ تجرأ واعتنق مذهب الجوهر الفرد كما يراه علماء الكـ من المعتزلة والاشاعرة . .



فرق شاسع بين رحابة صدر الفكر العلمى لعربى وبين تزمت الفكر اللاهوتى الكنسى فى روما سنحاول هنا جاهدين تتبع المشارب الرئيسية لهذه لعلوم من مختلف المصادر التى لم ينكرها العلماء العرب عند النقل او الشرح او التعليق مؤثرين او متشككين:

فى العلوم الطبية تركزت الينابيع الاولى فيما خلفه ابو قراط سابع الاطباء المشهورين من اليونان وفيما خلفه الفاضل «جالينوس» الذى تعلم الطب فى جامعة الاسكندرية القديمة فى القرن الثانى الميلادى.

ويقول الشيرازى:

«لما ظهر جالينوس كانت صناعة الطب قد اندرست ومحيت محاسنها وخفى أكثرها فأحياها بعد موتها» واشتهرت مؤلفات جالينوس بعد ترجمتها الى العربية فى القرن التاسع الميلادى وبقيت الترجمة العربية أما الأصل اليونانى فمعظمه مفقود.

واشتهرت مؤلفات جالينوس عند الاطباء العرب بل كانت المرجع الاساسى عند أبى بكر الرازى وابن سينا وابن النفيس وغيرهم.

أما مفردات الادوية فقد نقلها الى اللسان السريانى دويدرس البابلى ثم جاء بعده اسحاق بن حنين فعرب اليونانيات والسريانيات وأضاف اليها مصطلح الاقباط لانه - كما يقول الانطاكى - اخذ العلم عن حكماء مصر وانطاكية.. ثم انتقلت صناعة الادوية والطب الى الاسلام وأول من وضع فيها الكتب الامام محمد بن زكريا الرازى الذى صنف الحاوى فى الطب (وكان مرجعا لاوربا حتى القرن السابع عشر الميلادى) ثم ابن سينا الذى وضع الكتاب الثانى من القانون ثم تعاقب المصنفون على اختلاف احوالهم فمن المصنفات مفردات ابن الأشعث وأبى حنيفة والشريف وابن الجزار والصائغ وجرجس بن يوحنا وامين الدولة وابن التلميذ وابن البيطار وهو عشاب من ما لقا (الاندلس).

اما مصادر علم الكيمياء او الصنعة كما يقولون فكانت ثلاثة:

١ - فارسية ورائدها الحكيم جاماسف او حاماسب كما يشير اليه ابن النديم والطغرانى الكيمياوى الكردى.

٢ - مصرية قبطية فى العصر اليونانى ونخص بالذكر من روادها من يأتى:

(أ) زوسيموس ويشير اليه الطغرانى فى كتابه «ذات الفوائد»والرازى فى كتابه «سر الاسرار» وهو من بلدة اخيم من صعيد مصر بمحافظة سوهاج التى ازدهرت مدرستها فى القرن الرابع الميلادى.

(ب) مارية القبطية ويذكرها الرازى وابن النديم وعدها الطغرانى من مشاهير الحكماء من أرباب التصانيف فى الصنعة الحكمية وذكرها النويهى فى «نهاية الارب».

(ج) بليناس ذكره جابر بن حيان فى كتابه «الاحجار على رأى بليناس» وذكره التيغاشى فى كتابه عن الجواهر والاحجار الكريمة.

واما مصادر علم الهيئة (الفلك) فكانت اثنين:

[١] اسكندرانية ورائدها بطليموس القلوذى مؤلف موسوعة المجسطى فى الرياضيات والفلك كانت عونا للأزياج المختلفة بل كانت عونا كبيرا لكتاب حركات الأكر السماوية لنيقولا كوبرنيق فى بدء عصر النهضة الاوربية وأول من أمر ترجمته من اليونانية الى العربية هارون الرشيد (٨٠٠م).

[٢] هندية تنبع من ثلاث مدارس فكرية هى مدرسة السند هند ومدرسة لارجهيز ومدرسة اركند.

وقد امر المنصور بترجمة كتاب السند هند الى العربية وأن يُؤلَّف منه كتاب تتخذه العرب اصلا فى حركات الكواكب فتولى ذلك محمد بن ابراهيم الفزارى وعمل منه كتابا يسميه المنجمون السند هند الكبير.

وقام منجم الخلافة فى عهد المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ) محمد بن موسى الخوارزمى بتأسيس نظام مستقل لعلم الهيئة العربى (منهج السند هند) مقتبس من علم الهيئة الاسكندرانى «المجسطى».

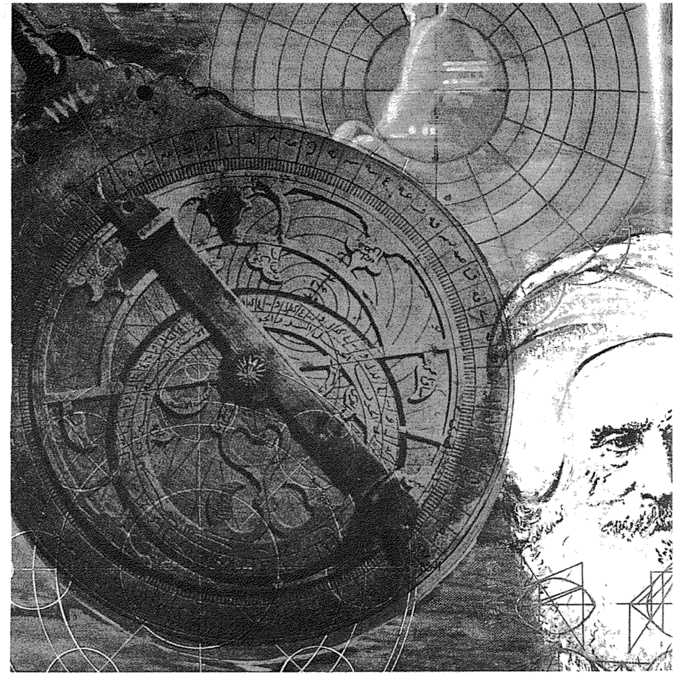
. ويرتبط علم الحساب وعلم الهيئة بأوشاج وثيقة الصلة لذلك انتقل فى القرن الثانى الهجرى علم الحساب الهندى مع علم الهيئة الهندى الى العرب الذين كانوا يعرفونه «بالحساب الهندى» وخلد اسم محمد بن موسى الخوارزمى من بين المؤلفين الذين تركوا مؤلفاتهم فى علم الحساب الهندى أبد الدهر برغم ان النسخة العربية قد فقدت وبقيت الترجمة اللاتينية التى صاغها «ايدى لورد آف بات».

والعالم العربى الثانى الذى نبغ فى «الحساب الهندى»هو الفيلسوف الشهير «يعقوب بن اسحاق الكندى» الذى ألف فيه كتابا احتوى على أربع مقالات ثم تلاه ابو حنيفة الدينورى الذى كان يحيط بعلم الهيئة والرياضيات مع حذقه لعلوم اللغات.. ويذكر ابن النديم من بين مؤلفاته كتابا فى علم الحساب الهندى بعنوان «كتاب البحث فى حساب الهند».

والمؤلف الرابع هو كوشيار بن ليان الجيلى كان من علماء الهيئة فى القرن الرابع الهجرى وله كتاب فى اصول حساب الهند فى جامع اياصوفيا باستنبول نسخة منه.

والمؤلف الخامس المشهور الذى ألف فى علم الحساب الهندى هو الرياضى العربى «احمد النسوى» كان فلكيا وعالما بالرياضيات لدى حكومة مجد الدولة الديلمى وله مؤلف فى علم الحساب اسمه «المقنع فى الحساب الهندى» فى مكتبة ليدن نسخة واحدة منه.

وفى بدء القرن الخامس الهجرى برزت الدولة الغزنوية واحتلت الاقليم الشمالى الغربى للهند واشتهر حكامها برعاية علم النجوم والهيئة وعلم الحساب الهندى واصبح للعالم الكبير «أبو الريحان البيرونى» منزلة رفيعة فى المقام الاول وخلدت مؤلفاته فى الفلكيات والرياضيات وعلوم الهند على مر الزمان ويكفيه فخراً كتاب «القانون المسعودى» و «فى تحقيق ما للهند من مقولة».



وعن الهنـد اخذ العرب الارقام الهندية والدائرة كرمـز للصفر اثبت ذلك المسعودى فى كتابه «مروج الذهب» والبيرونى فى كتابه الثانى السابق ذكره.

ويأتى بعد ذلك علم حساب المثلثات:

مصادره اغريقية من **«المجسطى»** لبطليموس القلوذى وهندية وبابلية يحدثنا أبو الريحان البيرونى فى مقدمة المقالة الثالثة من القانون المسعودى بلفظه: **«ان هذه الصناعة اذا اريد اخراجها الى الفعل بمزاولة الحساب فيها والاعداد المفتقرة الى معرفة اوتار رقمى الدوائر، ولذلك سمى اهلها كتبها العملية زيجات من الزيق الذى هو بالفارسية الوتر وسموا انصاف الاوتار جيوبا وان كان اسم الوتر بالهندية جيبا ونصفه جيبارد ولكن الهند لم تستعمل غير انصاف الاوتـار، اوقعت اسم الكل على النصف تخفيفا فى اللفظ»**:

ومن كتاب المجسطى عرف العرب وتر ضعف الزاوية كمقياس لها وقد استحسنوا التسمية الهندية ووجدوا اللفـظ العربى **«الجيب»** قريبا من اللفظ السنكريتى **«جيفـا»** وهو يؤدى المعنى من بعيد اذ الجيب معناه فتحـة الجلباب وهى زاوية فأطلقوا على نصف وتر ضعف الـزاوية اسم الجيب وقد نقل لفظ «الجيب» الـى اوربـا عن طريـق كتـاب **«الـبـتـانى»** **(٨٥٠ - ٩٢٩م)** العالم الفلكى الشهير الذى قال عنه لالاند «من العشرين فلكيا المشهورين فى العالم كله».

وسبق لى أن القيت بحثا فى المؤتمر العلمى الرابع عشر الذى عقد فى دمشق عام ١٩٧٤م بمناسبة الذكرى الالفية لابى الريحان البيرونى بحثا مقارنا بين تراث المجسطى وتراث الهنادكة فى علم حساب المثلثات وبين الابتكارات السامقة التى سجلها البيرونى فى هذا العلم فى كتاب القانون المسعودى موضحة الحلقة التى تربط بينهما متوسطة وهى كتاب الزيج الصابىء للبتاتى.

وقام بترجمة المجسطى الحجاج بن يوسف بن مطر واسحق بن حنين وثابت بن قرة واخيرا ابن الهيثم والطوسى.. كما قام بشرح مفرداته الفرغانى وابن الهيثم والبوزجانى والشيرازى (القرن الثانى عشر) وابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨م).

نجد فى المقالة **الاولى والثانية** بحوثا تمهيدية فى حساب المثلثات ثم وصفا لحركات الاجرام السماوية حول الارض باعتبارها مركز الكون ثم بيان الاماكن المأهولة على سطح الارض واختلاف طول النهار فيها ثم جداول بالزوايا والاقواس التى تنشأ من تقاطع مدار الشمس مع دائرتى السمت والافق وهى الجداول التى استعاض عنها العرب بجداول الجيوب.

والمقالة الثالثة تبحث عن الشمس وحركتها.. **والرابعة** عن القمر وحركته.. **والخامسة** فى الاسطرلاب ثم تعيين بعدى الشمس والقمر وجرميهما والسادسة فى اقتراناتهما وكسوفاتهما.

والسابعة والثامنة فى النجوم الثوابت ومواقعها وفيها ثبت يضم ١٠٢٢ نجما يلى ذلك وصف المجرة.. اما باقى المقالات فتبحث فى الكواكب السيارة **«المتحيرة»** وحركاتها.

ولولا ارصاد المجسطى وارصاد البتانى وارصاد البيرونى ما كان لكبلر ولا لنيقولا كوبرنيق ولا لاسحاق نيوتن ان يقدموا للتراث الانسانى ما قدموه من قوانين فى الجاذبية واكتشافات كونية.. إنها ارصاد اخذت من الجهد البشرى آلافا من السنين..

ومن التراث البابلى استرعى انتباهى عندما كنت فى بغداد نص هندسى فى المتحف العراقى باللغة السومرية مسجل فوق لوح من الطين المحروق وقد عثروا عليه فى تل حرمل بالقرب من بغداد الجديدة ويرجع تاريخه الى عصر حمورابى عام ١٨٠٠ ق.م ترجمه خبراء المتحف من السومرية الى العربية بدون تحقيق، واتضح لى أن البابليين كانوا على علم بظل تمام الزاوية أى (ظتا الزاوية) واثبت ذلك فى مجلة رسالة العلم فى ذلك الوقت.

ومن التراث البابلى القديم ايضا عرف العرب النظام الستينى فى الحساب ثم عرفوا ارقام الجمل من التراث الهلينى بعد ان وضعوها فى قالب عربى ثم استخدموه بعد ذلك فى حساب المنجمين فنجد ان ارقام الاعداد على ترتيب حروف **ابجد هوز حطى كلمن سعفص.. الخ وهى ثمانية وعشرون حرفا تسعة آحاد وتسعة مئات وواحد الف.**

وتختلف ارقام الجُمَل والارقام الهندية فى انها تكتب بالمعكوس اذ تكون آحادها على اليسار وعشراتها على اليمين فمثلا العدد ٢٢ بالارقام الهندية نجد تعبيره بحساب الجمل كب لأن ك = ٢٠، ب =٢ فالاحاد على اليسار فى كب والعشرات ٢٠ على اليمين.

وفى العصر الهلينى استخدم الرياضيون كسورا ستينية كما نرى ذلك عند بطليموس وثيون السكندرى

كما نراه فى عصر مبكر لدى كل من محمد الخوارزمى ويوحنا الاشبيلى . . اما النظام الستينى الموحد بالنسبة للصحاح والكسور فمرده للعلماء العرب .

ومما لا شك فيه ان هذا النظام قد ظهر كنتيجة للتحليل الواعى والدراسة المنطقية للافكار التى وردت فى الحساب الهندى والتى قام بها محمد الخوارزمى وكذا دراسة النظام السيتنى القديم الذى كان منتشرا فى المناطق التى كانت تابعة فى يوم ما لمملكة بابل .



فمثلا نرى القيمة ٤٣ درجة، ٥٠ دقيقة، ٤١ ثانية يمكن وضعها فى الصورة التالية ٤٣ × ٦٠ صفر + ٥٠ × ٦٠ -١ + ٤١ × ٦٠ -٢ .

وفى علم الجبر استمد العرب ينابيعهم من مصادر ثلاثة :

١ - **تراث بابلى** اذ اتضح لى من بعض مسائل وجدت مدونة على الواح من الطين مفخورة وهى بالمتحف العراقى ويرجع تاريخها الى ١٨٠٠ ق.م - ان البابليين كانوا على علم باضافة مربع نصف معامل المجهول (أى س) الى طرفى المعادلة الجبرية، وقد نشرت هذا البحث فى مجلة رسالة العلم .

٢ - **تراث هندى** ونجد هذا فى رياضيات برهمكوبت التى كانت معروفة منذ القرن السابع الميلادى .

٣ - **تراث اغريقى مصرى** متمثل فى جبر «ديوفنطس» الذى ترجمه قسطا بن لوقا البعلبكى . . ويعترف محمد بن موسى الخوارزمى الذى عاش فى بغداد ايام الخليفة المأمون فى القرن التاسع الميلادى بوجود هذه الحصيلة من العرفان المتراكم فيقول فى مقدمة كتابه «**الجبر والمقابلة**» بلفظه : ولم يزل العلماء فى الازمنة الخالية . . والامم الماضية يكتبون الكتب . . مما يصنفون من صنوف العلم، ووجوه الحكمة نظرا لمن بعدهم واحتسابا للاجر بقدر الطاقة رجاء ان يلحقهم من أجر ذلك ودخره وذكره ويبقى لهم من لسان الصدق - ما يصغر فى جنبه كثيرا مما كانوا يتكلفونه من المئونة ويحملونه على انفسهم من المشقة فى كشف اسرار العلم وغامضه .

(١) اما رجل سبق الى ما لم يكن مستخرجا قبله فورثه من بعده .

(٢) واما رجل وجد فى بعض الكتب خللا فلم شعثه واقام أوده .

واحسن الظن بصاحبه غير راد عليه ولا مفتخر بذلك

من فعل نفسه».

وفى تصورى ان الخوارزمى يصف نفسه وصفا كاملا فى هذه المقدمة فهو المحصلة لمجموع هؤلاء الرجال فى عقل واحد.

فهو الذى ابتكر اسما لهذا الفرع من العلوم التعليمية وسماه الجبر والمقابلة قاصدا بالجبر نقل الحدود من احد طرفى المعادلة الى الطرف الآخر وقاصدا بالمقابلة اختصار ما يجوز اختصاره بعد عملية الجبر، ثم ايجاد النتيجة وهو الذى استخدم كلمة «جذر» او «شىء» لتدل على المجهول س وكلمة مال لتدل على س وكعاب او كعب لتدل على س٣، ومال المال لتدل على س٤ وهكذا.

●● وهو الذى ابتكر طريقة جديدة فى مسائل المعاملات وفى مسائل الوصايا والمواريث والفرائض منبثقة من فقه أبى حنيفة فقه الرأى اذ يفترض قضايا لا وجود لها ولكن قد تحدث فى زمن من الازمان ثم يبحث عن المجهول حتى يصل عن طريق الجبر والمقابلة الى ايجاده.. وفقه الرأى احد ركائز روح الحضارة الاسلامية.

●● وهو الذى شرح تراث من سبقوه فى المنطقة فى ثوب جديد نسج عناصره.

■ ثم تبعه فى بغداد ابو كامل شجاع بن اسلم المصرى وفى الاندلس القرشى وابن بدر وابن الياسمين الذى يقول فى أرجوزته:

على ثلاثة يدور الجبر
المال والاعداد ثم الجذر
فالمال كل عدد موسع
وجذره واحد تلك الاضلع
والعدد المطلق مالم ينسب
للمال اولـلجذر فافهم تصب

وفى الهندسيات كانت الينابيع الاولى مصادر ثلاثة:

١ ـ **مصرية قديمة** تظهر واضحة فى المساحات والهندسة العملية لتقسيم الاراضى وتخطيط قنوات الرى والمصارف.

٢ ـ **بابلية** وقد وضح بعضها من الواح الطين المحروقة المكتشفة بتل حرمل اذ ظهر انهم كانوا على بينة بنظرية فيثاغورس المنسوبة لاسمه.

٣ ـ **اسكندرانية** منذ توطدت العلوم والرياضيات فى جامعتها القديمة فى عصر البطالمة فأخذنا نسمع عن ابلونيوس (٢٦٢ ـ ١٩٠ ق.م) فى القطوع المخروطية واقليدس (٣٠٠ ق.م) مؤلف كتاب الاصول وارشميدس (٢٨٧ ـ ٢١٢ ق.م) مؤلف الكثير من النظريات الهندسية والهيدروستاتيكية، نشأ الاول فى برجا احدى مدن الشمال الغربى لآسيا الصغرى والثانى فى مدينة صور بلبنان والثالث فى سيراكوزا بصقلية.. لكن نراهم كلهم وغيرهم وقد وفدوا الى الاسكندرية ليرتشفوا من علوم جامعتها التى امتازت بمناخ علمى مزدهر ومتفتح، ينابيعه حضارة مصر الفرعونية، والا كان الظعن الى اثينا مهد العبقرية الأيونية.

ونسمع من ترجمات ثابت بن قرة الحرانى والخوجة نصير الدين الطوسى عن الاسماء الاسكندارنية التالية بمؤلفاتها:

١ ـ *تحرير كتاب الاكر لمنالاوس*.
٢ ـ *كتاب المطلع لابسقلاوس*.
٣ ـ *كتاب ظاهرات الفلك لاقليدس*.
٤ ـ *تحرير المجسطى لبطليموس*.

● **ثم كتب اخرى لارسطارخوس واوتوليكس وهيرون وغيرهم.**

«**وفى البصريات**» او علم المناظر كما يقول يقول عنه ابن خلدون فى مقدمته:

«وهـو علم يتبين به اسباب الغلط فى الادراك البصـرى بمعرفة كيفية وقوعها بناء على أن إدارك البصر «يكون» بمخروط شعاعى رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئى ثم يقطع الغلط كثيرا فى رؤية القريب كبيرا والبعيد صغيرا وكذا رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء ووراء الاجسام الشفافة كبيرة ورؤية النقطة النازلة من المطر خطأ مستقيما . . بالبراهين الهندسية» .

ومصادر العلم فيه :

١ ـ أرسطووله كتاب «الضوء ليس بجسم» ترجمة حنين بن اسحاق وسبق لى نشره بمجلة الثقافة .

٢ ـ تحرير المناظر لاقليدس وسبق لى تحقيقه وشرحه فى مجلة معهد المخطوطات العربية .

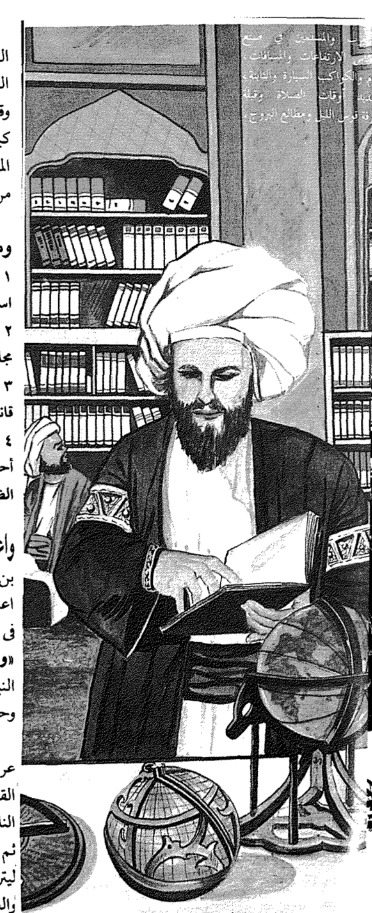
٣ ـ المجسطى لبطليموس القلوذى وفيه الشطر الاول من قانون انعكاس الضوء .

٤ ـ كتـاب «فى ذكر مطارح الشعاع» مشروح فيه كيف أحـرق ارشميدس مراكب الاعداد عن طريق انعكاس الضوء فى المرايا حققه العالم الفيلسوف الكندى .

واعظم العلماء العرب قاطبة فى علم المناظر هوالحسن بن الهيثم وقد سبق لى تأليف كتاب عنه فى سلسلة اعلام العرب تبسيطا لما ألفه المرحوم مصطفى نظيف فى موسوعته الكبيره .

«وفى النبـات» كانت المصـادر من كتـاب الفلاحة النبطية اليونانى وهو منسوب للعلماء النبط وشرحه ابن وحشية الكلدانى .

ثم كتـاب ديوسقوريدس النباتى اليونانى الذى عربـه اصطفـن بن باسيـل وقـد اهـدى ملك القسطنطينيـة (ارامـانيـوس) نسخة منه الى الخليفة الناصر عبد الرحمن بن محمد بالاندلس عام ٣٣٧هـ ثم أرسـل بعـد ذلك راهبا يسمى نيقولا عام ٣٤٠ ليترجم له الكتاب لخدمة الاغريقية واللاتينية والعربية .





مظاهر الحضارة المعمار في شعر

الأندلس ..
مركز الاشعاع الحضاري الاسلامي على
مدى ثمانية قرون .. الاندلس بلاد
الطبيعة والفنون .. ابن زيدون
شاعرها وكاتبها .. كيف صور بشعره
مظاهر الحضارة المعمارية والفنون ..
اطلالة على الاندلس يقدمها لنا
هذا البحث المتابع ..

العمارة والفن الاسلامى
فى شعر المغرب والأندلس

٤

ولكننا قبل أن نتعرض لنماذج الشعر العربى التى تتناول ذكر العمائر والفنون نريد أن نطرح سؤالا مبدئيا . . ما هى العلاقة بين الشعر العربى والآثار؟ وقد لا يفطن البعض الى أن الشعر العربى منذ القدم كان وثيق الصلة بتلك النواحى الحضارية . . فقد نقشت أبيات الشعر فى الخشب وحفرت فى العاج والرخام ونقشت فوق سطح تربيعات الزليج ودبجت بالأشعار كتابة فوق نقوش الخزف الرقيق والمشكاوات والكأس الزجاجى الدقيق واستدارت بحواف الخصات الرخامية ونسجت فى حواشى الثوب الموشى المنسوج بخيوط الذهب وخلدت قصائد الشعر ببطون القباب وحنايا الطاقات وجدران العمائر . . وحفظت الأشعار وصف ما أتت عليه يد الدهر من تلك العمائر أو التحف والمصنوعات كما احتضنت المبانى والملحقات والمنتجات تراثا شعريا وقصائد فريدة ضاعت أصولها المدونة فى الكتب والكاغد أو نسيها الناس أو حرّفوها مع الزمن لضعف الرواية فابتعدت عن جوهرها الأصيل . . وهكذا يتعاون الشعر العربى مع علم الآثار فيحيى الأول صورة المعالم الدارسة للعمائر والفنون ويبقى الآخر على ما تناولته يد الاهمال أو الضياع . . وتتركز اهتمامات الأثريين فى الدرجة الأولى بالشعر العربى لاعتنائه بتسجيل اسم السلطان الآمر بالبناء أو صنع التحفة الفنية وكذلك تاريخ الصنع واسم الصانع ومن صنعت له كما ينص غالبا على تفصيل القصد من البناء أو أوجه استعمال التحفة أو الانتاج وكلها أمور ذات قيمة بالغة بالنسبة لمؤرخى الحضارة وعلى الخصوص المشتغلين بالآثار.

وصف المدن والمبانى والطبوغرافية فى شعر المغرب والأندلس:

مدينة فاس وجامع القرويين:

ففى المغرب نجد وصف مدينة فاس وجامع

ـة والفنـــون
إبن زيدون



القرويين والصحن والخصة من شعر القاضى الكاتب محمد بن أبى عبد الرحمن المغيلى(١).

يافـاس حيّـا الله أرضـك من ثرى
وسقـاك من صوب الغـمام المسبـل
يا جنَّـةَ الـدنيـا التـى أربتْ على
حمص بمـنظـرهـا البـهىّ الأجـل
غرفٌ على غرفٍ ويجـرى تحتـهـا
ماء ألـذّ من الـرحيق السلسـل(٢)
وبســاتن من سُنْـدُس ٍ قد زُخْـرفتْ
بجـداول ٍ كالأيْـم أو كالـفيصـل
وبجـامـع القـرويـيِن شُرِّف ذكـرُه
أنسٌ تذكُّـرُه يُهيـجُ تململـى(٣)
وبصحنـه زمن المصيف محاسن
فمـع العشى الغرب منه استقبل(٤)
واجلس بازاء الخصـة الحسنـا به
واكـرع بها عنى فديتـك وانهـل(٥)

وصف مراكش:

وقـد أنشـد الشاعر ابن حربون الشلبى يهنىء السيد الأعلى أبا حفص الموحدى ويصف مدينة مراكش(٦).

واصـخ لذكـر الـيـوسفيـة إنّهـا
منعت مغـانى الشعب من أن تذكـرا
دبجـتهـا من حسن خلقـك جنـة
وسقيتهـا من جود كفـك كوثـرا
لو أنهـا مما تقـدم عصـره
لقلى الـوليـد الجعفـرى وجعفـرا(٧)
كانت كظهر الترس مريا صحصحا
فنسجتهـا للحـين روضـا أخضـرا

وصف رباط الفتح:

وفى أرجوزة السيد بن على الدكالى السلاوى فى مخطوط اتحاف أشراف الملا(٨) نجد ذكر وتأريخ مدينة الربـاط ووصف معالمها المعمارية التاريخية واتساعها وعدد أعمدتها. . نذكر منها:

وبـالـربـاط خطـة تاشـفـين
قَصَبـةٌ بربْـوة تزيـنُ
فكـان أولُ اختـطـاطـه يعـرفُ
لدى ربـاط الـفتـح وهـو أنصفُ

د. عثمان عثمان اسماعيل
عضو اتحاد المؤرخين العرب
استاذ التاريخ والآثار جامعة محمد الخامس

كما ابتنى المعقل عبد المؤمن
ثم الرباط بعده بزمن
أنشأ يوسفُ أساسَه وتم
لعهد يعقوب المحترم

مسجد حسان بالرباط:

ويذكر مساحة مسجد حسان بالرباط وعدد أعمدته وصومعته في قوله : (٩)

وعدُّها من المئين أربع
وفي المنار عِبْرة تجتمعُ
ووصف المنظر الاستبصار
وفي بديع وصفه اعتبار

منشآت أبي عنان:

ومما وصف به لسان الدين بن الخطيب منشآت السلطان أبي عنان المريني بالمغرب في كتابه رقم الحلل قوله : (١٠)

ممهِّد الملكِ ومُسْدي المنَنْ (١١)
وواحدُ الدهر وفخرُ الزمن
باني المباني النخبة الشريفة
بمقتفى همته المُنِيْفَة

● في المدارس:

وتارك المدارس(١٢) الظريفة
شاهدة بأنه الخليفة

كما لخص لسان الدين في رقم الحلل سيرة السلطان أبي عنان بقصيدة نذكر منها:

● في الزوايا:

وخلص الأمر لكف فارس
باني الزوايا الكثر والمدارس

● وقد وصف أبو بكر بن جزى بعض ما أنشأه السلطان أبو عنان من الزوايا في قوله : (١٣)

هذا محل الفضل والايثار
والرفق بالسكان والزوار
دار على الاحسان شيدت والتُّقى
فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هى ملجأ للواردين ومورد
لابن السبيل وكل ركب سارى
آثار مولانا الخليفة فارس
أكرم بها في المجد من آثار

ويحق للأثريين الآن تلقف مثل هذه الوثيقة بيد الامتنان والعرفان فقد أبانت القصيدة عن جميع الجوانب التي تشغل دارس الحضارة المعمارية والاجتماعية فتلك الأبيات تفصح في صراحة ودقة ودراية عن الهدف من بناء الزاوية للرفق بالسكان والزوار وكملجأ للواردين وأبناء السبيل كأثر من أجل آثار السلطان أبي عنان فارس مع ذكر اسم البناء محمد بن حدار وتاريخ البناء.

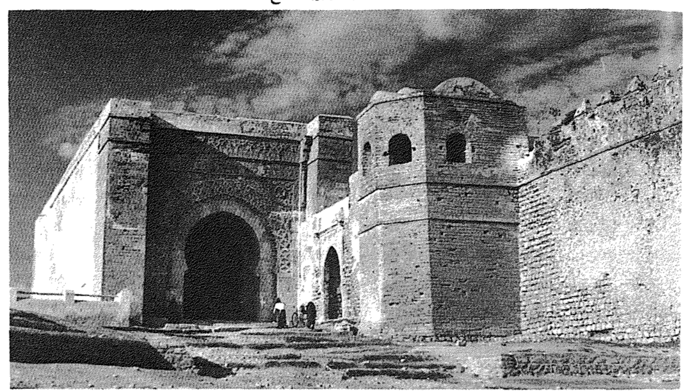
وهذا ابن الخطيب يصف دار الوالي عبو من بني الترجمان بمدينة أنفي وهي مدينة الدار البيضاء وهو في طريقه الى مراكش : (١٤)

قد مررنا بدار عبو الوالي
وهي ثكلى تشكو صروف الليالي
أقصدت ربها الحوادث لما
رشقته بصائبات النبال(١٥)
كان بالأمس واليا مستطيلا
وهو اليوم ماله من والي

ويصف ابن الخطيب ساحات الدور المغربية وعظمها في خطابه لمبارك بن ابراهيم الخلطي(١٦)

ساحات دارك للضيوف مبارك
وبضوء نار قراك يهدى السالك

باب الوادايا الاثرى الموحدى برباط الفتح



● **وصف منار الكتبية:**

وأنشد لسان الدين عند اقترابه من مدينة راكش:

حتى اذا ما المنار(١٧) الفرد لاح لنا
صحت أبشرى يا مطايا جاءك الفرج

● واعتبر لسان الدين بما صار اليه حال مراكش بعد لموحدين عندما وقف على مصانعها وقصورها وقصبتها قال:

لد قد غزاه صرف الليالى
وأباح المصون منه مبيح
الذى خرّمن بناه قتيل
والذى خرّمنه بعض جريح

لا شك عندنا فى أن قيمة وصف الآثار المخربة لا تقل عن يه ة وصفها سالمة للتعرف على حالها فى عصر الشاعر لذ لد وهذا هو وصفه الدقيق لمبانى سقطت جميعها ومبان ىة لم بعضها.

ومن أهم ما جادت به قريحة لسان الدين مفسرا لبعض مشاكل التاريخ والآثار قصيدة أنشدها عند زيارته لعامر بن محمد الهنتاتى ومشاهدته للجبل والموضع الذى توفى به السلطان أبو الحسن المرينى ونقتبس منها: (١٨)

يا حسنها من أربع وديار
أضحت لباغى الأمن دار قرار(١٩)
وجبال عز لا تذل أنوفها
إلا لعز الواحد القهار
ومقر توحيد وأس خلافة
آثارها تنبى عن الإخبار
محت جوانبها البرود وان تكن
شبت بها الأعداء جذوة نار

● ***قبر المعتمد بن عباد:***

وعندما وقف لسان الدين عام ٧٦١ أمام قبر المعتمد بن عباد بأغمات قرب مراكش فى نشز من الأرض والى جانبه قبر اعتماد حظيته وعليهما أثر التغرب والمعاناة

والخمول بعد الملك بكى منشدا: (٢٠)

أنــاف برك من هضــب يمــيــزه
فتــنــتحيــه حفيــات التــحيــات

أن وصفه الكامل للضريح يفيد المشتغلين بالآثار لمعرفة الحالة التى كان عليها قبر المعتمد فى عصر لسان الدين وما آلت اليه حالته بعد البناء والتشييد الذى أمر به جلالة ملك المغرب الحسن الثانى منذ سنوات(٢١)

● رباط شالة: (٢٢)

وبعد رجوع لسان الدين من مراكش كان ينتاب رباط شاله مدفن المجاهدين من ملوك بنى مرين ومنها كتب الى السلطان أبى سالم المرينى ليشفع له عند أهل الأندلس فى رد متاعه وقد شفع بالكتاب المؤرخ لعام ٧٦١ قصيدة منها:

مولاى ها أنــا فى جوار أبــيــكــا(٢٣)
فابــذل من الــبر المــقــدر فيــكــا
اسمعــه ما يرضيـك من تحت الثرى
والله يســمــعــك الــذى يرضيـكــا

● وفى نفس الغرض ومن نفس الموقع الأثرى يقول ابن الخطيب:

عن باب والـدك(٢٤) الـرضى لا أبـرح
يأســو الــزمــان لأجــل ذا أو يجرح
ضربـت خيــامـى فى حماك وصبيتى
تجنــى الحــمــيـم به وبهـمـى تســرح
أيــســوغ عن مثــواه سيرى خائــبــا
ومنــابــر الــدنيــا بذكــرك تصـدح

● وصف قبة القصر:

وبأمر من السلطان أبى سالم المرينى كتب سن شعر أبى القاسم عبد الله بن يوسف المالقى أحد كتابه الذين ضمهم ديوانه مع ابن خلدون أبيات فى طرة قبة رياض الغزلان من حضرته أوردها الناصرى فى استقصائه ونقتبس منها:

هذا محل المــنــى بالأمــن مغــمــور
من حله فهــو بالأمــان محبــور
مأوى الــنـعــيـم به ماشئت من ترف
تهوى محاسـنــه الــولــدان والحــور
هذى مصــانــع مولانــا الــتى جمعت
شمــل الســرور وأمـر السعـد مأمـور
وهــذه الــقـبــة الـغـراء ما نظـرت
لشــكــلـهــا الــعــين إلّا عزّ تنظــير
ومــا يصــورهــا فى الفهم ذو فكــر
الا ومنــه لكــل الحســن تصــويــر

● وقد ورد فى زهرة الآس(٢٥)من شعر المقرىء أبى الحسن بن سبع فى ذكر مدينة فاس ووصف جامعها الشهير القرويين ووظيفة الجامع فى ذلك العصر ونقد خطة التدريس به قصيد مطلعه:

ألم تر فاس الغــرب أعظم بقــدرهــا
وجــامـعهــا العظمى التى هى تعتــد
لفعــل عبــادات تصــوغ ومــوطــن
لجمــع رجــال الله يأتــونهــا وفــد

● فاذا انتقلنا الى الأندلس نجد مدينة العامرية التى شيدها المنصور بن أبى عامر فى قصيدة من انشاء الشاعر ابن العريف فى مجلس المنصور(٢٦).

فالعــامــريـــة تزهــــى
على جميــع المــبــانــى
وأنــت فيــهــا كســيــف
قد حل فى غمــدان(٢٧)

● وقد رد الشاعر صاعد بن الحسن منافس ابن العريف فى حضرة المنصور(٢٨)

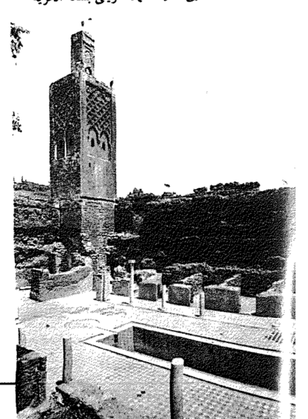
العامرية أضحت
كجنة الرضوان
فريدة لفريد
ما بين أهل الزمان
انظر الى النهر فيها
ينساب كالشعبان

وصف قرطبة:

كذلك أورد لسان الدين بن الخطيب فى أعمال الأعلام(٢٩) وصف مدينة قرطبة فى قصيدة من شعر الوزير أبى عامر بن شهيد من كبرائها وأبناء وزرائها نقتبس منها:

فلمثل قرطبة يقل بكاء من
يبكى بعين دمعها متفجر
عهدى بها والشمل فيها جامع
من أهلها والعيش فيها أخضر
والدار قد ضرب الكمال رواقه
فيها وباع النقص فيها يَقْصُرُ
يا طيبهم بقصورها وخدورها
وبدورها بقصورها تتخدر

زاوية ابى سعيد عثمان المرينى بشالة الأثريه



ويقول:
أسفى على دار عهدت ربوعها
وظباءها بفنائها تتبختر
نفسى على آلائها وصفائها
وبهائها وسنائها تتحسر

وهذا هو ابن حزم ابن وزير آل عامر الأكبر من وجوه قرطبة وأرباب النعم المؤثلة بها يرثيها نثرا وشعرا فى قوله:(٣٠)

«وقفت على أطلال منازلها بحومة بلاط مغيث من الأرباض الغربية ومنازل البرابر المستباحة عند معاودة قرطبة فرأيتها قد محت رسومها وطمست أعلامها وخليت معاهدها وغيرها البلى». . فكأن تلك المحاريب المنمقة والمقاصير المرشقة التى كانت فى تلك الديار تزدان اشراقا وبهجة يقيد حسنها الأبصار ويجلى منظرها الهموم كأن لم تغن بالأمس ولاحلتها سادة الأنس. . وتذكرت أيام نشأتى فيها وأنشدت:

تراها كأن لم تغن بالأمس بلقعا (٣١)
ولا عمرت من أهلها قبلنا دهرا
ويا مجتلى تلك البساتين حقها
رياض قوارير غدت بعدنا غبرا
كأنك لم يسكنك غيد أوانس
وصيد رجال أشبهوا الأنجم الزهرا
فيارب يوم فى ذراها وليلة
وصلنا هناك الشمس باللهو والبدرا (٣٢)
سأندب ذاك العهد ما قامت الخضرا
على الناس سقفا واستقلت بنا الغبرا

وصف السجن:

وذكر ابن خاقان فى القلائد(٣٣) أن صاحب شقورة كان يسمح لابن عمار فى الكتابة الى أصحابه من معتقله وأثبت لنا قصيدة ابن عمار الى صديقه أبى الفضل الشاعر يستنيره فى معتقله ويصف له عمارة السجن:

عال كأن الجن اذ مردت
جعلته مرقاة الى النسر
قصر تمهد بين خافقتي
نسرين من فلك ومن وكر
متجبر سال الوقار على
عطفيه من كبر ومن كبر

وغنى عن البيان أن وصف عمارة السجن بالعلو والارتفاع الشاهق ليس من لغو الكلام فقد كان سجن المولى اسماعيل بمكناسة الزيتون منحوتا تحت مستوى سطح الأرض بينما كان سجن شقورة قصرا كما فى البيت الثانى وكان كبير المساحة كما فى البيت الثالث.

● قصر الحمراء:

وفى قصر الحمراء نقشت هذه الأبيات على الجانب الأيسر لقبلة منقوشة ذات طلقات لوضع أباريق الماء تتصدر بهوا صغيرا يتصل بباب فناء الريحان الشمالى: (٣٤)

أنا فخر لصلاة
سَمْتُه سَمْتُ السعادة
تحسب الابريق فيها
قايما يقضى عباده
كلما تفرغ منها
وجبت فيها الاعادة

● وقد أوضحت الأبيات عن القصد من بناء تلك الطاقات التى اختلف فى شأن غرضها الأثريون.. كما نُقِش فى جانب العقد الأيمن لباب السفراء أشعار تحدد وظيفة المكان واسم السلطان: (٣٥)

فقت الحسان بحليتى وبتاج
وهوت الى الشهب فىّ الأبراج
يبدو اناء الماء فى كعابد
فى قبلة المحراب قام يناج
(٣٦)

● بينما نقشت فى الجانب الأيسر تلك الأبيات الدقيقة فى وصف تلك الصناعة الرقيقة التى تشبه لدقتها الرقم فى الديباج وفى ذلك اشارة أخرى لمكانة النسيج الاندلسى:

رقمت أنامل صانعى ديباجى
من بعد ما نظمت جواهر تاجى
وحكيت كرسى العروس وزدته
أنى ضمنت سعادة الأزواج

وكان مما نقش كذلك فى احدى فجوات القبة السفلى ببهو السفراء بصدر قاعة العرش تلك الأبيات التى تذكر القبة العليا والزخارف وتشير الى القصد من استعمال البناء كقاعة للعرض وتنص على اسم الملك المؤسس.

هى القبة العليا ونحن بناتها
ولكن لى التفضيل والعز فى جنسى (٣٧)
وان كان اشكالى بروج سمايها
ففى عدا ما بينها شرف النفس

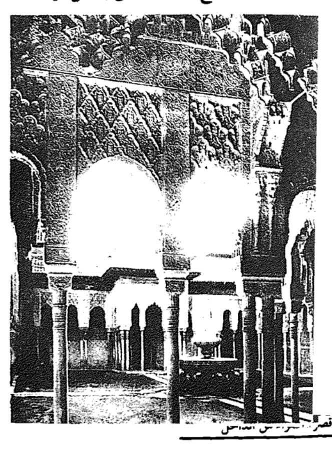
ولازال مما يلفت النظر اشتمال الشعر العربى بالأندلس على معلومات دقيقة تتعلق بعلم الطبوغرافية وهو أمر جدير بالملاحظة لأهميته بالنسّبة للمؤرخين والباحثين فى الآثار والتراث نظرا لاختلاف مظاهر الطبيعة بفعل الزمن عبر العصور.. ان معرفة الوصف الدقيق لجبل أو نهر فى عصر من العصور يمكّن من تفسير الأحداث التى دارت حوله ومظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بسبب طبيعة تلك المعالم.. ومن ذلك فى وصف جبل الفتح (٣٨)

من شامخ الأنف فى سحنائه طلس
له من الغيم جيب غير مزرور
تمسى النجوم على اكليل مفرقه
فى الجو حائمة مثل الدنانير
أخلق به وجبال الأرض راجفة
أن يطمئن غدا من كل محذ..

● ومن ذلك أيضا فى وصف نهر اشبيلية:

ومهدل الشطين تحسب أنه
متسايل من ذرة لصفائه

فاءت عليه من الهجيرة سرحة
صدئت لفيئتها صفيحة مائه
فتراه أزرق في غلالة سمرة
كالدارع استلقى بظل لوائه



قصر ... الداخل

(١) علي الجزنائي : جنى زهرة الآس ، نشر المطبعة الملكية بالرباط للأستاذ عبد الوهاب بن منصور ص٣٢ .
(٢) هذا هو تصميم عمارة بيوت فاس طبقات فوق بعضها يجرى تحتها ماء الوادي الذي يخترق المدينة أسفل أساساتها .
(٣) ذكر الشاعر جامع القرويين أهم معالم فاس .
(٤) يذكر الشاعر صحن المسجد واجتماع المؤمنين به في العشي يستقبلون الريح الغربي البارد .
(٥) ذكر الشاعر الخصة ووصفها بالحسن والماء الذي تمجه لتبريد الجو وشرب المصلين .
(٦) تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة تحقيق دكتور عبد الهادي التازي ص٣٢٩/٣٣٢ .
(٧) يحدد الشاعر تاريخ ازدهارها ويقارن حالها العمراني بقصر الجعفرية المنسوب الى أبي جعفر بسراقسطة .
(٩،٠) كان رحمه الله مؤرخا شاعرا معاصرا لازالت معظم كتبه مخطوطة . أنظر المخطوط المذكور بقسم الوثائق والمخطوطات بالرباط رقم ١١ صفحات ٧، ١٠، ١١، ١٢ .
(١٠) الاستقصاج ٣ ص ١٧٧ مع ملاحظة أننا نورد شعر لسان الدين بن الخطيب الأندلسي الأصل ضمن الشعر المغربي نظرا الى قيامه بثلاث رحلات هامة في سفارات سياسية الى المغرب ثم قضاء بقية حياته في المغرب حيث امتحن ودفن في قبره المشهور أمام باب المحروق من فاس بالمغرب .

(١١) تعددت منشآت أمير المؤمنين أبي عنان مثل المساجد والمدارس والزوايا والأسوار والمستشفيات ومن أكثرها شهرة المدرسة البوعنانية بفاس والأخرى بمكناس . أنظر مجمل ذكر تلك الآثار في كتابنا تاريخ شالة الاسلامية الفصل الخاص بمميزات العصر المريني .
(١٢) ينص ابن الخطيب على المدارس بالذات لشهرة المدرسة البوعنانية بفاس على الخصوص .
(١٣) يحرص لسان الدين على وصف المجلس والبهو وما يدور فيه من علم وجهاد .
(١٤) انظرها في الاستقصاج ٣ ص٢٠٦ .
(١٥) الاستقصاج ٤ ص١٣ وقد كان عبو قارون قومه وغنى صنفه وكان والى الجباية بالمدينة .
(١٦) تفيد الأبيات في تحديد عصر خراب هذا القصر وأسبابه ومكانة صاحبه السابقة .
(١٧) الاستقصاج ٤ ص١٣ .
(١٨) لا شك أنه يقصد منارة جامع الكتبيين لشهرتها ومع هذا فشقيقتها عمارة وزخرفة وتاريخا هي منارة جامع القصبة بمراكش من عصر الموحدين كذلك .
(١٩) راجع الأصل في الاستقصاج ٤ ص١٨/ ١٩ وكذلك نفاضة الجراب لابن الخطيب .
(٢٠) قوله (لباغي الأمن دار قرار) تفسير للأحداث التاريخية المؤلمة التي أدت الى خروج الأمير أبي عنان على والده السلطان أبي الحسن وحصاره له عندما اعتصم بجبل هنتاتة يطلب الأمن حتى توفى ودفن هناك قبل نقله فيما بعد الى قبته التي شيدها في حياته بشالة قرب الرباط وقد توفى السلطان أبو الحسن عام ٧٥٢هـ فانظر سيرته ومنشآته في كتابنا تاريخ شالة الاسلامية .
(٢١) الاستقصاج ٤ ص٢٠ .
(٢٢) عن تشييد جلالة الحسن الثاني لضريح ابن عباد بأغمات راجع مقالنا المشار اليه بمجلة الفنون وكتاب وزارة الثقافة المغربية (عشر سنوات من المنجزات الثقافية في عهد الحسن الثاني) الرباط ١٩٧١
(٢٣) عن تاريخ شالة وعلاقة ابن الخطيب بها وزياراته لها وتطارحه على قبور ملوكها وملوك بني مرين وأمرائهم بها راجع كتابنا شالة الاسلامية وعن عمارة شالة وقبابها الأثرية راجع كتابنا حفائر شالة الاسلامية وعن نقوشها وفنونها راجع كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى .
(٢٤) يقصد بجوار قبر أبيك فقد وقف ابن الخطيب مرارا بين تلك القبور وكتب منها تكرارا لملوك بني مرين يستعطفهم .
(٢٥) باب والدك في البيت الأول وحماه في البيت الأخير تشيران الى عمارة القبة والضريح .
(٢٦) زهرة الآس ، نفس الطبعة ص٨٣/ ٨٧ .
(٢٧) المعجب ص٣٢ ،
(٢٨) وغمدان هو قصر الأزواج من سيوف اليمن وكان المنصور يفاخر ببيانيته .
(٢٩) المعجب ص٣٢ .
(٣٠) أعمال الأعلام نشر ليفي بروفنسال تحت عنوان تاريخ اسبانيا الاسلامية ص ١٠٥/ ١٠٦ ويذكر الشاعر قرطبة والزهراء والعامرية والقصر الأموي والمسجد الجامع والأسواق والمسالك والربوع والأفنية وبهاء العمائر وعظم العمران .
(٣١) أعمال الأعلام نفس الطبعة ص١٠٦/ ١٠٨ .
(٣٢) يفيد البيت في تحديد تاريخ خراب المدينة .
(٣٣) صورة الحياة النابضة ليلا ونهارا تفيد في رسم أنشطة الحياة الاجتماعية وغيرها .
(٣٤) انظره في المعجب هامش رقم ١ ص١٢٨
(٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨) محمد عبد الله عنان . الآثار الاندلسية الباقية ص١٩٤ ، ص١٩٦ ، ص١٩٧ .





يطالعنا الأديب المحقق الكبير الأستاذ محمد محمود حمدان بنص ينشر لأول مرة كاملا من التاريخ الكبير المشهور المسمى **«تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام»** الذى ألفه فى مطالع القرن الثامن الهجرى مؤرخ الاسلام الأشهر ومحدث الشام ومسنده فى عصره غير مدافع الامام الحافظ الثقة أبو عبد الله شمس الدين الذهبى.

وهذا المجلد الذى أتاح لنا محققه أن نقرأه كاملا لأول مرة يشبه من حيث موضوعه كما يقول ـ أن يكون كتابا مفردا قائما برأسه فقد قصره المؤلف على المغازى النبوية وبهذه الصفة فضلا عن كونه جزءا من **«تاريخ الاسلام»** يدخل فى عداد أجزائه . . يقدمه لنا الاستاذ حمدان بعون الله وتوفيقه كاملا لأول مرة بعد انقضاء سبعة قرون على تأليفه وقد آن الاوان ـ كما يقول المحقق بحق ـ أن يأخذ مكانه الى جوار كتب المغازى المعروفة فى مكتبة السيرة.

وقد بدأ المحقق مقدمته القيمة بالتعريف بالمؤلف وأخرى فى التعريف بالكتاب يشير فيها على الأخص الى **«السيرة النبوية»** كما جاءت فى مستهله يخلص بعدها الى الحديث عن «المغازى» وهى حدنا من **«تاريخ الاسلام»** فى هذا الجزء والموضوع الذى أفرده المؤلف له وأداره عليه ثم ختم أخيرا ببيان النسخ التى اعتمد عليها فى التحقيق وبيان عمله فيه.

أما المؤلف فهو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركمانى الفارقى ثم الدمشقى الشافعى المعروف بالحافظ الذهبى أو ابن الذهبى على الاصح . . كان مولده بدمشق فى شهر ربيع الآخر سنة **٦٧٣هـ** (اكتوبر سنة **١٢٧٤م**) ونشأ الذهبى ـ فى الربع الأخير من القرن السابع ـ نشأة حببت إليه العلم ويسرته له وأعانته عليه فكان بين أهل بيته وذوى قرابته غير واحد ممن يعنون بطلب الحديث ويحضرون مجالس السماع ويروون عن الشيوخ.

وبدأ الذهبى تحصيله وهو فى نحو الخامسة من عمره حيث التحق بمكتب أحد المؤدبين بدمشق **«علاء الدين على بن محمد الحلبى»** المعروف بالبصبصى فمكث به أربعة أعوام شدا فيها قدرا من علوم الدين



واللغـة والأدب ثم نشط لحفظ القرآن الكريم فلزم الشيـخ مسعود بن عبد الله الصالحى المقرىء الذى لقنه القرآن وقد جرد عليه الذهبى نحوا من أربعين ختمة.

وفى سنة ٦٩١هـ كان الذهبى قد بلغ الثامنة عشرة من عمـره وانفتح أمامه باب العلم واسعا فانصرف الى دراسـة القـراءات وطلب الحـديث. وقـد جمع الـذهبى القـراءات السبع على الشيخ عبد الله بن جبريل المصرى نزيل دمشق فقرأ عليه ختمة جامعة لمذاهب القراء السبعة بما اشتمل عليه كتاب التيسير لأبى عمرو الدانى وكتاب حرز الأمانى لأبى القاسم الشـاطبى. وذكـر الذهبى فى معجم شيوخه أنه قرأ كتاب **«المبهج فى القراءات السبع»** لسبط الشيخ ابى منصـور الخيـاط البغـدادى و**«السبعـة»** لابن مجاهد وغـيرهما على شيخـه أبى حفص عمـر بن القواس المتوفى سنة ٦٩٨هـ وسمع **«الشاطبية»** من غير واحد من القراء.

أما الحـديث فقـد وجـد فيه بغيته فأوى اليه وطال اشتغاله به ووقف عليه عمره كله وسمع مالا يحصى كثرة من الكتب والاجـراء، ولقى الجم الغفير من الشيوخ والشيخات وتعددت رحلاته فى طلب السماع فزار كثيرا من مدن الشام ورحل الى فلسطين ومصر والحجـاز. وقـد بلغ عدد شيوخه الذين سمع منهم وأجـازوا له نيفـا وألف شيـخ سردهم فى **«معجم الشيـوخ الكبـير»** وذكـر جماعة منهم فى خاتمة كتابه **«تذكرة الحفاظ»**.

وباستهلال القرن الثامن بدأت مرحلة جديدة فى حياة الذهبى وكان ذلك حين ولى أمـر الخطابة فى مسجد كفر بطنا وهى قرية مشهورة فى غوطة دمشق فقد أقام بها فترة طويلة من حياته (بين سنتى ٧٠٣ و٧١٨هـ) أتيح له خلالها أن ينصرف إلى القراءة والتأليف الى جانب مباشرة التدريس وبدأ بتلخيص عدد كبير من أمهات الكتب الكبـيرة فى التـاريخ والتراجم التى افاد منها عندما شرع فى تأليف كتابه تاريخ الاسلام فى هذه الفترة نفسها وقد استغرق تأليفه ما يربى على عشر سنوات ولم يكد ينتهى منه فى سنة ٧١٤هـ حتى أخذ فى استخراج بعض كتبه الأخرى منه مثل **«سير أعلام النبلاء»** و **«العبر فى خبر من غبر»** و **«طبقات القراء»** و **«تذكرة الحفاظ»** و **«دول الاسلام»** وغيرها.

واذا كانت آراء المؤرخين تتفق على أن المحاولات

الاولى فى الكتابة التاريخية فى عصر صدر الاسلام قد نشأت فى كنف علم الحديث، فإن من المتفق عليه كذلك ـ كما يقول الاستاذ حمدان ـ أن أول من عنوا بجمع أخبار السيرة وأحاديثها من جيل التابعين كانوا من المحدثين أو علماء الحديث ولم يكونوا من المؤرخين واذا كان بعض من ترد أسماؤهم فى هذا الشأن من أصحاب الحديث لم تعرف لهم أو لم تصل الينا على الأقل كتب مستقلة قائمة بذاتها فى السيرة فاننا نجد أحاديثهم ومروياتهم تتواتر الينا من خلال ما كتبه المؤرخون ممن جاءوا بعدهم ونقلوا عنهم.

وكذلك كان الذهبى من «المؤرخين» الذين جاء اشتغالهم بالتاريخ فرعا من اشتغالهم بعلوم الحديث.

ويعد «**تاريخ الاسلام**» اهم كتب الذهبى وأعظمها كما يقول الاستاذ حمدان والذى يراه أيضا من أهم الموسوعات التاريخية الكبرى فى تراثنا الاسلامى ومن أوسعها نطاقا وأغزرها مادة واكثرها ضبطا وتوثيقا.

وقد أرخ فيه الذهبى للاسلام على مدى سبعة قرون كاملة من السنة الاولى من الهجرة الى تمام المائة السابعة ورتبه على السنين والطبقات وجمع فيه بين الحوادث والوفيات.

وتقريبا لهذا الترتيب بين السنين والطبقات جعل الطبقة تقابل «**العقد**» كل طبقة عشر سنين وبدأ فى كل طبقة بالحوادث مرتبة على السنوات ثم أتبعها الوفيات مرتبة فى الأغلب على حروف المعجم.

وقد استهل الحافظ الذهبى تاريخ الاسلام بالسيرة النبوية الشريفة ورتبها قسمين: القسم الاول فى «**المغازى**» والقسم الثانى فى «**الترجمة النبوية**» وقد قدم المغازى باعتبارها من الحوادث التى اشتملت عليها السنوات العشر الاولى من التاريخ الهجرى وأخر «**الترجمة النبوية**» باعتبار أن انتقال النبى ﴿ﷺ﴾ الى الرفيق الاعلى كان على المشهور فى الثانى عشر من ربيع الاول سنة احدى عشرة أى فيما يقابل ترتيبا بدء الطبقة الثانية من طبقات التاريخ.

ويحرص الذهبى فى مقدمته لتاريخ الاسلام على أن يذكر بصفة عامة المصادر التى استقى منها مادته التاريخية. ومع أن معظم هذه المصادر تتناول السيرة النبوية والمغازى على نحو أو آخر.. ويعين الاستاذ حمدان المصادر التى اعتمد عليها الذهبى بصفة خاصة فى تدوين المغازى من خلال استقراء المادة التاريخية فى ثلاثة مصادر رئيسية هى: «**سيرة ابن اسحاق ـ مغازى الواقدى ـ مغازى موسى بن عقبة**».

وقد اعتمد الذهبى بصفة أساسية على المصادر الحديثية فى مصنفاتها المختلفة وليس أعلم منه بدقائق متونها وأسانيدها وهى منه على طرف الثُّمام كما يقال.. وأعانته معرفته الواسعة لعلوم الحديث وحفظه الغزير واطلاعه الواسع على استيفاء كافة تفصيلات المغازى فيما لم تعرض له المصادر التاريخية كما أتاحت له ملكته الناقدة أن يتخذ من قواعد الجرح والتعديل معيارا لنقد المادة التاريخية وتوثيقها وتنقيتها من أقاويل الوضاع وأوهام المؤرخين.

أما بعد ـ كما يقول الحافظ الذهبى فى مقدمة المغازى [فهذا كتاب نافع ان شاء الله ـ ونعوذ بالله من علم لا ينفع ومن دعاء لا يسمع ـ جمعه وتعب عليه واستخرجه من عدة تصانيف.. يعرف به الانسان مهم ما مضى من التاريخ من اول تاريخ الاسلام الى عصرنا هذا (القـ ن السابع).. شكر الله للمؤلف وللمحقق الاستاذ د. محمود حمدان وللناشر الاستاذ حسن الزين تقديم هذا العمل الذى طال انتظاره فى مكتبة الاسلام فى العصر الحديث.

الأمل المرجو

طفل هادىء.. برىء.. ناعم البال.. نفسه لا تحمل إلا الطهر والبراءة والوداعة.

من تحت الأنقاض جاء صراخه.. جاء صوته مبحوحاً لكنه مجلجلا.

ـ أيها العام الجديد..

هل ترفع هذا القناع لأرى ملامح وجهك..؟

هل من مساحة فيك للابتسامة؟ أو حتى لمجرد الأمل..؟

هل أنت كسابقك أم أنت خير..؟

ـ وكيف كان سابقى..؟

ـ كان.. كان حرباً واقتتالا. كان هدماً ودمارا.. كان غشاً وخداعا.. كان.. كل شىء.. وأى شىء غير ما نود ونأمل..

انتزع الشدى من فم الرضيع.. انتزع اللقمة من الجائع الفقير..

اختطف.. ذبح.. اغتصب

لوَّع.. فزَّع.. شرَّد

أيها العام الجديد هل ترفع القناع..؟

ـ سوف أرفع القناع.. ولكن.. هل هوالذى فعل كل ذلك..؟

ـ إنهم هم ـ بنو البشر ـ ولكنهم لبسوا قناعه

إنهم هم ـ أبناء قبضة الطين.. أبناء قفص الطين..

إنهم من سجنوا أنفسهم فى هذا (القفص الطينى.. قفص المادة.. سجن المادة..

إنهم هم:

تجار الحروب والدمار.. تجار الأعراض وبائعو العار.. سماسرة النابالم والغازات.. تجار السموم والمخدرات..

إنهم بائعو أقوات الشعوب.. بل بائعو الشعوب..

إنهم هم:

بكل ما تحمله وجوههم.. صفاتهم.. قلوبهم من خسة ووضاعة..

إنهم هم ـ سجناء قفص الطين ـ ولكنهم لبسوا قناعه

ـ أيها العام الجديد..

هل ترفع القناع..؟

ـ ألا زلت تأمل..؟

ـ نعم أود وآمل.. إن كنت تحت الأنقاض فإخوتى الأحياء يأملون

الأمل فى الله سبحانه كبير لا ينقطع.. والرجاء فيه لا يخيب.. ودعوة المضطر مفتحة لها الأبواب.. أبواب القبول والاجابة.

إن كنا قد أخذنا بالبأساء والضراء

إن كنا قد أخذنا بجدب السنين ومحل الأيام

فما هذا (الأخْذُ) إلَّا مرآة عاكسة لجدب النفوس وتصحّر العواطف

إنه (هذا الأخذ) مرآة عاكسة للأطماع والجشع.. الغش والخديعة.. النفاق والكذب.. سوء الخلق وظلم النفس..

لقد ظلمنا أنفسنا.. وأُخِذْنا بظلمنا

أيها العام الجديد.. ارفع القناع.. اكشف القناع

ـ أيها المدفون فى الأنقاض.. أيها الطفل الحزين

قناعى من أقنعة هؤلاء البشر..

فليرتدوا قناع الخير.. وليسلكوا طريق الخير

ليخرجوا من ذلك (القفص).. ليرتقوا

و.. ﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾

وإلى لقاء.. أيها الحزين.. الى لقاء..

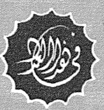
السمانى كمال الدين

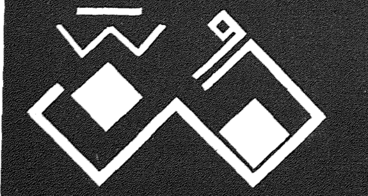

نعم
• كبرى دور الطباعة بالمملكة العربية السعودية .
• مجهزة بأحدث آلات طباعة الأوفست الملون والتجليد الأتوماتيكي .
• تساهم في النشاط الثقافي بالمملكة بما تقدمه من مختلف المطبوعات .
دار الأصفهاني
دار الأصفهاني للطباعة
طريق المدينة بجوار الاستاد الرياضي - تليفون : ٦٦٧٠٦٠٦ / ٦٦٧٤١٥٨





النساء .. شقائق الرجال





الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

حياة عبد الحميد عنبر — جدة



المرآة صادقة معي وفيَّة لي دائماً وأبداً أجالسها وأحاورها وأبادلها مشاعري وما يدور في رأسي من اسئلة وما يراودني من افكار حيث اجد متعة كبيرة وانا أواكب الاجابات بادية على محيَّاها.

تعيشين معي يومي معايشة دقيقة لأني أصب عليك كل مجاهل نفسي وملامح روحي وذكرياتي العالقة في اعماقي السحيقة.

اتوجه إليك دائماً بانفتاح عجيب لأتلمس الطريق فقد اجد ما اضعته وانا ساهمة شاردة في ضفاف متعددة على مفارق مختلفة.

واقعي أحياه على شواطىء الأحلام وقد اترك تلك الشواطىء وانا حيرى لأتنقل بمراحلي المختلفة الى ضفة اخرى أو جزيرة لعل نفسي تجد راحة أو تجد لها سبيلا.

تدور نفسي حول محاور جمة وأمنيّ النفس بجنان السكينة يفوح منها عطر الحنان.. فهل ستتعرف روحي لحناً آخر غير معاناتي.. وكأني أحيا بين الأجنة الذين لم يأتوا إلى دنيانا ولم يتلمسوا إلا حديث بين الزهر والعنبر.

سويعات قضيتها وانا اقلب أنفاسي أناجي قلبي وأواسي ولكن ليس كافياً لروحي وليس بشافٍ.

تبادلت مع نفسي شتى انواع التأنيب وحرصت ان يكون بالهمس حتى لا يتعاطاه آخرون بالدس فكثير منهم لا يملك الاخلاص فأميل لليأس فتزد درجات الحقد لديَّ حيث اناظر اختي التي تشعرني بنقصي فتزداد براكين البغض وتتجدد عناصر البغ وتتحد خلايا البؤس مقارنة بما عساها تفعل ولمدركات الواسعة ومواهبها الوارفة.

إنها تعايش حقولا غناء تسير دون عناء في ومضاء وابتسامات دون نفاق تشعر برخاء وتنهل المحبة بهناء وتتمتع بقوة فتية وصفاء أحلام بعد تستطيع ان تصل لأهدافها وان تحدد مراحلها.

يعتذر

تسير حقا وكأنها مزودة بعفوية وفطرية عجيبة بخطا حثيثة دائما وابداً نحو الأمام منطلقة . . وانا مكبلة مقيدة بالجهل وانا مقيدة مكتئبة . . ورغم ذلك فإنها بابتسامتها النابعة من داخلها بحنوّ وطيبة . . تكاد تدمر حقداً فى نفسى ويأساً فى روحى . . ولكن سرعان ما تعود فى داخلى التساؤلات الحائرة لماذا أُعطيت اختى كل معطيات الجمال والحياة ومولدات القوة وملهمات الابداع ومنشآت العطاء . .

وانا ابدو مشلولة ضعيفة امام عنفوان ملكاتها وتعدد انجازها إنها تمثل النجاح وانا امثل الفشل والعداء .



احدثك فى حزن وانا أكابد فى نفسى شتات التغلب على الحقد الذى يخالج روحى . . فلا أرى إلا ضياعات الكبر وفراغاً اعظم فى اجوائى القاحلة التى لا تحمل ذرات المحبة والتى خذلتها أمانىَّ فى ان تتحول كل اشعاعات الحياة من حولى إلى مجاهل معتمة حتى لا تسطع على روحى وتظهرها على حقيقتها الجرداء من معطيات المحبة واساسيات الأمل واكتمال الروح الذى لن يتم إلا إذا اصبحت نفسى راضية قانعة بما لديها والبحث فى أدنى ذرة تحتويها لعلى اجد فيها طريقى وعزائى وملاذى الوحيد . . لا يمكن بأى حال من الأحوال ان اظل خلف معتقدات الشرور وملهمات الجنوح وتفريغ شحنات الحقد على من حولى وانا ابدو سعيدة - اعايش سعادة على ملامح هشة . . إنى اتعذب وسأحاول ان اغادر بعيداً عن واقعى واقارن بين غدى وامسى وما بينهما لابد ان اتلمس خيوطاً حول معطيات ارفع وارقى لعلى اجد نفسى .

اعترافات

ما هذا العراك الدائم بينكم أبنائى. ؟ ما رأيتكم إلا على خلاف وعراك وفرقة. . كأنما يحمل الواحد منكم روحه بين كفيه؟.

أتسألنا. . ؟
نحن لسنا وحدنا. . المجتمع بأسره هكذا. .
خرجنا إلى هذه الحياة غرباء. . استقبلناها ونحن غرباء عنها. . قذفت بنا بطون أمهاتنا لنستقبل الحياة بصرخة. . صرخة عالية ـ عالية. . يقولون عنها (صرخة الحياة). . أمهاتنا ـ غفر الله لهنَّ ـ انتزعن منّا (الثدى) ثدى المحبة والألفة والمودة انتزعنه من بين شفتينا ليرضعننا حليباً صناعيا. . جاءت (الحضارة) وأفرغت فى آذانهنَّ أن الرضاعة عدو الرشاقة. . هى لا تزال تائهة بجمالها واعتدال قوامها. . فوقعت منها الكلمة موقعا. .لكنَّ حباً لوليدها فى داخلها طرح عليها سؤالاً. . ما الذى أرضعه طفلى إذن. . ؟!

وما على شركات الألبان إلا انتهاز الفرصة. . إنها فرصة تجارية كبرى. . فقدمت لها تشكيلة من الألبان الصناعية. . وأرضعنا هذا الصناعى. . فى (بزة) صناعية. . وحُرِمْنَا ضمَّة الصدر. . صدر الأم. . وحُرمنا سماع موسيقى ضربات قلب أمنا فطالما اشتقنا لسماعها فقد عشنا على معزوفة هذا القلب تسعة أشهر ونحن فى بطون أمهاتنا. . وكم نشتاق لسماعه.

هذا اللبن الصناعى مجموعة من المركبات الكيماوية لا ندرى كم نسبة اللبن فيها ولا حتى نوعه. !! قلَّت مناعتنا. . اصابنا الهزال وداهمنا المرض. . أرضعونا كل هذا وحرمونا كل ذاك. . ذاك الصدر الحنين.

أتسألنا. . ؟
الأم تخشى. . بل تخاف ان يفاجأها الحمل المبكر. . فهى غير راغبة فيه. . وعلى أقل تقدير الآن. . وتطل شركات الأدوية كعادتها بكل انتهازية لتقول لها. . لا تقلقى. . فقد صنعنا لك خاصة حبوب منع الحمل. . خذيها. . نحن فى خدمتك ونظل نسعى لراحتك وتحقيق رغباتك. . باستطاعتك الآن الا تحملى الا فى الوقت الذى تحددينه وتريدينه. . سبحان الله. . هكذا وبكل جرأة يحاول الانسان ن يتدخل فيما ليس له يد فيه ولا إرادة. . !!
وتعاطت الحبوب. . حبوب منع الحمل. . وأدمنت تعاطيها. . وشاء القدر أن يتمشى الجنين ن



أحشائها.. هذه ارادة الله.. رغم كل الأنوف.

وجاء الوليد.. جاء مشوهاً.. مُعاقاً.. وبعد وقوع المصيبة بدأ الأطباء والباحثون يدرسون الآثار الجانبية لتلك الموانع..

● وبالطبع.. علاجها كيماويات أخرى.. وهكذا تقدم شركات الأدوية يديها (البيضاء) إلى سليلة حواء..

وهكذا تدور العجلة.. الشركات المصنعة تفكر وتخترع وتنتج وتطرح ما انتجته فى الأسواق وتقوم سليلة حواء نفسها بالدعاية والاعلان المصور والمسموع والمقروء لتلك المنتجات من الأدوية والعقاقير.. علاج أوّلىّ.. ثم علاج للعلاج الأولى.. لمعالجة آثار العلاج.. وتنتفخ جيوب شركات الادويةدولاراً وذهباً وتنتفخ أجسامنا أمراضاً حتى تتفجّر من جوانبها.. شفا الله الجميع بشفاء من عنده.. وليس من شركات الأدوية المصنعة.

أتسألنا..!!

الطفل منا أصبح فى البيت (قطعة ديكور) قطعة من الأثاث الجميل الرائع (يُنفَّض) ويُنظَّف ويُوضَع



فى (رفّه) عفواً.. سريره.. بين قطع الديكور الجميلة.. نعم.. مكاننا (سرير منفرد) ونحن لازلنا فى (اللفافة) فى المهد.. بعدنا عن صدور أمهاتنا ودفء عواطفهن.. ولعل هذا بحجة (تكوين الشخصية) أى نعم.. تكوين الشخصية ونحن فى اللفافة.
تحضر لنا الرضعة.. ست مرات فى اليوم.. كل حياتنا معلبة.. منذ المهد معلبة.

أتسألنا...!!

ها هى خارجة الآن.. مشوار زيارة.. سوف أصحبها فى مشوارها.. لقد اشتقت لصدرها الدافىء.. كاد يقتلنى برد الجفاء والحرمان.. سوف تحملنى على ساعدها وتضمنى إلى صدرها..!!
أو هكذا حلمت لحظة سعيدة!!

لا أمل..!! فقد جهزت (العربية) عربيتى اللعينة.. وُضِعْتُ فيها.. ما أتعسنى عربة تجرها بيديها أمامها كأننى (أنبوبة غاز) أتخاف أن أنفجر على صدرها.. لا بأس عليك يا أماه.. تلاعبنى وتناجينى وأنا على هذا البعد منها.. يبدو أنها لابد أن تحافظ على هذا البعد.. على هذه المسافة.. العاطفة عندها أبعاد ومسافات.. أليست هذه شريحة من مجتمع اليوم؟!! حاولت الاستنكار والاحتجاج.. بكيت.. صرخت.. وصرخت.. ليتنى ما بكيت.. ليتنى ما احتججت!! (بزة) اقتحمت شفتى.. عيناى تذهب وتجىء.. سمعى يذهب ويجيىء.. وفمى ملجم..

أتسألنا...!!

الآن الثامنة صباحاً.. لقد تأخَّرتْ عن العمل.. أحضرت (العربية اللعينة).. كرهتُها.. سئمتُها.. غيرت ملابسى.. ساقتنى أمامها.. أسمع حذاءها فى الشارع المسفلت.. رنين معزوفة تلفت أنظار المارة..

صباح الخير.. صباح الخير يامدام..
خذى (البيبى) وسوف احضر بعد الثانية ظهراً إن شاء الله سبحانه.. وأخذتنى مشرفة الحضانة.. لست وحدى.. بل معى كل الأشقياء مثلى..!! هذه الحاضنة.. أو على الأصح موظفة الحضانة.. ما أشقاها وما أشقانا!! لمن تستجيب؟.. هذا يصرخ.. ذاك يبكى وتجرى دموعه بين خديه.. كلهم مشتركون فى شىءواحد.. محتاجون لشىء واحد.. الصدر الدافىء الذى يمسح هذه الدموع.. ولكن لمن تستجيب هذه الموظفة (الحاضنة) المسكينة..

■ تجمَّعنا.. تظاهرنا.. احتججنا.. وقدمنا السؤال تلو السؤال: أيهما أحق برعايتك يا أمى: الوظيفة أم أنا..؟ التوقيع: (الأشقياء فى اللفافة).

أتسألنا..!!

وضعت قدمىّ على أعتاب المدرسة الابتدائية. وأنا سعيد.. نعم سعيد جدا.. الآن أبدأ مشوارى..
(... أنا سوف لا أعمل فى هذه المدرسة فهذا ظلم صراح.. كيف يتخطانى هذا المدرس فى الترقية وأنا أحق بها؟)

هذا أول ما طرق سمعى وأنا أضع قدمىّ قرب مكتب مدير المدرسة.. إنه صراع الحياة.. صر البقاء.. من وجد فرصة سانحة فليأخذها.. فليغتنمها.. فان لم (يطلها) فليقفز على الأعناق.

هذا أول درس تعلمته من ضجيج ذلك المعلم . .
الفرصة كثغرة فى شارع عريض طويل ممتلىء بالسيارات إن لم تدخل انت فسيسبقك إليها آخر . .
الفرصة السانحة سباق سيارات فلا تخطىء التلكؤ . . بل املأ الفراغ والا احتله غيرك . . كلمات وصراخ فى الحياة ومن الحياة تلاطم فى أذنى الصغيرتين وأنا لازلت عند أول السلم . .
ما أقساك أيتها الحياة . . كل شىء فيك فرصة سانحة وحق مغتصب . . وشىء على حساب شىء . .
ذاك (المعلم) اعتلى كتف زميله وانتزع حقه فى ترقية طالما زحف نحوها سنينا . . وأمى ترضعنى (ثدى البقرة) خوفاً على (ثديها) وتودعنى الحضانة وانا فى اللفافة خوف التوقف عن العمل . . وتجرنى فى عربة خوف اللعب على صدرها أو العبث بشعرها الذى طالما وقفت امام المرآة طويلا لإصلاح شأنه . . أولعل هذا أحد أساليب الحضارة والتحضر.

وهناك أهل (الحضارة) يقودون أطفالهم بمقود جلدى . . تماماً كما يقودون كلابهم . . لا فرق . . وكنت اخشى على صدرى من هذا الرباط . . فلم يبق إلا هو . .

أتسأءلنا . . ؟

دخلت المدرسة . . وخرجت . . دخلت الجامعة وخرجت . . ودخلت الشارع ولم أخرج . . نعم لأنى لم أجد نفسى . . وجدت كمًا تائها . . كمًّا تائهاً فى الزحام . . الكل قرأ ذلك الدرس . . تعلم ذلك الدرس . . ابتلع ذلك الدرس (درس الثغرة المفتوحة . . الفرصة السانحة. الشىء على حساب الآخر . .).

■ فى الشارع . . كلهم عيونهم مبعثرة . . أنظارهم مبعثرة . . قلوبهم مبعثرة . . هذا لا يستقر بصره فى شىء . . يمسح الناس والأشياء بعينيه . . قلبه أكاد أسمع ضجيجه . . فهو يقفز . . قلبه يقفز . . أكاد أمسكه . . فيم يفكر! ؟ . . . . ! ؟ . . . . ! ؟

أليس هذا . . أنا وأنت . . وهو . . وذاك . . ؟

ازدحمت المحطة بالركاب . . وقفوا طويلا . . جاءت الحافلة . . تسابقوا . . تزاحموا . . ركب الأقوياء وسقط على الارض الآخرون . . وعلى الدنيا السلام . .
أبعد هذا تسألون . . ؟ ألسنا بشراً . . ألسنا جزءاً من حياة . . حياة الغاب أعنيها . .

■ **لك التحية ياأمى . . لك التحية حضانتى . . لك التحية مدرستى . . وداعاً انسانيتى . .**
من رضع الحنان يعطى حناناً وحبا وإنسانية . . ومن رضع الشقاء لا يحمل الا الشقاء . . ولك التحية ياأماه . .

التوقيع (أشقياء اللفافة)

رسالة الي صـديـقـتـي

الى صديقتى التى نسيت حتى اسمها

لقد وجدت بين أوراق الماضى هذا التعبير واذكر أننا كنا رفيقتين فى رياض التعليم .

كنا صغيرتين . . هى طفلة صغيرة وانا لم اتعد مرحلة الطفولة وانت غريبة من وطن آخر. رقيقة مرهفة الحس حالمة ـ بكل ثقة ـ بمستقبل الوطن الضائع . وكنت تناجين فيه حبيبا غائبا . . وكنت اشاركك الأمل . . ومعنا رفيقات اخريات .

وضاعت الأيام . . وارتحل العمر النضر . . وفرقتنا الأيام . . ولا اعلم اين أنت وكيف صارت أيامك؟ . . هل أصبت بخيبة أمل اخرى؟ . . وايقنت ان لا عودة للوطن ـ ام ان حظك اوقعك فى وطن آخر ـ حضن رجل يعطيك الدفء والحنان ـ أهو حب الوطن السليب ام انه آخر؟ . .

صديقتى حبيبتى . . وجدت اوراقك بين اوراق الماضى ـ وهذه رسالة لك ابثها من خلال «المنهل» واسفى انى نسيت اسمك وذاكرتى المفتتة تحاول أن تتذكر الاسم ولكن لا فائدة . . لا فائدة . عسى ان تكونى شاعرة . . وتكونى اما سعيدة . . او انك مكافحة مجيدة . . او عاشقة . . او ضائعة !!

اين انت؟ واين وضعتك الايام؟ .

فانى ارسل لك هذه الرسالة كما هى على وريقاتك الصفراء التى أذابتها الأيام كما اذابتك

لكن حبى لك دائم ان كنت على وجه الارض . . وفى اى مكان . .

صديقتك

التى لم تتذكر اسمك

حياة عبدالحميد عنبر

فضـــل أمى

م. صان الدين

أمـاهُ يا أمـاهُ ياروضـةَ الـقـلـب
أمـاهُ يا أمـاهُ يامـنـبـع الحـبِّ
يا طلعـة الـشـمس يا بهجـةَ الحسِّ
يا مَبْـعَـثَ الأنْس والأمـنِ فى الـنـفسِ
فى عيـدِك المزدانِ بالـنـورِ والـبـشْـرِ
أزجى لك الألحـانَ بالحمـدِ والشكـرِ
فى نورك الـرَّقْـرَاق فَتَّحـتُ أجـفـانى
من عطـفِـكِ الـدفَّـاق روَّيْتُ وجـدانى
من روحـك الـصَّـافى قد كان إلهـامـى
فى ظلك الـضـافى ناغـيـتُ أحـلامـى
يا بسمـةَ الأسحـارِ يا نفحـة الـروضِ
يارحـمـةَ الأقـدارِ تمشـى على الأرضِ
أمـاهُ ما بَذْلـى للروح يجزيـك
كلَّا ولا زلِّـى ما بين أيـديـك
ياربِّ يا متـعـالْ يا واسـعَ المـنِّ
أمـى لها أفـضـال سدِّد لها عنـى

إعدام

ميرفت علي صادق

(١)

كا مقاصل الجلادين واحدة . .
أيا يهم واحدة . . أساليبهم واحدة . .
لحـ ة الذروة فى ضجيج الانفعال . .
وبـ دها سكون الاغتيال .

(٢)

انتحار المبادىء مقصلة . .
وتزييف النداءات . . ورفع الشعارات . .
الذروة . . فى المرة الاولى . .
يكون كل شىء خجولا . .
وبعدها ينطلق الشعور . . ماجنا . . عابثا . منحورا . .

(٣)

هجرتى عن وطنى مقصلة . .
طائرة تغرِّبُ بى . . مشاعر تشرّق بى . .
وأنا كطفل على أرجوحة . . أو سؤال مبهم فى اطروحة . .
اعين الغرباء مفاتيح مزيفة لقلاعى . .
لا مبالاتهم حفارة تسهم فى اقتلاعى . .
وأفر إليك يا سكنا . . فالذروة عندما دار محرك سكنا

(٤)

وبلا حب نموت بمقصلة المقاصل . .
كطائرة خرافية محركها عاطل .
كالخشب قبل برده . . كالخوف قبل نفضه . .
مثل كائن بلا كيان . . مثل جبل بلا وديان . .
والـذروة . . الحب أو الـلاحبّ . . عنـدمـا تتردد ونسائل القلب



بقلب يرقص فرحة بقدومه وعيون تغمرها دموع الفرح ممزوجة بدموع الألم . سألت نفسى؟ هل سيكـون لقـاؤنا بنفس اللهفة والشوق؟ . . الجواب كلا . . كان ذلك فى الماضى القريب . . اصبحت اشعر بغربة فى قربه وألم فى بعده . . واشعر اننى لاجئة فى حياته بعد كثرة الطعنات . . كان فى الماضى القريب ملجئى بعد الله وكان بحراً ذاخراً مليئاً بأعمق العطاء الانسانى . . اننى اعانى ألماً وتمزيقاً فى داخلى . . كنت بئره المتفجرة امنا واماناً. وحباً وحنانا وخوفاً عليه . . لكنه ردم هذا البئر . . وان الحب اكسير الحياة وهبـة من السـماء واسمى عاطفة فى الوجود إنه رباط مقدس يجمع بين الانسان واخيه الانسان ورغم ذلك فقد ذاب بيننا ولم يبق منه الا ذكراه ولم اعد املك الا ان اتغنى به وازرف الدمع على اطلاله . . كنت اظن انه يقدر لى ذلك الوفاء الذى كان فى ذروة الاخـلاق والاخلاص . . هكذا سلانى؟ ان جميع الاشياء متداخلة . . متعايشة . . متعانقة . . متعاشقة . . الفرح . . الترح . . الامل . . الالم . . الحزن والسعادة . .

فيـما مضى قضيت اروع ساعات الفرح والامل مع من احببت . . اما الآن ففى أعماقى مرارة اليأس والحزن والالم . . ياليت الامى تطهرنى من جنونى . .

صفيه عنبر

الحياة ربيع دائم وعلى الانسان أن يعيش مبتسماً متفائلاً

سعادة الانسان أن يعيش واقعه بكل ما فيه. . ولما كان هذا الواقع الألم فيه اكثر من الأمل أحب أن أؤكد ان على الانسان ان يحيط نفسه بسياج من التفاؤل لان الانسان اذا ما استسلم للألم أو لفَّه موج الحياة لا شك انه يصل الى قعر التشاؤم وفى هذه الحالة يصبح وكأنـه حكم على نفسـه بالموت حيث لا عطاء ولا أمل بالعودة الى الحياة. . فالضحك مرهم يطهر القلب والنفس من الألم والضحك ايضاً شعور بالسعادة والرضى من النفس. . فالزهرة مثلاً يظل عبيرها فواحاً رغم انفصالها عن تربتها لكن هذا لا يعنى ان الزهرية التى احتوت الزهرة اعطتها رونقها على العكس.

وليست السعادة بالمال ولا فى القصور والجاه انما السعادة هى فى حس الانسان انه مرتاح الضمير حين يعطى او يقدم شيئا دون أن ينتظر ثناءاً أو مدحاً من دون أن تشعر نفسه انه اعطى. . وأنا لا اعترف بهذه المقولة: إن العمر شباب وشيخوخة وكهولة. . فالعمر فى اعتقادى ربيع دائم وخضرة دائمة تظللها ابتسامة فاذا ما فقد الانسان الابتسامة فقد الربيع وعاش فى الظلام.

أمل مصطفى كمال

تدعو (جنة الأطفال) اصدقاءها الذين يرسلون لها أفكاراً وطرائف ان يقرنوا ما يرسلونه بالصور الملونة



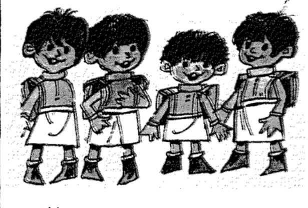
كلمة أولى

بدأت الرؤوس الصغيرة تجول بعيونها الجميلة فى صفحات الكتب. . اصطياداً للمعلومة فى أسهل عبارة.

بدأت تحفظ وتفهم وتقوم بمسرحيات صغيرة يتبادلون فيها الأدوار.

فهذا الطفل يمسك بالكتاب/ استاذ وهذا يجيب/ تلميذ

ثم يتبادلون المواقع وفى الصباح كلهم تلاميذ يقرؤون الأسئلة ويهمّون بالاجابة.



بابا فريد

ماذا تعرف عن العقرب. . ؟

● العقــرب لا يعض وإنــما يلدغ. . وهــو يلدغ الحشرات والعناكب ليشل حركتها قبل التهامها.

● عندما تثور العقرب وتهتاج تلدغ كل ما يعترض طريقهـا وهى ترفـع ذيلهـا إلى أعلى حيث توجد «حمتها» وهى تشبه الابرة ولها كيس ملىء بسم العقرب. .

● تتم عملية التلاقح بين العقارب فى خلال أربعة أشهر تبدأ من مايو حيث تخرج الذكور والإناث من مكـانهـا للتـلاقى، وبعـدهـا تتحـول العقرب إلى «زوجها» المنهك الضعيف ثم تلتهمه حتى تأتى عليه.

● تحمل أنثى العقرب بيضها فوق ظهرها حتى إذا فقس البيض خرجت العقارب الصغيرة وظلت فوق ظهر أمها نحو اسبوعين وبعد ذلك يبدأ الصغار فى التهام أمهم أيضاً.

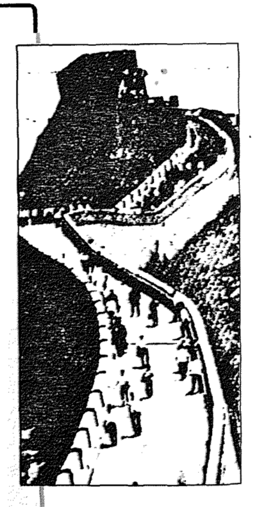




ريانة عبد الله عيد — روان جميل رضوان — أحمد خليفه — سامح على البحراوى — جوهرة زين الصافى — كريمان محمد

مختارات

اكبر بناء انجزه الانسان هو سور الصين



سور الصين العظيم سور ضخم للغاية.. فهو طويل ويمتد مسافة ١٥٠٠ ميل (٢٤٠٠ كيلو متر) على حدود الصين الشمالية والغربية. وهو مرتفع وعلوه متفاوت الا انه يبلغ ٢٠ قدما بالمتوسط. وتتجلى ضخامة هذا السور فى انه مزدوج ولا يقتصر على جدار واحد ويصل بين جداريه الداخلى والخارجى ممر او سطح مبلط (انظر الصورة) اضف الى ذلك ان عددا كبيرا من الابراج الحصينة تتخلل سور الصين وقد تقصر المسافة بين هذه الابراج احيانا بحيث لا يزيد بعد البرج الواحد عن البرج الذى يليه على ١٠٠ ياردة.

سور الصين العظيم تم بناؤه حوالى عام ٢١٠ ق.م.



لقد قرأت عمود «رأى الاسرة» فى مجلتكم الغراء العدد ٤٤٨ صفحة ١٧٣ الـذى تضمن تسـاؤلات (ام أنس) عن طفلهـا الـذى يعـزف عن اداء واجبـه المدرسى.. كما يسهر الى ساعة متأخرة لمشاهدة التلفزيون.

اسباب العزوف عن اداء الواجبات المدرسية:

ان ظاهـرة العـزوف عن اداء الـواجب لدى الاطفال منتشرة انتشارا واسعا بين العوائل وكثيرا ما يتساءل الاباء عن السبب.. الحقيقة ان السبب هو كثرة الواجبات المدرسية التى تُعطى للطفل مما يجعل أداءها صعباً عليه .. هناك المثل القائل **«اذا اردت ان تطـاع فأسأل ما يستطـاع»** فلو سهلنـا وقللنـا الواجبات المدرسية لتسنى للطفل اداؤها والابتعاد عن تأجيل القيام بها ومن ثم تراكمها.

لو لاحظنـا الاطفـال وهم ذاهبـون الى المـدارس لوجدناهم مثقلين بالحقائب المملوءة بالكتب واللوازم المـدرسيـة الى درجـة انها تقصم ظهورهم الصغيرة اليانعة.. هناك من وضع حقيبته على ظهره الصغير الـذى انحنى نحو الامام بمشيته وقد يؤدى بالتالى الى احداث انحناء فى عموده الفقرى.. وذاك طفل آخـر علق حقيبتـه على كتفه فأثقلته ومال من ثقل حمله.. ثم تأتى الشكوى من الطفل بأن كتفه يؤلمه او ان ظهره يوجعه اما عند الرجوع من المدرسة فقد زاد ثقل احماله بالواجبات المدرسية.

لقد وجدت المدارس البريطانية الابتدائية منها خاصة تختلف اختلافا كبيرا عما هى عليه لدينا تماما.. اذ لا تكلف المدرسة الطفل واجبا مدرسيا ولا تطلب منه ان يجلب حقـائب مملوءة بتلك اللوازم المـدرسيـة وانما يذهب الطفل متحررا من كل الأحمال الثقيلة ويجد فى المدرسة كل شىء جاهزاً امامه: الكتب بانواعها ومنها القصص المسليـة بمستويات مختلفة.. قد استقرت على رفوف كل حسب مستوى الطفل وبالتالى توجه المعلمـة الاطفال ان يختاروا من الرف الذى يناسب سنهـم.. امـا الـلعـب فهـى لا تعـدّ ولا تحصى وبمختلف الالـوان والاشكـال.. يستطيـع الطفل عندها ان يركِّب الادوات ويصبغ ويقص ويلعب ما شاء ان يلعب وبتوجيه من المعلمة..

زرت مرة إحـدى المـدارس فوجـ الاطفال منهمكين فى قص اوراق مـ ونة على اشكال هندسية كالدائرة والمثـ والمستطيـل والمـربـع.. فعلقت بأن الاطفـال جـميعا

جنة الأطفال والتلفزيون

دكتوره
أمل المخزومي
أنقره - تركيا

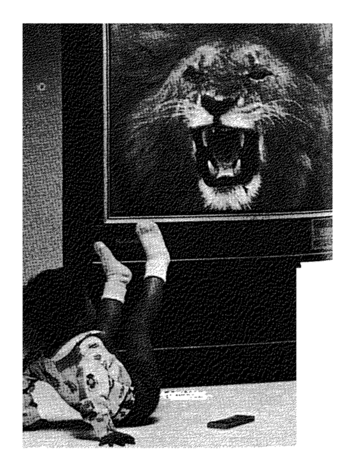
يقصـون الاشكال نفسها؟ قالت المعلمة بأن درسنا اليوم هو تعليمهم تلك الاشكال الهندسية . .

ان الطفـل قد تعلم تلك الاشكـال وهـو مرح ومنسجم معها اضافة الى انتاجها بنفسه حتى لا ينساها.

أما الدوام فى المدرسة فيبدأ من الساعة ٩ ـ ٣٠ر٣ وخـلالها يكون الطفل قد تناول غداءه فى المدرسة وذلك بإشراف المعلمات اللائى يوجهن الاطفال الى كيفية تناول طعامهم بالطريقة الصحيحة . . وعندما يرجع الطفل الى البيت يكون قد أشبعت حاجاته من لعب وتعلم وطعام وتكوين علاقات اجتماعية مختلفة مع اطفال بسنه . . كذلك يتمتع بحرية تامة لمشاهدة برامج التلفزيون . . عندما يحين موعد نومه لا تواجه الام اية صعوبة فى ذلك لأن حاجة النوم ظلت هى الحـاجـة الملحـة لديـه . . يذهب الى النـوم براحة واطمئنان لأنه سيواجه يوماً آخر مملوء بالمرح واللعب والتعلم . . هذه ملاحظات بسيطة ادرجها كى ينتبه اليها المسؤلون عن مناهجنا المدرسية وطرائق ادائها.

للتلفزيون مزايا وهى كما يلى :

١ ـ يستطيع الشخص مشاهدة حياة المجتمعات المختلفة فى بلدان العالم . . وهو جالس فى بيته مما تجنبه تحمل المشاق او تكـاليف السفـر الباهظة كما يستطيع مشاهدة المناظر



الفعلية كالحياة فى اعماق البحار او الغابات الاستوائية او البراكين.

٢ ـ يمكن للفرد ان يشاهد حوادث حقيقية او متصورة او تكرار ما حدث فعلا فى الازمان السابقة او ما يمكن ان يحصل فى الحياة الواقعية وربما يبين التنبوأت المستقبلية التى يتصورها الانسان ويتخيلها مما يتعرض للحياة فى الفضاء الخارجى.

٣ ـ تستطيع الافلام ان تعرض معلومات عن فترة زمنية كاملة فى ربع ساعة من الوقت وبذلك يمكن للمشاهد ان يشاهد الحوادث التى تتطور مع الزمن كنمو النباتات والانسان قبل الولادة وبعدها. كذلك يمكنه مشاهدة التغيرات الجيولوجية والقصص التاريخية... الخ.

٤ ـ يستطيع المرء ان يشاهد مالا تستطيع العين الانسانية المجردة من مشاهدته كما يحصل فى عرض افلام عن الهضم والدورة الدموية التى تحصل داخل الجسم بواسطة استعمال الاشعة السينية والاجهزة الخاصة بها.

٥ ـ قد تُعرض افلام علمية ويطلب من الطلبة مناقشة المواضيع المعروضة مما يساعدهم على شحذ افكارهم ونموها وتطورها.

٦ ـ يستطيع المعلم عند عرضه الافلام التربوية العلمية التحكم فيها وايقافها فى اللحظة المناسبة كى يسمح للطلبة ان ينتبهوا للنقاط المهمة فى ذلك الموضوع من ثم اعادة العرض مما توجه انتباه الطلبة للنقاط المهمة المطلوبة.

٧ ـ يمكن ان تكون الافلام مفيدة فى تقييم معلومات الطلبة او قدرتهم على التحليل. اذ يمكن ايقاف العرض فى اى جزء من اجزاء الفيلم كما ذكرنا كذلك عرض الفيلم بدون صوت ثم اعطاء الطلبة فرصة كافية للاجابة على الاسئلة.

٨ ـ هناك البرامج الترفيهية التى تبدد سأم المشاهدين وتخلصهم من متاعب العمل وهموم الحياة.

٩ ـ هناك الافلام الاجتماعية التى تناقش ظاهرة اجتماعية معينة مما تنبه المشاهد الى الاخطاء الاجتماعية القائمة وتوحى له بتجنبها.

١٠ ـ هناك الافلام التى هدفها التوعية الصحية والاجتماعية وذلك بعرض افلام عن الامراض والاوبئة المتفشية وطرق الوقاية منها مما يجعل الشخص فى حالة مستعدة لتجنب تلك الامراض.

١١ ـ هناك البرامج التعليمية كبرامج مكافحة الامية والبرامج التى تعرضها الجامعات والمؤسسات التربوية وطرح الدروس المدرسية والجامعية فى اسلوب علمى واضح وسلس.

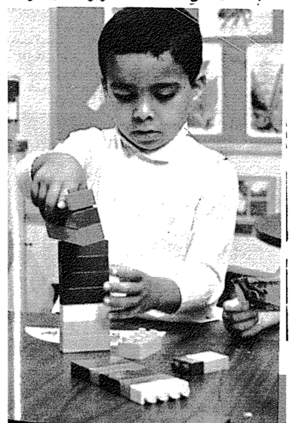
١٢ ـ هناك افلام الدعاية التى يتعلم الطفل منها بشكل غير مباشر القضايا الصحية كغسل الاسنان بالفرشاة ومعجون الاسنان رغم ان غرضها تجارى.

مساوىء التلفزيون:

للتلفزيون مساوىء هى كما يلى:

١ ـ جلوس الاطفال فترة طويلة امام الشاشة الصغيرة وهذ ما يؤدى بالطفل الى السمنة والترهل من جراء الكسل فى الوقت الذى هو بحاجة الى الحركة التى تقوى وتنمى جسمه. كما ان نوعية الجلسة التى يجلسها الطفل تؤدى الى انحناء ظهره وتهدل اكتافه او اعوجاج رقبته.

٢ ـ تعب العين من مشاهدة التلفزيون لفترة طويلة مما



يؤدى الى احمرارها وضعف البصر وذلك بسبب الاشعة الصادرة من الجهاز.

٣ ـ ترك الواجبات المدرسية مما يؤدى الى تراكم تلك الواجبات ويؤدى بالتالى الى الرسوب فى المدرسة.

٤ ـ هناك البرامج التى تسيىء الى نشوء الطفل النشأة الصحيحة وهى افلام رعاة البقر وغيرها من الافلام التى تعلم الطفل العدوان والسرقة والخروج على القانون.

كيف تواجه المشكلة؟

يجب تكثيف الجهود لحل تلك المشكلة ويأتى الحل بالشكل التالى:

١ ـ يجب تعاون المربين مع هيئة الاذاعة والتلفزيون بانتاج اوعرض برامج الاطفال التى تعتمد على الاسس التربوية الصحيحة البعيدة عن كل ما يسيىء الى الطفل.

٢ ـ الاكثار من البرامج العلمية التى تجيب على التساؤلات التى تشغل ذهن الاطفال كتكوين الجنين وكيف تتم الولادة كى يتسنى للطفل ان يعرف من اين يأتى الطفل.. اضافة الى الاكثار من برامج عالم الحيوان وما يدور فى الطبيعة من نمو وتكاثر وما يتعرض له الانسان من مخاطر.

٣ ـ الاكثار من الافلام التى تحكى قصص المشاهير والابطال والعلماء كى يكونوا القدوة الحسنة وفرصة الاقتداء بهم.

٤ ـ الاكثار من الافلام التى تتعرض الى حياة الشعوب واختلافها وتنوعها كى يتعرف الطفل على طبيعة المجتمعات وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بينها.

٥ الابتعاد عن الافلام التى تثير الرعب والخوف لدى الطفل.

٦ ـ لابتعاد عن الافلام التى تنمى السلوك العدوانى لدى الاطفال.

٧ ـ ان تعرض برامج الاطفال فى اوقات مبكرة وان لا يكون عرضها فى ساعات متأخرة بحيث يسهر الطفل لمشاهدتها مما يتعبه ويؤدى الى الكسل غير المرغوب فى اليوم التالى.

واجبات الآباء والامهات:

اما واجب الابوين فهو كما يلى:

١ ـ الا يجلس الابوان امام التلفزيون ويجبرا الطفل على النوم لأن هذا الموقف يخلق لدى الطفل عدم التوازن والتساؤل.. لماذا كل هذا المنع من مشاهدة ذلك البرنامج بينما هما يجلسان لمشاهدته.

٢ ـ الا يسمحا للطفل بالجلوس قريبا جدا من الشاشة لان هذا يضر بصحته وتكوينه الجسمى لأن الاشعة الصادرة من الشاشة تضر بكل خلايا جسم الطفل وخاصة العينين.

٣ ـ الا تعطيه الام الوجبات الغذائية الثقيلة وهى تعلم مسبقا أنه سيجلس طويلا لمشاهدة التلفزيون.

٤ ـ الا تفتح التلفزيون الا بعد ان ينهى الطفل واجباته المدرسية فأن اجبرته على اداء الواجبات المدرسية وخلالها تفتح التلفزيون نجد الطفل يترك الواجبات ويذهب مسرعا لمشاهدة البرامج.

٥ ـ ان يختار الاباء الافلام التربوية العلمية وذلك لعرضها امام الاطفال عن طريق الفيديو وان يتجنبوا اقتناء الافلام التى تسيىء باخلاق الطفل لانها مهما بلغا من حرص اخفاء تلك الافلام يأتى يوم وتقع بيد الطفل وبالتالى يشاهدها فى الوقت الذى لا يعرف الاباء ذلك.

٦ ـ كما يجب وضع برنامج للطفل وذلك بتحديد وقت لاداء الواجبات المدرسية ووقت لمشاهدة التلفزيون لان لبرامج التلفزيون فوائد عديدة ذكرناها سابقا.

٧ ـ يجب مساعدة الطفل قدر الامكان على اداء واجباته المدرسية وان انهى الطفل واجبه بالشكل الصحيح عليهما تشجيعه واثابته على ذلك عندها يكون الطفل سعيدا مبتهجا لانه نال رضاء والديه.





١٥١

ثمة نساء يحق لهن أن يقف الزوج إذا أقبلن . .
هنَّ مَنْ جَعَلْنَ منه مَنْ يكون . .



١٥٢

فستان الزفاف . . بطاقة دعوة فى دولابك . .
تذكرنى بيوم ميلاد جديد . أو . . . والخيار أمامك .

١٥٣

«نسيت» هى أسوأ تبرير اسمعه من التلميذ بالمدرسة . . ومنك بالمنزل . . لكن اطمئنك اكثر ما يكررها لى كل تلميذ بليد . . . .



١٥٤

بعد زواج البنت . . يبدأ الأب فى إصلاح ما أفسدت الأم . .



١٥٥

وراء كل زواج ناجح حماة واعية . .



١٥٦

يبدو أننا فى عصر انتشار الخادمات فى بيو
أصبحنا بحاجة الى مراكز لتأهيل ربات البيو، لا
سيما أولئك الفتيات اللواتى يطلبن من الشغالا ان
تحضر لهن فنجان الشاى الى كرسى المرآة . .



الورقة ١٥٧

لا أبالغ اذا قلت إنه فى عالمنا العربى ٩٠٪ من المواضيع التى تناقش بين أهل العروس وأهل العريس قبل الزواج قد لا تكون اساسية فى خدمة الفتاة لتكون سعيدة فى زواجها . . لأنه لو كان العكس هو الصحيح لما وجدنا أن المشاكل بعد الزواج «شر لابد منه» . .

الورقة ١٥٨

اذا كنا فعلاً ننظر للمرأة على انها المصنع الذى يعد الرجال والأمهات . . وأنها المدرسة الأولى التى ينهل منها الصغار أساسيات تربيتهم ومعارفهم وأن حياة الطفل فى البيت هى الأساس الذى تشاد عليه كل اللبنات الأخرى فى المراحل المتقدمة . .

فإننا بحاجة لمزيد من التركيز على دور المرأة فى بيتها وحياتها الزوجية فى مدارسنا بشكل يتناسب وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقها .

الورقة ١٥٩

الزوجه الذكية هى التى لا تكف عن اغراء زوجها بشتى الوسائل ليظل محتفظا بها . . لا يشغله شاغل عنها . . والجاهلة . . تلك التى تعتقد أنها بقسيمة الزواج استحوذت عليه . . وانه مجبر على الاحتفاظ بها . . حلوة أو مرة . .

الورقة ١٦٠

إن اللواتى يحرصن على اشاعة السعادة فى بيوتهن والدخول الى قلوب ازواجهن من اوسع الأبواب معنيات بأخذ دروس خصوصية من الآباء . . لا من الامهات . . فالأب يهدى ابنته الى الجوهر . . والأم غالباً ما توجه اهتمام ابنتها الى ذلك الفستان . . او تلك الحلى . . حتى وهى تعرف ان حبيبتها لا تعرف كيف تعلق ـ العقال والغترة ـ على الشماعة . . .





• رسالة من المتنبي

هو أحمد بن الحسين من أشهر الشعراء ـ مدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام وخاصة سيف الدولة بن حمدان ـ ذهب الى مصر فمدح كافور الاخشيدى ثم هجاه ـ فر الى فارس ماراً بالعراق فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه ووزيره ابن العميد ورجع عنها بالأموال العظيمة ـ خرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤هـ

حبيبتى خَوْلة :

الى اليوم الذى أبعث إليك فيه برسالتى هذه يكون قد مضى على إقامتى بمصر ما يقرب من ثلاثة أسابيع فى عرف الزمان الذى يقيس به الناس أعمالهم وأعمارهم . . ولكنها فى شريعة المحبين الذين يربطهم وثاق الحب المكين ثلاثة شهور بل ثلاث سنين . . خلالها لم يغمض لى جفن ولم تسكن لى نفس عن التوقان إليك ولم يرقأ لى دمع لبعادك . . فأنا فى نهار الناس حائر لهيف وفى ليلى مسهد العينين وفى نومى ـ إن كان لى ثمة نوم ـ فأنا مع طيفك بين دلال الوصال ومغاضبة الهجران . . فبالله أى قلق هو؟ بل أى أرق هو؟

أرق على أرق ومثلى يأرق
وجوى يزيد وعبرة تترقرق

جهد الصبابة أن تكون كما أرى
عين مسهدة وقلب يخفق
جربت من نار الهوى ما تنطفى
نار الغضى وتكل عما يُحرق
مالاح برق أو ترنم طائر
إلا انثنيت ولى فؤاد شيق

حبيبتى خولة :

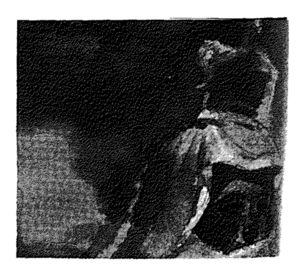
قبل سفرى إلى مصر حاولت بكل وسيلة أن أقابلك لأبثك بعض مواجدى وأسرارى ولأطلعك أنت وحدك على السبب الذى من أجله قررت زيارة مصر وحاكمها أبا المسك كافور الاخشيدى . . بحثت عنك طويلاً وسألت الجوارى اللائى يعملن فى قصر أخيك مولانا الأمير سيف الدولة بن حمدان . . فما رغبوا فى أن يدلونى على مكانك وصرت أسأل نفسى : هل وصل ابن عمك الشاعر أبو فراس الحمدانى منافسى فى حبك وأنك قد ذهبت لاستقباله والاحتفاء به؟ . . لا أدرى . . إن ما يخيفنى حقا هو أن يكون قد استطاع بزخرف قوله أن يستميل فـ[illegible] إليه . . فما أكثر الشعراء الذين يغصهم [illegible] ويفزعهم طموحى وعلو همتى وأبو فراس واحد من هؤلاء :



أرى المتشاعرين غرو بذمي
ومن ذا يحمد الداء العضالا؟
ومن يك ذا فم مرّ مريض
يجد مراً به الماء الزلالا

● وخلال حيرتى وتلهفى عليك لم أجد بداً من أن أذهب فى الصباح الباكر إلى مغنانا القديم عساى ألقاك هناك كما اعتدنا من قبل . . ولكم أحزننى أنك هجرته هو الآخر فشكوت إليه مابى قائلا :

بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا
وجدت بى وبدمعى فى مغانيكا



فعم صباحاً فقد هيجت لى طربا
واردد تحيتنا إنّا محيوكا
بأى حكم زمان صرت متخذا
رئم الفلا بدلا من رئم أهليكا؟

● فلما أن يئست من لقياك لم أجد مناصاً من السفر الى مصر فاستأذنت من مولاى الأمير وقد حييته قائلا :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
يا أعدل الناس إلا فى معاملتى
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
يا من يعز علينا أن نفارقهم
وجداننا(١) كل شىء بعدكم عدم

حبيبتى خولة :

أما الذى كنت أود أن أسره إليك فهو أن سفرى إلى مصر ليس بقصد الاقامة الدائمة فيها ولكننى سوف أبلو أريحية وكرم ذلك الحاكم المصرى أبا المسك كافور الاخشيدى فلعلنى أغنم من ورائه منصباً فى دولته ولعله مثلاً يعيننى حاكما على أحد أقاليم مصر

وهذا هو ما أطمع فيه . . ولا تظنى أننى سأتقدم إليه برغبتى هذه متزلفا تزلف الذلة والمسكنة فإن نفسى لأبية :

وفؤادى من الملوك وإن كا
ن لسانى من الشعراء

● كل ما آمله من حاكم مصر ـ بغير خضوع أو خنوع ـ هو أن أحظى بالكريمين : المجد والمال .

فلا مجد فى الدنيا لمن قلّ ماله
ولا مال فى الدنيا لمن قلّ مجده

حبيبتى خولة :

لا تسأليني كيف استقبلنى الرجل ولا تسأليني عن مظاهر التعظيم والحفاوة التى أحاطنى بها . . . وكان لابد لى من أن أصانع الرجل فأرفع من مقامى أولا فقلت له :

وفى الجسم نفس لا تشيب بشيبه
ولو أن ما فى الوجه منه حراب
يغير منى الدهر ما شاء غيرها
وأبلغ أقصى العمر وهى كعاب
وانى لنجم تهتدى صحبتى به
إذا حال من دون النجوم سحاب
غنى عن الأوطان لا يستخفنى
إلى بلد سافرت عنه إياب

● ثم طوقته حلية يزدهى بها على الزمان فقلت له :

ترعرع الملك الأستاذ مكتهلا
قبل اكتهالى أديباً قبل تأديب
مجرباً فهما من قبل تجربة
مهذباً كرماً من غير تهذيب

حبيبتى خولة :

لعلك الآن قد أدركت الدافع الذى جعلنى أسعى الى هذا الرجل حاكم مصر ملتمساً لديه تحقيق آمالى وأحلامى . . ولكن يالسوء تقديرى !! ويالنكبتى فى الناس !! لقد خدعنى الخبيث بوده الكاذب الممذوق مما اضطرنى إلى أن اكتم خيبة أملى وقلت لنفسى :

ولا تشك إلى خلق فتشمته
شكوى الجريح الى الغربان والرخم
وكن على حذر للناس تستره
ولا يغرك منهم ثغر مبتسم

● ومما هو أشد نكراً من هذا أنه أحاط نفسه ببطانة من المخاتلين المخادعين النهازين . . فاضطررت الى ملاينتهم ومصانعتهم :

ولما صار ود الناس خباً
جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه
لعلمى أنه بعض الأنام

حبيبتى خولة :

اه يا خولة !! ليتنى ما نزلت فى ضيافة ذلك الكافور الاخشيدى ولا اختلطت بعصابته التى تحيط به وتمالئه ممالأة العبيد :

إنى نزلت بكذابين ضيفهم
عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدى وجودهم
من اللسان فلا كانوا ولا الجود
صار الخصى إمام الآبقين بها
فالحر مستعبد والعبد معبود
ما كنت أحسبنى أحيا الى زمن
يسيىء بى فيه كلب وهو محمود

● حقا يا خولة: لقد كانت تجربتى مع ذلك الرجل الخبيث تجربة مع الزمان وأهله فعرفت الزمان حق المعرفة وخبرته فى أحواله وصروفه.. إلا إن الزمان هو الناس.. ألا إن الناس هم الزمان.. يا إلهى ماذا أقول؟



صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
وعناهم من شأنه ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منـ
ـه وإن سر بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليـ
ـه ولكن تكدر الاحسانا
كلما أنبت الزمان قناة
ركب المرء فى القناة سنانا

حبيبتى خولة:

أحيانا أقول لنفسى: ولماذا تعتب على الناس والزمان؟.. وتشكو من الناس والزمان؟ وها هى ذى حبة روحك ونسم حياتك الأميرة شقيقة الأمير تفعل بك كما يفعل الزمان، فتملك كما يمل الزمان الانسان.. وتخلف عهدها ووعدها كما يخلف الزمان عهده ووعده.. ولذلك كثيراً ما تنتابنى الهواجس وتشتت عقلى الظنون.. فقد يكون ابن عمك أبو فراس الحمدانى هو الأثير لديك والمقرب إلى وجدانك وصفى هواك.

نعم ذلك ما أحس به وكأنه الحقيقة التى لا مراء فيها.. أحياناً كانت نفسى تحدثنى قائلة: ربما يكون ذلك تعالياً منها وازدهاء بمقامها أليست هى الأميرة أخت الأمير؟.. ولكننى كنت أزجر نفسى عن هذا الخاطر السخيف وأقول: كيف؟ وهى تعلم أننى:

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء
أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان
أنا ابن الفيافى أنا ابن القوافى
أنا ابن السروج أنا ابن الرعان
طويل النجاد طويل العماد
طويل القناة طويل السنان

● أما إذا ظن ابن عمك أنه يستطيع منافستى أو منازلتى فى حبك فهيهات هيهات:

أنا صخرة الوادى إذا ما زوحمت
وإذا نطقت فإننى الجوزاء

حبيبتى خولة:

ردى الوصال سقى طلولك عارض
لو كان وصلك مثله ما أقشعا

● ردى الوصال فلست من الذين يفشون أسرار الحب لأن لأسرار الحب عندى قداستها:

وسركم فى الحشا ميت
إذا أنشر السر لا ينشر
وافشاء ما أنا مستودع
من الغدر والحر لا يغدر

● فبحق سحر عينيك لا تبخلى على بالوصال عندما أعود إليك.. فلسوف اترك مصر وأذهب العراق وبعدها يعود الغريب إلى وطنه.



قال أبـو تراب: جاء فى النهـايـة لابن الأثـير (أمن) وفى الحديث نهران مؤمنان، ونهران كافران، أما المؤمنان فالنيلُ والفراتُ وأما الكافران فدجلة ونهر بَلْخ.

ونقله ابن منظور فى اللسان، وذكره ابن الجوزى فى الغريب بدون عَزْو.

قال أبو تراب: ولم أجده فى الجامعين الكبير والصغير للسيوطى ولا فى ذيلهما للمناوى ولا فى فهرس ميزان الاعتدال وتاريخ بغداد.. والكامل والضعفاء وغيرها.. وهو غريب.. وكعادة الزبيدى فى التاج لم يخرجه لأنها على حد قوله أحاديث بلا أسانيد.

وتفسيره أنه جعلهما مؤمنين على التشبيه لأنهما يفيضان على الأرض فيسقيان الحرث بلا مؤونة وجعل الآخرين كافرين لأنهما لا يسقيان ولا ينتفع بهما الا بمؤونة وكُلْفة فهذان فى الخير والنفع كالمؤمنَيْن وهذان فى قلة النفع كالكافرين.

قال أبو تراب: ذكر الجوهرى فى الصحاح أن هاء المهيمن أصلها همزة فهو مُؤَامِنٌ واعترض عليه ابن برّى فهو يقول: قول الجوهرى: (ومنه المهيمن أى من أأمن بهمزتين لُيِّنَت الثانية فصار آمن وكذلك مُؤَامِنٌ لينت الثانية وقلبت ياء وقلبت الأولى هاء).

قال ابن برى: هذا لا يصح لأنها ساكنة وإنما تخفيفها أن تقلب ألفاً لا غير. قال: فثبت بهذا أن مُهيمناً من هَيْمَنَ فهو مهيمنٌ لا غير.

قال أبو تراب: انما عُذر الجوهرى أن هذا الإبدال واقع فى كلام العرب كأما وهما فى الاستفتاح، وقد قال به فى هذا اللفظ بالذات ابو على الفارسى وهو مَنْ هُو، ونقله ابن سيده فى المحكم عنه قال: الهاء فى المهيمن بدل من الهمزة والياء ملحقة ببناء مُدَحْرِجٍ وهو المؤمن عباده من عذابه، وقال غيره غير ذلك كما ذهب اليه الجمهور.

قال أبـو تراب: جاء فى لسـان العـرب (أمن) عن ابن السكيت أن الأمين المؤتِمِنُ والمؤتَمَنُ على المفعول والفاعل ضدُّ.

قال أبو تراب: لم يذكره ابن الأنبارى فى الأضداد وانما ذكره ابن السكيت فى الأضداد (ص٢٠٤) والسجستانى فى الأضداد (ص١٠٣) وابو الطيب فى الأضداد (ص٩) وأنشد قول النابغة:

(وكنت أمينه لو لم تخُنْهُ)

وفى هامش أضداد أبى الطيب خطأ فى الاحالة وخطأ فى نص البيت فليصحح.



قال أبو تراب: لم يعقد الراغب ولا غيره ممن ألف فى لغة القرآن باباً للألف والميم والهاء . . وحقُّه أن يُعقد له باب لأنه قد وردت القراءة بذلك فى قوله تعالى: ﴿وادَّكَرَ بعد أُمَّةٍ﴾ فجاء ﴿وادَّكَرَ بعد أَمَهٍ﴾ والأَمَهُ النسيان. وذكرها الراغب فى (أُمَّةٍ) وذكرها اللسان فى الأَمَهِ، وابن فارس فيها وعقد لها باباً فى المقاييس وأوردها الزبيدى فى التاج.

وفى تفسير القرطبى (ج وص ٢٠١): وقرأ ابن عباس فيما روى عَفَّان عن هَمّام عن قتادة عن عكرمة عنه: «وادَّكَرَ بعد أَمَهٍ» . . وقال النحاس: والمعروف من قراءة ابن عباس وعكرمة والضحّاك: «وادَّكَرَ بعد أَمَهٍ» بفتح الهمزة وتخفيف الميم - أى بعد نسيان.

وذكر البيت المذكور فى مجازالقرآن لأبى عبيدة:

أَمِهْتُ وكنتُ لا أنسى حديثاً
كذاك الدهر يُودِى بالعقولِ

وفى اللسان: عن الزجاج قال قرأ ابن عباس: «وادَّكَرَ بعد أَمَهٍ» والأَمَهُ بفتح الميم هذا الصحيح، وقال ابو الهيثم بعد أَمْهٍ بالسكون خطأ.

وعن شُبيل بن عَزْرَة الضُّبعىّ بفتح الألف وإسكان الميم وهاء خالصة، وهو مثل الفتح فهما لُغتان.

قال الامام الطبرى (ج١٢ ص١٣٥): روى عن جماعة من المتقدمين أنهم قرأوا بفتح الألف وتخفيف الميم وفتحها وذكر روايات فى ذلك وذكر رواية الجزم عن مجاهد قال ومعناها يظهر المعنى الأول. وفى تفسير ابى حيان (ج٥ ص٣١٤): وهى قراءة زيد وابن عمر وأبى رجاء وربيعة.

قال أبو تراب: جاء فى حاشية ابن برّى على الصحاح: أَمْهَةُ الشبابِ كِبْرُه وتِيهُهُ.

قال أبو تراب: يجوز أن تكون الهاء فى أُمَّهَةَ زائدة كما زيدت فى الأُمَّهِ بمعنى الأُمِّ وقد تكلمنا فى هذه المسألة فى كتابنا: «شواهد القرآن» وقال ابو بكر: الهاء فى أُمَّهة أصلية.

قال الفاسى فى إضاءة الراموس: أجمعوا على زيادة الهاء فلا معنى لدعوى أنه لغة.

قال أبو تراب: جاء فى اللسان (أَمِة) تقول العرب فى الدعاء على الانسان رماه الله من كل أَمَةٍ بحجر حكاه ابن الأعرابى، قال ابن سيده: وأراه من كل أَمْتٍ بحجر.

قال أبو تراب: وفى بعض الحواشى: يناسبه ما فى مجمع الأمثال: رماه الله من كل أَكَمَةٍ بحجر.

قال أبو تراب: فكأن أَمَةً تصحيف من أَكَمةٍ.



الموسوعة الأدبية (دائرة معارف لأبرز ادباء المملكة العربية السعودية ـ عبد السلام طاهر الساسي ج١ مكة ، دار قريش للطباعة ١٣٨٨ .

١ ـ ص٢٨٢ «أحمد مشرف شاعر الاحساء . . وقد تتلمذ للشيخ حسين بن غنام مؤرخ العصر وصاحب كتاب (عنوان المجد فى تاريخ نجد) . .

أـ المألوف ان يرد على : أحمد ابن مشرف . وفى الأحساء شعراء كثيرون غيره ، وربما كان الافضل . . قال شاعر من الاحساء أو: الاحسائى .

ب ـ حسين بن غنام صاحب كتاب «تاريخ نجد» المسمى «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام» وهو مطبوع وحسين غنام أحسائى .

ج ـ أما «عنوان المجد فى تاريخ نجد» فهو لعثمان بن بشر ـ وهو مطبوع .

٢ ـ كان فى عزم الساسى أن يصدر موسوعته بأربعة أجزاء وقد صدر الثانى ثم الثالث ثم توفى ولا يبعد أن يكون قد أعد الرابع قبل وفاته أو انه اعد اكثر مواده فى الأقل وقد وعد باصداره فى كلام له فى الجزء الثالث ويحسن ان تتولى جهة كالنادى الأدبى فى مكة أو الطائف ـ طبعه .

الشعر الحديث فى السودان ـ الحلقة الأولى: الشعر التقليدي وبداية التجديد. محاضرات ألقاها دكتور محمد ابراهيم الشوش على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية ـ معهد الدراسات العالية ـ جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٦٢ مطابع دار النشر للجامعات المصرية ١٩٦٢ـ١٩٠ص .

١ ـ يأسف القارىء أن لم يقع على الحلقة الثانية ويبدو أنها لم تلق ولم تطبع؟

٢ ـ ص٤٣ : «كان من الطبعى أن يتجه شعراء هذا الجيل الى الشعر الغنائى التقليدى الذى كان سائدا فى العالم العربى حينئذ .

صحيح الطبعى : الطبيعى

٣ ـ ص ٤٢ « . . . الشاعر السورى فؤاد الخطيب . . . »

هو شاعر سورى بالمعنى العام لكلمة سورية أى الشام حين شملت سورية ولبنان وفلسطين والأردن . . وإلا فهو لبنانى لدى المعنى الخاص ـ ولد سنة ١٨٨٠ ـ وقيل ١٨٧٩ ـ فى قرية شحيم من أعمال جبل لبنان . . »

● **حضارات الوطن العربي كخلفية للمدنية اليونانية ـ الدكتور سامي سعيد الأحمد، منشورات اتحاد المؤرخين العرب بغداد ١٩٨٠ـ٩٣ص د . مط .**

١ ـ عبارة العنوان مستجدة وكأنها ترجمة لتعبير غربى وانها لكذلك .

٢ ـ المقصود بالوطن العربى المقصود الحالى جغرافياً و يه مصر والعراق وسورية . . وليبيا .

٣ ـ لو جعل المؤلف لكتابه مقدمة وخاتمة كان أحـ ن للقارىء .

٤ ـ يريد المؤلف أن يقول: إن المدنية اليونانية (القد مة



د. علي جواد الطاهر

المشهـورة) تأثرت فى نهضتها بالمدنيات (والحضارة) التى قامت قبلها فى مصر والعراق وسورية وتميزت جزيرة كريت جسراً للصلات. . ولم يكن الأول فى هذا القول ولن يكون الأخير. وللرأى ما يسنده ويجعله فى جملته مقبولاً وتزيد الاكتشافات من شأنه. . ولكن الخشية فى المبالغة التى تعكسها لهجة «القائلين» ومن شأن المبالغة أن تقلل من شأن الأصالة اليونانية وانها تحمل صاحبها على التشبث بأقل دليل وأقل شبه. . والمشابهات بين المدنية اليونانية وحضارات مصر والعراق وسورية حاصلة دون شك. . وانها فى هذاالكتاب كثيرة وربما بدت على أكثر من اللازم

ومعلوم أن الشبه وحده لا يكفى دليلاً للتأثر لأن الانسان واحد وتصرفه إزاء الطبيعة والمشكلات متقارب فى أحيان كثيرة. . وقد يتطابق على غير اتصال.

التأثر تأثر المدنية اليونانية بحضارة مصر والعراق وسورية حاصل. . ودور جزيرة كريت قائم ولكن لهجة المؤلف تبديه وكأنه يتحيز لجهة أو رأى.

٥ ـ للمؤلف قدرة على الكتابة. . وقلمه يعينه فى يسر و«انسياح» ولكن قد تفوته ـ أحيانا أمور من اللغة العربية ومن ذلك:

أ ـ ص٥: أزاد وصحيحها: زاد

ب ـ ص٣٨: «الأدلة. . . تؤشر الى. . . » وصحيحها. . تشير. .

ج ـ ص٣٠: «عشتار. . . وايريشكيجال. . . والاثنين أختين»: الاثنتان أختان.

د ـ ص٤٠: «حيث أن. . . »: حيث إن

هـ ـ ص٤٠: ولما درس الاستاذين شادويك وفنتريس تاريخ اللغة اليونانية. . . » ولما درس الاستاذان. . . »

و ـ ص٣١: «على وجه الرجل ذو اللحية. . . » ذى اللحية

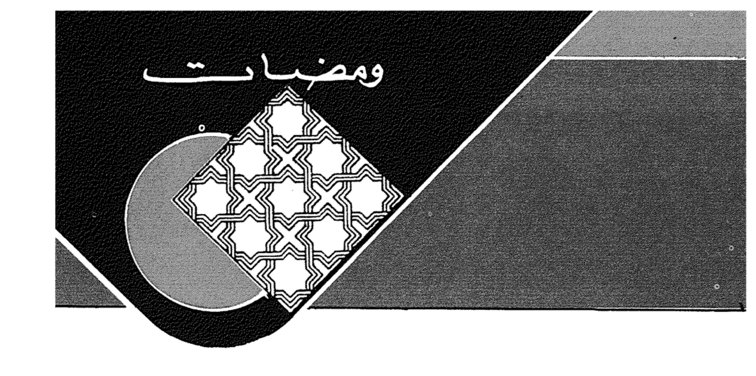
ى ـ ص٥٦ «التمرغل فى التراب»: التمرغ

ح ـ ص٣٣: «. . . فالاثنين يرجعان. . . وكليهما. . . » فالاثنان. . . وكلاهما.

٦ ـ من الملاحظ أن المؤلف (ص٣٣ مثلا) يستعمل الأوذيسة بالذال.

٧ ـ ويكتب ص٢٨: أبولو مرة بلام واحدة ـ وهو الصحيح ومرة أبوللو بلامين.

٨ ـ وللذين قرءوا ـ ويقرءون: الإلياذة والأوديسة يقول الدكتور الأحمد: إن طروادة هى أزمير الحالية.



الرسالة الأخيرة

عبد الله الداري
جدة

كان الصمت من حولى ينشر ظلاله.. وكان الليل قد اوغل فى ساعاته الاخيرة.. وحينما يلتقى الصمت والليل وينام الوجود كله.. احس كأن رسيس الصمت كاد ان يتكلم ويتحول الى همسة حب ناعمة.. ورعشة قلب رقيقة.. وتظل أضواء الشوارع تتراقص من بعيد.. وتغنى وحدها كأنما هى تودع الليل الذى كان يلفظ انفاسه الاخيرة.

ما اروع السحر فى صمته وسكونه.. حيث يحلو الهمس.. وتتحول الكلمات الى انغام موسيقية مترعة بالحب والسحر والجمال.

فى هذا الجو الرومانسى الحالم.. أسافر وحدى إلى دنياك أحمل معى باقة ذكريات عبرت.. ويمر امامى شريط من صور الماضى البعيد القريب.. وأجد روحى كأنما انتقلت الى دنيا من الرؤى الجميلة.. ويتحرك قطار الشوق فى صدرى.. وتتراءى مواكب الحب فى عينى.. واسبح فى بحر من ذكريات ماض من العمر.. امسح ما علق بها من غبار النسيان واعيش لحظات من الزمن.. اغفو مع الحلم الكاذب.. اردد مع صوت ام كلثوم القادم من بعيد.. كأنه صدى السنين الحاكى:

أنا لن أعود اليك مهما استرحمت دقات قلبى
انت الذى بدأ الملالة والصدود وخان حبى
فاذا دعوت اليوم قلبى للتصافى لن يلبى

لقد أسدلت ستار النسيان على «قصة الأمس».. وهذا الخافق المعذب لم يعد يعرف الحب بعد أن أرهقه المشوار.. وانطفأت فيه شعلة الحنين الى الماضى.. واحترقت الاشواق فى زواياه..

وبعد اليوم.. لن أسافر الى دنياك يا حبى الشهيد..

الكلمة جسر المعرفة.. والخاطرة.. تحمل بين ثناياها الفكرة.. ونتلمس بين طياتها الرأى.. وعلى وميض الكلمات نستقرئ ما بين السطور..
(ومضات) باب استحدثه محبو المنهل.. بالفكرة يلتقون.. وعلى الرأى يجتمعون وحول الطرفة يتسامرون.. هو منهم واليهم..
فأهلاً بشذاة الأدب .

عمق حواء

سيد عبد الرؤوف
مصر



حواء لغز وألغاز أبت حلّا
وكل ظاهرها يسر فما أحلى

حواء عَصْف رياح دون زجرة
ورقة لم تزل من فرطها طفلا
حواء أضعف جسما غير أن لها
دلًّا يفوق ألا ما أعظم الدلّا
ما إن وقفتَ لها يوما تعارضها
إلا انتهيتَ إلى ما أزمعتْ حلّا
ترضى فنرضى وتنقاد القلوب لها
والروض إن عبستْ يبدو لنا محلا
حواء آدم فى الجنّات قرَّ بها
وآدم فى الأرض أولاها الهوى كلا

أنسته جنة عدن والنعيم بها
صارت له الروض والأزهار والظلا
عجينة جل من سوّى دقائقها
ملحاً أجاجا وعذبا سائغا سهلا
جلّ الذى صاغها صوغا تحار له
جلّ الذى صاغها سبحانه جلَّ
روح فليس لنا عنها غنى أبدا
فإنها الماء للظمآن ما تُسْلَى
فانفذْ لفطرتها تسعد بصحبتها
وتغنم القرب والمعروف والفضلا
من راضها عاش فى أمن وفى دعة
ومن تحدى ولم يرفق فقد ضلَّ
حواء آية إبداع لخالقنا
وقدرة فوق ادراكاتنا مُثْلى

الربيع .. الحياة

مصطفى محمد مصطفى

فى الصباح الباكر كنت على موعد أن أسافر الى قريتى مع بعض الرفاق . . وكنت على ضفاف النيل والشمس وليد رقيق تستعد لرحلتها اليومية . . وأحببت قاهرتى فى هذا البكور وما أجمل البكور فى كل شىء فى الصحة والشباب ومسيرة الحياة وما أقسى المساء فى كل شىء وهو يعدو على النور بالظلمة ويغتال الصحة بالذبول وهو يقتات من الذكريات الجميلة يطويها بعد أن كانت منشورة .

وتحرك الصحب فى الطريق الى قريتى والشمس تزداد مع تقدم النهار ضياء ودفئاً والسحب تتراوح فى صفحة السماء ظاهرة تحجب الضياء وتأبى الشمس .

الصراع فى السماء بين الغيم والصحو . . وعلى الارض بين الظل والحرور . . وعلى الحالين يجعل من الحياة الوجود . . فمتى صفت بدون غيوم ومتى غامت بدون صحو ؟ .

وعلى حافتى الطريق انتشرت أشجار السرو والكافور مرفوعة الهامة تتمايل أوراقها مع وشوشات فى رفق من النسيم . . والشمس تحنو عليها تارة بالضوء البشوش وتارة بالظل الرقيق . . فترتسم لوحة على قارعة الطريق . . وحقول القمح والبرسيم سندس منثور على مرأى العيون . . السنابل لم تولد بعد ولكن الاحساس ان عملية مولد عجيبة تجرى فى أوراقها . . لها طعم أكاد أشم عطرها . . انها يد علوية . . بعد شهر أو أقل تصبح حبات القمح خلقا سويا .

انه الربيع تحف بك بشائره من الدفء والثمر . . الحياة تسرى فى الأغصان الجافة والأوراق التى أذبلها البرد والصقيع . . فاذا الورود مزدهرة والفجر انبثق . . والقلب يحس بدبيب النشوة والبهجة .

اذن أنت جزء من الطبيعة منسجم معها . . ومنسجمة معك .

وكيف لا ؟ . . وانت ترى معجزة الربيع تنفث الحياة فى كل شىء جامد . . والبهجة فى كل وجه حزين .

ألست وجها من وجوهها ؟

وبلغنا مقصدنا وانتشرنا فى المزارع بين الشجر والزرع . . الصمت شامل والشمس انتصرت على الغيم . . حكمتها صامدة كأنها تحكى قصة القرون . . هى نفسها رافقت قريتى منذ أن وجدت . . ورافقت التاريخ منذ جرى للتاريخ ذكر .

لو نطقت الشمس . . لو نطق الصمت . . وتأملتها وخيل إلىّ اننى اقرأ فى كتابها ما لم أقرأ فى أى كتاب وأتعلم من حكمتها .

وخيل إلىّ ان الصمت المحيط بى أبلغ من كل كلام .

وفى المساء عدنا الى القاهرة . . مالت الشمس الى المغيب منذ ساعات كان المولد والبكور الفضى فى ثوبه المشرق الجميل . .

والان يلتف هذا البكور فى ثوب حزين فيه الذكر الجميل لساعات جميلة . . فيه الأمل ببكور جديد . .

هكذا الحياة دورة . . فيها البكور والمساء . . والمساء والبكور .

ويا طيب ما كانت



أحمد
محمد طاشكندي
جدة

كانت لنا أيام . .
ويا طيب ما كانت
كانت أياماً مليئة بالمحبة
ويا ليتها ماكانت
ما العمر الا ليلة
كان الصباح لها جبينا

● بيت من الشعر قاله أحمد شوقي أمير الشعراء . . يصف ليلة حب . . عاشها الشاعر ومضت تلك الليلة . . وبقيت ذكراها . . مجرد ذكريات . . صدى للسنين . .

لقد كان الحب يرعانا . .
لقد كان القمر شاهدنا . .
لقد كان الهوى ثالثنا . .

● مرت الأيام . . تلتها الليالي . . نسينا أو تناسينا (عهد الهوى) . . ما أجمله من عهد . . ضاع «العهد» . . وبقى «الهوى» في النفس . . في الذاكرة . .

متى يا ترى تعود . . ؟
وبت أشكو نفسي . . لنفسي . .
ورحت أبث لروحي . . عذابي . .
فسكنتْ نفسي . . وهدأت روحي

●●●

يا سخرية الاحداث . .
يا حبيبي . . ضاع الهوى؟
من لي . . يعوضني عن هواك؟
من لي . . يهديني ويريحني؟

أنت هواي . .
أنت عذابي . .
أنت شبابي . .
لا شيء يثلج صدري الا بسمتك
لا شيء يريح قلبي الا لقياك
لا شيء يسعد نفسي الا رؤياك

●●●

أنت المنى . .
أنت الأمل . .
أنت الرجاء . .
اسأل روحك . .
اسأل قلبك . .
اسأل لياليك . .
تجدها تذكرك بعهد مضى . . وتردد معك :
كانت لنا أيام . . ويا طيب ما كانت

قصة قصيرة

على جبين النيل

أحمد ربيع الأسوانى

عنـدمـا آوى الى فراشه مرغما فى تلك الليلة كانت حواسه تؤكد بأنها إغفاءة الفيل الذى عاد أخيرا الى مسقط رأسه ينتظر النهاية . . لذا لم يكن لديه من القدرة ما يكفى لذهنـه المضطرب لكى يستعرض شيئا من صور الماضى الحـافل كما تعودت دائما ان تطل عليه من الاعماق براقة جلية ليعيدها النعاس بعد ذلك الى موضعها حيث كانت . .

أفلحت الحمى فى سحب جميع تراخيص زيارتها حتى من اكثـرها أهمية وتأثيرا على مجرى حياته ذلك باستثناء طيفها الذى لا يملك أمام حضوره الملحّ سوى الترحيب والانطـلاق معه الى أبعد ما يستطيع ان يصل بهما طائر الاستعادة الليلى . . وها هو الليلة يشعر بأنه فى حاجة اليه اكثر من حاجته إلى طبيب.

طائـر الاستعادة الجريح لا يقوى على التحليق . . يقفز قفزا نحو صور باهتة . . متباعدة . .

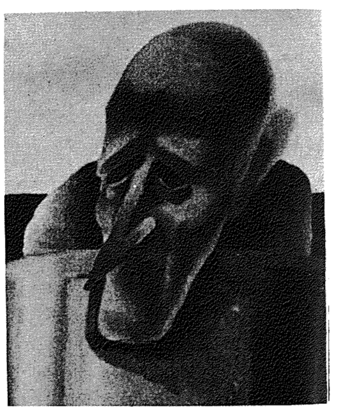
اختلف معها ذات ليلة على تسمية مولودهما الأول وطـال النقـاش واحتـدم ولم يحسمه سوى اكتشافهما بأن المختلف عليـه ليس له وجود حتى فى الاحشاء فانفجرا ضاحكين . . أمه . . تريد حفيدا وبمرور الوقت تتزايد اللمزات والغمزات تلد فى قلبه أشياء كريهة لكنها كسيحة وهى تحاول وتطرق كل الابواب دون جدوى تحت شعار (من أجلك انت) . . الحب ربـاط لا تراه الأم وكـذلك الاقارب . . فيه تنتفى قيمة الذات وتتلاشى . .

تتوسل اليه أن يأتى بأخرى من أجل أمه وهو يصم اذنيـه لا يريد ان يسمع منها حتى مجرد الكلمات وعندما تلمح لهيب العشق فى عينيه . . تلوذ بالصمت.

قدمت له ذات مســاء شتـوى طبقـاً متـواضعـاً من (العصيد) ولما طلب منها مشاركته الطعام أخبرته فى خجل بأنها تناولت عشاءها اعتقادا منها بأنه سيأتى متأخر وفى الصباح اكتشف أنه لم يكن فى الدار من الطحين سوى ما يكفى لصنـع طبق واحد فقط . . وكانت فى تلك الليلة

سعيدة بشكل غير مألوف مما جعله يتساءل . . ابتسمت فى دلال وهى تقول: ألا يكفينى أن اكون بجوارك.

طائر الاستعادة يسرع فى قفزاته يؤخر منها ما يؤخر ويقدم منها ما يقدم وقد تلاشى الزمن تحت أجنحته التى بشعر بحفيفها فى قلبه كمخالب وحش كاسر يعمل فيه نهشا وتقطيعا.



توقف الطائر الجريح طويلا يحملق فى لحظة رحيلها المفاجىء منذ ثلاثين عاما عندما قرر الحفيد المرتقب أن لا يرى النور فرحلا سويا . . تركه يحملق تجاهها بينما ازداد الشعور لديه بأن لحظة الرحيل قد حان موعدها . . لم يعد يعنيه فى شىء أمر صاحبه الليل اللاهث الانفاس بأشجاره وحقوله ودوره والذى يبدو كلوحة زيتيه لفنان مأساوى تموج بالأشباح والظلال المنزلقة من جوف الوحشة والجامحة نحو العتمة مدهونة بعرق الرطوبة الصيفى . . تتقيأ الصمت المتوغل فى الثقل وفيها تكاد تتوحد الالوان وتتساوى المقاييس للاحجام والتفاعلات الطافحة على أغلفة الاجساد المنهكة فى أعقاب الهدنة المؤقتة مع ديناصور المعاش اليومى تحت مظلة النهار وأجنحة الركض.

كان ينضح عرقا وهو مستلق على الفراش المتواضع والذى لم تمسه يد نسائية منذ زمن بعيد . . حبا كف يده المرتعش الى جواره ليرسم فى البداية فقرات مستقيمة على الرمال ولما لم يعثر على بغيته لم يجد مناصا من مضاعفة الجهد واجراء مسح موتور حوله فى نصف دائرة . . توقف عن طرف القوس بمحازاة أضلاعه البارزة وذلك عندما لامست أصابعه ذرات الرمال المبتلة فأدرك وهو يطلق تنهيده عميقة ان الدورق الفخارى قد ابتعد عنه بضع بوصات بعد أن لفظ ما به من ماء.

ازداد معدل الطفح غير المنظور وترامى الى سمعه هدير الشلال القادم خلف الابواب القديمة كقضبان قطار ينبىء اهتزازها عن قدومه وهو على بعد غير مرئى . . تمرد كلبه العجوز خارج الدار على الصمت فنبح للحظات ثم سرعان مالاذ بالهدوء وكأنه أدرك جسامة فعلته والتى ستكون الخطأ الوحيد فى اللوحة الدرامية القاتمة . . حلقه الآخذ فى الجفاف يتقلص بينما بدأ اللسان تدريجيا يزحف نحو الثنايا المحاطة بفتات الطعام المتحلل خارجا تدفعه عنوة العضلات المشتركة فى معزوفة الخلاص.

لم يكن الليل قد وصل بعد الى السفح وبدوره أيضا لم يكن النهار من الجهة الاخرى يطل من القمة عندما تحول الماضى بصوره الباهتة الى حاضر . . قفزت أمامه بثياب العرس ممسكة بيدها المخضبة بالحناء دورق الفخار المملوء بالماء البارد . . هو الآخر كان ينضح . . رغم العتمة كانت بسمتها أقوى من كل فوانيس القرية . . نفض عن كفه ذرات الرمال . . رفعها نحوها ترتعش . . انهارت البوابات القديمة وتدفق عبرها الشلال جارفا صامتا كحزمة ضوء . . فى غمرة الفرح انحدرت على خده دمعة . . كانت هى اللمسة الاخيرة فى اللوحة المدلاة على جبين الليل المعروق.



هذا الكتاب يتناول تاريخ الكعبة الشريفة قبل الاسلام ويعرض المراحل والتغيرات التى مرت بها الكعبة قبل الاسلام -.. وأصل هذا الكتاب محاضرة ألقاها الاستاذ عبد القدوس الأنصارى عن تاريخ الكعبة المشرفة قبل الاسلام فى عام ١٣٩٩هـ بالندوة العالمية التى عقدت إذ ذاك فى جامعة الملك سعود بالرياض لدراسات تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام.

وهذا الكتاب صدر عن - نادى مكة الثقافى الادبى - بالمملكة العربية السعودية ويقع هذا الكتاب فى ١٠٩ صفحة من الحجم المتوسط ويضم تسعة فصول..

الفصل الاول: أسماء الكعبة المشرفة قبل الاسلام:

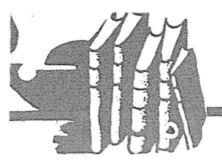
تمكن المؤلف من جمع عشرة أسماء للكعبة المشرفة قبل الاسلام.. وقد وردت بعض هذه الاسماء فى القرآن الكريم ومنها ما ذكر فى الاحاديث النبوية وفى الشعر العربىَ الجاهلى وفى الشعر المخضرم وفى المراجع اللغوية وغيرها.. ومن تلك الأسماء:

الكعبة: وقد ورد ذكرها فى القرآن المجيد مرتين فى سورة المائدة - فى الآيتين ٩٥، ٩٧ وورد فى الاحاديث النبوية وفى كلام العرب المنثور وفى المراجع اللغوية والتاريخية والأدبية.. والمعنى بهذا الاسم هو نفس **«البيت الحرام»** بمكة وتقول المراجع اللغوية أن اسم الكعبة مشتق من مادة التكعيب فى اللغة العربية وهو التربيع.. أو مع الارتفاع.. قالوا: ومنه الكعب سمى بهذا الاسم لنتوئه وخروجه من جانبى القدم.

البيت: وقد ورد هذا الاسم فى القرآن الكريم مرات متعددة واسم (البيت) ورد موصوفا بالعتيق وبالحرام وبالمحرم.. كذلك ورد فى الاحاديث النبوية الشريفة وذكر فى الشعر الجاهلى بكثرة.

البنية: وفى لسان العرب لابن منظور **«البنية»** عن فعيلة: الكعبة لشرفها إذ هى من أشرف مبنى.

الدوار: وتقابل هذه الكلمة الطواف فالدوار قبل الاسلام يعنى الطواف حول الأوثان.



تأليف: عبدالقدوس الانصاري
عرض: خالد محمد غازي / مصر

كعبة المشرفة الإسلام

القادس وناذر: سميت بالقادس من التقديس وسميت أيضا «ناذر» ذلك على ما ذكره كتاب أخبار مكة لمحمد الازرقى.

القرية القديمة والقبلة: ورد اسم القرية القديمة للكعبة فى بعض المراجع وقد سمى الله الكعبة قبلة فى قوله جل من قائل **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قِبْلَة ترضاها﴾**.

● وقال عبد المطلب مخاطبا المولى عز وجل لما اقترب أبرهة من مكة يريد هدم الكعبة فى أبيات مشهورة:

إن كنت تاركهم وقبلتنا
فأمر ما بدا لك

الحمساء: جاء فى القاموس المحيط للفيروز آبادى اسم آخر للكعبة هو (الحمساء) والحمس: الامكنة الصلبة.. جمع أحمس.. وهو لقب كنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية لتحمسهم فى دينهم والتجائهم بالحمساء أى الكعبة.

المذهب: سميت الكعبة بهذا الاسم فى الجاهلية وأورده صاحب القاموس المحيط مادة «ذهب».

الآل: يقال انه جبل بعرفة أو جبل عرفة وأيد هذا المعنى القاموس المحيط وغيره من المراجع اللغوية.

بكة: وبكة تعنى الكعبة والمسجد، والمشهور أن بكة اسم لمكة كلها والباء والميم فى اللغة العربية تتبادلان فى النطق.

الفصل الثانى: عمارات الكعبة قبل الاسلام:

من الأمور المسلَّم بها أن أول عمارة للبيت الحرام كانت على يد الخليل ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام.. قال تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت واسماعيلُ ربَّنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾**.. ولما أكمل ابراهيم عليه السلام البناء أمره عز وجل بقوله **﴿وأذِّنْ فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتِينَ من كل فج عميق﴾**.. فاستجابت له البشرية. وبدأ الحج للكعبة ولم يجعل ابراهيم للكعبة باباً ولا قفلاً ولا سقفاً وكانت هذه هى

العمارة الأولى.. أما العمارة الثانية والثالثة فهى عمارة العمالقة وجُرْهُم.. يقول المؤلف «**ولوجود هاتين القبيلتين اليمانيتين فى مكة فى آن واحد اختلط الامر فى أيتهما قامت بأولى العمارتين**».. وكانت العمارة الرابعة هى عمارة قريش قبل البعثة المحمدية وكان سبب العمارة الرابعة هو الحريق الذى شب بالكعبة على أثر تجميرها (أى تبخيرها) من قبل امرأة قرشية وعلى أثر هطول أمطار غزيرة ودخول السيل الى مكة اضطرت قريش للنظر والتشاور فى أمر هدم الكعبة عاجلاً تمهيداً لبنائها من جديد وتعاونت قريش وتوافدت على نفقة البناء.

الفصل الثالث: الكعبة معبد لا معبود قبل الاسلام:

يقول المؤلف «كانت الكعبة معظَّمة ـ لدى عرب الجاهلية تعظيم تقدير وتكريم لا تعظيم عبادة لها ولقد وصف الله الكعبة فقال **﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾**.

ولم يكن عرب الجاهلية وحدهم يتخذونها معبدا بل شاركهم غيرهم من الأمم القديمة فى ذلك كفارس واليهود والهنود والصابئة.. وبرغم انتشار الشرك أبقى العرب الكعبة والحجر الاسود على ما كانا عليه فى العهد الابراهيمى.. فكانو يسمون الكعبة (بنية ابراهيم) وكانت وظيفتها لديهم عبادة الله عندها والتوجه منها الى الله إذا انتابتهم كارثة.. أويشكرون الله على نعمائه.. ونجد المؤلف فى هذا الفصل يعرض لأراء المستشرقين ويرد عليهم بنقد حججهم وتفنيد مزاعمهم.

وتغيرت الاحوال بالكعبة وخارجها حين بعث الله نبيه محمداً ﴿ﷺ﴾ بالهدى ودين الحق الذى أنقذ به العرب وغيرهم من الشرك والضلال الدخيل عليهم فتغيرت الاحوال وأمر الرسول بتكسير الاصنام التى بالكعبة وخارجها.

الفصل الرابع: البحوث العلمية كشفت لنا أن الكعبة هى مركز الارض:

البحوث العلمية كشفت لنا مؤخرا أن الكعبة هى مركز الارض.. وهذه البحوث لعلماء ثقة أجلاء.. أثبتوا نظريتهم بالادلة العلمية.. فكشفت البحوث العلمية الفلكية أن الكعبة مركز الارض.. بالاضافة الى أن علماء العالم الاسلامى القدامى قد أشاروا الى هذا الموضوع اشارة صريحة واضحة، فقد جاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى قوله: «فقد جاء فى الاخبار أن أول ما خلق الله فى الارض مكان الكعبة ثم دحا الأرض من تحتها فهى سرة الارض ووسطها الدنيا وأم القرى أولها الكعبة وبكة حول مكة وحول الحرم الدنيا».

الفصل الخامس: أوائل من كسوا الكعبة:

أورد الحافظ بن حجر العسقلانى روايات متعددة فى أول من كسا الكعبة قبل الاسلام.. ومن هذه الروايات ما يقول ان أول من كساها اسماعيل عليه السلام.. وثانية الروايات تقول: أول من كساها عدنان.. وثالثتهم تقول: أنه تبع (أسعد أبو كرب) ثم قال: ويجمع بين الاقوال الثلاثة ـ إن كانت ثابتة ـ بأن أسماعيل أول من كساها مطلقاً.. وأما عدنان فلعله أول من كساها بعد اسماعيل.. يقول المؤلف «وقد كسيت الكعبة قبل الاسلام بكسا مختلفة النسج واللون وكان أول من كساها بالديباج خالد أو نتيلة بنت خباب أو حباب أوحبان قبل الاسلام».

وذكر الحافظ ابن حافظ العسقلانى أن **«الدار قط ى» روى فى «المؤتلف»** أن أول من كسا الكعبة الديباج نتيلة بنت جناب والدة العباس بن عبد المطلب كانت أضلت العباس صغيرا فنذرت إن وجدته أن تكسو

الكعبة الديباج . . وورد أن اسمها نتيلة بنت حباب ابن حبان . . وتناول المؤلف فى هذا الفصل أيضا بعض الاخطاء التاريخية التى وردت فى (دائرة معارف القرن العشرين) للاستاذ محمد فريد وجدى وبعض الاخطاء التى وقعت فى كتاب «مرآة الحرمين» لابراهيم رفعت باشا . . وعلل المؤلف هذه الاخطاء بأنها جاءت سهوا أو نتيجة لخطأ الطابع أو الناسخ .

إصدارات جديدة

● صدرت الطبعة الأولى من «معلمة للتراث الأردنى» الجزء الخامس . . وهو من منشورات سلطة السياحة ـ عمان ـ الأردن . . تأليف الأستاذ: روكس بن زائد العزيزى . . والموسوعة بأجزائها الخمسة تصور المجتمع الأردنى تصويراً حياً . . وقد خصص المؤلف هذا الجزء للهجات والأوابد والألفاظ وردها الى الفصحى ما أمكن . . والمؤلف بعد المقدمة يعرض للهجة الأردنية والعربية الفصحى . . واللهجة السعودية وقصيدة الرفيق للأمير السديرى . .

يقع هذا الجزء من المعلمة فى نحو ٧٣٦ صفحة من القطع العادى.





● عن النادى الأدبى بالرياض صدرت الطبعة الأولى من (ديوان دوائر للحزن والفرح) للشاعر: حمد العسعوس . . يشتمل الديوان على حوالى تسعة وعشرين قصيدة ومقدمة بقلم: عبد الله بن إدريس رئيس النادى الأدبى بالرياض . .

يقع الديوان فى نحو ١٢٣ صفحة من القطع العادى.

الفصل السادس: هدايا الكعبة . . وآثارها ومعاليقها قبل الاسلام:

من كلام المؤرخين المسلمين يبدو أن أولى الهدايا التى قدمت الى الكعبة هى هدايا فارس فى صدر الزمان . . فقد أهدى الفرس الى الكعبة لؤلؤا . . وجواهر وقالوا أن ـ ساسان بن مالك ـ هو الذى قدم تلك الهدايا الى البيت الحرام، ويذكر أن أقدم الآثار بالكعبة ذلك الجب ـ أى البئر ـ التى حفرها ابراهيم عليه السلام ابّان بنائه للكعبة وقد جعلها مخزنا أمينا فى داخل الكعبة لهداياها . . ومن الاثار العتيقة أيضا قرنا الكبش . . كبش الفداء التى فدى الله بها اسماعيل من الذبح . . وقد أثبت أكابر الرجال الثقات بالأسناد المسلسلة أن القرنين المشار اليهما كان مثبتين فى جدار الكعبة بداخلها وأن النبى ﴿ﷺ﴾ لما رآهما أمر عثمان بن طلحة الجمحى بسترهما بخمار لكيلا يشغلا المصلى فى الكعبة. ومن تعاليق الكعبة قبل الاسلام أيضا المعلقات التى نظمها شعراء جاهليون معروفون من أهل الجزيرة وقد سماها العرب (معلقات) لأنهن علقن بالكعبة فى الجاهلية تقديرا لروعة لغتهن وجمال أسلوبهن العربى الممتاز.

الفصل السابع: سدانة الكعبة قبل الاسلام:

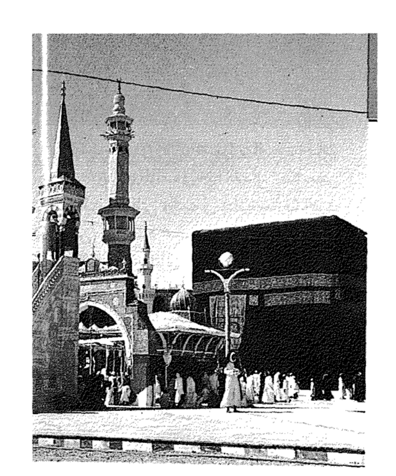
ورد فى لسان العرب لابن منظور «السادن خادم الكعبة وبيت الاصنام» والجمع السدنة . . يقول المؤلف: وقد فصل لنا القول فى موضوع السدانة قبل الاسلام ابن ظهيرة القرشى المخزومى فقال: «وكانت السدانة قبل قريش لطسم قبيلة من عاد فاستخفوا بحقه أيضا ـ أى بحق البيت ـ فأهلكهم الله ثم وليته خزاعة بعد جرهم دهرا طويلا حتى صار الامر الى أبى غبشان فباع مفتاح البيت من قصى بن كلاب بزق من خمر فقيل فى ذلك: (أخس من صفقة أبى

غبشان) فذهبت مثلا. وصارت حجابة الكعبة من بعد خزاعة لقصى وانتهى اليه أمر مكة بعد ذلك فأعطى ولده عبد الدار السدانة وهى الحجابة.. واعطى عبد مناف السقاية والرفادة.. ثم جعل عبد الدار الحجابة الى والده عثمان).. ويرى «جواد على» أن السدانة والحجابة وراثيتان.. تنتقل بالأرث من الآباء الى أكابر الابناء.. وتنحصر فى الاسرة فتكون من حقها ومن نصيبها ولا يمكن انتزاعها منها إلا بقوة لا يمكن التغلب عليها.

الفصل الثامن: أحداث بالكعبة قبل الاسلام:

تناول المؤلف فى هذا الفصل محاولات هدم الكعبة التى كانت أقدمها إزماع تبع أسعد أبى كرب وابنه حسان بن أبى كرب هدم الكعبة ونقل حجاراتها الى اليمن ليكون البيت اليمنى الجنوبى كعبة للناس بدلا من كعبة مكة الشمالية وكان الدافع وراء هذا المصلحة الاقتصادية فكانوا يريدون أن تنصرف التجارة والرخاء إليهم ولكن هذه المحاولات منيت بالفشل.. وحاول أبرهة أيضا تنفيذ خطة هدم الكعبة ونقل شعائر الحج برمتها بعد ذلك الى البيت الفخم البناء الذى أقامه فى صنعاء وقد تقدم نحو الكعبة غازيا يدعم هيبته الفيل والملك الطويل..

وسار قادما وقد ذعر أهل الحرم من مقدم هذا الجيش الذى لا قبل لهم بوقف زحفه وانزعجت قريش عامة وسيد مكة عبد المطلب ابن هاشم خاصة وكما ذكر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أهلك أبرهة وجيشه قال تعالى: **﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾** وعرف هذا العام الذى جاء فيه أبرهة يريد هدم الكعبة بعام الفيل الذى ولد فيه الرسول ﴿ﷺ﴾.



الحجر الأسود: نص المؤرخون على أن جبريل الأمين قدمه الى أبى الانبياء لكى يضعه فى موضعه من الكعبة ليكون علامة بدء الطواف بالكعبة وقد كشف لنا الرواة أن الحجر الاسود كان حجرا أبيض اللون.. ناصع البياض ولكن الحرائق التى أصابت الكعبة أحالته الى لونه الاسود الحالى.

حجر اسماعيل والحطيم والملتزم: حجر اسماعيل هو ما يحيط به جدار قصير بشمال الكعبة على شكل نصف دائرة وكان ابراهيم قد جعله عريشا الى جانب الكعبة وكان حظيرة لغنم اسماعيل على ما ذكره ابو الوليد الأزرقى فى كتابه (أخبار مكة) وقد قال ذلك غيره من المؤرخين القدامى أيضا. والحطيم هو نفس حجر اسماعيل وقد علل تسمية الحجر بالحطيم بأن الناس كانوا يزدحمون على الدعاء فيه ويحطم بعضهم بعضا.. كما أن الملتزم يعرف بالحطيم أيضا وما بين زمزم والمقام والكعبة يسمى بالحطيم.

بئر زمزم: ذكر المؤرخون أسماء عديدة لهذا البئر وقد



● وعن المطبعة الملكية - الرباط صدر كتاب (ايليغ قديماً وحديثاً) . . تأليف: محمد المختار السوسى . . هيأه للطبع وعلق عليه محمد بن عبد الله الروداني . . والكتاب يتناول «ايليغ» منذ اسسها واستقر بها أبو حسون على بن محمد الادريسى السوسى السملالى حتى على بن محمد الرئيس الحالى . .

الكتاب يقع فى نحو ٣٦١ صفحة من القطع العادى.





● وصدر للشاعر محمد جواد الغبان ديوان «أنت أحلى» ويشتمل على أربعين قصيدة ويقع فى نحو ٢٤٠ صفحة من القطع الصغير . . و(المتنبى بعد ألف عام) وهى قصيدة طويلة تقع فى نحو ٤٦ صفحة من القطع الصغير . . أوحاها المهرجان الألفى الذى عقد فى بغداد احياء لذكرى شاعر العربية الخالد أبى الطيب المتنبى فى نوفمبر ١٩٧٧م .

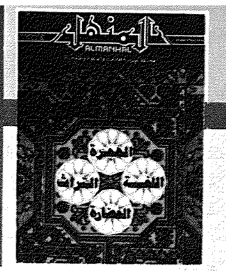
● كتاب المربيات الأجنبيات فى البيت العربى الخليجى . . عرض وتحليل لبعض الدراسات الميدانية . . إعداد الدكتور ابراهيم خليفة . . ويقع فى نحو ١٢٥ صفحة من القطع العادى.

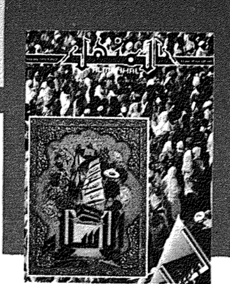
● كتاب التربية وقضايا الطاقة . . الأهداف . : والممارسات العملية . . تأليف: رودنى ف . . الن ترجمه الدكتور محمد عبد العليم مرسى . . ويقع فى نحو ٩٥ صفحة من القطع العادى.

حفرها عبد المطلب عندما أتاه آتٍ وأمره بالحفر وحدد له مكان البئر وقد ورد اسم زمزم كثيرا فى الشعر الجاهلى واختلف فى سبب تسمية بئر زمزم بهذا الاسم فقيل لكثرة ماء البئر فإن من معانى الزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع . . أو أن أصل تسميتها بزمزم هومن صوت الماء . . والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء . . ونبع ماء زمزم فى الطفولة المبكرة لاسماعيل بن ابراهيم - عليهما السلام - حينما كان رضيعا فى حضانة أمه هاجر فى مكة عندما قدم والده اليها واستبقاهما فى وادى ابراهيم وقد نال اسماعيل ظمأ شديد وكانت أمه وحيدة فى الوادى فصارت من شدة هلعها على ابنها ان يموت ظمأ وجوعا تسعى بين جبلى الصفا والمروة سبع مرات وقد تركته وحيدا يتشحط من الجوع والظمأ وسمعت صوتا وقالت: قد اسمع صوتك فأغثنى إن كان عندك خير فخرج لها جبريل فاتبعته حتى ضرب برجليه مكان البئر فظهر ما فوق الارض حيث فحص جبريل فأحاطت الماء وجاءت بقربتها فاستقت وشربت وروت ظمأ ابنها وحمدت الله . . وبهذا الفصل يختم المؤلف كتابه .

كلمة أخيرة:

هذا الكتاب - التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الاسلام - لمؤلفه الاستاذ عبد القدوس الانصارى - رحمه الله - يعد من الكتب التراثية ومرجعاً هاماً لكل باحث ينقب عن تاريخ الكعبة أو تاريخ مكة أو تاريخ الجزيرة العربية بصفة عامة . . وقيمة الكتاب تأتى من أنه تناول تاريخ الكعبة فى فترة زمنية - وهى قبل الاسلام - بالتفصيل المركز المدعم بالحقائق التاريخية والعلمية . . والكتاب خطوة فريدة وعمل أصيل يستحق كل تقدير وثناء واحترام.







من أصداء الدعوة والدعاة

حرصت مجلتكم «المنهل» ومنذ سنين خلت على إصدار عددين لهما تميزهما الموضوعى والبحثى وهما (العدد الممتاز) فى الربيعين من كل عام والعدد السنوى المتخصص عن شهرى رمضان/شوال من كل عام . . هذا إضافة الى الأعداد المعتادة التى تصدر غرة كل شهر . . وهذان العددان «المتخصص ـ والممتاز» يمثل محورهما العام عرضاً موسعاً ومركزاً لموضوع يتم اختياره له أهميته الحياتية أو العلمية بحيث يكتب فيه أصحاب التخصص .

وآخر هذه الاعداد المتميزة صدوراً هو عددنا (الممتاز) عن شهرى ربيع الاول والثانى لهذا العام والذى كان موضوعه «الدعوة والدعاة» وهو من المواضيع ذات الأهمية القصوى فى حياتنا اليوم . . وتعرضت الدراسات والبحوث فيه لما يتعلق بتفاصيله وجزئياته بالبحث الدقيق العميق . . ولقد كان لهذا العدد صدى واسعاً من العلماء والمثقفين حملته إلينا كتبهم التى بعثوا بها لادارة المجلة . . كما عبرت عن هذا الصدى بعض الصحف والمجلات .

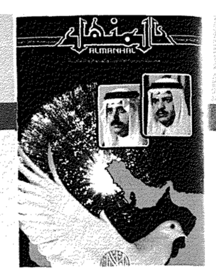
التاريخ / ١٢ / ٢ / ١٤٠٧هـ
المرفقات / ....
الموضوع / ....

سعادة الاستاذ / نبيه بن عبد القدوس الانصارى
صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها المحترم
جدة ٢١٤٦١ - ص ب ٢٩٢٥

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

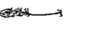
لقد سررت بمطالعة هديتكم القيمة (العدد الممتاز من مجلة المنهل عن الدعوة والدعاه) من اصدار هيئتكم الكريمة . . وأقدم لكم خالص الشكر على الجهود الطيبة التي تقدمونها في سبيل خدمة الثقافة في بلادنا .

وتقبلوا خالص تحياتي ،،،









البنك الاسلامي للتنمية
جدة - المملكة العربية السعودية

مكتب الرئيس

الرقم ٧٥٨ / ١٠١ / ر
المرفقات
التاريخ ١٥ / ٤ / ١٤٠٧
الموافق ١٦ / ١٢ / ١٩٨٦

سعادة الاخ الاستاذ / نبيه بن عبد القدوس الانصاري

حفظه الله

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

يسرني ان اشكركم اجزل الشكر على اهدائي نسخة من العدد الممتاز لمجلة المنهل " الدعوة والدعاة " الصادر في ربيع عام ١٤٠٧هـ (نوفمبر وديسمبر عام ١٩٨٦م) مع رسالتكم رقم ٦٤٩٢ المؤرخة في ١٤٠٧/٣/٢٥هـ .

وقد سعدت كل السعادة بالاطلاع على الاسلوب الممتاز الذي اخرج به هذا العدد وبالشخصيات الهامة المتخصصة التي ساهمت في الكتابة في هذا العدد وللمستوى الرفيع للمقالات التي تضمنها والمتصلة بالدعوة وعمل الدعاة

كما اشارك لكم هذا التوفيق في اختيار هذا الموضوع الخطير لهذا العدد الممتاز .

واني اذ اهنئكم على النجاح المتصل لمجلة المنهل في اداء رسالتها الاسلامية والثقافية والادبية ، ارجو لكم مزيدا من التوفيق والسداد .

حفظكم الله ورعاكم ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رئيس البنك الاسلامي للتنمية

د . احمد محمد علي

وارد برقم ١٤٢٤
تاريخ ٢٠/٤/١٤٠٧هـ
جهة الاحالة

ص.ب ٥٩٢٥ جدة ٢١٤٣٢
تلكس ٦٠١١٣٧ - ٦٠١٤٠٧ ISDB SJ
تلكس عربي - ٦٠١٩٤٥ اسلام
برقيا : بنك اسلامي
هاتف ٦٣٦١٤٠٠
(عشرة خطوط)

مؤسسة اليمامة الصحفية
AL YAMAMAH PRESS EST.
الرياض
اليمامة
Riyadh Daily

الرقم .... OUR REF .... YOUR REF ....
التاريخ ١٤/٤/١٤٠٧هـ DATE
الموضوع ....

سعادة الاستاذ / نبيه بن عبد القدوس الانصاري

المحترم

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

تسلمت بيد الشكر والتقدير خطابكم رقم ٦٤٩٧ وتاريخ ١٤٠٧/٣/٢٥هـ وبرفقة نسخة من عدد مجلة المنهل (العدد الممتاز) والذى يناقش موضوع الدعوة والدعاة . . وانه ليسعدنى ذلك المجهود الطيب الذى بذلتموه لاخراج العدد على الوجه الاكمل من حيث الموضوع الجيد الذى بدون شك سيفيد الكثير من القراء ويوجههم التوعية الاسلامية .

وفقكم الله مع تمنياتى لكم بالنجاح ،،

اخوكم

فهد العلى العريفى

مدير عام مؤسسة اليمامة الصحفية

الادارة العامة ٤٧٧٤٠٠٠ - ٤٧٦١٥٧١ - الاعلانات ٤٧٣٨٤٤٠ - ٤٧٦٦٦٣٣ - المشترك ٤٧٧٤٧١٠ - ٤٧٧٤٦١٦ - ٤٧٦٤٤٤٢ - تحرير الرياض ٧٨١٨٨٣
المشرف على تحرير اليمامة ٤٧٦٥٣٤٣ تحرير الرياض ديلي ٤٧٦٤٧٧٥ ■ مكاتبنا في الداخل ■ جدة ٦٦١٦٦٣٣ ■ الدمام ٨٣٦٤٤٠٠ ■ مكة ١٩٢٠١

صدر العدد الأخير من مجلة المنهل الشهرية وكان عددا ممتازا عن الدعوة والدعاة وقد اشترك في تحريره نخبة من العلماء من بينهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز الرئيس العام لرئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد والكاتب المعروف محمود شيت خطاب والشيخ ابو الحسن الندوي والدكتور عبدالله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي وابو تراب الظاهري والشيخ صالح بن سعد اللحيدان والشيخ عبدالعزيز المسند والشيخ جاد الحق علي جاد الحق وعدد كبير من العلماء وهذا العدد بلا شك يعتبر احد المراجع التي لا يستغنى عنها

المسائية

عكاظ



مجلة المنهل والدعوة والدعاة

صلتى بمجلة « المنهل » وبصاحبها العلامة الجليل الشيخ « عبد القدوس الانصارى » رحمه الله رحمة الابرار ، صلة قديمة جدا بدأت عندما كنت مازلت في قريتى الصغيرة النائية ، وكنت مازلت ايضا في طور اليفاع حيث حصلت بطريق الصدفة على مجموعة كبيرة من اعداد المنهل .. كانت قراءتى لها بداية الصلة حيث كتبت مقالا نقديا لبيتين من الهمزية النبوية لاحمد شوقى !!

وغامرت بارسال المقال المذكور مع رسالة لشيخنا الانصارى اقول له فيها ما معناه اننى اتطفل على الادب بذلك المقال واننى ارجو ان يكون مناسبا للنشر بعد التعديل فيه بما يراه .

فما لبثت غير مدة يسيرة حتى وصلتنى رسالة لطيفة كريمة من شيخنا الانصارى .

ولكم ان تتصوروا يافعا يعيش في قرية نائية .. ثم يتلقى رسالة من لشيخ الانصارى اى ازدهاء يمكن ن يشعر به ؟ » مازلت احتفظ بتلك الرسالة » .

ليس ذلك فحسب .. بل يجد مقاله منشورا بكامله لا ينقص ولا يزيد حرفا واحدا .. وكانت تلك هى بدايتى مع الصحافة والادب .. وانا على يقين بأن معظم ادبائنا .. قد عبروا الى الصحافة ، او الادب عن طريق « المنهل » فهو المنهل العذب حقا ، لا يبخل صاحبه - رحمه الله - بشيء منه على شداة الادب الذين اصبحوا فيما بعد من كبار ادباء المملكة .

ولقد تداعت هذه الذكريات في ذهنى ، وانا اتصفح العدد الفخم الضخم الممتاز ، والمخصص بكامله لموضوع « الدعوة والدعاة » ثم قلت في نفسى .

هذا العدد الضخم الممتاز ، وهذا الموضوع الحيوى المهم بالنسبة لكل مسلم في اقطار الارض .

هذا العدد وهذا الموضوع وامثالهما اعظم وسيلة لتخليد ذكرى الشيخ الانصارى في قلوبنا وضمائرنا ، نحن تلامذته الذين كانت حياتنا الادبية بفضل الله تم بفضل تشجيعه ، وسماحته ، ونبله ، ولطيف معشره .

ولا يسعني هنا - بعد كل هذه المشاعر - غير ان اهنيء اخى الاستاذ « نبيه الانصارى » على مقدرته الرائعة في تعميق « المنهل العذب » وفي هذه الاستمرارية الغزيرة المتدفقة حتى لكأننا لم نفقد الشيخ « عبد القدوس الانصارى » وكأنه لم يغب عنا او لم يفارقنا بعد !!

ولكن لا غرو ولا غرابة فالاستاذ نبيه الانصارى - اضافة الى كونه الابن البار لوالده - هو ايضا الابن البار للمنهل ، وقد اثبت حتى الان انه القادر على الاضطلاع بمسئوليات هذه البنوة الرائعة .. وفقه الله واعانه !!

اليوم

عدد جديد من مجلة المنهل

صدر العدد ٤٤٩ من مجلة المنهل الشهرية الثقافية العلمية وقد اختص هذا العدد بالدعوة والدعاة وتضمن العدد مقتطفات من كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ال سعود حفظه الله وسمو ولي عهده الامين وموضوعات ومقالات عن الدعوة والدعاة ومنهاج الدعوة الى جانب العديد من المقالات لكبار الادباء والدعاة في المملكة .

كما تضمن العدد استطلاعات عن رابطة العالم الاسلامي والجامع الازهر وجامعة القرويين وجامع عقبة بن نافع ومنظمة الدعوة الاسلامية بالسودان والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

وتضمن العدد ايضا نبذة موسعة عن الاعلام ومنهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ محمد السنوسي والشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغاني وعبدالرحمن الكواكبي ومحمد الابراهيمي ومحمد الطاهر بن عاشور والشيخ فاضل بحبيب الله رشدي وعبدالقادر الجزائري .





الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية

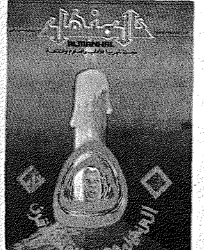
العدد الجديد من « المنهل »

جدة ـ واس : صدر العدد ٤٤٩ من مجلة « المنهل » الشهرية الثقافية العلمية وتضمن العدد مقتطفات من كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده الأمين وموضوعات ومقالات عن الدعوة والدعاة ومنهاج الدعوة الى جانب العديد من المقالات لكبار الادباء والدعاة في المنطقة .

كما تضمن العدد استطلاعات عن رابطة العالم الاسلامي والجامع الأزهر وجامعة القرويين وجامع عقبة بن نافع ومنظمة الدعوة الاسلامية في السودان والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

وتضمن العدد ايضا نبذة موسعة عن الاعلام ومنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ محمد السنوسي والشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد الابراهيمي ومحمد الطاهر بن عاشور والشيخ فاضل بحبيب الله رشيدي وعبد القادر الجزائري .





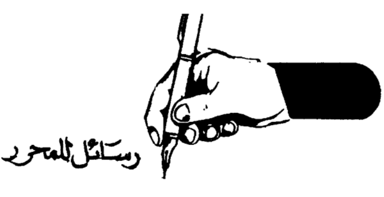


الندوة
جريدة يومية تصدر بمكة المكرمة



الدعوة والدعاة

صدر العدد الممتاز من مجلة المنهل يحمل هماً يشغل المسلمين ويضيء دواخلهم ليعالج ما امكن من امر الدعوة وقد حفل هذا العدد بما يقع في مقدمة الاهتمامات وهو عن «الدعوة والدعاة» حيث جاءت موضوعاته طرقا منهجياً لاساسيات هذا الموضوع حيث ساهم فيه جمهرة من خيرة الكتاب والدعاة في اخراج جميل وشمولية جيدة



القراء الكرام:

نسعد بكم وتسعدنا رسائلكم الكريمة التى تحمل بين طياتها اجمل معانى الشكر والتقدير.. وكان بودنا أن نجد من المساحة فى منهلكم ما يسع لنشر الكثير منها.. ونرجو ان يكون معنا العذر فى نشر بعضها.. ويزيد من سعادتنا ان (المنهل) بفضل من الله سبحانه استطاع أن يصل الى اكثر الدول الاسلامية والعربية مما نجد صداه واسعاً فى هذا الكم الهائل من رسائل الاخوة القراء.

ونكرر.. لكم التحية والشكر والتقدير.

«التحرير»

سيادة رئيس تحرير مجلة المنهل

أبعث الى سيادتكم هذه الرسالة راجياً المولى عز وجل أن نجدكم فى أحفل الأيام بالسعادة.. وبعد..

فبكامل الشوق الى مراسلة مجلتكم الثقافية والأدبية والعلمية أتقدم اليكم بهذا الطلب راجياً من المولى عز وجل أن تبعثوا لى جزءين من مجلتكم (المنهل) أحدهما بعنوان «الأمن والأمان» والآخر يكون مجلدا من أجود اجزاء مجلتكم الشهرية.. مع يقينى الصادق بأنكم جديرون بأن تلبوا طلبى هذا مع اننى اشتاق الى ايجاد مجلد منها كل شهر ان كان ممكنا وان لم يكن كما أتوقع فلكم منى أحر الاعتذار.. ودافعى فى طلبى هذا اننى من أحباء مجلتكم «المنهل» للنهل العذب فهى غذاء بثقافتها الغراء وأدبها الفصيح وعلمها الوافر الغزير.

عمر أحمد
نوا كشوط ـ موريتانيا

المنهل:

اهـلا بصديق المجلة من موريتانيا الشقيقة. هذا وقد ارسلنا لك الاعداد المطلوبة وسنعمل على ايصال المجلة بصفة مستمرة الى بلدكم الشقيق

سيادة رئيس تحرير مجلة المنهل ـ المحترم
تحية الكلمة الطيبة وبعد.

لقد حطت المنهل حمامة من النور على شباك قلبى الذى غشيه ظلام الأسى فإذا به ينفض عن أكمامه غبار الدجى ويغتسل برذاذ نجوم منهلكم التى تعكس أناتكم وسعة صبركم ازاء ما يعتور الساحة الأدبية من هنات وعيوب فوجدت فى أسلوبكم اللطيف الحازم ما شفى صدرى ببرد اليقين وبلسم جروحى بيد السكينة إزاء ما يثير كل غيور على شجرة الأدب اليانعة ودوحته الباسقة من تطفل غربان الفكر وتعشيش بعض الطيور الميتة فيها فى غياب النسر المشغول بالتحليق (إلى قمم الفكر الحى وسماء العاطفة المشبوبة) عن البغاث التى نسيت فى لحظة ضعفها الإنسانى أن العاصفة ستهب آجلا أم عاجلا لتكنس الغابة القرمزية من الأعشاش الميتة والأغصان اليابسة ولو بعد حين وأن الإمهال لا يعنى الاهمال فخفف ذلك من وطأة انفعالى وفورة استشاطة غضبى واستل سخيمة سخطى على النفوس المرضى بداء الاستغلال فى اشرف المواقع ولأرفع القيم ولم أجد افضل ولا أجمل من أن أقتدى بكم أسوة حسنة.. ومع هذا فأنا على عهد الوفاء لكل منهل عذب استقى منه ألا أرمى فيه كدرا أو مدرا وأن اذود عن حياضه وأمنعه من كل من تسول له نفسه الاساءة إليه كما أذود عن نفسى وأمنعها من كل أذى بإذن الله ومهما يكن من أمر فإن النهر العظيم لا يحتفل بحجارة الصبيان وكما يقول ابو القاسم الشابى:

من جاش بالوحى المقدس قلبه
لم يحتفل بحجارة الفلتاء

جهاد جميل محمد الجيوسى
الاردن ـ عمان

المنهل:

نشكر لك هذه الكلمات الرقيقة ونقدر لك غيرتك على «المنهل» وحرصك على ان ينشر فيها الجيد والقويم دائما وابدا وهذا ديدن المنهل واول اولويات منهجه.

الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى - المحترم

سلام عليكم وعلى كل الاخوة الاعزاء العاملين فى المجلة

حقيقة اكبرت هذه المجلة الرائعة فحين اطلعت عليها (العدد٤٤٨) تصورتها مجلة حديثة صدرت مؤخراً ولابد للجديد من فترة كافية حتى يثبت وجوده.. ولكنى فوجئت ان المجلة قديمة وعريقة وصاحبها المؤسس رجل له باع طويل فى الادب وذلك من خلال قراءتى هذه التحفة كنت اظن ان مجلات العربى والفيصل والدوحة هذا الثلاثى وكفى ولم اكن اعرف ان هناك مجلة اخرى بهذا المستوى الرائع من حيث المضمون والاطار.

على كل لا اريد ان اكيل لكم المدح.. ولكنى شغفت بها فراح قلمى تلقائياً يسطر هذه الكلمات.. اتمنى من كل قلبى مزيداً من هذه الروائع ليتمتع بها ابناء امتنا العربية.. فكلما زادت منابعنا الثقافية والعلمية زاد اسهامنا فى صنع مجدنا.

سعادة رئيس التحرير... عندما كنت خارج ايران كنت اقرأ واقرأ ولا أملّ من القراءة احب الادب واحب الشعر واليوم لم اجد ما أقرؤه الا القليل فيا حبذا لو تقبلونى صديقاً لمجلتكم لاقرأها انا والاخوة العرب هنا لنعرف ما يسطره ابناء امتنا - علماً اننى لم اجد مصدراً لاقتنائها سواكم.. فهل يمكن ارسالها فقد احببتها وعشقتها وأكاد أذوب فيها.. ارجوكم اجيبونى.

المخلص

مصطفى صلاح الدين

مدينة قم - ايران

المنهل:

اهلا بك صديقا عزيزاً ولقد اعتمدنا ارسال العدد لك هدية بصفة مستمرة.

الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى

رئيس تحرير مجلة المنهل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

انني ولأول مرة اكتب الى سيادتكم رسالة وانني مهما عبرت عما يجيش في نفسي من حب واحترام لمجلتكم الغالية والتي اعتبر نفسي قارئاً حديثاً جداً جداً لها ومعجباً كبيراً جداً جداً بها انني وبدون مبالغة انتظر اول كل شهر عربي لكي ابحث عنها واقتنيها واضمها الى مكتبتي المتواضعة.. انني وبصراحة لم اقرأ هذه المجلة وبمعنى اصح لم اعرفها الا منذ شهور قليلة جداً وقد تزودت منها بالكثير جدا وادعو الله لكم دائما بالتقدم والرقي وان تكونوا عوناً للقارىء العربي والقارىء المسلم من زيادة معلوماته الاسلامية والمعلومات العامة وكل ما يتعلق من امور الدين والدنيا.. انني اقول وبصراحة ان مجلتكم العزيزة هي اسم على مسمى فهي فعلاً ملهمه لنا بالمعلومات والشرائع والطرائف التي تمدنا بها وانني كنت اتمنى بل اني شغوف جداً الى الاطلاع على بعض من الاعداد القديمة لمجلتكم العزيزة وارجو بل اتمنى اذا لم يكن هناك مانع لموافاتي ببعض الاعداد القديمة لهذه المجلة العزيز والتي اتمنى ان احصل على جميع الاعداد التي صدرت لها ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

سمير ابراهيم على كشك

الاسكندرية - مصر

المنهل:

نشكر لكم هذه المشاعر الفياضة و«المنهل» كما تعلمون مجلة تحرص على التواصل مع قارئها في كل مكان وحسب الامكانيات وعليه فقد ارسلنا لك مطلبك.

لاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى - الموقر

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته..

أرفع قلمي لأكتب لكم هذه السطور معبرا عن مدى إمتناني ومحبتي الشديدين لمجلة العرب، مجلة الثقافة والآداب «المنهل» الغراء.. وانه ليسعدني أن أذكركم أن تلك الأعداد التي زودتموني بها منذ عام تقريبا قد طالعتها جميعها من ألفها إلى يائها.. عددا وراء آخر.. وكذلك الحال بالنسبة للمؤلفات الثلاثة - والتي تكرمتم بإرسالها لنا - للعلامة الراحل الأستاذ عبد القدوس الانصاري.. طيب الله ثراه.. وبصراحة تامة أقول لكم أن ما تكرمتم به قد أفادني جدا حيث أنه كشف الغطاء عن أمور كثيرة وأطلعني على حقائق كنت أجهلها من قبل.. ولست الوحيد الذي استفاد منها بل قمت بتوزيعها على المعارف والأحباب من المثقفين.. فلم يقولوا فيها أقل مما قلت.. والفضل كله يعود لله ثم لكم..

وأني وبكل صراحة أطمع في المزيد من أعداد جديدة أو مؤلفات أخرى لأستاذنا الانصاري رحمه الله والتي أرجو أن لا تحرمونا منها.. كل ما بقي لي أن أقوله لكم في الختام هو: أدام الله عطاءكم.

أخوكم ابن بوزة نور الدين - الجزائر

المنهل:

اهلا بك صديقا بالمجلة في الجزائر الشقيقة.. هذا وقد اعتمدنا ارسال المجلة لكم للاستفادة.

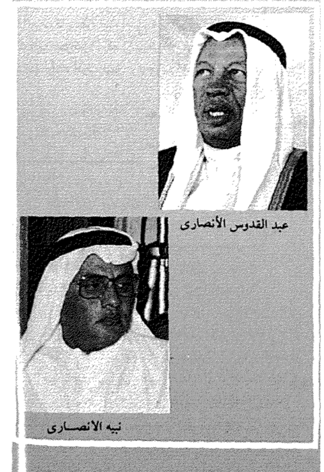
المنهل

مسيرة خمسين عاماً من

بين الأنصاري الأب .. والابـ

سيظـل «المنهـل» بموارده العذبة .. ومتـابعـه النقية.. ومساقيه الثرة احد المصادر الرئيسية المهمة لتاريخ الحركة فى المملكة العربية السعودية.. والمرآه الصافية لمسيرتها الثقافية منذ نصف قرن من الزمان او يزيد.

وتعود صداقتى للمنهل المجلة منذ اكثر من ٢٥ عاما.. عندما كنت طالبا فى المرحلة الثانوية اعشق الادب واقرأ ما يقع بين يدى من مجلات ثقافية كان من بينها مجلة **«الاديب»** البيروتية لالبير اديب ومجلة **«الرسالة»** لاحمد حسن الزيات ومجلة **«الثقافة»** لاحمد امين ومجلة «المنهل» لعبد القدوس الانصارى.. وقد رحلوا جميعا عن دنيانا.. ولكنهم تركوا فى دنيا الادب بصمات واضحة ومدارس فكرية مازلنا نستمتع باساليبها الجزلة الرصينة المتينة التراكيب تقرأ لهم فلا يتسرب اليك السأم.. ولا يداخلك الملل.. ولا تستعصى عليك المعانى.. ولا تضطرب أمامك الصور.


عبد القدوس الأنصارى

نبيه الانصـارى



المحب والإصرار
..ن.. والحفيد

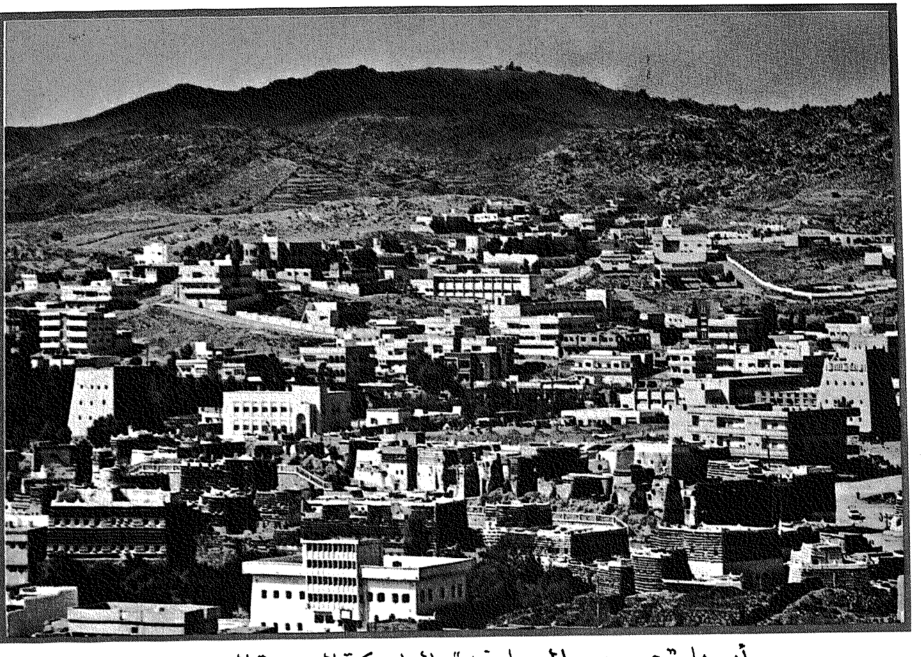
عود الى منهلنا العذب.. وصداقتى بصاحبه الأنصارى
رحمه الله.. عندما كنت رئيساً لتحرير «عكاظ».. وكان
يحرص على امدادها بعمود يومى كان يكتبه تحت عنوان
«ما قل».. وكان يتردد على الجريده يوميا ليصحح البروفة
بنفسه.. وكان يوصى دائما بالاهتمام بتصحيح مقالاته..
وكان يضيق ذرعا بالاخطاء المطبعية.. ورغم ذلك فقد
كان يصف هذه الاخطاء بانها شر لابد منه وكان من اشد
أنصار التمسك بقواعد اللغة العربية.. مبنى.. ومعنى
.. ونحوا.. وصرفا.. وهل ننسى المعركة الادبية التى
خاضها رحمه الله.. ورفع لواءها من اجل ضم «جيم
جدة».. ومن اجل «جازان» لا جيزان!!

المنهل المجلة ليست وحدها هى المدرسة الفكرية التى
...سها الانصارى وتخرج من بين جدرانها العديد من
الكتاب والشعراء.. فمكتبة الانصارى حافلة هى
الاخرى بالعديد من المؤلفات والبحوث والدراسات..
ويكفى ان نشير الى «التوأمان» كأول رواية فى تاريخ
الادب السعودى وان لم تتوفر فيها كل عناصر الرواية
العصرية.. ولكن فيها معظم سماتها المميزة.

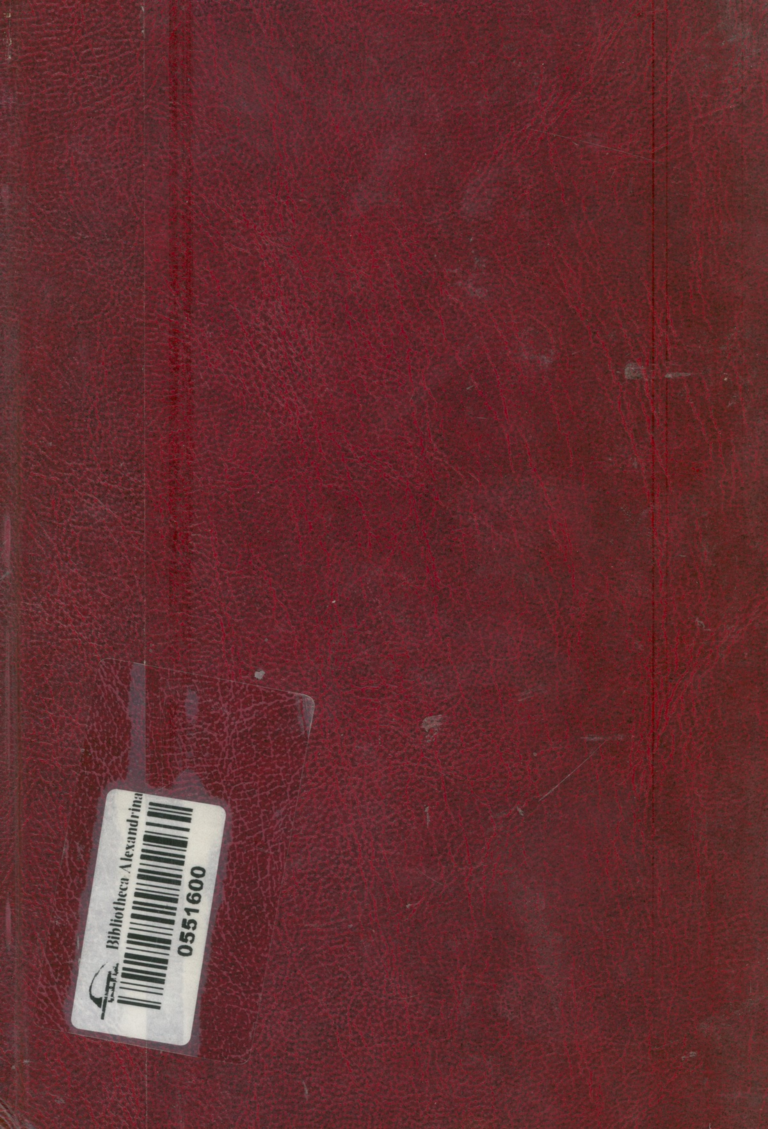
ولعل من ابرز ما فى هذه المكتبة «الانصارية» كتاب
آثار المدينة المنورة وكتاب «تاريخ مدينة جدة الحديث»
الذى يعتبر بحق موسوعة تاريخية.. لم تشهد المكتبة
السعودية نظيرا لها فى شموليتها.. ولئن فقد الادب
السعودى عالماً فى الآثار ومؤرخا ولغويا وصحفيا هو الاستاذ
عبد القدوس الانصارى ـ رحمه الله ـ.

ولئن افتقد الادب السعودى مكانة الانصارى العالم
والمؤرخ واللغوى والصحفى.. فان المنهل الذى ما يزال
يواصل مسيرته الثقافية قد اورثه ابناءه البررة الذين حملوا
لواءه من بعده.

ها هو المنهل بعد نصف قرن من الزمان يواصل رسالته فى
ثبات.. وقوة.. وفى الصديق العزيز الاستاذ نبيه عبد
القدوس الانصارى ـ الشبل من ذاك الاسد ـ سمات
واضحة من والده الذى ورث عنه الاصرار والصبر
والجلد.. وفيه ايضا من حماس الشباب.. ما يجعله جديرا
بمركزه كرئيس لتحرير «المنهل» تسانده مجموعة من الشباب
الواعى المثقف يحافظون على هذا الصرح الادبى
الشامخ.. يستمدون من دعم وتشجيع حكومة خادم
الحرمين الشريفين الملك المفدى ومن مساندة حملة
الاقلام.. كتابا وشعراء.. ما يعينهم على حمل الرسالة
الادبية.. حتى يظل «المنهل» كما كان وسيظل بإذن الله
منارا للثقافة يهدى.. ويهتدى به كل من ادركته «حرفة
الادب».. وابتلعه «عشق» الحرف.



أبها "عروس المصايف" بالمملكة العربية السعودية


Bibliotheca Alexandrina
0551600